تفسير الجلالين

تأليف الإمامين

جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ) و جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

حققه الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

على أصل خطي نفيس من عهد المفسرين

ومعه

الجمالين على الجلالين

تأليف العلامة

الملا علي القاري

(١٠١٤هـ)

حققه

توفيق محمود تكلة

على أربع نسخ خطية

المجلد الأول

دار اللباب





تأليف الإمامين

جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ) و جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

حققه الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

على أصل خطي نفيس من عهد المفسرين

ومعه

الجمالين على الجلالين

تأليف العلامة

الملا علي القاري

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

حققه

توفيق محمود تكلة

على أربع نسخ خطية

المجلد الأول

دار اللباب




تفسير الجلالين
ومعه
الجمالين على الجلالين
(١)



الطَبْعَةُ الثَانِيَة

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م





9 789933 935078



DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

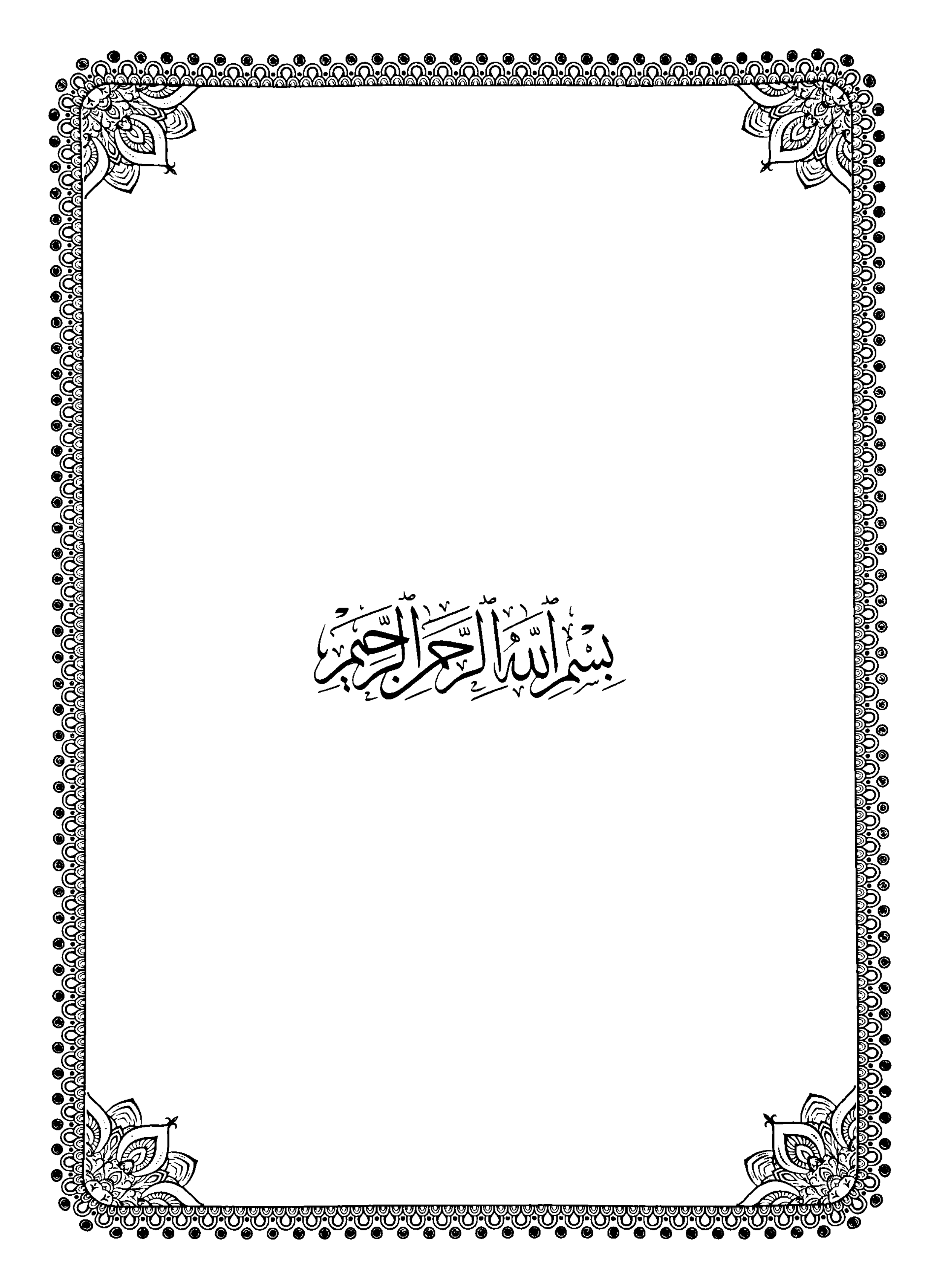
بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

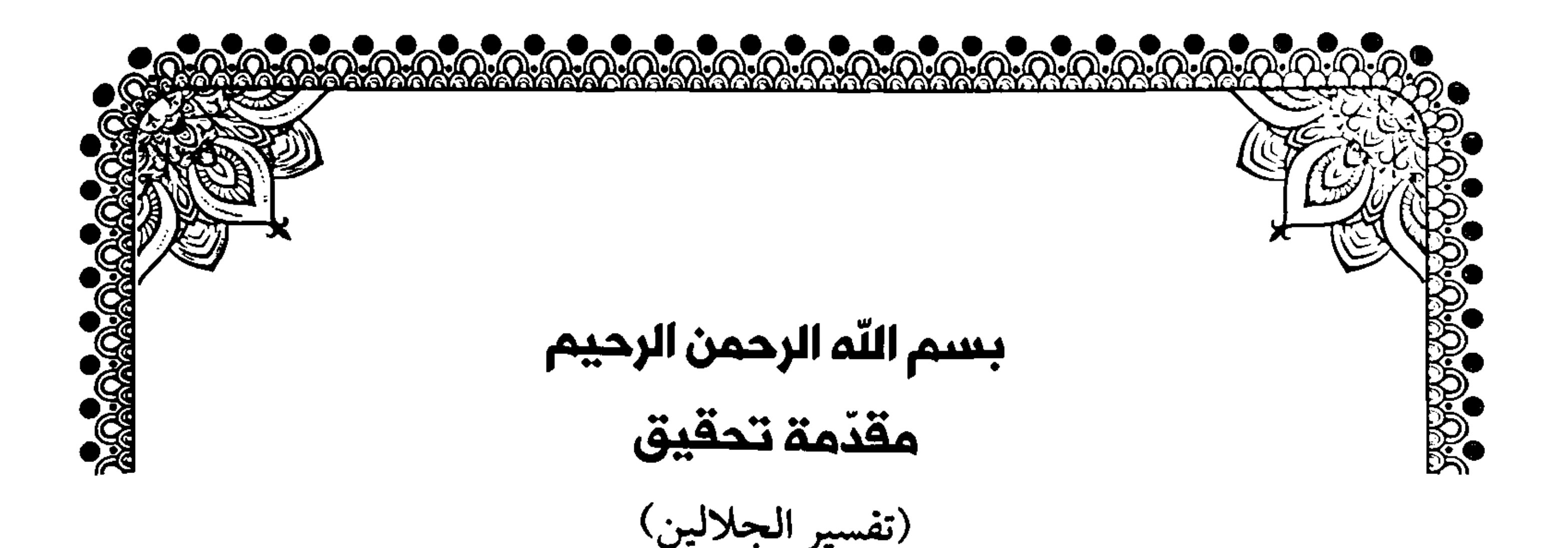
دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم
مقدّمة تحقيق
(تفسير الجلالين)

الحمد لله حمد الشاكرين أن يسَّر لنا العمل الكريم. اللّهمَّ إنا نؤمن بك وإيّاك نعبد، ونرجو رحمتك، ونخشى عذابك، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وآله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد، فقد أكرمنا الله ـ تعالى ـ بوحيه العظيم، وحَفِظَه في الصدور والسطور، وهيّأ له خَدَمة مخلصين يتابعون تلاوته وفهمه والعمل به وتفسيره للأجيال من الأُمّة الإسلامية. ولذلك انصبّت الجهود المباركة في تأسيس علوم القرآن وتنميتها، حتى رأيتَ ما لا يُحصى من الأبحاث في ميادين هذا النور الإلهيّ الكريم. وكان لمصنّفات التفسير مركز الصدارة في تلك الجهود الطيّبة، ينمو ويتسع مع الزمن وتتفرّع ظلاله بألوان من الإيجاز والتوسّط والتفصيل، لتخدم مستويات العلم والتعليم والبحث والتأليف.

وعندما صنّف الجلالان تفسيرهما المعروف، ظهرت خصائصه اللامعة في إيجاز وافٍ بكثير من حاجات التفسير، واستيعاب جهود العلماء في القرون الإسلامية التسعة، ليصبح «لُبّ لباب التفاسير» كما يقول الحاجّ خليفة. ومع هذا فإن حروف ألفاظ التفسير صارت أكثر من حروف الآيات، مما يجيز أن يحمله من لم يكن على وضوء.

ولذا حرص عليه رجال العلم، يتلقّونه في أسانيد متصلة بالجلالين، ثم كان لهم عليه تعليقات وحواشٍ وشروح وافرة، صار لي بينها عدد وافر من الخدمة المباركة، آخرها وخاتمة ختامها ومسك أعطارها هذا النور الرباني اللطيف ونجم سعدها الشريف «كتاب تفسيرالجلالين». فإليكم أقدمه الآن لطيفًا خفيفًا رشيقًا خاليًا من التعليق والحواشي والتيسير وتقحّم الناشرين، وكأنه نسخة تراثية، قرأها فخر الدين وكتبها منذ ٥٠ سنة، وصحّحها وضبطها، وعارضها بمصادرها المقرّرة والنسخ المذكورة أيضـًا، وجعلها صالحة للقراءة والتدبر.

ولمّا لمس العلماء ما في الأصل المبارك من الكفاية للدراسة والتدريس اتّخذوه في المجالس والمساجد بين أيديهم للبيان والوعظ، وجعلوه كتابًا مقرّرًا في بعض المدارس الشرعية، فأصبحت لا ترى غيابه في بيت أومسجد أومكتبة أو مجلس للعلوم والبحث والتعليم والدراسة والوعظ والإرشاد.

تاريخ الكتاب: في منتصف القرن التاسع شرع الجلال المَحلّي في تفسير موجز قريب المَنال، ولكنه توفِّي قبل إنجازه، فتابع خطواته تلميذُه الجلال السُّيوطي، ليجعل الكتاب التفسيريّ كامل العطاء، فيه «ما يُفهَم به كلام الله ـ تعالى ـ والاعتمادُ على أرجح الأقوال، وإعرابُ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٌ على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوالٍ غير مَرْضية وأعاريبَ محلُّها كتب العربية».

أمّا جلال الدين المَحلي فهو أبو عبد الله محمّد بن الشهاب الأنصاري نسبًا. ولد سنة ٧٩١، وشَغل طفولته بحفظ القرآن الكريم، ثم تلقّى بعض العلوم الإسلامية، وتصدّى للتصنيف والتدريس والإقراء، فكان من آثاره أن بدأ بتفسير القرآن الكريم من أول سورة الكهف فأنهى ذلك حتى آخِرِه، ثم رجع إلى أول المُصحف فأنجز تفسير سورة الفاتحة والآيات ١ ـ ٢٦ من سورة البقرة، فوافتْه المنيّة سنة ٨٦٤. وقد عُرف المَحلّي في حياته بجهوده الفضيلة بين الأصوليِّين والفقهاء وعلماء الحديث والتفسير والنحو، ووُصف بأنه مُفرطُ الذكاء والفهم.

وأما جلال الدين السُّيوطي فهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الطُّولوني الشافعي الأُسيوطي، كان أبوه قاضيًا في أُسيوط قبل أن يرحل إلى القاهرة. وقد وُلد ابنه جلال الدين في القاهرة سنة ٨٤٩، فحفظ القرآن الكريم وهو دُون الثامنة، وعرف القليل جدًّا من القراءات إذ لم يأخذها عن شيخ، ولم يُقرئها أحدًا لأنها فنّ إسناد كما قال. وفي الثانية والعشرين أكمل تفسير شيخه المَحلّي.

ولمّا بلغ الأربعين اعتزل ولزم منزله للبحث والتأليف، يزوره العظماء للإفادة والإكرام، كذلك بقي حتى توفّي سنة ٩١١، فكان خاتمة الحفّاظ ونادرة زمانه حفظًا واطّلاعًا ومشاركة وكثرة تأليف. وخلّف كمّية عظيمةً من المصنّفات، قيل: إنها تجاوزت ألف عنوان، وبعضها في عدّة مجلدات.

وبعد أن اكتمل هذا التفسير الكريم، توالت عليه التعليقات للتوضيح والتعقُّب والاستدراك، وقد صدر عن ذلك حواش وشروح كثيرة، يضاف إلى هذا كله أن مطبوعات «تفسيرالجلالين»، وهي كثيرة جدًّا، قل أن تخلو من تعليقات ونقود وتوجيهات، وهي تُعدّ من الحواشي، وكثر فيها الاضطراب.

النسخة التيمورية الأصل: هذه النسخة تحت الرقم ٣٢٧ في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية،

وهي في ٥٦٨ صفحة بخط ممتاز جيد الضبط والتشكيل، والنص القرآني فيها مكتوب بالحمرة، وأسماء السور بقلم غليظ متميز، وفي الصفحة المقدَّمة على الغلاف ما يلي بقلم معاصر: «تفسير الجلالين، والنسخة نفيسة جدًّا صحيحة الضبط، كتبت برسم محبّ الدين محمود بن... صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية. وكتبها أحمد مسعود النابلسي سنة ٩١٤، وهو مشرف على تسعين سنة»، ثم تجد على الغلاف تعريفًا قديمًا بالكتاب: «[سِفر فيه تفسيرٌ]، نصفه للعلامة جلال الدين السيوطي، والنصف الثاني للعلامة جلال الدين المحلي رحمه الله».

وأول النسخة هو مقدّمة السيوطي، ثم تفسير سورة البقرة وما بعدها حتى سورة الإسراء. وبعد انتهاء عملِ السيوطي ص ٢٧٦، قال الناسخ: «وفرغ من هذه التكملة الفقير الضعيف المحتاج إلى كرم الله ومغفرته أحمد بن مسعود النابلسي، عفا الله عنهما بمنه وكرمه في سابع عِشرِي جُمادى الأولى سنة أربعَ عشرة وتسعِمِائَة. والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل! كتبته وقد تمسّكتُ بأذيال التسعين، أسأل الله المعونة على ما بقي من العمر. آمين».

وفي ص ٢٧٨ يبدأ تصنيف المحلي بتفسير سورة الكهف لينتهي بتفسير الفاتحة وأول البقرة في ص ٥٦٨، حيث تُختم النسخة بقول كاتبها: «تمّ ما وُجد، والحمد لله وحده، وصلّى الله على أشرف خلقه محمّد وآله وصحبه وسلم. وفَرغَ من كتابة هذا النصف وما قبله الفقير الضعيف المحتاج إلى عفو الله وغفرانه، أحمد بن مسعود النابلسي ـ عفا الله عنهما بمنه وكرمه ـ مع شغل البال وكبر السن وضعف الجسد، ومِن الله ـ عز وجل ـ المدد وعليه المعتمد، في ثامن رمضان المعظّم قدرُه سنة أربع عشرة وتسعمائة. والحمد لله وحده، وصلاته على سيّدنا محمّد وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل».

والنسخة تامّة عارضها الكاتب نفسه بالأصل المنقول منه، وصحّحها بإلحاق ما فُقد سهوًا. والحقُّ أن هذه النسخة هي أفضل ما اطلعتُ عليه أو بلغني خبره. فهي قريبة من حياة السيوطي، تامة ومتقنة ومصححة، وكُتبت لسيّد في عصره، فكانت محوطة بالعناية والدقة والجودة، ولا سيما الضبط الجيد للآيات الكريمة وعبارات التفسير، مما يشعر أن القراءة التي اختارها الجلالان مدوّنة فيها. ولهذا اعتمدتها أصلاً في التحقيق.

منهج التحقيق: اليوم وقد طعنتُ في الخامسة والتسعين من سنوات الهجرة الكريمة، وبعد ثمانين سنة من الاتصال بالقرآن العظيم تلاوة وتدبرًا ووعيًا، وبعد خمس وسبعين من ممارسة التعلّم والتعليم لمصادر العلوم العربية والإسلامية، وبعد ستة عقود من مزاولة البحث والتحقيق والتأليف في ميادين اللغة والأدب والنحو وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعد أربعين سنة من الانصراف إلى كتاب

الجلالين وما يتصل به من مصنّفات في العلوم الإسلامية، وفي مباشرة ذلك الانصراف كله أنا على طهارة ونظافة بعون الله ـ عز وجل ـ وأختم كل صفحة من العمل بالحمدلة والشكر العميم... بعد هذا كله أكرمني المولى ـ تعالى ـ بإنجاز العمل وحَفِظَ صحّتي ونور عينيّ بفضله وبركة كتابه.

فلقد ظهر في «تفسير الجلالين» لاختصاره وإيجاز تعبيره كثير من سمات أعمال المتأخرين، حتى ضاعت معالم النصوص وتعسّرت معرفة أصحابها، فكان عليّ أن أجد له موارد المعلومات والتفكير والتعبير لتيسير عملية التحقيق والتقويم، فحصلت نعمةٌ عظيمة أن وقفتُ على نص صريح، يحدّد تلك الموارد وييسّر سبيل العمل القويم. فقد ذكر السيوطي في ترجمته للكَواشي أحمد بن يوسف الموصلي (ت٦٨٠) أنّ له تفسيرين: كبيرًا وصغيرًا، وأن المحليّ اعتمد في عمله وهو أيضًا في تكملته، على التفسير الصغير بالإضافة إلى «وجيز» الواحدي وتفسيرَيِ البيضاوي وابن كثير.

فكان أن اعتمدتُ مطبوعات من تفاسير الواحدي والبيضاوي وابن كثير، وصورة لنسخة مخطوطة من «تلخيص التبصرة والتذكرة» للكَواشي. وأصل هذه النسخة في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة، وقفها السيد مصطفى العنتان، وهي تامّة في ٤٢٨ ورقة، أنجز نسخها بخط ممتاز عبد الرحيم بن عبد الله بن محمود الهمداني في مدينة تبريز يوم الجمعة ختام جمادى الآخرة سنة ٦٩٦. وقد تبدّى لي في خلال متابعة التحقيق أن الجلالين اعتمدا أيضًا على مصنفات غير هذه الأربعة، منها: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس، وتفسير البغوي، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، والدر المصون للسمين الحلبي... فاستعنتُ بذلك كله على تحرير العبارات وتقويم ما كان من خلل أو تلفيق بين أقوال المصادر المختلفة، في مستويات التأليف، أي في: تحديد مواطن النزول وأسبابه، والقراءات والتفسير والشرح، مما خفي أمره على المُحَشِّين والناشرين والشارحين، فذهبوا في مجاهل الظن والتخمين، تخطئة وترجيحًا وتصويبًا على غير علم.

ولما كان الجلالان على معرفة قليلة بالقراءات كما ذكر السيوطي نفسه فكأنهما اختارا ما كان يُحفظ من النص القرآني في ذلك العصر وتلك البقاع المصرية، وهو غير ذي إسناد واحد معين. وعندما وقفتُ على مطبوعة البابي الحلبي لـ «تفسير الجلالين» رأيت في الصفحة الثانية منها النص التالي: «مراعاةً لحقوق المؤلِّفَينِ قد أثبتنا القرآن الكريم مضبوطًا بالشكل الكامل على حسب رواية الشيخَينِ المفسِّرَينِ، وإن كانت تخالف روايةَ حفص». وكان هذا مساعدًا آخر لي في تحقيق ما اختاره الجلالان من نسَق في القراءة للنص الكريم.

وقد تبيّن لي أن القراءة التي اختارها هذان المفسّران لآيات القرآن الكريم جمهورُها الأساسي معتمد

على قراءة إمام البصرة ومقرئها أبي عمرِو بن العلاء (ت ١٥٤)، وما خالف ذلك كان فيه أشياء من قراءة إمام مكّة المكرّمة ومقرئها عبد الله بن كثير (ت ١٢٠)، ثم من قراءة إمام المدينة المنوّرة ومقرئها نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩)، ثم من قراءة إمام أهل الشام ومقرئهم عبدالله بن عامر (ت ١١٨). وما خالف ذلك في بعض المواقع فهو قليل، ومعظمه عند الجلال المحلي. وبما أن النص القرآني في الجلالين ليس مصْحفًا جاز فيه خلاف القراءة الواحدة أيضًا، على ما عرفنا من الأصل والتوزّع. وبناء على ما اجتمع لديّ من مصادر ومراجع جعلت النسخة التيمورية أصلاً، واستعنت في التحقيق بنسخ: الظاهرية والثانوية الشرعية والحلبية، ومطبوعة البابي الحلبي، وحاشيتَي الجَمل والصاوي، للمعارضة.

بدأت أوّلاً بالسور، فقدّمت «الفاتحة» من آخر التفسير إلى أوّله، خلافًا لما هي عليه في النسخ وبعض المطبوعات، لتكون فاتحة الكتاب كما هي في النسق القرآني التوقيفي، ثم وزّعت السور متوالية، وجعلت للآيات أرقامًا في أواخرها جريًا على الأسلوب الغالب في نشر المصاحف الشريفة، ليكون وفاق بين عبارات الجلالين والنص القرآني الكريم. وهذا قلما تنبه إليه الناشرون لـ «تفسير الجلالين» وغيره في كتاب هو تفسير لكلام رب العالمين[1].

ثم اجتهدتُ في توزيع الآيات أو الآية الواحدة من السورة في فِقَر متمايزة، تبعًا لاتصال بعضها ببعض في السياق الدلالي. وبهذا يتضح للقارئ العلاقةُ المعنوية بين الآيات المتتابعة في الموضوع الواحد والجزئيات الموالية له، خلافًا لِما جرى عليه الناشرون من الفصل بين الآيات أو الإدماج الكامل لبعضها ببعض، والإيحاء إلى الناس بغير ما في القرآن الكريم من وحدة واتساق وإعجاز في النظم والبيان.

ومن ثَمّ ألحقتُ بنص الكتاب كله، أي: بالآيات وتفسيرها، أربعة أنواع من ميسّرات القراءة والاستفادة الدقيقة. أعني: الرسم الإملائي المعاصر، وتمييز القرآن من التفسير، وضبط الألفاظ القرآنية صرفًا وإعرابًا، وعلامات الترقيم، مع اقتراح صورة شكلية لرسم همزة بينِ بينٍ في القراءات، بصورة أَلِف مع حركة تناسب لفظ تلك الهمزة. إن النص هنا هو آيات متفرقة في كتاب تفسيريّ، ولا يشكل مصحفًا له الرسم الإملائي المتَّبع. فقد طالما اضطرب الناس صغارًا وكبارًا في معرفة القراءة الصحيحة لنصوص الآيات بالرسم المصحفي..

ثم إذا كان ذلك الرسم الكريم واجبًا اتباعه في المصاحف الشريفة فإنه يصبح غير ضروري فيما يكون من آيات في الكتب المختلفة والمقالات والأبحاث. قال الإمام الشوكاني عن الرسم المذكور:

---

(١) وقد تنبهنا إلى ذلك وهو جليٌّ لا لبسَ فيه، لكنَّا آثرنا نقل أرقام الآيات إلى بداية كل آية؛ إزالةً لما قد يلتبس عند قراءة المتن والحاشية. (الناشر).

«هذا مجرّد اصطلاح لا يلزم المشي عليه. وعلى كل حال فرسم الكلمة وجعل نقشها الكتابي على ما يقتضيه اللفظ بها هو أولى. فاعرف هذا، ولا تُشغَل بما يعتبره كثير من أهل العلم في هذه النقوش، ويُلزِمون به أنفسَهم ويعيبون من خالفه... فعليك بأن ترسم هذه النقوش على ما يَلفظ به اللافظ عند قراءتها».

ومع هذا، فإن بعض الناشرين البائسين تحرّجوا فيما أخرجوا من «تفسير الجلالين» وغيّروه أحيانًا، خشية مخالفة الرسم المصحفي والوقوع في أخطاء طباعية، فلجؤوا إلى إثبات ألفاظ الآيات مما رُسم في أجهزة «الكبتار» منقولاً من المصاحف. وقد غاب عنهم ما في كتب التفسير من قراءات خاصة قد تخالف رسم المصاحف، فإذا هم يقعون في مفارقات كثيرة جدًّا. وذلك ما تراه من تناقض بين نصوص التفسير وألفاظ الآيات الواردة، ومن مخالفة لقراءة الجلالين في مئات المواضع، لقد سبّبوا لأنفسهم ولكتب التفسير وللناس مشكلات وافرة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

وفي الثاني من الميسّرات، تجد كتاب الجلالين من المصنّفات التفسيرية الممزوجة، أي: أن الآية الكريمة متصلة بما قبلها وبعدها من شرح وبيان وممزوجة به، وكأنهما نص واحد. فكان من الواجب أن تميَّز الآيات المفسَّرة بحرف قاتم وأقواس مزهّرة. وهذا قد فعله بعض الناشرين أحيانًا، ولكنهم قد أخلوا به مرارًا، فعاد التداخل بين القولين الممزوجين.

وفي الثالث، أثبتُّ التشكيل الكامل للآيات الكريمة والضبط الضروري لعبارات التفسير. وبهذا تسنّى للقارئ إدراك النص القرآني، والربط بينه وبين تفسيره، والمعرفةُ الكاملة لما يحويه الكتاب كله. على أنني أغفلتُ من الضبط ما هو بديهي جدًّا من المفردات، وبعض الإشارات كالفتحة قبل الألفِ أو تاءِ التأنيث، والسكونات التي لا يخطئ في معرفة مواقعها جمهور الناس.

وفي الرابع، راعيتُ ما يقتضيه الكلام الممزوج للآيات وتفسيرها من علامات للترقيم، توضّح مواقع الفصل والوصل والاستئناف والاعتراض وغير ذلك. فأثبتُّ العلامات اللازمة في الآيات الكريمة وفي عبارات المفسّرَين، ليكون التساوق ملحوظًا من مجمل الكلام، وتتضح العلاقات بين المفسَّر والتفسير. وعلى هذا جعلت القوس الصغيرة المزدوجة علامة تنصيص في كلام المفسّرَين، للآيات المستشهد بها والأحاديث الشريفة والأقوال المحكية، والقوس المعقوفة لما أضفته في العبارات من كلمات للتصويب والتسديد.

وإذا كان العلماء قد أجازوا تحلية النص القرآني بتنقيط أبي الأسود وعلامات الخليل ومَن جاء بعده، وبإعجام الحروف لتمييز بعضها من بعض، وبتحسين الخط العثماني، وبتنويع أشكال الخطوط في الرسم، وبترقيم الآيات، وبالتحزيب والتجزئة والتربيع والتعشير والتخميس، وبالإشارة إلى مواقع الأجزاء والأنصاف والأرباع والسجَدات والإمالة والإشمام وتخفيف الهمز، وأنواع المدود والتنوين

والسكَتات والإدغام والوقف، والأحرف غير المحقّقة في الرسم، والأحرف المزيدة فيه، وبتفسير معاني الآيات وترجمتها، إذا كانوا قد أجازوا ذلك كله لأسباب اضطرارية تخدم النص الرباني، فلأن يجيزوا ما أجريناه هو من باب الأولى، إن شاء الله تعالى.

ولكي نحفظ للنص القرآني حرمته ودقة الرصف والضبط راجعنا القراءة للكتاب كله حوالي عشرين مرة، وقام ببعضها زملاء من كلية الآداب وعلماء الشريعة والحُفّاظ للقرآن الكريم. فجزاهم الله خير الجزاء، ويسر لهم الرضا في الدنيا والآخرة. وعسى أن نكون قد أرضينا الله بذلك، وأرضينا ضمائرنا وقدّمنا للناس ما هو قريب من الصواب. هذا ما نسطيع، وعلى الله ما لا نستطيع..

والظاهر أنّ اختيار الجلالين للتفسير كان نقلاً مما هو شائع في عصرهما، يخاطبان به العلماء الذين يعرفون منزلته، ويعلمون ما يقابله من صحيح الأقوال وثابتها، ثم هم مطمئنون إلى أنّ ما رُوي عن أهل الكتاب لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلاّ بحجة وأنّ الإسرائيليات أقسام: ما صحّ بما لدينا كان مقبولاً لا بذاته بل بما جاء عندنا، وما تكذّب بما لدينا أُنكر بحق، وما سُكت عنه جاز حكايته للرواية والإخبار لا للتصديق والاعتقاد. فهو يُروى ولا يجوز الاعتماد عليه لِما عُرف به اليهود من اختلاق للأكاذيب والأساطير والخرافات في تاريخ الدنيا عامة وحياة الأنبياء والملائكة خاصّة.

وهذا ما يفيده الحديث الشريف المشهور، وهو قول النبي ﷺ: «وحَدِّثُوا عَن بَنِي إسرائيلَ، ولا حَرَجَ». والأمر فيه هو أمر إباحة، فيما كان غير مخالف للنصوص الشرعية فقط، شأنه شأن ما يروى من أخبار الفرس والروم والهند وغيرهم، ولكن ليس لنا أن نصدّقهم في ذلك لأننا مأمورون مرارًا بعدم التصديق بل بالمخالفة لِما أَلِفه واعتاده أهل الكتاب عامّة واليهود خاصّة، وكانوا مختصّين به أو متميّزين.

فلقد كانت الإباحة خاصة برواية ما لا ينافي الشرع الحنيف، وبقي الأمر بالمخالفة لهم فيما دون ذلك. وتحقيق هذا في الحديث المشهور، إذ خاطب الرسول ﷺ جماهير المسلمين إلى الأبد، بقوله: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قَبلَكُم شِبرًا بِشِبرٍ وذِراعًا بِذِراعٍ، حَتَّى لَو سَلَكُوا جُحرَ ضَبٍّ لَسَلَكتُمُوهُ». قال الصحابة: يا رسولَ اللهِ، آليهودَ والنصارى؟ قال: «فَمَن»؟

والإخبار بالتقليد الأعمى هنا هو نبوءة بما سيكون في المستقبل، مع التحذير الشديد والزجر العنيف للمسلمين. ثم إن هذا الاستفهام الأخير هو إنكاري للنفي والتوبيخ، أي: ليس المراد غيرهم، فاحذروا أن تنقادوا بذلك. وفيه ما هو أبلغ من النهي الصريح، ويفيد إطلاق الزجر حتى آخر الحياة الدنيا.

ثم إن العلماء توسعوا في مفهوم «الإسرائيليات» حتى دخل فيه لديهم كل خبر مصدره أعداء

الإسلام، من مثل أباطيل الغرانيق التي وضعها الزنادقة وما أقحمه القديس يوحنى الدمشقي في قصة طلاق زيد لزينب ـ رضي الله عنهما ـ وما يشيع اليوم في وسائل الإعلام والأجهزة اليهودية المتكاثرة عن أعداء الإسلام والصحابة، رضي الله عنهم.

وترجمات السور الكريمة، أي: التعريف لها في مستهلّ تفسيرها بنسبتها إلى مكّة أو المدينة وبعدد آياتها. كان خلافات. أمّا الخلاف في نسبة السورة أو بعضها إلى موطن معيّن فسببه: نزول بعض النصوص القرآنية غيرَ مرّة واختلاف الصحابة فيما علموه من موطن النزول، ثم تعدُّد وِجهات النظر في مفهوم مصطلحَيِ «المكي والمدني»، وفي تفسير بعض الآيات، وأمّا الخلاف في عدد آيات السورة الواحدة فهو مبنيّ على تحديد مواقع الفواصل فيها مع الحفاظ على عدد الكلمات والأحرف أيضًا.

ثم لقد رُوي عنِ ابن عبّاس رضي الله عنهما أنه:[1] «أُنزِلَ القُرآنُ في ليلة القدْر في شهر رمضانَ إلى السَّماء الدُّنيا جُملةً، ثمّ أُنزِلَ نُجُومًا»، والمعروفُ أيضًا بين العلماء أن القرآن الكريم قد جُمع في عهد عثمان رضي الله عنه جُملة كما كان أوّلًا. وهذا يعني أن يُفسَّر ويُعرب ويُدرس على أنه نصّ واحد من «بسم الله الرحمن الرحيم» في مستهلّ سورة الفاتحة إلى «مِنَ الجنّةِ والناسِ» ختام سورة الناس. ولا بدّ من مراعاة ذلك في جميع مراحل العمل في علوم القرآن الكريم.

وعلى هذا يجب أن يتصف التفسير للقرآن الكريم بأنه نص واحد من أوله إلى آخره ما أمكن ذلك. فلقد وصلت إلينا سور من المصاحف الكريمة وفيها تنسيق منهجي ربّاني عظيم: سورة الفاتحة مقدّمة وافية بمضمون القرآن المجيد، وهي مشتملة على جميع مقاصده كما ذكر البيهقي في «شُعب الإيمان» بإسناد عن الربيع بن صُبيح عن الحسن قال: «أنزل الله مِائةً وأربعة كتب أودعَ علومها أربعةً منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآنَ، ثم أودع علوم القرآن المفصّل فاتحةَ الكتاب. فمَن عَلِمَ تفسيرها كان كمن عَلم تفسير جميع الكُتُب المنزلة»[2].

وبعدَ هذه السورة المباركة توالت السُّور الطوال تفصيلًا لذلك المضمون بموضوعات عامّة في العقيدة والشريعة والعبادات والآداب والعلوم، ثم السُّوَرُ القصيرة تعرض مسيرة الدعوة في تبليغ التوحيد والحساب، وفي كل من تلك الطويلةِ والقصيرة موضوعات متواصلة تمثل التفريع ضمن العموم في شِبه توزيع هرَمي ضمن الأفقي، وأخيرًا السُّوَرُ الأربع كخاتمة تلخّص أصول الدعوة وتؤكد التوحيدَ والتحصُّن بالله وحده.

---

(١) المعجم الأوسط ٢: ١٣١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٣٦٣ـ ٣٦٤.

ولستُ أزعم أنني أصبت في كل شيء من ذلك لأن العصمة والحكمة البالغة هما لرب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ وقد أبى أن يصح إلاّ كتابه العظيم. فليس لنا أن نتطاول وندعي ما لا نستطيع، وحسبنا أن نردد ما قاله السيوطي، بعد خاتمته لتفسير سورة الإسراء:

حَمِدتُ اللهَ، رَبِّي، إذ هَدانِي ... لِما أبدَيتُ مَعْ عَجزِي وضَعفِي

فمَن لِي بالخَطا، فأُرَدَّ عَنهُ؟ ... ومَن لِي بالقَبُولِ، ولَو بِحَرفِ؟

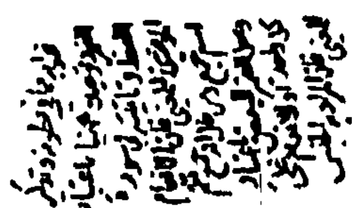
والظاهر أنّ الجلالين لم يضعا اسمًا لتفسيرهما هذا، إذ توفِّي المحلّي قبل إنجاز ما أراد، وعبّر السيوطي مرارًا عن عمله فيه بأنه «تكملة»، ثم جاء مَن بعدهما من العلماء والنساخ من سماه «تفسير الجلالين» أو «الجلالين».

فعسى أن يتحقَّق الرجاء، ويقضي الرحمن بفضله الميمون خيرًا لي وللمسلمين في الدنيا، ورضًا عليّ ومقعد صدق يوم القيامة في ظل عرشه، يوم لا ظلَّ إلاّ ظلُّه. إنه نعم المولى ونعم النصير! وهو وحده بالإجابة حقٌّ جدير. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

إستنبول في ١ المحرم سنة ١٤٤٤

الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة

* * *



نموذج من النسخة التيمورية المعتمدة في تحقيق

نصّ «تفسير الجلالين»



بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ
مقدّمة تحقيق

(الجمالين على الجلالين)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأمين، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

وبعدُ:

فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ العظيم، وخيرَ الكتبِ كتابُه الكريم، فهو المعجزةُ الباقيةُ على مَرِّ الدُّهور، وفيه المنهَجُ المَرْضيُّ لكلِّ العُصور، وهو الهِدايةُ إلى صَوْبِ الصَّواب، وفيه الحكمةُ وفصلُ الخِطاب، فلا عجبَ أن تسابَقَ إليه الأئمَّة، وامتدَّت إليه أيادي عُلَماءِ الأمَّة، يغوصون في بحارِه ليستخلِصُوا كنوزَه ويستخرِجُوا لآليه.

وكان ما رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ مِن التَّفسيرِ أشياءُ يسيرةٌ، ثمَّ تصدَّى لذلك الصَّحابةُ الكرامُ، وفي مقدِّمِهم حبرُ الأمَّةِ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، ومن بعدِه تلامِذَتُه وغيرُهم مِن التَّابعين، وكانت آثارُهُم تُحفَظُ في الصُّدور، ثم ما لَبِثَت إلَّا قليلًا حتى حُفِظَت في القراطيسِ والسُّطور، فقلَّ أن يوجدَ إمامٌ إلَّا وله تفسيرٌ، كما قال الإمامُ السُّيوطيُّ في مطلعِ «النَّواهِدِ»:

فإنَّ التَّفسيرَ في الصَّدرِ الأوَّلِ كان مَقصورًا على السَّماعِ، محصورًا في بابِ الاتِّباعِ، يُحفَظُ في الصُّدورِ عن الصُّدورِ، ويرجعُ إلى الأثرِ والنَّقلِ ويدور، فلمَّا حدثَ تدوينُ الكتُبِ وتصنيفُها ـ وذلك في منتصفِ المئة الثَّانية ـ أجروه مُجرى الأحاديثِ والآثارِ، وساقوه مساقَ ما دوَّنوه من الأخبارِ، فقلَّ إمامٌ مِن أئمَّةِ الحفظِ أَلَّفَ جامعًا أو مُسنَدًا، إلَّا وألَّف تفسيرًا ساقَ فيه ما وقعَ له بالأسانيدِ موردًا، ومُفتَتَحُ هذه الطَّبقةِ مالكٌ ووكيعٌ وسفيانُ، وتبِعَهُم مَن جاءَ بعدَهم مِن الأئمَّةِ الأعيانِ، كعبدِ الرَّزَّاقِ والفِريابيِّ وسعيدِ بنِ منصورٍ وآدمَ بنِ أبي إياسٍ وابنِ أبي شيبةَ وإسحاقَ بنِ راهويهِ وعبدِ بنِ حُمَيدٍ، وخلائقَ كلُّهم مليءٌ بالحفظِ ريَّانُ. انتهى.

والظَّاهـرُ مِـن كلامِـه وممَّـا وصَلَنا مـن تلك التَّفاسـيرِ أنَّهـا كانت مُقتصِـرةً علـى الرِّوايةِ ومـا وصلَهُم مِـن آثـارٍ عـن أهـلِ العصـرِ الأوَّلِ الأبـرارِ، وأنَّها لم تكـن مِن المطـوَّلاتِ بل كانت إلـى الإيجازِ أقـربَ، ثمَّ

جاءت بعدَهم طبقةٌ أخرى أصحابُ نحوٍ ولغةٍ، فألَّفُوا في معاني القرآنِ ما يُزيلُ الإعرابَ، وضَمُّوا إلى معانيه المقتبَسةِ مِن اللغةِ ما تحتاجُ إليه تراكيبُه مِن الإعرابِ، كالكِسائيِّ والفرَّاءِ والأخفَشِ والزَّجَّاجِ والنَّحَّاسِ وابنِ الأنباريِّ وغيرهم.

وهكذا كانت تتراكمُ المعارِفُ وتتزايَدُ الأفكارُ، فكان مَن جاء بعد أولئك مِن المفسِّرين مُجبَرين على الأخذِ بما وصَلَهم مِن الآثارِ، ومِن ناسخٍ ومنسوخٍ، وأسبابِ نُزولٍ، وأحكامٍ فقهيَّةٍ، وإعراباتٍ سَنِيَّةٍ، مع ما يزيدونَه مِن النُّكاتِ الفائقةِ والاستنباطاتِ الرَّائقةِ، وكلَّما جاءَ عصرٌ زادوا على مَن قبلَهم، حتَّى وصَلْنا إلى مُطوَّلاتٍ تحتاجُ إلى الشُّهورِ والسِّنينَ لسبرِها، وكاد التَّفسيرُ أن يضيعَ في التَّفصيلِ، والمعنى يميعُ في سَرْدِ ما هبَّ ودبَّ مِن الأقاويلِ.

ومِن هنا فقد ظهرَتِ الحاجَةُ إلى تفسيرٍ مقتصِرٍ على التَّفسيرِ، موجَزٍ بعيدٍ عن الحشوِ والتَّطويلِ، يكون سهلَ المتناوَلِ واضحَ العبارةِ، قريبَ الفائدةِ غزيرَ الإشارةِ، يعتمِدُ أرجحَ الأقوالِ، مع إعرابِ ما يُحتاجُ إليه في بعضِ الأحوال، والتَّنبيهِ على القراءاتِ المُختلِفةِ المشهورةِ، على وجهٍ لطيفٍ وتعبيرٍ وجيزٍ، وتركِ التَّطويلِ بذكرِ أقوالٍ غيرِ مَرْضِيَّة، وأعاريبَ محلُّها كتبُ العرَبيَّة، لكنَّ مثلَ هذا العملِ يتطلَّبُ يدًا دَرِبَةً خبيرةً، وعلمًا واسِعًا، وعَقْلًا جامِعًا، وليس كالثُّنائيِّ الجَلَالِ مَن يقتحِمُ هذا المجَال، ويخطُّ مثلَ هذا المطلُوب، ويحصِّل ذلك الأمرَ المرغوب.

فجاءَ تفسيرُ الجلالَيْنِ ليجمعَ كلَّ هذه الأوصافِ، فكان بشهادةِ أهلِ الإنصافِ خيرَ مؤلَّفٍ كُتِبَ في هذا البابِ، لكنَّ تحصيلَ الكمالِ بعيدٌ عن صنفِ الرِّجالِ، فمهما بلَغَ المرءُ مِن الإتقانِ، لا بُدَّ أن يفوتَه أمورٌ ويغلبَه النِّسيانُ، فجاء الاستدراكُ والتَّعقيبُ على يدِ عالمِ زمانِه الملَّا عليٍّ القاري[1]، فعكفَ على ذاك التَّفسيرِ بالتَّنبيهِ والتَّقريرِ، والتَّنقيحِ والتَّيسيرِ، والزِّيادَةِ لِنكاتٍ سَنِيَّةٍ، وفوائدَ مَرْضيَّةٍ، في مُصنَّفٍ لطيفٍ سمَّاه:

الجمالين على الجلالين

فجاءَ جَمالًا على جَمال، وزادَه في الحُسْن والجلَال، ناهجًا طريقتَهُ في الاختصَار، صابِغًا ذلك بأسلوبِه الجَزْلِ وجُمَلِه الرَّشيقَة، وعلمِهِ الواسعِ وعقلِه الرَّاجحِ.

وكما كان «الجلالين» مُلتصِقًا بجُمَلِ القرآنِ وألفاظِه، بحيثُ لا يُمكِنُ الفصلُ بينهما، ولا يتحقَّقُ

(١) تنظر ترجمته موسعةً في صدر «مجموع رسائل الملا علي القاري» الذي أصدرته دار اللباب، ولله الحمد.

الفهمُ إلَّا باجتماعِهما، كذا جاءَ هذا الكتابُ مُدمَجًا في كلَيْهما، لا يمكنُ قراءتُه إلَّا مجتمعًا معَهما، بحيثُ يكونُ النَّصُّ القرآنيُّ مع الجلالينِ ثمَّ الجَمَالينِ في سَبْكٍ واحدٍ.

وقد أفادَ مُصنِّفُه مِن بعضِ أمَّهاتِ التَّفاسيرِ المَرْضيَّةِ عند عُلَماءِ الأمَّةِ، ولكونِه موجزًا فإنَّ ذلك يتطلَّبُ الاعتمادَ على تفاسيرَ مُوجزَةٍ أيضًا لكنها شاملةٌ وتتميَّزُ بعباراتِها الرَّصينةِ المُحكَمةِ، الخاليةِ مِن الحَشْوِ والتَّطويلِ، ولا تفسيرَ أنسَبَ لهذا الأمرِ وأَوْلى بالرُّجوعِ إليه مِن تفسيرِ البَيْضاويِّ المنعوتِ بـ«أنوار التنزيل»، وسيأتي طريقَتُه في الإفادةِ منه لاحقًا، ويضافُ إليه كثيرٌ مِن المراجعِ:

ففي التَّفسيرِ: أخذَ عن بعضِ المفسِّرين مِن أصحابِ التَّفاسيرِ الحسَنةِ المقبولةِ مثل: الزَّمخشريِّ في «الكشَّافِ»، والإمامِ الرَّازيِّ في «التَّفسيرِ الكبيرِ»، وأبي البركاتِ النَّسَفيِّ في «مداركِ التَّنزيلِ»، والبَغَويِّ في «معالمِ التَّنزيلِ»، والقُرطبيِّ في «الجامعِ لأحكامِ القرآنِ»، وأبي حيَّانَ في «البحرِ المحيطِ».

ونقلَ أيضًا عن الجوهريِّ في «الصِّحاحِ»، والثَّعلبيِّ في «عرائس المجالس»، والغَزاليِّ في «الإحياءِ»، وأبي العبَّاسِ القُرطبيِّ في «المُفْهِم» وهو شيخُ القُرطبيِّ المفسِّر، وعن النَّوَويِّ في «شرحِ مسلمٍ»، والقُرطبيِّ المفسِّرِ في «التَّذكرةِ بأحوالِ الموتى وأمورِ الآخرةِ»، وابنِ الهُمَامِ في «شرحِ فتحِ القديرِ» و«المسايرَةِ»، وصاحبِ «القاموسِ»، والسُّيوطيِّ في «الدُّرِّ المنثورِ» وغيرِه مِن كتبِهِ.

كما أفادَ أيضًا مِن بعضِ أصحابِ الحواشي علـى «الكشَّافِ» أو «أنوارِ التَّنزيلِ» كالطِّيبيِّ صاحبِ الحاشيَةِ على «الكشَّافِ» المسمَّاةِ: «فتوحَ الغَيْبِ»، والعلَّامةِ عمرَ بنِ عبد الرَّحمنِ القَزْوينيِّ في «الكَشْفِ على الكشَّافِ»، والمولى سَعْدي جلبي وله حاشيةٌ على «البيضاويِّ»، والشَّيخِ زكريَّا الأنصاريِّ في حاشيتِه على «البيضاويِّ».

هذا، ولم ينسَ تزيينَه ببعضِ العباراتِ الجميلةِ للمُتصوِّفةِ كابنِ عَطاءٍ وسَهْلٍ والجَيْلانيِّ.

وأسلوبُه في النَّقلِ عن المصادرِ حسَنٌ بديعٌ، فقد يذكرُ كمًّا كبيرًا منها في موضِعٍ واحدٍ مع المحافظَةِ على الوَجازةِ وحُسنِ السَّبكِ، ففي الكلامِ عن نبوَّةِ الخضرِ مثلًا نقلَ قولَ المتنِ: (وَعَلَيهِ أَكْثَرُ العُلَمَاءِ) ـ أي: عدم نبوَّتِه ـ ثمَّ ألحقَه بقولِه: «نصَّ عليه البَغويُّ، لكن نقلَ سَعدي جَلبي عنِ القرطبيِّ أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ عند الجمهورِ، وقالَ الإمامُ: الأكثَرونَ على أنَّ ذلك العبْدَ كانَ نبيًّا. وفي «المدارِكِ»: هي الوَحيُ أو النُّبوَّةُ، أو العِلمُ، أو طولُ الحياةِ».

فأورد خمسةَ نُقولٍ فيما يقربُ مِن سَطرينِ.

لكنَّ هذا العلامة لم يكن مجرَّدَ ناقلٍ، بل هو محقِّقٌ مدقِّقٌ لا يمرُّ بقولٍ لا يرتضيهِ أو مذهَبٍ لا يوافِقُ عليه إلا بيَّن حالَه دون النَّظَرِ إلى جلالةِ قائلِه، فمِن ذلك قولُه:

ومن الغَريبِ أنَّ الطِّيبيَّ مع جلالتهِ قال في حديثِ سعْدٍ: «ولقَدْ رأيتُنِي معَ رسولِ اللهِ ﷺ ما أملِكُ درهمًا..»: إنَّ الواوَ قسَميةٌ، واللامَ جوابُ القسَمِ.

ومنه قولُه: و﴿مِن فَضْلِهِ﴾ [البقرة: ٩٠] دلَّ على أنَّ الإثابَةَ تفضُّلٌ محضٌ، وتأويلُ الزَّمخشريِّ بالعطاءِ والزِّيادةِ على الثَّوابِ، عدولٌ عن الظَّاهرِ.

والأمثلةُ على ذلك أكثرُ مِن أن تُحصى فلا نطيلُ فيها، كما أنَّه سيأتي مزيدٌ في أسلوبِه في الإفادةِ مِن البيضاويِّ.

فقد كان الأساسُ الذي اعتمدَ عليه هو تفسيرَ البيضاويِّ، فكان هذا التَّفسيرُ بما تميَّزَ به مِن مَتانةِ بنائِه وحُسْنِ روائِه، ودقَّةِ عباراتِه وإحكامِ إشاراتِه، وما نحا فيه مُصنِّفُه مِن الإيجازِ والتَّركيزِ، بحيثُ لا يضَعُ الكلمةَ إلا بميزانٍ، مع تقريرِ الأدلَّةِ على أصولِ أهلِ السُّنَّةِ= هو المرجِعَ للمصنِّفِ في الغالبِ، وعنه نقلَ أكثرَ مسائلِه، وسنذكرُ بعضَ الملاحظاتِ المتعلِّقةِ بذلك:

فأولًا: إنَّ مَن يتعمَّقُ في هذا التَّفسيرِ يجدُ أنَّ المصنِّفَ كأنَّه اتَّخذَ هذا المُصنَّفَ مِنبرًا لتعقُّبِ البيضاويِّ، حيث إنَّه لم يصنَعْ حاشيةً عليه، ولعلَّه اكتفى عن ذلك بهذا الكتابِ، ومما يدلُّ على ما ذكرنا: إقحامُه لبعضِ المسائلِ التي لا علاقةَ لها بالجلالَيْنِ، كما في الآيةِ (١٨) مِن سورةِ الصَّافَّاتِ، قال الماتنُ: «﴿قُلْ نَعَم﴾ تُبعثونَ، ﴿وأنتُم داخِرُونَ﴾»، فقال الشَّارحُ: «قولُه: (تُبعَثُونَ) وفي البيضاويِّ: قُرِئَ (نَعِمْ) بالكسرِ، سهوٌ؛ لأنَّه قراءَةُ الكسائيِّ حيثُ جاءَ».

فهذا الذي ذكرَه مِن القراءةِ ثمَّ تَعقُّبُه ليس له ذكرٌ في الجلالَيْنِ مِن قريبٍ ولا بعيدٍ، ولا علاقةَ له بسِيَاقِه.

ثانيًا: كثيرًا ما كان يُنبِّهُ على مسألةٍ تتعلَّقُ بمنهجِ البيضاويِّ عُمومًا وفي القراءاتِ خُصوصًا، فمِن منهجِ البَيضاويِّ أنَّ ما يذكرُهُ مِن وُجوهِ التَّفسيرِ ثانيًا، أو ثالثًا، أو رابعًا بـ«قيل» فهو ضعيفٌ ضعفَ المرجوحِ، أو ضعفَ المردودِ. وكذلك في الرِّوايةِ فما يُصدِّره بقولِه: رُوِي، أو قِيل، فهو إشعارٌ منه بضعفِه، ومثلُه في القراءاتِ، ما قال فيه: قُرِئَ، فهو إشارةٌ للشُّذوذِ، ومِن هذا البابِ فإنَّ المصنِّفَ قد حاسبَه بما اختطَّهُ هو لنَفسِه، فكان في الغالبِ كلَّما مرَّ على قراءةٍ مُتواترَةٍ قد صدَّرَ لها البيضاويُّ بـ(قرئ) نبَّه على صنيعِ البَيْضاويِّ المُخالفِ لمنهجِه ولِمَا يجِبُ أن يكونَ، فمِن ذلك:

في أوَّلِ سورةِ النُّورِ: ﴿تذكرون﴾ [الأنعام: ١٥٢] قال: تَقدَّمَ أنَّ حَفصًا وحمزةَ والكِسائيَّ بالتَّخفيفِ[١]، وعبارةُ البَيضاويِّ: قُرِئَ. ضَعِيفةٌ.

وفي آخرِ النَّملِ: ﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢] قال: الخِطَابُ لنافعٍ وشاميٍّ وحفصٍ، فلا يحسُنُ تعبيرُ القاضي بـ«قُرِئَ»[٢].

ويتعقبه في مسائلَ أخرى تتعلَّقُ بالقراءاتِ أيضًا:

ففي سورةِ الرُّومِ آية (٤٦) نقلَ عنه قولَه: «قرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ: (الرِّيحَ) على إرادةِ الجنسِ»، وهو سهوٌ؛ إذ محلُّ الخلافِ في هذه السُّورةِ إنَّما هو الموضعُ الثَّاني، ولذا قيَّدهُ الشَّاطبيُّ بقوله:

وفي النَّملِ والأعرافِ والرُّومِ ثانيًا

وفي النَّملِ عند قولِه تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ [النمل: ٣٦] قال: «قرأَ حمزةُ بالإدغامِ، وقولُ القاضي: «وقُرِئَ بنونٍ واحدةٍ وبنُونَيْنِ وحذفِ الياءِ» خلطٌ بين الشَّاذِّ وهو الأوَّلُ، والمتواترِ وهو الثَّاني».

ويتعقَّبُه في غيرِ القراءاتِ، فعند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] قالَ الجلالُ: «وفُسِّرَت في حديثٍ بعَذَابِ الكافرِ في قبرِه». قال القاري: «مَرفوعٌ صحَّحَهُ الحاكمُ ورواهُ غيرُه، وجمهورُ السَّلفِ على هذا، فتعبيرُ البيضاويِّ بـ«قيلَ» ضعيفٌ، بل غيرُ صحيحٍ».

وغيرُ ذلك كثيرٌ عامٌّ في الكتابِ، وتَصلحُ تعقُّباتُه لأن تُجمعَ في مؤلَّفٍ لطيفٍ يلحقُ بالبيضاويِّ لِمَا فيها مِن الفائدةِ والتَّوجيهِ.

ومِن أسلوبِه أيضًا في النَّقلِ عن البَيضاويِّ: أنَّه قد يذكرُ كلامَه ثمَّ يزيدُ عليه كما في قولِه تعالى: ﴿وإن كنتنَّ تردنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ فإنَّ الله أعدَّ للمحسناتِ منكنَّ أجرًا عظيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩] قال البيضاويُّ: «و(مِن) للتَّبيينِ لأنَّهنَّ كلَّهُن كُنَّ مُحسناتٍ».

وهكذا ذكرَه المصنِّفُ ثمَّ زادَ: «وقيلَ: للتَّبعيضِ، فإنَّ واحدةً اختارَتِ الدُّنيا فصارَت تجمعُ البعرَ وتتعيَّشُ به».

وفي قولِه تعالى: ﴿فاتبعوهُ إلا فريقاً مِن المؤمنين﴾ قال البَيضاويُّ: «إلَّا فريقًا هم المؤمنونَ لم يتَّبعوهُ، وتقليلهُم بالإضافةِ إلى الكُفَّارِ، أو: إلَّا فريقًا مِن فِرَقِ المُؤمنينَ لم يتَّبعوهُ في العصيانِ وهم المخلِصونَ».

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

(٢) لم أقف على هذا التعبير فيه، انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٠).

فزادَ المصنِّفُ بعد «لم يتَّبِعوهُ»: «فـ﴿مِنَ﴾ بيانيَّةٌ»، وبعدَ «وهم المخلصونَ»: «فـ﴿مِنَ﴾ تبعيضيَّةٌ، وتقليلُهُم بالنِّسبةِ إلى الفُجَّارِ».

فهذا ما يتعلَّقُ بالبيضاويِّ، أمَّا «الجلالين» فله عليه أيضًا تعقُّباتٌ كثيرةٌ، ونكتفي بمثالينِ للتَّوضيحِ، فعند قولِه تعالى: ﴿فوَسوَسَ إلَيهِ الشَّيطانُ قالَ يا آدَمُ هَل أدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلدِ ومُلْكٍ لا يَبلَى﴾ [طه: ١٢٠] قال الجلالُ: «لا يفنى. وهو لازمُ الخلودِ».

فتعقَّبَه الشَّارحُ بقولِه: «غيرُ لازمٍ عند الملازمِ على التَّأمُّلِ، بل هو تذييلٌ وتكميلٌ».

وعند قولِه تعالى: ﴿سَمِعوا لها تغيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢] قال الجَلالُ: (سماعُ التَّغيُّظ رُؤيَتُهُ وعِلْمُهُ) فتعقَّبَه بقوله: «السَّماعُ على حَقيقتِهِ بالإجماعِ»، مع أنَّ قولَهُ: (سَمَاعُ التَّغيُّظِ رُؤيَتُهُ) لا مَعنى له إلا إذا جعلَ (وعلمُه) عَطفَ تَفسيرٍ مع تكلُّفٍ عَسيرٍ.

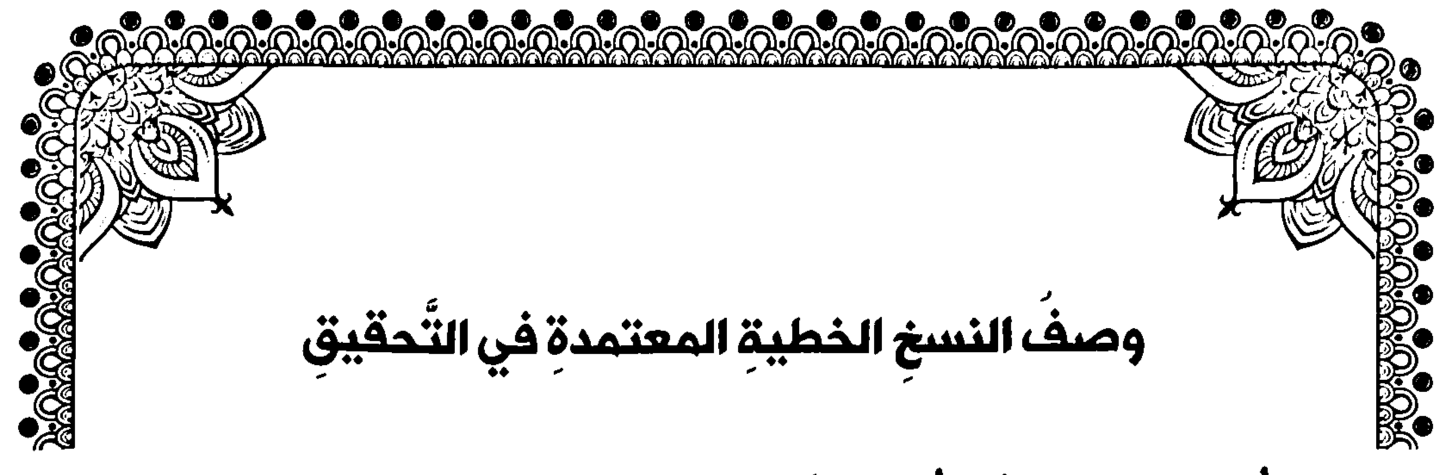
وعند قولِه تعالى: ﴿بَل قالُوا مِثلَما قالَ الأَوَّلُونَ قالُوا أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١] قال الجلال: وفي الهمزتينِ التَّحقيقُ في الموضعينِ...

فتعقَّبَه بقولِه: قولُه: (التَّحقِيْقُ) تقدَّمَ مِرارًا، وما كانَ الاحتياجُ إلى ذِكرِه ولا مَرَّةً؛ لعدَمِ توَقُّفِ التَّفسِيرِ عليهِ، ومع هذا ما استوفى وُجوهَ القِراءَةِ.

وقد تعقَّبَه غيرَ مرَّةٍ بسببِ تطرُّقِه لقراءاتٍ لا دخلَ لها بالمعنى، حتى قالَ أخيرًا في الزُّخرفِ: والعجَبُ مِن الشَّيخِ أنَّه يُهمِلُ بيانَ اختلافِ القراءاتِ الَّتي يترتَّبُ عليها اختلافُ الإعرابِ والمعنى، ويعتني بوجوهِ الأداءِ للقراءاتِ الَّتي لا تعلُّقَ لها بالإعرابِ ولا بالمعنى، بل يتوقَّفُ على السَّماعِ من أفواهِ المشايخِ.

وأخيرًا فهذا ما مَنَّ اللهُ به علينا مِن التَّعريفِ بهذا الكتابِ الجليلِ، الذي جاء تكملةً لـ«الجلالين»، فلا غِنى لطالبِ النَّفْعِ عن كِلا السِّفْرَيْنِ، واللهُ الموفِّقُ.

* * *



وصفُ النسخِ الخطيةِ المعتمدةِ في التَّحقيقِ

اعتمدتُ في الكتابِ على أربعِ نُسَخٍ خطيَّةٍ:

النُّسخةُ الأولى:

رمزتُ له بـ: (م)، ومنها نسختُ الكتابَ، مصدرُها: نسخةٌ مُصوَّرةٌ عن النُّسخةِ المحفوظةِ بدارِ الكتُبِ القوميَّةِ في القاهرة، تحت رقم: (١٨١) تفسير تيمور.

نسخةٌ جيدةٌ، وواضِحةٌ، منقولةٌ مِن نسخةٍ منقولةٍ مِن خطِّ المصنِّفِ حيثُ جاءَ في خاتمتِها:

والله تعالى أعلمُ بغيبِه، وقد وقعَ الفراغُ مِن كتابتِها بعونِ اللهِ وتأييدِه: (١٨) شهر شعبانَ المعظَّمِ قدرُه، مِن شُهورِ سنةِ: (١١١٣) من الهجرةِ النبويَّةِ، على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وناسِخُها العبدُ الفقيرُ إلى ربِّهِ الحنَّانِ المنَّانِ عبدُه: سليمانُ بن الشَّيخِ حِجازي الأزهريُّ، المالكيُّ، الأحمديُّ، وقد نُقِلَت مِن نسخةٍ كتبَها بيدِه الفانيَةِ بالحرمِ الشَّريفِ مِن نسخةِ المؤلِّفِ رحمَه اللهُ تعالى سنةَ (١١١٠) مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ.

ووجدَ بخطِّه أنَّه كان آخرُ تأليفِه إيَّاها بالحرمِ الشَّريفِ المكيِّ آخرَ يومِ الجمعةِ مِن أواخرِ ذي الحجَّةِ الحرامِ، آخرَ عامِ أربعٍ بعدَ الألفِ مِن هجرةِ سيِّدِ الأنامِ وخاتمِ الأنبياءِ والرُّسُلِ الكرامِ عليه وعليهم أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ، والحمدُ للهِ وحدَه وكفى، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى، سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

وفي هامشِها: بلغَ مطالعةَ هذا الكتابِ الفقيرُ إليه تعالى محمَّد تاج الدِّين بن عبدِ المحسنِ مفتي مكَّةَ المكرَّمةِ حين أقرأتُ الجلالَيْنِ بالمسجدِ الحرامِ، فللهِ الحمدُ على الإتمامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سرِّ الأنامِ وآلِه وصَحبِه الغرِّ الكِرامِ.

النُّسخةُ الثَّانيةُ:

رمزتُ لها بـ: (د)، مصدرُها مكتبةُ: داماد إبراهيم، رقم: (١٦٤)، وتقعُ في: (٤٨٧) لوحةٍ، في كلِّ لوحةٍ: (٢٠) سطرًا، في كلِّ سطرٍ: (١١) كلمةً.

نسخةٌ جيِّدةٌ جدًّا، مرتبةٌ، منسَّقةٌ، ملوَّنةٌ، وناسخُها هو نفسُه ناسخُ نسخةِ: (م).

جاء في خاتمتِها: واللهُ أعلَمُ بغيبِه، وقد وقعَ الفراغُ مِن تعليقِها بعونِ اللهِ وتأييدِه آخرَ الشَّهرِ، يومَ الخميسِ، وافتتاحَ شهرِ ذي الحجَّةِ ختامَ (١١١٠) مِن الهجرةِ النبويَّةِ على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ بمكَّةَ المشرَّفةِ مِن خطِّ المؤلِّفِ، وكُتِبَت هذه منها على يدِ أفقرِ عبادِ اللهِ، وأحوجِهم إليه الفقيرُ: سليمان حجازي الأزهريُّ، المالكيُّ مذهبًا، الأحمديُّ طريقةً، المكنَّى بأبي اليقظانِ، أيقظَهُ اللهُ تعالى للخيرِ والمسلمينَ بمدَدِ ساداتنا بني الوَفا، وبني الصِّدِّيقِ، في (٢٠) جمادى الأولى سنةَ: (١١١٣).

ووُجِدَ بخطِّ المؤلِّفِ رحمه اللهُ تعالى: وقعَ الفراغُ مِن تسويدِه لها وتأليفِهم إيَّاها بمكَّةَ المشرَّفةِ بالحرمِ المكِّيِّ آخرَ يومِ الجُمعةِ مِن أواخرِ ذي الحجَّةِ الحرامِ آخرَ عامِ أربعٍ بعدَ الألفِ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ، على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يومِ الدِّينِ آمينَ.

النُّسخةُ الثَّالثةُ:

رُمِزَت لها بـ: (ص)، مصدرُها: دارُ الكتبِ المصريَّةُ، رقم الفلمِ: (١١٢٦٧)، رقم: (٩٨) تفسير، وتقعُ في (٣٠٩) لوحةٍ، وفي اللَّوحةِ (٢٧) سطرًا، في كلِّ سطرٍ (١٣) كلمةً.

نسخةٌ تامَّةٌ، لا بأسَ بها، متعبةٌ قليلًا في العملِ، غيرُ ملوَّنةٍ ولا مرتَّبةٍ.

وقعَ في خاتمتِها: واللهُ أعلَمُ بغيبِه وبأسرارِ كتابِه، وقد وقعَ الفَراغُ مِن كتابتِها بعونِ اللهِ وتوفيقِه وتأييدِه، وذلك في يومِ الجمعةِ المبارَكِ تسعةَ عشرَ خَلَوْنَ مِن شهرِ جمادى الأولى سنةَ سبعينَ ومائتينِ بعدَ الألفِ مِن هجرةِ مَن له العزُّ والشَّرفُ، ﷺ، وذلك على يدِ أفقَرِ العبادِ وأحوَجِهم إلى اللهِ تعالى عليٍّ، المرصفيِّ بلدًا، الشَّافعيِّ مذهبًا، الأحمديِّ طريقةً، غفرَ اللهُ له ولوالديهِ ولجميعِ المسلمينَ، ولقارئها وسامعِها، ولمن دعا لهم بخيرٍ، وقالَ آمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ.

النُّسخةُ الرَّابعةُ:

رمزتُ لها بـ: (ن)، مصدرُها مكتبةُ: نور عثمانيَّة التُّركيَّةُ، تحت رقم: (٤٨٣)، وتقعُ في (٤٣٨) لوحةً، وفي اللوحةِ (٣٢) سطرًا، في كلِّ سطرٍ (١٠ ـ ١٣) كلمةً.

نسخةٌ تامَّةٌ، ملوَّنةٌ، جيِّدةُ الخطِّ والتَّرتيبِ.

جاء في خاتمتِها: واللهُ أعلَمُ بغيبِه، وقد وقعَ الفَراغُ مِن كتابتِها يومَ السَّبتِ المبارَكِ آخرَ شهرِ الحجَّةِ مِن شهورِ سنةِ ألفٍ ومائةٍ وثلاثةَ عشَرَ على يدِ العَبدِ المفتقرِ إلى رحمةِ ربِّه يوسفَ بنِ الحاجِّ عمرَ علمِ الدِّين الأسخاويُّ المالكيُّ، غفرَ اللهُ له ولوالديهِ، ولِمَن رأى عيبًا أو خلَلًا وأصلحَه، ولسائرِ المسلمينَ أجمعينَ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يومِ الدِّينِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، آمين.

تتمَّة:

وهناكَ نُسخةٌ أخرى استأنسْتُ بها تاريخُ نسخِها: (١٠٠٥)، من مكتبةِ: قليج علي، وقد حصلتُ عليها بعد مقابلةِ المخطوطِ فأبقيتُ نظري عليها خلالَ عملِ التَّحقيقِ، وهي نسخةٌ جيِّدةٌ، جاء في خاتمتِها:

قال مؤلِّفُه سيِّدُنا ومولانا وشيخُنا الإمامُ العلَّامةُ العُمدةُ الرُّحَلةُ عليُّ بنُ سلطان محمَّد الهرويُّ القاري فسحَ اللهُ تعالى في مدَّتِه، وأدامَ النَّفعَ به، وقد وقعَ الفراغُ مِن تسويدِه بعونِ اللهِ وتأييدِه، آخرَ يومِ الجُمعةِ، مِن أواخرِ ذي الحجَّةِ الحَرامِ، آخرَ عامِ أربعٍ بعدَ الألفِ مِن هجرةِ سيِّدِ الأنامِ، وخاتمِ الأنبياءِ والرُّسلِ الكرامِ عليه وعليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، على يدِ المفتقرِ إلى رحمةِ ربِّهِ الغنيِّ: عليِّ بنِ سلطان محمَّد الهرويِّ القاري بالحرمِ المحترمِ المكيِّ عاملَهما اللهُ بلطفِه الخفيِّ، وكرَمِه الوفيِّ، حامدًا اللهِ سبحانِه وتعالى باطنًا وظاهرًا، وأوَّلًا وآخرًا، وافقَ الفراغُ مِن نساختِه بعيدَ العصرِ، يوم الثُّلاثاءِ، ثامنَ شوَّال مِن شهورِ سنةِ (١٠٠٥)، أحسنَ اللهُ خاتمتَها، وذلك على يدِ فقيرِ رحمةِ ربِّهِ، وأسيرِ وَصمَةِ ذنبِه، المفتقرِ إلى عفوِ ربِّه الباري: أبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ أبي بكرِ بنِ الجَمالِ الأنصاريِّ، المكِّيِّ الشَّافعيِّ، سامحَه اللهُ ووالدَيْه، وجميعَ المسلمينَ، آمينَ آمينَ.

عملي في الكتاب

١ ـ بعدَ استقراءِ نُسَخِ الكتابِ، اعتمدتُ منهجَ التَّلفيقِ بينها فلم أجِد نُسخةً جديرةً بالاعتمادِ الكليِّ عليها كأصلٍ للكتابِ، فكلُّها متقاربةٌ من حيثُ الزِّيادةُ والنَّقصُ والخطأُ والتَّحريفُ.

٢ ـ نسختُ الكتابَ مِن نسخةِ: (م)، ثمَّ قابلتُه على بقيَّةِ النُّسَخِ رامِزًا لها بـ: (ص) و(د) و(ن)، مثبتًا جميعَ الفروقِ في الهامشِ، ثمَّ استعَنْتُ بنسخةٍ أخرى دونَ أن أرمزَ لها، أشرتُ لها في وصفِ النُّسَخِ.

٣ ـ ضبطتُ النصَّ ضبطًا جيِّدًا يسهِّلُ على القارئِ تناوُلَ الكتابِ بما يحلُّ مشكلَه، ويوضِحُ مُبهمَه، ثمَّ أتيتُ على فُروقِ النُّسَخِ فلم أترُكْ إلَّا المهمَّ الضَّروريَّ، وهو في الحقيقةِ قليلٌ في جانبِ سيلِ الفُروقِ التي ستثقلُ كاهلَ الكتابِ لو تُرِكَت.

٤ ـ فقَّرْتُ النَّصَّ تفقيرًا جيِّدًا بما يتناسبُ مع الكتابِ ومادَّتِه العلميَّةِ.

٥ ـ ثمَّ أضفتُ علاماتِ التَّرقيمِ المناسبةِ له، واخترتُ أقواسًا تناسِبُ الآياتِ، وأقواسًا تناسِبُ القراءاتِ، وأخرى تُناسِب الأحاديثَ والآثارَ.

٦ ـ ميَّزتُ كلماتِ الشَّرحِ في سِياقِ الكلامِ عن غيرِها؛ للتَّوضيحِ، ولإعطاءِ النَّصِّ لمساتٍ جماليَّةً تُريحُ القارئَ.

٧ ـ ما كان مِن آياتِ الشَّواهِدِ خرَّجناها ضمنَ النصِّ.

٨ ـ خرَّجتُ القراءاتِ، واستعنتُ بمجموعةٍ مهمَّةٍ مِن المراجعِ التي اختصَّت بالمسألةِ، ونوَّعتُ فيها؛ للاستفادةِ منها.

٩ ـ خرَّجتُ أبياتَ الشِّعرِ وعَزَوْتُها لِمَصادرِها، وبدأتُ بديوانِ الشَّاعرِ لو وُجِد، وإلا استعنتُ بكتبِ الأدبِ العامَّةِ، أو بكتبِ اللُّغةِ والغريبِ، أو بكتبِ النَّحوِ.

ثمَّ بيَّنتُ قائلَ الشِّعرِ إن أغفلَه المصنِّف، ثمَّ أتممتُ البيتَ إن ساقَ بعضَهُ، وإن كان فيه إشكالٌ أو غريبٌ بيَّنتُه بما يناسِبُ المقامَ.

١٠ ـ خرَّجتُ الأحاديثَ الواردةَ في الكتابِ وعَزَوتُها لمصادرِها، ونقلتُ كلامَ العُلَماءِ عليها إن وقفتُ على ذلك.

١١ ـ خرَّجتُ الآثارَ الواردةَ عن الصَّحابةِ والتَّابعين، ثمَّ أقوالَ السَّلفِ الصَّالحِ مِن المفسِّرين وغيرِهم.

١٢ ـ توسَّعتُ قليلًا فيما أبهمَ مِن المسائلِ، وبيَّنتُ ما أشكلَ مِن معانٍ بقدرِ الوسعِ، موثِّقًا ذلك من المراجعِ المعتمَدةِ.

١٣ ـ وثَّقْتُ النُّقولَ التي يذكرُها المصنِّفُ وعَزوتُها لمصادرِها بحسبِ ما وقفتُ عليه.

١٤ ـ وثَّقْتُ المسائلَ الفقهيَّةَ التي تعرَّضَ لها المصنِّفُ مِن مصادرِها المعتبرةِ، مع الإشارةِ إلى القَولِ المُعتمَدِ في المذهبِ إن اختلفَ النَّقلُ بذلك.

١٥ ـ قدَّمنا للكتابِ بمقدِّمةٍ ماتعةٍ مفيدةٍ موجزةٍ.

والحمدُ للهِ الموفِّق في البدءِ والختامِ

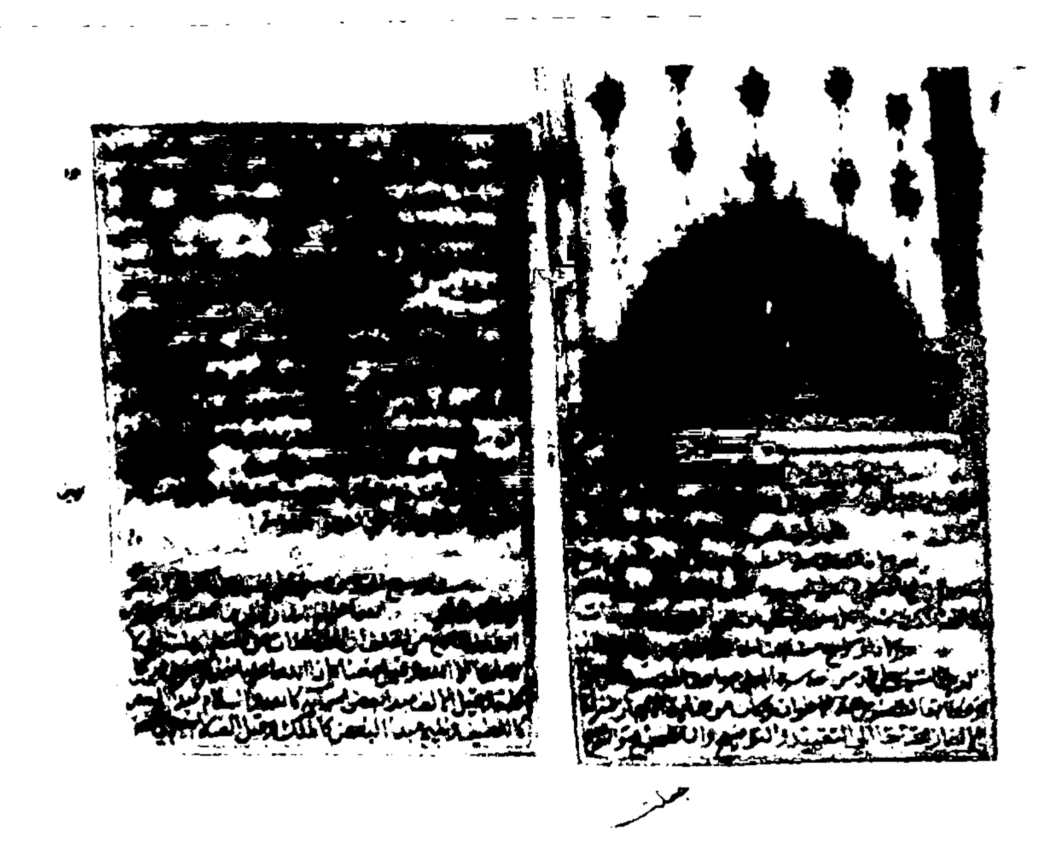
ربَّنا تقبَّلْ منَّا، واجعَلْه خالصًا لوجهِكَ الكريمِ

كتبَه

توفيق محمود تكله

غفرَ اللهُ له ولوالديهِ

* * *



اللوحة الأولى من نسخة (م)

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

وإن تجد عيبا فسد الخللا
فجل من لا فيه عيب وعلا

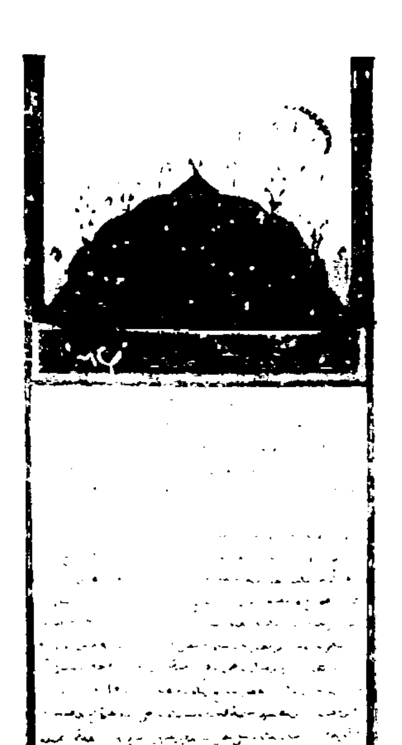
والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب

اللوحة الأولى من نسخة (م)

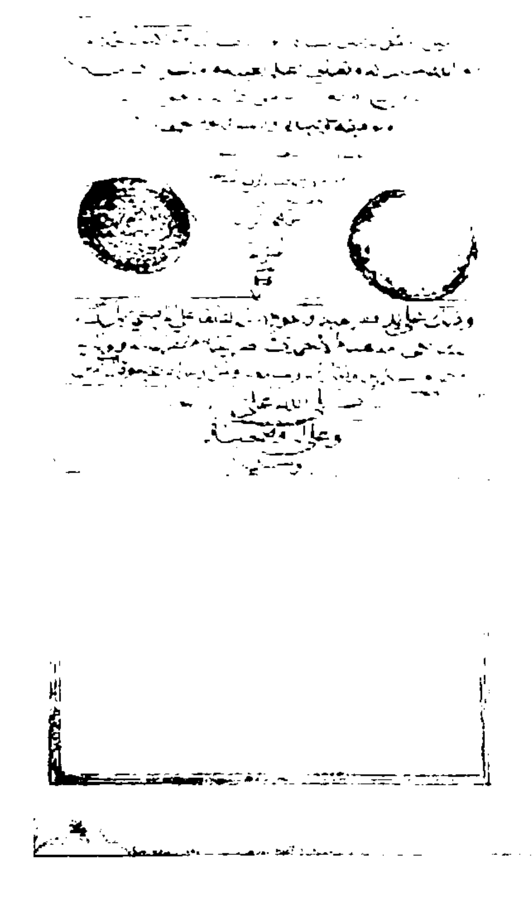


اللوحة الأولى من نسخة (د)

اللوحة الأخيرة من نسخة (د)



اللوحة الأولى من نسخة (ص)



اللوحة الأخيرة من نسخة (ص)

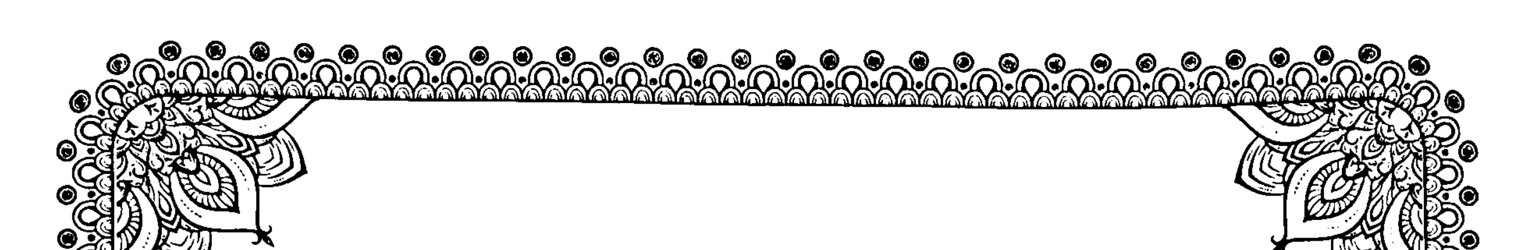
اللوحة الأولى من نسخة (ن)

اللوحة الأخيرة من نسخة (ن)

اللوحة الأولى من نسخة قليج علي



اللوحة الأخيرة من نسخة قليج علي



تفسير الجلالين

تأليف الإمامين

جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ) و جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

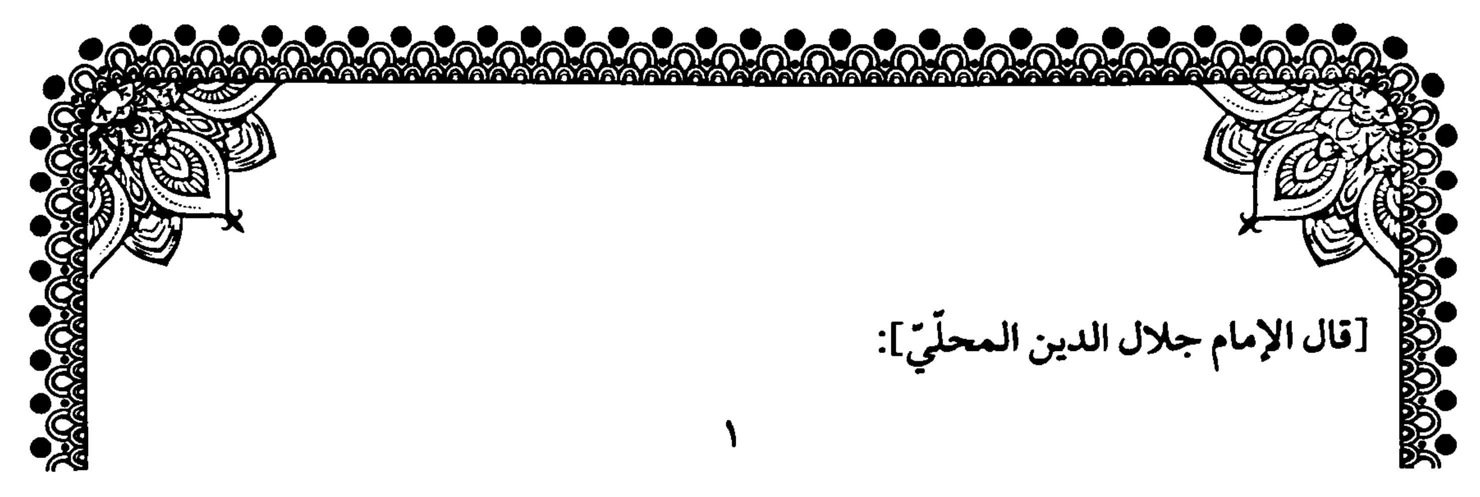
ومعه

الجمالين على الجلالين

تأليف العلامة

الملا علي القاري

المتوفى سنة ١٠١٤هـ



[قال الإمام جلال الدين المحلّيّ]:

١

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ[١]

الحمدُ للهِ ذي الجلالِ والجمالِ والكمالِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِهِ نخبةِ أربابِ الأحوالِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وأتباعِهِ إلى يومِ المآلِ.

وبعدُ: فلمَّا رأيتُ «تفسيرَ الجلالَينِ» للإمامَينِ الجليلَينِ؛ أوَّلهما: مَولانا العلَّامةُ الشَّيخُ جلالُ الدِّينِ المحلِّيُّ رفَعَ اللهُ قدرَهُ العليَّ، ومحلُّ تفسيرِهِ ابتداءً فاتحةُ الكهفِ، وخاتمتُه فاتحةُ الكتابِ، وجُلُّ سورِهِ مكِّيَّاتٌ في النُّزولِ مقدَّماتٌ.

ثانيهما: مولانا وشيخُ مشايخِنا خاتمةُ المجتهدِينَ الشَّيخُ جلالُ الدِّينِ السُّيوطيُّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ الجليَّ ـ موافقاً لمقصودِ أهلِ الزَّمانِ، ومطابقاً لقصورِ همَّةِ الإخوانِ، وكانَ مِن غايةِ الإيجازِ بمنزلةِ الألغازِ، محتاجاً إلى التَّقييدِ والتَّوضيحِ والتَّصحيحِ والتَّرجيحِ، جعلْتُ عليه هذه الحاشيةَ، مقتصِراً على حلِّ ضروريَّاتِ ما فيه من الأمورِ الفاشِيَةِ، هذا وهو مع كونِهِ صغيرَ المبنَى كبيرُ المعنى؛ لأنَّهُ لبُّ لبابِ التَّفاسيرِ، ولذا قيل في حقِّ «التفسيرِ الكبيرِ»: إنَّ فيه جميعَ العلومِ غيرَ علمِ التَّفسيرِ[٢].

وسمَّيتُها:

«الجَمالَين للجَلالَين»

والمسمَّى بلفظِ المثنَّى؛ نظراً بين المبنى والمعنى، ومِنَ اللهِ المأمولُ حُسنُ القَبولِ.

---

(١) في (ص) زيادة: «وبه ثقتي ورجائي».

(٢) مراده في ذلك «تفسير الرازي» كما في «البحر المحيط في التفسير» لأبي حيان (١/ ٥٤٧).

ولا شك أن ذلك مبالغة شديدة في حقِّ الكتاب، ففيه من الشروح والعلوم النافعة ما يُحتاج إليه.

مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة «صراطَ الذينَ» إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعة «غيرُ المغضوبِ» إلى آخرها.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

اعلم أنَّ السُّورةَ: الطائفَةُ من القُرآنِ، المسمَّاةُ، التي أقلُّها ثلاثُ آياتٍ، وبقَيدِ الأخيرِ خرَجَ آيةُ الكرسيِّ، منقولَةٌ من سُورِ المدينَةِ؛ لأنَّها مُشتملَةٌ على أنواعٍ من العِلمِ.

والفاتحةُ في الأصلِ: مصدَرٌ كالعافيَةِ نُقِلت إلى أوَّلِ ما يُفتتَحُ به من بابِ إطلاقِ المصدرِ على المفعولِ؛ لأنَّه أوَّلُ المفتوحِ من الشَّيء، أو صفَةٌ والتَّاءُ للمبالغَةِ كما في راويَةٍ -أي: كثيرِ الرِّوايَةِ- نُقِلت إليه[1]، كذا في «الكَشفِ»[2].

ويمكنُ أن تكونَ التَّاء للتَّأنيثِ لكونِ موصوفها مؤنَّثاً وهو السُّورةُ.

وتُسمَّى: «أُمَّ القُرآن»؛ لأنَّها تشتمِلُ على جُملةِ ما فيه من الثَّناءِ على الله تعالى، والتَّعبُّدِ بأمرِهِ ونهيِهِ، وبيانِ وعدِهِ ووعيدِهِ، أو لأنَّها أصلُهُ ومنشَؤهُ، ولذلك تسمَّى أساساً.

ومن أسمائها: الكَنزُ، والوافيَةُ، والكافيَةُ، والشَّافيَةُ[3].

قولُهُ: (مَكِّيَّةٌ) وقيل: مدنيَّةٌ، وقيل: منصَّفَةٌ[4]، وقيل: نزلَتْ مرَّتينِ[5]؛ تَعظيماً لشأنِها وتأكيداً لحُكمِها، وقيل: نزلَتْ بمكَّةَ حينَ فُرِضَتِ الصَّلاةُ وبالمدينَةِ لمَّا حُوِّلتِ القبلَةُ.

والأصحُّ أنَّها مكِّيَّةٌ لقولِه تعالى: ﴿وَلَقَد آتَينَاكَ سَبعاً منَ المثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] وهو مكِّيٌّ[6].

قولُهُ: (سَبعُ آيَاتٍ) بالاتِّفاقِ[7]، واختُلفَ أنَّ البسملَةَ من السُّورَةِ أم لا[8]، والمختارُ عندَنا:..............

---

(١) أي: إلى أول ما يفتتح به. انظر: «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» (١/ ٣٣).

(٢) «الكشف على الكشاف» للعلامة عمرُ بنُ عبد الرحمن بن عمرَ البهبهائيُّ الكنانيُّ القزوينيُّ الفارسيّ، سراج الدين، عالمٌ فاضلٌ توفِّي شابًّا سنة (٧٤٥هـ). وانظر كلامه في «فتوح الغيب» (٩/ ٥٢).

(٣) وانظر: «الكشاف» (١/ ١).

(٤) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٥). قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٠١): وحكى أبو الليث أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جداً.

(٥) ذكره السمعاني في «تفسيره» (١/ ٣١) وقال: هذه رواية غريبة.

(٦) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٤٦).

(٧) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٣٩).

(٨) قال النووي في «المجموع شرح المهذب» (٣/ ٣٣٤): مذهبنا أن البسملة آية من أول الفاتحة بلا خلاف، فكذلك هي آية كاملة =

ويُقدّر في أوّلها «قولوا» ليكون ما قبل «إيّاك نعبدُ» مناسبًا له بكونه من مَقول العِباد.

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

أنّها آيةٌ أُنزِلت للفَصلِ[(١)].

قولُهُ: (ويُقَدَّرُ) ويمكنُ أن يقالَ: لما حصَلَ للسَّالكِ التَّخليَةُ والتَّحليَةُ بالبسملَةِ، وأثنى على ربِّهِ المنعِمِ للنِّعمِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ بالحمدَلةِ، استأهَلَ المريدُ على الشُّكرِ برفعِ الحِجابِ والوصُولِ إلى مَقامِ الخطابِ، أو من بابِ المقولِ على ألسنَةِ العبادِ، كقولِه تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

قولُهُ: (مُنَاسِباً لَهُ) أي: لـ﴿إِيَّاكَ﴾.

قولُهُ: (بِكَونِهَا) أي: السُّورَةِ.

قولُهُ تعَالَى: (﴿بسم الله﴾) ولمَّا كانت النِّهايةُ الرُّجوعَ إلى البدايةِ أحبَبنا أن نتعرَّضَ لبعضِ المتعلِّقاتِ بالتَّسميةِ؛ ليحصُلَ لنا من بركاتِها التَّسميَةُ، فنقول: الباءُ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ، وهو: أبدأ؛ أي: القراءَةَ أو غيرها، وتقديرُه أولى من غيرِهِ لصلاحيَتِهِ كلَّ ما تُجعلُ التَّسميَةُ مبدأً له، ولقولِهِ ﷺ: «كُلُّ أمرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فيه بِبِسمِ اللهِ فهوَ أَبتَرٌ»[(٢)].

= من أول كل سورة غير براءة على الصحيح من مذهبنا، وبهذا قال خلائق لا يحصون من السلف، قال الحافظ ابن عبد البر: هذا قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وطاوس وعطاء ومكحول وابن المنذر وطائفة، وقال: ووافق الشافعي في كونها من الفاتحة أحمد وإسحاق وأبو عبيد وجماعة من أهل الكوفة ومكة وأكثر أهل العراق، وحكاه الخطابي عن أبي هريرة وسعيد بن جبير.

(١) انظر: «تحفة الفقهاء» (١/ ١٢٨)، و«مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» (١/ ٩٥).

(٢) رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «...لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع».

ورواه أحمد في «مسنده» (٨٧١٢) بلفظ: «كل كلام ـ أو: أمر ـ ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبتر، أو قال: أقطع».

ورواه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥٥)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١)، والدارقطني في «السنن» (٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٧٦٨) بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله، أقطع» وفي بعض الروايات: «فهو أجذم».

وهذا الحديث قد وقع اضطراب كثير في إسناده ومتنه، ومع ذلك فقد حسنه النووي حيث ساق في «الأذكار» (ص: ١١٢) اللفظ الذي ساقه المؤلف مع ألفاظ أخرى لمتن الحديث، ثم قال: «روينا هذه الألفاظ كلَّها في كتاب «الأربعين» للحافظ عبد القادر الرهاوي، وهو حديث حسن». وانظر رواياته في «طبقات الشافعية» للسبكي (١/ ٥ ـ ٢٣).

وقال أبو داود: رواه يونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً.

قال الدارقطني: المرسل هو الصواب.

....

والباءُ للاستعانَةِ، وتقديمُ المعمُولِ هاهنا أوقَعُ؛ لأنَّه أَهَمُّ وأدلُّ على الاختصاصِ، وأدخلُ في التَّعظيمِ، وأوفقُ للوجوهِ، وطوِّلتِ الباءُ عوضاً عن الألفِ المحذوفَةِ من الاسمِ، وهذا الحذفُ من مُختصَّاتِ البسملَةِ؛ لكثرَةِ الاستِعمالِ[١].

والاسمُ محذوفُ العَجُزِ، بُنِيَ أوَّلُه على السُّكونِ وأدخِلَ عليه همزَةُ الوصلِ[٢].

و«الله» أصلُهُ: «إلَه»، فحُذفَت الهمزةُ وعوِّضَ عنها الألفُ واللَّامُ، أو أدخلَ عليه الألفُ واللَّامُ، ثمَّ نُقلَت حركةُ الهمزةِ إلى ما قبلها، ثمَّ أدغمَتْ، واختُلفَ فيه أعبريٌّ[٣] أو عربيٌّ؟ اسمٌ أو صفَةٌ[٤]؟ مُشتقٌّ أو غيرُ مُشتقٍّ؟ علَمٌ أو غيرُ عَلَمٍ[٥]؟

والمختارُ: أنَّه كانَ في الأصلِ اسمَ جنسٍ ثمَّ صارَ عَلَماً[٦].

وقيل: الأصلُ فيه هاءُ الكنايَةِ عن الغائبِ، وذلك أنَّهم أثبتُوا موجُوداً في نَظَرِ عقولِهم، وأشاروا إليهِ بحرفِ الكنايَةِ، ثمَّ زادوا فيه لامَ الملكِ لمَّا عَلموا أنَّه خالِقُ الأشياءِ ومالِكُها فصارَ: (له)، ثمَّ قصَروا الهاءَ وأشبَعوا فتحَةَ اللَّامِ فصارَ: (لاه)، وخرَجَ عن مَعنى الإضافَةِ إلى الاسمِ المفرَدِ، ثمَّ زيدَت فيه الألفُ واللَّامُ للتَّعريفِ تَعظيماً، وفخَّموهُ توكيداً لهذا المعنى فصارَ: (الله) كما تَرى[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢)، وفي «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٤): وفي حذفها من الخط أربعة أقوال.

(٢) وهذا عند البصريين، قال البيضاوي في «أنوار التنزيل» (١/ ٢٥): والاسمُ عند أصحابنا البَصْريِّين من الأسماءِ التي حُذفت أعجازُها لكثرةِ الاستعمالِ وبُنِيَتْ أوائلُها على السكون، وأُدخلَ عليها مبتدأً بها همزةُ الوصل؛ لأنَّ مِن دَأبهم أن يَبتدِئوا بالمتحرِّك ويَقفوا على الساكن...، واشتقاقُه من السُّموِّ لأنه رفعةٌ للمسمَّى وشعارٌ له، ومن السِّمةِ عند الكوفيِّين، وأصلُه: «وَسْم» حُذفت الواو وعُوِّض عنها همزةُ الوَصْلِ ليَقِلَّ إعلالُه. ورُدَّ بأنَّ الهمزةَ لم تُعْهَدْ دَاخلةً على ما حُذِفَ صَدرُه في كلامهم.

(٣) قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٢٨): من غريبِ ما نُقل فيه أنه ليس بعربي بل هو مُعَرَّب، وهو سُريانيُّ الوضعِ وأصله: لاها، فعرَّبَتْه العربُ فقالوا: الله.

(٤) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٨): ومن غريب ما قيل في الله أنه صفة، وليس اسم ذات.

(٥) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٧): والله علم لا يطلق إلا على المعبود بحقٍّ، مرتجل غير مشتَّق عند الأكثرين، وقيل: مشتق.

(٦) يوضحه قول الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦): والإله: من أسماء الأجناس كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحقٍّ أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق... وأما (الله) بحذف الهمزة فمختصٌّ بالمعبود بالحقِّ، لم يطلق على غيره.

(٧) وهذا من غريب ما نُقل فيه كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٢٩) قال: وهذا لا يُشبه كلامَ أهل اللغة ولا النحويين، وإنما يشبه كلامَ بعض المتصوفة.

٢ ـ ﴿الحَمدُ للهِ﴾ جملة خبرية، قُصِدَ بها الثناء على الله بمضمونها من أنه ـ تعالى ـ مالكٌ لجميع الحمد من الخلق أو مُستحِقٌّ لأن يَحمَدوه ـ والله:..

وقالَ بعضُ مَشايِخي: (الله) كلمَةُ بقاءٍ، كلَّما سقطَ منه حرفٌ يكونُ في الباقي وفاءٌ، فإن حُذفَت الهمزَةُ بقيَ: (لله)، وإن حُذِفت اللامُ بقي: (لَه)، وإن حُذِفت اللَّامُ الأخرى بقيَ: (هُو)، وهو المقصودُ كما أنَّه هو الموجودُ.

وقال بعضُهم: كلُّ اسمٍ للتَّخلُّقِ إلا الله فإنَّه للتَّعلُّقِ[1].

وقال القُطبُ الرَّبَّانيُّ السيِّدُ عبدُ القادرِ الجيلاني: اللهُ هو الاسمُ الأعظَمُ، لكن بشَرطِ أن تَقولَ: الله، ولا يَكونَ في قلبكَ سِواهُ.

و﴿الرَّحمَنُ الرَّحِيم﴾ صِيغَتا مبالَغَة، والأوَّلُ أبلَغُ؛ لأنَّ زيادةَ المبنى تدُلُّ على زيادةِ المعنَى، فرحمَتُهُ عامَّةٌ شاملَةٌ للمُؤمِنِ والكافِرِ[2]، ولا يجوزُ إطلاقُهُ على غيرِهِ سبحانَهُ وتعالى بخِلافِ الثَّاني[3]، فإنَّ رحمتَهُ خاصَّةٌ بالمؤمِنينَ، ويجُوزُ إطلاقُهُ على غيره سبحانَهُ، ولذا قيل: الرَّحمَنُ خاصُّ اللَّفظِ عامُّ المعنى، والرَّحيمُ بالعَكسِ.

قولُهُ: (جُملَةٌ خَبَرِيَّةٌ) عندَ الجُمهورِ، ومذهَبُ شرذِمَةٍ منهم أنَّه إنشاءٌ[4].

قولُهُ: (قُصِدَ بِها الثَّناءُ) اعلم أنَّ بعضَهُم ذهَبوا إلى أنَّ الحَمدَ والمدحَ والشُّكرَ ألفاظٌ مُترادِفَةٌ، والمحقِّقونَ على أنَّ بينَهُما مُغايَرَةً، فالحَمدُ: هو الثَّناءُ على الجَميلِ الاختياريِّ من نِعمَةٍ أو غيرِها، والمدحُ: هو الثَّناءُ على الجَميلِ مُطلَقاً، والشُّكرُ: مُقابَلةُ النِّعمَةِ قَولاً أو عَمَلاً أو جَناناً[5].

قولُهُ: (لِجَمِيعِ الحَمدِ) أشارَ إلى أنَّ اللَّامَ للاستِغراقِ، وقيل: للجِنسِ، وبانضِمامِ لامِ الملكِ في ﴿لله﴾ يُفيدُ العُمومَ.

قولُهُ: (مِنَ الخَلقِ) فكلُّ حمدٍ صدرَ من كُلِّ حامِدٍ فهوَ ثابتٌ لله، والحمدُ له حقيقَةً وإن كان لغيرِهِ في بعضِ الصُّورِ صورَةً؛ إذ مَدحُ المصنُوعِ مدحٌ لصانعِهِ، أو الحامديَّةُ والمحموديَّةُ ثابتَانِ لهذا المعبودِ فهو الحامِدُ وهو المحمودُ.

قولُهُ: (أو مُستَحِقٌّ) سواءٌ حُمدَ أو لم يُحمَد.

---

(١) انظر: «حقائق السلمي» (١/ ٣١).

(٢) في (ص) و(د): «للمؤمنين والكافرين».

(٣) أي: الرحيم.

(٤) فممن ذهب إلى أنها خبرية: الشيخ علاء الدين البخاري وكتب رسالة سماها: «نزهة النظر في الفرق بين الإنشا والخبر» في آخرين، وممن ذهب إلى أنها إنشائية: الفناري ووافقه ابن الهمام وجمع. انظر: «نواهد الأبكار» (١/ ١٧٣)، و«روح المعاني» (١/ ٧٨).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٢٧).

عَلَمٌ على المعبود بحقٍّ ـ ﴿رَبِّ العالَمِينَ﴾ أي: مالكِ جميعِ الخلق من الإنس والجنّ والملائكة والدوابّ وغيرهم. وكلٌّ منها يُطلق عليه عالَم ـ يقال: عالَم الإنس وعالَم الجنّ، إلى غير ذلك. وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولو العِلم على غيرهم. وهو من العَلامة لأنه عَلامة على مُوجِده ـ ٣ ـ ﴿الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي إرادة الخير لأهله، ٤ ـ ﴿مَلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاءِ، وهو يوم القيامة. وخُصّ بالذكر لأنه لا مُلك ظاهرًا فيه لأحد إلاّ للهِ ـ تعالى ـ بدليل: «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ»؟ ومَن قرأ «مالِكِ» فمعناه: مالكِ الأمرِ كلِّه في يوم القيامة، ....

قولُهُ: (أي: مَالِكِ) الرَّبُّ في الأصلِ بمَعنى: التَّربيَةِ، ثمَّ وُصفَ به للمُبالَغَة، سمِّي به المالِكُ لأنَّه يحفَظُ ما يملكُهُ ويُربِّيهِ.

قولُهُ: (إلى غَيرِ ذَلِكَ) فالعالِمُ هو ما سِوى الله، وجُمِعَ لاختِلافِ أنواعِهِ.

قولُهُ: (أُولُو العِلمِ) لشرَفِهِم.

قولُهُ: (وَهوَ منَ العَلامَةِ) أو من العِلمِ؛ لأنَّه يُعلَمُ به الصَّانعُ العَليمُ.

قولُهُ: (علَى مُوجِدِهِ) لأنَّ ما سواهُ من الجواهِرِ والأعراضِ لإمكانِها وافتِقارِها إلى مؤثِّرٍ واجبٍ لذاتِهِ تدلُّ على وجودِهِ:

وفي كُلِّ شَـيءٍ لَهُ شاهِدٌ   يَــدُلُّ على أنَّهُ واحِدُ[1]

قولُهُ: (وهيَ إرَادَةُ الخَيرِ) فهما من صفاتِ الذَّاتِ، أو الإنعامِ والإحسانِ فهما من صِفاتِ الأفعالِ.

ثمَّ البسمَلةُ إن لم تكُن من الفاتحَةِ كما هو مذهَبُنا فلا تكرارَ، وإلا فقَد يقالُ: أعيدَتا للمُبالَغَة كما كرِّرَتا لها، فإنَّ رحمَتَهُ غلبَتْ غضَبهُ، أو ذُكِرَتا ثانياً بين صِفَتي الرُّبوبيَّةِ للعالَمينَ والملكيَّةِ في يومِ الدِّينِ إشارةً إلى أنَّ رحمتَهُ شاملَةٌ للخلقِ في الدَّارينِ وعامَّةٌ لهم في الكونَينِ.

قولُهُ: (أي: الجَزَاءِ) والحِسابِ، فيُثيبُ المؤمنينَ بالثَّوابِ ويُعاقِبُ الكافِرينَ بالعَذابِ؛ يعني: الجزاءُ في العُقبى يكونُ على وَجهِ الأوفى، وإلَّا فقد يُجزى أيضاً في الدُّنيا، أو يوم لا ينفَعُ فيه العبادَ إلا الدينُ الذي بمَعنى الانقيادِ.

قولُهُ: (ومَن قَرأَ: ﴿مَالِكِ﴾) وهو عاصمٌ والكسائيُّ بالألفِ[2] لزيادَةِ الكمِّيَّةِ، كما أنَّ قراءَةَ الجُمهورِ لزيادَةِ الكيفيَّةِ، وكنتُ أراعي القراءَتَينِ في أداءِ الرَّكعَتينِ بأن أقرَأ في الأولى بحَذفِ الألِفِ لأنَّه قراءَةُ الجُمهورِ، وفي

---

(١) قائله أبو العتاهية، انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٠٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨).

أي: هو موصوف بذلك دائمًا كـ «غافِرِ الذَّنبِ»، فصحّ وقوعه صفةً للمعرفة.

٥ ـ ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ، وإِيّاكَ نَستَعِينُ﴾ أي: نَخُصّكَ بالعِبادة من توحيد وغيره، ونطلب منك المعونة على العبادة وغيرها. ٦ ـ ﴿اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ﴾..

الثَّانيةِ بالألفِ؛ جمعاً بينهما في مقامِ الجمعِ والحُضورِ، ثمَّ رأيتُ منقُولاً عن شيخِ مشايخِنا الجزَريِّ قدَّسَ اللهُ روحَهُ العليَّ أنَّه كان يعمَلُ بالعكسِ أخذاً بظاهرِ الزِّيادَةِ في تطويلِ الرَّكعةِ الأولى من العبادَةِ، ولكلٍّ وِجهَةٌ.

قولُهُ: (فَصَحَّ وُقُوعُهُ) توضِيحُهُ ما في «الكشاف»: فإن قُلتَ: إضافةُ اسمِ الفاعِلِ غيرُ حقيقيَّةٍ فلا تكُونُ معطيَةً معنى التَّعريفِ، فكيفَ ساغَ وقوعُه صفَةً للمعرفَةِ؟ قلتُ: إنَّما تكونُ غيرَ حقيقيَّةٍ إذا أُريدَ باسمِ الفاعِلِ الحالَ أو الاستِقبالَ، فأمَّا إذا قُصِدَ معنى الماضي، أو زَمانٌ مُستمِرٌّ، كانت الإضافَةُ حقيقيَّةً[١].

قولُهُ: (أي: نَخُصَّكَ) التَّخصيصُ مُستفادٌ من تقديمِ المفعولِ.

قولُهُ: (وبطَلَبِ المَعُونَة) بالباءِ عَطفٌ على (بالعبادَةِ)، ولا يجوزُ أن يكونَ بالنُّونِ[٢] عَطفاً على: (نخصَّكَ)؛ لخُروجِهِ عن التَّخصيصِ.

وفي الآيةِ دلالَةٌ على ردِّ مذهَبِ الجبريَّةِ وطريقِ القَدَريَّةِ[٣]، وإشارةٌ إلى مرتَبتَي الفرقِ والجمعِ على اصطِلاحِ الصُّوفيَّةِ، وقال بعضُهُم: جميعُ منازِلِ السَّائِرينَ مُندرِجٌ في قولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾.

رويَ: أنَّ العبدَ إذا قرأَ هذه الآيَةَ يقولُ اللهُ تعالى له: «كَذَبتَ، لو كُنتَ إِيَّايَ تعبُدُ لَم تُطِع غَيري، ولَم تلتَفِت إلى سِوايَ، ولو كُنتَ بِي تستَعِينُ لم ترفَعْ حَوائجَكَ إلى ذَلِيلٍ مثلِكَ، ولم تَسكُنْ إلى كَسبِكَ ومالِكَ»[٤]، ولذا قال مالِكُ بنُ دينارٍ رحمه الله: لولا أنَّ قراءَةَ هذه الآيةِ أمرٌ من الله تعالى لما قرأتُها لعَدَمِ صِدقي فيها[٥].

---

(١) انظر: «الكشاف» طبعة دار اللباب (١/ ٣٣).

(٢) وهو بالنون في النسخ المعتمدة في متن الجلالين.

(٣) جاء في «روح البيان» (١/ ٢٠): وفيه تحقيق لمذهب أهل السنة والجماعة إذ فيه إثبات الفعل من العبد، والتوفيق من الله كالخلق، ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله: ﴿إياك نعبد﴾ ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله.

(٤) ذكر نحوه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ١١٦) فقال: بلغنا.... ولعله من كلام بعض الصوفية أو من وضع المتنطعين، فإن الصواب في هذا ما رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يقول اللهُ تعالى: قَسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفَيْن ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبدُ: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال اللهُ تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال: مجَّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصِّراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

(٥) لم أقف عليه، ولعله لا يصح عنه.

أي: أرشِدْنا إليه،..

قولُهُ: (أي: أَرشِدْنَا إِلَيهِ) وثبِّتنا عليه، قيل: المرادُ به: الإسلامُ، وقيل: الكِتابُ والسُّنَّةُ، وقيل: طريقُ المحبَّةِ، قالَ تعالَى: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُم اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقالَ تعالَى: ﴿وأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفيه إشارَةٌ إلى أنَّ الطُّرُقَ إلى الله بعدَدِ أنفاسِ الخلائقِ؛ لكن المستقيمَ الموصلَ إلى المقصودِ الحقيقيِّ إنَّما هو واحِدٌ عند أربابِ الحقائقِ، وسائرُ الطُّرُقِ إمَّا أن يَهلِكَ سالِكُهُ في الأثناء، أو يبقى حَيرانَ كالمتحيِّرِ في الصَّحراء، أو ينتَهي إلى كُفرٍ وإلحاد، أو حُلولٍ واتِّحاد، أو إلى بدعَةٍ وتفرقَة، أو مذهبٍ وجوديٍّ وزندقَة، أو تشبيهٍ وتَعطيل، أو تغليظٍ وتضليل؛ لأنَّ الاستقامَةَ في العقيدَةِ: أن لا يكونَ فيها تعطيلٌ ولا تشبيهٌ محض، ولا جبرٌ ولا قَدَرٌ، ولا نَصبٌ ولا رَفض. وفي الأخلاقِ: أن تكونَ مُتوسِّطَةً بين طرَفَي الإفراطِ والتَّفريطِ، فيكون كريماً لا مُبذِّراً، ولا بخيلاً لئيماً ويكونُ شُجاعاً لا جَباناً ولا مُتهَوِّراً، ويكون متواضِعاً لا متصنِّعاً ولا مُتكبِّراً.

ولذا قالَ بعضُهُم: لا تشتَغِل بالعلمِ بحيثُ يمنعُكَ عن العملِ، ولا بالعملِ بحيثُ يمنعُكَ عن العِلمِ.

وقالَ الإمامُ مالكٌ رضي الله عنهُ: من تفقَّهَ ولم يتصَوَّف فقد تفسَّق، ومَن تصوَّفَ ولم يتفقَّهْ فقد تزندَقَ، ومن جمعَ بينهما فقد تحقَّقَ[1].

وقال حجَّةُ الإسلامِ: الاستِقامَةُ على الصِّراطِ في الدُّنيا أدقُّ من الشَّعرِ، وأحَدُّ من السَّيفِ، كما وردَ في وصفِ جسرِ جهنَّمَ[2]، فمن استقامَ هُنا تجاوزَ عن الجِسرِ بالهَنا[3].

وقالَ بعضُهُم: الاستقامَةُ خيرٌ من ألفِ كرامَةٍ.

ورويَ أنَّه ﷺ رؤيَ في المنامِ فقيلَ له: إنَّك قد قلتَ: «شَيَّبَتنِي هُودُ»، قالَ: «نَعَم شيَّبَتْني آيَةُ ﴿فَاستَقِم كَمَا أُمِرت﴾ [هود: ١١٢]»[4]، ومن هنا يُعلَمُ أنَّ اضطرارَ العبدِ إلى سُؤالِ هدايَةِ الصِّراطِ[5] المستقيمِ فوقَ كلِّ ضرورَةٍ، ولهذا شَرَعَ اللهُ تعالى في الصَّلاةِ التي هي أمُّ العباداتِ قراءَةَ أمِّ القُرآنِ المشتملَةِ على أمِّ الدَّعواتِ في كلِّ ركعةٍ إمَّا وجوباً أو فَرضاً.

---

(١) لم أقف على هذا القول، وذكره كذلك في «شرح الشفا» (٢/ ٥١٠).

(٢) رواه مسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف.
قال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٣/ ٩٠٥): قول أبي سعيد: «بلغني» فالصحابي رضي الله عنه إذا قال شيئاً مما لا مجال للرأي فيه كوصف الصراط بما تقدم، حكمه الرفع على الصحيح.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥٢٤).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢١٥) عن أبي علي السري.

(٥) في (ص): «الطريق».

ويُبدَل منه: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِم﴾ بالهداية، ويُبدَل من «الذين» بصلته ٧ ـ ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ ـ وهم اليهود ـ ﴿ولا﴾:..............................

قولُهُ: (ويُبدَلُ مِنهُ) بيانُه أنَّه لمَّا كان كلٌّ يدَّعي أنَّ مذهبَهُ هو الصِّراطُ المستقيمُ والطَّريقُ القَويمُ ـ فإنَّ كلَّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ، وعن غيرِ طريقِهِم عادِلونَ ـ أُبدلَ منه بما بعده.

قولُهُ: (بالهِدَايَة) من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، ففي الآيةِ إشارَةٌ إلى أنَّ النِّعمَةَ في الحقيقَةِ أن تكونَ دينيَّةً، أو وسيلَةً إلى أخرَويَّةٍ، ولذا مِحَنُ الأبرارِ مِنحٌ ونِعَم، ونِعَمُ الفُجَّارِ مِحَنٌ ونِقَم.

قولُهُ: (ويُبدَلُ) لمَّا كان سائرُ الكفَّارِ لم يُتوَهَّم دخولُهُم في المنعَمِ عليهم من الأخيارِ، وقالَ تعالَى في حقِّ اليهودِ والنَّصارَى: ﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم﴾ [البقرة: ٤٠]، خُصَّ إخراجُهُم بالذِّكرِ.

قولُهُ: (وهُمُ اليَهُودُ) وهذا التَّفسيرُ ثابتٌ عن البشيرِ النَّذيرِ[1]، فهو أولى من كُلِّ تقديرٍ على كُلِّ تقديرٍ، والظَّاهرُ ـ والله أعلمُ بالسَّرائرِ ـ: أنَّ اليهودَ لمَّا تكرَّرَ كفرُهُم وتركَّبَ جهلُهُم لكفرِهِم بعيسى ثمَّ بنبيِّنا عليهما الصَّلاةُ والسَّلام، استحَقُّوا الغضَبَ، وأنَّ النَّصارَى لمَّا كانوا في ضَلالةٍ وحيرَةٍ هل يدخُلونَ في دينِ الإسلامِ أو لا، وُصِفوا بالضَّلالِ الذي هو في صدَدِ الزَّوالِ، ولذا قالَ تعالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشرَكُوا ولَتَجِدَنَّ أَقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢].

وقيل: ﴿المغضُوبُ عليهِم﴾ جميعُ الكفَرَة ﴿ولا الضَّالِّين﴾ المبتدِعَة.

وقالَ بعضُ السَّلفِ: من انحرَفَ من العُلَماءِ ففيه شبهٌ من اليَهودِ، ومن انحرَفَ من العُبَّادِ ففيهِ شَبهٌ من النَّصارى[2]، انتهى.

ويُمكنُ أن يُلحَقَ الخوارِجُ باليهودِ لبُغضِهِم كُلَّ الآلِ وبعضَ الصَّحابةِ، والرَّوافضُ بالضَّالِّينَ لعداوتِهِم لبَعضِ الصَّحابةِ فقط، وكذلك القدريَّةُ إلى الغضَبِ أقربُ، ونسبةُ الجبريَّةِ إلى الضَّلالِ أنسبُ.

ثمَّ في التَّعبيرِ بـ﴿أنعَمتَ عليهِم﴾ بالإسنادِ إلى الله تعالى، وبـ﴿المغضُوبِ عَلَيهِم﴾ بصيغَةِ المجهولِ، إشارَةٌ إلى حُسنِ الأدبِ في التَّعليم؛ أنَّ الخيرَ بيدَيهِ والشَّرَّ لا يُنسبُ إليهِ، كما قيلَ في قولِ الخليلِ: ﴿وإِذَا مَرِضتُ فَهوَ يَشفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

---

(١) روى الترمذي (٢٩٥٣)، وأحمد في «مسنده» (١٩٣٨١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٩) (٢٣٧) عن عدي بن حاتم، عن النبي ﷺ قال: «المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٠٨): رجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة.

(٢) نسبه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٠٧) إلى سفيان بن عيينة.

وغيرِ ﴿الضَّالِّينَ﴾. وهم النصارى. ونُكتةُ البدل أَفادتْ أنّ المُهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى.

[قال الإمام جلال الدِّين السُّيوطيّ]:

الحمدُ لله حمدًا مُوافيًا لنِعمه مُكافئًا لمزيده، والصلاةُ والسلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وجنوده.

هـذا ما اشتدّت إليه حاجة الراغبين في تكملةِ تفسير القرآن الكريم، الذي ألّفه الإمام المحقّق جلال الدِّين محمّد بن أحمد المحلّيّ الشافعيّ ـ رحمه الله ـ وتتميمِ ما فاته ـ وهو من أوّل سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء» ـ بتتمّة على نَمَطه...

قولُهُ: (لَيسُوا يَهُوداً ولا نَصَارَى) قُلتُ: وإذا لم يكن أهلُ الكِتابِ مُنعَماً عليهم في المسالِكِ، فبقيَّةُ الكَفَرَةِ أولى بذلك.

والمستحَبُّ أن يقالَ في آخرِ السُّورةِ: آمين[١]، وليسَ من القُرآنِ وفاقاً، وقد وردَ عن عَليٍّ: آمِين خاتِمُ ربِّ العالمينَ على لسانِ عبادِهِ المؤمِنينَ[٢].

ومَعناهُ: افعَلْ أو استَجِبْ، وما أحسنَ من قالَ:

يا رَبِّ لا تَسْلُبَنِّي حُبَّها أَبَداً ... ويَرحَمُ اللهُ عَبْداً قالَ آمِينا[٣]

ويجوزُ قصرُهُ، ومنه قولُ الشَّاطبيِّ:

أمِينَ وأَمْناً للأَمِينِ بِسِرِّهَا ... وإِن عَثَرَتْ فَهوَ الأَمُونُ تَحَمُّلا[٤]

قولُه: (هَذَا) إشارةٌ إلى ما في الذِّهنِ إن كانَ مقدَّماً على التَّصنيفِ، والخبرُ بيانٌ لما في الذِّهنِ.

قولُه: (تَتمِيمَةً) كذا في بعض النُّسخِ، فيكونُ منصوباً بأعني، وفي بعضِها: (تتمَّة) فهي مصدرٌ، وفي بعضِها: (بتتمةٍ) فالباء للبيانِ.

قولُه: (عَلَى نَمَطِهِ) بفتحتَينِ؛ أي: طريقتِهِ.

---

(١) وانظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص: ١٣٣).

(٢) قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ١٠٩): لم يرد عن علي، وإنما عن أبي هريرة بسند ضعيف مرفوعاً.
رواه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٩٢).

(٣) قائله قيس بن الملوح، انظر: «ديوانه» (ص: ٢٨٣).
ونسبه ابن منظور في «لسان العرب» (١٣/ ٢٧) إلى عمر بن أبي ربيعة.

(٤) انظر: «حرز الأماني» (ص: ٦) البيت رقم: (٧٣).

من ذكرِ ما يُفهَم به كلام الله ـ تعالى ـ والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٍ على القراءات المُختلِفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز، وتركِ التطويل بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيّة وأعاريبَ محلُّها كتبُ العربيّة.

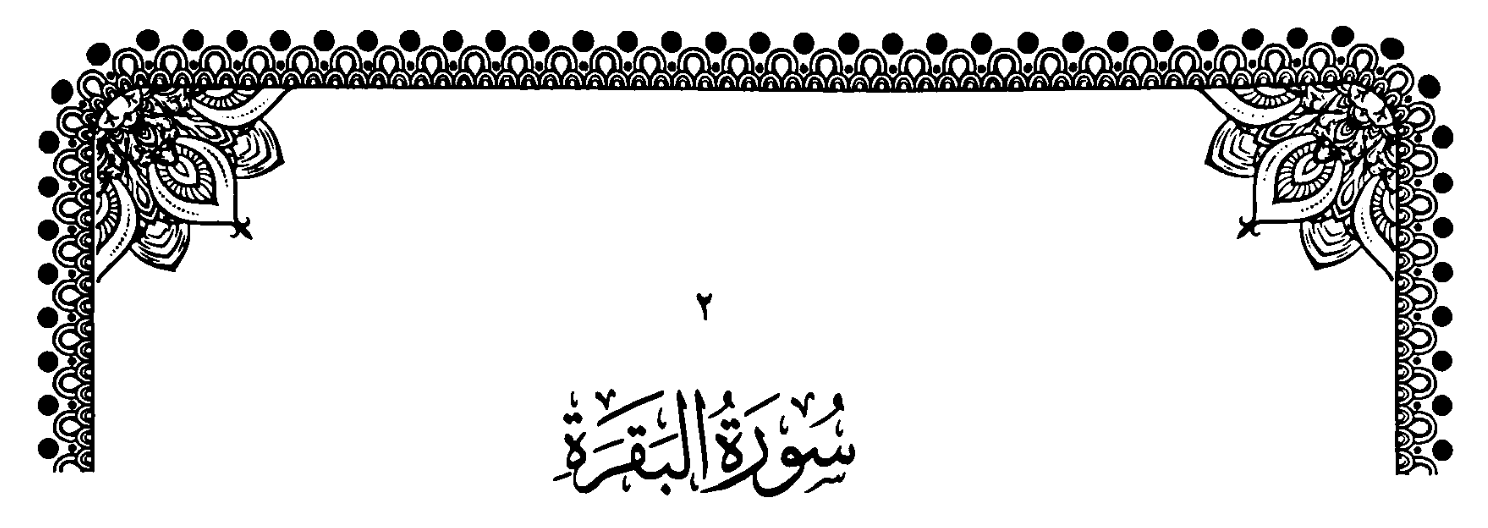
واللهَ أسألُ النفعَ به في الدنيا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقبى، بمَنّه وكرمه.

وقولُه: (مِن ذِكْرِ) بيانٌ له.

قولُه: (عَلَى القِرَاءَاتِ) الَّذي يظهرُ أنَّ المرادَ بها السَّبعةُ.

قولُه: (المُختَلَفَة) يعني: بعضَ المختلفات؛ فإنَّهُ ما استَوعبَها، والحقُّ أنَّهُ لم يمكنِ استيعابُهَا إلَّا في مجلَّدٍ على حِدَةٍ.

* * *



٢

سورة البقرة

مدنية، وهي مِائَتانِ وستٌّ أو سبعٌ وثمانونَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ الله أعلم بمُراده بذلك.

سورة البقرة

قولُه: (سِتٌّ أَو سَبْعٌ) الخلافُ مبنيٌّ على اختلافِ الكوفيِّ والبصريِّ في رؤوسِ الآي.

قولُه: (اللهُ أَعْلَمُ... إلخ) إشارةٌ إلى ما اختارَهُ جمهورُ السَّلفِ وجمعٌ من الخلفِ: أنَّ المقطَّعاتِ مِن المتشابهاتِ الَّتي لا يعلمُها إلَّا الله[١].

وقيل: معناهُ: أنَّ اللهَ أعلمُ بأخذِ كلِّ حرفٍ من كلِّ كلمةٍ.

وقيل: الألفُ مبدأُ بعضِ أسمائِهِ كـ(اللهِ)، واللَّامُ مبدأُ البعضِ كـ(اللَّطيفِ)، والميمُ مبدأُ البعضِ كـ(الملكِ).

وقيل: ألف لام ميم على صنعةِ التَّبديلِ في علمِ المُعمَّى؛ يعني: ألفُ لامِ الحمدِ ميمٌ، فيصيرُ: محمَّدُ، فيكونُ منادًى بحذفِ حرفِ النِّداءِ.

وقيل: الألفُ إشارةٌ إلى اللهِ، واللَّامُ إلى جبريلَ، والميمُ إلى محمَّدٍ، وقدَّمَ جبريلَ لأنَّه واسطةٌ ولعقدِ الرِّسالةِ رابطةٌ؛ يعني: أنزلَ اللهُ جبريلَ المكينَ إلى محمَّدٍ الأمينِ بالقرآنِ المبينِ.

قلتُ: ويحتملُ أن يكونَ معناهُ بطريقِ الإشارةِ: اللهُ له الملكُ، فيُعطي ملكَ النُّبوَّةِ لمن يشاءُ وملكَ الإيمانِ والقرآنِ لمن يشاءُ، وقد قيل: إنَّهُ الاسمُ الأعظمُ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ١٥٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٥٦).

٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمّد ﴿لَا رَيْبَ﴾: لا شكّ ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله ـ وجملة النفي خبر مبتدؤه «ذلك»، والإشارة به للتعظيم ـ ﴿هُدًى﴾ خبرٌ ثانٍ أي: هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى التقوى...

قولُه: (هَذا) يحتملُ أن يكونَ مبنيًّا على عدمِ الفرقِ بين هذا وذلك، فوضعَ هذا موضعَ ذلك، ويحتملُ أن يكونَ مرادُهُ أنَّ هذا مقتضَى المقامِ، لكن عدلَ عن هذا إلى ذلك إشارةً إلى بُعْدِ مرتبتِهِ وعلوِّ رتبتِهِ وعظمتِهِ.

قولُه: (لا شَكَّ) أنّه مِن عندِ اللهِ؛ يعني: أنّه شهادةٌ من اللهِ، أو: لا شكَّ عندَكَ أيُّها النَّبيُّ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] فقالَ ﷺ: «لا أشكُّ ولا أسألُ»[1]، أو معناهُ: لا شكَّ فيه لمن تأمَّلَ في مبانيهِ ومعانيهِ، أو لا ريبَ[2] فيه؛ فإنَّهُم مع عجزِهِم عن المعارضةِ لم يجدُوا فيه خللاً يسيراً: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أو نفيٌ معناهُ النَّهيُ؛ أي: لا ترتابُوا في أنّه من عندِهِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

قولُه: (خَبرٌ ثَانٍ؛ أي: هَادٍ) أشارَ إلى أنَّ ﴿فِيهِ﴾ خبرُ ﴿لَا﴾، و﴿هُدًى﴾ مصدرٌ بمعنى الفاعلِ، أو على حذفِ مضافٍ، أو أُريدَ به المبالغةُ كرجلٍ عدلٍ، ومع هذا كلِّه الأَولى أن يُقالَ: إنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ هو (هو)، ونسبةُ الهدايةِ إلى الكتابِ مجازٌ، ويحتملُ أن يكونَ خبرُ ﴿لَا﴾ محذوفاً، و(فيهِ هُدًى) أي: هدايةٌ؛ جملةٌ مستأنفةٌ، قُدِّمَ الخبرُ لتنكيرِ المبتدأِ، وتنوينُهُ للتَّعظيمِ، وهذان الوجهانِ مشهورانِ للقرَّاءِ والمعربينَ، ويُسمَّى الوقفُ بينهما معانقةً أو مراقبةً[3]؛ يعني: إن وقفَ على الأوَّلِ وصلَ في الثَّاني وبالعكسِ، والوقفُ على الثَّاني هنا أولى كما هو المختارُ للشَّيخِ.

قولُه: (الصَّائِرينَ إِلَى التَّقْوَى) يعني: سُمِّي المتَّقونَ متَّقينَ باعتبارِ المآلِ؛ إذ ليسُوا متَّقينَ في أوَّلِ الأحوالِ، ومع هذا خُصِّصَ بهم مع أنَّ الهدايةَ عامَّةٌ للحجَّةِ على الخلقِ، كما قالَ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] لأنَّهُم المنتفعونَ به، فكأنَّه لهم، وأمَّا غيرُهُم فليسَ لهم بل عليهم؛ ولذا قيل: القرآنُ كالنِّيلِ ماءٌ للمحبوبينَ، ودماءٌ للمَحجُوبينَ[4]، وقالَ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقالَ ﷺ: «القرآنُ حجَّةٌ لك أو عليكَ»[5].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧٨٩٤) عن قتادة بلاغاً.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ١٤٠): هو معضل.

(٢) في (م) و(د): «مريب».

(٣) ما يكون بين الوقفين من مراقبة على التضاد، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف الآخر. انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٣٧)، و«الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٢٩٦).

(٤) «ودماء للمحجوبين»: ليس في (د).

(٥) هو طرف من حديث رواه مسلم (٢٢٣) من حديث عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتّقائهم بذلك النارَ، ٣ـ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدّقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بما غاب عنهم منَ البعث والجَنّة والنار، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها، ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُم﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾: في طاعة الله، ٤ ـ ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيكَ﴾ أي: القرآنِ ﴿وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ﴾ أي: التوراةِ والإنجيلِ وغيرهما، ﴿وبِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ﴾: يَعلمونَ. ٥ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿عَلَى هُدًى مِن رَبِّهِم، وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزونَ بالجنّة الناجُون من النار.

٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوِهما ﴿سَواءٌ عَلَيهِم أَأَنذَرتَهُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين،

قولُه: (بامْتِثَالِ الأَوَامِرِ... إلخ) فسَّرَ التَّقوى بالمتبادرِ في الشَّرعِ، وإلَّا فلها درجاتٌ أقلُّها التَّوقِّي من الشِّركِ الجليِّ، وأقصاها التَّنزُّه[١] عن خطورِ السِّوى[٢] الَّذي هو الشِّركُ الخفيُّ.

قولُه: (لاتِّقَائِهِم بِذَلِكَ النَّارَ) أشارَ إلى أنَّ مفعولَ ﴿المتَّقِينَ﴾ محذوفٌ هو النَّارُ، والباءُ في (بامتثالِ) للسَّببيَّةِ، يعني: اتِّقاءً أوَّليًّا، ويحتملُ أن يكون التَّقديرُ: للمتَّقينَ مخالفةَ اللهِ، فيشملُ المنهيَّاتِ وتركَ المأمُوراتِ.

وقولُه تعالى: (﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾) يحتملُ الجرَّ والنَّصبَ والرَّفعَ.

قولُه: (يَأْتُونَ بهَا بِحُقُوقِهَا) أي: بشرائطِها وأركانِها وتركِ مفسِداتِها ومكرُوهاتِها وفعلِ واجباتِها وسننِها ومستحبَّاتِها وآدابِها من خشوعِها وخضوعِها وكمالِها من دوامِ حضورِهَا، فهو أبلغُ مِنْ يُصَلُّونَ؛ ولذا قالَ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الآيَةَ [الماعون: ٤].

قولُه: (أَعطَيْنَاهُم) ما موصولةٌ أو موصوفةٌ، وقيل: ما مصدريَّةٌ، و«هم» ضميرٌ مرفوعٌ، وتقديرُه: ومن ما رزقناهُم ينفقُونَ[٣]، وخُطِّئَ بأنَّه مخالفٌ للرَّسمِ العثمانيِّ من اتِّصالِ الضَّميرِ بـ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

ثمَّ تقديمُ المعمولِ للاهتمامِ، أو محافظةً لرؤوسِ الآي، و«مِن» تبعيضيَّةٌ؛ فإنَّهُم ممدوحُونَ بإنفاقِ البعضِ فبإنفاقِ الكلِّ أَولى مع أنَّ إنفاقَ الكلِّ غيرُ متصوَّرٍ؛ فإنَّ البعضَ من ضرورةِ معيشتِهِم وأحكامِ بنيتِهِم.

أو المرادُ بالبعضِ إنفاقُ المحبوبِ، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، أو إنفاقُ الحلالِ، قالَ تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

قولُه: (بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ) للكوفيِّينَ وابنِ ذكوانَ، وهشامٍ بخلفٍ عنه[٤].

---

(١) «التنزه»: ليس في (م) و(د)، وفي (ص) زيادة: «السترة».

(٢) السِّوى: هو الغير. «التعريفات» للجرجاني (ص: ١٢٣)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص: ١٩٩).

(٣) وانظر: «البحر المحيط» (١/ ٧١).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٣٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش (ص: ١٦٧).

وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأُخرى، وتركِه ـ ﴿أَم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ﴾

قولُه: (وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ أَلفاً) وجهٌ لورشٍ[١].

قولُه: (وَتَسْهِيلِهَا) أي: الثَّانيةِ، ومعنى التَّسهيلِ: جعلُ الهمزةِ بينها[٢] وبين حرفِ حركتِهَا، فإن كانت مفتوحةً فبينَ الهمزةِ والألفِ، وإن كانت مكسورةً فبين الهمزةِ والياءِ، وإن كانت مضمومةً فبينَ الهمزةِ والواوِ[٣]، فاحفَظْ هذه القاعدةَ فإنَّها كثيرةُ الفائدةِ.

قولُه: (وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلةِ والأُخْرَى) أي: المحقَّقةِ، والأَولى أن يقولَ: بين المحقَّقةِ والمسهَّلةِ، **(وتركِهِ)** أي: الإدخالِ، والمرادُ بالإدخالِ ألفٌ فاصلٌ بين الهمزتينِ.

وحاصلُ كلامِهِ: أنَّ التَّسهيلَ مع الإدخالِ لقالونَ وأبي عَمرٍو وهشامٍ في وجهٍ، والتَّسهيلُ مع تركِ الإدخالِ لابن كثيرٍ وورشٍ في وجهٍ، وبقيَ وجهٌ لهشامٍ لم يخرجْ من هذه العبارةِ، وهو تحقيقُ الهمزتينِ معَ الإدخالِ[٤]، فلو قالَ: (وإدخالِ ألفٍ بينهما وتركِهِ) لكانَ أخصرَ وأتمَّ.

هذا والشَّيخانِ الجليلانِ التزمَا ذكرَ هذه الهمزاتِ في المواضعِ المكرَّراتِ مع عدمِ إتيانِ العباراتِ المستوعباتِ خلافَ مقتضى هذا التَّفسيرِ المختصرِ، خصوصاً في القراءاتِ الَّتي من قبيلِ الأداءِ ولا تعلُّقَ لها في المعنى والإعرابِ والبناءِ، واللهُ أعلمُ بنيَّاتِهما، ونفعَنا اللهُ ببركاتِهِما.

وأمَّا قولُ البيضاويِّ[٥]: قلبُ الثَّانيةِ ألفاً لحنٌ، فهو خطأٌ نشأَ من تقليدِهِ «الكشَّافَ»[٦]؛ لأنَّ القراءةَ به ثبتَ متواتراً إلى النَّبيِّ ﷺ، فإنكارُه كفرٌ فكيف تلحينُه؟

وما ذكرَهُ الشَّيخُ زكريَّا[٧] في «حاشيتِهِ»[٨] بأنَّه ليس كلُّ لحنٍ كفرًا بل اللَّحنُ المغيِّرُ للمعنى، فهو غيرُ صحيحٍ؛ فإنَّ اللَّحنَ مطلقاً إذا كان سهواً فليسَ كفراً، وأمَّا إذا كانَ عمداً فهو كفرٌ، وإنَّما الفرقُ في الصَّلاةِ؛

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) في (م) و(ص): «بينهما».

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (١/ ٣٤).

(٤) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٢).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٤١).

(٦) انظر: «الكشاف» (١/ ٤٨).

(٧) هو الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، السُّنَيكي، القاهري، الأزهري الشافعي زين الدين، أبو يحيى، ولد سنة ٨٢٦ هـ وتوفي سنة ٩٢٦ هـ. «الكواكب السائرة» لنجم الدين الغزي (١/ ١٩٨)، و«معجم المؤلفين» لعمر كحالة (٤/ ١٨٢).

(٨) هي حاشية على تفسير البيضاوي واسمها: «حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل».

....

حيث إنَّ اللَّحنَ المغيِّرَ للمعنى مفسدٌ لها دونَ غيره، وأمَّا التَّلحينُ مطلقاً فهو مُوجِبٌ للكفرِ، نعم اختلفُوا فيما يكونُ من قبيلِ الأداءِ كمقدارِ المدِّ وكيفيَّةِ الإمالةِ والتَّسهيلِ والإشمامِ ممَّا يُؤخَذُ من أفواهِ الرِّجالِ ولم يُعلَم إلَّا من جهتِهِم أنَّه هل هو متواترٌ أم لا؟ ولا شكَّ أن يكون الإبدالُ ليسَ من ذلك القبيلِ على ما قيل؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ من أهلِ العربيَّةِ يدركُهُ من غيرِ سماعٍ.

ثمَّ تعليلُ القاضِي[1] بأنَّ المتحرِّكةَ لا تُقلَبُ، ممنوعٌ بأنَّها قد تُقلَبُ كما ثبتَ في ﴿مِنسَأَتَهُ﴾ عند القرَّاءِ[2]، ونُقِلَ في كلامِ الفصحاءِ، ومنه قولُ حسَّانَ[3]:

سَـــالَتْ هُذَيـــلٌ رَسُـــولَ اللهِ فاحِشَـــةً[4]

فالقلبُ عند اجتماعِ الهمزتَينِ جائزٌ بالأولى، قالَ الجعبريُّ[5]: وجهُ البدلِ المبالغةُ في التَّخفيفِ؛ إذ في التَّسهيلِ قِسطُ همزٍ، قالَ قطربٌ: هي قرشيَّةٌ وليست قياسيَّةً، لكنَّها كثُرت حتَّى اطَّردَت.

ثمَّ تعليلُ القاضِي[6]: بأنَّهُ يؤدِّي إلى جمعِ السَّاكنَينِ على غير حدِّهِ، مدفوعٌ بأنَّ من يقلبُهَا ألفاً يُشبعُ الألفَ إشباعاً زائداً على مقدارِ الألفِ؛ ليكونَ فاصلاً بين السَّاكنينِ، ويقومَ قيامَ الحركةِ كما في: ﴿مَحْيَايْ﴾ بإسكان الياءِ لنافعٍ[7] وصلاً، ويُسمَّى مدًّا جائزاً، وقد أجمعَ القرَّاءُ وأهلُ العربيَّةِ على إبدالِ الهمزةِ المتحرِّكةِ الثَّانيةِ في نحوِ: ﴿الآنَ﴾[8].

ثمَّ اعلَمْ أنَّ موافقةَ العربيَّةِ إنَّما هي شرطٌ لصحَّةِ القراءةِ إذا كانت بطريقِ الآحادِ، وأمَّا إذا ثبتَتْ متواترةً فيُستشهَدُ بها لا لها، وإنَّما ذكرْنَا ما ذكرْنَا تفهيماً للقَاعدةِ وتتميماً للفائدةِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٤١).

(٢) فقد قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو: بألف ساكنة بدلا من الهمزة، انظر: «تحبير التيسير» لابن الجزري (ص: ٥١٥).

(٣) حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، الصحابي الجليل.

(٤) هذا صدر البيت، وعجزه:

ضلَّـــت هذيـــل بمـــا جـــاءت ولـــم تصـــب

انظر: «ديوانه» (ص: ٤٦).

(٥) انظر: «كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني» (٢/ ٥٧٤).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٤١).

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

(٨) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٣٧٧).

لِعِلم الله منهم ذلك. فلا تطمعْ في إيمانهم. والإنذارُ: إعلام مع تخويف. ٧ـ ﴿خَتَمَ اللهُ علَى قُلُوبِهِم﴾: طبعَ عليها واستوثَقَ فلا يَدخلها خير، ﴿وعلَى سَمعِهِم﴾، أي: مواضعِه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحقّ، ﴿وعلَى أبصارِهِم غِشاوةٌ﴾: غِطاءٌ فلا يُبصرون الحقّ، ﴿ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾: قويّ دائم.

ونزل في المنافقين: ٨ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا بِاللهِ وبِاليَومِ الآخِرِ﴾، أي: يَومِ القيامة لأنه آخِرُ الأيام. ﴿وما هُم بمُؤمِنِينَ﴾. رُوعيَ فيه معنى «مَن»، وفي ضمير «يقول» لفظُها. ٩ـ ﴿يُخادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا﴾، بإظهار خلاف ما أبطنُوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامَه الدنيويّة، ﴿وما يُخادِعُونَ إلّا أنفُسَهُم﴾ لأن وَبال خِداعهم راجع إليهم، فيَفتَضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقَبون في الآخِرة، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾: يَعلَمُون أنّ خِداعهم لأنفسهم. والمُخادَعةُ هنا من واحد كعاقَبتُ اللصَّ. وذِكرُ الله فيها تَحسينٌ. وفي قراءةٍ: «وما يَخدَعُونَ»..

قولُه: (﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾) أي: مواضعِهِ، أشارَ إلى تقديرِ مضافٍ لتصحيحِ الكلامِ، وقيل: وإنَّما لم يجمَع لأنَّهُ مصدرٌ، ولأنَّهُ لا يتعدَّدُ مُدْرَكُهُ.

قولُه: (غطَاءٌ) فالجملةُ اسميَّةٌ معطوفةٌ على فعليَّةٍ.

قولُه: (قَوِيٌّ دَائِمٌ) قالَ مولانا عصامُ الدِّينِ[1]: وعيدٌ وبيانٌ لما يستحقُّونَهُ، وفي استعمالِ اللَّامِ المفيدِ للنَّفعِ تهكُّمٌ بهم في جعلِ نفعِهِم العذابَ، انتهى.

والأظهرُ أنَّ اللَّامَ للاختصاصِ، بل كونُها لغيرِهِ غيرُ مستقيمٍ لاختصاصِهِ لمقامِ التَّقابلِ كقولِهِ تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وكقولِهِم: دعا له وعليه، وشهِدَ له وعليه، وحكَمَ له وعليه.

قولُه: (لأنَّهُ آخِرُ الأيَّامِ) إذ ليس بعدَهُ ليلٌ.

قولُه: (والمُخَادَعةُ هنَا مِن واحِدٍ) والأحسنُ ما قيل: إنَّ المفاعلةَ إذا لم تكن للمغالبةِ فهي للمبالغةِ.

قولُه: (وذِكْرُ اللهِ فِيهَا تَحسِينٌ) أي: للكلامِ أو لحالِ المؤمنينَ حيثُ جُعِلوا في كونِهِم مخادَعين مشاركينَ للهِ مع أنَّ الخداعَ لم يقعْ إلَّا عليهم، وقيل: لزعمِهِم الفاسدِ يحسبونَ أنَّهُم يُخادِعونَ اللهَ، أو على حذفِ مضافٍ؛ أي: رسولَ اللهِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لابنِ عامرٍ والكوفيِّينَ[2].

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني، عصام الدين، ولد سنة ٨٧٣ هـ وتوفي سنة ٩٤٥هـ، ومن مصنفاته: حاشية على تفسير البيضاوي. «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٤١)، و«حجة القراءات» (ص: ٨٧).

١٠ ـ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شكّ ونِفاق، فهو يُمرِض قلوبهم أي: يُضعِفها، ﴿فزادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به، ﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلمٌ، ﴿بِما كانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي نبيَّ الله، وبالتخفيف أي: في قولهم: آمَنّا.

١١ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لا تُفسِدُوا فِي الأَرضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قالُوا: إنَّما نَحنُ مُصلِحُونَ﴾، وليس ما نحن عليه بفساد ـ قال الله تعالى ردًّا عليهم: ١٢ ـ ﴿أَلا﴾ للتنبيه ﴿إنَّهُم هُمُ المُفسِدُونَ، ولكِنْ لا يَشعُرُونَ﴾ بذلك ـ ١٣ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا كَما آمَنَ النّاسُ﴾ أي: أصحابُ النبيِّ ﴿قالُوا: أَنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ﴾: الجُهّالُ؟ أي: لا نفعل كفعلهم ـ قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَلا إنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ، ولكِنْ لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ـ ١٤ ـ ﴿وإذا لَقُوا﴾ أصله «لَقِيُوا» حُذِفَتِ الضمةُ للاستثقال ثم الياءُ لالتقائها ساكنةً مع الواو، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا. وإذا خَلَوا﴾ منهم ورجَعوا ﴿إلَى شَياطِينِهِم﴾: رؤسائهم ﴿قالُوا: إنّا مَعَكُم﴾ في الدِّين، ﴿إنَّما نَحنُ مُستَهزِئُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

قولُه: (مُؤلَمٌ) بفتحِ اللّامِ، وصفَ به العذابَ للمبالغةِ؛ إذ الألمُ إنّما هو للمعذَّبِ حقيقةً لا للعذابِ، ويجوزُ كسرُ اللّامِ فنسبةُ الإيلامِ إلى العذابِ حقيقةٌ؛ يعني: حقيقةٌ نحويَّةٌ لا حقيقةٌ مَحويَّةٌ، ويؤيِّدُ الأخيرَ قولُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قولُه: (وبِالتَّخفِيفِ) على قراءةِ الكوفيِّ[1]، قالَ البيضاويُّ[2]: بالتَّشديدِ؛ أي: بقلوبِهِم، أو: إذا خلا بعضُهُم إلى بعضٍ، وبالتَّخفيفِ؛ أي: بسببِ كذبِهِم أو ببدلِهِ جزاءً لهم.

قالَ تعالى[3]: (﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾) قالُوا: لعلَّ القائلَ بعضهم، أو الجوابُ بلسانِ قلوبِهِم، أو في قولِهِ: ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ توريةٌ.

قولُه: (حُذِفَتِ الضَّمَّةُ للاستِثقَالِ) يعني: ثَمَّ ضُمَّ ما قبلَ الواوِ للمناسبةِ، والأحسنُ في الإعلالِ أن يُقالَ: نُقلتِ الضَّمَّةُ إلى ما قبلها بعد سلبِ حركةِ ما قبلها، ثمَّ حُذِفت الياءُ للالتقاءِ.

قولُه: (أَي: مِنهُم ورَجَعُوا) الأظهرُ أن يُقالَ: مَضَوا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٤٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٨٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٩٠).

(٣) في (ص): «جزاء له قوله».

١٥ ـ ﴿اللهُ يَستَهزِئُ بِهِم﴾: يُجازيهم باستهزائهم، ﴿ويَمُدُّهُم﴾: يُمهِلهم ﴿في طُغيانِهِم﴾: تجاوزِهم الحدَّ بالكفر، ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون تحيّرًا، حالٌ. ١٦ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى﴾، أي: استبدلوها به، ﴿فما رَبِحَتْ تِجارتُهُم﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، ﴿وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

١٧ ـ ﴿مَثَلُهُم﴾: صِفتهم في نِفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي استَوقَدَ﴾: أوقدَ ﴿نارًا﴾ في ظُلمة، ﴿فلَمّا أضاءَتْ﴾: أنارتْ ﴿ما حَولَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمِنَ ما يخافه ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم﴾: أطفأه ـ وجُمِع الضمير مُراعاةً لمعنى «الذي» ـ ﴿وتَرَكَهُم في ظُلُماتٍ لا يُبصِرُونَ﴾ ما حولهم، مُتحيّرِينَ عن الطريق خائفين. فكذلك هؤلاء، أمِنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. ١٨ ـ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحقّ فلا يسمعونه سماع قَبول، ﴿بُكْمٌ﴾: خُرسٌ عن الخير فلا يقولونه، ﴿عُمْيٌ﴾ عن طريق الهُدى فلا يَرونه، ﴿فهُم لا يَرجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

قولُه: (يُجَازِيهِم باستِهْزَائِهِم) أو: يعاملُهُم معاملةَ المستهزِئِ في الدُّنيا أو العُقبى.

قولُه: (تَحَيُّراً) تمييزٌ أو تعليلٌ.

قولُه: (حَالٌ) أي: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حالٌ من مفعولِ ﴿يَمُدُّهُم﴾ أو فاعلِ ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾، وأمَّا قولُ البيضاويِّ[1]: قرأ ابنُ كثيرٍ بضمِّ الياءِ وكسرِ الميمِ[2]، فهو غيرُ صحيحٍ.

قولُه: (اسْتَبْدَلُوهَا بِهِ) أي: آثرُوها عليه واختارُوها عنه، أو: لمَّا كانوا متمكِّنينَ به فكأنَّهُم استبدَلُوها.

قولُه: (﴿مَثَلُهُم﴾ صِفَتُهُم) أي: حالُهُم العجيبةُ الشَّأنِ كحالِ المستوقِدِ، فلا حاجةَ إلى معنى الجمعِ على حدِّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة: ٥] مع أنَّ الإضافةَ الجنسيَّةَ تفيدُ معنى الجمعيَّةِ، أو التَّقديرُ: كمثلِ الفوجِ أو الفريقِ أو القومِ الَّذي استوقدَ، وإفرادُ الضَّميرِ باعتبارِ اللَّفظِ، كما أنَّ جمعَهُ باعتبارِ المعنى في قولِهِ: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم﴾.

قولُه: (أَنَارَتْ) أشارَ إلى أنَّ أضاءَ متعدٍّ، والضَّميرُ إلى النَّارِ، فـ﴿مَا حولَهُ﴾ محلُّه النَّصبُ، وقيل: أضاءَ لازمٌ بمعنى: استنارَتْ، فـ﴿مَا حولَهُ﴾ مرفوعُ المحلِّ على أنَّه فاعلٌ، والتَّأنيثُ باعتبارِ الأماكنِ الَّتي حولَهُ.

قولُه: (هُم) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿صُمٌّ﴾ مبتدؤُه محذوفٌ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٤٨).

(٢) أي: ﴿يُمِدُّهم﴾، وجاءت بهذا الضبط قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠) ونسبت لابن محيصن.

١٩ ـ ﴿أو﴾ مَثلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر. وأصله «صَيْوِبٌ» من: صاب يَصوبُ، أي: ينزل ﴿مِنَ السَّماءِ﴾: السحابِ، ﴿فِيهِ﴾ أي: السحابِ ﴿ظُلُماتٌ﴾ بتكاثُفه ﴿ورَعدٌ﴾ هو المَلَكُ الموكَّل به، وقيل: صوتُه، ﴿وبَرقٌ﴾: لَمَعانُ صوته الذي يَزجُره به. ﴿يَجعَلُونَ﴾ أي: أصحابُ الصيِّب ﴿أصابِعَهُم﴾ أي: أناملَها ﴿في آذانِهم مِنَ﴾ أجلِ ﴿الصَّواعِقِ﴾: شِدّةِ صوت الرعد لئلّا يسمعوها، ﴿حَذَرَ﴾: خوفَ ﴿المَوتِ﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء، إذا نزل القرآن، وفيه ذِكرُ الكُفرِ المُشبَّهِ بالظلمات والوعيدُ عليه المُشبَّهُ بالرعد والحُجَجُ البيّنة المشبَّهةُ بالبرق، يسدّون آذانهم لئلّا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمانِ وتركِ دينهم، وهو عندهم موت. ﴿واللهُ مُحِيطٌ بالكافِرِينَ﴾ عِلمًا وقُدرة، فلا يفوتونه.

٢٠ ـ ﴿يَكادُ﴾: يَقرُبُ ﴿البَرقُ يَخطَفُ أبصارَهُم﴾: يأخذها بسُرعة، ﴿كُلَّما أضاءَ لَهُم مَشَوا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه، ﴿وإذا أظلَمَ علَيهِم قامُوا﴾ وقفوا. تمثيلٌ لإزعاجِ ما في القرآن من الحُجج قلوبَهم وتصديقِهم بما سمعوا فيه ممّا يُحبّون ووقوفِهم عمّا يكرهون، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمعِهِم﴾ بمعنى أسماعِهم، ﴿وأبصارِهِم﴾ الظاهرةِ كما ذهب بالباطنة ﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ﴾ شاءَه ﴿قَدِيرٌ﴾، ومنه إذهابُ ما ذُكر.

٢١ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّةَ، ﴿اعبُدُوا﴾:..............................

قولُه: (أَي: أَنَامِلَهَا) وفي بعضِ النُّسخِ: «أناملَهُم»، وعلى كلٍّ ذكرُ الأصابعِ وإرادةُ الأناملِ من باب ذكرِ الكلِّ وإرادةِ البعضِ مجازٌ للمبالغةِ.

قولُه: (شِدَّةِ صَوتِ الرَّعدِ) الظَّاهرُ أن يقالَ: من شدَّةِ صوتِ الصَّاعقةِ عندَ انفصالِها عن صوتِ البرقِ وقتَ حدَّةِ ضربِ الرَّعدِ للسَّحابِ.

قولُه: (إِذَا نَزَلَ القُرْآنُ) أي: المشبَّهُ بالمطرِ في الطَّهارةِ وكثرةِ الخيرِ والرِّزقِ والحياةِ والنُّزولِ.

قولُه: (شَاءَهُ) احترازٌ عن المستحيلِ والممتنعِ؛ فإنَّ ما لم تتعلَّقْ به المشيئةُ لم تتعلَّقْ به القدرةُ، قال أهلُ التَّفسيرِ[1]: الشَّيءُ في الأصلِ مصدرُ شاءَ، أُطلِقَ بمعنى شاء تارةً، وحينئذٍ يتناولُ الباري تعالى، كما في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وبمعنى مشيءٍ أخرى؛ أي: مشيءٍ وجودُهُ، وما شاءَ اللهُ وجودَهُ فهو موجودٌ في الجملةِ، وعليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] انتهى، فعلى هذا لا يحتاجُ إلى قيدِ شاءَهُ.

قولُه: (وَمِنْهُ إِذْهَابُ مَا ذُكِرَ) فيه أنَّه لو شاءَهُ لكانَ، إلَّا أن يقالَ: المرادُ بما شاءَهُ: ما هو قابلٌ أن يشاءَهُ.

قولُه: (أَي: أَهلَ مَكَّةَ) الأظهرُ عدمُ التَّقييدِ؛ إذ السُّورةُ مدنيَّةٌ، والعبرةُ بعمومِ اللَّفظِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٥٣).

وحِّدوا ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم﴾: أنشأكم ولم تكونوا شيئًا، ﴿و﴾ خلقَ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِكُم، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابَه ـ و«لعلّ» في الأصل للترجّي، وفي كلامه تعالى للتحقيق ـ ٢٢ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾: خلقَ ﴿لكُمُ الأرضَ فِراشًا﴾ حالٌ: بِساطًا يُفترش، لا غايةً في الصلابة أو الليونة فلا يُمكنَ الاستقرارُ عليها، ﴿والسَّماءَ بِناءً﴾: سَقفًا، ﴿وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجَ بِهِ مِنَ﴾ أنواع ﴿الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم﴾، تأكلونه وتَعلِفون به دوابّكم. ﴿فلا تَجعَلُوا لِلهِ أندادًا﴾: شُركاءَ في العبادة، ﴿وأنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه الخالق ولا يَخلقون، ولا يكون إلٰـهًا إلّا من يَخلق.

٢٣ ـ ﴿وإن كُنتُم في رَيبٍ﴾: شكٍّ ﴿مِمّا نَزَّلْنا عَلَى عَبدِنا﴾ محمّد من القرآن، أنه من عند الله، ﴿فائتُوا بِسُورةٍ مِن مِثلِهِ﴾ أيِ: المُنزَّلِ، و«مِن» للبيان، أي: هي مِثلُه في البلاغة وحُسن النظم والإخبار عن الغيب ـ والسورة: قِطعة لها أوّلٌ وآخِرٌ أَقلّها ثلاثُ آيات ـ ﴿وادعُوا شُهَداءَكُم﴾: آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾، أي: غيرَه لتُعينكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنّ محمّدًا قاله من عِند نفسه، فافعلوا ذلك. فإنكم عَرَبيّون فُصحاء مثلُه.

قولُه: (وَحِّدُوا) الأحسنُ عمومُ العبادةِ الشَّاملةِ للتَّوحيدِ وغيره.

قولُه: (ولَعَلَّ فِي الأَصْلِ... إلخ) وقيل: للعلَّةِ؛ أي: لكي تتَّقُوا عذابَهُ بعبادتِهِ.

قولُه: (حَالٌ) أي: مقدَّرةٌ، وقيل: ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى صيَّرَ، فـ﴿فِرَاشًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (سَقْفاً) قالَ في «الدُّرِّ»[1]: مثلَ القبَّةِ.

قالَ تعالى: (﴿رزقاً لَكُم﴾) أي: مَرْزوقاً من أجلِكُم.

قالَ تعالى: (﴿فَأْتُوا﴾) الأمرُ للتَّعجيزِ.

قولُه: (أي: المُنَزَّلِ) وقيل: الضَّميرُ للعبدِ.

قولُه: (و﴿مِنْ﴾ للبَيَانِ) وقيل: للتَّبعيضِ، وقيل: زائدةٌ.

قولُه: (آلِهَتَكُمُ الَّتي تَعبُدُونَهَا) أي: تحضرُونَها للعبادةِ، أو تشهدُونَ أنَّها آلهةٌ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٨٥، ٨٦).

والذي ذكره هو ما جاء عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، وساق الحديث، وفيه: «إن عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة عليه... الحديث.

رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٨٤)، وقال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح.

ولَمّا عجزوا عن ذلك قال تعالى: ٢٤ ـ ﴿فإن لَم تفعَلُوا﴾ ما ذُكر لعجزكم ـ ﴿ولَن تفعَلُوا﴾ ذلك أبدًا لظهور إعجازه، اعتراضٌ ـ ﴿فاتَّقُوا﴾، بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر، ﴿النّارَ الَّتِي وَقُودُها النّاسُ﴾: الكفّار ﴿والحِجارةُ﴾ كأصنامهم منها ـ يعني أنها مُفرطة الحرارة، تتَّقد بما ذُكر، لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه ـ ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئتْ ﴿لِلكافِرِينَ﴾ يُعذَّبون بها. جملة مُستأنفة، أو حالٌ لازمة.

٢٥ ـ ﴿وبَشِّرِ﴾: أخبِرْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: صَدَّقوا بالله،.........

قولُه: (اعْتِرَاضٌ) أي: بين الشَّرطِ والجزاءِ.

قولُه: (كأَصنَامِهِم مِنهَا) أو حجارةُ الكبريتِ، وهو قولُ أكثرِ المفسِّرينَ على ما نقلَهُ البغويُّ[1]، وقيل: الذَّهبُ والفضَّةُ، وأمَّا الوَقودُ فهو بالفتحِ ما يوقَدُ به، وبالضمِّ ـ وقد قُرِئ به[2] ـ مصدرٌ سُمِّيَ به، أو على حذفِ مضافٍ؛ أي: ذوو وُقودِهَا، أو وُقودُها احتراقُ النَّاسِ والحجارةِ.

قولُه: (هُيِّئَتْ) أي: للكافرينَ أصالةً وللفاجرينَ تبعاً.

قولُه: (أَو حَالٌ) منها؛ أي: حالٌ من النَّارِ بإضمارِ قد، وفي نسخةٍ زيادةُ: (لازمةٌ) وفيها إشعارٌ بأنَّ النَّارَ كالجنَّةِ موجُودتانِ.

قولُـه: (أَخبِـرْ) لـم يظهر وجهُ تفسيرِ ﴿بشِّـرِ﴾ بأخبر إلَّا أن يُقـالَ: إنَّ التَّبشيـرَ مخصُوصٌ بالخبر المسرِّ أوَّلاً، وقـد سبـقَ البشـارةُ فـي غيـرِ هـذه السُّـورةِ؛ لأنَّهـا مدنيَّـةٌ[3]، فيكونُ إشـارةً إلـى أنَّ فيـه التَّجريـدَ، لكنَّ التَّحقيـقَ أنَّ البشـارةَ هـذه ولـو كانـت مجازيَّةً في حـقِّ السَّـابقينَ، لكنَّهـا حقيقيَّةٌ بالنِّسـبةِ إلـى اللَّاحقينَ، ولا يبعُـدُ أن يقـالَ: إنَّه مـن قبيلِ:

أَعِـدْ ذِكـرَ نعمَـانَ لنَـا إنَّ ذكـرَهُ هوَ المسْـكُ مَـا كرَّرْتَهُ يَتَضَـوَّعُ[4]

والأظهرُ أنَّ التَّبشيرَ هو إخبارُ السُّرورِ، كما أنَّ الإنذارَ هو الخبرُ المخوِّفُ مع قطعِ النَّظرِ عن أن يكونَ أوَّلاً وآخراً، وأمَّا قولُ الفقهاءِ[5] ـ فيمن قال: من بشَّرَني بقدومِ زيدٍ فهو حرٌّ، إنَّما يعتقُ عبيدُهُ جميعاً إذا بشَّرُوهُ به معاً،

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٩٤).

(٢) أي: ﴿وُقُودها﴾ وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١) ونسبت لمجاهد وطلحة.

(٣) يقصد بذلك سبق نزول كما في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

(٤) قائله: مهيار بن مرزويه، انظر: «ديوانه» (٢/ ١٨٤)، ولفظه فيه:

أعـد ذكـر نعمـان أعـد إن ذكره مـن الطيـب مـا كررتـه يتضـوع

(٥) انظر: «الهداية في شرح بداية المبتدي» للمرغيناني (٢/ ٣٣٢).

﴿وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ من الفُروض والنوافل ﴿أنَّ﴾، أي: بأنّ ﴿لَهُم جنّاتٍ﴾: حدائقَ ذاتَ شجرٍ ومساكنَ، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها﴾، أي: من تحتِ أشجارها وقُصورها ﴿الأنهارُ﴾، أي: المِياهُ فيها - والنهر: المَوضع الذي يجري فيه الماء، لأنّ الماء يَنهَرُه أي: يَحفِرُه. وإسناد الجري إليه مَجاز - ﴿كُلَّما رُزِقُوا مِنها﴾: أُطعِموا من تلك الجنّات، ﴿مِن ثَمَرةٍ رِزقًا قالُوا: هذا الَّذِي﴾، أي: مِثلُ ما ﴿رُزِقْنا مِن قَبلُ﴾، أي: قبلِه في الجنّة، لتشابه ثمارها بقرينةِ ﴿وأُتُوا بِهِ﴾ أي: جِيئوا بالرزق ﴿مُتَشابِهًا﴾: يُشبه بعضُه بعضًا لونًا ويَختلف طعمًا، ﴿ولَهُم فِيها أزْواجٌ﴾، من الحُور وغيرها، ﴿مُطَهَّرةٌ﴾ من الحيض وكلّ قذَر، ﴿وهُم فِيها خالِدُونَ﴾: ماكثون أبدًا، لا يَفنَون ولا يخرجون.

ونزل ردًّا لقول اليهود، لمّا ضربَ اللهُ المَثَلَ بالذبابِ في قوله: «وإنْ يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا» والعنكبوتِ في قوله: «كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ»: «ما أراد اللهُ بذِكرِ هذه الأشياءِ الخسيسة»؟: ٢٦ - ﴿إنَّ اللهَ لا يَستَحيِي أن يَضرِبَ﴾: يَجعلَ ﴿مَثَلًا﴾: مفعولٌ أوّل ﴿ما﴾: نكرةٌ موصوفة بما بعدها، مفعولٌ ثان أيْ: أيَّ مثلٍ كان، أو زائدةٌ لتأكيد الخِسّة، فما بعدها المفعول الثاني، ﴿بَعُوضةً﴾: مفردَ البعوض وهو صِغار البقّ، ﴿فما فَوقَها﴾ أي: أكبرَ منها، أي: لا يترك بيانه لِما فيه من الحِكَم.

وأمّا إذا بشّرهُ أحدٌ بعد أحدٍ فالأوّلُ هو المعتوقُ - فمبنيٌّ على حقيقةِ معناهُ اللُّغويِّ من أنَّ البشارةَ خبرٌ يظهرُ أثرُ سرورِهِ في البشرةِ، وهو في العرفِ لا يقعُ إلّا في المرتبةِ الأولى.

قولُه: (بأنَّ) بمعنى أنَّ ﴿أنَّ﴾ منصوبٌ مع مدخولِها بنزعِ الخافضِ وإيصالِ الفعلِ إليه، وقيل: مجرورٌ بإضمارِهِ.

قولُه: (ذَاتَ شَجَرٍ) الظّاهرُ ذواتِ، فرُوعِي لفظُ الجماعةِ.

قولُه: (أَي: تَحْتَ أَشجَارِهَا) إشارةٌ إلى حذفِ المضافِ، أو مِن تحتِ قصورِ أهلِها، ويؤيِّدُه آيةُ: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قولُه: (أي: المِيَاهُ فِيهَا) فيكونُ من بابِ ذكرِ المحلِّ وإرادةِ الحالِّ، أو المرادُ: ماؤها على الإضمارِ، واللّامُ في: (الأنهارُ)، للجنسِ أو للعهدِ، والمعهودُ: الأنهارُ المذكورةُ في قولِه تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآيةَ [محمد: ١٥].

قولُه: (أي: مِثْلُ مَا) إشارةٌ إلى أنّهُ تشبيهٌ بليغٌ، أو على حذفِ المضافِ.

قولُه: (فِي الجَنَّةِ) وقيل: في الدُّنيا.

قولُه: (لِتَشَابُهِ ثِمَارِهَا) تعليلٌ لكونِهِ في الجنَّةِ؛ إذ لا تشابُه بين ثمارِ الجنَّةِ وثمارِ الدُّنيا إلا المشاركةَ الاسميَّة.

قولُه: (أي: أَكبَرَ مِنهَا) وقيل: أصغرَ، وهو الأبلغُ، وقد يُقالُ: الأكبرُ بمعنى الأحقرِ، وهو الأظهرُ.

﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا فيعلَمُونَ أنَّهُ﴾ أي: المَثَل ﴿الحَقُّ﴾: الثابتُ الواقعُ موقعَه ﴿مِن رَبِّهِم، وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ: ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً﴾؟ تمييزٌ أي: بهذا المَثل. وما: استفهامُ إنكارٍ مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصلَته خبرُه. أيْ: أيُّ فائدة فيه؟ قال ـ تعالى ـ في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المَثلِ ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم بهِ، ﴿ويَهدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به، ﴿وما يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفاسِقِينَ﴾: الخارجين عن طَاعته ٢٧ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعتٌ ﴿يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ﴾: ما عَهِدَه إليهم في الكُتب من الإيمان بمحمّد ﴿مِن بَعدِ مِيثاقِهِ﴾: توكيدِه عليهم، ﴿ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ﴾ من الإيمانِ بالنبيّ والرَّحِمِ وغير ذلك ـ وأن: بدلٌ من ضمير «به» ـ ﴿ويُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان. ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِر ﴿هُمُ الخاسِرُونَ﴾، لمصيرهم إلى النّار المؤبَّدة عليهم.

٢٨ ـ ﴿كَيفَ تكفُرُونَ﴾ ـ يـا أهـلَ مكةَ ـ ﴿بِاللهِ، و﴾ قد ﴿كُنتُم أمْواتًا﴾: نُطَفًا في الأصلاب، ﴿فأحياكُم﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ـ والاستفهامُ: للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ـ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُم﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُم﴾ بالبعث، ﴿ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ﴾: تُرَدّون بعد البعث، فيُجازيكم بأعمالكم؟ وقال دليلاً على البعث لمّا أنكروه: ٢٩ ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم ما في الأرضِ﴾ أي: الأرضَ وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا، ﴿ثُمَّ استَوَى﴾ بعد خلق الأرض، أي: قَصَدَ ﴿إلَى السَّماءِ فسَوّاهُنَّ﴾ ـ الضميرُ يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلةِ إليه ـ أي: صيَّرَها، كما في آية أُخرى «فقَضاهُنَّ» ﴿سَبعَ سَماواتٍ. وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ مُجمَلاً ومُفصَّلاً. أفلا تعتبرون أنّ القادرَ على خلق ذلك ابتداءً، وهو أعظم منكم، قادرٌ على إعادتكم؟

٣٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ـ يا محمّد ـ ﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفةً﴾ يَخلفني في تنفيذ أحكامي فيها ـ وهو آدمُ ـ ﴿قالُوا: أتَجعَلُ فِيها مَن يُفسِدُ فِيها﴾ بالمعاصي، ﴿ويَسفِكُ الدِّماءَ﴾: يُريقها بالقتل كما فعلَ بنو الجانّ وكانوا فيها؟ فلمّا أفسدوا أرسلَ اللهُ عليهم الملائكة، فطردوهم إلى الجزائر والجبال، ﴿ونَحنُ نُسَبِّحُ﴾ مُلتبِسينَ ﴿بِحَمدِكَ﴾، أي نقول: سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، ﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾: نُنزِّهُكَ عمّا لا يَليق بك؟ فاللام زائدة، والجملة: حال، أي: فنحن أحقّ بالاستخلاف.

قولُه: (تَوكِيْدِهِ) الضَّميرُ للعهدِ.

قولُه: (وقَد كُنتُم) أشارَ إلى أنَّ الجملةَ حالٌ.

قولُه: (وَمَا فِيهَا) يعني: ما في الأرضِ شاملٌ للأرضِ على التَّغليبِ، أو المرادُ بما في الأرضِ: ما في جهةِ السُّفلِ.

قالَ تعالى: (﴿فِي الْأَرْضِ﴾) قيل: أرضِ مكَّةَ.

﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿إنِّيَ أعلَمُ ما لا تَعلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدمَ وأن ذُرّيّته فيهم المطيعُ والعاصي، فيَظهرُ العدل بينهم. فقالوا: لن يَخلق ربُّنا خلقًا أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ لسبقِنا له ورؤيتنا ما لم يَرَه. فخلقَ الله ـ تعالى ـ آدمَ من أديم الأرض أي وجهها بأن قبضَ منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجنتْ بالمياه المختلفة، وسَوّاهُ ونفخَ فيه الروحَ، فصار حيوانًا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا.

٣١ ـ ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ﴾ أي: أسماءَ المُسمَّيات ﴿كُلَّها﴾ حتى القصعةَ والقُصيعةَ والفسوةَ والفُسيَّةَ، بأن ألقى في قلبِه عِلمَها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُم﴾ أيِ: المُسمَّياتِ ـ وفيه تغليب العقلاء ـ ﴿علَى المَلائكةِ، فقالَ﴾ لهم تَبكيتًا: ﴿أنبِئُوني﴾: أخبروني ﴿بِأسماءِ هؤُلاءِ﴾ المُسمَّيات، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنّي لا أخلقُ أعلمَ منكم أو أنكم أحقّ بالخلافة. وجواب الشرط دلَّ عليه ما قبله. ٣٢ ـ ﴿قالُوا: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لكَ عنِ الِاعتراض عليك! ﴿لا عِلمَ لَنا إلّا ما عَلَّمْتَنا﴾ إيّاه. ﴿إنَّكَ أنتَ﴾: تأكيدٌ للكاف ﴿العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾: الذي لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته.

٣٣ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا آدَمُ، أنبِئْهُم﴾ أي: الملائكةَ ﴿بِأسمائِهِم﴾ أيِ: المُسمَّيات. فسَمّى كلَّ شيء باسمه، وذكرَ حكمته التي خُلِق لها. ﴿فلَمّا أنبَأَهُم بِأسمائِهِم قالَ﴾ تعالى لهم مُوبِّخًا: ﴿ألَم أقُلْ لَكُم: إنِّي أعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ﴾: ما غاب فيهما، ﴿وأعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهِرون من قولكم «أتجعَلُ فِيها» إلى آخره، ﴿وما كُنتُم تَكتُمُونَ﴾: تُسِرّون من قولكم «لن يَخلقَ [ربُّنا] أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ»؟

٣٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجودَ تحيّةٍ بالانحناء. ﴿فسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿أبَى﴾: امتنعَ عنِ السجود، ﴿واستكبَرَ﴾: تكبّرَ عنه وقال: «أنا خَيرٌ مِنهُ»، ....

قولُه: (أي: أَسمَاءَ المُسَمَّيَاتِ) فالألفُ واللَّامُ عوضٌ عن المضافِ إليه.

قولُه: (أي: المُسَمَّيَاتِ) المدلولِ عليها بالأسماءِ ضمناً.

قولُه: (وفِيهِ تَغلِيبٌ للعُقَلاءِ) أي: لشَرفِهم.

قولُه: (بَينَ المَلائِكَةِ) عن عُمرَ بن عبدِ العزيزِ: أوَّلُ من سجدَ لآدمَ من الملائكةِ إسرافيلُ، فجازاهُ اللهُ سبحانَهُ بأن كتبَ القرآنَ العظيمَ في جبهتِهِ، كذا في «المنتظمِ» لابنِ الجوزيِّ[1].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١/ ٢٠٣).

﴿وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ في علم الله، ٣٥ ـ ﴿وقُلنا: يا آدَمُ، اسكُنْ أنتَ﴾: تأكيدٌ للضمير المستتر، ليُعطفَ عليه ﴿وزَوجُكَ﴾ حوّاءُ بالمدّ ـ وكان خلقَها من ضِلَعِه الأيسر ـ ﴿الجَنّةَ، وكُلا مِنها﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا لا حَجْرَ فيه ﴿حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هذِهِ الشَّجَرةَ﴾ بالأكل منها ـ وهي الحِنطة أو الكَرْم أو غيرهما ـ ﴿فتكُونا﴾: فتَصيرا ﴿مِنَ الظّالِمِينَ﴾: العاصِينَ.

قولُه: (فِي عِلْمِ اللهِ) أو: كان بمعنى صارَ.

قولُه: (أو غَيرُهُمَا) ذكرَ المصنِّفُ في «المبهماتِ»[1] ستّةَ أقوالٍ منها: اللَّوزُ والأترجُّ والنَّخْلةُ والتِّينُ، قالَ مولانا عصامُ الدِّين في «حاشيتِهِ على البيضاويِّ»: رأيتُ في بعض التَّفاسيرِ أنَّ الشجرةَ العلمُ، فمكثتُ في التَّأمُّلِ في الحقيقةِ برهةً من الزَّمانِ، حتَّى رأيتُ ليلةً أنِّي ذُهِبَ بي إلى السَّماءِ، ثمَّ يُذهبُ بي إلى سماءٍ سماءٍ، وألاقي فيه نبيًّا نبيًّا، حتَّى نُبِّئْتُ في سماءٍ أنَّ هناك آدمَ عليه السَّلامُ، فلاقيتُهُ وسألتُهُ عن شجرةِ العلمِ الَّذي نُهيَ عن أن يقربَ منها، قال: كانَ شأني في معرفتِهِ تعالى مشاهدتَهُ، ومُنِعتُ عن التَّوجُّهِ إليه بدونِ المشاهدةِ مكتفياً بالعلمِ، فمرَّةً اكتفيتُ بالعلمِ فعُوتِبتُ وأُخرِجتُ من الجنَّةِ، انتهى.

وفيه: أنَّ هذا المعنى لا يظهرُ أن يصلحَ كونُهُ تفسيراً للآيةِ إلَّا أن يُقالَ: كانَ آدمُ عليه السَّلامُ في مقامِ المشاهدةِ، ونُهيَ عن قربانِ شجرةِ الحنطةِ المقدَّرِ فيها أنَّهُ إذا أكلَ منها ينتقلُ من مرتبةِ العينِ إلى رتبةِ العلمِ، فسُمِّيت تلك الشَّجرةُ شجرةَ العلمِ.

هذا وسنحَ لي أنَّهُ قد يُقالُ: إنَّما سُمِّيَت شجرةَ العلمِ؛ لأنَّ قربَهَا وتركَهَا سببٌ للعلمِ بحالِ المبتلى الَّذي كُلِّفَ بها، أو لكونِ أكلِهَا علامةً يُعلَم بها الخروجُ من الجنَّةِ إلى دارِ المحنةِ، ويُعلَمُ حينئذٍ قدرُ النِّعمةِ، أو شجرةٌ تعلَّقَ علمُ اللهِ تعالى بها أنَّ آدمَ يأكلُ منها، أو ما يأكلُ منها، وإذا أكلَ ما يترتَّبُ عليه؟ وما الحكمةُ في أنَّ أكلَهَا يورثُ البعدَ من دارِ القرب وجوارِ الرَّبِّ؟ إلىٰ غير ذلك، واللهُ تعالى أعلمُ.

ثمَّ رأيتُ في «حاشيةِ الشِّفاءِ» للحلبيِّ[2]: قيلَ: شجرةُ العلمِ عليها معلومُ اللهِ من كلِّ لونٍ وطعمٍ، وقيلَ: قالَ إبليسُ لهما: من أكلَ منها علمَ الخيرَ والشَّرَّ، أو علِمَ علْمَ الملائكةِ، كما قالَ لهما: إنَّها شجرةُ الخلدِ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» للسيوطي (ص: ١٢).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، يقال له: البرهان الحلبي وسبط ابن العجمي، ومن تصانيفه هذه الحاشية وهي «المقتفى في ضبط ألفاظ الشفا». انظر: «الأعلام» (١/ ٦٥).

٣٦ ـ ﴿فأزَلَّهُما الشَّيطانُ﴾: إبليسُ أذهبَهما ـ وفي قراءة «فأزالَهُما»: نَحّاهما ـ ﴿عَنها﴾ أيِ: الجنّةِ، بأن قال لهما: «هَل أدُلُّكُما على شَجَرةِ الخُلدِ»؟ وقاسَمَهما بالله إنه لهما لمن النّاصحين، فأكلا منها، ﴿فأخرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ﴾ من النعيم، ﴿وقُلنا: اهبِطُوا﴾ إلى الأرض أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذرّيّتكما، ﴿بَعضُكُم﴾: بعض الذرّيّة ﴿لِبَعضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظلم بعضهم بعضًا، ﴿ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ﴾: موضع قرار ﴿ومَتاعٌ﴾: ما تتمتّعون به من نباتها ﴿إلَى حِينٍ﴾: وقتِ انقضاء آجالكم.

٣٧ ـ ﴿فتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾، ألهَمَه إيّاها ـ وفي قراءة بنصب «آدَمَ» ورفع «كلماتٌ» أي: جاءه ـ وهي «رَبَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا» الآيَةَ، فدعا بها ﴿فتابَ علَيهِ﴾: قَبِلَ توبتَه. ﴿إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ﴾ على عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

٣٨ ـ ﴿قُلنا: اهبِطُوا مِنها﴾: منَ الجنّة ﴿جَمِيعًا﴾. كرّرَه ليُعطف عليه: ﴿فإمّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطيةِ في «ما» المزيدة ﴿يأتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى﴾: كتابٌ ورسول ﴿فمَن تَبِعَ هُدايَ﴾، فآمن بي وعمل بطاعتي، ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة، بأن يدخلوا الجنّة، ٣٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: كُتُبِنا ﴿أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾: ماكثون أبدًا، لا يَفنَون ولا يخرجون.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: لحمزةَ[1].

قولُه: (مِنْ ذرِّيَّتِكُمَا) وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ الخطابَ لآدمَ وحوَّاء وإبليسَ والحيَّةِ، كذا في «المبهماتِ»[2].

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: لابنِ كثيرٍ[3].

قولُه: (فِي مَا الزَّائدَةِ) تؤكِّدُ معنى الشَّرطِ أوَّل الفعلِ، والنُّونُ تؤكِّدُ آخرهُ، كذا في (غافرٍ)[4].

قال تعالى: (﴿فَلَا خَوْفٌ...﴾) إلخ، الخوفُ على المتوقَّعِ من نزولِ عذابٍ، والحزنُ على الواقعِ من فواتِ ثوابٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (١/ ١٢).

والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٧٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٩٨) من طريق السدي عمن حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٩٤).

(٤) انظر: «تفسير الجلالين» (ص: ٦٢٨) الآية رقم: (٧٧) من سورة غافر.

٤٠ ـ ﴿يا بَنِي إسرائيلَ﴾: أولادَ يَعقوبَ، ﴿اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ علَيكُم﴾ أي: على آبائكم من الإنجاءِ من فرعونَ وفلقِ البحر وتظليلِ الغمام وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي، ﴿وأَوفُوا بِعَهدِيَ﴾ الذي عَهِدته إليكم من الإيمان بمحمّد، ﴿أُوفِ بِعَهدِكُم﴾ الذي عَهِدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنّة، ﴿وإيّايَ فارهَبُونِ﴾: خافُونِ في ترك الوفاء به دون غيري.

٤١ ـ ﴿وآمِنُوا بِما أَنزلَتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوّة، ﴿ولا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ﴾ من أهل الكتابِ لأنّ خَلَفَكم تبَعٌ لكم فإثمهم عليكم، ﴿ولا تَشتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآياتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمّد ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عِوَضًا يسيرًا من الدنيا، أي: لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سِفْلتكم، ﴿وإيّايَ فاتَّقُونِ﴾: خافُونِ في ذلك دون غيري، ٤٢ ـ ﴿ولا تَلبِسُوا﴾: تخلطوا ﴿الحَقَّ﴾ الذي أنزلتُ عليكم ﴿بِالباطِلِ﴾ الذي تغيّرونه، ﴿و﴾ لا ﴿تَكتُمُوا الحَقَّ﴾: نعتَ محمّد، ﴿وأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه الحقّ، ٤٣ ـ ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ، واركَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ﴾: صلُّوا مع المُصلّين محمّدٍ وأصحابه.

ونـزل فـي علمائهـم، وكانوا يقولـون لأقربائهـم المسـلمين: «اثبُتُوا علـى دين محمّد فإنـه حقّ»: ٤٤ ـ ﴿أَتأمُـرُونَ النّـاسَ بِالبِـرِّ﴾: بالإيمـان بمحمّد، ﴿وتَنسَـونَ أَنفُسَـكُم﴾: تتركونها فـلا تأمرونها به، ﴿وأَنتُـم تَتلُـونَ الكِتـابَ﴾: التوراةَ، وفيهـا الوعيد علـى مُخالفة القول العمـلَ؟ ﴿أَفلا تَعقِلُونَ﴾ سُـوءَ فِعلكـم فترجعـون؟ فجملة النسـيان محلُّ الاسـتفهام الإنكاريّ.

٤٥ ـ ﴿واستَعِينُوا﴾: اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبرِ﴾: الحبسِ للنفس على ما تكره ﴿والصَّلاةِ﴾ أفردَها بالذكر تعظيمًا لشأنها. ....

قولُه: (عَلى آبائِكُم) يعني: أنَّ نعمةَ الآباءِ نعمةٌ على الأبناءِ، أو على حذفِ المضافِ.

قولُه: (تَبَعٌ لَكُم) بيانُ زيادةِ قبحِ الكفرِ، وتسبُّبِهِ لكفرِ من بعدَهُم، فاندفعَ ما قيلَ من أنَّ الكفرَ منهيٌّ عنه بكلِّ حالٍ، فما فائدةُ التَّقييدِ بالأوَّلِ؟ وفيه أنَّ من سنَّ سنَّةً سيِّئةً، وتعريضٌ لهم بوجوبِ كونِهم أوَّلَ مؤمنٍ بالنِّسبةِ إلى سائرِ الكفَّارِ، فإنَّهم في الجملةِ من المؤمنينَ.

قولُه: (عَلى مَا تَكرَهُ) من الطَّاعةِ؛ أي[1]: من فعلِهَا وتركِ المعصيةِ وفي المصيبةِ.

---

(١) في هامش (م): «قوله: (أي من فِعلها) في نسخة المؤلف هو حاشية على: من الطاعة»، ولم يصحح عليها.

وفي الحديث «كانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادَرَ إلَى الصّلاةِ». وقيل: الخطاب لليهود لَمّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحبّ الرياسة فأُمروا بالصبرِ، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاةِ لأنها تُورث الخشوع وتَنفي الكِبْرَ. ﴿وإنّها﴾ أي: الصلاةَ ﴿لَكَبِيرةٌ﴾: ثقيلة ﴿إلّا علَى الخاشِعِينَ﴾: الساكنين إلى الطاعة ٤٦ ـ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقنون ﴿أَنَّهُم مُلاقُو رَبِّهِم﴾ بالبعث، ﴿وأَنَّهُم إلَيهِ راجِعُونَ﴾ في الآخرة فيُجازيهم.

٤٧ ـ ﴿يا بَنِي إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أنعَمتُ علَيكُم﴾، بالشكر عليها بطاعتي، ﴿وأنّي فَضَّلتُكُم﴾، أي: آباءَكم ﴿علَى العالَمِينَ﴾: عالَمِي زمانهم، ٤٨ ـ ﴿واتَّقُوا﴾: خافوا ﴿يَوْمًا، لا تَجزِي﴾ فيه ﴿نَفسٌ عَن نَفسٍ شَيئًا﴾ ـ هو يوم القيامة ـ ﴿ولا تُقبَلُ﴾، بالتاءِ والياءِ، ﴿مِنها شَفاعةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتُقبَلَ، «فما لَنا مِن شافِعينَ»، ﴿ولا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ﴾: فِداءٌ، ﴿ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من عذاب الله.

٤٩ ـ ﴿و﴾ اذكُروا ﴿إذ نَجَّيناكُم﴾ أي: آباءَكم ـ والخطابُ به وبما بعده للموجودين في زمن نبيّنا، بما أنعم الله على آبائهم، تذكيرًا لهم بنعم الله ليؤمنوا ـ ﴿مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم﴾:...............

قولُه: (إِذَا حَزَبَهُ[1]) بالباءِ، يُقالُ: حزبَهُ الأمرُ نابَهُ واشتدَّ عليه[2]، وفي بعضِ النُّسخِ بالنُّونِ بمعنى أحزنَهُ.

قولُه: (أي: الصَّلاةَ) أو المذكوراتِ من الإيمانِ والصَّبرِ والصَّلواتِ، أو الأخيرينِ، أو الاستعانةَ المفهومةَ من: ﴿اسْتَعِيْنُوا﴾.

قولُه: (فِيهِ) أي: في ذلك اليومِ، إشارةٌ إلى أنَّ الجملةَ صفةٌ لـ﴿يَوْمًا﴾، والعائدُ منها محذوفٌ.

قالَ تعالى: (﴿نَفْسٌ﴾) أي: مؤمنةٌ (﴿عَنْ نَفْسٍ﴾) أي: كافرةٍ.

قالَ تعالى: (﴿شَيْئًا﴾) أي: لا تنفعُ، أو لا تدفعُ، أو لا تقضي عنها شيئاً من الحقوقِ، فيكونُ نصبُهُ على المفعوليَّةِ، أو من الجزاءِ، فيكونُ نصبُهُ على المصدريَّةِ.

قولُه: (بالتَّاءِ) أي: المنقوطةِ من فوقُ لابن كثيرٍ وأبي عمرٍو[3].

قولُه: (أي: لَيسَ لَهَا) أي: للنَّفسِ الكافرةِ شفاعةٌ فتُقبَلُ، فالنَّفيُ للقيدِ والمقيَّدِ.

قالَ تعالى: (﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾) جمعٌ لدلالةِ النَّفسِ المنكرةِ الكافرةِ على النُّفوسِ الكثيرةِ، والتَّذكيرُ باعتبارِ الشَّخصِ أو على طريق التَّغليبِ.

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٢٩٩) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٩٥).

يُذيقونكم ﴿سُوءَ العَذابِ﴾: أشَدَّه ـ والجملةُ: حال من ضمير «نجّيناكم» ـ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيانٌ لما قبله ﴿أبناءَكُم﴾ المولودين، ﴿ويَستَحْيُونَ﴾: يَستبْقُون ﴿نِساءَكُم﴾، لقول بعض الكهنة له: إنّ مولودًا يُولَدُ في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك. ﴿وفي ذلِكُم﴾ العذابِ أو الإنجاءِ ﴿بَلاءٌ﴾: ابتلاءٌ أو إنعامٌ ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ﴾.

٥٠ ـ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ فَرَقْنا﴾: فلَقْنا ﴿بِكُمُ﴾: بسببكمُ ﴿البَحرَ﴾ حتّى دخلتموه هاربينَ من عدوّكم، ﴿فأنجَيناكُم﴾ من الغرق، ﴿وأغرَقْنا آلَ فِرعَونَ﴾: قومَه معه، ﴿وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم، ٥١ ـ ﴿وإذ واعَدْنا﴾، بألِفٍ ودُونِها، ﴿مُوسَى أَربَعِينَ لَيلَةً﴾ نُعطيه عند انقضائها التوراةَ لتعملوا بها، ﴿ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريّ إلـٰهًا ﴿مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ ذهابه إلى مِيعادنا، ﴿وأنتُم ظالِمُونَ﴾ باتّخاذه لوضعكم العبادةَ في غير محلّها..........................

قولُه: (يَستَبْقُونَ) أي: للخدمةِ أو لعدمِ الغرضِ في قتلِهِنَّ.

قولُه: (لِقَولِ بَعْضِ الكَهَنَةِ لَهُ) بعد ما ملكَهُم أربعَمائةِ سنةٍ، كذا في «الدُّرِّ»[١].

قولُه: (أوِ الإنْجَاءِ) الأظهرُ التَّنجيةُ.

قولُه: (ابتِلاءٌ) الظَّاهرُ محنةٌ نعم لو كان الإشارةُ إلى مجموعِ ما ذُكِرَ، فالبلاءُ بمعنى الابتلاءِ بمعنى الامتحانِ.

قولُه: (أَو إنْعَامٌ) أشارَ إلى أنَّ البلاءَ من الأضدادِ، وفيه لفٌّ ونشرٌ.

قالَ تعالى: (﴿الْبَحْرَ﴾) هو القلزمُ[٢]، وكان يومَ عاشوراءَ[٣]، كذا في «المبهماتِ»[٤].

قولُه: (قَومَهُ مَعَهُ) واقتصرَ على ذكرِهِم للعلم بأنَّهُ كان أولى به.

قولُه: (بِأَلِفٍ) لغيرِ أبي عمرٍو[٥].

قالَ تعالى: (﴿أَرْبَعِيْنَ﴾) من ذي القعدةِ وعشرِ ذي الحجَّةِ[٦].

قولُه: (إِلَهاً) ثاني مفعولي الاتِّخاذِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ١٦٦).

والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٨٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٥) عن أبي العالية.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «مفحمات الأقران» (ص: ١٢) عن قيس بن عباد.

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٠٩٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وضعف إسناده السيوطي في «المفحمات».

(٤) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٢، ١٣).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٩٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥١١) عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية.

٥٢ ـ ﴿ثُمَّ عَفَونا عَنكُم﴾: مَحَونا ذُنوبكم ﴿مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ الاتّخاذِ، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعمتَنا عليكم، ٥٣ ـ ﴿وإذ آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراةَ ﴿والفُرقانَ﴾، عطفُ تفسيرٍ أي: الفارقَ بين الحقّ والباطِلِ والحلال والحرام، ﴿لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ به من الضلال.

٥٤ ـ ﴿وإذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ﴾ الذين عبدوا العِجل: ﴿يا قَومِ، إنَّكُم ظَلَمتُم أنفُسَكُم بِاتِّخاذِكُمُ العِجلَ﴾ إلـٰهًا. ﴿فتُوبُوا إلَى بارِئِكُم﴾: خالِقِكم من عبادته، ﴿فاقتُلُوا أنفُسَكُم﴾ أي: لِيَقتلِ البريءُ منكم المُجرمَ. ﴿ذلِكُم﴾ القتلُ ﴿خَيرٌ لَكُم عِندَ بارِئِكُم﴾. فوفَّقكم لفعل ذلك، وأرسلَ عليكم سحابة سوداء، لئلّا يُبصرَ بعضُكم بعضًا فيرحمَه، حتّى قُتِل منكم نحو سبعين ألفًا، ﴿فتابَ علَيكُم﴾: قَبِلَ توبتكُم ـ ﴿إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾، ٥٥ ـ ﴿وإذ قُلتُم﴾، وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العِجل وسمعتم كلامه: ﴿يا مُوسَى، لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهرَةً﴾: عِيانًا. ﴿فأخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ﴾: الصيحةُ فمُتّم، ﴿وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ ما حلّ بكم.

٥٦ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْناكُم﴾: أحيَيناكم ﴿مِن بَعدِ مَوتِكُم، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعمتَنا بذلك، ٥٧ ـ ﴿وظَلَّلْنا علَيكُمُ الغَمامَ﴾: ستَرناكم بالسحاب الرقيق من حرّ الشمس في التِّيه، ﴿وأنزَلْنا علَيكُمُ﴾ فيه ﴿المَنَّ والسَّلوَى﴾ ـ هما التُّرَنْجِبِينُ والطَّيرُ السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا: ﴿كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم﴾، ولا تدَّخروا. فكفروا النعمة وادّخروا فقُطِعَ عنهم. ﴿وما ظَلَمُونا﴾ بذلك، ﴿ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ لأن وَباله عليهم.

قولُه: (عَطفُ تَفسِيرٍ) الأظهرُ: أنَّ المرادَ به المعجزاتُ.

قولُه: (مِنْ عِبادَتِهِ) أي: العجلِ.

قولُه: (كَلامَهُ) أي: كلامَ اللهِ.

قالَ تعالى: (﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾) أي: لأجلِ قولِك، أو: لن نقرَّ لك.

قولُه: (بِتَخْفِيفِ المِيمِ) أي: وضمِّ السِّينِ، فيذبحُ الرَّجلُ منها ما يكفي، كذا في «الدُّرِّ»[1].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ١٧٢).

والأثر رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٩٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٦٢) عن قتادة، وموضع الشاهد منه لم يأت إلا عند ابن أبي حاتم.

٥٨ ـ ﴿وإذ قُلنا﴾ لهم بعد خروجهم من التِّيه: ﴿ادخُلُوا هذِهِ القَرْيَةَ﴾: بيتَ المقدس أو أريحا، ﴿فكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم رَغَدًا﴾: واسعًا لا حَجْرَ فيه، ﴿وادخُلُوا البابَ﴾، أي: بابَها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنحنِينَ، ﴿وقُولُوا﴾: مسألتُنا ﴿حِطَّةٌ﴾، أي: أن تَحُطّ عنّا خَطايانا. ﴿نَغفِرْ﴾ ـ وفي قراءة بالياء وبالتاء، مَبنيًّا للمفعول فيهما ـ ﴿لَكُم خَطاياكُم. وسَنَزِيدُ المُحسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

٥٩ ـ ﴿فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم﴾، فقالوا: حَبّةٌ في شَعَرةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم، ﴿فأنزَلْنا علَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ـ فيه وضعُ الظاهرِ موضعَ المضمر مبالغةً في تقبيح شأنهم ـ ﴿رِجْزًا﴾: عذابًا طاعونًا ﴿مِنَ السَّماءِ، بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾: بسبب فِسقهم، أي: خروجِهم عن الطاعة، فهلَكَ منهم في ساعة سبعون ألفًا أو أقلُّ.

٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذِ استَسقَى مُوسَى﴾، أي: طلبَ السُّقيا ﴿لِقَومِهِ﴾، وقد عطشوا في التِّيه، ﴿فقُلنا: اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ﴾ ـ وهو الذي فَرَّ بثوبه، خفيفٌ مربَّعٌ كرأس الرجُل، رُخامٌ أو كَذّانٌ ـ...

قولُه: (أو أَرِيحَا) بالفتحِ وكسرِ الرَّاءِ وحاءٍ مهملةٍ، قريةٌ بقربِ القدسِ[١]، كذا في «النِّهايةِ»[٢].

قولُه: (أي: بَابَهَا) يُدعى بابَ حطَّةٍ.

قولُه: (أي: أَنْ تَحُطَّ عَنَّا) ويُقالُ: هي كلمةٌ أُمرَ بها بنو إسرائيلَ، لو قالُوها لحُطَّت أوزارُهُم، كذا في «الصِّحاحِ»[٣].

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ بِاليَاءِ) التَّحتانيَّة لنافعٍ (وبالتَّاءِ) الفوقية لابنِ عامرٍ، والباقُونَ بصيغةِ المتكلِّمِ المعلومِ[٤].

قولُه: (وَهُوَ الَّذِي... إلخ) فاللَّامُ فيه للعهدِ.

قولُه: (رُخَام) كغرابٍ؛ حجرٌ أبيضُ رخوٌ[٥].

وقولُه: (أو كَذَّان[٦]) ككَتَّانٍ؛ حجارةٌ رخوةٌ كالمَدَر، كذا في «القاموسِ»[٧].

---

(١) من قوله: «في حاشيتِهِ على البيضاويِّ: رأيتُ في بعض... إلى قوله: قرية بقرب القدس»: ليست في (ص).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٤٣).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١١١٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٩٧، ٩٨).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١١٢).

(٦) في هامش (م): «بذال معجمة في نسخة المؤلف».

(٧) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٧).

فضربه ﴿فانفجَرَتْ﴾: انشقّتْ وسالتْ ﴿مِنهُ اثنَتا عَشْرةَ عَينًا﴾ بعدد الأسباط ـ ﴿قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾: سِبطٍ منهم ﴿مَشرَبَهُم﴾: موضعَ شُربهم، فلا يَشرَكهم فيه غيرُهم ـ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا واشرَبُوا مِن رِزقِ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾: حالٌ مؤكّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلّثة: أفسَدَ.

٦١ ـ ﴿وإذ قُلتُم: يا مُوسَى، لَن نَصبِرَ علَى طَعامٍ﴾، أي: نوعٍ منه ﴿واحِدٍ﴾. وهو المَنّ والسَّلوى. ﴿فادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُخرِجْ لَنا﴾ شيئًا ﴿مِمّا تُنبِتُ الأرضُ مِن﴾: للبيان ﴿بَقلِها وقِثّائها وفُومِها﴾: حِنطتِها ﴿وعَدَسِها وبَصَلِها. قالَ﴾ لهم موسى: ﴿أتَستَبدِلُونَ الَّذي هُوَ أدنَى﴾: أخسُّ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾: أشرفُ؟ أي: أتأخذونه بَدَلَه؟ والهمزة للإنكار.

فأبَوا أن يرجِعوا فدعا اللهَ، فقال تعالى: ﴿اهبِطُوا﴾: انزِلوا ﴿مِصرًا﴾ من الأمصار. ﴿فإنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿ما سألتُم﴾ من النّبات. ﴿وضُرِبَتْ﴾: جُعِلتْ ﴿علَيهِمِ الذِّلّةُ﴾: الذلُّ والهوان ﴿والمَسكَنةُ﴾، أي: أثرُ الفقر. من السكون والخِزي ـ فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء، لزومَ الدرهمِ المضروب لِسكّته ـ ﴿وباؤُوا﴾: رَجَعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ. ذلِكَ﴾ أي: الضربُ والغضب ﴿بِأنَّهم﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريّاءَ ويحيى، ﴿بِغَيرِ الحَقِّ﴾ أي: ظلمًا. ﴿ذلِكَ بِما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحدّ في المعاصي. وكرّره للتأكيد.

قولُه: (فَضَرَبَهُ) إشارةٌ إلى أنَّ الفاءَ فصيحةٌ متعلِّقةٌ بمحذوفٍ؛ أي: فضربَ فانفجرَت، أو: فإن ضربتَ فقدِ انفجرَت، ومن زعمَ أنَّ الفاء على تقديرِ الشَّرطِ ليست بفصيحةٍ إنَّما هي جزائيَّةٌ فقد وهمَ.

قولُه: (حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ) الأولى أن يُقالَ: التَّقديرُ حالَ كونِكُم قاصدينَ الفسادَ.

قولُه: (حِنطَتِهَا) أو خبزِهَا أو حبوبِها، أو ثومِهَا، وقُرِئَ به[1].

قولُه: (قَالَ لَهُم مُوسَى) أو اللهُ.

قولُه: (مِنَ الأَمْصَارِ) وقيل: مصرُ المعروفُ، وجازَ صرفُهُ لسكونِ وسطِهِ، وقُرِئَ غير منوَّنٍ[2].

قولُه: (أي: الضَّرْبُ والغَضَبُ) قال: فالإفرادُ باعتبارِ ما ذُكِرَ.

قولُه: (أَي: ظُلْماً) يعني: حتَّى في زعمِهِم أيضاً.

قولُه: (وكَرَّرَهُ) أي: اسمَ الإشارةِ.

قولُه: (للتَّأكِيْدِ) قيلَ: تكريرُ لفظِ ذلك الأوَّلِ إشارةٌ إلى أنَّ الهوانَ والمسكنةَ كما أنَّ سببَهُما الكفرُ والقتلُ،

---

(١) أي: ﴿وثومها﴾ وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٤) ونسبت لابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) أي: ﴿مِصْرَ﴾ وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٤) ونسبت للأعمش.

٦٢ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالأنبياء من قبلُ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾: طائفةً من اليهود أو النصارى، ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في زمن نبيّنا، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بشريعَته، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. رُوعيَ في ضمير «آمَنَ» و«عَمِلَ» لفظ «مَن»، وفيما بعده معناها.

٦٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عَهدَكم بالعمل بما في التوراة، ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: الجبلَ، اقتلعناه من أصله عليكم، لمّا أبيتم قَبولها، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بجِدٍّ واجتهادٍ، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النارَ أو المعاصيَ. ٦٤ ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاقِ عن الطاعة. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الهالكين.

٦٥ ـ ﴿وَلَقَدْ﴾ ـ لامُ قسَمٍ ـ ﴿عَلِمْتُمُ﴾: عَرَفتمُ ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: تجاوزوا الحدَّ ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السَّمك، وقد نهيَناهم عنه ـ وهم أهل أيلةَ ـ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: مُبعَدِينَ. فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيّام، ٦٦ ـ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: تلك العقوبةَ ﴿نَكَالًا﴾: عِبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للأُمم التي في زمانها أو بعدها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ. وخُصّوا بالذكر لأنّهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم.

٦٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، وقد قُتل لهم قتيلٌ لا يُدرَى قاتلُه، وسألوه أن يدعوَ اللهَ أن يُبيّنه لهم فدعاه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً. قَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: مَهزوءًا بنا، حيث تُجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿قَالَ: أَعُوذُ﴾: أمتنعُ ﴿بِاللهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: المُستهزِئينَ.

سببُهُما المعاصي واعتداءُ حدودِ اللهِ، ويحتملُ أن يكونَ ذلك الثّاني إشارةً إلى الكفرِ وقتلِ الأنبياءِ؛ فإنَّ المعاصِي يريدُ بها الكفرَ.

قولُه: (بِالأَنبيَاءِ مِنْ قَبْلُ) وفي «المداركِ»[1]: أي: بألسنتِهم وهمُ المنافقون، وهو الأظهرُ.

قولُه: (﴿وَ﴾ قَد) إشارةٌ إلى أنَّ الجملةَ حالٌ.

قولُه: (عَنِ الطَّاعَةِ) متعلِّقٌ بـ«أعرضْتُم».

قولُه: (عَرَفْتُم) لتعديتِهِ إلى مفعولٍ واحدٍ.

قولُه: (أَهْلُ أَيلَةَ) موضعٌ بين مصرَ وينبعَ وعقبتِها، كذا في «القاموسِ»[2].

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٩٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٤).

فلمّا علموا أنه عزم، ٦٨ ـ ﴿قالُوا: ادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ﴾؟ أي: ما سِنّها؟ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿إنَّهُ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ: إنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ﴾: مُسِنّةٌ، ﴿ولا بِكرٌ﴾: صغيرةٌ، ﴿عَوانٌ﴾: نصَفٌ ﴿بَينَ ذلِكَ﴾ المذكور من السِّنَّين. ﴿فافعَلُوا ما تُؤمَرُونَ﴾ به من ذبحها. ٦٩ ـ ﴿قالُوا: ادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما لَونُها؟ قالَ: إنَّهُ يَقُولُ: إنَّها بَقَرَةٌ صَفراءُ فاقِعٌ لَونُها﴾: شديد الصُّفرةِ، ﴿تَسُرُّ النّاظِرِينَ﴾ إليها بحسنها، أي: تُعجبهم.

٧٠ ـ ﴿قالُوا: ادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ﴾: أسائمةٌ أم عاملة؟ ﴿إنَّ البَقَرَ﴾ أي: جِنسَه المنعوت بما ذُكر ﴿تَشابَهَ علَينا﴾ لكثرته، فلم نهتدِ إلى المقصودة، ﴿وإنّا ـ إن شاءَ اللهُ ـ لَمُهتَدُونَ﴾ إليها. وفي الحديث «لَو لَم يَستثنُوا لَما بُيِّنتْ لَهُم آخِرَ الأبَدِ»..........

قولُه: (عَزَمَ) أي: جَدَّ.

قولُه: (سِنُّهَا) على حذفِ مضافٍ.

قولُه: (نَصَفٌ) أي: وسطٌ.

قولُه: (بِهِ) إشارةٌ إلى الحذفِ والإيصالِ.

قولُه: (مِنْ ذَبحِهَا) مِن بيانيَّةٌ.

قولُه: (أي: تُعجِبُهُم) عنِ ابنِ عبَّاسٍ: من لبسَ نعلاً أصفرَ لم يزل في سرورٍ ما دامَ لابساً له، وذلك قولُهُ تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ﴾، كذا في «الدُّرِّ»[1].

قولُه: (أَسَائِمَةٌ أَمْ عَامِلَةٌ؟) فقولُه: ﴿مَا هِيَ﴾ أي: ما صِفتُها من السَّومِ والعملِ؟

قولُه: (فِي الحَدِيثِ) ذكرَهُ في «الدُّرِّ»[2] عن [ابن] جريجٍ[3]، [و][4]ابنِ أبي حاتمٍ وابنِ مردَويه عن أبي هريرةَ يرفعُهُ، وفيه: «ولو أنَّهُمُ اعترضُوا بقرةً مِن البقرِ لأجزَأَتْ عنهم، ولكنَّهُم شدَّدُوا فشدَّدَ اللهُ عليهِم»[5].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ١٩١).

والأثر رواه ابن أبي خاتم في «تفسيره» (٧٠٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٣٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٦٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٣) (١٠٦١٢)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩١٥).

قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٦/ ٢٢٨): قال أبي: هذا حديث كذب موضوع.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٣٩): رواه الطبراني، وفيه ابن العذراء غير مسمى ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (١/ ١٨٩، ١٩٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢٤٢) عن ابن جريج مرسلًا.

(٤) ما أضفته بين معكوفتين لتستقيم العبارة، وممكن أن تجعل على الشكل التالي: ذكره في الدر من تخريج ابن....

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة =

٧١ ـ ﴿قالَ: إنَّهُ يَقُولُ: إنَّها بَقَرَةٌ، لا ذَلُولٌ﴾: غيرُ مُذلَّلة بالعمل ﴿تُثِيرُ الأرضَ﴾: تُقلِّبُها للزراعة ـ والجملة: صفة «ذلول» داخلةٌ في النفي ـ ﴿ولا تَسقِي الحَرْثَ﴾: الأرضَ المُهيّأة للزراعة، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل، ﴿لاشِيَةَ﴾: لَونَ ﴿فِيها﴾ غيرُ لونها.

﴿قالُوا: الآنَ جِئتَ بِالحَقِّ﴾: نطقتَ بالبيان التامّ. فطلبوها فوجدوها عند الفتى البارّ بأُمّه،........

قولُه: (الأَرْضَ المُهَيَّأَةَ للزَّرعِ) الأَولى أنَّ الحرث منها بمعنى: المحروثِ.

قولُه: (عِنْدَ الفَتَى البَارِّ بأُمِّهِ) والقصَّةُ في ذلك: أنَّهُ كانَ في بني إسرائيلَ رجلٌ صالحٌ له ابنٌ طفلٌ وله عِجْلةٌ، أتى بها إلى غيضةٍ وقالَ: اللَّهمَّ إنِّي أستودعُكَ هذه العِجْلةَ لابني حتَّى يكبرَ، وماتَ الرَّجلُ فصارَتِ العِجْلةُ في الغيضَةِ عَواناً، وكانت تهربُ من كلِّ مَن رآهَا، فلمَّا كبرَ الابنُ وكان بارًّا بوالدتِهِ، وكان يقسمُ اللَّيلةَ ثلاثةَ أثلاثٍ؛ يصلِّي ثلثاً وينامُ ثلثاً ويجلسُ عند رأسِ أمِّهِ ثلثاً.

فلمَّا أصبحَ انطلقَ فاحتطبَ على ظهرِهِ، فيأتي به السُّوقَ فيبيعُهُ بما شاءَ اللهُ، ثمَّ يتصدَّقُ بثلثِهِ ويأكلُ ثلثَهُ، ويُعطي والدتَهُ ثلثَهُ، فقالت له أمُّهُ يوماً: إنَّ أباكَ ورَّثَكَ عِجْلةً استودَعَها اللهَ في غيضةِ كذا، فانطلِقْ وادعُ إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ أن يردَّهَا عليك، وعلامتُهَا أنَّكَ إذا نظرتَ إليها يخيَّلُ إليك أنَّ شعاعَ الشَّمسِ يخرجُ من جلدِهَا، وكانت تلك البقرةُ تُسَمَّى المذهَّبةَ[1] لحسنِهَا وصفرتِهَا.

فأتى الفتى الغيضَةَ فرآهَا ترعى، فصاحَ بها وقال: أعزمُ عليكِ بإله إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ، فأقبلَت تسعى حتَّى قامَتْ بين يديهِ، فقبضَ على عنقِها يقودُهَا فتكلَّمَتِ البقرةُ بإذنِ اللهِ تعالى وقالَت: أيُّها الفتى البارُّ بوالدتِهِ! اركبنِي فإنَّ ذلك أهونُ عليك، فقالَ الفتى: إنَّ أمِّي لم تأمرْنِي بذلك، ولكن قالَتْ: خذ بعنقِهَا، فقالَتِ البقرةُ: بإلهِ بني إسرائيلَ لو ركبْتَني ما كنت تقدرُ عليَّ أبداً، فانطلِق فإنَّكَ لو أمرْتَ الجبلَ أن ينقلعَ من أصلِهِ وينطلِقَ معك لفعلَ لبرِّكَ بأمِّكَ.

فسارَ الفتى بها إلى أمِّهِ فقالت له[2]: إنَّكَ فقيرٌ[3] لا مالَ لك، ويشقُّ عليك الاحتطابُ بالنَّهارِ والقيامُ باللَّيلِ، فانطلِق فبع هذه البقرةَ، فقالَ[4]: بكم أبيعُهَا؟ قالت: بثلاثةِ دنانيرَ، ولا تبعْ بغيرِ مشورتي، وكان ثمنُ البقرةِ ثلاثةَ دنانيرَ.

= رضي الله عنه، إلا بهذا الإسناد.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٤): رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات.

(١) في (ص): «الذهبية».

(٢) في (م)زيادة: «أمه».

(٣) في (م) زيادة: «الحال».

(٤) في (ص) زيادة: «لها».

فاشتروها بمِلء مَسكِها ذَهبًا. ﴿فذَبَحُوها وما كادُوا يَفعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها. وفي الحديث: «لَو ذَبَحُوا أيَّ بَقَرةٍ كانَتْ لأجزأتهم، ولكِنْ شَدَّدُوا على أنفُسِهم فشَدَّدَ اللهُ علَيهِم».

٧٢ ـ ﴿وإذ قَتَلتُم نَفْسًا فادّارأتُم﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال ـ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيها، واللهُ مُخرِجٌ﴾: مظهرٌ ﴿ما كُنتُم تكتُمُونَ﴾ من أمرها ـ........

فانطلقَ بها إلى السُّوقِ فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ ملَكاً ليُري خلقَهُ قدرتَهُ، وليختبرَ الفتى كيف برُّهُ بوالدتِهِ؟ وكان اللهُ به خبيراً، فقالَ الملَكُ له: بكم تبيعُ هذه البقرةَ؟ فقالَ: بثلاثةِ دنانيرَ، وأشترِطُ عليك رضا والدتي، فقالَ الملَكُ: لك ستَّةُ دنانيرَ ولا تستأمِر والدتَكَ، فقال الفتى: لو أعطيْتَني وَزنَها ذهباً لم آخذْهُ إلَّا برضا أمِّي.

فردَّها إلى أمِّهِ فأخبرَها بالثَّمنِ فقالت: ارجع فبعها بستَّةِ دنانيرَ على رضًا منِّي، فانطلقَ بها إلى السُّوقِ، فأتى الملَكُ فقال: استأمرْتَ أمَّكَ؟ فقالَ الفتى: إنَّها أمرَتْني أن لا أنقصَهَا من ستَّةِ دنانيرَ على أن أستأمرَهَا، فقالَ الملَكُ: إنِّي أعطيكَ اثني عشرَ ديناراً على أن لا تستأمرَهَا، فأبى الفتى ورجعَ إلى أمِّهِ فأخبرَهَا بذلك، فقالت: إنَّ الَّذي يأتيكَ ملَكٌ يأتيكَ في صورةِ آدميٍّ ليجرِّبَكَ، فإذا أتاكَ فقل له: أتأمرُنَا أن نبيعَ هذه البقرةَ أم لا؟ ففعلَ، فقالَ الملَكُ له: اذهب إلى أمِّكَ وقل لها: أمسِكِي هذه البقرةَ؛ فإنَّ موسى بن عمرانَ يشتريها منك لقتيلٍ يُقتَلُ في بني إسرائيلَ، فلا تبيعُوها إلَّا بملءِ مَسْكِهَا دنانيرَ.

فأمسكُوهَا، وقدَّرَ اللهُ تعالى على بني إسرائيلَ ذبحَ تلك البقرةِ بعينِهَا، فما زالُوا يستوصفُونَ حتَّى وصفَهُمُ اللهُ تلك البقرةَ مكافأةً له على برِّهِ بوالدتِهِ فضلاً منه ورحمةً، كذا في «تفسيرِ البغويِّ»[١]، وإنَّما أطلْتُ الكلامَ على خلافِ المرامِ لمقتضَى المقامِ من نظمِ الفرائدِ[٢] في سلكِ الانتظامِ.

قولُه: (بِمَسْكِهَا) المَسْكُ ـ بالفتحِ والسُّكونِ ـ : الجلدُ.

قولُه: (لغَلاءِ ثَمَنِهَا) أو قيل: ذلك لكثرةِ مراجعتِهِم.

قولُه: (إِدْغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ) أي: أصلُهُ تدارأتُم، فأُبدلَتِ التَّاءُ دالاً وسُكِّنت، ثمَّ أُدغِمتْ في الدَّالِ، ثمَّ اجتُلِبَت همزةُ الوصلِ.

قولُه تعالى: ﴿فِيْهَا﴾ أي: في قاتِلِها.

قولُه: (مِنْ أَمرِهَا) وكذا من أمرِ غيرِهَا، عن عثمانَ رضي اللهُ عنهُ: «من عملَ عملاً كساهُ اللهُ رداءَهُ إن خيراً فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ»، كذا في «الدُّرِّ»[٣].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٢٨). وظاهره أنه من الإسرائيليات وحالها معروف.

(٢) في (ص): «الفوائد».

(٣) انظر: «الدر المنثور» (١/ ١٩٢).

وهذا اعتراض وهو أوّل القصة ـ ٧٣ ـ ﴿فقُلنا: اضرِبُوهُ﴾ أي: القتيلَ ﴿بِبَعضِها﴾. فضُرِبَ بلسانها أو عَجْبِ ذنبها، فحَيِيَ وقال: «قتلني فلانٌ وفلانٌ» لِابْنَي عمّه، ومات فحُرِما الميراثَ وقُتلا. قال تعالى: ﴿كَذلِكَ﴾ الإحياءِ ﴿يُحيِي اللهُ المَوتَى، ويُرِيكُم آياتِهِ﴾: دلائلَ قُدرته، ﴿لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾: تتدبّرون، فتعلمون أن القادرَ على إحياء نفس واحدة قادرٌ على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

٧٤ ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾، أيها اليهود: صَلُبَتْ عن قبول الحقّ ﴿مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ المذكور، من إحياء القتيل وما قبلَه من الآيات، ﴿فهِيَ كالحِجارةِ﴾ في القسوة، ﴿أو أشَدُّ قَسْوةً﴾ منها ـ..........

قولُه: (وَهَذا اعْتِرَاضٌ) أي: بين المعطوفِ والمعطوفِ عليهِ، وهما: ﴿ادَّارَأْتُمْ﴾ و﴿فَقُلْنَا﴾.

قولُه: (وَهُو) أي: وإذ قَتَلتُم.

قولُه: (أَوَّلُ القِصَّةِ) يعني: وإن كانَتْ متأخِّرةً في التِّلاوةِ، والقصَّةُ فيه أنَّهُ كان في بني إسرائيلَ رجلٌ غنيٌّ وله ابنُ عمٍّ فقيرٌ لا وارثَ له سواهُ، فلمَّا طالَ عليه موتُهُ قتلَهُ ليرثَهُ، وحملَهُ إلى قريةٍ أخرى فألقَاهُ بفنائِهِم، ثمَّ أصبحَ يطلبُ ثأرَهُ، وجاءَ بناسٍ إلى موسى يدَّعي عليهمُ القتلَ، فسألَهُم موسى فجَحدوا، فاشتبَهَ أمرُ القتيلِ على موسى[١].

قالَ الكلبيُّ[٢]: وذلك قبلَ نزولِ القسامةِ في التَّوراةِ، فسألُوا موسى أن يدعوَ اللهَ ليبيِّنَ لهم بدعائِهِ[٣]، فأمرَ بذبحِ بقرةٍ.

قولُه: (أو عَجْبِ ذَنَبِهَا) العَجْبُ ـ بفتحِ العينِ المهملةِ وسكونِ الجيمِ وبالموحَّدةِ ـ : أصلُ الذَّنبِ[٤]، وقيل: ضربَ بفَخِذِها أو بعظمٍ من عظامِهَا أو بذنبِهَا أو بعضوٍ من أعضائِهَا[٥].

قالَ تعالى: (﴿أَوْ أَشَدُّ﴾) أو للتَّخييرِ، أو بمعنى بل فهو أبلغُ، أو للتَّنويعِ، أو بمعنى الواوِ.

= والأثر رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٢٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٧٧٧)، وأبو داود في «الزهد» (٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٤٢)، وقال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوفاً على عثمان وقد رفعه بعض الضعفاء.

(١) روى نحوها الطبري في «تفسيره» (١٣٠٠) عن ابن جريج، عن مجاهد ـ وحجاج عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٣٧١)، والبغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٢٧).

(٣) في (م) زيادة: «فدعا».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٢).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٤٥).

﴿وإنَّ مِنَ الحِجارةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنهُ الأنهارُ، وإنَّ مِنها لَما يَشَّقَّقُ﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الشين - ﴿فيَخرُجُ مِنهُ الماءُ، وإنَّ مِنها لَما يَهبِطُ﴾: ينزل من علوّ إلى سفلٍ ﴿مِن خَشْيةِ اللهِ﴾، وقلوبكم لا تتأثّر ولا تلين ولا تخشع، ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾، وإنّما يؤخّركم لوقتكم. وفي قراءة بالتحتيّة، وفيه التفات عن الخِطاب.

٧٥ - ﴿أفتَطمَعُونَ﴾ - أيّها المؤمنون - ﴿أن يُؤمِنُوا﴾ أي: اليهودُ ﴿لَكُم، وقَد كانَ فَرِيقٌ﴾: طائفة ﴿مِنهُم﴾: أحبارهم ﴿يَسمَعُونَ كَلامَ اللهِ﴾ في التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يُغيِّرونه ﴿مِن بَعدِ ما عَقَلُوهُ﴾: فهموه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم مفترُون؟ والهمزة للإنكار أي: لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر ٧٦ - ﴿وإذا لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا﴾ بأن محمدًا نبيّ، وهو المبشَّر به في كتابنا، ﴿وإذا خَلا﴾: رَجَعَ ﴿بَعضُهم إلَى بَعضٍ قالُوا﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق: ﴿أتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المؤمنين ﴿بِما فَتَحَ اللهُ عَلَيكُم﴾ أي: عرّفكم في التوراة من نعت محمّد، ﴿لِيُحاجُّوكُم﴾: ليُخاصموكم - واللام للصيرورة - ﴿بِهِ عِندَ رَبِّكُم﴾ في الآخرة، ويُقيموا عليكم الحُجّة في ترك اتِّباعه مع علمكم بصدقه؟ ﴿أفَلا تَعقِلُونَ﴾ أنهم يُحاجّونكم إذا حدّثتموهم فتنتهوا؟

قالَ تعالى: (﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾) متعلِّقةٌ بالأفعالِ السَّابقةِ، فإن قيلَ: الحجَرُ جمادٌ لا يفهمُ، فكيف يَخشى؟ قيل: اللهُ يُفهِمُها ويُلهِمُها، ومذهبُ أهلِ السُّنَّةِ أنَّ للهِ علماً في الجماداتِ وسائرِ الحيواناتِ سوى العقلاءِ لا يقفُ عليه غيره، فلها صلاةٌ وتسبيحٌ وخشيةٌ، فيجبُ على المرءِ الإيمانُ به، ويكلُ علمَهُ إلى الله سبحانَهُ، كذا ذكرَهُ البغويُّ[1]، والأدلَّةُ الدالَّةُ عليه كثيرةٌ يظهرُ بها أهْلِ البصيرةِ، لكن يطولُ ذكرُهَا ويجولُ فكرُهَا.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: لابنِ كثيرٍ[2].

قولُه: (عَنِ الخِطَابِ) أي: إلى الغَيبةِ.

قولُه: (أَحبَارُهُم) أي: علماؤُهُم.

قولُه تعالى: (﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾) أي: أتخبرونَهُم.

قولُه: (للصَّيرُورَةِ) أي: للمآلِ والعاقبةِ، كقولِهِم: «لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ»[3].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٣٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠١).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وساق الحديث، وفيه: وملك بباب آخر ينادي: يا بني آدم، فذكره، واللفظ لأبي الشيخ.

وهو ضعيف على ما في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للمصنف (ص: ٢٧٦).

٧٧ـ قال تعالى: ﴿أَوَلا يَعلَمُونَ﴾ ـ الاستفهام للتقرير، والواو الداخلُ عليها للعطف ـ ﴿أَنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾: ما يُخفون وما يُظهرون من ذلك وغيره، فيرعَوُوا عن ذلك؟ ٧٨ ـ ﴿ومِنهُم﴾ أي: اليهودِ ﴿أُمّيُّونَ﴾: عَوامٌّ، ﴿لا يَعلَمُونَ الكِتابَ﴾: التوراةَ ﴿إلّا﴾ لكنْ ﴿أمانِيَّ﴾: أكاذيبَ تلقَّوها من رؤسائهم فاعتمدوها، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿هُم﴾، في جحد نبوّة النبيّ وغيره ممّا يختلقونه، ﴿إلّا يَظُنُّونَ﴾ ظنًّا ولا عِلمَ لهم. ٧٩ ـ ﴿فوَيلٌ﴾: شِدّةُ عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بِأيدِيهِم﴾ أي: مختلَقًا مِن عندهم، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ: هذا مِن عِندِ اللهِ. لِيَشتَرُوا بهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا، وهم اليهود غيَّروا صفةَ النبيّ ﷺ في التوراة وآيةَ الرَّجمِ وغيرَها، وكتبوها على خلاف ما أُنزِل. ﴿فوَيلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَتْ أيدِيهِم﴾ من المُختلَق،

قولُه: (والوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَيهَا) أي: على الجملةِ بعدها.

وقولُه: (لِلعَطْفِ) أي: لعطفِ الجملةِ على ما قبلَها، والتَّقديرُ: ألا يتأمَّلُونَ ولا يعلمُونَ، أو المرادُ: أنَّ الواوَ في الحقيقةِ هي الدَّاخلةُ على همزةِ الاستفهامِ للعطفِ على الجملةِ السَّابقةِ، وإنَّما أُخِّرَتِ الواوُ لصدارةِ الاستفهامِ.

قولُه: (فَيَرْعَوُوا) مِن الارعواءِ: وهو حسنُ الرُّجوعِ.

قولُه: (لَكِن) يعني: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: لكن لهم أمانيُّ.

قولُه: (شِدَّةُ عَذَابٍ) أو وادٍ في جهنَّمَ[1]، أو هلاكٌ عظيمٌ[2].

قولُه: (مِنَ الدُّنيَا) كانت لهم مأكلةٌ يعطيهم إيَّاها السَّفلةُ، كذا في «الدُّرِّ»[3].

قولُه: (مِنَ المُخْتَلَقِ) بفتحِ اللَّامِ؛ أي: المفترَى.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٦٤)، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «ويل وادٍ في جهنم».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة.

لم ينفرد وإنما تابعه عمرو بن الحارث عن دراج بسنده، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٦٤).

قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٢): لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى، ولكن الآفة ممن بعده، وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكر.

(٢) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٧٣٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٠٢).

والأثر رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه وفي «الدر»: يطعمهم، بدل: يعطيهم.

﴿وَوَيلٌ لَهُم مِمّا يَكسِبُونَ﴾ من الرُّشا.

٨٠ ـ ﴿وقالُوا﴾ لمّا وعدَهم النبيُّ النارَ: ﴿لَن تَمَسَّنا﴾: تُصيبَنا ﴿النّارُ إلّا أيّامًا مَعدُودةً﴾: قليلةً أربعين، مُدّةَ عِبادة آبائهم العِجلَ، ثم تزولُ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد: ﴿أتَّخَذْتُم﴾ ـ حُذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ـ ﴿عِندَ اللهِ عَهْدًا﴾: مِيثاقًا منه بذلك، ﴿فلَن يُخلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ به؟ لا. ﴿أم﴾: بل ﴿تَقُولُونَ علَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾. ٨١ ـ ﴿بَلَى﴾ تَمَسُّكم وتَخلدون فيها، ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شِركًا، ﴿وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بالإفراد والجمع، أي: استولتْ عليه وأحدقتْ به من كلّ جانب بأن مات مُشرِكًا، ﴿فأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾ ـ رُوعي فيه معنى «مَن» ـ ٨٢ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

قولُه: (مِنَ الرِّشَا) جمعُ الرِّشوةِ؛ مثلَّثةُ الرَّاءِ[١].

قولُه: (النَّارَ) وفي نسخةٍ: «بالنَّارِ» في «القاموسِ»[٢]: يقالُ: وعدَهُ الأمرَ وبه في الخيرِ والشَّرِّ.

قولُه: (أَرْبَعِينَ) وقيل: سبعةُ آلافٍ عمرُ الدُّنيا[٣].

قولُه: (استِغْنَاءً) لا يظهرُ له وجهٌ إلَّا أن يُقالَ: همزةُ الوصلِ إنَّما تكونُ للاستعانةِ بالابتداءِ بالسَّاكنِ، فإذا كانت همزةُ الاستفهامِ دخلَتْ عليها استُغنيَ بها عنها، أو المرادُ: بالاستغناءِ بها؛ أي: بكتابةِ همزةِ الاستفهامِ عن كتابةِ همزةِ الوصلِ، فإنَّ الأصلَ فيها أن تكونَ ثابتةً في الكتابةِ، لكنَّ قاعدةَ الرَّسمِ أنَّه إذا اجتمعَتِ الهمزتانِ لا يُكتبُ إلَّا واحدةٌ، فأشارَ إلى أنَّ الثَّابتةَ هي الاستفهاميَّةُ، والأَولى أن يُقالَ: حذَفَ لعدمِ الاشتباهِ، بخلافِ نحو ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] فإنَّه لم يَحذِف، بل أبدَلَ أو سَهَّلَ حتَّى لا تشتبهَ الاستفهاميَّةُ بالخبريَّةِ، والفرقُ أنَّ همزةَ الوصلِ في هذا الموضعِ مكسورةٌ، فلا إلباسَ، بخلافِ ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾.

قولُه: (والجَمْعِ) قراءةُ نافعٍ[٤].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٨٨).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٦).

(٣) انظر: «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٠٥).

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٩٣): كل ما ورد مما فيه تحديد لوقت يوم القيامة على التعيين فإما أن يكون لا أصل له.....

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٢).

٨٣ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ﴾ في التوراة، وقلنا: ﴿لا تَعبُدُونَ﴾، بالتاء والياء، ﴿إلّا اللهَ﴾. خبرٌ بمعنى النهي، وقُرِئَ: «لا تَعبُدُوا» ـ ﴿و﴾ أحسِنوا ﴿بالوالِدَينِ إحسانًا﴾: برًّا ﴿وذِي القُربى﴾: القرابةِ، عطفٌ على «الوالدَين»، ﴿واليَتامَى والمَساكِينِ، وقُولُوا لِلنّاسِ﴾ قولاً ﴿حَسَنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمّد، والرفق بهم ـ وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون السين، مصدر وُصف به مبالغةً ـ ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾، فقبلتُم ذلك، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيتُم﴾: أعرضتم عن الوفاء به ـ فيه التفات عن الغَيبة والمرادُ آباؤهم ـ ﴿إلّا قَلِيلاً مِنكُم. وأنتُم مُعرِضُونَ﴾ عنه كآبائكم.

٨٤ ـ ﴿وإذ أخَذْنا مِيثاقَكُم﴾، وقلنا: ﴿لا تَسفِكُونَ دِماءَكُم﴾: تُريقونها بقتل بعضكم بعضًا، ﴿ولا تُخرِجُونَ أنفُسَكُم مِن دِيارِكُم﴾: لا يُخرِجُ بعضكم بعضًا من داره، ﴿ثُمَّ أقْرَرتُم﴾: قبلتم ذلك المِيثاق، ﴿وأنتُم تَشهَدُونَ﴾ على أنفسكم.

٨٥ ـ ﴿ثُمَّ أنتُم﴾ يا ﴿هؤُلاءِ تَقتُلُونَ أنفُسَكُم﴾ بقتل بعضكم بعضًا، ﴿وتُخرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُم مِن دِيارِهِم، تَظّاهَرُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء..................................

قولُه: (والياءِ) أي: الغيبةِ لابنِ كثيرٍ وحمزةَ والكسائيِّ؛ لأنَّهُم غُيَّبٌ، والباقُونَ بالخطابِ[1] حكايةً لما خُوطِبوا.

قالَ تعالى: (﴿إِلَّا اللهَ﴾) فيه التفاتٌ من التَّكلُّمِ إلى الغَيبةِ لما في الاسمِ الظَّاهرِ من الفَخَامةِ.

قولُه: (وقُرِئَ) أي: شاذًّا[2]؛ أي: على النَّهي، فالمرادُ بالنَّفي النَّهيُ مبالغةً، ولذا قدَّرَ: وأحسِنُوا، لا: ويحسِنُونَ، وعطفَ عليه: وقولُوا بإرادةِ القولِ؛ أي: وقلنا لهم، أو قائلينَ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: لغير حمزةَ والكسائيِّ[3]؛ فإنَّهما قَرَأا بالفتحتَينِ على الوصفِ.

قولُه: (فَقَبِلْتُم) قدَّرَ هذا لتصحيحِ عطفِ ما بعدَهُ.

قولُه: (فِيهِ التِفَاتٌ عَنِ الغيبَةِ) أي: في: ﴿أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الخطابِ في: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾.

قولُه: (كَآبَائِكُم) أو: وأنتُم ثابتونَ على الإعراضِ على عادتِكُم، قيل: ولعلَّ الخطابَ مع الموجودينَ ومن قبلَهُم على التَّغليبِ؛ أي: أنتُم وآباؤكُم قومٌ عادَتُكُم الإعراضُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٢).

(٢) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٥) ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٣).

وفي قراءة بالتخفيف على حذفها ـ تتعاونون ﴿عليهم بالإثم﴾: بالمعصية ﴿والعُدوانِ﴾: الظلم ـ ﴿وإن يأتوكُم أُسارَى﴾ وفي قراءة «أسرَى» ﴿تَفدُوهُم﴾، وفي قراءة «تُفادُوهُم»: تُنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو ممّا عُهد إليهم ـ ﴿وهُوَ﴾ أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ علَيكُم إخراجُهُم﴾ متصلٌ بقوله «وتُخرجون» والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حُرّمَ تركُ الفِداء.

وكانت قُرَيظةُ حالفوا الأوسَ والنَّضيرُ الخزرجَ، وكان كلّ فريق يقاتل مع حُلفائه ويُخرّب ديارهم ويُخرجهم، فإذا أُسِروا فدَوهم. وكانوا إذا سُئلوا: لَمَ تُقاتلونهم وتَفدونهم؟ قالوا: أُمرنا بالفِداء. فيقال: فلمَ تُقاتلونهم؟ فيقولون: حياءَ أن يُستَذلّ حُلفاؤنا.

قال تعالى: ﴿أفتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ﴾ ـ وهو الفِداء ـ ﴿وتَكفُرُونَ بِبَعضٍ﴾، وهو تركُ القتلِ والإخراجِ والمظاهرةِ؟ ﴿فما جَزاءُ مَن يَفعَلُ ذلِكَ مِنكُم إلّا خِزيٌ﴾: هَوان وذلٌّ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا﴾ ـ وقد خَزُوا بقتل قُريظةَ ونفي النَّضير إلى الشام وضربِ الجزية ـ ﴿ويَومَ القِيامةِ يُرَدُّونَ إلَى أشَدِّ العَذابِ. وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء..

قولُه: (وَفِي قِرَاءَة) أي: للكوفيِّ[1].

قولُه: (عَلَى حَذْفِهَا) أي: إحدى التَّاءينِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: لحمزةَ[2]، وهو على القراءتينِ حالٌ من الفاعلِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: لنافعٍ وعاصمٍ والكسائيِّ: ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ من المفاداةِ، والباقونَ بفتحِ التَّاءِ وضمِّ الدَّالِ؛ ثلاثيٌّ[3].

قولُه: (تُنقِذُوْهُم) من الإنقاذِ؛ وهو التَّخليصُ.

قولُه: (قُرَيظَةُ) كجهينةَ و(النَّضِيْرُ) كأمير قبيلتانِ من يهودِ خيبرَ، و(الأَوْسُ) و(الخَزْرَجُ) حيَّانِ من الأنصارِ حين كانُوا مشركينَ.

قولُه: (حَالَفُوا) أي: عاهَدوا.

قولُه: (يُقَاتِلُ) أي: فريقاً آخرَ.

قولُه: (بِاليَاءِ) أي: الغيبةِ لنافعٍ وابن كثيرٍ وشعبةَ[4].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٤).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٠، ١٦١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٥).

٨٦ ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَياةَ الدُّنيا بِالآخِرةِ﴾، بأن آثروها عليها، ﴿فلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يمنعون منه.

٨٧ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراةَ، ﴿وقَفَّينا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في أثر رسول، ﴿وآتَينا عِيسَى بنَ مَريَمَ البَيِّناتِ﴾: المُعجِزاتِ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ﴿وأيَّدْناهُ﴾: قَوَّيناه ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾ ـ من إضافة الموصوف إلى الصفة ـ أي: الروحِ المقدَّسةِ جبريلَ لِطهارته، يسير معه حيثُ سار، فلم تستقيموا.

﴿أفكُلَّما جاءَكُم رَسُولٌ بِما لا تَهوَى﴾: تُحبُّ ﴿أنفُسُكُمُ﴾ من الحقّ ﴿استَكبَرتُم﴾: تكبّرتم عن اتّباعه، جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ، ﴿ففَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبتُم﴾ كعِيسى، ﴿وفَرِيقًا تَقتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: قتلتُم كزكريّاءَ ويحيى؟

٨٨ ـ ﴿وقالُوا﴾ للنبيّ استهزاءً: ﴿قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾ جمعُ أغلَفَ، أي: مُغشّاةٌ بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾: أبعدَهم عن رحمته وخَذلهم عن القَبول ﴿بِكُفرِهِم﴾، وليس عدمُ قَبولهم لخَللٍ في قلوبهم، ﴿فقَلِيلاً ما يُؤمِنُونَ﴾ ما: زائدة لتأكيد القلّة، أي: إيمانهم قليل جدًّا.

قولُه: (أَتبَعْنَاهُم) أي: إيَّاهُ، يُقالُ: قفَّاهُ به؛ أي: أتبعَهُ إيَّاهُ[١].

قالَ تعالى: (﴿بِرُوْحِ القُدسِ﴾) بسكونِ الدَّالِ حيث جاءَ لابن كثيرٍ[٢].

قولُه: (﴿فَفَرِيْقًا﴾ مِنْهُم) أي: من[٣] الرُّسلِ، الدَّالُّ عليه ﴿رَسُوْلٌ﴾.

قولُه: (لِحِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ) استحضاراً للصُّورةِ الشَّنيعةِ مع مراعاةِ الفاصلةِ، والإشارةُ إلى همِّهِم بقتلِ عيسى وقصدِهِم قتلَ نبيِّنا عليهما السَّلامُ.

قولُه: (قَتَلْتُم) من قبيلِ: قتلَ بنو فلانٍ، وإنَّما القاتلُ واحدٌ، ولمَّا رضوا بقتلِهِم فكأنَّما قَتلوهُم.

قولُه: (بَلِ للإِضْرَابِ) أي: ردًّا لما قالوا.

قولُه: (لخَلَلٍ) أي: ابتداءً وفطرةً.

قولُه: (قَلِيلٌ جِدًّا) هو إيمانُهُم ببعضِ الكتابِ، وقيل: القلَّةُ بمعنى العدمِ[٤].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٣٢٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٥).

(٣) في (م) و(د): «في».

(٤) انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٥١٤).

٨٩ ـ ﴿ولَمّا جاءَهُم كِتابٌ مِن عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُم﴾ من التوراة ـ وهو القرآن ـ ﴿وكانُوا مِن قَبلُ﴾: قبلِ مجيئه ﴿يَستَفتِحُونَ﴾: يَستنصرون ﴿علَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللّهمَّ، انصرْنا عليهم بالنبيّ المبعوث آخرَ الزمان، ﴿فلَمّا جاءَهُم ما عَرَفُوا﴾ من الحقّ ـ وهو بِعثة النبيّ ـ ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدًا وخوفًا على الرياسة. وجوابُ «لمّا» الأولى دلّ عليه جوابُ الثانية. ﴿فلَعْنَةُ اللهِ علَى الكافِرِينَ﴾.

٩٠ ـ ﴿بِئسَ ما اشتَرَوا﴾: باعُوا ﴿بِهِ أنفُسَهُم﴾ أي: حظَّها من الثواب، وما: نكرة بمعنى «شيئًا» تمييز لفاعل «بئس»، والمخصوص بالذمّ ﴿أن يَكفُرُوا﴾ أي: كفرُهم ﴿بِما أنزَلَ اللهُ﴾ من القرآن، ﴿بَغْيًا﴾: مفعول له لـ «يكفروا» أي: حَسدًا على ﴿أن يُنزِلَ اللهُ﴾، بِالتخفيف والتشديد، ﴿مِن فَضلِهِ﴾: الوحيَ ﴿علَى مَن يَشاءُ﴾ للرسالة ﴿مِن عِبادِهِ! فباؤُوا﴾: رجَعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل ـ والتنكيرُ للتعظيم ـ ﴿علَى غَضَبٍ﴾ استحقّوه من قبلُ بتضييع التوراة والكفر بعيسى، ﴿ولِلكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة.

قولُه: (مِنَ التَّورَاةِ) بيانٌ: ﴿لِمَا﴾، وهو راجعٌ إلى: ﴿كِتَابٌ﴾.

قولُه: (قَبلَ مَجِيئِهِ) أي: مجيءِ الكتابِ، والواو في قولِهِ: ﴿وَكَانُوا﴾ للحالِ، وقيل: للعطفِ على ﴿جَاءَهم﴾.

قولُه: (يَستَنْصِرُونَ) حين يقاتلونَ المشركينَ.

قولُه: (حَسَداً) أي: للعربِ حين[١] لم يكنْ من بني إسرائيلَ، كذا في «الدُّرِّ»[٢].

قولُه: (دَلَّ عَلَيهِ جَوَابُ الثَّانِيَةِ) أي: ﴿فلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، أو: ﴿لَمَّا﴾ الثَّانيةُ تكرارٌ للأوَّلِ، أُعيدَ للفصلِ؛ فإنَّ ما عرفُوا[٣] والكتابَ واحدٌ، والفاءُ للإشعارِ بأنَّ كفرَهُم كان عقبَ استفتائِهم به.

قولُه: (بِالتَّخفِيفِ) من الإنزالِ لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو[٤].

قولُه: (الوَحْيَ) مفعولٌ لـ﴿يُنَزِّلَ﴾.

قولُه: (مِنْ قَبْلُ) أي: قبل محمَّدٍ ﷺ.

---

(١) في (ص): «حيث».

(٢) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢١٦).

والأثر رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٣٦) عن ابن عباس وابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) في (ص): «عرفوه».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٦).

٩١ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا بِما أنزَلَ اللهُ﴾: القرآنِ وغيرِه ﴿قالُوا: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ علَينا﴾ أي: التوراةِ. قال تَعالى: ﴿ويَكفُرُونَ﴾ ـ الواو للحال ـ ﴿بِما وَراءَهُ﴾: سِواه أو بعدَه من القرآن، ﴿وهُوَ الحَقُّ﴾: حال، ﴿مُصَدِّقًا﴾: حال ثابتة مؤكّدة، ﴿لِما مَعَهُم. قُلْ﴾ لهم: ﴿فلِمَ تَقتُلُونَ﴾ أي: قتلتُم ﴿أنبِياءَ اللهِ مِن قَبلُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبيِّنا بما فعلَ آباؤهم لِرضاهم به. ٩٢ ـ ﴿ولَقَد جاءَكُم مُوسَى بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات كالعصا واليد وفلق البحر، ﴿ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ﴾ إلـٰهًا ﴿مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ ذَهابِه إلى المِيقات، ﴿وأنتُم ظالِمُونَ﴾ باتّخاذه.

٩٣ ـ ﴿وإذ أخَذْنا مِيثاقَكُم﴾ على العمل بما في التوراة، ﴿و﴾ قد ﴿رَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾: الجبلَ حين امتنعتم من قبولها لِيَسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجِدّ واجتهاد، ﴿واسمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿قالُوا: سَمِعْنا﴾ قولَك ﴿وعَصَينا﴾ أمركَ، ﴿وأُشرِبُوا في قُلُوبِهِمِ العِجلَ﴾، أي: خالط حبُّه قلوبَهم كما يُخالط الشرابُ، ﴿بِكُفرِهِم. قُلْ﴾ لهم: ﴿بِئسَ ما﴾: شيئًا ﴿يأمُرُكُم بِهِ إيمانُكُم﴾ بالتوراة عبادةُ العِجل، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ بها، كما زعمتم! المَعنَى: لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العِجل، والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة، وقد كذَّبتم محمّدًا، والإيمانُ بها لا يأمر بتكذيبه.

٩٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إن كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الآخِرةُ﴾ أي: الجَنّةُ ﴿عِندَ اللهِ خالِصةً﴾: خاصّةً ﴿مِنَ دُونِ النّاسِ﴾، كما زعمتم، ﴿فتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾، تعلّق بتمنّيه الشرطانِ، على أن الأوّل قيدٌ في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها والمُوصِّلُ إليها الموتُ، فتَمنَّوه...

قولُه: (قَولَكَ) أي: لكن لا سماعَ قبولٍ وطاعةٍ.

قولُه: (عِبَادَةُ العِجْلِ) مرفوعٌ على أنّه مخصوصٌ بالذَّمِّ.

قولُه: (خَاصَّةً) حالٌ مِنَ: ﴿الدَّارُ﴾.

قولُه: (فَتَمَنَّوهُ) عنِ ابنِ عبَّاسٍ يرفعُهُ: «لو تمنَّى اليهودُ الموتَ لماتُوا، ولرأَوا مقاعدَهُم مِنَ النَّارِ» رواهُ البخاريُّ وغيرُهُ[1].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٠٤).

وروى البخاري (٤٩٥٦) أصله، وليس فيه الشاهد المذكور.

٩٥ - ﴿ولَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾، من كفرِهم بالنبيِّ المستلزمِ لكذبهم - ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، فيُجازيهم - ٩٦ - ﴿ولَتَجِدَنَّهُم﴾: لامُ قسمٍ ﴿أحرَصَ النّاسِ على حَياةٍ، و﴾ أحرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها، لعِلمهم بأنّ مصيرهم النارُ دُونَ المشركين، لإنكارهم له. ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنّى ﴿أحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ ألفَ سَنةٍ﴾ - لو: مصدرية بمعنى: أن. وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يودّ» - ﴿وما هُوَ﴾ أي: أحدُهم ﴿بِمُزَحزِحِهِ﴾: مُبعِدِه ﴿مِنَ العَذابِ﴾: النارِ ﴿أن يُعَمَّرَ﴾: فاعلُ «مزحزِحِه» أي: تعميرُه. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ - بالياء والتاء - فيُجازيهم.

وسأل ابن صُورِيا النبيَّ أو عُمرَ عمّن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جِبريلُ. فقال: هو عدوّنا يأتي بالعذاب. ولو كان ميكائيلَ لآمَنّا لأنّه يأتي بالخِصب والسلم. فنزل: ٩٧ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ﴾ فليَمُتْ غيظًا، ﴿فإنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿على قَلبِكَ، بِإذنِ﴾: بأمرِ ﴿اللهِ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكتب، ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وبُشرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾. ٩٨ - ﴿مَن كانَ عَدُوًّا للهِ ومَلائكَتِهِ ورُسُلِهِ وجِبرِيلَ﴾ - بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء ودونها.........

قولُه: (أَحرَصَ) محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ معنى ﴿أحرصَ النَّاسِ﴾: من النَّاسِ، وذكرَ المشركينَ الدَّاخلينَ في النَّاسِ لأنَّ حرصَهُم شديدٌ، ففيه تخصيصٌ بعد تعميمٍ، فعلى هذا لا وقفَ على: ﴿حياةٍ﴾، ويحتملُ أن يكونَ الجارُّ والمجرورُ خبر مبتدأٍ محذوفٍ، و﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم﴾ صفتُهُ؛ أي: ومنهُم ناسٌ أو قومٌ يودُّ أحدُهُم، نحو: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا﴾ [التوبة: ١٠١].

قولُه: (بِمَعَنَى أَنْ) إلَّا أنَّها لا تنصبُ، وقيل: لو بمعنى ليتَ.

قولُه: (والتَّاءِ) أي: تاءِ الخطابِ، قراءةُ يعقوبَ[١] من العشرةِ.

قولُه: (بالخِصْبِ) بالكسرِ: كثرةُ العشبِ[٢]، ضدُّ: الجَدبِ، بالفتحِ، و(السَّلمِ) بالفتحِ والكسرِ: الصُّلحُ[٣].

قولُه: (بِكَسْرِ الجِيْمِ) للجُمهورِ، وفتحِها لابنِ كثيرٍ[٤].

وقولُه: (بِلا هَمْزٍ) قيدُ القراءتينِ، (وبِهِ) أي: وبفتحِ الجيمِ مقروناً بهمزٍ متَّصلاً بياءٍ بعده لحمزةَ والكسائيِّ، (وبِدُوْنِهَا) أي: وبدونِ الياءِ مع محافظةِ القيدينِ السَّابقينِ لأبي بكرٍ[٥]، فيتحصَّلُ أربعُ قراءاتٍ.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٢١).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٧).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٧).

ـ ﴿وميكالَ﴾: عطفٌ على الملائكة من عطف الخاصّ على العامّ ـ وفي قراءة «مِيكائِيلَ» بهمزة وياء، وفي أُخرى بلا ياء ـ ﴿فإنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكافِرِينَ﴾. أوقعَه موقع «لهم» بيانًا لحالهم.

٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ﴿ولَقَد أنزَلْنا إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿آياتٍ بيِّناتٍ﴾: واضحات. ردٌّ لقول ابن صُورِيا للنبيّ: ما جئتَنا بشيء. ﴿وما يَكفُرُ بِها إلّا الفاسِقُونَ، أ﴾ كفَرُوا بها، ﴿وَكُلَّما عاهَدُوا﴾ اللهَ ﴿عَهدًا﴾ على الإيمان بالنبيّ إن خرجَ، أو النبيَّ ألاّ يُعاونوا عليه المُشركينَ، ﴿نَبَذَهُ﴾: طرحَه ﴿فَرِيقٌ مِنهُم﴾ بنقضه؟ جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام الإنكاريّ، ﴿بَل﴾ ـ للانتقال ـ ﴿أكثَرُهُم لا يُؤمِنُونَ، ولَمّا جاءَهُم رَسُولٌ مِن عِندِ اللهِ﴾، محمّدٌ ﷺ، ﴿مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم نَبَذَ فَرِيقٌ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، كِتابَ اللهِ﴾ أي: التوراةَ ﴿وَراءَ ظُهُورِهِم﴾ أي: لم يَعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره، ﴿كأنَّهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبيّ حقّ أو أنها كتاب الله.

١٠٢ ـ ﴿واتَّبَعُوا﴾ ـ عطفٌ على «نَبَذَ» ـ ﴿ما تَتلُو﴾ أي: تَلَتِ..............................

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: لابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ وأبي بكرٍ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (وفِي أُخرَى) أي: قراءةٍ أخرى بلا ياءٍ، يعني: ومع الهمزة لنافعٍ، ثمَّ الباقونَ أبو عَمرٍو وحفصٌ بلا همزٍ وياءٍ[2]، ففيه ثلاثُ قراءاتٍ.

قولُه: (مَوقِعَ لَهُم) أَوْ لَهُ مراعاةً لمعنى ﴿مَنْ﴾ أو لفظه.

قولُه: (حَالٌ) أي: مِن ﴿آيَاتٍ﴾، والأظهرُ: أنّها نعتٌ لها.

قولُه: (أوِ النَّبِيَّ) عطفٌ على: «الله».

قولُه: (وهُو مَحَلُّ الاستِفهَامِ الإنْكَارِيِّ) فيه أنَّ الكفرَ المقدَّرَ منكرٌ أيضاً.

قولُه: (أي: التَّورَاةَ) فإنّهم جحدُوا ما فيها من صفتِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أو القرآنَ بأن لم يلتفتُوا إليه كأنَّهُم لا يعلمُونَ أنّه الحقُّ.

قولُه: (أي: تَلَتْ) أي: قرأَتْ أو تبعَتِ الشَّياطينُ من الجنِّ أو الإنسِ، أو منهُما، و﴿تَتْلُو﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٦، ١٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٨).

﴿الشَّياطِينُ علَى﴾ عهدِ ﴿مُلكِ سُلَيمانَ﴾ من السِّحر. وكانت دفنتْه تحت كُرسيّه لمّا نُزِعَ مُلكُه، أو كانت تسترق السمع وتضمّ إليه أكاذيب ـ وتُلقيه إلى الكهنة فيدوّنونه. وفشا ذلك وشاع أن الجنّ تَعلمُ الغيبَ، فجمع سليمان الكُتب ودفنها، فلمّا مات دلّت الشياطينُ عليها الناسَ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنّما مَلَكَكم بهذا. فتعلّموه ورفضوا كتب أنبيائهم.

قال تعالى تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم: «انظروا إلى محمّد، يَذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلاّ ساحرًا»: ﴿وما كَفَرَ سُلَيمانُ﴾ أي: لم يعملِ السحرَ لأنه كُفرٌ، ﴿ولكِنَّ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿الشَّياطِينَ كَفَرُوا، يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحرَ﴾ ـ الجملةُ حال من ضمير «كفروا» ـ ﴿و﴾ يُعلّمونهم ﴿ما أُنزِلَ علَى المَلَكَينِ﴾..

قولُه: (﴿عَلَى﴾ عَهْدِ ﴿مُلْكِ﴾) إشارةٌ إلى مضافٍ مقدَّرٍ، ويمكنُ إطلاقُ الملكِ وإرادةُ العهدِ مجازاً؛ ولذا قالَ البيضاويُّ[١]: ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: عهدِه، وقالَ البغويُّ[٢]: أي: في ملكِهِ وعهدِهِ. وفيه إيماءٌ إلى أنَّ على بمعنًى في.

قولُه: (السَّمْعَ) أي: مسموعَ الملائكةِ.

قولُه: (فَيُدَوِّنُونَهُ) أي: يجمعونَهُ.

قولُه: (إِنَّمَا مَلَكَكُم بِهَذَا) ونفَوا نبوَّتَهُ.

قولُه: (فَتَعَلَّمُوْهُ) بفتحِ اللّامِ المشدَّدةِ.

قولُه: (وَرَفَضُوا) أي: تركُوا.

قولُه: (لأَنَّهُ كفرٌ) ومن كانَ نبيًّا كان معصوماً عنه، وقيل: عبَّرَ عن السِّحرِ بالكفرِ تغليظاً، وقال الشَّيخُ أبو منصورٍ[٣]: القولُ بأنَّ السِّحرَ كفرٌ على الإطلاقِ خطأٌ، بل يجبُ البحثُ عن حقيقتِهِ، فإن كانَ في ذلك ردُّ ما لزمَ في شرطِ الإيمانِ فهو كفرٌ، وإلَّا فلا، كذا في «المداركِ»[٤].

قولُه: (والتَّخفِيفِ) لابنِ عامرٍ وحمزةَ والكسائيِّ[٥]، فـ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ مرفوعٌ، وعلى الأوَّلِ منصوبٌ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٩٧).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٤٧).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، من كبار العلماء، وهذه النسبة إلى محلة من سمرقند (ت: ٣٣٣ هـ). انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٣٠، ٣٤٤).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١١٦).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٨).

أي: أُلهِماه من السحر ـ وقُرئ بكسر اللام ـ الكائنَين ﴿بِبابِلَ﴾: بلدٍ في سَواد العراق، ﴿هارُوتَ ومارُوتَ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان للملَكين. قال ابن عبّاس: هما ساحرانِ كانا يُعلّمان السحرَ. وقيل: مَلَكانِ أُنزلا لتعليمه ابتلاءً من الله للناس.

﴿وما يُعَلِّمانِ مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا﴾ له نُصحًا: ﴿إِنَّما نَحنُ فِتْنَةٌ﴾: بليّةٌ من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن، ﴿فلا تَكفُرْ﴾ بتعلّمه. فإن أبى إلّا التعليم علّماه..

قولُه: (هُمَا سَاحِرَانِ) سُمِّيا ملَكَينِ باعتبارِ صلاحِهِما السَّابقِ، ويؤيِّدُهُ قراءةُ: ﴿المَلِكَيْنِ﴾ بالكسرِ[1].

قولُه: (وقِيلَ: مَلَكَانِ) ظاهرُهُ تضعيفُ هذا القولِ، وهو مخالفٌ لظاهرِ القرآنِ موافقٌ لما في «البيضاويِّ»[2] حيثُ قال: وما رُوي ـ أنّهُما مُثِّلا بشرَينِ ورُكِّبَ فيهما الشَّهوةُ فتعرَّضا لامرأةٍ يقالُ لها: زهرةُ، فحملَتْهُما على المعاصي والشِّركِ ثمَّ صعدَتْ إلى السَّماءِ بما تعلَّمَت منهما ـ فمحكيٌّ عن اليهودِ، انتهى.

والعجبُ مِن المصنِّفِ لإحاطتِهِ بطرقِ التَّفسيرِ والحديثِ، وهذه القصَّةُ ثابتةٌ فيهما على ما نقلَهُ البغويُّ[3] عن ابنِ عبَّاسٍ والمفسِّرينَ، وقد وردَ في «الدُّرِّ المنثورِ»[4] من طرقٍ كثيرةٍ زادَت على عشرين، وقالَ عمادُ الدِّينِ ابنُ كثيرٍ[5]: وذهبَ كثيرونَ من السَّلفِ إلى أنَّهُما كانا ملكَينِ من السَّماءِ، وأنَّهُما أُنزِلَا إلى الأرِض، وكان من أمرِهِما ما كان، وقد وردَ في ذلك حديثٌ مرفوعٌ رواهُ الإمامُ أحمدُ في «مسندِهِ»[6].

وعلى هذا: فيكونُ الجمعُ بين هذا وبين ما ثبتَ من الدَّلائلِ على عصمةِ الملائكةِ أنَّ هذينِ سبقَ في علمِ اللهِ لهما هذا، فيكونُ تخصيصاً لهما، فلا تعارُضَ حينئذٍ، كما سبقَ في علمِهِ من أمرِ إبليسَ ما سبقَ في قولِهِ: إنَّه كانَ من الملائكةِ، انتهى.

قولُه: (﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ) أي: لتأكيدِ النَّفي.

قولُه: (إلَّا التَّعَلُّمَ) أي: تعلُّمَهُ منهما، وفي بعضِ النُّسخِ: «إلَّا التَّعليمَ» أي: تعليمَهُما إيَّاهُ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٦) ونسبت للحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٩٧، ٩٨).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٤٩).

وأثر ابن عباس رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٨١) بنحوه.

(٤) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٩).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٢).

(٦) رواه أحمد في «مسنده» (٦١٧٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

﴿فيَتَعَلَّمُونَ مِنهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وزَوجِهِ﴾ بأن يُبغَّض كلٌّ إلى الآخر، ﴿وما هُم﴾ أي: السَّحَرةُ ﴿بِضارِّينَ بِهِ﴾: بالسحر ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿أحَدٍ إلّا بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿ويَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُم﴾ في الآخرة، ﴿ولا يَنفَعُهُم﴾، وهو السحر.

﴿ولَقَد﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهودُ: ﴿لَمَنِ﴾ ـ لامُ ابتداء مُعلِّقة لما قبلَها، ومَن: موصولة ـ ﴿اشتَراهُ﴾: اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مالَهُ في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ﴾: نصيبٍ في الجنّة، ﴿ولَبِئسَ ما﴾: شيئًا ﴿شَرَوا﴾: باعوا ﴿بِهِ أنفُسَهُم﴾ أي الشارينَ، أي: حظَّها من الآخرة أن تعلّموه حيث أوجب لهم النارَ! ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلَّموه. ١٠٣ ـ ﴿ولَو أنَّهُم﴾ أي: اليهودَ ﴿آمَنُوا﴾ بالنبيّ والقرآن، ﴿واتَّقَوا﴾ عقابَ الله بترك معاصيه كالسحر، وجوابُ «لو» محذوف أي: لأُثِيبُوا، دلّ عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثوابٌ ـ وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ـ ﴿مِن عِندِ اللهِ خَيرٌ﴾، خبرُه، ممّا شرَوا به أنفُسهم. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ أنه خير لَما آثروه عليه.

١٠٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقُولُوا﴾ للنبيّ: ﴿راعِنا﴾. أمرٌ من المُراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبٌّ من الرُّعونة ـ فسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبيَّ، فنُهي المؤمنون عنها ـ ﴿وقُولُوا﴾ بدلَها: ﴿انظُرنا﴾ أي: انظرْ إلينا. ﴿واسمَعُوا﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿ولِلكافِرِينَ عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلمٌ هو النار.

قالَ تعالى: (﴿فيَتَعَلَّمُونَ﴾) جمعَ الضَّميرَ لما دلَّ عليه ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾.

قولُه: (مُعَلِّقَةٌ لما قَبْلَهَا) أي: ﴿عَلِمُوا﴾، وتعليقُها وجوبُ إبطالِ عملها لفظاً لا معنًى.

قولُه: (اخْتَارَهُ) أي: السِّحرَ، أو: ما تتلُو الشَّياطينُ.

قولُه: (لأُثِيبُوا) قالَ البيضاويُّ[1]: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ جوابُ ﴿لَو﴾، وأصلُهُ لأُثِيبوا مثوبةً من اللهِ خيراً ممَّا شرَوا به أنفسَهُم، فحذفَ الفعلَ وركَّبَ الباقي جملةً اسميَّةً لتدلَّ على ثباتِ المثوبةِ والجزمِ بخيريَّتِها، وحُذِفَ المفضَّلُ عليه إجلالاً للمفضَّلِ من أن يُنسَبَ إليه، وتنكيرُ المثوبةِ لأنَّ المعنى: لشيءٌ من الثَّوابِ خيرٌ، وقيل: ﴿لو﴾ للتَّمنِّي، و﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ كلامٌ مبتدأٌ.

قولُه: (الرُّعُونَةِ) أي: الحمقِ.

قولُه: (فَسُرُّوا) أي: ففرِحُوا.

قولُه: (انظُرْ إِلَيْنَا) أو: انتَظِرنا، من نظَرَهُ إذا انتظرَهُ، وقُرِئَ ﴿أَنْظِرْنَا﴾[2] مِنَ الإنظارِ؛ أي: أمهلنا لنحفظَ كلامَكَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٩٨).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٧٢) ونسبت للأعمش وكرداب.

١٠٥ ـ ﴿ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِن أهلِ الكِتابِ، ولا المُشرِكِينَ﴾ من العرب ـ عطفٌ على أهل الكتاب، ومِن: للبيان ـ ﴿أن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِن﴾، زائدةٌ، ﴿خَيرٍ﴾: وحيٍ ﴿مِن رَبِّكُم﴾ حَسدًا لكم. ﴿واللهُ يَختَصُّ بِرَحْمتِهِ﴾: بنُبوّته ﴿مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

ولمّا طَعنَ الكُفّار في النَّسخ، وقالوا: «إنّ محمّدًا يأمر أصحابه اليوم بأمر، وينهى عنه غدًا» أنزلَ الله:

١٠٦ ـ ﴿ما﴾: شرطيةٌ ﴿نَنسَخْ مِن آيةٍ﴾ أي: نُزِلْ حُكمَها إمّا مع لفظها أوْ لا ـ وفي قراءة بضمّ النون من: أَنسَخَ، أي نأمرْك أو جبريلَ بنسخها ـ ﴿أو نَنسَأْها﴾: نُؤخِّرْها فلا نُزِلْ حُكمَها ونرفعُ تلاوتَها،.........

قولُه: (حَسَداً لَكُم) مفعولٌ له لقولِهِ: ﴿مَا يَوَدُّ﴾.

قولُه: (أي: نُزِلْ حُكْمَهَا) قالَ العلماءُ: النَّسخُ بيانُ انتهاءِ مدَّةِ الحكمِ[1].

قولُه: (إِمَّا مَعَ لَفْظِهَا) أي: مع إزالةِ لفظِها، قيلَ: كانت سورةُ الأحزابِ مثل سورةِ البقرةِ، فرُفِعَ أكثرُها تلاوةً وحكماً.

قولُه: (أَوْ لَا) أي: لا معَ إزالةِ لفظِها؛ بأن يكونَ اللَّفظُ باقياً والحكمُ مرفوعاً كقولِه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وآيةِ الوصيَّةِ للوالدينِ والأقربين، وغيرِهِما.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: لابنِ عامرٍ[2].

قالَ تعالى: (﴿أَوْ نَنْسَأْهَا﴾) بالهمزِ لابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو[3].

قولُه: (ونَرْفَعُ) عطفٌ على النَّفي لا على المنفيِّ، فيكونُ إشارةً إلى نوعٍ آخرَ من المنسوخِ؛ وهو أن يكونَ اللَّفظُ منسوخاً والحكمُ ثابتاً نحو: «الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنيَا فارجمُوهُما البتَّةَ نكالاً مِن اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ»[4]، ونحوَ: «لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ مِن مالٍ لابتغَى لهما ثالثاً، ولنْ يملأَ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التَّرابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تابَ»[5].

---

(١) انظر: «ميزان الأصول في نتائج العقول» (١/ ٧٠٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٩).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧١١٢)، وأحمد في «مسنده» (٢١٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٢٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٣٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠٦٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٥) رواه مسلم (١٠٥٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أو نُؤَخِّرْها في اللوح المحفوظ ـ وفي قراءة بلا همز من النسيان، أي: نُنسِكَها، أي: نَمحُها من قلبك ـ وجوابُ الشرط ﴿نأتِ بِخَيرٍ مِنها﴾: أنفعَ للعباد في السهولة أو كثرة الأجر، ﴿أو مِثلِها﴾ في التكليف والثواب. ﴿أَلَم تَعلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه النسخ والتبديل؟ والاستفهام للتقرير.

قولُه: (أَو نُؤَخِّرْهَا) في اللَّوحِ المحفوظِ، هذا ممَّا لا أدري الَّذي هو نصفُ العلمِ، وإن كانَ هذا القولُ نقلَهُ البغويُّ[١] عن سعيدِ بن المسيَّبِ وعطاءٍ قالا: أَمَّا مَا نَسَخ مِن آيَةٍ فهو ما قد نزلَ مِن القرآنِ، جعلاهُ مِن النُّسخَةِ ﴿أَوْ نَنْسَأْهَا﴾؛ أي: نؤخِّرهَا ونتركهَا في اللَّوحِ المحفوظِ، انتهى، لكن لم يظهَر لي وجهُ كونِها شرطيَّةً يترتَّب عليها الجزاءُ الآتي خصوصاً على وفقِ سببِ نزولِ الآيةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: للباقينَ[٢].

قولُه: (مِنَ النِّسْيَانِ) الأَولى أن يقولَ: منَ الإنساءِ؛ فإنَّ عبارتَهُ تُوهِمُ فتحَ النُّونِ والسِّينِ، ولم يقرأْ به أحدٌ، بل يصيرُ معناهُ فاسداً.

قولُه: (أَنْفَعَ للعِبَادِ فِي السُّهُولَةِ أَو كَثْرَةِ الأَجْرِ) أي: ولو مع المشقَّةِ، كما وردَ: «أفضلُ الأعمالِ أحمزُها»[٣].

قولُه: (﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾) في التَّكْلِيفِ والثَّوَابِ فالنَّسخُ الاختيارُ، وقالَ البيضاويُّ[٤]: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أي: بما هو خيرٌ للعبادِ في النَّفعِ والثَّوابِ ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في الثَّوابِ. قيل: لم يذكُر النَّفعَ لاقتضاءِ المماثلةِ فيهما عدمَ الفائدةِ في النَّسخِ، ولا يُعكسُ؛ لأنَّه المقصودُ من النَّسخِ، فيلزمُ أن يكونَ البدلُ أنفعَ من المنسوخِ وإن تساويَا في الثَّوابِ، كالقبلةِ الَّتي كانت على جهةِ القدسِ ثمَّ حُوِّلَت إلى الكعبةِ؛ فإنَّ السُّجودَ إليها وإلى سائرِ النَّواحي متساوٍ في العملِ والثَّوابِ، والَّذي أمرَ اللهُ تعالى به في ذلك الوقتِ كان أصلحَ وأدعَى للعربِ وغيرِهم إلى الإسلامِ، كذا في «الوسيطِ»[٥].

قولُه: (والاستِفهَامُ للتَّقرِيرِ) أي: حملُ المخاطَبِ على الإقرارِ والتَّثبيتِ.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٠).

(٣) جاء في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للمصنف (ص: ١٠٠) بلفظ: أفضل العبادات أحمزها، ثم قال: أي: أتعبها وأصعبها، قال الزركشي: لا يعرف، وسكت عليه السيوطي، وقال ابن القيم في «شرح المنازل»: لا أصل له، ثم قال: ومعناه صحيح لما في «الصحيحين» عن عائشة: الأجر على قدر التعب. وهو في «النهاية» لابن الأثير منسوب إلى ابن عباس، وهو بالمهملة والزاي.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٩٩).

(٥) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (١/ ١٩٠).

١٠٧ ـ ﴿أَلَم تَعلَمْ أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء، ﴿وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم، ﴿ولا نَصِيرٍ﴾ يمنع عذابه عنكم، إن أتاكم؟

ونزل لمّا سأله أهل مكّة أن يوسّعَها ويجعلَ الصفا ذهبًا: ١٠٨ ـ ﴿أم﴾: بل أ﴿تُرِيدُونَ أن تَسألُوا رَسُولَكُم كَما سُئِلَ مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِن قَبلُ﴾، من قولهم: «أرِنا اللهَ جَهْرَةً»، وغيرَ ذلك؟ ﴿ومَن يَتبَدَّلِ الكُفرَ بالإيمانِ﴾، أي: يأخذه بدله بتركِ النظر في الآيات البيّنات واقتراحِ غيرها، ﴿فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ الطريقَ الحقّ. والسواءُ في الأصل: الوَسَطُ.

١٠٩ ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو﴾: مصدريةٌ ﴿يَرُدُّونَكُم مِن بَعدِ إيمانِكُم كُفّارًا حَسَدًا﴾: مفعول له، كائنًا ﴿مِن عِندِ أنفُسِهِم﴾ أي: حملتْهم عليه أنفسُهم الخبيثة، ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿الحَقُّ﴾ في شأن النبيّ ﷺ.

﴿فاعفُوا﴾ عنهم، أي: اتركوهم، ﴿واصفَحُوا﴾: أعرِضوا فلا تُجازوهم، ﴿حَتَّى يأتِيَ اللهُ بِأمرِهِ﴾ فيهم من القتال ـ ﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ـ..................................

قالَ تعالى: (﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾) خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ: هو وأمّتُه لقولِهِ: ﴿وَمَا لَكُم﴾ وإنَّما أفردَهُ؛ لأنّه أعلمُهُم ومبدأُ علمِهِم.

قولُه: (فِيهِمَا) وما فيهِما.

قولُه: (يَمْنَعُ عَذَابَهُ) والفرقُ بين الوليِّ والنَّصيرِ: أنَّ الوليَّ قد يضعفُ عن النُّصرةِ، والنَّصيرَ قد يكونُ أجنبيًّا عن المنصورِ.

قولُه: (بَلْ) اختارَ أنَّ ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، وهي بمعنى بل، والهمزةُ للإنكارِ، فلا بدَّ من وجودِها لفظاً أو تقديراً، وجُوِّزَ أن تكونَ متَّصلةً معادلةً للهمزةِ في ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾.

قولُه: (لَو مَصْدَرِيَّةٌ) فإنَّ (لو) تنوبُ عن (أنْ) في المعنى دونَ اللَّفظِ.

قولُه تعالى: (﴿كُفَّارًا﴾) مرتدِّينَ، حالٌ مِن (كُمْ) في ﴿يَرُدُّونَكُم﴾.

قولُه: (مَفعُولٌ لَهُ) أي: علّةُ ﴿وَدَّ﴾.

قولُه: (كَائِناً) إشارةٌ إلى أنَّ الجارَّ والمجرورَ صفةٌ لـ﴿حَسَدًا﴾؛ أي: حسداً بالغاً منبعثاً من أصلِ نفوسِهِم، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿وَدَّ﴾؛ أي: تمنَّوا ذلك من عندِ أنفسِهِم وتشهِّيهِم لا من قِبَلِ التَّديُّنِ، فيكونُ ظرفَ لغوٍ.

قولُه: (وَلا تُجَازُوهُم) حدُّ العفوِ تركُ عقوبةِ المذنبِ، والصَّفحُ تركُ تثريبِهِم وتعييبِهِم.

١١٠ ـ ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ. وما تُقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم مِن خَيرٍ﴾: طاعةٍ كصِلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابَه ﴿عِندَ اللهِ. إنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيُجازيكم به.

١١١ ـ ﴿وقالُوا: لَن يَدخُلَ الجَنّةَ إلّا مَن كانَ هُودًا﴾: جمع هائد، ﴿أو نَصارَى﴾. قال ذلك يهود المدينةِ ونصارى نجرانَ، لمّا تناظروا بين يدَي النبيّ ﷺ، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلّا اليهودُ، وقال النصارى: لن يدخلها إلّا النصارى. ﴿تِلكَ﴾ القَولةُ ﴿أمانِيُّهُم﴾: شهواتُهم الباطلة. ﴿قُل﴾ لهم: ﴿هاتُوا بُرهانَكُم﴾: حُجّتكم على ذلك، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. ١١٢ ـ ﴿بَلَى﴾، يدخل الجنّةَ غيرُهم، ﴿مَن أسلَمَ وَجهَهُ للهِ﴾، أي: انقاد لأمره ـ وخُصّ الوجه لأنه أشرف الأعضاء، فغيرُه أولى ـ ﴿وهُوَ مُحسِنٌ﴾: مُوحّدٌ ﴿فلَهُ أجرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، أي: ثوابُ عمله الجنّةُ، ﴿ولا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة.

قولُه: (أي: ثَوَابَهُ) أي: ثوابَ الخيرِ خيراً؛ لقولِه تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيرًا﴾ [المزمل: ٢٠] فالخيرُ الأوَّلُ بمعنى البرِّ، والثَّاني بمعنى الأخيرِ والأحسَنِ؛ أي: كمِّيَّةً وكيفيَّةً.

قولُه: (بِهِ) أي: بعملكُم، وفيهِ وعدٌ ووعيدٌ.

قولُه: (جَمْعُ: هَائِدٍ) كعُوذٍ جمعُ: عائذٍ، وتوحيدُ الاسمِ المضمرِ في ﴿كانَ﴾ وجمعُ الخبرِ لاعتبارِ اللَّفظِ والمعنى.

قولُه: (نَجْرَانَ) بفتحِ النُّونِ وسكونِ الجيمِ: موضعٌ بين الحجازِ والشَّامِ واليمنِ[1].

قولُه: (أي: قَالَ اليَهُودُ... إلخ) فالضَّميرُ في ﴿قَالُوا﴾ لأهلِ الكتابِ من اليهودِ والنَّصارى، والمقولُ لفٌّ بين قوليهِما، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥] ثقةً بفهمِ السَّامعِ العارفِ بحالِهِم.

قولُه: (القَوْلَةُ) أشارَ إلى أنَّ الإشارةَ إلى المصدرِ المفهومِ من ﴿قَالُوا﴾، لكنَّ ﴿أَمَانِيُّهُم﴾ بصيغةِ الجمعِ تأبى أن تكونَ ﴿تلكَ﴾ إشارةً إلى شيءٍ واحدٍ، فلا بدَّ أن يُقالَ بحذفِ المضافِ؛ أي: أمثالُ تلك القولةِ أمانيُّهُم، أو الإشارةُ إلى الأمانيِّ المذكورةِ؛ وهي أن لا ينزلَ على المؤمنينَ خيرٌ مِن عند ربِّهِم، وأن يردُّوهُم كفَّاراً، وأن لا يدخلَ الجنَّةَ غيرُهم، والجملةُ على القولينِ اعتراضٌ.

قولُه: (يَدْخُلُ الجَنَّةَ) غيرُهُم، يعني: ﴿بلى﴾ إثباتٌ لما نفوهُ من دخولِ غيرِهمُ الجنَّةَ.

قولُه: (فَغَيْرُهُ أَوْلَى) والأظهرُ أن يكونَ المرادُ بالوجهِ الذَّاتَ أو القصدَ؛ أي: أخلصَ له نفسَهُ أو قصدَهُ.

قولُه: (مُوَحِّدٌ) الأحسنُ مؤمنٌ أو محسنٌ في عملِهِ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢١).

١١٣ ـ ﴿وقالَتِ اليَهودُ: لَيسَتِ النَّصارَى علَى شَيءٍ﴾ معتدٌّ به، وكفَرتْ بعيسى، ﴿وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهودُ علَى شَيءٍ﴾ معتدٌّ به، وكفَرتْ بموسى، ﴿وهُم﴾ أي: الفريقانِ ﴿يَتلُونَ الكِتابَ﴾ المُنزَلَ عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى. والجملة: حال. ﴿كَذلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قالَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾، أي: المشركون من العرب وغيرُهم، ﴿مِثلَ قَولِهِم﴾: بيانٌ لمعنى «ذلك»، أي: قالوا لكلّ ذي دِين: ليسوا على شيء. ﴿فاللهُ يَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيُدخِل المُحِقَّ الجنةَ والمُبطِلَ النارَ.

١١٤ ـ ﴿ومَن أظلَمُ﴾ أي: لا أحدَ أظلمُ ﴿مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أن يُذكَرَ فِيها اسمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح، ﴿وسَعَى في خَرابِها﴾ بالهدم أو التعطيل؟ نزلتْ إخبارًا عن الروم الذين خرّبوا بيت المَقدس، أو في المشركين لمّا صدّوا النبيّ ﷺ عامَ الحُديبية عن البيت. ﴿أُولئِكَ ما كانَ لَهُم أن يَدخُلُوها إلّا خائفِينَ﴾. خبرٌ بمعنى الأمر، أي: أخِيفوهم بالجهاد، فلا يدخلْها أحد آمنًا، ﴿لَهُم في الدُّنيا خِزيٌ﴾: هوانٌ بالقتل والسبي والجزية، ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار.

ونزل، لمّا طعن اليهود في نسخ القِبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجّهتْ:

قولُه: (المُنَزَّلَ عَلَيهِم) أشارَ إلى أنَّ المرادَ بالكتابِ: الجنسُ.

قولُه: (وغَيرِهِم) من المعطِّلةِ وعوامِّ اليهودِ والنَّصارى، أو أممٍ قبلهما، وبَّخهُمُ اللهُ على المكابرةِ والتَّشبُّهِ بالجهَّالِ.

قالَ تعَالى: (﴿بَيْنَهُم﴾) أي: بين الفريقينِ من أهلِ الكتابينِ، أو أهلِ الكتابِ والَّذين لا يعلمُونَ.

قولُه: (لَا أَحَدَ أَظلَمُ) أشارَ إلى أنَّ ﴿مَنْ﴾ الاستفهاميَّةَ للإنكارِ.

قالَ اللهُ تعالى: (﴿أَنْ يُذْكَرَ﴾) ثاني مفعولي ﴿مَنَعَ﴾ بتقديرِ مِن.

قولُه: (أي: أَخِيفُوهُم) الظَّاهرُ أن يقالَ: ما صحَّ لهم دخولُها إلَّا حالَ كونِهم خائفِينَ فأخيفُوهُم، أو المعنى: ما كانَ ينبغِي لهم أن يدخلُوها إلَّا بوصفِ الخوفِ من اللهِ والخشوعِ لله غيرَ مانعينَ أحداً من مساجدِ اللهِ.

قولُه: (أَو فِي صَلاةِ النَّافِلَةِ[1]) عطفٌ على «لَمَّا»، أو نزلَ فيمَن صلَّى بالتَّحرِّي فرضاً، وظهر أنَّه على غيرِ القبلةِ[2].

---

(١) روى مسلم (٧٠٠) عن ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥].

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه رضي الله عنه.

١١٥ ـ ﴿وللهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ﴾ أي: الأرضُ كلّها لأنهما ناحِيتاها. ﴿فأينَما تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فثَمَّ﴾: هناكَ ﴿وَجهُ اللهِ﴾: قِبلتُه التي رضيها. ﴿إنَّ اللهَ واسِعٌ﴾: يسعُ فضلُه كلّ شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه.

١١٦ ـ ﴿وقالُوا﴾، بواو ودونها، أي: اليهودُ والنصارَى ومَن زعم أنّ الملائكةَ بناتُ الله: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾. قال تعالى: ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عنه! ﴿بَل لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا ـ والملكيّةُ تُنافي الولادة. وعُبّر بـ «ما» تغليبًا لِما لا يعقل ـ ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾: مُطيعون، كلٌّ بما يُراد منه، وفيه تغليب العاقل. ١١٧ ـ ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُوجِدُهما لا على مثالٍ سبق، ﴿وإذا قَضَى﴾: أراد ﴿أمرًا﴾ أي: إيجادَه ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ أي: فهو يكونُ. وفي قراءة بالنصبِ جوابًا للأمر.

١١٨ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: ﴿لَولا﴾ هلّا ﴿يُكَلِّمُنا اللهُ﴾ أنك رسوله، ﴿أو تأتِينا آيَةٌ﴾ ممّا اقترحناه على صِدقك. ﴿كَذلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قالَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾، مِن كُفّار الأُمم الماضية لأنبيائهم، ﴿مِثلَ قَولِهِم﴾ من التعنّت وطلب الآيات، ﴿تَشابَهَتْ قُلُوبُهُم﴾ في الكُفر والعِناد. فيه تسلية للنبيّ ﷺ. ﴿قَد بَيَّنّا الآياتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون أنّها آيات فيؤمنون. فاقتراحُ آية معها تعنُّت.

قولُه: (بِوَاوٍ) لغيرِ ابن عامرٍ[1].

قولُه: (مُلْكًا) ضُبِطَ بالضمِّ والكسرِ، والثَّاني أظهرُ.

قولُه: (والمِلكِيَّةُ) بكسرِ الميمِ.

قولُه: (لِمَا لا يَعْقِلُ) لكثرتِها، وقيل: ﴿مَا﴾ عامٌّ، والمرادُ: الأرضُ وما فيها.

قولُه: (وَفِيهِ) أي: وفي ﴿قَانِتُونَ﴾ تغليبُ العاقلِ؛ أي: لشرفِهِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لابنِ عامرٍ[2].

قولُه: (مَعَهَا) أي: مع الآياتِ المبيِّناتِ.

= قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يضعف في الحديث.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١١١).

(٢) انظر المصادر السابقة.

١١٩ ـ ﴿إِنَّا أَرسَلْنَاكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿بِالحَقِّ﴾: بالهُدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أَجاب إليه بالجنّة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن لم يُجب إليه بالنار، ﴿ولا تُسأَلُ عَن أَصحابِ الجَحِيمِ﴾ النارِ، أي: الكُفّارِ، ما لهم لم يؤمنوا؟ إنّما عليك البلاغ ـ وفي قراءة بجزم «تَسألْ» نهيًا ـ ١٢٠ ـ ﴿ولَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصارَى، حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾: دِينَهم. ﴿قُلْ: إِنَّ هُدَى اللهِ﴾: الإسلامَ ﴿هُوَ الهُدَى﴾، وما عداه ضلال. ﴿ولَئِنِ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿اتَّبَعتَ أَهْواءَهُم﴾ التي يدعونكَ إليها فَرْضًا ﴿بَعدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾: الوحيِ من الله ﴿مالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظك، ﴿ولا نَصِيرٍ﴾ يمنعك منه.

١٢١ ـ ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ﴾ مبتدأٌ ﴿يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوتِهِ﴾: يقرؤونه كما أُنزل ـ والجملةُ: حال، وحقَّ: نصب على المصدر ـ والخبرُ ﴿أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ﴾ ـ نزلتْ في جماعة، قَدِموا من الحبشة وأسلموا ـ ﴿ومَن يَكفُرْ بِهِ﴾ أي: بالكتاب المُؤتَى بأن يُحرّفه ﴿فأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم.

١٢٢ ـ ﴿يا بَنِي إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم، وأَنِّي فَضَّلتُكُم عَلَى العالَمِينَ﴾ ـ تَقدّمَ مِثلُه ـ ١٢٣ ـ ﴿واتَّقُوا﴾: خافوا ﴿يَومًا، لا تَجزِي﴾: تُغني ﴿نَفْسٌ عَن نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيئًا! ولا يُقبَلُ مِنها عَدلٌ﴾: فِداءٌ، ﴿ولا تَنفَعُها شَفاعةٌ، ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذاب الله.

١٢٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إِذِ ابتَلَى﴾: اختبرَ ﴿إبراهِيمَ﴾ ـ............

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ[١] معلوماً، فيوقَفُ على ما قبلَهُ، والمعنى: لا تسأل عنهم فإنَّهم في حالٍ لا يمكنُ وصفُهم ولا سماعُ عقابِهم قصداً للمبالغةِ، وقيل: نزلَ في أبويهِ ﷺ حينَ قالَ: ليتَ شعري ما فعلَ أبوايَ[٢]؟ واللهُ أعلمُ.

قولُه: (لَامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ للقَسَمِ.

وقولُه تعالى: (﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ﴾) جوابُ القسمِ المضمرِ سادٌّ مسدَّ جوابِ الشَّرطِ.

قولُه: (والجُمْلَةُ حَالٌ) أي: مقدَّرةٌ، أو خبرٌ.

قولُه: (أي: بِالكِتَابِ... إلخ) الأظهرُ بالتَّحريفِ؛ أي: لسببِهِ.

قولُه: (﴿ابْتَلَى﴾ اخْتَبَرَ) أي: عاملَهُ معاملةَ الممتحنِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨٧٦) عن محمد بن كعب القرظي.

وفي قراءةٍ «إبراهامَ» ـ ﴿رَبُّهُ بِكَلِماتٍ﴾: بأوامرَ ونواهٍ كلّفه بها ـ قيل: هي مناسكُ الحجّ. وقيل: المضمضةُ والاستنشاق والسِّواكُ وقصُّ الشارب وفرقُ الرأس وقلْمُ الأظفار ونتفُ الإبط وحلقُ العانة والخِتانُ والاستنجاءُ ـ ﴿فأتَمَّهُنَّ﴾: أدّاهنّ تامّاتٍ.

﴿قالَ﴾ تعالى له: ﴿إنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إمامًا﴾: قُدوةً في الدِّين. ﴿قالَ: ومِن ذُرِّيَّتي﴾: أولادي اجعلْ أئمّةً. ﴿قالَ: لا يَنالُ عَهدِيَ﴾ بالإمامة ﴿الظّالِمِينَ﴾: الكافرين منهم. دلّ على أنه ينال غيرَ الظالم.

١٢٥ ـ ﴿وإذ جَعَلْنا البَيتَ﴾: الكعبةَ ﴿مَثابةً لِلنّاسِ﴾: مَرجِعًا يثوبون إليه من كلّ جانبٍ ﴿وأمْنًا﴾: مأمنًا لهم من الظُّلم والإغارات الواقعة في غيره. كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يُهيجه ـ ﴿واتَّخِذُوا﴾، أيّها الناس، ﴿مِن مَقامِ إبراهِيمَ﴾، هو الحَجرُ الذي قام عليه عند بناء البيت، ﴿مُصَلًّى﴾: مكانَ صلاة بأن تُصلّوا خلفه ركعتَي الطواف. وفي قراءة بفتح الخاء، خبرٌ ـ..............

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لهشامٍ وابنِ ذكوانَ بخلفٍ عنه[1].

قولُه: (نَوَاهٍ) الصَّحيحُ «نواهي» كما في نسخةٍ على خلافٍ في تقديرِ الإعرابِ على الإعلالِ وعكسِهِ.

قولُه: (قُدوَةً) مثلَّثُ القافِ: مقتدًى.

قولُه: (أَولَادِي) الأظهرُ: بعضُ أولادي، قالَ المحلِّيُّ[2]: كلُّ الأنبياءِ بعدَ إبراهيمَ من ذرِّيَّتِهِ.

قولُه: (مَرْجِعاً) أو موضعَ ثوابٍ.

قولُه: (أي: مَأمَناً) فالتَّقديرُ: موضعَ أمنٍ، أو: ذا أمنٍ، إذا أُريدَ به المبالغةُ، وحولَ الحرمِ كذلك؛ فإنَّ ما قاربَ الشَّيءَ يُعطَى حكمَهُ.

قولُه: (لَهُم) وكذا للوحوشِ والطُّيورِ والنَّباتاتِ، والاقتصارُ على النَّاسِ لبيانِ الإشرافِ.

قولُه: (أَيُّهَا النَّاسُ) الأولى: أيُّها المؤمنونَ، والأمرُ للاستحبابِ.

قولُه: (عِندَ بِنَاءِ البَيتِ) أو عند دعائهِ النَّاسَ إلى الحجِّ، وفيه أثرُ قدمِهِ وهو موضعُه اليومَ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وابنِ عامرٍ[3] عطفاً على: ﴿جَعَلْنَا﴾، فلا وقفَ بينهما، والضَّميرُ للنَّاسِ، والمرادُ بهم: الأنبياءُ وأتباعُهُم المؤمنونَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢١).

(٢) قاله في تفسير الآية رقم: (٢٧) من سورة العنكبوت.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٣).

﴿وعَهِدْنا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ﴾: أمرْناهما ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿طَهِّرا بَيتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطّائِفِينَ والعاكِفِينَ﴾: المقيمين فيه ﴿والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جمع راكع وساجد، المُصلّينَ.

١٢٦ ـ ﴿وإذ قالَ إبراهِيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هذا﴾ المكانَ ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾: ذا أمن ـ وقد أجاب الله دعاءه فجعله حَرَمًا، لا يُسفَكُ فيه دمُ إنسان، ولا يُظلم فيه أحدٌ، ولا يصاد صيدُه، ولا يُختلَى خَلاه ـ ﴿وارزُقْ أهلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ﴾ ـ وقد فَعلَ بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفرَ لا زرعَ به ولا ماءَ ـ ﴿مَن آمَنَ مِنهُم بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾: بدلٌ من «أهله». وخصّهم بالدعاء لهم موافقة لقوله «لا يَنالُ عَهدِيَ الظّالِمِينَ». ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿و﴾ أرزقُ ﴿مَن كَفَرَ فأُمَتِّعُهُ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلاً﴾: مُدّةَ حياته، ﴿ثُمَّ أَضطَرُّهُ﴾: أُلجِئُه في الآخرة ﴿إلَى عَذابِ النّارِ﴾، فلا يجد عنها مَحيصًا. ﴿وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي!

قولُه: (أَمَرْنَاهُمَا) الأظهرُ: أوصَينَا إليهِما.

قولُه: (مِنَ الأَوْثَانِ) وكذا والأنجاسِ، وما لا يليقُ من الأدناسِ به، أو: أَخْلِصاهُ من البيعِ والشِّراءِ للعبادةِ، أو: طيِّباهُ بالطِّيبِ.

قولُه: (المُقِيمِينَ فِيهِ) الأظهرُ: عندهُ، أو المعتكفينَ حولَهُ.

قولُه: (ذَا أَمْنٍ) كقولِهِ: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، أو آمناً أهلُهُ.

قولُه: (وَلَا يُخْتَلَى خَلاهُ) الخلا ـ مقصوراً ـ: الرَّطبُ من النَّباتِ، واختلاهُ: جزَّهُ أو نزعَهُ[1].

قولُه: (بِنَقْلِ الطَّائِفِ إِلَيهِ) أي: إلى قربِهِ، بحيثُ يُجبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ.

قولُه: (بَدَلٌ مِن: ﴿أَهْلَهُ﴾) بدلُ بعضٍ للتَّخصيص.

قولُه: (وارْزُقْ) أي: عطفٌ على: ﴿مَن آمنَ﴾، وحاصلُ المعنى: وارزق أهلَهُ، وقيل: مبتدأٌ تضمَّنَ معنى الشَّرطِ؛ ولذلك جاءَ الفاءُ في خبرِهِ.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) لابنِ عامرٍ[2].

قولُه: (مُدَّةَ حَيَاتِهِ) ظاهرُه أنَّ ﴿قَلِيْلَا﴾ بمعنى: في قليلٍ من الزَّمانِ، والأظهرُ: أنَّه صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ تقديرُهُ: زماناً قليلاً، أو: تمتيعاً قليلاً.

قولُه: (هِيَ) أي: النَّارُ، أو: هو؛ أي: العذابُ، فالمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٨١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٤).

١٢٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إذ يَرفَعُ إبراهِيمُ القَواعِدَ﴾: الأُسُسَ أو الجُدُر، ﴿مِنَ البَيتِ﴾: يبنيه ـ متعلّق بـ «يرفع» ـ ﴿وإسماعِيلُ﴾: عطفٌ على «إبراهيم»، يقولان: ﴿رَبَّنا، تَقَبَّلْ مِنّا﴾ بناءنا ـ ﴿إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ﴾ للقول، ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل ـ ١٢٨ ـ ﴿رَبَّنا، واجعَلْنا مُسلِمَينِ﴾: مُنقادَينِ ﴿لَكَ، و﴾ اجعلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتِنا﴾: أولادِنا ﴿أُمّةً﴾: جماعة ﴿مُسلِمةً لَكَ﴾ ـ ومِن: للتبعيض، وأتى به لتقدّم قوله له «لا يَنالُ عَهدِيَ الظّالِمِينَ» ـ ﴿وأرِنا﴾: علِّمْنا ﴿مَناسِكَنا﴾: شرائعَ عبادتنا أو حجِّنا، ﴿وتُبْ علَينا ـ إنَّكَ أنتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾. سألاه التوبة مع عِصمتهما تواضعًا وتعليمًا لذرّيّتهما ـ ١٢٩ ـ ﴿رَبَّنا، وابعَثْ فِيهِم﴾ أي: أهلِ البيت ﴿رَسُولاً مِنهُم﴾ من أنفسهم ـ وقد أجاب الله دعاءه بمحمّد ﷺ ـ ﴿يَتلُو علَيهِم آياتِكَ﴾:.........

قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، كأنَّه قال: إذ كانَ يرفعُ.

قولُه: (الأُسُسَ) جمعُ: أساسٍ، ورفعُها البناءُ عليها؛ فإنَّه ينقلُها عن هيئةِ الانخفاضِ إلى هيئةِ الارتفاعِ.

وقولُه: (أوِ الجُدُرَ) أي: ساقاتِ البناءِ ومِدْماكاتِهِ[1]؛ فإنَّ كلَّ ساقٍ قاعدةُ ما يُوضَعُ فوقَهُ، ورفعُها بناؤُها، وقيل: المرادُ رفعُ مكانتِهِ وإظهارُ شرفِهِ بتعظيمِهِ ودعاءِ النَّاسِ إلى حجِّهِ.

قولُه: (عطفٌ عَلَى: ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾) كانَ يناولُهُ الحجارةَ، ولكنَّه لمَّا كانَ له مدخلٌ في البناءِ عُطفَ عليه، وقيل: كانا يبنيانِ في طرفينِ أو على التَّناوبِ.

قولُه: (يَقُولَانِ) وقد قُرِئَ به[2]، والجملةُ حالٌ؛ أي: قائلينَ.

قولُه: (بِالفِعْلِ) والأظهرُ: السَّميعُ لدعائِنا العليمُ بنيَّاتِنَا أو بأعمالِنَا وأحوالِنَا.

قولُه: (مُنْقَادَينِ) المرادُ: طلبُ الزِّيادةِ أو الثَّباتِ عليه.

قولُه: (شَرَائِعَ) أو متعبَّداتِنا في الحجِّ، أو مذابحَنَا.

قولُه: (فِي أَهْلِ البَيْتِ) أو الأمَّةِ[3] المسلمةِ.

قولُه: (وَقَدْ أَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ) خصَّ به لأنَّهُ الرئيسُ، أو لأنَّ إسماعيلَ[4] كانَ يُؤَمِّنُ ولم يُبعثْ من ذرِّيَّتِهِما معاً غيرُ محمَّدٍ ﷺ، فهو المجابُ به دعوتُهُما كما قالَ: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ وبُشرى عيسَى ورؤيا أمِّي»[5].

---

(١) المِدْماكُ: الصفُّ من اللَّبن والحجارةِ في البناء. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ١٣٣).

(٢) أي: ﴿وإسماعيل يقولان ربنا﴾ وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧) ونسب لابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في (ص): «البيت والأمة».

(٤) في (م) و(ص): «الرئيس إذ إسماعيل».

(٥) روى أحمد في «مسنده» (٢٢٢٦١)، والطيالسي في «مسنده» (١٢٣٦)، وابن الجعد في «مسنده» (٣٤٢٨)، والطبراني في =

القرآنَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿والحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرهم من الشِّرك. ﴿إِنَّكَ أنتَ العَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

١٣٠ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا ﴿يَرغَبُ عَن مِلّةِ إبراهِيمَ﴾ فيتركُها ﴿إلّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: جهِلَ أنها مَخلوقة لله يجب عليها عبادته، أو استخفّ بها وامتهنَها؟ ﴿ولَقَدِ اصطَفَيناهُ﴾: اخترناه ﴿في الدُّنيا﴾ بالرسالة والخُلّة، ﴿وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ﴾: الذين لهم الدرجات العُلى، اذكرْ

١٣١ ـ ١٣٢ ـ ﴿إذ قالَ لَهُ رَبُّهُ: أسلِمْ﴾: انقَدْ، وأخلِص له دِينك. ﴿قالَ: أسلَمتُ لِرَبِّ العالَمِينَ. ووَصَّى﴾ ـ وفي قراءة «أوصى» ـ ﴿بِها﴾ بالمِلّة ﴿إبراهِيمُ بَنِيهِ ويَعقُوبُ﴾ بنيه، قال: ﴿يا بَنِيَّ، إنَّ اللهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ دينَ الإسلام. ﴿فلا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمُونَ﴾.........

قولُه: (مِنَ الشِّركِ) أي: الجليِّ والخفيِّ.

قولُه: (فِي صُنْعِهِ) أو الحاكمُ في أمرِهِ، فالفعلُ بمعنى الفاعلِ.

قولُه: (جَهِلَ) فإنَّ من عرفَ نفسَهُ فقد عرفَ ربَّهُ، فنصبَ ﴿نَفْسَهُ﴾ على المفعوليَّةِ، وقيل: على التَّمييزِ على مذهبِ الكوفيِّ في تجويزِ المعرفةِ، أو نُصِبَ على نزعِ الخافضِ؛ أي: سَفِهَ في نفسِهِ، والمستثنى في محلِّ الرَّفعِ على المختارِ بدلاً مِن الضَّميرِ في ﴿يَرْغَبُ﴾؛ لأنَّهُ في معنى النَّفي.

قولُه: (اذكُرْ) إشارةٌ إلى أنَّ ما بعدهُ منصوبٌ به، وقيل: ظرفٌ لـ﴿اصْطَفَيْنَاهُ﴾، أو تعليلٌ له.

قولُه: (انْقَدْ) بفتحِ القافِ: أمرٌ من الانقيادِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وابنِ عامرٍ(١).

قولُه: (بَنِيهِ) أي: وصَّى هو أيضاً بها بنيهِ، فهو عطفٌ على: ﴿إِبْرَاهِيْمُ﴾، وقُرِئَ بالنَّصبِ(٢) على أنَّه ممَّن وصَّاهُ إبراهيمُ.

قولُه: (قَالَ) أي: كلُّ واحدٍ منهما.

= «المعجم الكبير» (٨/ ١٧٥) (٧٧٢٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام».

وروى أحمد في «مسنده» (١٧١٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٢) (٦٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٢٢) في حديث العرباض رضي الله عنه مرفوعاً: «سأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧١).

(٢) أي: ﴿ويعقوبَ﴾ وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧) ونسبت لعمرو بن فايد وطلحة.

نهَى عن تركِ الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مُصادفة الموت.

ولمّا قال اليهود للنبيّ: «ألستَ تعلم أنّ يعقوب يومَ ماتَ أوصى بنيه باليهوديّة»؟ نزلَ: ١٣٣ ـ **﴿أم كُنتُم شُهَداءَ﴾**: حُضورًا، **﴿إذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ، إذ﴾** ـ بدلٌ من «إذ» قبله ـ **﴿قالَ لِبَنِيهِ: ما تَعبُدُونَ مِن بَعدِي﴾**: بعدِ موتي؟ **﴿قالُوا: نَعبُدُ إلـٰهَكَ وإلـٰهَ آبائكَ، إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ﴾** ـ عَدُّ إسماعيل من الآباء تغليبٌ، ولأن العمّ بمنزلة الأب ـ **﴿إلـٰهًا واحِدًا﴾**:........

قولُه: (**نهَى عَن تَرْكِ الإِسلامِ**) ظاهرُه النَّهيُ عن الموتِ على خلافِ حالةِ الإسلامِ، والمقصودُ: هو النَّهيُ عن أن يكونُوا على تلك الحالِ إذا ماتوا، والأمرُ بالثَّباتِ على الإسلامِ، والمرادُ: كمالُه؛ ولذا فُسِّرَ **﴿مُسْلِمُونَ﴾** بـ(متزوِّجُونَ).

قولُه: (**نَزَلَ ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾**[1]) و**﴿أمْ﴾** منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها للإنكارِ؛ أي: ما كنتُم حاضرينَ إذ حضرَ يعقوبَ الموتُ وقالَ لبنيهِ ما قاله، فلِمَ تدَّعُونَ اليهوديَّة عليه؟ أو متَّصلةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: أكنتُم غائبين أم كنتُم حاضرينَ؟ أو: أتدَّعُونَ اليهوديَّةَ بلا دليلٍ أم كنتُم شهداءَ؟

قولُه: (**حُضُوْراً**) جمعُ: حاضرٍ.

قولُه: (**﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ**) أي: **﴿إِذْ حَضَرَ﴾**، وهذا أخصرُ وأظهرُ.

قالَ تعالى: (**﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾**) أي: أيَّ شيءٍ تعبدُونَهُ؟

قالَ تعالى: (**﴿وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾**) أي: أصولِكَ أو أكابرِكَ أو أسلافِكَ، فلا يلزمُ الجمعُ بين الحقيقةِ والمجازِ.

قولُه: (**تَغْلِيْباً**) وفي نسخةٍ: «تغليبٌ» أي: للأبِ والجدِّ.

قولُه: (**بِمَنزِلَةِ الأَبِ**) قالَ ﷺ في العبَّاسِ: «هذا بقيَّةُ آبائي»[2]،........

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٤٠)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٣٥١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٢١٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٨١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠١٠٩) عن مجاهد مرسلاً.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٨٠) (١١١٠٧) من طريقه موصولاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وفي «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٩): فيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وبقية رجاله وثقوا.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٣٥) (١٠٥٨٠) من طريق طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه. وفي «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٦): رواه الطبراني، وإسناده حسن.

وروى نحوه الطبراني في «الصغير» (٥٧٢) وفي «الأوسط» (٤٢٠٩) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٩): وفيه جماعة لم أعرفهم.

بدلٌ من «إلـٰهكَ»، ﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾. وأم: بمعنى همزة الإنكار أي: لم تَحضُروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يَليق به؟

١٣٤ ـ ﴿تِلكَ﴾: مبتدأ ـ والإشارة إلى إبراهيمَ ويعقوب وبَنِيهما، وأُنّث لتأنيث خبره ـ ﴿أُمّةٌ قَد خَلَتْ﴾: سَلَفتْ. ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ من العمل أي: جزاؤه ـ استئناف ـ ﴿ولَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿ما كَسَبتُم، ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ﴾ كما لا يُسألون عن عملكم. والجملة: تأكيد لما قبلها.

١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ﴿وقالُوا: كُونُوا هُودًا أو نَصارَى، تَهتَدُوا﴾ أو: للتفصيل،.........

إذ بقيَّةُ الشَّيءِ ما يكونُ من جنسِ[1] ذلك الشَّيءِ، وفي «المبهماتِ»[2] للمصنِّفِ: أنَّ إسماعيلَ وُلدَ لإبراهيمَ وهو ابنُ تسعينَ سنةٍ، وهو بكرُهُ، ووُلِدَ له إسحاقُ بعدهُ بثلاثِ سنينَ، انتهى، فهذا وجهُ تقديمِ إسماعيلَ، أو لأنَّه جدُّ النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (بَدَلٌ) أي: لِدفعِ توهُّمِ التَّعدُّدِ الناشئِ من تكريرِ المضافِ إليه الحاصلِ من ضرورةِ عدمِ استحسانِ العطفِ على الضَّميرِ المجرورِ من غيرِ إعادةِ الجارِّ، أو نُصِبَ على الاختصاصِ؛ أي: نريد بإلهِ آبائكَ إلهاً واحداً.

وقولُه تعالى: (﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾) حالٌ من فاعلِ: ﴿نَعْبُدُ﴾ أو مفعولِهِ أو منهما، ويحتملُ أن يكونَ اعتراضاً بيانيًّا.

قولُه: (لِتَأْنِيثِ خَبَرِهِ) والإفرادُ لكونِ الأمَّةِ مفردةَ اللَّفظِ، أو لتأنيثِ المشارِ إليه؛ فإنَّ الإشارةَ إلى الجماعةِ المذكورةِ الَّتي هي إبراهيمُ ويعقوبُ وبنوهُما الموحِّدُونَ، وهذا هو الأظهرُ.

قولُه: (سَلَفَتْ) أي: مضَتْ.

قولُه: (أَي: جَزاؤُهُ) يعني: بتقديرِ المضافِ، أو بذكرِ السَّببِ وإرادةِ المسبَّبِ.

قولُه تعالى: (﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُم﴾) أي: من الخيرِ والشَّرِّ؛ ولذا لم يقلْ: وعليكُم ما اكتسبْتُم.

قولُه: (والجُمْلَةُ ـ أَيْ: ﴿ولا تُسْأَلُونَ﴾ ـ تَأكِيدٌ لِمَا قَبلَهَا) فالخطابُ لليهودِ، والأظهرُ: أنَّ فيه التفاتاً والمعنى: لا تُسألونَ أيُّها المؤمنونَ، والتَّأسيسُ أولى.

قولُه: (أَو لِلتَّفصِيْلِ) أي: لما أجملَ في ﴿قَالُوا﴾.

---

(١) في (ص): «ضمن».

(٢) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (ص: ١٧).

والأثر رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٨) عن محمد بن عمر الأسلمي.

وقائل الأول يهود المدينةِ والثاني نصارى نجرانَ. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَل﴾ نتَّبعُ ﴿مِلَّةَ إبراهِيمَ حَنِيفًا﴾: حالٌ من إبراهيم، مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم، ﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. قُولُوا﴾ خطابٌ للمؤمنين: ﴿آمَنَّا باللهِ وما أُنزِلَ إلَينا﴾ من القرآن ﴿وما أُنزِلَ إلَى إبراهِيمَ﴾ من الصُّحف العشْر ﴿وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ﴾: أولادِه، ﴿وما أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وعِيسَى﴾ من الإنجيل، ﴿وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم﴾ من الكتب والآيات، ﴿لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم﴾ فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كاليهود والنصارى، ﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾.

قولُه: (﴿بَلْ﴾ نَتَّبِعُ) أو: بل نكونُ أهلَ ملَّتهِ.

قولُه: (حَالٌ مِنَ: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾) أو من ﴿مِلَّةَ﴾، والتَّذكيرُ لأنَّها بمعنى الدِّينِ، قالَ تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١].

قولُه: (مَائِلاً عَنِ الأَدْيَانِ) الأحصرُ والأظهرُ: مائلاً عن الباطلِ إلى الحقِّ، ضدُّ: الملحدِ، والحنفُ والإلحادُ في أصلِ اللُّغةِ: الميلُ المطلقُ[١]، ثمَّ خُصَّ كلٌّ بما ذُكِرَ.

قولُه: (خِطَابٌ لِلمُؤْمِنِينَ) لقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ﴾، أو الخطابُ له ولأمَّتِهِ لقولِهِ: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، وقُدِّمَ على: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ لأنَّ نبيَّنَا أقدمُ في الرتبةِ، وكتابَنا تعلَّقَ به المعجزةُ، وللزومِ الإيمانِ به الإيمانَ بغيرِهِ.

قولُه: (مِنَ الصُّحُفِ العَشْرِ) الأَولى عدمُ التَّقييدِ بالعددِ في الأنبياءِ وكتبِهِم.

قولُه: (أَوْلَادِهِ) قيل: من صلبِهِ، ذكرَهُ البغويُّ[٢]، وفي «المبهماتِ»[٣] عن ابنِ عبَّاسٍ: الأسباطُ بنو يعقوبَ كلٌّ منهُم ولَدَ سبطاً، انتهى، والأسباطُ جمعُ: سبطٍ، وهو الحافدُ[٤]، فإمَّا يُرادُ به حفدةُ يعقوبَ، أو أبناؤه فإنَّهُم حفدةُ إبراهيمَ وإسحاقَ، وفيهم الأنبياءُ، والكتابُ وإن كانَ منزَّلاً على إبراهيمَ كما صرَّحَ به بعضُ السَّلفِ، لكنَّهُم لمَّا جاؤُوا بترويجِهِ والحكمِ بما فيه فكأنَّه منزَّلٌ عليهم.

قولُه: (فَنُؤْمِنُ) يعني: فلا ينافي تفضيلَ بعضهم.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣١٧، ٨٠٢).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٧٢).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٧).

والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٤٧).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٩).

١٣٧ ـ ﴿فإن آمَنُوا﴾ أي: اليهودُ والنصارى ﴿بِمِثلِ﴾ ـ مثل: زائدٌ ـ ﴿ما آمَنتُم بِهِ فقَدِ اهتَدَوا، وإن تَوَلَّوا﴾ عن الإيمان به ﴿فإنَّما هُم في شِقاقٍ﴾: خلاف معكم، ﴿فسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ﴾ يا محمّد: شِقاقَهم. ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿العَلِيمُ﴾ بأحوالهم. وقد كفاه إيّاهم بقتل قُرَيظةَ ونفي النَّضير وضرب الجزية عليهم. ١٣٨ ـ ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾: مصدرٌ مؤكِّد لـ«آمنّا» ونصبُه بفعل مقدّر، أي: صَبَغَنا اللهُ ـ والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصِّبغ في الثوب. ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾؟ تمييز ـ ﴿ونَحنُ لَهُ عابِدُونَ﴾.

قال اليهود للمسلمين: «نحن أهل الكتاب الأوّل، وقِبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمّد نبيًّا لكان منّا»، فنزل: ١٣٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أتُحاجُّونَنا﴾: تُخاصموننا ﴿في اللهِ﴾ أن اصطفى نبيًّا من العرب، ﴿وهُوَ رَبُّنا ورَبُّكُم﴾ ـ فله أن يصطفيَ من يشاء ـ ﴿ولَنا أعمالُنا﴾ نُجازَى بها، ﴿ولَكُم أعمالُكُم﴾ تُجازَون بها ـ فلا يبعدُ أن يكون في أعمالنا ما نستحقّ الإكرام به ـ ﴿ونَحنُ لَهُ مُخلِصُونَ﴾ الدِّينَ والعمل دونكم. فنحن أولى بالاصطفاء؟ والهمزة للإنكار، والجُمل الثلاث أحوال.

١٤٠ ـ ﴿أمْ﴾: بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياء والتاء: ﴿إنَّ إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطَ كانُوا هُودًا أو نَصارَى؟ قُلْ﴾ لهم: ﴿أأنتُم أعلَمُ أمِ اللهُ﴾؟ أي: اللهُ أعلم. وقد برَّأ منهما إبراهيمَ بقوله «ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا»، والمذكورون معه تبعٌ له. ﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أخفَى عن الناس ﴿شَهادةً عِندَهُ﴾، كائنةً ﴿مِنَ اللهِ﴾؟ أي: لا أحد أظلم منه. وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفيّة. ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾، تهديدٌ لهم. ١٤١ ـ ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَتْ، لَها ما كَسَبَتْ ولَكُم ما كَسَبتُم، ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ﴾، تقدّمَ مِثله.

قولُه: (مِثْل زائِدَة) ويؤيِّدُه أنّه قُرِئَ: ﴿بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾[1]، وقيل: الباءُ زائدةٌ؛ أي: إيماناً مثلَ إيمانِكُم بما ذكرَ.

قولُه: (مَصْدَرٌ) وقيل: على الإغراءِ، أو: قولُوا التَزمنا دينَ اللهِ، وعليهِ أكثرُ السَّلفِ.

قولُه: (أَنِ اصْطَفَى) بفتحِ أن أو كسرِها.

قولُه: (أَحْوَالٌ) أي: مترادفةٌ أو متداخلةٌ.

قولُه: (بِاليَاءِ) أي: الغيبة لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشعبةَ[2]، فيوقفُ على: ﴿مُخْلِصُونَ﴾.

قولُه: (تَقَدَّمَ مِثْلُهُ) قيلَ: التَّكريرُ للمبالغةِ في التَّحذيرِ عمَّا في طباعِ الأبناءِ من الافتخارِ بالآباءِ والاتِّكالِ

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧) ونسبت لابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧١)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٥).

١٤٢ ـ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ﴾: الجُهّال ﴿مِنَ النّاسِ﴾ اليهودِ والمشركينَ: ﴿ما وَلّاهُم﴾: أيُّ شيءٍ صَرفَ النبيّ والمؤمنين ﴿عَن قِبلَتِهِمِ الَّتِي كانُوا عليها﴾: على استقبالها في الصَّلاة؟ وهي بيت المقدس، والإتيانُ بالسين الدالّةِ على الاستقبال من الإخبار بالغيب. ﴿قُل: للهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ﴾ أي: الجهاتُ كلُّها، فيأمر بالتوجّه إلى أيّ جهة شاء، لا اعتراض عليه، ﴿يَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هدايته ﴿إلَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾: دينِ الإسلام، أي: ومنهم أنتم. دلّ على هذا: ١٤٣ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما هديناكم إليه ﴿جَعَلناكُم﴾ ـ يا أمّة محمّد ـ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: خِيارًا عُدولاً، ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ﴾ يوم القيامة أنَّ رُسلهم بلّغتْهم، ﴿ويَكُونَ الرَّسُولُ عليكُم شَهِيدًا﴾ أنّه بلّغكم.

﴿وما جَعَلنا﴾: صَيّرنا ﴿القِبْلَةَ﴾ لكَ الآن الجهةَ ﴿الَّتِي كُنتَ عليها﴾ أوّلاً ـ وهي الكعبة،........

عليهم، وقيل: الخطابُ في الأولى لهم، وفي الأخرى لنا تحذيراً عن الاقتداءِ بهم، وقيل: المرادُ بالأمَّةِ في الأولى الأنبياءُ، وفي الثَّانيةِ أسلافُ اليهودِ والنَّصارى.

قولُه: (وهِيَ بَيتُ المَقدِسِ) وفي «تفسيرِ الصَّفويِّ»[١]: الصَّخرةُ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (خِيَاراً عُدُولاً) ظاهرُهُ: أنَّهُ عطفُ تفسيرٍ، وفي نسخةٍ بلا واوٍ[٢]، قال ابنُ جريرٍ[٣]: العدولُ هم الخيارُ، نقلهُ المصنِّفُ[٤]، وفي «البيضاويِّ»[٥] بلفظِ: أو عدولاً مزكَّينَ بالعلمِ والعملِ.

قولُه: (أنَّهُ بَلَّغَكُم) فلا يردُ أنَّ (على) للضَّررِ، وفي «الشِّفاءِ» أي: مشاهداً عليكُم، والأظهرُ أنَّ المعنى: رقيباً ومطَّلعاً عليكُم به.

قولُه: (صَيَّرْنَا) فـ﴿القِبْلَةَ﴾ المفعولُ الأوَّلُ، و﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ المفعولُ الثَّاني.

قولُه: (وهِيَ الكَعبَةُ) أو الصَّخرةُ لقولِ ابن عبَّاسٍ[٦]: كانت قبلتُهُ بمكَّةَ بيت المقدسِ، إلَّا أنَّهُ كان يجعلُ الكعبةَ بينه وبينَهُ، فلمَّا هاجرَ تعذَّرَ الجمعُ بينهما، فأمرَهُ اللهُ بالتَّوجُّهِ إلى بيتِ المقدسِ، وهذا مختارُ ابن كثيرٍ[٧].

---

(١) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ١٠١).

(٢) «وفي نسخة بلا واو»: ليست في (ص).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٤٢).

(٤) انظر: «حاشية السوطي على تفيسر البيضاوي» (٢/ ٣٣٣).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١١٠).

(٦) رواه أحمد في «مسنده» (٢٩٩١)، والبزار في «مسنده» (٤٨٢٥) بنحوه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٢): رجاله رجال الصحيح.

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٥٣).

وكان ﷺ يصلّي إليها، فلمّا هاجر أُمر باستقبال بيت المقدس تألُّفًا لليهود، فصلّى إليه ستّة أو سبعة عشَرَ شهرًا، ثمّ حُوِّل ـ ﴿إلاّ لِنَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فيُصدّقه ﴿مِمَّن يَنقلِبُ على عَقِبَيهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر شكًّا في الدِّين، وظنًّا أن النبيّ ﷺ في حَيرة من أمره ـ وقد ارتدّ لذلك جماعة ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنّها ﴿كانَتْ﴾ أي: التَّوليةُ إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شاقّةً على الناس ﴿إلاّ على الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ منهم، ﴿وما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يُثيبكم عليه. لأنّ سبب نزولها السؤال عمّن مات قبل التحويل. ﴿إنَّ اللهَ بِالنّاسِ﴾: المؤمنين ﴿لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم. والرأفةُ: شِدّة الرحمة، وقُدّم الأبلغُ للفاصلة.

١٤٤ ـ ﴿قَد﴾ للتحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّبَ﴾: تصرُّفَ ﴿وَجهِكَ في﴾ جهةِ ﴿السَّماءِ﴾، مُتطلّعًا إلى الوحي ومُتشوّقًا للأمر باستقبال الكعبة. وكان يودّ ذلك لأنّها قِبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب. ﴿فلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نُحوِّلَنك ﴿قِبلَةً تَرضاها﴾: تُحبّها.

قولُه: (عِلْمَ ظُهُورٍ) أي: علماً حاليًّا تنجيزيًّا يتعلَّقُ به الجزاءُ، يعني: ليتعلَّقَ علمُنا به موجوداً كما يتعلَّقُ به معدوماً، وقيل: معناهُ لنميِّزَهُ[1] بوضعِ السَّببِ موضعَ المسبَّبِ، وقيل: فعلنا ذلك فِعلَ من يريدُ أن يعلمَ، وهو الامتحانُ والاختبارُ.

قولُه: (مُخَفَّفَةٌ) فاللَّامُ فاصلةٌ، وقيل: هي النَّافيةُ واللَّامُ بمعنى إلَّا.

قولُه: (أي: التَّوْلِيَةُ) أو الجعلةُ، أو التَّحويلةُ، أو القبلةُ.

قولُه: (أي: صَلاتَكُم) وقيل: أي ثباتَكُم على الإيمانِ، أو إيمانَكُم بالقبلةِ المنسوخةِ.

قولُه: (قَد لِلتَّحقِيقِ) أو للتَّقليلِ بالنِّسبةِ إلى المرئيِّ.

قولُه: (تَصَرُّفَ) تردُّدَ.

قولُه: (مُتَطَلِّعاً إِلَى الوَحْيِ) أو منتظراً نزولَ جبريلَ.

قولُه: (قِبْلَةُ إِبرَاهِيمَ) وأقدمُ القبلتينِ، ولمخالفةِ اليهودِ، وذلك يدلُّ على كمالِ أدبِهِ حيثُ انتظرَ ولم يسأل.

قولُه: (فَلَنُحَوِّلَنَّكَ) أي: وجهَكَ إلى قبلةٍ، فنصبُهَا بنزعِ الخافضِ، وفي «المدارِكِ»[2]: فلنعطينَّكَ. وفيه أنَّهُ حاصلُ المعنى لأجلِ المبنى، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ﴾ أي: اصرِف وحوِّل، وحاصلُ المعنى: استقبِل... إلخ.

---

(١) في (ص): «ليميزه».

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٣٩).

﴿فوَلِّ وَجهَكَ﴾: استقبلْ في الصّلاة ﴿شَطرَ﴾: نحوَ ﴿المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: الكعبةِ، ﴿وحَيثُما كُنتُم﴾ خطابٌ للأمّة ﴿فوَلُّوا وُجوهَكُم﴾ في الصّلاة ﴿شَطرَهُ. وإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعلَمُونَ أنَّهُ﴾ أي: التولّي إلى الكعبةِ ﴿الحَقُّ﴾: الثابت ﴿مِن رَبِّهِم﴾ لما في كُتبهم في نعت النبيّ من أنه يتحوّل إليها. ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾، بالتاء: أيّها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي: اليهود من إنكار أمر القِبلة.

١٤٥ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿أتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ما تَبِعُوا﴾ أي: يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عِنادًا، ﴿وما أنتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُم﴾ ـ قطعٌ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ـ ﴿وما بَعضُهُم بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعضٍ﴾ أي: اليهودُ قِبلةَ النصارى وبالعكس، ﴿ولَئِنِ اتَّبَعتَ أهْواءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾: الوَحيِ ﴿إنَّكَ إذًا﴾ ـ إن اتبعتَهم فَرْضًا ـ ﴿لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾.

١٤٦ ـ ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ﴾ أي: محمّدًا ﴿كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم﴾ بنعته في كتبهم ...

قولُه: (أي: الكَعْبَةِ) و﴿الحرامِ﴾ المحرَّمِ؛ أي: محرَّم فيه القتالُ، أو ممنوعٍ عن الظَّلَمةِ أن يتعرَّضُوهُ، قالَ البيضاويُّ[1]: وإنَّما ذكرَ المسجدَ دونَ الكعبةِ؛ لأنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كان في المدينةِ، والبعيدُ تكفيهِ مراعاةُ الجهةِ؛ فإنَّ استقبالَ عينِها حرجٌ، بخلافِ القريبِ؛ يعني: من بمكَّةَ، وهذا موافقٌ لمذهَبِنا[2] ودالٌّ على أنَّ في مذهبِ الشَّافعيِّ[3] قولَينِ.

قولُه: (بِالتَّاءِ) أي: الخطابِ لابنِ عامرٍ وحمزةَ والكسائيِّ[4].

قولُه: (لَامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ للقسمِ، وجوابُه: ﴿ما تبعُوا﴾، وهو سادٌّ مسدَّ جوابِ الشَّرطِ.

وقولُه: (لَا يَتبَعُونَ) أي: ما يتْبعُونَ، إشارةٌ إلى الاستقبالِ المستفادِ من الشَّرطِ.

قولُه: (وبالعَكسِ) فإنَّ اليهودَ تستقبلُ الصَّخرةَ، والنَّصارى مطلعَ الشَّمسِ.

قالَ تعالى: (﴿الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾) يعني: علماءَهُمْ.

قولُه: (أي: مُحَمَّداً) يعني: الضَّميرُ له مع عدمِ ذكرِهِ لدلالةِ الكلامِ عليه أو للعلمِ، وقيل: القرآنَ أو التَّحويلَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١١٢).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ٤٧).

(٣) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٢/ ١٤٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦١، ١٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٦).

قال ابن سلام: «لقد عرَفتُه حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمّد أشدّ» ـ ﴿وإِنَّ فَرِيقًا مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ﴾: نعتَه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾. هذا الذي أنت عليه ١٤٧ ـ ﴿الحَقُّ﴾ كائنًا ﴿مِن رَّبِّكَ ـ فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾ الشاكّين فيه، أي: من هذا النوع. فهو أبلغ من «لا تَمتَرِ» ـ........

قولُه: (أَشَدُّ) فقيل: لمَ؟ قال: لأني لسْتُ أشكُّ في محمَّدٍ ﷺ أنّه نبيٌّ، فأمّا ولدي فلعلَّ والدتَهُ خانَت، فقبَّلَ عمَرُ رضي اللهُ عنهُ رأسَهُ، كذا في «المداركِ»[(١)].

قولُه: (نَعْتَهُ) أي: نعتَ النَّبيِّ ﷺ الثَّابت.

قولُه: (هَذَا الَّذِي... إلخ) اختارَ أنَّ ﴿الحَقُّ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ حالٌ مؤكِّدةٌ، تقديرُهُ: حالَ كونِهِ من ربِّكَ، أو خبرٌ بعد خبرٍ، وقيل: ﴿الحَقُّ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، واللَّامُ للعهدِ أو الجنسِ، وهذا أظهرُ.

قولُه: (فهُوَ أَبْلَغُ) لأنَّهُ كنايةٌ عن عدمِ الامتراءِ، والكنايةُ أبلغُ من التَّصريحِ، ولا يخفَى أنَّ الأبلغيَّةَ على تقديرِ انتفاءِ النَّوعيَّةِ، وإلَّا فـ(لا تَمْتَرِ) أبلغُ من حيثُ إنَّه نهيٌ عن الامتراءِ ولو مرَّةً، بخلافِ (الممترينَ) فإنَّهُمُ الموصوفونَ بالامتراءِ بطريقِ غلبةِ هذا الوصفِ عليهم، أو المعتادونَ به؛ ولذا يُقالُ العادلُ والظَّالمُ والمصلِّي والعالمُ لمن غلبَ عليه هذا الوصفُ، لا لمن وُجدَ فيه في الجملةِ، وعلى هذا يسوغُ ما قيلَ من أنَّ مَن قالَ: (السُّلطانُ عادلٌ) يكفرُ، بخلافِ من قالَ: السُّلطانُ عَدَلَ أو يعدلُ، فتحقَّقَ أن: (لا تكن ممترياً) ليسَ أبلغَ من: (لا تمترِ).

قالَ البيضاويُّ[(٢)] في الشعراء: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [١٦٨] أبلغُ من: (لعملِكُم قالٍ)؛ لدلالتِهِ على أنَّهُ معدودٌ في زمرتِهِم مشهورٌ بأنَّه من جملتِهِم، انتهى.

فلا يبعدُ أن يُقالَ: وجهُ الأبلغيَّةِ ما يُستَفادُ منه بطريقِ المبالغةِ؛ لأنَّه إذا قيل: (لا تكن من هذه الجماعةِ الشَّاكَّةِ في غمارِهِم) فهو بعيدٌ عن أعمالِهِم وأحوالِهِم، فيكونُ من قبيلِ قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢].

هذا وليس المرادُ نهيَهُ ﷺ عن الشكِّ فيه؛ لأنَّهُ غيرُ متوقَّعٍ منه وليسَ بقصدٍ، بل إخبارٌ إمَّا بتحقيقِ الأمرِ وأنَّهُ بحيث لا يشكُّ فيه النَّاظرُ، أو أمرٌ للأمَّةِ بخطابِ العامِّ باكتسابِ المعارفِ المُزيحَةِ للشكِّ، أو: ادفعِ الشكَّ أو ارفعْهُ بتحصيلِ الأدلَّةِ المزيلةِ التَّردُّدَ في الدِّينِ، والشكُّ هنا ضدُّ الجزمِ واليقينِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٤١).

والأثر رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ١٩٢) (٣٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنه. وإسناده تالف.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٨).

١٤٨ - ﴿ولِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجهةٌ﴾: قِبلةٌ، ﴿هُوَ مُوَلِّيها﴾ وَجهَهُ في صلاته. وفي قراءة «مُوَلاّها». ﴿فاستَبِقُوا الخَيراتِ﴾: بادروا إلى الطاعات وقَبولها. ﴿أينَما تَكُونُوا يأتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾: يجمعكم يوم القيامة، فيُجازيَكم بأعمالكم. ﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

١٤٩ - ﴿ومِن حَيثُ خَرَجتَ﴾ لسفر ﴿فوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرامِ - وإنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَبِّكَ، وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾، بالتاء والياء، تقدّم مِثله، وكرّره لبيان تساوي حُكم السفر وغيره - ١٥٠ - ﴿ومِن حَيثُ خَرَجتَ فوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرامِ، وحَيثُما كُنتُم فوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ﴾ - كرّره للتأكيد - ﴿لِئلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ﴾:

قالَ تعالى: (﴿وَلِكُلٍّ﴾) من الأُممِ؛ أي: لكلِّ أُمَّةٍ أو قومٍ، أو لكلِّ صاحبِ ملَّةٍ، والتَّنوينُ بدلُ الإضافةِ.

قولُه: (وَجْهَهُ) إشارةٌ إلى أنَّ أحدَ المفعولينِ محذوفٌ، والآخرُ هو الضَّميرُ في ﴿مُوَلِّيهَا﴾ راجعٌ إلى القبلةِ، أو: اللهُ تعالى مولِّيها إيَّاهُ، أو[1] إيَّاهم.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لابنِ عامرٍ[2]؛ أي: هو مولًّي تلك الجهةِ قد وليهَا اللهُ.

قولُه: (إِلَى الطَّاعَاتِ) من أمرِ القبلةِ وغيرِهِ.

قولُه: (وَقَبُولِهَا) أي: إلى أسبابِهِ.

قالَ تعالى: (﴿قَدِيْرٌ﴾) أي: من الإحياءِ والإماتةِ والجمعِ.

قالَ تعالى: (﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾) أي: إذا صلَّيتَ.

قولُه: (بِاليَاءِ) الغيبةِ لأبي عَمرٍو[3].

قولُه: (تَقَدَّمَ مِثْلُهُ) أي: في بيانِ المخاطبينَ والغائبينَ.

قولُه: (كَرَّرَهُ للتَّأكِيدِ) قالَ الرَّاغبُ[4]: إعادةُ ذلك لحكمةٍ لطيفةٍ؛ وهو أنَّهُ ذكرَ لتغييرِ القبلةِ ثلاثَ عللٍ من قولِهِ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ إلى قولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

الأُولَى: إكرامُه تعالى نبيَّهُ ﷺ إذ ولَّاهُ قبلةَ أبيه إبراهيمَ ابتغاءَ مرضاتِهِ؛ وهو قولُهُ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾... الآيَةَ.

---

(١) في (ص): «و».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٧).

(٤) انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٣٤٠).

اليهودِ أو المشركين ﴿عليكم حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلةٌ في التولّي إلى غيره، لتنتفي مجادلتهم لكم من قولِ اليهود: «يَجحدُ دِينَنا ويتبع قِبلتنا»، وقولِ المشركين: «يدّعي ملّةَ إبراهيم ويُخالف قبلته»، ﴿إلاّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنهُم﴾ بالعِناد. فإنهم يقولون: «ما تَحوّلَ إليها إلاّ ميلاً إلى دين آبائه» ـ والاستثناءُ متّصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلاّ كلامُ هؤلاء. ﴿فلا تَخشَوهُم﴾: تخافوا جدالهم في التولّي إليها، ﴿واخشَوني﴾ بامتثال أمري ـ ﴿ولأُتِمَّ﴾: عطفٌ على «لئلاّ يَكُون»، ﴿نِعْمتِي عليكُم﴾ بالهداية إلى مَعالم دينكم، ﴿ولعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ إلى الحقّ،..

الثّانيةَ: إخبارُه أنَّ لكلِّ صاحبِ دعوةٍ قبلةً؛ وهو قولُه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾.

الثّالثةَ: قطعُ حججِ معانِديهِ؛ وهو قولُهُ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

فذكرَ لكلِّ علّةٍ معلولَها الَّذي هو الغرضُ؛ وذلك قولُهُ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، كقولكَ: إنَّ هذا فُرِضَ لسببِ كذا، فيفيدُ المعلولَ مع العلّةِ، انتهى.

قولُه: (مُجَادَلَةٌ) يعني: الحجّةُ بمعنى الاحتجاجِ، أو تُسمّى هذه حجّةً؛ لأنَّهم يسوقُونَ مساقَها.

قولُـه: (فِي التَّوَلِّي إِلَـى غَيرِهِ؛ أي: لِتَنتَفِيَ) إشـارةٌ إلـى أنَّ قولَه تعالـى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ علّـةٌ لقولِه تعالى: ﴿فَوَلُّوا﴾.

قولُه: (وَيَتْبَعَ قِبْلَتَنَا) أو أنَّ المنعوتَ في التَّوراةِ قبلتُهُ الكعبةُ.

قولُه: (قِبْلَتَهُ) أي: قبلةَ إبراهيمَ وقبلةَ ابنِهِ إسماعيلَ أبي العربِ.

قولُه: (إِلَى دِيْنِ آبَائِهِ) وحبًّا لبلدِهِ، ولو كانَ على الحقِّ للزِمَ قبلةَ الأنبياءِ، أو بدا له فرجعَ إلى قبلةِ آبائِهِ، ويوشكُ أن يرجعَ إلى دينِهِم، وهذا حجّةُ المعاندينَ من اليهودِ، وأمّا المعانِدونَ من المشركينَ فيقولُونَ: تحيَّرَ في أمرِهِ فلا يدري على أيِّ قبلةٍ يثبتُ؟

قولُه: (والاستِثْنَاءُ) أي: من النَّاسِ.

قولُه: (وَالمَعْنَى... إلخ) وقيل: الاستثناءُ للمبالغةِ في نفي الحجّةِ رأساً للعلمِ بأنَّ الظّالمَ لا حجّةَ له، وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ، وكأنَّ المعاندينَ جنسٌ آخرُ من اليهودِ والمشركينَ.

قولُه: (عَطفٌ عَلَى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾) فيكونُ التَّقديرُ: فولُّوا لأُتمَّ.

قولُه: (إِلَى الحَقِّ) ذكرَ المصنِّفُ في الخصائصِ أنَّ أمّتَهُ ﷺ مختصُّونَ بالكعبةِ، وفيه بحثٌ ظاهرٌ؛ لأنَّ الكعبةَ أوّلُ بيتٍ وُضعَ للنّاسِ، فالأوّلونَ من الأممِ من آدمَ إلى إبراهيمَ بحسبِ الظّاهرِ ما كانُوا يصلُّون إلّا إلى الكعبةِ.

١٥١ ـ ﴿كَما أرسَلْنا﴾ متعلّق بـ «أُتمّ» أي: إتمامًا كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُم رَسُولاً مِنكُم﴾ محمّدًا ﷺ، ﴿يَتلُو علَيكُم آياتِنا﴾: القُرآنَ، ﴿ويُزَكِّيكُم﴾: يطهّرُكم من الشرك، ﴿ويُعَلِّمُكُمُ الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿والحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿ويُعَلِّمُكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾.

١٥٢ ـ ﴿فاذكُرُونِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه، ﴿أذكُرْكُم﴾ ـ قيل: معناه: أُجازِكم. وفي الحديث عن الله: «مَن ذَكَرَني في نَفسِه ذَكَرتُه في نَفْسِي، ومَن ذَكَرَني في مَلَأٍ ذَكَرتُه في مَلَأٍ خَيرٍ مِن مَلَئِهِ» ـ ﴿واشكُرُوا لِي﴾ نعمتي بالطاعة، ﴿ولا تَكفُرُونِ﴾ بالمعصية.

١٥٣ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَعِينُوا﴾ على الآخِرة ﴿بِالصَّبرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿والصَّلاةِ﴾. خصّها بالذكر لتكرّرها وعِظَمها ـ ﴿إنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالعونِ ـ ١٥٤ ـ ﴿ولا تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ في سَبِيلِ اللهِ﴾: هم ﴿أمْواتٌ. بَل﴾ هم ﴿أحياءٌ﴾، أرواحهم في حَواصلِ طيورٍ خُضرٍ، تسرح في الجنّة حيث شاءت، لحديث بذلك، ﴿ولكِنْ لا تَشعُرُونَ﴾: تعلمون ما هم فيه.

قولُه: (مُتَعَلِّقٌ بـ﴿أُتِمَّ﴾... إلخ) أو متعلّقٌ بـ﴿اذكرُونِي﴾؛ أي: كما ذكرْتُكُم بالإرسالِ فاذكُروني.

قولُه: (مِنَ الأَحْكَامِ) أو الحكَمِ والمواعظِ، أو المرادُ بالحكمةِ السُّنَّةُ، قالَ تعالى: ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي: بالفكرِ والنَّظرِ؛ إذ لا طريقَ إلى معرفتِهِ سوى الوحي، وكرَّرَ الفعلَ ليدلَّ على أنَّه جنسٌ آخرُ.

قولُه: (خَيْرٍ مِن مَلَئِهِ[1]) المحفوظُ «خيرٍ منهُم»[2]، ولعلَّ ما ذكرهُ الشَّيخُ روايةٌ أو نقلٌ بالمعنى.

قولُه: (عَلَى الآخِرَةِ) أي: طلبِها وتحصيلِهَا.

قولُه: (عَلَى الطَّاعَةِ والبَلاءِ) يعني: وغيرِ المعصيةِ، أو: تركُ المعصيةِ طاعةٌ.

قولُه: (وعِظَمِهَا) لأنَّها أمُّ العباداتِ ومعراجُ المؤمنينَ ومناجاةُ ربِّ العالمينَ.

قولُه: (هُم) قدَّرَهُ ليكونَ المقولُ جملةً.

قولُه: (فِي حَوَاصِلِ) أي: أجوافِ.

قولُه: (خُضرٍ) جمعُ: أخضرَ.

قولُه: (تَسْرَحُ[3]) أي: ترعى وتأكلُ.

---

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في «مسنده» (١٠٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتتمة هذه العبارة: «الذين يذكرني فيهم».

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

١٥٥ ـ ﴿ولَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ﴾ للعدوّ ﴿والجُوعِ﴾: القحط ﴿ونَقصٍ مِنَ الأموالِ﴾ بالهلاك، ﴿والأنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض، ﴿والثَّمَراتِ﴾ بالجوائح، أي: لَنَختبِرَنَّكم فننظرَ: أتصبرون أم لا؟ ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنّة. ١٥٦ ـ همْ ﴿الَّذِينَ إذا أصابَتْهُم مُصِيبَةٌ﴾: بلاء ﴿قالُوا: إنّا لِلهِ﴾ مُلكًا وعبيدًا، يفعل بنا ما يشاء، ﴿وإنّا إلَيهِ راجِعُونَ﴾ في الآخِرة فيُجازينا. في الحديث «مَن استَرجَعَ عِندَ المُصِيبةِ آجَرَهُ اللهُ فِيها، وأخلَفَ علَيهِ خَيرًا». وفيه أنّ مِصباحَ النبيِّ ﷺ طَفِيء فاستَرجَعَ، فقالَتْ عائشةُ: إنّما هذا مِصباحٌ! فقال: «كُلُّ ما ساءَ المُؤمِنَ فهُوَ مُصِيبةٌ». رواه أبو داودَ في مَراسيله. ١٥٧ ـ ﴿أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ﴾: مغفرة ﴿مِن رَبِّهِم ورَحمةٌ﴾: نِعمة، ﴿وأُولئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

قالَ تعالى: (﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾) أي: لنُصيبَكُم إصابةَ من يختبرُ أحوالَكُم هل تصبِرونَ على البلاءِ وتستسلِمُونَ؟

قالَ تعالى: (﴿بِشَيْءٍ﴾) أي: بقليلٍ من ذلك، وقلَّلَهُ بالإضافةِ إلى ما وقاهُم عنه، أو بالنِّسبةِ إلى ما يصيبُ به أعداءَهُم في الآخرةِ، وإنَّما أخبرَهُم به قبلَ وقوعِهِ ليوطِّنُوا عليه نفوسَهُم.

قولُه: (القَحْطِ) الأظهرُ بالقحطِ، وكأنَّهُ وضع السَّببَ موضعَ المسبَّبِ.

قالَ تعالى: (﴿وَنَقْصٍ﴾) عطفٌ على ﴿شَيْءٍ﴾، أو ﴿الْخَوْفِ﴾، ويؤيِّدُ الأوَّلَ تنكُّرُه، وعنِ الشَّافعيِّ[1]: الخوفُ خوفُ اللهِ، والجوعُ صومُ رمضانَ، والنَّقصُ من الأموالِ الصَّدقاتُ، ومن الأنفسِ الأمراضُ[2]، ومن الثَّمراتِ موتُ الأولادِ.

قولُه: (بالجَوَائِحِ) هي جمعُ: جائحةٍ، وهي الآفةُ الَّتي تُصيبُ الزَّرعَ[3].

قولُه: (هُم ﴿الَّذِينَ﴾) إشارةٌ إلى أنَّ محلَّ الموصولِ الرَّفعُ بالخبريَّةِ، ويحتملُ النَّصبَ على المدحِ والوصفيَّةِ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (أي: مُلْكاً وَعَبِيْداً) فالتَّقديرُ: إنَّا وأموالُنا له سبحانَهُ.

قولُه: (مَغْفِرَةٌ) يعني: أنَّ الصَّلاةَ من اللهِ المغفرةُ، وجمعَها للتَّنبيهِ على كثرتِهَا وتنوُّعِهَا.

قولُه: (نِعْمَةٌ) أي: لطفٌ وإحسانٌ؛ يعني: أنَّ الصَّبرَ على المصيبةِ إمَّا كفارةٌ للسَّيِّئاتِ وإمَّا رفعٌ للدَّرجاتِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ٢٢٤).

ورواه البيهقي في «أحكام القرآن للشافعي» (١/ ٣٩) مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٢) «ومن الأنفس الأمراض»: ليست في (م).

(٣) انظر: «تاج العروس» (٦/ ٣٥٥).

١٥٨ ـ ﴿**إِنَّ الصَّفا والمَرْوةَ**﴾: جَبَلانِ بِمكّةَ ﴿**مِن شَعائرِ اللهِ**﴾: أعلامِ دِينه، جمعُ شَعِيرة. ﴿**فمَن حَجَّ البَيتَ أوِ اعتَمَرَ**﴾ أي: تلبّسَ بالحجّ أو العُمرة ـ وأصلُهما القصد والزيارة ـ ﴿**فلا جُناحَ**﴾: إثمَ ﴿**علَيهِ أن يَطَّوَّفَ**﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، ﴿**بِهِما**﴾ بأن يسعى بينهما سبعًا ـ نزلتْ لمّا كرهَ المسلمون ذلك لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يطّوّفون بهما، وعليهما صنمانِ يمسحونهما. وعن ابن عبّاس أنّ السعي غيرُ فرضٍ، لِما أفاده رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعيّ وغيره: رُكنٌ. وبيَّنَ ﷺ فرْضِيّته بقوله: «إنّ اللهَ كَتَبَ عليكُمُ السَّعيَ». رواه البيهقيّ وغيره، وقال: «أبدأُ بما بَدَأ اللهُ بِهِ». يعني الصفا. رواه مسلم ـ ﴿**ومَن تَطَوَّعَ**﴾، ....

قولُه: (جَبَلانِ) أي: هما.

قولُه: (دِيْنِهِ) أو مناسكِهِ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (جَمْعُ: شَعِيرَةٍ) علامةٍ، مأخوذٌ من شعرْتُ، فهي ما يشعرُ بهِ ويعلمُ[١].

قولُه: (سَبْعاً) ليصلَ بركاتُ سعيِهِ إلى سبعةِ آرابهِ الظّاهرةِ، وسبعةِ أطوارِهِ الباطنةِ، وإلى سبعةِ أقاليمِ العالمِ، ولترتقي إلى طبقاتِ السَّبعِ العليا.

قولُه: (صَنَمَانِ) إسافُ ونائلةُ.

قولُه: (وغَيرُهُ) مذهبُ أبي حنيفةَ[٢] أنَّهُ واجبٌ ينجبرُ بالدَّمِ، وأما ما نقلَهُ البغويُّ[٣] من أنَّهُ تطوُّعٌ عندهُ فغيرُ صحيحٍ، وعن أحمدَ: أنَّهُ سنَّةٌ[٤]، وبه قال ابنُ عبَّاسٍ[٥] وابنُ الزُّبيرِ[٦].

قولُه: (رُكْنٌ) يعني: على الأصحِّ.

قولُه: (ابدَؤُوا[٧]) والأمرُ عندنا للوجوبِ لا للفرضيَّةِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤١٦).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٩١).

(٤) وهذا قول عن أحمد، والقول الثاني: أنه ركن. انظر: «المغني» لابن قدامة (٣/ ٣٥١).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤٢٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣٥٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣٦٢).

(٧) رواه مسلم (١٢١٨) في حديث جابر الطويل: فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ [البقرة: ١٥٨] «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا.

وفي قراءة بالتحتيّة وتشديد الطاء مجزومًا وفيه إدغام التاء فيها، ﴿خَيْرًا﴾ أي: بخير، أي: فعَمِلَ ما لم يجب عليه من طواف وغيره، ﴿فإنَّ اللهَ شاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه، ﴿عَلِيمٌ﴾ به.

ونزل في اليهود: ١٥٩ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ﴾ الناسَ ﴿ما أنزَلْنا مِنَ البيِّناتِ والهُدَى﴾ كآية الرجم ونعت محمّد، ﴿مِن بَعدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ في الكِتابِ﴾: التوراة، ﴿أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ﴾: يُبعِدهم من رحمته، ﴿ويَلعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ﴾: الملائكة والمؤمنون أو كلّ شيء بالدعاء عليهم باللعنة، ١٦٠ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا﴾: رجعوا عن ذلك، ﴿وأصلَحُوا﴾ عملَهم، ﴿وبَيَّنُوا﴾ ما كتموا. ﴿فأُولئِكَ أتُوبُ علَيهِم﴾: أقبلُ توبتهم. ﴿وأنا التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين..

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (فِيْهَا) أي: في الطَّاءِ؛ لأنَّ أصلَهُ: يتطوَّعُ.

قولُه: (أَي: بِخَيرٍ) يعني: على حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إليه، وقيل: نُصِبَ على أنَّهُ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، وقيل: مفعولٌ به لتضمُّنِهِ معنى أتى أو فعلَ.

قولُه: (مِنْ طَوَافٍ وغَيرِهِ) أي: غير السَّعي؛ فإنَّهُ لا يتطوَّعُ به.

قولُه: (بِهِ) أي: بعملِهِ ونيَّتِهِ ومقدارِ جزائِهِ.

قولُه: (النَّاسَ) أشارَ إلى أنَّ المفعولَ الأوَّلَ مقدَّرٌ، والمرادُ: بقيَّةُ النَّاسِ، أو إيماءٌ إلى أنَّهُم ليسوا بناسٍ.

قولُه: (اللَّاعِنُونَ: المَلَائِكَةُ) أي: الَّذين يتأتَّى منهُم اللَّعنُ عليهم من الملائكةِ والثَّقَلينِ.

قولُه: (أَو كُلُّ شَيْءٍ) بالرَّفعِ، فيكونُ تغليبَ ذوي العقولِ.

قولُه: (بِالدُّعَاءِ) متعلِّقٌ بـ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾.

قولُه: (باللَّعْنَةِ) متعلِّقٌ بالدُّعاءِ.

قولُه: (عَنْ ذَلِكَ) أي: الكتمانِ وسائرِ ما يجبُ التَّوبةُ عنه.

قولُه: (عَمَلَهُم) أي: ما أفسدُوا بالتَّداركِ.

قولُه: (مَا كَتَمُوا) وقيل: ما أحدثُوا من التَّوبةِ.

قولُه: (بِالمُؤْمِنِيْنَ) أي: المبالغُ في قبولِ التَّوبةِ عنهم وإفاضةِ الرَّحمةِ لهم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١١٨).

١٦١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا وهُم كُفَّارٌ﴾: حالٌ، ﴿أُولئِكَ علَيهِم لَعْنةُ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقّون ذلك في الدنيا والآخرة ـ والناسُ قيل: عامّ. وقيل: المؤمنون ـ ١٦٢ ـ ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ أي: اللعنةِ أو النارِ المدلولِ بها عليها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ﴾ طرفةَ عينٍ، ﴿ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو مَعذرة.

ونزل لمّا قالوا: «صِفْ لنا ربّك»: ١٦٣ ـ ﴿وإلـٰهُكُم﴾: المستحقّ للعبادة منكم ﴿إلـٰهٌ واحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، ﴿لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ﴾، هو ﴿الرَّحمنُ الرَّحِيمُ﴾. وطلبوا آية على ذلك، فنزل:

١٦٤ ـ ﴿إنَّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ وما فيهما من العجائب، ﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان، ﴿والفُلْكِ﴾: السُّفنِ ﴿الَّتِي تَجرِي في البَحرِ﴾ ولا ترسب، مَوقورةً ﴿بِما يَنفَعُ النّاسَ﴾ من التجارات والحمل، ....

قولُه: (أي: هُمْ مُستَحِقُّو ذَلِكَ) رفعَ للتّكرارِ، فالأوّلُ إخبارٌ عن الواقعِ والثّاني عنِ الاستحقاقِ، وقيل: الثّاني عن الدَّوامِ والاستقرارِ، وقيل: الأوّلُ لعنُهُم أحياءً وهذا لعنُهُم أمواتاً.

قولُه: (قِيلَ: عَامٌّ) فيدخلُ فيهم أنفسُهُم؛ فإنَّهُم إذا قالُوا: (لعنةُ اللهِ على الظَّالمينَ) فقد لعنُوا أنفسَهُم.

قولُه: (بِهَا عَلَيهَا) أي: باللَّعنةِ على النَّارِ.

قولُه: (يُمهَلُونَ) من الإمهالِ بمعنى: الإنظارِ[1]، وقيل: من النَّظرِ؛ أي: لا يُنتظرونَ ليعتذِروا ولا يُنظرُ إليهم نظرَ رحمةٍ.

قولُه: (هُوَ) إشارةٌ إلى أنَّ المبتدأَ محذوفٌ هو: هو، وحَسُنَ حذفُهُ لوجودِ (هو) قبلَهُ، أو هما خبرانِ آخرانِ عند من يجوِّزُ تعدُّدَ الخبرِ.

قولُه: (وَمَا فِيهِمَا) إشارةٌ إلى أنّه أُريدَ الظَّرفُ والمظروفُ، وجمعَ: ﴿السَّمواتِ﴾؛ لأنَّها مختلفةُ الصِّفاتِ، أو لعظمَتِها، وقُدِّمَت لشَرفِها.

قولُه: (والنُّقصَانِ) والنُّورِ والظُّلمةِ.

قولُه: (السُّفُنِ) أشارَ إلى أنَّ الفُلكَ جمعٌ، ويحتملُ أن يكون مفرداً للجنسِ.

قولُه: (وَلا تَرْسُبُ) رسَبَ في الماءِ كنصَرَ وكرمَ: ذهبَ سفلاً.

قولُه: (مَوْقُورَةً) أي: حالَ كونِها ثقيلةً.

---

(١) في (م) و(د): «يمهلون من الإنظار بمعنى الإمهال».

﴿وما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ﴾: مطرٍ، ﴿فأحْيا بِهِ الأرضَ﴾ بالنبات ﴿بَعدَ مَوتِها﴾: يُبسِها، ﴿وبَثَّ﴾: فرّقَ ونشر به ﴿فِيها مِن كُلِّ دابّةٍ﴾ لأنهم يَنمون بالخِصب الكائن عنه، ﴿وتَصريفِ الرِّياحِ﴾: تقليبِها جنوبًا وشَمالاً حارّة وباردة، ﴿والسَّحابِ﴾: الغيمِ ﴿المُسَخَّرِ﴾: المُذلّلِ بأمر الله يسير إلى حيث شاء اللهُ ﴿بَينَ السَّماءِ والأرضِ﴾ بلا عِلاقة، ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

١٦٥ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿أندادًا﴾: أصنامًا، ﴿يُحِبُّونَهُم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللهِ﴾، أي: كحبّهم له، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ من حبّهم للأنداد لأنهم لا يعدِلون عنه بحالٍ ما، والكفّارُ يعدِلون في الشِّدّة إلى الله.

قولُه: (مَطَرٍ) ﴿مِنَ﴾ الأولى للابتداءِ، والثّانيةِ للبيانِ، و﴿السَّماءِ﴾ يحتملُ الفلكَ والسَّحابَ وجهةَ العلوِّ، وهي تعمُّهَا.

قولُه: (بالنَّبَاتِ) متعلِّقٌ بـ﴿أحْيا﴾، والباءُ بيانيَّةٌ؛ أي: بإنباتِهِ.

قالَ تعالى: ﴿وَبَثَّ﴾ عطفٌ على: ﴿أَنْزَلَ﴾ أو ﴿أَحْيَا﴾، والأوَّلُ أظهرُ لقولِه: ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾.

وقولُه: (بِهِ) أي: بسببِ الماءِ.

قولُه: (وَشَمَالاً) وقبولاً ودبوراً.

قولُه: (وَبَارِدَةً) وعاصفةً وليِّنةً وعقيماً ولاقحةً.

قولُه: (بِأَمْرِ اللهِ) الظَّاهرُ لأمرِ اللهِ، أو المسخَّرِ للرِّياحِ بإذنِ اللهِ.

قولُه: (بِلا عَلَاقَةٍ) منهما.

قولُه: (يَتَدَبَّرُونَ) أي: يستعمَلون عقولهم بالتَّدبُّرِ في آياتِ اللهِ، وفي الحديثِ: «ويلٌ لِمَنْ قرأَ هذهِ الآيَةَ ولمْ يتفكَّرْ فيهَا»[1].

قولُه: (أَصْنَاماً) وقيل: رؤساءَ، قالَ القاضي[2]: ولعلَّ المرادَ أعمُّ منهما؛ وهو ما يشغلُهُ عن اللهِ.

قولُه: (أَي: كَحُبِّهِمْ لَهُ) إشارةٌ إلى أنَّهُ مصدرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، ومحبَّةُ العبادِ[3] إرادةُ طاعتِهِ، ومحبَّةُ اللهِ للعبدِ إرادةُ إكرامِهِ.

قولُه: (مِنْ حُبِّهِم) أي: الكفَّارِ.

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٥٤٤) عن عائشة رضي الله عنها، إلا أنه في قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض...﴾ [آل عمران: ١٩١].

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١١٧).

(٣) في (م): «العبادة» وفي الهامش: «العباد له».

﴿ولو ترى﴾: تُبصِرُ ـ يا محمّد ـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتّخاذ الأنداد، ﴿إذ يَرَونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول: يُبصِرون ﴿العَذابَ﴾، لرأيتَ أمرًا عظيمًا ـ وإذ بمعنى: إذا ـ ﴿أنَّ﴾، أي: لأنّ ﴿القُوَّةَ﴾: القُدرةَ والغَلَبَةَ ﴿لِلهِ جَمِيعًا﴾: حالٌ، ﴿وأنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذابِ﴾. وفي قراءة: «يَرَى» بالتحتيّة، والفاعل قيل: ضمير السامع، وقيل: الذين ظلموا. فهي بمعنى: يَعلم. و«أنّ» وما بعدها سدّت مسدّ المفعولين، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شِدّة عذاب الله وأنّ القُدرة لله وحده وقتَ مُعاينتهم له ـ وهو يوم القيامة ـ لَما اتّخذوا من دونه أندادًا.

١٦٦ ـ ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿تبرّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أي: الرؤساءُ ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّـبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالَهم، ﴿و﴾ قد ﴿رأَوُا العَذابَ، وتَقَطَّعَتْ﴾:..............................

قولُه: (يَا مُحَمَّدُ) ويحتملُ أن يكون الخطابُ عامًّا، وهو قراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ[1].

قولُه: (بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ) لغيرِ ابن عامرٍ[2]؛ أي: إذ عاينُوهُ يومَ القيامةِ.

قولُه: (وَالمَفعُولِ) أي: بالبناءِ للمفعولِ من الإراءةِ.

قولُه: (يُبْصِرُونَ) بكسرِ الصَّادِ مخفَّفاً، وفتحِها مشدَّداً تفسيرٌ للقراءتَين.

قولُه: (لَرَأيتَ) جوابُ لو.

قولُه: (بِمَعنَى إِذَا) أو أجرى المستقبلَ مجرى الماضِي لتحقُّقِهِ.

قولُه: (لِأَنَّ القُوَّةَ) وقيل: بدلُ اشتمالٍ من العذابِ.

قولُه: (حَالٌ) من ضميرِ متعلِّقِ الجارِّ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للباقينَ[3].

قولُه: (ضَمِيرُ السَّامِعِ) أو الرَّائي، وهو الأظهرُ.

قولُه: (ومَا بَعدَهَا) يعني: المعطوفُ والمعطوفُ عليه.

قولُه: (وأَنَّ القُدْرَةَ لله) ظاهرُه خلافُ ترتيبِ الآيةِ الدَّالَّةِ على مقتضى العكسِ.

وقولُه: (وَقتَ مُعَايَنَتِهِم لَهُ) أيضاً يلائمُ أن يكونَ ظرفاً لعلمِهم شدَّةَ العذابِ، فيناسبُ التَّقديمَ.

قولُه: (قَدْ) إشارةٌ إلى أنَّ الواوَ للحالِ من الأتباعِ والمتبوعينَ، وقيل: عطفٌ على: ﴿تبرَّأَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

عطفٌ على «تبرّأ» ﴿بِهِمِ﴾: عنهم ﴿الأسبابُ﴾: الوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودّة، ١٦٧ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا: لَو أنَّ لَنا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فنَتَبَرّأَ مِنهُم﴾ أي: المتبوعينَ ﴿كَما تَبَرَّؤُوا مِنّا﴾ اليوم. ولو: للتمنّي. ونتبرّأَ: جوابه ﴿كَذلِكَ﴾: كما أراهم شدّة عذابه، وتبرّأ بعضهم من بعض، ﴿يُرِيهِمِ اللهُ أعمالَهُم﴾ السيّئة ﴿حَسَراتٍ﴾ حالٌ: نداماتٍ ﴿علَيهِم، وما هُم بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ﴾ بعد دخولها.

ونزل فيمن حرَّم السوائب ونحوها: ١٦٨ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، كُلُوا مِمّا في الأرضِ حَلالاً﴾: حالٌ ﴿طَيِّبًا﴾: صفةٌ مؤكّدة أو مُستلَذًّا، ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ﴾:........................

قولُه: (عَطفٌ عَلَى ﴿تبَرَّأَ﴾) أو ﴿رأوا﴾، أو حالٌ، والأوّلُ أظهرُ، والثّاني أقربُ.

قولُه: (عَنهُم) وقيل: بسببِ كفرِهم.

قولُه: (جَوَابُهُ) أي: جوابُ التَّمنِّي؛ ولذلك أجِيبَ لو بالفاءِ.

قولُه: (السَّيِّئَة) أو الحسنةَ الَّتي ضيَّعُوها.

قولُه: (حَالٌ) على أنَّه من رؤيةِ البصرِ، أو مفعولٌ ثالثٌ إن كانَ من رؤيةِ القلبِ.

قولُه: (نَدَامَاتٍ) الأنسبُ: ندماتٍ.

قولُه: (فِيمَن حَرَّمَ السَّوَائِبَ ونَحوَهَا) من البحيرةِ والوصيلةِ والحامِي، ومن الحرثِ والأنعامِ، كذا في «البغويِّ»[١]، وقيل: في قومٍ حرَّمُوا على أنفسِهم رفيعَ الأطعمةِ والملابسِ.

قولُه: (حَالٌ) يعني: (مَا فِي الأَرْضِ) على أنَّهُ مفعولٌ، و(مِن) للتَّبعيضِ، وقيل: حلالاً بمعنى محلَّلاً، مفعولُ ﴿كُلُوا﴾، وقيل: إنَّه صفةُ مصدرٍ محذوفٍ.

قولُه: (صِفَةٌ مُؤَكِّدَةٌ) على أنَّه مما يستطيبُهُ الشَّرعُ إذ الحلالُ دلَّ عليه.

قولُه: (أَي: مُسْتَلَذًّا) أي: ما تستطيبُهُ الشَّهوةُ المستقيمةُ، وقيل: الطَّيِّبُ الطَّاهرُ، كذا في «البغويِّ»[٢]، وقيل: الطَّاهرُ من الشُّبهةِ، كذا في «الكشَّافِ»[٣]، وفسَّرَهُ كثيرٌ من السَّلفِ بما يُستَطابُ به في نفسِهِ غير ضارٍّ للأبدانِ والعقولِ، كذا في «تفسيرِ الصَّفويِّ»[٤].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٩٨).

(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٢١٣).

(٤) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ١١٧).

طُرُقَ ﴿الشَّيطانِ﴾ أي: تزيينَه. ﴿إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ العداوةِ. ١٦٩ ـ ﴿إِنَّما يأمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾: الإثمِ ﴿والفَحشاءِ﴾: القبيحِ شرعًا، ﴿وأنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾ من تحريمِ ما لم يُحرَّم وغيرِه. ١٧٠ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: الكُفّارِ: ﴿اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيِّبات، ﴿قالُوا﴾: لا ﴿بَل نَتَّبِعُ ما أَلفَينا﴾: وجَدْنا ﴿عَلَيهِ آباءَنا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى: ﴿أ﴾ يتّبعونهم، ﴿وَلَو كانَ آباؤُهُم لا يَعقِلُونَ شَيئًا﴾ من أمر الدِّين، ﴿ولا يَهتَدُونَ﴾ إلى الحقّ؟ والهمزةُ للإنكار. ١٧١ ـ ﴿ومَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومَن يدعوهم إلى الهُدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ﴾: يُصوِّتُ ﴿بِما لا يَسمَعُ إلاّ دُعاءً ونِداءً﴾ أي: صوتًا ولا يفهم معناه، أي: هم في سماع الموعظة وعدم تدبّرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه. هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، فهُم لا يَعقِلُونَ﴾ الموعظة.

قولُه: (أَي: تَزيِينَهُ) على حذفِ المضافِ.

قولُه: (بَيِّنُ العَدَاوَةِ) أي: ظاهرُها عندَ ذوي البصيرةِ وإن كانَ يُظهِرُ الموالاةَ لمن يغويهِ.

قولُه: (القَبِيحِ شَرْعاً) فالعطفُ لاختلافِ الوصفَينِ فإنَّه سوءٌ لاغتمامِ العاقلِ به، وفحشاءُ باستقباحِهِ إيَّاهُ، وقيل: السُّوءُ يعمُّ القبائحَ، والفحشاءُ ما تجاوزَ الحدَّ في القبحِ من الكبائرِ، وقيل: الثَّاني البخلُ، وقيل: الزِّنا.

قولُه: (وغَيرِهِ) من تحليلِ المحرَّمِ واتِّخاذِ الأندادِ.

قولُه: (أَي: الكُفَّارِ) ففيه التفاتٌ من عمومِ النَّاسِ إلى خصوصِهِم، وقالَ البيضاويُّ[1]: الضَّميرُ للنَّاسِ، ولا يظهرُ له استئناسٌ.

قولُه: (لَا) يعني: العطفُ على محذوفٍ تقديرُهُ: لا نتَّبعُ ما أنزلَ اللهُ، بل نتَّبعُ...

قولُه: (﴿أ﴾ يَتَّبِعُونَهُم ﴿ولو﴾) الواوُ للحالِ؛ أي: أيتَّبعونَهُم في حالِ فرضِهِم غيرَ عاقلينَ ولا مهتدينَ، كذا في «الكشفِ»[2].

قولُه: (مِنْ أَمرِ الدِّينِ) أو مطلقاً، وهو أبلغُ حيثُ أشبهَ الفرضَ والتَّقديرَ.

قولُه: (والهَمزَةُ للإِنكَارِ) عليهم بتوبيخِهِم، والتَّعجيبِ لغيرِهِم.

قولُه: (ومَنْ يَدعُوهُم) الأظهرُ: ومثَلُ داعي الَّذين كفرُوا... إلخ.

قولُه: (وَلا يَفهَمُ) عطفٌ على: ﴿لَا يَسْمَعُ﴾.

قولُه: (هُم) أشارَ إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿صمٌّ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

قولُه: (المَوعِظَةَ) مفعولٌ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١١٩).

(٢) وانظر: «الكشاف» (١/ ٢١٣).

١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا، كُلُوا مِن طَيِّباتِ﴾: حلالاتِ ﴿ما رَزَقْناكُم، واشكُرُوا لله﴾ على ما أحلّ لكم، ﴿إنْ كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ. إنَّما حَرَّمَ علَيكُمُ المَيْتَةَ﴾ أي: أكلَها ـ إذِ الكلام فيه، وكذا ما بعدها. وهي ما لم يُذَكَّ شرعًا. وأُلحِق بها بالسُّنَّة ما أُبِينَ من حيٍّ، وخُصّ منها السمكُ والجَراد ـ ﴿والدَّمَ﴾ أيِ: المسفوحَ كما في «الأنعام»، ﴿ولَحمَ الخِنزِيرِ﴾ ـ خُصّ اللحم لأنّه مُعظم المقصود، وغيرُه تبعٌ له ـ ﴿وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ﴾ أي: ذُبِح على اسم غيره. والإهلالُ: رفع الصوت. وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم.

﴿فمَنِ اضطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء ممّا ذُكر، فأكلَه ﴿غَيرَ باغٍ﴾: خارجٍ على المسلمين، ﴿ولا عادٍ﴾: مُتعدٍّ عليهم بقطع الطريق،...

قولُه: (حَلَالَاتِ) أو مستلَذَّاتِ.

قولُه: (وَكَذا مَا بَعدَهَا) فيهِ أنّه لا يقالُ: أكلَ الدَّمَ، ولعلّهُ تغليبٌ، مع أنَّ بعضَ أفرادِهِ يُطبَخُ ويُؤكَلُ.

قولُه: (بِهَا) أي: بالآيةِ.

قولُه: (بالسُّنَّةِ) أي: الحديثِ.

قولُه: (مَا أُبِيْنَ) أي: ما فُصلَ.

قولُه: (خُصَّ) أي: بالشَّرعِ، وهو قولُه ﷺ: «أُحلَّت لنَا ميتتانِ»[1]، وبالعرفِ.

قولُه: (فَأَكَلَهُ) قدَّرَهُ ليترتَّبَ عليه الجزاءُ.

قولُه تعالى: (﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾): في «المداركِ»[2]: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ للَّذَّةِ والشَّهوةِ، وفي «البيضاويِّ»[3]: أي: بالاستئثارِ على مضطرٍّ آخرَ، يعني: فأخذَ منه ظلماً.

قولُه: (بِقَطْعِ الطَّرِيْقِ) وفي «البيضاويِّ»[4]: متعدٍّ سدَّ الرَّمقِ أو الجوعةِ[5]، ثمَّ قال: وقيل: غيرَ باغٍ على الوالي ولا عادٍ بقطعِ الطَّريقِ. ووجهُ ضعفِ هذا القيلِ ظاهرٌ؛ إذ لا يُفسَّرُ القرآنُ بالمذهبِ الخاصِّ، ....

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢١٨)، وأحمد في «مسنده» (٥٧٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢١): هذا إسناد ضعيف.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٥١).

(٣) انظر: «أنوار التزيل» (١/ ١٢٠).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) في (د): «الجوع».

﴿فلا إثمَ عليهِ﴾ في أكله. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه، ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته، حيث وسّع لهم في ذلك. وخَرجَ الباغي والعادي، ويُلحق بهما كلّ عاصٍ بسفره كالآبق والمَكّاس، فلا يحلّ لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا. وعليه الشافعيُّ.

١٧٤ - ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ ما أنزَلَ اللهُ مِنَ الكِتابِ﴾ المشتملِ على نعت محمّد - وهم اليهود - ﴿ويَشتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا يأخذونه بدلَه من سَفِلتِهم، فلا يُظهرونه خوفَ فوته عليهم، ﴿أُولئِكَ ما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم إلاّ النّارَ﴾ لأنّها مآله، ﴿ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيامةِ﴾ غضبًا عليهم،....

وفي «المداركِ»[1]: متعدٍّ مقدارَ الحاجةِ؛ وهو قدرُ ما يقعُ به القوامُ وتبقى معهُ الحياةُ دونَ ما فيه حصولُ الشِّبعِ؛ لأنَّ الإباحةَ للاضطرارِ، فتُقدَّرُ بقدر ما تندفعُ به الضَّرورةُ.

تنبيهٌ: قالَ في «التَّوضيحِ»[2]: جعلَ الشَّافعيُّ رحمهُ اللهُ قولَه: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ حالاً من قولِهِ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾، ونحنُ نقولُ: لا بدَّ من تقديرِ قولِه: (فأكَلَ)، ثمَّ نجعلُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ حالاً من (أكَلَ).

قولُه: (في أكلِهِ) بل الإثمُ في تركِهِ؛ إذ لو لم يأكلْ حتَّى يموتَ ماتَ عاصياً.

قولُه: (لأوليائِهِ) الظَّاهرُ لعصاةِ المؤمنينَ، وعليه الشَّافعيُّ[3]، قالَ البيضاويُّ[4]: وهو ظاهرُ مذهبِهِ، وقولُ أحمدَ[5]، فمفهومُهُ أنَّ جمهورَ العلماءِ على أنَّ المطيعَ والعاصي في الرُّخصِ سواءٌ.

قولُه: (مِنَ الدُّنيا) أشارَ إلى أنَّ القليلَ بمعنى الحقيرِ.

قولُه: (يأخذونَهُ) أي: الثَّمنَ.

قولُه: (بدلَهُ) أي: بدلَ ما أنزلَ اللهُ.

قولُه: (فلا يُظْهِرُونَهُ) أي: نعتَهُ.

قولُه: (خوفَ فواتِهِ) أي: الثَّمنِ.

قولُه: (لأنَّها مآلُهُ) أي: مآلُ ما يأكلُونَ، وقيل: كأنَّهم يأكلونَ النَّارَ، ومعنى: ﴿فِي بُطُونِهِم﴾ ملْءَ بطونِهِم.

قولُه: (غضباً) يحتملُ نفيَ الكلامِ مطلقاً، أو الكلامِ بالرَّحمةِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٥١).

(٢) وانظر: «شرح التلويح على التوضيح» للتفتازاني (٢/ ٣٨٩).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٥/ ١٦٨).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٢٠).

(٥) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٤١٦).

﴿ولا يُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرُهم من دنس الذنوب، ﴿ولَهُم عَذابٌ أليمٌ﴾: مؤلم هو النار، ١٧٥ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالةَ بِالهُدَى﴾: أخذوها بدله في الدنيا، ﴿والعَذابَ بِالمَغفِرةِ﴾ المُعَدّةِ لهم في الآخرة، لو لم يكتموا. ﴿فما أصبرَهُم علَى النّارِ﴾! أي: ما أشدَّ صبرَهم! وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم مُوجباتِها من غير مُبالاة. وإلاّ فأيُّ صبر لهم؟

١٧٦ ـ ﴿ذلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من أكلهم النارَ وما بعده ﴿بِأنَّ﴾: بسببِ أنّ ﴿اللهَ نَزَّلَ الكِتابَ بِالحَقِّ﴾: متعلّقٌ بـ «نزّل»، فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكتمه، ﴿وإنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا في الكِتابِ﴾ بذلك ـ وهم اليهود ـ وقيل: المشركون، في القرآن حيث قال بعضهم: شِعر، وبعضهم: سِحر، وبعضهم: كِهانة، ﴿لَفِي شِقاقٍ﴾: خِلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ.

١٧٧ ـ ﴿لَيسَ البِرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم﴾ في الصّلاة ﴿قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ﴾ ـ نزل ردًّا على اليهود والنصارى، حيث زعموا ذلك ـ ﴿ولكِنَّ البِرَّ﴾ أي: ذا البرّ ـ وقُرِئ: «البارّ» ـ ﴿مَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ والمَلائكةِ والكِتابِ﴾..

قولُه: (يطهِّرُهم)[1] بأن يغفرَ لهم، والأظهرُ: ولا يثني عليهم أو لا يعدُّهم أزكياءَ.

قولُه: (مؤلِمٌ) تقدَّمَ.

قولُه: (لو لم يكتمُوا) يعني: وآمنُوا.

قولُه: (ما أشدَّ!) أشارَ إلى أنَّ (ما) تعجبيَّةٌ[2]، وقيل: استفهاميَّةٌ توبيخيَّةٌ.

قولُه: (فاختلفُوا فيهِ) أي: في الكتابِ الَّذي هو التَّوراةُ.

قولُه: (بذلكَ) أي: بما ذكرَ من الإيمانِ بالبعضِ والكفرِ بالبعضِ.

قولُه: (وقيل: المشركُونَ... إلخ) أي: المرادُ بـ﴿الَّذِينَ اختَلَفُوا﴾ هم المشركُونَ، وبـ﴿الكِتَابِ﴾ القرآنُ.

قولُه: (حيثُ زعمُوا ذلكَ) يعني: أهلَ الكتابِ، فإنَّهم أكثرُوا الخوضَ في أمرِ القبلةِ حين حُوِّلَت، وادَّعى كلُّ طائفةٍ أنَّ البرَّ هو التَّوجُّه إلى قبلتِهِ، فالمشرقُ قبلةُ النَّصارى والمغربُ قبلةُ اليهودِ، قيل: هذا بحسبِ أفقِ مكَّةَ.

قولُه: (وقُرِئَ ﴿البَارَّ﴾[3]) فيؤيِّدُه، وقيل: التَّقديرُ: برُّ من آمنَ، ويمكنُ أن يقالَ: إنَّه من بابِ: رجلٌ عدلٌ، مبالغةً.

---

(١) في (م) و(ص) زيادة: «أي».

(٢) في (ص): «تعجبية».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «الكشاف» (١/ ٢١٨)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٤٧).

أي: الكُتبِ ﴿والنَّبِيِّينَ، وآتى المالَ على﴾: معَ ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي القُربَى﴾: القرابةِ، ﴿واليَتامَى والمَساكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾: المُسافرَ، ﴿والسّائِلِينَ﴾: الطالبينَ، ﴿وفي﴾ فكِّ ﴿الرِّقابِ﴾: المُكاتَبِينَ والأسرى، ﴿وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ﴾ المفروضةَ وما قبله في التطوّع، ﴿والمُوفُونَ بِعَهدِهِم إذا عاهَدُوا﴾ اللهَ أو الناسَ، ﴿والصّابِرِينَ﴾: نُصِبَ على المدح، ﴿في البأساءِ﴾: شِدّةِ الفقر ﴿والضَّرّاءِ﴾: المرضِ: ﴿وحِينَ البأسِ﴾: وقتَ شِدّة القتال في سبيل الله. ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادّعاء البرّ، ﴿وأُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ اللهَ.

١٧٨ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيكُمُ القِصاصُ﴾: المُماثلةُ ﴿في القَتلَى﴾ وصفًا وفِعلاً: ﴿الحُرُّ﴾ يُقتَل ﴿بِالحُرِّ﴾ ولا يُقتَل بالعبد،.........................

قولُه: (حبِّهِ لَهُ) أي: حبِّ المؤتي للمالِ، والآيةُ تحتملُ إضافةَ المصدرِ إلى الفاعلِ والمفعولِ، وقيل: الضَّميرُ للهِ تعالى، أو المصدرِ وهو الإيتاءُ.

قولُه: (المسافرَ) أو الضَّيفَ.

قولُه: (الطَّالبينَ) أي: الشَّحَّادينَ[1].

قولُه: (والأسرى) أو عتقَ المَماليكِ.

قولُه: (وما قبلَهُ) أي: إيتاءَ المالِ.

قولُه: (المرضِ) أي: شدَّتِه.

قولُه: (المُمَاثلةُ) يعني: في قتلِ العمدِ، رُويَ: أنَّه كان بين حيَّينِ من العربِ دماءٌ في الجاهليَّةِ، وكانَ لأحدِهما طَولٌ على الآخرِ، فأقسمُوا لنقتلَنَّ الحرَّ منكُم بالعبد والذَّكرَ بالأنثى والاثنينِ بالواحدِ، فتحاكمُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ حين جاءَ اللهُ بالإسلامِ، فنزلَت هذه الآيةُ[2].

قولُه: (ولا يُقتَلُ بالعَبدِ) هذا عندَ الشَّافعيِّ[3]، وأمَّا عندَنا[4] فيجري القصاصُ بين الحرِّ وعبدِ غيره لقولِه تعالى: ﴿أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفسِ﴾ [المائدة: ٤٥] كما بين الذَّكرِ والأنثى، ورُويَ: عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ هذه

---

(١) في (م): «الشحاتين» وفي (د): «الشحادين».

الشحاذ: الملحُّ في مسألته، وعوام العراقيين يقولون: شحاث، بالثاء ويحطؤون فيه، انظر: «التكملة والذيل والصلة» (٢/ ٣٨٠)

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٥٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٨٩٠) بنحوه عن قتادة.

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٢/ ١٦).

(٤) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٤).

﴿والعَبدُ بِالعَبدِ، والأُنثَى بِالأُنثَى﴾. وبَيَّنتِ السُّنّة أنّ الذَّكَر يُقتل بها، وأنه تُعتبر المُماثلة في الدِّين فلا يُقتل مُسلم ـ ولو عبدًا ـ بكافر ولو حُرًّا.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتِلينَ ﴿مِن﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتولِ ﴿شَيْءٌ﴾، بأَن تُرك القِصاص منه ـ وتنكيرُ «شيء» يفيد سقوط القِصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذِكر «أخيه» تعطُّفٌ داعٍ إلى العفو وإيذانٌ بأنّ القتل لا يقطع أخوّة الإيمان ـ ومَن: مبتدأ شرطيّة، أو موصولة والخبر ﴿فاتِّباعٌ﴾، أي: فعلى العافي اتّباعٌ للقاتل ﴿بِالمَعرُوفِ﴾:..............................

الآيَةَ منسوخةٌ بآيَةِ: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ [المائدة: ٤٥]، كذا في «الدُّرِّ»[1].

قولُه: (بكافرٍ) أي: ذمِّيٍّ، أو معاهدٍ، هذا عند الشَّافعيِّ[2]، وقالَ أبو حنيفةَ[3]: يُقتَلُ المسلمُ بالذِّمِّيِّ لا بالمستأمنِ.

قولُه: (مِن القاتِلينَ) بيانُ: «مَن[4]».

قولُه: (﴿مِنْ﴾ دمِ ﴿أخيهِ﴾) أي: مِن جهتِهِ، وقولُه تعالى: ﴿شَيْءٌ﴾ أي: من العفوِ، فالفعلُ مسندٌ إلى المصدرِ؛ لأنَّ (عفا) لازمٌ، يقالُ: عفوتُ لفلانٍ عمَّا جنى.

قولُه: (داعٍ) أي: باعثٌ لما بينهما من الجنسيَّةِ والإسلامِ.

قولُه: (وإيذانٌ) أي: إعلامٌ، وهو ردٌّ على المعتزلةِ والخوارجِ[5].

قولُه: (فعلى العافي) يعني: ﴿فاتِّبَاعٌ﴾ مبتدأٌ حُذفَ خبرُهُ، وقيل: التَّقديرُ: فليكنِ اتِّباعٌ، أو فالأمرُ أو[6] الواجبُ اتِّباعٌ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٤١٩).

وروى أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٧٨) عن ابن عباس في قوله: ﴿والأنثى بالأنثى﴾ [البقرة: ١٧٨] وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن كانوا يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فأنزل الله تعالى: ﴿النفس بالنفس والعين بالعين﴾ [المائدة: ٤٥] فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم في العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساءهم.

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١٢/ ١٦).

(٣) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٤).

(٤) «من»: ليست في (ص).

(٥) وذلك أن مرتكب الكبيرة عند الخوارج: كافر، وعند المعتزلة: هو في منزلة بين منزلتين، وأما في الآخرة عند الطائفتين: فهو خالد في النار.

(٦) «أو»: ليست في (م).

بأن يُطالبه بالدِّيَة بلا عُنف ـ وترتيبُ الاتّباع على العفو يُفيد أنّ الواجب أحدُهما ـ وهو أحد قولَي الشافعيّ ـ والثاني: الواجبُ القِصاصُ، والدّيَةُ بدلٌ عنه. فلو عفا ولم يُسمّها فلا شيء، ورُجّحَ ـ ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ للدّية ﴿إِلَيْهِ﴾، أي: العافي وهو الوارث، ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: بلا مَطل ولا بخس.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكمُ المذكور، من جواز القصاصِ والعفوِ عنه على الدّيَة، ﴿تَخْفِيفٌ﴾: تسهيلٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم، حيث وسَّع في ذلك ولم يُحتّم واحدًا منهما كما حَتّم على اليهود القصاصَ وعلى النصارى الدّيَةَ. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾: ظلمَ القاتلَ بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: العفوِ، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. ١٧٩ ـ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: بقاء عظيم ـ ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذوِي العقول ـ لأنّ القاتل إذا علم أنه يُقتل ارتدع فأحيا نفسه.........

قولُه: (أحدُهما) أي: أحدُ مقتضيَي العمدِ؛ وإلّا لما رتَّبَ الأمرَ بأدائِها على مطلقِ العفوِ من غيرِ ذكرِ الدِّيةِ.

قولُه: (والثَّاني) وهو قولُ الحنفيَّةِ[1].

قولُه: (﴿وَ﴾على القَاتلِ) عطفٌ على: «العافي»، وكانَ الأحسنُ أن يقولَ: وعلى المعفوِّ عنه مبنًى ومعنًى.

قولُه: (بلا مطلٍ) أي: تسويفٍ وتأخيرٍ.

وقولُه: (بخسٍ) أي: نقصٍ.

قولُه: (الدِّيةِ) في «البيضاويِّ»[2]: العفو مطلقاً، وفي «المداركِ»[3]: العفوُ بغير بدلٍ لا غيرَ، وما اختارَهُ المصنِّفُ خلافُ ما ذكرهُ في «الدُّرِّ»[4]: وصحَّ عن ابنِ عبَّاسٍ من طرقٍ رواها البخاريُّ وغيرُه[5]: كانَ في بني إسرائيلَ القصاصُ ولم يكن فيهم الدِّيةُ، وقالَ قتادةُ[6]: الدِّيةُ طعمةٌ من اللهِ لهذهِ الأمَّةِ لم تحلَّ لأمَّةٍ قبلها، قال: وكان القصاصُ في التَّوراةِ أو[7] العفوُ، وفي الإنجيلِ العفوُ فقط، انتهى.

قولُه: (بالقتلِ) وقيل: بأن يُقتلَ لا محالةَ، ولا يُؤخَذُ منه الدِّيةُ.

قولُه: (لأنَّ القاتلَ) أي: مُريدَ القتلِ.

---

(١) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٤٢٠).

(٥) رواه البخاري (٤٤٩٨)، والنسائي (٤٧٨١)، والطبري في «تفسيره» (٢٥٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٧٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٥٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٨٦).

(٧) زيد في (م): «في».

ومن أراد قتله، فشُرِع ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ القتلَ مخافةَ القَوَدِ.

١٨٠ ـ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عليكُم، إذا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوتُ﴾ أي: أسبابُه ﴿إنْ تَرَكَ خَيرًا﴾: مالاً، ﴿الوَصِيَّةُ﴾ ـ مرفوعٌ بـ «كُتب» ومتعلَّقُ «إذا» إن كانت ظرفيّة، ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطيّة، وجوابُ «إن» محذوف أي: فلْيُوصِ ـ ﴿لِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ بِالمَعرُوفِ﴾: بالعدل بألاّ يزيدَ على الثُّلث ولا يُفضِّلَ الغنيَّ، ﴿حَقًّا﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجملة قبله، ﴿علَى المُتَّقِينَ﴾ اللهَ. وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث: «لا وَصِيّةَ لِوارِثٍ» رواه الترمذيّ. ١٨١ ـ ﴿فمَن بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيصاءَ من شاهد ووصيّ ﴿بَعدَ ما سَمِعَهُ﴾: عَلِمَه ﴿فإنَّما إثمُهُ﴾ أي: الإيصاءِ المُبدَّلِ ﴿علَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. فيه إقامة الظاهر مَقامَ المُضمر. ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقول المُوصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصيِّ فمُجازٍ عليه. ١٨٢ ـ ﴿فمَن خافَ مِن مُوْصٍ﴾ ـ مُخفَّفًا ومُثقَّلاً ـ ﴿جَنَفًا﴾: ....

قولُه: (ومَنْ أرادَ) عطفٌ على نفسِهِ.

قولُه: (فشرعَ) أي: القصاصُ.

قولُه: (أي: أسبابُهُ) أي: أماراتُهُ.

قولُه: (مالاً) وقيل: مالاً كثيراً، وهو قولُ عليٍّ[1] وغيرِهِ، واختارَهُ صاحبُ «المداركِ»[2].

قولُه: (مرفوعٌ بـ﴿كُتِبَ﴾) وتذكيرُه للفصلِ، وقيل: مبتدأٌ خبرُهُ: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾.

قالَ تعالى: (﴿وَالأَقْرَبِيْنَ﴾) قيل: عند عدمِ الأبوينِ، والحاصلُ: أنَّ الإرثَ كان منحصراً في الولدِ.

قولُه: (أي: الإيصاءَ) إشارةٌ إلى أنَّ الضَّميرَ راجعٌ إلى الوصيَّةِ بتأويلِ الإيصاءِ.

قولُه: (علِمَهُ) أي: الإيصاءَ، وكان موافقاً للشَّرعِ.

قولُه: (أي: الإيصَاءِ المبدَّلِ) أو التَّبديلِ، وهو الأظهرُ.

قالَ تعالى: (﴿فَمَنْ خَافَ﴾) أي: توقَّعَ وعلمَ.

قولُه: (مثقَّلاً) لشعبةَ وحمزةَ والكسائيِّ[3].

---

(١) روى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٣٥١)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢٦٧٨) عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخل عليٌّ على مولى لهم في الموت فقال: يا علي ألا أوصي؟ فقال علي: لا إنما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إن ترك خيرا﴾ [البقرة: ١٨٠] وليس لك كثير مال، قال: وكان له سبعمائة درهم.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٤).

مَيلاً عن الحقّ خطأً ﴿أو إثمًا﴾ بأن تَعمّد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنيّ مَثلاً، ﴿فأصلَحَ بَينَهُم﴾: بين المُوصِي والمُوصَى له بالأمر بالعدل، ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ في ذلك. ﴿إنَّ اللهَ غَفورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٨٣ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿علَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ علَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾ من الأُمم، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ المعاصيَ ـ فإنّه يَكسِرُ الشهوة التي هي مبدؤها ـ ١٨٤ ـ ﴿أيّامًا﴾: نُصِبَ بـ«الصيام» أو بـ«صوموا» مُقدَّرًا، ﴿مَعدُوداتٍ﴾ أي: قلائلَ أو مُؤقّتاتٍ بعددٍ معلوم. وهي رمضانُ كما سيأتي، وقلّله تسهيلاً على المكلَّفين. ﴿فمَن كانَ مِنكُم﴾ حين شُهوده ﴿مَرِيضًا أو علَى سَفَرٍ﴾، أي: مُسافرًا سفرَ القَصْرِ وأجهَده الصوم في الحالَين فأفطر، ﴿فعِدّةٌ﴾: ....

قولُه: (خطأً) أي: في الوصيَّةِ.

قولُه: (ذلكَ) أي: الحيف.

قولُه: (والموصى لَهُ) وهو الوالدانِ والأقربونَ.

قولُه: (بالأمرِ بالعدلِ) وبإجرائِهِ على طريقِ الشَّرعِ.

قولُه: (في ذلكَ) أي: التَّبديلِ؛ لأنَّه تبديلُ باطلٍ إلى حقٍّ بخلافِ الأوَّلِ.

قولُه: (مِنَ الأممِ) من لدنْ آدمَ، والتَّشبيهُ باعتبارِ أنَّ لكلِّ واحدٍ صومَ أيَّامٍ، وفائدتُه: تهوينُ الأمرِ وتسهيلُهُ؛ فإنَّ البليَّة إذا عمَّتْ هانَتْ.

قولُه: (بالصِّيامِ) ضُعِّفَ لوقوعِ الفصلِ بينهما.

قولُه: (مقدَّراً) لدلالةِ الصِّيامِ عليه.

قولُه: (أي: قلائلَ) وأصلُهُ: أنَّ المال القليلَ يقدَّرُ بالعددِ لا الكثيرَ.

قولُه: (حينَ شهودِهِ) أي: رمضانَ، الأظهرُ: حينَ شهودِها؛ أي: الأيَّامِ.

قال تعالى: (﴿مَرِيضًا﴾) يخافُ من الصَّومِ زيادةَ المرضِ.

قولُه: (أي: مسافراً) فيه إشارةٌ إلى أنَّ من[1] سافرَ أثناءَ اليومِ لم يُفطرْ[2].

قولُه: (في الحالينِ) فيه أنَّ الإجهادَ شرطٌ في الحضرِ لا في السَّفرِ بالاتِّفاقِ.

قولُه: (فأفطرَ) عطفٌ على ﴿كَانَ﴾، وهذا قيدٌ لمذهبِ أهل السُّنَّةِ خلافاً للشِّيعةِ؛ فإنَّهُ ولو لم يفطرْ فعليه القضاءُ[3].

---

(١) «من»: ليست في (م).

(٢) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٢/ ٤١١).

(٣) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٢٦٤).

فعلَيه عَدَدُ ما أفطر ﴿مِن أيَّامٍ أُخَرَ﴾، يصومها بدلَه.

﴿وعلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لِكِبَرٍ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾، هي ﴿طَعامُ مِسكِينٍ﴾، أي: قدرُ ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكلّ يوم. وفي قراءة بإضافة «فِدْيَةُ» وهي للبيان. وقيل: «لا» غيرُ مُقدّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثمّ نُسخ بتعيين الصوم، بقوله «فمن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ». قال ابن عبّاس: إلاّ الحاملَ والمُرضِعَ، إذا أفطرتا خوفًا على الولد، فإنّها باقية بلا نسخ في حقِّهما. ﴿فمَن تَطَوَّعَ خَيرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فهُوَ﴾ أي: التطوّع ﴿خَيرٌ لَهُ. وأنْ تَصُومُوا﴾. مبتدأٌ خبرُه ﴿خَيرٌ لَكُم﴾ من الإفطار والفدية. ﴿إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

قولُه: (فعليهِ) خبرٌ مقدَّرٌ.

قولُه: (عددُ ما أفطرَ) أي: صيامُه.

قولُه: (لكبرٍ) أي: عاجزٍ يستمرُّ عجزُه.

قولُه: (وهو مُدٌّ[١]) وعندَ أبي حنيفةَ[٢]: نصفُ صاعٍ مِن برٍّ أو صاعٌ مِن شعيرٍ.

قولُه: (وفي قراءةٍ) أي: لنافعٍ وابن ذكوانَ[٣].

قولُه: (بإضافةٍ) زادَ البيضاويُّ[٤]: وجمع ﴿المساكِينَ﴾، وعبارتُهُ أيضاً قاصرةٌ؛ إذ الجمعُ لنافعٍ وابن عامرٍ بكمالِهِ[٥].

قولُه: (في حقِّهِمَا) وعليهما الفديةُ في مذهبِ الشَّافعيِّ[٦] لا في مذهبِنا[٧].

قولُه: (أي: التَّطوُّعُ) أو الخيرُ أخيرُ له.

قولُه: (مبتدأٌ) تقديرُه: صيامُكُم.

قولُه: (مِنَ الإفطارِ) أو التَّأخيرِ للقضاءِ.

قولُه: (فافعلُوهُ) جوابُ الشَّرطِ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ٥١٥).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ١٢٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٢٤).

(٥) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٦).

(٦) انظر: «الحاوي الكبير» (٣/ ٤٣٦).

(٧) انظر: «الهداية» (١/ ١٢٤).

تلك الأيام ١٨٥ ـ ﴿شَهرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر منه، ﴿هُدًى﴾: حالٌ هاديًا من الضلالة ﴿لِلنّاسِ وبيّناتٍ﴾: آياتٍ واضحاتٍ ﴿مِنَ الهُدَى﴾ ممّا يهدي إلى الحقّ من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿الفُرقانِ﴾ ممّا يفرق بين الحقّ والباطل. ﴿فمَن شَهِدَ﴾: حضرَ ﴿مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ، وَمَن كانَ مَرِيضًا أو علَى سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِن أيّامٍ أُخَرَ﴾. تقدّمَ مثلُه، وكُرّر لئلاّ يُتوهَّم نسخُه بتعميم «مَن شهد».

﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ، ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ﴾ ـ ولذا أباح لكم الفِطر في المرضِ والسفرِ ـ ولكون ذلك في معنى العلّة أيضًا للأمر بالصوم عُطف عليه ﴿ولِتُكمِلُوا﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿العِدّةَ﴾ أي: عِدّةَ صوم رمضانَ، ﴿ولِتُكبِّرُوا اللهَ﴾ عند إكمالها ﴿علَى ما هَداكُم﴾: أرشدَكم لمَعالم دِينه، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

وسأل جماعة النبيَّ: «أقريبٌ ربُّنا فنُناجيَهُ، أم بعيدٌ فنُناديَهُ»؟ فنزلَ:.......................

قولُه: (تلكَ الأيّامُ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿شَهْرُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وقيل: مبتدأٌ خبرُه ما بعدهُ.

قولُه: (منهُ) أي: من رمضانَ، يعني جملةً، ثمَّ نزل منجَّماً، أو ابتدأَ فيه إنزالُهُ، وكانَ ذلك ليلةَ القدرِ، أو أُنزِلَ في شأنِهِ القرآنُ وهو قولُه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

قولُه: (حالٌ) أي: من القرآنِ.

قولُه: (مِنَ الأحكامِ) والحِكَمِ فلا تكرارَ مع قولِهِ: ﴿هُدًى﴾؛ لأنَّ المرادَ بالأوّلِ الهدايةُ المجملةُ الأصوليَّةُ، وبالثّاني الدِّلالةُ المفصَّلةُ الفروعيَّةُ.

قالَ تعالى: (﴿فَلْيَصُمْهُ﴾) أي: فليصمْ فيه على الاتساع.

قولُه: (بتعميمِ ﴿مَن شهدَ﴾) أو كرَّرهُ للتَّخصيصِ.

قولُه: (أيضاً) أي: كما أنَّه في معنى العلَّةِ لإباحةِ الإفطارِ أيضاً علَّةٌ للأمرِ بالصَّومِ؛ لما[1] يشتملُ عليهما الجملتانِ من قولِهِ: ﴿يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾.

قولُه: (والتَّشديدِ) لشعبةَ[2].

قالَ تعالى: (﴿عَلَى مَا هَدَاكُم﴾) عُدِّي التَّكبيرُ بـ﴿على﴾ لتضمُّنِهِ معنى الحمدِ، وقيل: ﴿على﴾ للتَّعليلِ.

---

(١) في (ص): «ولما».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٦).

١٨٦ ـ ﴿وإذا سأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي، فأخبِرْهم بذلك، ﴿أُجِيبُ دَعْوةَ الدّاعِ إذا دَعانِ﴾ بإنالته ما سأل. ﴿فلْيَستَجِيبُوا لِي﴾ دُعائي بالطاعة، ﴿ولْيُؤمِنُوا﴾: يُدِيموا على الإيمان ﴿بِي، لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ﴾: يهتدون.

١٨٧ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إلَى نِسائكُم﴾ بالجِماع. نزل نسخًا لِما كان في صدر الإِسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العِشاء. ﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُم، وأنتُم لِباسٌ لَهُنَّ﴾: كنايةٌ عن تعانقهما أو احتياج كلّ منهما إلى صاحبه. ﴿عَلِمَ اللهُ أنَّكُم كُنتُم تَختانُونَ﴾: تخونون ﴿أنفُسَكُم﴾، بالجِماع ليلة الصيام ـ وقع ذلك لعُمرَ وغيرِه، واعتذروا إلى النبيّ ﷺ ـ ﴿فتابَ علَيكُم﴾: قَبِلَ توبتكم، ﴿وعَفا عَنكُم. فالآنَ﴾: إذ أُحِلَّ لكم ﴿باشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهنَ، ﴿وابتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿ما كَتَبَ اللهُ لَكُم﴾ أي: أباحَه من الجِماع أو قدَّره من الولد، ﴿وكُلُوا واشرَبُوا﴾ الليلَ كلّه، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾: يظهرَ ﴿لَكُمُ الخَيطُ الأبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأسوَدِ مِنَ الفَجرِ﴾ أي: الصادقِ.......................

قولُه: (بعلمِي) إشارةٌ إلى تنزيهِهِ مِن القربِ المكانيِّ.

قالَ تعالى: (﴿الدَّاعِ إذَا دَعَانِ﴾) الجمهورُ على حذفِ الياءِ فيهما، وأثبتَها ورشٌ وأبو عَمرٍو وصلاً[1].

قولُه: (بمعنَى الإفضَاءِ) فيصحُّ تعديتُهُ بـ﴿إلى﴾.

قولُه: (لما) بالتَّشديدِ على أنَّه ظرفٌ، وبالتَّخفيفِ على أنَّهُ علَّةٌ، ويؤيِّدُه «مِن» البيانيَّةُ.

قولُه: (لصاحبِهِ) يعني: يسترُ حالَ صاحبِهِ ويمنعُهُ من الفجورِ.

قولُه: (تخونُونَ) الاختيانُ أبلغُ من الخيانةِ كالاكتسابِ من الكسبِ.

قولُه: (وغيرِهِ) في «المبهماتِ»[2] عُمرَ وكعبِ بنِ مالكٍ.

قولُه: (أو قدَّرَهُ) وأثبتَهُ في اللَّوحِ، هذا[3] المنقولُ عن أكثرِ المفسِّرينَ على ما قالهُ البغويُّ[4]، فهو أولى بالتَّقديمِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٦).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٨).

والأثر عن عمر وكعب، رواه أحمد في «مسنده» (١٥٧٩٥) وحسن إسناده السيوطي في «المفحمات».

(٣) في (ص) زيادة: «هو».

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٢٢٩).

بيانٌ للخيط الأبيض، وبيانُ الأسود محذوفٌ أي: من الليل. شُبّه ما يبدو من البياض وما يمتدّ معه من الغَبَش بخيطينِ أبيضَ وأسودَ في الامتداد.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيلِ﴾، أي: إلى دخوله بغروب الشمس، ﴿ولا تُباشِرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم، ﴿وأنتُم عاكِفُونَ﴾: مقيمون بنيّة الاعتكاف ﴿في المَساجِدِ﴾: متعلّق بـ«عاكفون». نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود.

﴿تِلكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ﴾، حَدَّها لعباده ليقفوا عندها. ﴿فلا تَقرَبُوها﴾. أبلغُ من «لا تعتدوها» المُعبَّرِ به في آية أُخرى. ﴿كَذلِكَ﴾: كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ مَحارمَه.

١٨٨ ـ ﴿ولا تأكُلُوا أمْوالَكُم بَينَكُم﴾ أي: يأكل بعضُكم مالَ بعض ﴿بِالباطِلِ﴾: الحرامِ شرعًا كالسرقةِ والغصب، ﴿و﴾ لا ﴿تُدْلُوا﴾: تُلقوا ﴿بِها﴾ أي: بحكومتها أو بالأموال رِشوةً ﴿إِلَى الحُكّامِ لِتَأكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفةً ﴿مِن أمْوالِ النّاسِ﴾ ملتبّسين ﴿بِالإِثمِ، وأنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنكم مُبطِلون.

١٨٩ ـ ﴿يَسأَلُونَكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿عَنِ الأهِلَّةِ﴾ جمعِ هِلال: لِمَ تبدو دقيقة ثمّ تَزيدُ حتّى تمتلئَ نورًا، ثمّ تعودُ كما بدت، ولا تكونُ على حالة واحدة كالشمس؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَواقِيتُ﴾: جمعُ مِيقاتٍ ﴿لِلنّاسِ﴾: يعلمون بها أوقات زرعِهم ومتاجرِهم وعِدَدِ نسائهم وصيامِهم وإفطارهم، ﴿والحَجِّ﴾: عطفٌ على «الناس»، أي: يُعلَم بها وقته ـ فلو استمرّت على حالة لم يُعرف ذلك ـ ﴿ولَيسَ البِرُّ بِأن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِها﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب ـ وكانوا يفعلون ذلك، ويزعمونه بِرًّا ـ ﴿ولكِنَّ البِرَّ﴾ أي: ذا البِرِّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللهَ بترك مُخالفته، ﴿وأتُوا البُيُوتَ مِن أبْوابِها﴾ في الإحرام كغيره، ﴿واتَّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

قولُه: (مِنَ اللَّيلِ) في «الصِّحاحِ»[1]: الخيطُ الأسودُ: الفجرُ المستطيلُ، والأبيضُ: الفجرُ المعترضُ. فعلى هذا: ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيطَينِ.

قولُه: (وتتركُوا البابَ) وفي نسخةٍ: «وتتركُونَ» والصَّوابُ الأوَّلُ، فتأمَّل.

قولُه: (أي: ذا البِرِّ) أو: البِرَّ بِرُّ من اتَّقى.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٢٥).

ولمّا صُدَّ ﷺ عن البيت عامَ الحُديبية، وصالَح الكُفّارَ على أن يعود العامَ القابلَ ويُخلُوا له مكّة ثلاثة أيّام، وتجهّزَ لعُمرة القضاء، وخافوا ألاّ تَفِيَ قُريش ويُقاتلوهم، وكرهَ المسلمون قتالهم في الحَرَم والإحرام والشهر الحرام، نزل: ١٩٠ ـ ﴿وقاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ﴾، أي: لإعلاء دِينه ﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُم﴾ من الكُفّار، ﴿ولا تَعتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ﴾: المتجاوزين ما حُدّ لهم. وهذا منسوخ بآية «براءة» أو بقوله:

١٩١ ـ ١٩٢ ـ ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم﴾: وجدتموهم، ﴿وأخرِجُوهُم مِن حَيثُ أخرَجُوكُم﴾، أي: من مكّة ـ وقد فُعِل بهم ذلك عامَ الفتح. ﴿والفِتْنةُ﴾: الشِّرك منهم ﴿أشَدُّ﴾: أعظمُ ﴿مِنَ القَتلِ﴾ لهم في الحرمِ أو الإِحرامِ الذي استعظمتُموه ـ ﴿ولا تُقاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾، أي: في الحَرَم ﴿حَتَّى يُقاتِلُوكُم فِيهِ، فإنْ قاتَلُوكُم﴾ فيه ﴿فاقتُلُوهُم﴾ فيه. وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ـ ﴿كَذلِكَ﴾ القتلِ والإخراجِ ﴿جَزاءُ الكافِرِينَ. فإنِ انتَهَوا﴾ عن الكُفر وأسلموا ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ـ ١٩٣ ـ ﴿وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ﴾: تُوجد ﴿فِتْنةٌ﴾: شِرك ﴿ويَكُونَ الدِّينُ﴾: العِبادة ﴿للهِ﴾ وحده ولا يُعبدَ سواه، ﴿فإنِ انتَهَوا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دلّ على هذا ﴿فلا عُدْوانَ﴾: اعتداءَ بقتل أو غيره ﴿إلاّ علَى الظّالِمِينَ﴾. ومن انتهى فليس بظالم، فلا عُدوان عليه.

١٩٤ ـ ﴿الشَّهرُ الحَرامُ﴾: المُحَرَّمُ مُقابَلٌ ﴿بِالشَّهرِ الحَرامِ﴾..........................

قولُه: (صُدَّ) أي: مُنعَ.

قولُه: (الحديبيةِ) بالتَّخفيفِ أشهرُ.

قولُه: (لعمرةِ القضاءِ) ظاهرُه مؤيِّدٌ لمذهبِنا[١]، والشَّافعيَّةُ[٢] يؤوِّلُونَ القضاءَ بالقضيَّةِ.

قولُه: (في الحرمِ) قالَ في «المداركِ»[٣]: عندنا يُقتلونَ في الأشهرِ الحرمِ لا في الحرمِ، إلَّا أن يبدَؤوا بالقتالِ معنا فحينئذٍ نقتلُهم.

قولُه: (وفي قراءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[٤].

قولُه: (المحرَّمُ) قاتلَهُمُ المشرِكونَ عامَ الحديبيةِ في الشَّهرِ الحرامِ؛ وهو ذو القعدةِ، فقيلَ لهم عند خروجِهم

---

(١) انظر: «الهداية» (١/ ١٧٦).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٥٢).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٦٦).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٧).

فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله ـ ردٌّ لاستعظام المسلمين ذلك ـ ﴿والحُرُماتُ﴾: جمع حُرْمة، ما يجب احترامه ﴿قِصاصٌ﴾ أي: يُقتَصُّ بمثلها إذا انتُهكتْ. ﴿فمَنِ اعتَدَى علَيكُم﴾، بالقتال في الحَرَم أو الإحرام أو الشهر الحرام، ﴿فاعتَدُوا علَيهِ بِمِثلِما اعتَدَى علَيكُم﴾ ـ سَمَّى مُقابَلتَه اعتداءً لشَبهها بالمُقابَل به في الصُّورة ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر، ١٩٥ ـ ﴿وأنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾: طاعتِه الجهادِ وغيره، ﴿ولا تُلقُوا بِأيدِيكُم﴾ أي: أنفُسِكم، والباء زائدة، ﴿إلَى التَّهلُكَةِ﴾: الهلاك بالإمساكِ عن النفقة في الجهاد أو تركِهِ لأنه يُقوّي العدوّ عليكم، ﴿وأحسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ أي: يُثيبهم.

١٩٦ ـ ﴿وأتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرةَ لِلهِ﴾: أدُّوهما بحقوقهما، ﴿فإنْ أُحصِرتُم﴾: مُنعتم عن إتمامهما بعدوٍّ ﴿فما استَيسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الهَدْيِ﴾ عليكم ـ وهو شاةٌ ـ ﴿ولا تَحلِقُوا رُؤُوسَكُم﴾ أي: لا تتحلّلوا، ﴿حَتَّى يَبلُغَ الهَدْيُ﴾ المذكورُ ﴿مَحِلَّهُ﴾: حيث يَحِلّ ذبحُه..........................

لعمرةِ القضاءِ وكراهتِهم القتالَ، وذلك في [ذي] القعدةِ، كذا في «المداركِ»[1].

قولُه: (أي: أنفسِكُم) بالجرِّ تفسيرٌ للأيدي؛ ولذا قالَ: «والباءُ زائدةٌ»، وقيل: الباءُ سببيَّةٌ، وأنفسَكُم مفعولٌ محذوفٌ.

قولُه: (أي: أدُّوهُمَا) والأظهرُ في معناهُ؛ أي: أكمِلوهُما بعد الشُّروعِ فيهما مناسباً للموردِ، ولأنَّ هذهِ الآيَةَ قبلَ فرضيَّةِ الحجِّ، مع أنَّ العمرةَ سنَّةٌ عندَ أكثرِ الأمَّةِ[2][3].

قولُه: (مِنْ إتمامِهَا) أي: العمرةِ، وخُصَّت لأنَّها الموردُ، وفي نسخةٍ: «إتمامهما».

قولُه: (بعدوٍّ) عند الشَّافعيِّ[4]، وبغيرِهِ من خوفٍ أو مرضٍ أو عجزٍ أيضاً عندَ أبي حنيفةَ[5].

قولُه: (المذكورُ) وفي «المداركِ»[6]: أي: الهديُ الَّذي بعثْتُموهُ إلى الحرمِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٦٦).

(٢) في (ص): «سنة عند الأكثر من الأئمة».

(٣) هي سنة عند أبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد، انظر: «الهداية» (١/ ١٧٨)، و«المعونة» (ص: ٥٠٢)، و«المغني» (٣/ ٢١٨). وفريضة عند الشافعي ورواية عن أحمد، انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٣)، و«المغني» (٣/ ٢١٨).

(٤) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٤٥).

(٥) انظر: «الهداية» (١/ ١٧٥).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٦٨).

وهو مكان الإِحصار عند الشافعيّ، فيُذبح فيه بنيّة التحلّل ويُفرّق على مساكينه، ويُحلَق، وبه يحصل التحلُّل. ﴿فمَن كانَ مِنكُم مَرِيضًا، أو بِهِ أذًى مِن رأسِهِ﴾ كقمل وصُداع، فحَلقَ في الإِحرام، ﴿ففِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِن صِيامٍ﴾ لثلاثة أيّام، ﴿أو صَدَقةٍ﴾ بثلاثة آصُعٍ من غالب قوت البلد على ستّة مساكين، ﴿أو نُسُكٍ﴾ أي: ذبحِ شاةٍ ـ وأو: للتخيير. وأُلحِق به مَن حلقَ لغير عُذر لأنّه أولى بالكفّارة، وكذا مَن استمتع بغير الحلق كالطِّيب واللُّبس والدُّهن لعُذر أو غيره ـ ﴿فإذا أمِنتُم﴾ العدوّ بأن ذهب أو لم يكن ﴿فمَن تَمَتَّعَ﴾: استمتع ﴿بِالعُمْرةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إلَى الحَجِّ﴾ أي: الإِحرامِ به بأن يكون أحرمَ بها في أشهره ﴿فما استَيسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الهَدْيِ﴾ عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإِحرام به والأفضل يومَ النحر.

قولُه: (وهو مكانُ الإحصَارِ[١]) وعندَنا[٢]: الحرمُ.

قولُه: (مسَاكِينِهِ[٣]) أي: مكانِ الإحصارِ، وعندنا[٤]: مساكينُ الحرمِ.

قولُه: (أو صُدَاعٍ) أو جراحةٍ تحوجُهُ إلى الحلقِ.

قولُه: (بثَلاثَةِ آصُعٍ) لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ مِن برٍّ عندنا[٥].

قولُه: (مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلدِ) هذا ليسَ بشرطٍ عندنا، بل هو مخيَّرٌ بينَ أن يُعْطيَ نصفَ صَاعٍ من برٍّ أو صَاعاً من غيرِهِ.

قولُه: (وأُلحِقَ بِهِ) أي: عندَ الشَّافعيِّ[٦]؛ إذ عندَنا[٧] إذا كان بغيرِ عذرٍ يتحتَّمُ عليه الدَّمُ، وهذا هو الظَّاهرُ ليكون التَّخفيفُ في حقِّ من ارتكبَهُ لعذرٍ؛ فإنَّهُ غيرُ آثمٍ، والتَّغليظُ بالنِّسبةِ إلى غيرِ المعذورِ؛ لأنَّهُ عاصٍ، فالقياسُ الَّذي ذكرهُ الشَّافعيَّةُ مع الفارقِ غيرُ موافقٍ.

قولُه: (لِعُذرٍ) اتِّفاقاً.

قولُه: (والأفضَلُ) وعندَنا[٨]: المتعيَّنُ.

---

(١) وذلك في حال لم يستطع إيصاله إلى الحرم، فإن كان قادراً على إيصاله إلى الحرم لم يجز أن ينحره في الحل. انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ١٧٦).

(٣) وفي المسألة تفصيل، انظره في «الحاوي الكبير» (٤/ ٢٢٩).

(٤) انظر: «الهداية» (١/ ١٧٥).

(٥) انظر: «الهداية» (١/ ١٦٧).

(٦) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ١٠٤).

(٧) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٨).

(٨) انظر: «الهداية» (١/ ١٨١).

﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ الهديَ لفقده أو فقد ثمنه ﴿فصِيامُ﴾ أي: فعليه صيامُ ﴿ثلاثةِ أيامٍ في الحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به ـ فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجّة، والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفةَ. ولا يجوز صومها أيّام التشريق على أصحّ قولَي الشافعيّ ـ ﴿وسَبْعةٍ إذا رَجَعتُم﴾ إلى وطنكم مكّةَ أو غيرها. وقيل: إذا فرَغتم من أعمال الحجّ. وفيه التفات عن الغَيبة. ﴿تِلكَ عَشرةٌ كامِلةٌ﴾: جملةٌ تأكيدٌ لِما قبلها. ﴿ذلِكَ﴾ الحُكم المذكور، من وجوب الهديِ أو الصيامِ على من تمتّع، ﴿لِمَن لَم يَكُنْ أهلُهُ حاضِري المَسجِدِ الحَرامِ﴾ بأن لم يكونوا على دونِ مرحلتينِ من الحَرَم عند الشافعيّ..........................

قولُه: (أي: فِي حَالِ إِحْرَامِهِ بِهِ) وهو قولُ الشَّافعيِّ[1] وزُفَرَ، أو في وقتِهِ، وهو أشهرُهُ ما بينَ الإحرامَينِ، لكنَّ الأفضلَ أنْ يصومَ ثلاثةَ أيَّامٍ مُتواليةٍ بعدَ الإحرامِ بالحجِّ آخرُها عرَفةُ.

قولُه: (لكَرَاهةِ صَومِ يَومِ عَرَفَةَ) كراهةَ تنزيهٍ إنْ كان يُضعِفُهُ، اللَّهمَّ إلَّا أنْ يسيءَ خلقَهُ فيُوقعَهُ في محظورٍ، كذا قال ابنُ الهمامِ[2].

قولُه: (عَلى أَصَحِّ) وهو مذهبُنا[3].

قولُه: (وقيلَ) هو قولُ الحنفيَّةِ[4].

قولُه: (مِنْ وجُوبِ الهَدْيِ) في «المداركِ»[5]: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التَّمتُّعُ؛ إذ لا تمتُّعَ ولا قرانَ لحاضرِي المسجدِ الحرامِ عندنا[6]. ويؤيِّدُ مذهبَنا (لام) لِمَنْ؛ إذ مقتضَى مَذهبِ الشَّافعيِّ[7] (على).

قولُه: (عندَ الشَّافعيِّ[8]) وعندَنا[9]: هم أهلُ المواقيتِ فمن دونَها إلى مكَّةَ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٥٢).

(٢) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٦٨).

(٦) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٥).

(٧) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٥٠).

(٨) المصدر السابق.

(٩) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٥).

فإن كان فلا دم عليه ولا صيام، وإن تمتّع. وفي ذِكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان. فلو أقام قبل أشهر الحجّ، ولم يستوطن وتمتّع، فعليه ذلك. وهو أحد وجهين عندنا، والثاني: لا، والأهل، كناية عن النفس. وأُلحِقَ بالمتمتّع فيما ذُكر بالسُّنّةِ القارنُ، وهو من يُحرم بالعُمرة والحجّ معًا، أو يُدخِلُ الحجَّ عليها قبل الطواف. ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لمن خالفه.

١٩٧ ـ ﴿الحَجُّ﴾: وقتُه ﴿أشهُرٌ مَعلُوماتٌ﴾: شوّالٌ وذو القَعدة وعشرُ ليالٍ من ذي الحِجّة، وقيل: كلُّه.

قولُه: (فلا دمَ[١]) وعندَنا[٢]: عليه دمُ الجنايةِ، فلا يأكُلُ منه؛ فإنَّه متَمتِّعٌ مسيءٌ، بخلافِ التَّمتُّعِ المشروعِ فإنَّ دمَهُ دمُ شُكرٍ، فله أن يأكلَ منه.

قولُه: (عندَ الشَّافعيِّ[٣]) دمُ جبرٍ، فلا يأكُلُ منه، وهو غريبٌ؛ لأنَّهُ لم يصدُرْ عنه ما يوجِبُ الجبرَ، بل الجمعَ بين العبادتينِ، وهو يقتضِي الشُّكرَ، وأمَّا القرانُ فهو الَّذي تقرَّرَ في حجِّهِ عليه السَّلامُ، وهو الأفضَلُ عند الجمهورِ، واللهُ أعلَمُ.

قولُه: (باشتِرَاطِ الاستِيْطَانِ) وعندَنا[٤]: لا يُشترَطُ الاستيطانُ ولا الإقامةُ.

قالَ تعالى: (﴿مَعْلُومَاتٌ﴾) أي: معروفاتٌ عند النَّاسِ، وفائدةُ توقيتِ الحجِّ بهذه الأشهرِ أنَّ شيئاً من أفعالِ الحجِّ لا يصحُّ إلَّا فيها، بمعنى: أنَّهُ لا يصحُّ قبلها، وكذا الإحرامُ عند الشَّافعيِّ[٥]، وعندَنا[٦]: وإن انعقدَ لكنَّهُ مكروهٌ، ومبنى الخلافِ: أنَّ الإحرامَ شرطٌ يشبه الرُّكنَ عندنا، وعند الشَّافعيِّ: ركنٌ.

قولُه: (وعَشْرُ ليَالٍ) أي: عند الشَّافعيِّ[٧]، وعندَنا[٨]: عشرةُ أيَّامٍ، فجُمِعَت الأشهرُ لبعضِ الثَّالثِ إطلاقاً للجزءِ وإرادةَ الكلِّ.

وقولُه: (وقِيلَ: كلُّهُ) هو مذهبُ مالكٍ[٩]، وفروعُ المسألةِ مذكورةٌ في الكتبِ المبسُوطةِ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: «البناية شرح الهداية» (٤/ ٣١٣).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٧٩).

(٤) انظر: «رد المحتار» (٢/ ٥٢٣).

(٥) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٢٨).

(٦) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٥).

(٧) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٢٧).

(٨) انظر: «البناية» (٤/ ٣١٧).

(٩) انظر: «المعونة» (ص: ٥٩٩).

﴿فمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فلا رَفَثٌ﴾: جِماعٌ فيه، ﴿ولا فُسُوقٌ﴾: مَعاصٍ، ﴿ولا جِدالَ﴾: خصامَ ﴿في الحَجِّ﴾ - وفي قراءة بفتح الأوّلَينِ. والمراد في الثلاثة النهيُ - ﴿وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ﴾ كصَدَقةٍ ﴿يَعلَمْهُ اللهُ﴾، فيُجازيَكم به. ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجّون بلا زاد، فيكونون كَلًّا على الناس: ﴿وتَزَوَّدُوا﴾ ما يُبلِّغكم لسفركم. ﴿فإنَّ خَيرَ الزّادِ التَّقْوَى﴾: ما يُتَّقى به سُؤالُ الناس وغيرُه. ﴿واتَّقُونِ. يا أُولِي الألبابِ﴾: ذوي العقُول.

١٩٨ - ١٩٩ ﴿لَيسَ عليكُم جُناحٌ﴾ في ﴿أن تَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿فَضلاً﴾: رزقًا ﴿مِنْ رَبِّكُم﴾ بالتجارة في الحجّ - نزل ردًّا لكراهتهم ذلك - ﴿فإذا أفَضتُم﴾: دفعتم ﴿مِن عَرَفاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بعد المَبيت بمُزدلِفةَ بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ﴾................

قولُه: (جِمَاعَ) أو ذِكرَهُ عند النِّساءِ، أو كلامَ الفحشِ.

قولُه: (مَعَاصِي) أي: كلِّها، أو السِّبابَ، أو التَّنابزَ بالألقَابِ، فهي في الحجِّ أقبحُ كلبسِ الحريرِ في الصَّلاةِ.

قولُه: (خِصَامَ) يعني: معَ الرُّفَقاءِ والخَدمِ والمكارينَ، وقيل: لا جِدالَ في وَقتِ الحجِّ لما تعيَّنَ، فالمرادُ به: نفيُ الوقُوعِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لغيرِ ابن كثيرٍ وأبي عمرٍو؛ إذ قراءتُهُما بالرَّفعِ والتَّنوينِ[١].

وقولُه: (الأوَّلَينِ) احترازٌ عن الآخرِ؛ فإنَّهُ لا خلافَ في فتحِهِ.

قولُه: (والمُرَادُ فِي الثَّلاثةِ النَّهيُ) أو المرادُ: وجُوبُ انتفائِها وأنَّها حقيقَةٌ بأن لا تكونَ.

قولُه: (كلًّا) أي: ثقيلاً.

قولُه تعالى: (﴿واتَّقُونِ[٢]﴾) بإثباتِ الياءِ في بعض النُّسخِ على قراءةِ أبي عَمرٍو في الوصلِ[٣].

قولُه: (دفعْتُم) وفي نسخةٍ: «رجعْتُم».

قولُه: (بعْدَ المَبِيتِ) هو سنَّةٌ عندَنا، واجبٌ عندَ الشَّافعيِّ، وأمَّا وقُوفُ الصُّبحِ فهو واجبٌ عندَنا[٤]، وسنَّةٌ عند الشَّافعيِّ[٥].

---

(١) أي: ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ﴾، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٢٨).

(٢) في (ص): «﴿واتقوني﴾».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٧).

(٤) انظر: «رد المحتار» (٢/ ٥١٢).

(٥) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ١٧٧).

هو جبل في آخر المُزدلِفَةِ، يقال له: قُزَحُ ـ وفي الحديث «أنّه ﷺ وَقفَ بِه يَذكُرُ اللهَ ويَدعُو حَتَّى أسفَرَ جِدًّا». رواه مسلم ـ ﴿واذكُرُوهُ كَما هَداكُم﴾ لمَعالم دِينه ومَناسك حجّه، والكافُ: للتعليل ـ ﴿وإنْ﴾: مخفّفةٌ ﴿كُنتُم مِن قَبلِهِ﴾: قبلِ هُداه ﴿لَمِنَ الضّالِّينَ ـ ثُمَّ أفِيضُوا﴾ ـ يا قُريش ـ ﴿مِن حَيثُ أفاضَ النّاسُ﴾، أي: من عَرَفةَ بأن تقفوا بها معهم ـ وكانوا يقفون بالمُزدلفة ترفّعًا عن الوقوف معهم. وثمّ: للترتيب في الذِّكر ـ ﴿واستَغفِرُوا اللهَ﴾ من ذُنوبكم. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

٢٠٠ ـ ﴿فإذا قَضَيتُم﴾: أدّيتم ﴿مَناسِكَكُم﴾: عباداتِ حجّكم بأن رمَيتم جَمْرة العقبة وطُفتم واستقررتم بمنى ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكرِكُم آباءَكُم﴾: كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حَجّكم بالمُفاخرة ﴿أو أشَدَّ ذِكرًا﴾ من ذِكركم إيّاهم. ونصبُ «أشدَّ» على الحال من «ذكرًا» المنصوبِ بـ«اذكروا»، إذ لو تأخّر عنه لكان صفة له.

﴿فمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا﴾ نصيبَنا ﴿في الدُّنيا﴾. فيُؤتاه فيها، ﴿ومالَهُ في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ﴾: نصيبٍ، ٢٠١ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً﴾: نِعمةً ﴿وفي الآخِرةِ حَسَنةً﴾

قولُه: (هوَ جبَلٌ في آخرِ المُزْدلِفَةِ) بلْ في وسَطِها، وهذا بيانُ الأفضَلِ، وإلّا فالمزدَلِفةُ كلُّها موقفٌ إلّا وادِي محسِّرٍ.

قولُه: (مخفَّفةٌ) فاللّامُ فارقةٌ، وقيل: (إن) نافيةٌ، فاللّام بمعنى: إلّا.

قولُه: (معَهُم) أي: مع عمومِ النّاسِ.

قولُه: (وكانُوا) أي: قريشُ يقولونَ: نحنُ حمامُ الحرمِ لا نخرجُ منه(١).

قولُه: (للتَّرتِيبِ في الذِّكرِ) أو الرُّتبةِ؛ يعني: لا في العَملِ؛ لأنَّ الإفاضَةَ قبلَ وقوفِ المشعرِ الحرامِ.

قولُه تعالى: (﴿أوْ أشَدَّ﴾) أي: بل أشدَّ.

قولُه: (عَلَى الحَالِ) الأظهرُ: أنَّهُ على الوَصفِ بالمصدرِ المقدَّرِ؛ إذ ﴿ذكرًا﴾ المذكُورُ تمييزٌ لـ﴿أشَدَّ﴾.

قولُه: (نَصِيباً) أي: مُنحَصراً.

قولُه: (نِعْمَةً) أو امرأةً صَالحةً، أو علماً، أو عملاً، أو اتّباعَ الأولى.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى ابن ماجه (٣٠١٨) عن عائشة، قالت: قالت قريش: نحن قواطن البيت، لا نجاوز الحرم، فقال الله عز وجل: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩].

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٠٣): هذا إسناد صحيح موقوف لكن حكمه الرفع.

هي الجنّة، ﴿وقِنا عَذابَ النّارِ﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لِما كان عليه المشركون ولِحال المؤمنين. والقصد به الحثّ على طلب خيرَيِ الدارين كما وَعدَ بالثواب عليه بقوله: ٢٠٢ ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم نَصِيبٌ﴾: ثواب، ﴿مِـ﴾ـن أجلِ ﴿ـمّا كَسَبُوا﴾: عملوا من الحجّ والدعاء. ﴿واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ﴾، يُحاسب الخلق كلّهم في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك.

٢٠٣ ـ ﴿واذكُرُوا اللهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجَمَرات ﴿في أيّامٍ مَعدُوداتٍ﴾، أي: أيّام التشريق الثلاثة ـ ﴿فمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿في يَومَينِ﴾ أي: في ثاني أيّام التشريق بعد رمي جماره ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ بالتعجيل، ﴿ومَن تأخَّرَ﴾ بها حتّى بات ليلة الثالثِ ورمَى جِماره ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ بذلك. أي: هم مُخيَّرون في ذلك. ونفيُ الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ اللهَ في حجّه لأنه الحاجّ على الحقيقة ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّكُم إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٠٤ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ في الحَياةِ الدُّنيا﴾، ولا يُعجبك في الآخرة لمُخالفته لاعتقاده، ﴿ويُشهِدُ اللهَ علَى ما في قَلبِهِ﴾ أنّهُ مُوافق لقوله، ﴿وهُوَ ألَدُّ الخِصامِ﴾: شديد الخُصومة لك ولأتباعك لعداوته لك ـ...

قولُه: (هيَ الجنَّةُ) أو الحورُ أو الرَّفيقُ الأعلَى.

وقولُه: (﴿عَذَابَ النَّارِ﴾) المرأةَ السُّوءَ، أو ما يؤدِّي إلى النارِ، أو حجابَ المولى.

قولُه: (بِعَدَمِ دُخُولِهَا) أو بعَدمِ التَّأبيدِ.

قولُه: (وهَذَا) أي: ما ذكرَ مِن الدُّعاءَينِ.

قولُه: (وقَصدَ بِهِ) أي: بحَالِ المؤمنينَ، و(الحَثَّ) أي: التَّحرِيضَ.

قولُه: (عندَ رَمِي الجَمَرَاتِ) وأدْبارَ الصَّلواتِ وعندَ ذَبحِ القَرابينَ.

قولُه: (الثَّلاثةِ) صِفةُ الأيَّامِ.

قولُه: (أي: استَعْجَلَ بالنَّفرِ) أو تعجَّلَ النَّفرَ.

قولُه: (فِي ثَانِي أيَّامِ التَّشرِيقِ) فالمرادُ باليَومينِ: يومُ النَّفرِ وما بعدَهُ؛ يعني: يومَينِ أوَّلينِ من الثَّلاثةِ.

قولُه: (بعْدَ رَمِي جِمَارِهِ) إلى الغُروبِ عندَ الشَّافعيِّ[1]، وقبلَ طُلوعِ الفَجرِ عندنا[2].

قولُه: (بذَلِكَ) أي: بالتَّأخُرِ، بل هو الأفضَلُ والأكمَلُ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ١٤٦).

وهو الأخنسُ بنُ شَرِيق، كان مُنافقًا حلو الكلام للنبيّ، يحلف أنّه مؤمن به ومُحبّ له فيُدني مجلسَه، فأكذَبَه اللهُ في ذلك ـ ومرَّ بزرع وحُمُرٍ لبعض المسلمين، فأحرقَه وعقَرها ليلاً كما قال تعالى: ٢٠٥ ـ ﴿وإذا تَوَلَّى﴾: انصرف عنك ﴿سَعَى﴾: مشى ﴿في الأرضِ، لِيُفسِدَ فِيها، ويُهلِكَ الحَرْثَ والنَّسلَ﴾ من جملة الفساد ـ ﴿واللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾ أي: لا يرضى به ـ ٢٠٦ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ﴾ في فعلك. ﴿أخَذَتْهُ العِزَّةُ﴾: حملتْه الأنفة والحميّة على العمل ﴿بِالإثمِ﴾ الذي أُمر باتّقائه. ﴿فحَسْبُهُ﴾: كافِيهِ ﴿جَهَنَّمُ، ولَبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ هي! ٢٠٧ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَشرِي﴾: يبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يبذلها في طاعة الله ﴿ابتِغاءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضاةِ اللهِ﴾: رِضاه. وهو صُهيبٌ، لمّا آذاه المشركون هاجر إلى المدينة، وترك لهم ماله. ﴿واللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رِضاه.

ونزلَ في عبدالله بن سلام وأصحابه لمّا عظّموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام: ٢٠٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، ادخُلُوا في السَّلمِ﴾، بفتح السين وكسرها: الإسلامِ ﴿كافَّةً﴾: حالٌ من السّلم، أي: في جميع شرائعه، ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيطانِ﴾ أي: تزيينَه بالتفريق ـ ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة ـ ٢٠٩ ـ ﴿فإنْ زَلَلْتُم﴾: مِلتم عن الدخول في جميعه ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْكُمُ البَيِّناتُ﴾: الحُجج الظاهرة على أنّه حقّ ﴿فاعلَمُوا أنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه.....

قولُه: (وهوَ الأَخْنسُ) اسمُهُ: أُبيٌّ، ولُقِّبَ به لأنَّهُ خنَسَ؛ أي: تأخَّرَ يومَ بدرٍ بثلاثمائةِ رجُلٍ مِن بني زُهْرَةَ عن قتَالِ النَّبيِّ ﷺ، وهو حَليفُ بنِي زُهْرةَ[1].

قولُه: (ابنُ شَرِيقٍ) كأميرٍ.

قولُه: (مِنْ جُمْلةِ الفَسَادِ) إشارةٌ إلى أنَّ قوله: ﴿وَيُهْلِكَ﴾ مِن عطفِ الخاصِّ على العامِّ.

قولُه: (يبيعُ) فالشِّراءُ من الأضدادِ.

قولُه: (يبذُلُ) بضمِّ الذَّالِ المعجمةِ، وفي نسخَةٍ بالدَّالِ من التَّبديلِ أو الإبدالِ، وهو تصحيفٌ.

قولُه: (وكرهُوا الإبلَ) أي: امتنعُوا عن أكلِها على مقتضى اليهوديَّةِ.

قولُه: (بفتحِ السِّينِ) قراءةُ نافعٍ وابن كثيرٍ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (الحُجَجُ الظَّاهِرةُ) مِن الآياتِ والمعجِزاتِ.

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (١/ ٦٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٠).

٢١٠ ـ ﴿هَل﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر التاركون الدخولَ فيه ﴿إلاّ أنْ يأتِيَهُمُ اللهُ﴾ أي: أمرُه كقوله: «أو يأتيَ أمرُ رَبِّكَ» أي: عذابُه، ﴿في ظُلَلٍ﴾: جمع ظُلّة ﴿مِنَ الغَمامِ﴾: السحاب ﴿والمَلائكةُ، وقُضِيَ الأمرُ﴾: تمّ أَمرُ هلاكهم؟ ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ ـ بالبناء للمفعول والفاعل ـ في الآخرة فيُجازي.

٢١١ ـ ﴿سَلْ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾ تبكيتًا: ﴿كَم آتيناهُم﴾ كم: استفهامية معلِّقة «سل» عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولَي «آتينا»، ومميِّزُها ﴿مِن آيةٍ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرة كفلْق البحر وإنزال المنّ والسَّلوى، فبدَّلوها كفرًا؟ ﴿ومَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات لأنّها سبب الهداية، ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْهُ﴾، كفرًا ﴿فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له.

٢١٢ ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿الحَياةُ الدُّنيا﴾ بالتمويه فأحبّوها، ﴿و﴾ هم ﴿يَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقرهم كعمّار وبلال وصُهيب، أي: يستهزئون بهم ويتعالَون عليهم بالمال، ﴿والَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشركَ ـ وهم هؤلاء ـ ﴿فَوقَهُم يَومَ القِيامةِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا في الآخرة أو الدنيا بأن يُملِّكَ المسخورَ منهم أموالَ الساخرين ورقابَهم.

٢١٣ ـ ﴿كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدةً﴾ على الإيمان، فاختلفوا بأن آمَن بعض وكفر بعض،............

قولُه: (بالبِناءِ للمَفعُولِ) نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو وعاصمٌ[١]، فيكونُ (رجعَ) متعدِّياً بمعنى: ردَّ.

قولُه: (تَبْكِيتاً) أي: سؤالَ تَبْكِيتٍ وتَوبيخٍ أو علَّةٍ.

قولُه: (معلِّقةٌ) بكسرِ اللَّامِ؛ أي: مانعتُهُ عن العملِ.

قولُه: (كفراً) مفعولٌ ثانٍ لـ«بدَّلَ».

قولُه: (لَهُ) أي: لمن يبدِّلُ.

قولُه: (مِنْ أهلِ مكّةَ) التَّخصيصُ للمَوردِ، والعبرةُ بعمومِ اللَّفظِ.

قولُه: (بالتَّمْويهِ) أي: بتزيينِ اللهِ أو الشَّيطانِ.

قولُه: (﴿و﴾هم) إشارةٌ إلى أنَّ الجملةَ حالٌ.

قالَ تعالى: (﴿فَوْقَهُم﴾) حسًّا ومعنًى.

قولُه: (أوِ الدُّنْيا) أو فيهما.

قولُه: (عَلَى الإيمَانِ) أي: في زمنِ آدمَ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

﴿فبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمن بالجنة ﴿ومُنذِرِينَ﴾ مَن كفر بالنار، ﴿وأنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ﴾ بمعنى الكُتُب ﴿بِالحَقِّ﴾ متعلّق بـ«أنزل»، ﴿لِيَحكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النّاسِ فِيما اختلَفُوا فِيهِ﴾ من الدِّين، ﴿وما اختلَفَ فِيهِ﴾، أي: الدِّينِ ﴿إلاّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: الكتاب، فآمَن بعض وكفر بعض ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البيِّناتُ﴾: الحُجج الظاهرة على التوحيد ـ ومِن: متعلّقة بـ«اختلف»، وهي وما بعدها مقدّم على الاستثناء في المعنى ـ ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَينَهُم، فهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِما اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾: للبيان ﴿الحَقِّ بِإذنِهِ﴾ بإرادته. ﴿واللهُ يَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هدايته ﴿إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾: طريق الحقّ.

ونزلَ في جَهدٍ أصابَ المسلمين: ٢١٤ ـ ﴿أم﴾ بل أ﴿حَسِبتُم أنْ تدخُلُوا الجَنَّةَ، ولَمّا﴾: لم ﴿يأتِكُم مَثَلُ﴾: شِبهُ ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ من المؤمنين من المحن، فتصبِروا كما صبروا؟ ﴿مَسَّتهُمُ﴾: جملة مستأنفة مبيّنةٌ ما قبلها، ﴿البأساءُ﴾: شِدّة الفقر ﴿والضَّرّاءُ﴾: المرض، ﴿وزُلزِلُوا﴾: أُزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي: قال ﴿الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاءً للنّصر لتناهي الشِّدّة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصرُ اللهِ﴾ الذي وُعِدْناه؟ فأُجيبوا من قِبَل الله: ﴿ألا إنَّ نَصرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانُه.

قولُه: (بِهِ) أي: ليحكمَ الكتابُ بالحقِّ.

قولُه: (ومَا بَعْدَها) مِن علَّةِ الاختِلَافِ.

قولُه: (طَرِيقِ الجَنَّةِ) وفي نسخَةٍ: «الحقِّ».

قولُه: (بلْ) وفي نسخَةٍ فيها الهمزةُ أيضاً.

قولُه: (لم) فسَّرَ (لمَّا) بمرَادفِهِ وإن كانَ بينهُما فرْقٌ ما.

قولُه: (مَا أتَى) يحتملُ الموصُولةَ والمصدريَّةَ، بمضافٍ مقدَّرٍ.

قولُه: (مِنَ المِحنِ) بيانٌ لـ«مَا أتى».

قولُه: (والرَّفعِ) قراءةُ نافعٍ[1].

قولُه: (أيْ: قَالَ) قالَ البَغويُّ[2]: إذا كانَ الفعلُ الَّذي يلي (حتَّى) في معنى الماضِي، ولفظُهُ لفظُ المستقبلِ، ففيه وجهانِ: الرَّفعُ والنَّصبُ، فالنَّصْبُ على ظاهرِ الكَلامِ؛ لأنَّ (حتَّى) تنصِبُ الفعلَ المستقْبلَ، والرَّفعُ لأنَّ معناهُ الماضي، و(حتَّى) لا تعملُ في الماضِي.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣١).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٢٧٣).

٢١٥ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿: ماذا﴾ أي: الذي ﴿يُنفِقُونَـ﴾ـهُ؟ والسائل عمرُو بنُ الجموح، وكان شيخًا ذا مال، فسأل النبيَّ عمّا يُنفق وعلَى من يُنفق. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما أنفقتُم مِن خَيرٍ﴾ بيانٌ لـ«ما» شاملٌ للقليل والكثير، وفيه بيان المُنفَقِ الذي هو أحد شِقَّي السؤالِ، وأجاب عن المَصرِف الذي هو الشِّقّ الآخَر بقوله: ﴿فلِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ واليَتامَى والمَساكِينِ وابنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولَى به، ﴿وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ﴾: إنفاق وغيره ﴿فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فمُجازٍ عليه.

٢١٦ ـ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِض ﴿عَلَيكُمُ القِتالُ﴾، لِلكُفّار، ﴿وهُوَ كُرْهٌ﴾: مكروه ﴿لَكُم﴾ طبعًا لمشقّته. ﴿وعَسَى أنْ تكرَهُوا شَيئًا وهُوَ خَيرٌ لَكُم، وعَسَى أنْ تُحِبُّوا شَيئًا وهُوَ شَرٌّ لَكُم﴾، لميلِ النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونُفورِها عن التكليفات الموجبة لسعادتها. فلعلّ لكم في القتال، وإن كرهتموه، خيرًا لأنّ فيه إمّا الظفرَ والغنيمة أو الشهادةَ والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شرًّا، لأنّ فيه الذلَّ والفقر وحرمان الأجر. ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ ما هو خير لكم، ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك. فبادروا إلى ما يأمركم به.

وأرسل النبيُّ ﷺ أولَ سراياه، وعليها عبدُ اللهِ بنُ جحش، فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرميّ آخِرَ يوم من جُمادَى الآخِرة، والتبس عليهم برجبٍ، فعيّرهم الكفّار باستحلاله، فنزل:

٢١٧ ـ ﴿يَسألُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ﴾ المُحرَّم، ﴿قِتالٍ فِيهِ﴾: بدل اشتمال. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم وِزرًا، مبتدأ وخبر، ﴿وصَدٌّ﴾ مبتدأ: منعٌ للناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه، ﴿وكُفرٌ بِهِ﴾: بالله ﴿و﴾ صدٌّ عن ﴿المَسجِدِ الحَرامِ﴾،..

قولُه: (أَيِ الَّذِي...) إلخ: بتشديدِ (أيٍّ) يعني: (ما) استفهاميَّةٌ، و(ذا) موصُولةٌ، والضَّميرُ المفعولُ مقدَّرٌ، أو بالتَّخفِيفِ، فـ(أي) مفسِّرةٌ و(ذا) زائدةٌ.

قولُه: (عَبدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ) وفي بعضِ النُّسخِ: «عبدُ الرَّحمنِ» وهو سهوٌ.

قولُه: (جُمادَى) بضمِّ الجيمِ وفتح الدَّالِ.

قولُه: (المحرَّمِ) هو رجبٌ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُه: (﴿و﴾ صدٌّ عنِ ﴿المسجدِ الحرامِ﴾) ظاهرُهُ عطفُ ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على ﴿سبيلِ اللهِ﴾، قالَ البيضاويُّ[2]: وهو لا يحسنُ؛ لأنَّ عطفَ قولِهِ: ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ على ﴿وَصَدٌّ﴾ مانعٌ منه؛ إذ لا يتقدَّم العطفُ على الموصولِ ـ

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران/ ط دار الفكر اللبناني» (ص: ٢٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٣٧).

أي: مكّةَ ﴿وإخراجُ أهلِهِ مِنهُ﴾ ـ وهم النبيّ والمؤمنون ـ وخبرُ المبتدأ ﴿أكبَرُ﴾: أعظم وِزرًا ﴿عِندَ اللهِ﴾ من القتال فيه، ﴿والفِتْنَةُ﴾: الشِّرك منكم ﴿أكبرُ مِنَ القَتلِ﴾ لكم فيه.

﴿ولا يَزالُونَ﴾ أي: الكفّارُ ﴿يُقاتِلُونَكُم﴾ ـ أيها المؤمنون ـ ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم﴾ إلى الكُفر، ﴿إنِ استَطاعُوا. ومَن يَرتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ، فَيَمُتْ وهُوَ كافِرٌ، فأُولئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَت ﴿أعمالُهُم﴾ الصالحة ﴿في الدُّنيا والآخِرةِ﴾، فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها ـ والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطُل عمله، فيثابُ عليه ولا يُعيده كالحجّ مثلاً، وعليه الشافعيّ ـ ﴿وأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

يعني: المتعلِّقِ بفتحِ اللَّامِ ـ على العطفِ على الصِّلةِ؛ وهو الجارُّ، فالصَّحيحُ: أنَّهُ على إرادةِ المضافِ؛ أي: وصدُّ المسجدِ الحرامِ؛ أي: صدٌّ عنه، ويمكنُ أن يُحمَلَ كلامُ المصنِّفِ عليه.

وقيل: جازَ عطفُ ﴿المسجدِ﴾ على: ﴿سبيلِ اللهِ﴾؛ لأنَّ الكفرَ باللهِ والصَّدَّ عن سبيلِهِ متَّحدانِ معنًى، فكأنَّهُ لا عطفَ على الصِّلةِ قبل تمامِ المعطوفِ عليه.

قالَ البيضاويُّ[1]: ولا يحسنُ العطفُ أيضاً على الهاءِ في (به)؛ فإنَّ العطفَ على الضَّميرِ المجرورِ إنَّما يكونُ بإعادةِ الجارِّ.

قالَ في «البحرِ»: جازَ العطفُ على ضَميرِ (به) نحو: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وهذا ثابتٌ في نظمِ الفُصَحاءِ ونثرِهِم، كذا في «التَّفسيرِ المعين الكبير[2]»[3].

قولُه: (﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾) أي: على فرضِ أن يكونَ القتلُ المذكورُ إثماً؛ فإنَّهُ إذا لم يكنْ عن عَمدٍ لم يُسَمَّ ذنباً.

قولُه: (وعَليهِ الشَّافِعيُّ[4]) قالَ في «المداركِ»[5]: قلنَا قد علَّقَ الحبطَ بنفسِ الرِّدَّةِ بقولِه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، والأصلُ عندَنا: أنَّ المطلقَ لا يُحمَلُ على المقيَّدِ، وعنده: يُحمَلُ عليه، فهو بناءٌ على هذا، انتهى.

فعلى هذا: فائدةُ التَّقييدِ أنَّهُم لو أسلمُوا لم يكونُوا من أصحابِ النَّارِ خالدينَ فيها.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) «الكبير»: ليست في (د).

(٣) هو «البحر المحيط في التفسير» فانظره: (٢/ ٣٨٧).

(٤) انظر: «بحر المذهب» (٣/ ٣٥٠).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٨١).

ولمّا ظنّ السَّرِيَّةُ أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصلُ لهم أجر نزلَ: ٢١٨ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هاجَرُوا﴾: فارقوا أوطانهم، ﴿وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾: لإعلاء دينه، ﴿أُولئِكَ يَرجُونَ رَحْمةَ اللهِ﴾: ثوابَه. ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رحِيمٌ﴾ بهم.

٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ﴿يَسألُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيسِرِ﴾: القمار ما حُكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِما﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إثمٌ كَبِيرٌ﴾: عظيم ـ وفي قراءة بالمُثلّثة ـ لِما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش، ﴿ومَنافِعُ لِلنّاسِ﴾ باللذةِ والفرحِ في الخمر وإصابةِ المال بلا كدٍّ في الميسر، ﴿وإثمُهُما﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أكبَرُ﴾: أعظم ﴿مِن نَفعِهِما﴾. ولمّا نزلتْ شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرّمتها آية «المائدة».

﴿ويَسألُونَكَ: ماذا يُنفِقُونَ﴾، أي: ما قَدرُه؟ ﴿قُلِ﴾: أنفقوا ﴿العَفْوَ﴾ أي: الفاضلَ عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتُضيّعوا أنفسكم. وقراءةُ الرفع بتقدير: هو. ﴿كَذلِكَ﴾: كما بَيّنَ لكم ما ذُكِر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ في﴾ أمر ﴿الدُّنيا والآخِرةِ﴾، فتأخذون بالأصلح لكم فيهما.

﴿ويَسألُونَكَ عَنِ اليَتامَى﴾ وما يَلقَونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحَرَجٌ. ﴿قُلْ: إصلاحٌ لَهُم﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيرٌ﴾ من ترك ذلك، ﴿وإنْ تُخالِطُوهُم﴾ أي: تَخلطوا نفقتهم بنفقتكم ﴿فإخوانُكُم﴾،...........

قولُه: (وفي قراءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (أي: ما قَدْرُهُ؟) إشارةٌ إلى أنَّ (ما) استفهاميَّةٌ و(ذا) زائدةٌ.

قولُه: (أنفِقوا) يعني: ﴿العَفْوَ﴾ منصوبٌ به.

قولُه: (وقَراءةُ الرَّفعِ) لأبي عَمرٍو[2].

قولُه: (مِنَ الحَرجِ) بيانٌ لما، وفي نسخةٍ: «مِنَ الجوعِ» وهو خطأٌ.

قولُه: (واكَلُوهُم) واكلهم لغةٌ في آكلهم، نحو: آخَذ وواخذ.

قولُه: (مداخلتُكُم) وفي نسخةٍ: «مداخلتُهُم» وهما صحيحتانِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٣).

أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يُخالط أخاه، أي: فلكم ذلك. ﴿واللهُ يَعلَمُ المُفسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ المُصلِحِ﴾ بها، فيُجازي كُلًّا منهما، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَأعنَتَكُم﴾: لَضَيّقَ عليكم بتحريم المخالطة. ﴿إنَّ اللهَ عَزيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكيمٌ﴾ في صُنعه.

٢٢١ ـ ﴿ولا تَنكِحُوا﴾: تتزوّجوا ـ أيها المسلمون ـ ﴿المُشرِكاتِ﴾، أي: الكافراتِ ﴿حَتَّى يُؤمِنَّ ـ ولَأَمَةٌ مُؤمِنةٌ خَيرٌ مِن مُشرِكةٍ﴾ حُرّةٍ لأن سببَ نزولها العيبُ على من تزوّجَ أمَة وترغيبُه في نكاح حُرّة مشرِكة، ﴿ولَو أعجَبَتْكُم﴾ لجمالها ومالها ـ وهذا مخصوص بغير الكتابيّات، بآية «والمُحصَناتُ مِنَ الّذِينَ أوتُوا الكِتابَ» ـ ﴿ولا تُنكِحُوا﴾: تُزَوِّجوا ﴿المُشرِكِينَ﴾، أي: الكفّارَ المؤمناتِ ﴿حَتَّى يُؤمِنُوا. ولَعَبدٌ مُؤمِنٌ خَيرٌ مِن مُشرِكٍ، ولَو أعجَبَكُم﴾ لماله وجماله. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: أهلُ الشرك ﴿يَدعُونَ إلَى النّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجِب لها، فلا تليق مُناكحتهم، ﴿واللهُ يَدعُو﴾ على لسان رسله ﴿إلَى الجَنّةِ والمَغفِرةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِإذنِهِ﴾: بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه، ﴿ويُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون.

٢٢٢ ـ ﴿ويَسألُونَكَ عَنِ المَحِيضِ﴾، أي: الحيض أو مكانه: ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ: هُوَ أذًى﴾: قذَرٌ أو محلُّه. ﴿فاعتَزِلُوا النِّساءَ﴾: اتركوا وطْأهنّ ﴿في المَحِيضِ﴾، أي: وقتِه أو مكانِه، ﴿ولا تَقرَبُوهُنَّ﴾ بالجِماع ﴿حَتَّى يَطهُرْنَ﴾ ـ..

قولُه: (المؤمناتِ) أحدُ المفعولينِ.

قولُه: (أي: الحَيضِ) بناءً على أنّهُ مصدرٌ ميميٌّ.

قولُه: (أو مكَانِهِ) ويحتملُ (زمانِهِ)، ولكنَّ قولَهُ تعالى: ﴿هُو أذًى﴾ يناسبُ ظاهرُهُ المصدرَ؛ ولذا اقتصرَ عليه البيضاويُّ[1]، وصاحبُ «المداركِ»[2].

قولُه: (اترُكُوا وطأَهُنَّ) قيلَ: إنَّ النَّصارى كانوا يجامعُونهنَّ ولا يبالُونَ بالحَيضِ، واليهودَ والمجوسَ كانوا يعتزلُونَهُنَّ في كلِّ شيءٍ حتَّى المسَاكنةِ والمؤاكلةِ، فأمرَ اللهُ بالاقتصادِ بين الأمرينِ، ثمَّ عند أبي حنيفةَ وأبي يوسفَ يجتنبُ ما اشتملَ عليه الإزارُ، وعندَ محمَّدٍ: لا يوجبُ إلَّا اعتزالَ الفرجِ[3]، وهو المختارُ للنَّوويِّ[4].

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٣٩).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٨٥).

(٣) انظر: «شرح مختصر القدوري» للجصاص (١/ ٤٦٠).

(٤) قال النووي: الاستمتاع بما بين السرة والركبة، الأصح المنصوص: أنه حرام. والثاني: لا يحرم. والثالث: إن أمن على نفسه =

بسكون الطاء، وتشديدِها والهاءَ وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ـ أي: يَغتسلْنَ بعد انقطاعه، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ للجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنّبه في الحيض وهو القُبُلُ، ولا تَعْدُوه إلى غيره. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: يُثيب ويكرم ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار.

٢٢٣ ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: مَحلُّ زرعِكُمُ الولدَ. ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾، أي: محلَّه ـ وهو القُبُلُ ـ ﴿أَنَّى﴾: كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار؟ نزلَ ردًّا لقول اليهود: من أتى امرأته في قُبُلها، من جهة دُبُرها، جاء الولد أحولَ، ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتّقوه بالجنّة.

٢٢٤ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلِفَ به ﴿عُرْضَةً﴾: عِلّةً مانعة ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لِما حلفتم عليه ـ سُمِّيَ باليمين لملابسته له ـ أن تفعلوه، ....

قولُه: (بسكونِ الطَّاءِ) أي: وضمِّ الهاءِ مخفَّفاً لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وحفصٍ[1].

قولُه: (وتشديدِهَا) أي: الطَّاءِ.

وقولُه: (والهاء) عطفٌ على الضَّميرِ، يعني: مفتوحَتينِ.

قولُه: (أي: يغتسلْنَ) فسَّرَ القراءتينِ بمعنًى واحدٍ على مذهبِ الشَّافعيِّ[2]، وعندنا[3]: القراءتانِ كآيتينِ، فعملنا بهما، وقُلنا: له أن يقربَهَا في أكثرِ الحيضِ بعدَ انقطاعِ الدَّمِ وإن لم تغتسِلْ عملاً بقراءةِ التَّخفيفِ، وفي أقلَّ منها[4] لا يقربُها حتَّى تغتسلَ أو يمضيَ عليها وقتُ الصَّلاةِ عملاً بقراءةِ التَّشديدِ.

قولُه: (وهوَ القُبُلُ) أي: المأتيُّ الَّذي أمرَكُم اللهُ به وحلَّلَهُ لكُم.

قولُه: (نَصْباً) بفتحِ فسكونٍ؛ أي: غرَضاً وهَدفاً.

= التعدي إلى الفرج لورع، أو لقلة شهوة، لم يحرم، وإلا حرم. انظر: «المجموع» (٢/ ٣٦٢)، و«روضة الطالبين وعمدة المفتين» (١/ ١٣٦).

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٢).

(٢) انظر: «المجموع» (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» (١/ ٤٦٩).

(٤) في (ص): «منهما».

لِـ﴿أنْ﴾ لا ﴿تبرُّوا وتَتَّقُوا وتُصلِحُوا بَينَ النّاسِ﴾. فتُكرَهُ اليمين على ذلك، ويُسنّ فيه الحِنثُ ويُكفَّر بخلافها على فعل البرّ ونحوه، فهي طاعة. المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البرّ ونحوه، إذا حلفتم عليه، بلِ ائتوه وكفِّروا، لأنّ سبب نزولها الامتناع من ذلك. ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

٢٢٥ ـ ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ﴾ الكائن ﴿في أيمانِكُم﴾ ـ وهو ما يَسبِق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا واللهِ، وبلى واللهِ. فلا إثم فيه ولا كفّارة ـ ﴿ولكِنْ يُؤاخِذُكُم بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُم﴾، أي: قَصدَتْه من الأيمان إذا حَنِثتم. ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لِما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقّها.

٢٢٦ ـ ﴿لِلَّذِينَ يُؤلُونَ مِن نِسائِهِم﴾، أي: يَحلفون ألاّ يُجامعوهنّ، ﴿تَرَبُّصُ﴾:..........

قولُه: (﴿أنْ﴾ لَا ﴿تَبَرُّوا﴾) وفي نسخةٍ: «لئلّا تبَرُّوا»، أو: كراهةَ أنْ تبرُّوا، فلا حاجةَ إلى زيادةِ (لا)، و﴿تبرُّوا﴾ بمعنى: تعملُوا عملَ البرِّ من الطَّاعةِ والإحسانِ، فهو مختَصٌّ بالمأموراتِ، كما أنَّ قولَهُ: ﴿تَتَّقُوا﴾ مخصُوصٌ بالمنهيَّاتِ المتروكاتِ، وهذانِ في حقوقِ اللهِ، ﴿وَتُصْلِحُوا﴾ في حقوقِ العبادِ.

قولُه: (هوَ مَا سبَقَ إليهِ... إلخ) وعندَ أبِي حنيفَةَ[1] هوَ أن يحلفَ على شيءٍ يظنُّهُ على ما حلفَ عليه، والأمرُ بخلافِهِ.

قولُه: (أي: قَصَدَتْهُ... إلخ) وفي «المداركِ»[2]: بما اقترفَتْهُ من إثمِ القَصدِ إلى الكَذِبِ في اليمينِ، وهو أن يحلفَ على ما يعلمُ أنَّهُ خلافُ ما يقولُهُ، وهو اليمينُ الغمُوسُ، وتعلَّقَ الشَّافعيُّ[3] بهذا النَّصِّ على وجُوبِ الكفَّارةِ في الغموسِ؛ لأنَّ كسبَ القلبِ العزمُ والقصدُ، والمؤاخذةُ غيرُ مبيَّنةٍ هنا، وبُيِّنت في (المائدةِ)، فكان البيانُ ثمَّ بياناً هنا، وقلنَا: المؤاخذةُ هنا مطلَقةٌ، وهي في دارِ الجزاءِ، والمؤاخذةُ ثمَّ مقيَّدةٌ بدارِ الابتلاءِ، فلا يصحُّ حملُ البعضِ على البعضِ.

قولُه: (أي: يَحْلِفُونَ) وقُرِئَ: ﴿يُقْسِمُونَ﴾[4].

قولُه: (أَنْ لا يُجَامِعُوهُنَّ) عندَ الشَّافعيِّ[5]: فوقَ أربعةِ أشهرٍ، وعندنا[6]: أربعةَ أشهرٍ فصاعداً، وقولُ.....

---

(١) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» (٧/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٥/ ٢٦٧).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٢١) ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (١٠/ ٢٨٤).

(٦) انظر: «البناية» (٥/ ٤٨٨).

انتظار ﴿أربعةِ أشهُرٍ - فإن فاؤُوا﴾: رَجَعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فإنَّ اللهَ غفُورٌ﴾ لهم ما أتَوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، ٢٢٧ - ﴿وإنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه بأن لم يَفيئوا، فليُوقعوه ﴿فإنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم. المعنى: ليس لهم بعد تربّص ما ذُكر إلاّ الفَيئةُ أو الطلاق - ٢٢٨ - ﴿والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: يَنتظرْنَ ﴿بِأنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلاثةَ قُرُوءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق. جمع قَرْء بفتح القاف، وهو الطُّهر أو الحيض، قولان..............

البيضاويُّ[١]: قالَ أبو حنيفَةَ: الإيلاءُ في أربعَةِ أشهُرٍ فما دونَهَا. قولُه: (فما دونَهَا) سهوٌ[٢].

قولُه: (رَجَعُوا فِيهَا) لقِرَاءةِ عبدِ اللهِ: ﴿فإنْ فاؤُوا فيهنَّ﴾[٣]، كذا في «المدارِكِ»[٤].

قولُه: (﴿رحيم﴾ بِهِمْ) حيثُ شرَعَ الكفَّارةَ[٥] لهُم.

قولُه: (بأنْ لَمْ يَفِيئُوا) يعني: فتربَّصُوا إلى مُضِيِّ المدَّةِ، وحكمُ الإيلاءِ عندنا: طلقةٌ بائنةٌ إن برَّ.

قولُه: (لِينتَظِرْنَ) فهو خبرٌ بمعنى الأمرِ، وتغييرُ العبَارةِ للتَّأكيدِ.

قولُه: (بفَتحِ القَافِ) أو ضمِّهِ[٦].

قولُه: (قَوْلانِ) والأوَّلُ أصَحُّ عندَ الشَّافعيِّ[٧]، والثَّاني هو قولُ أبي حنيفَةَ[٨]، ويؤيِّدُه قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «دعِي الصَّلاةَ أيَّامَ أقرائِكِ»[٩]، وقولُه: «طلاقُ الأمةِ تطليقتانِ وعدَّتُهَا حيضَتانِ»[١٠].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٤١).

(٢) هكذا جاءت في نسخ كما نبه عليه في «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٢/ ٣٠٩) وفي المطبوعة المشار إليها: «فما فوقها».

(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٢٦٩).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٨٨).

(٥) في (ص) زيادة: «أي».

(٦) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٩).

(٧) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (١١/ ١٥).

(٨) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٧٤).

(٩) رواه أحمد في «مسنده» (٢٦٢٥٥)، والدارقطني في «السنن» (٨٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وروى أبو داود (٢٨٠)، وابن ماجه (٦٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٧١٦)، وأحمد في «مسنده» (٢٧٦٣٠) عن عروة بن الزُّبير: أن فاطمةَ بنت أبي حُبيش، حدَّثته: أنها سألت رسولَ الله ﷺ فشكت إليه الدَّم، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «إنما ذلك عرقٌ، فانظري إذا أتى قُرؤُك فلا تصلّي، فإذا مرَّ قُرؤُك فتطَهَّري، ثم صلّي ما بين القُرْءِ إلى القُرءِ».

(١٠) رواه أبو داود (٢١٨٩)، والترمذي (١١٨٢)، وابن ماجه (٢٠٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وهذا في المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عِدّة عليهنّ بقوله: «فما لكُم عَليهِنّ مِن عِدّةٍ»، وفي غير الآيسةِ والصغيرةِ فعِدّتهنّ ثلاثةُ أشهر، والحواملِ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ كما في سورة «الطلاق»، والإماءِ فعدّتهنّ قرآنِ بالسُّنّة.

﴿ولا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أرحامِهِنَّ﴾ من الولد أو الحيض، ﴿إنْ كُنَّ يُؤمِنَّ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وبُعُولتُهُنَّ﴾: أزواجهنّ ﴿أحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، أي: بمراجعتهنّ ولو أبَينَ، ﴿في ذلِكَ﴾، أي: زمنِ التربُّص، ﴿إنْ أرادُوا إصلاحًا﴾ بينهما لا إضرارَ المرأة. وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعيّ. وأحقّ: لا تفضيل فيه، إذ لا حقّ لغيرهم في نكاحهنّ في العِدّة. ﴿ولَهُنَّ﴾ على الأزواجِ ﴿مِثْلُ الَّذي﴾ لهم ﴿عَلَيهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا من حُسن العِشرة وتَرك الضرار ونحو ذلك، ﴿ولِلرِّجالِ عَلَيهِنَّ دَرَجةٌ﴾: فضيلة في الحقّ من وجوب طاعتهنّ لهم لِما ساقوه من المَهر والإنفاق. ﴿واللهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبّره لخلقه.

٢٢٩ ـ ﴿الطَّلاقُ﴾، أي: التطليق الذي يُراجَع بعده ﴿مَرّتانِ﴾ أي: اثنتان. ﴿فإمساكٌ﴾ أي: فعليكم إمساكُهنّ بعده بأن تراجعوهنّ ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرارٍ، ﴿أو تَسرِيحٌ﴾ أي: إرسالٌ لهنّ ﴿بإحسانٍ، ولا يَحِلُّ لَكُم﴾ ـ أيها الأزواج ـ ﴿أنْ تأخُذُوا مِمّا آتَيتُمُوهُنَّ﴾ من المُهور ﴿شَيئًا﴾، إذا طلّقتموهنّ، ﴿إلّا أنْ يَخافا﴾

قولُه: (وهَذا في المَدْخُولِ بِهِنَّ) حقيقةً أو حُكماً عندَنا[1].

قولُه: (والإِمَاءُ فعدَّتُهُنَّ) أي: إذا كنَّ ذواتِ حَيضٍ.

قولُه: (بالسُّنَّةِ) أي: بالحَدِيثِ الَّذي تقدَّمَ[2].

قولُه: (اثنَتَانِ) فيه إيماءٌ إلى أنَّ مرّتينِ لا يُرادُ بِهما المرَّةُ بعدَ الأخرَى، ولا التَّكريرُ بمعنى التَّكثيرِ كما في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤].

قولُه: (إمسَاكُهنَّ) الأولى: إمسَاكٌ لهُنَّ؛ لأنَّ التَّنوينَ لا يكونُ عوضاً عن المضافِ إليهِ إلّا في كلٍّ ونحوِهِ.

قولُه: (إرْسَالٌ لهُنَّ) بإحسَانٍ بأنْ لا يراجِعَها ضِراراً حين[3] تبينُ بالعدَّةِ.

---

* قال أبو داود: وهو حديث مجهول. وقال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث مظاهر بن أسلم، ومظاهر لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث.

(١) انظر: «البناية» (٥/ ٥٩٤).

(٢) وهو «طلاق الأمة... إلخ».

(٣) في (ص): «حتى».

أي: الزوجان ﴿ألاّ يُقِيما حُدُودَ اللهِ﴾ أي: لا يأتيا بما حَدَّه لهما من الحُقوق ـ وفي قراءة: «يُخافا» بالبناء للمفعول، فألاّ يقيما: بدل اشتمال من الضمير فيه. وقُرئ بالفوقيّة في الفعلين ـ ﴿فإنْ خِفتُم ألاّ يُقِيما حُدُودَ اللهِ فلا جُناحَ عَلَيهِما فِيما افتَدَتْ بِهِ﴾ نفسَها من المال ليطلّقها، أي: لا حرج على الزوجِ في أخذه ولا الزوجةِ في بذله. ﴿تِلكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ. فلا تَعتَدُوها. ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

٢٣٠ ـ ﴿فإنْ طَلَّقَها﴾ الزوج بعد الثِّنتَينِ ﴿فلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ﴾ أي: بعدِ الطلقةِ الثالثة، ﴿حَتَّى تَنكِحَ﴾: تتزوّجَ ﴿زَوجًا غَيرَهُ﴾ ويطأَها كما في الحديث رواه الشيخان، ﴿فإنْ طَلَّقَها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جُناحَ علَيهِما﴾، أي: الزوجةِ والزوج الأوّلِ، ﴿أنْ يَتَراجَعا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العِدّة، ﴿إنْ ظَنّا أنْ يُقِيما حُدُودَ اللهِ. وتِلكَ﴾ المذكوراتُ ﴿حُدُودُ اللهِ، يُبَيِّنُها لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون!

٢٣١ ـ ﴿وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قارَبْنَ انقضاءَ عِدّتهن، ﴿فأَمسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجعوهنّ ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرار، ﴿أو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾: اتركوهنّ حتى تنقضي عِدّتهن، ﴿ولا تُمسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرارًا﴾: مفعول لأجله، ﴿لِتَعتَدُوا﴾ عليهنّ بالإلجاء إلى الافتداء أو التطليق وتطويل الحبس ـ ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ فقَد ظَلَمَ نَفسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ـ ﴿ولا تَتَّخِذُوا آياتِ اللهِ هُزُوًا﴾: مَهزوءًا بها بمخالفتها، ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُم﴾ بالإسلام ﴿وما أنزَلَ عَلَيكُم مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿والحِكْمَةِ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ بِأن تشكروها بالعمل به، ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء.

قولُه: (أي: الزَّوجَانِ) وقُرِئَ: ﴿يَظُنَّا﴾[١]، وهو يؤيدُ تفسيرَ الخوفِ بالظَّنِّ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لحَمزةَ[٢].

قولُه: (فَأنْ يُقِيمَا) الصَّوابُ: «فأنْ لا يقيمَا» كما في نسخةٍ.

قولُه: (وقُرِئَ) يعني: شاذًّا[٣].

قولُه: (بالإِسْلَامِ) وزيدَ في بعضِ النُّسخِ: «باللهِ» وهو لا وجهَ له.

قولُه: (مِنَ الأحكامِ) أو الحكمِ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٩١) ونسبت لأبي رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٩١) ونسبت للأعمش.

٢٣٢ ـ ﴿وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فبَلَغنَ أجَلَهُنَّ﴾: انقضتْ عِدّتهنّ، ﴿فلا تَعضُلوهُنَّ﴾ ـ خطابٌ للأولياء ـ أي: تمنعوهنّ من ﴿أن يَنكِحْنَ أزواجَهُنَّ﴾ المطلِّقين لهنّ، لأنّ سبب نزولها أنّ أُخت مَعقِلِ بنِ يسار طلّقها زوجُها، فأراد أن يُراجعها فمنعها مَعقل كما رواه الحاكم، ﴿إذا تَراضَوا﴾ أي: الأزواجُ والنساء ﴿بَينَهُم بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا. ﴿ذلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به. ﴿ذلِكُم﴾ أي: ترك العضل ﴿أزكَى﴾: خيرٌ ﴿لَكُم، وأطهَرُ﴾ لكم ولهنّ، لِما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما، ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ ما فيه المصلحةُ، ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك. فاتَّبِعوا أمره.

٢٣٣ ـ ﴿والوالِداتُ يُرضِعنَ﴾ أي: لِيُرضعْن ﴿أولادَهُنَّ حَولَينِ﴾: عامَينِ ﴿كامِلَينِ﴾: صفةٌ مؤكِّدة ـ ذلك ﴿لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ـ ﴿وعلَى المَولُودِ لَهُ﴾ أي: الأبِ ﴿رِزقُهُنَّ﴾: إطعامُ الوالدات، ﴿وكِسوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنّ مطلَّقات ﴿بِالمَعرُوفِ﴾: بقدر طاقته ـ ﴿لا تُكَلَّفُ نَفسٌ إلاّ وُسعَها﴾: طاقتَها. ﴿لا تُضارَّ والِدةٌ بِوَلَدِها﴾: بسببه بأن تُكره على إرضاعه إذا امتنعتْ، ﴿ولا يُضارَّ﴾ ﴿مَولُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي: بسببه بأن يُكلَّف فوق طاقته. وإضافةُ الولد إلى كلّ منهما في الموضعين للاستعطاف ـ ﴿وعلَى الوارِثِ﴾ أي: وارثِ الأب وهو الصبيُّ، أي: على وليّه في ماله ﴿مِثلُ ذلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة.

قولُه: (ذلكَ) أي: ما ذُكِرَ من إرضَاعِ الحَولينِ، ولا زيادةَ عليه، هذا قولُ الشَّافعيِّ[1] وأبي يوسفَ ومحمَّدٍ، وقالَ أبو حنيفةَ[2]: مدَّةُ الرَّضاعِ ثلاثونَ شهراً، وقالَ زُفَرُ: ثلاثُ سنينَ، وشذَّت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها بأنَّ إرضاعَ الكبيرِ يؤثِّرُ في التَّحريمِ[3].

قالَ تعالى: (﴿لَا تُضَارَّ﴾) قرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بضمِّ الراءِ المشدَّدةِ على أنَّه نفيٌ معناهُ النَّهيُ، والباقُونَ بفتحِها[4] على أنَّهُ نهيٌ، وكلاهُمَا يحتملُ المعلومَ والمجهولَ، ومثلُ هذه القراءةِ يتعيَّنُ ذكرُهُ على المفسِّرِ.

قولُـه: (أي: وارِثِ الأَبِ) فـي «المـدارِكِ»[5] أي: على وارثِ الصَّبيِّ عندَ عـدمِ الأبِ. واختلفَ فيه؛ فعندَ

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ٢١٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٦١)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٣٣٠)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٤٤٣١).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٦).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٥).

﴿فإنْ أرادا﴾ أي: الوالدان ﴿فِصالاً﴾: فِطامًا له قبل الحولَين، صادرًا ﴿عَن تَراضٍ﴾: اتّفاق ﴿مِنهُما، وتَشاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبيّ فيه، ﴿فلا جُناحَ علَيهِما﴾ في ذلك، ﴿وإنْ أرَدتُم﴾ ـ خطابٌ للآباء ـ ﴿أنْ تَستَرضِعُوا أولادَكُم﴾ مَراضعَ غيرَ الوالدات ﴿فلا جُناحَ علَيكُم﴾ فيه، ﴿إذا سَلَّمتُم﴾ إليهنّ ﴿ما آتَيتُم﴾، أي: أردتم إيتاءه لهنّ من الأُجرة ﴿بِالمَعرُوفِ﴾: بالجميل كطِيب النفس، ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه شيء منه.

٢٣٤ ـ ﴿والَّذِينَ يُتَوَفَّونَ﴾: يموتون ﴿مِنكُم، ويَذَرُونَ﴾: يتركون ﴿أزواجًا، يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيتربّصْنَ ﴿بِأنفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أربَعةَ أشهُرٍ وعَشْرًا﴾ من الليالي ـ وهذا في غير الحوامل، وأمّا الحواملُ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ بآية «الطلاق»، والأمةُ على النِّصف من ذلك بالسُّنّة ـ ﴿فإذا بَلَغنَ أجَلَهُنَّ﴾: انقضتْ مُدّة تربُّصِهنّ ﴿فلا جُناحَ علَيكُم﴾ ـ أيّها الأولياء ـ ﴿فِيما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ﴾ من التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بباطنه كظاهره.

٢٣٥ ـ ﴿ولا جُناحَ علَيكُم فِيما عَرَّضتُم﴾: لوّحتم ﴿بِهِ، مِن خِطبَةِ النِّساءِ﴾..................

ابنِ أبي ليلى كلُّ من ورثَهُ، وعندنا[١]: مَن كانَ ذا رحمٍ محرمٍ منه، وعندَ الشّافعيِّ[٢]: لا نفقةَ فيما عدَا الولادَ.

قولُه: (﴿وتشَاورٍ﴾ بينَهُمَا) الظّاهرُ: أنَّ المشَاورةَ إنَّما تكونُ معَ أربابِ المعرفةِ والخبرةِ بأحوالِ الرَّضَاعةِ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) زادًا على الحَولينِ أو نقصًا، كذا في «المداركِ»[٣].

قولُه: (خِطَابٌ للآبَاءِ) أي: تَغْليباً، وإلَّا فللوَالِدةِ أيضاً حقٌّ في الاسترضاعِ.

قولُه: (أي: أردتُم إيتَاءَهُ) وتقدِيمُ التَّسليمِ لبيَانِ الأفضليَّةِ، وفي قراءةِ المكِّيِّ[٤]: ﴿أَتَيْتُم﴾ مِن أتى إليه إحساناً: إذا فعلَهُ.

قولُه: (مِنَ اللَّيالِي) والأيَّامُ بينها داخلةٌ معها.

قولُه: (والأمَةُ) أي: المزوَّجةُ، في نسخةٍ: «الإماءُ» وهو أنسبُ لمقَابلةِ الحواملِ.

قولُه: (أيُّها الأَوْلِياءُ) أو: أيُّها المسلمونَ.

---

(١) انظر: «البناية» (٥/ ٧٠٤).

(٢) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (١١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٧).

المتوفَّى عنهنّ أزواجُهنّ في العِدّة ـ كقول الإنسان مثلاً: إنّكِ لَجميلة، ومن يجدُ مِثلَكِ؟ ورُبَّ راغبٍ فيك ـ ﴿أو أكنَنتُم﴾: أضمرتم ﴿في أنفُسِكُم﴾ من قصد نكاحهنّ ـ ﴿عَلِمَ اللهُ أنَّكُم سَتَذكُرُونَهُنَّ﴾ بالخِطبة ولا تصبرون عنهنّ، فأباح لكم التعريض ـ ﴿ولكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحًا، ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿أنْ تَقُولُوا قَولاً مَعرُوفًا﴾ أي: ما عُرِف شرعًا من التعريض فلكم ذلك، ﴿ولا تَعزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ﴾ أي: على عَقدِه، ﴿حَتَّى يَبلُغَ الكِتابُ﴾ أي: المكتوب من العِدّة ﴿أجَلَهُ﴾ بأن ينتهي، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في أنفُسِكُم﴾ من العزم وغيره. ﴿فاحذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستَحقّها.

قولُه: (المُتَوفَّى عَنهنَّ) قيَّدَ به؛ لأنَّ المطلَّقةَ لا يجوزُ[١] التَّعريضُ فيها؛ أمَّا الرَّجعيَّةُ فلأنَّ الزَّوجيَّةَ فيها قائمةٌ، وأمَّا البائنُ فلإفضائِهِ إلى العَداوةِ مع المطلِّقِ، هذا عندَنا[٢]، والأظهرُ في مذهبِ الشَّافعيِّ[٣]: أنَّهُ يجوزُ التَّعريضُ في البائنِ إلحاقاً لها بالمتوفَّى عنها.

قولُه: (بالخِطْبَةِ) بالكَسرِ: الاستنكاحُ[٤].

قولُه: (أي: نِكَاحاً) في «المداركِ»[٥]: أي: جماعاً؛ لأنَّهُ ممَّا يسرُّ؛ أي: لا تقولُوا في العدَّةِ إنِّي قادرٌ على هذا العملِ.

قولُه: (لَكِنْ) قالَ البيضاويُّ[٦]: قيل: إنَّهُ استثناءٌ منقطعٌ من ﴿سِرًّا﴾، وهو ضعيفٌ لأدائِهِ إلى قولك: لا تواعدُوهنَّ إلَّا التَّعريضَ، وهو غيرُ موعودٍ؛ يعني: بل هو واقعٌ في الحالِ، واختارَ أنَّ المستثنى منه محذوفٌ؛ أي: لا تواعدُوهنَّ مواعدةً إلَّا مواعدةً معروفةً، أو: إلَّا مواعدةً بقولٍ معروفٍ.

قولُه: (عَلى عَقْدِهِ) قالَ أبو البقاءِ[٧]: وقيل: تعزمُوا بمعنى: تنووا، وهذا يتَعدَّى بنفسِهِ فعمِلَ عملَهُ، وقيل: تعزمُوا بمعنى: تعقِدُوا، فتكونُ عقدةُ النِّكاحِ مصدراً، والعقدةُ بمعنى: العقدِ، فيكونُ المصدرُ مضافاً إلى المفعولِ.

---

(١) في (ص) زيادة: «له».

(٢) انظر: «البناية» (٥/ ٦٢٤).

(٣) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٩/ ٢٨٠).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٠).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٧).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٤٦).

(٧) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٨٨).

٢٣٦ ـ ﴿لا جُناحَ علَيكُم، إنْ طَلَّقتُمُ النِّساءَ ما لَم تَمَسُّوهُنَّ﴾ ـ وفي قراءة «تُماسُّوهُنَّ» ـ أي: تُجامعوهنّ، ﴿أو﴾ لم ﴿تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضةً﴾ مَهرًا ـ وما: مصدريّة ظرفيّة، أي: لا تبعةَ عليكم في الطلاق زمنَ عدم المسيس والفرض بإثم ولا مَهر ـ فطلّقوهنّ ﴿ومَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهنّ ما يتمتّعن به، ﴿علَى المُوسِعِ﴾: الغنيِّ منكم ﴿قَدَرُهُ، وعلَى المُقتِرِ﴾: الضيِّقِ الرزقِ ﴿قَدَرُهُ﴾ ـ يفيد أنّه لا نظر إلى قدَر الزوجة ـ ﴿مَتاعًا﴾: تمتيعًا ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا: صفةُ «متاعًا»، ﴿حَقًّا﴾: صفةٌ ثانية أو مصدر مؤكِّد ﴿علَى المُحسِنِينَ﴾: المطيعين.

٢٣٧ ـ ﴿وإنْ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ، وقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضةً، فنِصفُ ما فَرَضتُم﴾ يجبُ لهنّ، ويرجع لكم النصف، ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿أنْ يَعفُونَ﴾ أي: الزوجاتُ فيتركْنَه،..................

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (ما يتمتَّعْنَ بِهِ) والمتعةُ درعٌ وملحفَةٌ وخمارٌ، كذا في «المداركِ»[2].

قولُه: (صفةٌ ثانيةٌ) أي: متاعاً واجباً عليهم، ولا تجبُ المتعةُ عندنا إلَّا لهذه، وتستحبُّ لسائرِ المطلَّقاتِ، كذا في «المداركِ»[3]، قلتُ: إلَّا المطلَّقةَ التي لم توطَأْ وقد سُمِّي لها مهرٌ، فإنَّه لم يستحبَّ المتعةُ لها على ما ذكرَهُ صدرُ الشَّريعةِ[4].

قولُه: (أو مَصْدرٌ مُؤكِّدٌ) أي: حقَّ حقًّا.

قولُه: (لكنْ) أشارَ إلى أنَّ الاستثناءَ منقطعٌ، قال ابنُ عطيَّةَ وغيرُه[5]: لأنَّهُ ليسَ من جنسِ أخذِهِنَّ، في «المداركِ»[6]: ﴿أنْ﴾ معَ الفعلِ في موضعِ النَّصبِ على الاستثناءِ، كأنَّه قيلَ: فعَليكُم نصفُ ما فرضْتُم في جميعِ الأوقاتِ إلَّا وقتَ عفوِهِنَّ عنكُم من المهرِ.

قولُه: (فيَتْرُكُونَهُ) كذا في نُسخٍ، والصَّوابُ: «فيتركْنَهُ» كما في نسخةٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٧).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٨).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) وانظر: «فتح باب العناية بشرح النُّقاية» (٢/ ٥٥).

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٢٠)، و«أحكام القرآن» لابن الفرس (١/ ٣٦٣).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٩).

﴿أو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ﴾ ـ وهو الزوجُ، فيتركَ لها الكلّ. وعن ابن عبّاس: الوليُّ إذا كانت محجورة ـ فلا حرج في ذلك، ﴿وأنْ تَعفُوا﴾: مبتدأ خبرُه ﴿أقرَبُ لِلتَّقوَى، ولا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم﴾، أي: أن يتفضّل بعضكم على بعض. ﴿إنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيجازيكم به.

٢٣٨ ـ ﴿حافِظُوا علَى الصَّلَواتِ﴾ الخمسِ بأدائها في أوقاتها، ﴿والصَّلاةِ الوُسطَى﴾ ـ هي العصر

قولُه: (وهو الزَّوجُ) كذا فسَّرهُ عليٌّ[١]، وهو قولُ سعيدِ بن جبيرٍ وشريحٍ ومجاهدٍ[٢] وأبي حنيفةَ[٣] والشَّافعيِّ على الجديدِ[٤].

قولُه: (فَيَتْرُكَ لهَا الكُلَّ) أو يُعطِيها البعضَ.

قولُه: (الوَليُّ) كما هو عندَ مالكٍ[٥] والشَّافعيِّ في القديمِ[٦].

قولُه: (إِذَا كَانَتْ مَحْجُورةً) في «المداركِ»[٧]: قلنا: هو لا يملكُ التَّبرُّعَ، فكيفَ يجوزُ حملُ الكَلامِ على الوليِّ؟

قولُه: (مبتدأٌ) وفي الضَّميرِ تغليبٌ.

قولُه: (في أوقاتِهَا) وأركانِها وشرائِطِها.

قولُه: (هيَ العَصرُ) عندَ أبي حنيفةَ[٨]، وعليه الجمهورُ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «شغلُونَا عنِ الصَّلاةِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٣١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٣٦٠)، والدارقطني في «سننه» (٣٧١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٤٤٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٢٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٧٧) من قول مجاهد.

ورواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٥٢٨٨)، وسعيد بن مصور في «سننه» (٢١٤٢) من قول شريح.

ورواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٥٣٤٥)، والشافعي في «مسنده» (٦٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٨٥) من قول سعيد بن جبير.

وروى قولهم مجموعاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٣٦٠).

(٣) انظر: «التجريد» للقدوري (٩/ ٤٦٨٥).

(٤) انظر: «الحاوي الكبير» (٩/ ٥١٤).

(٥) انظر: «الذخيرة» للقرافي (٤/ ٣٧٢).

(٦) انظر: «الحاوي الكبير» (٩/ ٥١٣).

(٧) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٩).

(٨) انظر: «شرح معاني الآثار» (١/ ١٧٥).

أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال. وأفردها بالذكر لفضلها ـ ﴿وَقُومُوا لِلهِ﴾ في الصلاة ﴿قَانِتِينَ﴾. قيل: مُطيعِين، لقوله ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ في القُرآنِ فهُوَ طاعةٌ»: رواه أحمد وغيره ـ وقيل: ساكِتِين، لحديث زيدِ بن أرقمَ: «كُنَّا نَتكلّمُ في الصَّلاةِ حتّى نَزَلَتْ، فأُمِرنا بالسُّكوتِ ونُهِينا عنِ الكَلامِ»، رواه الشيخان.

٢٣٩ ـ ﴿فَإِنْ خِفتُم﴾ من عدوٍّ أو سيل أو سَبُع ﴿فرِجالاً﴾: جمعُ راجل أي: مُشاةً صلُّوا، ﴿أو رُكبانًا﴾: جمعُ راكب، أي: كيفَ أمكن، مستقبِلِي القبلةِ أو غيرِها، ويُومأُ بالركوع والسجود، ﴿فإذا أمِنتُم﴾ من الخوفِ ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ أي: صلّوا، ﴿كَما عَلَّمَكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ قبل تعليمه مِن فرائضها وحقوقها. والكاف: بمعنى مِثل. وما: موصولة أو مصدريّة.

الوسطَى صلاةِ العصرِ، ملأَ اللهُ بيوتَهُم ناراً» رواهُ مسلمٌ برواياتٍ متعدِّدةٍ[١]، وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّهَا الصَّلاةُ الَّتي شُغِلَ عنهَا سليمانُ حتَّى توارَتْ بالحجابِ»[٢]، وفي مصحفِ حفصةَ: ﴿والصَّلاةِ الوسطى صلاةِ العصرِ﴾[٣]، ولأنَّها بين صلاتي اللَّيلِ وصلاتي النَّهارِ، كذا في «المدارِكِ»[٤].

قولُه: (أوِ الصُّبحُ) لأنَّها بينَ صلاتي النَّهارِ وصلاتي اللَّيلِ.

قولُه: (أوِ الظُّهرُ) لأنَّها في وسطِ النَّهارِ.

قولُه: (أو غيرُهَا) من صلاةِ المغربِ؛ لأنَّها بين الأربعِ والمثنى، ولأنَّها بينَ صلاتَي مخافتَةٍ وصَلاتَي جَهرٍ، أو صلاةِ العشَاءِ؛ لأنَّها بينَ وترينِ، وقيل: الوترُ، وقيل: الضُّحى، وقيل: التَّراويحُ، وقيل: العيدُ، وقيل: التَّهجُّدُ، وقيل: الجنازةُ، وقيل: هي غيرُ معيَّنَةٍ كليلةِ القدرِ ليحفظُوا الكلَّ.

قولُه تعالى: (﴿فَرِجَالًا﴾) حالٌ؛ أي: راجِلِيْنَ.

قولُه: (أي: مُشَاةً) قالَ أبو حنيفَةَ[٥]: لا يصَلَّى حالَ المشِي؛ إذ المشيُ الكَثيرُ مفسِدٌ للصَّلاةِ؛ لأنَّهُ ﷺ أخَّرَ الصَّلاةَ في الخندَقِ، فوجَبَ علينا ذلك أيضاً.

---

(١) رواه مسلم (٦٢٧) من حديث علي رضي الله عنه، ورواه (٦٢٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٨٨) من حديث علي رضي الله عنه، وفي سنده مقاتل بن سليمان صاحب التفسير، نقل عن البخاري أنه قال: منكر الحديث سكتوا عنه، وعن يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، ثم قال ابن عدي: وهو مع ضعفه يكتب حديثه.
ورواه موقوفاً عليه: ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٢٤٥)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦)، بلفظ: «الصلاة الوسطى التي فرط فيها سليمان صلاة العصر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٤٦٤)، وابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٢١٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠٢٨).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢٠٠).

(٥) انظر: «البناية» (٣/ ١٧٢).

٢٤٠ ـ ﴿والَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم، ويَذَرُونَ أزواجًا﴾، فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ ـ وفي قراءة بالرفع، أي: عليهم ـ ﴿لِأزواجِهِم﴾، ويعطوهنّ ﴿مَتاعًا﴾: ما يَتمتّعن به من النفقة والكسوة ﴿إلَى﴾ تمام ﴿الحَولِ﴾ من موتهم الواجبِ عليهنّ تربُّصُه، ﴿غَيرَ إخراجٍ﴾: حالٌ، أي: غيرَ مُخرَجاتٍ من مسكنهنّ، ﴿فإنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهنّ ﴿فلا جُناحَ علَيكُم﴾ ـ يا أولياء الميّت ـ ﴿فِيما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ مِن مَعرُوفٍ﴾ شرعًا كالتزيّن وترك الإِحداد وقطع النفقة عنها. ﴿واللهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه. والوصيّةُ المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربّصُ الحول بآيةِ «أربعةَ أشهُرٍ وعَشرًا» السابقةِ المتأخّرةِ في النزول، والسُّكنى ثابتةٌ لها عند الشافعيّ.

٢٤١ ـ ﴿ولِلمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ﴾ يُعطَونه ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نُصبَ بفعله المقدّرِ، ﴿علَى المُتَّقِينَ﴾ اللهَ. كرّره ليَعمّ المَمسوسة أيضًا، إذِ الآية السابقة في غَيرها. ٢٤٢ ـ ﴿كَذلِكَ﴾: كما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ تتدبّرون.

٢٤٣ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾ ـ استفهامُ تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده ـ أي: يَنتهِ عِلمُك ﴿إلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم، وَهُم أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفًا، ﴿حَذَرَ المَوتِ﴾: مفعول له ـ وهم قوم من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففرّوا ـ ﴿فقالَ لَهُمُ اللهُ: مُوتُوا﴾، فماتوا، ﴿ثُمَّ أحياهُم﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثرَ، بدُعاء نبيّهم حِزقِيلَ، بكسر المهملةِ والقافِ وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يَلبَسون ثوبًا إلاّ عاد كالكفن،.........

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وشُعبةَ والكِسائيِّ[١].

قولُه: (السَّابقةِ) في التِّلاوةِ.

قولُه: (عندَ الشَّافعيِّ[٢]) خلافاً لأبي حنيفَةَ[٣].

قولُه: (يُعطَيْنَهُ) مجهُولٌ.

قولُه: (تَعْجِيبٍ) هو الأصحُّ.

قولُه: (أي: يَنتَهِ) علمك إلى الذين؟ وفيه إشارةٌ إلى تضمينِ معنى الانتهاءِ لتصحيحِ لفظِ إلى.

قولُه: (فَمَاتُوا) قدَّرهُ لتصحيحِ العطفِ.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٤).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ٢٥٦).

(٣) انظر: «التجريد» (١٠/ ٥٢٩٦).

واستمرّت في أسباطهم؟ ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ هم الكُفّار ـ ﴿لا يَشكُرُونَ﴾. والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عُطف عليه:

٢٤٤ ـ ﴿وقاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ﴾ أي: لإعلاء دينه، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فمُجازيكم. ٢٤٥ ـ ﴿مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ بأن يُنفقه لله عن طيب قلب، ﴿فيُضاعِفَهُ﴾ ـ وفي قراءة: «فيُضَعِّفُهُ» بالتشديد ـ ﴿لَهُ أضعافًا كَثِيرةً﴾ من عَشر إلى أكثرَ من سبعمِائَة كما سيأتي؟ ﴿واللهُ يَقبِضُ﴾ يُمسِك الرزق عمّن يشاء ابتلاءً، ﴿ويَبسُطُ﴾: يوسّعه لمن يشاء امتحانًا، ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم.

٢٤٦ ـ ﴿ألَم تَرَ إلَى المَلَأِ﴾: الجماعة ﴿مِن بَنِي إسرائيلَ مِن بَعدِ﴾ موت ﴿مُوسَى﴾ أي: إلى قصّتهم وخبرهم، ﴿إذ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ هو شَمْوِيل: ﴿ابعَثْ﴾: أقِمْ ﴿لَنا مَلِكًا، نُقاتِلْ﴾ معه ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه؟ ﴿قالَ﴾ النبيّ لهم: ﴿هَل عَسَيتُم﴾ ـ بالفتح والكسر ـ ﴿إنْ كُتِبَ علَيكُمُ القِتالُ ألاّ تُقاتِلُوا﴾؟ خبرُ «عسى»، والاستفهامُ لتقرير التوقّع بها. ﴿قالُوا: وما لَنا ألاّ نُقاتِلَ في سَبِيلِ اللهِ، وقَد أُخرِجْنا مِن دِيارِنا وأبنائِنا﴾ بسبيِهم وقتلهم؟ وقد فَعَل بهم ذلك قومُ جالوتَ، أي: لا مانع لنا منه مع وجود مُقتضيه. قال تعالى: ﴿فلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمِ القِتالُ تَوَلَّوا﴾ عنه وجَبُنوا ﴿إلاّ قَلِيلاً مِنهُم﴾. وهم الذين عبروا النهر مع طالوتَ كما سيأتي. ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾ فمُجازيهم.

قولُه: (مِنْ خَبَرِ هَؤُلَاءِ) وفي نسخةٍ: «من ذلك».

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: للمكّيِّ والشّاميِّ، لكن قرأ الشّاميُّ وعاصمٌ بالنّصبِ[1].

قولُه: (الجَمَاعَةِ) الأشرافِ لأنّهم يملؤُونَ العيونَ.

قولُه: (أَي: إِلى) متعلّقٌ بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

قولُه: (هوَ شَموِيلُ) بفتحِ الشّينِ المعجمةِ وكسرِ الواو، وقيل: شمعونُ، وقيل: يوشعُ بنُ نونٍ، وقيل: حزقيلُ، وقيل: إشماديلُ، كذا في «المبهماتِ»[2].

قولُه: (والكسرِ) أي: كسر السّينِ لنافعٍ[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٨).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٢١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٩).

وسأل النبيُّ ربَّه إرسالَ مَلِكٍ، فأجابه إلى إرسال طالوتَ، ٢٤٧ ـ ﴿وقالَ لَهُم نَبِيُّهُم: إنَّ اللهَ قَد بَعَثَ لَكُم طالُوتَ مَلِكًا. قالُوا: أنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ المُلكُ علَينا، ونَحنُ أحَقُّ بِالمُلكِ مِنهُ﴾ لأنّه ليس من سِبط المملكة ولا النبوّة، وكان دبّاغًا أو راعيًا، ﴿ولَم يُؤتَ سَعةً مِنَ المالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك؟ ﴿قالَ﴾ النبيّ لهم: ﴿إنَّ اللهَ اصطَفاهُ﴾: اختاره للمُلك ﴿علَيكُم، وزادَهُ بَسْطةً﴾: سَعة، ﴿في العِلمِ والجِسمِ﴾ ـ وكان أعلمَ بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمّهم خَلقًا ـ ﴿واللهُ يُؤتِي مُلكَهُ مَن يَشاءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه، ﴿واللهُ واسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

٢٤٨ ـ ﴿وقالَ لَهُم نَبِيُّهُم﴾ لمّا طلبوا منه آية على مُلكه: ﴿إنَّ آيَةَ مُلكِهِ أنْ يأتِيَكُمُ التّابُوتُ﴾: الصُّندوقُ، كان فيه صوَر الأنبياء، أنزله الله على آدمَ واستمرّ إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يَستفتحون به على عدوّهم، ويقدّمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينةٌ﴾: طمأنينةٌ لقلوبكم ﴿مِن رَبِّكُم، وبَقِيّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هارُونَ﴾ أي: تركاه هما ـ وهو نعلا موسى وعصاه وعِمامةُ هارونَ، وقَفِيزٌ من المَنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضاضٌ من الألواح ـ ﴿تَحمِلُهُ المَلائكةُ﴾: حال من فاعل «يأتيَكم». ﴿إنَّ في ذلِكَ لآيَةً لَكُم﴾ على مُلكه، ﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾. فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه، حتّى وضعته عند طالوتَ، فأقرّوا بمُلكه وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شُبّانهم سبعين ألفًا.

٢٤٩ ـ ﴿فلَمّا فَصَلَ﴾: خرج ﴿طالُوتُ بِالجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حَرًّا شديدًا وطلبوا منه الماء، ﴿قالَ: إنَّ اللهَ مُبتَلِيكُم﴾: مُختبرُكم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليَظهرَ المطيعُ منكم والعاصي، وهو بين الأردنّ وفلسطين...

قولُه: (﴿قالَ﴾ النَّبيُّ لهم) وفي بعضِ النُّسخِ: «﴿قالَ﴾ لهمُ النَّبيُّ» وهو الأنسبُ، والأظهرُ: قال لهم نبيُّهُم.

قولُه: (أي: تركَاهُ هما) فالـ(آلُ) مقحَمٌ فيهما.

قولُه: (سبعينَ ألفاً) وقيل: ثمانينَ ألفاً.

قولُه: (الأُرْدُنّ) بمضمومةٍ وسكون راءٍ وضمِّ دالٍ مهملةٍ وشدَّة نونٍ: نهرٌ معروفٌ، وفي «القاموسِ»[1]: كورةٌ بالشَّامِ.

قولُه: (فلسطينَ) بكسر فاءٍ، وقد يُفتحُ: بلادُ بيتِ المقدسِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٠).

﴿فمَن شَرِبَ مِنهُ﴾ أي: مِن مائه ﴿فلَيسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي - ﴿ومَن لَم يَطعَمْهُ﴾: يَذقْه ﴿فإنَّهُ مِنِّي - إلاّ مَنِ اغترَفَ غَرْفَةً﴾ - بالفتح والضمّ - ﴿بِيَدِهِ﴾، فاكتفى بها ولم يزد عليها، فإنه منّي. ﴿فشَرِبُوا مِنهُ﴾ لمّا وافَوه بكثرة ﴿إلاّ قَلِيلاً مِنهُم﴾ فاقتصروا على الغَرفة. رُوي أنّها كفتهم لشربهم ودوابِّهم، وكانوا ثلاثَمِائةٍ وبضعةَ عشَرَ.

﴿فلَمّا جاوَزَهُ هُوَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وهم الذين اقتصروا على الغَرفة، ﴿قالُوا﴾ أي: الذين شربوا: ﴿لا طاقةَ﴾: قوّة ﴿لَنا اليَومَ بِجالُوتَ وجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم. وجَبُنوا ولم يجاوزوه. ﴿قالَ الَّذِينَ يَظنُّونَ﴾: يُوقنون ﴿أنَّهُم مُلاقُو اللهِ﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه: ﴿كَم﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرٌ ﴿مِن فِئةٍ﴾: جماعة ﴿قَلِيلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كَثِيرةً بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته! ﴿واللهُ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

٢٥٠ـ٢٥١ـ ﴿ولَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وجُنُودِهِ﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿قالُوا: رَبَّنا، أفرِغْ﴾: اصبُبْ ﴿علَينا صَبرًا، وثَبِّتْ أقدامَنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد، ﴿وانصُرْنا علَى القَومِ الكافِرِينَ. فهَزَمُوهُم﴾: كسروهم ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿وقَتَلَ داوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جالُوتَ، وآتاهُ﴾ أي: داودَ ﴿اللهُ المُلكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿والحِكْمةَ﴾: النبوّة، بعد موت شَمْوِيلَ وطالوتَ، ولم يجتمعا لأحد قبله، ﴿وعَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ﴾ كصنعة الدُّروع ومنطق الطير. ﴿ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم﴾: بدلُ بعض من «الناس» ﴿بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجِد، ﴿ولكِنَّ اللهَ ذُو فَضلٍ علَى العالَمِينَ﴾، فدفع بعضَهم ببعض.

٢٥٢ـ ﴿تِلكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ اللهِ، نَتلُوها﴾: نقصّها ﴿علَيكَ﴾ - يا محمّد - ﴿بِالحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿وإنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾. التأكيد بـ «إنَّ» وغيرِها ردٌّ لقول الكفار له: «لَستَ مُرسَلاً».

٢٥٣ـ ﴿تِلكَ﴾: مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾: صفة، والخبر ﴿فَضَّلْنا بَعضَهُم علَى بَعضٍ﴾ بتخصيصه بمَنقبة ليست لغيره، ﴿مِنهُم مَن كَلَّمَ اللهُ﴾ كموسى، ﴿ورَفَعَ بَعضَهُم﴾ أي: محمّدًا ﴿دَرَجاتٍ﴾ على غيره بعموم

قولُه: (بالفتحِ) لنافعٍ والمكِّيِّ والبصريِّ[1].

قولُه: (اصبُبْ) على وزنِ انصُرْ.

قال تعالى: (﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾) نافعٌ ﴿دِفَاعُ﴾[2].

قولُه: (وغَيرِهَا) من اللّامِ والجملةِ الاسميَّةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٠).

الدعوة وختم النبوّة به وتفضيل أُمّته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة، ﴿وآتينا عِيسَى بنَ مَريَمَ البيِّناتِ، وأيَّدناهُ﴾: قوَّيناه ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾: جبريلَ، يسير معه حيث سار.

﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ هُدى الناسِ جميعًا ﴿ما اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾: بعدِ الرسل، أي: أممُهم ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البيِّناتُ﴾ لاختلافهم، وتضليلِ بعضهم بعضًا، ﴿ولكِنِ اختَلَفُوا﴾ لمشيته ذلك ـ ﴿فمِنهُم مَن آمَنَ﴾: ثَبَتَ على إيمانه، ﴿ومِنهُم مَن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ ما اقتَتَلُوا﴾: تأكيدٌ، ﴿ولكِنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ﴾ مِن توفيق مَن شاء وخُذلان مَن شاء.

٢٥٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُم﴾ زكاتَه ﴿مِن قَبلِ أنْ يأتِيَ يَومٌ، لا بَيعٌ﴾: فِداء ﴿فِيهِ ولا خُلَّةَ﴾: صداقة تنفع ﴿ولا شَفاعةَ﴾ بغير إذنه، وهو يوم القيامة. وفي قراءة برفع الثلاثة. ﴿والكافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمرَ الله في غير محلّه.

٢٥٥ ـ ﴿اللهُ لا إلٰـهَ﴾ أي: لا معبودَ بحقّ في الوجود ﴿إلاّ هُوَ، الحَيُّ﴾: الدائم البقاء ﴿القَيُّومُ﴾: المُبالِغ في القيام بتدبير خلقه، ﴿لا تأخُذُهُ سِنةٌ﴾: نُعاسٌ ﴿ولا نَومٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿مَن ذا الَّذِي﴾ أي: لا أحدَ ﴿يَشفَعُ عِندَهُ إلاّ بِإذنِهِ﴾ له فيها؟ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم﴾ أي: الخلقِ ﴿وما خَلفَهُم﴾..

قولُه: (هُدى النَّاسِ جَمِيعاً) بضمِّ الهاءِ؛ أي: هدايتَهم، أشارَ إلى أنَّ مفعولَ ﴿شَاءَ﴾ مقدَّرٌ، وجوابُ ﴿لو﴾: ﴿مَا اقْتَتَلَ﴾، والأظهرُ أن يقدرَ: لو شاءَ الله عدمَ قتالِهم.

قولُه: (تَأْكِيدٌ) لا يبعُدُ أن يكونَ إشارةً إلى اقتتالِ هذه الأمَّةِ، والله أعلمُ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لغيرِ المكِّيِّ والبصريِّ[1].

قولُه: (نُعَاسٌ) وهو فتورٌ يتقدَّمُ النَّومَ، فتقديمُه مراعاةٌ لترتيبِ الوجودِ.

قولُه: (مُلْكاً) بضمِّ الميمِ.

قولُه: (فِيهَا) أي: في الشَّفاعةِ المفهومةِ من: (يشفعُ)؛ كقولِه تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: ٨].

قولُه: (أَي: الخَلقِ) قالَ البيضاويُّ[2]: والضَّميرُ لما في السَّمواتِ والأرضِ؛ لأنَّ فيهم العقلاءَ، يعني: جاءَ بضميرِ العقلاءِ تغليباً، أو لما دلَّ عليه: ﴿مَنْ ذا﴾ من الملائكةِ والأنبياءِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٤).

أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿ولا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ﴾: لا يعلمون شيئًا من معلوماته ﴿إلاّ بِما شاءَ﴾ أن يُعلِمَهم به منها بإخبار الرسل، ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ والأرضَ﴾ ـ قيل: أحاط علمُه بهما. وقيل: مُلكُه. وقيل: الكرسيُّ بعَينِه مشتمل عليهما لعظمته لحديثِ «ما السَّماواتُ السَّبعُ في الكُرسيِّ إلاّ كَدَراهمَ سَبعةٍ أُلقِيَتْ في تُرْسٍ» ـ ﴿ولا يَؤُودُهُ﴾: يُثقِله ﴿حِفظُهُما﴾ أي: السماواتِ والأرضِ، ﴿وهُوَ العَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿العَظِيمُ﴾: الكبير.

٢٥٦ ـ ﴿لا إكراهَ في الدِّينِ﴾ على الدخول فيه. ﴿قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمانَ رشد والكفرَ غيّ. نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد، أراد أن يكرههم على الإسلام. ﴿فمَن يَكفُرْ بِالطّاغُوتِ﴾: الشيطانِ أو الأصنام ـ وهو يُطلق على المفرد والجمع ـ ﴿ويُؤمِنْ بِاللهِ فقَدِ استَمسَكَ﴾: تمسّك ﴿بِالعُروةِ الوُثقَى﴾: بالعَقد المُحكَم ﴿لا انفِصامَ﴾:.........

قولُه: (مِنْ أَمْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ، وقيل: عكسُهُ.

قولُه: (بإخْبَارِ الرُّسلِ) الظَّاهرُ: بإعلامِ اللهِ سواءٌ بواسطةٍ أو بغيرِها.

قولُه: (قِيلَ: أحَاطَ عِلمُهُ) فـ﴿كرسيُّهُ﴾ مجازٌ عن علمِهِ أو ملكِهِ، مأخوذٌ من كرسيِّ العالمِ والملكِ، وهما: المنبرُ والتَّختُ.

قولُه: (وقيل: الكُرْسِيُّ) بعينِهِ؛ أي: جسمٌ بينَ يدَي العرشِ؛ ولذلك سُمِّي كرسيًّا، وهذا القولُ أصحُّ.

قولُه: (أي: السَّمواتِ) أي: حفظةِ السَّمواتِ، فإضافةُ المصدرِ إلى المفعولِ.

قولُه: (بالقَهرِ) إشارةٌ إلى أنَّ الفَوقيَّةَ بالمكَانةِ لا بالمكَانِ.

قولُه: (علَى الإسْلامِ) قالَ ابنُ مسعودٍ وجماعةٌ: كان هذا في الابتداءِ، ثمَّ نُسِخَ بالأمرِ بالقتالِ[١]، كذا في «المداركِ»[٢]، وقال ابنُ الشِّحنةِ: إكراهُ الكافرِ على الإسلامِ يصحُّ بحيثُ لو ارتدَّ يُجبرُ على الإسلامِ[٣]، والأظهرُ في الآيةِ أن يُقالَ: معناها: ولا حاجةَ إلى الإكراهِ لقولِه: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾.

قولُه: (أوِ الأَصْنَامِ) أو كلِّ ما عُبدَ من دونِ اللهِ، أو صدَّ عن عبَادةِ اللهِ.

قولُه: (بالعَقْدِ المُحْكَمِ) الأَولى بالعقدةِ المحكمةِ.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢١١).

(٣) انظر: «لسان الحكام» (ص: ٣١٣، ٤١٤).

انقطاعَ ﴿لَها. واللهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُفعل.

٢٥٧ ـ ﴿اللهُ وَلِيُّ﴾: ناصرُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أولياؤُهُمُ الطّاغُوتُ، يُخرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ﴾. ذِكرُ الإخراج إمّا في مقابَلة قوله «يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ»، أو فيمن آمن بالنبيّ قبل بَعثِه من اليهود ثمّ كفر به، ﴿أُولَئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

٢٥٨ ـ ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حاجَّ﴾: جادَلَ ﴿إبراهِيمَ في رَبِّهِ﴾، لـ ﴿أَنْ آتاهُ اللهُ المُلكَ﴾ أي: حملَه بطرُه بنعمة الله على ذلك ـ وهو نُمروذُ ـ ﴿إذ﴾: بدلٌ من «حاجَّ» ﴿قالَ إبراهِيمُ﴾ لمّا قال له: «مَن ربُّك الذي تدعونا إليه»؟: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ أي: يخلقُ الحياة والموت في الأجساد. ﴿قالَ﴾ هو: ﴿أنا أُحْيِي وأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه. ودعا برجلين، فقَتَلَ أحدَهما وتَركَ الآخَرَ. فلمّا رآه غبيًّا ﴿قالَ إبراهِيمُ﴾ منتقلاً إلى حُجّةٍ أوضحَ منها:..

قولُه: (لا انقطاعَ) ومن حِكَمِ شيخِ مشايخِنا الشَّيخِ أبي الحسنِ البكريِّ قدَّس اللهُ سرَّهُ الصَّفيَّ[١]: الإيمانُ إذا دخلَ القلبَ أمنَ السَّلبَ؛ ولذا قيلَ: إنَّما رجعَ من رجَعَ من الطَّريقِ.

قولُه: (بما يُفعَلُ) مجهولٌ، وفيه وعدٌ ووعيدٌ.

قولُه: (إمَّا فِي مُقَابلةِ) فيكونُ من بابِ المشاكلةِ[٢].

قولُه: (جَادَلَ) وفي نسخةٍ: «خاصمَ».

قولُه: (لـ) لامُ علةٍ منفصلٌ مقدَّرٌ.

قولُه: (بطرُهُ) أي: بطرُ الملكِ؛ فإنَّهُ ملكَ الدُّنيا كلَّها، ومكثَ في السَّلطنةِ أربعَمائةِ سنةٍ.

قولُه: (هو) أي: نمرودُ.

قولُه: (غبيًّا) قليلَ الفهمِ، لا يُفرِّقُ بين الحقيقةِ والمجازِ.

قولُه: (إلى حجَّةٍ) قالَ في «المداركِ»[٣]: هذا ليس بانتقالٍ من حجَّةٍ إلى حجَّةٍ كما زعمَ البعضُ؛ لأنَّ الحجَّةَ

(١) وهو: محمد بن محمد بن محمد البكري الصديقي أبو الحسن، مفسر، متصوف مصري، من علماء الشافعية، مولده ووفاته بالقاهرة، كان يقيم عامًا بمصر وعامًا بمكة، من مشايخه البرهان ابن أبي الشريف، له تآليف منها: «تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل» وتفسير آخر مختصراً عنه يسمى: «الواضح الوجيز»، (ت: ٩٥٢ هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٥٧).

(٢) المشاكلة: المماثلة، وعند أهل البديع: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٩١).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢١٣).

﴿فإنَّ اللهَ يأتِي بِالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ. فائتِ بِها﴾ أنت ﴿مِنَ المَغرِبِ. فبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: تَحَيَّرَ ودَهِشَ. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى مَحجّة الاحتجاج.

٢٥٩ - ﴿أو﴾ رأيتَ ﴿كالَّذِي﴾ - الكاف: زائدة - ﴿مَرَّ علَى قَريَةٍ﴾ هي بيت المَقدس، راكبًا على حمار، ومعه سلّةُ تينٍ وقَدَحُ عَصير - وهو عُزَيرٌ - ﴿وهِيَ خاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿علَى عُرُوشِها﴾: سُقوفِها، لمّا خرّبها بُختَنَصَّرُ، ﴿قالَ: أنَّى﴾: كيف ﴿يُحيِي هذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها﴾؟ استعظامًا لقُدرته تعالى. ﴿فأماتَهُ اللهُ﴾ وألبثه ﴿مِائَةَ عامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه ليُريه كيفيّة ذلك، ﴿قالَ﴾ تعالى له: ﴿كَم لَبِثتَ﴾: مكَثتَ هنا؟ ﴿قالَ: لَبِثتُ يَومًا أو بَعضَ يَومٍ﴾، لأنّه نام أوّل النهار فقُبض، وأُحيِي عند الغُروب فظنّ أنّه يومُ النوم.

﴿قالَ: بَل لَبِثتَ مِائَةَ عامٍ. فانظُرْ إلَى طَعامِكَ﴾ التينِ ﴿وشَرابِكَ﴾ العَصيرِ، ﴿لَم يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّرْ مع طول الزمان - والهاء قيل: أصلٌ من «سانهتُ». وقيل: للسَّكت من «سانيتُ»..................

الأُولى كانت لازمةً، وانقطعَ اللَّعينُ عند المحاجَّةِ، لكن لمَّا عاندَ ولبَّسَ على العامَّةِ أتى إبراهيمُ من وجهٍ لا يعاندُ، قالَ البيضاويُّ[1]: وهو في الحقيقةِ عدولٌ عن مثالٍ خفيٍّ إلى مثالٍ جليٍّ من مقدوراتِهِ الَّتي يعجزُ عن الإتيانِ بها غيرُهُ.

قولُه: (مَحَجَّةِ) أي: سبيلِ.

قولُه: (رأيتَ) الظَّاهرُ: أرأيتَ بهمزةِ الاستفهامِ، و(الكافُ) مثليَّةٌ؛ أي: أرأيتَ مثل الَّذي، فحُذفَ لدلالةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه.

قولُه: (الكَافُ زائدةٌ) كانَ حقُّهُ أن يقولَ: أو الكافُ، وتقديرُه حينئذٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ أو الَّذي مرَّ.

قولُه: (هيَ بيْتُ المَقْدِسِ) على المشهورِ، وقيل: القريةُ الَّتي خرجَ منها الألوفُ.

قولُه: (وهوَ عزيرٌ) وعليه الأكثرُ، وقيل: أرميا، وقيل: حزقيلُ، وقيل: الخضرُ، كذا في «المبهماتِ»[2]، وقيل: كافرٌ بالبعثِ.

قولُه: (سَاقِطَةٌ) أي: حيطانُها على سقوفِها بأنْ سقطَ السَّقفُ أوّلاً، ثمَّ الجدرانُ عليه، وقيل: ﴿خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليةٌ؛ يعني: من أهلِهَا.

قولُه: (وألبثَهُ) يعني: ميتاً، أشارَ إلى أنَّ قولَهُ: (ألبثَهُ) متعلِّقٌ ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾؛ فإنَّه لا يجوزُ أن يتعلَّقَ بقولِهِ: ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ لأنَّ الإماتةَ لا تكونُ إلَّا في لحظةٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٥).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٢٢).

وفي قراءة بحذفها ـ ﴿وانظرْ إلَى حِمارِكَ﴾ كيف هو؟ فرآه ميتًا وعظامه بيض تلوح، فعلْنا ذلك لتعلم، ﴿ولنَجعلَكَ آيةً﴾ على البعث ﴿لِلنّاسِ، وانظرْ إلَى العِظامِ﴾ من حِمَارك، ﴿كَيفَ نُنشِزُها﴾: نُحيِيها ـ بضمِّ النون وفتحِها من «أنشَرَ ونَشَرَ» لغتانِ. وفي قراءة بضمِّها والزاي: نُحرّكها ونَرفعها ـ ﴿ثُمَّ نَكسُوها لَحمًا﴾؟ فنظر إليها، وقد تركّبت وكُسيت لحمًا ونُفخ فيه الروح ونَهَق، ﴿فلَمّا تَبيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قالَ: أعلَمُ﴾ عِلمَ مشاهدةٍ ﴿أنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي قراءة: «اعلَمْ» أمرٌ من الله له.

٢٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهِيمُ: رَبِّ، أرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى؟ قالَ﴾ تعالى له: ﴿أوَلَم تُؤمِنْ﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، لِيُجيبه بما سأل، فيَعلم السامعون غرضه. ﴿قالَ: بَلَى﴾ آمنتُ، ﴿ولكِنْ﴾ سألتكَ ﴿لِيَطمَئنَّ﴾: يسكن ﴿قَلبِي﴾ بالمُعاينة المضمومة إلى الاستدلال.

﴿قالَ: فخُذْ أربَعةً مِنَ الطَّيرِ، فصِرْهُنَّ إلَيكَ﴾، بكسر الصاد وضمّها: أمِلْهنَّ إليك، وقطّعْهنّ واخلِطْ لحمهنّ وريشهنّ، ....

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (بحَذفِهَا) أي: حالَ الوصلِ دونَ الوقفِ.

قولُه: (بضَمِّ النُّونِ) لا خلافَ في ضمِّ النُّونِ عند القرَّاءِ، فحقُّهُ أن يقولَ: بضمِّ النُّونِ وبالراءِ، وهو قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو[2].

قولُه: (بفَتحِهَا) شاذٌّ[3]، لكن بضمِّ الشينِ مع الرَّاءِ مهملةً وكذا معجمةً.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: للباقينَ من القرَّاءِ[4].

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[5].

قولُه: (إلى الاستِدْلَالِ) فيه أنَّ مرتبةَ الأنبياءِ مرتفِعةٌ عن مقَامِ الاستدلَالِ المتعَارَفِ[6].

قولُه: (بكَسْرِ الصَّادِ) لحمزةَ[7].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٤).

(٣) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٢٣) ونسبت لأبان عن عاصم.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٤).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) في هامش (م): «فيه نظر؛ لأن لكل مقام مقالًا ويشهد له: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[الأنبياء: ٢٢] لكاتبه محمد تاج الدين».

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٥).

﴿ثُمَّ اجعَلْ علَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضكَ ﴿مِنهُنَّ جُزءًا، ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ إليك، ﴿يأتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعًا، ﴿واعلَمْ أنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. فأخذ طاووسًا ونسرًا وغُرابًا ودِيكًا، وفعل بهنّ ما ذُكر، وأمسك رؤوسهنّ عنده ودعاهنّ، فتطايرَتِ الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملتْ، ثم أقبلتْ إلى رؤوسها.

٢٦١ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صِفةُ نفقاتِ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ، في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ ـ فكذلك نفقاتُهم تُضاعَفُ لسبعِمِائَةِ ضِعف. ﴿واللهُ يُضاعِفُ﴾ أكثرَ من ذلك ﴿لِمَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ المُضاعفة ـ ٢٦٢ ـ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لا يُتبِعُونَ ما أنفَقُوا مَنًّا﴾ على المُنفَقِ عليه بقولهم مَثلاً: «قد أَحسنتُ إليه وجبرتُ حاله»، ﴿ولا أذًى﴾ له بِذكر ذلك لمن لا يُحبّ وقوفَه عليه ونحوِه، ﴿لَهُم أجرُهُم﴾: ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٢٦٣ ـ ﴿قَولٌ مَعرُوفٌ﴾: كلام حسن وردٌّ على السائل جميل، ﴿ومَغفِرةٌ﴾ له في إلحاحه، ﴿خَيرٌ مِن صَدَقةٍ يَتبَعُها أذًى﴾ بالمنّ وتعييرٌ له بالسؤال، ﴿واللهُ غَنِيٌّ﴾ عن صَدَقة العِباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذي. ٢٦٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم﴾ أي: أجورَها ﴿بِالمَنِّ والأذَى﴾ إبطالاً ﴿كالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مالَه رِئاءَ النّاسِ﴾ مُرائيًا لهم، ﴿ولا يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ ـ وهو المُنافق ـ ﴿فمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾: حجرٍ أملسَ ﴿علَيهِ تُرابٌ، فأصابَهُ وابِلٌ﴾: مطر شديد،...

قولُه: (سَرِيعاً) إشارةٌ إلى أنَّهُ صفةُ مصدرٍ محذُوفٍ؛ أي: يطِرْنَ طيراناً سريعاً.

قولُه: (صِفَةُ نفقَاتِ) أي: مثلُ نفقتِهِم كمثَلِ حبَّةٍ، أو مثلُهُم كمثلِ باذرِ حبَّةٍ، على حذفِ المضافِ، يعني: التَّقديرُ إمَّا في جانبِ المشبَّهِ أو المشبَّهِ به؛ ليحصلَ ملاءمةُ المثلِ للمثلِ، ووجهُ الشَّبهِ المضاعفةُ.

قولُه: (بقولِهِم مثلاً) وكذا بفعلِهِم بالتَّقدُّمِ وبقلبِهِم بالتَّكبُّرِ.

قولُه: (وَنَحْوِ ذَلِكَ) بأن يقولَ: إلى كم تسألُ وكمْ تؤذِيني؟

قيلَ: إذا أعطيتَ رجلاً شيئاً ورأيتَ أنَّ سلامَكَ يثقلُ عليه فكفَّ سلامَكَ عنه، وكان السَّلفُ يقولونَ: إذا صنعْتُم صَنِيعةً فانسوها.

قولُه: (فِي إِلحَاحِهِ) بالحاءينِ؛ أي: مبالغتِهِ في سؤالِهِ، وفي بعضِ النُّسخِ: بالحاءِ والجيمِ، وهو تصحيفٌ.

قولُه: (مُرَائياً) فنصبَ ﴿رِئَاءَ﴾ على الحالِ، وقيل: على المفعولِ له، وقيل: على المصدرِ.

﴿فترَكَهُ صَلْدًا﴾: صُلبًا أملس لا شيء عليه. ﴿لا يَقدِرُونَ﴾ ـ استئناف لبيان مَثَل المُنافق المُنفق رياءً. وجُمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ـ ﴿علَى شَيءٍ مِمّا كَسَبُوا﴾: عملوا، أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة كما لا يُوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾.

٢٦٥ ـ ﴿ومَثَلُ﴾ نفقاتِ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُمُ ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿مَرضاةِ اللهِ وتَثبِيتًا مِن أنفُسِهِم﴾ أي: تحقيقًا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ـ ومِن: ابتدائيّة ـ ﴿كَمَثَلِ جَنّةٍ﴾: بستانٍ ﴿بِرُبْوةٍ﴾، بضمّ الراء وفتحها: مكانٍ مرتفع مستو، ﴿أصابَها وابِلٌ فآتَتْ﴾: أعطت ﴿أُكُلَها﴾، بضمّ الكاف وسكونها: ثمرَها ﴿ضِعفَينِ﴾: مِثلَي ما يُثمر غيرُها، ﴿فإنْ لَم يُصِبْها وابِلٌ فطَلٌّ﴾: مطرٌ خفيف يُصيبها ويكفيها لارتفاعها. المعنى: تُثمر وتزكو، كَثُر المطرُ أم قلّ. فكذلك نفقات مَن ذُكِرَ تزكو عند الله، كَثُرَتْ أم قلّت. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيجازيكم به.

٢٦٦ ـ ﴿أيَوَدُّ﴾: أيُحبّ ﴿أحَدُكُم أنْ تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ﴾: بستانٌ ﴿مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُ فِيها﴾ ثَمرٌ ﴿مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، و﴾ قد ﴿أصابَهُ الكِبَرُ﴾ فضَعُفَ من الكبَر عن الكسب، ﴿ولَهُ ذُرِّيّةٌ ضُعَفاءُ﴾: أولاد صغار لا يقدرون عليه، ﴿فأصابَها إعصارٌ﴾: ريح شديدة ﴿فِيهِ نارٌ فاحتَرَقَتْ﴾، ففقَدَها أحوجَ ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزةً متحيّرين لا حيلة لهم؟ وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها، أحوجَ ما يكون إليها في الآخرة. والاستفهام بمعنى النفي............

قولُه: (تَحقِيقاً للثَّوابِ) هذا قولُ جمهورِ السَّلفِ، وقيل: يتثبَّتُونَ أين[1] يضعونَ صدقاتِهم؟

قولُه: (وفتحِهَا) لابنِ عامرٍ وعاصمٍ[2].

قولُه: (وسُكونِهَا) لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو[3].

قولُه: (قَد) أشارَ إلى أنَّ الواوَ للحالِ بتقديرِ (قد)، لا للعطفِ على: ﴿تَكُونَ﴾؛ لأنَّ ﴿أنْ﴾ المصدريَّةَ دخلَتْ عليه فصارَ للاستقبالِ، ولا يجوزُ عطفُ الماضِي عليه، وقولُه تعالى: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ أيضاً واوُ للحالِ.

قولُه: (عليهِ) أي: على الكسبِ.

قولُه: (رِيحٌ شَدِيدَةٌ) تنعَكِسُ من الأرضِ إلى السَّماءِ مستديرةً كعمودٍ مستأصلةٍ من كلِّ جانبٍ.

---

(١) في كافة النسخ: «يثبتون أي»، والصحيح: «يتثبتون أين» انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٣١٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٩٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٦).

(٣) انظر المصادر السابقة.

وعن ابن عبّاس: هو لرجل عمل بالطاعات، ثمّ بُعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتّى أحرقَ أعماله. ﴿كَذلِكَ﴾: كما بيَّنَ ما ذُكر ﴿يُبيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتَفكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

٢٦٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا﴾ أي: زكّوا ﴿مِن طَيِّباتِ﴾: جِيادِ ﴿ما كَسَبتُم﴾ من المالِ، ﴿ومِـ﴾ـن طيّبات ﴿ـمّا أخرَجْنا لَكُم مِنَ الأرضِ﴾ من الحُبوب والثّمار، ﴿ولا تَيَمَّمُوا﴾: تقصِدوا ﴿الخَبيثَ﴾: الرديء ﴿مِنهُ﴾ أي: من المذكورِ، ﴿تُنفِقُونَـ﴾ـه في الزكاة: حالٌ من ضَمير «تيمّموا»، ﴿ولَستُم بِآخِذِيهِ﴾ أي: الخبيثِ، لو أُعطِيتُموه في حقوقكم، ﴿إلاّ أنْ تُغمِضُوا فِيهِ﴾ بالتساهل وغضّ البصر. فكيف تؤدّون منه حقَّ الله؟ ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ غَنيٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود على كلّ حال.

٢٦٨ ـ ﴿الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ﴾ يُخوّفكم به إن تصدّقتم فتُمسكوا، ﴿ويأمُرُكُم بِالفَحشاءِ﴾: البُخل ومنع الزكاة، ﴿واللهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَغفِرةً مِنهُ﴾ لذُنوبكم ﴿وفَضلاً﴾: رزقا خَلَفًا منه. ﴿واللهُ واسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمُنفَق، ٢٦٩ ـ ﴿يُؤتِي الحِكْمةَ﴾ أي: العلمَ النافع المُؤدّيَ إلى العمل ﴿مَن يَشاءُ. ومَن يُؤتَ الحِكْمةَ فقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ لمَصيره إلى السعادة الأبديّة. ﴿وما يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظُ ﴿إلاّ أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

قولُه: (زكُّوا) أو تصدَّقُوا.

قولُه: (جِيَادِ) أي: خيارٍ أو حلالاتٍ.

قولُه: (طيِّباتِ) فحذفَ المضافَ لتقدُّم ذكرِهِ.

قولُه: (والثِّمارِ) والمعادنِ.

قولُه: (مِنَ المَذْكُورِ) أي: من المالِ، فتشمَلُ ما كسبْتُم وما أخرَجْنا.

قولُه: (حالٌ) أي: مقدَّرةٌ.

وقولُه تعالى: (﴿وَلَسْتُم﴾) أي: والحالُ أنّكُم لا تأخذونَهُ.

قولُه: (لو أُعْطِيتُمُوهُ) مجهولٌ.

قولُه: (بالتَّساهلِ) ففيه مجازٌ؛ أي: لا تأخذونَهُ بوجهٍ من الوجُوهِ إلَّا بالإغماضِ والتَّسامحِ.

قولُه: (بالمُنْفِقِ) وإنفاقِهِ.

قولُه: (إلَى العَمَلِ) أي: الصَّالحِ الخالصِ.

قولُه: (في الذَّالِ) أصلُهُ يتذكَّرُ.

٢٧٠ ـ ﴿وما أنفقتُم مِن نَفَقةٍ﴾: أدَّيتم من زكاة أو صدقة، ﴿أو نَذَرتُم مِن نَذرٍ﴾ فوفَيتم به، ﴿فإنَّ اللهَ يَعلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه. ﴿وما لِلظّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محلّه من معاصي الله، ﴿مِن أنصارٍ﴾: مانعين لهم من عذابه.

٢٧١ ـ ﴿إنْ تُبدُوا﴾: تُظهروا ﴿الصَّدَقاتِ﴾ أي: النوافلَ ﴿فنِعِمّا هِيَ﴾ أي: نِعْمَ شيئًا إبداؤها! ﴿وإنْ تُخفُوها﴾: تُسِرّوها ﴿وتُؤتُوها الفُقَراءَ فهُوَ خَيرٌ لَكُم﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياءَ ـ أمّا صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليُقتدَى به ولئلاّ يُتّهَمَ، وإيتاؤها الفقراءَ مُتعيِّنٌ ـ ﴿ويُكَفِّرُ﴾ ـ بالياء، وبالنون مجزومًا بالعطف على محلّ «فهو»، ومرفوعًا على الاستئناف ـ ﴿عَنكُم مِن﴾ بعضِ ﴿سَيِّئاتِكُم. واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

ولمّا مَنَعَ رسولُ الله ﷺ من التصدّق على المشركين ليُسلِمُوا نزل:..........

قولُه: (مِنْ معَاصِي) بيانٌ لـ(غيرِ محلِّهِ).

قالَ تعالى: (﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾) ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بفتحِ النُّون، والباقُونَ بكسرِها، وقالُونُ وأبو عَمرٍو وأبو بكرٍ باختلاسِ كسرِ العينِ[1]، والباقُونَ بالكسرةِ الخالصةِ[2].

قولُه: (إبدَاؤُهَا) أي: الضَّميرُ راجعٌ إلى ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ بتقديرِ المضافِ.

قولُه: (وإيتائِهَا الأَغنِياءَ) فيه أنَّ الصَّدقةَ إلى الأغنياءِ لا خيرَ فيها[3].

قولُه: (باليَاءِ) أي: مع الرَّفعِ لابنِ عامرٍ وحفصٍ[4].

قولُه: (مَجْزُوماً) لنافعٍ وحمزةَ والكسائيِّ[5]، فلا وقفَ على ما قبلَهُ.

قولُه: (بعضَ) منصوبٌ على أنَّهُ مفعولُ: ﴿يُكَفِّرُ﴾، و﴿مِنْ﴾ للتَّبعيضِ.

قولُه: (فنَزَلَ) وهذا في غيرِ الواجبِ، أمَّا الواجبُ فلا يجوزُ صرفُهُ إلى الكافرِ.

---

(١) «والباقون بكسرها وقالون وأبو عمرو وأبو بكر باختلاس كسر العين»: ليست في (م).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٤).

(٣) في هامش (م): «قوله: لا خير فيها، فيه نظر؛ لقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا» والصدقة للغني هدية كما نص عليه في كتب الفقه. لكاتبه».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٨).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٧).

٢٧٢ ـ ﴿لَيسَ علَيكَ هُداهُم﴾ أي: الناسِ إلى الدخول في الإسلام، إنّما عليك البلاغ ـ ﴿ولكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هدايتَه إلى الدخول فيه ـ ﴿وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ﴾: مال ﴿فلِأنفُسِكُم﴾ لأنّ ثوابه لَها، ﴿وما تُنفِقُونَ إلاّ ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ﴾ أي: ثوابِهِ لا غيرِه من أعراض الدنيا، خبرٌ بمعنى النهي، ﴿وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إلَيكُم﴾ جزاؤه، ﴿وأنتُم لا تُظلَمُونَ﴾: تُنقَصون منه شيئًا. والجملتان تأكيد للأولى.

٢٧٣ ـ ﴿لِلفُقَراءِ﴾: خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: الصدقاتُ لهم، ﴿الَّذِينَ أُحصِرُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: حَبَسوا أنفسَهم على الجهاد ـ نزلتْ في أهل الصُّفّة، وهم أربعُمِائةٍ من المهاجرين، أرصَدوا لتعلّم القرآن والخروج مع السرايا ـ ﴿لا يَستَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: سَفَرًا ﴿في الأرضِ﴾ للتجارة والمعاش لشُغلهم عنه بالجهاد، ﴿يَحسِبُهُمُ الجاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أغنِياءَ، مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: لتعفّفِهم عن السؤال وتركِه، ﴿تَعرِفُهُم﴾ ـ يا مُخاطَبًا ـ ﴿بِسِيماهُم﴾: علامتِهم من التواضع وأثر الجَهد، ﴿لا يَسألُونَ النّاسَ﴾ شيئًا فيُلحِفون ﴿إلحافًا﴾ أي: لا سؤالَ لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو الإلحاح.

٢٧٤ ـ ﴿وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فمُجازٍ عليه. ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم بِاللَّيلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانِيةً فلَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾.

٢٧٥ ـ ﴿الَّذِينَ يأكُلُونَ الرِّبا﴾ أي: يأخذونه ـ وهو الزيادة في المُعاملة بالنقود................

قولُه: (والجُمْلتَانِ) أي: الخبريَّةُ والشَّرطيَّةُ.

قولُه: (للأولَى) أي: للشَّرطيَّةِ الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُم﴾.

قولُه: (حبَسُوا أنفُسَهُم علَى الجِهَادِ) الأظهرُ حبَسَهُم الجهادُ، وفي بعضِ النُّسخِ: «عنِ الجهادِ» ولا وجهَ له.

قالَ تعالى: (﴿يَحْسَبُهُمُ﴾) ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بفتحِ السينِ، والباقُونَ بالكسرِ[1].

قولُه: (أي: لا سُؤالَ لهُمْ) فهي نفيٌ للأمرينِ، وقيل: المعنى أنَّهُم لا يسألُونَ وإن سألُوا عن ضرورةٍ لم يُلِحُّوا في السُّؤالِ، ونصبَ ﴿إلْحَافًا﴾ على المصدرِ؛ فإنَّهُ نوعُ سؤالٍ، أو على الحالِ؛ أي: ملحِّينَ، وقيل: مفعولٌ له.

قولُه: (وهوَ الإلحَاحُ) وهو أن يلازمَ المسؤولَ حتَّى يعطيَهُ.

قولُه: (أي: يأخذُونَهُ) وإنَّما ذكَر الأكلَ؛ لأنَّهُ أعظمُ منافعِ المالِ؛ ولأنَّ الرِّبا شائعٌ في المطعوماتِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٨).

والمطعومات في القَدْر أو الأجَل ـ ﴿لا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إلاّ﴾ قِيامًا ﴿كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾: يَصرَعه ﴿الشَّيطانُ، مِنَ المَسِّ﴾ الجنونِ بهم، متعلّق بـ «يقومون». ﴿ذلِكَ﴾ الّذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُم﴾: بسبب أنّهم ﴿قالُوا: إنَّما البَيْعُ مِثلُ الرِّبا﴾ في الجواز. وهذا من عكس التشبيه مُبالغةً.

فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وأحَلَّ اللهُ البَيعَ وحَرَّمَ الرِّبا. فمَن جاءَهُ﴾: بَلغَه ﴿مَوعِظَةٌ﴾: وعظٌ ﴿مِن رَبِّهِ، فانتَهَى﴾ عن أكله، ﴿فلَهُ ما سَلَفَ﴾ قبلَ النهيِ أي لا يُستَرَدّ منه، ﴿وأمرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إلَى اللهِ، ومَن عادَ﴾ إلى أكله مُشبِّهًا له بالبيع في الحِلّ ﴿فأولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

٢٧٦ ـ ﴿يَمحَقُ اللهُ الرِّبا﴾: يُنقِصه ويُذهب بركتَه، ﴿ويُربِي الصَّدَقاتِ﴾: يَزيدها ويُنمّيها ويُضاعف ثوابها، ﴿واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ﴾ بتحليل الربا، ﴿أثِيمٍ﴾: فاجر بأكله، أي: يُعاقبه. ٢٧٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، لَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾.

٢٧٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا﴾: اتركوا ﴿ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا، إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾: صادقين في إيمانكم ـ فإنّ من شأن المؤمن امتثالَ أمر الله. نزلتْ لمّا طالب بعض الصحابة بعد النهي بِرِبًا كان له قبلُ ـ.......................................

قولُه: (والمَطْعُوماتِ) وعندنا: المكيلاتِ والموزوناتِ.

قولُه: (فِي القَدْرِ) يعني: في المتجانسَينِ.

قولُه: (أوِ الأَجلِ) أعمُّ منهما.

قولُه: (متعلِّقٌ بِـ﴿يَقُومُونَ﴾) أي: لا يقومونَ منَ المسِّ الّذي بهم بسببِ أكلِ الرِّبا، أو بـ﴿يَقُومُ﴾ أي: كما يقومُ المصروعُ من جنونِهِ، والمرادُ بالمسِّ: مسُّ الشَّيطانِ، وهذا الوجهُ أولى.

قولُه: (وهذَا مِن عَكسِ التَّشْبيهِ) إذِ الأصلُ: إنَّما الرِّبا مثلُ البيعِ، لكن عُكِسَ للمبالغةِ، كأنَّهُم جعلُوا الرِّبا أصلاً وقاسُوا به البيعَ، والفرقُ بيِّنٌ ظاهرٌ؛ فإنَّ من أعطَى درهمَينَ بدرهمٍ ضيَّعَ درهماً، ومَن اشترَى سلعةً تساوي درهماً بدرهمينِ، فلعلَّ مساسَ الحاجةِ إلى السِّلعةِ أو توقُّعَ رواجِها يجبرُ هذا الغبنَ.

قولُه: (ردًّا عَلَيهِم) وإنكاراً لتسويتِهِم وإبطَالاً للقِياسِ في معَارضةِ النَّصِّ.

قولُه: (فِي الحِلِّ) أي: من عادَ إلى تحليلِ الرِّبا؛ إذِ الكلامُ فيه.

قالَ تعَالى: (﴿الرِّبا﴾) أي: مالَهُ.

قولُه: (يُنقِصُهُ) أي: يهلكُ المالَ الَّذي يدخلُ فيه.

قولُه: (يزِيدُهَا) أي: يباركُ فيما أُخرجَتْ منه.

٢٧٩ ـ ﴿فإنْ لَم تَفعَلُوا﴾ ما أُمرتم به ﴿فائْذَنُوا﴾: اعلَموا ﴿بِحَربٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ لكم ـ فيه تهديد شديد لهم. ولمّا نزلتْ قالوا: لا يَدَ لنا بحربه ـ ﴿وإنْ تُبتُم﴾: رجعتم عنه ﴿فلَكُم رُؤُوسُ﴾: أصولُ ﴿أموالِكُم، لا تَظلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿ولا تُظلَمُونَ﴾ بنقص.

٢٨٠ ـ ﴿وإنْ كانَ﴾: وقعَ غريمٌ ﴿ذُو عُسْرةٍ فنَظِرةٌ﴾ له أي: عليكم تأخيرُه ﴿إلَى مَيسَرةٍ﴾، بفتح السين وضمّها، أي: وقتِ يُسرِه، ﴿وأنْ تَصَّدَّقُوا﴾ ـ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها ـ أي: تتصدّقوا على المُعسر بالإبراء ﴿خَيرٌ لَكُم، إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنّه خير فافعلوه. في الحديث «مَن أنظرَ مُعسِرًا أو وَضَعَ عَنهُ أظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّهُ» رواه مسلم.

٢٨١ ـ ﴿واتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعولِ: تُردّون، وللفاعلِ: تَصيرون ﴿فِيهِ إلَى اللهِ﴾ هو يوم القيامة، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفسٍ﴾ جزاءَ ﴿ما كَسَبَتْ﴾: عملت من خير وشرّ، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيّئة.

٢٨٢ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا تَدايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَينٍ﴾ كسَلَم وقَرْضٍ ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: معلوم ﴿فاكتُبُوهُ﴾ استيثاقًا ودفعًا للنزاع، ﴿ولْيَكتُبْ﴾ كِتابَ الدَّين ﴿بَينَكُم كاتِبٌ بِالعَدلِ﴾:..........

قولُه: (اعلَمُوا) فيه لطافةٌ حيثُ إنَّهُ قابلٌ لتفسيرِ القراءتينِ، فقرأَ حمزةُ وأبو بكرٍ بالمدِّ بعد الهمزةِ وكسرِ الذَّالِ، أمرٌ من الإيذانِ بمعنى الإعلامِ، والباقُونَ بسكُونِ الهمزةِ وفتحِ الذَّالِ[١]، من (أذِنَ) بمعنى: عَلِمَ.

قولُه: (لَا يَدَ) أي: لا طاقةَ.

قولُه: (وضَمِّهَا) لنافعٍ[٢].

قولُه: (وبالتَّخْفِيفِ) عاصمٌ[٣].

قولُه: (علَى حَذْفِهَا) أي: إحدَى التَّاءَينِ.

قولُه: (أوْ وضَعَ عنهُ) كلَّهُ أو بعضَهُ.

قولُه: (وللفَاعِلِ) للبصريِّ[٤]، فالأوَّلُ من الرَّجعِ المتعدِّي، والثَّاني من الرُّجوعِ القاصرِ.

قولُه: (وقَرضٍ) لعلَّهُ أرادَ به بيعَ النَّسيئةِ؛ فإنَّ القرضَ لا يُعتبَرُ فيه الأجلُ، وقولُهُ تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أي: الدَّينَ المؤجَّلَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩١)، في «حجة القراءات» (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٩).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٩).

بالحقّ في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا يَنقُص، ﴿ولا يأبَ﴾: يمتنعْ ﴿كاتِبٌ﴾ من ﴿أنْ يَكتُبَ﴾ إذا دُعي إليها، ﴿كَما عَلَّمَهُ اللهُ﴾ أي: فضّله بالكتابة فلا يبخل بها ـ والكاف: متعلقة بـ «يأب» ـ ﴿فلْيَكتُبْ﴾ تأكيدٌ، ﴿ولْيُملِلِ﴾: يُمِلَّ الكاتبَ ﴿الَّذِي علَيهِ الحَقُّ﴾: الدَّينُ لأنه المشهود عليه فيُقِرّ ليُعلَم ما عليه، ﴿ولْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه، ﴿ولا يَبخَسْ﴾: يُنقِصْ ﴿مِنهُ﴾ أي: الحقِّ ﴿شيئًا، فإنْ كانَ الَّذِي علَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا﴾: مُبذِّرًا، ﴿أو ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لِصغَر أو كِبَر، ﴿أو لا يَستَطِيعُ أن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخَرَس أو جهل باللغة أو نحو ذلك، ﴿فلْيُملِلْ وَلِيُّهُ﴾: متولّي أمره من والد ووصيّ وقيِّم ومترجم ﴿بِالعَدلِ﴾.

﴿واستَشهِدُوا﴾: أشهِدوا على الدَّين ﴿شَهِيدَينِ﴾: شاهدين ﴿مِن رِجالِكُم﴾ أي: بالِغِي المسلمين الأحرار، ﴿فإنْ لَم يَكُونا﴾ أي: الشاهدان ﴿رَجُلَينِ فرَجُلٌ وامرأتانِ﴾ يشهدون، ﴿مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَداءِ﴾ لدِينه وعدالته، ....

قولُه: (والكَافُ مُتعلِّقةٌ بـ﴿يَأْبَ﴾) أي: لا يأبَ أن ينفعَ النَّاسَ بكتابتِهِ كما نفعَهُ اللهُ بتعليمِها، كقولِهِ تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

قولُه: (ليُعْلَمَ) من الإعلامِ معلوماً أو مجهولاً.

قولُه: (أو مبذِّراً) أي: محجُوراً عليه لتبذيرِهِ وجهلِهِ بالتَّصرُّفِ، أو مجنوناً؛ لأنَّ السَّفهَ خفَّةٌ في العقلِ.

قولُه: (أو كِبَرٍ) بأن يكونَ شيخاً مخبَّلاً.

قولُه: (مَن وَلِيَ) فيه إشعارٌ بأنَّ المرادَ بالوليِّ في الآيةِ معناهُ اللُّغويُّ؛ وهو المتصرِّفُ بالمعنى الأعمِّ الشَّاملِ للوليِّ العرفيِّ الشَّرعيِّ والوصيِّ وغيرِهما[1]، وفي بعضِ النُّسخِ: «مِنْ والِدٍ» وهو غيرُ ملائمٍ؛ لأنَّ الوليَّ الشَّرعيَّ يشملُهُ وغيرَهُ.

قولُه: (أي: بالِغِي المسلِمِينَ) قالَ في «المدارِكِ»[2]: وشهَادةُ الكفَّارِ بعضِهم على بعضٍ مقبُولةٌ عندنا.

قولُه: (يشْهَدُونَ) أو التَّقديرُ: فليشهَدُوا، أو: فالمستشهَدُ، قالَ البيضاويُّ[3]: وهذا مخصوصٌ بالأموالِ عندنا، وقالَ في «المدارِكِ»[4]: وشهادةُ الرِّجالِ مع النِّساءِ تُقبَلُ فيما عدا الحدودِ والقصاصِ.

---

(١) في (م): «وغيرها».

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ١٦٤).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢٢٨).

وتعدّدُ النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تَنسى ﴿إحداهُما﴾ الشهادةَ لنقص عقلِهنّ وضبطهنّ ﴿فتُذْكِرَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿إحداهُما﴾ الذاكرةُ ﴿الأُخرَى﴾ الناسيةَ ـ وجملة الإذكار محلُّ العِلّة، أي: لِتُذكِرَ أن ضلّت، ودخلت على الضلال لأنّه سببه. وفي قراءة بكسر «إنْ» شرطيّةً ورفعِ «تُذَكِّرُ» استئنافٌ جوابُه ـ ﴿ولا يأبَ الشُّهَداءُ، إذا ما﴾: زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمّل الشهادة وأدائها.

﴿ولا تَسأمُوا﴾: تَمَلُّوا من ﴿أَنْ تَكتبُوهُ﴾، أي: ما شهدتم عليه من الحقّ لكثرة وقوع ذلك،.......

قولُه: (وتعدُّدُ النِّساءِ) إشارةٌ إلى: ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علَّةُ اعتبارِ العددِ.

قولُه: (لنَقصِ عقلِهِنَّ) الموجبِ لكثرةِ نسيانِهِنَّ، فلا يردُ أنَّ الرَّجلَ قد ينسَى.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) من الإذكارِ للمكِّيِّ والبصريِّ[1].

قولُه: (النَّاسيةَ) ولم يقل: فتُذكِّرُها، ووضعَ المظهرَ موضعَ المضمرِ لعدمِ التَّعيينِ.

قولُه: (وجُمْلةُ الإِذْكَارِ) أو التَّذكُّرِ.

قولُه: (محَلُّ العلَّةِ) أي: في الحقيقةِ.

قولُه: (ودخلَتْ) أي: العلَّةُ.

قولُه: (لأنَّهُ) أي: الضَّلالَ سببُ التَّذكيرِ، فنزلَ منزلتَهُ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لحمزةَ[2].

قولُه: (استِئنَافٌ) نحو: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] إذ الفاءُ مانعةٌ من الجزمِ.

قولُه: (جوَابُهُ) أي: جوابُ الشَّرطِ فمحلُّهُ الجزمُ.

قولُه: (إلى تحمُّلِ الشَّهادَةِ) وسُمُّوا شهداءَ تنزيلاً لما يُشارِفُ منزلةَ الواقعِ، فهو للنَّدبِ، وقالَ الشَّافعيُّ[3]: إنَّهُ فرضُ كفايةٍ.

وقولُه: (وأدائِهَا) للفرضِ.

قولُه: (أي: ما شهدْتُم عليهِ) كذا في النُّسخِ، والظَّاهرُ: أشهدْتُم عليه؛ لأنَّ الخطابَ للمتداينين لا للشُّهودِ ولا للكُتَّابِ؛ لأنَّهُ لا يلزمُ من الكتابةِ تحمُّلُ الشَّهادةِ وأداؤهَا، والأظهرُ: أنَّ الخطابَ للكُتَّابِ، والتَّقديرُ: ما أمليتُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٠).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٧/ ٥٠).

﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَو كَبِيرًا﴾: قليلاً أو كثيرًا، ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾: وقتِ حلوله، حالٌ من الهاء في «تكتبوه». ﴿ذَلِكُم﴾ أي: الكَتبُ ﴿أَقسَطُ﴾: أعدَلُ ﴿عِندَ اللهِ، وأَقوَمُ لِلشَّهادةِ﴾، أي: أعْوَنُ على إقامتها لأنّه يَذكرها، ﴿وأَدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿أَلاّ تَرتابُوا﴾: تشكّوا في قَدْر الحقّ والأجَل. ﴿إلاّ أَنْ تَكُونَ﴾: تقعَ ﴿تِجارةٌ حاضِرةٌ﴾ ـ وفي قراءة بالنصب، فـ«تكونَ» ناقصةٌ واسمها ضمير التجارة ـ ﴿تُدِيرُونَها بَينَكُم﴾ أي: تقبضونها ولا أجلَ فيها، ﴿فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ﴾ في ﴿أَلاّ تَكتُبُوها﴾. والمراد بها المُتَّجَرُ فيه.

﴿وأَشهِدُوا إذا تَبايَعتُم﴾ عليه ـ فإنه أدفع للاختلاف. وهذا وما قبله أمرُ ندبٍ ـ ﴿ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيدٌ﴾ صاحبَ الحقّ ومَن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، أو لا يَضُرَّهما صاحبُ الحقّ بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة. ﴿وإِنْ تَفعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾:.........

قولُه: (أو كَثِيراً) الأظهرُ: مختصراً كانَ الكتاب أو مشبعاً.

قولُه: (حالٌ) أي: ﴿صَغِيراً﴾، وحقُّهُ التَّقدُّمُ على ذكرِ الجارِّ.

قولُه: (أي: الكَتْبُ) إشارةٌ إلى ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾.

قولُه: (أَعْدَلُ) أفعلُ التَّفضيلِ؛ أي: أقومُ وأقسَطُ، من أقسَطَ وأقامَ على مَذهبِ سيبويهِ[1]، وعند غيرِهِ على غيرِ قياسٍ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لعاصمٍ[2].

قولُه: (بالنَّصْبِ) أي: فيهما.

قولُه: (والمرَادُ بِهَا) أي: بالتِّجارةِ.

قولُه: (أمرُ نَدْبٍ) عندَ أكثرِ الأئمَّةِ، وقيل: للوجُوبِ[3]، ثمَّ اختُلفَ في إحكامِهِ ونسخِهِ[4].

قولُه: (صَاحِبَ الحَقِّ) منصُوبٌ، فـ﴿لَا يُضَارَّ﴾ معلومٌ.

قولُه: (بتَحْرِيفٍ) أي: زيادةٍ ونقصٍ.

قولُه: (أو لا يضَارَّهُمَا) فالفعلُ مجهولٌ.

قولُه: (ما نُهِيتُم عنهُ) من الضِّرارِ.

---

(١) قال أبو حيان: لم ينص سيبويه على أن أفعل التفضيل بني من أفعل، إنما ذلك بالاستدلال. انظر: «البحر المحيط» (٢/ ٧٣٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٤٠٢).

(٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ١٤٤).

خروجٌ عن الطاعة لاحِقٌ ﴿بِكُم، واتَّقُوا اللهَ﴾ في أمره ونهيه، ﴿ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ مَصالِح أُموركم ـ حالٌ مقدَّرة أو مستأنفٌ ـ ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

٢٨٣ ـ ﴿وإنْ كُنتُم علَى سَفَرٍ﴾، أي: مسافرين وتداينتم، ﴿ولَم تَجِدُوا كاتِبًا، فرُهُنٌ﴾، وفي قراءة: «فرِهانٌ»: جمع رَهْن ﴿مَقبُوضةٌ﴾ تستوثقون بها ـ وبيّنَتِ السُّنّةُ جوازَ الرَّهن في الحضرِ ووجودِ الكاتب. فالتقييد بما ذُكِر لأنّ التوثُّق فيه أشدُّ. وأفاد قوله «مقبوضةٌ» اشتراطَ القبض في الرهن والاكتفاءَ به من المُرتهِن ووكيله ـ ﴿فإنْ أَمِنَ بَعضُكُم بَعضًا﴾ أي: الدائنُ المَدينَ على حقّه، فلم يَرتهِن، ﴿فلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾، أي: المَدينُ، ﴿أمانَتَهُ﴾: دَينَه، ﴿ولْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه، ﴿ولا تَكتُمُوا الشَّهادةَ﴾، إذا دُعيتم لإقامتها. ﴿ومَن يَكتُمْها فإنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ﴾. خُصّ بالذكرِ لأنّه محلّ الشهادة وأنّه إذا أَثِم تبعه غيره، فيُعاقَب عليه مُعاقبةَ الآثمينَ. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤ ـ ﴿للهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وإنْ تُبدُوا﴾: تُظهِروا ﴿ما في أنفُسِكُم﴾ من السُّوءِ والعزمِ عليه،..

قولُه: (حَالٌ مُقدَّرةٌ) جوَّزَهُ أبو البقاءِ[١]، وقالَ السَّفاقسيُّ فيه: إنَّ المضارعَ الواقعَ حالاً لا يدخلُ عليه الواو.

قولُه: (مستَأْنفٌ) لا مَوضعَ له.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لغيرِ المكِّيِّ والبصريِّ[٢].

قولُه: (اشتِرَاطَ القَبْضِ) خلافاً لمالكٍ[٣].

قولُه: (فلَمْ يَرْتهِنْ) وكذا لو لم يكتُبْ.

قولُه: (خُصَّ) أي: القلبُ.

قولُه: (مِنَ السُّوءِ والعَزمِ علَيهِ) قالَ في «المداركِ»[٤]: ولا تدخلُ الوَساوِسُ وحديثُ النَّفسِ فيما يخفيهِ الإنسانُ؛ لأنَّ ذلك ممَّا ليسَ في وسعِهِ الخلوُّ منه، ولكنْ ما اعتقدَهُ وعزمَ عليه، والحاصلُ: أنَّ عزمَ الكفرِ كفرٌ، وخطرةَ الذُّنوبِ من غيرِ عزمٍ معفوٌّ عنه، وعزمَ الذَّنبِ إذا ندمَ عليه ورجعَ عنه معفوٌّ[٥]، فأمَّا إذا همَّ بسيِّئةٍ وهو

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: «المعونة» (ص: ١١٥٤).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢٣١).

(٥) في (ص) زيادة: «عنه».

﴿أو تُخفُوهُ﴾: تُسِرّوه، ﴿يُحاسِبْكُم﴾: يُخبِرْكم ﴿بِهِ اللهُ﴾ يوم القيامة، ﴿فيَغفِرْ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرَةَ له، ﴿ويُعذِّبْ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه. والفعلانِ بالجزمِ عطفًا على جواب الشرط، والرفعِ أي: فهو. ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه محاسبتُكم وجزاؤكم.

٢٨٥ ـ ﴿آمَنَ﴾: صدَّقَ ﴿الرَّسُولُ﴾ محمَّدٌ ﴿بِما أُنزِلَ إلَيهِ مِن رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿والمُؤمِنُونَ﴾: عطف عليه، ﴿كُلٌّ﴾ تنوينُه عوض من المضاف إليه ﴿آمَنَ باللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿ورُسُلِهِ﴾،

ثابتٌ على ذلك، إلَّا أنَّهُ مُنعَ عنه بمانعٍ لا باختيارِهِ، فإنَّهُ لا يُعاقَبُ على ذلك عقوبةَ فعلِهِ؛ أي: بالعزمِ على الزِّنا لا يُعاقَبُ عقوبةَ الزِّنا، وهل يُعاقَبُ عقوبةَ عزمِ الزِّنا؟ قيلَ: لا؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «إنَّ اللهَ عفا عن أمَّتِي ما حدَّثَتْ بِهِ أنفسُهُم ما لَمْ تعملْ أو تتكلَّمْ بِهِ»[1] والجمهورُ على أنَّ الحديثَ في الخطرةِ دون العزمِ، وأنَّ المؤاخذةَ في العزمِ ثابتةٌ، وإليه مال الشَّيخُ أبو منصورٍ[2] وشمسُ الأئمَّةِ الحلوانيُّ، والدَّليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ [النور: ١٩]، وعن عائشةَ: ما همَّ العبدُ بالمعصيةِ من غيرِ عملٍ يُعاقَبُ على ذلك بما يلحقُهُ من الهمِّ[3] والحزنِ في الدُّنيا[4]، وفي أكثرِ التَّفاسيرِ: أنَّهُ لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ جزعَتِ الصَّحابةُ رضي اللهُ عنهم وقالُوا: أنُؤاخَذُ بكلِّ ما حدَّثَت به أنفسُنا؟ فنزلَ قولُه[5]: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ...﴾ إلى قولِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فتعلَّقَ ذلك بالكسبِ دونَ العزمِ، وفي بعضِها أنَّها نُسِخَت بهذه الآيةِ، والمحقِّقُونَ على أنَّ النَّسخَ يكونُ في الأحكامِ دونَ الأخبارِ، انتهى.

قولُه: (والرَّفعِ) أي: لابنِ عامرٍ وعاصمٍ[6]، فيوقفُ على: ﴿بِهِ اللهُ﴾.

قولُه: (عَطْفٌ عَلَيهِ) ويكفِي المشاركةُ في أصلِ الإيمانِ وإن كان التَّفاوتُ في وصفِهِ؛ إذ إيمانُهُ عن مشاهدةٍ وعيانٍ، وإيمانُهُم عن نظرٍ وبرهانٍ، وقيل: ﴿المؤمنُونَ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ (كذلك) مقدَّراً، أو: ﴿كُلٌّ﴾ خبرُهُ.

قولُه: (والإِفْرَادِ) لحمزةَ والكسائيِّ[7]، والمرادُ: القرآنُ أو الجنسُ.

---

(١) رواه البخاري: (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٨٩).

(٣) في (ص): «الألم».

(٤) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٧٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٤٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤)، ورواه مسلم (١٢٥) بنحوه مطولًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٢).

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٢).

يقولون: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾، فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كما فعل اليهود والنصارى، ﴿وقالُوا: سَمِعْنا﴾ أي: ما أُمِرنا به سماعَ قَبول ﴿وأطَعْنا﴾. نسألُك ﴿غُفرانَكَ ـ رَبَّنا ـ وإلَيكَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ بالبعث.

ولمّا نزلتِ الآيةُ قبلَها شكا المؤمنون من الوسوسة، وشقَّ عليهم المحاسبةُ بها، فنزل: ٢٨٦ ـ ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاّ وُسْعَها﴾ أي: ما تَسَعُه قُدرتُها. ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ من الخير، أي: ثوابُه، ﴿وعلَيها ما اكتَسَبَتْ﴾ من الشرّ، أي: وِزرُه. ولا يُؤاخَذُ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسِبه ممّا وسوستْ به نفسُه.

قُولوا: ﴿رَبَّنا، لا تُؤاخِذْنا﴾ بالعِقاب، ﴿إنْ نَسِينا أو أخطأْنا﴾: تركْنا الصواب لا عن عمد كما آخذتَ به مَن قبلَنا ـ وقد رَفع اللهُ ذلك عن هذه الأُمّة كما ورد في الحديث. فسؤاله اعتراف بنعمة الله ـ ﴿رَبَّنا، ولا تَحمِلْ علَينا إصْرًا﴾: أمرًا يثقُل علينا حَملُه ﴿كَما حَمَلتَهُ على الَّذِينَ مِن قَبلِنا﴾ أي: بني إسرائيلَ من قتلِ النفس في التوبة وإخراجِ رُبع المال في الزكاة وقرضِ موضع النجاسة، ﴿رَبَّنا، ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقةَ﴾: قوّةَ ﴿لَنا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء، ﴿واعْفُ عَنّا﴾: امحُ ذُنوبَنا، ﴿واغفِرْ لَنا وارحَمْنا﴾..

قولُه: (يقولُونَ) أو قائلينَ.

قولُه: (نسألُكَ) أو اغفرْ فـ﴿غُفْرَانَكَ﴾ منصوبٌ على المفعوليّةِ أو المصدريّةِ.

قولُه: (فِي الحَدِيثِ) وهو: «رُفِعَ عن أمّتِي الخطأُ والنِّسيانُ وما استُكْرِهُوا عليهِ» رواهُ ابنُ ماجه في «سننِهِ»، وابنُ حبَّانَ في «صحيحِهِ»[1].

قولُه: (وقَرْضِ مَوْضِعِ النَّجاسَةِ) أي: قطعِهِ من الثَّوبِ والجلدِ، وخمسينَ صلاةً في اليومِ واللَّيلةِ.

قالَ تعَالى: (﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾) أي: استُرْ عيوبَنا ولا تفضحْنَا بالمؤاخذةِ، والأوَّلُ[2] للكبائرِ والثَّاني للصَّغائرِ، فلا تكرارَ.

---

(١) قال الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ٦٤): هذا لا يوجد بهذا اللفظ، وإن كان الفقهاء كلهم لا يذكرونه إلا بهذا اللفظ.

وجاء بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه».

رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤٦٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٣٣) (١١٢٧٤)، والدارقطني في «سننه» (٤٣٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٠٩٤) باختلاف يسير في ألفاظه فيما بينهم، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٢) في (م): «أو الأول».

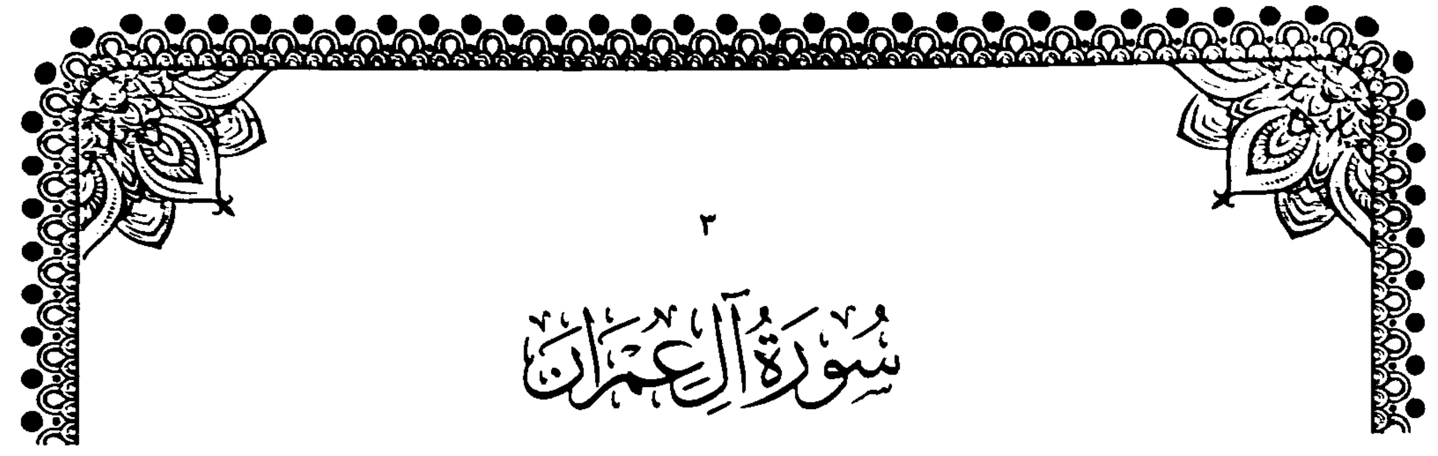
في الرحمة زيادة على المغفرة. ﴿أنتَ مَولانا﴾: سيّدنا ومتولّي أمورنا. ﴿فانصُرْنا علَى القَومِ الكافِرِينَ﴾ بإقامةِ الحُجّة والغَلَبةِ في قتالهم. فإنّ مِن شأن المولى أن ينصر مَوالِيَه على الأعداء. وفي الحديث «لَمّا نَزَلتْ هذهِ الآيةُ فقَرأها ﷺ قِيلَ له عَقِبَ كُلِّ كَلمةٍ: قَد فَعَلتُ».

قولُه: (زيادةٌ عَلى المَغفِرةِ) أي: تفضّل علينا، قيلَ: بتثقِيلِ ميزانِنَا معَ إفلاسِنَا.

قولُه: (فِي قتَالِهم) أو على النُّفوسِ المائلةِ إلى الكُفرِ والشَّياطينِ في جهادِهِم، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ[1].

***

(١) في (ص) زيادة: «بالصواب».



مدنية، مِائَتان أو إلاّ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿اللهُ لا إلــٰهَ إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، نَزَّلَ علَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿الكِتابَ﴾: القرآنَ مُلتبِسًا ﴿بِالحَقِّ﴾: بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكُتب، ﴿وأنزَلَ التَّوراةَ والإنجِيلَ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ تنزيله ﴿هُدًى﴾: حال بمعنى: هادِيَينِ من الضلالة ﴿لِلنّاسِ﴾ ممّن تبعهما ـ وعَبّر فيهما بـ«أنزل» وفي القرآن بـ«نزّل» المقتضي للتكرير لأنّهما أُنزلا دُفعةً واحدة بخلافه ـ ﴿وأنزَلَ الفُرقانَ﴾ بمعنى الكُتب الفارقة بين الحقّ والباطل.

سُورَةُ آلِ عِمْرَان

قولُه تعالى: ﴿الم اللهُ﴾ فتحُ الميمِ حالةَ الوصلِ في المشهورِ مخفَّفاً مدًّا وقصراً، وقيل: توسُّطاً، وقولُ البيضاويِّ[1]: ـ وقرأَ أبو بكرٍ بسكونِها والابتداءِ بما بعدَها على الأصلِ[2] ـ غيرُ صحيحٍ، ولعلَّهُ روايةٌ شاذَّةٌ، وقراءةُ بعضِ العوامِّ بتشديدِ الميمِ الثّانيةِ خطأٌ، ثمَّ قولُ البيضاويِّ[3]: ـ إنَّما فتحُ الميمِ في المشهورِ، وكان حقُّها أن يُوقَفَ عليها لإلقاءِ حركةِ الهمزةِ عليها... إلخ ـ غيرُ معتبَرٍ؛ لأنَّ الإلقاءَ بمعنى النَّقلِ إنَّما يكونُ في همزةِ القطعِ؛ كقولِه تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] على روايةِ ورشٍ مطلقاً، ووجهٌ لحمزةَ وقفاً[4]، وهذا كلُّهُ حالَ وصلِ ﴿ألم﴾ بما بعدَهُ، ويجوزُ الوقفُ على ﴿ألم﴾ إجماعاً، فلا عبرةَ بما يُفهَمُ من قولِ البيضاويِّ: (وكانَ حقُّهَا أنْ يُوقَفَ عليها) من الوهمِ أنَّه لا يجوزُ الوقفُ عليها.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٥).

(٢) هذه القراءة رواها ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٠).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٥).

(٤) انظر: «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» لعبد الفتاح القاضي (ص: ٢٤٤).

وذَكَره بعد ذِكر الثلاثة ليعمّ ما عداها. ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ وغيره ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعيده ووعده، ﴿ذُو انتِقامٍ﴾: عقوبةٍ شديدة ممّن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد.

٥ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَخفَى علَيهِ شَيءٌ﴾ كائنٌ ﴿في الأرضِ ولا في السَّماءِ﴾، لعلمه بما يقع في العالم من كلِّيّ وجزئيّ ـ وخصَّهما بالذكر لأنّ الحسّ لا يتجاوزهما ـ ٦ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُم في الأرحامِ، كَيفَ يَشاءُ﴾ من ذُكورة وأُنوثة وبياض وسواد، وغير ذلك؟ ﴿لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ٧ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ، مِنهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ﴾: واضحاتُ الدلالة، ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾: أصلُه المُعتمَد عليه في الأحكام، ﴿وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾ لا تُفهم معانيها كأوائل السُّوَر، وجعله كلّه مُحكَمًا في قوله «أُحكِمَتْ آياتُهُ» بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومُتشابهًا في قوله «كِتابًا مُتَشابِهًا» بمعنى أنه يُشبه بعضه بعضًا في الحُسن والصِّدق.

﴿فأمّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم زَيغٌ﴾: مَيلٌ عن الحقّ ﴿فيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿الفِتْنَةِ﴾ لحبّهم لها بوقوعهم في الشُّبهات واللَّبس، ﴿وابتِغاءَ تأوِيلِهِ﴾: تفسيرِه، ﴿وما يَعلَمُ تأوِيلَهُ﴾: تفسيرَه ﴿إلاّ اللهُ﴾ وحده، ﴿والرّاسِخُونَ﴾: الثابتون المتمكّنون ﴿في العِلمِ﴾:..........................

قولُه: (وعدِهِ) في نسخةٍ مؤخَّرٌ عن (وعيدِهِ)؛ إذ المقامُ يقتضي تقديمَ الوعيدِ، وفي أُخرَى مقدَّمٌ إذْ سبقَتْ رحمتُهُ غضبَهُ.

قولُه: (لا يتَجَاوزُهُمَا) أو المرادُ: ما في السُّفليّاتِ والعلويّاتِ.

قولُه: (وغيرِ ذلكَ) من حَسَنٍ وقَبيحٍ وطويلٍ وقصيرٍ وتامٍّ وناقصٍ.

قوله تعالى: (﴿مِنْهُ آيَاتٌ﴾) أي: بعضُهُ ومن جملتِهِ.

قولُه: (كأوَائلِ السُّورِ) أو محتمِلاتٌ لا يتَّضِحُ مقصُودُها لإجمالٍ[1] أو مخالفةِ ظاهرٍ إلَّا بالفحصِ والاجتهادِ.

قولُه: (لجُهَّالِهِمْ) بضمِّ الجيمِ وتشديدِ الهاءِ، جمعُ: جاهلٍ، وفي نسخةٍ: لجهالتِهم بالمصدرِ.

قولُه: (واللَّبسِ) بسببِ التَّعلُّقِ بظاهرِهِ، أو بتأويلٍ باطلٍ، أو مناقضةِ المحكمِ بالمتشابِهِ.

قولُه: (تفسيرِهِ) أي: الَّذي يشتهونَهُ.

---

(١) في (ص): «لاحتمال».

مبتدأ خبرُه ﴿يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ﴾ أي: بالمُتشابِه أنّه من عند الله ولا نعلم معناه. ﴿كُلٌّ﴾ منَ المُحكَم والمُتشابِه ﴿مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في الذال ـ أي: يتّعظ ﴿إلاّ أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

ويقولون أيضًا إذا رأوا من يَتّبعه: ٨ ـ ﴿رَبَّنا، لا تُزِغْ قُلُوبَنا﴾: تُمِلْها عن الحقّ بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغتَ قُلوب أولئك ﴿بَعدَ إذْ هَدَيتَنا﴾: أرشدْتَنا إليه، ﴿وهَبْ لَنا مِن لَدُنكَ﴾: من عِندك ﴿رَحْمةً﴾: تثبيتًا ـ ﴿إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ﴾ ـ ٩ ـ يا ﴿رَبَّنا، إنَّكَ جامِعُ النّاسِ﴾: تجمعُهم ﴿لِيَومٍ﴾ أي: في يومٍ، ﴿لا رَيبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾. هو يوم القيامة. فتُجازيهم بأعمالهم كما وعدتَ بذلك. ﴿إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ﴾: موعدَه بالبعث. فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى. والغرض من الدعاءِ بذلك بيان أنّ همَّهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.

رَوى الشيخانِ عن عائشةَ قالت: «تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَةَ: هُوَ الّذِي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ، إلى آخِرها، وقالَ: فإذا رأَيتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ فأُولَئكَ الّذِينَ سَمَّى اللهُ......

قولُه: (مبتدأٌ) هذا عندَ الجمهورِ، والوقفُ عندَهُم على قولِهِ: ﴿إلّا اللهُ﴾، وبعضُهُم على أنَّهُ عطفٌ على ﴿اللهُ﴾؛ أي: لا يهتدي إلى تأويلِهِ الحقِّ الَّذي يجبُ أن يُحمَلَ عليه إلّا اللهُ، والَّذين رسَخُوا؛ أي: ثبتُوا وتمكَّنُوا وعضُّوا فيه بضرسٍ قاطعٍ.

قولُه: (ولا نعلَمُ معناهُ) هو ثناءٌ منه تعالى عليهِم بالإيمانِ على التَّسليمِ، واعتقادِ الحقيقَةِ بلا كيفٍ، وعدمِ الجزمِ بالمرادِ.

قولُه: (إذَا رأوا) يعني: خصُوصاً.

قولُه: (إلَيهِ) أي: إلى الحقِّ.

قولُه: (تَثْبِيتاً) أي: بالتَّوفيقِ والتَّثبُّتِ.

قولُه: (أي: في يومٍ) أو إلى يومٍ، أو لحسابِ يومٍ وجزائِهِ.

قولُه: (فإذَا رَأَيتِ[1]) بكسرِ التَّاءِ، وجُوِّزَ الفتحُ إمَّا لخطابِ العامِّ أو لتنزيلِها منزلةَ الرِّجالِ، ويؤيِّدُه قولُه: «فاحذرُوهُمْ[2]» مع زيادةِ الجمعيَّةِ للتَّعظيمِ، ويُمكِنُ حملُ الجمعِ على التَّغليبِ، وفي نسخةٍ: «فإذا رآهُمْ».

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) في (م): «فاحذرهم».

قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٢١١): قوله: فاحذروهم، في رواية الكشميهني: فاحذرهم بالإفراد والأولى أولى.

فاحذَرُوهُمْ»، ورَوى الطبرانيّ في «الكبير» عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «ما أخافُ على أُمّتي إلاّ ثلاثَ خِلالٍ»، وذكر منها «أن يُفتحَ لهُمُ الكِتابُ فيأخُذَهُ المُؤمِنُ يبتَغِي تأوِيلَهُ، ولَيسَ يَعلَمُ تأوِيلَهُ إلاّ اللهُ، والرّاسِخُونَ في العِلمِ يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ إلاّ أُولُو الألبابِ» الحديثَ.

١٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنهُم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿شَيئًا! وأُولئِكَ هُم وَقُودُ النّارِ﴾، بفتح الواو: ما يُوقد به، دأبُهم ١١ ـ ﴿كَدأبِ﴾: كعادةِ ﴿آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم كعادٍ وثمودَ، ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا، فأخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم﴾. والجملة: مفسّرة لما قبلها. ﴿واللهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

ونزل لمّا أمر رسول الله ﷺ اليهودَ بالإسلام، مَرجِعَه من بدر، فقالوا له: «لا يَغرَّنّكَ أن قتلتَ نفرًا من قُريشٍ أغمارًا لا يَعرفونَ القِتالَ»: ١٢ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَتُغلَبُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك، ﴿وتُحشَرُونَ﴾ ـ بالوجهين ـ...

قولُه: (أي: عذابِهِ) أو رحمتِهِ أو طاعتِهِ؛ يعني: بدلَهُما.

قولُه: (﴿شَيئًا﴾) من الإغناءِ، أو من العذابِ.

قولُه: (بفتحِ الواوِ) فهو اسمٌ، وقُرِئَ بالضَّمِّ[1] وهو مصدرٌ؛ أي: أهلُ وقودِها.

قولُه: (دأبُهُمْ) مبتدأٌ.

قولُه: (والجُملةُ) أي: ﴿كَذَّبُوا﴾.

قولُه: (لِمَا قبلَهَا) أي: دأبُهم.

قولُه: (أنْ قتلْتَ[2]) بفتحِ الهمزِ وكسرِهِ.

قولُه: (لا يعرِفُونَ) تفسيرٌ لـ(أغماراً).

قولُه: (والياءِ) الغيبةُ لحمزةَ والكسائيِّ[3].

قولُه: (بالوجهَينِ) أي: الخطابِ والغيبةِ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٢٦) ونسبت لطلحة بن مصرف.

(٢) رواه أبو داود (٣٠٠١)، والطبري في «تفسيره» (٦٦٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٦٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٣).

في الآخرة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها، ﴿وبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ هي!

١٣ ـ ﴿قَد كانَ لَكُم آيةٌ﴾: عِبرةٌ ـ وذُكِّر الفِعل للفصل ـ ﴿في فِئَتَينِ﴾: فِرقتَين ﴿التَقَتا﴾ يوم بدر للقتال، ﴿فِئةٌ تُقاتِلُ في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعته ـ وهم النبيّ ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاثَمِائةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلاً، معهم فَرَسانِ وسِتُّ أدرُعٍ وثمانيةُ سُيوفٍ، وأكثرُهم رَجّالة ـ ﴿وأُخرَى كافِرةٌ، يَرَونَهُم﴾ أيِ: الكُفّارُ ﴿مِثلَيهِم﴾ أيِ: المسلِمين أي: أكثرَ منهم، وكانوا نحوَ ألف، ﴿رأيَ العَينِ﴾ أي: رُؤيةً ظاهرةً مُعايَنةً. وقد نصرهم الله مع قلَّتهم. ﴿واللهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقوِّي ﴿بِنَصرِهِ مَن يَشاءُ﴾ نَصْرَه. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الأبصارِ﴾: لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

١٤ ـ ﴿زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ﴾: ما تَشتهيه النفس وتدعو إليه، زيّنها اللهُ ابتلاءً أوِ الشيطانُ، ﴿مِنَ النِّساءِ والبَنِينَ، والقَناطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿المُقَنطَرةِ﴾:..............................

وقولُه: (فيدخُلونَهَا) كذلك.

قولُه: (الفِرَاشُ) أو ما مهَّدُوا لأنفسِهم واختارُوا لمقامِهم.

قولُه: (رجَّالةٌ) بتشديدِ الجيمِ؛ أي: مشاةٌ.

قولُه: (أي: الكفَّارُ) هو بالرفعِ؛ أي: يرى الكفَّارُ المسلِمِينَ مثلَي عددِ المسلِمِينَ أو مثلَي عددِ المشركِينَ ليحصلَ لهم الرُّعبُ فرأَوهُم ألفينِ، أو بالنَّصبِ؛ أي: يرى المؤمنونَ المشركِينَ مثلَي المؤمنينِ ليثبتوا، قالَ البغويُّ[1]: قلَّلَهُمُ اللهُ قبلَ القتالِ في أعينِ المشركينَ ليجترئَ المشركونَ عليهِم ولا ينصرفُوا، فلمَّا أخذُوا في القتالِ كثَّرَهُمُ اللهُ تعالى في أعينِ المشركينَ ليجبُنُوا، وقلَّلَهُم في أعينِ المؤمنينَ ليجترِئُوا، فذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ...﴾ الآية [الأنفال: ٤٤] انتهى، وقرأَ نافعٌ بالخطابِ[2]، فالمخاطبُونَ اليهودُ لكونِهِم حاضري الوقعةِ ببدرٍ؛ أي: ترونَ المسلِمينَ مثلَي عددِهِم أو مثلَي عددِ المشركِينَ.

قولُه: (أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ) يحتملُ التَّاءَ والياءَ.

قولُه: (زيَّنَهَا اللهُ) عليه الجمهورُ.

وقولُه: (أو الشَّيطانُ) مرويٌّ عن الحسنِ[3]، وفي «الدُّرِّ»[4] عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ قالَ: قال ﷺ: «بُعِثْتُ

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٤١٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٥٠).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٩).

المجمَّعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيلِ المُسَوَّمةِ﴾: الحِسانِ ﴿والأنعامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿والحَرْثِ﴾: الزرع. ﴿ذلِكَ﴾ المذكورُ ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾: يُتمتَّع به فيها ثمّ يَفنى، ﴿واللهُ عِندَهُ حُسنُ المآبِ﴾: المَرجِعِ، وهو الجنّة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

١٥ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا محمّد ـ لقومك: ﴿أَأُنَبِّئُكُم﴾: أأُخبِرُكم ﴿بِخَيرٍ مِن ذلِكُم﴾ المذكورِ من الشهوات؟ استفهام تقرير. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ ﴿عِندَ رَبِّهِم﴾: خبرٌ مبتدؤه ﴿جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾ أي: مقدَّرين الخلودَ ﴿فِيها﴾ إذا دخلوها، ﴿وأزواجٌ مُطَهَّرةٌ﴾ من الحَيض وغيره ممّا يُستقذَر، ﴿ورِضْوانٌ﴾ ـ بكسر أوّله وضمّه لغتانِ ـ أي: رضًا كثير ﴿مِنَ اللهِ ـ واللهُ بَصِيرٌ﴾: عالم ﴿بِالعِبادِ﴾، فيُجازي كُلًّا منهم بعمله ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعت أو بدل مِن «الّذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنا، إنَّنا آمَنّا﴾: صدَّقْنا بك وبرسولك.

داعِياً ومبلِّغاً وليسَ إليَّ مِنَ الهدى شيءٌ، وخُلِقَ إبليسُ مُزَيِّناً وليسَ إليه من الضَّلالةِ شيءٌ».

قولُه: (المُجَمَّعةِ) ذكرت للتَّأكيدِ كقولِهم: بِدْرةٌ[1] مبدَّرةٌ؛ أي: كاملةٌ.

قولُه: (﴿وَالخَيْلِ﴾) عطفٌ على: ﴿النِّسَاءِ﴾.

قولُه: (الحسَانِ) أو المعلَّمةِ، أو المرعيَّة.

قولُه: (استفهَامُ تَقْريرٍ) أي: لحملِ المخاطَبِ على الإقرارِ، يريدُ بِهِ: تقريرَ أنَّ ثوابَ اللهِ خيرٌ من مستلذَّاتِ الدُّنيا.

قولُه: (وضمِّهِ) لأبي بكرٍ في جميعِ القرآنِ ما عدا ثانيَ العقودِ[2].

قولُه: (كثيرٌ) مستفادٌ من التَّنوينِ.

قولُه: (نعْتٌ) أي: جرُّ صفةٍ للمتَّقِينَ وهو أنسبُ، أو العبادِ وهو أقربُ.

قولُه: (أو بدَلٌ) فيكونُ مجرورَ المحلِّ أيضاً، أو نصبٌ على المدحِ، أو رفعٌ وهو الأظهرُ.

= والحديث رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٢٠١٧)، وابن بطة في «الإبانة» (١٢٨٣) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٧١)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (١٦٧).

قال العقيلي: خالد بن عبد الرحمن أبو الهيثم عن سماك، ليس بمعروف بالنقل، حديثه غير محفوظ ولا يعرف له أصل، يعرف بالعسقلاني. وكذلك غمز به ابن عدي.

(١) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا ويختلف باختلاف العهود. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٢).

﴿فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النّارِ، الصّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعنِ المَعصية: نعت، ﴿والصّادِقِينَ﴾ في الإيمان، ﴿والقانِتِينَ﴾: المطيعين لله، ﴿والمُنفِقِينَ﴾: المتصدِّقين، ﴿والمُستَغفِرِينَ﴾ اللهَ بأن يقولوا: «اللّهمَّ اغفِرْ لنا» ﴿بِالأسحارِ﴾: أواخرِ الليل. خُصّت بالذكر لأنّها وقتُ الغفلة ولذّة النوم.

١٨ ـ ﴿شَهِدَ اللهُ﴾: بيَّنَ لِخَلقِه بالدلائل والآيات ﴿أنّهُ لا إلـٰـهَ﴾: معبودَ في الوجود بحقّ ﴿إلاّ هُوَ، و﴾ شهدَ بذلك ﴿المَلائكةُ﴾ بالإقرار ﴿وأُولُو العِلمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ، ﴿قائمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ـ ونصبُه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة أي: تفرّدَ ـ ﴿بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ﴾ كرّره تأكيدًا ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

١٩ ـ ﴿إنَّ الدِّينَ﴾ المَرْضِيَّ ﴿عِندَ اللهِ﴾ هو ﴿الإسلامُ﴾ أي: الشرعُ المبعوثُ به الرسل المَبنيُّ على التوحيد ـ...

قولُه: (وعَنِ المَعْصِيةِ) وفي المصيبةِ.

قولُه: (نَعْتٌ) أو نصبٌ على المدحِ.

قولُه: (فِي الإِيمَانِ) في «المداركِ»[1]: الصَّادِقِينَ قولاً بإخبارِ الحقِّ، وفعلاً بإحكامِ العملِ، ونيَّةً بإمضاءِ العزمِ.

قولُه: (بأنْ يقُولُوا) أي: مثلاً، والأظهرُ بما تقدَّمَ وهو قولُهُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

قولُه: (أوَاخِرِ اللَّيلِ) في «الكشّافِ»[2] السَّحرُ: السُّدسُ الأخيرُ.

قولُه: (ولذَّةِ النَّومِ) أو وقتُ العبَادةِ والحضُورِ وتوهُّمِ العَجبِ والغرورِ بعدَ ما صدرَ منهم عبادةُ اللَّيلِ.

قولُه: (بالدَّلائلِ) الحسِّيَّةِ والآياتِ المعنويَّةِ، أو النَّقليَّةِ والعقليَّةِ، أو الآفاقيَّةِ والنفسيَّةِ.

قولُه: (بالإِقْرَارِ) أي: المطابقِ للتَّصديقِ.

قولُه: (عَلى الحَالِ) أي: من ﴿هو﴾، أو من ﴿اللهُ﴾.

قولُه: (تَأكِيداً) واعتناءً لمعرفةِ التَّوحيدِ.

قولُه: (فِي ملْكِهِ) قدَّمَ ﴿العَزِيزُ﴾ لتقدُّمِ العلمِ بقدرتِهِ على العلمِ بحكمتِهِ، ورفعُهُما على البدلِ من ﴿هوَ﴾.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٢٤١).

(٢) لم يأت قوله هذا عند تفسير هذه الآية من هذه السورة، وإنما عند قوله تعالى: ﴿نجيناهم بسحر﴾[القمر: ٣٤]، انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣٨).

وفي قراءة بفتح «أنّ» بدل من «أنّه» إلى آخره بدلَ اشتمال ـ ﴿وما اختَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾: اليهودُ والنصارى في الدين بأن وحَّد بعض وكفر بعض، ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ﴾ بالتوحيد، ﴿بَغْيًا﴾ منَ الكافرين ﴿بَينَهُم. ومَن يَكفُرْ بِآياتِ اللهِ فإنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ أي: المُجازاةِ له.

٢٠ ـ ﴿فإنْ حاجُّوكَ﴾: خاصمَك الكُفّار ـ يا محمّد ـ في الدين ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿أسلَمتُ وَجهِيَ للهِ﴾: انقَدْت له أنا ﴿ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾. وخُصّ الوجهُ بالذكر لشرفه، فغيره أولى. ﴿وقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾: اليهودِ والنصارى ﴿والأُمِّيِّينَ﴾: مشركِي العرب: ﴿أأسلَمتُم﴾؟ أي: أسلِموا. ﴿فإنْ أسلَمُوا فقَدِ اهتَدَوا﴾ من الضلال، ﴿وإنْ تَوَلَّوا﴾ عن الإسلام ﴿فإنَّما علَيكَ البَلاغُ﴾: التبليغُ للرسالة. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾ فمجازيهم بأعمالهم. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

٢١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ﴾ ـ وفي قراءة «ويُقاتِلُونَ» ـ ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيرِ حَقٍّ، ويَقتُلُونَ الَّذِينَ يأمُرُونَ بِالقِسطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ النّاسِ﴾، وهم اليهود ـ رُوي أنّهم قتلوا ثلاثةً وأربعين نبيًّا، فنهاهم مِائةٌ وسبعون من عُبّادهم فقتلوهم من يومهم ـ ﴿فبَشِّرْهُم﴾:........

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) للكِسائيِّ[1]، فلا وقفَ على ما قبلَهُ.

قولُه: (بأنْ وحَّدَ) الأحسنُ: بأن آمنَ؛ ليعمَّ الإيمانَ باللهِ ورسولِهِ، ولمقابلتِهِ بكفَرَ دونَ أشركَ.

قولُه: (بالتَّوحِيدِ) وبنعتِ النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (مِنَ الكَافِرِينَ) أي: حسداً بينهم وطلباً للرِّئاسةِ، لا لشبهةٍ وخفاءٍ في الأمرِ.

قولُه: (أي: أسلِمُوا) يعني: لفظُهُ استفهامٌ ومعناهُ الأمرُ؛ كقولِهِ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

قولُه: (أي: التَّبليغُ) المتضمِّنُ للثَّوابِ، وعليهم الحجَّةُ والعقابُ.

قولُه: (بأعمَالِهِم) وعدٌ للمسلمِ ووعيدٌ للمعرضِ.

قولُه: (بالقتَالِ) فيه أنَّ ما تقدَّمَ أخبارٌ لا تُنسَخُ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لحمزةَ، لكن في ﴿يَقْتُلُونَ﴾ الثَّاني[2] كما نصَّ عليه الشَّاطبيُّ[3].

قولُه: (في يومِهِمْ) وسوقُ بقلِهِم قائمةٌ[4].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٢)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٧).

(٢) وهو كما قال، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٨).

(٣) انظر: «حرز الأماني» (ص: ٤٤).

(٤) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٩٨)، والدينوري في «المجالسة» (٢٦٩٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن بني =

أعلِمْهم ﴿بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم. وذكرُ البشارة تهكّم بهم، ودخلت الفاء في خبر «إنّ» لشَبه اسمها الموصول بالشرط، ٢٢ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أعمالُهُم﴾: ما عملوا من خير كصدَقة وصِلة رَحِم ﴿في الدُّنيا والآخِرةِ﴾، فلا اعتداد بها لعدم شرطها، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانعِين من العذاب.

٢٣ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِنَ الكِتابِ﴾ التوراة، ﴿يُدْعَونَ﴾: حالٌ، ﴿إلَى كِتابِ اللهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنهُم، وهُم مُعرِضُونَ﴾ عن قَبول حُكمه. نزل في اليهود، زنَى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبيّ ﷺ، فحكم عليهما بالرجم فأبَوا، فجيء بالتوراة فوُجد فيها، فرُجِما فغَضِبوا. ٢٤ ـ ﴿ذلِكَ﴾ التولّي والإعراض ﴿بِأَنَّهُم قالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنا النّارُ إلاّ أيّامًا مَعدُوداتٍ﴾ أربعينَ يومًا مُدّةَ عبادة آبائهم العجلَ، ثمّ تَزولُ عنهم. ﴿وغَرَّهُم في دِينِهِم﴾: متعلّق بقوله: ﴿ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

قولُه: (لعَدمِ شَرْطِهَا) وهو الإيمانُ، فينبغِي أن يُفسَّرَ الأعمالَ بما يُشترَطُ في صحَّتِهِ الإيمانُ؛ كالصَّلاةِ والصَّومِ والحجِّ وسائرِ العبادَاتِ، بخلافِ الإحسَانِ إلى الفقراءِ وإطعَامِ الضَّيفِ وصِلَةِ الرَّحِمِ والتَّرحُّمِ على اليَتيمِ ونحوِها.

قولُه: (أي: التَّوراةِ) أو جنسِ الكتبِ، و﴿مِنَ﴾ للتَّبعِيضِ أو البيانِ.

قولُه: (حالٌ) أي: من ﴿الَّذِينَ﴾.

وقولُه تعالى: (﴿إِلَى كِتَابِ اللهِ﴾) أي: التَّوراةِ أو القرآنِ.

وقولُه تعالى: (﴿لِيَحْكُمَ﴾) أي: الكتابُ؛ جُعِلَ حاكماً حيثُ كان سبباً للحكمِ، أو: ليحكمَ النَّبيُّ ﷺ.

وقولُه تعالى: (﴿ثُمَّ﴾) استبعادٌ لتولِّيهم بعد علمِهم بأنَّ الرُّجوعَ إلى كتابِ اللهِ واجبٌ.

قولُه: (عَن قَبولِ حُكمِهِ) أي: حكمِ الكتَابِ أو النَّبيِّ، والمعنى: وهم جميعٌ عادتُهُم الإعراضُ.

قولُه: (بسَبَبِ قولِهِمْ) وتسهيلِ الأَمْرِ عليهم.

قولُه: (أَرْبَعينَ) أو سبعةَ آلافِ سنةٍ عمرَ الدُّنيا[1].

قولُه: (متعلِّقٌ) أي: ﴿فِي دِينِهِمْ﴾ وقدِّمَ مراعاةً للفاصلةِ.

قولُه: (مِن قولِهِمْ) بيانٌ لـ﴿مَا﴾.

قولُه: (ذلكَ) أي: قولُهُم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾.

= إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاث مئة نبي، ثم يقوم سوق بقلهم من آخر النهار.

(١) تقدم في سورة البقرة الآية رقم: (٨٠).

٢٥ ـ ﴿فكَيفَ﴾ حالُهم، ﴿إذا جَمَعْناهُم لِيَومٍ﴾ أي: في يوم ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ﴾ ـ هو يوم القيامة ـ ﴿ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفسٍ﴾ من أهلِ الكتاب وغيرِهم جزاءَ ﴿ما كَسَبَتْ﴾: عمِلتْ من خير وشرّ، ﴿وهُم﴾ أيِ: الناس ﴿لا يُظلَمُونَ﴾ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيّئة؟

ونزل لمّا وَعَدَ النبيّ ﷺ أُمّتَه مُلكَ فارسَ والرومِ، فقال المنافقون: «هَيهاتَ»!: ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿قُلِ: اللّٰهُمَّ﴾: يا أللهُ، ﴿مالِكَ المُلكِ، تُؤتِي﴾: تُعطي ﴿المُلكَ مَن تَشاءُ﴾ من خلقك، ﴿وتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاءُ، وتُعِزُّ مَن تَشاءُ﴾ بإيتائه، ﴿وتُذِلُّ مَن تَشاءُ﴾، بنزعه منه. ﴿بِيَدِكَ﴾: بقُدرتك ﴿الخَيرُ﴾ أي: والشرُّ. ﴿إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ﴾: تُدخِلُ ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ، وتُولِجُ النَّهارَ﴾: تُدخِلُه ﴿في اللَّيلِ﴾، فيزيد كلّ منهما بما نقَص من الآخَر، ﴿وتُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾، كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة،......

قولُه: (جزاءَ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾) أي: وافياً.

قولُه: (أي: النَّاسُ) أي: اليهودُ وغيرُهم، ففيه تغليبٌ، وقالَ البيضاويُّ[1]: الضَّميرُ لكلِّ نفسٍ على المعنى؛ لأنَّه في معنى كلِّ إنسانٍ.

قولُه: (يا اللهُ) الميمُ عوَضٌ من[2] (يا)؛ ولذلك لا يجتمعانِ، وهو من خصائصِ هذا الاسمِ، كدخولِها عليه مع لامِ التَّعريفِ، وقطْعِ همزتِهِ وتاءِ القسمِ، وقيل: أصلُهُ يا اللهُ أُمَّنا بخيرٍ، فخُفِّفَ بحذفِ حرفِ النِّداءِ ومتعلِّقاتِ الفعلِ وهمزتِهِ.

قولُه: (تُعطِي) فالمُلكُ الأوَّلُ عامٌّ والآخرانِ بعضانِ منه، فقيل: المرادُ مُلكُ العلمِ، أو مُلكُ القناعةِ، أو مُلكُ إحياءِ اللَّيلِ.

قولُه: (بنَزعِهِ منهُ) وقد يكونُ الأمرُ بالعَكسِ إن كان الملكُ ظاهريًّا؛ ولذا قالَ ابنُ عطاءٍ[3]: ربَّما أعطاكَ فمنعَكَ، وربَّما منعكَ فأعطاكَ.

قولُه: (بقُدرتِكَ) وتصرُّفِكَ.

قولُه: (أي: والشَّرُّ) فيكونُ من بابِ الاكتِفاءِ، أو من طريقِ الأدبِ، أو لأنَّ المقامَ مقامُ المرغُوبِ فيه، أو لأنَّ الخيرَ مقضيٌّ بالذَّاتِ والشَّرَّ مقضِيٌّ بالعرضِ؛ إذ لا يُوجَدُ شرٌّ جزئيٌّ ما لم يتضمَّنَ خيراً كليًّا.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١١).

(٢) في (ص): «عن».

(٣) انظر: «الحكم العطائية» (ص: ٦٠) الحكمة الثالثة والثمانون.

﴿وتُخرِجُ المَيْتَ﴾ كالنُّطفة والبيضة ﴿مِنَ الحَيِّ، وتَرزُقُ مَن تَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾، أي: رزقًا واسِعًا.

٢٨ ـ ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ أولِياءَ﴾ يُوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غيرِ ﴿المُؤمِنِينَ ـ ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ أي: يُوالِهم ﴿فلَيسَ مِنَ﴾ دِينِ ﴿اللهِ في شَيءٍ ـ إلاّ أنْ تَتَّقُوا مِنهُم تُقاةً﴾: مصدر: تَقيتُه، أي: تخافوا مَخافةً، فلكم موالاتُهم باللسان دُون القلب. وهذا قبل عِزّة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًّا فيها. ﴿ويُحَذِّرُكُمُ﴾: يُخوِّفُكم ﴿اللهُ نَفْسَهُ﴾ أن يغضب عليكم، إن والَيتُموهم، ﴿وإلَى اللهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِع فيجازيكم.

قولُه: (والبيْضَةِ) وكالعالمِ من الجاهلِ، والصَّالحِ من الفَاسِقِ، والذَّاكرِ من الغَافلِ؛ إذ قالَ ﷺ: «مثلُ الَّذي يذكرُ ربَّهُ والَّذي لا يذكرُ ربَّهُ مثلُ الحيِّ والميِّتِ»[١]، أو المؤمنِ من الكافرِ، وكانَ ﷺ إذا رأى عكرمةَ ابن أبي جهلٍ يقولُ: «﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]»[٢].

قولُه: (يُوَالونَهُمْ) الظَّاهرُ: يوالُوهُم؛ لأنَّ ﴿لا﴾ ناهيةٌ.

قولُه: (أي: غَيرِ) أو ﴿دُونِ﴾ بمعنى التَّجاوزِ؛ أي: مجاوزِينَ المؤمنينَ.

قولُه: (يوَالِيهِمْ) الأولَى: يوالِهم[٣] كما في نسخةٍ، وهذا تفسيرٌ بالمعنى، وإلَّا فالإشارةُ في ذلك إلى الاتِّخاذِ.

قولُه: (مصدَرُ تقيتُهُ) في «القاموسِ»[٤]: اتَّقيتُ الشَّيءَ وتقيتُهُ تقاةً وتقيَّةً حذِرتُه، والاسمُ: التَّقوى، أصلُهُ: تَقْياً، قلبوهُ للفرقِ بين الاسمِ والصِّفةِ.

قولُه: (وهذَا) أي: الاتِّقاءُ.

قولُه: (ليسَ قويًّا) أي: الإسلامُ، أو هو نفسُهُ.

قولُه: (أنْ يَغْضَبَ) بدلٌ من مفعولِ يحذِّرُ، وفي نسخةٍ: أي: التَّفسيريَّةِ، وهو تصحيفٌ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «من قوله: يوالوهم...إلى قوله:... الأولى يوالهم»: ليست في (م).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٣٤٤).

٢٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنْ تُخفوا ما في صُدُورِكُم﴾: قُلوبكم من مُوالاتهم، ﴿أو تُبدُوهُ﴾: تُظهروه، ﴿يَعلَمْهُ اللهُ. و﴾ هو ﴿يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ. واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه تعذيب مَن والاهم.

٣٠ ـ اذكرْ ﴿يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ﴾ـهُ ﴿مِن خَيرٍ مُحضَرًا، وما عَمِلَتْ﴾ـهُ ﴿مِن سُوءٍ﴾: مبتدأ خبرُه ﴿تَوَدُّ لَو أنَّ بَينَها وبَينَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾: غايةً في نهاية البعد، فلا يصل إليها. ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ﴾ ـ كُرّر للتأكيد ـ ﴿واللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبادِ﴾.

ونزل لمّا قالوا: «ما نعبد الأصنام إلاّ حُبًّا لِلهِ، ليُقرّبونا إليه»: ٣١ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمّد: ﴿إنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي، يُحبِبْكُمُ اللهُ﴾ بمعنى أنه يُثيبكم، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. واللهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتّبعني ما سلفَ منه قبل ذلك ﴿رَحِيمٌ﴾ به. ٣٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الطاعة ﴿فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾. فيه إقامة الظاهر مَقام المُضمر أي: لا يُحبُّهم بمعنى أنه يُعاقبهم. ٣٣ ـ ﴿إنَّ اللهَ اصطَفَى﴾: اختار ﴿آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبراهِيمَ وآلَ عِمرانَ﴾ بمعنى: أنفُسَهما ﴿علَى العالَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم،...

قولُه: (﴿و﴾هوَ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿يعلمُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وليسَ بعطفٍ على ما قبلَهُ، وإلّا لكانَ مجزوماً.

قولُه: (اذكرْ) وقيل: منصُوبٌ بـ﴿تود﴾.

قولُه: (مُبْتدأٌ) ويجوزُ أن يكونَ عطفاً على: ﴿مَا عَمِلَتْ﴾، و﴿تَوَدُّ﴾ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿عَمِلَتْ﴾ أو استئنافٌ.

قولُه: (خبرُهُ ﴿تَوَدُّ﴾) وضميرُ ﴿بَيْنَهُ﴾ لـ﴿مَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾.

قولُه: (للتَّأكيدِ) والتَّذكيرِ ليكونَ على بالٍ، أو الأوَّلُ للموالاةِ والثَّاني لعملِ السُّوءِ.

قولُه: (أعرَضُوا) أو تُعرِضُوا؛ فإنَّهُ يحتملُ الماضِيَ والمضَارعَ.

قولُه: (فيهِ إقَامةُ الظَّاهرِ) لقصْدِ العُمومِ والدَّلالةِ على أنَّ التَّولِّي كفرٌ.

قولُه: (بمَعْنَى: أنفسَهما) فالآلُ مقحمةٌ، وقيل: آلُ إبراهيمَ للأنبياءِ بعدهُ، وآلُ عِمرانَ: عيسى وأمُّهُ.

قولُه: (مِن نسلِهم) أي: اصطفاهُم بالرِّسالةِ والخصائصِ الرُّوحانيَّةِ والفضائلِ الجسمانيَّةِ.

٣٤ـ ﴿ذُرِّيَّةً بَعضُها مِن﴾ ولدِ ﴿بَعضٍ﴾ منهم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٣٥ـ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ امرأةُ عِمرانَ﴾ حَنَّةُ، لمّا أسنَّت واشتاقت للولد، فدعَتِ اللهَ وأحسَّت بالحمل: يا ﴿رَبِّ، إنِّي نَذَرتُ﴾ أن أجعلَ ﴿لَكَ ما في بَطنِي مُحَرَّرًا﴾: عتيقًا خالِصًا من شواغل الدنيا لخِدمة بيتك المُقدّس. ﴿فتَقَبَّلْ مِنِّيَ. إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ﴾ للدُّعاء ﴿العَلِيمُ﴾ بالنيّات. وهَلَكَ عِمرانُ وهي حامِلٌ.

٣٦ـ ﴿فلَمّا وَضَعَتْها﴾: ولَدَتْها جاريةً، وكانت ترجو أن يكون غُلامًا إذ لم يكن يُحرَّرُ إلاّ الغِلمانُ، ﴿قالَتْ﴾ مُعتذرةً: يا ﴿رَبِّ، إنِّي وَضَعتُها أُنثَى ـ واللهُ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِما وضَعَتْ﴾: جملةُ اعتراض من كلامه تعالى. وفي قراءة...

قولُه تعالى: (﴿ذُرِّيَّةً﴾) حالٌ أو بدلٌ من الآلَينِ، أو منهما ومن نوحٍ؛ أي: أنّهم ذرِّيَّةٌ واحدةٌ متشعِّبةٌ بعضها من بعضٍ.

قولُه: (﴿مِن﴾ ولد ﴿بَعْضٍ﴾) وقيل: بعضها من بعضٍ في الدِّينِ.

قولُه: (لمَّا أسَنَّتْ) بتشديدِ النُّونِ؛ أي: دخلَت في السِّنِّ؛ أي: صارَتْ مُسنَّةً، وفي نسخةٍ: أيسَتْ؛ أي: من الولدِ لكبرِهَا.

قولُه: (واشتَاقَتِ الولدَ) في «القاموسِ»[1]: اشتاقَهُ وإليه بمعنًى.

قولُه: (وأحسَّتْ) وفي نسخةٍ: «فأحسَّتْ»، وهو أولى.

قولُه: (وهلكَ) أي: ماتَ، وهو أنسبُ.

قولُه تعالى: (﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾) الضَّميرُ لما في بَطنِها، وتأنيثُهُ لأنَّهُ كانَ أُنثَى، وجازَ انتصَابُ ﴿أُنثَى﴾ حالاً عنهُ؛ يعني: مؤكِّدةً؛ لأنَّ تأنيثَها عُلِمَ منه؛ فإنَّ الحالَ وصاحِبَها بالذَّاتِ واحدٌ، أو على تأويلِ مؤنَّثٍ كالنَّفسِ والجبلَّةِ والنَّسمةِ.

قولُه: (أي: عَالِمٌ) الظَّاهرُ أنَّ: ﴿أَعْلَمُ﴾ على بابِهِ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لابنِ عامرٍ وأبي بكرٍ[2].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٩٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٠).

بضمّ التاء. ﴿وليس الذَّكَرُ﴾ الذي طلبتْ ﴿كالأُنثى﴾ التي وَهَبتُ لأنه يُقصَد للخِدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعَورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ـ ﴿وإنِّي سَمَّيتُها مريَمَ، وإنِّيَ أُعِيذُها بِكَ وذُرِّيّتَها﴾: أولادها ﴿مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود. وفي الحديث: «ما مِن مَولودٍ يُولَدُ إلاّ مَسَّهُ الشَّيطانُ حِينَ يُولَدُ، فيَستهِلُّ صارِخًا [مِن مَسِّهِ إيّاهُ]، إلاّ مَريَمَ وابنَها». رواه الشيخان.

٣٧ ـ ﴿فتقَبَّلَها رَبُّها﴾ أي: قَبِلَ مريمَ من أُمّها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وأنبَتَها نَباتًا حَسَنًا﴾: أنشأها بِخَلق حسن، فكانت تَنبتُ في اليوم كما ينبت المولود في العام ـ وأتت بها أُمُّها الأحبارَ سَدَنةَ بيت المقدس، فقالت: دُونكم هذه النَّذيرةَ فتنافسوا فيها لأنّها بنتُ إمامهم، فقال زكريّاءُ: أنا أحقّ بها لأن خالتها عندي. فقالوا: لا، حتّى نقترعَ. فانطلقوا، وهم تسعة وعشرون، إلى نهر الأُردُنّ وألقَوا أقلامهم، على أنّ مَن ثَبَتَ قلمه في الماء وصعِدَ فهو أَولى بها، فثَبَتَ قلم زكريّاءَ فأخذها، وبنى لها غُرفة في المسجد بِسُلّم، لا يَصعد إليها غيرُه ـ وكان يأتيها بأكلها وشُربها ودُهنها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، كما قال تعالى ﴿وكَفَلَها زَكَرِيّاءُ﴾: ضمَّها إليه ـ وفي قراءة بالتشديد............

قولُه: (بضَمِّ التَّاءِ) أي: وسكونِ العينِ على أَنَّهُ من كلامِها تسليةً لنَفسِها؛ أي: ولعلَّ للهِ فيه سرًّا والأُنثى كانَت خيراً.

قولُه: (طلبْتُ) بضمِّ التَّاءِ.

قولُه: (المَطْرودِ) أي: عن الرَّحمةِ، أو الطَّاردِ عن الطَّاعةِ.

قولُه: (فيستَهِلُّ) أي: يرفعُ صوتَهُ، و(صَارِخاً) أي: صائحاً.

قولُه: (بخَلْقٍ) بفتحِ الخاءِ.

قولُه: (سَدَنَةَ) خدمَةَ وزناً ومعنًى.

قولُه: (دونَكُمْ هذِهِ النَّذِيرةَ) أي: الزَموا المنذورةَ.

قولُه: (فتنَافسُوا) أي: رغبُوا فيها رغبَةَ الشَّيءِ النَّفيسِ.

قولُه: (ثبَتَ) أي: رسَبَ ونزلَ تحت الماءِ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) للكوفيِّينَ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٤).

ونصبِ «زكريّـاء» ممدودًا ومقصـورًا، والفاعـلُ اللهُ ـ ﴿كُلَّما دَخَلَ علَيها زَكَرِيّاءُ المِحرابَ﴾: الغُرفة ـوهـي أشـرف المَجالـس ـ ﴿وَجَدَ عِندَها رِزقًا. قـالَ: يا مَريَمُ، أنَّى﴾: مِن أيـنَ ﴿لَكِ هـذا؟ قالَتْ﴾ وهـي صغيـرةٌ: ﴿هُـوَ مِـن عِنـدِ اللهِ﴾ يأتيني به مـن الجنّـة. ﴿إنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِساب﴾ رزقًا واسعًا بلا تَبِعة.

٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿هُنالِكَ﴾ أي: لمّا رأى زكريّاءُ ذلك، وعلم أنّ القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكِبَر، وكان أهل بيته انقرضوا، ﴿دَعا زَكَرِيّاءُ رَبَّهُ﴾ لمّا دخل المِحراب للصلاة جوف الليل، ﴿قالَ: رَبِّ، هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ﴾: مِن عِندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولدًا صالحًا. ﴿إنَّكَ سَمِيعُ﴾: مُجيبُ..

قولُه: (ونصْبِ ﴿زَكَرِيَّا﴾ ممدُوداً) لأبي بكرٍ، وقوله: (مقصُوراً) لبقيَّة الكوفيِّينَ[١].

قولُه: (والفَاعلُ) يعني: على التَّشديدِ.

قولُه: (الغُرْفَةَ) وفسَّرَ[٢] في (سبأ)[٣] المحرابَ ببناءٍ مرتفعٍ يصعدُ إليه بدرجٍ، وفي (ص)[٤] بالمسجدِ، والجمعُ ممكنٌ.

قال تعالى: (﴿رِزْقًا﴾) عن مجاهدٍ قالَ: علماً، كذا في «الدُّرِّ»[٥]، والأظهرُ الجمعُ.

قولُه: (مِنَ الجنَّةِ) وعلى قولِ مجاهدٍ؛ يعني: علماً لدُنِّيًّا.

قولُه: (بلَا تَبِعَةٍ) وبلا تعَبٍ وبكثرةٍ.

قولُه: (وعلمَ) أي: وقد علمَ لكنَّهُ تذكَّرهُ.

قولُه: (وكانَ أهلُ بيتِهِ) أي: أقاربُهُ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) أي: جلال الدين المحلي.

(٣) في الآية رقم: (١٣) وهي قوله تعالى: ﴿يعملون ما يشاء من محاريب...﴾ الآية.

(٤) في الآية رقم: (٢١) وهي قوله تعالى: ﴿... إذ تسوروا المحراب﴾.

(٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٨٦).

والأثر رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠).

﴿الدُّعاءِ. فنادَتهُ المَلائكةُ﴾ أي: جبريلُ، ﴿وهُوَ قائمٌ يُصَلِّي في المِحرابِ﴾ أي: المسجدِ ﴿أنَّ﴾ أي: بأنّ - وفي قراءة بالكسر بتقدير القول - ﴿اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾، مثقَّلاً ومخفَّفًا، ﴿بِيَحيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمةٍ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: بعيسى أنه رُوح الله - وسُمّي كلمةً لأنّه خُلق بكلمة «كُن» - ﴿وسَيِّدًا﴾: متبوعًا ﴿وحَصُورًا﴾: مَنُوعًا من النساء ﴿ونَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. رُوي أنه لم يعمل خطيئةً، ولم يَهِمّ بها.

٤٠ - ﴿قالَ: رَبِّ، أنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾: ولد، ﴿وقَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ﴾ أي: بلغتُ نهايةَ السنِّ مِائةً وعشرين سنة، ﴿وامرأتِي عاقِرٌ﴾ بلغتْ ثمانيَ وتسعين سنة؟ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكَ﴾ مِن خلقِ غلامٍ منكما. ﴿اللهُ يَفعَلُ ما يَشاءُ﴾ لا يُعجزه عنه شيء. ولإظهار هذه القُدرة العظيمة ألهمَه السؤالَ ليُجابَ بها. ولمّا تاقت نفسه إلى سرعة المُبشَّر به........................

قولُه تعالى: (﴿فَنَادَتْهُ﴾) حمزةُ والكسائيُّ بالتَّذكيرِ والإمالةِ[١].

قولُه: (أي: جِبْرِيلُ) فالجمعُ للتَّعظيمِ، وقيل: كانَ معه جمعٌ لكن لمَّا كان هو المتكلِّمُ نُسِبَ إليه.

قولُه: (وَفِي قِرَاءةٍ) أي: لحمزةَ وابنِ عامرٍ[٢]، وأمَّا نسبةُ القَاضِي[٣] القراءةَ لنافعٍ فغيرُ صَحيحٍ.

قولُه: (بتَقْدِيرِ القَولِ) أو لأنَّ النِّداءَ نوعٌ منه.

قولُه: (مخفَّفاً) على وزنِ ينصرُ لحمزةَ والكسائيِّ[٤].

قولُه: (أي: بعِيْسَى) أو بكتابِ اللهِ، سُمِّيَ كلمةً كالقَصِيدةِ.

قولُه: (مِنَ النِّساءِ) معَ القُدرةِ ومن الملاهِي، رُوِيَ: أنَّ الصِّبيانَ دعوهُ إلى اللَّعبِ فقال: ما للَّعبِ خُلِقتُ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر المصارد السابقة.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٣).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢٣)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٩٦)، وأحمد في «الزهد» (٤٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٥) عن معمر قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا....

ورواه الحاكم في «تاريخه» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

٤١ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اجعَلْ لِيَ آيةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي. ﴿قالَ: آيتُكَ﴾ عليه ﴿ألاّ تُكَلِّمَ النّاسَ﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم، بخلاف ذِكرِ الله ـ تعالى ـ ﴿ثلاثةَ أيامٍ﴾ أي: بلياليها، ﴿إلاّ رَمزًا﴾: إشارة. ﴿واذكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا، وسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِالعَشِيِّ والإبكارِ﴾: أواخرِ النهار وأوائله.

٤٢ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ المَلائكةُ﴾ أي: جِبريلُ: ﴿يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ اصطَفاكِ﴾: اختارَكِ ﴿وطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال، ﴿واصطَفاكِ علَى نِساءِ العالَمِينَ﴾ أي: أهلِ زمانكِ. ٤٣ ـ ﴿يا مَريَمُ، اقنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعِيه، ﴿واسجُدِي واركَعِي مَعَ الرّاكِعِينَ﴾ أي: صلِّي مع المُصلِّين.

٤٤ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريّاءَ ومريمَ ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبار ما غاب عنك، ﴿نُوحِيهِ إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يُلقُونَ أقلامَهُم﴾ في الماء، يقترعون ليَظهر لهم ﴿أيُّهُم يَكفُلُ﴾: يُربّي ﴿مَريَمَ؟ وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يَختَصِمُونَ﴾ في كفالتها، فتعرفَ ذلك فتُخبِرَ به. وإنما عرَفتَه من جهة الوحي.

٤٥ ـ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ المَلائِكةُ﴾ أي جبريلُ: ﴿يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ مِنهُ﴾ أي: ولدٍ ﴿اسمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ﴾ ـ خاطبها بنسبته إليها تنبيهًا على أنها تلده بلا أبٍ، إذْ عادةُ الرجال نسبتُهم إلى آبائهم ـ ﴿وَجِيهًا﴾:..

قولُه: (صلِّ) أو تخصِيصٌ بعدَ تعميمٍ في الذِّكرِ والوَقتِ.

قولُه: (اختَارَكِ) الاصطفَاءُ الأوَّلُ: تقبُّلُهَا من أمِّهَا ولم يقبلْ قبلَهَا أُنثَى، وتفريغُها للعبادةِ وإغناؤُهَا برزقِ الجنَّةِ من غيرِ[1] الكسبِ، والثَّانِي: هدايَتُها وإرسالُ الملائكةِ إليها، وتخصِيصُها بالكرَاماتِ السَّنيَّةِ، وتبرِئتُها ممَّا قذفَتْهُ اليهودُ بإنطاقِ ولَدِها الطِّفلِ، وجَعلُها وابنَها آيةً للعالَمِينَ.

قولُه: (مِنْ مَسِيسِ الرِّجالِ) ومما يُستقذَرُ من النِّساءِ.

قولُه: (فِي المَاءِ) قيلَ: على نهرٍ بحلبَ، كذا في «المبهماتِ»[2].

قولُه: (عادَةُ الرِّجالِ) أي: خصُوصاً، وإلَّا فكذا عادةُ النِّساءِ أيضاً.

---

(١) «غير»: مثبت من (ص).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٢٤). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١١) عن سعيد بن إسحاق الدمشقي.

ذا جاه ﴿في الدُّنيا﴾ بالنبوّة ﴿والآخِرةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العُلا، ﴿ومِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ عند الله، ٤٦ ـ ﴿ويُكَلِّمُ النّاسَ في المَهدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وكَهلاً، ومِنَ الصّالِحِينَ﴾.

٤٧ ـ ﴿قالَتْ: رَبِّ، أنّى﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ، ولَم يَمسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوّج ولا غيره؟ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب. ﴿اللهُ يَخلُقُ ما يَشاءُ، إذا قَضى أمرًا﴾: أراد خلْقَه ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

٤٨ ـ ﴿ونُعَلِّمُهُ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿الكِتابَ﴾: الخطَّ ﴿والحِكْمةَ والتَّوراةَ والإنجِيلَ﴾، ٤٩ ـ ﴿و﴾ نجعلُه ﴿رَسُولاً إلَى بَنِي إسرائيلَ﴾ في الصِّبا أو بعدَ البلوغ. فنفخ جِبريلُ في جَيبِ دِرعها فحَملتْ، وكان من أمرها ما ذُكر في سورة «مريم».

فلمّا بعثه اللهُ إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول اللهِ إليكم، ﴿أنّي﴾ أي: بأني ﴿قَد جِئتُكُم بِآيَةٍ﴾: علامة على صدقي ﴿مِن رَبِّكُم﴾، هي ﴿أنّيَ﴾ ـ وفي قِراءة بالكسر استئنافًا ـ ﴿أخلُقُ﴾: أصوِّر ﴿لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ﴾: مثلَ صورته ـ فالكاف: اسمٌ مفعولٌ ـ ﴿فأنفُخُ فِيهِ﴾.........

قولُه: (أي: طِفْلاً) إشارةٌ إلى أنَّ الجارَّ والمجرورَ في محلِّ النَّصبِ على أنَّهُ حالٌ.

قالَ تعَالى: (﴿وَكَهْلًا﴾) يفيدُ نزولَهُ قبلَ السَّاعةِ؛ لأنَّهُ رُفِعَ قبلَ الكهُولةِ كما ذكرَهُ المصنِّفُ في (المائدةِ)[1]، أو معناهُ: يكلِّمُهُمْ حالَ كونِهِ طفلاً وكهلاً كلامَ الأنبياءِ من غيرِ تفاوتٍ.

قولُه: (أي: فهُو يَكُونُ) هذا على قراءةِ الرَّفعِ، وقرأَ ابنُ عامرٍ بالنَّصبِ جواباً للأمرِ[2].

قولُه: (والياءِ) لنافعٍ وعاصِمٍ[3].

قولُه: (الخَطَّ) أو جنْسَ الكتبِ.

قولُه: (هيَ ﴿أَنِّي﴾) فيكونُ محلُّهُ رفعاً، وقيل: نصبٌ بدلُ: ﴿أَنِّي قد جئتُكُمْ﴾، وقيل: جرٌّ بدلُ ﴿آيَةٍ﴾.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ[4]، وهو وابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو يفتحونَ الياءَ[5].

قولُه: (اسمٌ) أي: لا حرفٌ (مفعولٌ) أي: لـ(أخلقُ).

---

(١) في الآية رقم: (١١٠).

(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٨٨٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٤).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٢).

الضميرُ للكاف ﴿فيَكُونُ طَيرًا﴾، وفي قراءةٍ: «طائرًا»، ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته ـ فخلق لهم الخُفّاش لأنه أكمل الطير خَلقًا، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعيُنهم سقط ميْتًا ـ ﴿وأُبرِئُ﴾: أَشفي ﴿الأكمَهَ﴾: الذي وُلد أعمى ﴿والأبرَصَ﴾ ـ وخُصّا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثُه في زمن الطبّ، فأبرأ في يومٍ خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان ـ ﴿وأُحيِي المَوتَى بِإذنِ اللهِ﴾ ـ كرّره لنفي توهّم الألوهيّة فيه. فأحيا عازرَ صديقًا له وابنَ العجوز وابنةَ العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسامَ بن نوح وماتَ في الحال ـ ﴿وأُنَبِّئُكُم بِما تأكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ﴾: تَخبَؤُون ﴿في بُيُوتِكُم﴾ ممّا لم أُعاينْه. فكان يُخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً لَكُم، إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾.

٥٠ ـ ﴿و﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ﴾: قَبلي ﴿مِنَ التَّوراةِ، ولِأُحِلَّ لَكُم بَعضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيكُم﴾ فيها ـ فأَحَلَّ لهم من السمك والطير ما لا صِيصِيةَ له. وقيل: أَحلّ الجميع، فبعض بمعنى: كلّ ـ ﴿وجِئتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُم﴾ ـ كرّره تأكيدًا ولِيُبنَى عليه:..........

قولُه: (الضَّميرُ للكَافِ) أي: ليكونَ المرجعُ بحسَبِ اللَّفظِ وإنْ كانَ في التَّحقِيقِ هو الشَّيءُ الموصُوفُ بالمَمَاثلةِ، وقيل: الضَّميرُ إلى الطِّينِ المهيَّأ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ[1].

قولُه: (داءَا إعيَاءٍ) بالإضافةِ؛ أي: داءانِ عجزَ الأطبَّاءُ عن دوائِهما.

قولُه: (كرَّرَهُ) أي: قولَهُ: ﴿بِإِذنِ اللهِ﴾.

قولُه: (لنَفِي توهُّمِ الألوهيَّةِ) فإنَّ الإحياءَ ليس من جنسِ أفعالِ البشرِ.

قولُه: (تخبَّئونَ) أي: تخفونَ، مأخوذٌ من الذَّخيرةِ.

قولُه: (جِئتُكُمْ) أي: منصوبٌ بإضمارِ فعلٍ دلَّ عليه: ﴿قَدْ جِئتُكُمْ﴾ لا أنَّهُ معطوفٌ على ﴿رَسُولاً﴾، أو على الأحوالِ الَّتي قبلَهُ؛ لأنَّهُ وجبَ أن يقولَ: (لما بين يديهِ)، فافهَمْ.

قولُه: (صِيصَةَ[2]) بالكَسرِ وهي ما يدفعُ به الطَّيرُ أو السَّمكُ عن نفسِهِ، ويقالُ لشوكةِ الدِّيكِ الَّذي في رجلِهِ: صيصَةٌ، ويقالُ للقَرْنِ أيضاً صيصَةٌ[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ص) هنا والمواضع التالية: «صيصية».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٨٦).

﴿فاتَّقُوا اللهَ، وأطِيعُونِ﴾ فيما آمُرُكم به من توحيد الله وطاعته ـ ٥١ ـ ﴿إنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم. فاعبُدُوهُ. هذا﴾ الذي آمرُكم به ﴿صِراطٌ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٌ﴾. فكذّبوه ولم يؤمنوا به.

٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿فلَمّا أحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَى مِنهُمُ الكُفرَ﴾، وأرادوا قتله، ﴿قالَ: مَن أنصارِيَ﴾: أعواني ذاهبًا ﴿إلَى اللهِ﴾ لأنصرَ دينه؟ ﴿قالَ الحَوارِيُّونَ: نَحنُ أنصارُ اللهِ﴾: أعوان دينه ـ وهم أصفياء عيسى أوّلُ مَن آمنَ به، وكانوا اثنَي عَشَرَ من الحَوَرِ، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثياب أي: يُبيّضونها ـ ﴿آمَنّا﴾: صدّقنا ﴿بِاللهِ. واشهَدْ﴾ ـ يا عيسى ـ ﴿بِأنّا مُسلِمُونَ. رَبَّنا، آمَنَّا بِما أنزَلتَ﴾ من الإنجيل، ﴿واتَّبَعْنا الرَّسُولَ﴾ عيسى. ﴿فاكتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدانيّة ولرسولك بالصِّدق.

٥٤ ـ قال تعالى: ﴿ومَكَرُوا﴾ أي: كُفّارُ بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غِيلة، ﴿ومَكَرَ اللهُ﴾ بهم بأن ألقى شَبَهَ عيسى على مَن قصد قتله فقتلوه، ورُفع عيسى، ﴿واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ﴾: أعلمُهم به. ٥٥ ـ اذكرْ ﴿إذ قالَ اللهُ: يا عِيسَى، إنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك، ﴿ورافِعُكَ إلَيَّ﴾ من الدنيا من غير موت، ﴿ومُطَهِّرُكَ﴾: مُبعِدك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: صدّقوا بنبُوّتك من المُسلمين والنصارى ﴿فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود، يَعلُونهم بالحُجّة والسيف ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ، ثُمَّ إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأحكُمُ بَينَكُم فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

قولُه: (فيمَا آمُرُكُمْ) بصيغةِ المتكلِّمِ، وكذا ما بعدَهُ.

قولُه: (داعِياً) وفي نسخةٍ: ذاهباً؛ أي: متوجِّهاً وملتجِئاً، وقيلَ: ﴿إلَى﴾ هنا بمعنى: مع، أو: في، أو اللّامِ.

قولُه: (وقيل: كانُوا قصَّارِينَ) وقيل: كانُوا ملوكاً يلبَسونَ البيضَ، استنصَرَ بهم عيسى من اليهودِ.

قولُه: (غِيلَةً) أي: غفْلَةً.

قولُه: (﴿ومكر الله﴾ بِهِم بأنْ ألقَى) أي: عاملَهُم معامَلَةَ الماكرِ.

قولُه: (قابِضَكَ) أي: آخذكَ من الأرضِ وافياً لم ينالُوا منك شيئاً، من توفَّيتُ مالِي؛ أي: أخذتُهُ، أو: متوفِّيكَ نائِماً؛ إذ رُوِيَ أنَّهُ رُفِعَ نائماً[1]، أو: مُميتُكَ عن الشَّهواتِ العائقةِ عن العرُوجِ إلى عالمِ الملكُوتِ، وقيل: أماتَهُ اللهُ سبعَ ساعاتٍ ثمَّ رفعَهُ اللهُ إلى السَّماءِ، وإليه ذهبَ النَّصارى.

قولُه: (مِنَ الدُّنيا) الأحسَنُ: إلى محلِّ كرامِتي ومقرِّ ملائكَتِي.

قولُه: (ومُبعِدُكَ) أي: مِن سوءِ جوارِهِم ومَكرِهِم وقصدِهِم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧١٣٣) عن الربيع.

٥٦ ـ ﴿فأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فأُعَذِّبُهُم عَذابًا شَدِيدًا في الدُّنيا﴾ بالقتل والسبي وأخذ الجِزية ﴿والآخِرةِ﴾ بالنار، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانِعين منه، ٥٧ ـ ﴿وأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿أُجُورَهُم. واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾ أي: يُعاقبُهم.

رُوي أنّ الله أرسل إليه سحابة فرفعتْه، فتعلّقتْ به أُمّه وبكت، فقال لها: إنّ القِيامة تجمَعنا. وكان ذلك ليلةَ القدر ببيت المَقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أُمّه بعده ستَّ سِنين. ورَوى الشيخان حديثَ «أنّه يَنزِلُ قُربَ السّاعةِ ويَحكُمُ بِشَرِيعةِ نَبِيِّنا، ويَقتُلُ الدَّجّالَ والخِنزِيرَ ويَكسِرُ الصَّلِيبَ ويَضَعُ الجِزيةَ». وفي حديث مسلم أنّه يمكثُ سبعَ سنينَ ـ وفي حديثٍ عند أبي داودَ الطيالسيّ: أربعينَ سنة ـ ويُتوفَّى ويُصلَّى عليه. فيَحتمل أنّ المُراد مجموع لَبثِه في الأرض قبل الرفع وبعده.

٥٨ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتلُوهُ﴾: نقصّه ﴿علَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿مِنَ الآياتِ﴾: حالٌ من الهاء في «نتلوه» وعامِلُه ما في «ذلك» من معنى الإشارة، ﴿والذِّكرِ الحَكِيمِ﴾ المُحكَمِ أي: القرآن ٥٩ ـ ﴿إنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾: شأنَه الغريبَ ﴿عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: كشأنه في خلقه من غير أب ـ وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ....

قولُه: (بالياءِ) لحفصٍ[1].

قولُه: (إنَّ اللهَ) وفي نسخةٍ: إنَّ القيامةَ.

قولُه: (ويَضَعُ الجِزْيةَ[2]) يعني: لا يقبلُها؛ فإنَّ نَبيَّنا ﷺ علَّقَ جوازَ أَخْذِ الجزيةِ إلى زمانِهِ، لا أَنَّهُ يحكمُ من عندِهِ.

قولُه: (ويُصَلَّى عليهِ[3]) قيل: ويُدفَنُ بين نبيِّنا ﷺ والصِّدِّيقِ رضي الله عنه.

قولُه: (حالٌ مِنَ الهاءِ) أو هو الخبرُ، و﴿نَتْلُوهُ﴾ حالٌ.

قولُه: (المُحكَمِ) أي: الممنوعِ عن تطرُّقِ الخللِ إليه، أو المشتمِلِ على الحكمِ، أو الحاكمِ بين الحقِّ والباطلِ.

قولُه: (أي: القُرآنِ) وقيل: اللَّوحِ.

قولُه: (مِن غَيرِ أبٍ) الظَّاهرُ: وغيرِ أمٍّ؛ ليكونَ أغربَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد في «مسنده» (٩٢٧٠)، والطيالسي في «مسنده» (٢٦٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ليكون أقطعَ للخصم وأوقع في النفس- ﴿خَلَقَهُ﴾ أي: آدمَ أي: قالَبَهُ ﴿مِن تُرابٍ، ثُمَّ قالَ لَهُ: كُنْ﴾ بَشرًا. ﴿فيَكُونُ﴾ أي: فكان. وكذلك عيسى قال له: كنْ من غير أب. فكان. ٦٠ ـ ﴿الحَقُّ مِن رَبِّكَ﴾: خبرُ مبتدإٍ محذوف أي: أمرُ عيسى. ﴿فلا تَكُنْ مِنَ المُمتَرِينَ﴾: الشاكِّين فيه.

٦١ ـ ﴿فمَن حاجَّكَ﴾: جادلَك من النصارى ﴿فِيهِ مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾ بأمرِهِ ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعالَوا، نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم﴾ فنَجمَعْهم، ﴿ثُمَّ نَبتَهِلْ﴾: نتضرَّعْ في الدعاء، ﴿فنَجعَلْ لَعْنَةَ اللهِ علَى الكاذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللّهمّ العنِ الكاذبَ في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفدَ نجرانَ لذلك لمّا حاجُّوه فيه، فقالوا: حتّى ننظرَ في أمرنا ثمّ نأتيَك. فقال ذو رأيهم: لقد عرفتُم نبوّته، وأنه ما باهَلَ قومٌ نبيًّا إلاّ هَلَكوا. فوادِعوا الرجلَ وانصرِفوا. فأتَوهُ وقد خرج، ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ، وقال لهم: «إذا دَعَوتُ فأمِّنُوا»، فأبَوا أن يُباهِلوا، وصالَحوه على الجِزية. وعن ابن عبّاس: لو خرج الذين يباهِلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. وفي رواية: لو خرجوا لاحترقوا.

٦٢ ـ ﴿إنَّ هذا﴾ المذكورَ ﴿لَهُوَ القَصَصُ﴾: الخبر ﴿الحَقُّ﴾: الذي لا شكّ فيه، ﴿وما مِن﴾: زائدةٌ ﴿إلـٰهٍ إلاّ اللهُ، وإنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه. ٦٣ ـ ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عنِ الإيمان ﴿فإنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالمُفسِدِينَ﴾ فيُجازيهم. وفيه وضع الظاهر موضع المُضمر.

قولُه: (أي: فكَانَ) فيكونُ حكايةَ حالٍ ماضيةٍ، أو العدولُ للفصلِ.

قوله تعَالى: (﴿وَنِسَاءَنَا﴾) أي: بناتِنا (﴿وَأَنفُسَنَا﴾) أي: أقاربَنا، كما يدلُّ عليه الحديثُ الآتي[1].

قولُه: (فوادِعُوا) أي: صالِحوا.

قولُه: (وعليٌّ) وجهُ تأخيرِهِ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ: رعايةٌ للَّفِّ والنَّشرِ التَّرتيبيِّ، وفيه منقبةٌ عليَّةٌ له حيثُ عبَّرَ عنه بنفسِ النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (فأبَوا) أي: النَّصارى.

قولُه: [﴿مِنْ﴾][2] زائدةٌ للاستغراقِ.

قولُه: (موضِعَ المُضْمرِ) ليدلَّ على أنَّ التولِّيَ عنِ الحُجَجِ والإعراضَ عن التَّوحيدِ إفسادٌ للدِّينِ والاعتقادِ المؤدِّي إلى فسادِ النَّفسِ، بل وإلى فسادِ العالَمِ.

---

(١) أي: الحديث الذي ساقه المصنف من رواية أبي نعيم، وهو ما رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ﴿من﴾ ساقطة في كل الأصول إلا أن السياق يدل عليها، ثم قوله: (زائدة) ليست في المتن.

٦٤ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿تَعالَوا إلَى كَلِمةٍ سَواءٍ﴾: مصدرٌ بمعنى مُستَوٍ أمرُها ﴿بَينَنا وبَينكُم﴾، هي ﴿ألاّ نَعبُدَ إلاّ اللهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا، ولا يَتَّخِذَ بَعضُنا بَعضًا أربابًا مِن دُونِ اللهِ﴾ كما اتّخذتم الأحبارَ والرُّهبان. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن التوحيد ﴿فقُولُوا﴾ أنتم لهم: ﴿اشهَدُوا بِأنّا مُسلِمُونَ﴾: موحِّدُون.

ونزل لمّا قال اليهود: «إبراهيمُ يهوديّ ونحن على دِينه»، وقالت النصارى كذلك: ٦٥ ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تُحاجُّونَ﴾: تُخاصِمون ﴿في إبراهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم، ﴿وما أُنزِلَتِ التَّوراةُ والإنجِيلُ إلاّ مِن بَعدِهِ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حَدثَتِ اليهوديّة والنصرانيّة؟ ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ بُطلانَ قولكم؟ ٦٦ ـ ﴿ها﴾: للتنبيه ﴿أنتُم﴾: مبتدأ يا ﴿هؤُلاءِ﴾ والخبرُ: ﴿حاجَجتُم، فِيما لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾، من أمر موسى وعيسى، وزعمتم أنكم على دينهما. ﴿فلِمَ تُحاجُّونَ، فِيما ليسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ من شأن إبراهيم؟ ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ شأنه، ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَـ﴾ ـهُ.

قال تعالى تبرئةً لإبراهيم: ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا، ولكِنْ كانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم ﴿مُسلِمًا﴾: مُوحِّدًا، ﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. إنَّ أَولَى النّاسِ﴾:

قولُه: (هي ﴿أنْ﴾) أو بدلٌ من (كلمةٍ).

قولُه: (والرُّهبانَ) حيثُ اتَّبعتُمُوهم في تحليلِ ما حُرِّمَ وتحريمِ ما أُحلَّ، رُويَ: أنَّه لمَّا نزلَتْ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] قال عديُّ بنُ حاتمٍ: ما كنَّا نعبدُهُم يا رسولَ اللهِ، قالَ ﷺ: «أليسَ كانُوا يُحلُّونَ لكُم ويحرِّمُونَ فتأخُذُونَ بقولِهِم؟» قالَ: نعم، قالَ: «هو ذاكُم»(١).

قولُه: (والخبرُ) وقيل: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبرُهُ، والإشارةُ للتَّحقيرِ، و﴿حَاجَجْتُم﴾ جملةٌ أخرى مبيِّنةٌ للأولى.

قالَ تعالى: (﴿بِهِ عِلْمٌ﴾) أي: في الجملةِ.

قولُه: (موحِّداً) أو منقاداً.

قالَ تعالى: (﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾) لا جليًّا ولا خفيًّا، تعريضٌ بأنَّهُم مشرِكونَ لإشراكِهم به عزيراً والمسيحَ، وردٌّ لادِّعاءِ المشركينَ أنَّهُم على ملَّةِ إبراهيمَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦٦٣٣)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٢) (٢١٨)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٣/ ٣٠٣) (١٤٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٣٥٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٨٦٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٢٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤٠٦) بألفاظ متقاربة.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

أحقُّهم ﴿بِإبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه، ﴿وهذا النَّبِيُّ﴾ محمّدٌ لِمُوافقته له في أكثرِ شرعه، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِن أُمّته ـ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: «نحن على دينه» لا أنتم ـ ﴿واللهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ﴾: ناصرُهم وحافظهم.

ونزل لمّا دعا اليهودُ مُعاذًا وحُذيفةَ وعمّارًا إلى دينهم: ٦٩ ـ ﴿وَدَّتْ طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو يُضِلُّونكُم، وما يُضِلُّونَ إلاّ أنفُسَهُم﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ بذلك. ٧٠ ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ المشتمل على نعت محمّد، ﴿وأنتُم تَشهَدُونَ﴾: تعلمون أنه حقّ؟ ٧١ ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَلبِسُونَ﴾: تخلُطون ﴿الحَقَّ بِالباطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير، ﴿وتَكتُمُونَ الحَقَّ﴾ أي: نعتَ النبيّ، ﴿وأنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه حقّ؟

٧٢ ـ ﴿وقالَتْ طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ﴾ اليهودِ لبعضهم: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: القرآنِ ﴿وَجهَ النَّهارِ﴾: أوّلَه، ﴿واكفُرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ، لَعَلَّهُم﴾ أي: المُؤمنين ﴿يَرجِعُونَ﴾ عن دينهم. إذ يقولون: ما رَجَعَ هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه، وهم أولو عِلم، إلاّ لعِلمهم بُطلانَه.

٧٣ ـ وقالوا أيضًا: ﴿ولا تُؤمِنُوا﴾: تُصدِّقوا ﴿إلاّ لِمَن﴾ اللام زائدةٌ ﴿تَبِعَ﴾: وافق ﴿دِينَكُم﴾ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمّد: ﴿إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال. والجملة: اعتراض ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤتَى أحَدٌ مِثلَ ما أُوتِيتُم﴾ من الكِتاب والحِكمة والفضائل..........

قولُه: (شَرْعِهِ) أي: ما شرعَ له على الأصالةِ لا على التَّبعيَّةِ.

قالَ تعَالى: (﴿آمَنُوا﴾) أي: أظهَرُوا الإيمانَ.

قولُه: (أوَّلَهُ) سُمِّي وجهاً؛ لأنَّهُ أوَّلُ ما يواجهُهُ النَّاظرُ.

قولُه: (تُصدِّقُوا) أي: لا تقرُّوا عن تصديقِ قلبٍ إلا لأهلِ دينِكُم، أو لا تُظهِروا إيمانكُم وجهَ النَّهارِ إلَّا لمن كان على دينِكُم، أو لرجُوعِ من تبعَ دينكُم قبلَ هذا ثمَّ أسلمَ؛ فإنَّ رجوعَهُم أرجَى وأهمُّ.

قولُه: (اللَّامُ زائدةٌ) الظَّاهرُ: أنَّها للتَّعديةِ؛ فإنَّ (آمنَ) إذا كانَ بمعنى: صدَّقَ، يتعدَّى تارةً باللَّامِ وتارةً بالباءِ، وأمَّا إذا كانَ بمعنى: جعلَهُ ذا أمنٍ، فيتعدَّى بنفسِه؛ كقولِه تعالى: ﴿وَآمَنَهُمْ مِن خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] ثمَّ رأيتُ المصنِّفَ ذكرَ في قولِه تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] أنَّ اللَّامَ زائدةٌ للفرقِ بين إيمانِ التَّسليمِ وغيره، والله أعلمُ.

قولُه: (اعتِرَاضٌ) يدلُّ على أنَّ كيدَهُم لا يُجدِي بطائلٍ.

قولُه: (أي: بأَنْ) فيكونُ متعلِّقاً بـ﴿لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي: ولا تُظهِرُوا إيمانكُم بأنْ يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أوتيتُم إلَّا لأشياعِكُم، ولا تفشُوهُ إلى المسلِمينَ لئلَّا يزيدَ ثباتُهُم، ولا إلى المشركينَ لئلَّا يدعُوهُم إلى الإسلامِ.

وأنْ: مفعول «تؤمنوا»، والمُستثنى منه «أحدٌ» قُدّم عليه المُستثنى. المعنى: لا تُقِرّوا بأن أحدًا يُؤتى ذلك إلاّ مَن تبعَ دِينكم، ﴿أو﴾ أن ﴿يُحاجُّوكُم﴾ أيِ: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُم﴾ يوم القيامة لأنّكم أصحّ دينًا. وفي قراءة: «أأنْ» بهمزة التوبيخ أي: أإيتاءُ أحدٍ مثلَه تُقِرّون به؟

قال تعالى: ﴿قُلْ: إنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ﴾. فمِن أين لكم أنه لا يُؤتَى أحد مِثلَ ما أوتيتم؟ ﴿واللهُ واسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله، ٧٤ ـ ﴿يَختَصُّ بِرَحمتِهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

٧٥ ـ ﴿ومِن أهلِ الكِتابِ مَن إنْ تأمَنْهُ بِقِنطارٍ﴾ أي: بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِ إلَيكَ﴾ لأمانته كعبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفًا ومِائتَي أُوقيّةٍ ذهبًا فأدّاها إليه، ﴿ومِنهُم مَن إنْ تأمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيكَ﴾ لخِيانته ﴿إلاّ ما دُمتَ علَيهِ قائمًا﴾ لا تفارقه. فمتى فارقتَه أنكره ككعب بن الأشرف، استودعه قرشيٌّ دينارًا فجحده.

﴿ذلِكَ﴾ أي: تركُ الأداء ﴿بِأنَّهُم قالُوا﴾ بسبب قولهم: ﴿لَيسَ علَينا في الأُمِّيِّينَ﴾ أي: العربِ ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إثم. لاستحلالهم ظلمَ من خالفَ دِينهم، ونسبوه إليه تعالى. قال تعالى: ﴿ويَقُولُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ﴾ في نِسبة ذلك إليه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون. ٧٦ ـ ﴿بَلَى﴾ عليهم فيهم سبيلٌ، ....

قولُه: (﴿إلَّا لِمَنْ تَبِعَ﴾) فاللّام غيرُ زائدةٍ، وهذا يصلُحُ أن يكون إعراباً آخرَ، وفي بعضِ النُّسخِ: «إلَّا مَن تبعَ» ولا وجهَ له؛ إذ الإقرارُ لا يتعدَّى إلَّا باللّامِ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُجعَلَ مستثنًى من قولِه: (أحداً).

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لابنِ كثيرٍ[1]، وهوَ على أصلِهِ في تسهيلِ الثَّانيةِ.

قولُه: (إيتاءُ) الظَّاهرُ؛ أي: بإيتاءٍ.

قولُه: (لأمَانتِهِ) أي: لسببِهَا.

قولُه: (لا تفَارقُهُ) الظَّاهرُ ما قالهُ البيضَاويُّ[2]: أي: إلَّا مدَّةَ دوامِكَ ـ يعني: أيُّها الطَّالبُ ـ قائماً على رأسِهِ مبالغاً في مطالبتِهِ بالتَّقاضِي والتَّرافعِ وإقامةِ البيِّنةِ.

قولُه: (أي: تركُ الأداءِ) المدلولُ عليه بقولِهِ: ﴿لَا يُؤَدِّهِ﴾.

قولُه: (عَليهِم) أي: القائلينَ.

قولُه: (فِيهِم) أي: الأمِّيِّينَ.

قولُه: (سَبِيلٌ) أي: ذمٌّ وعتابٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٢٤).

﴿مَن أَوفَى بِعَهدِهِ﴾ الذي عاهد عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره، ﴿واتَّقَى﴾ اللهَ بتركِ المعاصي وعملِ الطاعات، ﴿فإنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾. فيه وضع الظاهر موضع المُضمر أي: يُحبّهم بمعنى: يُثيبهم.

ونزل في اليهود لمّا بدّلوا نعتَ النبيّ وعهدَ اللهِ إليهم في التوراة، أو فيمن حلفَ كاذبًا في دعوَى أو في بيعِ سِلعةٍ: ٧٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَشتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهدِ اللهِ﴾ إليهم في الإيمانِ بالنبيّ وأداءِ الأمانة ﴿وأيمانِهِم﴾: حلفِهم به ـ تعالى ـ كاذبًا ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدُّنيا، ﴿أُولئِكَ لا خَلاقَ﴾: نصيبَ ﴿لَهُم في الآخِرةِ، ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ غضبًا عليهم، ﴿ولا يَنظُرُ إلَيهِم﴾: يرحمهم ﴿يَومَ القِيامةِ، ولا يُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرهم، ﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِم.

٧٨ ـ ﴿وإنَّ مِنهُم﴾ أي: أهلِ الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائفةً ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُونَ أَلسِنَتَهُم بِالكِتابِ﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المُنزَل إلى ما حرّفوه، من نعت النبي ﷺ ونحوه، ﴿لِتَحسِبُوهُ﴾ أيِ: المُحرَّفَ ﴿مِنَ الكِتابِ﴾ الذي أنزله الله، ﴿وما هُوَ مِنَ الكِتابِ، ويَقُولُونَ: هُوَ مِن عِندِ اللهِ. وما هُوَ من عِندِ اللهِ، ويقُولُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ، وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

ونزل لمّا قال نصارى نجران: «إنّ عيسى أمرَهم أن يتّخذوه ربًّا» أو لمّا طلب بعض المسلمين السُّجود له ﷺ: ٧٩ ـ ﴿ما كانَ﴾: ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكِتابَ والحُكمَ﴾ أيِ: الفهمَ للشريعة ﴿والنُّبُوّةَ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ: كُونُوا عِبادًا لِي مِن دُونِ اللهِ. ولكِنْ﴾ يقول: ﴿كُونُوا رَبّانِيِّينَ﴾: عُلماءَ عاملِين ـ منسوب إلى الربّ بزيادة ألف ونون تفخيمًا ـ ﴿بِما كُنتُم تَعلَمُونَ﴾، ....

قولُه: (الَّذِي عاهَدَ) فالضَّميرُ لـ﴿مَنْ﴾.

قولُه: (موضِعَ المُضمَرِ) وهو الرَّابطُ، أو: عمومُ المتَّقينَ نابَ عن الرَّاجعِ من الجزاءِ إلى ﴿مَنْ﴾.

قولُه: (إليهم) أو بما عاهَدُوا عليه مِن الإيمانِ.

قولُه: (كَاذِباً) أي: حلفاً ذا كذبٍ، وفي نسخةٍ: «كذباً» وهو ظاهرٌ.

قولُه: (غَضَباً) أو كلامَ لطفٍ.

قولُه: (يرحَمُهُم) الأظهرُ: نظرَ رحمةٍ.

قولُه: (يطهِّرُهُم) الظَّاهرُ: لا يُثني عليهم.

قولُه: (أي: الفهمَ) أو الحكمةَ، أو إمضاءَ الحكمِ من اللهِ تعالى.

بالتخفيف والتشديد، ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بسبب ذلك: فإنّ فائدته أن تعملوا. ٨٠ ـ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾، بالرفعِ استئنافًا أي: اللهُ، والنصبِ عطفًا على «يقولَ» أي: البشرُ ﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتّخذتِ الصابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عُزَيرًا، والنصارى عيسى. ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ لا ينبغي له هذا.

٨١ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إِذْ﴾: حينَ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: عهدَهم ﴿لَمَا﴾ ـ بفتحِ اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذِ الميثاقِ، ....

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) من بابِ (علِمَ) لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو[١].

قولُه: (بِسَببِ ذلكَ) أي: الدَّرسِ؛ وهو القراءةُ والحفْظُ، ويمكنُ أن يكونَ التَّقديرُ: وبما تدرسُونَهُ على النَّاسِ.

قولُه: (فإِنَّ فَائدَتَهُ أَنْ تعْمَلُوا) بتقديمِ الميمِ إشعاراً بأنَّ المرادَ بالدَّرسِ هو العملُ والكمَالُ، كما أنَّ المرادَ بالتَّعليمِ الإكمَالُ.

قولُه: (أي: اللهُ) أو البشرُ.

قولُه: (والنَّصبِ) لابن عامرٍ وعاصمٍ وحمزةَ[٢].

قولُه: (المَلَائكَةَ) وقيل: الكَواكبَ.

قولُه: (أو تَوكِيدِ معنَى القَسَمِ) وفي بعضِ النُّسخِ: «وتوكيدِ» بالواوِ، وهو سهوٌ، فاللَّامُ موطِّئةٌ للقسمِ، كأنَّها وطَّأت طريقَ جوابِ القسمِ؛ أي: سهَّلَت لفهمِهِ الجوابَ، وقيل: هي الَّتي تدخلُ على الشَّرطِ بعد القسمِ لفظاً أو تقديراً ليؤذنَ أنَّ الجوابَ له لا للشَّرطِ.

قولُه: (في أَخذِ المِيْثاقِ) لأنَّ أخذَ الميثاقِ بمعنى: الاستخلافِ؛ أي: استخلافِ النَّبيِّينَ؛ أي: عَهدَ اللهُ إيَّاهُم، وحينئذٍ (ما) تحتملُ الشَّرطيَّةَ، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سادٌّ مسدَّ جوابِ القَسمِ والشَّرطِ، وتحريرُه: أنَّهُ جوابُ القَسمِ ومغنٍ عن جوابِ الشَّرطِ؛ لتصريحِهِم بأنَّ الشَّرطَ إذا تأخَّرَ عن القَسمِ حُذِفَ جوابُهُ استغناءً عنه بجوابِ القَسمِ، ويحتملُ الخبريَّةَ؛ أي: كونُها موصُولةً، فهي مبتدأٌ والعائدُ محذوفٌ ـ أي: آتيتكمُوهُ ـ لامتناعِ خلوِّ الصِّلةِ عن العائدِ، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ سادٌّ مسدَّ جوابِ القسمِ وخبرِ المبتدأِ، وعلى التحقيقِ الخبرُ محذوفٌ؛ أي: تؤمنُونَ به، وأمَّا على تقديرِ الشَّرطِ فهي مفعولُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٨).

وكسرِها متعلّقةً بـ«أخذَ»، وما: موصولة على الوجهين ـ أي: لَلَّذي ﴿آتيتُكم﴾ إيّاه، وفي قراءة: «آتيناكُم»، ﴿مِن كِتابٍ وحِكمةٍ، ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُم﴾ من الكتاب والحِكمة ـ وهو محمّد ـ ﴿لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ﴾: جوابُ القسم، إن أدركتُموه، وأُممُهم تَبَعٌ لهم في ذلك. ﴿قالَ﴾ تعالى لهم: ﴿ءَأَقرَرتُم﴾ بذلك، ﴿وأخَذتُم﴾: قَبِلتم ﴿علَى ذلِكُم إصرِي﴾: عهدي؟ ﴿قالُوا: أقرَرْنا. قالَ: فاشهَدُوا﴾ على أنفُسكم وأتباعكم بذلك، ﴿وأنا مَعَكُم مِنَ الشّاهِدِينَ﴾، عليكم وعليهم. ٨٢ ـ ﴿فمَن تَوَلّى﴾: أعرض ﴿بَعدَ ذلِكَ﴾ الميثاقِ ﴿فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿أفغَيرَ دِينِ اللهِ يَبغُونَ﴾ بالياءِ أيِ: المتولّون، والتاءِ، ﴿ولَهُ أسلَمَ﴾: انقاد ﴿مَن في السَّماواتِ والأرضِ طَوعًا﴾: بلا إباءٍ ﴿وكَرْهًا﴾ بالسيفِ ومُعاينةِ ما يُلجئُ إليه، ﴿وإلَيه تُرجَعُونَ﴾؟ بالتاء والياء....

قولُه: (وكسرِهَا) أي: وبكسرِها قراءةُ حمزةَ[1].

قولُه: (عَلى الوَجْهينِ) أي: الفتحِ والكسرِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ[2]، وقولُهُ تعالى: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيانيَّةٌ.

قولُه: (وهوَ مُحَمَّدٌ) فالتَّنكيرُ للتَّعظيمِ، وقيل: أيُّ رسولٍ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: الميثاقِ المذكورِ، أو الاتِّباعِ بطريقِ الأولى؛ ولذا قالَ ﷺ: «لو كانَ موسى حيًّا لمَا وسعَهُ إلَّا اتِّباعِي»[3].

قولُه: (بالياءِ) أي: الغيبةِ لأبي عَمرٍو وحفصٍ[4].

قولُه: (ومعاينةِ ما يُلجئُ إليهِ) أي: إلى الإسلامِ كنتقِ الجبلِ وإدراكِ الغرقِ والإشرافِ على الموتِ، أو مختارينَ كالملائكةِ والمؤمنينَ، ومسخَّرينَ كالكفرةِ؛ فإنَّهُم لا يقدرُونَ أن يمتنعُوا عمَّا قُضيَ عليهم.

قولُه: (بالياءِ) ـ أي: الغيبةِ ـ حفصٌ[5] على أنَّ الضَّميرَ لـ﴿مَنْ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٦٩).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٤٢١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٤): فيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٠).

(٥) انظر المصادر السابقة.

والهمزةُ للإنكار. ٨٤ـ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وما أُنزِلَ علَينا، وما أُنزِلَ علَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ﴾: أولادِه، ﴿وما أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم، لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم﴾ بالتصديق والتكذيب، ﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ مُخلصون في العبادة.

ونزل فيمن ارتدّ ولحق بالكفّار: ٨٥ ـ ﴿ومَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِينًا فلَن يُقبَلَ مِنهُ، وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبّدة عليه.

٨٦ ـ ﴿كَيفَ﴾ أي: لا ﴿يَهدِي اللهُ قَومًا كَفَرُوا بَعدَ إيمانِهِم وشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتِهم ﴿أنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، و﴾ قد ﴿جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾: الحججُ الظاهرات على صدق النبيّ، ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين؟ ٨٧ ـ ﴿أُولئِكَ جَزاؤُهُم أنَّ علَيهِم لَعْنَةَ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ، ٨٨ ـ ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ أي: اللعنةِ أو النار المدلولِ بها عليها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون، ٨٩ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذلِكَ وأصلَحُوا﴾ عملَهم. ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهم.

ونزل في اليهود: ٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعدَ إيمانِهِم﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾ بمحمّد، ﴿لَن تُقبَلَ تَوبَتُهُم﴾ إذا غرغَرُوا.......................................

قولُه: (والهَمْزةُ) في: ﴿أفَغَيرَ﴾ وتقديمُ المفعولِ لأنَّهُ المقصودُ بالإنكارِ؛ فإنَّ الإنكارَ متوجِّهٌ إلى المعبودِ بالباطلِ، وفي «البحرِ»[1]: الإنكارُ لا يتوجَّهُ إلَّا إلى الأفعالِ لا إلى الذَّواتِ، والتَّقديمُ هنا من بابِ الاتِّساعِ.

قولُه: (أي: لا) فـ(كيفَ) استبعادُ أن يهديَهُمُ اللهُ؛ فإنَّ الحائدَ عن الحقِّ بعدما وضحَ له منهمكٌ في الضَّلالِ بعيدٌ عن الرَّشادِ، وقيل: نفيٌ وإنكارٌ له، وذلك يقتضِي أن لا يقبلَ توبةَ المرتدِّ، وفيه أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿إلَّا الَّذِيْنَ تَابُوا﴾ يأبى ذلك، فيقيَّدُ بوقتِ تصميمِهم وإصرارِهم على كفرِهم، أو بمن عَلِمَ اللهُ عدمَ رجوعِهم.

قولُه: (وشَهَادتِهِم) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿شَهِدُوا﴾ عطفٌ على ما في إيمانِهم من معنَى الفعلِ، كأنَّهُ قيلَ: من بعدِ أن آمنُوا وشهِدُوا، وقيل: ﴿شهِدُوا﴾ حالٌ بإضمارِ (قد) من ضميرِ ﴿كَفَرُوا﴾ وهو على الوجهَينِ دليلٌ على أنَّ الإقرارَ باللِّسانِ خارجٌ عن حقيقةِ الإيمانِ؛ لأنَّ الأصلَ في العطفِ التَّغايرُ.

قولُه: (يُمْهَلُونَ) تقدَّم مثلُهُ.

قولُه: (إذَا غَرْغَرُوا) لقولِهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لمْ يغرغرْ»[2].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٣/ ٢٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٦١٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٦٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. =

أو ماتوا كفّارًا، ﴿وأُولئِكَ هُمُ الضّالُّونَ. إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا وهُم كُفّارٌ، فلَن يُقبَلَ مِن أحَدِهِم مِلْءُ الأرضِ﴾: مقدارُ ما يملؤها ﴿ذَهَبًا، ولَوِ افتَدَى بِهِ﴾ ـ أدخل الفاء في خبر «إنّ» لشَبه «الذين» بالشرط وإيذانًا بتسبّب عدم القبول عن الموت على الكفر ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانِعِين منه.

٩٢ ـ ﴿لَن تَنالُوا البِرَّ﴾ أي: ثوابَه ـ وهو الجنّة ـ ﴿حَتَّى تُنفِقُوا﴾: تَتَصَدَّقوا ﴿مِمّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم، ﴿وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيُجازي عليه.

ونزل لمّا قال اليهود: «إنّكَ تزعمُ أنك على مِلّة إبراهيمَ، وكان لا يأكل لُحومَ الإبلِ وألبانَها»:

٩٣ ـ ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا﴾: حَلالاً ﴿لِبَنِي إسرائيلَ، إلاّ ما حَرَّمَ إسرائيلُ﴾: يعقوبُ ﴿علَى نَفسِهِ﴾ ـ وهو الإبِلُ،..

قولُه: (أو ماتُوا كفَّاراً) أي: إذا تابُوا في الآخرةِ عند مُعاينةِ العذابِ لقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] وقيل: لن تُقبلَ توبتُهُم لأنَّهُم لا يتوبونَ، أو لأنَّ توبتَهُم لا تكونُ إلَّا نفاقاً.

قولُه: (مَا يَملؤُهَا) فالملءُ مصدرٌ بمعنى الفاعلِ.

قولُه: (عَدمِ القَبُولِ) أي: لمَّا كانَ الموتُ على الكفرِ سبباً لامتناعِ قَبُولِ الفِدْيةِ؛ أدخلَ الفاءَ هاهنا للإشعَارِ به.

قولُه: (أي: ثوابَهُ) فالبرُّ هو الطَّاعةُ، أو: لن تبلغُوا حقيقةَ البرِّ، أو: لن تنالُوا برَّ اللهِ الَّذي هو الرِّضا.

قولُه: (تَصَدَّقُوا) أصلُهُ: تتصدَّقُوا.

قولُه: (مِنْ أموالِكُم) أو ما يعمُّها وغيرَها؛ كبذلِ الجاهِ في معاونةِ النَّاسِ، والبدنِ في طاعةِ اللهِ، والمهجةِ في سبيلِهِ وتعليمِ العلمِ.

قولُه: (حَلَالاً) وهو مصدرٌ نُعت به، فإطلاقُهُ على المطعومِ بمعنى المفعولِ؛ أي: محلَّلاً، أو على حذفِ المضافِ؛ أي: ذا حلٍّ.

قولُه: (وهوَ الإبِلُ) أي: وألبانُها، وأنت تأكلُها فلستَ أنت على ملَّتِهِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «كانَ ذلكَ حلالاً لإبراهيمَ» فقالُوا: كلُّ ما نحرِّمُهُ اليومَ كان ذلك حراماً على نوحٍ وإبراهيمَ حتَّى انتهى التَّحريمُ إلينا، كذا في «البغويِّ»[1].

- قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٤٦٩).

والحديث ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٥) عن أبي روق والكلبي.

لمّا حصَل له عِرقُ النَّسا، بالفتح والقصر، فنَذرَ إن شُفي لا يأكلها فحُرّم عليهم ـ ﴿مِن قَبلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوراةُ﴾. وذلك بعد إبراهيم، ولم يكن على عهده حرامًا كما زعموا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فأتُوا بِالتَّوراةِ فاتلُوها﴾ ليتبيّن صِدق قولكم، ﴿إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. فبُهتوا ولم يأتوا بها. ٩٤ ـ قال تعالى: ﴿فمَنِ افترَى علَى اللهِ الكَذِبَ مِن بَعدِ ذلِكَ﴾، أي: ظهورِ الحُجّة بأنّ التحريم إنّما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم، ﴿فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾: المتجاوزُون الحقَّ إلى الباطل. ٩٥ ـ ﴿قُلْ: صَدَقَ اللهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به. ﴿فاتَّبِعُوا مِلّةَ إبراهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كلّ دِين إلى الإسلام، ﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾.

ونزل لمّا قالوا: «قِبلتُنا قَبلَ قِبلتكم»: ٩٦ ـ ﴿إنَّ أوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ﴾ مُتعبَّدًا ﴿لِلنّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكّةَ﴾ ـ بالباء لُغةٌ في «مكّة»، سُمّيتْ بذلك لأنّها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقّها............

قولُه: (النَّسَا بالفتحِ والقَصرِ) عرقٌ يخرجُ من الوركِ فيستبطنُ الفَخِذَ، وربَّما ينزلُ إلى الكعبِ، وقد يمتدُّ إلى الأَصَابعِ[1].

قولُه: (لا يأكلُهَا) أي: لا يأكلُ أحبَّ الطَّعامِ إليه، وكانَ ذلكَ أحبَّهُ إليه، رواهُ أحمدُ والحاكمُ وغيرُهما[2]، فيكونُ من بابِ الرِّياضةِ ومن كفِّ النَّفسِ، وقيل: فعلَ ذلك للتَّداوي بإشارةِ الأطبَّاءِ، واحتجَّ به من جوَّزَ للنَّبيِّ أن يجتهدَ، وللمانعِ أن يقولَ: ذلك التَّحريمُ المطلقُ أو الخاصُّ بإذنٍ من اللهِ، فهو كتحريمِهِ ابتداءً.

قولُه: (فَحُرِّمَ عَلَيهِم) أي: تبعاً له.

قولُه: (﴿للنَّاسِ﴾) أي: أصالةً، ولغيرهم من الملائكةِ والجنِّ تبعاً.

قولُه: (لُغَةٌ فِي مَكَّةَ) وقيل: هي موضعُ المسجدِ، وقيل: الكعبةُ، من بكَّهُ إذا زحمَهُ، حيثُ يبكُّ النَّاسُ بعضُهُم بعضاً، وأمَّا مكَّةُ سُمِّيَتْ بذلكَ لقلَّةِ مائِها، من قولِ العربِ: ملَّ الفصيلُ ضرعَ أمِّهِ، إذا امتصَّ كلَّ ما فيه من اللَّبنِ، وتُدعَى أمَّ رُحْمٍ؛ لأنَّ الرَّحمةَ تنزلُ بها[3].

---

(١) انظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص: ٥٥).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه عند أحمد: «...فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه، لحمان الإبل...» الحديث.

(٣) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٣/ ٧١).

بناه الملائكة قبل خلقِ آدم، ووُضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين. وفي حديثٍ «أنّه أوّلُ ما ظهرَ على وجهِ الماءِ، عِندَ خَلقِ السّماواتِ والأرضِ، زُبدةً بَيضاءَ، فدُحِيَتِ الأرضُ من تَحتِهِ» ـ ﴿مُبارَكًا﴾: حالٌ من «الذي» أي: ذا بركة ﴿وهُدًى لِلعالَمِينَ﴾ لأنه قِبلتهم ٩٧ ـ ﴿فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ﴾، منها ﴿مَقامُ إبراهِيمَ﴾ أي: الحجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت..........

قولُه: (بَنَاهُ المَلَائِكَةُ) وكان يُقالُ له: الضُّراحُ، يطوفُ به الملائكةُ، فلمَّا أُهبِطَ آدمُ أُمرَ بأن يحجَّهُ ويطوفَ حولَهُ، ورُفِعَ في الطُّوفانِ إلى السَّماءِ الرَّابعةِ يطوفُ به ملائكةُ السَّماواتِ، كذا قيلَ، وهو لا يلائمُ ظاهرَ الآيةِ والحديثَ الصَّحيحَ[1] كما لا يخفَى، مع أنَّ موضعَ التَّشريفِ إنَّما هو تلك الجهةُ المعيَّنةُ، والجهةُ لا يمكنُ رفعُها؛ ولذا قيلَ: أوَّلُ من بناهُ آدمُ، فانطمسَ في الطُّوفانِ، ثمَّ بناه إبراهيمُ، وقيل: أوَّلُ من بناهُ إبراهيمُ، ثمَّ هُدِمَ، فبناهُ قومٌ من جُرهمَ، ثمَّ العمالقةُ وهم ملوكُ مصرَ، وقيل: ملوكُ الشَّامِ، ثمَّ قريشٌ، ثمَّ بناهُ ابن الزُّبيرِ، ثمَّ غيَّرهُ الحجَّاجُ.

قولُه: (كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَينِ) رُوِيَ أنَّهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ سُئلَ عن أوَّلِ بيتٍ وُضعَ للنَّاسِ فقال: «المسجدُ الحرامُ، ثمَّ بيتُ المقدسِ»، وسُئلَ: كم بينَهُما؟ فقال: «أربعونَ سنةً»[2].

اعلم أنَّ ظاهرَ الحديثِ أنَّهُ من وضعِ إبراهيمَ، وهو معارضٌ لبعضِ الأقوالِ، إلَّا أن يُحمَلَ الوضعُ على التَّجديدِ، ويضعِّفُ قولَ الزَّجَّاجِ[3] أنَّ بيتَ المقدسِ من بناءِ سليمانَ، وأين زمانُ سليمانَ من زمنِ إبراهيمَ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ؟! اللَّهمَّ إلَّا أن يُحمَلَ فعلُهُ على التَّجديدِ أيضاً.

قولُه: (حَالٌ مِنَ الَّذِي) والظَّاهرُ أنَّهُ من المستكنِّ في الظَّرفِ، أو من ضميرِ ﴿وُضِعَ﴾.

قولُه: (أَيْ: ذَا بَرَكَةٍ) أي: كثيرَ الخيرِ والنَّفعِ لمن حجَّهُ واعتمرَهُ واعتكفَ دونَهُ وطافَ حولَهُ وأقامَ عندهُ وتوجَّهَ إليه حالَ عبادتِهِ وغيرها حيًّا وميِّتاً.

قولُه: (لأَنَّهُ قِبلَتُهُم) ومتعبَّدُهُم، ولأنَّ فيه آياتٍ كانحرافِ الطُّيورِ عن موازاةِ البيتِ على مدى الأعصارِ، وأنَّ ضَواريَ السِّباعِ تخالطُ الصُّيودَ في الحرمِ ولا تتعرَّضُ لها، وأنَّ كلَّ جبارٍ قصدهُ بسوءٍ قهرَهُ كأصحابِ الفيلِ.

قولُه: (مِنْهَا) أي: من جملتِها، فـ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ مبتدأٌ حُذفَ خبرُهُ، أو بدلٌ من ﴿آيَاتٌ﴾ بدلُ البعضِ، وقيل: عطفُ بيانٍ على أنَّ المرادَ بالآياتِ أثرُ القدمِ في الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ وغوصُها فيها إلى الكعبينِ، وتخصيصُها بهذه الإلانةِ من بينِ الصِّخارِ، وإبقاؤُه دونَ سائرِ آثارِ الأنبياءِ، وحفظُهُ مع كثرةِ أعدائِهِ ألوفَ السنين، ويؤيِّده أنَّه قُرِئَ: ﴿آيةٌ بينةٌ﴾ على التَّوحيدِ[4].

---

(١) وهو الحديث الآتي.

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٤٤٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شوذا القرآن» (ص: ٢٨) ونسبت لمجاهد وأبي.

فأثّرَ قدماه فيه، وبقي إلى الآنَ مع تطاوُلِ الزمان وتداوُلِ الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه وأنّ الطير لا يعلوه، ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: لا يُتعرَّض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ـ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجبٌ ـ بكسر الحاء وفتحها، لغتانِ في مصدر: حَجَّ، بمعنى: قَصَدَ ـ ويُبدَلُ من «الناس» ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾: ....

قولُه: (فَأَثَّرَ قَدَمَاهُ) وسببُ هذا الأثرِ أنَّه لمَّا ارتفعَ بنيانُ الكعبةِ قامَ على هذا الحجرِ ليتمكَّنَ من رفعِ الحجارةِ، فغاصَت فيه قدماهُ.

قولُه: (وَمِنهَا تَضعِيفُ الحَسَنَاتِ) في عدِّهِ آيةً مسامحةٌ[١].

قولُه: (وَأَنَّ الطَّيرَ لَا يَعْلُوْهُ... إلخ) الظَّاهرُ أنَّ هذا كانَ في الجاهليَّةِ، وأنَّ المصنِّفَ جعلَ قولَهُ تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ عطفاً على (تضعيفِ)؛ أي: ومن جملةِ الآياتِ أنَّ من دخلَهُ ـ أي: حرمَ البيتِ أو نفسَ البيتِ ـ لا يُتعرَّضُ له، وقيل: خبرٌ معناهُ الأمرُ؛ أي: أمِّنوهُ، وتوهَّمَ بعضُ العامَّةِ فرجَّعَ الضَّميرَ إلى المقامِ، وهو باطلٌ؛ إذ المقامُ نفسُه في زمانِ نزولِ الآيةِ وبعدَها غيرُ قابلٍ للدُّخولِ.

قولُه: (أَو غَيْرِ ذَلِكَ) من إخراجٍ، أو إقامةٍ من مكانِهِ، أو إغارةٍ، وذلك بدعاءِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ حيثُ قال: ﴿ربِّ اجعلْ هذا بلداً آمناً﴾، وكانت العربُ في الجاهليَّةِ يقتلُ بعضُهم بعضاً، ويغيرُ بعضُهم على بعضٍ، ومن دخلَ الحرمَ أمِنَ من القتلِ والغارةِ.

وقالَ أبو حنيفةَ[٢]: إنَّ من وجبَ عليه قصاصٌ أو حدٌّ فالتجأَ إلى الحرمِ لا يُستَوفَى منه فيه، لكن لا يُطعَمُ ولا يُبايَعُ ولا يُشارَى حتَّى يخرجَ، وهو قولُ ابن عبَّاسٍ[٣]، وقيل: معناهُ من دخلَهُ معظِّماً له متقرِّباً إلى الله عزَّ وجلَّ كانَ آمناً يومَ القيامةِ من العذابِ.

قولُه: (بِكَسْرِ الحَاءِ) لحمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ[٤].

قولُه: (قَصَدَ) أي: معظِّماً.

قولُه: (وَيُبْدَلُ) بدلَ بعضٍ مخصِّصاً.

قالَ تعالى: (﴿إِلَيْهِ﴾) أي: إلى البيتِ أو الحجِّ.

---

(١) في (د): «مسامحة».

(٢) انظر: «الجامع الصغير وشرحه» (ص: ٥١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٨٥٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٠).

طريقًا، فسَّره ﷺ بالزاد والراحلة، رواه الحاكم وغيره. ﴿ومَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحجّ ﴿فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾: الإنسِ والجنّ والملائكة وعن عِبادتهم.

٩٨ - ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ، ﴿واللهُ شَهِيدٌ علَى ما تَعمَلُونَ﴾، فيُجازيكم عليه؟ ٩٩ - ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تَصرِفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن دِينه ﴿مَن آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبيَّ وكتم نَعته، ﴿تَبغُونَها﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: مصدرٌ بمعنى:....

قولُه: (وغَيرُهُ) أي: التِّرمذيُّ وحسَّنهُ[1]، وهو يؤيِّدُ قولَ الشَّافعيِّ[2] أنَّها بالمالِ، وقالَ مالكٌ[3]: بالبدنِ، وقالَ أبو حنيفةَ[4]: بهما.

قولُه: (أَو بِمَا فَرَضَهُ) أي: بإنكارِهِ، أو باستحلالِ تركِهِ، أو شابَهَ الكفرةَ في تركِهِ الحجَّ، أو قاربَ الكفرَ؛ فإنَّ المعاصيَ بريدُ الكفرِ، أو يُخشى عليه الموتُ على الكفرِ، أو تهديدٌ وتغليظٌ وتشديدٌ؛ ولذا قالَ ﷺ: «مَنْ ماتَ ولَمْ يحجَّ فليمُتْ إنْ شاءَ يهوديًّا أو نصرانيًّا»[5].

قولُه: (الإِنْسِ... إلخ) فوضعَ الظَّاهرَ موضعَ المضمرِ لما فيه من مبالغةِ التَّعميمِ.

قولُه: (القُرآنِ) أو الآياتِ النَّقليَّةِ والعقليَّةِ، وتخصيصُ أهلِ الكتابِ لأنَّ كفرَهُم أقبحُ.

قولُه: (تَصرِفُونَ) أي: تمنعُونَ، فالصَّدُّ متعدٍّ، ومفعولُهُ: ﴿مَنْ آمَنَ﴾.

وقولُه: (بِتَكْذِيبِكُم) متعلِّقٌ بـ﴿تَصُدُّونَ﴾.

قولُه: (السَّبِيلَ) يذكَّرُ ويؤنَّثُ، وجملةُ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ حالٌ من فاعلِ ﴿تَصُدُّوْنَ﴾ يعني: ليسَ فيها اعوجاجٌ، لكن تطلبُونَ أن يوهَمَ النَّاسُ العِوجَ.

---

(١) رواه الترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٦).

(٣) انظر: «المعونة» (ص: ٥٠٠).

(٤) انظر: «البناية» (٤/ ١٤٤).

(٥) رواه الترمذي (٨١٢) بنحوه من حديث علي رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث.

ورواه الدارمي في «السنن» (١٨٢٦)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٦٦٠) بنحوه أيضاً من وجه آخر من حديث عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال البيهقي: هذا وإن كان إسناده غير قوي فله شاهد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مُعْوَجَّةً أي: مائلةً عن الحقّ، ﴿وأنتُم شُهَداءُ﴾: عالمون بأنّ الدين المَرْضِيَّ هو القَيِّمُ دينُ الإِسلام كما في كتابكم؟ ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾ من الكُفر والتكذيب، وإنّما يُؤخّركم إلى وقتكم فيُجازيكم.

ونزل لمّا مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفهم، فذكَّرهم بما كان بينهم في الجاهليّة من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرِينَ، وكَيفَ تَكفُرُونَ﴾ ـ استفهام تعجيب وتوبيخ ـ ﴿وأنتُم تُتلَى علَيكُمْ آياتُ اللهِ، وفِيكُم رَسُولُهُ؟ ومَن يَعتَصِمْ﴾: يتمسّكْ ﴿بِاللهِ فقَد هُدِيَ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾.

١٠٢ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾ بـ «أن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُشكَرَ فلا يُكفَرَ، ويُذكَرَ فلا يُنسَى» ـ فقالوا: يا رسول الله، ومَن يقوى على هذا؟ فنُسخ بقوله تعالى: «فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُم» ـ ﴿ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتُم مُسلِمُونَ﴾: موحّدون، ١٠٣ ـ ﴿واعتَصِمُوا﴾: تمسّكوا ﴿بِحَبلِ اللهِ﴾، أي: دِينه

قولُه: (وكَادُوا يقتَتِلُونَ) وقالُوا: السِّلاحَ السِّلاحَ، واجتمعَ من القبيلتينِ خلقٌ عظيمٌ، فتوجَّه إليهِم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه وقالَ: «أتدعُونَ الجاهليَّةَ وأنَا بينَ أظهرِكُم بعدَ أنْ أكرمَكُمُ اللهُ تعالى بالإسلامِ وقطعَ بِهِ عنكُم أمرَ الجاهليَّةِ وألَّفَ بينكُم» فعلمُوا أنَّها نزغةٌ من الشَّيطانِ وكيدٌ من عدوِّهِم، فألقَوا السِّلاحَ واستغفرُوا، وعانقَ بعضُهم بعضاً، وانصرفُوا مع رسولِ اللهِ ﷺ[1].

قولُه: (﴿مَا اسْتَطَعْتُم﴾) وهو استفراغُ الوسعِ في القيامِ بالواجبِ والاجتنابِ عن المحارمِ، ومن جعلَ الحديثَ[2] تفسيراً للكمالِ فلا نسخَ، وقيل: هو أن ينزِّهَ الطَّاعةَ عن الالتفاتِ إليها وعن توقُّعِ المجازاةِ عليها.

قولُه: (دِيْنِهِ) أو كتابِهِ لقولِهِ ﷺ: «القرآنُ حبلُ اللهِ المتينُ»[3]، استُعِيرَ لأحدِ معاني الحبلِ من حيثُ إنَّ التمسُّكَ به سببٌ للنَّجاةِ من هلاكِهِ وعذابِهِ، والصُّعودِ من بئرِ غوايتِهِ إلى شرفِ هدايتِهِ، كما أنَّ التَّمسُّكَ بالحبلِ سببٌ للسَّلامةِ عن التَّردِّي والخروجِ من بئرٍ غائرٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٥٢٤) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم، مطولًا.

وكذلك رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٧٥٩) من قول محمد بن إسحاق.

(٢) رواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٢٩٤)، وفي «الزهد الكبير» (٨٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٠٧)، والدارمي في «السنن» (٣٣٧٤)، والبزار في «مسنده» (٨٣٦)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٨٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٩٣) من حديث علي رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

﴿جَمِيعًا، ولا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام، ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ﴾: إنعامَه ﴿عليكُم﴾ ـ يا معشر الأوس والخزرج ـ ﴿إذ كُنتُم﴾ قبل الإسلام ﴿أعداءً، فألَّفَ﴾: جمعَ ﴿بَينَ قُلُوبِكُم﴾ بالإسلام، ﴿فأصبَحتُم﴾: فصِرتم ﴿بِنِعْمتِهِ إخوانًا﴾ في الدِّين والوِلاية، ﴿وكُنتُم على شَفا﴾: طرفِ ﴿حُفرةٍ مِنَ النّارِ﴾، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلاّ أن تموتوا كُفّارًا، ﴿فأنقَذَكُم مِنها﴾ بالإيمان. ﴿كَذلِكَ﴾: كما بَيَّن لكم ما ذُكِر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾.

١٠٤ ـ ﴿ولتكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ، يَدعُونَ إلَى الخَيرِ﴾: الإسلام، ﴿ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ ـ وأُولئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون. ومِن: للتبعيض لأنّ ما ذُكر فرضُ كِفايةٍ لا يَلزم كلَّ الأُمّة، ولا يليق بكلّ أحد كالجاهل. وقيل: زائدة. أي: لتكونوا أُمّةً.

١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ﴿ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن دينهم، ﴿واختَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾، وهم اليهود والنصارى. ﴿وأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ، يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهٌ وتَسوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فأمّا الَّذِينَ اسوَدَّتْ وُجُوهُهُم﴾ ـ وهم الكافرون ـ فيُلقَون في النار، ويُقال لهم توبيخًا: ﴿أكَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾ يومَ أخذِ الميثاقِ؟ ﴿فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ. وأمّا الَّذِينَ ابيَضَّتْ وُجُوهُهُم﴾ ـ وهم المؤمنون ـ ﴿ففِي رَحْمةِ اللهِ﴾ أي: جَنّته. ﴿هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

١٠٨ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ اللهِ، نَتلُوها عليكَ﴾ ـ يامحمّد ـ ﴿بِالحَقِّ. وما اللهُ يُرِيدُ ظُلمًا لِلعالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم،..........................

وقولُه تعالى: (﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾) أصلُه: تتفرَّقُوا، وقرأ البزِّيُّ في الوصلِ بالتَّشديدِ[1].

قولُه: (بالإِيمَانِ) أي: خلَّصَكُم من النَّارِ بسببِ إيمانِكُم.

قولُه: (الإِسْلامِ) أو ما فيه صلاحٌ دينيٌّ ودنيويٌّ، فيكونُ ما بعدهُ تخصيصاً بعد تعميمٍ.

قولُه: (ومِنْ للتَّبعِيضِ) وقيل: زائدةٌ، وقيل: بيانيَّةٌ.

قولُه: (كالجَاهِلِ) أي: بالمسائلِ مطلقاً، أو بالخلافيَّاتِ، أو بمراتبِ الاحتسابِ.

قولُه: (أي: جنَّتِهِ) عبَّر بها عنها تنبيهاً على أنَّ المؤمنَ وإن استغرقَ عمرَهُ في طاعةِ اللهِ لا يدخلُ الجنَّةَ إلَّا برحمتِهِ وفضلِهِ.

قولُه: (بِأَنْ يَأْخُذَهُمْ بِغَيرِ جُرْمٍ) وفيه أنَّهُ لو أخذَهُم بغيرِ جرمٍ لم يكنْ من بابِ ظلمٍ، إلَّا أنَّه ما أرادَهُ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٠٦).

١٠٩ ـ ﴿ولله ما في السّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ﴾: تَصِير ﴿الأُمورُ﴾.

١١٠ ـ ﴿كُنتُم﴾ ـ يا أُمّة محمّد ـ في علم الله تعالى ﴿خَيرَ أُمّةٍ، أُخرِجَتْ﴾ أي: أُظهِرتْ ﴿لِلّناسِ، تأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، وتُؤمِنُونَ بِاللهِ. ولَو آمَنَ أَهلُ الكِتابِ لَكانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيرًا لَهم. مِنهُمُ المُؤمِنُونَ﴾ كعبدِ الله بن سلام وأصحابه، ﴿وأكثَرُهُمُ الفاسِقُونَ﴾: الكافرون.

١١١ ـ ﴿لَن يَضُرُّوكُم﴾ أي: اليهودُ ـ يا معشرَ المسلمين ـ بشيء ﴿إلاّ أذًى﴾ باللسان من سبّ ووعيد، ﴿وإنْ يُقاتِلُوكُم يُوَلُّوكُمُ الأدبارَ﴾ منهزمين، ﴿ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ عليكم، بل لكم النصر عليهم.

١١٢ ـ ﴿ضُرِبَتْ علَيهِمِ الذِّلّةُ، أينَما ثُقِفُوا﴾: حيثُما وُجدوا فلا عزَّ لهم ولا اعتصام ﴿إلاّ﴾ كائنينَ ﴿بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وحَبلٍ مِنَ النّاسِ﴾: المؤمنين ـ وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية ـ أي: لا عِصمة لهم غيرُ ذلك، ﴿وباؤُوا﴾: رجَعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وضُرِبَتْ علَيهِمِ المَسكَنةُ. ذلِكَ بِأنَّهُم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ الأنبياءَ بِغَيرِ حَقٍّ. ذلِكَ﴾: تأكيدٌ ﴿بِما عَصَوا﴾ أمر الله، ﴿وكانُوا يَعتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قولُه: (تَصِيرُ) هذا تفسيرُ قراءةِ المعلومِ، وهي لابنِ عامرٍ وحمزةَ والكسائيِّ(١)، وأمّا تفسيرُ المجهولِ: تُرَدُّ.

قولُه: (فِي عِلْمِ اللهِ) أو في اللَّوحِ، أو فيما مضى بين الأممِ المتقدِّمينَ، وقيل: (كانَ) زائدٌ؛ أي: أنتُم، قالَ الكافيجيُّ(٢): فإن قلتَ: لا شكَّ أنَّ نبيَّنا ﷺ خيرُ من أُوحِيَ إليه بالإجماعِ؛ فهل آيةٌ من القرآنِ تدلُّ عليه؟ قلتُ: نعمْ؛ فإنَّ قولَه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[آل عمران: ١١٠] تدلُّ عليه بدلالةِ النَّصِّ.

قولُه: (أُظهِرَتْ) أي: أنتم خيرُ النَّاسِ وأنفعُ النَّاسِ للنَّاسِ، وقولُه تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ استئنافٌ بيَّن به كونَهُم خيرَ أمَّةٍ، وقولُه: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ أُخِّر للتَّرقِّي، وقولُه تعالى: ﴿وَلَو آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: مثلَكُم، أو إيماناً كما ينبغي.

قولُه: (كَائِنِينَ) الأَولى معتصمينَ، والمرادُ بالحبلِ: الذِّمَّةُ والعهدُ والأمانُ.

قولُه: (تَأْكِيدٌ) إذ الكفرُ والقتلُ بسببِ عصيانِهِم؛ فإنَّ الإصرارَ على الصَّغائرِ يفضي إلى الكبائرِ، والاستمرارَ عليها يؤدِّي إلى الكفرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٠).

(٢) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الحنفي، محيي الدين أبو عبد الله الكافيجي، فقيه حنفي نحوي مفسر، اشتهر بمصر ولازمه السيوطي ١٤ سنة، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافيه في النحو (ت: ٨٧٩ هـ). انظر: «الأعلام» (٦/ ١٥٠).

١١٣ ـ ﴿لَيسُوا﴾ أي: أهلُ الكتاب ﴿سَواءً﴾: مُستَوِين. ﴿مِن أهلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمةٌ﴾: مُستقيمة ثابتة على الحقّ كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيلِ﴾ أي: في ساعاته، ﴿وهُم يَسجُدُونَ﴾: يُصَلُّون ـ حالٌ ـ ١١٤ ـ ﴿يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُسارِعُونَ في الخَيراتِ. وأُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿مِنَ الصّالِحِينَ﴾، ومنهم مَن ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين. ١١٥ ـ ﴿وما تَفعَلُوا﴾ ـ بالتاء أيُّها الأُمّة، وبالياء أي: الأُمّةُ القائمة ـ ﴿مِن خَيرٍ فلَن تُكفَرُوهُ﴾، بالوجهين أي: تَعدَموا ثوابه، بل تُجازَون عليه. ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ﴾.

١١٦ ـ ١١٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنهُم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿شَيئًا﴾ ـ وخصّهما بالذكر لأنّ الإنسان يدفع عن نفسه تارةً بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ـ ﴿وأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ، مَثَلُ﴾: صفةُ ﴿ما يُنفِقُونَ﴾ أي: الكُفّارُ، ﴿في هذِهِ الحَياةِ الدُّنيا﴾ في عداوةِ النبيّ أو صدَقةٍ ونحوِها، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾: حَرّ أو برد شديد، ﴿أصابَتْ حَرْثَ﴾: زرعَ ﴿قَومٍ، ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالكُفر والمعصية، ﴿فأهلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به.........

قولُه: (مُستَوِينَ) في المساوئِ.

قولُه: (أي: فِي سَاعَاتِهِ) الظَّاهرُ من آناءِ اللَّيلِ الاستيعابُ، وقيل: المرادُ الاستيعابُ من المجموعِ لا مِن كلِّ واحدٍ، وقيل: المرادُ صلاةُ العشاءِ.

قولُه: (حَالٌ) من ضميرِ: ﴿يَتلُونَ﴾.

قولُه: (وَمِنهُم) عطفٌ مقدَّرٌ على قولِه: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حُذِفَ لدلالةِ الأوّلِ عليه.

قولُه: (وبالیَاءِ) الغيبةُ لحمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ[1].

قولُه: (أي: عَذَابِهِ) شيئاً؛ أي: من العذابِ، أو من الإغناءِ، فيكونُ مصدراً، وقولُ البيضاويِّ[2]: (مِنَ الغنى[3]) غيرُ ملائمٍ في المعنى.

قولُه: (ونَحوِهَا) كصلةِ الرَّحمِ وبرِّ اليتيمِ وإطعامِ الضَّيفِ؛ يعني: رياءً وتفاخراً.

قولُه: (حَرٌّ) أي: سمومٌ، أو بردٌ شديدٌ، وعليه أكثرُ المفسِّرينَ.

قولُه: (بالكُفرِ) أو بالرِّياءِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٣٤).

(٣) في «أنوار التنزيل» (٢/ ٣٤): «أو من الغَنَاء فيكون مصدراً» فلا استدراك عليه، والله أعلم.

فكذلك نفقاتُهم ذاهبة لا ينتفعون بها. ﴿وما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بضياع نفقاتهم، ﴿ولكِنْ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بالكفر المُوجِب لضياعها.

١١٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً﴾: أصفياءَ تُطلعونهم على سِرّكم ﴿مِن دُونِكُم﴾ أي: غيرَكُم من اليهود والنصارى والمنافقين. ﴿لا يألُونكُم خَبالاً﴾ ـ نُصب بنزع الخافض ـ أي: لا يُقصّرون جُهدَهم لكم في الفساد، ﴿وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿ما عَنِتُّم﴾ أي: عَنَتَكُم ـ وهو شِدّة الضرر ـ ﴿قَد بَدَتِ﴾: ظهرتِ ﴿البَغضاءُ﴾: العداوةُ لكم ﴿مِن أفواهِهِم﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سِرّكم، ﴿وما تُخفِي صُدُورُهُم﴾ من العداوة ﴿أكبَرُ. قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ﴾ على عداوتهم، ﴿إنْ كُنتُم تَعقِلُونَ﴾ ذلك فلا تُوالُوهم.

١١٩ ـ ﴿ها﴾: للتنبيه ﴿أنتُم﴾ يـا ﴿أُولاءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُم﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم، ﴿ولا يُحِبُّونَكُم﴾ لمخالفتهم لكم في الدين، ﴿وتُؤمِنُونَ بِالكِتابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكُتب كلّها ولا يؤمنون بكِتابكم، ﴿وإذا لَقُوكُم قالُوا: آمَنّا. وإذا خَلَوا عَضُّوا علَيكُمُ الأنامِلَ﴾: أطراف الأصابع ﴿مِنَ الغَيظِ﴾: شِدّة الغضب لِما يَرَون مِن ائتلافكم. ويُعبَّرُ عن شِدّة الغضب بِعَضِّ الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثَمَّ عضّ. ﴿قُلْ: مُوتُوا بِغَيظِكُم﴾ أي: ابقَوا عليه إلى الموت فلن تَروا ما يسرّكم. ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، ومنه ما يُضمره هؤلاء.

١٢٠ ـ ﴿إنْ تَمسَسْكُم﴾: تُصِبْكم ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُم﴾: تُحزِنْهم، ﴿وإنْ تُصِبْكُم سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفرَحُوا بِها﴾ ـ ....

قولُه: (أي: عَنَتَكُم) إشارةٌ إلى أنَّ ما مصدريَّةٌ.

قولُه: (وإِطلَاعِ) بالتَّخفيفِ؛ أي: إظهارِ.

قولُه تعالى: (﴿أَكْبَرُ﴾) أي: ممَّا بدا؛ لأنَّ بدوَّهُ ليس عن رؤيةٍ واختيارٍ.

قولُه: (المُؤمِنِينَ) أي: المخطئينَ في موالاةِ الكفَّارِ.

قولُه: (ابْقَوا) بفتحِ القافِ: صيغةُ أمرٍ.

وقولُه: (عَلَيهِ) أي: على الغيظِ، فهو دعاءٌ عليهم بدوامِ الغيظِ وزيادتِهِ بتضاعفِ قوَّةِ الإسلامِ وأهلِهِ حتَّى يموتُوا.

قولُه: (جَدْب) بفتحِ الجيمِ ضدُّ: الخِصبِ؛ بكسرِ الخاءِ[1]، فحقُّهُ أن يُذكرَ ضدُّهُ في مقابلِهِ.

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» (ص: ٥٣).

وجُملة الشرط مُتَّصلة بالشرط قبلُ، وما بينهما اعتراض. والمعنى أنهم مُتناهون في عداوتكم. فلِمَ تُوالونهم؟ فاجتنبوهم ـ ﴿وإنْ تَصبِرُوا﴾ على أذاهم، ﴿وتَتَّقُوا﴾ اللهَ في مُوالاتهم وغيرها، ﴿لا يَضِرْكُم﴾ ـ بكسر الضاد وسُكون الراء، وضمِّهما وتشديدها ـ ﴿كَيدُهُم شَيئًا! إنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء، ﴿مُحِيطٌ﴾: عالم فيُجازيهم به.

١٢١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ـ يا محمّد ـ ﴿إذ غَدَوتَ مِن أهلِكَ﴾ من المدينة، ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنزِل ﴿المُؤمِنِينَ مَقاعِدَ﴾: مراكزَ يقفون فيها ﴿لِلقِتالِ. واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم. وهو يومُ أُحد، خرج النبيّ ﷺ بألف أو إلاّ خمسين رجلاً، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشِّعب يومَ السبت سابعَ شوّال سنةَ ثلاث من الهجرة، وجعل ظهرَه وعسكرِه إلى أُحُد، وسوَّى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرُّماة، وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير بسفح الجبل، وقال: «انضَحُوا عنّا بالنَّبلِ لا يأتُونا مِن وَرائنا،..........

قولُه: (قَبْلُ) أي: قبلَ: ﴿قُلْ مُوتُوا﴾.

قولُه: (ومَا بَينَهُمَا) هو: ﴿قُلْ مُوتُوا﴾... إلخ.

قولُه: (بكَسْرِ الضَّادِ وسُكُونِ الرَّاءِ) للحرميَّين والبصريِّ[1] من ضارَ يضيرُ ضيراً: لغةٌ في ضرَّ، ومنه قالُوا: لا ضيرَ.

قولُه: (وضَمِّهَا) الأَولى: وبضمِّهَا؛ أي: ضمِّ الضَّادِ، وتشديدِها، أي: تشديدِ الرَّاءِ مضمومةً، وهي ضمَّةُ بناءٍ للإتباعِ لا ضمةُ رفعٍ؛ لأنَّه مجزومٌ.

قولُه: (باليَاءِ والتَّاءِ) العشرةُ متَّفقُونَ على الغيبةِ، والخطابُ إنَّما هو للحسنِ البصريِّ والمطَّوِّعيِّ عن الأعمشِ، فهو شاذٌّ بلا خلافٍ[2]، فمَا كان يليقُ ذكرُهُ إلَّا بصيغةِ التَّمريضِ، كما قالَ البيضاويُّ[3]: (وقُرِئَ).

قولُه: (مِنَ المَدِينَةِ) الأظهرُ: بالمدينةِ؛ والمعنى: إذ ذهبْتَ من عند أهلِكَ الَّذين في المدينةِ.

قولُه: (بِسَفحِ الجَبَلِ) أي: أصلِهِ أو أسفلِهِ.

قولُه: (انْضَحُوا) أي: ارمُوا وادفعُوا.

قولُه: (بالنَّبْلِ) أي: بالسِّهامِ العربيَّةِ، مفردُ اللَّفظِ مجموعُ المعنى.

قولُه: (لا يَأْتُونَا) مجزومٌ على جوابِ الأمرِ.

قولُه: (مِن وَرَائِنَا) أي: خلفِنا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧١).

(٢) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ١١٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٣٦).

ولا تبرَحُوا غُلِبْنا أو نُصِرْنا».

١٢٢ ـ ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ طائفتانِ مِنكُم﴾ بنو سَلِمةَ وبنو حارثةَ جَناحا العسكر ﴿أنْ تَفشَلا﴾: تجبُنا عن القِتال وترجِعا، لمّا رجَع عبد الله بن أُبيٍّ المُنافقُ وأصحابه، وقال: عَلامَ نَقتلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟ وقال لأبي جابرٍ السَّلَميّ القائلِ له: «أنشُدُكمُ اللهَ في نَبِيّكم وأنفُسِكم»: «لو نعلمُ قِتالاً لاتّبعناكم». فثبّتهما الله ولم ينصرفا، ﴿واللهُ وَلِيُّهما﴾: ناصرهما. ﴿وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾: لِيثقوا به دون غيره.

ونزل لمّا هُزموا، تذكيرًا لهم بنعمة الله: ١٢٣ ـ ﴿ولَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدرٍ﴾: موضعٍ بين مكّة والمدينة، ﴿وأنتُم أذِلَّةٌ﴾ بِقلّة العدد والسلاح ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعَمَه ـ ١٢٤ ـ ﴿إذ﴾: ظرفٌ لـ«نَصَرَكم» ﴿تَقُولُ لِلمُؤمِنينَ﴾ تُوعِدُهم تَطمينًا: ﴿ألَن يَكفِيَكُم أنْ يُمِدَّكُم﴾: يُعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلاثةِ آلافٍ مِنَ المَلائكةِ مُنْزَلِينَ﴾؟ بالتخفيف والتشديد.

قولُه: (ولا تَبْرَحُوا) أي: لا تزالُوا مكانَكُم ولا تفارقُوهُ.

قولُه: (بَدَلٌ) أو متعلِّقٌ بقولِهِ: ﴿سميعٌ عليمٌ﴾ بطريقِ التَّنازعِ، وقيل: معمولُ ﴿تبوِّئُ﴾.

قولُه: (بَنُو سَلِمَةَ) من الخزرجِ (وبَنُو حَارِثَةَ) من الأوسِ.

قولُه: (عَلامَ) أصلُهُ (مَا) الاستفهاميَّةُ، دخلَ عليها حرفُ الجرِّ، فحُذفَتِ الألفُ، وكُتبَت الياءُ بالألفِ.

قولُه: (وقَالَ) أي: ابنُ أُبيٍّ.

قولُه: (لَو نَعلَمُ) أي: نحسنُ.

قولُه: (فثَبّتَهُمَا) أي: الطَّائفتَينِ.

قولُه: (دُوْنَ غَيرِهِ) مستفادٌ من تقديمِ الجارِّ.

قولُه: (مَوضِع) أو ماء كان لرجلٍ يسمى بدراً فسُمِّي به.

قولُه: (بِقلَّةِ العَدَدِ) بفتحِ العينِ، (والسِّلاحِ) بالكسرِ، والجملةُ حالٌ من الضَّميرِ.

قولُه: (تُوعِدُهُم) الظاهرُ: تعدُهُم.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) لابنِ عامرٍ[1] للتكثيرِ أو التَّدريجِ أو التَّعديةِ، والكلُّ بفتحِ الزَّاي.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٥).

١٢٥ ـ ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ذلك. وفي «الأنفال»: «بألْفٍ» لأنّه أمدَّهم أوّلاً بها، ثمّ صارت ثلاثة، ثمّ صارت خمسة كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَصبِرُوا﴾ على لقاء العدوّ، ﴿وتَتَّقُوا﴾ الله في المُخالفة، ﴿ويأتوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِن فَورِهِم﴾: وقتِهم ﴿هذا، يُمدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمسةِ آلافٍ مِنَ المَلائكةِ مُسَوِّمِينَ﴾، بكسر الواو وفتحها، أي: مُعلِّمين. وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلتْ معهم الملائكة على خيلٍ بُلْقٍ، عليهم عمائمُ صُفرٌ أو بِيض، أرسلوها بين أكتافهم. ١٢٦ ـ ﴿وما جَعَلَهُ اللهُ﴾ أي: الإمدادَ ﴿إلاّ بُشرَى لَكُم﴾ بالنصر، ﴿ولِتَطمَئِنَّ﴾: تسكنَ ﴿قُلُوبُكُم بِهِ﴾، فَلا تجزعَ من كثرة العدوّ وقلّتكم. ﴿وما النَّصرُ إلاّ مِن عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجُند.

١٢٧ ـ ﴿لِيَقطَعَ﴾: متعلّق بـ «نَصَرَكم» أي: لِيُهلِكَ ﴿طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر، ﴿أو يَكبِتَهُم﴾: يُذلَّهم بالهزيمة، ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾: يَرجِعوا ﴿خائبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه.

ونزلَ لمّا كُسرت رباعِيَتُه ﷺ وشُجّ وجهُه يوم أُحُد،......................................

قولُه: (وَقْتِهِم) أي: ساعتِهم هذه قبلَ أن يسكنُوا، والمعنى: أن يأتوكُم في الحالِ، وفي «الدُّرِّ»[١] أي: من غضبِهِم؛ يعني: من فورانِ غيظِهِم.

قولُه: (بِكَسرِ الوَاوِ) للمكّيِّ والبصريِّ وعاصمٍ[٢].

قولُه: (وَعْدَهُ) وفي نسخةٍ: «وعدَهُم» بالإضافةِ إلى الفاعلِ أو المفعولِ.

قولُه: (بُلْقٍ) جمعُ: أبلقَ، ما فيه سوادٌ وبياضٌ.

قولُه: (أَرْسَلُوهَا) أي: أطرافها.

قولُه: (أي: الإِمْدَادَ) المأخوذَ من: ﴿يُمِدَّكُم﴾.

قولُه: (مُتَعَلِّقٌ بِنَصَرَكُم) أو: ﴿ومَا النَّصرُ﴾ إن كان لامُهُ للعهدِ؛ لأنَّ كلَّ نصرٍ لا يفيدُ ذلك.

قولُه: (يُذِلَّهُمْ) الكبتُ: شدَّةُ غيظٍ[٣]، أو وهنٌ يقعُ في القلبِ، و﴿أو﴾ للتَّنويعِ.

قولُه: (مَا رَامُوهُ) أي: قصدُوهُ.

قولُه: (رَبَاعِيَتُهُ) على زنةِ ثمانيةٍ: السِّنُّ التي بين الثَّنِيَّةِ والنَّابِ[٤]، والثَّنايا: الأسنان المتقدِّمةُ[٥].

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٣٠٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٦).

(٣) انظر: «الغريبين» (٥/ ١٦٠٧).

(٤) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٢١٤).

(٥) انظر: «المغرب» (ص: ٧١).

وقال: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ خَضَبُوا وَجهَ نَبِيِّهِم بالدَّمِ»؟: ١٢٨ ـ ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ﴾ بلِ الأمر لله ـ فاصبرْ ـ ﴿أو﴾ بمعنى: إلى أن ﴿يَتُوبَ علَيهِم﴾ بالإسلام ﴿أو يُعَذِّبَهُم ـ فإنَّهُم ظالِمُونَ﴾ بالكُفر ـ ١٢٩ ـ ﴿وللهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه. ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

١٣٠ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا الرِّبا أضعافًا مُضاعَفَةً﴾ ـ بألِفٍ ودُونِها ـ بأن تزيدوا في المال عِند حُلول الأجل وتُؤخِّروا الطلب، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ بتركِه، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون، ١٣١ ـ ﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلكافِرِينَ﴾ أن تُعذَّبوا بها، ١٣٢ ـ ﴿وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾.

١٣٣ ـ ﴿وسارِعُوا﴾ ـ بواو ودُونِها ـ ....

قولُه: (بِمَعْنَى: إِلَى أَنْ) أو إلا أن.

قولُه: (ودُوْنَهَا) أي: بدونِ الألفِ مع تشديدِ العينِ للمكِّيِّ والشَّاميِّ[١].

قولُه: (بِأَنْ تَزِيْدُوا... إلخ) والتَّخصيصُ بحسبِ الواقعِ، فلا مفهومَ له عندَ من يقولُ به، بل لزيادةِ التَّوبيخِ، وللتَّنبيهِ على أنَّهُم كانوا على هذه الطَّريقةِ المذمُومةِ الَّتي ربَّما يستصحِبُها[٢] أكلةُ الرِّبا أيضاً؛ إذ ربَّما يستغرقُ بالشَّيءِ القليلِ مالَ المديونِ.

قولُه: (أَنْ تُعَذَّبُوا) بفتحِ أن مفعولُ: ﴿اتَّقُوا﴾.

قولُه: (بالوَاوِ) أي: الأُولى.

قولُه: (ودُونِهَا) نافعٌ وابنُ عامرٍ[٣]؛ يعني: سابِقُوا بالأعمالِ الصَّالحةِ، قالهُ سعيدُ بنُ جبيرٍ[٤]، وعن أنسٍ: بالتَّكبيرةِ الأولى[٥]، كذا في «الدُّرِّ»[٦]، وقال البيضاويُّ[٧]: بادِروا إلى ما تُستحَقُّ به المغفرةُ كالإسلامِ والتَّوبةِ والإخلاصِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٤).

(٢) في الأصول: «يستقبحها» ولم أفهم سياقها، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤١٥٤).

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٩٢١).

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٣١٤).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٣٨).

﴿إلَى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم، وجَنَّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ﴾ أي: كعرضهما، لو وُصلت إحداهما بالأُخرى ـ والعرض: السَّعة ـ ﴿أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ﴾ اللهَ بعمل الطاعات وترك المعاصي، ١٣٤ ـ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ﴾: اليُسر والعُسر، ﴿والكاظِمِينَ الغَيظَ﴾: الكافِّينَ عن إمضائه مع القُدرة، ﴿والعافِينَ عَنِ النّاسِ﴾ ممّن ظلمهم، أي: التاركين عُقوبتَه ـ ﴿واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي: يُثيبهم ـ ١٣٥ ـ ﴿والَّذِينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً﴾: ذنبًا قبيحًا كالزِّنى، ﴿أو ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بما دُونه كالقُبلة، ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ أي: وعيدَه، ﴿فاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم، ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ اللهُ؟ ولَم يُصِرُّوا﴾: يُدِيموا ﴿علَى ما فَعَلُوا﴾ بل أقلعوا عنه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنّ الذي أتَوه معصية..

قولُه: (كعَرْضِهِمَا) فيكونُ تشبيهاً بليغاً، كما يقالُ: أبو يوسفَ أبو حنيفةَ؛ للتَّصريحِ في آيةِ (الحديدِ)[1] لا أنها عينُهُما، فلا مستمسكَ للمعتزلةِ.

قولُه: (والعَرْضُ السَّعَةُ) أي: ذكرَ العرضَ للمُبالغةِ في وصفِها بالسَّعةِ؛ لأنَّ العرضَ دونَ الطُّولِ، والظَّاهرُ: أنَّ المرادَ بالعرضِ منه[2] الطُّول؛ ليفيدَ المبالغةَ.

قالَ تعالى: (﴿أُعِدَّتْ﴾) أي: هُيِّئت لهم، فالجنَّةُ بالذَّاتِ للمتَّقينَ، وبالعَرَضِ لفسَّاقِ المؤمنينَ.

وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّةَ مخلوقةٌ، وأنَّها خارجةٌ عن هذا العالمِ؛ لأنَّهُ لا يسعُها.

وقولُه تعالى: (﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ﴾) صفةٌ مادحةٌ، أو مدحٌ مرفوعٌ، أو منصوبٌ.

قولُه: (اليُسْرِ) أي: حالتي اليسرِ والعسرِ، أو الأحوالِ كلِّها؛ إذ الإنسانُ لا يخلُو عن مسرَّةٍ أو مضرَّةٍ.

قولُه: (بهَذِهِ الأفعَالِ) فاللَّامُ للعهدِ، ويحتملُ الجنسَ، ويدخلُ هؤلاءِ دخولاً أوَّليًّا.

قولُه: (كالقُبْلَةِ) أو الثَّاني أعمُّ من الأوَّلِ، أو الفاحشةُ ما يتعدَّى إلى الغيرِ والظُّلمُ ما يكونُ قاصراً على نفسِهِ.

قولُه: (أَي: وَعِيدَهُ) أو حكمَهُ، أو حقَّهُ العظيمَ.

قالَ تعالى: (﴿فَاسْتَغْفَرُوا﴾) أي: بالنَّدمِ.

قولُه: (أَي: لَا) استفهامٌ بمعنى النَّفي معترِضٌ بين المعطوفَينِ، تقديرُهُ: فاستغفَرُوا لذنوبِهم ولم يصرُّوا.

قولُه: (بَلْ أَقْلَعُوا) الإقلاعُ: الكفُّ.

---

(١) رقم: (٢١).

(٢) كذا في كل الأصول.

١٣٦ ـ ﴿أُولئِكَ جَزاؤُهُم مَغفِرةٌ، مِن رَبِّهِم وجَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدَّرة، أي: مقدَّرين الخلودَ فيها إذا دخلوها. ﴿ونِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجرُ!

ونزل في هزيمة أُحُد: ١٣٧ ـ ﴿قَد خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبلِكُم سُنَنٌ﴾: طرائقُ في الكُفّار بإمهالِهم ثمّ أخذِهم. ﴿فسِيرُوا﴾ ـ أيُّها المُؤمنون ـ ﴿في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسلَ أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فلا تحزنوا لغلبتهم، فأنا أُمهِلُهم لِوقتهم ـ ١٣٨ ـ ﴿هذا﴾ القرآنُ ﴿بَيانٌ لِلنّاسِ﴾ كلّهم ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ومَوعِظةٌ لِلمُتَّقِينَ﴾ منهم ـ ١٣٩ ـ ﴿ولا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا عن قتال الكُفّار، ﴿ولا تَحزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأُحُد، ﴿وأنتُمُ الأعلَونَ﴾ بالغلبة عليهم، ﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا، وجوابه دلّ عليه مجموع ما قبله.

١٤٠ ـ ﴿إنْ يَمسَسْكُم﴾: يُصِبْكم بأُحُدٍ ﴿قَرْحٌ﴾، بفتح القاف وضمّها: جَهدٌ من جَرح ونحوه، ﴿فقَد مَسَّ القَومَ﴾: الكُفّارَ ﴿قَرْحٌ مِثلُهُ﴾ ببدرٍ، ﴿وتِلكَ الأيّامُ نُداوِلُها﴾: نُصرِّفها ﴿بَينَ النّاسِ﴾ يومًا لِفرقة ويومًا لأُخرى،......................................

قولُه: (كُلِّهِم) حجَّةٌ عليهم.

قولُه: (مِنْهُم) خُصُّوا لأنَّهم المنتفِعُونَ بالهدايةِ والموعظةِ.

قولُه: (عَن قِتَالِ الكُفَّارِ) بما أصابكُم من غلبةِ الكفّارِ.

قولُه: (بأُحُدٍ) أو: على من قُتِلَ منكم.

قولُه: (بالغَلَبَةِ) أي: وحالُكُم أنَّكم أعلى منهُم شأناً؛ فإنَّكم على الحقِّ وإنَّهم على الباطلِ، وقتالُكم للهِ وقتالُهُم للشَّيطانِ، وقتلاكُم في الجنَّةِ وقتلاهُم في النَّارِ، أو: لأنَّكُم أصبتُم منهم يومَ بدرٍ أكثرَ ممَّا أصابوا منكُم اليومَ، أو: أنتُم الأعلَونَ في العاقبةِ، فيكونُ بشارةً لهم بالنُّصرةِ والغلبةِ.

قولُه: (مَجمُوعُ مَا قَبلَهُ) من طلبِ التَّركِ، لا الجملةُ الحاليَّةُ.

قولُه: (وَضَمِّهَا) حمزةُ والكسائيُّ وشعبةُ[1] لغتانِ، أو: بالفتحِ الجراحُ، وبالضمِّ ألَمُها.

قولُه: (جُهْدٌ) بالضمِّ، ويفتحُ؛ أي: مشقَّةٌ.

قولُه: (وَيَوماً لِأُخرَى) كقولِهِ[2]:

فيومـاً علينـا ويومـاً لـنـا ويوماً نُسَـاءُ ويومـاً نُسَـرُّ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٤).

(٢) قائله: الصحابي النَّمر بن تَوْلَب العُكْلي رضي الله عنه. انظر «ديوانه» (ص: ٦٥).

لِيتّعظوا ﴿وليَعلَمَ اللهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أخلصوا في إيمانهم من غيرهم، ﴿ويَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ﴾ يُكرمُهم بالشهادة ـ ﴿واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، أي: يُعاقبهم، وما يُنعِم به عليهم استدراجٌ ـ ١٤١ ـ ﴿وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يُطهّرَهم من الذُّنوب بما يُصيبهم، ﴿ويَمحَقَ﴾: يُهلِكَ ﴿الكافِرِينَ﴾.

١٤٢ ـ ﴿أم﴾: بل أ ﴿حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنّةَ، ولَمّا﴾: لم ﴿يَعلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم﴾ عِلمَ ظُهورٍ، ﴿ويَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدائد؟ ١٤٣ ـ ﴿ولَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ـ ﴿المَوتَ مِن قَبلِ أنْ تَلقَوهُ﴾، حيث قلتم: ليت لنا يومًا كيوم بدر لننال ما نال شُهداؤه. ﴿فقَد رأَيتُمُوهُ﴾ أي: سَبَبَهُ الحربَ، ﴿وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ أي: بُصراءُ تتأمّلون الحال كيف هي؟ فلِمَ انهزمتم؟

والمداولةُ كالمعاودةِ، و﴿الأيّامُ﴾ تحتملُ الوصفَ والخبرَ، و﴿نداولُهَا﴾ يحتملُ الخبرَ والحالَ، والأظهرُ هو الأوَّلُ، والمرادُ بها: أوقاتُ النَّصرِ والغلبةِ.

قولُه: (لِيَتَّعِظُوا) قدَّرَ ليعطِف عليه: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾.

قولُه: (عِلْمَ ظُهُوْرٍ) أي: علماً يتعلَّقُ به الجزاءُ؛ يعني: أنَّ له تعالى علمَينِ؛ أزليًّا ويُسمَّى علمَ بطونٍ، وهو ما يكونُ في الأزلِ، وعلماً يتعلَّقُ به الجزاءُ ويُسمَّى علمَ ظهورٍ، وهو العلمُ بالشَّيءِ الموجودِ؛ فإنَّ الجزاءَ لا يتعلَّقُ بشيءٍ معدومٍ، ولو لم يوجدِ الإيمانُ لم يتعلَّقْ به الجزاءُ، ويتوقَّفُ على وجودِ ذلك الشَّخصِ، والمرادُ بعلمِ اللهِ هنا هو الثَّاني، ويُسَمَّى العلمَ التَّنجيزيَّ أيضاً.

قولُه: (ومَا يُنعِمُ بِهِ عَلَيهِم) على خلافِ أنَّهُ هل يُسمَّى نعمةً أم لا؟ وهو اعتراضٌ.

قولُه: (بَلْ أَحَسِبتُم) معناهُ: الإنكارُ.

قولُه: (عِلْمَ ظُهُورٍ) والقصدُ في مثلِهِ ـ نفياً وإثباتاً ـ ليس إلى إثباتِ علمِهِ ونفيِهِ؛ فإنَّ علمَ اللهِ تعالى إذا تعلَّقَ بشيءٍ لزمَ أن يوجدَ ذلك الشَّيءُ، وعدمُ تعلُّقِهِ به ينافيهِ، بل إلى إثباتِ المعلومِ ونفيِهِ على طريقِ البرهانِ؛ ولذا فسَّرَ البيضاويُّ[1] قولَهُ: ﴿لَمَّا يَعْلَمِ﴾... إلخ بلمَّا يجاهِدوا.

قالَ تعالى: (﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ﴾) نُصِبَ بإضمارِ أن، والواوُ بمعنى الجمعِ، نحوَ: لا تأكل السَّمكَ وتشربَ اللَّبنَ؛ أي: لم يكن العلمُ بالمجاهدينَ والعلمُ بالصَّابرينَ.

قولُه: (الحَربَ) بدلٌ.

قولُه: (بُصَراء تَتَأَمَّلُونَ) جمعَ بين الحقيقةِ والمجازِ، وهو لا يجوزُ عندنا[2]، فتأمَّل.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٤٠).

(٢) انظر: «رد المحتار» (٢/ ١٩٢).

ونزل في هزيمتهم لمّا أُشيعَ أنّ النبيَّ قُتل، وقال لهم المُنافقون: «إن كان قُتل فارجِعوا إلى دِينكم»:

١٤٤ ـ ﴿وما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ. أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انقَلَبتُم على أعقابِكُم﴾: رجَعتم إلى الكُفر؟ والجملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاريّ، أي: ما كان معبودًا فترجِعوا، ﴿ومَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيهِ فلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئًا﴾! وإنما يضرّ نفسه، ﴿وسَيَجزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾ نِعمَه بالثبات.

١٤٥ ـ ﴿وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَموتَ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾: بقضائه، ﴿كِتابًا﴾: مصدرٌ، أي: كَتَبَ اللهُ ذلك، ﴿مُؤَجَّلاً﴾: مُؤقّتًا لا يتقدّم ولا يتأخّر. فلِمَ انهزمتم، والهزيمةُ لا تدفع الموتَ، والثباتُ لا يقطع الحياة؟ ﴿ومَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوابَ الدُّنيا﴾ أي: جزاءَه منها ﴿نُؤتِهِ مِنها﴾ ما قُسم له ولا حظَّ له في الآخرة، ﴿ومَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنها﴾ أي: من ثوابها. ﴿وسَنَجزِي الشّاكِرِينَ﴾.

١٤٦ ـ ﴿وكَأَيِّـنْ﴾: كـم ﴿مِـن نَبِـيٍّ قُتِلَ﴾ ـ وفـي قراءة: «قاتَـلَ» والفاعل ضميـره ـ ﴿مَعَهُ﴾: خبرٌ مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾:...

قولُه: (بالثَّباتِ) على الإسلامِ أو الجهادِ.

قولُه: (مَصْدَرٌ) أي: مؤكِّدٌ لمضمونِ الجملةِ السَّابقِ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: الموتَ.

قولُه: (أي: جَزَاءَهُ) أي: جزاءَ عملِهِ من الدُّنيا.

قولُه تعالى: (﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِيْنَ﴾) بالزِّيادةِ على ثوابِها؛ أي: فضلاً وإحساناً، أو بأن يُثابوا في الدُّنيا أيضاً.

قولُه: (كَم) وفي قراءةِ المكِّيِّ: ﴿كَائِن﴾ على زنةِ فاعلٍ(١).

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) أي: للشَّاميِّ والكوفيِّ(٢).

قولُه: (والفَاعِلُ ضَمِيرُهُ) أي: ضميرٌ راجعٌ إلى ﴿نَبِيٍّ﴾، ويمكنُ أن يكونَ فاعلُهُ ﴿رِبِّيُّونَ﴾ والجملةُ صفةُ ﴿نَبِيٍّ﴾.

قولُه: (خَبَرٌ مُبتَدَؤُهُ) والجملةُ حالٌ من ضميرِ النبيِّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧).

جموعٌ كثيرة، ﴿فما وَهَنُوا﴾: جَبُنوا، ﴿لِما أصابَهُم في سَبِيلِ اللهِ﴾ من الجراحِ وقتلِ أنبيائهم وأصحابهم، ﴿وما ضَعُفُوا﴾ عنِ الجهاد، ﴿وما استَكانُوا﴾: خضعوا لعدوّهم كما فعلتم حين قيل: قُتل النبيّ! ـ ﴿واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء، أي: يُثيبهم ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ﴿وما كانَ قَولَهُم﴾ عند قتل نبيّهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إلاّ أنْ قالُوا: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإسرافَنا﴾: تجاوُزَنا الحدَّ ﴿في أمرِنا﴾ إيذانًا بأنّ ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم، ﴿وثَبِّتْ أقدامَنا﴾ بالقوّة على الجِهاد، ﴿وانصُرْنا علَى القَومِ الكافِرِينَ. فآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنيا﴾: النصرَ والغنيمةَ، ﴿وحُسنَ ثَوابِ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةَ. وحُسنه: التفضّل فوق الاستحقاق. ﴿واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾.

١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُم علَى أعقابِكُم﴾ إلى الكُفر، ﴿فتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ. بَلِ اللهُ مَولاكُم﴾: ناصركم، ﴿وهُوَ خَيرُ النّاصِرِينَ﴾. فأطيعوه دونهم. ١٥١ ـ ﴿سَنُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، بسكُون العين وضمّها: الخوفَ ـ وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحُد على العَود واستئصال المسلمين، فرُعِبُوا ولم يرجِعوا ـ ﴿بِما أشرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم ﴿بِاللهِ ما لَم يُنَزِّلْ بِهِ سُلطانًا﴾: حُجّة على عبادته ـ وهو الأصنام ـ ﴿ومأواهُمُ النّارُ، وبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿الظّالِمِينَ﴾: الكافرين هي!

قولُه: (جُمُوعٌ) فالرِّبِّيُّ منسوبٌ إلى الرِّبَّةِ، وهي الجماعةُ[١]، وجُمِعَ للمبالغةِ، أو معناهُ: ربَّانيُّونَ علماءُ أتقياءُ، أو عابدُونَ لربِّهِم، وهذا المعنى أظهرُ.

قولُه: (كَمَا فَعَلْتُم) فقالَ بعضُهم: ليتَ ابنَ أُبيٍّ يأخذُ لنا أماناً من أبي سفيانَ، وقالَ أناسٌ من المنافقينَ: لو كانَ نبيًّا لما قُتِلَ، ارجعُوا إلى إخوانِكُم ودينِكُم، فقالَ أنسُ بنُ النَّضرِ عمُّ أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يا قومُ! إن كانَ قُتِلَ محمَّدٌ فإنَّ ربَّ محمدٍ حيٌّ لا يموتُ، وما تصنعُونَ بالحياةِ بعدهُ، فقاتِلُوا على ما قاتلَ عليه، ثمَّ قال: اللَّهمَّ إنِّي أعتذرُ إليك ممَّا يقولُونَ، وأبرأُ منه، وشدَّ بسيفِهِ فقاتلَ حتَّى قُتِلَ[٢].

قولُه: (وَضَمِّهَا) للشَّاميِّ والكسائيِّ[٣].

قولُه: (هِيَ) أي: النَّارُ؛ مخصوصٌ بالذَّمِّ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١/ ٤٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٩٤٣) بنحوه عن السدي مطولًا.

(٣) انظر «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٦).

١٥٢ ـ ﴿ولَقَد صَدَقَكُمُ اللهُ وَعدَهُ﴾ إيّاكم بالنصر، ﴿إذ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم ﴿بِإذنِهِ﴾: بإرادته، ﴿حَتَّى إذا فَشِلتُم﴾: جبُنتم عن القتال، ﴿وتَنازَعتُم﴾: اختلفتم ﴿في الأمرِ﴾ أي: أمرِ النبيّ بِالمُقام في سفح الجبل للرمي ـ فقالَ بعضُكم: نَذهبُ فقد نُصِرَ أصحابنا. وبعضُكم: لا نُخالِفُ أمرَ النبيّ ـ ﴿وعَصَيتُم﴾ أمره فتركتم المركز لأجل الغنيمة ﴿مِن بَعدِ ما أراكُم﴾ اللهُ ﴿ما تُحِبُّونَ﴾ من النصر. وجواب «إذا» دلّ عليه ما قبله أي: منعكم نصرَه ـ ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنيا﴾ فترك المركز للغنيمة، ......

قولُه: (إيَّاكُم) بتحتيَّةٍ مشدَّدةٍ: إشارةٌ إلى أنَّ المصدرَ مضافٌ إلى فاعلِهِ.

قولُه: (بالنَّصْرِ) أي: بشرطِ التَّقوى والصَّبرِ.

قولُه: (تَقْتُلُونَهُم) من حَسَّهُ: إذا أبطلَ حِسَّهُ؛ يعني: أوَّلَ الأمرِ يومَ أُحُدٍ.

قولُه: (وَبَعْضُكُم) عطفٌ على (بعضُكُم) فثبتَ مكانَهُ أميرُهم في نفرٍ دونَ العشرةِ، ونَفَرَ الباقُونَ للنَّهبِ، وهو المعنيُّ بقولِه: ﴿وَعَصَيْتُم﴾.

قولُه: (أَي: مَنَعَكُم نَصْرَهُ) أو: امتحنكُم بالكسرِ ليتميَّزَ المؤمنُ والمنافقُ.

قولُه: (لِلغَنِيْمَةِ) نُقِلَ عن ابنِ مسعودٍ: ما كنتُ أظنُّ أنَّ أحداً من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ يريدُ الدُّنيا حتَّى نزلت هذه الآيةُ[1]، وقالَ بعضُ العارفينَ: لا نظنُّ أنَّهُم كانُوا يريدُونَ الدُّنيا للدُّنيا، بل إنَّما كان بعضُهم يريدُ الدُّنيا للآخرةِ، وبعضُهم ما كانُوا يريدُونَها لها أيضاً، كما قالَ عيسى عليه السَّلامُ:

يـا طالـبَ الدُّنيـا لتبـرَّ تـركُكَ للدُّنيـا أبـرُّ[2]

ولمَّا سمعَ الشِّبليُّ هذهِ الآيَةَ قال: آهِ، فأينَ من يريدُ اللهَ؟[3].

قلتُ: الجوابُ بلسانِ العبارةِ: أنَّ من يريدُ الآخرةَ شاملٌ لمن يريدُ اللهَ؛ لأنَّ بعضَهُم يريدُونَ الآخرةَ لها، وبعضَهُم يريدُونَها لما فيها من قرَّةِ أعينٍ، وبلسانِ الإشارةِ: أنَّ من يريدُ اللهَ ليس منكُم بل منَّا بل هو غائبٌ فانٍ من البينِ واصلٌ باقٍ بالعينِ، فلا يقالُ في حقِّهِ: أين؟ ولذا قال بعضُهم بلسانِ الفارسيِّ مضمونُه:

نحـنُ غبْنَـا عـنِ العَينِ وعُدِمْنَـا وفنيْنَـا عـنِ البَيْـنِ

فـي طلَـبِ الحـيِّ الَّذي هـوَ حيَـاةُ العَـينِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٤٣٠)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٨٠٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٣٣٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٢٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٢٧) من قول سفيان الثوري، ولفظه: قال المسيح: إنما تطلب الدنيا لتبر فتركها أبر.

(٣) ذكره السلمي في «حقائق التفسير» (١/ ١٢٣).

﴿ومِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرةَ﴾ فثبَتَ به حتّى قُتل كعبد الله بن جُبير وأصحابه ـ ﴿ثُمَّ صَرَفَكُم﴾: عطفٌ على جواب «إذا» المُقدّر، ردَّكم بالهزيمة ﴿عَنهُم﴾ أي: الكُفّارِ، ﴿لِيَبتَلِيَكُم﴾: ليَمتحنكم فيَظهَرَ المخلصُ من غيره ـ ﴿ولَقَد عَفا عَنكُم﴾ ما ارتكبتموه. ﴿واللهُ ذُو فَضلٍ علَى المُؤمِنِينَ﴾ بالعفو ـ اذكروا ١٥٣ ـ ﴿إذ تُصعِدُونَ﴾: تُبعِدون في الأرض هاربين، ﴿ولا تَلْوُونَ﴾: تُعرّجون ﴿علَى أحَدٍ، والرَّسُولُ يَدعُوكُم في أُخراكُم﴾ أي: من ورائكم، يقول: «إليَّ عِبادَ اللهِ، إليَّ عِبادَ اللهِ»، ﴿فأثابَكُم﴾: فجازاكم ﴿غَمًّا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾: بسبب غمِّكم الرسولَ بالمُخالفة ـ وقيل: الباء بمعنى: على، أي: مُضاعَفًا، على غمِّ فَوتِ الغنيمة ـ ﴿لِكَيلا﴾، متعلّق بـ«عفا»، أو بـ «أثابكم» فـ«لا»: زائدة، ﴿تَحزَنُوا علَى ما فاتَكُم﴾ من الغنيمة ﴿ولا ما أصابَكُم﴾ من القتل والهزيمة. ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾.

١٥٤ ـ ﴿ثُمَّ أنزَلَ علَيكُم مِن بَعدِ الغَمِّ أَمَنةً﴾: أمْنًا، ﴿نُعاسًا﴾: بدلٌ ﴿يَغشَى﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿طائفةً مِنكُم﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يَميدون تحت الحَجَفِ وتسقط السيوف منهم، ﴿وطائفةٌ قَد أَهَمَّتهُم أنفُسُهُم﴾ أي: حَملتْهم على الهمّ، فلا رغبةَ لهم إلاّ نجاتُها ....

ولذا لم يخبرْ عنّا أحدٌ من السّالكينَ، ولا يشيرُ إلينا واحدٌ[١] من الطّالبينَ.

قالَ تعالى: (﴿عَلَى أَحَدٍ﴾) قُرِئَ بضمّتينِ[٢].

قولُه: (إِلَيَّ) أي: تعالَوا إليَّ عبادَ اللهِ.

قولُه: (والتَّاءِ) أي: التّأنيثُ لحمزةَ والكِسائيِّ ردًّا على الأمَنَةِ، والباقُونَ بالتّذكيرِ ردًّا على النُّعاسِ[٣].

قولُه: (يَمِيْدُونَ) أي: يميلُونَ، كما في نسخةٍ.

قولُه: (الحَجَفِ) بفتحِ الحاءِ المهملةِ والجيمِ: التُّرُوسُ[٤].

قولُه: (مِنْهُم) أي: من أيدِيهِم.

قولُه: (عَلَى الهَمِّ) أي: همِّ الهزيمةِ.

قولُه: (فَلا رَغْبَةَ لَهُم) أي: فلا مرغوبَ لتلك الطَّائفةِ.

قولُه: (إِلَّا نَجَاتُهَا) بالرَّفعِ؛ أي: نجاةُ أنفسِها.

---

(١) في (م): «أحد».

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ١٢٣) ونسبت للحسن، وجاءت عن عائشة وعن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٦).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٩٨).

دُونَ النبيّ وأصحابه، فلم يناموا ـ وهم المنافقون ـ ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ﴾ ظنًّا ﴿غَيرَ﴾ الظنّ ﴿الحَقِّ، ظَنَّ﴾ أي: كظنّ ﴿الجاهِلِيَّةِ﴾، حيث اعتقدوا أنّ النبيّ قُتل أو لا يُنصر، ﴿يَقُولُونَ: هَل﴾ ما ﴿لَنا مِنَ الأمرِ﴾ أي: النصرِ الذي وُعِدْناه ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ؟ ـ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الأمرَ كُلَّهُ﴾ بالنصبِ: توكيدًا، والرفعِ: مبتدأ خبره: ﴿للهِ﴾ أي: القضاءَ له يفعل ما يشاء ـ ﴿يُخفُونَ في أنفُسِهِم ما لا يُبدُونَ﴾: يُظهرون ﴿لَكَ، يَقُولُونَ﴾ بيانٌ لما قبله: ﴿لَو كانَ لَنا مِنَ الأمرِ شَيءٌ ما قُتِلنا ههُنا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نُقتل. لكن أُخرجنا كُرهًا.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كُنتُم في بُيُوتِكُم﴾، وفيكم من كَتبَ اللهُ عليه القتل، ﴿لَبَرَزَ﴾: خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِي ﴿عَلَيهِمِ القَتلُ﴾ منكم ﴿إِلَى مَضاجِعِهِم﴾: مَصارعهم فيقتلوا، ولم يُنجهم قُعودُهم، لأنّ قضاءه ـ تعالى ـ كائن لا محالة، ﴿و﴾ فُعِل ما فُعِل بأُحُد، ﴿لِيَبتَلِيَ﴾: يَختبرَ ﴿اللهُ ما في صُدُورِكُم﴾: قُلوبكم من الإخلاص والنفاق، ﴿ولِيُمَحِّصَ﴾: يَميزَ ﴿ما في قُلُوبِكُم، واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب، لا يخفى عليه شيء، وإنّما يَبتلي ليُظهِر لِلناس.

١٥٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم﴾ عن القتال ﴿يَومَ التَقَى الجَمعانِ﴾: جمعُ المسلمين وجمع الكافرين بأُحُد ـ وهم المسلمون..

قولُه: (دُوْنَ النَّبِيِّ... إلخ) أي: غير نجاتِهِم.

قولُه: (فَلَمْ يَنَامُوا) أي: الطَّائفةُ.

قولُه: (وَهُمُ المُنَافِقُونَ) ورئيسُهُم عبدُ اللهِ بن أُبيٍّ.

قولُه: (والرَّفْعِ) للبصريِّ[1].

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) والجملةُ خبرُ إنَّ.

قولُه: (لا مَحَالَةَ) بالضمِّ والفتحِ.

قولُه: (يَخْتَبِرَ) ويُظهِرَ للنَّاسِ.

قولُه: (يُمَيِّزَ) ويكشفَ، أو يخلصَهُ ويطهِّرَهُ من الوسواسِ.

قولُه: (وَهُمْ) راجعٌ إلى: ﴿الَّذينَ تَوَلَّوا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٧).

إلاّ اثني عشر رجلاً ـ ﴿إنّما استزَلَّهُمُ﴾: أزلّهم ﴿الشّيطانُ﴾ بوسوسته، ﴿بِبَعضِ ما كَسَبُوا﴾ من الذّنوب، وهو مُخالفة أمر الرسول، ﴿ولَقَد عَفا اللهُ عَنهُم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمُؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يُعجّل على العُصاة.

١٥٦ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المنافقين، ﴿وقالُوا لإخوانِهِم﴾ أي: في شأنهم، ﴿إذا ضَرَبُوا﴾: سافروا ﴿في الأرضِ﴾ فماتوا﴿أو كانُوا غُزًّى﴾: جمع غازٍ، فقُتلوا: ﴿لَو كانُوا عِندَنا ما ماتُوا، وما قُتِلُوا﴾. أي: لا تقولوا كقولهم، ﴿لِيَجعَلَ اللهُ ذلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً في قُلُوبِهِم. واللهُ يُحيِي ويُمِيتُ﴾، فلا يمنع عن الموت قعودٌ، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

١٥٧ ـ ﴿ولَئِن﴾: لامُ قسم ﴿قُتِلتُم في سَبِيلِ اللهِ﴾ أيِ: الجِهاد، ﴿أو مُتُّم﴾ ـ..................

قولُه: (إلَّا اثْنَي عَشَرَ) وقالَ البغويُّ[١]: إلَّا ثلاثةَ عشرَ رجلاً، ستَّةٌ من المهاجرينَ؛ وهم: أبو بكرٍ وعُمرُ وعليٌّ وطلحةُ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ.

قولُه: (أَزَلَّهُم) هذا على أنَّ استزلَّ وأزلَّ بمعنًى، وقيل: طلبَ زلَّتَهُم، أو حملَهُم على الزَّلَّةِ.

قولُه: (وَهُو مُخَالَفَةُ أَمرِ النَّبيِّ) يعني: بتركِ المركزِ، وقيل: بشؤمِ ذنوبِهِم الَّتي تقدَّمَت لهم؛ فإنَّ المعاصِي تجرُّ إلى المعاصِي كالطَّاعةِ، قيلَ: الاستزلالُ ببعضِ المعاصي؛ فإنَّ البعضَ معفوٌّ، فلا تكونُ المعاقبةُ الدُّنيويَّةِ إلَّا لبعضٍ لم يعفُ عنهُ، ثمَّ عفَا عنهم وحطَّ عنهم التَّبعاتِ في الدُّنيا والآخرةِ.

قولُه: (جَمْعُ غَازٍ) فوزنُهُ فُعَّل كرُكَّع جمعُ: راكعٍ، ويُكتَبُ بالياءِ، ونصبُهُ تقديريٌّ.

قولُه: (فِي عَاقِبَةِ أَمرِهِم) أشارَ إلى أنَّ اللَّامَ للعاقبةِ، مثلُها في: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، و:

لِـــدُوا للمـــوتِ وابنُـــوا للخـــرابِ[٢]

لكن على هذا: الأحسنُ أنَّه متعلِّقٌ بـ﴿قَالُوا﴾ المذكورِ، معناهُ: قالوا ذلك واعتَقَدوا.

قولُه: (باليَاءِ) الغيبةُ لابن كثيرٍ وحمزةَ والكسائيِّ[٣].

قولُه: (لَامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ للقسمِ.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٥٢٥).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وساق الحديث، وفيه: وملك بباب آخر ينادي: يا بني آدم، فذكره، واللفظ لأبي الشيخ.

وهو ضعيف على ما في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للمصنف (ص: ٢٧٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٧).

بضم الميم وكسرها من: ماتَ يَموتُ ويَماتُ ـ أي: أتاكم الموت فيه، ﴿لَمَغفِرةٌ﴾ كائنةٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾ لذنوبكم ﴿ورَحْمةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم، وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره: ﴿خَيرٌ مِمّا تَجمَعُونَ﴾ من الدنيا، بالتاء والياء، ١٥٨ ـ ﴿ ولَئِن﴾: لامُ قسم ﴿مُتُّم﴾، بالوجهين، ﴿أو قُتِلتُم﴾ في الجِهاد أو غيره ﴿لَإِلَى اللهِ﴾ لا غيرِه ﴿تُحشَرُونَ﴾ في الآخرة فيُجازيكم.

١٥٩ ـ ﴿فبِما﴾ ما: زائدةٌ ﴿رَحْمةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لَهُم﴾: أي: سَهّلتَ أخلاقَك إذ خالفوك، ﴿ولَو كُنتَ فَظًّا﴾: سيّئ الخُلق ﴿غَلِيظَ القَلبِ﴾: جافيًا فأغلظت لهم ﴿لَانفَضُّوا﴾:.........

قولُه: (بضَمِّ المِيْمِ) لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وأبي بكرٍ، ووافقَهُم حفصٌ فيه وفيما بعدَهُ فقط[١].

قولُه: (مِنْ مَاتَ يَمُوتُ) فمَاتَ مفتوحُ العينِ[٢]، نُقلَ إلى مضمومِها[٣] كما في قلتُ، و(يماتُ) فالماضي مكسورُ العينِ[٤] كخِفتُ.

قولُه: (فِيْهِ) أي: في سبيلِ اللهِ.

قولُه: (مِنْهُ) أي: من اللهِ.

قولُه: (جَوَابُ القَسَمِ) وهو سادٌّ مسدَّ الجزاءِ، والمعنى: أنَّ السَّفرَ والغزوَ[٥] ليس ممَّا يجلبُ الموتَ ويقدِّمُ الأجلَ، ولو وقعَ الموتُ والقتلُ في سبيلِ اللهِ فما تنالُونَ من المغفرةِ والرَّحمةِ خيرٌ ممَّا تجمعونَ من الدُّنيا ومنافِعِها لو لم تموتُوا.

قولُه: (وَهُو فِي مَوْضِعِ الفِعْلِ) إشارةٌ إلى أنَّ الأصلَ في الجوابِ أن يكونَ فعلاً، ونظيرُهُ ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ [١٠٣] في البقرةِ، وتقدَّمَ تحقيقُهُ.

قولُه: (بالتَّاءِ واليَاءِ) الغيبة لحفصٍ[٦].

قولُه: (لا غَيْرِهِ) الحصرُ مستفادٌ من تقديمِ الجارِّ.

قولُه: (﴿ما﴾) زائدةٌ للتَّأكيدِ.

قولُه: (جَافِياً) أي: مباعداً أو قاسياً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٨).

(٢) لأن أصلها: (مَوَتَ).

(٣) أي: مضموم الفاء.

(٤) لأن أصلها: (مَوِتَ).

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٢٠).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٨).

تفرّقوا ﴿مِن حَولِكَ. فاعفُ﴾: تجاوزْ ﴿عَنهُم﴾ ما أتوه، ﴿واستَغفِرْ لَهُم﴾ ذنبَهم حتّى أغفِرَ لهم، ﴿وشاوِرْهُم﴾: استخرِجْ آراءهم ﴿في الأمرِ﴾ أي: شأنِك من الحرب وغيره، تَطييبًا لقلوبهم وليُستنّ بك ـ وكان ﷺ كثير المُشاورة لهم ـ ﴿فإذا عَزَمتَ﴾ على إمضاء ما تُريد بعد المُشاورة ﴿فتَوَكَّلْ على اللهِ﴾: ثِقْ به لا بالمُشاورة. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

١٦٠ ـ ﴿إنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ﴾: يُعِنْكم على عدوّكم كيوم بدر ﴿فلا غالِبَ لَكُم، وإنْ يَخذُلْكُم﴾: يَترك نصركم كيوم أُحُد ﴿فمَن ذا الَّذي يَنصُرُكُم مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ خِذلانه؟ أي: لا ناصرَ لكم. ﴿وعلَى اللهِ﴾ لا غيرِه ﴿فلْيَتَوَكَّلِ﴾: لِيَثِقِ ﴿المُؤمِنُونَ﴾.

ونزل لمّا فُقِدتْ قَطيفةٌ حمراء يومَ بدر، فقال بعضُ الناس: «لعلّ النبيَّ أخذَها»: ١٦١ ـ ﴿وما كانَ﴾: ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ﴾: يخونَ في الغنيمة ـ فلا تظنّوا به ذلِك. وفي قراءة بالبناء للمفعول أي: يُنسبَ إلى الغُلول ـ ﴿ومَن يَغلُلْ يأتِ بِما غَلَّ يَومَ القِيامةِ﴾ حاملاً له على عُنقه، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ﴾ الغالُّ وغيرُه جزاءَ ﴿ما كَسَبَتْ﴾: عملت، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا.

١٦٢ ـ ﴿أفمَنِ اتَّبَعَ رِضوانَ اللهِ﴾، فأطاع ولم يَغُلّ، ﴿كَمَن باءَ﴾: رَجَع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ لِمعصيته وغلوله، ﴿ومأواهُ جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجِعُ هي؟ لا ....

قولُه: (تَفَرَّقُوا) عنك ولم يسكنُوا إليك.

قولُه: (تَجَاوَزْ) فيما يختصُّ بك من سوءِ أدبٍ.

قولُه: (ذَنْبَهُم) فيما للهِ.

قولُه: (يَتْرُكْ) بالياءِ التحتيَّةِ أو بالموحَّدةِ.

قولُه: (أي: بَعْدَ خِذْلانِهِ) أو من بعدِ اللهِ؛ أي: غيرُهُ.

قولُه: (بَعْضُ النَّاسِ) أي: بعضُ المنافقينَ.

قولُه: (مَا يَنْبَغِي) أي: ما يجوزُ ولا يصحُّ، بل ولا يمكنُ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ والشَّاميِّ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (شَيْئًا) من زيادةِ عذابٍ أو نقصِ ثوابٍ.

قولُه: (هِيَ) أي: جهنَّمُ.

قولُه: (لا) أي: لا يستويانِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٧٩).

١٦٣ ـ ﴿هُم دَرَجاتٌ﴾ أي: أصحابُ درجاتٍ ﴿عِندَ اللهِ﴾ أي: مختلفو المنازل، فلِمَن اتّبع رضوانه الثوابُ، ولِمَن باء بسَخَطه العِقابُ، ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ فيُجازيهم به.

١٦٤ ـ ﴿لَقَد مَنَّ اللهُ علَى المُؤمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفُسِهِم﴾ أي: عربيًّا مِثلَهم، ليفهموا عنه ويَشرُفوا به، لا مَلَكًا ولاعَجميًّا، ﴿يَتلُو علَيهِم آياتِهِ﴾: القرآنَ، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرهم من الذّنوب، ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿والحِكْمَةَ﴾: السُّنّةَ، ﴿وإنْ﴾ مُخفّفةٌ أي: إنّهم ﴿كانُوا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ بَعثه ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن.

١٦٥ ـ ﴿أوَلَمّا أصابَتكُم مُصِيبَةٌ﴾ بأُحُد بقتل سبعين منكم، ﴿قَد أصَبتُم مِثلَيها﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم، ﴿قُلتُم﴾ مُتعجّبين: ﴿أنَّى﴾: من أين لنا ﴿هذا﴾ الخِذلانُ، ونحن مسلمون، ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة: محلّ الاستفهام الإنكاريّ. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِن عِندِ أنفُسِكُم﴾ لأنكم تركتم المركز، فخُذِلتم..

قولُه: (أي: أَصْحَابُ دَرَجَاتٍ) يعني: ضميرُ (هم) لـ﴿مَنِ اتَّبعَ﴾ ولـ﴿مَنْ باءَ﴾، والمضافُ مقدَّرٌ، ففيه تغليبُ الدَّرجاتِ على الدَّركاتِ؛ أي: أنَّهم ذوو منازلَ متفاوتةٍ، وذوو أحوالٍ مختلفةٍ، وقيل: إنَّهُ تشبيهٌ بليغٌ؛ أي: أهلُ الخيرِ والشَّرِّ كدرجاتٍ في التَّفاوتِ.

قولُه: (عَرَبِيًّا) أو بشراً، وهو الأظهرُ لظاهرِ القرآنِ من تعميمِ المؤمنينَ.

قولُه: (ويَشْرُفُوا) بضمِّ الرَّاءِ؛ أي: يحصلَ لهم الشَّرفُ.

قولُه: (مِنَ الذُّنُوبِ) ومن سائرِ العيوبِ الاعتقاديَّةِ والأخلاقِ الرَّديَّةِ.

قولُه: (مُخَفَّفَةٌ) من الثقيلةِ واللَّامُ هي الفارقةُ.

قولُه: (أي: إِنَّهُم) الظَّاهرُ: أنَّ الشَّأنَ.

قولُه: (بَيِّنٌ) ظاهرٌ.

قولُه: (والجُملَةُ الأَخِيرَةُ) أي: ﴿قلتُم أنَّى هذا﴾، و﴿لمَّا﴾ حينيَّةٌ هنا، وتوهَّمَ صاحبُ «المغني»[1] في جعلِها جازمةً.

قولُه: (تَرَكْتُم المَرْكزَ) وعن عليٍّ[2]: باختيارِكُمُ الفداءَ يومَ بدرٍ قبلَ أن يأذنَ لكم.

---

(١) لم أقف عليه في «مغني اللبيب».

(٢) لم أقف عليه هكذا، وإنما روى الترمذي (١٥٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٠٨)، والبزار في «مسنده» (٥٥١) عن علي: أن رسول الله ﷺ قال: «إن جبرائيل هبط عليه، فقال له: خيرهم ـ يعني: أصحابك ـ في أسارى بدر القتل أو الفداء على =

﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصرُ ومنعُه، وقد جازاكم بخِلافكم.

١٦٦ ـ ﴿وما أصابَكُم يَومَ التَقَى الجَمْعانِ﴾ بأُحُد ﴿فبِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿ولِيَعلَمَ﴾ اللهُ عِلمَ ظُهورٍ ﴿المُؤمِنِينَ﴾ حقًّا، ١٦٧ ـ ﴿ولِيَعلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا و﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُم﴾ لمّا انصرفوا عن القتال، وهم عبدالله بن أُبيّ وأصحابه: ﴿تَعالَوا قاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءه، ﴿أوِ ادفَعُوا﴾ عنّا القوم بتكثير سُوادكم، إن لم تُقاتلوا. ﴿قالُوا: لَو نَعلَمُ﴾: نُحسِنُ ﴿قِتالاً لاتَّبَعْناكُم﴾.

قال تعالى تكذيبًا لهم: ﴿هُم لِلكُفرِ يَومَئِذٍ أقرَبُ مِنهُم لِلإيمانِ﴾ بما أظهروا من خِذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقربَ إلى الإيمان من حيث الظاهرُ. ﴿يَقُولُونَ بِأفواهِهِم ما لَيسَ في قُلُوبِهِم﴾، ولو علموا قتالاً لم يتّبعوكم، ﴿واللهُ أعلَمُ بِما يَكتُمُونَ﴾ منَ النِّفاق، ١٦٨ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الذين» قبله أو نعت ﴿قالُوا لِإخوانِهِم﴾ في الدِّين، ﴿و﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾ عن الجِهاد: ﴿لَو أطاعُونا﴾ أي: شُهداءُ أُحُد أو إخواننا، في القُعود ﴿ما قُتِلُوا. قُلْ﴾ لهم: ﴿فادرَؤُوا﴾: ادفعوا ﴿عَن أنفُسِكُمُ المَوتَ، إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أن القعود يُنجي منه.

قولُه: (بِخِلافِكُم) أي: بمخالفتِكُم.

قولُه: (﴿و﴾الَّذِينَ) يعني: ﴿قِيلَ﴾ عطفٌ على: ﴿نَافَقُوا﴾ داخلٌ في الصِّلةِ، وقيل: كلامٌ مبتدأٌ، وهو الأظهرُ، والقائلُ ذلك عبدُ اللهِ والدُ جابرٍ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُه: (وَهُم عَبدُ اللهِ) فيكونُ تخصيصاً بعد تعميمٍ.

قولُه: (عَنَّا) والأظهرُ: عن أنفسِكُم ولو لم تكونُوا مؤمنينَ؛ ليكون قولُه: (لو نحسنُ) جواباً شاملاً.

قولُه: (أَوْ نَعْتٌ) لـ﴿الَّذينَ نافقُوا﴾ فيكونُ منصوباً على التَّبعيَّةِ، أو بدلٌ من واو ﴿يَكْتُمُونَ﴾، أو نصبٌ أو رفعٌ على الذَّمِّ.

قولُه: (فِي الدِّينِ) أي: لأجلِهم، يريدُ من قُتِلَ يومَ أُحُدٍ مطلقاً، أو من أقاربِهِم، أو: قالُوا لإخوانِهِم من المنافقينَ، أو من جنسِهِم.

قولُه: (﴿وَ﴾قَدْ) أي: الواو للحالِ، و(قد) مقدَّرةٌ؛ أي: قالُوا قاعدِينَ.

قولُه: (فِي القُعُودِ) أو الانصرافِ، متعلِّقٌ بـ﴿أَطَاعُونَا﴾.

= أن يقتل منهم قابلاً مثلهم»، قالوا: الفداء ويقتل منا.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة.

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٢٧).

ونزل في الشهداء: ١٦٩ ـ ﴿ولا تَحسِبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: لأجل دِينه ﴿أمواتًا. بَل﴾ هم ﴿أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم﴾ أرواحهم في حَواصلِ طُيور خُضر، تسرح في الجنَّة حيث شاءت كما ورد في حديث، ﴿يُرزَقُونَ﴾: يأكلون من ثِمار الجنّة، ١٧٠ ـ ﴿فَرِحِينَ﴾: حالٌ من ضمير «يُرزقون» ﴿بِماآتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، و﴾ هم ﴿يَستَبشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِهِم مِن خَلفِهِم﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويُبدل من «الذين»: ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا خَوفٌ عليهِم﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم، ﴿ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة ـ المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم ـ ١٧١ ـ ﴿يَستَبشِرُونَ بِنِعْمةٍ﴾: ثواب ﴿مِنَ اللهِ وفَضلٍ﴾:..

قولُه: (وَنَزَلَ) أي: نزلَتْ في شهداءِ أُحُدٍ، وهم سبعُونَ؛ أربعةٌ من المهاجرينَ، وسائرُهُم من الأنصارِ، كذا في «المبهماتِ»[١]، وقيل: في شهداءِ بدرٍ، والخطابُ للنَّبيِّ ﷺ أو لكلِّ أحدٍ، وقرأ هشامٌ بالياءِ بخلافٍ عنه[٢] على إسنادِهِ إلى ضميرِ الرَّسولِ، أو كلِّ من يحسبُ.

قولُه: (والتَّشْدِيدِ) للشَّاميِّ بكمالِهِ هنا، ولهشامٍ في قولِهِ: ﴿مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] فيما سبقَ[٣].

قولُه: (لِأَجْلِ) ففي تعليليَّةٌ.

قولُه: (يَأْكُلُونَ) وهو تأكيدٌ لكونِهِم أحياءً.

قولُه: (يَفرَحُونَ ﴿بالَّذِينَ﴾) أي: بمجيئِهِم.

قولُه: (مِنْ إِخْوَانِهِم) أي: مِن خلفِهِم زماناً أو رتبةً.

قولُه: (ويُبْدَلُ) بدلَ اشتمالٍ، والمعنى: يستبشرُونَ بعدمِ الخوفِ والحزنِ على الَّذينَ خلفَهُم من المؤمنينَ، بشَّرهُمُ اللهُ بذلك.

قولُه: (أَنْ؛ أَي: بأَنْ) فيه أنَّ نونَ (أن) غيرُ مرسومةٍ.

قولُه: (﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾) الَّذي هو بيانٌ لقولِهِ: ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾، ويجوزُ أن يكونَ الاستبشارُ الأوَّلُ بحالِ إخوانِهِم، وهذا بحالِ أنفسِهِم.

قولُه: (ثَوَابٍ) كرَّرهُ للتَّوكيدِ وليتعلَّقَ به.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٢٧).

والأثر رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٢٨٩٤) عن أبي الضحى.

(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٣/ ٩٩٤).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٩١).

زيادةٍ عليه، ﴿وأنَّ﴾ - بالفتحِ عطفًا على «نعمة» والكسرِ استئنافًا - ﴿اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُؤمِنِينَ﴾، بل يأجُرهم.

١٧٢ - ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿استَجابُوا للهِ والرَّسُولِ﴾ دُعاءه بالخُروج للقِتال لمّا أراد أبو سفيان وأصحابه العَودَ، وتواعدوا مع النبيّ سُوقَ بَدر العامَ المُقبل من يوم أُحُد، ﴿مِن بَعدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾ بأُحُد، وخبرُ المبتدأِ: ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا مِنهُم﴾ بطاعته ﴿واتَّقَوا﴾ مُخالفَته ﴿أجرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنّة، ١٧٣ - ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الذين» قبله أو نعت ﴿قالَ لَهُمُ النّاسُ﴾ أي: نُعيم بن مسعود الأشجعيّ: ﴿إنَّ النّاسَ﴾: أبا سُفيان وأصحابه ﴿قَد جَمَعُوا لَكُم﴾ الجُموعَ لِيستأصلوكم. ﴿فاخشَوهُم﴾ ولا تأتوهم. ﴿فزادَهُم﴾ ذلك القولُ ﴿إيمانًا﴾: تصديقًا بالله ويقينًا، ﴿وقالُوا: حَسْبُنا اللهُ﴾: كافِينا أمرَهم، ﴿ونِعمَ الوَكِيلُ﴾: المُفوَّضُ إليه الأمرُ هو! وخرجوا مع النبيّ فوافَوا سُوقَ بدر، وألقى الله الرُّعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات، فباعوا وربحوا.

قولُه: (زِيَادةٍ عَلَيهِ) كقولِهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وتنكيرُهما للتَّعظيمِ.

قولُه: (عَلَى نِعْمَةٍ) أي: استبشَرُوا لما عاينُوا من وفاءِ الموعودِ.

قولُه: (والكَسْرِ) للكسائيِّ[١].

قولُه: (اسْتِئْنَافاً) أو حالاً.

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) أو صفةٌ للمؤمنينَ، أو بدلُ البعضِ، أو نصبٌ على المدحِ.

قولُه: (العَامَ) بالنَّصبِ على الظَّرفِ.

قولُه: (أَو نَعْتٌ) أو خبرٌ لمبتدأٍ مقدَّرٍ هو (هم)، أو نصبٌ أو رفعٌ على المدحِ.

قولُه: (الأَشْجَعِيُّ) أسلمَ يومَ الخندقِ، أو أُطلقَ عليهِ ﴿النَّاسُ﴾؛ لأنَّهُ من جنسِهِ، كما يقالُ: (فلانٌ يركبُ الخيلَ) وما له إلَّا فرسٌ واحدٌ، أو لأنَّهُ انضمَّ إليه ناسٌ من المدينةِ وأذاعُوا كلامَهُ، وقيل: الرَّكبُ الَّذين استقبلَهُم من عبدِ قيسٍ.

قولُه: (فَوَافَوا) بفتحِ الفاءِ؛ أي: وافقُوا وصادفُوا.

قولُه: (ورَبِحُوا) الدِّرهم درهمينِ، كذا في «المواهبِ»[٢].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٩).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» (١/ ٢٧٧).

١٧٤ ـ قال الله تعالى: ﴿فانقَلَبُوا﴾: رجَعوا من بَدر، ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضلٍ﴾: بسلامة وربح، ﴿لَم يَمسَسْهُم سُوءٌ﴾ من قتل أو جَرح، ﴿واتَّبَعُوا رِضوانَ اللهِ﴾ بطاعته ورسولَه في الخُروج. ﴿واللهُ ذُو فَضلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته. ١٧٥ ـ ﴿إنَّما ذلِكُمُ﴾ أي: القائلُ لكم «إنّ الناس» إلى آخره ﴿الشَّيطانُ، يُخَوِّفُـ﴾ـكم ﴿أولياءَهُ﴾: الكُفّارَ. ﴿فلا تَخافُوهُم وخافُونِيَ﴾ في ترك أمري، ﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا.

١٧٦ ـ ﴿ولا يُحزِنْكَ﴾ ـ بضمّ الياء وكسر الزاي، وبفتحها وضمّ الزاي من: حَزَنَه، لغةٌ في: أحزَنَه ـ ﴿الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفرِ﴾: يقعون فيه سريعًا بنُصرته ـ وهم أهل مكّة والمنافقون ـ أي: لا تَهتمَّ لكُفرهم. ﴿إنَّهُم لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا﴾ بفِعلهم! وإنّما يضرّون أنفُسَهم. ﴿يُرِيدُ اللهُ ألاّ يَجعَلَ لَهُم حَظًّا﴾: نصيبًا ﴿في الآخِرةِ﴾ أي: في الجنّة ـ فلذلك خذلهم ـ ﴿ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار. ١٧٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ اشتَرَوُا الكُفرَ بِالإيمانِ﴾ أي: أخذوه بدَلَه ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ﴾ بكُفرهم ﴿شَيئًا! ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم.

١٧٨ ـ ﴿ولا يَحسِبَنَّ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ ما نُملِي﴾..............

قولُه: (يُخَوِّفُكُم) فـ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ مفعولٌ ثانٍ ليخوّف، والأوّلُ محذوفٌ، ويدلُّ عليه قراءةُ أُبيِّ بن كعبٍ: ﴿يخوِّفُكُم بأوليائِهِ﴾، كذا في «الوسيطِ»[1]؛ يعني: بإيهامِكُم أنَّهُم ذو قوَّةٍ وبأسٍ، يريدُ: أبا سفيانَ وأصحابَهُ، وقيل: يخوِّفُ أولياءَهُ القاعدينَ عن الخروجِ مع الرَّسولِ ﷺ، وهم المنافقُونَ.

قولُه: (في تَرْكِ أَمْرِي) أبو عَمرٍو يُثبِتُ ياءَ ﴿خَافُونِي﴾ وصلاً[2].

قولُه: (وَكَسْرِ الزَّايِ) لنافعٍ حيثُ جاءَ غير سورةِ الأنبياءِ[3].

قولُه: (فِيْهِ) الضَّميرُ في (فيهِ) و(نصرتِهِ) للكفرِ.

قولُه: (أَوِ المُنَافِقُونَ) أو قومٌ ارتدُّوا.

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ لحمزةَ[4]، وأمَّا قولُ البيضاويِّ[5]: ـ قرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو وعاصمٌ والكسائيُّ ويعقوبُ بالياءِ؛ أي: الغيبةِ ـ فخطأٌ؛ لأنَّ مفهومَهُ أنَّ الباقينَ كلَّهُم بالخطابِ، وهم نافعٌ وابنُ عامرٍ وحمزةُ،

---

(١) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٠).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٥٠).

أي: إملاءنا ﴿لَهُم﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيرٌ لِأنفُسِهِم﴾. و«أنّ» ومعمولاها سدّت مسدّ المفعولين في قراءة التحتانيّة ومسدّ الثاني في الأُخرى. ﴿إنَّما نُملِي﴾: نُمهِل ﴿لَهُم لِيَزدادُوا إثمًا﴾ بكثرة المعاصي، ﴿ولَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة في الآخرة.

١٧٩ ـ ﴿ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ﴾: ليترك ﴿المُؤمِنِينَ علَى ما أنتُم﴾ ـ أيُّها النّاس ـ ﴿علَيهِ﴾ من اختلاط المنافق بغيره، ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾، بالتخفيف والتشديد: يَفصِلَ ﴿الخَبِيثَ﴾: المُنافقَ ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمنِ بالتكاليف الشاقّة المبيِّنة لذلك، ففعل ذلك يوم أُحُد، ﴿وما كانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم علَى الغَيبِ﴾، فتعرفوا المُنافقَ من غيره قبل التمييز، ﴿ولكِنَّ اللهَ يَجتَبِي﴾: يختارُ ﴿مِن رُسُلِهِ مَن يَشاءُ﴾، فيُطلِعُه على غَيبه كما أَطلع النبيَّ على حال المُنافقين. ﴿فآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ. وإنْ تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فلَكُم أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

١٨٠ ـ ﴿ولا تَحسِبَنَّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿الَّذِينَ يَبخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ أي: بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي: بُخلَهم ﴿خَيرًا لَهُم﴾: مفعول ثان والضمير للفصل، والأوّل «بُخلَهم» مقدّرًا ....

وليس الأمرُ كذلك كما صرَّحَ به الشَّاطبيُّ[1] و[ابن] الجزريِّ[2]، كذا الكلامُ في الموضعِ الآتي.

قولُه: (أي: إِمْلاءَنَا) أشارَ إلى أنَّ ما مصدريَّةٌ، وفي نسخةٍ: (أي: نمهلُ) إيماءً إلى معنى الإملاءِ[3].

قولُه: (وتَأْخِيرِهَا) وفي نسخةٍ: «وتأخيرِهِم».

قولُه: (والتَّشْدِيدِ) لحمزةَ والكسائيِّ[4].

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ لحمزةَ[5].

قولُه: (بُخْلَهُم) أي: بخلَ الَّذين، وإنَّما قدَّرَهُ ليتطابقَ مفعولاهُ.

قولُه: (بُخْلَهُم مُقَدَّراً) فيه مسامحةٌ؛ إذ قبلَ الموصولِ (بخلَ) مقدَّرٌ لا (بخلَهم)، وأيضاً الأوَّلُ مذكورٌ، غايتُهُ أنَّهُ قدَّرَ المضافَ للتَّطابقِ؛ أي: ولا تحسبنَّ بخلَ الَّذين يبخلُونَ هو خيراً لهم.

---

(١) انظر: «حرز الأماني» (ص: ٤٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٤٤).

(٣) في (ص): «الإجلاء».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٢).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٣).

قبل المَوصول على الفوقانيّة، وقبل الضمير على التحتانيّة. ﴿بَل هُوَ شَرٌّ لَهُم، سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يَومَ القِيامةِ﴾ بأن يُجعل حيّة في عُنقه تَنهشه كما ورد في الحديث، ﴿و للهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ يَرِثُهما بعد فناء أهلهما، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿خَبِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

١٨١ ـ ﴿لَقَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ فَقِيرٌ، ونَحنُ أغنِياءُ﴾، وهم اليهود قالوه لمّا نزل «مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا»؟ وقالوا: لو كان غنيًّا ما استقرَضَنا. ﴿سَنَكتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿ما قالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليُجازَوا عليه ـ وفي قراءة بالياء مبنيًّا للمفعول ـ ﴿و﴾ نَكتبُ ﴿قَتلَهُمُ﴾، بالنصب والرفع، ﴿الأنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍّ، ونَقُولُ﴾ بالنون، والياء أي: اللهُ لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾: النار. ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: ١٨٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب ﴿بِما قَدَّمتْ أيدِيكُم﴾ ـ عُبّر بهما عن الإنسان لأنّ أكثر الأفعال ....

قولُه: (عَلَى الفَوقَانيَّةِ) وكذا من قرأ بالتَّحتانيَّةِ إن جعلَ الفاعلَ ضميراً لِلرسولِ، أو من يحسبُ، وإن جُعِلَ للمَوصُولِ كما اختارَهُ المصنِّفُ كان المفعولُ الأوَّلُ محذوفاً لدلالةِ يبخلونَ عليه؛ أي: ولا يحسبَنَّ البخلاءُ بخلَهُم هو خيراً لهم.

وقولُه تعالى: (﴿بَلْ هُوَ﴾) أي: البخلُ ﴿شَرٌّ لَهُمْ﴾ لاستجلابِ العقابِ عليهم، وبيانُهُ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾... إلخ.

قولُه: (باليَاءِ) الغيبةُ مكِّيٌّ وبصريٌّ[1].

قولُه: (فيُجَازِيْكُم) الأَولى: فيجازي، أو: فتُجازَونَ؛ لتعمَّ القراءتينِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ[2].

وقولُه: (﴿و﴾نَكْتُبُ) بالوجهينِ.

وقولُه: (بالنَّصبِ والرَّفعِ) لفٌّ ونشرٌ.

قولُه: (واليَاءِ) الغيبةُ لحمزةَ[3].

وقولُه: (أَي) بيانُ الفاعلِ على هذه القراءةِ.

قولُه: (بِهَا) وفي نسخةٍ: «بهِمَا».

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٤).

(٣) انظر المصادر السابقة.

تُزاوَل بهما ـ ﴿وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلاّمٍ﴾ أي: بذي ظُلم ﴿لِلعَبِيدِ﴾، فيُعذِّبَهم بغير ذنب.

١٨٣ ـ ﴿الَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ «الذين» قبله ﴿قالُوا﴾ لمحمّد: ﴿إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَينا﴾ في التوراة ﴿ألاّ نُؤمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نصدِّقَه، ﴿حَتَّى يأتِيَنا بِقُربانٍ تأكُلُهُ النّارُ﴾، فلا نُؤمنُ لك حتّى تأتينا به. وهو ما يُتقرَّبُ به إلى الله من نَعَمٍ وغيرِها. فإن قُبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلاّ بقي مكانه. وعَهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلاّ في المسيح ومحمّد. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخًا: ﴿قَد جاءَكُم رُسُلٌ مِن قَبلِي بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات ﴿وبِالَّذِي قُلتُم﴾ كزكريّاء ويحيى، فقتلتموهم. والخِطاب لمن في زمن نبيّنا، وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به. ﴿فلِمَ قَتَلتُمُوهُم، إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟ ١٨٤ ـ ﴿فإنْ كَذَّبُوكَ فقَد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ، جاؤُوا بِالبَيِّناتِ﴾: المُعجزات ﴿والزُّبُرِ﴾ كصُحف إبراهيم ﴿والكِتابِ﴾ ـ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ـ ﴿المُنِيرِ﴾: الواضح ـ هو التوراة والإنجيل ـ فاصبرْ كما صبروا.

١٨٥ ـ ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ، وإنَّما تُوَفَّونَ أُجُورَكُم﴾: جزاءَ أعمالكم ﴿يَومَ القِيامةِ. فمَن زُحزِحَ﴾: بُعِّدَ ﴿عَنِ النّارِ وأُدخِلَ الجَنّةَ فقَد فازَ﴾: نال غاية مطلوبه، ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: العيشُ فيها ﴿إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ﴾: الباطلِ، يُتمتّع به قليلاً ثم يفنى.

قولُه: (تُتَداوَلُ) وفي نسخةٍ: «تُزاوَلُ».

قولُه: (بِذِي ظُلْمٍ) فالتَّشديدُ ليس للمبالغةِ بل للنِّسبةِ كتمَّارٍ، وقيل: لمقابلةِ الجمعِ بالجمعِ، وقيل: للمبالغةِ في النَّفيِ، وقيل: إشارةٌ إلى أنَّه لو كانَ يتصوَّرُ وجودُ الظُّلمِ في حقِّهِ لكان ظَلّاماً؛ لأنَّ أوصافَه كلَّها إنَّما تكونُ بصيغةِ الكمالِ.

قولُه: (فيُعَذِّبَهُم بِغَيرِ ذَنْبٍ) إذ الظُّلمُ وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعِهِ، وأمَّا الظُّلمُ بمعنى التَّصرُّفِ في ملكِ الغيرِ فلا يُتصوَّرُ في حقِّهِ تعالى.

قولُه: (نَعْتٌ لـ: الَّذِينَ قَبْلَهُ) أو مرفوعٌ أو منصوبٌ على الذَّمِّ؛ وهم اليهودُ.

قولُه: (وعَهِدَ...) إلخ، كلامُ المصنِّفِ لا من مقولِهِم، فتأمَّل.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لابنِ عامرٍ في الأوَّلِ، ولهشامٍ في الثَّاني[1].

قولُه: (جَزَاءَ أَعْمَالِكُم) جزاءً وافياً.

قولُه: (ثُمَّ يَفْنَى) عن عليٍّ: أنت نعمَ الدَّارُ لمن لم يرضَ بك داراً[2].

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ١٦٠).

(٢) لم أقف عليه.

١٨٦ ـ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتُختبَرُنَّ ﴿فِي أَمْوَالِكُم﴾ بالفرائض فيها والجوائحِ ﴿وَأَنفُسِكُم﴾ بالعبادات والبلاء، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُم﴾ اليهودِ والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السبِّ والطعن والتشبيب بنسائكم. ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من مَعزوماتها التي يُعزَم عليها لوجوبها.

١٨٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: العهدَ عليهم في التوراة، ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتابَ ﴿لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ ـ بالياء والتاء في الفعلين ـ ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طرحوا المِيثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾: أخذوا بدَله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سَفِلتهم بِرياستهم في العلم، فكتموه خوفَ فَوتِه عليهم. ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: شراؤهم هذا!

١٨٨ ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾: فَعلوا من إضلال الناس، ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسّك بالحقّ، وهم على ضلال، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ ـ بالوجهين تأكيدٌ ـ ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمكانٍ ينجُون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة، بل هم في مكان يُعذَّبون فيه وهو جهنّم....

قولُه: (نُونُ الرَّفعِ) أصلُهُ: لتبلوونَنَّ.

وقولُه: (والوَاوُ) عطف على (نون)؛ أي: وحُذِفَ الواوُ الَّذي هو ضميرُ الجمعِ.

قولُه: (والتَّشبِيبِ) أي: الغزلِ.

قولُه: (باليَاءِ) الغيبةُ لمكيٍّ وبصريٍّ وشعبةَ[1].

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ للكوفيِّ[2].

قولُه: (بالوَجْهَينِ) ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو بياءِ الغيبةِ مع ضمِّ الباءِ[3].

قولُه: (تَأكِيدٌ) للأوَّلِ.

قولُه: (بمَكَانٍ) الأظهرُ: أنَّه مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الفاعلِ، ثاني مفعولَي ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ أي: لا يحسبنَّ الَّذين يفرحونَ فائزِينَ بالنَّجاةِ من العذابِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٥).

(٢) أي: ﴿لا تحسبن﴾، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٦).

(٣) أي: ﴿يحسبنهم﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨٧).

﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم فيها ـ ومفعولا «يحسب» الأُولى دلّ عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانيّة، وعلى الفوقانية حُذف الثاني فقط ـ ١٨٩ ـ ﴿ولله مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والرزق والنبات وغيرها، ﴿والله على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين.

١٩٠ ـ ﴿إنَّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ وما فيهما من العجائب، ﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالمجيء والذَّهاب والزِّيادة والنُّقصان، ﴿لآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرته ـ تعالى ـ ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾: لذوي العُقول، ١٩١ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعتٌ لما قبله أو بدل ﴿يَذكُرُونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِهِم﴾: مُضطجعِين، أي: في كلّ حال ـ وعن ابن عبّاس: يُصلّون كذلك حَسَبَ الطاقة ـ ﴿ويَتَفَكَّرُونَ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾، ليستدلّوا به على قُدرة صانعهما، يقولون:

١٩٢ ـ ﴿رَبَّنا، ما خَلَقتَ هذا﴾ الخلقَ الذي نراه ﴿باطِلاً﴾: حالٌ، عَبثًا بل دليلاً على كمال قُدرتك. ﴿سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عن العبث! ﴿فقِنا عَذابَ النّارِ. رَبَّنا، إنَّكَ مَن تُدخِلِ النّارَ﴾ للخُلود فيها ﴿فقَد أخزَيتَهُ﴾: أهنته، ﴿وما لِلظّالِمِينَ﴾: الكافرين ـ فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر..........

قولُه: (يَحْسبُ الأُوْلَى) أي: الكلمةِ الأولى.

قولُه: (والنُّقصَانِ) والنُّورِ والظُّلمةِ.

قولُه: (أَو بَدَلٌ) أو مدحٌ مرفوعٌ أو منصوبٌ.

قولُه: (مُضطَجِعِينَ) يعني: ﴿قياماً﴾ مصدرٌ بمعنى الفاعلِ ﴿وَقُعُودًا﴾، يحتملُ أن يكون جمعُ قاعدٍ ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ بمعنى: مضطجعينَ عطفٌ على: ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا﴾.

قولُه: (لِيَسْتَدِلُّوا...) إلخ، وعن النَّبيِّ ﷺ: «ويلٌ لِمَنْ قرأَهَا ولم يتفكَّرْ» رواهُ ابنُ مردويه وابنُ حبَّانَ في «صحيحِهِ»[1].

قولُه: (يَقُولُونَ) أو قائلينَ.

قولُه: (حَالٌ) من ﴿هذا﴾، أو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ.

قولُه: (تَنزِيهاً) أي: أُنزِّهُ.

قولُه: (عَنِ العَبَثِ) وخلقِ الباطلِ، وهو اعتراضٌ.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إشعارًا بتخصيص الخِزي بهم ـ ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿أنصارٍ﴾: يمنعونهم من عذاب الله.

١٩٣ ـ ﴿رَبَّنا، إنَّنا سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادِي﴾: يدعو الناسَ ﴿لِلإيمانِ﴾ أي: إليه ـ وهو مُحمّد أو القُرآن ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُم. فآمَنّا﴾ به. ﴿رَبَّنا، فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وكَفِّرْ﴾: غَطِّ ﴿عَنّا سَيِّئاتِنا﴾ فلا تُظهِرْها بالعِقاب عليها، ﴿وتَوَفَّنا﴾: اقبِض أرواحنا ﴿مَعَ﴾: في جُملة ﴿الأبرارِ﴾: الأنبياء والصالحين ـ ١٩٤ ـ ﴿رَبَّنا ـ وآتِنا﴾: أعطِنا ﴿ما وَعَدْتَنا﴾ به ﴿عَلَى﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل ـ وسُؤالُهم ذلك، وإن كان وعدُه ـ تعالى ـ لايُخلَف، سؤالُ أن يجعلهم من مُستحِقّيه لأنهم لم يتيقّنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربّنا» مبالغةٌ في التضرّع ـ ﴿ولا تُخزِنا يَومَ القِيامةِ. إنَّكَ لا تُخلِفُ المِيعادَ﴾: الوعدَ بالبعث والجزاء.

١٩٥ ـ ﴿فاستَجابَ لَهُم رَبُّهُم﴾ دُعاءهم ﴿أنّي﴾ أي: بأني ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى. بَعضُكُم﴾ كائنٌ ﴿مِن بَعضٍ﴾، أي: الذكور من الإناث وبالعكس..................

قولُه: (إِشْعَاراً بتَخْصِيصِ الخِزْيِ) وفي هذا دليلٌ على أنَّ المرادَ بالدُّخولِ الخلودُ؛ لأنَّ للدَّاخِلِينَ من المؤمنينَ أنصاراً أو شفعاءَ.

قولُه: (أي: إِلَيهِ) النِّداءُ والدُّعاءُ يُعدَّى بإلى واللَّامِ لتضمُّنِهما معنى الانتهاءِ والاختصاصِ.

قولُه: (أي: بأَنْ) أو أي: آمنوا.

قولُه: (بِهِ) أي: فامتثلْنَا.

قالَ تعالى: (﴿ذنوبنَا﴾) كبائرنَا و(﴿سيئاتنا﴾) صغائرنَا.

قولُه: (والصَّالِحِينَ) وفيه تنبيهٌ على أنَّهم يحبُّونَ لقاءَ اللهِ، و«مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ»[١]، والأبرارُ جمعُ: برٌّ أو بارٌّ.

قولُه: (﴿عَلَى﴾ أَلْسِنَةِ) أو على تصديقِ رسلكَ من الثَّوابِ.

قولُه: (وَتَكْرِيرُ ﴿رَبَّنَا﴾) في الآثارِ: من حزَبَهُ أمرٌ فقال خمسَ مرَّاتٍ: (ربَّنَا) أنجاهُ اللهُ ممَّا يخافُ[٢].

قولُه: (دُعَاءَهُم) أشارَ إلى أنَّ المفعولَ محذوفٌ، وقالَ البيضاويُّ[٣]: إلى طلبتِهِمْ، وهو أخصُّ من أجابَ، ويُعدَّى بنفسهِ واللَّامِ.

(١) رواه البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) رواه عمار الدهني كما في «الكشف والبيان» للثعلبي (٩/ ٥٦٩) عن جعفر الصادق.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٥٥).

والجملة: مؤكِّدة لِما قبلها، أي: هم سواء في المُجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلتْ لمّا قالت أُمّ سَلَمَةَ: يا رسول الله، إنّي لا أسمع ذِكر النساء في الهجرة بشيء.

﴿فالَّذِينَ هاجَرُوا﴾ من مكّة إلى المدينة، ﴿وأُخرِجُوا مِن دِيارِهِم، وأُوذُوا في سَبِيلِي﴾: ديني، ﴿وقاتَلُوا﴾ الكُفّارَ، ﴿وقُتِلُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد. وفي قراءة بتقديمه ـ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم﴾: أَسترُها بالمغفرة، ﴿ولَأُدخِلَنَّهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ثَوابًا﴾: مصدرٌ من معنى: «لَأُكفرَنّ» مؤكِّد له ﴿مِن عِندِ اللهِ﴾. فيه التفات عن التكلّم. ﴿واللهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ﴾: الجزاءِ.

ونزل لمّا قال المسلمون: «أعداءُ الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجَهدِ»: ١٩٦ ـ ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تصرُّفُهم ﴿في البِلادِ﴾ بالتجارة والكسب. ١٩٧ ـ هو ﴿مَتاعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتّعون به في الدنيا يسيرًا ويفنى، ﴿ثُمَّ مأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ هي! ١٩٨ ـ ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لَهُم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾ أي: مقدّرين الخلودَ ﴿فِيها، نُزُلاً﴾ هو ما يُعَدّ للضيف ـ ونصبُهُ على الحال من «جنّات» والعاملُ فيها معنى الظرف ـ ﴿مِن عِندِ اللهِ، وما عِندَ اللهِ﴾،...

قولُه: (والتَّشدِيدِ) للمكِّيِّ والشَّاميِّ[1] للتَّكثيرِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[2].

وقولُه: (بتَقْدِيمِه) أي: بتقديمِ ﴿قُتِلُوا﴾ على ﴿قَاتَلُوا﴾؛ لأنَّ الواو لا تُوجِبُ ترتيباً، أو لأنَّ المرادَ: لمَّا قُتِلَ منهم قومٌ قاتلَ الباقونَ ولم يضعفُوا.

قولُه: (مُؤَكِّدٌ لَهُ) أي: لأُثيبَنَّهم بذلك إثابةً تفضُّلاً.

قولُه: (عن التَّكَلُّمِ) أي: إلى الغيبةِ، بل فيه وضْعُ الظَّاهرِ موضعَ المضمرِ.

قولُه: (هُوَ) أي: تصرُّفُهم، فـ﴿مَتَاعٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

قولُه: (ويَفْنَى) أي: ذلك التَّقلُّبُ، ﴿فهو متاعٌ قليلٌ﴾ لقصرِ مدَّتِهِ، أو في جنبِ ما أعدَّ اللهُ للمؤمنينَ.

قولُه: (والعَامِلُ فِيهِ مَعنَى الظَّرْفِ) لأنَّ ﴿جَنَّاتٌ﴾ فاعلُ الظَّرفِ لاعتمادِهِ على المبتدأِ، وإن جُعِلَت ﴿جَنَّاتٌ﴾ مبتدأً والظَّرفُ خبراً مقدَّماً، فهو حالٌ من الضَّميرِ الَّذي في الظَّرفِ، وقيل: إنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ، والتَّقديرُ: أُنزِلوها نُزُلاً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢١).

(٢) انظر المصدر السابق.

من الثواب، ﴿خَيرٌ لِلأبرارِ﴾ من متاع الدنيا.

١٩٩ ـ ﴿وإنَّ مِن أهلِ الكِتابِ لَمَن يُؤمِنُ باللهِ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه والنجاشيْ ﴿وما أُنزِلَ إلَيكُم﴾ أي: القرآنِ، ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِم﴾ أي: التوراةِ والإنجيل، ﴿خاشِعِينَ﴾: حالٌ من ضمير «يؤمن» مُراعًى فيه معنى «مَن» أي: مُتواضعين ﴿ للهِ، لا يَشتَرُونَ بِآياتِ اللهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبيّ ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفًا على الرياسة كفِعل غيرهم من اليهود. ﴿أُولَئِكَ لَهُم أجرُهُم﴾: ثوابُ أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِم﴾، يُؤتَونه مرّتين كما في «القَصص». ﴿إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ يحاسب الخلق في قدْر نصف نهار من أيّام الدنيا.

٢٠٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اصبِرُوا﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي، ﴿وصابِرُوا﴾ الكُفّارَ فلا يكونوا أشدّ صبرًا منكم، ﴿ورابِطُوا﴾: أقيموا على الجِهاد، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في جميع أحوالكم، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تَفوزون بالجنّة وتنجون من النار.

قولُه: (مِنَ الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ﴾) أي: لكثرتِه ودوامِه.

قولُه: (مِن مَتَاعِ الدُّنيَا) الَّتي يتقلَّبُ فيها الفجّارُ لقلَّةِ بقائِها وكثرةِ عنائِها وسرعةِ فنائِها وخسَّةِ شركائِهَا.

قولُه: (كَمَا فِي القَصَصِ) أي: سورتِهِ؛ وهو قولُه: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

قولُه: (أَي: أَقِيمُوا عَلَى الجِهَادِ) في منازلِ السَّائرينَ؛ اصبِرُوا في البليَّةِ، وصابِرُوا عن المعصيةِ، ورابِطُوا[١] في الطَّاعةِ[٢]، وقيل: اصبِرُوا على بلائِي، وصابِروا على نعمائِي، ورابِطُوا في دارِ أعدائِي، واتَّقوا محبَّةَ سوائِي[٣]، واللهُ أعلمُ.

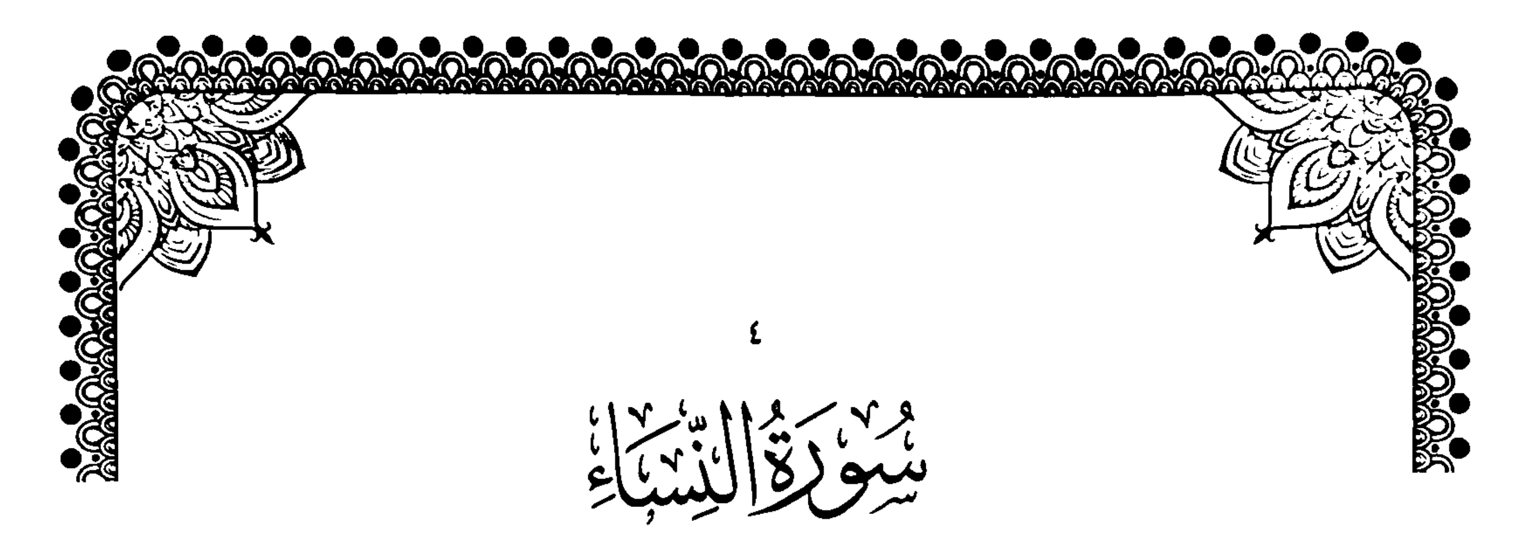
* * *

---

(١) قوله: «على الجهاد في منازل السائرين اصبروا في البلية وصابروا عن المعصية ورابطوا»: ليس في (د).

(٢) انظر: «منازل السائرين» (ص: ٥٠).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٩).



٤

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنية وهي مِائَةٌ وخمسٌ أو ستٌّ أو سبعٌ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه، ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ﴾: آدمَ، ﴿وخَلَقَ مِنها زَوجَها﴾: حوّاءَ بالمدّ، من ضِلَع من أضلاعه اليُسرى، ﴿وبَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿مِنهُما﴾ من آدمَ وحوّاءَ ﴿رِجالاً كَثِيرًا ونِساءً﴾ كثيرة،........................

سُورَةُ النِّسَاءِ(١)

قولُه: (أي: أهلَ مكَّةَ) والأظهرُ أنَّهُ يعمُّ بني آدمَ؛ لقولِه: ﴿خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

قولُه تعالى: (﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾) عطفٌ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أي: خلقَكُم مِن شخصٍ واحدٍ، وخلقَ منها أمَّكُمْ حوَّاء، أو محذوفٌ تقديرُهُ: مِن نفسٍ واحدَةٍ خلقَهَا وخلقَ منها زوجَهَا، وهو تقديرٌ لخلْقِهم مِن نفسٍ واحدَةٍ.

قولُه: (كثيرةً) فاكتفَى بوصْفِ الرِّجالِ بالكَثْرةِ عن وصْفِ النِّساءِ بها؛ إذِ الحكمَةُ تقتَضِي أنْ يكنَّ أكثرَ، وتذكيرُ (الكثيرِ) حملٌ على الجمعِ دونَ الجمَاعةِ، رُوِيَ(٢): أنَّ بنِي آدمَ لصُلبِهِ أربعُونَ في عشرِينَ بطناً، كذا في «المبهماتِ»(٣).

وعن ابنِ عبَّاسٍ قال: وُلِدَ لآدمَ أربعُونَ ولداً عشرُونَ غلاماً وعشرُونَ جارِيَةً، كذا في «الدُّرِّ»(٤).

---

(١) في (ص) زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٢) رواه ابن جرير في «تاريخه» (١/ ١٣٩) عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول.

(٣) انظر: «المبهمات» للسيوطي (ص: ٢٩).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٢٣)، واالأثر رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٧٣).

﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها ـ أي: تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيثُ يقول بعضكم لبعض: أسألكَ بالله وأنشُدكَ بالله، ﴿وَ﴾ اتّقوا ﴿الأرحامَ﴾ أن تقطعوها. وفي قراءة بالجرّ عطفًا على الضمير في «بِهِ». وكانوا يتناشدون بالرَّحِم. ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عليكُم رَقِيبًا﴾: حافظًا لأعمالكم فيُجازيكم بها، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

ونزل في يتيم طلبَ من وليّه مالَه فمنعَه: ٢ ـ ﴿وآتُوا اليَتامَى﴾ الصِّغارَ الأُلَى لا أبَ لهم ﴿أموالَهُم﴾ إذا بلغوا، ﴿ولا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ﴾: الحرامَ ﴿بِالطَّيِّبِ﴾: الحلالِ،..........

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) للكوفيِّ[1].

قولُه: (بحذفِهَا) أي: بحذفِ إحدى التَّاءَين.

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) لحمزةَ[2].

قولُه: (عَطفاً على الضَّميرِ في ﴿بِهِ﴾) يعني: مِن غيرِ إعادةِ الجارِّ، وهو جائزٌ على الصَّحيحِ[3]، وقولُ البيضاويِّ[4]: ضعيفٌ؛ ضعيفٌ للنَّقلِ المتواترِ القويِّ.

هذا والعجَبُ من علمَاءِ العربيَّةِ أن يعتمدوا على نقْلِ الأصمَعيِّ عن بدويٍّ يبُولُ على عقبَيهِ إذا تفوَّهَ بعبارةٍ سَهواً أو خطأً، ويجعلُونَها أصلاً في القواعدِ النحويَّةِ، ولم يعتبِرُوا نقْلَ مثلِ الإمامِ حمزةَ الذي مِن تلاميذِهِ إمامُ النَّحوِ والقراءاتِ: الكسَائيُّ، ومِن مشايخِهِ الإمامُ جعفرٌ الصَّادقُ رضي الله عنهم بنقْلٍ متواترٍ عن النَّبيِّ ﷺ ولم ينكرْ أحدٌ عليه في زمانِهِ المملوءِ مِن العلماءِ سيَّما فيما نحنُ فيه الَّذي لا يتعلَّقُ بالأداءِ بل بجوهرِ العبارةِ الذي يعرفُهُ أولادُ الكُتَّابِ ولا يشتبهُ عليهم، وقد قالَ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قولُه: (أي: لَم يَزلْ) أشارَ إلى أنَّ ﴿كانَ﴾ للاستمْرارِ لا للمُضيِّ، أو يقال: ما ثبتَ قِدَمُهُ استحالَ عدمُهُ، أو ﴿كانَ﴾ زائدٌ.

قولُه: (الصِّغارَ الأُلَى) بضمِّ الهمزةِ مِن غيرِ نطْقٍ بواوٍ، وبفتحِ اللَّام المقصُور؛ أي: الَّذين.

قولُه: (إِذَا بلَغُوا) فإطلاقُ اليتامَى باعتبارِ ما كانُوا.

قولُه: (الحرَامَ) أي: عليكُم مِن أموالِهم بالحلالِ مِن أموالِكُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١١٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٢١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٥).

(٣) والجواز مذهب الكوفيين، ومال إليه ابن مالك رحمه الله. انظر: «شرح ابن عقيل على الألفية» (٣/ ٢٣٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٥٨).

أي: تأخذوه بدَله كما تفعلون من أخذ الجيّد من مال اليتيم، وجعل الرديء من مالكم مكانه، ﴿ولا تأكُلوا أموالَهم﴾ مضمومةً ﴿إلى أموالِكم. إنَّهُ﴾ أي: أكلَها ﴿كانَ حُوبًا﴾: ذنبًا ﴿كَبيرًا﴾: عظيمًا.

ولمّا نزلت تحرّجوا من وِلاية اليتامى، وكان فيهم مَن تحتَه العَشرُ أو الثمانُ من الأزواج فلا يَعدِل بينهنّ، فنزل: ٣ ـ ﴿وإنْ خِفتُم ألاّ تُقسِطُوا﴾: تعدِلوا ﴿في اليَتامَى﴾، فتحرّجتُم من أمرهم، فخافوا أيضًا ألاّ تعدِلوا بين النِّساء إذا نكحتُموهنّ، ﴿فانكِحُوا﴾: تزوّجوا ﴿ما﴾ بمعنى: مَن ﴿طابَ لَكُم مِنَ النِّساءِ مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ﴾ أي: اثنتين اثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك، ﴿فإن خِفتُم ألاّ تَعدِلُوا﴾ فيهنّ بالنفقة والقَسْم ﴿فواحِدةً﴾ انكحوها، ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿ما مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾ من الإماء، إذ ليس لهنّ من الحُقوق ما للزوجات. ﴿ذلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الأربعة فقط أو الواحدةِ أو التسرّي ﴿أدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿ألاّ تَعُولُوا﴾: تجوروا.

قولُه: (مكانَهُ) أي: مكانَ الجيِّدِ.

قولُه: (مضْمُومةً) أي: منضَمَّةً؛ أي: لا تنفقوهُمَا معاً ولا تُسَوُّوا بينهما، فهذا حلالٌ وذلك حرامٌ، وهو فيما زادَ على قدْرِ أُجرتِهِ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

قولُه: (فتحرَّجْتُمْ) أي: طلبتُمُ الخروجَ مِن الحرجِ، والتَّجنُّبَ مِن الإثمِ.

قولُه: (بمَعْنى: مِن) وإنَّما عبَّرَ عنهنَّ بـ﴿مَا﴾ ذهَاباً إلى الصِّفةِ، أو إجراءً لهنَّ مجرَى غيرِ العُقلاءِ لنقصَانِ عقلهنَّ، ونظيرُهُ: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

قولُه: (أو ثَلاثاً) إشارة إلى أنَّ الواو في الآيةِ بمعنى: أو، التي مانعةٌ للجَمْعِ.

قولُه: (ولا تزيدُوا على ذلكَ) أي: على الأربَعِ، وعليه الإجمَاعُ[١].

قولُه: (أي: انكِحُوهَا) أو اختارُوهَا وهو أَوْلى كما لا يخفَى.

قولُه: (تجُورُوا) مِن عالَ الميزانُ: إذا مالَ، وعالَ الحاكمُ: إذا جارَ[٢]، وفُسِّرَ بألَّا تكثرَ عيالُكُمْ نُسِبَ إلى الشَّافعيِّ[٣]، ولا يبعدُ أنْ يكونَ المعنَى لا تفتقِروا، كما وردَ: «ما عالَ مَنِ اقتصَدَ»[٤]، ومنه قولُه تعالى:........

---

(١) انظر: «مراتب الإجماع» (ص: ٦٣).

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٤٦٨).

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (٢/ ٥١٦).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٤٢٦٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٦٠٤)، والشاشي في «مسنده» (٧١٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٤٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٢).

٤ ـ ﴿وآتُوا﴾: أعطُوا ﴿النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ﴾: جمع صَدُقة مُهورَهنّ ﴿نِحْلةً﴾: مصدر، عطيّةً عن طِيب نفس. ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُم عَن شَيءٍ مِنهُ نَفْسًا﴾: تمييزٌ محوّل عن الفاعل، أي: طابت أنفسُهنّ لكم عن شيء من الصَّداق، فوهَبْنَه لكم ﴿فكُلُوهُ هَنِيئًا﴾: طيّبًا، ﴿مَرِيئًا﴾: محمودَ العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة. نزلَ ردًّا على من كرهَ ذلك.

٥ ـ ﴿ولا تُؤتُوا﴾ ـ أيّها الأولياءُ ـ ﴿السُّفَهاءَ﴾: المُبَذِّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أمْوالَكُمْ﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُم قِيامًا﴾:........................

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ [الضحى: ٨].

قولُه: (عطيَّةً) ونصبُهَا على المصدرِ؛ لأنَّها في معنَى الإيتاءِ، أو الحالِ مِن الفاعلِ أو المفعولِ.

قولُه: (مِنَ الصَّداقِ) أي: المذكورِ في ضمنِ الصَّدُقاتِ.

قولُه: (في الآخِرةِ) في «المدارك»[1]: (﴿هنيئاً﴾): لا أثمَ فيهِ، (﴿مريئاً﴾): لا داءَ فيهِ، فسَّرهُمَا النَّبيُّ ﷺ[2]، وقيلَ: ﴿هنيئاً﴾: في الدُّنيا بلا مطالبةٍ، ﴿مريئاً﴾: في العُقْبى بلا تبعَةٍ.

وأخرجَ ابنُ حميدٍ عن عليٍّ قال: إذا شكَى أحدُكُمْ فليسْألِ امرأتَهُ ثلاثَ دراهِمَ أو نحوَهَا فليشْترِ بهَا عسَلاً وليأخذْ مِن ماءِ السَّماءِ فيجمَعُ هنيئاً مَريئاً، وشفَاءً مُباركاً[3]، كذا في «الدُّرِّ»[4].

قولُه: (كرِهَ ذلكَ) لعلَّ وجْهَ الكراهةِ أنَّهُ يشبهُ الرُّجُوعَ في العطيَّةِ.

قولُه: (المبَذِّرينَ) الأَوْلى: الذين لا رُشْدَ لهم.

قولُه: (في أيدِيكُمْ) يعني: إنَّما أضَافَ المالَ إلى الأوليَاءِ؛ لأنَّها في تصرُّفِهِمْ وتحتَ ولايتِهمْ، وهذا المعنى

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣٠).

(٢) ظاهر عبارة «المدارك» أن النبي ﷺ فسرهما بما تقدم. وهذا لم أجده، وإنما رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٢) عن أبي حمزة ثابت بن أبي صفية.

وإن قصد وروده عن النبي ﷺ مطلقاً، فهو ما رواه الواحدي في «الوسيط» (١٩٥) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: عن النبي ﷺ: أنه سئل عن هذه الآية: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ قال: «إذا جادت المرأة لزوجها بالعطية غير مكرهة: لا يقضي به عليه سلطان، ولا يؤاخذ الله به في الآخرة».

وهذا إسناد تالف ضعيف جداً، فإن كان هو المراد فيستدرك على تحقيقي في «المدارك».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٦٨٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٧٧٩) عن علي رضي الله عنه.

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٣٢).

مصدرُ: قامَ، أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أَوَدِكم، فيُضيّعوها في غير وجهها ـ وفي قراءة: «قِيَمًا» جمع قِيمة: ما يُقوَّم به الأمتعةُ ـ ﴿وارزُقُوهُم فِيها﴾ أي: أطعِموهم منها، ﴿واكسُوهُم وقُولُوا لَهُم قَولاً مَعرُوفًا﴾: عِدُوهم عِدةً جميلة بإعطائهم أموالَهم إذا رَشَدوا.

٦ ـ ﴿وابتَلُوا﴾: اختبِروا ﴿اليَتامَى﴾ قبل البُلوغ في دِينهم وتصرّفهم في أموالهم ـ..............

هو الملائمُ للآياتِ المتقدِّمةِ والمتأخِّرةِ؛ لأنَّها في اليتامَى والأولياءِ، ولإطلاقِ السُّفهاءِ، وقيلَ: نهيٌ لكلِّ أحدٍ أنْ يعمَدَ إلى ما ملَّكَهُ اللهُ مِن المالِ فيُعطِي امرأَتَهُ وأولادَهُ، ثمَّ ينظرُ إلى أيديهِمْ.

وإنَّما سمَّاهُمْ سفَهاءَ استخفافاً بعقلِهِمْ وهو أوفقُ لقولِه تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [النساء: ٥] وعلى الأوَّلِ يؤوَّلُ بأنَّها التي من جنسِ ما جعلَ اللهُ لكم أيُّها الجنسُ[١] قياماً، وسُمِّيَ ما بِهِ القيامُ قياماً للمُبالغةِ.

قولُه: (أَوَدِكُمْ) أي: بنيَتِكُم.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لنافعٍ وابنِ عامرٍ ﴿قِيَمًا﴾[٢] جمعُ: قيمَةٍ، وفي «المدارِكِ»[٣] على أنَّهَا بمعنَى القيامِ كما جاءَ عوذاً بمعنى: عياذاً، وأصلُ قيامٍ: قِوَامٌ، فجُعِلَت الواو ياءً لانكسَارِ ما قبلها، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئ في المتواترِ بالقصرِ أيضاً في قولِه تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٧] وهو لا يصحُّ أنْ يكونَ جمعَ قيمةٍ، بل مقصُورُ قيامٍ، غايتُه أنَّ إعلالَهُ شاذٌّ، والقياس: (قِوَم) كما قرئ شاذًّا بثبُوتِ الواو كعوَذٍ[٤]، وأشارَ المصنِّفُ هناك إليه بقولِهِ: (مِن غيرِ معتلٍّ)، والله أعلمُ.

قولُه: (أطعمُوهُمْ منهَا) فـ﴿فِي﴾ بمعنى: مِنْ، وهو غيرُ مشهورٍ، وقال البيضاويُّ[٥]: واجعلُوهَا مكاناً لرزقِهِمْ وكسوتِهِمْ بأنْ تتَّجِرُوا فيها وتُحصِّلُوا مِن منافعِها ما يحتاجونَ إليهِ.

قولُه: (في أحْوالِهِمْ) الظَّاهرُ في أموالِهِمْ، ففي «المدارِكِ»[٦]: اختبِرُوا عقولَهُم وذوقُوا أحوالَهُم ومعرفتَهُم بالتَّصرُّفِ قبلَ البلوغِ، فالابتلاءُ عندَنا أنْ يدفعَ إليه ما يتصرَّفُ فيه حتَّى يستبينَ حالَهُ فيما يجيءُ منه، وفيه دليلٌ على جوازِ إذْنِ الصَّبيِّ العاقلِ في التِّجارةِ.

---

(١) أي: كون الخطاب في الآيات قبلها للجنس وليس خاصاً بالمؤمنين.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٢٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٥).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٥٥٢).

(٤) أي: (قواماً) وهي قراءة ابن عمر رضي الله عنه. انظر: «الكشاف» (١/ ٤٧١).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٦٠).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣١).

﴿حَتَّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السنّ، وهو استكمال خمسَ عشْرةَ سنةً عند الشافعيّ، ﴿فإنْ آنَستُم﴾: أبصرتم ﴿مِنهُم رُشدًا﴾: صلاحًا في دِينهم ومالهم ﴿فادفَعُوا إلَيهِم أموالَهُم ـ ولا تأكُلُوها﴾ أيّها الأولياء ﴿إسرافًا﴾: بغير حقّ، حالٌ ﴿وبِدارًا﴾ أي: مبادِرين إلى إنفاقها مَخافةَ ﴿أنْ يَكبَرُوا﴾ رُشداءَ، فيلزمَكم تسليمُها إليهم، ﴿ومَن كانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فلْيَستَعفِفْ﴾ أي: يَعِفَّ عن مال اليتيم ويمتنعْ من أكله، ﴿ومَن كانَ فَقِيرًا فلْيأكُلْ﴾ منه ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ بقدْر أُجرة عمله،.......

قولُه: (بالاحتِلامِ) والإحبالِ، والإنزالِ، والحبَلِ، والحيضِ.

قولُه: (عندَ الشَّافِعيِّ)[١] وبهِ قال أبو يوسُفَ ومحمَّدٌ، وهو روايةٌ عن أبي حنيفةَ، وثمانيةَ عشرَ عندَ أبي حنيفةَ للرَّجلِ، وسبعَ عشرةَ سنة للمَرأةِ[٢].

قولُه: (صَلاحاً في دينِهم) في «المداركِ»[٣]: هدايةً في التَّصرُّفاتِ وصلاحاً في المعاملاتِ.

وقولُه تعالى: (﴿فَادْفَعُوا﴾) أي: مِنْ غيرِ تأخيرٍ عن حدِّ البلوغِ، كذا في «المداركِ»[٤].

فإنْ بلغَ غيرَ رشيدٍ لم يُسَلَّمْ إليه مالُه حتَّى يبلُغَ خمساً وعشرينَ سنةً عندَ أبي حنيفةَ، وعندَهُما لا يُدفَعُ إليه مالُهُ أبداً حتَّى يؤنسَ منه الرُّشدُ، ولا يجوزُ تصرُّفهُ فيه لظاهرِ النَّصِّ المذكورِ، وله أنَّ هذا السِّنَّ مظنَّةُ الرُّشدِ؛ لأنَّه حالُ كمالِهِ، فيدورُ الحكمُ معها، وصحَّ تصرُّفهُ قبلَ الرُّشدِ، كذا في «الإيضاح»[٥].

قولُه: (حالٌ) أي: مُسْرِفينَ، أو مفعولٌ له؛ أي: لأجلِ إسرافِكُم ومبادرتِكُم، ولا مفهُومَ لهما.

قولُه: (بقدْرِ أجرَةِ عمَلِهِ) وفي البيضاويِّ[٦]: بقدرِ حاجتِهِ وأجرةِ سعيِهِ.

قال الصَّفويُّ: اختلفَ السَّلفُ هل يأكُلُ الوليُّ مِنْ مالِ اليتيمِ قدرَ الأجْرةِ أو الحاجةِ، أو لا يأكلُ شيئاً، فالأكثرونَ على جوازِ أكلِ أقلِّ الأمرِ مِنْ أجرةِ مثلِهِ وقدرِ حاجتِهِ، ثمَّ اختلفُوا هل يرُدُّ إذا أيسرَ، الأكثرونَ على أنَّهُ لا، وقد صحَّ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ الأوَّلُ[٧]، وروى ابنُ أبي حاتمٍ: عن الشَّعبيِّ: أنَّهُ لا يجوزُ الأكلُ إلَّا عندَ

---

(١) انظر: «الأم» (٣/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (٧/ ١٧٢). وفي «حاشية ابن عابدين» (١/ ١٦٨): وسن البلوغ على المفتى به خمس عشرة سنة في الجارية والغلام.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) وانظر: «المبسوط» (٢٣/ ١٦١).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٦١).

﴿فإذا دَفَعتُم إلَيهِم﴾ أي: إلى اليتامى ﴿أموالَهم فأَشهِدُوا علَيهِم﴾ أنهم تسلّموها وبرئتم لئلاّ يقع اختلاف فترجِعوا إلى البيِّنة. وهذا أمرُ إرشاد. ﴿وكَفَى بِاللهِ﴾ ـ الباء: زائدة ـ ﴿حَسِيبًا﴾: حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسبَهم!

ونزل ردًّا لِما كان عليه الجاهليّة من عدم توريث النِّساء والصِّغار: ٧ ـ ﴿لِلرِّجالِ﴾ الأولادِ والأقرباءِ ﴿نَصِيبٌ﴾: حظّ ﴿مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ﴾ المتوفَّون، ﴿ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ، مِمّا قَلَّ مِنهُ﴾ أي: المالِ ﴿أو كَثُرَ﴾، جعله الله ﴿نَصِيبًا مَفرُوضًا﴾: مقطوعًا بتسليمه إليهم، ٨ ـ ﴿وإذا حَضَرَ القِسمةَ﴾ للمِيراث ﴿أُولُو القُربَى﴾: ذَوُو القرابة ممّن لا يَرِثُ ﴿واليَتامَى والمَساكِينُ فارزُقُوهُم مِنهُ﴾ شيئًا قبل القِسمة،..

الاضطرَارِ[١]، وروى أيضاً عن مجاهدٍ والحكمِ وغيرِهِمَا[٢]، انتهى.

وفي «المداركِ»[٣]: الفقيرُ يأكلُ قوتاً مقدَّراً محتاطاً في أكلِهِ، وعن إبراهيمَ[٤]: ما سدَّ الجوعةَ، ووارَى العورةَ.

قولُه: (فترجِعُوا إلى البيِّنةِ) قال القاضِي[٥]: ظاهرُ الكلامِ يدلُّ على أنَّ القيِّمَ لا يُصَدَّقُ في دعواهُ إلَّا بالبيِّنةِ؛ أي: في دعوَى الدَّفعِ، فإنْ كانَ في الإنفاقِ يُصَدَّقُ بلا بيِّنةٍ، قال: وهو المختارُ عندَنا[٦]، ومذهبُ مالكٍ[٧] خلافاً لأبي حنيفةَ[٨]؛ يعني: فإنَّ عندَهُ اليمينَ عليهِ.

قولُه: (مقطُوعاً) أو مقدَّراً.

قولُه: (﴿واليَتَامَى والمَسَاكِينُ﴾) مِنَ الأجانبِ، كذا في «المداركِ»[٩].

وقولُه تعَالى: (﴿فَارزُقُوهُم مِنْهُ﴾) قال الجوهريُّ[١٠]: ذكَّرَ ضميرَ القسـمَةِ باعتبارِ الميراثِ، وقال.......

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٢٨).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣٢).

(٤) رواه عن إبراهيم النخعي: عبد الرزاق في «تفسيره» (٥١٢)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٣١).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٦١).

(٦) انظر: «روضة الطالبين» (٤/ ٣٤٥)، و«العزيز شرح الوجيز» (٥/ ٢٦٨).

(٧) انظر: «الشامل في فقه الإمام مالك» (٢/ ٧١٢).

(٨) انظر: «المحيط البرهاني» (٨/ ٦٩).

(٩) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣٣).

(١٠) انظر: «الصحاح» (٥/ ٢٠١١).

﴿وقُولُوا﴾ - أيُّها الأولياء - ﴿لَهُم﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿قَولاً مَعرُوفًا﴾: جميلاً، بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه لصغار. وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا ولكن تهاوَنَ الناسُ في تركه. وعليه فهو ندبٌ، وعن ابن عبّاس: واجب.

٩ - ﴿ولْيَخشَ﴾ أي: لِيَخَفْ على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَو تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِن خَلفِهِم﴾ أي: بعدَ موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعافًا﴾: أولادًا صِغارًا ﴿خافُوا علَيهِم﴾ الضياعَ، ﴿فلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يُحبّون أن يُفعل بذرّيّتهم من بعدهم، ﴿ولْيَقُولُوا﴾ للميّت ﴿قَولاً سَدِيدًا﴾: صوابًا، بأن يأمروه أن يتصدّقَ بدون ثُلثه ويدعَ الباقي لورثته ولا يتركَهم عالةً.

١٠ - ﴿إنَّ الَّذِينَ يأكُلُونَ أموالَ اليَتامَى ظُلمًا﴾ أي: بغير حقّ ﴿إنَّما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم﴾.........

البيضاويُّ[1]: الضَّميرُ لِمَا تُرِكَ، أو ما دلَّ عليه القِسْمةُ؛ أي: المالُ المقسُومُ.

وقال الصَّفويُّ: ومَنْ قال: القسمَةُ هو المقسُومُ لا المصدرُ فالضَّميرُ إليها، أو التَّذكيرُ؛ لأنَّها بمعنى المقسُومِ.

وفي «المداركِ»[2]: وهو أمرُ ندبٍ، وهو باقٍ لم يُنسَخْ، وقيل: كانَ واجباً في الابتداءِ ثمَّ نُسِخَ بآيةِ الميراثِ، انتهى.

وقيلَ: أمرُ وجُوبٍ على الصَّغيرِ والكَبيرِ، ثمَّ اختُلِفَ في نسخِهِ[3].

قولُه: (لا تملِكونَهُ) أي: الإعطاءَ أو المالَ.

قولُه: (وهَذَا) أي: الأمرُ لا الاعتذارُ.

قولُه: (وعلَيهِ) أي: على القولِ بأنَّهُ لا نسْخَ.

قولُه: (أي: لِيخَفْ) الخشيةُ: خوفٌ معَ تعظيمٍ ورحمةٍ.

قولُه: (للميِّتِ) الأولى للمُحتَضرِ.

قولُه: (بغَيرِ حقٍّ) أي: ظالمينَ، أو على وجهِ الظُّلمِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٦١).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٣٣).

(٣) جاء في «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٣٠٢): للعلماء فيها ثلاثة أقوال: فمنهم من قال: إنها منسوخة، ومنهم من قال: هي محكمة واجبة، ومنهم من قال: هي محكمة على الندب والترغيب والحضّ.

أي: مِلْأَها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها، ﴿وَسَيَصلَوْنَ﴾، بالبناء للفاعل والمفعول: يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا شديدة يحترقون فيها.

١١ ـ ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمُركم ﴿اللهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُم﴾ بما يُذكَر. ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾: نصيبِ ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نِصفُ المال ولهما النِّصفُ، فإن كان معه واحدةٌ فلها الثُّلثُ وله الثُّلثانِ، وإن انفردَ حازَ المالَ. ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أيِ: الأولادُ ﴿نِسَاءً﴾ فقطْ ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المَيْتُ، وكذا الاثنتان...

قولُه: (مِلْأَهَا) أي: ملأَ بطونِهِمْ، حقيقةُ الظَّرفيَّةِ بالإحاطةِ على وجهٍ لا يفصلُ الظَّرفَ مِنَ المظرُوفِ، فالأكلُ في البطنِ يكونُ ملأَ البطنِ.

قولُه: (لأَنَّهُ يَؤُوْلُ إليهَا) فالمرادُ بالنَّارِ ما يَجُرُّ إليها مِنْ مجازِ الأَوَّلِ.

قولُه: (والمَفعُولِ) شاميٌّ وشعبةُ[1].

قولُه: (﴿في﴾ شَأنِ ﴿أولادِكُم﴾) أي: في شأنِ ميراثِهِم.

قولُه: (بِمَا يذكرُ) أشارَ بأَنَّهُ إجمالٌ بعدَ إجمالٍ، هو ﴿للرِّجالِ نصيبٌ﴾ تفصيلُهُ: ﴿للذَّكرِ﴾ [النساء: ١١]... إلخ.

قولُه: (منهُم) ليحصلَ الارتباطُ ويصحَّ البيانُ، فحُذِفَ للعلمِ به.

قولُه: (أي: الأَولادُ) أَنَّثَ الضَّميرَ باعتبارِ الخبرِ، أو على تأويلِ المولوداتِ.

قولُه: (فقَطْ) أي: نساءً خُلَّصاً ليسَ معهنَّ ذكرٌ؛ لأنَّ الخُلَّط تقدَّمْنَ.

وقولُه: (فَوْقَ اثنَتَيْنِ) خبرٌ ثانٍ، أو صفةٌ للنِّساءِ؛ أي: لنساءٍ زائداتٍ على اثنتَينِ؛ يعني: بالغات ما بلغْنَ مِنَ العددِ، فدلَّتْ هذهِ الصِّفةُ على أنَّ هذا الحكمَ غيرُ مختصٍّ بالثَّلاثِ.

قولُه: (الميِّتُ) ويدلُّ عليهِ المعنى.

قولُه: (وكَذا الاثنتَانِ) خلافاً لابنِ عبَّاسٍ، فإنَّهُ قال[2]: حكمُهُمَا حكمُ الواحدَةِ لا حكمُ الجماعةِ؛ لأنَّهُ تعالى جعلَ الثُّلُثينِ لِمَا فوقَهُمَا. وقال الباقُونَ[3]: حكمُهُما حكمُ ما فوقَهُما؛ لأنَّهُ تعالى لَمَّا بيَّنَ أنَّ حظَّ الذَّكرِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٣٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٦).

(٢) لم أقف عليه مسنداً، وقد قال القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٦٣): الصحيح عن ابن عباس: أنه أعطى البنتين النصف.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ١٥): انفرد بن عباس بأن حكمهما حكم الواحدة وأبى ذلك الجمهور.

(٣) يقصد الجمهور، وأما دعوى الإجماع فقال عنها القرطبي: الإجماع مردود.

لأنه للأختين بقوله «فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ» فهما أولى ولأنّ البنت تستحقّ الثُّلث مع الذكر، فمع الأُنثى أولى ـ و«فوقَ» قيل: صلةٌ، وقيل: لدفع توهّم زيادة النصيب بزيادة العدد لمّا فُهم استحقاق الثِّنتين الثُّلثين من جعل الثُّلث للواحدة مع الذَّكر ـ ﴿وإنْ كانَتْ﴾ المولودة ﴿واحِدةً﴾ ـ وفي قراءة بالرفع فـ«كان»: تامّةٌ ـ ﴿فلَها النِّصفُ، ولِأبَوَيهِ﴾ أي: الميتِ، ويُبدل منهما ﴿لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ مِمّا تَرَكَ، إنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أُنثى. ونُكتةُ البدل أفادتْ أنهما لا يشتركان فيه. وأُلحِق بالولدِ ولدُ الابن وبالأبِ الجَدُّ.

مثلُ حظِّ الانثيينِ إذا كانَ معهُ أنثى وهو الثُّلُثانِ؛ اقتضَى ذلك أنَّ حظَّهُما الثُّلُثانِ.

قال شيخُنَا المرحومُ الشَّيخُ ابنُ عطيَّةَ في «تفسيرِهِ»: ولحديثِ عطاءٍ: نزلَتْ بسببِ سعدِ بنِ الرَّبيعِ أحدِ النُّقباءِ، استُشْهِدَ بأُحُدٍ عن بنتَيْنِ وزوجةٍ وأخٍ، فأخذَ الأخُ المالَ، فشكَتِ امرأةُ سعدٍ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ للأخِ: «أعطِ بنتَي سعدِ الثُّلُثينِ، وأعطِ أمَّهُما الثُّمُنَ، وما بقيَ فهو لكَ». رواهُ التِّرمذيُّ بسندِهِ عن عطاءٍ عن جابرٍ وكذا أخرجَهُ أحمدُ وأبو داودَ والطَّيالسيُّ وابنُ حبَّانَ والحاكمُ وغيرُهُم[1]، انتهى[2].

قولُه: (لأنَّهُ) أي: الثُّلثَينِ.

قولُه: (فهُمَا) أي: البنتانِ.

قولُه: (أَولَى) لأنَّهُما أقربُ وأمسُّ رحماً مِن الأختَينِ، وهو قياسُ الأولى.

قولُه: (قيلَ: صِلةٌ) أي: زائدةٌ، فالمعنى اثنتَينِ فصَاعداً؛ لقولِهِ: ﴿فَلَهُنَّ﴾.

قولُه: (المَوْلودَةُ) أو البنتُ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لنافعٍ[3]، قولُهُ: (فكانَ تامَّةٌ) يحتملُ رفعَ «تامَّة» ونصبَهَا، كما لا يخفَى.

قولُه: (ويُبْدَلُ) أي: بتكريرِ العاملِ.

قولُه: (ذكَرٌ أو أنثَى) غيرَ أنَّ الأبَ يأخذُ السُّدُسَ معَ الأنثَى بالفريضَةِ، وما بقيَ مِنْ ذَوِي الفُروضِ أيضاً بالعصُوبةِ.

قولُه: (فيهِ) أي: في السُّدُسِ، فيكونُ نصًّا على استحقاقِ كلٍّ منهُما السُّدُسَ، وتفصيلاً بعدَ الإجمالِ للتَّأكيدِ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٠٩٢)، والطيالسي في «مسنده» (١٧٧٥)، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٣٠)، والدارقطني في «سننه» (٤٠٩٣)، والحاكم في «مستدركه» (٧٩٥٤) وعند بعضهم جاء مختصراً.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) لم أقف على هذا النص في المطبوع منه، وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٥) تفسير الآية.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٢).

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقطْ أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ ـ بضمِّ الهمزة، وكسرِها فِرارًا منَ الانتقال من ضمّة إلى كسرة لِثِقَلِه في الموضعين ـ ﴿الثُّلُثُ﴾ أي: ثُلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعدًا ذكور أو إناث، ....

قولُه: (وكَسرِهَا) حمزةُ والكسائيُّ[1].

قولُه: (فِرَاراً) إلخ، وإتباعاً للكسْرةِ التي قبلها.

قولُه: (في المَوْضِعَينِ) أي: في هذا الموضعِ وما بعدَهُ.

قولُه: (أي: ثلُثُ المَالِ) أي: إذا لم يكنْ زوجٌ.

قولُه: (أو مَا بقيَ) أي: ثلثُ ما بقِيَ.

قولُه: (والبَاقِي) في المسألتَينِ، قال القاضِي[2]: وإنَّما لم يذكرْ حصَّةَ الأبِ؛ لأنَّهُ لَمَّا فرضَ أنَّ الوارثَ أبواهُ فقط، وعيَّنَ نصيبَ الأمِّ؛ عُلِمَ أنَّ الباقيَ للأبِ، فكأنَّهُ قال: فلهُما ما تركَ أثلاثاً، وعلى هذا ـ أي: على هذا التَّقديرِ ـ ينبغي أنْ يكونَ لها حيثُ معها[3] أحدُ الزَّوجينِ ثلثُ ما بقيَ من فرضِهِ، كما قالهُ الجمهورُ، لا ثلثُ المالِ، كما قالهُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما[4] فإنَّهُ يُفضِي إلى تفضيلِ الأنثَى على الذَّكرِ المساوِي لها في الجهةِ والقُرْبِ، وهو ـ أي: تفضيلُ الأنثى ـ خلافُ وضعِ الشَّرعِ.

قال في «الكشَّافِ»[5]: ألا ترَى أنَّ امرأةً لو تركَتْ زوجاً وأبوَينِ فصارَ للزَّوجِ النِّصفُ وللأمِّ الثُّلثُ وللأبِ الباقي، حازَتِ الأمُّ سهمَينِ والأبُ سهماً واحداً.

قولُه: (أي: اثنَانِ) الجمهورُ على أنَّ المرادَ بالإخوَةِ عددٌ ممَّنْ له إخوةٌ مِن غيرِ اعتِبارِ التَّثليثِ سواءٌ كانَ مِنَ الإخوةِ أو الأخوَاتِ، وقال ابنُ عبَّاسٍ[6]: ....

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٣٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٦٣).

(٣) كذا في الأصول، وفي المصدر: «معهما» ولعله الصواب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٠٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٠٨٥). قال ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٦٣): موقوف صحيح.

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٨٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٢٩٧) عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: إن الأخوين لا يردان الأم =

﴿فلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرثُ مَن ذَكر ما ذُكر، ﴿مِن بَعدِ﴾ تنفيذِ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿بِها أو﴾ قضاءِ ﴿دَينٍ﴾ عليه. وتقديمُ الوصيّة على الدَّين، وإن كانت مؤخّرة عنه في الوفاء، للاهتمام بها ـ ﴿آباؤُكُم وأبناؤُكُم﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿لا تَدرُونَ: أَيُّهُم أقرَبُ لَكُم نَفعًا﴾ في الدنيا والآخرة؟ فظانٌّ أنّ ابنه أنفع له فيُعطيه المِيراثَ فيكون الأب أنفع، وبالعكس. وإنّما العالِم بذلك اللهُ، ففرض لكم المِيراث ـ ﴿فَرِيضةً مِنَ اللهِ. إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

١٢ ـ ﴿ولَكُم نِصفُ ما تَرَكَ أزواجُكُم، إنْ لَم يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم، ﴿فإنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فلَكُمُ الرُّبُعُ مِمّا تَرَكْنَ مِن بَعدِ وَصِيّةٍ يُوصِينَ بِها أو دَينٍ﴾ ـ..........

لا يحجُبُ الأمَّ مِنَ الثُّلثِ ما دونَ الثَّلاثةِ ولا الأخواتُ الخُلَّصُ أخذاً بالظَّاهرِ.

قولُه: (وإرْثُ) يحتملُ أن يكونَ اسمَ فاعلٍ أو مصدراً، وهو على التَّقديرَين متعلِّقٌ بالجارِّ.

قولُه: (والمفعُولِ) مكِّيٌّ وشاميٌّ وشعبةُ ووافقَهُم حفصٌ في الأخيرِ(١).

قولُه: (للاهتِمَامِ بهَا) أو لأنَّها مشبَّهةٌ بالميراثِ؛ لأنَّهَا تُؤخَذُ بعدَ الموتِ شاقَّةً على الوَرثةِ مندُوبٌ إليها جميعُ النَّاسِ، والدَّينُ إنَّما يكونُ على النُّذورِ، هذا وإنَّما قال بـ﴿أو﴾ التي للإباحَةِ دونَ الواو للدَّلالةِ على أنَّهما متساويانِ في الوجُوبِ متقدِّمانِ على القِسْمةِ مجمُوعَينِ ومفردَينِ.

قولُه تعالى: (﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾) مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمونِ الجملةِ المتقدِّمةِ، أو مصدرُ ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ﴾ لأنَّهُ في معنى: يأمرُكُمْ ويفرضُ عليكُمْ.

قولُه: (بخَلقِهِ) أي: بمصَالحِهِم ورُتَبِهِم.

قولُه: (لم يزَلْ) أي: ولا يزالُ.

قولُه: (أو مِن غيرِكُمْ) تفصيلُه: أي: ولدٌ مِن بطنِها، أو مِن صُلْبِ بنِيها، أو بني بنِيها وإنْ سَفُلَ؛ ذكراً كانَ أو أُنثى، منكُم أو مِن غيرِكُم.

= عن الثلث» قال الله عز وجل: ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ [النساء: ١١] «فالأخوان بلسان قومك ليسا بإخوة» فقال عثمان بن عفان: لا أستطيع أن أرد ما كان قبلي ومضى في الأمصار توارث به الناس.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٣٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٣).

وأُلحِق بالولد في ذلك ولدُ الابن بالإجماع ـ ﴿ولَهُنَّ﴾ أي: الزوجاتِ تَعدَّدْنَ أو لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُم، إِنْ لَم يَكُنْ لَكُم وَلَدٌ، فإِنْ كانَ لَكُم وَلَدٌ﴾ منهنّ أو من غيرهنّ ﴿فلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أو دَينٍ﴾. وولد الابن كالولد في ذلك إجماعًا.

﴿وإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: صفةٌ والخبر: ﴿كَلالَةً﴾ أي: لا والدَ له ولا ولدَ ﴿أوِ امرأَةٌ﴾ تُورث كلالةً ﴿ولَهُ﴾ أي: الموروثِ الكلالةِ ﴿أخٌ أو أُختٌ﴾ أي: مِن أمّ ـ وقرأ به ابن مسعود وغيره ـ ﴿فلِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ﴾ ممّا ترك، ﴿فإِنْ كانُوا﴾ أي: الإخوةُ والأخوات من الأُمّ ﴿أَكثَرَ مِن ذلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فهُم شُرَكاءُ في الثُّلُثِ﴾: يستوي فيه ذَكَرهم وأُنثاهم ﴿مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أو دَينٍ، غَيرَ مُضارٍّ﴾: حالٌ من ضمير «يُوصِي» أي: غيرَ مُدخلِ الضررَ على الوَرَثة بأن يُوصيَ بأكثرَ من الثلث، ﴿وَصِيَّةً﴾: مصدر مؤكِّد لـ «يوصيكم» ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبّره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العُقوبة عمّن خالفه. وخَصّتِ السُّنّةُ توريثَ مَن ذُكر بمَن ليس فيه مانع من قتلٍ أو اختلاف دِين أو رِق.

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿تِلكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ اللهِ﴾: شرائعه التي حَدَّها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدَّوها، ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ ـ بالياء، والنونِ...

قولُه: (صِفةٌ) أي: يُورَثُ منهُ صفةُ ﴿رجلٌ﴾.

قولُه: (والخَبرُ) أي: خبرُ ﴿كَانَ﴾.

قولُه: (تُورَثُ كَلالةً) فـ﴿امرأةٌ﴾ عطفٌ على ﴿رجلٌ﴾.

قولُه: (أي: للمَورُوثِ) أو للرَّجلِ، واكتفَى بحكمِهِ عن حكْمِ المرأةِ لدَلالةِ العطفِ على تشارِكِهما فيه.

قولُه: (أي: مِن أُمٍّ) إجماعاً[١].

قولُه: (وغيرُهُ) كأُبيٍّ وسعدِ بنِ مالكٍ، لكنْ سعدٌ: ﴿مِن أمٍّ﴾ وهما[٢]: ﴿مِنَ الأمِّ﴾[٣].

قولُه: (بأَكثرَ مِنَ الثُّلثِ) وبأنْ يقرَّ بدينٍ لا يلزمُهُ أو بأنْ يقصدَ المضارَّةَ بالوصيَّةِ دونَ التَّقرُّبِ.

قولُه: (والنُّونِ) لنافعٍ وابنِ عامرٍ[٤].

---

(١) انظر: «الإجماع» لابن المنذر (ص: ٧١).

(٢) أي: أُبي وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٦٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤٩٣٦)، و«الكشاف» (١/ ٤٨٦)، و«البحر المحيط» (٣/ ٥٤٧). وبعضهم ساق قراءة سعد: «لأمه» وكلا القراءتين من الشواذ.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٤٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٣).

التفاتًا ـ ﴿جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها ـ وذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ـ ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ ـ بالوجهين ـ ﴿نارًا خالِدًا فِيها، ولَهُ﴾ فيها ﴿عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة. ورُوعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَن»، وفي «خالدين» معناها.

١٥ ـ ﴿واللاَّتِي يأتِينَ الفاحِشَةَ﴾: الزِّنى ﴿مِن نِسائكُم فاستَشهِدُوا علَيهِنَّ أربَعةً مِنكُم﴾ أي: من رجال المسلمين، ﴿فإنْ شَهِدُوا﴾ عليهنّ بها ﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾: احبِسوهنّ ﴿في البُيُوتِ﴾، وامنعوهنّ من مُخالطَة الناسِ، ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوتُ﴾ أي: ملائكتُه ﴿أو﴾ إلى أن ﴿يَجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الخُروج منها. أُمِروا بذلك أوّلَ الإسلام، ثمّ جَعلَ لهنّ سبيلاً بجلدِ البِكر مِائَةً وتغريبِها عامًا ورجمِ المُحصَنة. وفي الحديث: لمّا بيّن الحدَّ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عنِّي. قَد جَعلَ اللهُ لهنَّ سَبيلاً». رواه مسلم.

١٦ ـ ﴿واللَّذانِ﴾ ـ بتخفيفِ النون وتشديدِها ـ ﴿يأتِيانِها﴾ أي: الفاحشةَ الزنى أو اللِّواطَ ﴿مِنكُم﴾ أي: الرجالِ ....

قولُه: (التفَاتاً) مِن الغيبةِ إلى التَّكلُّمِ.

قولُه: (فيها) ولا يبعدُ أنْ يكونَ أعمَّ منها ليشمَلَ عذابَ القبرِ وعقابَ يومِ القيامةِ قبلَ دخُولِ النَّارِ.

قولُه: (الزِّنا) أي: بفعلُه، وسُمِّيَ فاحشةً؛ لزيادةِ قبحِها وشناعتِها.

وقولُه تعالى: (﴿فاسْتَشْهِدُوا﴾) أي: اطلبُوا الشَّهادةَ ممَّن قذفهنَّ.

قولُه: (بهَا) أي: بالفاحشةِ.

قولُه: (﴿أوْ﴾ إلَى أنْ) أي: إلى غايةِ الحُكْمِ، وأنَّ ﴿أوْ﴾ بمعنى: إلى أن، ويحتملُ أنْ تكونَ بمعنى: إلَّا.

قولُه: (منهَا) أي: البيوتِ.

قولُه: (عَاماً) التَّغريبُ عندَ الشَّافعيِّ[1] لا عندَنا[2] بل حملَ بعضُ ما وقعَ منه على السِّياسةِ.

قولُه: (وتشدِيدِهَا) للمَكيِّ[3]؛ أي: الزَّاني والزَّانيةُ.

قولُه: (الزِّنا) هذا هو الظَّاهرُ لأنَّهُ مرجعُ الضَّميرِ.

قولُه: (أي: مِنَ الرِّجالِ) الظَّاهرُ منَ المسلمين.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ١٩٣)، و«روضة الطالبين» (١٠/ ٨٧).

(٢) انظر: «المبسوط» (٩/ ٤٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٤١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٣).

﴿فآذُوهُما﴾ بالسبّ والضرب بالنعال، ﴿فإنْ تابا﴾ منها ﴿وأصلَحا﴾ العمل ﴿فأعرِضُوا عَنهُما﴾ ولا تُؤذوهما. ﴿إنَّ اللهَ كانَ تَوّابًا﴾ على مَن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به.

وهذا منسوخ بالحدّ إن أُريد بها الزنى، وكذا إن أُريد بها اللّواط عند الشافعيّ. لكنّ المفعول به لا يُرجم عنده وإن كان مُحصَنًا، بل يُجلد ويُغرّب. وإرادة اللّواط أظهر بدليل تثنية الضمير. والأوّل قال: أراد الزاني والزانية. ويردّه تبيينُهما بـ«مِن» المُتّصلةِ بضمير الرجال واشتراكُهما في الأذى والتوبة والإعراض. وهو مخصوص بالرجال لِما تقدّم في النساء من الحبس.

قولُه: (بالسَّبِّ) والتَّوبيخِ والتَّقريعِ والحبسِ.

قولُه: (ولا تؤذُوهُما) أي: اقطعُوا عنهما الإيذاءَ، وقيل: أعرضُوا عنهما بالإغماضِ والسَّترِ.

قولُه: (وهَذا منسُوخٌ) قيل: هذه الآيةُ سابقةٌ على الأولى نزولاً، وكان عقُوبةُ الزُّناةِ الأذى ثمَّ الحبسَ ثمَّ الجلدَ أو الرَّجمَ، وهذا قولُ الحسنِ[١]، وقيل: الأُولى في السَّحّاقاتِ، وهذهِ في اللّوّاطينَ؛ أي: في الرَّجلينِ إذا عملا عملَ قومِ لوطٍ، و﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] في الزُّناةِ[٢]، وقال مجاهدٌ: آيةُ الأذى في اللّواطةِ[٣].

قال في «المداركِ»[٤]: وهو دليلٌ ظاهرٌ لأبي حنيفَةَ في أنَّهُ يُعَزَّرُ في اللّواطةِ ولا يُحَدُّ[٥].

وفي «المجمعِ»[٦]: وقالا: يُحَدُّ.

قولُه: (والأوَّلُ) أي: قائلُ القولِ الأوَّلِ في تفسيرِ الفاحشَةِ.

قولُه: (والزَّانيةَ) فيكونُ تغليباً.

قولُه: (بضَميرِ الرِّجالِ) تقدَّمَ أنَّ الظَّاهرَ أنَّهُ ضميرُ المسلمِينَ.

قولُه: (والتَّوبةِ) فيه أنَّهُ لا فرقَ فيها.

قولُه: (وهُو) أي: الأذَى.

قولُه: (مِنَ الحبْسِ) فيه أنَّ الحبسَ نوعٌ مِن الأذَى.

---

(١) انظر «تفسير الماوردي» (١/ ٤٦٤).

(٢) قائل ذلك محمد بن بحر الأصفهاني وقد رد ذلك الرازي في «تفسيره» (٩/ ٥٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٨/ ٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٣/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٩٨٤) بلفظ: «الرجلان يزنيان».

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٤١).

(٥) انظر: «الجوهرة النيرة» (٢/ ١٥٥).

(٦) انظر: «مجمع الأنهر» (١/ ٥٩٥).

١٧ ـ ﴿إِنَّما التَّوبةُ علَى اللهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولَها بفضله، ﴿لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ﴾: المعصيةَ ﴿بِجَهالَةٍ﴾: حالٌ، أي: جاهلين إذ عصَوا ربّهم، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمنٍ ﴿قَرِيبٍ﴾ قبلَ أن يُغرغِروا، ﴿فأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ علَيهِم﴾: يقبل توبتهم ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه بهم ـ ١٨ ـ ﴿ولَيسَتِ التَّوبةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾: الذُّنوبَ ـ ﴿حَتَّى إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ﴾ وأخذ في النَّزْع ﴿قالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إنِّي تُبتُ الآنَ﴾، فلا ينفعه ذلك ولا يُقبل منه ـ ﴿ولا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وهُم كُفّارٌ﴾، إذا تابوا في الآخرة عند مُعاينة العذاب لا تُقبل منهم. ﴿أُولئِكَ أعتَدْنا﴾: أعددنا ﴿لَهُم عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا.

قولُه: (إذا عَصَوا ربَّهُم) فإنَّ ارتكابَ الذَّنبِ سفهٌ، قال قتادةُ[1]: أجمعَ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ أنَّ كلَّ مَنْ عصَى اللهَ فهو جاهلٌ. وقال مجاهدٌ[2]: المرادُ منَ الآيةِ: العمْدُ. قال الكلبيُّ[3]: لم يجهَلْ أنَّهُ ذنبٌ لكن جُهِلَ عقوبتُهُ، وقيل: معنى الجهالةِ اختيارُهُمُ اللَّذةَ الفانيةَ على اللَّذَّةِ الباقيةِ.

قولُه: (زَمنٍ ﴿قرِيبٍ﴾) أي: قبلَ حضُورِ الموتِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٨]، ولقولِهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يقبَلُ توبةَ عبدِهِ ما لم يُغَرْغِرْ»[4]، وسمَّاهُ قريباً؛ لأنَّ أمَدَ الحياةِ قريبٌ؛ لقولِهِ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] ولأنَّ كلَّ آتٍ قريبٌ.

قولُه: (لا يُقْبَلُ منهُم) أي: لا تُقْبَلُ التَّوبةُ مِنَ الفريقينِ، سوَّى بينَ منْ سوَّفَ التَّوبةَ إلى حضُورِ الموتِ مِنَ الفسَقةِ والكفَّارِ، وبينَ مَنْ ماتَ على الكفرِ في نفيِ قَبُولِ التَّوبةِ للمُبالغةِ في عدَمِ الاعتدادِ بها في تلكَ الحالةِ، وكأنَّهُ قال: وتوبةُ هؤلاءِ وعدمُ توبةِ هؤلاءِ سواءٌ.

قال أبو البقاءِ في «إعرابِهِ»[5]: قوله: (﴿وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوتُونَ﴾): في موضعِهِ وجهانِ: أحدُهُما هو جرٌّ عطفاً على الذين يعملُونَ السَّيِّئاتِ؛ أي: ولا الَّذينَ يموتُونَ، وهذا صوابٌ منه، ثمَّ قال: والوجهُ الثَّاني أنْ يكونَ مبتدأً وخبرُهُ ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُم﴾ واللَّامُ لامُ الابتداءِ وليستْ لا النَّافيةَ؛ وهذا خطأٌ فاحِشٌ منهُ؛ لأنَّ الكتابةَ بلا النَّافيةِ ثابتةٌ في جميعِ المصَاحفِ العثمانيَّةِ وغيرِها، فيكونُ المعنى على النَّفي بالإجماعِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣٣)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨٨٣٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٣٤)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨٨٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٣٤٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٦١٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨)، وأبو يعلى (٥٦٠٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧٠٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٥) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٣٤٠).

١٩ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَحِلُّ لَكُم أنْ تَرِثُوا النِّساءَ﴾ أي: ذاتَهنّ ﴿كَرْهًا﴾، بالفتح والضمّ لغتانِ، أي مُكرِهِيهِنّ على ذلك ـ كانوا في الجاهليّة يرثون نساء أقربائهم. فإن شاؤوا تزوّجوها بلا صَداق، أو زوّجوها وأخذوا صَداقها، أو عَضَلوها حتّى تفتديَ بما وَرِثته، أو تموتَ فيرثوها. فنُهوا عن ذلك ـ ﴿ولا﴾ أن ﴿تعضُلُوهُنَّ﴾، أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهنّ ولا رغبةَ لكم فيهنّ ضِرارًا، ﴿لِتَذهَبُوا بِبَعضِ ما آتَيتُمُوهُنَّ﴾ من المَهر، ﴿إلاّ أنْ يأتِينَ بِفاحِشةٍ مُبَيَّنةٍ﴾، بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنت أو هي بَيِّنة، أي: زِنًى أو نُشوزٍ، فلكم أن تُضارّوهنّ حتّى يَفتدِينَ منكم ويَختلِعْنَ، ﴿وعاشِرُوهُنَّ بِالمَعرُوفِ﴾، أي: بالإجمال في القول والنفقة والمَبيت.

﴿فإنْ كَرِهتُمُوهُنَّ﴾ فاصبِروا ﴿فعَسَى أنْ تَكرَهُوا شَيئًا، ويَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا﴾، ولعلّه يجعل فيهنّ ذلك بأن يرزقكم منهنّ ولدًا صالحًا.

قولُه: (أي: ذاتَهنَّ) الأظهرُ: ذواتِهِنَّ.

قولُه: (والضَّمّ) لحمزةَ والكسائيِّ[١].

قولُه: (لغتَانِ) وقيل: بالضَّمِّ: المشقَّةُ، وبالفتح: ما يدلُّ عليه.

قولُه: (مُكرَهِينَ) وفي نسخةٍ: «مُكْرِهِيهِنَّ»، وهو الأظهرُ.

قولُه: (أنْ) إشارةٌ إلى أنّه عطفٌ على ﴿أنْ تَرِثُوا﴾ ويؤيِّدُهُ أنّه قُرِئ: ﴿وَلَا أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٢] فـ﴿لا﴾ لتأكيدِ النَّفي، وقيل: تمَّ الكلامُ بقولِه: ﴿كَرْهًا﴾ ثمَّ خاطبَ الأزواجَ ونهاهُمْ عن العضلِ.

قولُه: (بفَتحِ اليَاءِ) مكّيٌّ وشعبةُ[٣].

قولُه: (أو نشُوزٌ) وهو سوءُ العشْرةِ، وعدمُ التَّعفُّفِ، والاستثناءُ مِنْ أعمِّ عامِّ الظَّرفِ أو المفعولِ لهُ.

قولُه: (والنَّفقَةِ والمَبِيتِ) منَ الإجمالِ في الفعلِ.

قولُه: (ذلكَ) أي: خيراً كثيراً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٤٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٩)، و«البحر المحيط» (٣/ ٥٦٩) وهي قراءة شاذة لابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٤٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٦).

٢٠ ـ ﴿وإنْ أَرَدتُّمُ استِبدالَ زَوجٍ مَكانَ زَوجٍ﴾ أي: أخذَها بدَلها بأن طلقتموها، ﴿و﴾ قد ﴿آتيتُم إحداهُنَّ﴾ أي: الزوجاتِ ﴿قِنطارًا﴾: مالاً كثيرًا صَداقًا، ﴿فلا تأْخُذُوا مِنهُ شَيئًا ـ أتأخُذُونَهُ بُهتانًا﴾: ظُلمًا ﴿وإثمًا مُبِينًا﴾: بيّنًا؟ ونصبُهما على الحال. والاستفهامُ للتوبيخ، وللإنكار في: ٢١ ـ ﴿وكَيفَ تأخُذُونَهُ﴾ أي: بأيِّ وجهٍ، ﴿وقَد أفضَى﴾: وصلَ ﴿بَعضُكُم إلى بَعضٍ﴾ بالجِماع المُقرِّر للمَهر، ﴿وأخَذنَ مِنكُم مِيثاقًا﴾: عهدًا ﴿غَلِيظًا﴾: شديدًا؟ وهو ما أمر الله به من إمساكهنّ بمعروف أو تسريحهنّ بإحسان ـ ٢٢ ـ ﴿ولا تَنكِحُوا ما﴾ بمعنى: مَن ﴿نكَحَ آباؤُكُم مِنَ النِّساءِ. إلاّ﴾: لكنْ ﴿ما قَد سَلَفَ﴾ من فِعلكم ذلك فإنه معفوّ عنه. ﴿إنَّهُ﴾ أي: نِكاحَهنّ ﴿كانَ فاحِشةً﴾: قبيحًا، ﴿ومَقْتًا﴾ سببًا للمقت من الله وهو أشد البغض، ﴿وساءَ﴾: بئسَ ﴿سَبِيلاً﴾: طريقًا ذلك!

قولُه: (أي: الزَّوجَاتِ) جمعَ الضَّميرَ؛ لأنَّهُ يُرادُ بالزَّوجِ الجنسُ.

قولُه: (صَدَاقًا) أي: جعلتُم صَداقَهنَّ قنطاراً، وقولُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: مِنَ القنطارِ.

قولُه: (على الحَالِ) أي: تأخذُونَهُ باهتينَ وآثمينَ، ويحتملُ النَّصبَ على العلَّةِ.

قولُه: (والاستِفْهامُ للتَّوبِيْخِ والإنكَارِ في ﴿وَكَيْفَ﴾) الظَّاهرُ: (كما في) ليشملَ الاستفهامَينِ[1].

قولُه: (بإحسَانٍ) أو ما أشارَ إليهِ النَّبيُّ ﷺ بقولِهِ: «أخذْتُموهُنَّ بأمَانةِ اللهِ واستحلَلْتُم فروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ»[2]؛ أي: بأمرِهِ وحكمِهِ، أو بالعقدِ.

قولُه: (بمَعنَى: مَنْ) وإنَّما ذكرَ ﴿مَا﴾ دونَ: مَنْ؛ لأنَّهُ أُرِيدَ بهِ الصِّفةُ؛ أي: لا تنْكِحُوا أيَّ نوعِ نكحَ آباؤُكُم مِنْ ثيِّبٍ أو بكرٍ، وقيلَ: مصدَريَّةٌ على إرادةِ المفعُولِ منَ المصدرِ؛ أي: المنكوحاتِ.

وقولُه: (﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾) بيانُ ﴿مَا نَكَحَ﴾ على الوجهينِ.

قولُه: (فإنَّهُ معفُوٌّ عنهُ) أي: لا مؤاخذَةَ عليه؛ لا أنَّهُ مقرَّرٌ.

قولُه: (البُغْضِ) الظَّاهرُ: الغضبِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ [غافر: ٣٥].

قولُه: (ذلكَ) أي: سبيلُ مَنْ يراهُ ويفعلُهُ.

---

(١) الاستفهام الأول المتقدم: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، والاستفهام الثاني وهو التالي: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٣٩٨٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٢٣ - ﴿حُرِّمَتْ عليكُم أُمّهاتُكُم﴾ أن تَنكحوهنّ، وشَمَلَتِ الجدّاتِ من قِبَلِ الأب أو الأُمّ، ﴿وبَناتُكُم﴾ وشَملتْ بَناتِ الأولاد وإن سَفَلْنَ، ﴿وأخواتُكُم﴾ من جِهة الأب أو الأُمّ، ﴿وعَمّاتُكُم﴾ أي: أخواتُ آبائكم وأجدادِكم، ﴿وخالاتُكُم﴾ أي: أخواتُ أُمّهاتِكم وجدّاتِكم، ﴿وبَناتُ الأخِ وبَناتُ الأُختِ﴾ - ويدخل فيهنّ بناتُ أولادِهم - ﴿وأُمَّهاتُكُمُ اللاّتِي أرضَعْنَكُم﴾ قبل استكمال الحولين خمسَ رَضَعات كما بَيّنَه الحديث، ﴿وأخَواتُكُم مِنَ الرَّضاعةِ﴾ - ويُلحق بذلك بالسُّنّة البناتُ منها، وهنّ من أرضعتْهنّ موطوءتُه والعمّاتُ والخالاتُ وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت منها، لحديثِ: «يَحرُمُ مِن الرَّضاعِ ما يَحرُمُ مِنَ النَّسبِ». رواه البخاريّ ومُسلم - ﴿وأُمّهاتُ نِسائكُم، ورَبائبُكُمُ﴾: جمع رَبيبة وهي بنت الزوجة من غيرِه، ﴿اللاّتِي في حُجُورِكُم﴾ تُربّونها - صفةٌ مُوافقة للغالب فلا مَفهوم لها - ....

قولُه: (أنْ تنكِحُوهنَّ) يعني: ليسَ المرادُ تحريمَ ذواتهنَّ بل تحريمُ نكاحِهنَّ؛ لأنَّهُ معظمُ ما يُقصَدُ منهنَّ، ولأنَّهُ المبادَرُ إلى الفهمِ كتحريمِ الأكلِ مِنْ قولِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] ولأنَّ مَا قبلَهُ وما بعدَهُ في النِّكاحِ.

قولُه: (أوِ الأُمِّ) ومِنْ جهتِهما بالأَوْلى، وكذلك البَاقِياتُ.

قولُه: (استِكمَالِ الحَولَينِ) وتقدَّمَ ما فيهِ مِنَ الخلافِ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قولُه: (خمْسَ رضَعَاتٍ) هذا عندَ الشَّافعيِّ[١]، وأمَّا عندَنا فيثبُتُ ولو بمصَّةٍ[٢].

قولُه: (منهَا) أي: مِنَ الرَّضاعةِ.

قولُه: (وهُنَّ) أي: البناتُ.

قولُه: (موطُوءَتُهُ) واللَّبنُ منه.

قولُه: (والعَمَّاتُ) عطفٌ على البناتِ.

قولُه: (منهَا) أي: مِنَ الرَّضاعةِ.

قولُه: (فلا مفْهُومَ لها) عندَ جمهورِ العلماءِ، وعن عليٍّ رضي الله عنه جعلَهُ شرطاً[٣]، وإليهِ ذهبَ داودُ

---

(١) انظر: «الأم» (٥/ ٢٨).

(٢) انظر: «المبسوط» (٥/ ١٣٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٨٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٨٧).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٥٢): هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب، على شرط مسلم، وهو قول غريب جداً، وإلى هذا ذهب داود الظاهري وأصحابه، وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله، واختاره ابن حزم.

﴿مِن نِسائكُمُ اللاّتِي دَخَلتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهنّ ـ ﴿فإنْ لَم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَّ فلا جُناحَ عَلَيكُم﴾ في نِكاح بناتهنّ إذا فارقتموهنّ ـ ﴿وحَلائلُ﴾: أزواجُ ﴿أبنائكُم الَّذِينَ مِن أصلابِكُم﴾ بخِلاف من تبنّيتموهم فلكم نكاحُ حلائلهم، ﴿وأنْ تَجمَعُوا بَينَ الأُختَينِ﴾ من نسب أو رَضاع بالنكاح. ويُلحق بهما بالسُّنّة الجمعُ بينها وبين عمّتها أو خالتها، ويجوز نِكاحُ كلّ واحدة على الانفراد وملكُهما معًا ويَطأ واحدةً. ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿ما قَد سَلَفَ﴾ في الجاهليّة من نِكاحكم بعضَ ما ذُكر فلا جُناحَ عليكم فيه.....

الظَّاهريُّ وابنُ حزمٍ[١]، ونُقِلَ عن مالكٍ[٢].

قولُه: (أي: جامَعْتُموهنَّ) أي: الدُّخولُ كنايةٌ عن الجماعِ؛ يعني: حقيقةً أو حكماً، كالخلوةِ الصَّحيحةِ[٣] على اختلافٍ فيها، لكنَّ الأصحَّ مَا في «المداركِ»[٤] أنَّ اللَّمسَ ونحوَهُ يقومُ مقامَ الدُّخولِ، والأمَّهاتُ والرَّبائبُ تتناولانِ القريبةَ والبَعيدةَ.

قولُه: (إذا فارقْتُموهنَّ) لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قال في رجلٍ تزوَّجَ امرأةً فطلَّقَها قبلَ أنْ يدخلَ بهَا: «إنَّهُ لا بأسَ أنْ يتزوَّجَ ابنتَها، ولا يحلُّ له أنْ يتزوَّجَ أمَّهَا». رواهُ التِّرمذيُّ[٥]، وإليه ذهبَ عامَّةُ العُلماءِ، غيرَ أنَّهُ رُوي عن عليٍّ تقييدُ التَّحريمِ فيها[٦].

قولُه: (أزوَاجُ) وكذا سرَاري.

قولُه: (وخالَتِهَا) وفي نسخةٍ: «أو خالتِهَا» وهو أظهرُ.

قولُه: (ويَجمَعُ بينَ نِكَاحٍ) وفي نسخةٍ: «ويجوزُ نكاحُ» وهو الصَّحيحُ بل الصَّوابُ.

قولُه: (وملكُهُما) عطفٌ على نكاحِ، والضَّميرُ راجعٌ إلى الأختينِ.

قولُه: (ويَطأُ واحِدَةً) اختلفَ عليٌّ وعثمانُ[٧] رضيَ اللهُ عنهُمَا في الجمعِ بينَ الأختينِ وطئًا بملكِ اليمينِ

---

(١) انظر: «المحلى» (٩/ ١٤٣).

(٢) تقدم عن ابن كثير أنها رواية الرافعي، لكن في كتب المذهب القول كقول الجمهور. انظر: «بداية المجتهد» (٣/ ٥٧).

(٣) الخلوة الصحيحة: أن يجتمع الزوجان بعد العقد الصحيح في مكان يتمكنان فيه من التمتع الكامل، بحيث يأمنان دخول أحد عليهما، وليس بأحدهما مانع طبيعي أو حسي أو شرعي يمنع من الاستمتاع.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٤٦).

(٥) رواه الترمذي (١١١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩١٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم. وقال: هذا حديث لا يصح من قبل إسناده.

(٦) تقدم قريباً تخريجه.

(٧) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٣٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٧٢٨)، والشافعي في «مسنده/ ترتيب السندي» (٤٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٢٦٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩٣٠).

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

٢٤ ـ ﴿و﴾ حُرِّمتْ عليكمُ ﴿المُحصَناتُ﴾ أي: ذواتُ الأزواج ﴿مِنَ النِّساءِ﴾، أن تنكحوهنَّ قبل مُفارقة أزواجهنّ، حَرائرَ مسلماتٍ كنّ أوْ لا ـ ﴿إلاّ ما مَلَكَتْ أيمانُكم﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهنّ، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ـ ﴿كِتابَ اللهِ﴾: نُصِب على المصدر أي: كَتَبَ ذلك ﴿عليَكُم، وأَحَلَّ﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿لَكُم ما وَراءَ ذلِكُم﴾..............

فقال عليٌّ: يحرمُ ذلكَ؛ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يُوجِبُ تحريمَهُ؛ لأنَّ الجمعَ بينَ الأختينِ لَمَّا حرمَ نكاحاً وهو سببٌ مُفضٍ إلى الوطء فلأَنْ يحرمَ الجمعُ بينهُمَ وطئاً بملكِ اليمينِ كانَ أولى، وقولُهُ تعالى في أوَّلِ السُّورةِ: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يُوجِبُ حلَّهُ فكان الأخذُ بما يحرمُ أولى احتياطاً، ووافقَهُ عثمانُ في أنَّ النَّصَّينِ يُوجِبانِ التَّحريمَ والتَّحليلَ، إلَّا أنَّهُ رجَّحَ الموجِبَ للحلِّ باعتبارِ الأصلِ.

قولُه: (أي: ذَوَاتُ الأَزْوَاجِ) أحصنَهُنَّ التَّزويجُ أو الأزواجُ، وقرأَ الكسائيُّ[١] في جميعِ القرآنِ غيرَ هذا الحرفِ بكسرِ الصَّاد؛ لأنَّهُنَّ أحصنَّ فروجَهُنَّ.

قولُه: (بالسَّبيِ) إشارةٌ إلى أنَّ النِّكاحَ مرتَفعٌ بالسَّبي، وهذا عندَ الشَّافعيِّ[٢]، وأمَّا عندَنا فبتباينِ الدَّارينِ[٣]، ولذا قال أبو حنيفةَ: لو سُبِيَ الزَّوجانِ لم يرتفعِ النِّكاحُ ولم تحلَّ للسَّابي.

وقولُه: (بالسَّبيِ) يحتملُ أنْ يكونَ احترازاً مِن البيعِ، قال الصَّفويُّ: عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ وغيرِهما[٤]: إنَّ بيعَ الأمةِ طلاقٌ لها مِن زوجِها، فتَحِلّ لسيِّدِها لعُمُومِ الآيةِ[٥].

قولُه: (والمَفعُولِ) حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[٦].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٤٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٦).

(٢) انظر: «روضة الطالبين» (١٠/ ٢٥٤).

(٣) انظر: «المبسوط» (٥/ ٥٠).

(٤) رواها ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٦) عن ابن مسعود وابن عباس وأُبي وجابر وأنس رضي الله عنهم جميعاً.

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨): فهذا قول هؤلاء من السلف رحمهم الله، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقها؛ لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوبة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في «الصحيحين» وغيرهما.
وانظر: «فتح الباري» (٩/ ٤٠٤) فقد تكلم على أسانيد وطرق أحاديث من أجاز.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٨).

أي: سِوى ما حُرِّم عليكم من النساء، لِـ ﴿أنْ تَبتَغُوا﴾: تطلبوا النِّساء ﴿بِأموالِكُم﴾ بِصَداق أو ثمن، ﴿مُحصِنِينَ﴾: مُتزوِّجين ﴿غَيرَ مُسافِحِينَ﴾: زانِين، ﴿فما﴾: فمَنِ ﴿استَمتَعتُم﴾: تمتّعتم ﴿بِهِ مِنهُنَّ﴾: ممّن تزوّجتم بالوطء ﴿فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنّ التي فرضتم لهنّ ﴿فَرِيضةً، ولا جُناحَ علَيكُم فِيما تَراضَيتُم﴾ أنتم وهنّ ﴿بِهِ مِن بَعدِ الفَرِيضةِ﴾ مِن حطِّها أو بعضِها أو زيادةٍ عليها. ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبّره لهم.

٢٥ ـ ﴿ومَن لَم يَستَطِعْ مِنكُم طَولاً﴾ أي: غِنًى..

قولُه: (مِنَ النِّسَاءِ) أي: المذكُوراتِ والملحَقاتِ.

قولُه: (لِأنْ) يعني: أنَّ اللَّامَ مقدَّرٌ، وحذْفُ حرفِ الجرِّ من (أنْ) و(أنَّ) شائعٌ؛ لأنَّهُ منصوبٌ بالمفعولِ له حتَّى يردَ أنَّه ليسَ فعلَ الفاعلِ المعلَّلِ.

قولُه: (النِّسَاءَ) مفعولُ ﴿تَبْتَغُوا﴾.

قولُه: (بصَدَاقٍ أو ثَمَنٍ) يعني: في الحرَّةِ والأَمَةِ، واحتجَّ بِهِ الحنفيَّةُ على أنَّ المهرَ لا بدَّ أنْ يكونَ مالاً، فلا يجوزُ أنْ يكونَ بمنفعةٍ كتعليمِ قرآنٍ[1].

قولُه: (مُتزوِّجِيْنَ) أو متَملِّكينَ.

قولُه: (زَانِيِنَ) حالٌ مؤكِّدةٌ، لأنَّ الإحصَانَ لا يُجامِعُ السِّفاحَ.

قولُه: (فمَنْ) ﴿فَمَا﴾ موصُولةٌ، ويجوزُ أنْ تكونَ موصُوفةً؛ أي: فمَا استمتَعْتُمْ بِهِ مِنْ جماعٍ أو عقْدٍ عليهنَّ.

قولُه: (مُهورَهُنَّ) فإنَّ المهرَ في مقابلةِ الاستمتاعِ منْ جماعٍ أو عقدٍ.

وقولُه تعالى: (﴿فَرِيْضَةً﴾) حالٌ مِن الأجورِ؛ بمعنى: مفرُوضَةٍ، أو صفةُ مصدرٍ محذُوفٍ؛ أي: إيتاءً مفرُوضاً، أو مصدرٌ مؤكِّدٌ، وهو الأظهرُ، وكأنَّهُ لظهورِهِ تركَهُ الشَّيخُ.

قولُه: (مِنْ حَطِّها) أي: بالإبراءِ ونحوِهِ.

قولُه: (أو زِيَادةٍ عليها) أو فيما تراضيا بِهِ منْ نفَقةٍ أو مَقامٍ ـ بضمِّ الميمِ وفتحِهَا ـ أو فراقٍ.

قولُه: (غنًى) وأوَّلَ أبو حنيفَةَ طَولَ المحصناتِ بأنْ يملِكَ فِراشَهُنَّ على أنَّ النِّكاحَ هو الوطءُ، كذا في «المدارك»[2].

---

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٣/ ١٠١).

(٢) هذا ليس في «المدارك» وإنما هو في «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٦٩).

لِـ ﴿أَنْ يَنكِحَ الْمُحصَنَاتِ﴾ الحرائرَ ﴿الْمُؤمِناتِ﴾ ـ هو جَرْيٌ على الغالب فلا مَفهوم له ـ ﴿فمِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾ يَنكِحُ ﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ المُؤمناتِ ـ واللهُ أعلَمُ بإيمانِكُم﴾. فاكتفُوا بظاهره وكِلوا السرائر إليه. فإنه العالم بتفاصيلها، ورُبّ أَمَةٍ تَفضُلُ الحُرّةَ فيه. وهذا تأنيس بنِكاح الإماء. ﴿بَعضُكُم مِن بَعضٍ﴾ أي: أنتم وهنّ سواء في الدِّين، فلا تستنكفوا من نكاحهنّ ـ ﴿فانكِحُوهُنَّ بإذنِ أهلِهِنَّ﴾: مَواليهنّ، ﴿وآتُوهُنَّ﴾: أعطوهنّ ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهنّ ﴿بِالمَعرُوفِ﴾: من غير مَطل ونقص، ﴿مُحصَناتٍ﴾: عفائفَ، حالٌ ﴿غَيرَ مُسافِحاتٍ﴾: زانياتٍ جَهرًا، ﴿ولا مُتَّخِذاتِ أخدانٍ﴾: أخِلاّءَ يزنون بهنّ سِرًّا. ﴿فإذا أُحصِنَّ﴾:..

قولُه: (لـ﴿أَنْ﴾) إشارةٌ إلى ﴿أَنْ﴾ مجرورٌ بإضمارِ اللّامِ، وقيل: بإضمارِ إلى، أو على متعلِّقٌ بـ﴿طَوْلًا﴾.

قولُه: (هُو) أي: قيدُ الإيمَانِ.

قولُه: (ينكِحُ) في «المدارِكِ»(١): المعنَى: مَنْ لم يستطِعْ زيادةً في المالِ وسعةً يبلغُ بها نكاحَ الحرَّةِ؛ فلينكِحْ أمَةً، ونكاحُ الأمةِ الكتابيَّةِ يجوزُ عندَنا، والتَّقييدُ في النَّصِّ للاستحبَابِ بدليلِ أنَّ الإيمانَ ليسَ بشرطٍ في الحرائرِ اتِّفاقاً معَ التَّقييدِ في النَّصِّ.

قولُه: (بظَاهرِهِ) أي: الإيمانِ.

قولُه: (بتَفْصِيلهَا) وفي نسخةٍ: «بتفاصيلِهَا» وهو أظهرُ.

قولُه: (فيهِ) أي: في كمالِ الإيمانِ، ومِنْ حقِّكُم أنْ تعتبرُوا فضْلَ الحسَبِ لا النَّسبِ(٢).

قولُه: (مُهورَهُنَّ) أي: بإذنِ أهلِهِنَّ، فحذفَ ذلكَ لتقدُّمِ ذكرِهِ، أو إلى مواليهِنَّ، فحذْفُ المضافِ للعلمِ بأنَّ المهرَ للسَّيِّدِ؛ لأنَّه عوضُ حقِّهِ، فيجبُ أنْ يُؤدَّى إليه، وقال مالكٌ: المهرُ للأمةِ ذهاباً إلى الظَّاهرِ(٣).

قولُه: (ونقْصٍ) وضِرارٍ واستهَانةٍ بهنَّ.

قولُه: (حالٌ) مِنْ مفعُولِ فـ«انكحُوا».

قولُه: (أخِلَّاءَ) السِّفاحُ مذمُومٌ عندَ الكلِّ، لكنَّ الاختصاصَ بواحدٍ في السِّرِّ ما كانَ يذمُّهُ العرَبُ، ولذا خُصَّ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٤٩).

(٢) عبارة البيضاوي أوجه وأوضح ففي «أنوار التنزيل» (٢/ ٦٩) قال: ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب.
وعلى هذا مراده بالحسب هنا الدين والإيمان، كما قيل في «الصحاح» (١/ ١١٠): يقال: حسبُه: دينُه.

(٣) انظر: «المدونة» (٤/ ١٤٨)، و«التاج والإكليل» (٥/ ١٣١).

زُوِّجْنَ ـ وفي قراءة بالبناء للفاعل: تَزوّجْنَ ـ ﴿فإنْ أتينَ بفاحِشةٍ﴾: زِنًى ﴿فعلَيهِنَّ نِصفُ ما علَى المُحصَناتِ﴾: الحرائر الأبكار إذا زَنَينَ، ﴿مِنَ العَذابِ﴾: الحدّ. فيُجلَدْنَ خمسين ويُغرَّبْنَ نصفَ سنةٍ. ويُقاس عليهنّ العبيدُ. ولم يُجعل الإحصانُ شرطًا لوجوب الحدّ لإفادة أنه لا رجم عليهنّ أصلاً.

﴿ذلِكَ﴾ أي: نِكاح المملوكات عند عدم الطَّول ﴿لِمَن خَشِيَ﴾: خاف ﴿العَنَتَ﴾: ـ وأصله المشقّة، سُمِّي به الزنى لأنّه سببها بالحدِّ في الدنيا والعقوبةِ في الآخرة ـ ﴿مِنكُم﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحلّ له نكاحها، وكذا مَن استطاع طَول حُرّة ـ وعليه الشافعيّ. وخَرجَ بِقوله:.........

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) للكوفيِّ إلّا حفصاً[1].

قولُه: (الحَدُّ) لقولِه تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [النور: ٢].

قولُه: (ويُغرَّبْنَ نصْفَ سَنةٍ) لا تغريبَ عندَنا مطلقاً[2].

قولُه: (ولمْ يجعَلِ الإحصَان) أي: في قولِه: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ وفيهِ ردٌّ على مَنْ قال: إنَّهُ لا حدَّ على مَنْ لم يتزوَّجْ مِن المماليكِ.

قولُه: (أصْلاً) يعني: سواءٌ أُحصِنَّ أو لم يُحْصَنَّ، إذِ الرَّجمُ لا يتنصَّفُ.

قولُه: (الزِّنا) أي: خافَ الوقوعَ في الزِّنا.

قولُه: (وأَصلُهُ) أي: العنتُ.

قولُه: (بهِ) بالعنتِ.

قولُه: (سببُهَا) أي: المشقَّةِ، وقيلَ: المرادُ بالعنتِ: الحدُّ، أو المرادُ: المشقَّةُ بغلبَةِ الشَّهوةِ.

قولُه: (مَنْ لا يخافُهُ) أي: العنَتَ.

قولُه: (نكاحُهَا) ولنَا عمومُ قولِهِ تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] كذا في «شرحِ المجمعِ»[3].

قولُه: (وخرَجَ... إلخ) تقدَّمَ الجوابُ عنهُ، وكانَ محلُّهُ ما تقدَّمَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٨).

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ١٤).

(٣) انظر: «مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر» (١/ ٣٢٨).

﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الكافراتُ، فلا يحلّ له نكاحها ولو عَدِمَ وخاف ـ ﴿وأَنْ تَصبِرُوا﴾ عن نِكاح المملوكات ﴿خَيرٌ لَكُم﴾، لئلاّ يصير الولدُ رقيقًا، ﴿واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ـ ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم﴾ شرائعَ دينكم ومصالحَ أمركم، ﴿ويَهدِيَكُم سُنَنَ﴾: طرائقَ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾، من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتّبعوهم، ﴿ويَتُوبَ عليكُم﴾: يرجِعَ بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ـ ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبّره لكم ـ ٢٧ ـ ﴿واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيكُم﴾، كرّره ليَبنيَ عليه: ﴿ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: اليهودُ والنصارى أو المجوس أو الزُّناة ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيلاً عَظِيمًا﴾: تعدلوا عن الحقّ بارتكاب ما حَرّم عليكم، فتكونوا مِثلهم..................

قولُه: (عن نكَاحِ المَمْلُوكاتِ) أو مطلقاً، ولذا قيل: الصَّبرُ عنهُنَّ أيسرُ منَ الصَّبرِ عليهنَّ، والصَّبرُ عليهنَّ أيسرُ منَ الصَّبرِ على النَّارِ.

قالَ تعالى: (﴿غَفُورٌ﴾) أي: لِمَنْ لم يصبرْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ يصبرُ، وقال القاضي[١]: ﴿غفورٌ﴾ لِمَنْ [لم][٢] يصبرْ، وفيه أنَّ الغفرانَ يتعلَّقُ بالذَّنبِ النَّاشئِ عن عدمِ الصَّبرِ، والله أعلمُ.

قولُه: (شَرَائِعَ دينِكُم) وأنْ يبيِّنَ مفعولُ ﴿يُرِيدُ﴾ واللَّامُ مزيدةٌ مؤكِّدةٌ لإرادةِ التَّبيينِ لِمَا في اللَّامِ من معنى الإرادةِ نحوَ: جئتُكَ لإكرامِكَ.

قولُه: (اليَهُودُ) لاستحلالِهِمُ الأخواتِ لأبٍ، وبناتِ الأخِ، وبناتِ الأختِ، فلمَّا حرَّمَهُنَّ اللهُ تعالى قالوا: فإنَّكُم تُحلّونَ بنتَ الخالةِ والعمَّةِ، والخالةُ والعمَّةُ عليكُم حرامٌ، فانكحُوا بناتِ الأختِ والأخِ فنزلَتْ، يقولُ: تريدُونَ أنْ تكونُوا زناةً مثلَهُم، كذا في «المداركِ»[٣].

قولُه: (والنَّصَارى) لا أعرفُ لهم مذهباً.

قولُه: (أوِ المَجُوسُ) فإنَّهُم ما يحرِّمُونَ شيئاً حتَّى الأمَّ والبنتَ.

قولُه: (أوِ الزُّنَاةُ) يعني: الفجرةَ، فإنَّ اتِّباعَ الشَّهواتِ لا ثمارَ لهَا، وأمَّا المتعَاطِي لِمَا جوَّزَهُ الشَّرعُ منها دونَ غيرِهِ فهو متَّبِعٌ له في الحقيقةِ لا لها.

وقولُه تعالى: (﴿عَظِيمًا﴾) أي: بالإضافةِ إلى مَيلِ مَن اقترفَ خَطِيئةً على ندُورٍ غيرَ مُستحِلٍّ.

قولُه: (بارتِكَابِ) أو بتحليلٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٠).

(٢) زيادة لابد منها لتمام السياق، وكما في المصدر، وقد سقطت من النسخ الأصول.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٥١).

٢٨ ـ ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُم﴾: يُسهّلَ عليكم أحكام الشرع. ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا﴾، لا يصبر عن النساء والشهوات.

٢٩ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا أمْوالَكُم بَينكُم بِالباطِلِ﴾: بالحرام في الشرع كالرِّبا والغصب ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿أَنْ تَكُونَ﴾: تقعَ ﴿تِجارةٌ﴾، وفي قراءة بالنصب أي: تكون الأموالُ أموالَ تجارةٍ، صادرةٌ ﴿عَن تَراضٍ مِنكُم﴾ وطِيب نفس فلكم أن تأكلوها ـ ﴿ولا تَقتُلُوا أنفُسَكُم﴾ بارتكاب ما يُؤدّي إلى هلاكها أيًا كان في الدنيا أو الآخرة، بقرينةِ ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُم رَحِيمًا﴾، في منعه لكم من ذلك، ٣٠ ـ ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ أي: ما نُهي عنه ﴿عُدوانًا﴾: تجاوُزًا للحلال، حالٌ ﴿وظُلْمًا﴾:...........

قولُه: (أحكَامَ الشَّرعِ) بإحلالِ نكاحِ الأمةِ وغيرِهِ مِن الرُّخصِ.

قولُه: (والشَّهواتِ) ولا يتحمَّلُ مشاقَّ الطَّاعاتِ.

قولُه: (والغَصْبِ) والقمارِ والسَّرقةِ.

قولُه: (لكِنْ) يعنِي: الاستثناءُ منقطِعٌ؛ أي: لكن كونُ تجَارةٍ عن تراضٍ منكُم غيرَ منهيٍّ عنه.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) أي: للكوفيِّ[1].

قولُه: (الأمْوَالُ) اسمُ «كانَ»، ويحتملُ: التِّجارةُ، أو الجهةُ تجارَةً.

قولُه: (أمْوَالَ) خبرُ ﴿تكونَ﴾، وتقديرُ المضافِ؛ لتصحِيحِ الحملِ، ويمكِنُ أنْ يُقالَ: ذاتَ تجارةٍ.

قولُه: (صَادِرةٌ) مرفُوعٌ أو منصُوبٌ متعلِّقٌ بـ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ أي: عن تراضِي المتعاقِدَيْنِ، أو بينَ المتبايعَينِ، وخصَّ التِّجارةَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ أسبابَ الرِّزقِ أكثرُها متعلِّقٌ بها.

في «المدارِكِ»[2]: الآيةُ تدلُّ على جوازِ البيعِ بالتَّعاطِي.

قولُه: (أيًا كانَ) أي: الهلاكُ.

قولُه: (أي: مَا نَهَى عنهُ) يحتملُ القتلَ، وما سبقَ مِن المحرَّماتِ.

قولُه: (للحَلالِ) وفي نسخَةٍ: «للحدِّ».

قولُه: (حَالٌ) وكذا ما بعدَهُ؛ يعنِي: أنَّهُما مصدرانِ في موضعِ الحالِ؛ أي: معتدِينَ ظالمِينَ، والأظهرُ: نصبُهُما على المفعُولِ له.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٥١).

تأكيدٌ، ﴿فسَوفَ نُصليهِ﴾: نُدخله ﴿نارًا﴾ يحترق فيها، ﴿وكانَ ذلِكَ علَى اللهِ يَسيرًا﴾: هيِّنًا. ٣١ ـ ﴿إنْ تَجتَنِبُوا كَبائرَ ما تُنهَونَ عَنهُ﴾ ـ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنَى والسرقة. وعن ابن عبّاس: هي إلى السبعِمِائَةِ أقربُ ـ ....

قولُه: (تأكِيدٌ) وقيل: أراد بالعُدوانِ: التَّعدِّيَ على الغيرِ، وبالظُّلمِ: ظلمَ النَّفسِ، والتَّأسيسُ أولى.

قولُه: (وعِيدٌ) أو حدٌّ، وقيل: ما عُلِمَ حرمتُهُ بقاطعٍ، وقيل: إضافيٌّ، وقيل: مبهَمٌ، وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّها سبعٌ: «الإشرَاكُ باللهِ، وقتلُ النَّفسِ الَّتي حرَّمَ اللهُ، وقذفُ المحصَنةِ، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والرِّبا، والفِرارُ منَ الزَّحفِ، وعقُوقُ الوالدَينِ»[١]. روَاهُ ـ معَ قولِهِ بعدُ: (وعنِ ابنِ عبَّاسٍ)... إلخ ـ الطَّبريُّ[٢].

قولُه: (إلى السَّبعِمائةِ أقرَبُ) أي: أقربُ منها إلى سبْعٍ. قال البيضاويُّ[٣]: وقيل: أرادَ بها هاهُنا أنواعَ الشِّركِ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قلْتُ: هذا هو المعتمدُ، وعليه المعتقدُ؛ لأنَّهُ يجوزُ العقابُ على الصَّغيرةِ سواءٌ اجتنبَ مرتكبُهَا الكبيرةَ أم لا؛ لدخُولِها تحتَ الآيةِ المذكُورةِ.

قال العلَّامةُ التَّفتازانيُّ: ذهب بعضُ المعتزلةِ إلى أنَّهُ إذا اجتنبَ الكبائرَ لم يجزْ تعذيبُهُ، لا بمعنَى أنَّهُ يمتنعُ عقْلاً بل بمعنَى أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يقعَ لقيامِ الأدلَّةِ السَّمعيَّةِ على أنَّهُ لا يقعُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا﴾ الآيةَ.

وأجيبَ: بأنَّ الكبائرَ المطلقةَ منَ الكُفرِ؛ لأنَّهُ الكاملُ، وجُمِعَ بالنَّظرِ إلى أنواعِ الكُفرِ، أو إلى أفرادِهِ القائمةِ بأفرادِ المخاطبِينَ على ما تمهَّدَ مِنْ قاعدةِ أنَّ مقابلَةَ الجمعِ بالجمعِ يقتَضِي انقسامَ الآحادِ بالآحادِ، انتهى[٤].

وبقيَ البحثُ فيه أنَّهُ يلزمُ حينئذٍ ألَّا يجوزَ العقابُ على ما عدَا الكفْرَ صغيرةً كانت أو كبيرةً، إلَّا أن يقالَ: نكفِّرْ عنكم سيئاتكُمُ المكتسبةَ قبلَ اجتنابِ الكفْرِ، وقيل: الاستثناءُ مقدَّرٌ؛ أي: نكفِّرْ عنكُم سيئاتِكُم إنْ شئنا بقرِينةِ قولِه تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨].

والأظهرُ: أنَّ الكبائرَ في الآيةِ على معناها، والمعنى: إنْ تجتنبُوا عنها نكفِّرْ عنكُم سيئاتِكُم بالطَّاعاتِ، كما تدلُّ عليه الأحادِيثُ الصَّحِيحةُ.

---

(١) لم أجده عند الطبري في «تفسيره» بهذا النسق، وانظر: (٨/ ٢٣٥) وما بعده، وأصل الحديث: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «السحر» بدل: «عقوق الوالدين».

(٢) أثر ابن عباس: رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧١).

(٤) انظر: «شرح العقائد» (ص: ٧٥).

﴿نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم﴾ الصغائرَ بالطاعات، ﴿وَنُدخِلْكُم مُدخَلاً﴾ ـ بضمِّ الميم وفتحِها ـ أي: إدخالاً، أو مَوضعًا ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنّة.

٣٢ ـ ﴿ولا تَتَمَنَّوا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعضَكُم علَى بَعضٍ﴾ من جهة الدُّنيا أو الدِّين، لئلاّ يُؤدّي إلى التحاسد والتباغض ـ ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِمّا اكتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره، ﴿وللنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا اكتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجِهنّ وحفظ فروجهنّ. نزل لمّا قالت أُمّ سلمة: ليتَنا كُنّا رِجالاً فجاهدنا، وكانَ لنا مِثلُ أجرِ الرجالِ ـ ﴿واسأَلُوا﴾، ....

قال مولانا عصامُ الدِّينِ: الحقُّ أنَّ مدلُولَ الآيةِ تكفِيرُ الصَّغائرِ بمجرَّدِ الاجتنابِ عن الكبائرِ، وتعليقُ المغفرةِ بالمشيئةِ في آيةٍ أخرَى مخصُوصٌ بما عدا ما اجتنبَ معهُ الكبائرَ.

قلتُ: هذا مذهبٌ ثالثٌ مخالِفٌ للمَذهبَينِ، فكيف يحكمُ بكونِهِ الحقَّ معَ كونِهِ هو الباطلَ.

قولُه: (بالطَّاعاتِ) أي: لا بالاجتنابِ كما قدَّمناهُ[1].

قولُه: (وفتحِهَا) نافعٌ[2].

قولُه: (أي: إدخَالاً) أي: معَ كرامَةٍ[3]؛ يعنِي: أنَّهُ مصدرٌ ميميٌّ، أو موضِعاً للإدخالِ.

قولُه: (أو مَوضِعاً) أي: للدُّخولِ، تفسيرٌ للفتحِ، ويحتملُ المصدرَ أيضاً.

قولُه: (هو الجنَّةُ) الضَّميرُ للمُدخَلِ.

قولُه: (مِنْ جهَةِ الدُّنيَا) أي: منَ الجاهِ والمالِ.

قولُه: (لئلَّا يُؤدِّيَ) ففيه إشارةٌ إلى أنَّ المنهيَّ إنَّما هو طلبُ العينِ لا طلبُ المثلِ؛ إذِ الأوَّلُ: حسدٌ مذمُومٌ، والثَّاني: غبْطةٌ، وهو محمودٌ.

قولُه: (مثلُ أَجرِ الرِّجالِ) رواهُ التِّرمذيُّ والحاكمُ وصحَّحَهُ[4]، قال الشَّيخُ زكريَّا: فإنْ قلْتَ: هذا تمنٍّ

---

(١) هذه العبارة جاءت في الأصول متأخرة قدمتها لتناسب سياق المتن.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٨، ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩٩).

(٣) تصحف في الأصول إلى: «كراهة».

(٤) رواه الترمذي (٣٠٢٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٧٣٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٥٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٩٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦١)، والحاكم في «مستدركه» (٣١٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٧).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان مجاهد سمع من أم سلمة، ووافقه الذهبي على تصحيحه.
أما الترمذي فقال: هذا حديث مرسل.

بهمزة ودونها، ﴿اللهَ مِن فَضلِهِ﴾ ما احتجتم إليه يُعطِكم. ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾، ومنه محلّ الفضل وسُؤالُكم.

٣٣ـ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنا مَوالِيَ﴾: عَصَبةً، يُعطَون ﴿مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ﴾ لهم من المال. ﴿والَّذِينَ عاقَدَتْ﴾ ـ بألف ودُونها ـ ﴿أيمانُكُم﴾: جمع يمين بمعنى القَسَم أو اليد، أي: الحُلفاءُ الذين عاهدتموهم في الجاهليّة على النُّصرة والإِرث، ﴿فآتُوهُم﴾ الآنَ ﴿نَصِيبَهُم﴾: حَظَّهم من المِيراث. وهو السُّدس. ﴿إنَّ اللهَ كانَ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾: مُطّلعًا، ومنه حالُكم..

محمودٌ فكيفَ نهي عنهُ؟ قلتُ: التَّمنِّي هنا أنْ يكتبَ عليهنَّ الجهادَ كما كتبَ على الرِّجالِ، وهذا تمنٍّ مذمُومٌ فنهي عنه، انتهى[1].

وفيه أنَّ لفظَ الحديثِ: ليتَنا كنَّا رجالاً[2]، فلا يُناسبُ ما أجابَ به، والظَّاهرُ أنَّهُ تمنٍّ محالٌ فنهِيَ عنه كما وردَ النَّهيُ عن الدُّعاءِ بمستحيلٍ[3]، والأحسنُ أنْ يقالَ: هذا التَّمنِّي أيضاً داخلٌ فيما اكتسبْنَ، ولا دلالةَ على النَّهي عن هذا التَّمنِّي، إذ مثلُ هذا التَّمنِّي أنْ يتمنَّى الشَّخصُ أنْ يُدرِكَ زمنَ النَّبيِّ ﷺ ويقاتلَ معه الكفَّارَ، فإنَّهُ لا شكَّ أنَّهُ يثابُ على هذا التَّمنِّي، واللهُ أعلمُ.

أو لمَّا قال الرِّجالُ: نرجُو أنْ يكونَ أجرُنا على الضِّعفِ مِن أجرِ النِّساءِ كالميراثِ، وقالت النِّساءُ: وزرُنا على نصْفِ وزرِ الرِّجالِ كالميراثِ نزلَ، كذا في «المداركِ»[4].

قولُه: (ودُونِهَا) للمكِّيِّ والكسائيِّ[5]، وهو يحتملُ أنْ يكونَ بالنَّقلِ والحذفِ مِنْ «سألَ» المهمُوز، ويحتملُ أنْ يكونَ مِن «سالَ يسالُ» بالألف المنقلبةِ عن الواو أو الياء، ثمَّ تعبيرُهُ بدونِهَا قاصرٌ، فتأمَّلْ.

قولُه: (ودونِهَا) للكوفيِّ[6].

---

(١) وانظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» للطِّيبي (٤/ ٥٢٤).

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦١) عن مجاهد: قال: هو قول النساء: ليتنا رجالًا فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال.

(٣) قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. ومن الاعتداء طلب ما هو مستحيل شرعاً أو طبعاً.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٣٥٣). وهذا التفسير منقول عن قتادة ومقاتل والسدي، كما في «البسيط» للواحدي (٦/ ٤٧٨).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٠).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٥٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠١).

وهذا منسوخ بقوله: «وأُولُو الأرحامِ بَعضُهُم أولَى بِبَعضٍ».

٣٤ـ ﴿الرِّجالُ قَوّامُونَ﴾: مُسلَّطون ﴿علَى النِّساءِ﴾، يُؤدّبونهنّ ويأخذون على أيديهنّ، ﴿بِما فَضَّلَ اللهُ بعَضَهُم علَى بَعضٍ﴾، أي: بتفضيله لهم عليهنّ بالعِلم والعقل والوِلاية وغير ذلك، ﴿وبِما أنفَقُوا﴾ عليهنّ ﴿مِن أمْوالِهِم. فالصّالِحاتُ﴾ منهنّ ﴿قانِتاتٌ﴾: مُطيعات لأزواجهنّ ﴿حافِظاتٌ لِلغَيبِ﴾ أي: لفروجهنّ وغيرها في غَيبة أزواجهنّ ﴿بِما حَفِظَ﴾ـهنّ ﴿اللهُ﴾ حيثُ أوصى عليهنّ الأزواج.

﴿واللاّتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عِصيانهنّ لكم بأن ظهرت أماراته ﴿فعِظُوهُنَّ﴾: فخوّفوهنّ اللهَ، ﴿واهجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ﴾:..

قولُه: (وهذا منسُوخٌ) قال في «المدارِكِ»[1]: المرادُ به عقدُ المَوالاةِ، وهي مشرُوعةٌ، والوراثةُ بها ثابتةٌ عندَ عامَّةِ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهم، وهو قولُنا: إذا أسلمَ شخصٌ لا وارثَ له وليسَ بعرَبيٍّ ولا معتَقٍ فيقولُ لآخرَ: أنت مولايَ، ترثُنِي إذا متُّ، وتعقلُ عنِّي إذا جنيْتُ، ويقولُ الآخرُ: قبلْتُ؛ انعقدَ ذلك[2].

قولُه: (بتَفضيلِهِ) يعنِي: ﴿مَا﴾ في ﴿مَا فَضَّلَ اللهُ﴾ مصدريَّةٌ لا موصُولةٌ لعدمِ الضَّميرِ، وحذفُ المجرُورِ معَ الجارِّ غيرُ جائزٍ مِنْ غيرِ ضرورةٍ، وأمَّا في ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ فيحتملُ أنْ تكونَ موصُولةً.

قولُه: (بالعِلمِ) غالباً.

قولُه: (والعَقلِ) أي: بكمالِه.

قولُه: (والوِلايَةِ) منَ النُّبوَّةِ والإمامَةِ والقضاءِ والاحتسابِ وأمثالِ ذلك، وأمَّا الولايَةُ ـ بمعنَى: المعرِفةِ التَّامَّةِ والمكاشَفةِ والكرامَةِ ـ فهي تُوجَدُ في النِّساءِ كثِيراً.

قولُه: (وغيرِ ذلِكَ) مِنْ إقامَةِ الشَّعائرِ والشَّهادةِ في مجامعِ القضايَا ووجُوبِ الجهادِ والجمعةِ وزيادةِ السَّهمِ في الميراثِ، والاستبدادِ بالطَّلاقِ.

قولُه: (عليهنَّ) أي: في نكاحِهنَّ كالمهرِ والنَّفقةِ.

قولُه: (﴿بِمَا حفظَ﴾ـهنَّ ﴿اللهُ﴾) أي: بحفظِ اللهِ إيَّاهنَّ، فالمحفوظُ مَنْ حفظَهُ، فـ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ، ويحتملُ أنْ تكونَ موصُولةً؛ أي: بالَّذي حفظَ اللهُ لهنَّ عليهم مِنْ إيجابِ حقُوقِهنَّ على الرِّجالِ.

قولُه: (حَيثُ أَوصَى) وحثَّ عليه بالوَعدِ والوَعِيدِ ووفَّقَ.

قولُه: (فخوِّفُوهُنَّ) بعقابِ اللهِ في عصيانِهَا.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (٤/ ١٧٠).

اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرْنَ النُّشوزَ، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مُبرِّح، إن لم يرجِعْن بالهِجران. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يُراد منهنّ ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾: تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى ضربهنّ ظُلمًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾. فاحذروه أن يُعاقبكم إن ظلمتموهنّ.

٣٥ ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: علمتم ﴿شِقَاقَ﴾: خلافَ ﴿بَيْنِهِمَا﴾: بينِ الزوجين ـ والإضافةُ للاتّساع ـ أي: شقاقًا بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾: رجلاً عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾: أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾. ويُوكِّلُ الزوجُ حَكَمَه في طلاقٍ وقبولِ عِوَضٍ عليه، وتُوكِّلُ هي حَكَمَها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يُفرِّقان إن رأياه..............................

قولُه: (اعتَزِلُوا) أي: لا تُدخِلُوهنَّ تحتَ اللُّحُفِ، فالمضاجعُ؛ بمعنَى: المراقِدِ، أو لا تباشِرُوهنَّ فيكُونُ كنَايةً عن الجماعِ، وقيل: المضاجِعُ المبايتُ؛ أي: لا تبايتُوهنَّ في البيتِ[1].

قولُه: (إنْ أظهَرْنَ النُّشُوزَ) يعنِي: بعدَ الوَعظِ.

قولُه: (غيرَ مبرِّحٍ) أي: شديدٍ، أو مجرِّحٍ.

قولُه: (إنْ لَمْ يرجِعْنَ) يعنِي: عن الأمُورِ الثَّلاثةِ مرتَّبةً، ينبغِي أنْ يدرِّجَ فيها.

قولُه: (إلى ضَربِهِنَّ) ولا إيذائِهنَّ وتوبيخِهِنَّ، ففي الحديثِ: «التَّائبُ مِن الذَّنبِ كمَنْ لا ذنبَ لَهُ»، رواهُ ابنُ ماجه والطَّبرانيُّ وغيرُهُما[2].

قولُه: (علمْتُمْ) الخطَابُ للحكَّامِ، أو للأزواجِ والزَّوجاتِ، واستُدِلَّ به على جوازِ التَّحكيمِ.

قولُه: (بينَ الزَّوجينِ) أضمرَهُما وإنْ لم يجرِ ذكرُهُما صَريحاً لجري ما يدلُّ عليهما.

قولُه: (للاتِّسَاعِ) بأنْ أقيمَ الظَّرفُ مقامَ المفعُولِ به، إذِ الأصلُ في المصدرِ ألَّا يضافَ إلَّا إلى الفاعلِ أو مفعولٍ به، فإضافتُهُ إلى المفعُولِ فيه مجازٌ.

قولُه: (أقَاربِهِ) هذا على وجهِ الاستحبابِ، فلو نُصِّبا منَ الأجانبِ جازَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٥٠) (١٠٢٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٥٩) (٢٠٥٦١) من حديث أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه.

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٢٤٩): رجاله ثقات، بل حسَّنه شيخنا؛ يعني: لشواهده، وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد، بأنه لم يسمع من أبيه.

قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدا﴾ أي: الحَكَمانِ ﴿إِصلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَينَهما﴾: بين الزوجين، أي: يُقدِّرْهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق. ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بكلّ شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالبواطن والظواهر.

٣٦ ـ ﴿واعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه ﴿ولا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و﴾ أحسنوا ﴿بِالوالِدَينِ إِحسانًا﴾ برًّا ولِينَ جانب ﴿وبِذِي القُربَى﴾: القرابة ﴿واليَتامَى والمَساكِينِ والجارِ ذِي القُربَى﴾: القريبِ منك في الجِوار أو النسب، ﴿والجارِ الجُنُبِ﴾: البعيد عنك في الجِوار أو النسب، ﴿والصاحِبِ بِالجَنْبِ﴾: الرفيق في سفر أو صِناعة وقيل: الزوجة، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾:.......................................

قولُه: (بينَ الزَّوجَينِ) وقيل: الضَّميرُ الأوَّلُ: للزَّوجينِ، والثَّاني[١]: للحكمَينِ، وقيل: كلاهُما للحكمَينِ، وقيل: للزَّوجينِ.

قولُه: (وحِّدُوهُ) فـ﴿لا تشرِكُوا﴾ تأكيدٌ، والأظهرُ: أنَّ العبادةَ؛ بمعنَى: الطَّاعةِ، إذ نفيُ الشِّركِ يفيدُ التَّوحيدَ، والتَّأسيسُ أولَى منَ التَّأكيدِ.

قالَ تعالَى: (﴿شَيْئًا﴾) صنماً أو غيرَهُ، أو شيئاً منَ الإشراكِ جليًّا أو خفيًّا.

قولُه: (منكَ) الظَّاهرُ: منكُم.

قولُه: (أوِ النَّسبِ) أو الدِّينِ، فعن النَّبيِّ ﷺ: «الجيرانُ ثلاثةٌ: فجارٌ له ثلاثَةُ حقُوقٍ: حقُّ الجوارِ، وحقُّ القرابَةِ وحقُّ الإسلامِ، وجارٌ له حقَّانِ: حقُّ الجوارِ، وحقُّ الإسلامِ، وجارٌ له حقٌّ واحدٌ: حقُّ الجوارِ، وهو المشركُ مِن أهلِ الكتابِ» رواهُ البزَّارُ وغيرُهُ[٢].

قولُه: (الرَّفيقِ في السَّفرِ) قولُ مجاهدٍ وغيرِهِ[٣].

قولُه: (أو صِنَاعةٍ) في البيضاويِّ[٤]: الرَّفيقِ في أمرٍ حسنٍ كتعليمٍ وتصرُّفٍ؛ أي: شريكٍ في المالِ، وصناعَةٍ وسفرٍ، فإنَّهُ صحِبَكَ وحصلَ بجنبِكَ.

قولُه: (وقيلَ: الزَّوجةُ) هو قولُ عليٍّ، وابنِ مسعُودٍ، وابنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) الضمير الأول في قوله تعالى: ﴿يريدا﴾، والثاني في قوله: ﴿بينهما﴾.

(٢) رواه البزار في «كشف الأستار» (١٨٩٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
والحديث ضعيف انظر: «بيان الوهم والإيهام» (٢/ ٦٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤١) عنه وعن: سعيد وعكرمة والضحاك وغيرهم.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٤).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٣) عنهم. وفي طرقهم ضعف.

المنقطع في سفره، ﴿وما مَلَكَتْ أيمانُكم﴾ من الأرِقّاء. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُختالاً﴾: مُتكبّرًا ﴿فَخُورًا﴾ على النّاس بما أُوتي.

٣٧ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَبخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم، ﴿ويأمُرُونَ النّاسَ بِالبُخلِ﴾ به، ﴿ويَكتُمُونَ ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ من العِلم والمال، وهم اليهود، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ـ ﴿وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذابًا مُهِينًا﴾: ذا إهانة ـ.......................................

وفي «الدُّرِّ»[1] عن زيدِ بنِ أسلمَ: هو جليسُكَ في الحضرِ، ورفيقُكَ في السَّفرِ، وامرأتُكَ الَّتي تضاجعُكَ.

قولُه: (المُنقَطِعِ في سَفرِهِ) أي: الحجِّ، أو الغَزوِ، أو مطلقاً، والأظهرُ: أنَّه المسافر مِن غيرِ قيدِ الانقطاعِ، أو المرادُ: الضَّيفُ[2].

قولُه: (مِنَ الأرِقَّاءِ) أي: العبيدِ والإماءِ، وقيل: ﴿مَا﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ وقعَتْ على العاقلِ باعتبارِ النَّوعِ نحو: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] وقيل: أعمُّ مِن «مَنْ» فيشملُ الحيواناتِ أي مِنْ عبيدٍ وإماءٍ وغيرِهِم، فالحيواناتُ غيرُ الأرقَّاءِ أكثرُ في يدِ الإنسانِ مِنَ الأرقَّاءِ، فغلبَ جانبُ الكثرةِ، وأمرَ اللهُ بالإحسانِ إلى كلِّ مملُوكٍ آدميٍّ وغيرِه.

قولُه: (مُتكبِّراً) يأنفُ عن أقاربِهِ وجيرانِهِ وأصحَابِهِ ومماليكِهِ ولا يلتفتُ إليهم.

قولُه: (مُبتَدأٌ) أو بدلٌ مِنْ قولِهِ: ﴿مَنْ كَانَ﴾، والأظهرُ أنه منصُوبٌ أو مرفُوعٌ ذمًّا.

قولُه: (والمَالِ) فيه أنَّ كتمانَ المالِ ليسَ مذمُوماً في نفسِهِ معَ أنَّ ذمَّ البخلِ عُلِمَ ممَّا تقدَّمَ.

قولُه: (وعِيدٌ شدِيدٌ) أو أحقَّاءُ بكلِّ ملامَةٍ، أو معذَّبونَ، أو كافرُونَ.

قولُه: (وهمُ اليَهُودُ) كانُوا يقولُونَ للأنصارِ تنصُّحاً: لا تنفقُوا أموالَكُم على محمَّدٍ، فإنَّا نخشَى عليكُمُ الفقرَ[3]، وقيل: الذين كتمُوا نعتَ محمَّدٍ ﷺ.

وقولُه: (﴿وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾) دالٌّ عليهِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٥٣١). والأثر رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٧٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٣٠٦).

(٢) كذا في (ن) وهو الصحيح، ورواه كذلك ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٣٠٨): الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين.

وجاءت في (م) و(ص) و(د): «الضعيف». وهكذا ساقها الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ١٠٥)، وتبعه الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٦٣) وهي وهم أو تصحيف.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

٣٨ ـ ﴿والَّذِينَ﴾: عطف على «الّذين» قبله ﴿يُنفِقُونَ أمْوالَهُم رِئاءَ النّاسِ﴾: مُرائين لهم، ﴿ولا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكّة. ﴿ومَن يَكُنِ الشَّيطانُ لَهُ قَرِينًا﴾: صاحبًا يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فساءَ﴾: بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو!

٣٩ ـ ﴿وماذا علَيهِم، لَو آمَنُوا بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأنفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟ والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية أي: لا ضرر فيه، وإنّما الضرر فيما هم عليه، ﴿وكانَ اللهُ بِهِم عَلِيمًا﴾ فيُجازيهم بما عملوا.

٤٠ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ﴾ أحدًا ﴿مِثقالَ﴾: وزنَ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغرِ نملةٍ بأن يَنقُصَها من حسناته أو يزيدَها في سيّئاته، ﴿وإنْ تَكُ﴾..

قولُه: (قبلَهُ) أو «الكافرينَ»، والأظهَرُ: أنّهُ مبتدأٌ خبرُهُ: كذلك، مقدَّراً، إذ المعتمدُ عند القرَّاءِ الوقفُ على ما قبلَهُ، أو التَّقديرُ: قرينهُم الشَّيطانُ.

قولُه: (مُرائِينَ) أو للرِّياءِ، لا لوجهِ اللهِ.

قولُه: (وأَهلِ مكّةَ) أو اليهُودِ.

قولُه: (كهؤُلاءِ) أي: المنافقينَ وأهلِ مكّةَ.

قولُه: (في ذلكَ) أي: فيما ذكرَ مِن الإيمانِ والإنفاقِ.

قولُه: (فيهِ) أي: «في ذلك» ويحتملُ أنْ تكونَ ﴿لَو﴾ شرطيَّةً جوابُها: لحصلَتْ لهُم السَّعادةُ.

قولُه: (وزنَ) صفةُ مصدرٍ محذُوفٍ؛ أي: ظلماً وزنَ ذرَّةٍ؛ أي: أصغرَ شيءٍ كالذَّرَّةِ، وهي النَّملةُ الصَّغيرةُ، ويُقال لكلِّ جزءٍ مِنْ أجزاءِ الهباءِ، إنْ كانَ مؤمناً فلَهُ الأجرُ في الدَّارينِ، وإنْ كان كافراً فمقصُورٌ على الدُّنيا، أو تخفيفُ عذابهِ في العُقبَى.

قال الصَّفويُّ: فلا يظلمُ فضلاً وهو قادرٌ عليه، فإنَّ الظُّلمَ عند الشَّرعِ وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعِهِ.

قلتُ: لا يُطلَقُ أنّهُ قادرٌ عليه فإنّهُ حكيمٌ لا تتعلَّقُ مشيئتُهُ بوضعِ الشَّيءِ في غيرِ محلِّهِ فلا تتعلَّقُ قدرتُهُ به، على أنّهُ قد يُطلَقُ الظُّلمُ على التَّصرُّفِ في ملكِ الغيرِ فلا يُتَصوَّرُ الظُّلمُ في حقِّهِ تعالى.

قولُه: (في سيِّئاتِهِ) قال التَّفتازانيُّ: لكن بناءً على وعدِهِ المحتومِ فإنَّ الخُلْفَ فيه ممتَنِعٌ؛ لكونِهِ نقصاً منافياً للألُوهيَّةِ وكمالِ الغِنَى، وبهذا الاعتبارِ يصحُّ أنْ يُسَمَّى ظلماً وإنْ كانَ لا يتصوَّرُ حقيقَةُ الظُّلمِ مِن اللهِ تعالى لكونِهِ المالِكَ على الإطلاقِ، انتهى. وهو كلامٌ حسنٌ.

الذرّةُ ﴿حَسَنَةً﴾ مِن مُؤمن ـ وفي قراءة بالرفع، فـ«كان»: تامّةٌ ـ ﴿يُضاعِفْها﴾ من عَشر إلى أكثرَ من سبعِمِائةٍ ـ وفي قراءة: «يُضَعِّفْها» بالتشديد ـ ﴿ويُؤتِ مِن لَدُنْهُ﴾: من عِنده مع المُضاعفة ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ لا يُقدِّره أحد.

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿فكَيفَ﴾ حالُ الكُفّار ﴿إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها، ﴿وجِئنا بِكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿علَى هؤُلاءِ شَهِيدًا؟ يَومَئِذٍ﴾: يومَ المجيء ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَو﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّى﴾ ـ بالبناء للمفعولِ، وللفاعلِ مع حذف إحدى التاءين في الأصل..............

قولُه: (الذَّرَّةُ) قال البيضاويُّ[1]: مثقالُ الذَّرةِ، وأنَّثَ الضَّميرَ؛ لتأنيثِ الخبرِ، أو لإضافةِ المثقالِ إلى المؤنَّثِ، وحذفُ النُّونِ مِن غيرِ قياسٍ تشبيهاً بحرُوفِ العلَّةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) للحرميَّينِ[2].

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) للمكِّيِّ والشَّاميِّ[3].

قولُه: (حالُ الكُفَّارِ) من اليهودِ والنَّصارى وغيرِهم.

قولُه: (يا محمَّدُ) على هؤلاءِ الشُّهداءِ؛ أي: الأنبياءِ، أو جميعِ الأُممِ، أو المنافقينَ، أو المشركِينَ، وقيل: إلى المؤمنين؛ لقولِه تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قولُه: (أي: أنْ) هذا عندَ بعضِ النُّحاةِ أنَّ «لو» في مثلِ هذا الموضعِ؛ بمعنَى: «أنْ» وأمَّا مَن لم يجوِّزْ في «لو» إلَّا الشَّرطيَّةَ فمعناهُ: لو تُسوَّى بهمُ الأرضُ لسُرُّوا، فحُذِفَ لدَلالةِ ﴿يَوَدُّ﴾ عليه، ومفعُولُ ﴿يَوَدُّ﴾ محذوفٌ وهو: تسويةُ الأرضِ، والأظهرُ: الأوَّلُ.

قولُه: (بالبِناءِ للمفعُولِ) مكِّيٌّ والبصريُّ وعاصمٌ[4].

قولُه: (معَ حَذفِ إحدَى التَّاءَينِ) لحمزةَ والكسائيِّ[5].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٦٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٦١)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٦١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٤).

(٥) انظر المصادر السابقة.

ومع إدغامها في السين أي: تَتَسَوَّى ـ ﴿بِهِمِ الأرضُ﴾ بأن يكونوا تُرابًا مِثلَها لِعِظَم هوله كما في آية أُخرى: «ويَقُولُ الكافِرُ: يا لَيتَنِي كُنتُ تُرابًا»، ﴿ولا يَكتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ عمّا عملوه. وفي وقتٍ آخر يكتمونه: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ».

٤٣ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ﴾ أي: لا تُصلّوا ﴿وأنتُم سُكارَى﴾ من الشراب، لأنّ سبب نزولها صلاة جماعة في حال السُّكر، ﴿حَتَّى تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾ بأن تَصحُوا، ﴿ولا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال ـ ونصبه على الحال. وهو يُطلق على المُفرد وغيره ـ ﴿إلاّ عابِرِي﴾: مُجتازِي ﴿سَبِيلٍ﴾:......

قولُه: (ومعَ إدغَامِهَا) نافعٌ وابنُ عامرٍ[1].

قولُه: (مثلَهَا) أي: صارُوا هم والأرضُ سواءً، ويُدفَنُوا وتبتلعُهُم الأرضُ، أو لم يُبعَثُوا، أو لم يُخلَقُوا.

قولُه: (عمَّا عمِلُوهُ) عطفٌ على جملةِ ﴿يَوَدُّ﴾ والأظهرُ: أنَّهُ استئنافٌ؛ أي: لا يقدرُونَ على كتمانِهِ؛ لأنَّ جوارحَهُم تشهدُ عليهم.

قولُه: (وفي وَقتٍ آخرَ يكتُمُونَ) يعنِي: أرادُوا كتمانَهُ أوَّلاً، ولذلكَ قالُوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٣] الآيَةَ، فما استطاعُوا الكتمانَ لشهادةِ الأعضاءِ.

قولُه: (مِنَ الشَّرَابِ) وفي معناهُ: النَّومُ، وقيل: مِنْ كثرةِ الهمِّ، وقيل: مِنْ حبِّ الدُّنيا، كذا في «الإحياءِ»[2].

قولُه: (صلاةُ جَمَاعَةٍ) كعليٍّ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ[3].

قولُه: (بإِيلاجٍ) أي: موجبٍ للغُسلِ (أو إنزَالٍ) أي: ذي دَفْقٍ وشهوةٍ.

قولُه: (ونصبُهُ على الحَالِ) عطفٌ على قولِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

قولُه: (مُجتَازِي) أي: مُتَجاوِزِي، متعلِّقٌ بقولِهِ: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ استثناءٌ مِنْ أعمِّ الأحوالِ؛ أي: لا تقربُوا الصَّلاةَ جنباً في عامَّةِ الأحوالِ إلّا في السَّفرِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ١٥٠).

(٣) رواه أبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٤١)، والبزار في «مسنده» (٥٩٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٧٧٧) والحاكم في «المستدرك» (٧٢٢٢) عن علي بن أبي طالب، قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني، فقرأت: ﴿قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبدون. قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

طريق أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَغتَسِلُوا﴾ فلكم أن تُصلّوا. واستثنَى المسافرَ لأنّ له حُكمًا آخر سيأتي. وقيل: المُراد النهي عن قُربان مواضعِ الصلاة أي: المساجدِ إلاّ عبورَها من غير مَكث.

﴿وإنْ كُنتُم مَرضَى﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿أو علَى سَفرٍ﴾ أي: مسافرين وأنتم جُنُب أو مُحْدِثون، ﴿أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائطِ﴾ هو المكان المُعَدّ لقضاء الحاجة، أي: أحدَث، ﴿أو لامَستُمُ النِّساءَ﴾ -وفي قراءة بلا ألف. وكلاهما بمعنًى من اللمس وهو الجسّ باليد........

قولُه: (أي: مُسَافرينَ) أي: عادِمِينَ الماءَ متيمِّمينَ، عبَّر عن المتيمِّمِ بالمسافرِ؛ لأنَّ غالبَ حالِهِ عدمُ الماءِ، كذا في «المداركِ»[١].

قولُه: (وقيلَ: المُرادُ) قالهُ الشَّافعيُّ[٢]، لكنَّهُ مخالِفٌ لسببِ النُّزولِ.

قولُه: (أي: المَساجِدِ) بحذفِ المضافِ، أو بإطلاقِ الحالِّ على المحلِّ.

قولُه: (إلا عبُورَها) وبهِ قال الشَّافعيُّ[٣]، وقال أبُو حنيفَةَ[٤]: لا يجُوزُ له المرورُ في المسجدِ إلَّا إذا كان فيه الماءُ أو الطَّريقُ.

قولُه: (المَاءُ) أو استعمالُهُ.

قولُه: (أو مُحدِثُونَ) يعنِي: ولا تجدُونَهُ.

قولُه: (أي: أحدَثَ) في «المداركِ»[٥]: قال الرَّازيُّ: معناهُ: وجاءَ[٦]، حتَّى لا يلزمَ المريضَ والمسافرَ التَّيمُّمُ بلا حدثٍ.

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[٧].

قولُه: (بمَعنًى منَ المسِّ) الأظهرُ: بمعنَى المسِّ.

قولُه: (وهوَ الجَسُّ) أي: الأخذُ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٣٦٠).

(٢) انظر: «الأم» (١/ ٧١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ١٦٨)، و«البناية شرح الهداية» للعيني (١/ ٦٤٣).

(٥) انظر: «المدارك» (١/ ٤٣١).

(٦) وانظر: «أحكام القرآن» للجصاص الرازي (٢/ ١٣٦).

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٦٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٤).

قاله ابن عُمَرَ وعليه الشافعيّ، وألحَقَ به الجسَّ بباقي البَشَرة. وعن ابن عبّاس: هو الجِماع ـ ﴿فلَم تَجِدُوا ماءً﴾ تَطَهَّرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى، ﴿فتيَمَّمُوا﴾: اقصِدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: ....

قولُه: (ابنُ عُمَر)[١] وابنُ مسعُودٍ[٢] وبعضُ التَّابعينَ[٣].

قولُه: (وعنِ ابنِ عبَّاسٍ)[٤] وعليٌّ[٥] وأكثرِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ[٦]، وروَى ابنُ جريرٍ[٧]: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ كانَ يُقَبِّلُ امرأتَهُ ثمَّ يصلِّي ولا يتوضَّأُ.

وروَى الدَّارقطنيُّ عنهُ خلافَهُ[٨]، فقيل: محمُولٌ على الاستحبابِ.

قولُه تعالى: (﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً﴾) أي: لم تتمكَّنُوا مِن استعمالِه؛ إذِ الممنُوعُ عنه كالمفقُودِ.

قولُه: (بعدَ الطَّلبِ) مِن الرَّفيقِ، وقبلَ الطَّلبِ أيضاً جائزٌ عندَ أبِي حنيفةَ؛ إذِ الطَّلبُ ذلٌّ ولا ينبَغِي لمؤمنٍ أنْ يذلَّ نفسَه[٩].

قولُه: (والتَّفتِيشِ) إنْ ظنَّهُ قريباً.

قولُه: (بعدَ دخُولِ الوَقتِ) ويجوزُ قبلَهُ عندَنا أيضاً[١٠].

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٤٣) (٦٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٩٦١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٠٨).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٩٦٠٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦١) (٥٣٦٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٨٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ١٩٨) وفي «معرفة السنن» (٩٥٥) وصحح إسناده.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣٩٥) وما بعده.

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٩٥٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦١) (٥٣٦٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٨١٧).

(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٩٦٠٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٨٢٠).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣٩٠) وما بعده.

(٧) لم أقف عليه عن عمر رضي الله عنه، وإنما رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وهو عند النسائي (١٧٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٤٣٢٩)، والدارقطني في «سننه» (٤٨٨).

(٨) لم أجده عن عمر، وإنما رواه الدارقطني في «سننه» (٥١٦) و(٥١٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من قبل امرأته وهو على وضوء أعاد الوضوء. وصححه.

(٩) انظر: «العناية» (١/ ١٤١).

(١٠) انظر: «تبيين الحقائق» (١/ ٤٢).

تُرابًا طاهِرًا، فاضربوا به ضربتين، ﴿فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم﴾ إلى المِرفقين منه. ومَسَحَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

٤٤ ـ ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِنَ الكِتابِ﴾ ـ وهم اليهود ـ ﴿يَشترُونَ الضَّلالَةَ﴾ بالهدى، ﴿ويُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾: تُخطئوا طريق الحقّ، لتكونوا مِثلهم؟ ٤٥ ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بأعدائكُم﴾ منكم فيُخبركم بهم لتجتنبوهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾: حافظًا لكم منهم! ﴿وكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾: مانعًا لكم من كيدهم!

قولُه: (تَرَاباً) في «المداركِ»[1]: ﴿صَعِيْدًا﴾ هو وجهُ الأَرضِ، تراباً كانَ أو غيرَهُ، انتهى. واستثنَى ما يصيرُ مذَاباً أو رماداً.

قولُه: (طاهراً) أو حلالاً.

قولُه: (ضَربَتَينِ) أو وضعَتينِ أو أخذَتينِ.

قولُه: (معَ المِرفَقَينِ) اليدُ: اسمُ العضوِ إلى المنكِبِ، وما رُوي: أنَّه ﷺ تيمَّمَ ومسَحَ يديهِ إلى مرفقَيهِ، والقياسُ على الوضُوءِ دليلٌ على أنَّ المرادَ هاهنا: وأيديَكُم إلى المرافقِ، لكن رواهُ أبو داود بسندٍ ضعيفٍ[2]، وذهبَ ابنُ حنبلٍ إلى أنَّ المسحَ في التَّيمُّمِ إلى الرُّسغِ[3].

قولُه: (وبالحَرفِ) فيُشترَطُ الاستيعابُ على الصَّحيحِ في مسحِ التَّيمُّمِ[4].

قولُه تعالى: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) مِن رؤيةِ البصرِ؛ أي: ألم تنظُرْ إليهم؟ أو القلبِ، وعُدِّيَ بـ﴿إِلَى﴾ لتضمِينِ معنَى الانتهاءِ؛ أي: ألم ينتَهِ علمُكَ إليهم؟ لأنَّ أفعالَ القُلوبِ متعدِّية بنفسِها[5] إلى مفعُولينِ، فوجبَ التَّأويلُ.

قولُه: (حظًّا) أي: يسِيراً.

قولُه: (بالهُدَى) أي: يستبدِلُونَها به بعدَ تمكُّنِهم منه، أو حصُولِه لهم، أو المعنَى: يختارُونَها على الهُدى.

قولُه: (تُخطئوا) أيُّها المؤمنونَ.

قولُه: (منكُم) متعلِّقٌ بـ﴿أَعْلَمُ﴾.

قولُه: (حافِظاً) والباءُ تُزَادُ في فاعلِ ﴿كفى﴾ لتَوكيدِ الاتِّصالِ الإسناديِّ بالاتِّصالِ الإضافيِّ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٦١).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٨) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ١٨٧).

(٤) أي عند الحنفية. انظر: «المبسوط» (١/ ١٠٧).

(٥) في الأصول: «متعد بنفسه» والصواب ما أثبته.

٤٦ ـ ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ قومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يُغيِّرون ﴿الكَلِمَ﴾ الذي أنزل اللهُ في التوراة من نعت مُحمّد ﴿عَن مَواضِعِهِ﴾ التي وُضع عليها، ﴿ويَقُولُونَ﴾ للنبيّ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنا﴾ قولك ﴿وعَصَينا﴾ أمرك. ﴿واسمَعْ غَيرَ مُسمَعٍ﴾: حالٌ بمعنى الدعاء أي: لا سمعتَ، ﴿و﴾ يقولون له: ﴿راعِنا﴾ ـ وقد نُهيَ عن خِطابه بها. وهي كلمة سبٌّ بلغتهم ـ ﴿لَيًّا﴾: تحريفًا ﴿بِألسِنتِهِم وطَعْنًا﴾: قدحًا ﴿في الدِّينِ﴾: الإسلام. ﴿ولَو أنَّهم قالُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا﴾ بَدَلَ «وعَصَينا» ﴿واسمَعْ﴾ فقط، ﴿وانظُرْنا﴾: انظر إلينا بَدَلَ «راعِنا»، ﴿لكانَ خَيرًا لَهُم﴾ ممّا قالوه ﴿وأقوَمَ﴾: أعدلَ منه، ﴿ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾: أبعدَهم عن رحمته ﴿بِكُفرِهِم، فلا يُؤمِنُونَ إلاّ قَلِيلاً﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

٤٧ ـ ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، آمِنُوا بِما نَزَّلْنا﴾ من القُرآن ﴿مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِن قَبلِ أنْ نَطمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحوَ ما فيها من العين والأنف والحاجب، ﴿فنَرُدَّها علَى أدبارِها﴾: فنجعلَها كالأقفاءِ لَوحًا واحدًا، ﴿أو نَلعَنَهُم﴾: نمسخَهم قِردةً ﴿كَما لَعَنّا﴾: مسخنا ﴿أصحابَ السَّبتِ﴾ منهم ـ ﴿وكانَ أمرُ اللهِ﴾: قضاؤه ﴿مَفعُولاً﴾ ـ ولمّا نزلتْ أسلم عبدالله بن سلام،.........

قولُه: (قَومٌ) يعني: مِن الَّذين هادُوا خبرٌ محذوفٌ صفتُهُ: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾، وقيلَ: بيانٌ لـ﴿أعدَائِكُم﴾ أو صلةٌ لـ﴿نَصِيرًا﴾ أي: ينصرُكُم منهم، ولا يبعدُ أن يكونَ ﴿مِنَ﴾ بمعنَى: بعضٍ، فيكونُ مبتدأ خبرُه ﴿يُحَرِّفُونَ﴾.

قولُه: (يُغيِّرونَ) تغييراً لفظيًّا، أو معنويًّا بالتَّأويلِ.

قولُه: (أمرَكَ) قالُوهُ سرًّا، أو ورَّوا غيرَهُ.

قولُه: (أي: لا سمعْتَ) أي: اسمَعْ ما تقولُ لا سمعْتَ، فهو حالٌ مِن الخطابِ؛ أي: ندعُو عليك بلا سمعْتَ بصمَمٍ أو موتٍ، فيكونُ مِن كلامِ سرِّهِم، وقيلَ: مِنْ جملةِ كلامِهم معه، فإنَّه كلامٌ ذو وجهينِ؛ الذَّمُّ كما ذكرَ والمدحُ؛ أي: اسمَعْ غيرَ مسمَعٍ مكرُوهاً أوهَمُوا المدحَ، وأرادُوا السَّبَّ كما في ﴿رَاعِنَا﴾ أي: انظرْنَا نكلِّمْكَ أو نفهمْ كلامَكَ.

قولُه: (منهُم) آمنُوا، أو سيؤمنُونَ، وفيهِ أنَّ المختارَ الرَّفعُ حينئذٍ، فالأوجَهُ: إلَّا إيماناً قليلاً لا يُعْبأُ به، وهو الإيمانُ ببعضِ الآياتِ والرُّسلِ، أو يُرادُ بالقلَّةِ العَدمُ.

قولُه: (لَوحاً واحِداً) أو ننكسُها ونقلِبُها إلى ورائِهَا في الدُّنيا أو في الآخرةِ.

قولُه: (﴿أَوْ نَلْعَنَهُم﴾) على لسانِكَ كما لعنَّاهُم على لسانِ داودَ وعيسَى ابنِ مريمَ، والضَّميرُ لأصحابِ الوجُوهِ، أو للَّذينَ على طريقَةِ الالتفاتِ، أو للوجُوهِ إنْ أُريدَ به الوُجهاءُ.

فقيل: كان وعيدًا بشرط، فلمّا أسلم بعضهم رُفع. وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قِيام الساعة ـ

٤٨ ـ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ﴾ أي: الإِشراكَ بِهِ، ﴿ويَغفِرُ ما دُونَ﴾: سِوَى ﴿ذلِكَ﴾ من الذُّنوب ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له بأن يُدخله الجنّة بلا عذاب ـ ومَن يشأ يعذّبْه من المؤمنين بذُنوبه، ثمّ يُدخلْه الجنّة ـ ﴿ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فقَدِ افترَى إثمًا﴾: ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾: كبيرًا.

٤٩ ـ ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أنفُسَهُم﴾؟ وهم اليهود حيثُ قالوا: «نَحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ». أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفُسَهم، ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي﴾: يُطهّرُ ﴿مَن يَشاءُ﴾ بالإِيمان، ﴿ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقَصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾:..

قولُه: (بشَرطٍ) أي: بشرطِ عدمِ إيمانِهم.

قولُه: (أي: الإِشرَاكَ) أي: المتَّصِلَ بالموتِ، كذا قيَّدَهُ المصنِّفُ في «النُّقايةِ»[١].

قولُه: (مِنَ الذُّنُوبِ) صغيراً كانَ أو كبيراً، قال في «شرحِ العقائدِ»[٢]: معَ التَّوبةِ أو بدونِها خلافاً للمُعتزلةِ.

لكنَّ قولَهُ: «معَ التَّوبةِ» سهوُ قلمٍ؛ لأنَّ التَّائبَ ليسَ تحتَ المشيئةِ بالاتِّفاقِ، ولذا قال في «حاشيتِهِ على الكشَّافِ»: لا خفاءَ في أنَّ ظاهرَ الآيةِ التَّفرقةُ بينَ الشِّركِ وما دونَهُ بأنَّ اللهَ لا يغفرُ الأوَّلَ ألبتَّةَ، ويغفِرُ الثَّاني لمَن يشاءُ، ونحن نقولُ بذلك عندَ عدمِ التَّوبةِ، فحملْنَا الآيةَ عليه بقرينةِ الآياتِ والأحاديثِ الدَّالَّةِ على قبُولِ التَّوبةِ فيهما جميعاً ومغفرتِهما عندَها جميعاً.

قال البيضَاويُّ: وعلَّقَهُ المعتزلةُ بالفعلينِ على مَعنَى: أنَّ اللهَ لا يغفرُ الشِّركَ لمَنْ يشاءُ وهو مَنْ لم يتبْ، ويغفرُ ما دونَهُ لمَنْ يشاءُ وهو مَنْ تابَ، وفيه تقييدٌ بلا دليلٍ إذ ليسَ عمومُ آياتِ الوعيدِ بالمحافظةِ أولى منه، ونقضٌ لمذهبِهم، فإنَّ تعليقَ الأمرِ بالمشيئةِ ينافِي وجُوبَ التَّعذيبِ قبلَ التَّوبةِ والصَّفحِ بعدَها، فالآيةُ كما هي حجَّةٌ عليهم فهي حجَّةٌ على الخوارجِ الذينَ زعمُوا أنَّ كلَّ ذنبٍ شركٌ، وأنَّ صاحبَهُ خالدٌ في النَّارِ[٣].

قولُه: (يُطهِّرُ) قال البيضَاويُّ: تنبيهٌ على أنَّ تزكيتَهُ هي المعتدُّ بها دونَ تزكيةِ غيرِه، فإنَّهُ العالِمُ بما ينطوِي عليه الإنسانُ مِنْ حُسنٍ وقُبحٍ، وقد ذمَّهُم وزكَّى المرتضَينَ مِنْ عبادِهِ المؤمنينَ، وأصلُ التَّزكيةِ: نفيُ ما يستقبَحُ فعلاً أو قولاً[٤].

---

(١) هو في «إتمام الدراية لقراء النقاية» (ص: ٧).

(٢) انظر: «شرح العقائد النسفية» (ص: ٦٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٨).

(٤) المصدر السابق.

قَدْرَ قِشرة النَّواة. ٥٠ ـ ﴿انظُرْ﴾ مُتعجِّبًا: ﴿كَيفَ يَفتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾، بذلك؟ ﴿وكَفَى بِهِ إثمًا مُبِينًا﴾: بيِّنًا!

ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من عُلماء اليهود لمّا قَدِموا مكّة وشاهدوا قتلى بدر، وحرّضوا المُشركين على الأخذ بثأرهم ومُحاربة النبي ﷺ: ٥١ ـ ﴿أَلَم تَرَ إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتابِ، يُؤمِنُونَ بِالجِبتِ والطّاغُوتِ﴾: صنمانِ لقُريش، ﴿ويَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سُفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: «أنحن أهدى سبيلاً، ونحن وُلاة البيت: نسقي الحاجّ ونَقري الضيف ونفكّ العانيَ ونفعلُ، أم مُحمّد، وقد خالف دِينَ آبائه وقطع الرَّحِم وفارق الحَرَم»؟: ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾: أقوَمُ طريقًا؟ ٥٢ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، ومَن يَلعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾: مانعًا من عذابه.

٥٣ ـ ﴿أَم﴾: بل أ ﴿لَهُم نَصِيبٌ مِنَ المُلكِ﴾؟ أي: ليس لهم شيء منه، ....

قولُه: (قدْرَ قشرَةِ النَّواةِ) هذا سهوُ قلمٍ، فإنَّ الفتيلَ: اسمٌ لِمَا في شقِّ النَّواةِ[1]، والقطميرُ: اسمٌ للقِشْرةِ التي على النَّواةِ[2]، والنَّقيرُ: للنُّقطةِ التي تكونُ على ظهرِ النَّواةِ[3]، وقيل: الفتِيلُ ما يحصُلُ بينَ الإصبَعينِ مِنَ الوسَخِ عندَ الفتلِ، يُضرَبُ به المثَلُ في الحقارةِ؛ أي: أدنَى ظُلمٍ وأحقرَهُ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بقولِهِم: ﴿نحنُ أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤُهُ﴾.

قولُه: (ومحَارَبةِ النَّبيِّ) قالُوا: أنتُم أهلُ كتابٍ، وأنتُم أقربُ إلى محمَّدٍ منكُم إلينا، فلا نأمنُ مكرَكُم فاسجُدُوا لآلهتِنا حتَّى نطمئنَّ إليكُم، ففعلُوا وقالُوا: إنَّ عبادةَ الأصنامِ أرضَى عندَ اللهِ ممَّا يدعُو إليه محمَّدٌ[4].

قولُه: (نَقرِي) على وزنِ: نَرمِي؛ أي: نُطعِمُ.

قولُه: (العَانيَ) أي: الأَسِيرَ.

قولُه: (أي: أنتُم) فالقَولُ بالمشافَهةِ، والأظهرُ: أنَّهُ حكايةٌ بالمعنَى؛ أي: لأجلِهِم وفيهِم، و﴿هَؤُلاءِ﴾ إشارةٌ إليهم.

قولُه: (منهُ) أي: مِنَ الملكِ؛ أي: مُلكِ الدُّنيا، أو مُلكِ اللهِ.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٥/ ١٧٨٨) مادة: فتل.

(٢) انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٥٠٩) مادة: قطم.

(٣) انظر: «الصحاح» (٢/ ٨٣٥) مادة: نقر.

(٤) انظر: «الكشاف» (١/ ٥٢١).

ولو كان ﴿فإذًا لا يُؤتُونَ النّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شيئًا تافهًا قدْرَ النُّقرة في ظهر النواة لفَرط بُخلهم. ٥٤ ـ ﴿أم﴾: بل أ ﴿يَحسُدُونَ النّاسَ﴾ أي: النبيَّ ﴿علَى ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ من النبوّة وكثرة النِّساء؟ أي: يتمنَّون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبيًّا لاشتغل عن النِّساء. ﴿فقَد آتينا آلَ إبراهِيمَ﴾ جدِّه كموسى وداودَ وسُليمانَ ﴿الكِتابَ والحِكْمةَ﴾: النبوّة، ﴿وآتيناهُم مُلكًا عَظِيمًا﴾، فكان لداودَ تسع وتسعون امرأة، ولسليمانَ ألفٌ ما بين حُرّة وسُرِّيّة. ٥٥ ـ ﴿فمِنهُم مَن آمَنَ بِهِ﴾: بمُحمّد ﴿ومِنهُم مَن صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنهُ﴾ فلم يُؤمن، ﴿وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: عذابًا لمن لا يُؤمن!

٥٦ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوفَ نُصلِيهِم﴾: نُدخلهم ﴿نارًا﴾ يحترقون فيها، ﴿كُلَّما نَضِجَتْ﴾: احترقتْ ﴿جُلُودُهُم، بَدَّلْناهُم جُلُودًا غَيرَها﴾ بأن تُعاد إلى حالها الأوّل غيرَ محترقة، ﴿لِيَذُوقُوا العَذابَ﴾: ليُقاسوا شِدّته ـ ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَزِيزًا﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه ـ ....

قولُه: (أي: النَّبيَّ) أخرجَ ابنُ جريرٍ[1] عن عكرمةَ قال: ﴿النَّاسَ﴾ في هذا الموضعِ النبيُّ ﷺ خاصَّةً، كذا في «المبهماتِ»[2]، أو النَّبيُّ وأصحابُه، أو العربُ، أو النَّاسُ جميعاً؛ لأنَّ مَن حسدَ على النُّبوَّةِ فكأنَّما حسَدَ النَّاسَ كلَّهُم كمالَهُم ورشدَهُم.

قولُه: (مِنَ النُّبوَّةِ) والكتابِ والنُّصْرةِ والإعزازِ، وجعلَ النبيَّ المحسُودَ منهم.

قولُه: (جدِّهِ) بالجرِّ.

قولُه: (بمُحمَّدٍ) أي: مِنَ اليهودِ مَن آمنَ بمحمَّدٍ، أو بهذا الإيتاءِ والإنعامِ.

قولُه: (أعرَضَ) أو صدَّ النَّاسَ عنه ومنعَهُم.

قولُه: (لِيُقَاسُوا شدَّتَهُ) رُوي مرفُوعاً: «تبدَّلُ في ساعةٍ مئةَ مرَّةٍ»[3]، وقال الحسنُ: كلَّ يومٍ سبعينَ [ألف][4] مرَّةً، كذا في «المعَالمِ»[5].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩٨١٥) عن عكرمة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المبهمات» للسيوطي (ص: ٣١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦): فيه نافع مولى يوسف السلمي، وهو متروك.

(٤) أضفتها لثبوتها في المصادر.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» للبغوي (٢/ ٢٣٧). ورواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٥) عن الحسن رحمه الله.

٥٧ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، لَهُم فِيها أزواجٌ مُطَهَّرةٌ﴾ من الحَيض وكلّ قذر، ﴿ونُدخِلُهُم ظِلًّا ظَلِيلاً﴾: دائمًا لا تنسخه شمس. وهو ظِلّ الجنّة.

٥٨ ـ ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُكُم أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ﴾ ما اؤْتُمِنَ عليه من الحُقوق ﴿إلَى أهلِها﴾ ـ نزلتْ لمّا أخذ عليٌّ مِفتاحَ الكعبة من عُثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ سادنِها قسرًا لمّا قدم النبيّ ﷺ مكّةَ عامَ الفتح، ومَنَعَه وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه. فأمَر ﷺ بردّه إليه، وقال: «هاكَ خالِدَةً تالِدةً». فعَجِبَ من ذلك، فقرأ له عليّ الآية فأسلمَ...

قولُه: (وكلِّ قذَرٍ) وسُوءِ خلقٍ.

قولُه: (دائِماً) قالَ الحسنُ: ربَّما كانَ ظلٌّ ليسَ بظَلِيلٍ؛ لأنَّهُ يدخُلُه الحرُّ والسَّمُومُ، فلذلك وُصِفَ ظِلُّ الجنَّةِ بأنَّهُ ظليلٌ، نقلَهُ ابنُ كمالِ باشَا[1].

قولُه: (الحَجَبيِّ) بفتحِ الحاءِ المهملةِ والجيمِ، نسبةٌ إلى الحَجَبةِ، جمعُ: الحاجبِ، وهو بوَّابُ الكعبةِ.

قولُه: (قَسْراً) أي: (قَهراً) كما في نسخةٍ.

قولُه: (لَمّا قدِمَ) ظرفُ: «أخذَ».

قولُه: (ومَنَعَهُ) أي: منعَ عثمانُ[2] المفتاحَ، أو الدُّخولَ، أو النبيَّ عن الدُّخُولِ.

قولُه: (فأَمَرَ) بالبناءِ للمجهُولِ، أو للفاعلِ؛ أي: عليًّا بعدَ دخولِه ﷺ وسُؤالِ العبَّاسِ أو عليٍّ أنْ يعطيَهُ المفتاحَ[3].

قولُه: (وقَالَ) أي: النبيُّ ﷺ لعثمانَ.

قولُه: (هاكَ) «خذْهُ» كما في نسخَةٍ، وفي روايةٍ: «هاكَ مفتاحَكَ يا عثمَانُ، اليَومُ يومُ وفاءٍ وبرٍّ»[4].

قولُه: (تالِدةً) أي: دائمةً.

قولُه: (فعَجِبَ) أي: عثمانُ.

قولُه: (فأَسلَمَ) أي: عثمانُ حينئذٍ، وهذا نقلُ البغويِّ و«الكشَّافِ» والبيضاويِّ[5] وتبعَهُم الشَّيخُ هنا،

(١) وانظر: «البحر المحيط» (٣/ ٦٨١).

(٢) هو: عثمانُ بنُ طلحةَ بنِ أبي طلحة عبدِ اللهِ العَبْدَريُّ الحَجَبِيُّ، حاجبُ البيتِ الحرام، وأحدُ المهاجرين، له صحبة ورواية. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣٢)، و«تفسير الوسيط» (٢/ ٧٠).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٢).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٦٤٨)، و«الكشاف» (١/ ٥٢٣)، و«أنوار التنزيل» (٢/ ٨٠).

وأعطاه عند موته لأخيه شيبةَ، فبقي في ولده. والآية وإن وردت على سبب خاصّ فعمومها مُعتبر بقرينة الجمع ـ ﴿وإذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ﴾ يأمرُكم ﴿أنْ تَحكُمُوا بِالعَدلِ. إنَّ اللهَ نِعِمّا﴾ ـ فيه إدغام ميم «نِعِمَ» في «ما» النكرة الموصوفة ـ أي: نِعْمَ شيئًا ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ تأديةُ الأمانة والحكمُ بالعدل! ﴿إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعًا﴾ لِما يُقال ﴿بَصِيرًا﴾ بما يُفعل.

٥٩ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي﴾: وأصحابَ ﴿الأمرِ﴾ أي: الوُلاةَ ﴿مِنكُم﴾، إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله، ﴿فإنْ تَنازَعتُم﴾: اختلفتم ﴿في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللهِ﴾ أي: كتابِهِ ﴿والرَّسُولِ﴾ مُدّةَ حياته، وبعده إلى سُنَّتِهِ أي: اكشفوا عليه منهما، ﴿إنْ كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ. ذلِكَ﴾ أي: الردّ إليهما ﴿خَيرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وأحسَنُ تأوِيلاً﴾: مآلاً.

والصَّوابُ: أنَّ عثمانَ هذا أسلمَ في الهدنةِ بينَ الحديبيّة والفتحِ معَ خالدِ بنِ الوليدِ وعَمرِو بنِ العاصِ، كما ذكرَهُ عمادُ الدِّينِ ابنُ كثيرٍ في «تفسيرِه»[(١)] وصاحبُ «المواهبِ اللَّدنِّيَّة»[(٢)] والسَّيِّدُ جمالُ الدِّينِ المحدِّثُ[(٣)]، وهو المفهومُ مِنَ «الدُّرِّ المنثورِ في تفسيرِ المأثورِ» للمصنِّفِ أيضاً[(٤)].

قولُه: (أي: الوُلاةَ) أو العلماءَ بالشَّريعةِ، كذا قالهُ مجاهِدٌ وعطاءٌ والحسنُ البصريُّ وأبو العاليةِ[(٥)].

قولُه: (ورَسُولِهِ) إذ لا طاعَةَ لمخلُوقٍ في معصيةِ الخالقِ، كما في حديثٍ[(٦)].

قولُه: (اختلَفْتُم) أي: أنتُم وأولُوا الأمرِ، وقيل: الخطابُ لأُولِي الأمرِ على طريقَةِ الالتِفاتِ.

وقولُه تعالى: (﴿فِي شَيْءٍ﴾) أي: مِن أمورِ الدِّينِ.

وقولُه تعالى: (﴿فَرُدُّوهُ﴾) أي: فراجعُوا فيهِ.

قولُه: (﴿ذلكَ﴾) أي: القضَاءَ لليهُوديِّ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «تهذيب الكمال» للحافظ المزي (١٩/ ٣٩٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٥٧٠).

(٥) رواه عنهم ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٠، ٥٠١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٦).

(٦) رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف».

ورواه أحمد في «مسنده» (٣٨٨٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٨٨)، والبزار في «مسنده» (١٩٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل».

ونزل لمَّا اختصم يهوديّ ومُنافق، فدعا المُنافقُ إلى كعبِ بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهوديُّ إلى النبيّ ﷺ، فأتياه فقضى لليهوديّ فلم يرضَ المُنافقُ، وأتيا عُمرَ فذكر اليهوديُّ له ذلك، فقال للمُنافق: أكذلك؟ فقال: نعم. فقتله:

٦٠ ـ ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ، يُرِيدُونَ أن يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ﴾: الكثير الطُّغيان ـ وهو كعب بن الأشرف ـ ﴿وقَد أُمِرُوا أنْ يَكفُرُوا بِهِ﴾ ولا يُوالوه، ﴿ويُرِيدُ الشَّيطانُ أنْ يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ، ٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا إِلَى ما أنزَلَ اللهُ﴾ في القُرآن من الحُكم ﴿وإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رأيتَ المُنافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا ـ فكَيفَ﴾ يصنعون ﴿إذا أصابَتهُم مُصِيبةٌ﴾ عقوبة ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾ من الكُفر والمعاصي، أي: أيقدِرون على الإعراض والفِرار منها؟ لا ـ ﴿ثُمَّ جاؤُوكَ﴾: معطوفٌ على «يصدّون»،..............

قولُه: (فقَتَلَهُ) وقال جبريلُ: إنَّ عُمرَ فرَّقَ بين الحقِّ والباطلِ، فسُمِّيَ الفارُوقَ[1].

قولُه: (وهُو كَعبُ بنُ الأَشرَفِ) ينبَغِي أنْ يُقرَأَ بالسِّينِ المهملةِ.

قولُه: (يصنَعُونَ) أو يكونُ حالُهُم.

قولُه: (عُقُوبةٌ) كقتلِ عُمرَ، أو نقمَةٌ منَ اللهِ.

قولُه: (والمَعَاصِي) أو مِن التَّحاكمِ إلى غيرِكَ، وعدمِ الرِّضا بحُكمِكَ.

قولُه: (على ﴿يَصُدُّونَ﴾) وما بينهُما اعتراضٌ على أنَّ الكلامَ تمَّ عندَ قولِه: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيْهِم﴾ كذا

---

(١) سمي الفاروق لأنه فرق بين الحقِّ والباطلِ، كما ذكر غير واحد من أهل العلم.

وقيل: أول من سمَّاه بذلك الله عزَّ وجلَّ، روى ذلك الآجري في «الشريعة» (١٨٢٥)، وابن بشران في «أماليه» (٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٤٤) عن علي رضي الله عنه قال: ذاك امرؤ سمَّاه الله: الفاروق، يفرق بين الحق والباطل.

وقيل: أوَّل من سمَّاه بذلك النبي ﷺ: رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٠)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٥٠) عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٠)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٥٠) عن أيوب بن موسى مرسلاً.

وقيل: سماه بذلك أهل الكتاب، رواه ابن سعد «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٠)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٦٢) عن الزهري: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر: الفاروق.

وقيل: سماه به جبريل عليه السلام، كما جاء في «تفسير البغوي» (١/ ٦٥٥): قال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق. والله أعلم.

﴿يَحلِفُونَ بِاللهِ إنْ﴾: ما ﴿أَرَدْنا﴾ بالمُحاكمة إلى غيرك ﴿إلاّ إحسانًا﴾: صُلحًا ﴿وتَوفِيقًا﴾: تأليفًا بين الخصمين بالتقريب في الحُكم دون الحمل على مُرِّ الحقّ؟

٦٣ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللهُ ما في قُلُوبِهِم﴾ من النِّفاق وكذبهم في عُذرهم. ﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾ بالصفح، ﴿وعِظْهُم﴾: خوِّفْهُمُ اللهَ، ﴿وقُلْ لَهُم في﴾ شأن ﴿أنفُسِهِم قَولاً بَلِيغًا﴾: مُؤثِّرًا فيهم، أي: أزجُرْهم ليرجِعوا عن كُفرهم. ٦٤ ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم، ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بأمره لا ليُعصَى ويُخالَف. ﴿ولَو أنَّهُم، إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت، ﴿جاؤُوكَ﴾ تائبين، ﴿فاستَغفَرُوا اللهَ واستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب تفخيمًا لشأنه ـ ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوّابًا﴾ عليهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

٦٥ ـ ﴿فلا ـ وَرَبِّكَ ـ لا يُؤمِنُونَ﴾ لا: زائدة ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ﴾: اختلطَ ﴿بَينَهُم، ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجًا﴾:..

فسَّرهُ الواحديُّ[1]، والجمهورُ على أنَّهُ عطفٌ على: ﴿أَصَابَتْهُم﴾ يعني: ثمَّ جاءوكَ حينَ يصابُونَ للاعتِذارِ[2].

وقولُه تعالى: (﴿يَحْلِفُونَ﴾) حالٌ.

قولُه: (﴿فِي﴾ شأنِ) أو خالياً بهِم، فإنَّ النُّصحَ في السِّرِّ أنفَعُ.

قولُه: (تائِبِينَ) أي: مِن ذلك، وهو خبرُ «أنَّ»، و﴿إِذْ﴾ متعلِّقٌ به.

قولُه: (بهِم) أي: لعَلِمُوه قابلاً لتوبتِهِم متفضِّلاً عليهم بالرَّحمةِ، وإنْ فُسِّرَ «وجَدَ» بـ«صادَفَ» كان ﴿تَوَّابًا﴾ حالاً، و﴿رَحِيمًا﴾ بدلاً منهُ، أو حالًا مِن الضَّميرِ فيه.

قولُه: (زائد[ةٌ]) أي: لتأكِيدِ القسمِ لا لِتظاهرَ ﴿لا﴾ في قولِه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نحوَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠] لأنَّهَا تُزادُ أيضاً في الإثباتِ كقولِه تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] كذا قيل، وفيه أنَّهُ يجوزُ أنْ يكونَ في النَّفيِ لمظاهَرةِ النَّفيِ، وفي المثبتِ لتأكِيدِ القسمِ، وفي «الوسِيطِ»: قولُهُ: ﴿فَلَا﴾ أي: ليسَ الأمرُ كمَا يزعمُونَ أنَّهم آمنُوا وهم يخالفُونَ حكمَكَ، ثمَّ استأنَفَ القَسمَ فقال: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا قولُ عطاءٍ ومجاهدٍ والشَّعبيِّ[3] بأنَّ الآيةَ نزلَتْ في قصَّةِ اليهُوديِّ والمنافقِ، وهي متَّصِلةٌ بما قبلَها، انتهى[4].

---

(١) انظر: «الوسيط» (٢/ ٧٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤)، و«أنوار التنزيل» (٢/ ٨١).

(٣) رواها الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٢٣).

(٤) انظر: «الوسيط» (٢/ ٧٥).

ضِيقًا أو شكًّا ﴿مِمَّا قَضَيتَ﴾ به، ﴿ويُسَلِّمُوا﴾: ينقادوا لحُكمك ﴿تَسلِيمًا﴾ من غير مُعارضة.

٦٦ ـ ﴿ولَو أنّا كَتَبْنا علَيهِم أنِ﴾: مُفَسِّرةٌ ﴿اقتُلُوا أنفُسَكُم، أوِ اخرُجُوا مِن دِيارِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل، ﴿ما فَعَلُوهُ﴾ أي: المَكتوبَ عليهم ﴿إلاّ قَلِيلٌ﴾ ـ بالرفعِ على البدل، والنصبِ على الاستثناء ـ ﴿مِنهُم، ولَو أنَّهُم فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكانَ خَيرًا لَهُم وأشَدَّ تَثبِيتًا﴾: تحقيقًا لإيمانهم، ٦٧ ـ ﴿وإذًا﴾..............................

وعن سعيدِ بن المسيَّبِ: أنَّها نزلَتْ في الزُّبيرِ بنِ العوَّامِ وحاطبِ بنِ أبي بلتعَةَ اختَصَما في ماءٍ فقضَى النَّبيُّ ﷺ للزُّبيرِ، كذا في «المبهماتِ»[(١)]، فقال حاطبٌ: لأنْ كانَ ابنَ عمَّتِكَ[(٢)]، ولعلَّ هذا شيءٌ أزلَّهُ الشَّيطانُ فيه حيثُما استوَلَى عليه الضَّجرُ والغضبُ، ولم يدرِ ما يقولُ، لا قولٌ صدرَ عن رويَّةٍ واعتقادٍ، كذا في «شرحِ المصابيحِ»[(٣)]، هذا والعبرَةُ في الآيَةِ بعمُومِ اللَّفظِ لا بخصُوصِ السَّببِ.

قولُه: (بِهِ) أو مِن قضائكَ، فـ«ما» موصُولةٌ أو مصدريَّةٌ.

قولُه: (مفسِّرةٌ) لأنَّ ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: أمرْنَا، أو مصدريَّةٌ.

قولُه: (كمَا كتبْنَا) أي: أمرْنَاهُم بالقتلِ حينَ استتِيبُوا مِن عبادَةِ العِجْلِ وبالخرُوجِ مِن ديارِ مصرَ إلى الشَّامِ.

قولُه: (عَلى البَدلِ) مِن ضَميرِ ﴿فَعَلُوهُ﴾ أي: الإناسُ قليلٌ[(٤)]؛ وهمُ المخلصُونَ.

قولُه: (والنَّصبُ) للشَّاميِّ[(٥)].

قولُه: (على الاستِثنَاءِ) أي: إلَّا جمعاً قليلاً، وعلى المصدريَّةِ؛ أي: إلَّا فعلاً قليلاً، ويؤيِّدُ الأوَّلَ مَا رُوي أنَّهُ ﷺ قالَ ـ وأشارَ إلى عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ـ: «لو أنَّ اللهَ كتَبَ ذلكَ لكانَ هذا مِنْ أولئكَ القليلِ»، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ[(٦)]، كذا في «المبهماتِ»[(٧)].

---

(١) انظر: «المبهمات» للسيوطي (ص: ٣١).

(٢) هي: صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

(٣) انظر: «تحفة الأبرار» للبيضاوي (٢/ ٢٩٦).

(٤) في الأصلين: «قيل»، وما أثبته من (ن).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٦٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥٦٤) عن شريح بن عبيد مرسلًا.

(٧) انظر: «المبهمات» للسيوطي (ص: ٣٢).

أي: لـو ثبتُـوا ﴿لَآتَيناهُـم مِن لَدُنّا﴾: من عِندِنـا ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ هـو الجنّـة، ٦٨ ـ ﴿ولَهَدَيناهُم صِراطًا مُستَقِيمًا﴾.

قال بعض الصحابة للنبيّ ﷺ: كيف نراكَ في الجنّة، وأنتَ في الدرجات العُلا، ونحن أسفلَ منك؟ فنزل: ....

قولُه: (لو تَثبَّتوا) وفي نسخةٍ: «لو ثبتُوا» وهو جوابُ سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّهُ قيل: وما يكونُ لهُم بعدَ التَّثبيتِ؟ فقال: وإذاً لو ثبتُوا لآتينَاهُم؛ لأنَّ (إذاً) جوابٌ وجزاءٌ.

قولُه: (قالَ بعضُ الصَّحابةِ) رُوي: أنَّ ثوبَانَ مولَى رسولِ اللهِ ﷺ أتاهُ يوماً وقد تغيَّرَ وجهُهُ ونحلَ جسمُهُ فسألَهُ عن حالِه، فقال: ما بي مِن وجعٍ غيرَ أنّي إذا لم أرَكَ اشتقتُ إليك، فاستوحَشْتُ وحشةً شديدةً حتَّى ألقاكَ، ثمَّ ذكرْتُ الآخِرةَ فخفتُ ألَّا أراكَ هناك؛ لأنّي عرفتُ أنَّكَ تُرفَعُ مع النَّبيِّينَ، وإنْ أدخِلْتُ الجنَّةَ كنتُ في منزِلٍ دونَ منزِلِكَ، وإنْ لم أدخُلْ فذاكَ حينَ لا أراكَ أبداً. رواهُ ابنُ جريرٍ، وابنُ مردويهِ، والحافظُ أبو عبدِ اللهِ المقدسيُّ[1].

وفي حديثٍ رواهُ ابنُ جريرٍ عن رسُولِ اللهِ ﷺ: «إنَّ الأعلَينَ ينحَدِرُونَ إلى مَن هو أسفلُ منهُم، فيجتمعُونَ في رياضِها ويَنزِلُ لَهُم[2] أهلُ الدَّرجَاتِ فيستَنفِعُونَ بما يشتَهُونَ، فهُم في روضَةٍ يُحْبَرُونَ»[3]، وقد ثبتَ في الصِّحاحِ والمسانيدِ وغيرِها مِن طرقٍ متواتِرةٍ عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ أنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ سُئلَ عن الرَّجلِ يحبُّ القومَ ولَمَّا يلحَقْ بهِم فقال: «المرءُ معَ مَنْ أحبَّ»[4]، قال أنسٌ: فما فرحَ المسلمونَ بشيءٍ فرحَهُم بهذا الحديثِ.

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٤) عن سعيد بن جبير، دون ذكر ثوبان.

وهـو فـي «صفـة الجنـة» للضياء المقدسـي (٢٠)، وعند ابـن مردويه كما في «تفسير ابن كثيـر» (٢/ ٣٥٤) من حديث عائشة رضـي الله عنهـا مـع اختـلاف ببعـض ألفاظـه، ودون ذكـر ثوبان. وقـال المقدسـي: لا أعلم بإسـناده بأسـاً.

ولفظ المصنف ساقه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٥) بدون إسناد، وذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٥٧٣) وذكر أنه من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) في الأصول: (ينزلهم) ولعل الصواب ما أثبته، كما في المصادر.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٥) عن الربيع بن أنس مرسلًا. قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٥٤): قد روي هذا الأثر مرسلاً عن مسروق، وعكرمة، وعامر الشعبي، وقتادة، وعن الربيع بن أنس، وهو من أحسنها سنداً.

(٤) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩)، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٥)، وأحمد في «مسنده» (١٢٧١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٦٩ ـ ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ﴾ فيما أمَرا به ﴿فأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم، مِنَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضلِ أصحاب الأنبياء لمُبالغتهم في الصِّدق والتصديق ﴿والشُّهَداءِ﴾: القَتلى في سبيل الله ﴿والصَّالِحِينَ﴾ غيرِ مَن ذُكِر، ﴿وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا﴾: رُفقاءَ في الجنّة بأن يُستمتَع فيها برُؤيتهم وزِيارتهم والحُضور معهم، وإن كان مقرّهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم! ٧٠ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذُكِرَ، مبتدأ خبرُه: ﴿الفَضلُ مِنَ اللهِ﴾ تفضّل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة! أي: فثقوا بما أخبركم به، «ولا يُنبِّئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ».

٧١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، خُذُوا حِذْرَكُم﴾ من عدوّكم، أي: احترِزوا منه وتيقّظوا له، ﴿فانفِرُوا﴾: انهضوا إلى قتاله ﴿ثُباتٍ﴾: مُتفرّقين سَرِيّةً بعد أُخرى، ﴿أوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾: مجتمعين، ٧٢ ـ ﴿وإنَّ مِنكُم لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتأخّرَنّ عن القِتال كعبدالله بن أُبيٍّ المُنافقِ وأصحابه ـ وجعله منهم من حيث الظاهر. واللام في الفعل للقسم ـ ﴿فإنْ أصابَتكُم مُصِيبةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قالَ: قَد أنعَمَ اللهُ عليَّ، إذ لَم أكُنْ مَعَهُم شَهِيدًا﴾: ....

قولُه: (فيمَا أمَرَ) نائبُ الفاعلِ ضميرُ ﴿مَنْ﴾ وفي نسخةٍ: «فيمَا أمرَا» بلفظِ التَّثنيةِ.

قولُه: (رفقاءَ) ﴿حَسُنَ﴾ في معنَى: التَّعجُّبِ، و﴿رَفِيْقًا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ أو الحالِ، ولم يجمَعْ؛ لأنَّه يُقالُ للوَاحِدِ والجمعِ كالصَّديقِ، أو لأنَّهُ أُريدَ: وحسُنَ كلُّ واحدٍ منهم رفيقاً.

قولُه: (انهَضُوا) مِنْ نهضَ كمَنَعَ: قامَ، والأَظهرُ: اخرجُوا إلى الجهادِ.

قولُه: (متفرِّقِينَ) أي: جماعةً بعدَ جماعةٍ، جمعُ: ثُبَةٍ.

قولُه: (مُجتَمعِينَ) كوكَبةً واحِدةً.

قولُه: (ليتَأَخَّرَنَّ) مِن بطَّأَ بمعنى: أبطأَ، وهو لازمٌ.

قولُه: (وجعلَهُ) الضَّميرُ لـ﴿مَنْ﴾ و(منهُم) إلى الصَّحابةِ أو المؤمنينَ، وقالَ القاضِي[1]: الخطابُ لعَسكرِ رسُولِ اللهِ ﷺ المؤمنينَ منهم والمنافقِينَ، والمبطِّئونَ منافقوهُم تثاقَلُوا وتخلَّفُوا عن الجهادِ.

قلتُ: ويؤيِّدُه قولُه: ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُم﴾ أو المعنَى: بطَّؤُوا غيرَهُم كما بطَّأَ ابنُ أُبيٍّ ناساً يومَ أحدٍ[2].

قولُه: (في الفعلِ) إذِ اللَّامُ الأُولى للابتداءِ، دخلَتْ على اسمِ ﴿إِنَّ﴾ للفَصْلِ بالخبرِ، والثَّانيةُ جوابُ قسمٍ محذُوفٍ، والقسمُ بجوابِهِ صلةُ ﴿مَنْ﴾ والتَّقديرُ: وإنَّ منكُم لَمَنْ أقسمَ باللهِ ليُبَطِّئَنَّ.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٨٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٤).

حاضرًا فأُصابَ، ٧٣ ـ ﴿ولَئِنْ﴾: لامُ قسم ﴿أصابَكُم فَضلٌ مِنَ اللهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادمًا ﴿كأنْ﴾ ـ مُخَفَّفةٌ واسمها محذوف ـ أي: كأنّه ﴿لَم يَكُنْ﴾، بالياء والتاء، ﴿بَينَكُم وبَينَهُ مَوَدّةٌ﴾: معرفةٌ وصداقة ـ وهذا راجع إلى قوله «قَد أنعَمَ اللهُ عليَّ» اعتُرض به بين القول ومقوله وهو ـ: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿لَيتَني كُنتُ مَعَهُم، فأفُوزَ فَوزًا عَظِيمًا﴾: آخُذَ حظًّا وافرًا من الغنيمة.

٧٤ ـ قال تعالى: ﴿فلْيُقاتِلْ في سَبيلِ اللهِ﴾: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشرُونَ﴾: يبيعون ﴿الحَياةَ الدُّنيا بِالآخِرةِ. ومَن يُقاتِلْ في سَبيلِ اللهِ، فيُقتَلْ﴾: يُستَشهَدْ ﴿أو يَغلِبْ﴾: يَظفرْ بعدوّه، ﴿فسَوفَ نُؤتِيهِ أجرًا عَظِيمًا﴾: ثوابًا جزيلاً. ٧٥ ـ ﴿وما لَكُم لا تُقاتِلُونَ﴾ ـ استفهام توبيخ ـ أي: لا مانع لكم من القِتال ﴿في سَبيلِ اللهِ و﴾ في تخليص ﴿المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ﴾ الذين حبسَهم الكُفّار عن الهجرة وآذَوهم ـ..

قولُه: (فأُصَابَ) بصيغةِ المجهُولِ؛ أي: فيُصِيبَنِي ما أصابَهُم.

قولُه: (نادِماً) أكَّدَهُ تنبيهاً على فرطِ ندامتِهِم.

قولُه: (والتَّاءِ) التَّأنيثُ لمكِّيٍّ وحفصٍ[1]؛ لتأنيثِ لفظِ المودَّةِ.

قولُه: (ومقولِه) للتَّنبيهِ على ضعْفِ عقيدتِهِم، أو حالٌ من الضَّميرِ في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أو أُدْخِلَ في المقولِ؛ أي: يقولُ المتبطِّئُ لمَنْ ثبطَ مِن المنافقينَ وضعَفةِ المسلمينَ إغرَاءً وحسداً كأنْ لم يكنْ بينكُم وبين محمَّدٍ مودَّةٌ، حيثُ لم يستعن بكُم فتفُوزُوا بما فازَ.

قولُه: (وهُو) أي: المقُولُ.

قولُه: (للتَّنبِيهِ) على الاتِّساعِ، أو المنادَى محذُوفٌ؛ أي: يا قومُ.

قولُه: (يبيعُون) والمعنى: إنْ بطَّأَ هؤلاءِ عن القتَالِ فليُقاتِلِ المخلصُونَ الباذلُونَ أنفسَهُم في طلبِ الآخرةِ، أو الَّذينَ يشترُونَها ويختارُونَها على الآخرةِ، وهمُ المبطِّئونَ، والمعنى: ليُغيِّرْ ما بهم مِن النِّفاقِ فليُقَاتِلْ.

قولُه: (﴿و﴾ في تَخليصِ) إشارةٌ إلى أنَّهُ عطفٌ على ﴿سَبِيلِ﴾ بحذفِ المضافِ، وقيل: هو عطفٌ على اسمِ اللهِ؛ أي: وفي سبيلِ المستضعفِينَ، وهو تخليصُهُم عن الأسرِ وصونُهُم عن العدوِّ.

قولُه: (وآذَوهُم) أو لضعفِهِم عن الهجرةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٧٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٨).

قال ابن عبّاس: كنتُ أنا وأُمّي منهم ـ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين: يا ﴿رَبَّنا، أخرِجْنا مِن هذِهِ القَرْيةِ﴾: مكّةَ ﴿الظّالِمِ أهلُها﴾ بالكُفر، ﴿واجعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ﴾: من عِندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولّى أمورنا، ﴿واجعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾: يمنعنا منهم؟ وقد استجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخُروجَ، وبقي بعضهم إلى أن فُتحت مكّة، وولّى عليهم ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيدٍ، فأنصفَ مظلومهم من ظالمهم. ٧٦ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ، والَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ الطّاغُوتِ﴾: الشيطانِ. ﴿فقاتِلُوا أولِياءَ الشَّيطانِ﴾: أنصارَ دِينه، تغلبوهم لقوّتكم بالله. ﴿إنَّ كَيدَ الشَّيطانِ﴾ بالمُؤمنين ﴿كانَ ضَعِيفًا﴾: واهيًا، لا يُقاوِم كيد الله بالكافرين.

٧٧ ـ ﴿ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُم: كُفُّوا أيدِيَكُم﴾ عن قِتال الكُفّار، لمّا طلبوه بمكّة لأذى الكُفّار لهم ـ وهم جماعة من الصحابة ـ ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ. فلَمّا كُتِبَ﴾: فُرض ﴿علَيهِم القِتالُ إذا فَرِيقٌ مِنهُم يَخشَونَ﴾: يخافون ﴿النّاسَ﴾: الكُفّارَ، أي: عذابَهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ ـهم عذابَ ﴿اللهِ أو أشَدَّ خَشْيَةً﴾

قولُه: (فيهِم) وفي نسخةٍ: «منهم» فـ﴿الوِلْدانُ﴾ الصِّبيانُ، وقيل: المرادُ بِه العبيدُ والإماءُ؛ لأنَّهُ يُطلَقُ على العبدِ ولِيدٌ، وعلى الأمةِ ولِيدَةٌ.

قولُه: (مكّةَ) ﴿الظّالِمِ﴾ صفتُها، وتذكيرُهُ لتذكيرِ ما أُسْنِدَ إليه، فإنَّ اسمَ الفاعلِ والمفعُولِ إذا جَرَى على غيرِ مَن هي له كانَ كالفعلِ يذكَّرُ ويؤنَّثُ على حسبِ ما عمِلَ فيه.

قولُه: (بالكُفرِ) نُسِبَ في القُرآنِ الظُّلمُ إلى القريةِ مجازًا ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ [الطلاق: ٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [القصص: ٥٨] ونُسِبَ الظُّلمُ هنا إلى أهلِها تعظِيماً لأمِّ القُرَى.

قولُه: (الخُرُوجَ) إلى المدِينَةِ.

قولُه تعالى: (﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾) أي: فيما يصلُونَ بِهِ إلى اللهِ.

قولُه: (تغلِبُوهُم) بالجزمِ على جوابِ الأمرِ.

قولُه: (واهِيًا) بالياءِ والنُّونِ.

قولُه: (مِن الصَّحابَةِ) منهم عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُه: (عذابَ ﴿اللهِ﴾) فالإضافةُ إلى المفعُولِ، وقعَ موقعَ المصدَرِ؛ أي: خشيةً مثلَ خشيتِهم للهِ، أو الحالِ مِن فاعلِ ﴿يَخْشَونَ﴾ على معنَى: يخشَونَ النَّاسَ مثلَ أهلِ خشيةِ اللهِ منه.

وقولُه: (﴿أو أشَدَّ﴾) عطفٌ عليه إنْ جعلتَهُ حالاً مِن ضمِيرِ الجمعِ.

---

(١) انظر: «المبهمات» للسيوطي (ص: ٣٢).

من خشيتهم له؟ ونُصبَ «أشدَّ» على الحال، وجواب «لمّا» دلَّ عليه «إذا» وما بعدها، أي: فاجأهمُ الخَشيةُ، ﴿وقالُوا﴾ جزَعًا من الموت: ﴿رَبَّنا، لِمَ كَتَبتَ علَينا القِتالَ؟ لَولا﴾: هلاّ ﴿أخَّرْتَنا إلَى أجَلٍ قَريبٍ. قُلْ﴾ لهم: ﴿مَتاعُ الدُّنيا﴾: ما يُتمتّع به فيها أو الاستمتاعُ بها ﴿قَليلٌ﴾ آيِلٌ إلى الفناء، ﴿والآخِرةُ﴾ أي: الجنّة ﴿خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ عِقابَ الله بترك معصيته، ﴿ولا تُظلَمُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ تُنقَصون من أعمالكم ﴿فَتِيلاً﴾: قَدْرَ قِشرة النواة. فجاهِدوا. ٧٨ ـ ﴿أينَما تَكُونُوا يُدرِكْكُمُ المَوتُ، ولَو كُنتُم في بُرُوجٍ﴾: حُصون ﴿مُشَيَّدةٍ﴾: مرتفعة. فلا تخشَوُا القتالَ خوفَ الموت.

﴿وإنْ تُصِبْهُم﴾ أيِ: اليهودَ ﴿حَسَنةٌ﴾: خِصب وسَعة ﴿يَقُولُوا: هذِهِ مِن عِندِ اللهِ. وإنْ تُصِبْهُم سَيِّئةٌ﴾:..

قولُه: (لَهُ) أي: للهِ؛ أي: حالَ كونِهم مثلَ أهلِ خشيةِ اللهِ، أو أشدَّ خشيةً مِن أهلِ خشيةِ اللهِ، وإنْ جعلتَهُ مصدراً فلا، وبهذا يُعلَمُ قولُه: (ونُصبَ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحَالِ) فتأمَّلْ، فإنَّهُ محلُّ زللٍ.

قولُه: (﴿إِذَا﴾) للمفاجَأةِ، و﴿فَرِيقٌ﴾ مبتدأٌ و﴿مِنْهُم﴾ صفتُهُ ﴿يَخْشَونَ﴾ خبرُهُ.

قولُه: (جَزَعاً) أو حذراً[١]، ويحتملُ أنَّهُم ما تفوَّهُوا بِهِ ولكِن قالُوهُ في أنفسِهِم، فحكَى اللهُ عنهم.

قولُه: (إلَى الفنَاءِ) سريعُ الانقضاءِ.

قولُه: (واليَاءِ) الغيبةُ للمكِّيِّ وحمزةَ والكسائيِّ[٢].

قولُه: (مِنْ أعمَالِكُم) أو آجالِكُم[٣].

قولُه: (قَدْرَ قشرَةٍ) تقدَّمَ ما فيهِ.

قولُه: (حصُونٍ) أو قصُورٍ.

قولُه: (مرتَفِعةٍ) وقيلَ: مجصَّصةٍ.

قولُه: (خِصْبٌ) بالكسرِ، ثمَّ الحسنَةُ والسَّيئةُ يقعانِ على الطَّاعةِ والمعصيةِ، كما يقعانِ على النِّعمةِ والبليَّةِ، وهما المرادانِ في الآيتَينِ فلا حجَّةَ فيما لنا، ولا للمُعتزلةِ علينا.

---

(١) في الأصلين: «ضرراً» ولا تناسب المعنى والسياق.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٧٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٨).

(٣) في الأصلين: «حالكم» ولا تناسب المعنى والسياق.

جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبيّ ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا: هٰذِهِ مِن عِندِكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ أي: بشُؤمك. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيّئة ﴿مِن عِندِ اللهِ﴾: من قِبَلِه. ﴿فما لِهٰؤُلاءِ القَومِ، لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ﴾ أي: لا يُقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقى إليهم؟ وما: استفهامُ تعجيبٍ من فَرط جهلهم، ونفيُ مُقاربة الفعل أشدّ من نفيه.

٧٩ ـ ﴿ما أصابَكَ﴾ ـ أيها الإنسان ـ ﴿مِن حَسَنةٍ﴾: خيرٍ ﴿فمِنَ اللهِ﴾ أتتك فضلاً منه، ﴿وما أصابَكَ مِنَ سَيِّئةٍ﴾: بليّةٍ ﴿فمِن نَفسِكَ﴾ أَتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذُّنوب. ﴿وأرسَلناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لِلنّاسِ رَسُولاً﴾: حالٌ مؤكِّدة، ﴿وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على رِسالتك! ٨٠ ـ ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقَد أطاعَ اللهَ، ومَن تَوَلّى﴾: أَعرض عن طاعتِه فلا يُهِمَّنَّك ﴿فما أرسَلْناكَ عَلَيهِم حَفِيظًا﴾: حافظًا لأعمالهم بل نذيرًا، وإلينا أمرهم فنُجازيهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨١ ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون، إذا جاؤوك: أمرُنا ﴿طاعةٌ﴾ لك. ﴿فإذا بَرَزُوا﴾: خرجوا ﴿مِن عِندِكَ بَيَّت طّائفةٌ مِنهُم﴾ ـ بإدغامِ التاء في الطاء وتركِه ـ أي: أضمرتْ ﴿غَيرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لك في حُضورك من الطاعة، أي: عِصيانَك، ﴿واللهُ يَكتُبُ﴾: يأمر بكتب ﴿ما يُبَيِّتُونَ﴾ في صحائفهم ليُجازَوا عليه. ﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾ بالصفح، ﴿وتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾: ثِقْ به فإنه كافيك، ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾: مُفوَّضًا إليه! ٨٢ ـ ﴿أفلا يَتَدَبَّرُونَ﴾: يتأمّلون ﴿القُرآنَ﴾ وما فيه من المعاني البديعة؟ ﴿ولَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافًا كَثِيرًا﴾:..........

قولُه: (وهَذا قَبلَ الأمرِ بالقتَالِ) فيه أنّهُ معَ كونِهِ خَبراً، والأخبارُ لا تنسَخُ ولا معنَى لنسخِهِ؛ إذِ المعنَى الذي ذُكِرَ فيه ثابتٌ مقرَّرٌ بعدَ الأمرِ بالقتالِ أيضاً.

قولُه: (إذَا جاؤُوكَ) الأظهرُ: إذا أمرتَهُم بأمرٍ.

قولُه: (أَمْرُنَا) أي: شأْنُنا ﴿طاعةٌ﴾ أو منَّا ﴿طاعَةٌ﴾ قُدِّمَ الخبرُ؛ لأنَّه نكرةٌ.

قولُه: (بإدغامِ التَّاءِ) للبصريِّ وحمزةَ[1].

قولُه: (أي: أضمَرَتْ) أو زوَّرَت خلافَ قولِه: (لكَ...) إلخ، أو خلافَ ما تقُولُ لها.

قولُه: (أي: عصيَانَكَ) تفسيرٌ لـ﴿غَيْرَ الَّذي تَقُولُ﴾.

قولُه: (يأمُرُ بكَتبٍ) أو يثبتُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ١٧٣).

تناقضًا في معانيه وتباينًا في نظمه.

٨٣ ـ ﴿وإذا جاءَهُم أمرٌ﴾ عن سرايا النبيِّ ﷺ ممّا حصل لهم ﴿مِنَ الأمنِ﴾ بالنصر ﴿أوِ الخَوفِ﴾ بالهزيمة ﴿أذاعُوا بِهِ﴾: أفشَوه. نزلَ في جماعة من المُنافقين أو في ضُعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتَضعُف قلوبُ المؤمنين ويتأذّى النبيّ ﷺ، ﴿ولَو رَدُّوهُ﴾ أي: الخبرَ ﴿إلَى الرَّسُولِ وإلَى أُولِي الأمرِ مِنهُم﴾ أي: ذوِي الرأي من أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتّى يُخبَروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾: هل هو ممّا ينبغي أن يذاع؟ أو لا ﴿الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ﴾: يتّبعونه ويطلبون عِلمه ـ وهم المُذِيعون ـ ﴿مِنهُم﴾: منَ الرسول وأولي الأمر. ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم﴾ بالإسلام ﴿ورَحمَتُهُ﴾ لكم بالقُرآن ﴿لاتَّبَعتُمُ الشَّيطانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إلاّ قَليلاً﴾.

قولُه: (تنَاقُضاً) أي: كثيراً فَضْلاً عن القليلِ.

قولُه: (في معَانِيهِ) بمُطابقةِ بعضِ أخبارِهِ المستقبلةِ للواقعِ دونَ بعضٍ، وموافَقةِ العَقلِ لبعضِ أحكامِهِ دونَ بعضٍ على ما دلَّ عليه الاستقراءُ لنقصانِ القوّةِ البشريَّةِ.

قولُه: (وتبَايُناً في نظمِهِ) أي: لفظِهِ، فكان بعضُهُ فصِيحاً، وبعضُهُ ركيكاً، وبعضُهُ تسهلُ معارضتُهُ وبعضُهُ لا تَسْهُلُ.

قولُه: (ممَّا) بيانٌ لـ﴿أَمْرٌ﴾ و﴿مِنَ الأَمْنِ﴾ بيانٌ لـ«ما».

قولُه: (أي: ذَوِي الرَّأيِ) أو أمراءِ السَّرايا.

قولُه: (وهمُ المُذِيعُونَ) أو يستخرجُونَ تدبِيرَهُ بتجاربِهم وأنظارِهم.

قولُه: (مِنَ الرَّسُولِ...) إلخ، أي: مَنْ يستخرجُونَ علمَهُ مِن جهتِهِم.

قولُه: (بالإِسلَامِ) الأظهرُ: بإرسالِ الرَّسولِ؛ ليَصِحَّ الاستِثناءُ.

قولُه: (بالقُرآنِ) أي: إنزالِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾) منكُم تفضَّلَ اللهُ عليه بعقلٍ راجحٍ اهتَدَى بهِ إلى الحقِّ والصَّوابِ وعصمَهُ عن متابعةِ الشَّيطانِ كزيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ موحِّدِ الجاهليَّةِ[1]، ومن كلامِهِ:

أَرَبّاً واحِداً أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إذَا تَقَسَّمَتِ الأُمُورُ

تَرَكْتُ اللَّاتَ والعُزَّى جَمِيْعاً ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ البَصِيرُ[2]

---

(١) كرواية البخاري: (٣٨٢٧).

(٢) ذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢٢٦) والبيت الثاني جاء هكذا:

عزَلْتُ اللّاتَ والعُزّى جَمِيعًا ... كذلكَ يفعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ

٨٤ ـ ﴿فقاتِلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿في سَبِيلِ اللهِ، لا تُكَلَّفُ إلاّ نَفسَكَ﴾، فلا تهتمّ بتخلّفهم عنك. المعنى: قاتل ولو وحدَك، فإنك موعود بالنصر، ﴿وحَرِّضِ المُؤمِنِينَ﴾: حُثّهم على القِتال ورَغّبْهم فيه، ﴿عَسَى اللهُ أنْ يَكُفَّ بأسَ﴾: حربَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا. واللهُ أشَدُّ بأسًا﴾ منهم ﴿وأشَدُّ تَنكِيلاً﴾: تعذيبًا منهم. فقال ﷺ: «والَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لأخرُجَنَّ ولَو وَحدِي»، فخرج بسبعين راكبًا إلى بدر الصُّغرى، فكفّ الله بأسَ الكُفّار بإلقاءِ الرُّعب في قُلوبهم، ومَنَعَ أبا سُفيان عن الخروج كما تقدّم في «آل عمران».

٨٥ ـ ﴿مَن يَشفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفاعةً حَسَنةً﴾: مُوافقة للشرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِنها﴾: بسببها، ﴿ومَن يَشفَعْ شَفاعةً سَيِّئةً﴾: مُخالفة له ﴿يَكُنْ لَهُ كِفلٌ﴾: نصيب من الوِزر ﴿مِنها﴾: بسببها. ﴿وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقِيتًا﴾: مقتدرًا فيُجازي كلّ أحد بما عمل.

٨٦ ـ ﴿وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيّةٍ﴾ كأنْ قِيل لكم: سلامٌ عليكم ﴿فحَيُّوا﴾ المُحيِّيَ ﴿بِأحسَنَ مِنها﴾ بأن تقولوا له:..

وأمّا قولُ البيضاوِيِّ[1]: كورَقةَ بنِ نوفلٍ؛ ففيهِ نظرٌ ظاهِرٌ؛ إذ هو ممَّنْ تنصَّرَ، فلا يصحُّ استثناؤُهُ، أو معناهُ: إلّا اتِّباعاً قليلاً على النُّدُور، فالاستِثناءُ على الأوَّلِ مِنْ فاعلِ ﴿اتَّبعْتُم﴾ وعلى الثَّاني مِن مصدرِهِ.

قولُه تعالى: (﴿إلَّا نَفْسَكَ﴾) أي: فِعلَ نفسِكَ.

قولُه: (حرْبَ) الظَّاهرُ: شدَّةٌ وصَوْلَةٌ؛ ليُلائمَ البأسَ الثَّاني.

قولُه: (فقَالَ ﷺ) أي: حينَ دعَا النَّاسَ في غزوَةِ بدرِ الصُّغرَى إلى الخرُوجِ فكرِهَهُ بعضُهُم.

قولُه: (بسَبعِينَ راكِباً) ثُمَّ تتابعَ النَّاسُ.

قولُه: (للشَّرعِ) قبلَتْ أمْ لا بأنْ راعَى بها حقَّ مسلمٍ، أو دفعَ بها عنه ضَرراً، أو جلبَ إليه نفعاً ابتغاءَ لوجهِ اللهِ، ومنها الدُّعاءُ لمسلمٍ حيٍّ أو ميِّتٍ.

قولُه: (مِنَ الوِزرِ) والكفلُ أكثرُ ما يستعمَلُ في الشَّرِّ.

قولُه: (مُقتَدراً) مِن أقاتَ[2] على الشَّيءِ: إذا قدرَ[3]، أو شَهِيداً حافظاً، وقيل: رازِقاً لكلِّ شيءٍ.

قولُه: (سَلامٌ علَيكُم) الجمهورُ على أنَّها في السَّلامِ[4]، وقيل: المرادُ بالتَّحيَّةِ: العطيَّةُ واوجِبُ الثَّوابِ،

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٨٧).

(٢) في (ص): «أقدرت».

(٣) أَقَاتَ على الشَّيءِ: اقتدرَ عليه. «مختار الصحاح» (ص: ٢٦٢) مادة: قات.

(٤) قاله ابن عباس والجمهور. انظر: «زاد المسير» (١/ ٤٤١).

عليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته، ﴿أو رُدُّوها﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي: الواجبُ أحدهما، والأوّل أفضل. ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: مُحاسبًا فيُجازي عليه، ومنه ردُّ السلام ـ وخَصّت السُّنّةُ الكافرَ والمُبتدِعَ والفاسقَ والمسلِّمَ على قاضي الحاجة، ومَن في الحمّام والآكلِ، فلا يجب الردّ عليهم، بل يُكره في غير الأخير. ويقال للكافر: وعليكَ ـ ٨٧ ـ ﴿اللهُ لا إِلَـٰهَ إلاّ هُوَ﴾، واللهِ ﴿لَيَجمَعَنَّكُم﴾ من قُبوركم ﴿إِلَى﴾: في ﴿يَومِ القِيامةِ، لارَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ، ومَن﴾..........................

أو الرَّدُّ على المتَّهبِ[1].

قولُه: (عليكَ السَّلامُ) في «المدارِكِ»: قوله عليهِ السَّلامُ: «لا غِرَارَ في تسلِيمٍ»[2] أي: لا يُقال: عليك بل عليكُم؛ لأنَّ كاتِبَيْهِ معه، انتهى[3].

لكنَّ هذا بطريقِ الاستِحبابِ، ولكنَّ الجمعَ أن يكُونَ للتَّعظيمِ.

قولُه: (أحدُهُما) وهذا الوجُوبُ على الكفايةِ حيثُ السَّلامُ مشرُوعٌ، فلا يرُدُّ في الخُطبةِ، وقراءةِ القرآنِ جهراً، وروايةِ الحديثِ، وعندَ مذاكَرةِ العِلمِ والأذَانِ والإقامةِ.

قولُه: (أفضَلُ) وقيل: ﴿بأحسنَ منهَا﴾ لأهلِ الملَّةِ، و﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ لأهلِ الذِّمَّةِ.

قولُه: (وعلَيكَ) أو عليكَ؛ أي: عليكَ مَا قلتَ، أو ما تستَحِقُّه؛ لأنَّه يقولُ: السَّامُ عليكَ، والسَّامُ: الموتُ.

قولُه: (واللهِ) قال القَاضِي[4]: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتَدأٌ وخبرٌ، أو ﴿اللهُ﴾ مبتدأٌ، والخبرُ: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُم﴾ أي: اللهُ واللهِ، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراضٌ.

قولُـه: (مِـنْ قُبورِكُـم) أي: ليحشـرَنَّكُم منها فـي يومِ القيامـةِ، أو إلى مَواقفـهِ، أو ليجمَعنَّكُم فـي قبُورِكُم إلى يـومِ القيامةِ.

قولُـه: (شـكَّ) أي: لا شـكَّ فـي اليَـومِ، أو الجمـعِ، فهو حـالٌ من اليـومِ، أو صفـةٌ للمَصـدرِ؛ أي: جَمعاً لا ريـبَ فيه.

---

(١) في «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٣/ ١٦٢): بالتحية العطية؛ أي: الهبة، ولذا قال على المتهب؛ لأنَّ التحية تطلق على الهدية، وهي هبة، والثواب عوض الهبة.

(٢) رواه أبو داود (٩٢٩)، وأحمد في «مسنده» (٩٩٣٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٩٧٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٣٨١).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ٨٨).

أي: لا أحد ﴿أَصدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾: قولاً؟

ولمّا رجَع ناس من أُحُد اختلف الناس فيهم، فقال فريقٌ: اقتلْهم. وقال فريق: لا. فنزل: ٨٨ـ ﴿فما لَكُم﴾ أي: ما شأنكم صِرتم ﴿في المُنافِقِينَ فِئَتَينِ﴾: فرقتَين، ﴿والله أَركَسَهَم﴾: ردّهم ﴿بِما كَسَبُوا﴾ من الكُفر والمعاصي؟ ﴿أَتُرِيدُونَ أن تَهدُوا مَن أَضَلَّ﴾ ﴿اللهُ﴾ أي: تَعدُّوهم من جُملة المُهتدين؟ والاستفهامُ في الموضعين للإنكار ـ ﴿ومَن يُضْلِلِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الهُدى ـ ٨٩ـ ﴿وَدُّوا﴾: تمنّوا ﴿لَو تَكفُرُونَ كَما كَفَرُوا، فتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَواءً﴾ في الكُفر. ﴿فلا تَتَّخِذُوا مِنهُم أَولِياءَ﴾ تُوالونهم، وإن أظهروا الإِيمان، ﴿حَتَّى يُهاجِرُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ هِجرةً صحيحة تُحقق إيمانهم. ﴿فإِنْ تَوَلَّوا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فخُذُوهُم﴾ بالأسرِ، ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ وَجَدتُمُوهُم، ولا تَتَّخِذُوا مِنهُم وَلِيًّا﴾ تُوالونه ﴿ولا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على عدوّكم.

٩٠ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يلجؤون ﴿إِلَى قَومٍ، بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ﴾:........................

قولُه: (أي: لا أحَدَ) أي: لا أصدَقَ منه؛ لأنَّه صادِقٌ لا يجُوزُ الكذِبُ عليهِ، ومَن سواهُ مِنَ الصَّادقينَ ليسَ كذلكَ، وهو وعدٌ ووعِيدٌ.

قولُه: (فنزَلَ) أي: نزلَ في قومٍ أظهَرُوا الإسلامَ، وقَعدُوا عن الهجرَةِ[1].

قولُه: (صِرْتُم) أي: تفرَّقْتُم، ومَا اجتَمعْتُم على كفرِهِم.

قولُه: (بردِّهِم) وفي نسخةٍ وهي الصَّحيحةُ: «رَدَّهُم» أي: إلى حكمِ الكُفرِ، فقوله: ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: بأنْ صيَّرَهُم للنَّارِ، وأصلُ الرَّكسِ: ردُّ الشَّيءِ مقلُوباً[2].

وقولُه:(﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾) يناسِبُ سببَ النُّزولِ الثَّاني، وقولُهُ: ﴿في المنافِقِينَ﴾ يناسِبُ الأوَّلَ، فتأمَّلْ.

قولُه: (هجرَةً صَحِيحَةً) قال القاضِي[3]: فلا توالُوهُم حتَّى يؤمِنُوا وتتحقَّقُوا إيمانَهُم بهِجرةٍ هيَ للهِ ولرسُولِهِ، لا لأغرَاضِ الدُّنيَا، و﴿سبيلِ اللهِ﴾ مَا أمرَ بسُلوكِهِ، انتهى.

قولُه: (عَلى ما هُم علَيهِ) أي: منَ النِّفاقِ أو عدمِ الهجرَةِ.

قولُه: (بالأَسرِ) كسَائرِ الكفرَةِ.

---

(١) رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٤٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٨٨).

عهدٌ بالأمان لهم ولمن وصلَ إليهم كما عاهد النبيُّ هِلالَ بنَ عُويمِرِ الأسلميَّ، ﴿أَوْ﴾ الّذين ﴿جاؤُوكُم﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت ﴿صُدُورُهُم﴾ عن ﴿أَنْ يُقاتِلُوكُم﴾ مع قومهم ﴿أو يُقاتِلُوا قَومَهُم﴾ معكم، أي: مُمسكِينَ عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرّضوا إليهم بأخذ ولا قتل ـ وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف. ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ تسليطَهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُم علَيكُم﴾ بأن يُقوّيَ قلوبَهم، ﴿فلَقاتَلُوكُم﴾، ولكنه لم يشأه، فألقى في قلوبهم الرُّعب ـ ﴿فإنِ اعتَزَلُوكُم فلَم يُقاتِلُوكُم، وألقَوا إلَيكُمُ السَّلَمَ﴾: الصُّلحَ أي: انقادوا، ﴿فما جَعَلَ اللهُ لَكُم علَيهِم سَبِيلاً﴾: طريقًا بالأخذ والقتل.

٩١ ـ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ، يُرِيدُونَ أنْ يأمَنُوكُم﴾ بإظهار الإيمان عندكم، ﴿ويأمَنُوا قَومَهُم﴾ بالكُفر إذا رجعوا إليهم ـ وهم أسدٌ وغطفانُ ـ ﴿كُلَّما رُدُّوا إلَى الفِتْنَةِ﴾: دُعوا إلى الشِّرك ﴿أُركِسُوا فِيها﴾: وقعوا أشدَّ وقوع. ﴿فإنْ لَم يَعتَزِلُوكُم﴾ بترك قِتالكم، ﴿و﴾ لم ﴿يُلقُوا إلَيكُمُ السَّلَمَ و﴾ لم ﴿يَكُفُّوا أيدِيَهُم﴾ عنكم، ﴿فخُذُوهُم﴾ بالأسر، ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم﴾: وجدتُموهم. ﴿وأُولئِكُم جَعَلْنا لَكُم علَيهِم سُلطانًا مُبِينًا﴾: بُرهانًا بيّنًا ظاهرًا على قتلهم وسبيهم لغدرهم.

قولُه: (كمَا عاهَدَ النَّبيُّ) وقتَ خرُوجِهِ إلى مكَّةَ.

قولُه: (عويم) تصغِيرُ: عام، وفي بعضِ النُّسخِ: تصغيرُ عامرٍ ـ بالرَّاءِ ـ على أنَّه لا يُعِينُهُ ولا يُعِينُ عليهِ، ومَنْ لجأَ إليه فله مِنَ الجوَارِ مثلُ مَالهُ.

قولُه: (وقَد) فالجُملةُ حالٌ، ويمكنُ أنْ يكُونَ بيَاناً لـ﴿جاؤوكم﴾.

قولُه: (عنْ ﴿أنْ﴾) أو لأنْ، أو كرَاهَةَ ﴿أنْ﴾.

قولُه: (منسُوخٌ) كذا في «الدُّرِّ»[1] عن قتَادةَ والحسنِ وعكرمَةَ.

قولُه: (إلى الشِّركِ) أي: الكُفرِ، أو إلى قتَالِ المسلمِينَ.

قولُه: (وقَعُوا) أو قُلِبُوا فيها أقبَحَ قلبٍ.

قولُه: (لمْ ﴿يُلْقُوا﴾) أي: لم ينبُذُوا إليكُمُ العَهدَ؛ يعنِي: لم يصلِحُوا.

قولُه: (عنكُم) أي: عن قتالِكُم.

قولُه: (وجدتُمُوهُم) أي: تمكَّنتُم منهُم، فإنَّ مجرَّدَ الكفِّ لا يُوجِبُ نفيَ التَّعرُّضِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٦١٣). ورواه عنهم ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٥).

٩٢ ـ ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتلٌ له ﴿إلاّ خَطَأً﴾: مُخطئًا في قتله من غير قصد، ﴿ومَن قَتَلَ مُؤمِنًا خَطأً﴾ بأن قصدَ رميَ غيره كصيد أو شجرة فأصابه، أو ضربه بما لا يَقتل غالبًا، ﴿فتَحرِيرُ﴾: عَتقُ ﴿رَقَبةٍ﴾: نَسَمةٍ ﴿مُؤمِنةٍ﴾ عليه ﴿ودِيَةٌ مُسَلَّمةٌ﴾: مُؤدّاة ﴿إلَى أهلِهِ﴾ أي: ورثةِ المقتول، ....

قولُه: (أي: ما ينبَغِي) أي: ما يصِحُّ، وليسَ مِنْ شأنِهِ.

قولُه: (أنْ يصدُرَ منهُ) أي: مِنْ مؤمنٍ.

قولُه: (قَتلٌ) أي: بغيرِ حقٍّ.

قولُه: (لَهُ) أي: لمؤمنٍ.

قولُه: (مُخطِئاً) أي: لا يقتلُهُ في شيءٍ منَ الأحوالِ إلَّا حالَ الخطأ، أو لعلَّةٍ إلَّا للخَطأِ، أو إلَّا قتلاً خطأً، وقيل: النَّفيُ معناهُ النَّهيُ، والاستِثناءُ منقطعٌ، وهو أظهَرُ؛ لأنَّ المتَّصلَ يُوهِمُ جوازَ القتلِ خطأً.

قولُه: (غيرِهِ) أي: غيرِ المؤمنِ.

قولُه: (أو شَجرةٍ) وفي «المدارِكِ»[١]: بأنْ يرميَ كافراً فيُصِيبَ مسلِماً، أو يرميَ شَخصاً على أنَّهُ كافرٌ فإذا هو مسلِمٌ.

قولُه: (أو ضَرَبَهُ) عطفٌ على (قصَدَ)، وفيهِ أنَّهُ تفسِيرُ شبْهِ العَمدِ، لكن في مذهَبِ الشَّافعيِّ[٢]: ما عدا العمدَ فيهِ الدِّيةُ والكفَّارةُ.

قولُه: (عَتقُ) أي: إعتَاقُ.

قولُه: (نسَمةٍ) عبَّر بها عنها كما عبَّر عنها بالرَّأسِ.

قولُه: (علَيهِ) أي: واجِبةٌ.

قولُه: (ورَثةِ المَقتُولِ) يقتسمُونَهَا كسَائرِ الموارِيثِ، ويُقْضَى بهَا ديونُهُ، ويُنَفَّذُ منهَا وصايَاهُ، ولا يرِثُ أحدُ الزَّوجينِ مِنْ ديةِ الآخرِ عندَ مالِكٍ[٣].

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٦٢).

(٣) في مذهب مالك الدية يرثها جميع ورثته إلا أن يكون القاتل من ورثته فإنه لا يرث. انظر: «المعونة» (ص: ١٣٥٤)، و«المقدمات الممهدات» (٣/ ٢٩٢).

﴿إلاّ أنْ يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها. وبيّنَتِ السُّنّة أنها مِائَةٌ من الإبل: عشرون بنتُ مَخاض، وكذا بناتُ لَبُونٍ وبنو لَبُونٍ وحِقاقٌ وجِذاعٌ، وأنها على عاقلةِ القاتل ـ وهم عَصَبتُه ـ إلاّ الأصلَ والفرع، مُوزّعةً عليهم على ثلاث سنين، على الغنيِّ منهم نِصفُ دينار والمتوسّطِ رُبعٌ كلَّ سنة. فإن لم يفُوا فمِن بيت المال، فإن تعذّر فعلى الجاني.

﴿فإنْ كانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَومٍ عَدُوٍّ﴾: حربٍ ﴿لكُم، وهُوَ مُؤمِنٌ، فتَحرِيرُ رَقَبةٍ مُؤمِنةٍ﴾.........

قولُه: (بهَا) أي: بالدِّيةِ، سُمِّيَ العَفوُ عنهَا صدقةً حثًّا عليهِ وتنبيهاً على فضلِهِ، ففِي الحدِيثِ: «كلُّ معرُوفٍ صدقَةٌ»[1]، والمستَثنَى متعلِّقٌ بـ«عَليهِ» المقدَّرِ في قولِهِ: ﴿فتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعلَيهِ الأمرانِ جمِيعاً إلَّا في هذهِ الحالَةِ، فإنَّه ليسَ عليهِ إلَّا أمرٌ واحدٌ.

وفي «البحرِ»[2]: الصَّوابُ أنَّ الاستِثنَاءَ منقَطِعٌ.

قولُه: (مئةٌ مِنَ الإِبِلِ) وذهبَ أبُو حنيفَةَ وبعضُ العُلمَاءِ إلى أنَّ الدِّيَةَ مئةٌ منَ الإبلِ أو ألفُ دينَارٍ أو عشرةُ آلافِ درهمٍ[3].

قولُه: (بنتُ مخَاضٍ) الَّتي تمَّ عليهَا حولٌ، وبنتُ لبُونٍ: الَّتي تمَّ عليهَا حولانِ، وحقَّةٌ: ثلاثٌ وجذعٌ: أربعٌ، وأبدلَ قومٌ بني اللَّبونِ ببنِي المخَاضِ، وبهِ قال أبُو حنيفَةَ[4] وأحمدُ[5]، ويُروَى عن ابنِ مسعُودٍ[6].

قولُه: (وأنَّهَا) أي: الدِّيَةَ؛ إذِ الكفَّارةُ على القاتِلِ، وتفسِيرُ العاقلةِ وتفصِيلُ العطَاءِ محلُّهُ كتبُ الفِقهِ.

قولُه: (فعَلَى الجَانِي) وأمَّا في العَمْدِ ففِي مالِ القاتِلِ حالَّةٌ، كذا في «المعالِمِ»[7].

قولُه: (حَربٍ) أي: كفَّارٍ محارِبِينَ، أو في تضَاعيفِهِم ولم يعلمِ القاتِلُ إيمانَهُ.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ورواه مسلم (١٠٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (٤/ ٢٤).

(٣) انظر: «النتف في الفتاوى» (٢/ ٦٦٧).

(٤) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٦٠).

(٥) انظر: «المغني» لابن قدامة (٨/ ٣٧٧).

(٦) رواه أبو داود (٤٥٤٥)، والترمذي (١٣٨٦)، والنسائي (٤٨٠٢)، وابن ماجه (٢٦٣١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الترمذي: حديث ابن مسعود لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عبد الله موقوفاً.

وانظر: «نصب الراية» (٤/ ٣٥٧) فقد نقل عن الدارقطني ما ملخصه أنه قال: هذا حديث ضعيف، وذكر للحديث طرقاً أخرى ضعيفة.

(٧) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٦٧٦).

على قاتله كفّارةً، ولا دِيَةَ تُسلَّم إلى أهله لحِرابتهم، ﴿وَإِنْ كانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوم بَيْنَكُم وبَيْنَهُم مِيثاقٌ﴾: عهدٌ كأهل الذّمّة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له، ﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهلِهِ﴾ ـ وهي ثُلث دِيةِ المؤمنِ إنْ كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، وثلثا عُشرِها إن كان مجوسيًّا ـ ﴿وتَحرِيرُ رَقَبةٍ مُؤمِنةٍ﴾ على قاتله، ﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ الرقبةَ بأن فَقَدها وما يُحصِّلها به ﴿فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ﴾ عليه كفّارةً ـ ولم يذكرِ اللهُ تعالى الانتقال إلى الطعام كالظِّهار. وبه أخَذ الشافعيّ في أصحّ قولَيه ـ ﴿تَوبةً مِنَ اللهِ﴾: مصدر منصوب بفعله المقدّر. ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبّره لهم.

قولُه: (كفَّارةً) تمييزٌ.

قولُه: (ولا دِيَةَ) أي: لا تجبُ ديةٌ.

وقولُه:(تُسلَّمُ) لا مفهُومَ لهُ.

قولُه: (لهُ) أي: وإنْ كانَ المقتُولُ ذمِّيًّا فحكمُهُ حكمُ المسلِمِ، وفيه دليلٌ على أنَّ ديَةَ الذِّمِّيِّ كدِيَةِ المسلِمِ وهو قولُنَا[١]، كذا في «المدارِكِ»[٢]، وفي «تفسِيرِ الصَّفويِّ»[٣]: أي: إنْ كانَ المقتُولُ مؤمِناً، وكذا إنْ كانَ كافِراً أيضاً عندَ كثيرٍ مِن العُلماءِ، والقُرآنُ لا يدلُّ على الثَّاني، انتهى.

قولُه: (إنْ كانَ) أي: المقتُولُ.

قولُه: (بأنْ فقدَهَا) أي: لم يملكْهَا.

قولُه: (وما يُحصِّلُهَا) أي: لم يجِدْ ثمنَهَا.

قولُه: (علَيهِ) أي: فعلَيهِ أو فالواجِبُ عليهِ.

قولُه: (كفَّارةً) أي: للكفَّارةِ.

قولُه: (الانتِقَالَ) أي: مِنَ الصِّيامِ.

قولُه: (في أَصحِّ قولَيهِ[٤]) وهُو قولُنَا[٥].

قولُه: (بفعلِهِ المُقدَّرِ) أي: تابَ اللهُ عليكُمْ توبةً، أو نصبَ على المفعُولِ لهُ؛ أي: شرعَ ذلكَ له توبَةً، وقولُهُ: ﴿مِنَ اللهِ﴾ صفتُهَا.

---

(١) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٦١).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ٣٩١).

(٤) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (١١/ ٦٢٧).

(٥) انظر: «المبسوط» (٢٦/ ٦٧).

٩٣ ـ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصِد قتله بما يَقتل غالبًا عالمًا بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فِيها، وغَضِبَ اللهُ علَيهِ ولَعَنَهُ﴾: أبعده من رحمته، ﴿وأَعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظِيمًا﴾ في النار. وهذا مُؤوّلٌ بمن يستحلّه، أو بأنّ هذا جزاؤه إن جُوزي، ولا بِدْع في خُلف الوعيد لقوله: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَن يَشاءُ».

قال تعالى: (﴿مُتَعَمِّدًا﴾) حالٌ مِن ضميرِ ﴿يَقْتُلْ﴾.

قولُه: (بمَا يَقتُلُ) أي: بما يُفرِّقُ الأجزاءَ كسِلاحٍ ومحدَّدٍ مِن خشبٍ وحجَرٍ ونارٍ، هذا عندَ أبي حنيفَةَ[١]، وعندَهُمَا[٢] وعندَ الشَّافعيِّ[٣]: بما لا تطيقُهُ البِنيةُ حتَّى إنْ ضربَهُ بحَجرٍ عظِيمٍ أو خشَبٍ عظِيمٍ فهو عمدٌ.

قولُه: (بمَن يستَحِلُّهُ) كما ذكرَهُ عكرمَةُ وغيرُه[٤]، ويؤيِّدُهُ أنَّهُ نزلَ في مِقْيَسِ بنِ ضُبَابَةَ[٥] وجدَ أخاهُ هشَاماً قتِيلاً في بني النَّجَّارِ ولم يظهرْ قاتلُه فأمرَهُم رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يدفَعُوا إليه دِيتَهُ فدفَعُوا إليه، ثمَّ حملَ على مسلمٍ فقتلَهُ، ورجعَ إلى مكَّةَ مرتدًّا[٦].

أو المرادُ بالخلُودِ: المكثُ الطَّويلُ، فإنَّ الدَّلائلَ متظاهِرةٌ على أنَّ عصاةَ المسلمينَ لا يدُومُ عذابُهُم.

قولُه: (أو بأنَّ هَذا جزاؤُهُ إنْ جُوزِيَ) فيه أنَّهُ يلزمُ منهُ جوازُ خلُودِ القاتلِ في النَّارِ، وهو خلافُ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ إلَّا إذا ضمَّ له: أنَّ المرادَ بالخلُودِ طولُ المقامِ، كما في «المدارِكِ»[٧].

قولُه: (ولا بِدْعَ في خُلفِ الوَعِيدِ) فيه خلفٌ، والأظهرُ: بل الصَّوابُ أنَّهُ لا يجوزُ إطلاقُه للزُومِ الخلفِ في الخبرِ وجوَازِ المغفرةِ في الشِّركِ.

قولُه: (لِقولِه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]) فيهِ أنَّه مع وجُودِ تقييدِ المغفِرةِ بالمشيئةِ لا يُتصَوَّرُ الخلفُ في الوعيدِ ألبتَّةَ، وقد كتبتُ في تحقِيقِ المسألةِ رسَالةً سمَّيتُهَا بـ«القَولِ السَّديدِ في خلفِ الوَعيدِ»[٨].

---

(١) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٢).

(٢) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٣).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (١٢/ ٢١٠).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٦١).

(٥) كذا في الأصول، وفي «تفسير الطبري» مقيس بن صبابة، بالصاد المهملة.

وهو مقيس بن صبابة بن حزن بن يسار الكناني القرشي: شاعر، اشتهر في الجاهلية وشهد بدراً مع المشركين، ونحر على مائها تسع ذبائح (ت: ٨ هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٨٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠١٨٦) بنحوه عن عكرمة.

(٧) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٨٥).

(٨) وهذه الرسالة تم طباعتها، ولله الحمد.

وعن ابن عبّاس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وبيّنتْ آيةُ «البقرة» أنّ قاتل العَمد يُقتل به وأنّ عليه الدِّيَةَ إن عُفي عنه، وسَبَق قَدرُها، وبيّنَتِ السُّنّة أنّ بين العَمد والخطأ قتلاً يُسمَّى شِبهَ العَمد ـ وهو أن يَقتله بما لا يَقتل غالبًا ـ فلا قِصاص فيه، بل دِية كالعمدِ في الصفة والخطأِ في التأجيل والحمل، وهو والعمدُ أولى بالكفّارة من الخطأ.

ونزل لمّا مرّ نفر من الصحابة برجل من بني سُليم وهو يسوق غنمًا............

قولُه: (عَلى ظاهِرِهَا) فإنَّهُ قال: لا تُقبَلُ توبةُ قاتلِ المؤمنِ عَمْداً[1]، ولعلَّهُ أرادَ به التَّشديدَ؛ إذْ رُوي عنه خلافُهُ[2]، والجمهورُ مِن أهلِ السُّنَّةِ والمعتزِلةُ[3] على أنَّهُ مخصُوصٌ بمَنْ لم يتُبْ لقولهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

قولُه: (وأنَّهَا ناسِخةٌ) فيه أنَّهُ لا نسخَ في الأخبارِ.

قولُه: (آيةُ البَقَرةِ) يعني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قولُه: (شِبْهَ العَمْدِ) وجارٍ مجرَى الخطأِ كنائمٍ سَقطَ على آخرَ فقتلَهُ ففيهِ كفَّارةٌ ودِيةٌ على عاقلتِهِ، ومرَّ، أمَّا القَتلُ بسَبَبٍ كتلفِهِ بوَضعِ حجَرٍ وحَفرِ بئرٍ في غيرِ ملكِهِ ففيهِ ديةٌ على العاقِلةِ بلا كفَّارةٍ[4].

قولُه: (غَالِباً) كالعَصَا والسَّوطِ والحَجرِ الصَّغيرِ.

قولُه: (فِي الصِّفَةِ) أي: صفَةِ الغلظَةِ في أنَّهَا أربَعٌ ممَّا ذُكِرَ عندَنا[5]، وعندَ محمَّدٍ والشَّافعيِّ[6]: ثلاثُونَ حقَّةً وثلاثونَ جذعةً وأربعونَ ثنيَّةً كلُّها؛ أي: كلُّ المئةِ خَلِفَاتٍ في بطُونِها أولادُها، والثَّنيَّةُ: الَّتي تمَّتْ عليها خمسُ سنِينَ، والخَلِفَةُ: الَّتي في بطنِهَا حملٌ ولو مضَتْ عليهِ ستَّةُ أشهُرٍ.

قولُه: (وهُو) أي: «شبهُ العمدِ...» إلخ، وعندَ أبِي حنيفَةَ قتلُ العَمدِ لا يُوجِبُ الكفَّارةَ؛ لأنَّه كبيرةٌ كسائرِ الكبائرِ حيثُ لا يُرفَعُ ذنبُ صَاحبِها بالكفَّارةِ فلا فائدةَ في إيجابِها، فقولُه: (أَولى) مع ظهُورِ مخالفتِهِ لظاهِرِ الآيةِ خِلافُ الأَوْلى.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٤)، ومسلم (٣٠٢٣) بنحوه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٥٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٠).

(٤) وهذا مذهب الحنفية، انظر: «الهداية» (٤/ ٤٤٣).

(٥) انظر: «الهداية» (٤/ ٤٦٠).

(٦) انظر: «البيان» (١١/ ٤٨١).

فسلَّم عليهم، فقالوا: ما سلَّم علينا إلا تَقِيَّةً، فقتلوه واستاقوا غنمه: ٩٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا ضَرَبتُم﴾: سافرتم للجِهاد ﴿في سَبِيلِ اللهِ فتبَيَّنُوا﴾ ـ وفي قراءة «فتَثَبَّتُوا» بالمُثلَّثة في الموضعين ـ ﴿ولا تَقُولُوا لِمَن ألقَى إلَيكُمُ السَّلامَ﴾، بألِف ودونِها، أي: التحيَّةَ أو الانقيادَ بقول كلمة الشهادة التي هي أمارة على إسلامه:

قولُه: (فسَلَّمَ) هذا يناسِبُ قَراءةَ: ﴿السَّلامِ﴾ بالألفِ فقَط، وأمَّا على قراءتِهِ بالألفِ وبدُونِها[١] فيُناسبُهُ مَا رُوي[٢]: أنَّ مرداسَ بنَ نَهِيكٍ أسلمَ ولم يُسلِمْ مِن قومِهِ غيرُه فغزتْهُم سريَّةُ رسُولِ اللهِ ﷺ فهَربُوا وبقيَ مرداسٌ لثقتِهِ بإسلامِهِ، فلمَّا رأى الخيلَ ألجأَ غنمَهُ إلى منعَرجٍ مِن الجبلِ وصعدَ، فلمَّا تلاحَقُوا وكبَّرُوا كبَّرَ ونزلَ، وقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ السَّلامُ عليكم. فقتلَهُ أسامةُ بنُ زيدٍ واستاقَ غنمَهُ فأخبرُوا رسُولَ اللهِ ﷺ فوجدَ وَجْداً شدِيداً، وقال: «قتلتُمُوهُ إرادةَ ما معَهُ» ثمَّ قرأَ الآيةَ على أسامَةَ.

كذا ذكرَهُ صاحبُ «المدارِكِ»[٣]، وزادَ البَغويُّ[٤] فقال: يا رسُولَ اللهِ، استغفِرْ لي، فقال: «فكيفَ بلا إلهَ إلَّا اللهُ» قالها ثلاثَ مرَّاتٍ، قال أسامَةُ: فما زالَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعيدُها حتَّى ودِدْتُ أنِّي لم أكنْ أسلمْتُ إلَّا يومئذٍ، ثمَّ استغفَرَ لي بعدَ ثلاثِ مرَّاتٍ وقال: «أعتِقْ رقبَةً».

ورُوي: أنَّ أسامَةَ قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ إنَّما قالهَا خوفاً مِن السِّلاحِ، قال: «أفَلَا شقَقْتَ عن قلبِهِ»[٥].

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[٦].

قولُه: (بالمثلَّثةِ) أي: مكانَ الباءِ الموحَّدةِ، ثمَّ الموحَّدةُ مكانَ التَّحتيةِ ثمَّ التاءُ الفوقيَّةُ مكان النُّونِ.

قولُه: (في المَوضِعَينِ) أي: هنا، وكذا في الحجُراتِ موضِعٌ[٧].

قولُه:(ودُونِهَا) نافعٌ وشاميٌّ وحمزةُ[٨].

قولُه: (أي: التَّحيَّةَ) أي: تحيَّةَ أهلِ الإسلامِ.

قولُه: (والانقِيادَ) لفٌّ ونشرٌ، والثَّاني أعمٌّ، وفي نسخةٍ: «أو الانقيَادَ»، فـ«أو» للتَّنويعِ.

---

(١) قرأ بدون الألف نافع وابن عامر وحمزة، والباقون بالألف، انظر: «حجة القراءات» (ص: ٢٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٢٢١) عن السدي.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٨٦).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٦٨٠).

(٥) رواه مسلم (٩٦)، وأصله عند البخاري (٤٢٦٩).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٩).

(٧) في الآية رقم: (٦).

(٨) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٠٩).

﴿لَستَ مُؤمِنًا﴾، وإنّما قُلتَ هذا تقيّةً لنفسك ومالك. فتقتلوه ﴿تبتَغُونَ﴾: تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: متاعَها من الغنيمة - ﴿فعِندَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرةٌ﴾ تُغنيكم عن قتل مِثله لماله. ﴿كَذلِكَ كُنتُم مِن قَبلُ﴾، تُعصم دِماؤكم وأموالكم بمجرّد قولكم الشهادة، ﴿فمَنَّ اللهُ علَيكُم﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة - ﴿فتبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم. ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازيكم به.

٩٥ - ﴿لا يَستَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ عنِ الجِهاد ﴿غَيرُ أولِي الضَّرَرِ﴾ - بالرفع صفةً والنصبِ استثناءً - من زمانةٍ أو عمًى أو نحوه ﴿والمُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم. فَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم علَى القاعِدِينَ﴾ لضررٍ ﴿دَرَجةً﴾:........

قولُه: (فتَقتلُوهُ) عطفٌ على ﴿تَقُولُوا﴾،و﴿تَبْتَغُونَ﴾ حالٌ مِن ضميرِه.

قولُه: (متَاعَهَا) الَّذي هو سرِيعُ الفَناءِ.

قولُه: (الشَّهادَةَ) أوّلَ ما دخَلتُمْ في الإسلامِ.

قولُه: (والاستِقَامةِ) في الدِّينِ.

قولُه: (مؤمِناً) فإنَّ إبقاءَ ألفِ كافِرٍ أهوَنُ عندَ اللهِ مِن قتْلِ مسلمٍ، وتكريرُهُ لتأكيدِ تعظِيمِ الأمرِ، وترتيبِ الحُكمِ على ما ذكرَ مِن حالِهِم.

قولُه: (عنِ الجِهَادِ) حقُّهُ تقدِيمُه على ﴿المؤمنينَ﴾ فإنَّهُ متعلّقٌ بـ﴿القَاعِدُونَ﴾و﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ في موضعِ الحالِ مِن القاعِدينَ، أو مِن الضَّميرِ الَّذي فيه.

قولُه: (صِفةً) لـ﴿القَاعِدُونَ﴾ لأنَّهُ لم يُقصَدْ بِهِ قومٌ بأعيانِهِمْ فهو كالنَّكرةِ أو بدلٌ منه.

قولُه: (والنَّصبِ) نافعٌ وشاميٌّ وكسائيٌّ[1].

قولُه: (استِثْنَاءً) أو حالٌ.

قولُه: (لضَررٍ) يَعنِي: على التَّقييدِ السَّابقِ، وهو ﴿غيرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صرَّحَ بِهِ ابنُ عبَّاسٍ[2]، والحدِيثُ الصَّحيحُ يدلُّ عليهِ[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٥٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهو ما رواه البخاري (٢٨٣٢) عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ [النساء: ٩٥] =

فضيلة لاستوائهما في النيّة وزيادة المجاهدين بالمباشرة ـ ﴿وكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللهُ الحُسنَى﴾: الجنّةَ ـ ﴿وفَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ علَى القاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾، ويُبدل منه: ٩٦ ـ ﴿دَرَجاتٍ مِنهُ﴾: منازلَ بعضها فوق بعض من الكرامة، ﴿ومَغفِرةً ورَحْمةً﴾: منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

ونزل في جماعة أسلموا ولم يُهاجروا، فقُتلوا يوم بدر مع الكُفّار: ٩٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾ بالمُقام مع الكُفّار وترك الهجرة، ﴿قالُوا﴾ لهم مُوبّخين: ﴿فِيمَ كُنتُم﴾ أي: في أيّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قالُوا﴾ مُعتذرين: ﴿كُنّا مُستَضعَفِينَ﴾: عاجزين عن إقامة الدين ﴿في الأرضِ﴾: أرض مكّة. ﴿قالُوا﴾ لهم توبيخًا:...

قولُه:(فضِيلَةً) و﴿دَرَجَةً﴾ نصبَ بنزعِ الخافِضِ، أو على الحالِ؛ بمعنَى: ذوِي درَجةٍ؛ أي: بدرَجةٍ عظِيمةٍ تندَرجُ تحتَها الدَّرجاتُ؛ يعنِي: ليسَ المرادُ بالدَّرجةِ الواحِدةِ الواحدةَ بالعددِ بل بالجنسِ، والواحِدُ بالجنسِ يدخُلُ تحتَهُ الكثيرُ بالنَّوعِ، وذلك الأجرُ العظِيمُ والدَّرجَاتُ الرَّفيعةُ في الجنَّةِ.

قولُه: (مِنَ الفَرِيقَينِ) القاعِدِينَ بغيرِ عُذرٍ والمجاهِدِينَ، ونصبُ ﴿كُلًّا﴾ بأنَّهُ مفعولٌ أوَّلُ لـ﴿وَعَدَ﴾.

قولُه: (الجنَّةَ)لحسنِ عقِيدتِهِمْ وخلُوصِ نيّتِهِم، وإنَّما التَّفاوتُ في زيادةِ العملِ المقتضِي لمزيدِ الثَّوابِ.

قولُه: (ويُبدَلُ منهُ) أي: مِن ﴿أَجرًا عَظِيمًا﴾ سواءٌ نصبَ على المصدَرِ أو المفعُولِ الثَّاني.

قولُه: (منصُوبَانِ) قال البيضَاوِيُّ[1]: كلُّ واحِدٍ مِنَ الثَّلاثةِ بدلٌ مِن ﴿أَجْرًا﴾ يعنِي: بالعطفِ.

قولُه: (ولم يُهاجِرُوا) حينَ كانت الهِجرةُ واجِبةً أو ركنًا أو شَرطاً.

قالَ تعَالى: (﴿تَوَفَّاهُم﴾) يحتَمِلُ الماضيَ والمضارِعَ، ويؤيِّدُهُ تشدِيدُ البزِّيِّ[2].

وقولُه تعَالى:(﴿ظَالِمِي﴾) أي: في حالِ ظلمِهِمْ أنفسَهُم.

قولُه: (تَوبِيخاً) أو تكذِيباً.

= ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ [النساء: ٩٥]، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت – وكان رجلا أعمى – فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿غير أولي الضرر﴾ [النساء: ٩٥].

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٢).

(٢) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٥٢).

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللهِ واسِعةً، فتُهاجِرُوا فِيها﴾ من أرض الكُفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فأُولَئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، وساءَتْ مَصِيرًا﴾ هي! ٩٨ ـ ﴿إلاَّ المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ﴾ الذين ﴿لا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قُوّة لهم على الهجرة ولا نفقة، ﴿ولا يَهتَدُونَ سَبِيلاً﴾: طَرِيقًا إلى أرض الهجرة. ٩٩ ـ ﴿فأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أنْ يَعفُوَ عَنهُم. وكانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

١٠٠ ـ ﴿ومَن يُهاجِرْ في سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ في الأرضِ مُراغَمًا﴾: مُهاجَرًا ﴿كَثِيرًا وسَعةً﴾ في الرِّزق، ﴿ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ﴾ في الطريق كما وقع لجُندُعِ بنِ ضَمرةَ الليثيّ ﴿فقَد وَقَعَ﴾: ثَبَتَ ﴿أجرُهُ علَى اللهِ. وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

١٠١ ـ ﴿وإذا ضَرَبتُم﴾: سافرتم ﴿في الأرضِ فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ﴾ في ﴿أن تَقصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ بأن تردّوها من أربع إلى اثنتين، ﴿إنْ خِفتُم أنْ يَفتِنَكُمُ﴾ أي: ينالكم بمكروهٍ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.........

قولُه: (غيرُكُمْ) يعني: المهاجِرينَ إلى المدينةِ والحبشَةِ.

قولُه: (هيَ) أي: جهنَّمُ، أو مصيرُهُمْ، وفي الآيةِ دليلٌ على وجُوبِ الهِجرةِ مِن موضعٍ لا يتمكَّنُ الرَّجلُ فيه مِن إقامةِ دينِهِ.

قولُه: (الَّذِين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾) إشارةٌ إلى أنَّهُ صفةٌ لـ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ إذْ لا تعيينَ في الألفِ واللَّامِ، أو هو حالٌ عنهُ، أو عن المستكِنِّ فيهِ.

قولُه: (لا قوَّةَ لهُمْ) قال ابنُ عبَّاسٍ: كنتُ أنا وأُمِّي مِنَ المستضعَفِينَ. أخرجَهُ البُخاريُّ[1]، والاستِثناءُ منقَطعٌ لعَدمِ دخولِهِمْ في الموصُولِ وضميرِهِ والإشارةِ إليهِ.

قولُه: (طرِيقاً) الاهتِداءُ: معرِفةُ الطَّرِيقِ بنفسِهِ أو بدلِيلٍ.

قولُه: (في الرِّزقِ) وإظهارِ الدِّينِ أو في الصَّدرِ لتبدُّلِ الخوفِ بالأمنِ.

قولُه: (لجُنْدَعِ) بضمِّ الجيمِ وسكونِ النُّونِ وفتحِ الدَّالِ بعدَها مهملةٌ، حملَهُ بنُوهُ على سريرٍ متوجِّهاً إلى المدينةِ، فلمَّا بلغَ التَّنعيمَ أشرفَ على الموتِ، فصفَّقَ بيمينِهِ على شمالِهِ، ثمَّ قال: اللَّهمَّ هذهِ لكَ، وهذهِ لرسولِكَ أبايعُكَ على ما بايَعَ عليهِ رسولُكَ، فماتَ حميداً[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/ ٥٥٨).

وروى أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٧٢) (١١٧٠٩) بعضه عن ابن عباس، ووقع فيه أن اسمه: ضمرة بن جندب رضي الله عنهم.

بيانٌ للواقع إذ ذاك، فلا مَفهوم له. وبَيَّنَتِ السُّنّة أنّ المُراد بالسفرِ الطويلُ، وهو أربعة بُرُدٍ وهي مرحلتان. ويُؤخذ من قوله «فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ» أنه رُخصة لا واجب، وعليه الشافعيّ. ﴿إنَّ الكافِرِينَ كانُوا لَكُم عَدُوًّا مُبِينًا﴾: بيِّنَ العداوة.

١٠٢ ـ ﴿وإذا كُنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ حاضرًا ﴿فِيهِم﴾، وأنتم تخافون العدوّ، ﴿فأقَمتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾ ـ وهذا جَرْيٌ على عادة القُرآن في الخِطاب، فلا مفهوم له ـ ﴿فلْتَقُمْ طائفةٌ مِنهُم مَعَكَ﴾ وتتأخّرْ طائفة،

قولُه: (بيَانٌ للوَاقعِ) لا شرْطُ جوازِ القَصرِ، كما هو عندَ الخوارجِ[١].

قولُه: (مرحَلتَانِ) وعندَنا[٢]: المسافرُ مِن قصَدَ سَيراً وسطاً ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليهَا وفارقَ بيُوتَ بلدِهِ.

قولُه: (وعَليهِ الشَّافِعيُّ[٣]) كما هُو ظاهِرُ الآيةِ، وقلْنَا[٤]: القَصرُ عزيمةٌ؛ لقولِ عُمرَ: صلاةُ السَّفرِ ركعتَانِ تمامٌ غيرُ قصرٍ على لسَانِ نبيِّكُم ﷺ[٥]، وأمَّا الآيةُ فكأنَّهُم أَلِفُوا الإتمامَ وكانُوا مظنَّةً لأنْ يخطرَ ببالِهِمْ أنَّ عليهِم نقصاناً في السَّفرِ، فنفَى عنهم الجناحَ لتَطِيبَ أنفسُهُم بالقَصرِ ويطمئنُّوا إليهِ، كذا في «المداركِ»[٦].

قلتُ: ونظيرُه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

قولُه تعَالى: (﴿فَأَقَمْتَ﴾)أي: أردْتَ، أو أمَرْتَ بالإقامةِ.

قولُه: (فلا مَفهُومَ لهُ) وبظاهرِهِ تعلَّقَ أبو يوسُفَ[٧] فلا يَرى بعدَهُ عليه السَّلامُ، وقالا[٨]: الأئمَّةُ نُوَّابٌ عنهُ ﷺ في كلِّ عصرٍ، فكان الخطابُ له متناوِلاً لكلِّ إمامٍ؛ كقولِه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ودليلُهُ فعلُ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم بعدَهُ ﷺ، كذا في «المداركِ»[٩].

قولُه تعالى: (﴿طَائِفَةٌ﴾) أي: فَصلِّ بهِم.

قولُه: (وتتَأَخَّرْ) في «المداركِ»: وتقمْ طائِفةٌ تجاهَ العدوِّ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «الاختيار لتعليل المختار» (١/ ٧٩).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٢/ ٣٦٦).

(٤) انظر: «المبسوط» (١/ ٢٣٩).

(٥) رواه النسائي (١٤٢٠)، وابن ماجه (١٠٦٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٥٧).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٩٠).

(٧) انظر: «الجوهرة النيرة» (١/ ١٠٠).

(٨) أي: أبو حنيفة ومحمد بن الحسن.

(٩) انظر لهذا ولكل ما يأتي: «مدارك التنزيل» (١/ ٣٩١).

﴿وليأخذوا﴾ أي: الطائفةُ التي قامت معك ﴿أسلحتَهم﴾ معهم، ﴿فإذا سَجَدُوا﴾ أي: صلَّوا ﴿فلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفةُ الأُخرى ﴿مِن وَرائكُم﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهبَ هذه الطائفة تحرسُ، ﴿ولْتأْتِ طائفةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّوا فلْيُصَلُّوا مَعَكَ، ولْيأخُذُوا حِذْرَهُم وأسلِحتَهُم﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة. وقد فعل النبيّ ﷺ كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَغفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَن أسلِحتِكُم وأمتِعتِكُم، فيَمِيلُونَ علَيكُم مَيلةً واحِدةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم. وهذا عِلّة الأمر بأخذ السلاح.

﴿ولا جُناحَ علَيكُم، إنْ كَانَ بِكُم أذًى مِن مَطَرٍ أو كُنتُم مَرضَى، أنْ تَضَعُوا أسلِحتَكُم﴾ فلا تحملوها ـ وهذا يُفيد إيجاب حملها عند عدم العُذر، وهو أحد قولَيِ الشافعيّ، والثاني أنّه سُنّة ورُجِّحَ ـ........

قولُه: (قامَتْ مَعكَ) في «المداركِ»: أي: الَّذين تجاهَ العدوِّ، وإنْ كانَ المرادُ بها المصلِّينَ، فقالُوا: يأخُذُونَ مِن السِّلاحِ شيئاً لا يشغلُهُم عن الصَّلاةِ كالسَّيفِ والخنجرِ ونحوِهما.

قولُه: (صَلَّوا) في «المداركِ»: أي: قيَّدوا ركعتَهُم بسجدَتَينِ؛ يعنِي: إنْ كانَ مسافراً والصَّلاةُ ثنائيَّةٌ، أمَّا إنْ كانَ مُقِيماً والصَّلاةُ رباعيَّةٌ فمَعناهُ: صلَّوا ركعَتَينِ، وكذا في المغربِ.

قولُه: (أي: الطَّائفةُ الأُخرَى) وفي «المداركِ»: إذا صلَّتْ هذه الطَّائفةُ الَّتي معكَ ركعَةً فليرجِعُوا ليقِفُوا بإزاءِ العدوِّ.

قولُه: (﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾) في «المداركِ»: أي: ولتحضُرِ الطَّائفةُ الواقِفةُ بإزاءِ العَدوِّ، فليُصَلُّوا معكَ الرَّكعةَ الثَّانيةَ، انتهى.

أو الرَّكعتَينِ، ويسلِّمُ وحدَهُ، وذهبَتْ هذه الطَّائفةُ إلى العدوِّ وجاءَتِ الأُولَى ائتمَّتْ بلا قراءَةٍ، ثمَّ الأُخرَى بقرَاءَةٍ، وإنْ زادَ الخَوفُ صلَّوا رُكباناً فُرادَى بإيماءٍ إلى ما شَاؤُوا إن عجزُوا عن التَّوجُّهِ ويُفسِدُها القتالُ والمشيُ والرُّكوبُ، كذا ذكرَهُ صدرُ الشَّريعةِ[1].

قولُه تعَالى: (﴿حِذْرَهُمْ﴾) كالدِّرعِ.

قوله: (ورُجِّحَ) وعندَنَا مستَحبٌّ، كذا في «المداركِ»[2].

---

(١) وانظر: «فتح باب العناية بشرح النقاية» للقاري (١/ ٤٦٦ ـ ٤٧٠).

فائدة: صدر الشريعة: لقب شمس الدين أحمد بن جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم المحبوبي، وهو صدر الشريعة الأول، وأما شارح «الوقاية» فهو: صدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة، وصاحب «الوقاية» محمود ابن صدر الشريعة الأول أحمد وهو الصحيح. انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (٥/ ٨٦).

(٢) انظر «مدارك التنزيل» (١/ ٣٩١).

﴿وخُذُوا حِذْرَكُم﴾ من العدوّ أي: احترزوا منه ما استطعتم ـ ﴿إنَّ اللهَ أعَدَّ لِلكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا﴾: ذا إهانة ـ ١٠٣ ـ ﴿فإذا قَضَيتُمُ الصَّلاةَ﴾: فرَغتم منها ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِكُم﴾: مضطجعين، أي: في كُلّ حال، ﴿فإذا اطْمأنَنتُم﴾: أمِنتم ﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾: أدُّوها بحُقوقها. ﴿إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ علَى المُؤمِنِينَ كِتابًا﴾: مكتوبًا أي: مفروضًا ﴿مَوقُوتًا﴾ أي: مُقدّرًا وقتها، فلا تُؤخَّرُ عنه.

ونزل لَمّا بَعثَ النبيُّ ﷺ طائفة في طلب أبي سُفيانَ وأصحابِه، لمّا رَجعوا من أُحُد فشكَوْا الجراحاتِ: ١٠٤ ـ ﴿ولا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا ﴿في ابتِغاءِ﴾: طلبِ ﴿القَومِ﴾ الكُفّارِ لتُقاتلوهم. ﴿إنْ تَكُونُوا تألَمُونَ﴾: تجدون ألم الجِراح ﴿فإنَّهُم يألَمُونَ كَما تألَمُونَ﴾ أي: مِثلَكم، فلا تَجبُنوا عن قتالهم، ﴿وتَرجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿ما لا يَرجُونَ﴾ هم. فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه. ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بكُلّ شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه.

وسرقَ طُعمةُ بنُ أُبَيرِقَ دِرعًا وخَبَأها عند يهوديّ، فوُجدت عنده، فرماه طُعمةُ بها وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومُه النبيَّ أن يُجادل عنه ويُبرّئه، فنزل: ١٠٥ ـ ﴿إنّا أنزَلْنا إلَيكَ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿بِالحَقِّ﴾ متعلّق بـ «أنزل» ﴿لِتَحكُمَ بَينَ النّاسِ بِما أراكَ﴾:........................

قولُه: (ولا يجبُنُوا عن قتَالِكُمْ) الصَّوابُ: ولا يجبُنُونَ، بإثباتِ النُّونِ، وفي نسخةٍ: «ولا تجبُنوا عن قتالِهم» بالنَّهي، لكنَّهُ غيرُ ظاهرٍ في الأثناء.

قولُه: (طُعمَةُ) روايةُ الصَّغانيِّ[1] بفتحِ الطَّاءِ ورُوي بكسرِها، كذا في «كشفِ الكشَّافِ»[2].

قولُه: (أُبَيرِقٍ) بمضمُومةٍ ومفتُوحةٍ وسكونِ تحتيَّةٍ وكسرِ راءٍ فقافٍ، كذا في «المغني»[3].

قولُه: (ويُبرِّئهُ) في البيضاوِيِّ[4]: فهمَّ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يفعلَ.

قولُه: (متَعلِّقٌ بأنزَلَ) أو حالٌ مِنَ ﴿الكتابَ﴾ أي: متلبِّساً بالصِّدقِ.

---

(١) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي، رضي الدين، أبو الفضائل، الصاغاني الأصل، الهندي، اللهوري المولد، البغدادي الوفاة، المكي المدفن، الفقيه، الحنفي، صاحب التصانيف ومنها «مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين» (ت: ٦٥٠هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (٥/ ١٤٧).

(٣) انظر: «المغني في ضبط الأسماء لرواة الأنباء» للفتني (ص: ٣١).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٥).

علّمك ﴿اللهُ﴾ فيه، ﴿ولا تكُنْ لِلخائنِينَ﴾ كطُعمةَ ﴿خَصِيمًا﴾: مُخاصمًا عنهم، ١٠٦ ـ ﴿واستَغفِرِ اللهَ﴾ مِمّا هممتَ به. ﴿إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

١٠٧ ـ ﴿ولا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَختانُونَ أنفُسَهُم﴾: يخونونها بالمعاصي لأنّ وبال خِيانتهم عليهم. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ خَوّانًا﴾: كثير الخيانة ﴿أثِيمًا﴾ أي: يُعاقبه. ١٠٨ ـ ﴿يَستَخفُونَ﴾ أي: طُعمةُ وقومه حياءً ﴿مِنَ النّاسِ، ولا يَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وهُوَ مَعَهُم﴾ بعِلمه، ﴿إذ يُبَيِّتُونَ﴾: يُضمِرون ﴿ما لا يَرضَى مِنَ القَولِ﴾ من عزمهم على الحَلِف على نفيِ السرقة ورميِ اليهوديّ بها. ﴿وكانَ اللهُ بِما يَعمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عِلمًا.

١٠٩ ـ ﴿ها أنتُم﴾ يا ﴿هؤُلاءِ﴾: خِطابٌ لقوم طُعمةَ، ﴿جادَلتُم﴾: خاصمتم ﴿عَنهُم﴾ أي: عن طُعمة وذَوِيه ـ وقُرئ: «عَنهُ» ـ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا. فمَن يُجادِلُ اللهَ عَنهُم يَومَ القِيامةِ﴾ إذا عذّبهم؟ ﴿أم مَن يَكُونُ علَيهِم وَكِيلاً﴾: يتولّى أمرهم ويذُبّ عنهم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك.

١١٠ ـ ﴿ومَن يَعمَلْ سُوءًا﴾: ذنبًا يسوءُ به غيره كرميِ طُعمةَ اليهوديَّ ﴿أو يَظلِمْ نَفسَهُ﴾:.........

قولُه: (علَّمَكَ) أي: عرَّفَكَ وأوحَى بِهِ إليكَ، وليسَ مِنَ الرُّؤيةِ؛ بمعنَى: العِلمِ وإلَّا لاستدْعَى ثلاثةَ مفاعِيلَ، قيلَ: بل بمعنَى: الإبصارِ فإنَّ له مفعُولَينِ: أحدُهُما: الكافُ، والآخرُ: العائدُ المحذُوفُ، وهو عائدُ الموصُولِ.

قولُه: (عنهُمْ) قالَ البيضاويُّ[1]: في قولِه: ﴿للخَائِنِينَ﴾ أي: لأجلِهِم والذَّبِّ عنهُم؛ يعنِي: أنَّ اللَّامَ ليسَ صلةَ ﴿خَصِيمًا﴾.

قولُه: (أي: يَخُونونَهَا) ولفظُ التَّنزيلِ أبلغُ، والضَّميرُ لـ«طعمَةَ» وأمثالِهِ، أو له ولقومِهِ، فإنَّهُم شارَكُوهُ في الإثمِ حينَ شهِدُوا على براءتِهِ وخاصَمُوا عنهُ، أو لا تجادِلْ عن كلِّ مَن خانَ، وهَذا أظهَرُ؛ يعنِي: أنَّ النَّهيَ الثَّاني عامٌّ لا يختصُّ بقصَّةٍ دونَ قصَّةٍ فلا تكرارَ.

قولُه: (كثِيرَ الخِيَانةِ) أو ذا خيانةٍ وإثمٍ، قالَ في «الكشَّافِ»[2]: فإنْ قلتَ: لمَ قيلَ: ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ على المبالغةِ؟ قلتُ: كانَ اللهُ عالِماً مِن «طعمةَ» بالإفرَاطِ في الخيَانةِ ورُكُوبِ المآثِمِ، وقيل: إذا عثَرتَ مِن رجلٍ على سيِّئةٍ فاعلَمْ أنَّ لها أخواتٍ؛ يعنِي: أنَّ اللهَ يستُرُ أوائلَ العَثَراتِ.

قولُه: (يعَاقِبُهُ) تفسيرٌ لقولِه: ﴿لَا يُحِبُّ﴾.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٥٦٢).

بعمل ذنب قاصر عليه، ﴿ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ﴾ منه أي: يتُبْ، ﴿يَجِدِ اللهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به، ١١١ ـ ﴿وَمَن يَكسِبْ إثمًا﴾: ذنبًا ﴿فإنَّما يَكسِبُهُ علَى نَفسِهِ﴾ لأنّ وباله عليها ولا يضرّ غيره ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صُنعه ـ ١١٢ ـ ﴿ومَن يَكسِبْ خَطِيئةً﴾: ذنبًا صغيرًا ﴿أو إثمًا﴾: ذنبًا كبيرًا، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه، ﴿فقَدِ احتَمَلَ﴾: تحمّلَ ﴿بُهتانًا﴾ برَميِه ﴿وإثمًا مُبِينًا﴾: بيّنًا بكسبه.

١١٣ ـ ﴿ولولا فَضلُ اللهِ علَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿ورَحْمتُهُ﴾ بالعِصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾: أضمرتْ ﴿طائفةٌ مِنهُم﴾: من قوم طُعمةَ ﴿أنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقّ بتلبيسهم عليك، ....

قولُه: (بعمَلِ ذَنبٍ) أي: بما يختصُّ بِهِ ولا يتعدَّاهُ، وقيل: المرادُ بالسُّوءِ ما دونَ الشِّركِ وبالظُّلمِ الشِّركُ، وقيل: الكَبِيرةُ والصَّغيرةُ.

قولُه: (في صُنْعِهِ) ومجازاتِهِ.

قولُه: (صَغِيراً) أو ما لا عمْدَ فيهِ.

قولُه: (كَبِيراً) أي: ما كانَ عن عمدٍ، وقيل: الخَطِيئةُ تكُونُ عن عمدٍ وغيرِ عمدٍ، والإثمُ لا يكُونُ إلَّا عن عمدٍ[١]، وقيل: الخَطِيئةُ ما بينَهُ وبينَ اللهِ والإثمُ ما بينَهُ وبينَ النَّاسِ.

قولُه: (مِنهُ) وحَّدَ الضَّميرَ لمكَانِ ﴿أو﴾، أو المرادُ أحدُهُما.

قولُه: (برَميِهِ) أي: بسببِ رمْيِ البَرِيءِ، وتبرئةِ النَّفسِ الخاطئةِ، ولذلكَ سوَّى بينهُما في الجزاءِ وإنْ كانَ مقترِفاً أحدَهمَا دونَ الآخرِ.

قولُه: (يا محمَّدُ) وقعَ سهوٌ في البيضاويِّ هنا حيثُ توهَّمَ أنَّ في الآيةِ «عليكُمْ» فقالَ: والضَّميرُ للرَّسُولِ والجمعُ للتَّعظيمِ أو له ولأُمَّتِهِ...إلخ[٢].

قولُه: (عَنِ القَضَاءِ بالحَقِّ) معَ علمِهِم بالحالِ، والجملةُ جوابُ ﴿لولا﴾ وليسَ القصْدُ إلى نفيِ همِّهِمْ بل إلى نفيِ تأثيرِه فيهِ، كذا قالهُ البيضاويُّ[٣]؛ يعني: مقتَضَى كلمَةِ ﴿لولا﴾ انتفاءُ الهمِّ لوجُودِ الفَضلِ وقد همُّوا، وحاصلُهُ: لولا فضلُ اللهِ عليكَ لأضلُّوكَ؛ إذ همُّوا وأنتَ غير مطَّلعٍ على حقيقةِ الحالِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٩٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٦) ولكن سقطت منه العبارة وهي موجودة بنسخ دون أخرى، كما نبه لذلك الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٣/ ١٧٥) حيث قال: «كذا وقع في نسخ، وهو سهو؛ لأنه إنما يتوجه لو كان النظم عليكم، وليس كذلك، ولذا وقع في بعضها إسقاطه برمته».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٦).

﴿وما يُضِلُّونَ إلاّ أنفُسَهُم، وما يَضُرُّونَكَ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ لأنّ وبال إضلالهم عليهم! ﴿وأنزَلَ اللهُ عليكَ الكِتابَ﴾ القُرآنَ ﴿والحِكْمةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿وعَلَّمَكَ ما لَم تَكُنْ تَعلَمُ﴾ من الأحكام والغيب، ﴿وكانَ فَضلُ اللهِ علَيكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

١١٤ ـ ﴿لا خَيرَ في كَثِيرٍ مِن نَجْواهُم﴾ أيِ: الناسِ، أي: ما يتناجَون فيه ويتحدّثون، ﴿إلاّ﴾ نجوَى ﴿مَن أمَرَ بِصَدَقةٍ أو مَعرُوفٍ﴾: عملِ بِرّ ﴿أو إصلاحٍ بَينَ النّاسِ، ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ المذكورَ ﴿ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿مَرضاةِ اللهِ﴾ لا غيرِه من أُمور الدُّنيا ﴿فسَوفَ نُؤتِيهِ﴾ ـ بالنون والياءِ أيِ: اللهُ ـ ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾.

١١٥ ـ ﴿ومَن يُشاقِقِ﴾: يُخالفِ ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحقّ ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى﴾: ظهرَ له الحقّ بالمُعجزات،..

قولُه: (لأنَّ وبَالَ) ناظرٌ إلى قولِهِ: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ وقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ فإنَّ اللهَ عصَمَكَ، وأمَّا ما خطرَ ببالِكَ فكانَ اعتِماداً منكَ على ظاهرِ الأمرِ لا مَيلاً في الحُكمِ و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مفعُولٌ مطلقٌ.

قولُه: (زائِدةٌ) لتأكِيدِ الاستِغراقِ.

قولُه: (والغَيبِ) أي: قبلَ نزُولِ ذلك.

قولُه: (بذلِكَ وغيرِهِ) إذ لا فضلَ أعظَمُ منَ النُّبوَّةِ، ولا نبوَّةَ أعظمُ مِن نبوَّتهِ ﷺ.

قولُه: (أي: مَا يتَنَاجَونَ) فالنَّجوَى سرٌّ بينَ الاثنينِ؛ بمعنَى: التَّناجِي، فقولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ بحذفِ مضافٍ كما قدَّرَهُ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فالفاعِلُ للنَّجوَى بطريقِ الأولَى، والاستِثناءُ بدلٌ مِن ﴿كَثِيرٍ﴾ أو مِن متناجِيهِم فلا يحتاجُ إلى تقدِيرِ مضافٍ لصحَّةِ الاستِثناءِ.

قولُه: (عَملِ برٍّ) كقَرضٍ وإغاثةِ ملهُوفٍ وصَدقَةِ تطوُّعٍ، فهو تَعمِيمٌ ليَشملَهَا وغيرَها.

وقولُه تعالى: (﴿أَوْ إِصْلَاحٍ﴾) أي: إصلاحِ ذاتِ بَينٍ؛ يعنِي: الأحوالَ الَّتي كانت بينهُمْ وإصلاحُهَا بالتَّعهُّدِ والتَّفقُّدِ وهو تخصِيصٌ لشَرفِه.

قولُه: (المَذكُورَ) أي: مِنَ الأشياءِ العامَّةِ.

قولُه: (والياءِ) الغيبةُ للبصريِّ وحمزةَ[1].

قولُه: (يخَالِف) مِن الشِّقِّ، فإنَّ كلًّا مِن المتخالِفينَ في شقٍّ غيرِ الشِّقِّ الآخرِ، أو مِنَ المشقَّةِ فإنَّ كلًّا منهُمَا يريدُ مشقَّةَ غيرِه بالمخالَفةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١١).

﴿ويَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ﴾ أي: طريقِهم الذي هم عليه من الدِّين بأن يكفر، ﴿نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى﴾: نجعلْه واليًا لِما تولاّه من الضلال بأن نُخلّي بينه وبينه في الدُّنيا، ﴿ونُصْلِهِ﴾: نُدخِلْه في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ ليحترق فيها، ﴿وساءَتْ مَصِيرًا﴾: مَرجِعًا هي! ١١٦ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ بِهِ، ويَغفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ، ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ.

١١٧ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يَعبدُ المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿إلاّ إناثًا﴾: أصنامًا مُؤنّثة كاللاّتِ والعُزّى ومَناةَ، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿يَدعُونَ﴾: يَعبدون بِعبادتها ﴿إلاّ شَيطانًا مَرِيدًا﴾: خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها ـ وهو إبليسُ ـ ١١٨ ـ ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾: أَبعده عن رحمته، ﴿وقالَ﴾ أيِ: الشيطانُ: ﴿لأَتَّخِذَنَّ﴾: لَأجعلنّ لي ﴿مِن عِبادِكَ نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مَفرُوضًا﴾:.........

قولُه: (بأنْ يكفُرَ) أو يفسُقَ.

قولُه: (وبَينَهُ) أي: بينَ ما اختارَهُ مِنَ الضَّلالِ.

قولُه: (ليَحترِقَ) والآيةُ تدلُّ على حرمَةِ مخالفَةِ الإجماعِ.

وقولُه تعالى: (﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ﴾) الآيَةَ كرَّرَهُ للتَّأكيدِ أو لقصَّةِ طعمَةَ، فقيل: إنَّهُ ماتَ مُشرِكاً.

قولُه: (عنِ الحَقِّ) فإنَّ الشِّركَ أعظمُ أنواعِ الضَّلالةِ وأبعدُها عن الصَّوابِ والاستِقامةِ، وإنَّما ذكرَ في الآيةِ الأولى ﴿فقدِ افترَى﴾ لأنَّها متَّصلةٌ بقصَّةِ أهلِ الكتابِ، ومنشَأُ شركِهِم نوعُ افتراءٍ، وهو دَعوَى التَّمنِّي على اللهِ سبحانَهُ وتعالى.

قولُه: (مؤنَّثةً) أي: مؤنَّثةَ الأسماءِ، وقيل: المرادُ الملائكةُ، لقولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، أو لأنَّ الإناثَ كلُّ شيءٍ ميِّتٍ لا روحَ فيهِ مِنْ شَجرٍ أو حجرٍ أو نَجمٍ[1].

قولُه: (خارِجاً) أي: بالكلِّيَّةِ.

قولُه: (عنِ الطَّاعَةِ) أي: طاعةِ اللهِ.

قولُه: (لطَاعتِهِم) متعلِّقٌ بـ﴿يَدْعُونَ﴾.

قولُه: (فيهَا) أي: في عبادتِهَا.

قولُه: (وهُو إبلِيسُ) لأنَّهُ الَّذي أمرَهُم بعبادَتِهَا وأغوَاهُم عليها، فكأنَّ طاعتَهُ في ذلك عبادةٌ له.

قولُه: (أبعَدَهُ) صفةٌ ثانيةٌ للشَّيطانِ.

---

(١) جاء بنحوه عن الحسن، رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٤٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٩٧٢).

مقطوعًا، أدعوهم إلى طاعتي، ١١٩ ـ ﴿ولَأُضِلَّنَّهُم﴾ عنِ الحقّ بالوسوسة، ﴿ولَأُمَنِّيَنَّهُم﴾: أُلقي في قُلوبهم طُول الحياة وأنْ لا بعثَ ولا حِساب، ﴿ولَآمُرَنَّهُم فلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يُقطِّعُنّ ﴿آذانَ الأنعامِ﴾ ـ وقد فُعل ذلك بالبحائر ـ ﴿ولَآمُرَنَّهُم فلَيُغَيِّرُنَّ خَلقَ اللهِ﴾: دِينَه بالكُفر وإحلال ما حرَّم وتحريم ما أحل.

قولُه: (مَقطُوعاً) أو معيَّناً معلُوماً، قال مقاتلُ بنُ حيَّانَ[١]: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعُمئةٍ [وتسعة] وتسعُونَ إلى النَّارِ وواحِدٌ إلى الجنَّةِ[٢].

قولُه: (طُولَ الحيَاةِ) معَ التَّسويفِ والتَّأخيرِ، ومنَ الأمَانِي البَاطِلةِ إدرَاكُ الآخِرةِ معَ المعَاصِي.

قالَ تعَالى: (﴿ولآمُرَنَّهم﴾) بالتَّبتِيكِ، وحُذِفَ لدلالةِ ما بعدَهُ عليهِ.

قولُه: (يقطِّعُنَّ) ويشقِّقْنَ.

قولُه: (بالبَحائرِ) والسَّوائبِ.

قولُه تعالى: (﴿ولآمُرَنَّهم﴾) بالتَّغييرِ.

قولُه: (دينَهُ) فـ﴿خلقَ اللهِ﴾ بمَعنَى: فطرَةِ اللهِ، قال اللهُ تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] أي: لدِينِه، قال البيضاويُّ[٣]: ﴿فليغيِّرُنَّ خلْقَ اللهِ﴾ عن وجهِه صُورةً أو صفةً، فالخلقُ؛ بمعنَى: المخلُوقِ، قال: ويندَرِجُ فيهِ ما قيلَ مِنْ فقءِ[٤] الحامِي، وخصاءِ العبيدِ، والوَشمِ، والوَشرِ، واللِّواطِ، والسَّحْقِ، وعبادةِ الشَّمسِ والقمرِ، ونحوِ ذلك، وتغييرُ فطرَةِ اللهِ الَّتي هي الإسلامُ، واستِعمالُ الجَوارحِ والقُوى فيما لا يعودُ على النَّفسِ بكمالٍ، ولا يُوجِبُ لها مِنَ اللهِ زُلفَى، وعمُومُ اللَّفظِ يمنعُ الخصاءَ مطلقاً، لكنَّ الفقهاءَ رخَّصُوا في خصاءِ البَهائمِ للحاجَةِ، والجُملُ الأربعُ حكايةٌ عمَّا ذكرَهُ الشَّيطانُ نُطقاً أو أتاهُ فعلاً، انتهى.

التَّفسيرُ بالخصاءِ مرويٌّ عن كثيرٍ مِنَ السَّلفِ[٥]، وبدِيْنِ اللهِ لمجَاهِدٍ وغيرِهِ[٦]، والأولَى التَّعميمُ، ....

---

(١) هو مقاتل بن حيان بن دوال دور الإمام، العالم، المحدث، الثقة، أبو بسطام النبطي، البلخي، له حديث في «صحيح مسلم» وفاته في حدود (١٥٠ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٤٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٩٨١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٨).

(٤) في (م) و(ص) و(د): «عقر» وهو تصحيف، وعبارة البيضاوي: «فقء عين الحامي».

الفقء: القلع، والحامي: هو الفحل الذي طال مكثه عندهم، فإذا لقي ولد ولده حُمي ظهره فلا يُركب، ولا يُجز وبره، ولا يمنع من مرعى. «فتوح الغيب» (٥/ ١٦٢).

(٥) منهم ابن عباس رضي الله عنهما.

رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٩٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٧٩٦).

(٦) وغير مجاهد: ابن عباس، وإبراهيم، وقتادة، وغيرهم، رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢١٨ ـ ٢٢٠).

﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيطانَ وَلِيًّا﴾ يتولاّه ويُطيعه ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿فقَد خَسِرَ خُسرانًا مُبِينًا﴾: بَيِّنًا لمصيره إلى النار المُؤبّدة عليه. ١٢٠ ـ ﴿يَعِدُهُم﴾ طُولَ العمر، ﴿ويُمَنِّيهِم﴾ نَيلَ الآمال في الدُّنيا وأنْ لا بعثَ ولا جزاء، ﴿وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ﴾ بذلك ﴿إلاّ غُرُورًا﴾: باطلاً. ١٢١ ـ ﴿أُولئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، ولا يَجِدُونَ عَنها مَحِيصًا﴾: مَعدِلاً. ١٢٢ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ أي: وعَدَهم اللهُ ذلك وحَقَّه حقًّا. ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾: قولاً؟

ونزل لمّا افتخر المسلمون وأهل الكتاب: ١٢٣ ـ ﴿لَيسَ﴾ الأمر مَنوطًا ﴿بِأمانِيِّكُم ولا أمانيِّ أهلِ الكِتابِ﴾، بل بالعمل الصالح..

ولذا قيل: إنَّما ذلك مِنَ المفسِّرينَ على جهةِ التَّمثيلِ لا الحَصرِ.

قولُه: (ويطِيعُهُ) بإيثارِ ما يدعُوهُ إليهِ على ما أمرَهُ اللهُ به، ومجاوزتِهِ عن طاعةِ اللهِ إلى طاعتِهِ.

قولُه: (لمَصِيرِهِ) إذا ضيَّعَ رأسَ مالِهِ وبدَّلَ مكانَهُ منَ الجنَّةِ بمكانِهِ مِنَ النَّارِ.

قولُه: (طُولَ العُمرِ) وما لا يُنجَزُ، وهذا الوَعدُ إمَّا بالخواطرِ الفاسدةِ أو بلسانِ أوليائهِ.

قولُه: (نيلَ الأمَانِي) أي: ما لا ينالُونَ.

قولُه: (باطِلاً) وهو إيهامُ النَّفعِ فيما فيه الضُّرُّ.

قولُه: (مَعْدِلاً) ومَهرَباً و﴿عَنهَا﴾ حالٌ منه.

قولُه: (وحقَّهُ حقًّا) فالأوَّلُ مؤكِّدٌ لنفسِهِ؛ لأنَّ مضمُونَ الجُملَةِ الاسميَّةِ الَّتي قبلَهُ وعدٌ، والثَّانِي مؤكِّدٌ لغيرِهِ؛ لأنَّه مِن حيثُ إنَّهُ خبرٌ يحتملُ غيرَ الحقِّ، فيكُونُ ﴿حقًّا﴾ تأكِيداً لغيرِهِ؛ أي: لأجلِ دفعِ الغيرِ، وهو الباطِلُ، وفاعلُ «حقَّ» مضمُونُ الجملَةِ الخبريَّةِ.

قولُه: (قَولاً) تمييزٌ؛ أي: وَعْداً ووَعِيداً، والجُملةُ مؤكِّدةٌ بليغةٌ.

قولُه: (﴿ليسَ﴾ الأمرُ) أي: أمرُ الدِّينِ، أو أمرُ الثَّوابِ الَّذي وعدَهُ اللهُ بأمانيِّكُم أيُّها المسلمُونَ.

قولُه: (بل بالعَمَلِ الصَّالحِ) الأظهَرُ: بالإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، وقيل: ليسَ الإيمانُ بالتَّمنِّي، ولكنْ ما وقَرَ في القلبِ وصدَّقَهُ العَمَلُ، رُوِي عنِ ابنِ عبَّاسٍ وقتادةَ وغيرِهمَا أنَّ المسلمِينَ وأهلَ الكتابِ افتخرُوا فقالَ أهلُ الكتابِ: نبيُّنَا قبلَ نبيِّكُم، وكتابُنَا قبلَ كتابكُم، ونحنُ أولى باللهِ منكُم، وقال المسلمونَ: نحنُ أولى منكُم نبيُّنا خاتَمُ النَّبيِّينَ، وكتابُنا يَقضِي على الكتبِ المتقدِّمةِ، فنزلَتْ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٤٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه برقم: (١٠٤٩٣) عن قتادة.

﴿مَن يَعمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ إمّا في الآخرة أو في الدُّنيا بالبلاء والمِحن كما ورد في الحديث، ﴿ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظُه ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يمنعه منه، ١٢٤ ـ ﴿ومَن يَعمَلْ﴾ شيئًا ﴿مِنَ الصَّالِحاتِ مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فأُولئِكَ يُدخَلُونَ﴾ ـ بالبناءِ للمفعول والفاعلِ ـ ﴿الجَنَّةَ ولا يُظلَمُونَ نَقِيرًا﴾: قدْرَ نُقرةِ النواة.

١٢٥ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أحسَنُ دِينًا مِمَّن أسلَمَ وَجهَهُ﴾ أي: انقاد..................

وقيل: الخطَابُ معَ المشركِينَ، ويدلُّ عليه تقدُّمُ ذكرِهِم؛ أي: ليسَ الأمرُ بأمانيِّ المشركِينَ، وهو قولُهُم: لا جنَّةَ ولا نارَ، ولا أمانيِّ أهلِ الكتابِ، وهو قولُهُم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١]، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ وقال: ﴿مَنْ يعملْ...﴾ إلخ.

قولُه: (كمَا وردَ في الحَدِيثِ) روى أحمدُ وابنُ حبَّانَ: أنَّه لَمَّا نزلَ قالَ أبو بكرٍ: فمَنْ ينجُو معَ هذا يا رسُولَ اللهِ؟ فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «غفرَ اللهُ لكَ يا أبا بَكرٍ، ألسْتَ تحزَنُ؟ ألسْتَ تنصَبُ؟ ألسْتَ تمرضُ؟ ألسْتَ تصيبُكَ اللَّأواءُ؟» يعنِي: الشِّدَّةَ، قال: بلى يا رسُولَ اللهِ، قال: «فهوَ ما يجزَونَ بِهِ»(١).

وقد صحَّ: «المصائِبُ والأمرَاضُ في الدُّنيا جزاءٌ» رواهُ التِّرمذيُّ وابنُ جرِيرٍ(٢).

قال تعالى: (﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾) أي: لنفسِهِ، إذا جاوزَ موَالاةَ اللهِ ونصرتَهُ.

قولُه: (شَيئاً) فـ﴿مَن﴾ للتَّبيينِ أو بعضُهَا فـ﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، فإنَّ كلَّ أحدٍ لا يتمكَّنُ مِنْ كلِّها وليسَ مكلَّفاً بهَا ﴿لا يكلِّفُ اللهُ نفساً إلَّا وسعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقولُه تعالى: (﴿مِنْ ذَكَرٍ﴾) لتَبيِينِ الإبهامِ في ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾ فيكونُ الظَّرفُ حالاً منَ الضَّميرِ في ﴿يَعْمَلْ﴾.

وقولُه تعالى: (﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾) حالٌ شُرِطَ للجزَاءِ المرتَّبِ.

قولُه: (للمَفعُولِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وشعبةُ(٣).

قولُه: (النَّواةِ) أي: ظهرِها.

قولُه: (أي: انقَادَ) وقيل: بذلَ وجهَهُ له في السُّجودِ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٢٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٠٥٢٩) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، واللفظ أقرب للطبري، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضاً.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٧، ٢٣٨).

وأخلص عمله ﴿لِلهِ، وهُوَ مُحسِنٌ﴾: مُوحّد، ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهِيمَ﴾ المُوافقةَ لمِلَّة الإسلام ﴿حَنيفًا﴾؟ حالٌ، أي: مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدِّين القيِّم ـ ﴿واتَّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً﴾: صفيًّا خالص المحبّة له ـ ١٢٦ ـ ﴿ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطًا﴾ عِلمًا وقُدرة، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

١٢٧ ـ ﴿ويَستَفتُونَكَ﴾: يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأنِ ﴿النِّساءِ﴾ وميراثهنّ. ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللهُ يُفتِيكُم فِيهِنَّ وما يُتلَى علَيكُم في الكِتابِ﴾: القرآن من آية المِيراث يُفتيكم أيضًا ﴿في يَتامَى النِّساءِ اللاّتِي لا تُؤتُونَهُنَّ ما كُتِبَ﴾: فُرض ﴿لَهُنَّ﴾ منَ المِيراث، ﴿وتَرغَبُونَ﴾ ـ أيّها الأولياءُ ـ عن ﴿أنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لِدَمامتهنّ، ....

قولُه: (عملَهُ) أو نفسَهُ، أو قصدَهُ، أو خضعَ في عبادَتِهِ.

قولُه: (موحِّدٌ) أو مؤمِنٌ، أو تابعٌ للشَّريعةِ، أو آتٍ بالحسَنَاتِ تاركٌ للسَّيئاتِ، والأَظهرُ: أنْ يقال: محسِنٌ في عقيدَتِهِ.

قولُه: (المُوافقةَ) المتَّفقَ على صحَّتِهَا.

قولُه: (حالٌ) مِنْ فاعلِ ﴿اتَّبَعَ﴾، أو الملَّةِ، أو ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

قولُه: (صفيًّا) اصطفَاهُ وخصَّهُ بكرامةٍ تشبهُ كرامَةَ الخليلِ عندَ خليلِهِ، أو صفيًّا خالصاً ليسَ في محبَّتِهِ خَللٌ، وإنَّما أعادَ ذكرَهُ ولم يضمَرْ تفخِيماً له.

قولُه: (وميرَاثِهِنَّ) تفسيرٌ، ولو اكتَفَى بِهِ وذكرَهُ أوَّلاً لكانَ أولَى.

قالَ تعالى: (﴿يُفتِيْكُمْ﴾) أي: يُبيِّنُ لكُم حكمَهُ فيهنَّ، والإفتاءُ: تبيينُ المبهَمِ مِنَ الواقِعةِ الحديثةِ.

قولُه: (مِنْ آيةِ) بيانُ ﴿ما﴾.

قولُه: (يفتيكُم أيضاً) فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿ما يُتْلَى﴾ عطفٌ على اسمِ اللهِ، أو ضميرِهِ المستكنِّ في ﴿يفتيكُم﴾ وساغَ للفصلِ، فيكُونُ الإفتاءُ مسنَداً إلى اللهِ وإلى ما في القُرآنِ مِن قولِهِ: ﴿يُوصِيْكُمُ اللهُ﴾ ونحوِهِ باعتبارَينِ مختلِفَينِ، ونظيرُه: أغناني زيدٌ وعطاؤُهُ، في أنَّ المسندَ إليهِ بالحقِيقَةِ شيءٌ واحدٌ هو المعطُوفُ عليه باعتِبارِ المعطُوفِ، لا في أنَّ المسندَ إليه هو المعطُوفُ وأنَّ المعطُوفَ عليهِ مجرَّدُ التَّوطئةِ.

وقولُه تعالى:(﴿في يَتَامَى﴾) صلةٌ أُخرَى لـ﴿يفتيكُم﴾ على مَعنَى: اللهُ يفتِيكُم فيهنَّ بسببِ يتَامَى النِّساءِ.

قولُه: (مِنَ المِيرَاثِ) أو مِنْ صداقِهِنَّ؛ لاختلافِ سببِ النُّزولِ.

قولُه: (لدَمَامتِهِنَّ) بدالٍ مهملةٍ؛ أي: قبْحِ صُورَتِهنَّ، ومَن أعجمَ الدَّالَ فقد صحَّفَ وأعجمَ.

وتَعضُلوهنَّ أن يتزوّجن طمعًا في مِيراثهنّ، أي: يُفتيكم ألاّ تفعلوا ذلك، ﴿و﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الصِّغار ﴿مِنَ الوِلدانِ﴾ أن تُعطوهم حُقوقهم، ﴿و﴾ يأمُركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالقِسطِ﴾: بالعدل في المِيراث والمَهر. ﴿وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ كانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فيُجازيكم عليه.

١٢٨ ـ ﴿وإنِ امرأةٌ﴾: مرفوع بفعل يُفسِّره ﴿خافَتْ﴾: توقَّعتْ ﴿مِن بَعلِها﴾: زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفّعًا عليها بترك مُضاجعتها والتقصير في نفقتها لبُغضها وطُموح عينه إلى أجملَ منها، ﴿أو إعراضًا﴾ عنها بوجهه، ﴿فلا جُناحَ عليهِما أن يَصَّالَحا﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: «يُصْلِحا» من: أصلَحَ ـ ﴿بَيْنَهُما صُلحًا﴾ في القَسْم والنفقة بأن تترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصُّحبة.

قولُه: (ذلكَ) أي: العضلَ، أو التَّقديرُ: في أنْ تنكِحُوهنَّ لمالِهنَّ وجمالِهنَّ ولا تعطُونَ صداقهُنَّ وتأكلُونَ ما لهُنَّ، فإنَّ أولياءَ اليتامَى كانُوا يرغبُونَ فيهنَّ إنْ كنَّ جميلاتٍ، ويأكلُونَ ما لهُنَّ وإلَّا كانُوا يعضلُونهُنَّ طمعاً في ميراثهنَّ، والواو يحتملُ العطفَ والحالَ بتقدِيرِ: أنتُم.

قولُه: (الصِّغارِ) عطفٌ على ﴿يَتَامَى﴾ والعربُ ما كانُوا يورِّثُونَهُم كما لا يورِّثُونَ النِّساءَ.

قولُه: (﴿و﴾ يَأمرَكُم) اختارَ نصْبَ ﴿أنْ تقومُوا﴾ بإضمارِ فعلٍ مقدَّرٍ عَطفٌ على ﴿يُفْتِيْكُم﴾ والخطابُ للأئمَّةِ أو للقُوَّام، وقيل: إنَّهُ مجرُورٌ عطفٌ على ﴿يَتَامَى﴾ فلا حذفَ.

قولُه: (توقَّعَتْ) استِعمالُ الخوفِ في معنَى التَّوقُّعِ شائعٌ في كلامِ العربِ، قالهُ التَّفتازانيُّ[١].

قولُه: (التَّقتِيرِ) التَّضييقِ، وفي نسخةٍ: «التَّقصِيرِ».

قولُه: (بوَجهِهِ) أو بأنْ يقلِّلَ مجالستَهَا ومحادثَتَها.

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) للكوفيِّ[٢].

قولُه: (في القَسْمِ) كما فعلَتْ سَوْدةُ رضيَ اللهُ عنها حينَ كرهَتْ أنْ يفارقَها رسُولُ اللهِ ﷺ وعرفَتْ مكانَ عائشةَ مِنْ قلبِهِ فوهبَتْ لهَا نوبتَهَا[٣].

قولُه: (والنَّفَقةِ) أو بأنْ تحطَّ له بعضَ المهرِ، أو تهبَ له شيئاً تستَمِيلُه بِهِ.

---

(١) وانظر: «نواهد الأبكار» للسيوطي (٣/ ٢١٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٣).

(٣) عن ابن عباس، قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت: ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾ [النساء: ١٢٨].

رواه الترمذي (٣٠٤٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأصل الحديث رواه البخاري (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.

فإن رضيتْ بذلك، وإلاّ فعلى الزوج أن يُوفّيَها حقّها أو يُفارقَها. ﴿والصُّلحُ خيرٌ﴾ منَ الفُرقة والنُّشوز والإعراض.

قال تعالى في بيان ما جُبِلَ عليه الإنسان: ﴿وأُحضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ﴾: شِدّةَ البُخل، أي: جُبِلتْ عليه، فكأنّها حاضِرتُه لا تَغيب عنه ـ المعنى: أنّ المرأةَ لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجلَ لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحبّ غيرها ـ ﴿وإنْ تُحسِنُوا﴾ عِشرة النِّساء ﴿وتَتَّقُوا﴾ الجَور عليهنّ ﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبيرًا﴾ فيُجازيكم به.

١٢٩ ـ ﴿ولَن تَستَطِيعُوا أنْ تَعدِلُوا﴾: تُسوُّوا ﴿بَينَ النِّساءِ﴾ في المحبّة، ﴿ولَو حَرَصتُم﴾ على ذلك ـ ﴿فلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيلِ﴾ إلى التي تُحبّونها في القَسْم والنفقة،........

قولُه: (مِنَ الفُرقَةِ) وسُوءِ العشرَةِ، أو مِن الخصُومةِ، وهو اعتراضٌ بينَ الشَّرطيَّتينِ، وكذا قولُهُ: ﴿وَأُحْضِرَتْ﴾ ولذلكَ اغتُفِرَ عدمُ تجانسِهما في الاسميَّةِ والفعليَّةِ، والأوَّلُ: للتَّرغيبِ في المصالَحةِ، والثَّاني: لتمهيدِ العُذرِ في المماكسَةِ.

قولُه: (بنَصِيبِهَا) مِن الإعرَاضِ عنهَا والتَّقصيرِ في حقِّها بحطِّ شيءٍ مِنْ مهرِها وقسمِها.

قولُه: (بنَفسِهِ) بأنْ يمسكَهَا ويقومَ بحقوقِهَا على ما ينبَغِي.

قولُه: (إذا أَحبَّ غيرَهَا) أو كرِهَها.

قولُه: (عِشْرَةَ) الظَّاهرُ: في عشرَةِ.

قولُه تعالى: (﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) مِن الإحسانِ والخُصُومةِ (﴿خَبِيْرًا﴾) عليمًا بهِ وبالغَرضِ فيه.

قولُه: (تُسَوُّوا)أي: تسَاوُوا في جميعِ الوجُوهِ؛ لأنَّ العدلَ أنْ لا يقعَ ميلٌ ألبتَّةَ، وهو متعذِّرٌ؛ لأنَّه لا بدَّ مِن التَّفاوتِ في المحبَّةِ والشَّهوةِ والجِماعِ، ففي الحديثِ عن عائشةَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقسمُ بينَ نسائهِ فيعدِلُ ويقولُ:«اللَّهمَّ هذا قَسْمِي فيمَا أملِكُ فلا تَلُمْنِي فيمَا تملِكُ ولا أملكُ»[1] يعنِي: القلبَ.

قولُه: (عَلى ذلكَ) أي: على تحرِّي ذلكَ، وبالغتُمْ فيهِ.

قولُـه: (والنَّفقـةِ) أي: لا تمِيلُـوا بتَـركِ المستطاعِ والجَورِ علـى المرغُوبِ عنها، فـإنَّ ما لا يُـدرَكُ بعضُهُ لا يُتـرَكُ كلُّهُ.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وفي «العلل الكبير» (٢٨٦)، والنسائي (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١) من حديث أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وقال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: رواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلاً، وقال الترمذي أيضاً: والمرسل أصح.

﴿فتَذَرُوها﴾ أي: تتركوا المُمالَ عنها ﴿كالمُعَلَّقةِ﴾ التي لا هي أيّمٌ ولا هي ذات بعل - ﴿وإنْ تُصلِحُوا﴾ بالعدل في القَسْم ﴿وتَتَّقُوا﴾ الجَورَ ﴿فإنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا﴾ لِما في قلوبكم من المَيل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك. ١٣٠ - ﴿وإنْ يَتَفَرَّقا﴾ أي: الزوجانِ بالطلاق ﴿يُغْنِ اللهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِن سَعتِهِ﴾ أي: فضله بأن يرزقها زوجًا غيره ويرزقه غيرها. ﴿وكانَ اللهُ واسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبّره لهم.

١٣١ - ﴿وللهِ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ. ولَقَد وَصَّينا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ بمعنى الكُتُب ﴿مِن قَبلِكُم﴾ أي: اليهودَ والنصارى ﴿وإيّاكُم﴾ - يا أهل القُرآن - ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾: خافوا عقابه بأن تُطيعوه، ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم: ﴿إنْ تَكفُرُوا﴾ بما وُصِّيتم به ﴿فإنَّ لِلهِ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ﴾ خلقًا ومُلكًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، ﴿وكانَ اللهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعِبادتِهم ﴿حَمِيدًا﴾:.....

قولُه: (عليهَا) الصَّوابُ: «عنها» كمَا في نسخةٍ.

قولُه: (أَيِّمٌ) ككيِّس، مَنْ لا زوجَ لهُ، كذا في «القاموسِ»[1]، لكنَّ المرادَ هنا المطلَّقةُ.

قولُه: (مِنَ المَيلِ) أي: إلى واحدةٍ.

قولُه: (أي: فَضلِهِ) الواسعِ.

قولُـه: (بـأنْ يرزُقَهـا) أي: ببـدلٍ، أو سُـلُوٍّ، قال الحسـنُ بنُ علـيٍّ[2]: رأيتُ علَّـقَ اللهُ الغِنَـى بأمرَينِ فقال: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى﴾ وقال: ﴿وَإِنْ يَتفرَّقَا﴾.

قولُه: (فيمَا دبَّرَهُ) أي: مُتْقِناً في أفعالِه وأحكامِه.

وقولُه تعَالى: (﴿وَللهِ...﴾) إلخ، تنبيهٌ على كمَالِ سعتِهِ وقُدرتِهِ.

قولُه: (بمَعنَى: الكُتُبِ) أي: إفرادُهُ للجنسِ.

قولُه: (والنَّصارَى) ومَن قبلَهُمْ و﴿مِنْ﴾ متعلِّقةٌ بـ﴿وصَّيْنَا﴾ أو بـ﴿أُوتُوا﴾.

قولُه: (يا أَهلَ القُرآنِ) عطفٌ على ﴿الَّذينَ﴾.

قولُه: (أي: بأَنِ) يعنِي: ﴿أَنْ﴾ مصدَريَّةٌ؛ أي: وصَّينَا باتِّقاءِ اللهِ، ويجوزُ أنْ تكونَ أن مفسِّرةً؛ لأنَّ التَّوصِيةَ في معنَى القَولِ.

قولُه: (فلا يَضرُّهُ كُفرُكُم) كما لا ينتفِعُ بشكرِكُم، وإنَّما وصَّاكُم لرحمتِهِ لا لحاجتِهِ، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ بقولِهِ: ﴿وَكَانَ اللهُ﴾...إلخ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٧٨).

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

محمودًا في صُنعه بهم، ١٣٢ ـ ﴿وللهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ ـ كرّره تأكيدًا لتقرير مُوجِب التقوى ـ ﴿وكَفَى باللهِ وَكِيلاً﴾: شهيدًا بأنّ ما فيهما له!

١٣٣ ـ ﴿إنْ يَشأْ يُذهِبْكُم ـ﴾ يا ﴿أيُّها النّاسُ ـ ويأتِ بآخَرِينَ﴾ بدَلَكم، ﴿وكانَ اللهُ على ذلِكَ قَدِيرًا﴾.

١٣٤ ـ ﴿مَن كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوابَ الدُّنيا فعِندَ اللهِ ثَوابُ الدُّنيا والآخِرةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره. فلِمَ يَطلُبُ أحدَهما الأخَسَّ؟ وهلاّ طَلَبَ الأعلى بإخلاصه له، حيث كان مَطلبه لا يوجد إلاّ عنده. ﴿وكانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

١٣٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوّامِينَ﴾: قائمين ﴿بِالقِسطِ﴾:..........

قولُه: (في صُنعِهِ) أو في ذاتِهِ، حُمد أو لم يُحمد.

قولُه: (كرَّرَهُ) أي: ثالِثاً.

قولُه: (تأكِيداً) وقيل: كأنَّهُ قال: له ما في السَّمواتِ والأرضِ فاقبَلُوا وصيَّتَهُ ولهُ ذلك، فهو الغنيُّ فاسألُوا اللهَ وله ذلك، فاتَّخِذُوهُ وكِيلاً لا غيرَهُ، يعنِي: كرَّرَ قولَهُ: ﴿وللهِ مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ﴾ ثلاثَ مرَّاتٍ ليترتَّبَ عليهِ هذهِ الفوائدُ الثَّلاثُ.

قولُه: (بأنَّ مَا فيهِمَا لهُ) فتوكَّلُوا عليهِ.

قولُه تعَالى: (﴿إِنْ يَشَأْ﴾) أي: إذهابَكُم؛ يعنِي: إفناءَكُم.

قولُه: (بدلَكُم) أي: يُوجِد قوماً آخرينَ مكانَكُم، أو خَلقاً آخرينَ مكانَ الإنسِ.

وقولُه تعَالى: (﴿عَلَى ذَلِكَ﴾) مِن الإعدامِ والإيجادِ، (﴿قديراً﴾) بليغَ القُدرَةِ لا يعجِزُهُ مرادٌ.

قولُه: (بعَمليِهِ) كالمجاهدِ يجاهدُ للغنيمةِ.

قولُه: (فلِمَ يطلُبُ) أي: لأيِّ شيءٍ يطلُبُ أحدَهُما؛ أي: أحدَ الثَّوابينِ الأخسَّ.

قولُه: (بإخلاصِهِ) فإنَّ مَن جاهدَ خالِصاً للهِ لم تخطئْهُ الغنيمَةُ، ولهُ في الآخرةِ ما هي في جنبِهِ كَلا شيءٍ، أو فمَا له يطلبُ أخسَّهُمَا فليطلبْهُما كمَنْ يقولُ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، أو فعندَ اللهِ ثوابُ الدَّارينِ فيُعطِي كلًّا ما يريدُهُ، كقولِهِ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الآيَةَ [الشورى: ٢٠].

وقولُه تعالى: (﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾) أي: عالِماً بالأغراضِ فيُجازِي كلًّا بحسبِ قصدِهِ.

قولُه: (قائِمينَ) أي: مواظِبينَ على العَدلِ، لا تعدلُوا عنه يميناً ولا شمالاً، مجتهِدينَ في إقامتِهِ، والمعنَى: مبالغِينَ في القيامِ لأَمرِ اللهِ.

بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحقّ ﴿لِلهِ، وَلَو﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنفُسِكُم﴾ فاشهدوا عليها بأن تُقرّوا بالحقّ ولا تكتموه، ﴿أَوِ﴾ على ﴿الوالِدَينِ والأقرَبِينَ - إِنْ يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا أو فَقِيرًا فاللهُ أَولَى بِهِما﴾ منكم وأعلَمُ بمصالحهما ....

قولُه: (بالحَقِّ ﴿للهِ﴾) أي: تقيمُونَ شهاداتِكُم لوجهِ اللهِ، وهو خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ.

قولُه: (بأنْ تُقِرُّوا) يعني: الإقرارَ في معنى الشَّهادةِ، فإنَّ الشَّهادةَ بيانُ الحقِّ سواءٌ كانَ عليهِ أو على غيرِهِ، أو التَّقديرُ: ولو عادَ ضررُها على نفسِكَ أو عليهم، كمَنْ يشهدُ على ظالمٍ يتوقَّعُ ضررَهُ، أو معنَى الشَّهادةِ عليهم أنْ يقولَ: أشهدُ أنَّ لفلانٍ على والدِي أو على أقارِبي.

قولُه: (عَلى) أي: ولو عَلى والدِيكُم وأقارِبِكُم.

قولُه: (المَشهُودُ عليهِ) أو كلُّ واحدٍ منهُ ومِن المشهُودِ لهُ.

وقولُه: (﴿فاللهُ...﴾) إلخ، علَّةُ الجوابِ أقيمَتْ مقامَهُ، والضَّميرُ في ﴿بِهِمَا﴾ راجعٌ إلى ما دلَّ عليهِ المذكُورُ، وهو جنسُ الغنيِّ والفقيرِ؛ أي: بالأغنياءِ والفقراءِ لا إليه وإلَّا لوحَّدَ، ويشهَدُ على إرادةِ الجنسِ أنْ قُرِئَ[1]: ﴿فاللهُ أولى بهم﴾ وحاصلُهُ: أنَّ الضَّميرَ ليسَ للمذكُورِ - أعنِي: أحدَ الجنسَينِ - ليلزمَ إفرادُه، بل لمَا دلَّ عليه المذكُورُ - أعنِي: أحدَ الجنسَينِ - لأنَّ في اشتراطِ أحدِ الأمرَينِ دلالةً على وجُودِهِما في الجُملةِ، والعُدُولُ عن الظَّاهرِ وجعلُ الضَّميرِ للمدلُولِ دونَ المذكُورِ للقصدِ إلى تعميمِ أولويَّتِهِ وأن لا يُتَوهَّمَ أنَّها بالنِّسبةِ إلى الواحدِ فقط، هذا كلُّه على طريقةِ البصريِّين.

قال الرَّضيُّ[2]: كلُّ ضميرٍ راجعٍ إلى المعطُوفِ بـ«أو» معَ المعطُوفِ عليه، وقصدتَ كليهما وجبَتِ المطَابقةُ، تقولُ: هذا إمَّا جوهَرٌ أو عَرَضٌ، ثمَّ تقول: وهما محدثانِ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيْرًا﴾ وليسَ ﴿أو﴾ بمعنًى: الواوِ، كما قال بعضُهُم، وذكرَ الإسنَويُّ[3] أنَّ الآيةَ جاريةٌ على مذهبِ الكوفيِّينَ، فإنَّهُم يعيدُونَ الضَّميرَ على ما عُطِفَ بـ«أو» بالتَّثنيةِ والجمعِ، فيقولونَ: زيدٌ أو عمرٌو قامَا، والبصريُّونَ لا يعيدُونَهُ إلَّا مفرَداً فيقولونَ: قامَ.

قولُه: (منكُم) أي: فكِلُوا أمرَهُما إليه فلا ترحَمُوا فقرَهُ ولا ترهَبُوا غناهُ؛ يعنِي: فلا تمتَنِعُوا مِنْ إقامةِ الشَّهادةِ، أو لا تجُورُوا فيهِما ميلاً لهُ، أو ترحُّمًا، فاللهُ أولى بالغنيِّ والفقيرِ منكُم، وبالنَّظرِ لهُما فلو لم تكنِ الشَّهادةُ عليهِما أو لهُمَا صلاحاً لمَا شرعَهُمَا.

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ١٤٥) ونسبت لأبي رضي الله عنه.

(٢) انظر: «شرح الرضي لكافية ابن الحاجب» (١/ ١٠٤٤).

(٣) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي، جمال الدين أبو محمد القرشي الأموي الإسنوي المصري، الإمام العلامة منقح الألفاظ محقق المعاني ذو التصانيف المشهورة المفيدة (ت: ٧٧٢ هـ). انظر: «طبقات الشافعية» (٣/ ٩٨).

﴿فلا تَتَّبِعُوا الهَوَى﴾ في شهادتكم بأن تُحابوا الغنيَّ لرضاه أو الفقيرَ رحمة له، لـ﴿أنْ﴾ لا ﴿تَعدِلُوا﴾: تميلوا عن الحقّ، ﴿وإنْ تَلْوُوا﴾: تُحرّفوا الشهادة ـ وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفًا ـ ﴿أو تُعرِضُوا﴾ عن أدائها ﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازيكم به.

١٣٦ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، آمِنُوا﴾: داوموا على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ والكِتابِ الَّذِي نُزِّلَ على رَسُولِهِ﴾ مُحمّد ـ وهو القرآن ـ ﴿والكِتابِ الَّذِي أُنزِلَ مِن قَبلُ﴾ على الرُّسل بمعنى: الكُتُب. وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلَين. ﴿ومَن يَكفُرْ بِاللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ فقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ. ١٣٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمُوسى ـ وهم اليهود ـ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العِجل،.....

قولُه: (تُحَابُوا) مِن المحاباةِ، يقال: حابَاهُ؛ أي: نصرَهُ واختصَّهُ ومالَ إليهِ[1]، وفي نسخةٍ: بالميم بدلَ الباءِ، مِن الحمايةِ.

قولُه: (لـ﴿أنْ﴾ لا ﴿تَعدِلُوا﴾) أو لأنْ تعدِلُوا عن الحقِّ، أو كراهةَ أنْ تعدِلُوا مِن العَدلِ، وقال الرَّازيُّ[2]: اتركُوا الهَوَى حتَّى تصيرُوا موصُوفِينَ بالعدلِ؛ أي: لأجلِهِ.

قولُه: (تَحرِفُوا) بالتَّخفيفِ مِن قولِهِم: فلانٌ يعرِفُ ويحرِفُ، وبالتَّشديدِ وهو الأظهرُ، ويؤيِّده قولُه تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦] أي: تغيِّرُوا بأن تَلوُوا ألسنَتَكُم عن شهادةِ الحقِّ أو حكُومةِ العدلِ.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) للشَّاميِّ وحمزةَ[3].

قولُه: (تخفِيفاً) أي: بالنَّقلِ والحَذفِ؛ بمَعنَى: وإنْ وليْتُم إقَامةَ الشَّهادَةِ، مِن ولايةِ الشَّيءِ؛ وهو الإقبالُ عليه، وخلافُ الإعراضِ عنه.

قولُه: (داوِمُوا) وفي نسخةٍ: «دومُوا» بمعنَى: اثبُتُوا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الخطابَ في ﴿آمَنُوا﴾ للمُسلِمينَ، وقيل: لمؤمِني أهلِ الكتابِ أو للمنافقِينَ، فمعناهُ: آمِنُوا بقُلوبِكُم كما آمنتُم بلسانِكُم.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لنافعٍ والكوفيِّ[4].

قولُه تعالى: (﴿وَاليَوْمِ الْآخِرِ﴾) أي: بشيءٍ مِن ذلكَ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٧٢).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» (١١/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٧).

﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بِعيسى، ﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾ بمُحمّد، ﴿لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم﴾ ما أقاموا عليه، ﴿ولا لِيَهدِيَهُم سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الحقّ.

١٣٨ ـ ﴿بَشِّرِ﴾: أخبرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿المُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُم عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا ـ هو عذاب النار ـ ١٣٩ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ الكافِرِينَ أولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ﴾ لِما يتوهّمون فيهم من القُوّة. ﴿أَيَبتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لا يجدونها عندهم. ﴿فإنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ في الدُّنيا والآخرة ولا ينالها إلاّ أولياؤه.

١٤٠ ـ ﴿وقَد نَزَّلَ﴾، بالبناء للفاعل والمفعول، ﴿عليكُم في الكِتابِ﴾: القُرآنِ في سورة «الأنعام» ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿إذا سَمِعتُم آياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ، ﴿يُكفَرُ بِها ويُستَهزأُ بِها، فلا تَقعُدُوا مَعَهُم﴾ أيِ: الكافرين والمُستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيرِهِ. إنَّكُم إذًا﴾: إن قعدتم معهم ﴿مِثلُهُم﴾ في الإثم..

قولُه: (بعدَهُ) أي: بعدَ كفرِهم بعبادةِ العِجلِ، أو بعدَ عودِ مُوسَى إليهم.

قولُه: (أخبِرْ) ففيهِ تجريدٌ، والأحسنُ أنَّ وَضعَ ﴿بَشِّرِ﴾ مكانَ «أنذر» تهكُّمٌ بهم.

قولُه: (أو نعتٌ للمُنافقينَ) وفي نسخةٍ: «مِنَ المنافقينَ» وكانَ الأولَى أن يُقال: بدلٌ مِن ﴿المنافقينَ﴾، أو نعتٌ لهم، أو التَّقديرُ: هم الَّذينَ، أو نصبٌ، أو رفعٌ على الذَّمِّ.

قولُه: (استِفهَامُ إنكَارٍ) أي: أيتعذَّرُونَ بموالاتِهِم.

قولُه: (أولِيَاؤُهُ) فقال: ﴿وللهِ العزَّةُ ولرسُولِهِ وللمُؤمِنينَ﴾ [المنافقون: ٨] لا يُؤبَهُ بعزَّةِ غيرِهم بالإضافةِ إليهِم.

قولُه: (للفَاعِلِ) عاصمٌ[١].

قولُه: (في سُورةِ الأنعامِ) يعنِي قولَه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ الآيَةَ [الأنعام: ٦٨].

قولُه:(القُرآنَ) وقولُهُ تعالى: (﴿يُكْفَرُ...﴾) إلخ، حالانِ مِنَ الـ﴿آياتِ﴾.

قولُه:(والمُستَهزِئينَ) يعني: ضميرُهُم راجِعٌ إلى ما دلَّ عليهِ ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾.

وقولُه تعالى: (﴿غَيْرِهِ﴾) أي: غيرِ الاستهزاءِ.

قولُه: (في الإثمِ) أي: جنسِهِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

﴿إِنَّ اللهَ جامِعُ المُنافِقِينَ والكافِرِينَ في جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدُّنيا على الكُفر والاستهزاء.

١٤١ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الّذين» قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائرَ، ﴿فإِنْ كانَ لَكُم فَتحٌ﴾: ظفرٌ وغنيمة ﴿مِنَ اللهِ قالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَم نَكُنْ مَعَكُم﴾ في الدِّين والجِهاد؟ فأعطُونا من الغنيمة، ﴿وإِنْ كانَ لِلكافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ منَ الظفر عليكم ﴿قالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَم نَستَحْوِذْ﴾: نَستَولِ ﴿عليكُم﴾، ونَقدِرْ على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم، ﴿و﴾ أَلَم ﴿نَمنَعْكُم مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المِنّة. قال الله تعالى: ﴿فاللهُ يَحكُمُ بَينَكُم﴾ وبينهم ﴿يَومَ القِيامةِ﴾ بأن يُدخلَكم الجنّة ويُدخلَهم النار، ﴿ولَن يَجعَلَ اللهُ لِلكافِرِينَ علَى المُؤمِنِينَ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالاستئصال.

١٤٢ ـ ﴿إِنَّ المُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ﴾ بإظهار خِلاف ما أبطنوه من الكُفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدُّنيويّة، ﴿وهُوَ خادِعُهُم﴾ فيُجازيهم على خِداعهم، فيُفضَحون في الدُّنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقبون في الآخرة، ﴿وإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع المُؤمنين ﴿قامُوا كُسالَى﴾: مُتثاقِلينَ، ﴿يُراؤُونَ النّاسَ﴾ بصلاتهم، ﴿ولا يَذكُرُونَ اللهَ﴾: يُصلّون ﴿إِلاّ قَلِيلاً﴾ رياءً، ١٤٣ ـ ﴿مُذَبذَبِينَ﴾: مُتردِّدين ﴿بَينَ ذلِكَ﴾: الكفرِ والإيمان، ....

قولُه: (بَدلٌ) أو صفةٌ للمنافقِينَ والكافِرينَ، أو ذمٌّ مرفُوعٌ، أو منصُوبٌ، أو مبتَدأٌ خبرُهُ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ﴾.

قولُه: (على أخذِكُم وقَتلِكُم) وفي نسخةٍ عكسُهُ، والأوَّلُ أولَى كما لا يخفَى.

قولُه: (بالاستِئصَالِ) أي: استِئصالاً كلِّيًا أو حجَّةً في الآخرةِ أو في الدُّنيا.

قولُه: (متثَاقلِينَ) كالمكرهِ على الفِعلِ.

قولُه: (بصَلاتِهِم) والجُملةُ صفةُ ﴿كُسَالَى﴾ أو مستَأنفَةٌ.

قولُه: (يُصَلُّونَ) فالمرادُ بالذِّكرِ: الصَّلاةُ، وقيل: الذِّكرُ فيها، فإنَّهم لا يذكرُونَ فيها غيرَ التَّكبيرِ والتَّسليمِ، ويؤيِّدُه ما في نسخةٍ: «بصلاتِهِم هنا» أو ﴿لا يذكرُونَ اللهَ﴾ بالتَّسبيحِ والتَّهليلِ إلَّا على ندرَةٍ.

قولُه: (ريَاءً) أي: إلَّا ذكراً قليلاً؛ لأنَّهم يفعلُونَه رياءً، ولو أرادُوا بذلك القليلِ وجهَ اللهِ لكانَ كثِيراً، ولأنَّ المرائِيَ لا يفعلُ إلَّا بحضرَةِ مَنْ يرائيهِ، وهو أقلُّ أحوالِهِ، أو لأنَّ ذكرَهُم باللِّسانِ قليلٌ بالإضافةِ إلى الذِّكرِ بالقلبِ؛ يعنِي: لا يكونُ الذِّكرُ كثيراً إلَّا إذا كانَ بالقلبِ، فالذَّاكرُونَ اللهَ كثِيراً همُ الذَّاكرُونَ بالقلبِ.

قولُه: (متردِّدِينَ) حالٌ مِن واوِ ﴿يُرَاؤُونَ﴾ كقولِهِ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: يراؤُونَهُم غيرَ ذاكِرينَ ﴿مذبذَبِينَ﴾ أو واو ﴿يذكرُونَ﴾، أو منصُوبٌ على الذَّمِّ، وهو الأظهرُ.

﴿لا﴾ منسوبين ﴿إلَى هؤُلاءِ﴾ أي: الكُفّارِ ﴿ولا إلَى هؤُلاءِ﴾ أيِ: المؤمنين. ﴿ومَن يُضْلِلِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الهُدى.

١٤٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الكافِرِينَ أولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ. أتُرِيدُونَ أنْ تجعَلُوا للهِ علَيكُم﴾ بمُوالاتهم ﴿سُلطانًا مُبِينًا﴾: بُرهانًا بيّنًا على نِفاقكم؟ ١٤٥ ـ ﴿إنَّ المُنافِقِينَ في الدَّرْكِ﴾: المكان ﴿الأسفَلِ مِنَ النّارِ﴾ ـ وهو قَعرها ـ ﴿ولَن تَجِدَ لَهُم نَصِيرًا﴾: مانعًا من العذاب. ١٤٦ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا﴾ من النِّفاق ﴿وأصلَحُوا﴾ عملهم، ﴿واعتَصَمُوا﴾: وثِقُوا ﴿باللهِ وأخلَصُوا دِينَهُم﴾ من الرِّياء، ﴿لِلهِ فأُولئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾ فيما يُؤتَونه. ﴿وسَوفَ يُؤتِي اللهُ المُؤمِنِينَ أجرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة، هو الجنّة. ١٤٧ ـ ﴿ما يَفعَلُ اللهُ بِعَذابِكُم، إنْ شَكَرتُم﴾ نِعَمَه ﴿وآمَنتُم﴾ به؟ والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يُعذِّبُكم. ﴿وكانَ اللهُ شاكِرًا﴾ لأعمال المُؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه.

١٤٨ ـ ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ﴾ من أحد، أي: يُعاقِبُ عليه ﴿إلاّ مَن ظُلِمَ﴾ فلا يُؤاخذه بالجهر به بأن يُخبِرَ عن ظُلم ظالمه ويدعوَ عليه..............................

قولُه: (منسُوبِينَ)الأنسَبُ: منضمِّينَ، و﴿لا﴾ بمعنَى: غير.

قولُه: (بمُوَالاتِهِم) أي: بموالاتِكُم إيَّاهُم.

قولُه: (وهُو قعرُهَا) أو توابِيتُ مِنْ حدِيدٍ مقفَلَةٌ، أو بيُوتٌ مقفَلَةٌ، وإنَّما كان كذلكَ؛ لأنَّهُم كانُوا أخبَثَ الكَفرةِ إذ ضمُّوا إلى الكُفرِ استهزاءً بالإسلامِ وخدَاعاً للمُسلِمينَ، وقرأَ الكُوفيُّونَ بسكُون الرَّاء[1].

قولُه: (مانِعاً) لا أوَّلاً ولا آخراً.

قولُه: (وثِقُوا ﴿باللهِ﴾) والتَجئُوا إليه وتمسَّكُوا بدينِهِ.

قولُه: (فيمَا يؤتَوْنَهُ) بفتحِ التَّاء؛ يعنِي: فيمَا يُعطاهُ المؤمنونَ منَ الثَّوابِ في الآخِرةِ، أو معهُم في زمرَتِهِم وعدادِهِم وأحكامِهِم في الدَّارينِ.

قولُه: (بمَعنَى النَّفيِ) أي: يتشفَّى بِهِ غَيظاً، أو يدفعُ بِهِ ضَرراً، أو يَستجلِبُ بِهِ نفعاً، وهو الغَنيُّ المتعالِ لا كالملُوكِ.

قولُه: (بالإِثَابةِ) يقبَلُ اليسِيرَ ويُعطِي الكثيرَ.

قولُه: (بخَلْقِهِ) ظاهِرِهِم وباطنِهِم وشكرِهِم وكفرِهِم.

قولُه: (مِنْ أحَدٍ) والتَّقديرُ: إلَّا جهرَ مَنْ ظُلِمَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٨).

﴿وكانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لِما يُقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يُفعل. ١٤٩ ـ ﴿إنْ تُبدُوا﴾: تُظهروا ﴿خيرًا﴾ من أعمال البِرّ ﴿أو تُخفُوهُ﴾: تَعملوه سِرًّا، ﴿أو تعفُوا عَن سُوءٍ﴾: ظُلم، ﴿فإنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

١٥٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ بِاللهِ ورُسُلِهِ، ويُرِيدُونَ أنْ يُفَرِّقُوا بَينَ اللهِ ورُسُلِهِ﴾ بأن يُؤمنوا به دونهم، ﴿ويَقُولُونَ: نُؤمِنُ بِبَعضٍ﴾ من الرُّسلِ ﴿ونَكفُرُ بِبَعضٍ﴾ منهم، ﴿ويُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَينَ ذلِكَ﴾: الكفرِ والإيمانِ ﴿سَبِيلاً﴾: طريقًا يذهبون إليه، ١٥١ ـ ﴿أُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقًّا﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجُملة قبله، ﴿وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا﴾: ذا إهانة هو عذاب النار، ١٥٢ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ﴾، كلِّهم، ﴿ولَم يُفَرِّقُوا بَينَ أحَدٍ مِنهُم، أُولئِكَ سَوفَ نُؤتِيهِم﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿أُجُورَهُم﴾: ثوابَ أعمالهم. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

١٥٣ ـ ﴿يَسأَلُكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿أهلُ الكِتابِ﴾: اليهودُ ﴿أنْ تُنزِلَ علَيهِم كِتابًا مِنَ السَّماءِ﴾ جُملةً كما أُنزل على مُوسى تعنّتًا. فإن استكبرتَ ذلك ﴿فقَد سأَلُوا﴾.........................

قولُه: (لمَا يقالُ) ومنه قولُ المظلُومِ.

قولُه: (بمَا يُفعَلُ) ومنه فعلُ الظَّالمِ.

قولُه: (ظُلْم) أي: مِنْ أخيكُم لكُمُ المؤاخذةُ عليهِ، وهو المقصُودُ، ولذلك رتَّبَ عليهِ العفوَ معَ القُدرةِ؛ يعني: تخلَّقُوا بأخلاقِ اللهِ.

قولُه: (يذهَبُونَ إلَيهِ) وهم اليهُودُ والنَّصارَى.

وقولُه تعالى: (﴿لِلْكَافِرِيْنَ﴾) أي: لهُم ولغيرِهِم، ولأجلِ التَّعميمِ وُضِعَ الظَّاهرُ موضعَ المضمرِ، وللتَّسجيلِ على كفرِهِم، وأنَّ إيمانَهُم النَّاقصَ كلا إيمانٍ، وأنَّ العذابَ على المصرِّ منهم ثَمَّ.

قال تعالى: (﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا﴾) أي: في الإيمانِ لا في التَّفضيلِ.

قولُه: (والياءِ) الغيبةُ لحفصٍ على تلوينِ الخطابِ[1].

قولُه: (لأوليَائِهِ) أي: لِمَا فرطَ منهُم.

قولُه: (بأَهلِ طاعتِهِ) بتضعيفِ حسناتِهِم.

قولُه: (فإنِ استكبَرْتَ) أي: استعظَمْتَ، وفي نسخةٍ: «استكثَرْتَ» بالمثلَّثةِ، وهو أظهرُ معنًى، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿قَدْ سَأَلُوا﴾ جوابُ شرطٍ مقدَّرٍ.

وقولُه: (﴿ذَلِكَ﴾) أي: ما سألُوهُ منكَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٨).

أي: آباؤهم ﴿مُوسَى أكبَرَ﴾: أعظمَ ﴿مِن ذلِكَ، فقالُوا: أرِنا اللهَ جَهرةً﴾: عِيانًا، ﴿فأخَذَتْهُمُ الصَّاعِقةُ﴾: الموت عِقابًا لهم ﴿بِظُلمِهِم﴾ حيث تعنّتوا في السُّؤال، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجلَ﴾ إلـٰهًا ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾: المُعجزات على وحدانيّة الله، ﴿فعَفَونا عَن ذلِكَ﴾ ولم نستأصلْهم، ﴿وآتَينا مُوسَى سُلطانًا مُبِينًا﴾: تسلُّطًا بيّنًا ظاهرًا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفُسهم توبةً فأطاعوه، ١٥٤ ـ ﴿ورَفَعْنا فَوقَهُمُ الطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثاقِهِم﴾: بسبب أخذ المِيثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه، ﴿وقُلْنا لَهُم﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم:.........

قولُه: (أي: آباؤُهم) يعني: هذا السُّؤالُ الثَّاني وإن كان مِنْ آبائِهم أسنِدَ إليهم؛ لأنَّهُم كانُوا آخذينَ بمذهبِهِم تابعينَ لهَدْيِهم، والمعنى: إنَّ عِرْقَهُم راسِخٌ في ذلك، وأنَّ ما اقترَحُوا عليك ليسَ بأوَّلِ جهالاتِهم وخيالاتِهم وضلالاتِهم.

قولُه: (عِياناً) بكسرِ العَينِ؛ أي:أرِنَاهُ نرَهُ جهرَةً، فيكُونُ مصدَراً مِنْ غيرِ لفظِهِ، أو مجاهِرِينَ معاينينَ لهُ، وقيل:قالوهُ جهرَةً لا سرًّا وخفيةً فيكُونُ ﴿جَهْرَةً﴾ حالاً مِن فاعلِ ﴿قَالُوا﴾ أي: قالُوا مجاهِرِينَ.

قولُه: (المَوتُ) أي: نارٌ جاءَتْ مِن السَّماءِ فأهلكَتْهُم بسببِ ظلمِهِم، كذا في البيضاويِّ[1]، وفي «الدُّرِّ»[2]: أماتَهُمُ اللهُ قبلَ آجالِهِم عقُوبةً بقولِهِم ما شاءَ اللهُ أن يميتَهُم ثمَّ بعثَهُم.

قولُه: (تعنَّتُوا) أي: تعانَدُوا وأوقَعُوا نبيَّهُ في الشِّدَّةِ.

قولُه: (في السُّؤَالِ) أي: سؤالِهِم بما يستَحِيلُ شَرعاً، فإنَّهُم طلبُوا الرُّؤيةَ في الدُّنيا حالَ كونِهِم كافرينَ.

قولُه: (المُعجِزَاتُ)أي: معجزاتُ مُوسَى، ولا يجُوزُ حملُهَا على التَّوراةِ إذ لم تأتِهِم بعدُ.

قولُه: (بيِّناً ظاهِراً) أحدُهُما مستدرَكٌ.

قولُه: (الجَبَلَ) عندَ امتنَاعِهِم قَبُولَ شريعةِ التَّوراةِ.

قولُه: (أَخذِ المِيثَاقِ) أو نقضِهِ.

قالَ تعَالى:(﴿وَقُلْنَا لَهُم﴾) أي: على لسَانِ موسَى.

قولُه: (وهُو مُظِلٌّ) بالطَّاء المهملةِ؛ أي: الطُّورُ مُشرِفٌ، وهكذا ذكرَهُ البيضَاويُّ[3] و«المداركُ»[4] لكنَّ المشهُورَ أنَّ رفعَ الجَبلِ إنَّما كانَ عندَ التَّكليفِ بالعَملِ بالتَّوراةِ كمَا صرَّحُوا بِهِ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ [الأعراف: ١٧١] لا عندَ تكليفِهِم دخولَ بابِ القَريةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٧٢٦)، والأثر عزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٧).

(٤) قد أتت فيه: «مظل» بالظاء المعجمة، انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤١٢).

﴿ادخُلُوا البابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سُجودَ انحناءٍ. ﴿وقُلْنا لَهُم: لا تَعْدُوا﴾ ـ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال ـ أي: لا تعتدوا ﴿في السَّبتِ﴾ باصطياد الحِيتان فيه، ﴿وأخَذْنا مِنهُم مِيثاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

١٥٥ ـ ﴿فبِما نَقضِهِم﴾ ما: زائدةٌ، والباء: للسببيّة متعلّقة بمحذوف، أي: لعنّاهم بسبب نقضهم ﴿مِيثاقَهُم، وكُفرِهِم بِآياتِ اللهِ، وقَتلِهِمِ الأنبياءَ بِغَيرِ حَقٍّ، وقَولِهِم﴾ للنبيّ: ﴿قُلُوبُنا غُلفٌ﴾: لا تعي كلامَك ـ ﴿بَل طَبَعَ﴾: ختمَ ﴿اللهُ علَيها بِكُفرِهِم﴾ فلا تعي وعظًا، ﴿فلا يُؤمِنُونَ إلاّ قَلِيلاً﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ـ.........................

قولُه: (انحِنَاءٍ) أي: متواضِعِينَ منحَنينَ.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لنافعٍ، لكنَّ قالُونَ أخفَى فتحةَ العينِ[1]، وأمَّا قولُ البيضاويِّ[2]: النَّصُّ عن قالونَ بالإسكانِ؛ فغيرُ صحيحٍ.

قولُه: (أي: لا تعتَدُوا) أي: لا تظلِمُوا.

قولُه: (زائِدةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُه: (أي: لعَنَّاهُم) كما في آيةٍ أخرَى، أو فعلْنَا بهِم ما فعلْنَا، والمرادُ بالميثاقِ المنقُوضِ هو كتمانُهُم صفةَ رسُولِ اللهِ ﷺ، أو تركهُم العملَ بما في كتابِهِم.

قولُه تعَالى: (﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ﴾) أي: المعجزَاتِ، أو القُرآنِ، أو كتابِهِم.

قولُه تعَالى: (﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾) أي: بعنادٍ وتشهِّي نفسٍ.

قولُه: (لا نَعِي) بالنُّونِ أو التَّاءِ؛ أي: لا نحفَظُ نحنُ أو القلوبُ، هذا قولُ أكثرِ السَّلفِ[3]، فالغُلفُ جمعُ: الغِلافِ، وهو الغطاءُ، ويؤيِّدُه قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] وقيل: أوعيةٌ للعُلُومِ، ولا نحتاجُ إلى شيءٍ آخرَ، فعلى هذا الغلافُ؛ بمعنَى: الوعاءِ.

قولُه: (فلا تَعِي وَعْظاً) أو خذلَهَا ومنعَهَا التَّوفيقَ.

قولُه: (منهُم) أو إيماناً قلِيلاً لا عبرَةَ بهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٧).

(٣) لم يأت هذا اللفظ بحروفه، وإنما رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) بنحوه عن كثير من السلف.

١٥٦ ـ ﴿وبِكُفرِهِم﴾ ثانيًا بعيسى، وكرّر الباء للفصل بينه وبين ما عُطف عليه، ﴿وقَولِهِم على مَريَمَ بُهتانًا عَظِيمًا﴾ حيثُ رَموها بالزِّنى، ١٥٧ ـ ﴿وقَولِهِم﴾ مفتخرين: ﴿إنّا قَتَلْنا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَريمَ رَسُولَ اللهِ﴾ في زعمهم، أي: بمجموع ذلك عذّبناهم.

قال تعالى تكذيبًا لهم في قتله: ﴿وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ، ولكِنْ شُبِّهَ لَهُم﴾ المقتولُ والمصلوب ـ وهو صاحبهم ـ بعيسى، أي: ألقى الله عليه شَبَهَه فظنّوه إيّاه. ﴿وإنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنهُ﴾: من قتله ـ حيثُ قال بعضهم لمّا رأوُا المقتول: الوجهُ وجه عيسى والجسد ليس بجسده، فليس به. وقال آخرون: بل هو هو ـ ﴿ما لَهُم بِهِ﴾: بقتله ﴿مِن عِلمٍ، إلاّ اتِّباعَ الظَّنِّ﴾: استثناءٌ مُنقطع، أي: لكن يتّبعون فيه الظنّ الذي تخيّلوه، ﴿وما قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: حالٌ مؤكِّدة لنفي القتل، ١٥٨ ـ ﴿بَل رَفَعَهُ اللهُ إلَيهِ. وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه.

١٥٩ ـ ﴿وإنْ﴾: ما ﴿مِن أهلِ الكِتابِ﴾ أحدٌ ﴿إلاّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ﴾: بعيسَى ﴿قَبلَ مَوتِهِ﴾ أي:........

قولُه: (وبَينَ ما عُطِفَ عليهِ) وهو ﴿بكفرِهِم﴾ لأنَّهُ مِنْ أسبابِ الطَّبعِ، وقيل: عطفٌ على قولِهِ: ﴿فبِمَا نَقْضِهِم﴾.

قولُه: (مفتَخِرِينَ) في زعمِهِم؛ أي: قتلَهُ، أو في زعمِه أنَّه رسُولُ اللهِ.

قولُه: (وهُو صاحِبُهُم) مِنَ اليهُودِ، أو رجلٍ منَ الحوارِيِّينَ، أو منافقٌ دلَّ اليهُودَ على عيسَى؛ أي: إنَّما ذمَّهُم اللهُ بمَا دلَّ عليهِ الكلامُ مِن جرأتِهم على اللهِ، وقصدِهِم قتْلَ نبيِّهِ وتبجُّحِهِم بهِ، لا لقولِهِم هذا على حسَبِ حسبانِهِم.

قولُه: (بَل هُوَ هُو) وقال بعضُهم: إنْ كانَ هذا عيسَى فأينَ صاحبُنَا، وقال بعضُ اليهُودِ: إنَّه كانَ كاذِباً فقتلنَاهُ حقًّا، وقال بعضُ النَّصارَى ـ ممَّنْ سمعَ منهُ: إنَّ اللهَ يرفعُنِي إلى السَّماءِ ـ :ابنُ اللهِ رفعَ إلى السَّماءِ، وقال قومٌ: صُلِبَ النَّاسوتُ وصَعدَ اللَّاهوتُ[1].

قولُه: (منقَطِعٌ) لأنَّ اتِّباعَ الظَّنِّ ليسَ مِن جنسِ العلمِ، والشَّكُّ قد يُطلَقُ على مطلقِ التَّردُّدِ، فجازَ وصفُهُم بأنَّهم شاكُّونَ ظانُّونَ.

قولُه: (حَالٌ) أي: متيقِّنينَ أنَّه هو بل شاكِّينَ متوهِّمينَ، أو التَّقديرُ: قتلاً يقِيناً.

وقولُه تعالى:(﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ﴾) فإنَّ السَّماءَ محلُّ ظهُورِهِ وسلطانِهِ.

قولُه: (بعِيسَى) أي: بأنَّهُ عبدُ اللهِ ورسولُه.

---

(١) يقولون لله لاهوت، وللناس ناسوت، وهي لغة عبرانية، تكلمت بها العرب قديماً. انظر: «تاج العروس» (٣٦/ ٤٩٦).

الكتابيِّ حين يُعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبلَ موت عيسى لمّا ينزلُ قُربَ الساعة كما ورد في حديث، ﴿ويَومَ القِيامةِ يَكُونُ﴾ عيسَى ﴿علَيهِم شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لمّا بُعث إليهم.

١٦٠ ـ ﴿فبِظُلمٍ﴾ أي: بسبب ظُلمِ ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾، هم اليهود، ﴿حَرَّمْنا علَيهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم﴾ ـ هي التي في قوله: «حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» الآيَةَ ـ ﴿وبِصَدِّهِمْ﴾ الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دينِه صدًّا ﴿كَثِيرًا، وأخذِهِمِ الرِّبا وقَد نُهُوا عَنهُ﴾ في التوراة، ١٦١ ـ ﴿وأكلِهِم أموالَ النّاسِ بِالباطِلِ﴾: بالرُّشا في الحُكم، ﴿وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ مِنهُم عَذابًا أَلِيمًا﴾: مؤلمًا.

١٦٢ ـ ﴿لكِنِ الرّاسِخُونَ﴾: الثابتون ﴿في العِلمِ مِنهُم﴾ كعبد الله بن سلام ﴿والمُؤمِنُونَ﴾: المهاجرون والأنصار ﴿يُؤمِنُونَ بِما أُنزِلَ إلَيكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ﴾ من الكُتب ـ ﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾ نُصبَ على المدح وقُرئ بالرفع ـ ﴿والمُؤتُونَ الزَّكاةَ والمُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، أُولئِكَ سَنُؤتِيهِم﴾،

قولُه: (كمَا ورَدَ في حدِيثٍ) بل في أحادِيثَ، وهو قولُ كثيرٍ منَ السَّلفِ، وهُو أولى؛ لأنَّ المقصُودَ منَ السِّياقِ هو بطلانُ ما ادَّعتْه اليهُودُ مِن قتلِهِ وصلبِهِ بأنَّه باقٍ حيٌّ وسينزِلُ قبلَ القيَامةِ ويؤمِنُ به كلُّ برٍّ وفاجرٍ.

قولُه: (بما فعَلُوهُ) أو يشهدُ عليهِم أنَّه قد بلَّغَ الرِّسالةَ، وأقرَّ على نفسِهِ بالعبُوديَّةِ.

قولُه:(في قولِه) أي: في قولِهِ تَعالى، كما في آيةِ.

قولُه: (الآيَةَ) أي: الَّتي في آخرِ الأنعامِ[1].

قولُه: (صدًّا) أو ناساً.

قولُه: (بالرُّشَا) وسائرِ الوجُوهِ المحرَّمةِ.

قولُه: (مؤلِماً) دونَ مَنْ تابَ وآمنَ.

قولُه: (عَلى المَدحِ) إنْ جُعِلَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الخبرَ لـ﴿أولئِكَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ حالُه.

قولُه: (وقُرِئَ بالرَّفعِ) أي: شاذًّا[2] عَطفاً على ﴿الرَّاسخُونَ﴾، أو الضَّميرُ في: ﴿يُؤمِنُونَ﴾ أو على أنَّه مبتدأٌ والخبرُ: ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِم﴾.

وقولُه تعالى: (﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾) رفعَهُ لأحدِ الأوجُهِ المذكُورةِ، وقيل: ارتفَعَ ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ على إضمارِ «هُم» على سبِيلِ القطعِ إلى الرَّفعِ، ولا يجوزُ أنْ يعطِفَ على المرفُوعِ قبلَهُ؛ لأنَّ النَّعتَ إذا قطعَ في شيءٍ منه لم يعدْ ما بعدَهُ إلى إعرابِ المنعُوتِ.

---

(١) الآية رقم: (١٤٦).

(٢) أي: ﴿والمقيمون الصلاة﴾، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٣٦) ونسبت للجحدري.

بالنون والياء، ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنّة.

١٦٣ ـ ﴿إنّا أَوحَينا إليكَ كَما أَوحَينا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِن بَعدِهِ، و﴾ كما ﴿أوحَينا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ﴾ ابنَيه ﴿ويَعقُوبَ﴾ بنِ إسحاقَ ﴿والأسباطِ﴾ أولادِه، ﴿وعِيسَى وأيُّوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيمانَ، وآتَينا﴾ أباه ﴿داوُدَ زَبُورًا﴾، بالفتح: اسمٌ للكتاب المُؤتَى، والضمّ: مصدرٌ بمعنى: مَزبورًا، أي: مكتوبًا.

١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿رُسُلاً قَد قَصَصْناهُم علَيكَ مِن قَبلُ، ورُسُلاً لَم نَقصُصْهُم علَيكَ﴾ ـ رُوي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. قاله الشيخ في سورة «غافر» ـ ﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى﴾ بلا واسطةٍ ﴿تكلِيمًا، رُسُلاً﴾: بدلٌ من «رُسلاً» قبلُ، ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب مَن آمنَ ﴿ومُنذِرِينَ﴾ بالعِقاب من كفر، ....

قولُه: (واليَاءِ) الغيبةُ لحمزةَ[١].

قولُه: (﴿و﴾ كَمَا) تخصِيصٌ بعدَ تعمِيمٍ[٢] للتَّشريفِ.

قولُه: (أولادِهِ) أي: أولادِ يعقُوبَ أو إبراهيمَ، فالأسباطُ؛ بمعنَى: الأحفادِ.

قولُه: (والضَّمّ) لحمزةَ[٣].

قولُه: (مصدَرٌ) قال البيضاويُّ[٤]: وهو جمعُ زبرٍ؛ بمعنَى: مزبُورٍ؛ يعنِي: سمِّيَ به.

قولُه: (﴿و﴾ أرسَلْنَا) يعنِي: نصبَ ﴿رُسُلًا﴾ بمضمرٍ دلَّ عليهِ: ﴿أَوْحَيْنَا﴾ أو فسَّرهُ قولُه: ﴿قَدْ قَصَصْنَا﴾.

قال تعالى: (﴿مِنْ قَبْلُ﴾) أي: مِن قبلِ هذهِ السُّورةِ أو اليومِ، أو في السُّورِ المكيَّةِ.

قولُه: (بدَلٌ) وجملةُ ﴿وَكَلَّمَ اللهُ﴾ اعتراضٌ بينَ المبدَلِ والمبدَلِ منهُ؛ لتشريفِ مُوسى، أو نُصِبَ على المدحِ، أو بإضمارِ: أرسلنَا.

قولُه: (مَنْ آمنَ) وأطاعَ.

قولُه: (مَنْ كفَرَ) وعصَى.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٩).

(٢) في (م) و(ص) و(د): «تعميم بعد تخصيص» وهو لا يستقيم من حيث المعنى.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢١٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٩).

أرسلناهم ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾ تُقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم، «فيقولُوا: ربَّنا، لَولا أرسَلتَ إلَينا رَسولاً، فنَتَّبعَ آياتِكَ ونكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ»، فبعثناهم لقطع عُذرهم. ﴿وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه.

ونزل لمّا سُئل اليهود عن نبوّته ﷺ فأنكروه: ١٦٦ - ﴿لكِنِ اللهُ يَشهَدُ﴾: يُبيّن نبوّتك ﴿بِما أَنزَلَ إلَيكَ﴾ من القُرآن المُعجز، ﴿أنزَلَهُ﴾ مُلتبسًا ﴿بِعِلمِهِ﴾ أي: عالمًا به أو: وفيه علمه، ﴿والمَلائكةُ يَشهَدُونَ﴾ لك أيضًا، ﴿وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك! ١٦٧ - ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبيلِ اللهِ﴾: دِين الإسلام بكتمهم نعْتَ مُحمّد - وهم اليهود - ﴿قَد ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ. ١٦٨ - ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وظَلَمُوا﴾ نبيّه بكِتمان نعته ﴿لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم، ولا لِيَهدِيَهُم طَرِيقًا﴾ من الطُّرق ١٦٩ - ﴿إلاّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطريقَ المؤدّيَ إليها، ﴿خالِدِينَ﴾: مُقدّرين الخلودَ ﴿فِيها﴾ إذا دخلوها ﴿أبَدًا، وكانَ ذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرًا﴾: هيّنًا.

قولُه: (أرسلْنَاهُم) أي: اللّامُ متعلِّقةٌ بهِ، أو بقولِه: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

قولُه: (يُبيِّنُ) ويقرِّرُ.

قولُه: (المُعجزِ) الدَّالُّ على نبوَّتِك.

قولُه: (ملتَبِساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾) أي: الَّذي أرادَ أنْ يطَّلعَ عبادُه عليه مِنْ صفاتِهِ ومُغيَّباتِهِ وأوامرِهِ ونواهِيهِ؛ يعني: بعلمِهِ الَّذي يحتاجُ النَّاسُ إليه في معاشِهِم ومعادِهِم، أو ملتبساً بعلمِه الخاصِّ بهِ، وهو العلمُ بتأليفِهِ على نظمٍ يعجزُ عنه كلُّ بليغٍ، أو بحالِ مَن يستعدُّ للنُّبوَّةِ فقولُه: ﴿بِعِلْمِهِ﴾ إمَّا حالٌ مِن الفاعلِ أو مِن المفعولِ.

قولُه: (النَّاسَ) أو أعرضُوا.

قولُه: (نبيَّهُ) أو أنفسَهُم، أو النَّاسَ.

قالَ تعالى: (﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ﴾) أي: بعدَما ماتُوا على الكُفرِ، أو هذا فيمَنْ علمَ أنَّه يمُوتُ على الكُفرِ.

قولُه: (مِنَ الطُّرُقِ) أي: طرقِ النَّجاةِ.

قولُه: (المُؤدِّيَ إليهَا) فالاستِثناءُ منقطِعٌ، أو متَّصلٌ على السُّخريةِ إذا كانت الهدايةُ الدَّلالةَ الموصلةُ إلى البغيةِ، وجازَ أن يُرادَ منَ الهدايَةِ مجرَّدُ الدَّلالةِ.

قولُه تعالى: (﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾) أي: عدمُ الغُفرانِ ووجُودُ الخلُودِ.

قولُه: (هيِّناً) فيه تحقيرٌ لأمرِهم وأنَّه تعالى لا يُبَالي بهِم.

١٧٠ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلُ مكّة، ﴿قَد جاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ مُحمّد ﴿بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم. فآمِنُوا﴾ به، واقصدوا ﴿خَيرًا لَكُم﴾ مِمّا أنتم فيه، ﴿وإنْ تَكفُرُوا﴾ به ﴿فإنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه بهم.

١٧١ ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ﴾: الإنجيل، ﴿لا تَغلُوا﴾: تتجاوزوا الحدَّ ﴿في دِينِكُم، ولا تَقُولُوا علَى اللهِ إلاّ﴾ القولَ ﴿الحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد. ﴿إنَّما المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ رَسُولُ اللهِ، وكَلِمتُهُ ألقاها﴾: أوصلها ﴿إلَى مَريَمَ، ورُوحٌ﴾ أي: ذو رُوح ﴿مِنهُ﴾. أضيف إليه ـ تعالى ـ.........

قولُه: (أي: أَهلُ مكّةَ) والظّاهرُ: أنّه خطابٌ عامٌّ.

قولُه: (واقصِدُوا) يعنِي: ﴿خَيْرًا﴾ مفعُولُ فعلٍ مقدَّرٍ؛ أي: ائتُوا أمراً خيراً لكُم ممَّا أنتُم عليه، فهو مِن بابِ:

علفتُهَـــا تبنـــاً ومـــاءً بـــارِداً[1]

أو التَّقديرُ آمنُوا إيمَاناً خيراً لكُم، وقيل: يكُنِ الإيمانُ خَيراً لكُم.

قولُه: (فلا يضرُّهُ) إشارةٌ إلى أنّهُ جوَابُ الشَّرطِ دلَّ عليهِ قولُه: ﴿فَإِنَّ للهِ﴾ يعنِي: إنْ تكفُرُوا فهو غنيٌّ عنكُم لا يتضرَّرُ بكفرِكُم كما لا ينتفِعُ بإيمانِكُم، ونبَّهَ على غناهُ بقولِه: ﴿للهِ مَا في السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾، وهو يعمُّ مَا اشتملَتَا عليه وما تركَّبَتا منه.

قولُه: (الإنجِيلِ) فالخطابُ للنَّصارَى خاصَّةً، فإنَّهُ أوفقُ لِمَا بعدَهُ، وقيل: الخطابُ للفريقينِ غلَتِ اليهُودُ في حطِّ عيسَى حتَّى رمَوهُ بأنَّهُ وُلِدَ لغيرِ رشدَةٍ[2]، والنَّصارَى في رفعِهِ حتَّى اتخذُوهُ إلهاً، وقد شابَهَت الفريقانِ الخوارجُ والرَّوافضُ مِن هذهِ الأمَّةِ في حقِّ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ورضي عنه.

قولُه: (القَولَ) أي: لكن قولُوا الحقَّ، بأن ﴿لا تَقُولُوا عَلَى اللهِ﴾ بمعنَى: لا تفترُوا، فيكونُ الاستِثناءُ منقطعاً.

قولُه: (والوَلدِ) والصَّاحبةِ.

قولُه تعالى: (﴿كَلِمَتُهُ﴾) أوجدَهُ بكلمةِ: كنْ.

قولُه: (أوصَلَهَا) وحصلَها فيها؛ يعنِي: خلقَهُ بالكلِمةِ الَّتي أرسلَ بها جبريلَ إلى مريَمَ، فنفخَ في جَيبِ

---

(١) شطر بيت تتمته

حتـــى شَـــتَتْ هَمَّالـــةً عيناهـــا

منسوب لذي الرمة وقال محمود شاكر لا يعرف في قائل الطبري.

(٢) يقال: رَشدة، ويقال: رِشدة، وولد رشدة: إذا كان لنكاح صحيح. «تاج العروس» (٨/ ٩٦).

تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابنَ الله أو إلـٰهًا معه أو ثالثَ ثلاثة لأنّ ذا الرُّوح مركَّبٌ والإلـٰـهَ منزّهٌ عن التركيب وعن نسبة المُركّب إليه. ﴿فآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ، ولا تَقُولُوا﴾: الآلهةُ ﴿ثلاثةٌ﴾ اللهُ وعيسى وأُمُّه. ﴿انتَهُوا﴾ عن ذلك وائتوا ﴿خَيرًا لَكُم﴾ منه، وهو التوحيد. ﴿إنَّما اللهُ إلـٰـهٌ واحِدٌ، سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عن ﴿أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ خلقًا ومُلكًا ـ والمُلكيّة تُنافي البُنوّة ـ ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾: شهيدًا على ذلك!

١٧٢ ـ ﴿لَن يَستَنكِفَ﴾: يتكبّر ويأنفَ ﴿المَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إلـٰـهٌ عن ﴿أنْ يَكُونَ عَبدًا لِلهِ، ولا المَلائكةُ المُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا.........

درعِها، فنزلَتْ حتَّى ولجَتْ فرجَها بمنزِلةِ لقاحِ الأبِ الأمَّ، صرَّحَ بذلك ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه[1]، كذا في تفسِيرِ الصَّفويِّ[2].

قولُه: (تشرِيفاً لَهُ) وقيل: سُمِّيَ روحاً؛ لأنَّه كانَ يُحيِي الأَمواتَ أو القلُوبَ، أو ذو رُوحٍ صدرَ منه لا بتوسُّطِ ما يجرِي مُجرَى الأصلِ والمادَّةِ له.

قولُه: (مركَّبٌ) أي: مِن الرُّوحِ والجسَدِ، واللهُ ليسَ بوالِدٍ ولا ولِدٍ، ومنزَّهٌ عن صفاتِ الحدُوثِ.

قولُه: (الآلِهةُ) أو آلهتُنا.

قولُه: (عن ذلكَ) أي: التَّثليثِ.

قولُه: (وائتوا ﴿خَيْرًا﴾) نصبُهُ كما سبقَ[3].

قولُه: (تنزِيهاً) أي: أنزِّهُهُ عن ذلكَ.

قولُه: (مُلْكاً) (والملكيَّةُ)؛ بكسرِ الميمِ.

قولُه: (البُنوَّة) بتقديمِ الباء على النُّونِ.

قولُه: (عبِيداً) فإنَّ عبُوديَّتهُ شرفٌ يُتَباهَى بها، وإنَّما المذلَّةُ والاستنكافُ في عبُوديَّةِ غيرِه، وما أحسَنَ قولَ الشَّاعرِ]:

لا تدعُنِــي إلَّا بيــا عبدَها فإنَّــهُ أشــرفُ أســمَائِيا[4]

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٧٣) بنحوه عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم.

(٢) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ٤٣٣).

(٣) في الآية السابقة رقم: (١٧٠).

(٤) لم أقف على قائله، إلا أن أبا عبد الرحمن السلمي رواه في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٦) من قول أبي عبد الله المغربي.

وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكر للردّ على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رُدّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصودِ خِطابُهم. ﴿ومَن يَستَنكِفْ عَن عِبادتِهِ ويَستكبِرْ فسَيَحشُرُهُم إلَيهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة.

١٧٣ ـ ﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم أُجُورَهُم﴾: ثوابَ أعمالهم، ﴿ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ﴾ «ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ»، ﴿وأمّا الَّذِينَ استَنكَفُوا واستَكبَرُوا﴾ عن عِبادته ﴿فيُعَذِّبُهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا هو عذاب النار، ﴿ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه.

١٧٤ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، قَد جاءَكُم بُرهانٌ﴾: حُجّة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ عليكم ـ وهو النبيّ ـ ﴿وأنزَلْنا إلَيكُم نُورًا مُبِينًا﴾: بيّنًا، وهو القُرآن. ١٧٥ ـ ﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ واعتَصَمُوا بِهِ فسَيُدخِلُهُم في رَحْمَةٍ مِنهُ وفَضلٍ، ويَهدِيهِم إلَيهِ صِراطًا﴾: ....

قالَ تعالى: (﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾) أي: يترفَّعْ ويطلُبُ الكبرياءَ، والاستكبارُ دونَ الاستنكافِ، فإنَّه تكبُّرٌ معَ أنفةٍ، ولذلك عطفَ عليهِ تعميماً بعد تخصِيصٍ، ولا يبعُدُ أن يكونَ معنَى: ﴿يَسْتَكْبِرْ﴾ يمتنعْ، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (في الآخِرةِ) فيُجَازيهم، وما بعدَهُ تفصِيلٌ للمُجازاةِ العامَّةِ المدلُولِ عليها مِن فحوَى الكلامِ، وإنْ لم يجرِ سوَى ذكرُ المستنكِفينَ، فكأنَّه قال: ومَن استنكَفَ ومَن آمنَ فسيَحشرُهُمُ اللهُ جمِيعاً يومَ يحشرُ العبادَ للمُجازاةِ.

قولُه: (يدفعُهُ) أوّلاً.

قولُه: (يمنعُهُم)آخراً.

قولُه: (منهُ) أي: مِنَ اللهِ، أو مِن عذابِهِ، وقيل: على مَا في نسخةٍ: ليسَ لفظَ القُرآنِ ولا يحتاجُ إلى تقديرِهِ، بل تقديرُه مضرٌّ لقولِه: ﴿وأَنْزَلْنَا﴾.

قولُه: (حجَّةٌ) وقيل: البرهانُ: الدِّينُ، [أو رسولُ اللهِ][1]، أو القرآنُ، فالعطفُ لتغايرِ الصِّفةِ.

قالَ تعالى: (﴿اعْتَصِمُوا﴾) أي: توكَّلُوا على اللهِ، أو تمسَّكُوا بالقُرآنِ.

وقولُه تعالى: (﴿فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾) أي: ثوابٍ قدَّرهُ بإزاءِ إيمانِه وعملِه رحمةً منهُ لا قضاءَ حقٍّ واجبٍ.

وقولُه تعالى: (﴿وَفَضْلٍ﴾) أي: إحسانٍ زائدٍ على قدرِ أعمالِهم.

وقولُه تعالى: (﴿وَيَهْدِيْهِمْ إِلَيهِ﴾) أي: إلى اللهِ، أو الموعُودِ.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من البيضاوي لتمام المعنى.

طريقًا ﴿مُستَقِيمًا﴾، هو دِين الإِسلام.

١٧٦ ـ ﴿يَستَفتُونَكَ﴾ في الكَلالة. ﴿قُلِ: اللهُ يُفتِيكُم في الكَلالةِ. إِنِ امرُؤٌ﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿هَلَكَ﴾: مات، ﴿لَيسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والد ـ وهو الكَلالة ـ ﴿وَلَهُ أُختٌ﴾ من أبوين أو أبٍ، ﴿فلَها نِصفُ ما تَرَكَ، وهُوَ﴾ أي: الأخُ كذلك ﴿يَرِثُها﴾ جميعَ ما تركتْ، ﴿إِنْ لَم يَكُنْ لَها وَلَدٌ﴾ ـ فإن كان لها ولد ذَكر فلا شيء له، أو أُنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأُخت أو الأخ من أُمّ ففرضُه السُّدس كما تقدّم أوّلَ السُّورة ـ ﴿فإنْ كانَتا﴾ أي: الأُختانِ ﴿اثنتَينِ﴾ أي: فصاعدًا لأنّها نزلتْ في جابر، وقد مات عن أَخوات،...

قولُه: (طرِيقاً) إمَّا بدلٌ مِنْ ﴿إِلَيهِ﴾، أو مفعُولُ ﴿يَهْدِيهم﴾، و﴿إِلَيهِ﴾ حالٌ مقدَّمٌ؛ أي: متوجِّهينَ إليه.

قولُه: (هُو دِينُ الإِسلامِ) والطَّاعةُ في الدُّنيا وطرِيقُ الجنَّةِ في العُقبَى.

قولُه: (في الكَلَالةِ) حُذِفَ لدَلالةِ الجوابِ عليهِ، والمستفتِي جابرُ بنُ عبدِ اللهِ، كما أخرجَه الأئمَّةُ السِّتَّةُ، كذا في «المبهماتِ»[١].

قولُه: (ولا والِدٌ) فإنَّ الأختَ لا ترِثُ معَ الأبِ، والولدُ أعمُّ مِن أنْ يكونَ ابناً أو بنتاً؛ لأنَّ الحكمَ تعيينُ النِّصفِ بطريقِ الفرضيَّةِ، وهو غيرُ ثابتٍ عندَ أحدِهما؛ أمَّا الابنُ فظاهرٌ، وأمَّا البنتُ فلإنَّ الأختَ حينئذٍ عصبةٌ ليسَ لها شيءٌ على سبيلِ الفرضيَّةِ، نعم نصيبُها النِّصفُ مع بنتٍ واحدةٍ لكن بطريقِ العُصُوبةِ، فليسَ للتَّخصيصِ وجهٌ، فافهمْ.

قولُه: (أو أَبٍ) فإنَّ ذكرَ ولدِ الأمِّ مضَى حكمُهُ في أوَّلِ السُّورةِ[٢].

قولُه: (أي: الأَخُ) هذا حاصِلُ المعنَى، وإلَّا فالتَّقديرُ الصَّحيحُ: والمرءُ يرثُ أختَهُ إنْ كان الأمرُ بالعكسِ.

وقولُه تعالى: (﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ﴾) يعنِي: ولا والدٌ.

قولُه: (الأَخُ) ضميرُ ﴿كانَتَا﴾ و﴿كَانُوا﴾ إلى مَن يرثُ بالأخوَّةِ، وتثنيتُه وجمعُه لمكانِ تثنيةِ الخبرِ وجمعِهِ.

قولُه: (نزلَتْ في جابرٍ، وقد ماتَ عن أخوَاتٍ) فيه أنَّه ماتَ بعدَ النَّبيِّ ﷺ بل قال بعضُهم: إنَّه آخرُ مَن ماتَ مِن الصَّحابةِ في المدينةِ[٣]، نعمْ نزلت الآيةُ فيهِ لَمَّا عادَهُ ﷺ وهو مريضٌ، وسألَه عن حُكمِ ورثتِهِ الكَلالةِ منه.

(١) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (ص: ٣٦).
ورواه البخاري (٥٦٧٦)، ومسلم (١٦١٦)، وأبو داود (٢٨٨٦)، والترمذي (٢٠٩٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٨٨)، وابن ماجه (٢٧٢٨).

(٢) عند الآية رقم: (١٢).

(٣) هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة من أهل العقبة، انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٥٢٩)، و«تنقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي (ص: ٣٢٤).

﴿فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ﴾ الأخُ، ﴿وإنْ كانُوا﴾ أي: الورثةُ ﴿إخوةً رِجالاً ونِساءً فلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثلُ حَظِّ الأُنثيَينِ. يُبيِّنُ اللهُ لكُم﴾ شرائعَ دِينكم لِـ﴿أنْ﴾ لا ﴿تَضِلُّوا. واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، ومنه المِيراث. روى الشيخانِ عن البراء أنها آخرُ آية نزلت أي: من الفرائض.

قولُه: (أي: الوَرَثةُ) أصلُه: وإنْ كانُوا إخوَةً وأخوَاتٍ فغُلِّبَ المذكَّرُ.

قولُه: (لـ﴿أنْ﴾ لّا ﴿تضلُّوا﴾) أو مِنْ أجلِ أن لا تضلُّوا، فحذفَ (لا) وهو قولُ الكوفيِّينَ، أو كراهةَ أنْ تضلُّوا، واللهُ أعلمُ.

***



مدنية، وهي مِائَةٌ وعشرون آية، أو واثنتانِ أو وثلاث.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أَوفُوا بِالعُقُودِ﴾: العُهودِ المُؤكَّدة التي بينكم وبين الله والناس. ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمةُ الأنعامِ﴾: الإبلِ والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح، ﴿إلاّ ما يُتلَى علَيكُم﴾ تحريمُه في: «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ» الآيَةَ ـ فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون مُتّصلاً، والتحريمُ لِما عَرَضَ من الموت ونحوه ـ ﴿غيرَ مُحِلِّي الصَّيدِ وأنتُم حُرُمٌ﴾، أي: مُحرِمون.......................

سورة المائدة

قولُه: (والنَّاسِ) يعنِي: المرادُ بالعُقودِ ما يعمُّ العُقودَ الَّتي عقدَها اللهُ على عبادِه وألزمَهُم إيَّاها مِن التَّكاليفِ، وما يعقدُونَ بينهُم مِن عقودِ الأماناتِ والمعاملاتِ ونحوِها ممَّا يجبُ الوفاءُ بِه.

قولُه: (الإبلِ...) إلخ، البهِيمةُ: كلُّ حيٍّ لا يُميِّزُ، وقيلَ: كلُّ ذاتِ أربعٍ[1]، وإضافتُهَا إلى الأنعامِ للبيانِ، وهي الأزواجُ الثَّمانيةُ، وأُلحِقَ بها الظِّباءُ وبقرُ الوحشِ لتصحِيحِ الحالِ الآتيةِ.

قولُه: (تحرِيمُهُ) أو محرَّمَ ما يُتلَى عليكُم؛ يعنِي: هو مستثنًى من بهِيمةِ الأنعامِ، وليسَ مِن جنسِها؛ لأنَّ المتلوَّ لفظٌ فلا بدَّ مِن تقديرٍ ليصِيرَ مثلَ المستثنَى منه، وهو حذفُ المضافِ، إمَّا مِن فاعلِ ﴿مَا يُتْلَى﴾، أو ممَّا يُتْلَى عليكُم عبارةٌ عن البهائمِ المحرَّمةِ بقولِه[2]: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾.

قولُه: (ونَحوِهِ) ممَّا أُهلَّ لغَيرِ اللهِ والمنخنِقةِ... إلخ.

قولُه: (أي: مُحرِمُونَ) يعنِي: الحُرُمَ جمعُ: حرامٍ، وهو المحرمُ، والجملةُ حالٌ ممَّا استكنَّ في ﴿مُحِلِّي﴾.

---

(١) انظر: «المصباح المنير» (١/ ٦٤).

(٢) وانظر: «فتوح الغيب» (٥/ ٢٥٦).

ونُصِب «غيرَ» على الحال من ضمير «لكم». ﴿إنَّ اللهَ يَحكُمُ ما يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

٢ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُحِلُّوا شَعائرَ اللهِ﴾: جمع شَعيرة، أي: معالمَ دِينه بالصيد في الإِحرام، ﴿ولا الشَّهرَ الحَرامَ﴾ بالقتال فيه، ﴿ولا الهَدْيَ﴾: ما أُهدِيَ إلى الحَرَم من النَّعم بالتعرّض له، ﴿ولا القَلائدَ﴾: جمع قِلادة ـ وهي ما كان يتقلّد به مَن يَنحر الهدْيَ لِيأمَنَ ـ أي: فلا تتعرّضوا لها.......

قولُه: (مِنْ ضَمِيرِ ﴿لَكُمْ﴾) وقيل: مِن واو ﴿أَوْفُوا﴾ وهو بعِيدٌ لفظاً ومعنًى، وقيل: استثناءٌ، وفيه تعسُّفٌ[١]، والصَّيدُ يحتملُ المصدرَ والمفعُولَ، والأوَّلُ أظهرُ.

قولُه: (وغيرِهِ) أي: تحرِيمٍ وأمرٍ.

قولُه: (جَمعُ شَعِيرةٍ) وهي اسمُ ما أُشعرَ؛ أي: جُعِلَ شعَاراً، سُمِّيَ بِهِ أعمالُ الحجِّ ومواقفُهُ؛ لأنَّها علاماتُ الحجِّ وأعلامُ النُّسكِ، وقيل: فرائضُهُ الَّتي حدَّها لعبادِهِ، فيكونُ التَّقديرُ: لا تحلُّوا تركَهَا، أو المعنَى: لا تحلُّوا محارِمَ اللهِ.

قولُه: (بالقِتَالِ فيهِ) أو بالنَّسيءِ فيه؛ أي: بعدمِ تعظيمِهِ، والجمهورُ على أنَّه منسوخٌ يجُوزُ ابتداءُ القتالِ فيه معَ أهلِ الشِّركِ في الأشهرِ الحُرمِ[٢]، لكن لا في الحَرمِ عندَنا[٣]، كذا في «المدارِكِ»[٤].

وحَكى ابنُ جريرٍ الإجماعَ على أنَّ المشركَ يجُوزُ قتلُهُ وإن أمَّ البيتَ الحرامَ إذا لم يكُن له أمانٌ[٥].

قولُه: (جَمْعَ قلادَةٍ) أي: ذواتِ القلائدِ من الهديِ فاختُصَّت؛ لأنَّها أشرَفُ الهديِ.

قولُه: (مِنْ شَجرِ الحرَمِ) أو مِن نعلٍ، أو غيرِهما ليُعلمَ به أنَّه هديٌ، وقال بعضُهُم[٦]: المعنَى: لا تترُكُوا الإهداءَ إلى البيتِ، ولا تترُكُوا تقليدَها في أعناقِها.

قولُه: (لتَأمَنَ) وفي نسخةٍ: «لتأمنُوا» والصَّحيحُ هو الأوَّلُ.

قولُه: (لهَا) أي: للأنعَامِ المقلَّدةِ.

---

(١) نُسب القول بالاستثناء للبصريين، انظر: «البحر المحيط» (٤/ ١٦٠) فقد سرد أقوال أهل العلم فيها وحررها رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٣١٥)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ١٢١).

(٣) أي: عند الأحناف.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ١٦٦).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٧٩).

(٦) هو ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٠).

ولا لأصحابها، ﴿ولا﴾ تُحِلّوا ﴿آمِّينَ﴾: قاصدِين ﴿البيتَ الحَرامَ﴾ بأن تقاتلوهم، ﴿يَبتَغُونَ فَضلاً﴾: رِزقًا ﴿مِن رَبِّهِم﴾ بالتِّجارة ﴿ورِضوانًا﴾ منه بقصده بزعمهم - وهذا منسوخ بآية «براءة» - ﴿وإذا حَلَلتُم﴾ من الإِحرام ﴿فاصطادُوا﴾: أمرُ إباحةٍ.

﴿ولا يَجرِمَنَّكُم﴾: يُكسِبَنَّكم ﴿شَنَآنُ﴾، بفتحِ النون وسكونِها: بُغضُ ﴿قَومٍ﴾، لأجلِ ﴿أنْ صَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ، أنْ تَعتَدُوا﴾..

وقولُه: (أو لأصحَابِها) أي: لأصحابِ الأنعامِ، أو لأصحابِ القلائدِ؛ إذ نقلَ بعضُهُم[١]: أنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانُوا يقلِّدُونَ أنفسَهُم بالشَّعرِ والوَبرِ في سفرِ الحجِّ في غيرِ أشهرِهِ، وإبلَهُم مِنْ لحاءِ شَجرِ[٢] الحرمِ، فيأمُنونَ بِهِ، فنهَى اللهُ عن التَّعرُّضِ لهُم بقولِهِ: ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ وهو أيضاً منسُوخٌ.

قولُه: (قاصِدِينَ) أي: قتالَ قومٍ قاصدِينَ البيتَ لزيارتِهِ، وهذا أولَى مِن تقديرِ الشَّيخِ بـ: أن تقاتلُوهُم.

قولُه: (بزَعمِهِم) لأنَّ الكافِرينَ ليسَ لهم نصِيبٌ مِن الرِّضوانِ.

قولُه: (بآيَةِ براءَةَ) ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أي: مِنْ حلٍّ أو حرمٍ، كذا في «المداركِ»[٣].

قولُه: (وسُكُونِهَا) للشَّاميِّ وشعبةَ، وأمَّا نسبتُهُ إلى نافعٍ على ما ذكرَهُ القاضِي[٤] فغيرُ صَحِيحةٍ[٥].

قولُه: (بُغضُ ﴿قومٍ﴾) أو شدَّةُ بغضِهِم وعدَاوتِهِم، وهو مصدرٌ أُضِيفَ إلى المفعُولِ أو الفاعلِ.

قولُه: (لأجلِ) متعلِّقٌ بـ﴿شنآن﴾، وفي قراءةٍ للمكِّيِّ والبصريِّ بكسرِ الهمزةِ على أنَّهُ شرطٌ معترِضٌ بينَ العاملِ والمعمُولِ[٦]، استُغْنِيَ عن جوابِهِ بـ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُم﴾ وأُورِدَ على هذهِ القراءةِ أنَّهُ لا قدرَةَ لهُم على الصَّدِّ بعدَ فتحِ مكَّةَ، وأُجِيبَ: بأنَّ تقديرَهُ: إن كانُوا صدُّوكُم، أو بأنَّهُ للتَّوبيخِ على صدِّ الواقعِ يومَ الحديبيةِ، والدَّلالةُ على أنَّهُ كان ينبَغِي أن لا يكونَ وقوعُهُ إلَّا على سبيلِ الفرضِ، والأظهرُ أنَّ ﴿أنْ﴾ بمعنَى: إذ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٤٩).

(٢) اللحاء: قشرُ الشَّجرِ. «مختار الصحاح» (ص: ٢٨١).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٦٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٢/ ١١٤).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ١٩).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢١٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٠).

عليهم بالقتل وغيره، ﴿وتَعاوَنُوا علَى البِرِّ﴾ فعلِ ما أُمرتم به، ﴿والتَّقوَى﴾ بترك ما نُهيتم عنه، ﴿ولا تَعاوَنُوا﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ـ ﴿علَى الإثمِ﴾: المَعاصي ﴿والعُدْوانِ﴾: التعدّي في حدود الله، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾: خافوا عِقابه بأن تُطيعوه. ﴿إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لمَن خالفه.

٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ﴾ أي: أكلُها ﴿والدَّمُ﴾ أي: المسفوح كما في «الأنعام»، ﴿ولَحمُ الخِنزِيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ﴾ بأن ذُبح على اسمِ غيرِه، ﴿والمُنخَنِقةُ﴾: المَيْتة خنقًا، ﴿والمَوقُوذةُ﴾: المقتولة ضربًا، ﴿والمُتَرَدِّيةُ﴾: الساقطة من علوّ إلى أسفلَ فماتت، ﴿والنَّطِيحةُ﴾: المقتولة بنطح أُخرى لها، ﴿وما أكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فماتَ ﴿إلاّ ما ذَكَّيتُم﴾: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه، ﴿وما ذُبِحَ علَى﴾ اسم ﴿النُّصُبِ﴾: جمع نِصاب ـ وهي الأصنام ـ ﴿وأنْ تَستَقسِمُوا﴾:.........

قولُه: (بالقَتلِ) أي: بالانتقامِ ثانِي مفعُولي ﴿يَجْرِمَنَّكُم﴾ أي: لا يكسبَنَّكُمُ البُغضُ الاعتداءَ عليهم، أو التَّقديرُ: لا يحملَنَّكُم على أنْ تعتدُوا، نزلَتْ حينَ أرادَ الصَّحابةُ صدَّ بعضِ المشركينَ عن العُمرةِ انتقاماً مِن أصحابِهِم لمَّا صدُّوهُم عن البيتِ بالحدَيبيةِ. رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ عن زيدِ بنِ أسلمَ[١].

قولُه: (في الأَصْلِ) وقرأ البزِّيُّ بتشديدِ التَّاءِ في الوصلِ[٢].

قولُه: (التَّعدِّي) أو الظُّلمِ.

قولُه: (أي: أكلُهَا) أي: لا مطلقُ الانتفاعِ بها، والميتَةُ: ما فارقَها الرُّوحُ من غيرِ تذكِيةٍ.

قولُه: (كمَا في الأَنعَامِ) ﴿أو دماً مسفُوحاً﴾ وكان أهلُ الجاهليَّةِ يصبُّونَها في الأمعاءِ ويشوُونَها.

قولُه: (المَقتُولةُ) بنحوِ خشبٍ أو حجَرٍ ثقيلٍ غيرِ محدَّدٍ، وذلك من عاداتِ الجاهليَّةِ.

قولُه: (مِنْ علوٍّ) كجبلٍ، أو سطحٍ إلى سُفْلٍ أو بئرٍ.

قولُه: (منهُ) أي: بعضَهُ وماتَ بجرحِهِ، وهو دليلٌ على أنَّ جوارِحَ الصَّيدِ إذا أكلَت ممَّا اصطادَتهُ لم تحلَّ.

قولُه: (الرُّوحَ) أي: حياةً مستقرَّةً فإنَّهُ حلالٌ.

قولُه: (وهيَ الأصنَامُ) على هذا، هذا وما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ واحدٌ، إلَّا أنَّهُ تخصِيصٌ بعدَ تعمِيمٍ، والأكثرُ على أنَّ النُّصُبَ واحدُ الأنصابِ، وهي أحجارٌ كانت منصُوبةً حولَ البيتِ يذبحُونَ عليها، ويعدُّونَ ذلك قربةً، وينضحُونَها بدماءِ تلك الذَّبائحِ ويُشرِّحونَ اللَّحمَ ويضعُونَها على النُّصُبِ، فحرَّمَ اللهُ أكلَ هذا اللَّحمِ وإن ذُكِرَ عليه اسمُ اللهِ لما فيه مِن الشِّركِ، وقيل: ﴿على﴾ بمعنى: اللَّام[٣].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٢).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ١١٤).

تطلبوا القَسْم والحُكم ﴿بِالأزلامِ﴾: جمع زَلَم، بفتح الزاي وضمّها مع فتح اللام: قِدْحٌ بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل. وكانت سبعةً عند سادِنِ الكعبة عليها أعلام، وكانوا يحكِّمونها. فإن أمرتْهمُ ائتمروا وإن نهتهمُ انتهَوا. ﴿ذلِكُم فِسقٌ﴾: خُروج عن الطاعة.

قولُه: (تطلُبُوا) في موضعِ الرَّفعِ عطفٌ على ﴿الْمَيْتَةُ﴾.

قولُه: (معَ فَتحِ اللّامِ) أي: فيهما كجبلٍ وصُرَدٍ[1].

قولُه: (وكانَتْ) أي: الأزلامُ (سبعَةً) المشهورُ ثلاثةٌ[2].

قولُه: (أَعلامٌ) أي: علاماتٌ، وذلك أنَّهم إذا قصَدُوا فعلاً كسفرٍ ونكاحٍ ضَربُوا ثلاثةَ أقدَاحٍ مكتُوبٍ على أحدِها: أمرَنِي ربِّي ـ وقيل: افعَلْ ـ، وعلى الآخرِ: نهَانِي ربِّي ـ وقيل: لا تفعَلْ ـ، والثَّالثُ: غُفْلٌ لا شيءَ عليه، فإنْ خرجَ الآمرُ فعلُوهُ، وإنْ خرجَ النَّاهيُ تركُوهُ، وإنْ خرجَ الغُفْلُ أجالُوهَا ثانياً.

فمعنَى الاستقسَامِ: طلبُ معرفةِ ما قُسِمَ لهم، دونَ ما لم يُقسَمْ بالأزلامِ، وقيل: هو استِقسامُ الجَزُورِ بالأقداحِ على الأنصِباءِ المعلُومَةِ[3]، وهو نوعُ قمَارٍ.

قولُه: (خرُوجٌ) والإشارةُ إلى الاستِقسَامِ، ووَجهُ كونِهِ فسقاً؛ لأنَّه دخُولٌ في علمِ الغيبِ، وأنَّهُ تعالى مختَصٌّ بمعرفتِهِ، وضلالٌ باعتقادِ أنَّ ذلكَ طريقٌ إليه، وافتراءٌ على اللهِ إنْ أريدَ بربي اللهُ، وجهَالةٌ وشركٌ إنْ أُريدَ بهِ الصَّنمُ.

أو: أنَّهُم كانُوا يجعلونَها عند أصنامِهِم، ويعتقِدُونَ أنَّ ما خرجَ من الأمرِ والنَّهي إرشادُ الأصنامِ وإعانتُها، ولذلك كانَ فِسقاً وكفراً.

أو: الإشَارةُ إلى الميسرِ المحرَّمِ، أو: إلى ما حُرِّمَ بتقدِيرِ التَّناولِ؛ لأنَّ التَّحلِيلَ والتَّحريمَ إنَّما يتعلَّقانِ بالأفعالِ دونَ الأعيانِ.

---

(١) الصُّرَدُ ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ: طائرٌ ضخم الرأس، يصطادُ العصافير. «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٣).

(٢) من فسَّر الأزلام بأنها قداح الميسر، فهي سبعة، ومن فسرها بأنها قداح الأمر والنهي؛ فهي اثنان (الأول: أمرني ربي. والثاني: نهاني ربي)، أو ثلاثة: (أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: مهمل لا شيء عليه). وانظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٧٩)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٥٨).

وفي «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٢٠): وقد قال المؤرّج، وجماعة من أهل اللُّغة: إنَّ الأزلام قداح الميسر؛ وهو وهم.

(٣) أي: طلب معرفة كيفية قسمة الجزور. «روح البيان» (٢/ ٣٤٢).

ونزل بعَرَفةِ عامِ حَجّةِ الوداع: ﴿اليومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم﴾ أن ترتدّوا عنه بعد طمعهم في ذلك لِما رأوا من قوّته. ﴿فلا تَخشَوهُم واخشَونِ. اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾: أحكامه وفرائضه ـ فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ـ ﴿وأتمَمتُ علَيكُم نِعْمتِي﴾ بإكماله، وقيل: بدُخول مكّة آمِنِينَ. ﴿ورَضِيتُ﴾: اختَرتُ ﴿لَكُمُ الإِسلامَ دِينًا. فمَنِ اضطُرَّ في مَخمَصةٍ﴾: مجاعة إلى أكل شيء مِمّا حُرّم عليه فأكل ﴿غَيرَ مُتَجانِفٍ﴾: مائل ﴿لِإثمٍ﴾: معصية ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكلَ ﴿رَحِيمٌ﴾ به في إباحته له، بخلاف المائلِ لِإثم، أي: المُتلبِّسِ به كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يَحِلّ له الأكلُ.

٤ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ يا مُحمّد: ﴿ماذا أُحِلَّ لَهُم﴾ منَ الطعام؟ ﴿قُلْ: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ﴾: المُستلَذّاتُ ﴿و﴾ صَيدُ ﴿ما عَلَّمتُم مِنَ الجَوارِحِ﴾: الكواسِبِ..

قولُه: (بعَرَفةَ) أي: يومِ عرفةَ بعد العصرِ، كمَا في «الصَّحيحِ»[1].

قولُه: (عامَ حجَّةِ الوَدَاعِ) يعنِي: يومَ الجمعَةِ، فكانَ عيدَينِ بل ثلاثَةَ أعيادٍ: يومَ نزُولِهَا، ويومَ الجُمعةِ، والحجِّ.

وقولُه تعالى: (﴿اليَوْمَ﴾) قيل: لم يرِدْ يوماً بعينِهِ، فهو بمعنَى: الآنَ، وقيل: أرادَ يومَ نزولِها.

قولُه: (أنْ تُرَدُّوا) بصيغَةِ المجهُولِ؛ أي: ترجعُوا، وفي نسخَةٍ: «ترتَدُّوا» والمعنَى: أن يغلبُوكُم.

وقولُه: (لِمَا رَأَوا مِنْ قوَّتِهِ) إذ أُخرِجَ الكفَّارُ مِن مكَّةَ وبلغَ عددُ المسلمينَ مئةَ ألفٍ.

قولُه تعَالى: (﴿دِينًا﴾) أي: من بينِ الأديانِ، وهو الدِّينُ عندَ اللهِ لا غيرَ؛ يعنِي: ديناً مرضيًّا لا أسخطُهُ ولا أنسخُهُ أبداً، وهو حالٌ أو تمييزٌ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (مَعصِيةٍ) بأن يأكلَهَا تلذُّذاً، أو مجاوزاً حدَّ الرُّخصَةِ.

قولُه: (أي: المُتلبِّسِ) وعندَنا المطِيعُ والعاصِي سواءٌ في الرُّخَصِ.

قولُه: (المُستَلَذَّاتُ) الأولى: ما لم يأتِ تحريمُهُ في كتابٍ أو سنَّةٍ أو إجماعٍ أو قياسٍ.

قولُه: (﴿و﴾ صيدُ) أو اقتناءُ، وهو عطفٌ على ﴿الطَّيِّباتُ﴾ و﴿ما﴾ موصُولَةٌ.

قولُه: (الكَوَاسِبِ) أي: كواسبِ الصَّيدِ على أهلِها، وقيل: هي من الجراحَةِ، فيُشتَرَطُ للحلِّ الجرحُ، كذا في «المدارِكِ»[2]، وعندَ أبِي يوسُفَ: لا يُشتَرَطُ الجُرحُ، كذا في «شرحِ الوقايةِ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٦)، ومسلم (٣٠١٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٤٢٧).

(٣) وانظر: «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٤٦٥).

من الكِلاب والسِّباع والطير، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حالٌ ـ من: كَلَّبْتُ الكلبَ بالتشديد: أرسلتُه على الصيدِ ـ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: حالٌ من ضمير «مكلِّبينَ» أي: تُؤدِّبونهنَّ ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ مِن آداب الصيد.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وإن قتلنَه بأن لم يأكلنَ منه بخلاف غير المُعلَّمة فلا يَحِلّ صيدُها ـ وعلامتُها أن تَسترسلَ إذا أُرسِلتْ، وتَنزجرَ إذا زُجرتْ، وتُمسِكَ الصيدَ ولا تأكلَ منه. وأقلُّ ما يُعرف به ذلك ثلاثُ مرّات، فإن أكلْنَ منه فليس ممّا أمسكْن على صاحبهنّ ....

قولُه: (والسِّبَاعِ والطَّيرِ) كالفَهدِ والعقَابِ والصَّقرِ والبازِيِّ والشَّاهينِ.

قولُه: (حالٌ) من ﴿عَلَّمْتُم﴾.

قولُه: (مِنْ: كلَّبْتُ الكَلبَ) أي: مأخُوذٌ منهُ، والحكمُ وإنْ كانَ عامًّا في الجوارِحِ لكنَّهُ على سبيلِ التَّغليبِ؛ لأنَّ التَّأديبَ يكونُ أكثرَ فيه، أو لأنَّ الغالِبَ مِنْ صيدِهِم أنْ يكونَ بالكلبِ، أو لكثرتِهِ في جنسِهِ، أو لأنَّ السَّبعَ يُسمَّى كلباً.

قولُه: (حالٌ...) إلخ، أو حالٌ ثانيةٌ، أو استِئنافٌ.

قولُه: (مِنْ آدَابِ الصَّيدِ) منَ الحيَلِ وطرُقِ التَّأديبِ، فإنَّ العلمَ بها إلهامٌ من اللهِ تعالى، أو مكتسَبٌ مِنَ العَقلِ الَّذي هو منحَةٌ منه، أو ممَّا علَّمَكُم أنْ تعلمُوهُ مِن اتِّباعِهِ الصَّيدَ بإرسالِ صاحبِهِ، وينزَجرَ بزجرِهِ، وينصَرفَ بدُعائِهِ، ويمسكَ على صَاحبِهِ الصَّيدَ، ولا يأكلَ منه.

قولُه: (بأنْ لم يأكُلْنَ مِنهُ) يعنِي: إذا كانَ كلبَ صَيدٍ ونحوَهُ، فأمَّا صيدُ البَازيِّ ونحوِهُ فأكلُهُ لا يحرِّمُهُ، كذا في «المدارِكِ»[1]، قال البيضَاويُّ[2]: لأنَّ تأديبَهَا إلى هذا الحدِّ متعذِّرٌ، وقال آخرُونَ[3]: لا يُشترَطُ مطلقاً، انتهى.

منهُم عليٌّ[4] وابنُ عبَّاسٍ[5]، وإنْ أكلَ منهُ ثُلُثَه، والأكثرُونَ على الأوَّلِ.

قولُه: (ثَلاثُ مرَّاتٍ) وفي البازيِّ بالرُّجوعِ إليه بدُعائِهِ.

قولُه: (فإنْ أكَلْنَ منهُ) أي: ولم يدركْهُ صاحبُهُ فيَذبحهُ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١١٥).

(٣) قال السيوطي في «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» (٣/ ٢٤٠): هو رأي إمام الحرمين.

(٤) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٩) عن علي رضي الله عنه مساواته بين الجميع فقال: «إذا أكل الباري من صيده فلا تأكل».

(٥) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنه: «قال في الطير: إذا أرسلتَه فقتل، فكُل. فإن الكلبَ إذا ضربته لم يَعُدْ. وإن تعليم الطير أن يرجع إلى صاحبه، وليس يضرب إذا أكل من الصيد ونتف من الريش».

فلا يَحِلُّ أكله كما في حديث الصحيحين، وفيه أنّ صيد السهم، إذا أرسل وذُكر اسم الله عليه، كصيد المُعلَّم من الجوارح ـ ﴿واذكُرُوا اسمَ اللهِ عليهِ﴾ عِند إرساله، ﴿واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

٥ ـ ﴿اليَومَ أُحِلَّ لكُمُ الطَّيِّباتُ﴾: المُستلَذّات، ﴿ وطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: ذبائحُ اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿لكُم، وطَعامُكُم﴾ إيّاهم ﴿حِلٌّ لَهُم، والمُحصَناتُ مِنَ المُؤمِناتِ، والمُحصَناتُ﴾: الحرائرُ ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم﴾ حِلٌّ لكم أن تنكحوهنّ،............

قولُه: (عندَ إرسَالِهِ) الضَّميرُ لـ﴿مَا علَّمْتُم﴾ وهذا الأمرُ للنَّدبِ عندَ الأكثرينَ خِلافاً للإمامِ أحمدَ[١]، فإنَّ ذكرَهُ عندهُ شرطٌ للحلِّيَّةِ، أو لـ﴿مَا أَمْسَكْنَ﴾ بمعنَى: سمُّوا عليهِ إذا أدركْتُم ذكاتَهُ.

وفي «البحرِ»[٢]: الظَّاهرُ عَودُ الضَّميرِ إلى المصدَرِ المفهُومِ مِن قولِهِ: ﴿فكُلُوا﴾ أي: على الأكلِ.

قولُه: (المُستَلَذَّاتُ) أو الذَّبائحُ على اسمِ اللهِ، والأظهَرُ الأعمُّ، ذكرَ ما هو معلُومٌ ليعطِفَ عليه المجهُولَ، أو كرَّرَهُ تأكِيداً للمنَّةِ.

قولُه: (أي: ذبَائحُ اليَهُودِ...) إلخ، لأنَّ سائرَ الأطعِمةِ لا يختصُّ حلُّها بالملَّةِ.

قولُه: (إيَّاهُم) أي: فلا عليكُم أن تطعمُوهُم؛ لأنَّهُ لو كانَ حراماً عليهم طعامُ المؤمنينَ لما ساغَ لهم إطعامُهُم ولا بيعُهُم.

قولُه: (﴿الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾) الحرائرُ: العفائفُ، وتخصيصُهُنَّ بعثٌ على ما هو الأولى مِنْ تَخَيُّرِ المؤمنينَ لنُطَفِهم، فإنَّه يصحُّ نكاحُ الإماءِ مِن المسلماتِ، ونكاحُ غيرِ العفائفِ.

قولُه: (الحَرَائرُ) أو العَفائفُ، أو الحرائرُ العفائفُ، أكثرُ السَّلفِ على أنَّهُ لا يجوزُ تزوُّجُ الذِّمِّيَّةِ الزَّانيةِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ[٣]: لمَّا نزلَتْ ﴿لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ حُجِزَ[٤] النَّاسُ عنهُنَّ حتَّى نزلَتْ: ﴿والمحصناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ فنكحَ النَّاسُ نساءَ أهلِ الكتابِ.

قولُه: (حِلٌّ لكُمْ) وإن كنَّ حربيَّاتٍ، وقال ابنُ عبَّاسٍ: لا تحلُّ الحربيَّاتُ[٥].

---

(١) انظر: «الروض المربع» (٣/ ٤٤٦)

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ١٨٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧١١)..

(٤) في الأصول: «حجر»، وما أثبته من المصادر.

(٥) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٥١): لم أقف عليه.

كذا قال؟ ورواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من نساء أهل الكتاب من يحلُّ لنا، ومنهم من لا يحلُّ لنا، ثم قرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا =

﴿إذا آتيتُموهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنّ ﴿مُحصِنِينَ﴾: مُتزوّجين ﴿غَيرَ مُسافِحِينَ﴾: مُعلِنينَ بالزّنى بهنّ، ﴿ولا مُتَّخِذِي أخدانٍ﴾ منهنّ تُسِرّون بالزّنى بهنّ. ﴿ومَن يَكفُرْ بالإيمانِ﴾ أي: يرتدّ ﴿فقَد حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يُعتدّ به ولا يُثاب عليه، ﴿وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ إذا مات عليه.

٦ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا قُمتُم﴾ أي: أردتمُ القِيام ﴿إلَى الصَّلاةِ﴾، وأنتم مُحدِثون،.........

قولُه: (مهُورَهُنَّ) وتقييدُ الحلِّ بإيتائِهَا لتأكِيدِ وجُوبِها، والحثُّ على الأَوْلَى، وقيل: المرادُ بإيتائِهَا التزامُها؛ لأنَّه مقدِّمةُ الإيتاءِ.

قولُه: (متزَوِّجِينَ) أعفَّاء بالنِّكاحِ.

قولُه: (بهِنَّ) والخِدْنُ: الصَّديقُ، يقعُ على الذَّكرِ والأُنثَى، وعن بعضِ السَّلفِ[1]: لا يصحُّ نكاحُ البغيَّةِ مِن عفيفٍ، وعقدُ الفاجرِ على عفيفةٍ حتَّى يتُوبَا، وسيأتِي الكلامُ في قولِهِ تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ... ﴾ الآيةَ [النور: ٣].

قولُه: (يرتَدَّ) أو أعمُّ، والمرادُ بالإيمانِ: شرائعُ الإسلامِ، وبالكُفرِ بهِ: إنكارُهُ والامتناعُ عنه، أو المرادُ: باللهِ الَّذي يجبُ الإيمانُ بهِ.

قولُه: (فلا يُعتَدَّ بهِ) فيعيدُ الحجَّ عندَنا[2]؛ لأنَّهُ فرضُ العُمرِ، بخلافِ غيرِه، خلافاً للشَّافعيِّ، فإنَّ البُطلانَ عندَهُ مقيَّدٌ بالموتِ على الكُفرِ، كما تقدَّمَ[3].

قولُه: (عليهِ) أي: على الكُفْرِ أعمُّ مِن الارتدادِ.

قولُه: (أَرَدتُمْ) عبَّرَ عن إرادةِ الفعلِ بالفعلِ المسبَّبِ عنها للإيجازِ، أو إذا قصدتُم؛ لأنَّ القيامَ والتَّوجُّه إلى الشَّيءِ قصدٌ له، أو مِن النَّومِ؛ لأنَّه دليلُ الحدثِ.

قولُه: (وأنتُمْ مُحدِثُونَ) ظاهرُ الآيةِ تُوجِبُ الوضوءَ على كلِّ قائمٍ إلى الصَّلاةِ وإن لم يكنْ محدِثاً، والإجماعُ على خلافِهِ[4]؛ لما رُوِيَ: أنَّه ﷺ صلَّى الخمسَ بوضُوءٍ واحدٍ يومَ الفتحِ، فقال عمرُ: صنعْتَ شيئاً لم تكنْ تصنعُه، فقالَ: «عمداً فعلْتُهُ يا عُمرُ»[5].

= يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) [سورة التوبة: ٢٩]. فمن أعطى الجزية حلّ لنا نساؤه، ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه.

(١) وانظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للإيجي (١/ ٤٤٣).

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٧٥).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٢٤٧).

(٤) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ١١٦).

(٥) رواه النسائي (١٣٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٠٢٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢)، وأبو عوانة في «مسنده» (٦٤٧).

﴿فاغسِلُوا وُجُوهَكُم وأيدِيَكُم إلَى المَرافِقِ﴾ أي: معها كما بَيّنته السُّنّة، ﴿وامسَحُوا بِرُؤُوسِكُم﴾ ـ الباء: للإلصاق أي: ألصِقوا المسح بها من غير إسالة ماء..........................

فقيلَ: هو مطلقٌ أريدَ به التَّقييدُ، والمعنَى: إذا قمْتُم إلى الصَّلاةِ محدِثِينَ.

في «البحرِ»[١]: ويدلُّ على هذا المحذُوفِ مقابلتُهُ بقولِهِ: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فكأنَّه قال: إنْ كنتُم محدِثِينَ الحدثَ الأصغرَ فتوضَّؤوا، وإنْ كنتُم محدِثِينَ الحدثَ الأكبرَ فاغتَسلُوا.

وقيلَ: الأمرُ فيه للنَّدبِ، وقيل: الأمرُ شاملٌ للمُحدِثِينَ على الإيجابِ وللمُتطهِّرينَ على وجهِ النَّدبِ، وقيل: كانَ واجباً عليه مُطلقاً دونَ أمَّتِهِ.

وعن بعضِ السَّلفِ: أنَّهُ كان يجبُ الوضوءُ لكلِّ صلاةٍ ثمَّ نُسِخَ[٢].

قال تعالى: (﴿فَاغْسِلُوا﴾) أي: أَمِرُّوا الماءَ على الوجهِ، واستُثْنِيَ داخلُ العينِ، واختُلِفَ في الفمِ والأنفِ، والأكثرُونَ على أنَّهما سنَّتانِ، وعندَنا[٣]: سنَّتانِ في الوضُوءِ، وفرضانِ في الغُسلِ للمُبالغةِ في ﴿اطَّهَّرُوا﴾، ولا حاجَةَ إلى الدَّلكِ خِلافاً لمالكٍ[٤].

قولُه: (أي: معهَا) الجمهورُ على دُخولِ المرفَقَينِ في المغسُولِ[٥]، ولذلك قيل: ﴿إلى﴾ بمعنَى: مع، أو متعلِّقة بمحذوفٍ تقديرُه: مُضافةٌ إلى المرافقِ.

قولُه: (للإلصَاقِ) أو للتَّبعيضِ، أو مزيدَةٌ[٦].

قولُه: (ألصِقُوا المَسْحَ) في «المدارك»[٧]: المرادُ: إلصاقُ المسحِ بالرَّأسِ، وماسِحُ بعضِهِ ومُستوعبُهُ بالمسحِ كِلاهمَا ملصِقٌ للمسحِ برأسِهِ، فأخذَ مالكٌ بالاحتياطِ وأوجبَ الاستيعابَ[٨]، والشَّافعيُّ باليقينِ وأوجبَ أقلَّ ما يقعُ عليه اسمُ المسحِ[٩]،..........................

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ١٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١/ ١٨٦)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٨١).

(٣) انظر: «العناية شرح الهداية» (١/ ٢٥) و(١/ ٥٦).

(٤) فالدلك عنده واجب. انظر: «منح الجليل شرح مختصر خليل» (١/ ٧٨).

(٥) بل هناك من نقل الإجماع على ذلك، وفي دعوى الإجماع كلام. انظر: «حاشية ابن عابدين» (١/ ٩٩).

(٦) وضعَّف هذين ابن جزي في «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ٢٤) وصحح الأول.

(٧) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٣٠).

(٨) انظر: «إرشاد السالك إلى أشرف المسالك» (ص: ٦).

(٩) انظر: «فتح العزيز بشرح الوجيز» (١/ ٣٥٣).

وهو اسم جنس، فيكفي أقلّ ما يصدق عليه، وهو مسح بعضِ شَعرةٍ. وعليه الشافعيّ ـ ﴿وأرجُلَكُم﴾، بالنصبِ عطفًا على «أيديَكم» والجرِّ على الجِوار، ....

وأخذنَا ببيانِ النَّبيِّ ﷺ وهو ما رُوي: «أنَّه مسحَ على ناصيَتِهِ»، وقَدْرُ النَّاصِيةِ: برُبعِ الرَّأسِ، انتهى. والحديثُ رواهُ مسلمٌ[١].

قولُه: (بالنَّصبِ) نافعٌ وشاميٌّ وحفصٌ وكِسَائيٌّ[٢]، نِصفُ السَّبعَة.

قولُه: (عَطفاً عَلى ﴿أَيدِيَكُم﴾) أو ﴿وجوهكم﴾ ويؤيِّدُهُ السُّنَّةُ الشَّائعةُ وعمَلُ الصَّحابةِ، وقولُ أكثَرِ الأئمَّةِ[٣]، والتَّحديدُ بقولِهِ: ﴿إلى الكعبين﴾ فإنَّ المسحَ لم يُحدَّ.

قولُه: (وبالجَرِّ) أي: وجرَّهُ الباقُونَ بالعطفِ على الجوارِ؛ يعني: أنَّه معطُوفٌ على الرُّؤوسِ، وجُرَّ لمجاورَتِهِ المجرُورَ، ونظيرُه كثيرٌ في القرآنِ وغيرِهِ، كقولِه: ﴿عذابَ يومٍ أليمٍ﴾ [هود: ٢٦] و(حُورٍ عِينٍ) [الواقعة: ٢٢][٤] على قراءَةِ الجرِّ، وجُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وماءُ شنٍّ باردٍ.

وفائدَةُ العطفِ على الممسُوحِ التَّنبيهُ على أنَّهُ ينبَغِي أن يقتَصِدَ في صبِّ الماءِ عليها فإنَّها كانت مَظنَّةَ الإسرافِ، ويغسِلُ غَسلاً يقرُبُ منَ المسحِ، وفي الفصلِ بينَه وبينَ أَخَواتِهِ إيماءٌ إلى استحبابِ التَّرتيبِ أو وجُوبِهِ هنا، وعلى الإنصافِ ظاهِرُ قراءَةِ النَّصبِ على وجُوبِ الغَسلِ، وظاهرُ الثَّانيةِ على وجُوبِ المسحِ، فإنَّ جرَّ الجِوَارِ وإن كان تامًّا واسِعاً، فهو خلافُ الظَّاهِرِ، ففي «البحرِ»[٥]: جَرُّ الجِوارِ تأويلٌ ضعيفٌ جدًّا لم يَرِد إلا حيثُ لا يلتبِسُ على خلافٍ فيه، انتهى.

فغايتُهُ أنَّ الآيَةَ تصيرُ بمنزلَةِ المجمَلِ والأحاديثُ الصِّحاحُ تدلُّ على وجُوبِ الغَسلِ دَلالةً لا مَحِيصَ عنها بل وردَ في حديثٍ صحيحِ الوعيدُ على تركِهِ وهو: «وَيلٌ للأعقَابِ منَ النَّارِ»[٦]، أو الآيَةُ تدُلُّ على جوازِ الأمرَينِ بمقتَضَى القراءتَينِ وبيَّنَتهُما السُّنَّةُ في اختلافِ الحالينِ؛ وهما حالُ لبسِ الخُفِّ وعَدَمِهِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤) وأبو داود (١٥٠)، والترمذي (١٠٠)، والنسائي (١٠٧) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢١٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢١).

(٣) قال في «تفسير القرطبي» (٦/ ٩١): وهذا مذهب الحمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبي ﷺ.

(٤) انظر: «الحجة في القراءات السبع» (ص: ٣٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٦٩٥).

(٥) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ١٩٢).

(٦) رواه البخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤١)، وأبو داود (٩٧)، والنسائي (١١١)، وابن ماجه (٤٥٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿إِلَى الكَعبَينِ﴾ أي: معهما كما بيّنته السُّنّة ـ وهما العظمان الناتئان في كلّ رِجل عند مَفصِل الساق والقدم. والفصلُ بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأسِ الممسوحِ يفيدُ وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعيّ. ويُؤخذ من السُّنّة وجوب النيّة فيه كغيره من العِبادات ـ ﴿وإِنْ كُنتُم جُنبًا فاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا.

﴿وإِنْ كُنتُم مَرضَى﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿أو علَى سَفَرٍ﴾ أي: مُسافِرِينَ، ﴿أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائطِ﴾ أي: أحدَثَ، ﴿أو لامَستُمُ النِّساءَ﴾ ـ سبق مِثلُه في آية «النساء» ـ ﴿فلَم تَجِدُوا ماءً﴾ بعد طَلَبِه، ﴿فتَيَمَّمُوا﴾: اقصِدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تُرابًا طاهرًا، ....

قولُه: (يُفِيدُ) الإفادَةُ مسلَّمَةٌ، والوجُوبُ ممنُوعٌ[1].

قولُه: (ويُؤخَذُ مِنَ السُّنَّةِ) يحتاجُ إلى بيانٍ[2].

قولُه: (مِنَ العبَاداتِ) فيه أنَّ العباداتِ المستقلَّةَ تتوقَّفُ صحَّتُها على النيَّةِ، وأمَّا التَّابعَةُ لها كالشُّرُوطِ فلا، إذ لا فرقَ بين الطَّهارةِ وسترِ العورةِ، نعم لا ثوابَ لها إلا بالنِّيَةِ.

قولُه: (فاغتسِلُوا) أي: أبدَانَكم.

قولُه: (يَضُرُّهُ الماءُ) أو استِعمالُه.

قولُه: (أيْ: أحدَثَ) الغائِطُ: المكانُ المطمئنُّ، وهو كنايةٌ عن قضاءِ الحاجةِ، في «المدارِكِ»[3]: قال الرَّازِي[4]: معناهُ: وجاءَ[5]، حتَّى لا يلزَمَ المريضَ والمسافرَ التَّيمُّمُ بلا حدثٍ.

قولُه: (سَبَقَ مِثلُه) ولعلَّ تكريرَهُ ليتَّصِلَ الكلامُ في بيانِ أنواعِ الطَّهارةِ، ولئلَّا يُتوهَّمَ نسخُ التَّيمُّم.

قولُه: (بعْدَ طلَبِهِ) أي: طلبِ الماءِ نفسِه؛ يعني: إنْ ظنَّه قريباً، أو بعدَ طلبِهِ من رفيقِهِ، قال أبُو حنيفةَ: الطَّلبُ ذُلٌّ[6].

قولُه: (تُراباً طَاهِراً) أو حلالاً هذا عند الكُلِّ، وقد تقدَّمَ الخلافُ في غيرِه[7].

---

(١) لأن الترتيب سنة عند الحنفية. انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٥٥).

(٢) لعله يشير إلى ما رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٣١).

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للرازي الجصاص (٢/ ٤٦٢).

(٥) مراده: أن ﴿أو﴾ في الآية بمعنى: الواو.

(٦) نسبه في «المبسوط» (١/ ١١٥) وغيره من كتب المذهب للحسن بن زياد.

(٧) تقدم سورة النساء: (٤٣).

﴿فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم﴾ مع المِرفَقَينِ ﴿مِنهُ﴾ بضربتين، والباء: للإلصاق. وبَيّنَتِ السُّنّةُ أنّ المُرادَ استيعابُ العُضوَينِ بالمسح. ﴿ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجعَلَ عليكُم﴾ في الدِّين ﴿مِن حَرَجٍ﴾: ضِيق بما فرض عليكم من الوضوء والغُسل والتيمّم، ﴿ولكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ من الأحداث والذُّنوب، ﴿ولِيُتِمَّ نِعمتَهُ علَيكُم﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدِّين، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعَمَه.

٧ ـ ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ علَيكُم﴾ بالإسلام ﴿ومِيثاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي واثَقَكُم بِهِ﴾: عاهدكم عليه، ﴿إذ قُلتُم﴾ للنبيّ حين بايعتموه: ﴿سَمِعْنا وأطَعْنا﴾ في كلّ ما تأمر به وتنهى عنه مِمّا تُحبّ وتكره، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في مِيثاقه أن تنقضوه. ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب فبغيره أولى.

٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوّامِينَ﴾: قائمين ﴿لِلهِ﴾..............................

قولُه: (معَ المرفَقَينِ) وعندَ البعضِ إلى الرُّسغَين[1].

قولُه: (بضَربَتَينِ) أو وضعتَينِ.

قولُه: (وبيَّنَتِ السُّنَّةُ) وقياسُ الفرعِ على الأصْلِ[2].

قولُه: (والذُّنوبِ) الأولى: أو الذُّنوبِ؛ لئلَّا يلزمَ الجمعُ بينَ الحقيقةِ والمجازِ إذ لا يجوزُ عندنا[3]، والمعنَى: ليُنظِّفَكُم من الأحداثِ أو ليُطهِّرَكُم عن الذُّنوبِ، فإنَّ الوضُوءَ تكفيرٌ للذُّنوبِ.

قولُه: (﴿وليُتِمَّ نِعمتَهُ عليْكُم﴾) في الدِّينِ، أو ليتِمَّ برُخصَةِ إنعامِهِ عليكُم بعزائمِهِ.

قولُه: (ببيَانِ شرَائعِ الدِّينِ) أو بشِرعَةِ ما هو مَطْهرَةٌ لأبدانِكُم ومَكْفرَةٌ لذنُوبِكُم.

قولُه: (نِعمَهُ) فيزيدَكُم ويثيبَكُم.

قولُه: (بالإسلامِ) لتذكُرَكُم المنعِمَ، وتُرغِّبَكُم في شُكرِهِ.

قولُه: (وتكرَهُ) أي: ميثاقَ ليلةِ العقبةِ؛ المبايعةَ الأُولى: سنةَ إحدَى عشرَة منَ النبوَّةِ، والثَّانية: ثالثَ عشرَ عنها، أو بيعةَ الرِّضوانِ، أو الميثاقَ الأكبرَ الذي في عالمِ الذَّرِّ.

قولُه: (أن تَنقُضُوهُ) أو في نعمِهِ أن تنسَوه.

قولُه: (قائِمِينَ) للهِ لا للرِّياءِ.

---

(١) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٤٥).

(٢) الفرع: التيمم، والأصل: الوضوء.

(٣) انظر: «أصول السرخسي» (١/ ١٧٣)، و«البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (٢/ ٤٠٠).

بحُقوقه ﴿شُهَداءَ بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿ولا يَجرِمَنَّكُم﴾: يَحمِلنكم ﴿شَنَآنُ﴾: بُغض ﴿قَومٍ﴾ أي: الكُفّارِ ﴿علَى ألاَّ تَعدِلُوا﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم. ﴿اعدِلُوا﴾ في العدوّ والوليّ ـ ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أقرَبُ لِلتَّقوَى ـ واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به. ٩ ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ وعدًا حسنًا ﴿لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنّة، ١٠ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾.

١١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم، إذ هَمَّ قَومٌ﴾ ـ هُم قُريش ـ.................

قولُه: (بحُقوقِهِ) مُتعلِّقةٌ[1] بـ(قَائِمِينَ).

قولُه: (بالعَدلِ) لا بالجَورِ.

قولُه: (يَحمِلَنَّكُم) عدَلَ عَن تفسيرِهِ بيكسِبَنَّكُم هنا لأجلِ وجُودِ ﴿على﴾ لتضمُّنِهِ معنَى الحَملِ، والمعنَى: لا يحملَنَّكُم شدَّةُ بغضِكُم للمُشركينَ على تركِ العَدلِ فيهم فتعتَدُوا عليهم بارتِكابِ ما لا يحلُّ؛ كمُثْلَةٍ، وقَذْفٍ، وقَتْلِ نساءٍ وصِبْيَةٍ، ونقضِ عهدٍ؛ تشفِّياً ممَّا في قُلوبِكُم.

قولُه: (أي: الكُفَّارِ) في «المبهَمَاتِ»[2]: نزلَتْ في يهُودِ خيبَرَ أرَادُوا قتلَ النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (أي: العَدلُ) أي: المصدَرُ المفهُومُ من ﴿اعدِلُوا﴾ ولام ﴿للتَّقوَى﴾ للاختِصاصِ، وأفعَلُ لمجرَّدِ الزِّيادةِ، وقيل: التَّقوى كمالُ الطَّاعاتِ ونهايَتُها، والعدلُ أنسَبُ الطَّاعاتِ إليها وأقرَبُها مِن جهةِ الكمالِ، أو كأنَّهُ أقرَبُ أجزاءِ الوسيلةِ إليها بمنزلَةِ الجُزءِ الأخيرِ من العِلَّة.

قولُه: (فيُجَازِيكُم) وتكريرُ هذا الحُكمِ إمَّا لاختلافِ السَّببِ، كما قيل: إنَّ الأُولَى نزلَتْ في المشرِكِينَ وهذه في اليهُودِ، أو لمزِيدِ الاهتِمامِ والمبالغَةِ في إطفاءِ ثائرةِ الغَيظِ، وهو وعدٌ ووعِيدٌ، ولذا ذكرَ بعدَه آيتي الوَعدِ والوعِيدِ على عادتِهِ تعالى أنَّه يُتبِعُ ما لأحدِ الفريقَينِ ما للآخرِ؛ وفاءً بحقِّ الدَّعوَة.

قولُه: (وَعداً حَسناً) ظاهرُه أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ، والأظهرُ: أنَّهُ مفعُولٌ ثانٍ.

وقولُه: (﴿لَهُم مَغفِرَةٌ﴾) بيانٌ للوعدِ الحسنِ، وقيل: الجملةُ في موضعِ المفعُولِ على طريقةِ: ﴿وتركنَا عَليهِ في الآخرِينَ * سَلامٌ على نُوحٍ﴾ [الصافات: ٧٨، ٧٩].

قولُه: (قُريشٌ) أو اليهودُ، و﴿إذْ﴾ متعَلِّقٌ بـ﴿نعمَةَ اللهِ﴾ لا بـ﴿اذكُرُوا﴾.

---

(١) في (د): «متعلق».

(٢) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (ص: ٣٧).

﴿أنْ يَبسُطُوا﴾: يَمدّوا ﴿إلَيكُم أيدِيَهُم﴾ ليفتِكوا بكم، ﴿فكَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم﴾ وعصمكم مِمّا أرادوا بكم، ﴿واتَّقُوا اللهَ، وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾.

١٢ ـ ﴿ولَقَد أخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ﴾ بما يُذكَر بعدُ، ﴿وبَعَثْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ أقمنا ﴿مِنهُمُ اثنَي عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كلّ سِبط نقيبٌ، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد تَوثقةً عليهم، ﴿وقالَ﴾ لهمُ ﴿اللهُ: إنِّي مَعَكُم﴾ بالعون والنصر. ﴿لَئِنْ﴾: لامُ قسم ﴿أقَمتُمُ الصَّلاةَ وآتَيتُمُ الزَّكاةَ، وآمَنتُم بِرُسُلِي وعَزَّرتُمُوهُم﴾: نصرتمُوهم ﴿وأقرَضتُمُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّئاتِكُم ولَأُدخِلَنَّكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، فمَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ﴾ المِيثاقِ ﴿مِنكُم فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ طريق الحقّ. والسواءُ في الأصل: الوسَط. فنقضوا الميثاق.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿فبِما نَقضِهِم﴾ ـ ما: زائدة ـ ﴿مِيثاقَهُم لَعَنّاهُم﴾: أبعدْناهم عن رحمتنا، ﴿وجَعَلْنا قُلُوبَهُم قاسِيَةً﴾ لا تلين لقَبُول الإيمان،..............................

قولُه: (لِيَفتِكُوا) فتَكَ به: انتهزَ منه فُرْصَةً فقَتلَه[1].

قولُه: (نَقِيبٌ) شاهدٌ ينَقِّبُ عن حالِ قومِهِ ويفتِّش عنها.

قولُه: (توثِقَةً علَيهِم) أي: على قومِهِ.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئَةٌ للقسَم؛ أي: واللهِ لئنْ.

قولُه تعالى: (﴿آمَنتُم بِرُسُلِي﴾) أي: صدَّقتُم[2] بما جاؤُوا به.

قولُه: (بالإنفَاقِ في سبِيلِهِ) يعنِي: في مَرضاتِهِ، وقَرْضاً يحتمِلُ المفعُولَ الثَّاني والمصدَر؛ يعني: أُقِيمَ الاسمُ مقامَ المصدَرِ.

قولُه: (طَرِيقَ الحَقِّ) والضَّلالُ بعدَه أظهرُ وأعظمُ وأقبحُ، كالذَّنبِ بعد التَّوبةِ.

قولُه: (ما زائدةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُه: (أبعَدناهُم) أو مسَخناهُم، أو ضرَبنا عليهم الجِزيةَ، وقرأَ حمزَةُ والكِسَائيُّ: (قَسِيَّةً) وهي فعِيلٌ للمُبالغةِ[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٥٠).

(٢) في الأصول الثلاث: صدقتموا، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢١٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٥).

﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعتِ مُحمّد وغيرِه ﴿عَن مَواضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يُبدّلونه، ﴿ونَسُوا﴾: تركوا ﴿حَظًّا﴾: نصيبًا ﴿مِمّا ذُكِّرُوا﴾: أُمِروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتّباع مُحمّد، ﴿ولا تَزالُ﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿تَطَّلِعُ﴾: تَظهَرُ ﴿علَى خائنةٍ﴾ أي: خِيانة ﴿مِنهُم﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إلاّ قَلِيلاً مِنهُم﴾ مِمّن أسلم. ﴿فاعفُ عَنهُم واصفَحْ. إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾. هذا منسوخ بآية السيف.

١٤ ـ ﴿ومِنَ الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى﴾ متعلّق بقوله ﴿أخَذْنا مِيثاقَهُم﴾، كَما أخذنا على بني إسرائيلَ اليهودِ، ﴿فنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل، من الإيمان وغيره، ونقضوا المِيثاق، ﴿فأغرَينا﴾: أوقَعْنا ﴿بَينَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ، إلَى يَومِ القِيامةِ﴾ بتفرّقهم واختلاف أهوائهم، فكُلُّ فِرقة تُكفِّرُ الأُخرى، ﴿وسَوفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ﴾ في الآخرة ﴿بِما كانُوا يَصنَعُونَ﴾، فيُجازيهم عليه.

١٥ ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿قَد جاءَكُم رَسُولُنا﴾ مُحمّد،...............

قولُه: (مِن نَعتِ محمَّدٍ) أو يؤوِّلُونَ بسُوءِ تأوِيل.

قولُه: (نَصِيباً) أي: وافِياً، أو نصيبَهُم.

قولُه: (في التَّوراةِ) أو من التَّوراةِ فلم يعملوا بها.

قولُه: (خيَانَةٍ) وغَدرٍ، فاعلٌ بمعنَى: المصدَر، كالعافيَةِ، وقيل: صفةُ نفسٍ، أو فِرْقةٌ، أو تقديرُهُ: فعلَةٌ ذاتُ خيانةٍ، أو التَّاءُ للمُبالغَةِ؛ أي: خائنٌ كثيرُ الخيانَةِ[١].

قولُه: (هَذا منسُوخٌ) محلُّهُ بعد قولِه: فـ﴿اصفَحْ﴾؛ يعني: إن كانَ مُطلقاً وإلَّا فلا، فقد قيل: إن تابُوا وآمَنُوا أو عاهَدُوا والتزَمُوا الجزيَةَ.

وفي «المدَارِكِ»[٢]: بعثٌ على مُخالفتِهِم، أو فاعفُ عن مؤمنيهِم ولا تؤاخذْهُم بما سلفَ منهم.

قولُه: (أوقَعنَا) أو ألزَمنا وألصَقنا، من غَرِيَ بالشَّيءِ: إذا لَصِقَ به[٣]، أو هيَّجنَا؛ منَ الإغراءِ.

قولُه: (فكُلُّ فرقَةٍ) من فرقِ النَّصارى، وهم: نسطُوريَّةٌ، ويعقُوبِيَّةٌ، وملكَائيَّةٌ[٤]، أو بينَهُم وبينَ اليهُودِ.

قولُه: (والنَّصَارَى) وحَّدَ ﴿الكتَابَ﴾؛ لأنَّه للجِنْسِ.

---

(١) انظر: «تفسير الزمخشري» (١/ ٦١٦).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٣٥).

(٣) انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٤٤٦).

(٤) نسبة إلى ثلاثة من علماء النصارى وهم: نسطور، ويعقوب، وملكاء. وقد بين علماء التفسير أقوالهم ومذاهبهم المختلفة، انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٤) وغيره.

﴿يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِمَّا كُنتُم تُخفُونَ﴾: تكتمون ﴿مِنَ الكِتابِ﴾: التوراةِ والإنجيل كآية الرجم وصفته، ﴿ويَعفُو عَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يُبيِّنُه، إذا لم يكن فيه مصلحةٌ إلاّ افتضاحُكم. ﴿قَد جاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ﴾ هو النبيّ، ﴿وكِتابٌ﴾: قُرآنٌ ﴿مُبِينٌ﴾: بيّنٌ ظاهر، ١٦ ـ ﴿يَهدِي بِهِ﴾ أي: بالكِتاب ﴿اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾: طُرقَ السلامة، ﴿ويُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإذنِهِ﴾: بإرادته، ﴿ويَهدِيهِم إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾: دِين الإسلام.

١٧ ـ ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ بنُ مَريَمَ﴾ حيث جعلوه إلـٰهًا. وهم اليعقوبيّة فِرقة من النصارى. ﴿قُلْ: فَمَن يَملِكُ﴾ أن يدفع ﴿مِنَ﴾ عذاب ﴿اللهِ شَيئًا، إنْ أرادَ أنْ يُهلِكَ المَسِيحَ بنَ مَريَمَ وأُمَّهُ ومَن في الأرضِ جَمِيعًا﴾؟..

قولُه: (وصفَتِهِ) أي: نعتِ محمَّدٍ ﷺ، وآيةِ الرَّجمِ في التَّوراةِ، وبشارَةِ عيسَى بأحمدَ في الإنجيلِ.

قولُه: (مِن ذَلِك) أي: ممَّا كنتُم تخفُونَهُ؛ أي: عن كثيرٍ منكُم، فلا يؤاخذُهُ بجُرمِهِ.

قولُه: (قُرآنٌ) أو المرادُ بهما: القرآنُ، فإنَّهُ الكاشفُ لظلُمَاتِ الشَّكِّ والضَّلالِ، والكتابُ الواضحُ الإعجَازِ.

قولُه: (بيِّنٌ ظاهِرٌ) أو مبيِّنٌ طريقَ الهدايةِ والضَّلالِ وموضِّحٌ للحرامِ والحلالِ.

قولُه: (أيْ: بالكِتَابِ) وحَّدَ الضَّميرَ؛ لأنَّ المرادَ بهما واحدٌ، أو لأنَّهُما في الحُكمِ كواحِدٍ.

قولُه: (طُرُقَ السَّلامَةِ) والنَّجاةِ من العذابِ، أو سبُلَ اللهِ.

قولُه: (الكُفرِ) أي: أنواعِه، ولذلكَ جُمِعَت.

قولُه: (إلَى الإيمَانِ) والتَّوحيدِ.

قولُه: (بإرادتِهِ) أو بتوفيقِهِ.

قولُه: (دينِ الإسلامِ) أي: طريقٍ هو أقربُ الطُّرقِ إلى اللهِ، فهو أخصُّ من ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾.

قولُه: (وهُمُ اليَعقُوبِيَّةُ) الَّذين قالُوا بالاتِّحادِ؛ أي: اتِّحادِ اللَّاهُوتِ والنَّاسُوتِ.

قولُه: (أن يَدفَعَ) أو من أن يمنعَ من قدرَتِهِ وإرادتِهِ شيئاً؛ يعني: من يستطِيعُ إمساكَ شيءٍ من قُدرَةِ اللهِ.

قال تعَالى: (﴿ومَن في الأرضِ﴾) عطفٌ على ﴿المسِيحِ﴾ عطفَ العامِّ على الخاصِّ، فكلٌّ من المسيحِ وأمِّهِ مذكورٌ مرَّتينِ: مرَّةً بالتَّصريحِ، ومرَّةً بالعمومِ، قيل: فائدةُ عطفِ ﴿مَن في الأرضِ﴾ عليه للدَّلالةِ على أنَّهما من جنسِ ما في الأرضِ لا تفاوتَ بينهما وبينهم في البشريَّةِ.

أي: لا أحد يملك ذلك ـ ولو كان المسيح إلـهًا لقَدَرَ عليه ـ ﴿وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما. يَخلُقُ ما يَشاءُ، واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾.

١٨ ـ ﴿وقالَتِ اليَهُودُ والنَّصارَى﴾ أي: كلّ منهم: ﴿نَحنُ أبناءُ اللهِ﴾، أي: كأبنائه في القُرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة، ﴿وأحِبّاؤُهُ. قُلْ﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿فلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، إن صدقتم في ذلك؟ ولا يُعذِّب الأبُ ولدَه ولا الحبيبُ حبيبَه،..........................

قلتُ: وإشارةٌ إلى المرتبَةِ السُّفليَّةِ الَّتي هي مقتضَى مراتبِ العبُوديَّةِ، قالَ البيضاويُّ[1]: احتجَّ بذلك على فسادِ عُقولِهِم، وتقديرُهُ: أنَّ المسيحَ مقدُورٌ مقهُورٌ قابلٌ للفناءِ كسائرِ الممكِناتِ، ومن كانَ كذلك فهو بمعزلٍ عن الألوهيَّةِ.

وفي «المدارِكِ»[2]: والمعنَى: أنَّ من اشتمَلَ عليه رحمُ الأمُوميَّةِ متى يُفارِقُ نقصَ البشريَّةِ؟ ومن لاحَتْ عليه شواهِدُ الحدَثيَّةِ أنَّى يليقُ به نعتُ الرُّبوبيَّةِ؟ ولو قطعَ البقاءَ عن جميعِ ما أوجدَ لم يعُدْ نقصٌ إلى الصَّمدِيَّة، انتهى.

وفيما بعدَهُ من الآيةِ إشارَةٌ إلى ذلك.

وقولُه تَعَالى: (﴿يَخلُقُ ما يَشاءُ﴾) أي: يخلُقُ من ذكرٍ وأُنثى، ويخلقُ من أُنثى بلا ذكرٍ، كما خلقَ عيسَى، ويخلُقُ من غيرِ ذكرٍ وأُنثَى، كما خلقَ آدمَ، ويخلُقُ من ذكرٍ وحدَهُ كحوَّاءَ، ويخلقُ من غيرِ أصلٍ ومادَّةٍ كخلقِ السَّمواتِ والأرضِ، ويخلقُ ما يشاءُ كخلقِ الطَّيرِ على يدِ عيسَى معجزَةً له، ولا اعتراضَ عليه؛ لأنَّه الفعَّالُ لما يريدُ.

قولُه: (كُلٌّ مِنهُم) وفي نسخةٍ: «كُلٌّ منهُمَا» ولكُلٍّ وجهَةٌ.

قولُه: (أي: كأبنَائِهِ) فيكُونُ تشبيهٍ بليغٍ، أو أشياعُ ابنيهِ عُزيرٍ والمسِيحِ[3]، وقيل: نحنُ أبناءُ رُسُلِ اللهِ؛ فلا نعذَّبُ[4].

قولُه: (ولَدَهُ) بل يؤدِّبُه ويزكِّيه.

قولُه: (حبِيبَه) أقبحَ تعذيبٍ، وأيضاً من كان بهذا المنصبِ لا يفعلُ ما يوجبُ تعذيبَهُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل»(٢/ ١٢٠).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل)»(١/ ٤٣٧).

(٣) انظر: «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٢٦).

(٤) انظر: «تفسير الوسيط» للواحدي (٢/ ١٧٠).

وقد عذّبكم. فأنتم كاذبون. ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِـ﴾ـن جملةِ ﴿ـمَّنْ خَلَقَ﴾ من البشر، لكم مالَهم وعليكم ما عليهم، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المَرجِع.

١٩ ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: مُحمّد، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائعَ الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾: انقطاعٍ، ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ ـ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومُدّة ذلك خمسُمِائَةٍ وتسعٌ وستُّونَ سنةً ـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عُذّبتم: ﴿مَا جَاءَنَا مِن﴾: زائدةٌ ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ. فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾، فلا عذر لكم إذًا. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه تعذيبُكم، إن لم تتّبعوه.

قولُه: (وقَد عَذَّبَكُم) يعنِي: في الدُّنيا بالقتلِ والأسرِ والمسخِ، واعترَفتُم أنّه سيعذِّبُكم بالنَّارِ أيّاماً معدُودَةً.

قولُه: (مِن جُملةِ مَن ﴿خَلَقَ﴾) مَزجٌ غيرُ صحيحٍ، فالصَّوابُ ما في نسخةٍ: «﴿ممَّن﴾ مِن جُملَةِ مَن ﴿خلقَ﴾».

قولُه: (المغفِرَةَ): مفعُولُ ﴿يشَاء﴾، وهو من آمَن باللهِ ورُسلِه.

قولُه: (تَعذِيبَهُ) وهو من كفرَ، والمعنى: أنّه يعامِلكُم معامَلةَ سائرِ النَّاسِ لا مزيَّةَ لكم عليهم.

قولُه: (شَرائعَ الدِّينِ) وحُذفَ لظهُورِه، أو ما كتمتُم؛ وحُذِفَ لتقدُّمِ ذكرِه، أو نزِّلَ الفعلَ منزلَةَ اللَّازمِ.

قولُه: (انقطَاعٍ) متعلِّقٌ بـ﴿جَاءَكُم﴾؛ أي: جاءَكُم على حين فتُورٍ من الإرسالِ، وانقطاعٍ من الوَحيِ.

قولُه: (خمسُمئَةٍ وسِتُّونَ سنَة) وقيل: ثلاثُةٌ، وقيل: أربَعُمئةٍ وبضعٌ وثلاثُونَ سنة، وقيل: خمسمئَةٍ وأربعُونَ، وقيل: ستُّمئةٍ، وقيل: سبعمَئة، وقيل: ألفُ سنة وسبعُمئةِ سنةٍ، والله أعلمُ[١].

قولُه: (لـ﴿أَنْ﴾ لَا) أو كراهةَ أن تقولُوا ذلك، وتعتَذِرُوا به.

قولُه: (فَلا عُذرَ لكُم) قالَ البيضاويُّ[٢]: متعلِّقٌ بمحذُوفٍ؛ أي: لا تعتذِرُوا فقد جاءَكُم.

قولُه: (ومنهُ تعذِيبُكُم) أو المعنى: فيقدِرُ على الإرسالِ تَتْرَى، كما فعلَ بين مُوسَى وعِيسَى؛ إذ كانَ بينهما ألفٌ وسبعُمئَةِ سنةٍ، وألفُ نبيٍّ[٣]، وعلى الإرسالِ على فترَةٍ، كما تقدَّمَ.

---

(١) روى البخاري (٣٩٤٨) عن سلمان رضي الله عنه: «فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة». وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢١).

(٣) وانظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢١٤).

٢٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ علَيكُم إذْ جَعَلَ فِيكُم﴾ أي: منكم ﴿أنبِياءَ، وجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾ أصحابَ خَدَمٍ وحَشَمٍ، ﴿وآتاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ﴾ من المنّ والسلوى وفَلْقِ البحر وغيرِ ذلك. ٢١ ـ ﴿يا قَومِ، ادخُلُوا الأرْضَ المُقَدَّسَةَ﴾: المُطهّرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُم﴾: أمرَكم بدخولها ـ وهي الشام ـ ﴿ولا تَرتَدُّوا علَى أدبارِكُم﴾: تنهزموا خوف العدوّ،..........

قولُه: (أي: مِنكُم) أو فيكُم أنبياءُ فأرشدَكُم وشرَّفكُم بهم، ولم يبعَث في أُمَّةٍ ما بعثَ في بني إسرائيلَ من الأنبياءِ؛ يعني: كلَّما هلكَ نبيٌّ قام فيكم نبيٌّ، من لدُن إبراهيمَ حتَّى ختمَ بعيسَى[1].

قولُه: (أصحَابَ خَدَمٍ) وهُم أوَّلُ من ملكَ الخدَمَ، وفي الحديثِ مرفُوعاً: «مَن كانَ لهُ خادِمٌ ومنزِلٌ سمِّيَ مَلِكاً»[2]، أو وجعلَ منكُم أو فيكُم امتِناناً بأنَّ منهم قادَةَ الدُّنيا وسادَةَ العُقبَى، وقد تكاثرَ فيهم الملُوكُ تكاثرَ الأنبياءِ بعد فرعونَ، وقيل: لما كانُوا مملُوكِينَ في أيدِي القِبْطِ فأنقذَهُم اللهُ تعالى وجعلَهُم مالكينَ لأنفسِهم وأمُورِهِم سمَّاهُم: ملُوكاً.

قولُه: (وغيرِ ذلكَ) من الحجَرِ والغمَامِ، وقيل: المرادُ عالَمِي زمانِهِم من الفضلِ والشَّرفِ.

قولُه: (المطهَّرةَ) من الشِّركِ، وقيل: المقدَّسَةَ المباركَةَ.

قولُه: (أمَرَكُم بدُخُولِها) أو قسمَها لكم، أو وعدكُمُوها اللهُ على لسانِ أبيكُم إسرائيلَ أنّه وارِثُهُ من آمنَ منكم، أو كتبَ في اللَّوحِ: أنَّها تكونُ مسكناً لكم، ولكن إن آمنتُمْ وأطَعتُم لقولِه لهُم بعد ما عصَوا: ﴿فإنَّها مُحرَّمَةٌ عَلَيهِم﴾ [المائدة: ٢٦].

قولُه: (وهيَ الشَّامُ) وقيل: الطُّورُ وما حولَهُ، وقيل: أريحَا ـ يعنِي: بيتَ المقدسِ ـ سمِّيَت بذلك؛ لأنَّها كانت قرارَ الأنبياءِ ومسكنَ المؤمنينَ، وهذا هو الأظهَرُ وعليه الأكثرُونَ، وقيل: دمشقُ وفلسطينُ وبعضُ الأُردُن[3].

---

(١) روى البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء، كلَّما هلكَ نبيٌّ خَلفَه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي».

(٢) رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١١٦٢٦) عن زيد بن أسلم مرسلًا. وزاد أبو داود: «وزوجة».

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٦٦): هذا مرسل غريب.

قلت: وفي هذا المعنى جاء عند مسلم (٢٩٧٩): عن عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

(٣) انظر هذه الأقوال في: «تفسير الطبري» (١٠/ ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٢٥).

﴿فتنقَلِبُوا خاسِرينَ﴾ في سعيكم. ٢٢ ـ ﴿قالُوا: يا مُوسَى، إنَّ فِيها قَومًا جَبّارِينَ﴾ من بقايا عادٍ طِوالاً ذَوِي قُوّة، ﴿وإنّا لَن نَدخُلَها حَتَّى يَخرُجُوا مِنها. فإنْ يَخرُجُوا مِنها فإنّا داخِلُونَ﴾ لها.

٢٣ ـ ﴿قالَ﴾ لهم ﴿رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ﴾ مُخالفةَ أمرِ الله ـ وهما يُوشَعُ وكالَبُ، من النُّقباء الذين بعثهم مُوسى في كشف أحوال الجبابرة ـ ﴿أنعَمَ اللهُ علَيهِما﴾ بالعِصمة، فكتما ما اطَّلعا عليه من حالهم إلاّ عن موسى، بخلاف بقيّة النُّقباء فأفشَوه، فجَبُنوا: ﴿ادخُلُوا علَيهِمِ البابَ﴾: باب القرية ولا تخشَوهم، فإنهم أجساد بلا قُلوبٍ ـ ﴿فإذا دَخَلتُمُوهُ فإنَّكُم غالِبُونَ﴾. قالا ذلك تيقّنًا بنصر الله وإنجاز وعده ـ ﴿وعلَى اللهِ فتَوَكَّلُوا، إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿قالُوا: يا مُوسَى، إنّا لَن نَدخُلَها أبَدًا ما دامُوا فِيها. فاذهَبْ أنتَ ورَبُّكَ فقاتِلا﴾ هم. ﴿إنّا هٰهُنا قاعِدُونَ﴾ عن القتال.

قولُه: (في سَعيِكُم) أي: ثوابِ الدّارينِ، ويجوزُ في ﴿تنقلِبُوا﴾ الجزمُ على العطفِ، والنَّصبُ على الجوابِ.

قولُه: (مِن بَقايَا عادٍ) وهمُ العَمالقَةُ؛ أي: مُتَغلّبينَ أقوياءَ لا يتأتّى مقاومتُهُم.

قولُه: (لهَا) إذ لا طاقةَ لنا بهم.

قولُه: (في مُخالَفةِ أمرِ اللهِ) أو عقابِهِ.

قولُه: (يُوشَعُ) ابنُ أختِ مُوسَى.

(وكَالِب) خَتنُ[1] مُوسَى على أختِهِ مريَمَ بنت عمرَانَ[2].

قولُه: (بابَ القَريةِ) أي: باغتُوهُم وضاغِطُوهُم في المضِيقِ، وامنعُوهُم من الإصْحارِ؛ أي: الدُّخُولِ في الصَّحراءِ.

قولُه: (وإنجَازِ وعدِهِ) أو لتعسُّرِ الكرِّ عليهم في المضائِقِ من عظمِ أجسامِهِم.

قولُه: (هُم) أي: الجبَّارِين.

قولُه: (عن القِتَالِ) قالُوا ذلك استهانَةً باللهِ ورسولِهِ[3] وعدَمَ مُبالاةٍ بهما، قيل: التَّقييدُ بـ﴿هاهُنَا﴾ مشعِرٌ بأنَّ مُرادَهُم حقيقةُ القعُودِ لا القُعودُ عن القتالِ، والظَّاهرُ: أنَّهم قصَدوا الذَّهابَ الحقيقيَّ لمقابلَةِ ذهابِهِما بقعودِهِم،

---

(١) الخَتَنُ: كل من كان من قبَلِ المرأة مثل: الأب والأخ. وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأما عند العامة: فختن الرجل: زوج ابنته. «الصحاح» (٥/ ٢١٠٧).

(٢) وانظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢١٩).

(٣) في (ص): «ورسله».

٢٥ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسى حينئذ: ﴿رَبِّ، إنِّي لا أملِكُ إلاّ نَفسِي و﴾ إلاّ ﴿أخِي﴾، ولا أملك غيرهما فأجبُرهم على الطاعة. ﴿فافرُقْ﴾: فافصِلْ ﴿بَينَنا وبَينَ القَومِ الفاسِقِينَ﴾.

٢٦ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى له: ﴿فإنَّها﴾ أيِ: الأرضَ المُقدَّسة ﴿مُحَرَّمةٌ علَيهِم﴾ أن يدخلوها ﴿أربَعِينَ سَنَةً، يَتِيهُونَ﴾: يتحيّرون ﴿في الأرضِ﴾. وهي تسعةُ فراسخَ، قاله ابن عبّاس.........................

وما ذلك إلَّا لجهلِهم وقسوةِ قلوبِهم فإنَّهم مجسِّمَةٌ، وقيل: إنَّهم ما قصَدُوا الذَّهابَ حقيقَةً، وهو كما تقولُ: كلَّمتُه فذهبَ يُجيبُني[1].

ويؤيِّدُه ما قال بعضُ الصَّحابةِ يومَ بدرٍ: إنَّا لا نقُولُ كما قالَت بنُو إسرائيلَ، بل نقولُ: اذهَب أنت وربُّكَ إنَّا معَكم مُقاتِلونَ، رواهُ البخاريُّ في المغَازي، والإمامُ أحمدُ وغيرُهما[2]، واختارَ صاحِبُ «المدَارِكِ»[3] أنَّ تقديرَهُ: اذهَب أنت وربُّكَ يعينُكَ، وقيل: اذهَب أنت وأخُوكَ الأكبرُ وهو هارونُ؛ لأنَّهُ ربَّاه.

قولُه: (﴿و﴾ إلَّا ﴿أخِي﴾) إشارَةٌ إلى أنَّهُ منصُوبٌ عَطفاً على ﴿نفسِي﴾ ويجُوزُ عطفُهُ على اسمِ ﴿إنَّ﴾، ورفعُهُ عَطفاً على الضَّميرِ في ﴿لا أملِكُ﴾ وجازَ للفَصلِ، أو على ﴿إنَّ﴾ واسمها، أو على الخبَرِ المحذُوفِ؛ أي: وأخِي كذلك، وهو أظهَرُ معنًى، وإنَّما قالَهُ شكوَى بثِّهِ وحزنِهِ إلى اللهِ لما خالفَهُ قومُه وأيسَ منهُم[4]، ولم يبقَ معه موافِقٌ يثِقُ به غيرُ هارُونَ، والرَّجُلانِ المذكورانِ وإن كانا يوافقانِهِ لم يعتَمِد عليهما لما كابَدَ من تلوُّنِ قومِهِ.

ويجوزُ أن يرادَ بأخِي من يؤاخِينِي في الدِّينِ فيدخُلانِ فيه، والأظهَرُ: أنَّهُ اقتصرَ على أخيهِ هارُونَ لكونِه نبيًّا، والأنبياءُ معصومُونَ، وبهذا المعنَى يملكُونَ أنفسَهُم، وإلا فلا يملكُ إلَّا الله سبحانَهُ، كما قالَ تعَالى: ﴿قُل لا أَملِكُ لِنَفسِي نَفعا ولا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قولُه: (فافصِلْ) بأن تحكُمَ لنا بما نستحقُّهُ وعليهم بما يستحقُّونَهُ، أو بالتَّبعيدِ بيننا وبينهم وتخليصِنا من صُحبتِهم، فالفرقُ على الأوَّلِ: حُكمِيٌّ، وعلى الثَّاني: مكَانيٌّ.

قولُه: (يتحَيَّرُونَ) وعامل الظَّرف إمَّا ﴿محرَّمَة﴾ فيكونُ التَّحريمُ مؤقَّتاً غيرَ مؤبَّدٍ فلا يخالِفُ ظاهرَهُ قولُه: ﴿كَتَبَ اللهُ لكُم﴾ ويؤيِّدُ ذلك ما رويَ: أنَّ موسَى عليه السَّلامُ سارَ بعدَهُ بمن بَقِيَ من بنِي إسرائيلَ، ففتحَ بيتَ

---

(١) وانظر: «الكشاف» (١/ ٦٢١).

(٢) رواه البخاري (٣٩٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٨)، وأحمد في «مسنده» (٣٦٩٨)، والبزار في «مسنده» (١٤٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٣٩).

(٤) وانظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٣٠).

﴿فلا تأسَ﴾: تَحزَنْ ﴿علَى القَومِ الفاسِقِينَ﴾. رُوي أنهم كانوا يسيرون الليل جادِّينَ، فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك، حتّى انقرضوا كلّهم إلاّ من لم يبلغِ العِشرينَ. قيل: وكانوا سِتَّمِائَةِ ألفٍ. ومات هارون وموسى في التِّيه، وكان رحمةً لهما وعذابًا لأولئك. وسأل موسى ربَّه عند موته أن يُدنيه من الأرض المُقدّسة رَميةً بحجر، فأدناه كما في الحديث.

ونُبِّئ يُوشَعُ بعدَ الأربعينَ وأُمِرَ بقتال الجبّارين، فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يومَ الجمعة، ووقفتْ له الشمسُ ساعةً حتّى فَرَغَ من قتالهم. وروى أحمدُ في مُسنَده حديثَ «إنّ الشَّمسَ لَم تُحبَسْ علَى بَشَرٍ، إلاّ لِيُوشَعَ لَيالِيَ سارَ إلى بَيتِ المَقدِسِ».

المقدِسِ وأقامَ فيه ما شاءَ الله ثمَّ قُبِضَ[1]. قالَ البغويُّ[2]: وهو الأصحُّ.

وقد نُقِلَ عن كثيرٍ من السَّلفِ: أنَّ مُوسَى وهارُونَ ماتا في التِّيهِ ولم يبقَ أحدٌ من أهلِ التِّيهِ سوى يوشَعَ وكالبَ إلا ماتَ فيه، ويوشَعُ سارَ بأولادِهِم وفتحَ الشَّامَ[3].

وأمَّا قوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يسيرُونَ فيها متحيِّرينَ لا يرونَ طريقاً فيكونُ التَّحريمُ مطلقاً.

قولُه: (لا تَحزَن) خاطبَ به مُوسى تسليةً لمَّا ندمَ على الدُّعاءِ عليهم، وبيَّن أنَّهم أحقَّاءُ بذلك لفسقِهِم.

قولُه: (ومُوسَى) أي: بعد هارُونَ بسنَةٍ، وكان رحمةً ورَوْحاً وزيادَةَ درجَةٍ.

قولُه: (لَم تُحبَس عَلى بَشَرٍ) أي: ممَّن قبلَكُم، فلا يشكلُ بما وقعَ لهُ ﷺ أيضاً[4].

---

(١) هذا القول مما روي عن السلف لا في المرفوع، كما توهم عبارة المصنف، ونقله في «الكامل في التاريخ» (١/ ١٧٤) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٣٥).

(٣) وانظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٠).

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٢١): ولا يعارضه أيضاً ما ذكره يونس بن بكير في «زياداته» في «مغازي ابن إسحاق»: «أن النبي ﷺ لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير» وهذا منقطعٌ، لكن وقع في «الأوسط» [٤٠٣٩] للطبراني من حديث جابر: «أن النبي ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار» وإسناده حسن، ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ فلم تحبس الشمس إلا ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا ﷺ. روى الطحاوي والطبراني في «الكبير» والحاكم والبيهقي في «الدلائل» عن أسماء بنت عميس: «أنه ﷺ دعا لما نام على ركبة عليٍّ ففاتته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى عليٌّ، ثم غربت» وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في «الموضوعات»، وكذا ابن تيمية في كتاب «الرد على الروافض» في زعم وضعه، والله أعلم.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿واتلُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿عليهِم﴾: على قومك ﴿نبأَ﴾: خبرَ ﴿ابنَي آدمَ﴾ هابِيلَ وقابِيلَ ﴿بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «اتل»، ﴿إذ قرَّبا قُربانًا﴾ إلى الله ـ وهو كبشٌ لهابيلَ وزرعٌ لقابيلَ ـ ﴿فتُقُبِّلَ مِن أحَدِهِما﴾ وهو هابيلُ، بأن نزَلتْ نار من السماء فأكلتْ قُربانَه، ﴿ولَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ وهو قابيلُ، فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حجّ آدم.

﴿قالَ﴾ له: ﴿لأقتُلَنَّكَ﴾. قال: لِمَ؟ قال: لِتقبُّلِ قُربانِكَ دُوني. ﴿قالَ: إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ. لَئِنْ﴾: لامُ قسم ﴿بَسَطتَ﴾: مددتَ ﴿إليَّ يَدَكَ لِتقتُلَني، ما أنا بِباسِطٍ يَدِيَ إلَيكَ لِأقتُلَكَ. إنِّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾ في قتلك. ٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿إنِّي أُرِيدُ أنْ تَبُوءَ﴾: ترجِع ﴿بِإثمِي﴾: بإثم قتلي ﴿وإثمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبلُ، ﴿فتكُونَ مِن أصحابِ النّارِ﴾،.........................

قولُه: (على قومِكَ) أو على معاصِرِيكَ من بني إسرائيلَ.

قولُه: (هابِيلَ) قدَّمهُ لإيمانِهِ، وهو أحسَنُ من تأخيرِ البيضاوِيِّ[١]، وقصَّتُهما: أنَّ اللهَ تعالى أوحَى إلى آدمَ أن يزوِّجَ كلَّ واحدٍ منهما توأمَةَ الآخرِ فسخطَ منه قابيلُ؛ لأنَّ توأمتَهُ كانت أجملَ فقال لهُما آدَمُ: قرِّبا قرباناً فمن أيّكُما قُبِلَ تزوَّجها.

قولُه: (فغضِبَ) أي: ازدادَ سُخطاً.

قولُه: (في قَتلِكَ) قيل: كان هابِيلُ أقوَى منه، ولكِن تحرَّجَ عن قتلِهِ واستسلمَ له خوفاً من الله تعالى؛ لأنَّ الدَّفعَ لم يبَحْ بعدُ، أو تحرِّياً لما هو الأفضلُ، قال عليهِ السَّلام: «كُنْ عبدَ اللهِ المقتُولَ، ولا تكُنْ عبدَ اللهِ القاتلَ»[٢] أخرجَهُ ابنُ سعدٍ في «الطَّبقاتِ» بهذا اللَّفظِ، قالَهُ المصنِّفُ[٣].

قولُه: (بإثمِ قتلِي) في الحديثِ: «ما تقتَلُ نَفسٌ ظُلماً إلَّا كانَ على ابنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفلٌ منها، وذلك لأنَّهُ سَنَّ القتلَ»[٤].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢١٠٦٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٨٩٦)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٩٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٦٠) (٣٦٣٠) من حديث الخباب بن الأرت رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠٣): لم أعرف الرجل الذي من عبد القيس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦٠).

(٤) رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧)، والترمذي (٢٦٧٣)، والنسائي (٣٩٨٥)، وابن ماجه (٢٦١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ولا أُريد أن أبوءَ بإثمك إذا قتلتك فأكونَ منهم.

قال تعالى: ﴿وذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ. فطَوَّعَتْ﴾: زيّنتْ ﴿لَهُ نَفسُهُ قَتلَ أخِيهِ فقتَلَهُ، فأصبَحَ﴾: فصار ﴿مِنَ الخاسِرِينَ﴾ بقتله ـ ولم يدرِ ما يصنع به لأنّه أوّل ميّت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره ـ ٣١ ـ ﴿فبَعَثَ اللهُ غُرابًا، يَبحَثُ في الأرضِ﴾: يَنبُش التراب بمِنقاره وبرِجلَيه، ويُثيره على غُراب ميّت معه حتّى واراه، ﴿لِيُرِيَهُ كَيفَ يُوارِي﴾ يسترُ ﴿سَوءَةَ﴾: جيفةَ ﴿أخِيهِ؟ قالَ: يا وَيلَتا، أعَجَزتُ﴾ عن ﴿أنْ أكُونَ مِثلَ هذا الغُرابِ، فأُوارِيَ سَوءةَ أخِي؟ فأصبَحَ مِنَ النّادِمِينَ﴾ على حمله، وحَفَرَ له وواراه.

قولُه: (ولا أُرِيدُ... إلخ) قالَ القاضِي[1]: ولعلَّهُ لم يرِد معصيةَ أخيهِ وشقاوَتَهُ بل قصدُهُ بهذا الكلامِ إشارَةٌ إلى أنَّ ذلك إن كان لا محالَةَ واقِعاً فأريدُ أن يكُونَ لك لا إليَّ، فالمرادُ بالذَّنبِ: ألَّا يكون له لا أن يكونَ لأخيهِ، انتهى.

وقيل: بل أرادَ بهذا موعظَةً لأخيهِ وزَجراً له، قال ابنُ عبَّاسٍ: خوَّفهُ بالنَّارِ فلم ينتَهِ ولم ينزَجِرْ[2].

ويجوزُ أن يكُونَ المرادُ بالإثمِ: عقوبتَهُ، وإرادَةُ عقوبَةِ العَاصِي جائزَةٌ.

قولُه: (زيَّنَتْ) وسَهَّلَت ووسَّعَت.

قولُه: (بقَتلِهِ) دِيناً ودُنيا، إذ بقي مدَّةَ عُمرِهِ مطرُوداً محزُوناً.

قولُه: (حتَّى وارَاهُ) خصَّ الغُرابَ؛ لأنَّه يُتشاءَمُ به في الفراقِ.

وقولُه تعَالى: (﴿لِيُرِيَهُ﴾) أي: اللهُ أو الغرابُ.

قولُه: (جِيفَةَ) يعني: المرادُ بسوءَةِ أخيهِ: جسدُهُ الميِّتُ، فإنَّه ممَّا يستقبَحُ أن يُرَى، كذا قالهُ البيضاوِيُّ[3]، والأظهَرُ: أنَّه صارَ جيفَةً منتنَةً؛ لما رويَ: أنَّه حملَهُ على رقبَتِهِ سنَةً أو أكثرَ[4].

وقولُه: (﴿ويلَتَا﴾) كلمَةُ جزَعٍ وتحسُّرٍ، والألفُ فيها بدلٌ من ياءِ المتكلِّمِ، والمعنَى: يا ويلَتِي احضَرِي، فهذا أوانُكِ، والوَيلُ والويلَةُ: الهلكَةُ[5].

وقولُه: (﴿فأُوارِيَ﴾) عطفٌ على: ﴿أكُونَ﴾، وليس جوابَ الاستِفهامِ.

قولُه: (على حَملِهِ) أو «على قتلِهِ»، كما في نسخَةٍ، لكِن لا للهِ حتَّى يكُونَ توبةً[6]، بل لما كابَدَ فيه من....

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٣).
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١٧٥٠).
(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٤).
(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١٧٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي سنده ضعف وهذه الأقوال ونحوها إن ثبتت عن أصحابها فلا تخلو من وجه مبالغة، أو ربما أخذها أصحابها عن الإسرائيليات ونحوها، والله أعلم.
(٥) وانظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٤).
(٦) في (م) و(ص) و(د): «بقربه».

٣٢ ـ ﴿مِن أجْلِ ذلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنا علَى بَني إسرائيلَ أنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيرِ نَفْسٍ﴾: قَتَلِها، ﴿أو﴾ بغير ﴿فَسادٍ﴾ أتاه ﴿في الأرضِ﴾ من كُفرٍ أو زِنًى أو قطعِ طريق ونحوِه، ﴿فكأنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعًا، ومَن أحياها﴾ بأنِ امتنع من قتلها ﴿فكأنَّما أحيا النّاسَ جَمِيعًا﴾. قال ابن عبّاس: من حيثُ انتهاكُ حُرمتِها وصَونُها. ﴿ولَقَد جاءَتْهُم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنا بِالبَيِّناتِ﴾: المُعجِزات، ﴿ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنهُم بَعدَ ذلِكَ في الأرضِ لَمُسرِفُونَ﴾: مجاوزون الحدَّ بالكُفر والقتل وغير ذلك.

ونزل في العُرَنِيِّينَ لمّا قَدِموا المدينةَ وهم مرضى، فأذن لهم النبيّ ﷺ.............

التَّحيُّرِ في أمرِهِ وحملِهِ، وتلمُّذِهِ للغُرابِ، وتبرِّي أبويهِ منه، واسودادِ جسَدِهِ، وعدَمِ الظَّفرِ بمرادِهِ.

قولُه: (الَّذي فعلَهُ) أي: بسبَبِ قتلِهِ أخاهُ ظُلماً قَضَينا وحكَمنا عليهم، فـ﴿مِن﴾ ابتدائيَّة متعَلِّقَة بـ﴿كتَبنَا﴾ أي: ابتداءُ الكَتْبِ وإنشاؤهُ من أجلِ ذلك، خصَّهُم بالذِّكرِ؛ لأنَّ التَّوراةَ أوَّلُ كتابٍ فيه الأحكامُ والوعيدُ، وقيل: إنَّه متعلِّقٌ بالنَّادمِينَ، وأربابُ الوقُوفِ جَعلوا بينهما مراقبةً ومعانقةً[1].

قولُه: (قَتلِها) أي: بغيرِ قتلِ نفسٍ يوجبُ القصاصَ.

قولُه: (بغَيرِ) إشارَةٌ إلى أنَّهُ معطُوفٌ على مضافٍ محذُوفٍ في قولِهِ: ﴿بِغَيرِ نَفسٍ﴾ أي: بغيرِ قتلِ نفسٍ، أو بغيرِ فسادٍ.

وقولُه تعالى: (﴿فكَأنَّما قَتَلَ النَّاسَ﴾) من حيثُ إنَّهُ هتكَ حرمَةَ الدِّماءِ وجرَّأَ النَّاسَ عليه، أو من حيثُ إنَّ قتلَ الواحدِ والجمِيعِ سواءٌ في أصلِ استِجْلابِ غضَبِ اللهِ والعذابِ العظِيمِ، أو من استحَلَّ دمَ مُسلمٍ فكأنَّما استحَلَّ دمَاءَ النَّاسِ؛ لأنَّهُ لا فرقَ عندَهُ بينَ نَفسٍ ونفسٍ، أو لأنَّهُ يقتَلُ قصَاصاً كما لو قتَلَ جمِيعَ النَّاسِ، أو كما قتَلَ جميعَ النَّاسَ جميعاً في الوزرِ والإثمِ، وهذا تعظيمٌ للقتلِ وتحقيرٌ في حقِّ قابيلَ.

قولُه: (بأَنِ امتنعَ) أو منعَ غيرَهُ (عَن قَتلِهَا) أو حرَّمَ قَتلَها، أو عَفا عن قاتلٍ، أو أنجاهَا عن هلكَةٍ، فكأنَّما فعلَ ذلك بالنَّاسِ جمِيعاً، أو في الأجرِ.

قولُه: (المعجِزاتِ) أي: الظَّاهرَاتِ على صدقِهِم.

قولُه: (مُجاوِزُونَ الحدَّ) أي: بعد ما كتَبنَا عليهم هذا التَّشدِيدَ العظِيمَ، وأرسَلنا إليهم الرُّسلَ تأكِيداً للأمرِ، وتجديداً للعهدِ كي يتحَامَوا عنها.

---

(١) وقف المعانقة أو المراقبة هو: اجتماع موضعين صالحين للوقف لتجاورهما، فلك حينئذٍ أن تقف على أحدهما، وليس لك أن تقف عليهما معاً. انظر: «معجم علوم القرآن» (ص: ٣٣٥).

أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلمّا صحُّوا قتلوا راعي النبيّ ﷺ واستاقوا الإبل:

٣٣ ـ ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ بمُحاربة المُسلمين، ﴿ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا﴾ بقطع الطريق، ﴿أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيدِيهِم وأرجُلُهُم مِن خِلافٍ﴾ أي: أيديهم اليُمنى وأرجلُهم اليُسرى، ﴿أو يُنفَوا مِنَ الأرضِ﴾.........................

قولُه: (ويَشرَبوا مِن أبوالِهَا) يحلُّ شربُهُ للتَّداوِي عندَ أبِي يوسُفَ، ومطلَقاً عندَ محمَّدٍ، وكُرهَ عندَ أبِي حنيفَةَ مطلقاً[١]، كذا في «الإيضَاحِ»[٢].

قولُه: (واستَاقُوا الإبِلَ) فبعَثَ في آثارِهِم فأُتِيَ بهم فقطَعَ أيديَهُم وأرجُلَهُم، وسَمَلَ أعينَهُم[٣]، ثمَّ لم يحسِمهُم حتَّى ماتُوا. رواهُ البخَاريُّ[٤].

قولُه: (بمُحارَبةِ المسلمِينَ) أي: يحارِبونَ أولياءَهُمَا.

قولُه: (بقَطعِ الطَّريقِ) وهو المكابرَةُ في اللُّصُوصِيَّةِ[٥]، ثمَّ جمهُورُ العلماءِ على أنَّ حُكمَ المحارَبةِ في الأمصارِ والطُّرقِ سواءٌ[٦]، وقال أبُو حنيفَةَ وأصحابُه: الحُكمُ مختصٌّ بالمحارَبةِ في الطُّرقِ دونَ الأمصارِ[٧].

ونصَبَ ﴿فَسَاداً﴾ على الحالِ، أو العلَّةِ، أو التَّمييزِ، أو المصدَرِ.

---

(١) انظر: «الهداية» (٤/ ٣٦٣)، و«رد المحتار» (١/ ٢١٠).

(٢) كتاب «الإيضاح» لم يطبع بعد وهو للإمام: ركن الدين، أبي الفضل، عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الكرماني. قال السمعاني في «معجم شيوخه»: إمام أصحاب أبي حنيفة بخراسان، قدم مرو وتفقه على القاضي محمد بن الحسن الأرده، ظهرت تصانيفه بخراسان والعراق، ومنها: «الجامع الكبير» و«التجريد» في مجلد واحد، وشرحه في ثلاث مجلدات، وسماه: «الإيضاح». (ت: ٥٤٣هـ). انظر: «البناية شرح الهداية» (١٠/ ٢٠٩).

(٣) سمل أعينهم: أي: فقأها بحديدة مُحمَاة أو غيرها. انظر: «الفائق» (١/ ٢٤٤).

(٤) رواه البخاري (٦٨٠٢)، ومسلم (١٦٧١)، وأبو داود (٤٣٦٤)، والترمذي (٧٢)، والنسائي (٣٠٥)، وابن ماجه (٢٥٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) جاء في «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٣٧): والمكابرة: الهجوم جهرة، واللصوصية ـ بضم اللام ـ: مصدر بمعنى السرقة، والمكابرة بهذا المعنى استعملها الفقهاء، وذكرها الجاحظ في كتاب «اللصوص»، وأهملها كثير من أهل اللغة، فكأنها مولَّدة لم تثبت عندهم إلا أنَّ الجاحظ ثقة، ولم يقل إنها مولَّدة.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٥٤)، و«الأوسط» لابن المنذر (١٢/ ٤٠٧).

(٧) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٦/ ٣٤٦)، و«رد المحتار» (٤/ ١١٣)، وفيه: من قصده ولو في المصر ليلًا به يفتى، وهذا رواية عن أبي يوسف أفتى بها المشايخ دفعاً لشر المتغلبة المفسدين.

أو: لترتيب الأحوال، فالقتلُ لمن قَتَلَ فقطْ، والصلبُ لمن قَتَلَ وأخذَ المال، والقطعُ لمن أخذَ المال ولم يَقتل، والنفيُ لمن أخافَ فقطْ..

قولُه: (لتَرتِيبِ الأَحوَالِ) لا للتَّخييرِ، خِلافاً لبَعضٍ، كذا في «المعالِم»[1].

قولُه: (فالقَتلُ) أي: قصاصاً حَتماً، حتَّى لا يلتفِتَ إلى عفوِ وليٍّ.

قولُه: (فقَط) أي: إن أفرَدَ القتلَ، أو القَتلُ فقط دُونَ الصَّلبِ.

قولُه: (والصَّلبُ) أي: مع القتلِ وللعلمَاءِ خلافٌ في أنَّه يقتَلُ ويصلَبُ، أو يصلَبُ حيًّا ويترَكُ، أو يطعَنُ حتَّى يمُوتَ، كذا ذكرَهُ البيضاويُّ[2].

ونقَلَ الصَّفوِيُّ: أنَّ عند أبي حنيفَةَ[3] ومالكٍ[4]: يصلَبُ حيًّا ويطعَنُ حتَّى يمُوتَ، وعند غيرِهِما ومنهُم الشَّافعِيُّ[5]: يقتَلُ ثمَّ يصلَبُ نكَالاً لغيره.

وذكرَ في «شَرحِ المجمعِ»[6]: أنَّ الإمامَ بالخيارِ عندَ أبِي حنيفَةَ إن شاءَ قطَعَ ثمَّ قتَلَ، أو صلَبَ للقتلِ، وإن شاءَ اكتَفَى بالقتلِ أو الصَّلبِ؛ أي: لا يقطَع كما قَالا.

قولُه: (والقَطعُ) إذا حصلَ لكُلٍّ نصَابُ سرقةٍ[7] وهو عشَرةُ دراهِمَ[8].

قولُه: (لمَن أخَذَ المالَ) أي: مالَ مُسلمٍ أو ذميٍّ.

قولُه: (والنَّفيُ) من بلَدٍ إلى بلَدٍ بحيثُ لا يتمكَّنُ من القرارِ، وفسَّرَ أبُو حنيفَةَ[9] النَّفيَ: بالحبسِ إلى أن يتُوبَ، وللإمامِ أن يعزِّرَهُ معَ الحبسِ؛ لأنَّهُ ارتكَبَ المنكَرَ، وهو الإخافَةُ.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: «مختصر القدوري» (ص: ٢٠٣)، و«رد المحتار» (٤/ ١١٥).

(٤) انظر: «المدونة» (٤/ ٥٥٣)، و«البيان والتحصيل» (٢/ ٢٧٠).

(٥) انظر: «الأم» (٦/ ٦١)، و«الوسيط» (٦/ ٤٩٦).

(٦) انظر: «مجمع الأنهر» (١/ ٦٢٩، ٦٣٠)، و«تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (٣/ ٢٣٧).

(٧) في (ص): «بسرقة».

(٨) وهو مذهب الأحناف. انظر: «المبسوط» للسرخسي (٩/ ١٣٧).

وعند الشافعية: ربع دينار. انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (١٢/ ٤٣٦).

(٩) انظر: «المبسوط» (٩/ ١٣٥)، و«رد المحتار» (٤/ ١١٤).

قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ. وأصحّ قوليه أنّ الصلب ثلاثًا بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويُلحَق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره.

﴿ذلِكَ﴾ الجزاءُ المذكور ﴿لَهُم خِزْيٌ﴾: ذُلٌّ ﴿في الدُّنيا، ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار، ٣٤ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا﴾ من المُحاربين والقُطّاع ﴿مِن قَبلِ أنْ تَقدِرُوا علَيهِم. فاعلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتَوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. عَبَّرَ بذلك دُون «فلا تَحُدُّوهُم» ليُفيد أنه لا يَسقط عنه بتوبته إلاّ حُدودُ الله ـ تعالى ـ دُونَ حُقوقِ الآدمِيِّينَ. كذا ظهرَ لي، ولم أرَ مَن تعرّضَ له، والله أعلم..........

قولُه: (ثلاثاً) وهو كذلك عندَنا[١].

قولُه: (بعدَ القَتلِ) وعندنا يُصلَبُ حيًّا، ثمَّ يشقُّ بطنُهُ برُمحٍ حتَّى يمُوتَ[٢].

قولُه: (ذُلٌّ) وفضيحَةٌ.

قولُه: (هوَ عذابُ النَّارِ) أي: لعِظَمِ ذنوبِهِم، وهذا يدُلُّ على أنَّ الآيَةَ نزلَتْ في جمعٍ من المشرِكينَ[٣]، وإلَّا فالجمهُورُ على أنَّ من أذنبَ ذَنباً وعوقِبَ في الدُّنيا فهو كفَّارَةٌ له[٤]، وقيل: جمعَ بين العذابَينِ تغليظاً، وقيلَ: الخِزيُ لمن عوقِبَ وعذَابُ الآخرَةِ لمن سلمَ، ويمكِنُ أن يكُونَ العذابُ للَّذي ما تاب.

قولُه: (عَبَّرَ بذَلِكَ) أي: بقولِهِ: ﴿فاعلَمُوا﴾ (دُونَ فَلا تَحُدُّوهُم) مع أنَّهُم لا يُحَدُّونَ، ويؤخَذُ منهم المالُ القائمُ ويضمنُونَ الهالكَ.

قولُه: (ولَم أرَ مَنْ تعرَّضَ لهُ) وهذا عجبٌ من الشَّيخِ مع كثرَةِ اطِّلاعِهِ، فسُبحانَ من لا ينسَى، وقَد صرَّحَ بذلك صاحِبُ «المدارِكِ»[٥]، وقالَ: فتسقُطُ عنهم هذه الحدُودُ، لا ما هو حقُّ العبادِ.

ونصَّ البَغويُّ على ذلكَ أيضاً، وقالَ: فمن تابَ قبلَ القُدرَةِ عليهِ، وقبلَ أن يظفَرَ به الإمامُ؛ تسقُطُ عنه كلُّ عقوبَةٍ وجبَتْ حقًّا للهِ تعالى، ولا يسقُطُ ما كانَ من حقُوقِ العبَادِ، فإن كانَ قد قتَلَ في قطعِ الطَّريقِ يسقُطُ عنه بالتَّوبةِ قبلَ القُدرَةِ تحتُّمُ القَتلِ، ويبقَى عليه القصاصُ لوليِّ القتيلِ، فإن شاءَ عَفا عنه، وإن شَاءَ استوفاهُ، وإن كانَ قد أخذَ

(١) انظر: «الجوهرة النيرة» (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: «مختصر القدوري» (ص: ٢٠٣)، و«رد المحتار» (٤/ ١١٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣/ ٦٥).

(٤) روى البخاري (١٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وفيه: «... ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه».

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٤٥).

فإذا قَتَلَ وأخذَ المالَ يُقتل ويُقطع ولا يُصلب ـ وهو أصحّ قولَي الشافعيّ ـ ولا تُفيد توبتُه بعد القُدرة عليه شيئًا. وهو أصحّ قولَيه أيضًا.

المالَ يسقُطُ عنه القطعُ، وإن كانَ جمعَ بينهما يسقُطُ عنه تحتُّمُ القتلِ والصَّلبِ، وهو قولُ الشَّافعيِّ[1]، انتهى[2].

وقالَ البيضاويُّ[3]: استثناءٌ مخصُوصٌ بما هو حقٌّ للهِ تعالى، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿فاعلَمُوا﴾. قال: والتَّوبةُ بعد القُدرَةِ لا تسقِطُ الحدَّ، وإن أسقطَتِ العذَابَ، وقالَ: الآيةُ في قطَّاعِ المسلِمينَ؛ لأنَّ توبَةَ المشرِكِ تَدرأُ عنه العقُوبَةَ قبلَ القدرَةِ وبعدها.

وقالَ السَّيِّدُ معينُ الدِّينِ الصَّفَوي[4]: الاستثناءُ على قولِ مَن قالَ: هي في أهلِ الشِّركِ؛ فظاهِرٌ؛ لأنَّ مَن آمنَ ما بقيَ عليه شيءٌ، وأمَّا المحاربُونَ المسلمُونَ إذا تابُوا قبلَ القُدرَةِ سقطَ عنهم حدُّ اللهِ لا حقُوقُ بنِي آدمَ.

وعملُ كثيرٍ منَ السَّلفِ كعليِّ ابنِ أبي طالبٍ[5] وأبي مُوسَى[6] وغيرهما، يدلُّ على أنَّهُ تسقطُ حقُوقُ الآدميِّينَ أيضاً إلا إذا أخذَ مَالاً معيَّناً؛ فيجبُ الضَّمانُ.

ثمَّ خطرَ ببالِي أنَّ الشَّيخَ لعلَّهُ أرادَ بما ظهرَ له عدمُ تعرُّضِ التَّعبيرِ لا الإفادَةِ، وإلا فهي ثابتةٌ معلُومَةٌ من قولِهِ: ﴿فاعلمُوا﴾. والله أعلمُ، لكنَّ هذا الأمرَ ظاهرٌ لا يصلُحُ لمثلِهِ أن يتبجَّحَ به، فتأمَّل[7].

ويمكِنُ أن يكُونَ التَّقديرُ: فاعلَمُوا أنَّ اللهَ غفورٌ حَقَّه.

ثمَّ اعلمْ: أنَّ حاصِلَ الآيةِ أنَّ قطَّاعَ الطَّريقِ إذا أظهرُوا التَّوبةَ قبلَ اقتدارِنَا عليهم، فحقُّ اللهِ ساقِطٌ عنهُم في الدُّنيا، بخلافِ إظهارِ التَّوبَةِ بعد القدرَةِ، فإنَّه لا يسقِطُ عنهم شيئاً، وأمَّا حكمُهُم في العُقبَى فإن صحَّتْ توبتُهُم قبلَ القدرَةِ أو بعدَهَا، فعذَابُ الآخرَةِ مرفُوعٌ عنهم، وإلَّا فهُم تحتَ المشيئَةِ، كسائرِ عُصاةِ المؤمنينَ.

قولُه: (يُقطَعُ) هذا خِلافُ ما ذكرَهُ البغوِيُّ[8].

قولُه: (ويُقتَل) يعنِي: لا حَتماً.

قولُه: (شيئاً) يعنِي: في الدُّنيا، وإلا فقد تقدَّمَ عن البيضَاويِّ[9] أنَّها تسقِطُ العذابَ في العُقبَى.

---

(١) انظر: «الوسيط في المذهب» (٦/ ٤٩٨).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٥).

(٤) وانظر: «جامع البيان» (١/ ٤٦٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٧٨٩)، وابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٠).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٧٩٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٢).

(٧) لو استمر المصنف من التماسه العذر للإمام السيوطي لكان خيراً له من سياقه لهذه العبارة في حقِّه، ورحم الله الجميع.

(٨) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٦).

(٩) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٥).

٣٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ﴾: خـافوا عِقـابه بـأن تُطيعوه، ﴿وابتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿إلَيهِ الوَسِيلَةَ﴾: ما يُقرّبكم إليه من طاعته، ﴿وجاهِدُوا في سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو﴾ ثَبَتَ ﴿أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ، لِيَفتَدُوا بِهِ مِن عَذابِ يَومِ القِيامةِ، ما تُقُبِّلَ مِنهُم، ولَهُم عَذابٌ أليمٌ، يُرِيدُونَ﴾: يتمنّون ﴿أنْ يَخرُجُوا مِنَ النّارِ، وما هُم بِخارِجِينَ مِنها، ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم.

٣٨ ـ ﴿والسّارِقُ والسّارِقَةُ﴾ «أل» فيهما: موصولة مبتدأ، ولشَبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فاقطَعُوا أيدِيَهُما﴾ أي: يمينَ كلّ منهما من الكوع ـ وبَيّنَتِ السُّنّة أنّ الذي يُقطع فيه ربعُ دينار فصاعدًا،

قولُه: (لإعلاءِ دينِهِ) بمحارَبَةِ أعدائهِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ.

قولُه: (تَفُوزُونَ) بالوصُولِ إلى اللهِ وكرامتِهِ.

قولُه تعالى: (﴿لِيَفتَدُوا بِهِ﴾) أي: ليجعَلُوهُ فديَةً لأنفسِهِم، وتوحِيدُ الضَّميرِ ﴿بِهِ﴾ والمذكُورُ شيئانِ إمَّا لما ذكِرَ أو لأنَّ الواو بمعنًى مع.

قولُه: (ال فِيهِمَا... إلخ) اختارَ قولَ المبرِّدِ أنَّهُ جملَةٌ، وأمَّا عند سيبويهِ فجملتَانِ إذِ التَّقديرُ فيما يُتلَى عليكُم السَّارِقُ والسَّارِقَةُ؛ أي: حكمُهُما، والسَّرِقَةُ: أخذُ مالِ الغَيرِ خفيَةً، وإنَّما توجِبُ القطعَ إذا كانَت مِن حرْزٍ.

قولُه: (أيْ) يميِّزُ كلٍّ منهُما؛ لقراءَةِ ابنِ مسعُودٍ: «فاقطَعُوا أيمانَهُمَا»[1].

قولُه: (مِنَ الكُوعِ) أي: الزَّند، وهو مفصَلُ طرفِ الذِّراعِ في الكفِّ، واليَد: اسمُ تمامِ العُضوِ، ولذلك ذهبَ الخوارجُ إلى أنَّ المقطَعَ هو المنكِبُ، والجمهُورُ على أنَّهُ الرُّسغُ؛ «لأنَّهُ ﷺ أُتيَ بسَارِقٍ فأمرَ بقَطعِ يمينِهِ منه»[2].

قولُه: (رُبُع دينَارٍ) لما رُوِيَ: «أنَّهُ ﷺ قطعَ يدَ سارِقٍ في رُبعِ دينَارٍ»[3]، ولنا: قوله عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «لا قَطعَ إلا في دينارٍ أو في عَشرَةِ دَراهِمَ»[4] والأخذُ بالأكثَرِ أولى احتياطاً لدَرءِ الحدِّ.

---

(١) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «معاني القرآن» للفراء (ص: ٢٥٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٥).
ورواها عنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢٤٧).

(٢) رواه البغوي في «معجم الصحابة» (٤٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢١٣٢) من حديث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة.
وفي سنده عبد الكريم بن أبي المخارق فيه ضعف انظر: «البدر المنير» (٨/ ٦٧٠).
قال ابن قدامة في «المغني» (٩/ ١٢١): لا خلاف بين أهل العلم في أن السارق أول ما يقطع منه يده اليمنى، من مفصل الكف، وهو الكوع. وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» وهذا إن كان قراءة وإلا فهو تفسير.

(٣) رواه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤)، وأبو داود (٤٣٨٤)، والنسائي (٤٩١٥)، وابن ماجه (٢٥٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٧٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧٤) (١٠٦٤٥): فيه سليمان بن داود =

وأنَّه إن عاد قُطعتْ رِجله اليُسرى من مَفصِل القَدَم ثمّ اليدُ اليُسرَى ثمّ الرِّجلُ اليُمنى، وبعد ذلك يُعزَّر ـ ﴿جَزاءً﴾: نصْبٌ على المصدر ﴿بِما كَسَبا نكالاً﴾: عُقوبةً لهما ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه.

قولُه: (ثُمَّ الرِّجلُ اليُمنَى) لقولِه ﷺ: «مَن سرَقَ فاقطَعُوهُ، وإنْ عادَ فاقطَعُوهُ، وإنْ عادَ فاقطَعُوهُ، وإنْ عادَ فاقطَعُوهُ»[1] ولنا: ما رويَ: أنَّ عليًّا رضيَ اللهُ عنه فيمن سرقَ ثلاثَ مرَّاتٍ قالَ: إنِّي لأستَحِي من اللهِ ألَّا أدعَ له يداً يأكُلُ بها ويستَنجِي، ورِجْلاً يمشِي عليها[2].

ووقعَتِ المحاجَّةُ بينَهُ وبين الصَّحابةِ فانقادُوا إليه، وانعقَدَ إجماعُهُم عليه، وما رواهُ فمطعُونٌ عند نُقَّادِ الحديثِ، كذا ذكرهُ الطَّحاويُّ[3].

قولُه: (يُعزَّرُ) وعندَ أبِي حنيفةَ: يحبَسُ حتَّى يتُوبَ[4].

قولُه: (على المَصدَرِ) وكذا ﴿نكَالاً﴾، أو منصُوبانِ على المفعُولِ له على البدليَّةِ، ودَلَّ على فعلِهما ﴿فاقطَعُوا﴾.

قولُه: (عقُوبةً لهُما) تركَ العطفَ بينهما؛ للإشعَارِ بأنَّ القَطعَ للجزَاءِ، والقَطعُ على قصْدِ الجزاءِ للنَّكالِ والمنعِ عن المعاوَدةِ.

قولُه: (غَالِبٌ) منتَقِمٌ.

قولُه: (في خَلقِهِ) وفيما حكَمَ من القَطعِ.

= الشاذكوني وهو ضعيف.

(١) رواه أبو داود (٤٤١٠)، والنسائي (٤٩٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٠٦)، والدارقطني في «السنن» (٣٣٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢٥٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

قال النسائي: هذا حديث منكر، ومصعب بن ثابت ليس بالقوي في الحديث.

(٢) رواه محمد بن الحسن في «الآثار» (٢/ ٥٤٥) (٦٢٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٧٦٤)، وابن الجعد في «مسنده» (٦٠)، والدارقطني في «السنن» (٣١٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢٦٩).

(٣) لم أجده عنده، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢٦٨) عن عبد الرحمن بن عائذ، قال: أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل أقطع اليد والرِّجل قد سرق، فأمر به عمر رضي الله عنه أن يقطع رجله، فقال علي رضي الله عنه: إنما قال الله عز وجل: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ [المائدة: ٣٣] إلى آخر الآية، فقد قطعت يد هذا ورجله، فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها، إما أن تعزره وإما أن تستودعه السجن، قال: فاستودعه السجن، وقال ابن حجر في «الدراية» (٢/ ١١٣): إسناده جيد.

(٤) انظر: «مختصر القدوري» (ص: ٢٠٢)، و«رد المحتار» (٤/ ١٠٤).

٣٩ ـ ﴿فَمَن تابَ مِن بَعدِ ظُلمِهِ﴾: رجَعَ عن السرقة، ﴿وأصلَحَ﴾ عمله، ﴿فإنَّ اللهَ يَتُوبُ علَيهِ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. في التعبير بهذا ما تقدّم، فلا يَسقطُ بتوبته حقُّ الآدميّ من القطع وردُّ المال. نَعَمْ بيَّنَتِ السُّنّة أنه إن عَفا عنه قَبْلَ الرفعِ إلى الإمام سَقطَ القطعُ. وعليه الشافعيّ. ٤٠ ـ ﴿أَلَم تَعلَمْ﴾ ـ الاستفهام فيه للتقرير ـ ﴿أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السّماواتِ والأرضِ، يُعذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه، ﴿ويَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه التعذيب والمغفرة؟

٤١ ـ ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ، لا يَحزُنْكَ﴾ صُنعُ ﴿الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفرِ﴾: يقعون فيه بسُرعة، أي: يُظهرونه إذا وجدوا فُرصة، ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿الَّذِينَ قالُوا: آمَنّا. بِأَفواهِهِم﴾: بألسنتهم متعلّق بـ «قالوا»، ﴿ولَم تُؤمِنْ قُلُوبُهُم﴾ وهم المنافقون. ﴿ومِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ قومٌ ﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سَماعَ قَبولٍ، ﴿سَمّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَومٍ﴾: لِأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَم يأْتُوكَ﴾ ـ وهم أهل خيبرَ، زنى فيهم مُحصَنانِ فكرهوا رجمهما، ....

قولُه: (مِنَ القَطعِ) لأنَّهُ يتوقَّفُ على خصومَةِ الآدمِيِّ.

قولُه: (وعليهِ الشَّافعِيُّ)[1] قالَ العينيُّ[2]: ومن سَرقَ شَيئاً وردَّهُ قبلَ الخصُومَةِ، أو ملكَهُ بعدَ القضَاءِ بالقَطعِ لم يُقطَعْ.

قولُه: (للتَّقريرِ) والخِطابُ للنَّبيِّ، أو لكُلِّ مكلَّفٍ.

قولُه: (ومِنهُ التَّعذِيبُ) وقدَّمَ للسِّياقِ أو لتقدُّمِ الاستحقاقِ، أو لأنَّ المرادَ القَطعُ وهو في الدُّنيا.

قولُه: (بِـ﴿قَالُوا﴾) لا بـ﴿آمنَّا﴾.

قولُه: (وَهُمُ المنَافِقُونَ) والواو تحتمِلُ الحالَ والعَطفَ.

قولُه: (قَومٌ) أشارَ إلى أنَّ ﴿سمَّاعُونَ﴾ مبتَدأٌ بحَذفِ مَوصُوفٍ، والجار خبرُه.

قولُه: (سَمَاعَ قَبُولٍ) إيماءٌ إلى أنَّ اللامَ مزيدَةٌ للتَّأكيدِ، بخِلافِ اللَّامِ الثَّانيَةِ فإنَّها للعلَّةِ.

قولُه: (وهُم أَهلُ خَيبَرَ) أي: لم يحضُروا مجلسَكَ تكبُّراً، أو إفراطاً في البُغْضِ.

قولُه: (زنَا فِيهِم) أي: أهلُ خيبَرَ.

قولُه: (رَجْمَهُمَا) أي: لشرفِهما.

(١) انظر: «الأم» (٦/ ١٤٢)، و«المجموع شرح المهذب» (٢٠/ ٩٥).

(٢) انظر: «البناية» (٧/ ٦١، ٦٢) ولكنه قال: لو ردها بعد سماع البينة والقضاء يقطع، وبعد السماع قبل القضاء يقطع استحساناً.

فبعثوا قُرَيظةَ ليسألوا النبيَّ عن حكمهما ـ ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِن بَعدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي: يبدّلونه، ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُم هذا﴾ الحُكمَ المحرَّف، أي: الجَلدَ، أي: أفتاكم به مُحمّد ﴿فخُذُوهُ﴾: فاقبلوه، ﴿وإِنْ لَم تُؤْتَوهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذَرُوا﴾ أن تقبلوه.

﴿ومَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾: إضلالَه ﴿فلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيئًا﴾ في دفعها. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَم يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم﴾ من الكفر ـ ولو أراده لكان ـ ﴿لَهُم في الدُّنيا خِزْيٌ﴾: ذُلّ بالفضيحة والجزية، ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

٤٢ ـ هم ﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحتِ﴾ ـ بضمّ الحاء وسكونها ـ.....................

قولُه: (لِيَسألُوا) أي: قريظَةُ.

قولُه: (أي يبدِّلُونَهُ) إمَّا لفظاً بإهمالِهِ، أو تغييرِ وصفِهِ، وإمَّا معنًى بحملِهِ على غيرِ المرادِ وإجرائِهِ في غيرِ مورِدِه.

قولُه: (أي: الجَلْد) والتَّحمِيم والإركاب على حمارٍ مَقلُوباً.

قولُه: (فاقبَلُوهُ) واعمَلوا به.

قولُه: (بخِلافِهِ) أي: بالرَّجم.

قولُه: (أنْ تَقبَلُوهُ) أي: قبولَ ما أفتاكُم فأمَرَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بالرَّجمِ وألزمَهُم أنَّهُ حكمُ التَّوراةِ فرُجِما، فعُلِمَ من ذلك أنَّ كفرَهُم كفرُ عنادٍ.

قولُه: (إضلَالَهُ) الأولَى ضلالَتَهُ، وقيل: فضِيحَتَه.

قولُه: (في دَفعِهَا) أي: في دفعِ الفتنَةِ عنه.

قولُه: (لكَانَ) وهو نصٌّ على فسادِ قولِ المعتزِلَة[1].

قولُه: (والجِزْيَةِ) والخَوفِ عن المؤمنينَ.

قولُه: (هُم) مبتَدأٌ خبرُه ما بعدَهُ، وكرِّرَ للتَّأكيدِ وللعطفِ عليه بالمزيدِ.

قولُه: (بِضَمِّ الحَاءِ) مكِّي وبصرِيٌّ وكِسائيٌّ[2].

---

(١) ومذهب المعتزلة مختلف في الإرادة، وأشهرهما رأيين: الفريق الأول يرى أنه سبحانه مريد بإرادة حادثة لا في محل، والفريق الثاني ينفي الإرادة، وانظر «فتوح الغيب» للطيبي (٢/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٢١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٥).

أي: الحرامِ كالرُّشا. ﴿فإنْ جاؤُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكُمْ بَينَهُم، أو أعرِضْ عَنهُم﴾ ـ هذا التخييرُ منسوخ بقوله «وأنِ احكُمْ بَينَهُم» الآيَةَ، فيجب الحُكم بينهم إذا ترافعوا إلينا. وهو أصحّ قولَيِ الشافعيّ. فلو ترافعوا إلينا مع مُسلم وجب إجماعًا ـ ﴿وإنْ تُعرِضْ عَنهُم فلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا! وإنْ حَكَمتَ﴾ بينهم ﴿فاحكُمْ بَينَهُم بِالقِسطِ﴾: بالعدل. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾: العادلين في الحكم، أي: يُثيبهم.

٤٣ ـ ﴿وكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ، وعِندَهُمُ التَّوراةُ فِيها حُكمُ اللهِ﴾ بالرجم ـ استفهامُ تعجيب ـ أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحقّ، بل ما هو أهوَنُ عليهم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّونَ﴾: يُعرِضون عن حُكمِك بالرجم الموافقِ لكتابهم ﴿مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ التحكيم؟ ﴿وما أُولئِكَ بِالمُؤمِنِينَ﴾ ٤٤ ـ ﴿إنّا أنزَلْنا التَّوراةَ، فِيها هُدًى﴾ من الضلالة ﴿ونُورٌ﴾: بيان للأحكام، ﴿يَحكُمُ بِها النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أسلَمُوا﴾: انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هادُوا، والرَّبّانِيُّونَ﴾:..

قولُه: (الحَرَامِ) أي: الصرفُ والبحثُ.

قولُه: (مَنسُوخٌ) لأنَّ الجَزمَ بالحُكمِ رفعٌ للتَّخييرِ، ومن قال بعدَمِ النَّسخِ يقولُ: المرادُ بقولِه: ﴿وأنِ احكُم﴾ [المائدة: ٤٩] أي: إن حكَمتَ.

قولُه: (وهو أصَحُّ قولَي الشَّافعِيِّ)[1] وعندَ أبي حنيفَةَ: يجبُ مطلَقاً[2].

قولُه: (تعجِيبٍ) وفي نُسخَةٍ: «تَعَجُّبٍ»؛ أي: من تحكيمِهِم من لا يؤمنُونَ به، والحالُ: أنَّ الحُكمَ منصُوصٌ في الكِتابِ المؤمنِ به.

قولُه: (مَعرِفَةَ الحَقِّ) وإقامَةَ الشَّرعِ.

قولُه: (أهوَنُ عَلَيهِم) وإن لم يكُنْ حُكمَ اللهِ في زعمِهِم.

قولُه: (يُعرِضُونَ) عَطفٌ على يُحكمونك، داخلٌ في حُكمِ التَّعجُّبِ.

قولُه تعَالَى: (﴿بالمؤمِنين﴾) أي: بكتابِهِم لإعراضِهِم عنه أوَّلاً، وعمَّا يُوافِقهُ ثانِياً، أو بكَ وبه.

قولُه: (انقَادُوا) صفَةٌ أُجريَتْ على النَّبيِّينَ مَدحاً لهم وتنويهاً لشأنِ المسلمِينَ وتَعرِيضاً باليهُودِ.

وقولُه: (﴿للَّذينَ هَادُوا﴾) متعلِّقٌ بـ﴿أنزَلنَا﴾، أو بـ﴿يَحكُمُ﴾.

---

(١) الذي وقفت عليه من كتب المذهب: أنه إن قتل وأخذ المال قتل وصلب ولم يقطع، انظر: «الأم» (٦/ ١٦٤)، و«الحاوي الكبير» للماوردي (١٣/ ٣٥٤)، و«الوسيط» للغزالي (٦/ ٤٩٥).

(٢) أي أن من أخذ المال، وقتل فالإمام بالخيار إن شاء قطع يده، ورجله، ثم قتله أو صلبه، وإن شاء لم يقطعه، وقتله أو صلبه، انظر: «بدائع الصنائع» (٧/ ٩٣)، و«رد المحتار» (٤/ ١١٥).

العلماء منهم ﴿وَالأحبارُ﴾: الفُقهاء ﴿بِما﴾ أي: بسبب الذي ﴿اسْتُحفِظُوا﴾: استُودِعُوه أي: استحفظَهم اللهُ إيّاه ﴿مِن كِتابِ اللهِ﴾ أن يُبدّلوه، ﴿وكانُوا علَيهِ شُهَداءَ﴾ أنه حقّ. ﴿فلا تَخشَوُا النّاسَ﴾ ـ أيُّها اليهود ـ في إظهار ما عِندكم من نعتِ مُحمّد والرجمِ وغيرهما، ﴿واخشَوني﴾ في كِتمانه، ﴿ولا تَشتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآياتي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها. ﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾ به.

٤٥ ـ ﴿وكَتَبْنا﴾: فرضنا ﴿علَيهِم فِيها﴾..

قولُه: (العُلماءُ) المشهورُ: الزُّهّادُ.

قولُه: (الفُقَهاءُ) المشهُورُ: العلماءُ من الحَبْرِ أو الحِبْرِ.

قولُه: (بسبَبِ) أي: بسبَبِ أمرِ اللهِ إيَّاهُم بأن يحفَظوا كتابَهُ عن التَّضْييعِ والتَّحرِيفِ، وأن يظهَرُوا، والباءُ متعلِّقٌ بـ﴿يَحكُمُ﴾.

قولُه: (استُودِعُوهُ) أشارَ إلى أنَّ الرَّاجعَ إلى ﴿مَا﴾ محذُوفٌ، و﴿مِنْ﴾ للتَّبيينِ.

قولُه: (أَن يُبَدِّلُوه) أي: لَفظاً أو مَعنًى، بخلافِ القُرآنِ فإنَّه تعالى تكفَّلَ بحفظِهِ، وأن مصدرِيَّةٌ، والتَّقدِيرُ: استحفظُوهُ من التَّبدِيلِ، أو كراهَةَ أن يبدِّلُوا.

قولُه: (أيُّها اليَهُودُ) الخطابُ لعلمائِهِم، ويتناوَلُ علماءَ هذهِ الأمَّةِ، أو نهيٌ للحكَّامِ أن يخشَوا غيرَ اللهِ في حكوماتِهِم ويداهِنُوا فيها خشيَةَ ظالمٍ أو مراقبَةِ كبِيرٍ.

قولُه: (في كِتمَانِهِ) وأثبتَ الياءَ في ﴿اخشَونِ﴾ أبو عَمرٍو وَصلاً[1].

قولُه: (مِنَ الدُّنيا) وهو الرَّشوَةُ والجاه، قيل: لا تطلُبُوا الدُّنيا بعمَلِ الآخرَةِ.

قولُه: (بِهِ) نزلَتْ في أهلِ الكتابِ دُونَ من أساءَ من هذه الأمَّةِ، هذا قولُ جماهيرِ السَّلفِ[2]، وقالَ الحسنُ البصريُّ[3]: من لم يحكُمْ به منَّا فهو فاسقٌ، ومَن لم يحكُمْ به مِن أهلِ الكتابِ فهو كافرٌ.

والمعنَى: مَن لم يحكُمْ مُنكِراً أو مُنْتَهِيناً أو مُستَخِفًّا: فهو كافرٌ، أو كُفرٌ دونَ كُفرٍ، أو المرادُ به: الكُفرانُ، أو شابَهَ الكفَّارَ، أو تغليظٌ، أو يُخافُ عليه الكُفرُ.

قولُه: (فَرَضنَا) أي: على اليهودِ، فقيلَ: الكتابَةُ حقيقَةٌ، فإنَّ التَّوراةَ نزلَتْ مكتوبَةً في الألواحِ، وفيه أنَّ تعديتَهُ بعلى يأبى إلَّا بتكلُّفٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥).

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدي من مراجع.

أي: التوراةِ ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تُقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قَتلَتْها، ﴿والعَينَ﴾ تُفقأ ﴿بِالعَينِ، والأنفَ﴾ يُجدع ﴿بِالأنفِ، والأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِالأُذُنِ، والسِّنَّ﴾ تُقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ - وفي قراءة بالرفع في الأربعة - ﴿والجُرُوحَ﴾، بالوجهين، ﴿قِصاصٌ﴾ أي: يُقتصُّ فيها إن أمكن كاليدِ والرِّجلِ والذَّكرِ ونحو ذلك، وما لا يُمكن فيه الحُكومةُ. وهذا الحُكم، وإن كُتب عليهم، فهو مقرّر في شرعنا. ﴿فمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾، أي: بالقِصاص بأن مَكّن من نفسه، ﴿فهُوَ كَفّارةٌ لَهُ﴾:..

قولُه: (تُقتَلُ) أو مقتولَةٌ.

قولُه: (تُفقَأُ) أي: تُشَقُّ، ولا يبعُدُ أن يقدَّرَ متعلَّقُ الباءِ في الجميعِ تقتصُّ، ويكونَ القصاصُ بحسَبِ كُلِّ مكانٍ من المماثلَةِ.

قولُه: (وَقُرِئَ) خالَفَ أصلَهُ في التَّعبيرِ بصيغَةِ التَّمريضِ الموضوعِ للشَّاذِّ، وكانَ حقُّهُ أن يقُولَ: «وفي قِراءَة» كما في بعضِ النُّسَخِ المصحَّحةِ، إذ رفعَ الكسائيُّ العينَ وما عُطفَ عليه على أنَّها مستأنفَةٌ[1].

وقولُه: (بالوَجهَينِ) نصبَهُ نافِعٌ وعاصمٌ وحمزَةُ[2].

قالَ تعَالى: (﴿قِصَاصٌ﴾) أي: ذاتُ قصاصٍ، أو فيها قصاصٌ.

قولُه: (وما لا يُمكِنُ) ككسرِ عظمٍ، وجرحِ لحمٍ ممَّا لا يمكنُ الوقُوفُ على نهايتِهِ.

قولُه: (الحكُومَةُ) أي: حكومَةُ عدْلٍ، فيقوِّمُ عَبداً بلا هذا الأثرِ، ثمَّ معه، فقدرُ التَّفاوُتِ بين القيمَتينِ منَ الدِّيةِ هو هي.

قولُه: (مقرَّرٌ) برائينِ، وهو أولَى من نسخةِ: «مقدَّرٌ» بالدَّالِ، والمعنى: أنَّه غيرُ منسُوخٍ.

قولُه: (﴿بِهِ﴾) أي: بالقصاصِ.

قولُه: (بأَنْ مَكَّنَ) بيانُ التَّصدُّقِ، أو فمَن تصدَّقَ من أهلِ الحقِّ، أو فمن عَفا عنه.

(﴿فَهُوَ﴾) أي: التَّصدُّقُ[3] كفَّارةٌ للمتصدِّقِ يكفِّرُ اللهُ به ذنوبَهُ، وفي حديثٍ: «فإنْ كانَ ربْعَ الدِّيَةِ فربعُ خطايَاهُ»[4]. وقيل: كفَّارةٌ للجانِي يسقُطُ عنه ما لزمَهُ ولا يؤاخذُ اللهُ به كما أنَّ القصاصَ كفَّارةٌ له.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٢٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٦).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) من قوله: «أو فمن... إلى قوله:... التصدق»: ليست في (ص).

(٤) رواه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٣)، من حديث عبد الله بن عمرو، وعن رجل من الأنصار، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٤١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهم.

=

لِما أتاه، ﴿وَمَن لَّم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ﴾ في القِصاص وغيره ﴿فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٤٦ ـ ٤٧ ـ ﴿وقَفَّينا﴾: أتبَعْنا ﴿علَى آثارِهِم﴾ أيِ: النبيِّينَ ﴿بِعِيسَى بنِ مَريَمَ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه ﴿مِنَ التَّوراةِ، وآتَيناهُ الإنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿ونُورٌ﴾: بيان للأحكام، ﴿ومُصَدِّقًا﴾: حالٌ ﴿لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّوراةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وهُدًى ومَوعِظَةً لِلمُتَّقِينَ، و﴾ قلنا: ﴿لِيَحكُمْ أهلُ الإنجِيلِ بِما أنزَلَ اللهُ فِيهِ﴾ من الأحكام. وفي قراءة بنصبِ «يَحكُمَ» وكسرِ لامه عطفًا.........................

قولُه: (﴿الظَّالِمُون﴾) لأنَّهُم لم ينصِفُوا المظلُومَ من الظَّالمِ بالعدلِ نزلَتْ لمَّا اصطلحَ اليهُودُ أن لا يقتلَ شريفٌ بوضيعٍ ورجُلٌ بامرأةٍ، أو معناهُ: الكاملونَ في الظُّلمِ حيثُ ظلَمُوا أنفسَهُم وغيرَهُم.

قولُه: (أَتبَعنَا) في البيضاويِّ[1]: أي: وأتبَعناهُم على آثارِهِم فحذَفَ المفعُولَ لدلالَةِ الجارِّ والمجرورِ عليه.

يعني: الظَّرف سادٌّ مسدَّ المفعولِ؛ لأنَّه إذا قُفِّيَ بزيدٍ مثلاً على أثرِ عَمرٍو فقد قفَّى بزيدٍ عَمراً، بمعنَى: جعلَ زيداً متَّبِعاً عَمراً، ثمَّ قالَ: والضَّميرُ لـ﴿النَّبيُّونَ﴾ يعني في قولِه: ﴿يَحكُمُ بِها النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿بِعِيسَى ابنِ مَريَمَ﴾ مفعولٌ ثانٍ عدِّي إليه الفعلُ بالباء.

والأظهرُ الأوفقُ بما ذكرهُ الشَّيخُ ما في «المدارِكِ»[2] معنَى: قفَّيتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ: جعلتُه في أثرِه، كأنَّه جعِلَ في قفَاهُ، يقال: قفَّاهُ يقفُوهُ: إذا تبعَهُ، لكن قال في «البحرِ»[3]: فيه تضمِينٌ؛ أي: جئنا على آثارِهم بعيسَى قافياً وليس التَّضْعيفُ للتَّعديةِ، فإنَّ قفَّا متعَدٍّ إلى واحدٍ نحو: ﴿وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فلو كانَ التَّضْعيفُ للتَّعديةِ لتعدَّى إلى منصُوبينِ فيقالُ: قَفَّينا [على] آثارِهم عيسَى. وعيسَى هو المفعولُ الأوَّلُ لكن ضمِّنَ معنَى جاءَ وعدِّيَ بالباء.

قولُه: (حالٌ) كالأوَّلِ، والأوَّلُ معناهُ حاكِماً بما فيها، والثَّاني: موافِقاً لا يخالفُه إلَّا في قليلٍ.

قولُه: (﴿وَ﴾ قُلنَا) إشارةٌ إلى أنَّه عطفٌ على ﴿وآتَينَاهُ الإنجِيلَ﴾؛ أي: وآتيناهُ الإنجيلَ، وقُلنا ليَحكم.

قولُه: (وفي قِرَاءَة) لحمزَة[4].

= والحديث موضوع، فيه معلى بن هلال كذاب يضع الحديث، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٩٦) (١٧٢٧)، و«الكامل» (٨/ ٩٩) (١٨٥٤)، و«الميزان» (٤/ ١٥٢) (٨٦٧٩).

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٥٠).

(٣) انظر: «البحر المحيط» لابن حيان (١/ ٤٨٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٢٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٧).

على معمول «آتيناه». ﴿وَمَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾.

٤٨ ـ ﴿وأنزَلْنا إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿بِالحَقِّ﴾: متعلّق بـ «أنزلنا» ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه ﴿مِنَ الكِتابِ ومُهَيمِنًا﴾: شاهدًا ﴿علَيهِ﴾. و«الكتابِ» بمعنى الكُتب. ﴿فاحكُمْ بَينَهُم﴾: بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك ﴿بِما أنزَلَ اللهُ﴾ إليك، ﴿ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم﴾، عادلاً ﴿عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ. لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكُم﴾ ـ أيّها الأُمَمُ ـ ﴿شِرْعَةً﴾: شريعة ﴿ومِنهاجًا﴾: طريقًا واضحًا في الدِّين يمشون عليه، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدةً﴾ على شريعة واحدة، ﴿ولكِنْ﴾ فرّقكم فِرَقًا ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: ليَختبِرَكم ﴿فِيما آتاكُم﴾ من الشرائع المختلفة، لينظر المُطيعَ منكم والعاصيَ. ﴿فاستَبِقُوا الخَيراتِ﴾: سارعوا إليها. ﴿إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا﴾ بالبعثِ ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، ويَجزي كُلًّا منكم بعمله.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿وأنِ احكُمْ بَينَهُم بِما أنزَلَ اللهُ، ولا تَتَّبِعْ أهْواءَهُم واحذَرْهُم﴾ لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿يَفتِنُوكَ﴾: يُضِلّوك ﴿عَن بَعضِ ما أنزَلَ اللهُ إلَيكَ، فإن تَوَلَّوا﴾ عن الحُكم المُنزَل،...........................

قولُه: (على مَعمُولِ ﴿آتَيْناهُ﴾) كأنَّه قال: وللهُدَى والموعظَةِ وللحُكمِ آتيناهُ الإنجيلَ، والأظهرُ: أن يقالَ: وآتيناهُ ليحكُمَ، أو: يقدَّرُ قبلَهُ: ليُؤمنوا.

(﴿شاهِداً﴾) ورَقيباً.

قولُه: (﴿عَلَيهِ﴾) أي: على الكتابِ؛ أي: يحفظُه عن التَّغيُّرِ ويشهدُ بالصِّحَّةِ والثَّباتِ، أو فكلُّ ما يوافقُهُ حقٌّ وما يخالفهُ فمحرَّفٌ باطلٌ، أو حاكِماً على ما قبلَهُ من الكتُبِ، فاللَّامُ الأولَى للعهدِ، والثَّانيةُ للجنسِ.

قولُه: (عَادِلاً) أي: مائِلاً، إشارةٌ إلى أنَّه حالٌ من الفاعلِ.

قولُه: (شَرِيعةً) هي الطَّريقةُ الظَّاهرَةُ إلى الماءِ، شبَّهَ بها الدِّينَ؛ لأنَّهُ طرِيقٌ إلى ما هو سببُ الحياةِ الأبديَّةِ، فالعَطفُ باعتبارِ الجَمعِ بين الوصفَينِ.

قولُه: (عَلَى شَريعةٍ) أي: جماعَةٍ متَّفقَةٍ على دينٍ واحدٍ في جميعِ الأعصارِ من غيرِ نسخٍ وتحويلٍ.

قولُه: (فرَّقَكُم) أو التَّقدِير: ولكن أرادَ؛ بمعنَى: شاءَ؛ ليصحَّ تعلُّقُ اللَّامِ به.

قولُه: (المُخْتلِفَةِ) المناسبةِ لكُلِّ عصرٍ وقَرنٍ، قالَ تَعالى: ﴿وأن احكُم﴾ [المائدة: ٤٩] معطُوفٌ على الحقِّ أو على الكتابِ.

قولُه: (لئَلَّا) أو مخافَةَ أن يفتنُوكَ وهو الأقصرُ، والأظهرُ: ولذا اختارَهُ البصريُّونَ.

قولُه: (يُضِلُّوكَ) أو يصرِفوكَ وهو الأنسَبُ.

وأرادوا غيره، ﴿فاعلَمْ أنَّما يُرِيدُ اللهُ أنْ يُصِيبَهُم﴾ بالعُقوبة في الدنيا ﴿بِبَعضِ ذُنُوبِهِم﴾ التي أتوها ـ ومنها التولّي ـ ويُجازيَهم على جميعها في الأُخرى ـ ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ ـ أَفَحُكمَ الجاهِلِيَّةِ يَبغُونَ﴾، بالياء والتاء: يطلبون من المُداهنة والمَيل، إذ تولَّوا؟ استفهام إنكار، ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أحسَنُ مِنَ اللهِ حُكمًا لِقَومٍ﴾: عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به؟ خُصّوا بالذكر لأنهم الذين يتدبّرونه.

٥١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أولِياءَ﴾ تُوالونهم وتُوادّونهم. ﴿بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ﴾ لِاتّحادهم في الكُفر، ﴿ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فإنَّهُ مِنهُم﴾: من جُملتهم. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ بمُوالاة الكُفّار، ....

قولُه: (والتَّاءِ) أي: الخطابُ للشَّامِي[1] على الالتفاتِ، أو بتقديرِ: قُل.

قولُه: (يَطلُبونَ) أي: يُريدونَ وعن حُكمِ الله يعدِلونَ.

قولُه: (مِنَ المُدَاهنَةِ) بيانُ حُكمِ الجاهليَّةِ، والمرادُ بـ﴿الجاهِلِيَّةِ﴾: الجماعَةُ، أو الملَّةُ الجاهليَّةُ الَّتي هي متابعَةُ الهوَى.

قولُه: (إذ تولَّوا) ظَرف «يطلُبونَ».

وقولُه: (استفهَامُ إنكَارٍ) أي: استفهامُ (﴿أَفَحُكمَ﴾).

قولُه: (أي لا أحَدَ) يعني: ﴿مَنْ﴾ استفهامٌ معناهُ النَّفيُ.

قولُه: (عِندَ قَومٍ) هذا قولُ أبي عليٍّ[2]، والمشهورُ: أنَّ اللَّامَ للبَيانِ؛ أي: هذا الاستِفهامُ أو هذا الخطابُ للمُوقِنينَ بأنَّه أعدَلُ العادلِينَ وأرحمُ الرَّاحمينَ.

قولُه: (يَتَدَبَّرُونَهُ) الضَّميرُ راجعٌ إلى قولِه: ﴿حُكماً﴾ وهو تمييزٌ.

قولُه: (وتَوَادُّونَهُم) وتعاشرونَهُم معاشرَةَ الأحبابِ.

قولُه: (في الكُفرِ) أي: في جنسِ الكُفرِ.

قولُه: (مِن جُملتِهِم) وهذا للتَّشديدِ في وجوبِ مجانبَتِهم، أو لأنَّ الموالِينَ لهم كانوا منافِقِينَ.

قولُه: (بمُوَالاةِ الكُفَّارِ) أي: الذين ظلمُوا أنفسَهُم، أو ظلَمُوا المؤمنينَ بها.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٢٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٨).

(٢) وانظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٥٣).

وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، انظر: «تاريخ العلماء» (ص: ٢٦) (١٠)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ٢٨٥) (٣٧٦٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٧٩) (٢٧١).

٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿فترَى الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقاد كعبد الله بن أُبيّ، ﴿يُسارِعُونَ فِيهِم﴾: في مُوالاتهم، ﴿يَقُولُونَ﴾ مُعتذرين عنها: ﴿نَخشَى أن تُصِيبَنا دائرةٌ﴾ يدورُ بها الدهر علينا من جدب أو غلبة، ولا يتمَّ أمر محمّد فلا يَميرونا.

قال تعالى: ﴿فعَسَى اللهُ أن يأتِيَ بِالفَتحِ﴾: بالنصر لنبيّه لإظهار دينه ﴿أو أمرٍ مِن عِندِهِ﴾ بهتك سِتر المنافقين وافتضاحهم، ﴿فيُصبِحُوا علَى ما أسَرُّوا في أنفُسِهِم﴾ من الشكّ ومُوالاة الكُفّار ﴿نادِمِينَ. ويَقُولُ﴾ ـ بالرفع استئنافًا بواوٍ ودونِها، وبالنصب عطفًا على «يأتيَ» ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هَتَكَ سِترَهم تعجّبًا: ﴿أهؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أيمانِهِم﴾: غايةَ اجتهادهم فيها ﴿إنَّهُم لَمَعَكُم﴾...

قولُه: (عنهَا) أي: عن مُوالاتِهم.

قولُه: (فلَا يَمِيرُونا) بفتحِ الياءِ وضمِّها، من المِيرَة ـ بالكسرِ ـ وهي الطَّعامُ ونحوه ممَّا يجلَبُ للبيعِ مار عَيالَه وأمارَهُم[1].

قولُه: (وافتضَاحِهِم) وضَربِ الجِزيَةِ على اليهودِ وقتلِهم وإجلائِهِم.

وقولُه تعَالى: (﴿فَيُصبِحُوا﴾) عطفٌ على (﴿أَن يَأتِيَ﴾) أي: فيصيروا.

قولُه: (مِنَ الشَّكِ) أي: فَضْلاً عمَّا أظهرُوهُ ممَّا أشعَرَ على نفاقِهِم.

قولُه: (بالرَّفعِ) لغيرِ البَصرِي[2].

قولُه: (بواوٍ) يعني: مع الواو؛ للكُوفي[3].

قولُه: (ودُونِهَا) أي: مع غيرِ الواو لابنِ كثيرٍ ونافعٍ وابن عامِر.

وقولُه: (بالنَّصبِ) يعني: مع الواو، وهو مفهومٌ من قولِه: «عَطفاً» وهو قراءَةُ البَصرِي.

قولُه: (على يَأتِيَ) فلا وقْفَ بينهما.

قولُه: (تعَجُّباً) من حَالِ المنافقِين وتبَجُّحاً بما منَّ اللهُ عليهم من الإخلاصِ، أو من كذبِهم وحلفِهم بالباطِلِ.

قولُه: (غايَةَ اجتِهَادِهِم) أي: بأغلظِ الأيمانِ و﴿جَهْدَ أيمَانِهِم﴾ مصدَرٌ في تقديرِ الحالِ؛ أي: مجتهدِينَ في توكيدِ أيمانِهِم.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٧٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٢٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٢٩).

(٣) هذا وما بعده انظر المصادر السابقة.

في الدِّين؟ قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أعمالُهُم﴾ الصالحة، ﴿فأَصبَحُوا﴾: صاروا ﴿خاسِرِينَ﴾ الدُّنيا بالفضيحة والآخرةَ بالعِقاب!

٥٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، مَن يَرتَدِدْ﴾، بالفكِّ والإدغامِ: يَرجِعْ ﴿مِنكُم عَن دِينِهِ﴾ إلى الكُفر ـ إخبارٌ بما علم الله ـ تعالى ـ وقوعَه منهم. وقد ارتدّ جماعة بعد موت النبيّ ﷺ ـ ﴿فسَوفَ يأتِي اللهُ﴾ بدَلَهم ﴿بِقَومٍ، يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ﴾ ـ قال ﷺ: «هُم قَومُ هذا» وأشار إلى أبي مُوسى الأشعريّ. رواه الحاكم في صحيحه ـ ﴿أَذِلَّةٍ﴾: عاطِفِينَ ﴿علَى المُؤمِنِينَ، أعِزَّةٍ﴾: أشدّاءَ ﴿علَى الكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَخافُونَ لَومةَ لائمٍ﴾..

قولُه: (في الدِّينِ) أي: أنَّهُم أولياؤُكُم ومعاونُوكُم على أعدائكُم.

قولُه: (الصَّالحةُ) أي: في الصُّورَة، أو المشروطةِ بالإيمانِ.

قولُه: (بالفَكِّ) نافعٌ وشامِي[١].

قولُه: (بَدَلَهُم) قدَّر ليصِحَّ على قولِ من قال: الجزاءُ هو خبرُ المبتدأِ، وإلَّا فضميرُ ﴿يَرتَدَّ﴾ و﴿دِينِهِ﴾ راجِعٌ إلى ﴿مَن﴾ وهو كافٍ.

وقولُه تعالى: (﴿يُحِبُّهُم﴾) أي: يهديهِم ويوفِّقُهم في الدُّنيا ويثيبُهُم في العُقبَى؛ لأنَّ المحبَّةَ ميلُ القلبِ، ولا يجوزُ إطلاقُه على اللهِ فيفسَّرُ بلازِمِها، وأمَّا محبَّةُ العبادِ فيمكِنُ حقيقَتُها ولازِمُها من الطَّاعةِ والعبادةِ.

قولُه: (في صَحِيحِهِ)[٢] وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن الحسنِ قال[٣]: هم واللهِ أبو بكرٍ وأصحابُه. كذا في «المبهَماتِ»[٤].

قولُه: (عَاطِفِينَ) أي: راحمينَ، أو خافضينَ أجنحَتَهم؛ أي: ذُلَّ تواضُعٍ لا ذُلَّ إهانَةٍ.

قولُه: (أَشِدَّاء) من عزَّه: إذا غلَبَه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٣٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٢٦١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٥١).

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥٣٧)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٧٦٦)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٧٤)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦٢).

(٤) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (ص: ٤٠).

فيه كما يخاف المُنافقون لوم الكُفّار ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضلُ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

ونزل، لمّا قال ابن سلام: «يا رسولَ اللهِ، إنّ قومَنا هَجَرُونا»: ٥٥ ـ ﴿إنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم راكِعُونَ﴾: خاشعون، أو مُصلّون صلاةَ التطوّع، ٥٦ ـ ﴿ومَن يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ ـ فيُعينُهم ويَنصرُهم ـ ﴿فإنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾ لنصره إيّاهم. أوقعه موقع «فإنّهم» بيانًا لأنهم من حزبه، أي: أتباعِه.

٥٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُوًا﴾: مَهزوءًا به ﴿ولَعِبًا، مِنَ﴾ ـ للبيان ـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم والكُفّارِ﴾: المشركينَ، بالجرِّ والنصبِ، ﴿أولِياءَ، واتَّقُوا اللهَ﴾ بترك مُوالاتهم،

قولُه: (فِيه) أي: في سبيلِ الله، واللَّومةُ المرَّةُ من اللَّومِ، وفيها وفي تنكيرِ لائمٍ مبالغَتانِ.

قولُه: (خَاشِعُونَ) أي: في صلاتِهم وزكاتِهم، وقيل: هو حالٌ مخصُوصٌ بـ(يُؤتُونَ)[1]؛ أي: يؤتونَ الزَّكاةَ في حالِ ركوعِهم في الصَّلاةِ حِرصاً على الإحسانِ ومسارعَةً إليه، فإنَّها نزلَتْ في عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهه حينَ سألَهُ سائلٌ وهو راكِعٌ في صلاتِهِ فطرَحَ له خاتَمه. رواهُ ابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ وابنُ مردَويه[2] برواياتٍ مختلفةٍ.

هذا وما قبلَ الآيةِ ينادِي على أنَّ ليسَ المرادُ من الولايةِ المتوَلِّيَ للأمُورِ والمستحِقَّ للتَّصرُّفِ كما قالت الشِّيعةُ بل ذكَرَهُ بلفظِ الجمعِ تحريضاً على المبادرَةِ في الصَّدقةِ فيدخلُ كلُّ من يُبادِرُ فلا يصحُّ الاستدلالُ بهذه الآيةِ على إمامةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه.

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ الفِعلَ القليلَ لا يبطِلُ الصَّلاةَ.

قولُه: (بَيَاناً) وتعريضاً بمن يوالِي غيرَ هؤلاءِ بأنَّه حزبُ الشَّيطانِ.

قولُه: (بالجَرِّ) للبصريِّ والكِسائيِّ[3] عَطفاً على ﴿الَّذِين﴾ المجرُورةِ.

قولُه: (والنَّصبِ) عَطفاً على (﴿الذينَ اتَّخذُوا﴾) أو بنزعِ الخافِضِ.

قولُه: (بتَركِ مُوَالاتِهم) الأولى: بتَركِ المناهِي.

---

(١) «بيؤتون»: ليست في (ص).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٢٢١٠)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٦)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ١٠٢)، والخطيب في «المتفق والمفترق» (١٠٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٣٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٠).

﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾: صادقين في إيمانكم، ٥٨ ـ ﴿و﴾ الذين ﴿إذا نادَيتُم﴾: دعوتم ﴿إلَى الصَّلاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوها﴾ أي: الصلاةَ ﴿هُزُوًا ولَعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا. ﴿ذلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهم﴾: بسبب أنهم ﴿قَومٌ لا يَعقِلُونَ﴾.

ونزل لمّا قال اليهود للنبيّ ﷺ: «بِمَن تُؤمن من الرُّسل»؟ فقال: «باللهِ وما أُنزِلَ إلَينا» الآيةَ، فلمّا ذَكر عيسى قالوا: «لا نعلم دِينًا شرًّا من دينكم»: ٥٩ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، هَل تَنقِمُونَ﴾: تُنكرون ﴿مِنّا إلاّ أنْ آمَنّا باللهِ، وما أُنزِلَ إلَينا وما أُنزِلَ مِن قَبلُ﴾ إلى الأنبياء، ﴿وأنَّ أَكثَرَكُم فاسِقُونَ﴾؟ عطفٌ على «أنْ آمَنّا». المعنى: ما تُنكرون إلاّ إِيمانَنا ومُخالفتكم في عدمِ قبوله المعبَّرِ عنه بالفسق اللازم عنه. وليس هذا ممّا يُنكر.

قولُه: (في إيمَانِكُم) لأنَّ الإيمانَ حقًّا يقتَضي ذلك، وقيل: إن كنتُم مُؤمِنينَ بوعدِهِ ووعيدِهِ أو بشرعِهِ ودينِهِ.

قولُه: (﴿و﴾ الذِينَ) يحتمِلُ النَّصبَ والجرَّ ولم أرَ غيره ذكرَ هذا التَّقديرَ.

قولُه: (دَعَوتُم) أي: النَّاسَ.

قولُه: (أي: الصَّلاةَ) أو المناداةَ.

قولُه: (بأنْ يَستَهزِئُوا) فإنَّ اليهودَ كانوا يقولونَ مثلَ ما يقولُ المؤذِّنُ ويصلُّونَ مثلَ صلاةِ المؤمنينَ على طريقِ السُّخريَةِ ويضحكونَ.

قولُه: (بسبَبِ) فإنَّ السَّفَه يُؤدِّي إلى الجهلِ بالحقِّ والهُزءِ به، والعقلُ يمنعُ من الاستهزاءِ بأمرٍ معقُولٍ مشروعٍ.

قولُه: (تُنكِرُونَ) وتعيبونَ وتكرهُونَ.

قولُه: (لَهُ) أي: للإيمانِ.

قولُه: (ومُخَالَفتكُم في) حيثُ دخَلنا الإيمانَ وأنتم خارجونَ منه، قالَ تعالى: ﴿وَدُّوا لَو تَكفُرُونَ كما كَفَرُوا﴾ [النسا: ٨٩].

قولُه: (عنهُ) في الموضعَينِ؛ أي: عن عدَمِ القَبولِ.

قولُه: (ولَيسَ هذَا ممَّا يُنكَر)[1].

---

(١) كذا في الأصول.

٦٠ ـ ﴿قُلْ: هَل أُنَبِّئُكُم﴾: أُخبِرُكم ﴿بِشَرٍّ مِن﴾ أهلِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تَنقِمُونه ﴿مَثُوبَةً﴾: ثوابًا بمَعنى: جزاءً ﴿عِندَ اللهِ﴾؟ هو ﴿مَن لَعَنَهُ اللهُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وغَضِبَ عليهِ، وجَعَلَ مِنهُمُ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ﴾ بالمَسخ، ﴿و﴾ مَن ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: الشيطان بطاعته. وراعَى في «منهم» معنى «مَن» وفيما قبله لفظها ـ وهم اليهود ـ وفي قراءةٍ بضمِّ باء «عَبُدَ» وإضافتِه إلى ما بعده، اسم جمع لعَبْد، ونصبُه بالعطف على «القِردَة». ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكانًا﴾: تمييزٌ، لأنَّ مأواهم النار، ﴿وأَضَلُّ عَن سَواءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ. وأصل السواء: الوسَط. وذَكَرَ «شرّ وأضَلّ» في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم.

قولُه: (ثَوَاباً بمَعنَى: جَزَاءً) أي: ثابتاً، أشارَ إلى دفعِ ما يقالُ: المثوبَةُ مختصَّةٌ بالخيرِ كالعُقوبَةِ بالشَّرِّ بخلافِ الجزاءِ فإنَّه أعمُّ، أو المرادُ: المعنَى اللُّغويُّ أو التَّجريدُ أو التَّهكُّم، ونصبَ (المثُوبَةَ) على التَّمييزِ.

قولُه: (هو) إشارةٌ إلى أنَّه خبرٌ محذُوفٌ، ويمكنُ أن يكُونَ بَدلاً من شرٍّ، أو بشرٍّ من ذلك دينُ من لعَنهُ اللهُ.

قولُه: (أبعَدَهُ) وسخِطَ عليه بكُفرِهِ وانهماكِهِ في المعاصِي بعدَ وضُوحِ الآياتِ.

قولُه: (بالمَسخِ) فمسخَ بعضَهُم قردَةً وهم أصحابُ السَّبتِ وبعضَهُم خنازيرَ، وهم كفَّارُ أهلِ المائدةِ، وقيل: كلا المسخينِ في أصحابِ السَّبتِ مُسِخَتْ شبَّانُهُم قردَةً وشُيوخُهُم خنازيرَ.

قولُه: (﴿و﴾ مَن) يعنِي: عطفٌ على: لعنَهُ.

قولُه: (الشَّيطَانَ) أو العجلَ، وقيل: الكهنَةَ، أو كُلَّ من أطاعوهُ في معصيةِ اللهِ فقد عبَدوهُ.

قولُه: (وفيمَا قَبْلَه) أي: قبلَ (منهم).

قولُه: (وفي قراءَةٍ) لحمزَةَ[1].

قولُه: (اسم جَمعٍ) وقيل: إنَّهُ نعتٌ كفَطِنٍ ويَقِظٍ.

قولُه: (تمييزٌ) جعلَ مكانَهُم شرًّا؛ ليكُونَ أبلَغَ في الدَّلالَةِ على شرارَتِهِم كما تقُولُ: سَلامٌ على مجلِسِ فُلانٍ عند التَّعظيمِ، وقيل: ﴿مَكاناً﴾ منصرَفاً، وقيلَ: لأنَّ مكانَهُم سقرٌ، ففي عبارَةِ المصنفِ: (النَّارُ) مسامَحَةٌ أو مَجَازٌ.

قولُه: (الوَسَطُ) أي: قصدَ الطَّريقَ المتوسِّطَ بين غُلوِّ النَّصارَى وقَدحِ اليهودِ.

قولُه: (وذكَرَ شَرًّ... إلخ) أو المرادُ: الزِّيادةُ مُطلَقًا لا بالإضافةِ إلى المؤمنينَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٣٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣١).

٦١ ـ ﴿وإذا جاؤُوكُم﴾ أي: منافقو اليهود ﴿قالُوا: آمَنّا. وقَد دَخَلُوا﴾ إليكم مُلتبّسين ﴿بِالكُفرِ، وهُم قَد خَرَجُوا﴾ من عِندكم مُلتبّسين ﴿بِهِ﴾، ولم يؤمنوا ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بِما كانُوا يَكتُمُونَـ﴾ ـه من النفاق ـ ٦٢ ـ ﴿وتَرَى كَثِيرًا مِنهُم﴾ أيِ: اليهودِ ﴿يُسارِعُونَ﴾: يقعون سريعًا ﴿في الإثمِ﴾: الكذب ﴿والعُدوانِ﴾: الظُّلم ﴿وأكلِهِمِ السُّحتَ﴾ الحرامَ كالرُّشا. ﴿لَبِئسَ ما كانُوا يَعمَلُونَـ﴾ ـه عملُهم هذا! ٦٣ ـ ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿يَنهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ والأحبارُ﴾ منهم ﴿عَن قَولِهِمِ الإثمَ﴾: الكذبَ ﴿وأكلِهِمِ السُّحتَ. لَبِئسَ ما كانُوا يَصنَعُونَـ﴾ ـه تركُ نهيِهم!

٦٤ ـ ﴿وقالَتِ اليَهُودُ﴾ لمّا ضُيِّق عليهم بتكذيبهم النبيَّ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً: ﴿يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ﴾: مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ـ كنَّوا به عن البُخل ـ تعالى عن ذلك..........

قولُه: (أي: مُنَافِقُو اليَهُودِ) أو عامَّةُ المنافقينَ.

قولُه: (ولَم يُؤمِنُوا) أي: يخرُجونَ من عندِكَ كما دخَلوا لم يُؤثِّر فيهم ما سمِعُوا منك.

قولُه: (منَ النِّفَاقِ) الصَّوابُ من الكُفرِ وهو وعيدٌ لهم.

قولُه: (أي: اليَهُودِ) أو مُنافقيهِم أو المنافقِينَ.

قولُه: (الكَذِبِ) لقولِه عن قولِهِم الإثمَ، أو ﴿الإِثْمِ﴾ الحرامُ.

قولُه: (الظُّلمِ) أو مجاوزَةِ الحدِّ في المعاصِي، أو الإثمُ ما يختصُّ بهم، والعُدوانُ ما يتعدَّى إلى غيرِهِم.

قولُه: (كالرِّشَا) خُصَّ بالذِّكرِ للمُبالغَةِ.

قولُه: (هلَّا) تحضيضٌ لعلمائِهِم على النَّهيِ عن ذلك فإنَّ (﴿لولا﴾) إذا دخلَ الماضِي أفادَ التَّوبيخَ، وإذا دخلَ المضارعَ أفادَ التَّحضيضَ؛ يعني: معَ إفادتِهِ التَّوبيخَ، ولهذا قالَ العلماءُ: ما في القُرآنِ آيَةٌ أشدُّ توبيخاً للعلماءِ منها، وكذا قالَه ابنُ عبَّاسٍ[1]، ذكرَهُ الصَّفويُّ.

قولُه: (كنَّوا بِهِ عنِ البُخلِ) أي: أنَّ القبضَ كنايَةٌ عن البُخلِ كما أنَّ البسطَ كنايَةٌ عن الجُودِ، ولا قصْدَ فيه إلى إثباتِ يدٍ وغلٍّ وبسطٍ، وقالَ في «البحرِ»[2]: قيل: إن أرادُوا الجارحَةَ فيناسِبُ مذهبَهُم فإنَّهم مجسِّمَةٌ زعمُوا أنَّ ربَّهُم أبيضُ الرَّأسِ واللِّحيةِ قاعِدٌ على كرسِيٍّ، وزعَموا أنَّه فرَغَ يومَ الجمعَةِ واستلْقَى على ظهرِه واضِعاً إحدَى يديهِ على الأُخرَى للاستراحَةِ، وردَّ اللهُ قولَهُم في قولِه: ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣] ﴿وَما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢٢٣٩).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٣١٣).

قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾: أُمسِكَتْ ﴿أيدِيهِم﴾ عن فِعل الخيرات، دُعاءً عليهم، ﴿ولُعِنُوا بِما قالُوا. بَل يَداهُ مَبسُوطَتانِ﴾: مُبالغةٌ في الوصف بالجود. وثَنَّى اليدَ لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخيّ من ماله أن يُعطيَ بيديه. ﴿يُنفِقُ كَيفَ يَشاءُ﴾ من توسيع وتضييق؟ لا اعتراض عليه.

﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ من القُرآن ﴿طُغيانًا وكُفرًا﴾ لِكُفرهم به. ﴿وألقَينا بَينَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ إلَى يَومِ القِيامةِ﴾. فكلّ فِرقة منهم تُخالف الأُخرى. ﴿كُلَّما أوقَدُوا نارًا لِلحَربِ﴾ أي: لحرب النبيّ ﴿أطفَأها اللهُ﴾ أي: كلمّا أرادوه ردَّهم. ﴿ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا﴾ أي: مُفسِدِين بالمعاصي. ﴿واللهُ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿ولَو أنَّ أهلَ الكِتابِ آمَنُوا﴾ بمُحمّد ﴿واتَّقَوا﴾ الكُفرَ ﴿لَكَفَّرْنا عَنهُم سَيِّئاتِهِم، ولَأدخَلْناهُم جَنّاتِ النَّعِيمِ، ولَو أنَّهُم أقامُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ﴾ بالعملِ بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبيّ، ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِم﴾ من الكُتبِ ﴿مِن رَبِّهِم لَأكَلُوا مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم﴾ بأن يُوسَّع عليهم الرزقُ ويَفيض من كُلّ جهة........................

قولُه: (دُعاءً عَليهِم) الظَّاهرُ بالبُخلِ والنَّكَدِ، أو بالفقرِ والمسكنَةِ، أو بغَلِّ الأيدِي حقيقَةً، يغلونَ أُسارَى في الدُّنيا ومُسحَبينَ[1] إلى النَّارِ في الآخرَةِ، فتكونُ المطابقةُ لفظيَّةً وملاحِظةً للأصلِ.

قولُه: (وثَنَّى اليَدَ) وقيل: يداهُ؛ أي: نعمَةُ الدُّنيا والآخرَة، فاليدُ النِّعمَةُ أو ما يُعطى للاستِدراجِ والإكرامِ.

قالَ تَعالى: (﴿مِنهُم﴾) أي: اليهُودِ، أو: والنَّصارَى.

قولُه: (رَدَّهُم) اللهُ بأن أوقعَ بينهم منازَعَةً كفَّ بها عنه شرَّهُم.

قولُه: (أي: مُفسِدِينَ) أشارَ إلى الحاليَّةِ، ويُمكنُ أن يكُونَ علَّةً، أو ﴿يسعونَ﴾ بمعنَى: يفسدُونَ، فيكونُ مصدَراً.

قولُه: (بمُحَمَّد) يعنِي: مع هذهِ الجرائمِ.

قولُه: (الكُفر) أو ما عدَّدناهُ من معاصِيهِم ونحوه.

قولُه: (﴿سَيِّئاتِهِم﴾) أي: الماضيَةَ.

قولُه: (ومِنه) الضَّميرُ راجعٌ إلى العمَلِ أو ما.

قولُه: (منَ الكُتُبِ) أو القُرآنِ.

قولُه: (من كُلِّ جهَةٍ) أو من بركاتِ السَّماءِ والأرضِ وعبَّرَ عن الأخذِ بالأكلِ؛ لأنَّه أجلُّ منافِعِه.

---

(١) في (د): «مسجنين».

﴿مِنهُم أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿مُقتَصِدةٌ﴾ تعمل به ـ وهم مَن آمنَ بالنبيّ ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ـ ﴿وكَثِيرٌ مِنهُم ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما﴾ شيئًا ﴿يَعمَلُونَـ﴾ ـه!

٦٧ ـ ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ، بَلِّغْ﴾ جميعَ ﴿ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾، ولاتكتم شيئًا منه خوفًا أن تُنال بمكروه ـ ﴿وإن لَم تَفعَلْ﴾، أي: لم تُبلّغ جميع ما أُنزل إليك، ﴿فما بَلَّغتَ رِسالتَهُ﴾، بالإفراد والجمع، لأنّ كِتمان بعضها ككتمان كُلّها ـ ﴿واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ أن يقتلوك. وكان ﷺ يُحرَس حتّى نزلتْ، فقَال: «انصَرِفُوا. فقَد عَصَمَنِي اللهُ». رواه الحاكم. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾.

٦٨ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لَستُم علَى شَيءٍ﴾ من الدِّين مُعتدٍّ به ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ وما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾، بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمانُ بي. ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾، من القُرآن، ﴿طُغيانًا وكُفرًا﴾ لِكُفرهم به..........................

قولُه: (بئسَ) أي: مقُولٌ في شأنِهم.

قولُه: (شيئاً) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿ما﴾ نكرةٌ تمييزٌ، ويجُوزُ أن تكونَ موصولَةً، فاعلُ (﴿سَاءَ﴾) والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ.

قولُه: (خَوفاً) أو مراقبَةَ أحَدٍ.

قولُه: (والجَمعِ) نافِع وشامِي وشُعبَة[1].

قولُه: (أَن يَقتُلُوكَ) فلا يُشكِلُ بشجِّ رأسِهِ الأكرم ﷺ[2] إذ المائدَةُ آخرُ ما نزلَ من القُرآنِ.

قولُه: (رواهُ الحَاكِمُ) وصحَّحهُ، ورواهُ التِّرمذيُّ[3].

قولُه: (معتَدٍّ بِهِ) لأنَّه باطِلٌ، وهذا كما تقولُ: هو ليس بشيءٍ؛ تريدُ تحقيرَهُ.

قولُهِ: (لكُفرِهِم بِهِ) أي: بالقُرآنِ، ولا يتوهَّمُ أنَّه أشارَ إلى أنَّ نصبهما على العلَّةِ فإنَّهُما مفعُولانِ ﴿لَيَزِيدَنَّ﴾، وإنَّما كرَّرهُ تعالى؛ ليتعقَّبَ عليه قولهُ: ﴿فلا تَأْسَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٣٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٢).

(٢) روى مسلم (١٧٩١)، والترمذي (٣٠٠٢)، وابن ماجه (٤٠٢٧) عن أنس: أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟».

(٣) رواه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٣٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال الترمذي: حديث غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي.

﴿فلا تأسَ﴾: تحزنْ ﴿علَى القَومِ الكافِرِينَ﴾، إن لم يُؤمنوا بك، أي: لا تهتمَّ بهم.

٦٩ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، والَّذِينَ هادُوا﴾ هم اليهود: مبتدأ، ﴿والصّابِئُونَ﴾: فرقة منهم ﴿والنَّصارَى﴾،

قولُه: (إن لَم يُؤمِنُوا) ففي المؤمنينَ مندوحَةٌ لك، أو ما عليك إلَّا البلاغُ.

قولُه: (لا تهتَمَّ بِهِم) فإنَّ ضررَ ذلك لاحِقٌ بهم لا يتخطَّاهُم.

قولُه: (مُبتَدأ) اختارَ هذا الإعرابَ المخصوصَ به؛ لتصحيحِ ﴿مَن آمَنَ﴾ بلا تكلُّفٍ بخلافِ من قالَ: هو عطفٌ على ما قبلَهُ فيحتاجُ إلى أن يؤوَّلَ بثبَتَ أو ماتَ على الإيمانِ، أو يخُصَّ الَّذين آمنُوا بالمنافقينَ، وأمَّا الإعرابُ المشهورُ عندَ الجمهورِ فهو أنَّ ﴿الصَّابِئونَ﴾ فقط مبتَدأٌ خبرُه محذُوفٌ، والنِّيَّةُ به التَّأخيرُ عمَّا في حيِّزِ إنَّ من اسمِها وخبرِها، والتَّقديرُ: إنَّ الذين آمَنُوا والذين هادُوا والنَّصارَى من آمنَ باللهِ... إلخ والصَّابئونَ كذلك، كقولِه:

فمَــن يَــكُ أَمسَــى بالمدِينَــةِ رَحلُهُ ... فَــإنِّــي وقَــيَّــارٌ بِــهَــا لَغَرِيــبُ[1]

أي: فإنِّي لغريبٌ وقيَّارٌ كذلك، وفائدَةُ التَّقديمِ: التَّنبيهُ على أنَّه لمَّا كانَ الصَّابئونَ مع ظهورِ ضلالِهِم وميلِهِم عن الأديانِ كلِّها يُثابُ عليهم إن صحَّ منهم الإيمانُ، فما الظَّنُّ بغيرِهِم، ومَن آمنَ في محلِّ الرَّفعِ بالابتداءِ أو خَبَرُهُ فلا خوفٌ، والفاءُ لتضمينِ المبتَدأ معنَى الشَّرطِ، والجملَةُ خبرُ إنَّ والرَّاجعُ إلى اسمِ إنَّ محذُوفٌ؛ أي: من آمَن منهم.

وذكرَ أبو البقاءِ[2] في هذا الموضعِ سبعَةَ أنواعٍ من الإعرابِ أعلاها ما ذَكَرنا، ومنها: ما نصَّ على ضعفِه، ومنها: أنَّ ﴿إنَّ﴾ بمعنَى: نعَم، ومنها: أنَّ الجمعَ بالواو مُطلقاً لُغةٌ، ومنها: أنَّ النُّونَ حرفُ الإعرابِ واللهُ أعلم بالصَّوابِ.

وقولُ البيضاويِّ[3]: وقرئَ ﴿الصَّابونَ﴾ بحذفِ الهمزَةِ. ليس في محلِّهِ حيثُ عبَّرَ بقُرِئَ فإنَّه قراءَةُ الإمامِ نافعٍ[4].

قولُه: (فرقَةٌ منهُم) أي: من اليهُودِ، وهذا خلافُ نصِّ الشَّافعيِّ ومُختارِ الشَّافعيَّةِ[5] من أنَّهُم طائفَةٌ من النَّصارَى كما سيَجيءُ في آخرِ الإسراءِ، وفي «المدَارِكِ»[6]: هم قومٌ عدَلوا عن دينِ اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ وعبَدوا الملائكَةَ، وقيل: طائفَةٌ من عبدَةِ الأوثانِ أو قومٍ يعرفُونَ اللهَ وحدَهُ وليسَت لهم شريعَةٌ، وقيل: قومٌ من أهلِ الكتابِ،

---

(١) قائله: ضابئ بن الحارث البرجمي، انظر: «الكامل في اللغة والأدب» (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٤٥١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٣٧).

(٤) انظر: «حجة القراءات» (ص: ١٠٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٩٤)، و«سراج القارئ المبتدي» (ص: ١٥٢).

(٥) انظر: «الحاوي الكبير» (١٤/ ٢٩٤)، و«المجموع شرح المهذب» (١٦/ ٢٣٥).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٩٥).

ويُبدل من المبتدأ ﴿مَن آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالِحًا فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة: خبرُ المبتدأ ودالٌّ على خبر «إنّ».

٧٠ـ ﴿لَقَد أخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله، ﴿وأرسَلْنا إلَيهِم رُسُلاً، كُلَّما جاءَهُم رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِما لا تَهوَى أنفُسُهُم﴾ منَ الحقّ كذّبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا، وفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقتُلُونَ﴾ كزكريّاءَ ويحيى ـ والتعبير به دون «قتَلُوا»، حكايةً للحال الماضية، للفاصلة ـ

٧١ـ ﴿وحَسِبُوا﴾: ظنّوا ﴿أنْ لا تَكُونُ﴾ ـ بالرفعِ و«أن» مخفّفة، والنصبِ فهي ناصبة ـ أي: تقعُ ﴿فِتْنَةٌ﴾: عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم، ﴿فعَمُوا﴾ عن الحقّ فلم يُبصروه، ﴿وصَمُّوا﴾ عن استماعه،....

وقيل: بينَ اليَهودِ والمجُوسِ أو بينَ اليهودِ والنَّصارَى، وقيل: يقرؤونَ الزَّبورَ ويعبُدونَ الملائكةَ ويصلُّونَ إلى الكعبةِ، وقيل: انقرَضوا.

قالَ البيضاويُّ[1] في قراءةِ نافعٍ بحذفِ الياءِ، مأخوذٌ من صبَوتُ؛ لأنَّهُم صَبَوا إلى اتِّباعِ الشَّهواتِ ولم يتَّبعُوا شَرعًا ولا عَقلاً، وهذا مبنيٌّ على أنَّ أصلَ ﴿الصَّابِئُون﴾ الصَّابِيُون فأُعلَّ بالنَّقلِ والحذفِ.

قولُه: (قال تعالى: ﴿رُسُلاً﴾) ليذكِّروهُم، وليُبيِّنوا أمرَ دينِهم.

قولُه: (مِنهُم) إشارَةٌ إلى أنَّ الجملَةَ صفَةُ ﴿رُسُلاً﴾ والرَّاجعُ إلى الموصوفِ محذوفٌ.

قولُه: (كَذَّبُوه) إشارةٌ إلى أنَّ جوابَ الشَّرطِ محذُوفٌ دلَّ عليه ما بعدَهُ، وهو استئنافٌ.

قولُه: (﴿فَرِيقاً﴾ مِنهُم) أي: من الرُّسلِ.

وقولُه: (﴿كَذَّبُوا﴾) أي: كذَّبوهُم فقط؛ يعني: بنِي إسرائيلَ.

قولُه: (للحَالِ المَاضِيَةِ) استِحضاراً لتلك الحالِ الشَّنيعَةِ للتَّعجُّبِ منها واستفظاعاً للقَتلِ، وتنبيهاً على أنَّ ذلك دينُهُم ماضِياً ومستقبَلاً بل حالاً أيضاً بالقصدِ.

قولُه: (للفَاصِلَة) أي: للمُحافظَةِ على رؤُوسِ الآيِ، وكان حقُّهُ أن يأتي بواوٍ أو بأو.

قولُه: (ظَنُّوا) أي: بَنو إسرائيلَ.

قولُه: (بالرَّفعِ) أبو عَمرٍو وحمزَةُ والكِسائيُّ[2].

قولُه: (عنِ استِمَاعِهِ) حين عبَدوا العِجلَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٣٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٤٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٣).

﴿ثُمَّ تابَ اللهُ علَيهِم﴾ لمّا تابوا، ﴿ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٌ مِنهُم﴾: بدلٌ من الضمير. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

٧٢ ـ ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هوَ المَسِيحُ بنُ مَريَمَ﴾ ـ سبقَ مِثله ـ ﴿وقالَ﴾ لهم ﴿المَسِيحُ: يا بَنِي إسرائيلَ، اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم﴾. فإنّي عبد ولستُ بإلٰـه. ﴿إنَّهُ مَن يُشرِكْ بِاللهِ﴾ في العبادة غيرَه ﴿فقَد حَرَّمَ اللهُ علَيهِ الجَنّةَ﴾: منعه أن يدخلها، ﴿ومأواهُ النّارُ، وما لِلظّالِمِينَ مِن﴾: زائدةٌ ﴿أنصارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ٧٣ ـ ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ ثالِثُ﴾ آلهةٍ ﴿ثَلاثةٍ﴾ أي: أحدُها، والآخَرانِ عيسى وأُمُّه. وهم فِرقة من النصارى.........................

قولُه: (لمَّا تَابُوا) أي: قبِلَ اللهُ توبتَهُم، أو معناهُ: ثمَّ وفَّقهُم اللهُ للتَّوبةِ فتابوا، وفي ﴿ثُمَّ﴾ إشارةٌ إلى أنَّهم تمَادَوا في الضَّلالِ زماناً.

قولُه: (منَ الضَّمِير) أي: ضَميرِ ﴿منهُم﴾، أو فاعلٌ والواو حينئذٍ علامَةُ الجمعِ، كقولِهِم: «أكَلُوني البَرَاغِيث» أو خبرُ مبتدأٍ محذُوفٍ؛ أي: العُمْيُ والصُّمُّ.

قولُه: (فإنِّي عَبدٌ) الأظهَرُ: مربُوبٌ مثلُكُم فاعبُدُوا خالِقِي وخالِقَكُم.

وقولُه: (إنَّه... إلخ) يحتَمِلُ أن يكونَ من تمامِ كلامِ عيسَى، وأن يكُونَ مِن كلامِ اللهِ.

قولُه: (في العبَادَةِ غَيرَه) أي: غيرَ اللهِ، أو فيما يُخصُّ به منَ الصِّفاتِ والأفعالِ، ويؤيِّدُه أنَّ في نسخَةٍ: «وغيرِهَا».

قولُه: (مَنَعَه) كما يمنَعُ المحرَّمَ عليه من المحرَّمِ فإنَّها دارُ الموحِّدينَ.

وقولُه تعالَى: (﴿ومَأوَاهُ النَّارُ﴾) فإنَّها المعدَّةُ للمُشركينَ.

قولُه: (يمنعُونَهُم) وفي ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ الضَّمِيرِ.

قولُه: (فِرقَة) تسمَّى: النُّسطُوريَّة[1] والملكانيَّة[2]، وما سبَقَ قولُ اليعقوبيَّةِ[3] القائلينَ بالاتِّحادِ.

---

(١) هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، ويقولون: بأن عيسى هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٩).

(٢) هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ويقولون: بأن عيسى هو الله، تعالى الله عن ذلك، انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧).

(٣) هم أتباع يعقوب البارذعي، ويقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة امتزج فيه عنصر إله بعنصر إنسان وتكون من الإتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، انظر: «الفصل في الملل» (١/ ٤٨)، و«الملل والنحل» (٢/ ٣٠).

﴿وما مِن إلـٰـهٍ إلاّ إلـٰـهٌ واحِدٌ، وإن لَم يَنتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويُوحّدوا، ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ثَبتُوا على الكُفر ﴿مِنهُم عَذابٌ أليمٌ﴾: مؤلمٌ، هو النار. ٧٤ ـ ﴿أفـلا يَتُوبُونَ إلَى اللهِ ويَستَغفِرُونَهُ﴾ ممّا قالوا ـ استفهام توبيخ ـ ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به؟

٧٥ ـ ﴿ما المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ إلاّ رَسُولٌ، قَد خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ﴾ ـ فهو يمضي مِثلَهم وليس بإلـٰـهٍ كما زعموا. وإلاّ لَما مضى ـ ﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾: مُبالِغة في الصِّدق. ﴿كانا يأكُلانِ الطَّعامَ﴾ كغيرهما من الحيوانات. ومن كان كذلك لا يكون إلـٰـهًا لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط.

﴿انظُرْ﴾ مُتعجّبًا: ﴿كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ﴾ على وحدانيّتنا؟ ﴿ثُمَّ انظُرْ: أنَّى﴾: كيف ﴿يُؤفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الحقّ مع قيام البرهان؟ ٧٦ ـ ﴿قُلْ: أتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه..................

قولُه: (وَيُوَحِّدُوا) عطفٌ على ينتَهوا.

قولُه: (أي: ثبتُوا) فَمِنْ للتَّبعيضِ لا للبَيانِ.

قولُه: (استفهَامَ تَوبِيخٍ) في «البَحرِ»[1]: الفاءُ في ﴿أفَلَا﴾ للعَطفِ، حجَزَت بين همزَةِ الاستفهامِ ولا النَّافيَةِ، تقديرُهُ: فألا، أمَّا على طريقَةِ الزَّمخشريِّ[2]، فالتَّقديرُ: أيثبُتونَ على الكُفرِ فلا يتوبونَ، والمعنَى على التَّعجُّبِ من انتفاءِ توبتِهِم.

قولُه: (بِه) متفضِّلٌ عليه.

قولُه: (لَمَا مَضَى) ولا أتَى؛ لأنَّهما منَ الحدوثِ.

قولُه: (في الصِّدقِ) أو التَّصديقِ.

قولُه: (مُتَعجِّباً) ممَّن يدَّعِي الرُّبوبيَّةَ لهما مع أمثالِ هذه الأدلَّةِ الظَّاهرةِ.

قولُه: (عَنِ الحَقِّ) أي: استماعِهِ وتأمُّلِهِ، و﴿ثُمَّ﴾ لتفاوُتِ ما بينَ العجبَينِ؛ أي: أنَّ بيانَنا للآياتِ بيانُ عجبٍ، وإعراضُهُم عنها أعجَبُ.

قولُه: (أي غَيرَه) يعني: عيسَى عليه السَّلام، وهو وإنْ ملكَ ذلك بتَمليكِ اللهِ تعالى لا يملكُهُ من ذاتِهِ، وقدَّمَ الضَّررَ؛ لأنَّ التَّحرُّزَ عنه أهمُّ، و﴿مَا﴾ إمَّا تعليليَّةٌ، أو نوعيَّةٌ، أو نظراً إلى ما هو عليه في ذاتِهِ، وهو الجماديَّةُ توطئَةً لنَفيِ القُدرَةِ عنه رأساً، وتنبيهاً على أنَّه من هذا الجنسِ، ومن كانَ له حقيقَةٌ تقبلُ المجانسَةَ والمشاركَةَ فبمَعْزِلٍ عن الألُوهيَّةِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٣٣١).

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٦٦٤).

﴿ما لا يَملِكُ لَكُم ضَرًّا ولا نَفعًا، واللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿العَلِيمُ﴾ بأحوالكم؟ والاستفهام للإنكار.

٧٧ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿لا تَغْلُوا﴾: تُجاوِزوا الحدَّ ﴿في دِينِكُم﴾ غُلوًّا ﴿غَيرَ الحَقِّ﴾، بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقّه، ﴿ولا تَتَّبِعُوا أهْواءَ قَومٍ، قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ﴾ بغُلوّهم ـ وهم أسلافهم ـ ﴿وأضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناسِ، ﴿وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ. والسواء في الأصل: الوسَط.

٧٨ ـ ٧٩ ـ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إسرائيلَ علَى لِسانِ داوُدَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسِخوا قِردةً ـ وهم أصحاب أيلةَ ـ ﴿وعِيسَى بنِ مَريَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسِخوا خنازيرَ. وهم أصحاب المائدة. ﴿ذلِكَ﴾ اللعن ﴿بِما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ. كانُوا لا يَتَناهَونَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَن﴾ مُعاودةِ ﴿مُنكَرٍ فَعَلُوهُ. لَبِئسَ ما كانُوا يَفعَلُونَـ﴾ ـهُ فِعلُهم هذا!

قولُه: (والاستِفهَامُ) محلُّهُ الأنسَبُ بعد ﴿نَفعاً﴾.

قولُه: (تجَاوِزُوا) من المجاوزَةِ و(الحَدَّ) مفعُولٌ، أو منَ التَّجاوُزِ، والحدَّ منصُوبٌ بنزعِ الخافِضِ.

قولُه: (غُلُوًّا) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿غَيرَ الحَقِّ﴾ صفَةُ موصُوفٍ محذوفٍ، فإنَّ غلُوَّ الحقِّ وهو التَّفحُّصُ عن حقائقِهِ محمُودٌ وفيهِ شيءٌ إذ يناقِشُ في كونِ هذا غُلوًّا أو مجاوزَةَ حدٍّ إذ لا حدَّ لتحقيقِ الحقائقِ ما لم يتجاوَزْ إلى الباطلِ وهو بحثٌ دقيقٌ، ويُمكِنُ أن يقالَ: صفَةٌ كاشفَةٌ، أو الغلُوُّ بمعنَى: الاجتهادِ، وقيل: التَّقديرُ حالَ كونه منكُم غير الحقِّ؛ أي: باطِلٌ، فيكونُ حالاً من ﴿دينِكُم﴾؛ أي: إن تُصِرُّوا على الباطلِ فلا تَغلوا فيه، ولا تعثَوا في الأرضِ مفسِدينَ.

قولُه: (مِنَ النَّاس) الأظهرُ: نَاسًا كَثِيراً.

وقولُه: (﴿وضَلُّوا﴾) أي: بإضلالِهِم، أو استمَرُّوا على الضَّلالِ.

قولُه: (طَرِيقَ الحَقِّ) أو قصدَ السَّبيلِ الَّذي هو الإسلامُ.

قولُه: (بأَن دَعَى عَليهِم) ولعنَهُم بأن قالَ: اللَّهمَّ العَنهُم واجعَلهُم آيَةً، أو لعنَهُم اللهُ في الزَّبورِ والإنجيلِ على لسانِهما، كذا فسَّرهُ ابنُ عبَّاسٍ[١]، فالأوَّلُ خاصٌّ والثَّاني عامٌّ، وبناءُ لُعِنَ على المجهُولِ يحتملُ أن يكُونَ اللهُ هو اللَّاعنُ على لسانِهما ويحتملُ أن يكُونا هما اللَّاعنَينِ لهم، وهذه العبارَةُ أشنَعُ.

قولُه: (اللَّعنُ) الشَّنيعُ المقتضِي للمسخِ.

قولُه: (مُعَاوَدةِ) قالَ القاضِي[٢]: أو عن مثلِ منكَرٍ أرادوا فعلَهُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢٢٩٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٣٣٨).

٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿كَثِيرًا مِنهُم يَتَوَلَّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة بُغضًا لك. ﴿لَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لَهُم أنفُسُهُم﴾ من العملِ لمَعادهم المُوجِبِ لهم ﴿أن سَخِطَ اللهُ علَيهِم، وفي العَذابِ هُم خالِدُونَ! ولَو كانُوا يُؤمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ﴾ مُحمّد ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِ ما اتَّخَذُوهُم﴾ أي: الكُفّار ﴿أولِياءَ، ولكِنَّ كَثِيرًا مِنهُم فاسِقُونَ﴾: خارجون عن الإيمان.

٨٢ ـ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿أشَدَّ النّاسِ عَداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أشرَكُوا﴾ من أهل مكّة، لتضاعُف كُفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتّباع الهوى، ﴿ولَتَجِدَنَّ أقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى. ذلِكَ﴾ أي: قربُ مودّتهم للمؤمنين ﴿بِأنَّ﴾: بسببِ أنّ ﴿مِنهُم قِسِّيسِينَ﴾: عُلماءَ ﴿ورُهبانًا﴾: عُبّادًا، ﴿وأنَّهُم لا يَستَكبِرُونَ﴾ عن اتّباع الحقّ كما يستكبر اليهود وأهل مكّة. نزلتْ في وفد النجاشيْ القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ عليهم سورة «يس» فبكَوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبهَ هذا بما كان ينزل على عيسى! قال تعالى:..................................

فيه أنَّ هذا جمعٌ بين قولَينِ إذ أحدُ التَّأوُّلَينِ كافٍ، وإنَّما احتيجَ إلى التَّقديرِ إذ لا يمكنُ نهيُ أحَدٍ عن مُنكَرٍ فعلَهُ.

قولُه: (المُوجِبِ) الظَّاهرُ أنَّهُ صفَةٌ للعملِ و﴿أَنْ سَخِطَ﴾ معمولُهُ، فيكونُ المخصوصُ بالذمِّ محذوفاً، وقيل: ما بعدَ (إن) هو المخصُوصُ بالذَّمِّ كأنَّه قالَ: بئسَ زادُهُم إلى الآخرَةِ سخَطُ الله والخلودُ في العذابِ؛ أي: موجِبُ سخطِهِ بل مُوجِبُ أسبابِ سخطِهِ.

قولُه: (محمَّدٌ) إن كانت الآيَةُ في المنافقينَ، أو نبيُّهُم فالمرادُ بما أنزِلَ إليه: القرآنُ أو التَّورَاةُ.

قولُه: (أي الكُفَّارُ) إذ الإيمانُ يمنعُ ذلك.

قولُه: (خَارجُونَ) المخبَرُ عنهم أوَّلاً هو الكثيرُ، والضَّمائرُ بعدَهُ له، وليسَ المعنَى: ولكنَّ كثيراً من ذلك الكثيرِ، ولكنَّهُ لما طالَ أُعيدَ بلفظِهِ، وكانَ من وضعِ المظهَرِ موضعَ المضمَرِ؛ إذ كانَ السِّياقُ: ما اتَّخذُوهُم أولياءَ ولكنَّهُم فاسِقونَ.

قولُه: (عنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ) إذا فهموهُ، أو يتواضَعونَ ولا يتكبَّرونَ للينِ جانبِهِم وقلَّةِ حرصِهِم على الدُّنيا وكثرَةِ اهتمامِهِم بالعِلمِ والعمَلِ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ التَّواضُعَ والإقبالَ على العِلمِ والعمَلِ والإعراضَ عن الشَّهواتِ محمودٌ وإن كان في كافِرٍ.

قولُه: (نَزَلَت... إلخ) فالضَّميرُ في ﴿سَمِعُوا﴾ إلى بعضِ النَّصارَى، أو إلى الجِنْسِ، والمرادُ: البَعضُ.

٨٣ ـ ﴿وإذا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إلَى الرَّسُولِ﴾ من القُرآن ﴿تَرَى أعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ، مِمّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ، يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا﴾: صدّقْنا نبيَّك وكتابك. ﴿فاكتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾: المُقرّين بتصديقهما. ﴿و﴾ قالوا، في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود: ٨٤ ـ ﴿ما لَنا لا نُؤمِنُ بِاللهِ وما جاءَنا مِنَ الحَقِّ﴾: القرآن ـ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مُقتضيه ـ ﴿ونَطمَعُ﴾: عطفٌ على «نُؤمنُ» ﴿أن يُدخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَومِ الصّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنّةَ؟

٨٥ ـ قال تعالى: ﴿فأثابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾ بالإيمان، ٨٦ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصحابُ الجَحِيمِ﴾.

ونزل لمّا همَّ قوم من الصحابة أن يُلازموا الصومَ والقيامَ،..............................

وقولُه تَعالَى: (﴿تَفِيضُ﴾) أي: تمتَلِئُ أو تسيلُ.

وقولُه: (﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ﴾) قالَ البيضاوِيُّ[1]: ﴿مِن﴾ الأُولَى للابتِداءِ، والأظهَرُ: أنَّها علَّةٌ، والثَّانيَة: لتبيينِ ما عرَفوا أو للتَّبعيضِ؛ فإنَّهُ بعضُ الحقِّ، والمعنَى: أنَّهم عرَفوا بعضَ الحَقِّ فأبكاهُم، فكَيفَ إذا عرَفوا كلَّهُ.

قولُه: (وكتَابَكَ) أو بذلك.

قولُه: (المقِرِّينَ) أو من الذينَ شهِدوا بأنَّه حقٌّ، أو من أمَّتِهِ الذين هم شهداءُ على الأُممِ يومَ القيامَةِ.

قولُه: (﴿و﴾ قَالُوا... إلخ) نقِلَ: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لهُم: «لعلَّكُم إذا رجَعتُم إلى أرضِكُم انتَقَلتُم إلى دِينِكُم فأَجَابُوا ﴿وما لَنَا﴾» رواهُ الطَّبرانيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ[2].

قولُه: (مُقتَضِيهِ) أي: داعيهِ، وهو الطَّمعُ الآتي.

قولُه: (عَطفٌ على نُؤمِن) أي: وما لنا لا نطمَعُ، أو عَطفٌ على لا نؤمِنُ؛ أي: نجمَعُ بين عدمِ الإيمانِ والطَّمعِ في صُحبَةِ الصَّالحينَ، والأظهرُ: أنَّه خبرُ محذوفٍ والواو للحالِ؛ أي: ونحنُ نطمَعُ.

قولُه: (الجنَّةَ) مفعولٌ ثانٍ ليُدخِلَ، أو ظرفٌ، أو منصُوبٌ بنزعِ خافِضٍ.

قولُه: (بالإِيمَانِ) أي: أحسِنوا القولَ والفعلَ.

قولُه: (مِن الصَّحَابَة) منهم عليٌّ[3].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٥٥).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧/ ١٨): فيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢٣٤٢) من مرسل قتادة، ورقم (١٢٣٤٥) من مرسل السدي.

ولا يَقرَبوا النساءَ والطِّيبَ، ولا يأكلوا اللحمَ، ولا يناموا على الفراش: ٨٧ ـ ٨٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لكُم، ولا تَعتَدُوا﴾: تتجاوزوا أمرَ الله ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ ـ وكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾: مفعول، والجارّ والمجرور قبله حال متعلّق به، ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾.

٨٩ ـ ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ﴾ الكائن ﴿في أَيمانِكُم﴾ ـ هو ما يَسبِق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ـ ﴿ولكِنْ يُؤاخِذُكُم بِما عَقَدتُمُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقَدتُمُ»..

قولُه: (والطِّيبَ) وطيِّباتِ الطَّعامِ واللِّباسِ، وهمُّوا بالاختصاءِ على طريقةِ النَّصارَى منَ الإفراطِ في التَّبتُّلِ والتَّقشُّفِ والتَّرهُّبِ ورفضِ الشَّهواتِ.

قولُه: (تتَجاوزُوا أَمرَ اللهِ) الأظهرُ عن الحَدِّ في الأَمرِ؛ أي: لا تبالِغوا في التَّضييقِ على أنفُسِكُم في تحرِيمِ المباحاتِ عليها، وقال أبو عثمانَ[١]: لا تحرِّمُوا على أنفُسِكُم المكاسبَ وطلبَ قُوتِ الحلالِ من ذلك ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾؛ أي: لا تعتقِدُوا رازِقًا سواهُ فإنَّه الرَّزَّاقُ، لكنَّه ربَّما أوصلَ إليك رزقَكَ بسببٍ، وربَّما قطعكَ عن الأسبابِ.

قولُه: (مَفعُول) يعنِي: حلالاً، والمعنَى: كُلوا ما أحَلَّ لكُم وطابَ ممَّا رزقكُم اللهُ، و﴿مِمَّا﴾ حالٌ منه تقدَّمَت عليه؛ لأنَّه نكرَةٌ، أو ابتدائيَّةٌ متعلِّقَةٌ بـ﴿كلُوا﴾، أو ﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ و﴿حَلالاً﴾ حالٌ من الموصُولِ، أو العائِدِ المحذُوفِ، أو التَّقديرُ: أكلاً، أو رِزقاً حلالاً، ولو لم يقعِ الرِّزقُ على الحرامِ لم يكُنْ لذكرِ الحلالِ فائدةٌ زائدةٌ.

قولُه: (هُوَ ما يَسبِق) وفي «المدارِكِ»[٢]: اللَّغوُ أن يحلفَ على شيءٍ يظنُّ أنَّه كذلك وليس كما ظنَّ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) أبُو بكرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ[٣].

قولُه: (وفي قِراءَةٍ) لابنِ ذكوانَ، وهذا يسمَّى روايةً في اصطلاحِ القرَّاءِ، فيمكنُ أن يُقالَ في قراءةِ ابنِ عامرٍ من روايَةِ ابنِ ذكوانَ[٤].

---

(١) وانظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٨٤).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٥١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٤).

(٤) انظر المصادر السابقة.

ـ ﴿الأَيمانَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد. ﴿فكَفَّارتُهُ﴾ أي: اليمينِ إذا حَنِثتُم فيه ﴿إطعامُ عَشَرةِ مَساكِينَ﴾، لكُلِّ مِسكين مُدٌّ ﴿مِن أوسَطِ ما تُطعِمُونَ﴾ منه ﴿أهلِيكُم﴾ أي: أقصَدِه وأغلبِه لا أعلاه ولا أدناه، ﴿أو كِسْوَتُهُم﴾ بِما يُسمَّى كِسوةً كقميص وعِمامة وإزار ـ ولا يكفي دفع ما ذُكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعيّ ـ ﴿أو تَحرِيرُ﴾: عِتقُ ﴿رَقَبةٍ﴾ أي: مؤمنةٍ كما في كفّارة القتلِ والظِّهارِ حملاً للمُطلق على المُقيَّد،........................

قولُه: (قَصْدٍ) ونيَّةٍ، خلافَ الظَّنِّ؛ يعني: إذا حَنِثتُم، أو بنكْثِ ما عقدْتُم، فحذفَ القَيدَ للعلمِ بِه.

قولُه: (حَنِثتُم) بكسرِ النُّونِ؛ أي: خالَفتُم في اليمينِ، ومحلُّ هذا القيدِ تقدَّمَ، إذ لا بدَّ منعٌ في المؤاخذَةِ، وأمَّا التَّكفيرُ بالمالِ الخبيثِ فيصِحُّ عند الشَّافعيِّ ولا يصِحُّ عندنا.

قولُه: (مُدٌّ) وعندنا[1]: نصفُ صاعٍ مِن برٍّ أو صاعٌ من شعيرٍ أو قيمَةُ ذلك.

قولُه: (مِنه) الأظهرُ تطعمونَهُ.

قولُه: (أقْصَدِهِ) في القَدرِ.

قولُه: (وأغلَبِهِ) في النَّوعِ، في «المدارِكِ»[2]: هو غداءٌ وعشاءٌ مِن بُرٍّ؛ إذ الأوسعُ ثلاث مرَّاتٍ مع الإدامِ، والأَدنَى مرَّةٌ من تمرٍ أو شعيرٍ.

قولُه: (بِما يُسمَّى كسْوَةً) في «المدارِكِ»[3]: وهو ثوبٌ يغَطِّي العورَةَ، وفي «الكافِي»[4]: هذا عندَ محمَّدٍ، وأمَّا عندَهُما فما يستُرُ عامَّةَ البدنِ في ظاهرِ الرِّوايةِ.

قولُه: (وعلَيهِ الشَّافِعِيُّ) وعندنا لو دفعَ إلى مسكينٍ عشرَةَ أيَّامٍ: جازَ، ولو دفعَ في يومٍ واحدٍ عشرَ دفعاتٍ لا يجوزُ إلا عن يومٍ واحدٍ.

قولُه: (أي: مُؤمِنَة) وعندَنا: الإيمانُ ليسَ بشرطٍ، ومعنَى (أو) إيجابُ إحدَى الخصالِ الثَّلاثِ مطلَقاً كذا في «المدارِكِ»[5] والبيضاويِّ[6]، قيل: والعتقُ أفضلُ ثمَّ الكسوَةُ ثمَّ الإطعامُ، وبدأَ اللهُ بالأيسرِ فالأيسرِ.

---

(١) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٦٨)، و«رد المحتار» (٣/ ٤٧٨، ٤٧٩) وقد ذكر عند الحديث عن كفارة الأيمان أنها ككفارة الظهار، ولذلك موضع المصدر الذي أشرنا إليه هو في الظهار.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧٢).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) لعله ـ والله أعلم ـ للحاكم الشهيد، وليس «الكافي» للسِّغْنَاقي، ولم أجد الكتاب مطبوعاً بعد.

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧٢).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٢).

﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ واحدًا ممّا ذُكر ﴿فصِيامُ ثَلاثةِ أيّامٍ﴾ كفّارتُه. وظاهِرُه أنه لا يُشترط التتابعُ، وعليه الشافعيّ. ﴿ذلِكَ﴾ المذكورُ ﴿كفّارةُ أَيمانِكُم إذا حَلَفْتُم﴾ وحَنِثتُم. ﴿واحفَظُوا أيمانكُم﴾ أن تنكثوها ما لم يكن على فعلِ برٍّ أو إصلاح بينَ الناس كما في سورة «البقرة». ﴿كَذلِكَ﴾: مِثلَما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ـهُ على ذلك.

٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّما الخَمرُ﴾: المُسكِر الذي يُخامِرُ العقلَ ﴿والمَيسِرُ﴾: القِمار ﴿والأنصابُ﴾: الأصنام﴿والأزلامُ﴾: قِداح الاستقسام ﴿رِجسٌ﴾:.........................

قولُه: (وَاحِداً) وحَدُّ اليسارَ عندنا أن يكونَ لهُ فضْلٌ عن كفافِهِ قدرَ ما يكفِّرُ عن يمينِهِ، وفسَّرَ الكفافَ بمنزلٍ يسكنُهُ وثوبٍ يلبَسُهُ ويستُرُ عورتَهُ وقوتٍ فاضلٍ عن يومِهِ، وهذا إذا لم يكُنْ في مُلكِهِ غيرُ المنصوصِ، ومن لطائفِ الفقهاءِ أنَّهم قالُوا: السُّلطانُ الظَّالمُ ممَّن لم يجِد.

قولُه: (كفَّارتُه) أو عليه.

قولُه: (وعَلَيهِ الشَّافِعِي) في «المدارِك»[1] أي: «متتابِعَاتٍ» لقراءةِ أبيٍّ وعبدِ اللهِ بن مسعُودٍ كذلك.

وقالَ الصَّفوِيُّ: والشَّواذُّ وإن كانت ليست بحجَّةٍ فلا أقلَّ من أن يكونَ خبراً واحِداً، وهو في حُكمِ المرفُوعِ، وعليه أبو حنيفَةَ وأحمَد، ونصَّ الشَّافعيُّ في «الأم»[2] على وجُوبِ التَّتابُعِ.

وقالَ القاضِي[3]: والشَّواذُّ ليست بحجَّةٍ عندَنا؛ قُلت: يناقضُهُ قولهُ في: ﴿فاقطَعُوا أيدِيهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

قولُه: (عَلى فِعْلِ بِرٍّ) بأن يكونَ على تركِ مندُوبٍ أو فعلِ مكرُوهٍ، فإنَّ الأفضلَ الحنثُ والكفَّارةُ حينئذٍ، أو احفظُوهَا بأن تضنُّوا بها ولا تَبذلوهَا لكُلِّ أمرٍ، أو بأن تكفِّرُوها إذا حَنِثتُم.

قولُه: (مِثلَ ما بَيَّنَ) الأظهرُ: مثلَ ذلك البيانِ.

و(﴿آيَاته﴾) أعلام شرائعِهِ.

قولُه: (على ذَلِكَ) أي: نعمَةِ التَّعليمِ أو نعمِهِ.

قولُه: (والقِمَار) بجميعِ أنواعِهِ.

قولُه: (الأَصنَام) الَّتي نصبَتْ للعبادَةِ، أو حجاراتٍ كانوا يذبحونَ قرابينَهُم عندها.

قولُه: (قِدَاح) سبقَ تفسيرُها.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «الأم» (٢/ ١١٣).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٢).

خبيث مُستقذَر ﴿مِن عَمَلِ الشَّيطانِ﴾ الذي يُزيِّنه. ﴿فاجتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجسَ المعبَّر به عن هذه الأشياء، أن تفعلوه، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ. إنَّما يُرِيدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ، في الخَمرِ والمَيسِرِ﴾ إذا أتيتُموهما لِما يحصُل فيهما من الشرّ والفتن، ﴿ويَصُدَّكُم﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ﴾. خَصّها بالذِّكر تعظيمًا لها. ﴿فهَل أنتُم مُنتَهُونَ﴾ عن إتيانهما؟ أي: انتهوا.

٩٢ ـ ﴿وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، واحذَرُوا﴾ المعاصيَ. ﴿فإن تَوَلَّيتُم﴾ عن الطاعة ﴿فاعلَمُوا أنَّما علَى رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن، وجزاؤكم علينا. ٩٣ ـ ﴿لَيسَ علَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ، فِيما طَعِمُوا﴾: أكلوا من الخمر والميسر قبلَ التحريم، ﴿إذا ما اتَّقَوا﴾ المُحرَّماتِ ﴿وآمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنُوا﴾: ثَبَتوا على التقوى والإيمان، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وأحسَنُوا﴾ العملَ. ﴿واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ بمعنى أنه يُثيبهم.

قولُه: (خَبِيثٌ) أو سُخطٌ، وإثمٌ وإفرادُه؛ لأنَّهُ خبرٌ للخَمرِ، وخبرُ المعطوفَاتِ محذُوفٌ، أو التَّقديرُ: إنَّما تَعاطِي الخَمرِ... إلخ.

قولُه: (الذي يُزيِّنُهُ) يعني: لأنَّه مسبَّبٌ عن تسويلِهِ وتزيينِهِ.

قولُه: (أي: الرِّجس) أو ما ذكرَ أو التَّعاطِي.

قولُه: (منَ الشَّرِّ) العداوَةُ تتعلَّقُ بالأمورِ الظَّاهِرةِ، وعطفَ عليها ما هو أشدُّ وهو البغضاءُ؛ لأنَّ متعلَّقَها القَلبُ، وكذلك ذكْرُ اللهِ، وعطفَ عليه ما هو ألزَمُ وآكدُ وهو: الصَّلاةُ.

قولُه: (تَعظِيماً لهَا) وخصَّ الخمرَ والميسرَ بإعادَةِ الذِّكرِ؛ ليُعلَمَ أنَّ المقصودَ حرمَةُ الخمرِ والميسِرِ بأبلَغِ وجهٍ، فإنَّ الخطابَ معَ المؤمنِينَ والأنصَابُ والأزلامُ من أعمالِ الكفَّارِ.

قولُه: (انتَهُوا) وهو من أبلَغِ عبارَةٍ في النَّهيِ كأنَّهُ قالَ: قد تلَوتُ عليكُم من أنواعِ الصَّوارفِ فهل أنتُم معَها منتهونَ، أم أنتُم على ما كُنتُم عليه ولم ينفعْكُم الزَّجرُ.

قولُه: (المعَاصِيَ) قيل: احذَرُوا، لا تلاحِظوا الأعمالَ فتسقُطوا عن درجَةِ الكَمالِ.

قولُه: (قبلَ التَّحرِيم) لقولِهِ بعدُ.

قولُه: (﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾) أي: ما حرِّمَ عليهم بعدُ كالخمرِ.

قولُه: (ثَبَتُوا) الأحسَنُ: ثبَتوا على الإيمانِ والأعمالِ الصَّالحَةِ.

قولُه: (﴿وآمَنُوا﴾) أي: بتحريمِهِ (﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾) أي: استمَرُّوا على اتِّقاءِ المعاصِي (﴿وَأَحْسَنُوا﴾) أي: تحَرَّوُا الأعمالَ الجمِيلةَ واشتَغلوا بها.

٩٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: ليَختبرَنّكم ﴿اللهُ بِشَيءٍ﴾، يُرسله لكم ﴿مِنَ الصَّيدِ تَنالُهُ﴾ أي: الصغارَ منه ﴿أَيدِيكُم ورِماحُكُم﴾ الكبارَ منه ـ وكان ذلك بالحُدَيبية وهم مُحرِمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رِحالهم ـ ﴿لِيَعلَمَ اللهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿مَن يَخافُهُ بِالغَيبِ﴾: حالٌ، أي: غائبًا لم يَرَه، فيَجتنبُ الصيدَ. ﴿فمَنِ اعتَدَى بَعدَ ذلِكَ﴾ النهيِ عنه فاصطاده، ﴿فلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

٩٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وأَنتُم حُرُمٌ﴾: مُحرِمون بالحجّ أو العُمرة، ﴿ومَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فجَزاءٌ﴾، بالتنوينِ ورفعِ ما بعده، أي: فعليه جزاءٌ هو ﴿مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾..........

قولُه: (يُرسِلهُ لَكُم) ابتلاءً.

قولُه: (عِلمَ ظُهُور) تنجيزي؛ يعني: تعلّقَ العلمِ، أو ذكرَ العلمَ وأرادَ وقُوعَ المعلومِ وظهورَهُ، والمعنَى: ليميِّزَ الخائِفَ من عقَابِهِ، وهو غائبٌ لقوَّةِ إيمانِهِ، ممَّن لا يخافُ لضَعفِ إيمانِهِ.

قولُه: (فاصطَادَهُ) تفسيرٌ لـ﴿اعتَدَى﴾.

قولُه تعَالى: (﴿لا تَقتُلُوا الصَّيدَ﴾) في «المدارِك»[1] أي: المصيدَ إذ القتلُ إنَّما يكونُ فيه، وقالَ الصَّفوِيُّ: عندَ الشَّافِعيِّ يجوزُ للمُحرمِ قتلُ ما لا يؤكَلُ لحمُهُ؛ لأنَّ الصَّيدَ لا يطلَقُ عليه عُرفًا، قلتُ: هذا غيرُ معروفٍ عُرفًا، ثمَّ قالَ: والجمهورُ على تحريمِهِ إلَّا الفواسِقَ وما يؤمَرُ بقتلِهِ؛ يعني: كلَّ مؤذٍ كالذِّئبِ والنَّملِ والبعُوضِ.

وقولُه تعَالى: (﴿مُتَعَمِّداً﴾) الأصحُّ عند السَّلفِ والخلفِ: أنَّ العمدَ والخطأَ سيَّانِ في لزُومِ الكفَّارةِ دُونَ الإثمِ والآيةُ فيهما لا فيها فقط، ولذلك قيَّدهُ بمتعمِّدٍ، أو يدلُّ على أنَّ الآيَةَ فيهما جميعاً.

قولُه: (﴿وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنهُ﴾) أو لأنَّ الآيَةَ نزلَتْ فيمن تعمَّدَ فقولُه: (﴿مُتَعَمِّداً﴾) قيدٌ واقِعِيٌّ لا احترازِيٌّ.

قولُه: (بالتَّنوين) للكوفيِّ[2].

قولُه: (جَزَاء هو... إلخ) ليسَ المرادُ أنَّ ﴿مثل﴾ خبرُ مُبتدأٍ محذوفٍ، فإنَّ المثلَ بمعنَى المماثلِ صفَةُ الجزاءِ ولا يحتاجُ إلى تقديرٍ بل المرادُ بهو إنَّما هو التَّفسيرُ.

وقولُه تعَالى: (﴿مِنَ النَّعَمِ﴾) بيانٌ للمِثلِ، أو الجزاءِ، أو صفَة، وفي «المدارِكِ»[3]: هو قيمَةُ الصَّيدِ يقوَّمُ حيثُ صِيْدَ، فإن بلغَتْ قيمتُهُ ثمن هديٍ خيِّرَ بين أن يهدِيَ من النَّعمِ ما قيمتُهُ قيمَةُ الصَّيدِ، وبين أن يشترِيَ بقيمَتِهِ طعاماً، فيُعطي كلَّ مسكِينٍ نصْفَ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعاً من غيرِهِ، وإن شاءَ صامَ عن طعامِ كلِّ مسكِينٍ يَوماً.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٥٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٥).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧٥).

أي: شِبهُهُ في الخِلقة ـ وفي قراءة بإضافة «جَزاءُ» ـ ﴿يَحكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمِثل رجُلانِ ﴿ذَوا عَدلٍ مِنكُم﴾: لهما فِطنة يَميزان بها أشبه الأشياء به ـ وقد حكم ابن عبّاس وعُمر وعليّ في النعامة بِبَدَنَةٍ، وابن عبّاس وأبو عُبيدة في بَقرِ الوحش وحمارِه ببقرة، وابن عُمر وابن عَوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عبّاس وعُمر وغيرهما في الحَمام لأنه يُشبهها في العَبِّ ـ ﴿هَدْيًا﴾: حالٌ من «جزاء»، ﴿بالِغَ الكَعْبَةِ﴾ أي: يُبلَغ به الحَرَمُ فيُذبح فيه ويُتصدّق به على مساكينه ـ ولا يجوز أن يُذبح حيث كان. ونصبُه نعتًا لما قبله، وإن أُضيف، لأن إضافته لفظيّة لا تُفيد تعريفًا. فإن لم يكن للصيد مِثلٌ من النعم كالعُصفور والجراد فعليه قيمتُه ـ ﴿أو﴾ عليه ﴿كَفّارةٌ﴾ غيرُ الجزاء وإن وَجده،..

قولُه: (أي: شبَهَهُ في الخِلقَة) هذا قولُ مالِكٍ والشَّافِعيِّ وأحمدَ ومحمَّدٍ.

قولُه: (وفي قِراءَة) لغَيرِ الكُوفِيِّ[1].

قولُه: (بإضَافَةِ جَزَاء) على إضافَةِ المصدَرِ إلى المفعولِ.

قولُه: (بالمِثْلِ) أو بالجزاءِ.

قولُه: (رَجُلان) أي: صالحانِ منَ المسلمينَ المستفادِ من الآيةِ.

قولُه: (العَبِّ) الشُّربُ بلا تنفُّسٍ.

قولُه: (مِن ﴿جَزَاء﴾) وإن نُوِّن لتخصيصهِ بالصِّفةِ.

قولُه: (مسَاكِينِهِ) وعندنا على المساكينِ مُطلَقاً.

قولُه: (ولا يجُوزُ) هذا مستدرَكٌ.

قولُه: (فعلَيهِ قيمَةٌ) إجماعاً.

قولُه: (﴿أَو﴾ عَلَيهِ) إشارَةٌ إلى أنَّه عطفٌ على جزاء، وأنَّه مرفوعٌ إذ قُرِئَ الجزاءَ منصُوباً.

قولُه: (غَير الجزَاءِ) أي: بَدَله.

قولُه: (وإنْ وَجَدَه) إن وصليَّة، والضَّميرُ راجعٌ إلى الجزاءِ فـ(أو) للتَّخييرِ كما هو الظَّاهِرُ وعليه الأكثرونَ، وهو الأصحُّ من قولِ الشَّافِعيِّ، وهو المذهبُ عندنا، وفي «المدارِكِ»[2]: والخيارُ إلى القاتلِ، وعند محمَّدٍ إلى الحكَمَينِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٥٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٧٧).

هي ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قُوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء، لكُلّ مِسكينٍ مُدٌّ ـ وفي قراءة بإضافة «كفّارةُ» لِما بعده. وهي للبيان ـ ﴿أو﴾ عليه ﴿عَدلُ﴾: مثلُ ﴿ذلِكَ﴾ الطعامِ ﴿صِيامًا﴾ يصومه عن كُلّ مُدٍّ يومًا، وإن وجده. وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبالَ﴾: ثِقَلَ جزاءِ ﴿أمرِهِ﴾ الذي فعله. ﴿عَفا اللهُ عَمّا سَلَفَ﴾ مِن قتل الصيد قبل تحريمه، ﴿ومَن عادَ﴾ إليه ﴿فيَنتَقِمُ اللهُ مِنهُ. واللهُ عَزيزٌ﴾: ....

قولُه: (هيَ) يعنِي: أنَّه خبرٌ محذُوفٌ، وجوَّزَ البدَلَ وعطفَ البيانِ.

قولُه: (قيمَةَ الجَزاءِ) وعندنا: قيمَةَ الصَّيدِ.

قولُه: (مُدٌّ) وعندنا: نصفُ صاعٍ من بُرٍّ وصاعٌ من غيرِهِ.

قولُه: (وفي قِراءَةٍ) لنافع والشَّاميِّ[1].

قولُه: (للبَيَان) كخاتمِ فضَّةٍ.

قولُه: (مِثْلُ) أي: ما يُساوِي.

قولُه: (الطَّعَام) وهو الظَّاهرُ؛ لأنَّه أقرَبُ مذكُورٍ، و﴿صِيَاماً﴾ تمييزٌ للعدلِ.

قولُه: (وجَبَ) إشارةٌ إلى أنَّ اللَّام متعلِّقٌ بمحذُوفٍ، والأحسنُ: أوجَبنا.

قولُه: (ذَلِك) أي: ما ذُكرَ من الجزاءِ أو الطَّعامِ أو الصَّومِ.

قولُه: (الَّذي فَعلَهُ) من هتكِ حرمَةِ الإحرامِ، فالضَّميرُ إلى الجانِي، والأمرُ بمعنَى الفعلِ، أو الثِّقلِ الشَّديدِ مِن العَذابِ على مخالفَةِ أمرِ اللهِ، فالضَّميرُ إلى اللهِ وهذا أعمُّ من الأوَّلِ، وأصلُ الوبلِ الثِّقَلُ.

قولُه: (قَتْلِ الصَّيدِ) أي: مُحرماً.

قولُه: (قَبلَ تحرِيمِهِ) أي: في الجاهليَّةِ، أو في هذه المدَّةِ.

قولُه: (إلَيهِ) أي: إلى مثلِ هذا.

قالَ تعَالى: (﴿فينتَقِمُ﴾) أي: فهو ليصِحَّ دخولُ الفاءِ؛ لأنَّ الجزاءَ إذا وقعَ مضارِعاً لم يصحَّ الفاءُ ما لم يقدَّرِ المبتدأُ؛ يعنِي: فينتقِمُ في الآخرَةِ وعليه مع ذلك الكفَّارةُ، وعن ابنِ عبَّاسٍ[2] وشُريحٍ[3] لا كفَّارةَ عليه فإنَّ الأمرَ أشدُّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٥٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢٦٥١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٧٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢٦٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٧٦٦).

غالب على أمره ﴿ذُو انتِقامٍ﴾ ممّن عصاه. وأُلحِق بقتله مُتعمّدًا فيما ذُكِرَ الخطأ.

٩٦ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُم﴾ ـ أيُّها الناس ـ حَلالاً كنتم أو مُحرِمينَ ﴿صَيدُ البَحرِ﴾: أن تأكلوه ـ وهو ما لا يعيش إلاّ فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البرّ كالسَّرَطان ـ ﴿وطَعامُهُ﴾: ما يقذفه ميتًا، ﴿مَتاعًا﴾: تمتيعًا ﴿لَكُم﴾ تأكلونه ﴿ولِلسَّيّارةِ﴾: المسافرين منكم يتزوّدونه، ﴿وحُرِّمَ علَيكُم صَيدُ البَرِّ﴾ ـ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول ـ أن تصيدوه، ﴿ما دُمتمُ حُرُمًا﴾......................

قولُه: (ممَّن عَصَاهُ) أي: استمَرَّ على عصيانِهِ.

قولُه: (وأُلْحِقَ) فيه أنَّ الإلحاقَ يكونُ بالقياسِ، وهو لا يصِحُّ هنا فالحَقُّ ما ذكرناهُ أوَّلاً.

قولُه: (أَو مُحْرِمِينَ) وهو الأصحُّ المنقُولُ عن أكثرِ السَّلفِ، كذا أفادَهُ الصَّفَويُّ.

قولُه: (أَن تَأكُلُوه) الأظهَرُ: أن تَصيدوهُ؛ لأنَّ الكلامَ فيه، وفي «المدارِكِ»[١]: أي: مصيداتُ البَحرِ ممَّا يؤكَلُ وممَّا لم يُؤكَل.

قولُه: (وهوَ ما لا يَعِيش) وعندَنا: ما توالَدَ في البَحرِ، إذ العبرَةُ بالأصلِ والمثوَى عارِضٌ.

قولُه: (ما يَقذِفُه) أي: أكلُ ما يقذِفهُ البحرُ، وفي «المدارِكِ»[٢] وطعامُهُ ما يطعَمُ من صيدِهِ، والمعنَى: أُحِلَّ لكم الانتفَاعُ بجميعِ ما يُصادُ في البحرِ، وأحِلَّ لكم أكلُ المأكُولِ منه وهو السَّمكُ وحدَهُ.

قولُه: (تَمتِيعاً) نصبَ على العلَّةِ.

قولُه: (يتزوَّدُونَهُ) قَديداً.

قولُه: (وهوَ ما يَعِيشُ) في «المدارِكِ»[٣]: ما صيدَ فيه، وهو ممَّا يفرِّخُ فيه وإن كانَ يعيشُ في الماءِ في بعضِ الأوقاتِ كالبطِّ فإنَّه برِّيٌّ؛ لأنَّه يتولَّدُ في البحرِ والبرُّ له مرعى[٤]: كما للنَّاسِ متجَرٌ، وعن بعضِهم: المرادُ بالصَّيدِ في الموضعَينِ فعلُه، فعلى الأوَّلِ يحرَّمُ على المحرَمِ ما صادَهُ الحلالُ، وإن لم يكُنْ له فيه مدخَلٌ بإشارَةٍ أو دَلالَة والجمهُورُ على حلِّهِ.

قولُه: (منَ الوَحْشِ) الصَّيدُ الحيوانُ هو المتوحِّشُ في أصلِ الخلقَةِ الممتَنعُ بجناحِهِ أو بقوائمِهِ.

وقولُه تعالَى: (﴿ما دُمتُم حُرُماً﴾) أي: محرمينَ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل»(١/ ٤٧٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق: (١/ ٤٧٧).

(٤) في المدارك: «يتولد في البر والبحرُ له مرعىً» فلينظر.

فلو صاده حَلال فلِلمُحرِمِ أكلُه كما بيّنته السُّنّة. ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾.

٩٧ ـ ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيتَ الحَرامَ﴾: المُحرَّمَ ﴿قِيامًا لِلنّاسِ﴾: يقوم به أمرُ دِينهم بالحجّ إليه، ودُنياهم بأمنِ داخله وعدمِ التعرّض له، وجَبْي ثمرات كُلّ شيء إليه ـ وفي قراءة «قِيَمًا» بلا ألف مصدرُ «قام» غيرَ مُعَلٍّ ـ ﴿والشَّهرَ الحَرامَ﴾ بمعنى: الأشهُر الحُرُم ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجب قيامًا لهم بأمنهمُ القتالَ فيها، ﴿والهَدْيَ والقَلائدَ﴾ قيامًا لهم بأمن صاحبهما من التعرُّض له. ﴿ذلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وأنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾. فإنّ جَعْلَه ذلك، لِجلبِ المصالح لكم ودفعِ المضارّ عنكم قبل وقوعها، دليلٌ على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. ٩٨ ـ ﴿اعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لأعدائه ﴿وأنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

٩٩ ـ ﴿ما علَى الرَّسُولِ إلاّ البَلاغُ﴾: الإبلاغ لكم، ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهرون من العمل ﴿وما تَكتُمُونَ﴾: تُخفون منه فيُجازيكم به. ١٠٠ ـ ﴿قُلْ: لا يَستَوِي الخَبِيثُ﴾: الحرام ﴿والطَّيِّبُ﴾: الحلال، ﴿ولَو أعجَبَكَ﴾ أي: سرَّك ﴿كَثرةُ الخَبِيثِ. فاتَّقُوا اللهَ﴾ في تركه ـ ﴿يا أُولِي الألبابِ ـ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

قولُه: (حَلالٌ) أي: من غيرِ تسبُّبِ المحرِمِ.

قولُه تعَالى: (﴿جَعلَ الله الكَعبَة﴾) أي: صيَّرَها.

قولُه: (المُحرَّمَ) عطفُ بيانٍ، أو على جهَةِ المدحِ، أو المفعُولِ الثَّاني، والمحرَّمُ: المعظَّم، وقيل: أي: حرامٌ في مجاورَتِهِ ارتكابُ المخالفاتِ بحالٍ، وقيل: حرامٌ على من يراهُ أن يرَى وضعَهُ دونَ واضعِه.

قولُه: (يقُومُ) أي: ما يقُومُ.

قولُه: (وفي قرَاءَةٍ) لابنِ عامرٍ[1].

قولُه: (على أنَّهُ مَصدَر) ونصبَهُ على المصدَرِ أو الحالِ في[2] قولِهِ: (﴿جَعل﴾).

قولُه: (بمَعنَى الأَشهُر) فاللَّام للجنسِ، وقيل: المرادُ: ذُو الحجَّةِ؛ لأنَّه المناسِبُ لقرَنائهِ، فاللامُ للعهدِ.

قولُه: (قِيَاماً) إشارةٌ إلى أنَّها معطُوفاتٌ على الكعبَةِ.

قولُه: (الحَلالُ) وقيل: المرادُ المؤمنُ والكافِرُ، وقيل: المطيعُ والعاصِي، وقيل: الجيِّدُ والرَّديءُ،

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٥٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٧).

(٢) «في»: ليست في (م).

ونزل لمّا أكثروا سُؤاله ﷺ: ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَسألُوا عَن أشياءَ، إن تُبْدَ﴾: تُظهَرْ ﴿لَكُم تَسُؤْكُم﴾ لِما فيها من المشقّة، ﴿وإن تَسألُوا عَنها حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ﴾ أي: في زمن النبيّ ﴿تُبْدَ لَكُم﴾. المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزلُ القُرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم. فلا تسألوا ـ قد ﴿عَفا اللهُ عَنها﴾: عن مسألتكم، فلا تعودوا. ﴿واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ـ قَد سألَها﴾، أي: الأشياءَ، ﴿قَومٌ مِن قَبلِكُم﴾ أنبياءَهم، فأُجيبوا ببيان أحكامها، ﴿ثُمَّ أصبَحُوا﴾: صاروا ﴿بِها كافِرِينَ﴾، بتركهم العملَ بها.

١٠٣ ـ ﴿ما جَعَلَ﴾: شَرَعَ ﴿اللهُ مِن بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصِيلةٍ ولا حامٍ﴾ كما كان أهل الجاهليّة يفعلونه ـ روى البُخاريّ عن سعيد بن المُسَيَّب قال: البَحيرةُ: التي يُمنعُ دَرُّها للطواغيت فلا يَحلبها أحد من الناس...

وقيل: المعرِفَةُ والطَّاعَة والجهلُ والمعصيَةُ، والأحسَنُ أَنَّهُ حكمٌ عامٌّ في نفيِ المساواةِ عندَ اللهِ بين الرَّديءِ من الأشخاصِ والأعمالِ والأخلاقِ والأموالِ والمقاماتِ والأحوال وجيِّدِها، وقولهُ تعالى: ﴿ولَو أَعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] فإنَّ العبرَةَ بالجودَةِ والرَّداءةِ دونَ القلَّةِ والكثرَةِ، فإنَّ المحمُودَ القليلَ خيرٌ من المذمُومِ الكثيرِ، قالَ ﷺ: «ما قَلَّ وكَفَى خَيرٌ ممَّا كَثُرَ وأَلْهَى»[1] والخطابُ لكلِّ معتَبِرٍ، ولذلك قالَ: ﴿فاتَّقُوا﴾.

قولُه: (فَلا تَعُودُوا) أي: إلى مثلها.

قولُه: (أي: الأشيَاءَ) بالحَذفِ والإيصالِ.

قولُه: (أنبيَاءَهُم) مفعُولُ: «سأَلَ».

قولُه: (شَرعَ) ولذلك تعدَّى إلى مفعولٍ واحِدٍ وهو البحيرَةُ، و﴿من﴾ زائِدَةٌ، في «البَحر»[2]: لم يذكُرِ النُّحاةُ في معاني ﴿جَعَلَ﴾ شرَعَ؛ فعلى هذا حذِفَ المفعُولُ الثَّاني؛ أي: ما صيَّرَها اللهُ مشروعَةً.

قولُه: (البَحِيرَة) النَّاقَة إذا نتجَتْ خمسَةَ أبطُنٍ بحَروا أذنَها؛ أي: شقُّوها، «النِّهايَةُ»[3]: في حديثِ البحيرَةِ: «ساعِدُ اللهِ أشدُّ وموسَاهُ أحَدُّ»[4]؛ أي: لو أرادَ اللهُ عزَّ وجَلَّ تحريمَها بشقِّ أذُنِها لخلقَها كذلك، فإنَّهُ يقولُ لها:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢١٧٢١)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٠٧٢)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٦٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٢) (٤٦٧٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٣٨٤).

(٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٣٦٧).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٩٠)، وأحمد في «مسنده» (١٥٨٨٨)، والحميدي في «مسنده» (٩٠٧)، وابن حبان =

والسائبة: كانوا يُسَيِّبونها لآلهتهم لا يُحملُ عليها شيء... والوصيلة: الناقة البِكر تُبكِّرُ في أول نِتاج الإِبل بأُنثى ثمّ تُثنّي بعدُ بأُنثى. وكانوا يُسَيِّبونها لطواغيتهم إن وَصَلتْ إحداهما بالأُخرى ليس بينهما ذَكَر. والحام: فحلُ الإبل يَضرِبُ الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَه وَدَعُوه للطّواغيت وأعفَوه من الحمل فلم يُحمَل عليه شيء وسمَّوه الحاميَ ـ ﴿ولكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ﴾ في ذلك ونسبتِه إليه، ﴿وأكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ﴾ أنّ ذلك افتراء لأنّهم قلّدوا فيه آباءهم، ١٠٤ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا إلَى ما أنزَلَ اللهُ وإلَى الرَّسُولِ﴾ أي: إلى حُكمه من تحليل ما حرّمتم، ﴿قالُوا: حَسْبُنا﴾: كافِينا ﴿ما وَجَدْنا علَيهِ آباءَنا﴾ من الدِّين والشريعة. قال تعالى: ﴿أ﴾ حَسْبُهم ذلك ﴿وَلَو كانَ آباؤُهُم لا يَعلَمُونَ شَيئًا، ولا يَهتَدُونَ﴾ إلى الحقّ؟ والاستفهام للإنكار.

كن فيكُونُ، كذا في «كشفِ الكشَّافِ»[1].

قولُه: (السَّائِبَة) وكانَ يقولُ الرَّجلُ منهم: إن شُفيتُ ـ ونحوَه ـ فناقَتي سائِبَةٌ.

قولُه: (والوَصِيلَةُ) بمعنَى: الواصِلَة؛ يعني: إذا ولَدَت أنثى فهي لهم، وإن ولَدَت ذَكَراً فهو لآلهَتِهِم، وإن وصَلَت أُنثَى أخاها فلا يذبَحُ لأجلِها الذَّكَرُ.

قولُه: (المعدُود) في «المدَارِكِ»[2] والبيضاويِّ[3]: عشرَةُ أبطُنٍ.

قولُه: (ودَعُوهُ) أي: تَركُوهُ.

قولُه: (الحَامِيَ) أي: حمى ظهرَهُ.

قولُه: (في ذَلك) أي: التَّحريمِ.

قولُه: (أنَّ ذَلِكَ افترَاءٌ) ومنهم من يعرِفُ بُطلانَ ذلك، ولكن منعَهُم حبُّ الرِّياسةِ، فيكونُ كفرُهُم عِنادًا، أو منعَهُم تقليدُ الآباءِ أن يعتَرِفوا به.

قولُه: (مِنَ الدِّينِ والشَّرِيعَة) بيانٌ لقُصورِ عقلِهِم وانهماكِهِم في التَّقليدِ، فإنَّه لا سنَدَ لهم سواهُ.

= في «صحيحه» (٥٦١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٧١٠) من حديث مالك بن نضلة رضي الله عنه.

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(١) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» للطيبي (٨/ ٤٨٥، ٤٨٦).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٨٠).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٦).

١٠٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، علَيكُم أنفُسَكُم﴾ أي: احفظوها وقُوموا بصلاحها. ﴿لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إذا اهتَدَيتُم﴾. قيل: المُراد: لا يضرّكم مَن ضلّ مِن أهل الكتاب. وقيل: المُراد غيرُهم، لحديث أبي ثعلبةَ الخُشَنيّ: سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتَمِرُوا بالمَعرُوفِ وتَناهَوا عَن المُنكَرِ. حَتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤثَرةً، وإعجابَ كُلِّ ذِي رأيٍ برأيِهِ، فعلَيكَ نَفسَكَ». رواه الحاكم وغيره. ﴿إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

١٠٦ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، شَهادةُ بَينِكُم، إذا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوتُ﴾ أي: أسبابُه..............

قولُه: (وقُومُوا بصَلاحِهَا) الأحسَنُ: الزَموا إصلاحَها، و﴿عَلَيكُم﴾ اسمُ فعلٍ لالزَموا، ولذلك نصبَ ﴿أنفسَكُم﴾ وقرئَ بالرَّفعِ على الابتِداءِ[1]؛ أي: إصلاحُ أنفُسِكُم واجِبٌ عليكم.

وقولُه تعالى: (﴿لا يَضُرُّكُم﴾) رُفِعَ على الاستِئنافِ، أو جُزِمَ على جوابِ الأمرِ، أو على النَّهي.

قولُه: (وقِيلَ: المرَادُ غيرهُم) فيه رُخصَةٌ في تركِ الحسبَةِ إذا عُلِمَ عدمُ قبولِها، أو فيها مفسدَةٌ، أو إضرارٌ له منها، اتَّفقَت كلمةُ السَّلفِ على ذلك، والأحادِيثُ تدُلُّ عليه، أو مَعنى: ﴿إذا اهتَدَيتُم﴾ إذا ائتَمرتُم بالمعروفِ وانتهَيتُم عن المنكَرِ ونهيتُم عنه حسبَ طاقتِكُم، كذا رواهُ ابنُ جريرٍ عن سعيدِ بن المسَيَّبِ[2].

ورويَ عن غيرِ واحِدٍ من السَّلفِ فإنَّ الاهتداءَ لا يحصُلُ إلَّا بإتيانِ ما يجبُ عليه، ومنه الأمرُ بالمعروفِ أو المرادُ: المنعُ عن هلاكِ النَّفسِ أسَفاً على ما عليه الكفرَةُ أو الفسقَةُ كقولِهِ تعالى: ﴿فَلا تَذهَب نَفسُكَ علَيهِم حَسرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

وفي «المدارِكِ»[3] اقتصَرَ على هذا القَولِ، وقال البيضاوِيُّ[4]: نزلَت لما كانَ المؤمنونَ يتحسَّرونَ على الكفَرَةِ ويتمنَّونَ إيمانَهُم، ثمَّ قالَ صاحبُ «المدارِكِ»[5]: وليسَ المرادُ تركَ الأمرِ بالمعرُوفِ والنَّهيِ عن المنكَرِ، فإنَّ تركَهُما مع القُدرَةِ عليهما لا يجوزُ.

قولُه: (أسبَابُه) في «المدارِكِ»[6]: حضُورُ الموتِ: مشارَفتُهُ وظهُورُ أماراتِ بلوغِ الأجَلِ.

---

(١) عزاها الزمخشري لنافع، انظر: «الكشاف» (١/ ٦٨٦)، وقال الطيبي في «فتوح الغيب» (٥/ ٥١٢): هي من طريق شاذة، وكذلك في «البحر» (٤/ ٣٨٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢٨٦٩) ولفظه: قال: إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، لا يضرك من ضل إذا اهتديت.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٨١).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٤٧).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٨١).

(٦) انظر المصدر السابق.

﴿حِينَ الوَصِيّةِ، اثنانِ ذَوا عَدلٍ مِنكُم﴾ ـ خبرٌ بمعنى الأمر، أي: لِيَشهَدْ. وإضافة «شَهادةُ» لـ «بين» على الاتّساع. وحينَ: بدلٌ من «إذا» أو ظرف لـ «حَضَرَ» ـ ﴿أو آخرانِ مِن غَيرِكُم﴾ أي: غيرِ مِلّتكم، ﴿إنْ أنتُم ضَرَبتُم﴾: سافرتم ﴿في الأرضِ فأصابَتكُم مُصِيبةُ المَوتِ، تَحبِسُونَهُما﴾: تُوقِفُونهما صفةُ «آخرانِ» ﴿مِن بَعدِ الصّلاةِ﴾ أي: صلاة العصر، ﴿فيُقسِمانِ﴾: يَحلِفان ﴿بِاللهِ، إنِ ارتَبتُم﴾: شككتم فيهما، ويقولان: ﴿لا نَشتَرِي بِهِ﴾:..

وقولُه تعالى: (﴿مِنكُم﴾) أي: من أقاربِكُم؛ لأنّهُم أعلمُ بأحوالِ الميِّتِ، و﴿أَو آخَرَان﴾ عطفٌ على: ﴿اثنَانِ﴾ و﴿مِن غيرِكُم﴾ منَ الأجانِبِ، أو ﴿منكُم﴾ منَ المسلمِينَ، و﴿مِن غيرِكُم﴾ من أهلِ الذِّمَّة.

قولُه: (بمَعنَى الأَمْر) أي: وُجوباً.

قولُه: (ليَشهَد) أي: ﴿اثنَان﴾ فاعِلٌ، و﴿ذَوَا عَدلٍ﴾ صفتُهُما.

قولُه: (بَدَل) وفي إبدالِهِ منهُ دليلٌ على وجوبِ الوصيَّةِ؛ لأنَّ حضورَ الموتِ من الأُمورِ الكائِنَةِ، و﴿حِينَ الوَصِيَّة﴾ بدلٌ منه فيدُلُّ على وجودِ الوصيَّةِ، ولو وجدَت بدونِ الاختيارِ لسقطَ الابتداءُ[1] فنُقِلَ إلى الوجوبِ، كذا في «المدارِك»[2].

قولُه: (مِن إذا) وإذا حضرَ ظرفٌ للشَّهادةِ.

قولُه: (سافَرتُم) أي: شهادةُ غيرِ المسلمِ إذا كُنتُم في السَّفرِ؛ يعني: لم تجِدُوا مُسلِماً.

وقولُه: (﴿فَأَصَابَتكُم﴾) عطفٌ على: ﴿ضَربتُم﴾؛ أي: قارَبتُم الأجلَ.

قولُه: (توقفُونَهُمَا) أي: للحلفِ.

قولُه: (صفَةُ ﴿آخَرَان﴾) وما بينهما اعتراضٌ، وقيل: الأولَى صفَةُ ﴿اثنَان﴾ لقولِه تعالى: ﴿ولَو كانَ ذا قُربَى﴾.

قولُه: (صلاةَ العَصرِ) وهو قولُ أكثرِ السَّلفِ[3].

قولُه: (فيهِمَا) أي: في أمانَتِهما، وفي نُسخةٍ: «فيها» أي: في الشَّهادةِ وهو اعتراضٌ بين ﴿يُقسِمَانِ﴾ وجوابُه وهو: ﴿لا نشتَرِي﴾ وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ أغنَى عنه معنى الكلامِ، والتَّقديرُ: إن ارتبتُم في شأنِهما فحلِّفوهُما.

---

(١) في «المدارك»: «الابتلاء».

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٧٤).

بالله ﴿ثَمَنًا﴾: عِوَضًا، نأخذُه بدَلَه من الدُّنيا بأن نحلف به أو نشهد به كاذبًا لأجله، ﴿ولَو كانَ﴾ المُقسَمُ له أو المَشهودُ له ﴿ذا قُربَى﴾: قرابةٍ منّا، ﴿ولا نكتُمُ شَهادةَ اللهِ﴾ التي أُمرنا بإقامتها. ﴿إنّا إذًا﴾: إن كتمناها ﴿لَمِنَ الآثِمِينَ﴾.

١٠٧ ـ ﴿ فإن عُثِرَ﴾: اطُّلِعَ بعد حلفهما ﴿علَى أنَّهما استَحَقّا إثمًا﴾ أي: فَعَلا ما يُوجبه من خِيانة أو كَذِب في الشهادة، بأن وُجد عندهما مثلاً ما اتُّهما به وادَّعيا أنّهما ابتاعاه من الميت أو وصَّى لهما به، ﴿فآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما﴾ في توجّه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ استُحِقَّ علَيهِمِ﴾ الوصيّةُ ـ وهم الورثة ـ ويُبدل من «آخَرانِ» ﴿الأَوْلَيانِ﴾ بالميت أي: الأقربانِ إليه ـ وفي قراءةٍ «الأوَّلِينَ»: جمعُ أوّل، صفةٌ أو بدلٌ من «الّذِين» ـ ﴿فيُقسِمانِ بِاللهِ﴾ على خِيانة الشاهدَينِ، ويقولان: ﴿لَشَهادتُنا﴾: يمينُنا ﴿أحَقُّ﴾: أصدقُ ﴿مِن شَهادتِهِما﴾: يمينهما، ﴿وما اعتَدَينا﴾: تجاوزْنا الحقّ في اليمين. ﴿إنّا إذًا لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾.

قولُه: (باللهِ) أو بالقَسمِ.

قولُه: (مَا يُوجِبُهُ) أي: الإثمَ، واستوجَبا أن يقالَ: إنّهما من الآثمينَ.

قولُه: (مِن خيَانَةٍ) بيانٌ «لما».

وقولُه تعَالى: (﴿فآخَرَان﴾) أي: فشاهدانِ آخرانِ.

قولُه: (الوَصِيَّة) الظّاهرُ أنَّ ضميرَ ﴿استُحِقَّ﴾ للإثمِ؛ أي: منَ الذين جَنَى عليهم، وفي قراءةِ حفصٍ: ﴿استَحَقَّ﴾ على بناءِ الفاعلِ[1].

قولُه: (بالميِّتِ) أو الأحقّانِ بالشَّهادةِ لقرابتِهما ومعرفتِهما.

قولُه: (وفي قراءَةٍ) لشُعبَة وحمزَة[2].

قولُه: (أو بَدَل) وسمُّوا أوَّلينَ؛ لأنّهم كانوا أوَّلينَ في الذِّكرِ في قولِه: ﴿شَهادَةُ بَينِكُم﴾.

قولُه: (أَصدَقُ) في «المدارِكِ»[3]: أحقُّ بالقبولِ من يمينِ هذينِ الوصيَّينِ الخائنينِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٦١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٤٨٣).

المعنى: لِيُشهِدِ المُحتضَرُ على وصيّته اثنينِ أو يُوصي إليهما من أهلِ دينه، أو غيرِهم إن فَقَدهم لسفر ونحوه. فإنِ ارتاب الوَرثة فيهما، فادّعَوا أنهما خانا بأخذِ شيء أو دفعِه إلى شخص زعما أنّ الميت أوصى له به، فلْيحلِفا إلى آخره. فإن اطُّلِع على أمارةٍ تكذِّبُهما فادّعيا دافعًا له حلفَ أقربُ الورثة على كذبهما وصِدق ما ادّعَوه. والحُكمُ ثابتٌ في الوصيَّينِ منسوخٌ في الشاهدَينِ، وكذا شهادةُ غير أهل المِلّة منسوخة. واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيصُ الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها. وهي ما رواه البخاريّ:

أنّ رجلاً من بني سَهم خرج مع تميم الداريّ وعديِّ بن بَدّاءٍ ـ أي: وهما نصرانيّان ـ فمات السهميّ بأرض ليس فيها مُسلم، فلمّا قدِما بتَرِكتِه فقَدُوا جامًا من فِضّة مُخوَّصًا بالذهب، فرُفعا إلى النبيّ ﷺ، فنزلتْ فأحلفهما، ثمّ وُجد الجام بمكّة، فقالوا: ابتَعناه من تميم وعديّ. فنزلتِ الآيةُ الثانية، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا...

قولُه: (إن فَقَدَهُم) أي: أهلَ دينِهِ.

قولُه: (الوَرَثَةُ) أو أحدُهُم.

قولُه: (أو دفعِهِ) بالجرِّ.

قولُه: (فَادَّعَيَا) بصيغَةِ المجهولِ.

قولُه: (منسُوخَة) وإنَّما جازَت في أوَّلِ الإسلامِ لقلَّةِ المسلمينَ.

قولُه: (للتَّغلِيظ) وفي «المدارِكِ»[1]: لأنَّه وقتُ اجتماعِ النَّاسِ.

قولُه: (فأَحلَفَهُمَا) أي: بعدَ العصرِ، كما رواهُ التِّرمِذِيُّ وأبو داودَ[2] فحَلَفَا على أنَّهما ما اطَّلَعا على الإناءِ.

قولُه: (فقَال) أي: من وُجِدَ عندهُ الجامُ.

وقولُه: (ابتَعنَاه) أي: اشتَرَيناهُ.

قولُه: (فحَلَفا) أنَّ الإناءَ لنا وأَخذا.

(١) انظر المصدر السابق: (١/ ٤٨٢).

(٢) لم أجد لفظة: «بعد العصر» عند أبي داود (٣٦٠٦)، والترمذي (٣٠٦٠) في هذه الرواية، وإنما وقع ذلك في قصة أخرى، والذي أحلفهما هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، رواها أبو داود (٣٦٠٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٥٣٩)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (٨٥٧)، والدارقطني في «السنن» (٤٣٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٤)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

وفي رواية التِّرمذيّ: فقام عَمرُو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكانا أقرب إليه. وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبلّغا ما ترك أهلَه. فلمّا مات أخذا الجام، ودفعا إلى أهله ما بقي.

١٠٨ ـ ﴿ذلِكَ﴾ الحكم المذكور من ردّ اليمين على الورثة ﴿أدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿أن يأتُوا﴾ أي: الشهودُ أوِ الأوصياء ﴿بِالشَّهادةِ علَى وَجهِها﴾ الذي تحمّلوها عليه من غير تحريف ولا خيانة، ﴿أو﴾ أقربُ إلى أن ﴿يَخافُوا أن تُرَدَّ أَيمانٌ بَعدَ أَيمانِهِم﴾ على الوَرثة المدَّعِينَ ـ فيحلفون على خِيانتهم وكذِبهم فيَفتضِحون ويَغرَمون ـ فلا يكذبوا. ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾، بترك الخِيانة والكذِب، ﴿واسمَعُوا﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته، إلى سبيل الخير.

١٠٩ ـ اذكرْ ﴿يَومَ يَجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ ـ هو يوم القيامة ـ ﴿فيَقُولُ﴾ لهم توبيخًا لقومهم: ﴿ماذا﴾ أي: [ما] الذي ﴿أُجِبتُم﴾ به حين دَعوتم الناسَ إلى التوحيد؟ ﴿قالُوا: لا عِلمَ لَنا﴾ بذلك إلاّ ما علّمتَنا. ﴿إنَّكَ أنتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العِباد وذهب عنهم عِلمه، لِشدّة هول يوم القيامة وفزعهم. ثمّ يشهدون على أُممهم لمّا يَسكنون.

١١٠ ـ اذكرْ ﴿إذْ قالَ اللهُ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ،..

قولُه: (أهلَه) مفعُول: «يُبلِّغا».

قولُه: (مِن ردِّ اليَمِين) أو تحليفِ الشَّاهِدِ.

قولُه: (الشُّهُود) وإنَّما جمعَ الضَّميرَ؛ لأنَّه حُكمٌ يعمُّ الشُّهودَ كلَّهُم.

قولُه: (إلى سَبِيلِ الخَيرِ) أو الجنَّة، أو الحُجَّةِ.

قولُه: (اذكُر) يعني: ﴿يَومَ﴾ ظرفٌ له، وقيل: ظرفٌ لـ﴿لَا يَهْدِي﴾ توبيخاً كسُؤالِ الموؤُودَةِ لتوبيخِ الوائدَةِ.

قولُه: (أيُّ) مشدَّدٌ تفسيرٌ لـ﴿مَا﴾ الاستفهاميَّة و(الذِي) تفسيرٌ لـ﴿ذا﴾.

وقولُه: (بِهِ) إشارةٌ إلى أنَّ السُّؤالَ عن المفعولِ؛ أعني: الجواب فوجَبَ دخولُ الباء، ويحتاجُ إلى حذفِ العائِدِ مع حرفِ الجرِّ أيضاً فافهَم، أو التَّقديرُ: أيَّ إجابَةٍ أُجِبتُم إجابَةَ إقرارٍ أو إنكارٍ على أنَّ ماذا في موضعِ المصدرِ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بما أنت تعلمُهُ، أو في جنبِ علمِكَ، أو بما أحدَثوا بعدَنا، وإنَّما الحكمُ للخاتِمَة.

قولُه تعَالى: (﴿يا عِيسَى ابنَ مَريَم﴾) ﴿عِيسَى﴾ إمَّا منصُوبٌ محلًّا تبَعاً لما بعدَهُ، وهي اللُّغةُ الشَّائعةُ نحو: يا زيدَ بن عليٍّ، وإمَّا مرفوعٌ محلًّا.

اذكُرْ نِعمَتِي علَيكَ وعلَى والِدَتِكَ﴾ بشكرها، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قوَّيتك ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾: جِبريلَ، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: حالٌ من الكاف في «أيَّدتك» ﴿في المَهدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وكَهلاً﴾ ـ يُفيد نُزولَه قبل الساعة لأنه رُفع قبل الكُهولة كما سبق في «آل عمران»، ﴿وإِذْ عَلَّمتُكَ الكِتابَ والحِكْمةَ والتَّوراةَ والإِنجِيلَ، وإِذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئةِ﴾: كصورةِ ﴿الطَّيرِ﴾ ـ والكاف: اسم بمعنى «مِثل» مفعول ـ ﴿بِإِذني فَتَنفُخُ فِيها فتكُونُ طَيرًا بِإِذني﴾: بإرادتي، ﴿وتُبرِئُ الأَكمَهَ والأبرَصَ بِإِذني، وإِذْ تُخرِجُ المَوتَى﴾ من قُبورهم أحياءً ﴿بِإِذني، وإِذْ كَفَفتُ بَنِي إِسرائيلَ عَنكَ﴾ حين همّوا بقتلك، ﴿إِذْ جِئتَهُم بالبَيِّناتِ﴾: المُعجزات، ﴿فقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم: إِنْ﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي جئتَ به ﴿إِلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾ ـ وفي قراءةٍ «ساحِرٌ» أي: عيسى ـ ١١١ ـ ﴿وإِذْ أَوحَيتُ إِلَى الحَوارِيِّينَ﴾: أمرتهم على لسانه، ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي﴾: عيسى.

قولُه: (اذكُر) أو بدَلٌ من: ﴿يَومَ يَجمَع﴾.

قولُه: (قَوَّيتُك) وهو ظرفٌ لـ﴿نِعمَتي﴾.

قولُه: (أي: طِفلاً) كائناً في المهدِ.

وقولُه: (﴿وكهلاً﴾) عطفٌ على ما ﴿في المهدِ﴾ فإنَّه حالٌ، والمعنَى: تكلُّمُهم بدعوَتِهم إلى اللهِ تعَالى في الطُّفوليَّةِ والكُهوليَّةِ سواءٌ، فالمرادُ: عدمُ تفاوُتِ الكلامِ في الحالينِ لا أنَّ كلًّا آيةٌ.

قولُه تعالى: (﴿الكِتَاب﴾) الخطُّ.

قولُه: (مَفعُول) التَّقدِير، أو هيئتُهُ كهيئَةِ الطَّيرِ.

قولُه: (بإرادَتي) أو بإذنِي لك في ذلك.

قولُه: (مِن قُبُورِهِم) بأن تدعُوهُم فيقومُونَ.

قولُه تعالى: (﴿كَفَفْتُ﴾) أي: منَعْتُ، و(﴿بنِي إسرَائِيلَ﴾) أي: اليهودَ، و(﴿عَنْكَ﴾) أي: عن قَتلِكَ.

قولُه: (المعجِزَات) ظَرفٌ لـ﴿كفَفْتُ﴾.

قولُه: (وفي قرَاءَة) لحمزَةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (أي: عِيسَى) يعنِي: فالإشارَةُ إلى عِيسَى.

قولُه: (أمَرتُهم) أو ألهَمْتُهم.

قولُه: (بأن) يعنِي: ﴿أن﴾ مصدَرِيَّة، ويجُوزُ أن تكُونَ مفسِّرَةً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٧٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٣٩).

﴿قالُوا: آمَنّا﴾ بهما. ﴿واشهَدْ بِأنّنا مُسلِمُونَ﴾.

١١٢ ـ ١١٣ ـ اذكرْ ﴿إذْ قالَ الحَوارِيُّونَ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ، هَل يَستَطِيعُ﴾ أي: يفعلُ ﴿رَبُّكَ﴾ ـ وفي قراءةٍ بالفوقانِيَةِ ونَصبِ ما بعده أي: تقدرُ أن تسأله ـ ﴿أن يُنزِلَ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ؟ قالَ﴾ لهم عيسى: ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ في اقتراح الآيات، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ. قالُوا: نُرِيدُ﴾ سؤالَها من أجلِ ﴿أن نأكُلَ مِنها، وتَطمَئِنَّ﴾: تسكنَ ﴿قُلُوبُنا﴾ بزيادة اليقين، ﴿ونَعلَمَ﴾: نزدادَ علمًا ﴿أنْ﴾ مخففةٌ، أي: أنّك ﴿قَد صَدَقْتَنا﴾ في ادّعاء النُّبوّة،..

قولُه: (بهِمَا) أو بكُما.

وقولُه تعَالى: (﴿واشهَد﴾) أي: يا اللهُ، أو: يا أيُّها الرَّسولُ.

وقولُه: (﴿مُسلِمُونَ﴾) منقادونَ، أو مخلِصُونَ، أو تفنُّنَ في العبارَةِ.

قولُه: (اذكُر) يعني: منصُوبٌ بـ(اذكُر)، أو ظرفٌ لـ﴿قَالُوا﴾ أو لـ﴿قَالَ﴾.

قولُه: (أي: يَفعَل) أو المعنَى: يُطيعُ ربُّكَ بإجابةِ سؤالِكَ؟ أي: هل يجيبُكَ، وقيل: هذه الاستطاعَةُ على ما تقتضيهِ الحكمَةُ والإرادَةُ لا على ما تقتضيهِ القُدرَةُ.

قولُه: (وفي قِرَاءَة) للكِسائيِّ[1].

قولُه: (بالفوقَانِيَّة) مع إدغامِ اللَّامِ في التَّاء.

قولُه: (أي: تَقدِر) يعني: التَّقديرُ تستطِيعُ سؤالَ ربِّكَ؟ والمعنَى: هل تسألُهُ ذلك من غيرِ مُعاونٍ، والمائدَةُ الخوانُ إذا كان عليه الطَّعامُ.

قولُه: (في اقتِرَاحِ) أو في سُؤالِها، أو من أمثالِ هذا السُّؤالِ.

قولُه: (مِن أَجلِ) فأجابُوا بأنَّ طَلبَها للحاجَةِ لا أنّا نطلُبُ آيَةً.

قولُه: (بزيادَةِ اليَقِينِ) أي: بانضمامِ علمِ اليقينِ إلى عَينِ اليقينِ، أو بانضمامِ عِلمِ المشاهَدَة إلى عِلمِ الاستِدلالِ بكمالِ القُدرَةِ.

قولُه: (نَزدَادَ عِلمًا) أي: علمَ مشاهدَةٍ وعِيانٍ بعدَ ما علمناهُ علمَ إيمانٍ[2].

قولُه: (في ادِّعَاءِ النُّبوَّةِ) أو فيما وعَدتَنا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٧٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٠).

(٢) في (م): «الإيمان».

﴿ونكُونَ علَيها مِنَ الشّاهِدِينَ﴾.

١١٤ ـ ﴿قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ: اللّٰهُمَّ رَبَّنا، أنزِلْ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ، تكُونُ لَنا﴾، أي: يومُ نُزُولِها، ﴿عِيدًا﴾ نُعظّمه ونُسَرّ فيه، ﴿لِأوَّلِنا﴾: بدلٌ من «لنا» بإعادة الجارّ، ﴿وآخِرِنا﴾ ممّن يأتي بعدنا، ﴿وآيَةً مِنكَ﴾ على قُدرتك ونُبوّتي، ﴿وارزُقْنا﴾ إيّاها. ﴿وأنتَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾.

١١٥ ـ ﴿ قالَ اللهُ﴾ مُستجيبًا له: ﴿إنِّي مُنْزِلُها﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿عَلَيكُم. فمَن يَكفُرْ بَعدُ﴾ أي: بعدَ نزولها ﴿مِنكُم فإنِّي أُعذِّبُهُ عذابًا، لا أُعَذِّبُهُ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ﴾..........

وقولُه تعالى: (﴿مِنَ الشَّاهِدِين﴾) أي: إذا استَشهَدتَنا، أو من الشَّاهِدينَ للغيرِ دونَ السَّامعينَ للخبَر.

قولُه: (أي: يَومَ نُزُولِهَا) إشارَةٌ إلى أنَّ العيدَ اسمٌ ليومٍ فيه سرُورٌ مخصوصٌ، فضميرُ ﴿تكُون﴾ للمائدَةِ على حذفِ مضافَينِ، وقيل: اسمٌ لسرُورٍ يعُودُ، فلا حذفَ؛ لكن في الإسنادِ مجازٌ؛ لأنَّه سببٌ للسُّرورِ وهو في غايَةِ الظُّهورِ، رويَ: أنَّها نزلَتْ يومَ الأحدِ(١)، ولذلك اتَّخذهُ النَّصارَى عِيداً.

قولُه: (بَعدَنَا) وقيل: يأكُلُ منه أوَّلُنا وآخِرُنا بأن تكونَ كفايَةً للجَميعِ.

وقولُه تعَالى: (﴿وآيَة﴾) عطْفٌ على ﴿عِيداً﴾، و﴿مِنكَ﴾ صفةٌ لها؛ أي: آيَةً كائنَةً منك دالَّةً على كمالِ قُدرتِكَ وصحَّةِ نبوَّتي.

قولُه: (إيَّاهَا) أي: المائدَةَ، أو الشُّكرَ عليها.

وقولُه تعَالى: (﴿وأنتَ خَيرُ الرَّازِقِين﴾) أي: خَيرُ من يرزُقُ؛ لأنَّه خالِقُ الرِّزقِ ومُعطيهِ بلا غرَضٍ ولا عوَضٍ.

قولُه: (والتَّشدِيدُ) نافعٌ وشاميٌّ وعاصِمٌ(٢).

وقولُه تعَالى: (﴿عَذَاباً﴾) أي: تعذِيباً، وتوضيحُهُ: أنَّ (عَذاباً) بمعنَى: (تعذيباً)، كأنبَتَ نباتاً، على أنَّ العَذابَ اسمٌ للتَّعذيبِ كالسَّلامِ للتَّسليمِ، إذ لو جُعِلَ اسماً لما يعذَّبُ به لقيلَ بعَذابٍ؛ لأنَّ التَّعذيبَ لا يتَعدَّى إلى مفعولَينِ، ويجوزُ أن يجعَلَ مفعُولاً به على السَّعَةِ.

وقولُه: (﴿لا أُعَذِّبه﴾) الضَّميرُ للمصدَر، فيكُونُ في موضعِ المفعُولِ المطلقِ، ويقُومُ مقامَ العائدِ إلى الموصوفِ، فإنَّ ﴿لا أعذِّبُهُ﴾ صفَةُ ﴿عَذاباً﴾ نحو: ظننتُهُ زَيداً قائماً، أو الضَّميرُ للعذابِ إن أُريدَ به ما يعذَّبُ به من بابِ الحذفِ والإيصالِ؛ أي: لا أعذِّبُ به.

---

(١) ذكره كثير من أصحاب الكتب والشروح دون عزوه لمصدر، إلا أن ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٠٢) نسبه لكعب.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٨٢).

فنزلتِ الملائكة بها من السماء، عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعةُ أحواتٍ، فأكلوا منها حتّى شبعوا. قاله ابن عبّاس. وفي حديثٍ: «أُنزِلَتِ المائدةُ منَ السَّماءِ خُبزًا ولَحمًا، فأُمِرُوا ألاّ يَخُونُوا ولا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فخانُوا وادَّخَرُوا ورَفَعوا، فمُسِخُوا قِرَدةً وخَنازِيرَ».

١١٦ ـ ١١٧ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ﴾ أي: يقول ﴿اللهُ﴾ لعيسى في القِيامة توبيخًا لقومه: ﴿يا عِيسَى بنَ مريَمَ، أأنتَ قُلتَ لِلنّاسِ: اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلـٰهَين مِن دُونِ اللهِ؟ قالَ﴾ عيسى، وقد أُرعِدَ: ﴿سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك من الشريك وغيره! ﴿ما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أن أقُولَ ما لَيسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبرُ «ليس»، ولي: للتبيين. ﴿إن كُنتُ قُلتُهُ فقَد عَلِمتَهُ. تَعلَمُ ما﴾ أُخفيه ﴿في نَفسِي، ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ﴾ أي: ما تُخفيه من معلوماتك. ﴿إنَّكَ أنتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ. ما قُلتُ لَهُم إلاّ ما أمَرتَني بِهِ﴾ ـ وهو ﴿أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم ـ وكُنتُ عَلَيهِم شَهِيدًا﴾:..........

قولُه: (قِرَدَة) أي: شبَّانهم (وخَنَازِيرَ) أي: شيوخَهُم.

قولُه: (أي: يَقُول) فهو على طريقَةِ: ﴿نَادَى أصحَابُ الجنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] من أنَّه عبَّر عن المستقبلِ بالماضِي لتحقُّقِ وقُوعِه، وقالَ السُّدِّيُّ وغيرُه(١): كان هذا القَولُ من اللهِ حين رفعَ عيسَى إليه، وقالت النَّصارَى ما قالت، واختارَه الطَّبرِيُّ(٢).

قولُه: (تَنزِيهاً) أي: أنزِّهُكَ.

قولُه: (خَبرَ لَيسَ) أي: قَولاً ليس بحقٍّ.

قولُه: (للتَّبيِينِ) يعنِي: لا يتعلَّقُ بحقٍّ فإنَّ تقدِيمَ صلَةِ الجارِ على المجرورِ ممتَنِعٌ.

قولُه: (أُخفِيه) كما أعلِنُهُ.

وقولُه: (﴿في نَفسِكَ﴾) للمُشاكلَةِ إن كانَ من النَّفسِ ـ بفتحِ الفاء ـ وقيل: المرادُ بالنَّفسِ الذَّاتُ، من النَّفاسَة، ومنه حديثُ: «أنتَ كما أثنَيتَ على نفسِكَ»(٣)، من غيرِ مشاكلَةٍ ولا مقابَلَةٍ.

قولُه: (وهوَ) إشارةٌ إلى أنَّهُ خبرٌ مضمَرٌ، وقيل: منصوبٌ بتقديرِ: أعنِي، والأشهرُ: أنَّه عطفُ بيانٍ للضَّميرِ في ﴿بِهِ﴾، وفي أمَرْتَ معنَى القَولِ، وليسَ تفسيراً لما في قولِهِ: ﴿ما أمرتَنِي﴾؛ لأنَّهُ مفعُولٌ لصريحِ القولِ، ولا يقالُ: ما قلت لهم إلَّا العبادَةَ، وعلى الوجوهِ ﴿أنْ﴾ مصدرِيَّةٌ، وهي مختصَّةٌ بما في معنَى القولِ،..........

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٠٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٣٠٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٣٦).

(٣) رواه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣)، والنسائي (١٦٩)، وابن ماجه (٣٨٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رقيبًا أمنعهم ممّا يقولون، ﴿ما دُمتُ فِيهِم، فلَمّا تَوَفَّيتَنِي﴾: قبضتَني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم﴾: الحفيظَ لأعمالهم. ﴿وأنتَ علَى كُلِّ شَيءٍ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغيرِ ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾: مطّلع عالم به. ١١٨ ـ ﴿إن تُعَذِّبْهُم﴾ أي: مَن أقام على الكفر منهم ﴿فإنَّهُم عِبادُكَ﴾، وأنت مالكهم تتصرّف فيهم كيف شئتَ؟ لا اعتراض عليك، ﴿وإن تَغفِرْ لَهُم﴾ أي: لمَن آمن منهم ﴿فإنَّكَ أنتَ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

١١٩ ـ ﴿قالَ اللهُ: هذا﴾ أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ يَنفَعُ الصّادِقِينَ﴾ في الدُّنيا كعِيسَى ﴿صِدقُهُم﴾ لأنه يوم الجزاء..

ولا يجوزُ أن تكُونَ مفسِّرَةً للأمرِ؛ لأنَّ الأمرَ مُسنَدٌ إلى اللهِ، وهو لا يقولُ: اعبُدوا اللهَ ربِّي وربَّكُم.

قولُه: (رَقِيباً) أو مُشاهِدًا لأحوالِهِم من كُفرٍ أو إيمانٍ.

قولُه: (لأعمَالِهِم) المراقِبَ لأحوالِهِم.

قولُه: (وأَنتَ مالِكهُم) أو إن تعذِّبهُم فإنَّهُم عبادُكَ ولا اعتراضَ على المالكِ المطلَقِ فيما يفعَلُ بملكِهِ في ملكِهِ، وفيه تنبيهٌ على أنَّهُم استحقُّوا ذلك لأنَّهُم عبادُكَ وقد عبَدوا غيرَك.

قولُه: (لمَنْ آمَنَ) أو: وإن تغفِر لهم مع كُفرِهِم فلا عجزَ ولا استقباحَ، فإنَّكَ القادِرُ القويُّ على الثَّوابِ والعقابِ الَّذي لا تثيبُ ولا تعاقِبُ إلَّا عن حكمَةٍ وصوابٍ، فإنَّ المغفرَةَ مستحسَنَةٌ لكلِّ مجرِمٍ فإن عذَّبتَ فعَدلٌ، وإن غفَرتَ ففضلٌ، وعدَمُ غُفرانِ الشِّركَ مُقتَضى الوعيدِ، فلا امتناعَ فيه لذاتِهِ ليمنَعَ التَّرديدَ والتَّعليقَ بـ﴿إنْ﴾، ومسألَةُ الكلامِ أنَّ غفرَانَ الشِّركِ جائزٌ عندنا بحسَبِ العَقلِ على خِلافٍ فيه لأربابِ النَّقلِ[1].

قولُه: (أيْ: يَومُ القِيَامَة ﴿يَوْمُ﴾) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿يَومُ﴾ مرفُوعٌ خبرُ ﴿هذا﴾ على قراءةِ الجمهُورِ، وقرأَ نافعٌ بالنَّصبِ[2] على أنَّهُ ظرفٌ لـ﴿قالَ﴾، وخبرُ ﴿هذا﴾ محذوفٌ، أو ظرفٌ مستَقَرٌّ وقعَ خَبراً، والمعنَى: هذا الَّذي من كَلامِ عيسى واقِعٌ يومَ ينفَعُ.

قولُه: (في الدُّنيَا) يعني: المرادُ بالصِّدقِ الصِّدقُ في الدُّنيا، فإنَّ النَّافعَ ما كانَ حالَ التَّكليفِ، وبيانُ النَّفعِ ﴿لهم جنَّات... ﴾ إلخ.

---

(١) وانظر: «فتاوى الرملي» (٤/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٨٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٨٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٢).

﴿لَهُم جَنَّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه ـ ﴿ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ ـ ولا ينفع الكاذبين في الدُّنيا صِدقهم فيه كالكفّار لمّا يؤمنون عند رُؤية العذاب.

١٢٠ ـ ﴿لِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وما فِيهِنَّ﴾ ـ أتى بـ «ما» تغليبًا لغير العاقل ـ ﴿وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه إثابةُ الصادق وتعذيبُ الكاذب. وخَصَّ العقلُ ذاتَه، فليس عليها بقادر.

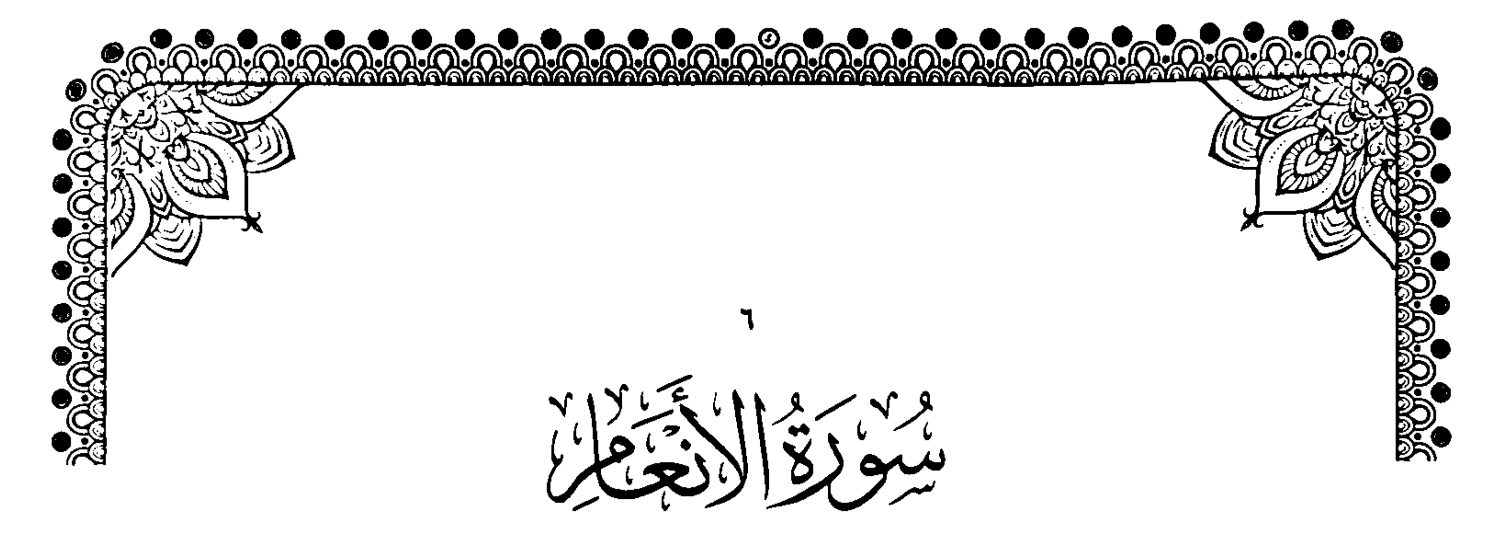
قولُه: (صِدقُهُم فيهِ) أي: في يومِ الجزاءِ.

قولُه: (لَمَّا يُؤمِنُون) مشدَّدٌ، أو مخفَّفٌ مكسورَ اللَّامِ.

قولُه: (لغَيرِ العَاقِلِ) نظَراً للأكثَرِ، أو لأنَّ ما يطلَقُ متناوِلاً للأجناسِ كُلِّها، فهو أولَى بإرادةِ العمومِ.

قولُه: (ذَاتَهُ) وسائرَ المحالاتِ، كشَريكِ البارِي، وكحَياةِ شيءٍ وموتِهِ في آنٍ واحِدٍ، إذْ لا تتعلَّقُ القُدرَةُ والمشيئَةُ بها، ولا يقالُ أدَباً: إنَّهُ ليسَ بقادِرٍ عليها، واللهُ أعلمُ.

* * *



مكيّة إلاّ «وما قدروا الله حقّ قدره» الآياتِ الثلاث وإلاّ «قل تعالَوا» الآياتِ الثلاث، مِائَةٌ وخمسٌ أو ستٌّ وستّون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الحَمدُ﴾، وهو الوصف بالجميل، ثابتٌ ﴿لِلهِ﴾ ـ وهل المُراد الإِعلام بذلك للإِيمانِ به أو الثناءِ به أو هما؟...

سورة الأنعام

قولُه: (وهوَ الوَصفُ) أي: الثَّناءُ، وإنَّما لم يَقُل: باللِّسانِ؛ لأنَّ الثَّناءَ لا يكونُ إلَّا به، أو ليشمَلَ حمدَهُ تعالى، وإطلاقُهُ أفادَ أنَّهُ سؤالٌ كان لمقابلَةِ نعمَةٍ أو غيرِها، والشُّكرُ مورِدُهُ عامٌّ إذ يكُونُ باللِّسانِ والجنانِ والأركانِ ومتعَلَّقهُ خاصٌّ، فإنَّهُ لا يكونُ إلَّا في مقابلَةِ النِّعمَةِ.

وقولُه: (بالجَمِيلِ) أي: الاختيارِيِّ على جهةِ التَّبجيلِ، والمدحُ يعُمُّ الاختيارِيَّ وغيرَهُ، وقيل: الثَّلاثَةُ مترادِفَةٌ.

قولُه: (ثَابِتٌ) أي: مستحَقٌّ لهُ حُمِدَ أو لم يُحمَد، واللَّامُ للاستغراقِ أو للجنسِ، ولامُ (لله) للخُصوصِ فلا فردَ لغيرِهِ حقيقَةً.

قولُه: (الإِعلامُ) أي: الإخبارُ.

قولُه: (للإِيمَانِ) أو للأمرِ به.

قولُه: (أَو الثَّنَاء) فيكونُ إنشاءً.

قولُه: (أَو هُمَا) أي: إخبارٌ لفظاً أريدَ به الإنشاءُ معنًى.

احتمالاتٌ أفيَدُها الثالثُ. قاله الشيخ في سورة «الكهف» ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ﴾، خصّهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين، ﴿وجَعَلَ﴾: خلق ﴿الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾ أي: كُلَّ ظُلمة ونور ـ وجَمَعَها دونه لكثرة أسبابها. وهذا من دلائل وحدانيّته ـ ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ﴾: يُسَوُّون غيرَه في العِبادة.

قولُه: (احتِمَالاتٌ أفيَدُهَا الثَّالِثُ) أي: أكثرُها فائدَةً إذ تفيدُ فائدتَين.

قولُه: (قالَهُ الشَّيخُ) أي: قال هذا القَولَ كلَّهُ الجلالُ المحلِّي.

قولُه: (خَصَّهُما بالذِّكرِ) وقالَ الكافيجِيُّ: أي خلقَ كُلَّ شيءٍ، فالمرادُ بهما: العلويَّاتُ والسُّفليَّاتُ فتشملُ المخلوقاتِ، وجمعَ السَّمواتِ دون الأرضِ وهي مثلهُنَّ؛ لأنَّ طبقاتِها مختلفَةٌ بالذَّاتِ، متفاوتَةُ الآثارِ والحركاتِ، أو لعظَمِها، وقدَّمَها لشرَفِها وعلُوِّ مكانِها وتقدُّمِ وجُودِها.

قولُه: (خَلَقَ) أشارَ إلى أنَّ ﴿جَعلَ﴾ بمعنَى أنشأَ وأحدَثَ، فلا يتعدَّى إلَّا إلى مفعُولٍ واحِدٍ، وإمَّا بمعنَى صيَّرَ فمتعَدٍّ إلى مفعُولينِ، ففيه تفنُّنُ العبارَةِ ردٌّ على الثَّنويَّةِ.

قولُه: (أي: كُلَّ ظُلمَةٍ ونُورٍ) فيشملانِ ظلمةَ الضَّلالِ ونورَ الهُدَى.

قولُه: (لكَثرَةِ أسبَابِهَا) فإنَّ لكُلِّ جِرمٍ ظلمَةً، وليس لكُلِّ جِرمٍ نورٌ، والهُدَى واحدٌ والضَّلالُ متعدِّدٌ وتقدِيمُها لتقدُّمِ الإعدامِ على الملكاتِ، وفي الحديثِ: «إنَّ اللهَ خلقَ الخَلقَ في ظُلمَةٍ ثمَّ رَشَّ عَليهِم مِن نُورِهِ، فمَن أصابَهُ مِن ذلِكَ النُّورِ اهتَدَى، ومَن أخطَأَهُ ضَلَّ» رواهُ الإمامُ أحمدُ وغيرُه[1].

قولُه: (وحدَانِيَّتِهِ) لأنَّ ما سواهُ تحتَ ذُلِّ مخلُوقيَّتِهِ وعزِّ عبودِيَّتِهِ.

قولُه: (معَ قيَامِ) إشارَةٌ إلى أنَّ معنَى ﴿ثمَّ﴾ استبعادُ عُدولِهِم بعد هذا البيانِ، وفي «البحرِ»[2]: أنَّ ﴿ثمَّ﴾ لم يُوضَع للاستبعادِ بل الاستبعادُ مفهُومٌ من سياقِ الكلامِ بل ﴿ثمَّ﴾ هنا للمُهلَةِ الزَّمانيَّةِ.

قولُه: (يسَوُّونَ غَيرَه) أشارَ إلى أنَّ الباءَ متعلِّقةٌ بـ﴿يَعدِلُون﴾ وهو منَ العدلِ والمفعولُ محذوفٌ، وقيل: صلَةُ ﴿يعدلُونَ﴾ محذوفَةٌ، والباءُ متعلِّقةٌ بـ﴿كَفَرُوا﴾؛ أي: يعدلونَ عنه، وهو منَ العُدولِ، وقيل: الباء بمعنَى عن متعلِّقةٌ بـ﴿يعدِلُونَ﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٦٦٤٤)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٤٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٩)، من حديث عبد الله بن عمرو.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٤٣٠).

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدمَ منه، ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ لكم تموتون عِند انتهائه، ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾: مضروبٌ ﴿عِندَهُ﴾ لبعثكم، ﴿ثُمَّ أنتم﴾ - أيُّها الكُفّار - ﴿تمترُونَ﴾: تشكُّون في البعث بعد عِلمكم أنه ابتدأ خلقَكم - ومن قَدَرَ على الابتداء فهو على الإعادة أقدرُ - ٣ - ﴿وهُوَ اللهُ﴾: مُستحقٌّ للعبادة ﴿في السَّماواتِ وفي الأرضِ، يَعلَمُ سِرَّكُم وجَهرَكُم﴾: ما تُسرُّونه، وما تجهرون به بينكم، ﴿ويَعلَمُ ما تكسِبُونَ﴾: تعملون من خير وشرّ.

قولُه: (بخَلقِ أبِيكُم) يعني: ابتداءَ خلقِكُم منه، فإنَّه المادَّةُ الأُولَى، وأنَّ آدمَ الَّذي هو أصلُ البشرِ خُلِقَ منه أو خلقَ أباكُم فحُذِفَ المضافُ.

قولُه: (مضرُوبٌ) معيَّنٌ ومعنيٌّ عنده لا يعلمُه إلَّا هو.

قولُه: (لِبَعثِكُم) فالأوَّلُ: أجلُ الموتِ، والثَّاني: أجلُ القيامةِ، كذا فسَّرهُ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُ واحدٍ من السَّلفِ[1]، وقال الحسنُ[2]: الأوَّلُ ما بين الخلقِ والموتِ؛ أي: مدَّةُ العمرِ، والثَّاني: ما بين الموتِ والبعثِ؛ أي: مدَّةُ البرزخِ، فإنَّ الأجلَ كما يطلقُ لآخرِ المدَّةِ كما في القولِ الأوَّلِ يطلقُ لجُملتِها، وقيل: الأوَّلُ: النومُ، والثَّاني: الموتُ، وقيل: الأوَّلُ لمن مضَى، والثَّاني: لمن بقيَ ولمن يأتِي، أو المرادُ من ﴿أَجَلاً﴾: مدَّةُ الدُّنيا ومن ﴿أجلٌ مُسَمًّى﴾ عمرُ الإنسانِ وهذه روايةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ[3].

قولُه: (أَقدَرُ) أي: عادةً، أو على زعمكُم.

قولُه: (مستَحِقٌّ للعِبَادَة) فيه إشارةٌ دقيقَةٌ وهي أنَّ الضَّميرَ في هو إلى الله و﴿الله﴾ خبرُه، والجارُ متعلِّقٌ باسمِ الله باعتبارِ المعنَى الوصفيِّ وهو مقوليَّةُ هذا الاسمِ عليه خاصَّةً، والمعنى: هو المستحِقُّ للعبادَةِ أو موصوفٌ بصفاتِ الكمالِ فيهما لا غير كقولِه: ﴿وهوَ الذي في السَّماءِ إلَهٌ وَفي الأَرضِ إلَه﴾ [الزخرف: ٨٤] أي: معبودٌ فيهما ولولا هذا الاعتبارُ لما صحَّ أن يقال: هو اللهُ؛ لأنَّ ﴿هو﴾ راجعٌ إلى اللهِ ولا يصحُّ أن يقال: الله الله، إلَّا باعتبارِ معنًى وصفِيٍّ، ومن أجلِ دفعِ هذه الشُّبهةِ قيل: هو ضميرُ الشَّأنِ، وقيل: راجعٌ إلى الَّذي خلقَ، والجارُّ متعلِّقٌ بقوله: ﴿يَعلَمُ﴾ والجملةُ خبرٌ ثانٍ أو حالٌ.

قولُه: (مِن خَيرٍ وشَرٍّ) فيثيبُ عليه ويعاقبُ، قال البيضاويُّ[4]: ولعلَّهُ أُريدَ بالسِّرِّ والجهرِ ما يخفَى ويظهرُ من أحوالِ الأنفُسِ وبالمكتسَبِ أعمالُ الجوارِحِ فلا تكرارَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٠٦٣) مجاهد وعكرمة، ورقم (١٣٠٦٦) عن ابن عباس، ورقم (١٣٠٦٧) عن السدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٠٥٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٠٩٠) (٧٠٩٧) عن ابن عباس، ورقم (٧٠٩٢) عن مجاهد.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٥٤).

٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿وما تأتيهم﴾ أي: أهلَ مكةَ ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿آيةٍ مِن آياتِ ربِّهم﴾ من القُرآن ﴿إلاّ كانُوا عَنها مُعرِضِينَ. فقَد كذَّبُوا بِالحَقِّ﴾: بالقُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم، فسَوفَ يأتِيهِم أنباءُ﴾: عواقبُ ﴿ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ. ألَم يَرَوا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَم﴾: خبريّة بمعنى كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ﴾: أُمّةٍ من الأُمم الماضية؟ ﴿مَكّنّاهُم﴾: أعطَيناهم مكانًا ﴿في الأرضِ﴾ بالقُوّة والسَّعةِ ﴿ما لَم نُمَكِّنْ﴾: نُعطِ ﴿لكُم﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿وأرسَلْنا السَّماءَ﴾: المطرَ ﴿عَلَيهِم مِدرارًا﴾: مُتتابعًا،.........

قولُه: (زائدَةٌ) للاستغراقِ، والثَّانيَة: للتَّبعيضِ، والآيةُ الواحدَة وإن استغرقَتْ في حكمِ النَّفيِ فهي بعضُ الآياتِ؛ أي: ما يظهرُ لهم دليلٌ قطُّ على وحدانيَّتِهِ، وصِدقِ رُسُلِه من الأدلَّةِ العقليَّةِ والآفاقيَّةِ والأنفُسيَّةِ، أو معجزَةٌ من المعجزاتِ أو آيةٌ من آياتِ القرآنِ، فالمعنى الأعمُّ أتمُّ.

قولُه: (منَ القُرآنِ) واستهزَؤوا به.

وقولُه تعَالى: (﴿إلا كَانُوا عنهَا﴾) أي: التَّأمُّلِ والتَّفكُّرِ فيها معرضينَ غيرَ ملتفتِينَ إليه.

قولُه: (عَوَاقِب) أي: سيظهَرُ لهم عند نزولِ العذابِ بهم في الدُّنيا والآخرَة، أو عند ظُهورِ الإسلامِ.

قولُه: (في أسفَارِهِم) فالرُّؤيَةُ بصريَّةٌ؛ يعني: آثارَ هلاكِهِم، والأظهرُ: أنَّها عِلميَّةٌ.

قولُه: (خبرِيَّةٌ) مميِّزُها قُرِنَ بزيادةِ ﴿مِن﴾.

قولُه: (أُمَّة) في «البَحر»[1]: القَرنُ: الأمَّةُ المقترنَةُ في مُدَّةٍ من الزَّمانِ، ومدَّةُ القرنِ مئةٌ عند الأكثرِينَ، ويدلُّ عليه أنَّه ﷺ قالَ في شأنِ صحابيٍّ: أن يعيشَ قرناً فعاشَ مئةً[2].

قولُه: (أعطَيناهُم) أو جعلنَا لهم.

قولُه: (والسَّعَةِ) وطُولِ المقامِ.

قولُه: (فيهِ التِفَاتٌ) والخطابُ لأهلِ مكَّةَ.

قولُه: (المطَرَ) أو السَّحابَ، أو المظلَّةَ، فإنَّ مبدأَ المطرِ منها.

قولُه: (مُتَتَابِعاً) أو كثيرَ الدَّرِّ؛ أي: الصَّبِّ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٤٢٦).

(٢) رواه الحارث في «مسنده» (١٠٣٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٨٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠١٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٠٣) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

﴿وجَعَلْنا الأنهارَ تَجرِي مِن تحتِهِم﴾: تحتِ مساكنهم، ﴿فأهلَكْناهُم بِذُنُوبِهِم﴾: بتكذيبهم الأنبياءَ، ﴿وأنشأنا مِن بَعدِهِم قَرنًا آخَرِينَ﴾.

٧ ـ ﴿ولَو نَزَّلْنا عَلَيكَ كِتابًا﴾ مكتوبًا ﴿في قِرطاسٍ﴾: رَقٍّ كما اقترحوه، ﴿فلَمَسُوهُ بأيدِيهِم﴾ ـ أبلغُ من «عاينوه» لأنه أنفَى للشكّ ـ ﴿لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ﴾ ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾، تعنّتًا وعِنادًا. ٨ ـ ﴿وقالُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿مَلَكٌ﴾ يُصدّقُه. ﴿ولَو أنزَلْنا مَلَكًا﴾ كما اقترحوه، فلم يُؤمنوا، ﴿لَقُضِيَ الأمرُ﴾ بهلاكهم، ﴿ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو مَعذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عِند وجود مُقترحهم إذا لم يؤمنوا، ٩ ـ ﴿ولَو جَعَلْناهُ﴾ أي: المُنزَلَ إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْناهُ﴾ أي: المَلَكَ ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته، ليتمكّنوا من رُؤيته، إذ لا قوّة للبشر على رُؤية المَلَك، ﴿و﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجُلاً ﴿لَلَبَسْنا﴾ شبَّهْنا ﴿عَلَيهِم ما يَلبِسُونَ﴾ على أنفسهم بأن يقولوا: ما هذا إلاّ بشر مِثلُكم.

قالَ تعَالى: (﴿فأَهلَكناهُم﴾) بالعذابِ من القَحطِ والصَّواعِقِ وغيرِهما.

قولُه: (رَقٍّ) وهو الجلدُ الذي يكتَبُ فيه، وفي نسخةٍ: «وَرَق».

قولُه: (وعِنَاداً) قيل: نزلَتْ حين قَالُوا[1]: لن نؤمنَ لك حتَّى تأتينا بكتابٍ من عندِ اللهِ ومعه أربعةٌ من الملائكةِ يشهدُونَ أنَّه من عندِ اللهِ، فعلى هذا (الواو) في ﴿وقالُوا﴾ للعطفِ على ﴿لقَالَ﴾.

قولُه: (كَما اقترَحُوا) بحيثُ عاينُوهُ.

قولُه: (بهَلاكِهِم) أو أمرِ إهلاكِهِم[2]؛ أي: لحق إهلاكُهُم، وقيل: معناهُ لماتُوا من هولِ رؤيةِ الملَكِ في صُورتِهِ.

قولُه: (يُمهَلُون) بعدَ نزولِه طرفَةَ عَينٍ.

قولُه: (أي: المُنزَّلَ إليهِم) أو المنزَّلَ على محمَّدٍ.

قولُه: (على صُورَتِهِ) كما مُثِّلَ جبريلُ في صُورَةِ دحيَةَ[3].

قولُه: (إذْ لا قُوَّةَ للبَشَرِ) وإنَّما رآهُم كذلك الأفرادُ من الأنبياءِ بقوَّتِهِم القدسيَّةِ.

قولُه: (لَو أَنزَلنَاهُ) يعني: ﴿للبسنَا﴾ جوابُ شرطٍ محذوفٍ، وهو غيرُ محتاجٍ إليه.

قولُه: (شَبَّهنَا) وخَلَطنا.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١٤).

(٢) «أو أمر إهلاكهم»: ليست في (ص).

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١)، والبزار في «مسنده» (٢٦٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٠) (٤٢٣) من حديث أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

١٠ ـ ﴿ولقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ﴾ ـ فيه تسلية للنبيّ ـ ﴿فحاقَ﴾: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾، وهو العذاب. فكذا يَحيق بمن استهزأ بكَ. ١١ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا في الأرضِ، ثُمَّ انظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبينَ﴾ الرُّسلَ من هلاكهم بالعذاب؟ ليعتبروا.

١٢ ـ ﴿قُلْ: لِمَن ما في السَّماواتِ والأرضِ؟ قُلْ: للهِ﴾، إن لم يقولوه لا جواب غيرُه. ﴿كَتَبَ﴾: قضى ﴿علَى نَفسِهِ الرَّحمَةَ﴾ فضلاً منه. وفيه تلطُّف في دعائهم إلى الإيمان ـ ﴿لَيَجمَعَنَّكُم إلَى يَومِ القِيامةِ﴾ لِيُجازيَكم بأعمالكم، ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ. الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾ بتعريضها للعذاب: مبتدأ خبرُه ﴿فهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ ـ ١٣ ـ ﴿ولَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ما سَكَنَ﴾:.........

قولُه: (تَسلِيَةٌ) على ما كانَ يَرَى من قومِهِ وتهديدٍ لأعدائِهِ.

قولُه: (نَزَلَ) أو أحاطَ بهم الذي كانُوا يستهزِؤُونَ به حيثُ أهلِكوا لأجلِه.

قال تعالى: (﴿مِنهُم﴾) أي: من الرُّسلِ؛ لأنَّ سَخِرَ يستعملُ بمن، والمرادُ من ﴿الَّذينَ سخِرُوا﴾: الكفَّار.

قولُه: (وهوَ العَذاب) أي: وَبالُ استهزائِهم.

قولُه: (﴿قُل﴾ لَهُم) يا محمَّدُ، والسَّيرُ: إمَّا بالأقدامِ وإمَّا بالعقلِ والفكرِ.

قولُه: (ليعتَبِرُوا) يحتملُ الخطابَ والغيبَةَ.

قولُه: (لا جَوابَ) وهو سؤالُ تبكِيتٍ.

قولُه: (غَيرُهُ) تقريرٌ له وتنبيهٌ على أنَّه المتعيَّنُ للجوابِ بالاتِّفاقِ بحيثُ لا يمكنُهُم أن يذكُروا غيرَهُ، وهو في غايَةٍ من الظُّهورِ بحيثُ لا يقدِرُ أحدٌ أن ينكرَهُ.

قولُه: (قَضَى) أو التزَمَها تفضُّلاً وإحساناً فمن أقبلَ إليه معَ عظَمِ ذنبِهِ قبلَهُ، والمرادُ بالرَّحمةِ: ما يعُمُّ الدَّارينِ، ومن ذلك الهدايةُ إلى معرفتِهِ والعلمُ بتوحيدِهِ بنصبِ الأدلَّةِ وإنزالِ الكتُبِ والإمهالُ على الكُفرِ.

قالَ تعَالى: (﴿لَيَجمَعنَّكُم﴾) استئنافٌ وقسَمٌ للوعيدِ على إشراكِهم وإغفالِهم النَّظرَ؛ أي: ليجمعَنَّكُم في القبُورِ مبعوثينَ إلى يومِ القيامَةِ، أو في يومِ القيامَةِ، أو ﴿إلى﴾ بمعنَى: مع.

قولُه: (شَكَّ) في اليومِ أو الجمعِ.

قولُه: (بتعرِيضِهَا) أو بتضييعِ رأسِ مالِهِم وهو الفطرَةُ الأصليَّةُ والعقلُ السَّليمُ.

قولُه: (مُبتَدَأ) أو نصبٌ على الذَّمِّ.

قولُه تعَالى: (﴿ولَهُ﴾) عطفٌ على ﴿اللهِ﴾.

حلَّ ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كُلُّ شيء، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يُفعل.

١٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبدُه، ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُبدعِهما، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾: يَرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾: يُرزَق؟ لا. ﴿قُلْ: إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من هذه الأُمّة. وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به. ١٥ ـ ﴿قُلْ: إِنِّي أَخَافُ، إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القِيامة، ١٦ ـ ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ ـ بالبناء للمفعولِ أيِ: العذابُ، وللفاعلِ....

قولُه: (حَلَّ) فسكَنَ من السُّكنَى، والمعنى: ما اشتَمَلا عليه، ويمكنُ أن يكُونَ من السُّكونِ؛ أي: ما سكنَ فيهما وتحرَّكَ فاكتَفى بأحدِ الضِّدَّينِ.

قولُه: (أَعبُدُه) ونُصِبَ ﴿غَيْرَ﴾ على أنّه مفعولٌ أوَّلُ لـ﴿أَتَّخِذُ﴾ والتَّقدِيمُ لأنَّ الإنكارَ في اتِّخاذِ غيرِ اللهِ وليًّا لا في اتِّخاذِ الوليِّ، والمرادُ بالوليِّ: المعبودُ؛ لأنَّه ردٌّ لمن دعاهُ إلى الشِّركِ.

قولُه: (مُبدِعهِمَا) عن ابنِ عبَّاسٍ[1]: ما عرَفتُ معنَى الفاطِرِ حتَّى أتاني أعرابيَّانِ يختصِمانِ في بئرٍ فقالَ أحدُهُما: أنا فطَرتُها؛ أي: ابتدَأتُها، وجرُّهُ على الصِّفةِ للهِ فإنَّه بمعنى الماضِي، ولذلك قرئَ (فَطَرَ) فالإضافةُ معنويَّةٌ فيكونُ معرفَةً، فجازَ أن يكون صفَةً لمعرفَةٍ، وقيل: بدَلٌ منه، وقرئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ على المدحِ.

قولُه: (يرزُقُ) وتخصيصُ الطَّعامِ لشدَّةِ الحاجةِ، إذ لا أحدَ إلَّا ويحتاجُ إليه وهو غيرُ مُحتاجٍ إلى أحَدٍ، وحاصلُه أنَّهُ ليسَ المعنى على خصُوصِ الطَّعمِ بل لمطلقِ النَّفعِ، فعبَّرَ عن كلِّ شيءٍ بمعظمِهِ.

قولُه: (لا) إشارةٌ إلى أنَّ الاستفهامَ بمعنَى النَّفيِ؛ أي: لا أتَّخذُ غيرَ اللهِ ربًّا وهو معبودٌ.

قولُه: (من هذِهِ الأُمَّة) لأنَّ النبيَّ سابقُ أمَّتِهِ في الدِّينِ.

قولُه: (﴿وَ﴾ قِيلَ لِي) عطفٌ على ﴿أُمِرْتُ﴾ بحذفِ قيل لا على ﴿أَكُونَ﴾، ويجوزُ عطفُهُ على ﴿قُلْ﴾ وهو الظَّاهرُ، والخطابُ له والمرادُ: أمَّتهُ، أو للمُبالغَةِ في التَّثبيتِ.

قولُه: (بعِبَادَةِ غَيرِه) أي: على الفرضِ والتَّقديرِ، والشَّرطُ معترضٌ، وجوابُه محذوفٌ دلَّ عليه ﴿أَخَافُ﴾.

قولُه: (ولِلفَاعِلِ) شعبةُ وحمزةُ والكِسائيُّ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣١١١)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٧٣).

قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٦٠٢): أخرجه أبو عبيد بإسناد حسن.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٨٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩١)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٣).

أي: اللهُ، والعائدُ محذوف ـ ﴿عَنهُ يَومَئِذٍ فقَد رَحِمَهُ﴾ تعالى، أي: أراد له الخير. ﴿وذلِكَ الفَوزُ المُبِينُ﴾: النجاة الظاهرة.

١٧ ـ ﴿وإن يَمسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾: بَلاءٍ كمرض وفقر ﴿فلا كاشِفَ﴾: رافعَ ﴿لَهُ إلاّ هُوَ، وإن يَمسَسْكَ بِخَيرٍ﴾ كصحّةٍ وغِنًى ﴿فهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه مَسُّكَ به، ولا يقدِر على ردِّه عنك غيرُه، ١٨ ـ ﴿وهُوَ القاهِرُ﴾: القادر الذي لا يُعجزه شيء مُستعليًا ﴿فَوقَ عِبادِهِ، وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الخَبِيرُ﴾ ببواطنهم كظواهرهم.

ونزل لمّا قالوا للنبيّ: «ائتِنا بمَن يَشهدُ لكَ بالنبوّة، فإنّ أهل الكِتاب أنكرُوكَ»: ١٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم:

قولُه: (والعَائِدُ) أي: الضَّميرُ الرَّاجعُ إلى العذابِ الذي هو مفعولٌ به، والمقامُ يقتَضِي الإضمارَ، أو يومئذٍ بحذفِ المضافِ؛ أي: عَذابهُ.

قولُه: (أي: أَرَادَ لَهُ الخَيرَ) فهي صفَةٌ ذاتيَّةٌ، وقالَ القاضِي[1]: نجّاهُ وأنعمَ عليه، فهي صفةٌ فعليَّةٌ، وعلى كلٍّ فهو إشارةٌ إلى أنَّ المرادَ بالرَّحمةِ أثرُها وغايتُها؛ لأنَّ معناها رقَّةُ القلبِ وهي مُحالٌ على اللهِ تعالى.

وقولُه تعالَى: (﴿وذلكَ﴾) أي: الصَّرفُ أو الرَّحمَةُ.

قولُه: (بَلاءٍ) أي: بليَّةٍ.

قولُه: (رَافِعَ) أي: قادِرَ على كشفِهِ ورفعِهِ.

قولُه: (كصِحَّةٍ) حقُّ المقابلَةِ أن يقولَ: بنعمَةٍ كصحَّةٍ.

قولُه: (ومِنهُ مسُّكَ بهِ) أي: بالخيرِ.

قولُه: (ولا يَقدِرُ على رَدِّه) كقولِه تعَالى: ﴿فَلا رَادَّ لِفَضلِه﴾ [يونس: ١٠٧].

قولُه: (مُستَعلِياً) أي: قهرَهم واستَعلى عليهم، فهم تحتَ تسخيرِهِ فلا يلزَمُ الجهَةُ، تعَالى اللهُ عن ذلك عُلوًّا كبيراً، أو المرادُ: مستَعلياً بالغلبَةِ والقُدرَةِ كقولِه: ﴿وإنَّا فَوقَهُم قَاهِرُون﴾ [الأعراف: ١٢٧]، والمعنَى: هو الغالبُ على عبادِهِ المنفرِدُ بتدبيرِهِم، وقيل: قهرَهُم على الإيجادِ والبقاءِ كما قهرَهُم على الموتِ والفناءِ، وهذا مذهَبُ الخَلفِ، وأمَّا على مذهَبِ السَّلفِ، فالمرادُ: استعلاءً يليقُ به موكُولاً إلى علمِهِ.

قولُه: (في خَلقِهِ) وأمرِه وتدبيرِه.

قولُه: (ببَواطِنِهم) أي: العبادِ أو الخلقِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٥٦).

﴿أيُّ شَيءٍ أكبَرُ شَهادةً﴾؟ تمييزٌ محوّل عن المبتدأ. ﴿قُلِ: اللهُ﴾. إن لم يقولوه، لا جواب غيرُه. هو ﴿شَهِيدٌ بَيني وبَينَكُم﴾ على صِدقي. ﴿وأُوحِيَ إلَيَّ هذا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم﴾ ـ يا أهل مكّةَ ـ ﴿بِهِ ومَن بَلَغَ﴾: عطفٌ على ضمير «أنذركم»، أي: بلغَهُ القُرآنُ من الإنس والجنّ. ﴿أإنَّكُم لَتَشهَدُونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرَى﴾؟ استفهام إنكار. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لا أشهَدُ﴾ بذلك. ﴿قُلْ: إنَّما هُوَ إلـٰـهٌ واحِدٌ، وإنَّني بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

٢٠ ـ ﴿الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ﴾ أي: مُحمّدًا بنعته في كِتابهم، ﴿كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم، الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾ منهم ﴿فَهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ به،..........................

قولُه: (عنِ المبتَدَأ) أي: شهادَةُ أيِّ شيءٍ أكبرُ.

قولُه: (لا جوَابَ) أي: اللهُ أكبَرُ الأشياءِ وأعظَمُها شهادَةً، فإنَّ أعظميَّةَ شهادَةِ اللهِ لا تنكَرُ ويُعلَمُ منه أنَّ الشَّيءَ قد يطلَقُ على اللهِ أيضاً، يقالُ: شيءٌ لا كالأشياءِ، وأنَّ الشَّيءَ يقعُ على كلِّ موجُودٍ لا على المعدومِ خلافاً للمعتزِلةِ.

قولُه: (هُو ﴿شَهِيدٌ﴾) فيه إشارَةٌ إلى أنَّ اللهَ مبتدأٌ حذفَ خبرُه، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبرُ محذُوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿اللهُ شَهِيد﴾ مبتَدأً وخبرُها هو الجوابُ؛ لأنَّه تعالى إذا كانَ شَهيداً كان أكبرَ شيءٍ شهادةً.

قولُه تعَالى: (﴿بِهِ﴾) أي: بالقُرآنِ واكتَفَى بذكرِ الإنذارِ عن ذِكرِ البشارَةِ؛ لأنَّ المقامَ مقامُهُ.

قولُه: (على ضَميرِ أُنذِرَكُم) أي: ضميرِ المخاطَبينَ، أو المعنَى: لأنذرَكُم به أيُّها الموجودُونَ ومن بلغَهُ إلى يومِ القيامةِ، وهو دليلٌ على أنَّ أحكامَ القُرآنِ تعمُّ الموجودِينَ وقتَ نُزولِهِ ومن بعدَهُم، وأنَّه لا يؤاخَذُ به من لم يبلُغْهُ.

قولُه: (إنكَارٍ) واستبعادٍ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بما تشهدُونَ.

وقولُه: (﴿قُل إنَّما هُوَ﴾) أي: بل أشهَدُ أن لا إله إلَّا هو.

قولُه تعالى: (﴿كَما يَعرِفُونَ أبنَاءَهُم﴾) بحِلاهُم ونعُوتِهِم بل أقوَى، فإنَّهم لا يشكُّونَ في رسالتِهِ فعدَمُ شهادَتِهِم برسالَتِهِ لعنادِهِم.

قولُه: (مِنهُم) من أهلِ الكتابِ والمشرِكِينَ.

قولُه: (بِهِ) أي: بمُحمَّدٍ ﷺ لتضييعِهِم ما به يكتسبُ الإيمانُ كما تقدَّمَ.

٢١ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه، ﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: القُرآنِ؟ ﴿إنَّهُ﴾ أيِ: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك.

٢٢ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا، ثُمَّ نَقولُ لِلَّذِينَ أشرَكُوا﴾ توبيخًا: ﴿أينَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ أنهم شُركاء لله؟ ٢٣ ـ ﴿ثُمَّ لَم تَكُنْ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿فِتنَتَهُم﴾، بالنصب والرفع، أي: معذرتَهم ﴿إلاّ أن قالُوا﴾ أي قولُهم: ﴿واللهِ رَبِّنا﴾ ـ بالجرِّ: نعتٌ، والنصبِ:.........

قولُه: (بِنِسبَةِ الشَّرِيكِ) وكقولِهِم: الملائكة بنات الله و﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنا عِندَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨].

قولُه: (القُرآن) والمعجزاتُ، وإنَّما ذكَّرُوا وهُم قد جمَعوا بين الأمرَينِ تنبيهاً على أنَّ كُلًّا منهما بالغَ غايَةَ الإفراطِ في الظُّلمِ على النَّفسِ؛ أي: لا أظلَمُ ممَّن ذهَبَ إلى أحدِ الأمرَينِ فكيفَ إذا جمعَ بينهما.

قولُه: (بذَلكَ) أي: بما ذُكِرَ من نسبَةِ الشَّرِيكِ وتكذيبِ القُرآنِ فضلاً ممَّن لا أحدَ أظلَمُ.

قولُه: (﴿نَحشُرُهُم﴾) أي: العابدَ والمعبودَ، ويحتمَلُ أن يكونَ ضميرُهُم راجِعًا إلى النَّاسِ كلِّهم، ثمَّ تفرَّدَ بالتَّوبيخِ المشرِكونَ.

وقولُه تعَالى: (﴿أينَ شُرَكَاؤُكُم﴾) أي: آلهتُكُم التي جعلتُموهَا شركاءَ للهِ.

قولُه: (أنَّهم شركَاءُ) أي: تزعمونَهُم شركَاءَ، فحذِفَ المفعولانِ، وقيلَ: تقديرُهُ الَّذين كنتُم تزعُمونَ أنّها تشفَعُ لكم عندَ اللهِ.

قولُه: (واليَاء) التَّذكيرُ حمزَة والكِسائيُّ[١].

قولُه: (والرَّفعِ) مكِّيٌّ وشَامِيٌّ وحَفصٌ على أنَّها الاسم، والباقونَ بالنَّصب على أنَّ الاسمَ ﴿أنْ قَالُوا﴾[٢].

قولُه: (معذِرَتهُم) الَّتي يتوهَّمونَ أن يتخَلَّصوا بها، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ[٣] وقتادَة[٤] أو كُفرُهُم، والمرادُ: عاقبتُهُ، وقيل: جوابُهُم، وإنَّما سمَّاهُ فتنَةً؛ لأنَّه كَذِبٌ، أو لأنَّهُم قصَدوا به الخلاصَ.

قولُه: (والنَّصب) لحمزَة والكِسائيُّ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٨٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧١٧٥)، وذكره البخاري تعليقاً (٦/ ٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣١٣٨).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٩١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٤).

نداءً ـ ﴿ما كُنَّا مُشرِكِينَ﴾. ٢٤ ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿كَيفَ كَذَبُوا علَى أنفُسِهِم﴾ بنفي الشِّرك عنهم، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَـ﴾ ـه على الله من الشركاء؟

٢٥ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَستَمِعُ إلَيكَ﴾ إذا قرأت، ﴿وجَعَلْنا علَى قُلُوبِهِم أكِنَّةً﴾: أغطية لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿يَفقَهُوهُ﴾: يفهموا القُرآن، ﴿وفي آذانِهِم وَقرًا﴾: صَممًا، فلا يسمعونه سماعَ قَبول، ﴿وإن يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها ـ حَتَّى إذا جاؤُوكَ، يُجادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ﴾: ما ﴿هذا﴾ القُرآنُ ﴿إلاّ أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمعُ أسطورة بالضمّ ـ ٢٦ ـ ﴿وهُم يَنهَونَ﴾ الناسَ ﴿عَنهُ﴾ أي: عن اتّباع النبيّ ﷺ،..

وقولُه: (نِدَاء) أو مَدحٌ.

وقولُه تَعَالى: (﴿ما كُنَّا مُشرِكِين﴾) مُكذِّبينَ ويحلفونَ مع علمِهِم بأنَّه لا ينفَعُ من فرطِ الحيرَةِ، فحينئذٍ يختمُ على أفواهِهِم، صرَّحَ به ابنُ عبَّاسٍ[١] وغيرُه.

قولُه: (بنَفيِ الشِّركِ) أي: كذَّبُوا في الآخرَة بنَفيِ شركِهِم في الدُّنيا.

قولُه: (أغطِيَة) جمعُ: كِنانٍ، وهو ما يستُرُ الشَّيءَ.

قولُه: (لِـ﴿أَنْ﴾ لا) أو كراهَةَ أن، أو: عن أن يفقَهوهُ.

قولُه: (صَمَماً) وثِقَلاً، مثَّل نبوَّ قلوبِهِم ومسامِعِهم عن قبولِ القُرآنِ واعتقادِ صحَّتِه بالأكنَّةِ والوَقرِ.

وقولُه تَعَالَى: (﴿وإن يَرَوا كُلَّ آيَة﴾) انتقلَ من عدَمِ نفعِ حاسَّةِ السَّمعِ إلى حاسَّةٍ هي أبلَغُ، والمرادُ: منها رؤيةُ البصرِ.

والآيَةُ: كانشِقاقِ القمَرِ، ونبعِ الماءِ من بين الأصابعِ وغيرِهما، وسيأتي في قولِه تعالى: ﴿ولَو رُدُّوا لَعادُوا لما نُهُو عَنه﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقولُه تعَالى: (﴿لا يُؤمِنُوا بِهَا﴾) أي: لفَرطِ عنادِهِم واستحكامِ التَّقليدِ فيهم.

وقولُه تعَالى: (﴿حتَّى...﴾) إلخ؛ أي: بلَغَ تكذيبُهُم الآياتِ وعنادُهُم إلى أنَّهم إذا جاؤوكَ، و﴿حتَّى﴾ هي التي تقعُ بعدَها الجملُ لا عملَ لها، والجملَةُ ﴿إذا﴾ مع مدخُولِهِ وجوابِه وهو ﴿يقُولُ﴾.

قولُه: (أكَاذِيبُ) أو أباطيلُ، أو أحاديثُ الأممِ السَّابقةِ الَّتي سطَّرُوها في كتُبِهم.

قولُه: (النَّبيِّ) والقُرآنِ، أو عن الإيمانِ، هكذا فسَّرهُ أكثَرُ السَّلفِ منهم ابنُ عبَّاسٍ[٢].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧١٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣١٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٩٨)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣١٦٠).

﴿وَيَنأَونَ﴾: يتباعدون ﴿عَنهُ﴾، فلا يؤمنون به ـ وقيل: نزلتْ في أبي طالب، كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ـ ﴿وإنْ﴾: ما ﴿يُهلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إلاّ أنفُسَهُم﴾ لأنّ ضرره عليهم، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ بذلك.

٢٧ ـ ﴿ولَو تَرى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذْ وُقِفُوا﴾: عُرِضوا ﴿علَى النّارِ، فقالُوا: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَنا نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا، ﴿ولا نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنا، ونَكُونُ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ـ برفعِ الفعلين استئنافًا، ونصبِهما في جواب التمنّي، ورفعِ الأوّل ونصبِ الثاني ـ وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿بَل﴾ ـ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنّي ـ ﴿بَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم ما كانُوا يُخفُونَ مِن قَبلُ﴾:..........

قولُه: (في أبِي طَالِب)[1] وحينئذٍ جمعَ الضَّميرَ مع أنّه أرادَ به المفردَ لاستعظامِ فعلِهِ، ورُوي: أنّها نزلَتْ[2] في عمومَةِ النبيِّ ﷺ وكانُوا عشرَةً، فكانوا أشدَّ النَّاسِ منفعَةً في العلانيَةِ وأشدَّ النَّاسِ عليه في السِّرِّ.

قولُه: (بذلِكَ) بأنَّ ضررَهُم عليهم لا يتعدَّاهُم إلى غيرهم، فالبهائمُ أحسَنُ منهم.

قولُه: (يا محمَّدُ) أي: حسابُهم، أو عقابُهم، فالمفعولُ محذوفٌ.

قولُه: (عُرِضُوا) أو حين عايَنُوا ما فيها من العذابِ، أو دخَلوا فعرَفوا مقدارَ عذابِها.

قولُه: (برَفعِ الفِعلَينِ) الآخرَينِ.

قولُه: (استِئنَافاً) أي: استئنافَ كلامٍ منهم على وجهِ الإثباتِ، كقولِهم: دَعْنِي ولا أعودُ؛ أي: أنا لا أعودُ تَركتَني أو لم تتركني، أو عَطفاً على ﴿نردُّ﴾ فيكونُ المعنَى على تمنِّي مجمُوعِ الأمرَينِ.

قولُه: (ونَصبِهِمَا) حمزةُ وحفصٌ[3].

قولُه: (في جوَابِ التَّمنِّي) بإضمارِ أن بعدَ الواو وإجرائِها مجرَى الفاءِ.

قولُه: (ورَفَعَ الأوَّلَ) على العطفِ ونصبَ الثَّانِي على الجوابِ للشَّامِي[4].

قولُه: (للإضرَابِ) أي: الانتقالِ من شيءٍ إلى شيءٍ من غيرِ إبطالٍ لما سبقَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧١٩٩)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٨٧٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٣٣) (١٢٦٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٨)، وقال الحاكم: حديث صحيح. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٠٤) من قول سعيد بن أبي هلال.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٩٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٥).

(٤) انظر: «معاني القراءات» (١/ ٣٤٨)، «حجة القراءات» (ص: ٢٤٥)، و«المبسوط في القراءات» (ص: ١٩٢).

يكتمون، بقولهم «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، بشهادة جوارحهم، فتمنَّوا ذلك، ﴿ولَو رُدُّوا﴾ إلى الدُّنيا فَرْضًا ﴿لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُ﴾ من الشِّرك، ﴿وإنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي مُنكرو البعث: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إلاّ حَياتُنا الدُّنيا، وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ. ولَو تَرَى إذْ وُقِفُوا﴾: عُرِضوا ﴿علَى رَبِّهِم﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا. ﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿ألَيسَ هذا﴾ البعثُ والحساب ﴿بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى ورَبِّنا﴾ إنه لحق. ﴿قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تكفُرُونَ﴾ به في الدُّنيا.

٣١ ـ ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ﴾: بالبعث. ﴿حَتَّى﴾ ـ غايةٌ للتكذيب ـ ﴿إذا جاءَتهُمُ السّاعةُ﴾: القِيامة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿قالُوا: يا حَسْرتَنا﴾ ـ هي شِدّة التألُّم، ونداؤها مَجاز أي: هذا أوانُكِ فاحضُري ـ ﴿علَى ما فَرَّطْنا﴾: قصّرنا ﴿فِيها﴾ أي: الدُّنيا..............................

قولُه: (يكتُمُونَ) أو يخفونَ من نفاقِهِم، أو قبائحِ أعمالِهِم.

قولُه: (فتَمَنَّوا ذلكَ) ضَجراً لا عَزماً على أنَّهُم لو رُدُّوا لآمَنوا.

قولُه: (فَرْضاً) أي: بعد الوَقفِ والظُّهورِ.

قولُه: (مِن الشِّركِ) والمعاصِي؛ لقضاءِ شقاوتِهِم في الأزلِ.

قولُه: (في وَعدِهِم) قيل: معناهُ: وإنَّهُم قومٌ عادتُهُم الكذِبُ.

قولُه تعَالَى: (وُقِفُوا) على مسألَةِ ربِّهِم، أو توبيخِهِم، مجازٌ عن الحَبسِ للسُّؤالِ، أو التَّوبيخِ، أو وقَفوا على قضاءِ ربِّهِم، أو جزائِهِ، أو عُرِّفوهُ حقَّ التَّعريفِ، فالوقفُ بمعنى: الاطِّلاعِ.

قولُه: (والحِسَاب) وما يَتبَعه من الثَّوابِ والعقابِ.

قولُه: (إنَّهُ لحقٌّ) إقرارٌ مؤكَّدٌ باليمينِ لانجلاءِ الأمرِ غايةَ الانجِلاءِ لكن لا ينفعُهُم.

قولُه: (بِهِ) أي: ببدَلِهِ، أو بسببِ كفرِهِم.

قولُه: (بالبَعثِ) وما يتبَعهُ إذ فاتَهُمُ النَّعيمُ، واستوجَبوا العذابَ المقيمَ.

قولُه: (للتَّكذِيبِ) لا للخُسرانِ؛ لأنَّ خسرانَهُم لا غايَةَ له.

قولُه: (القِيَامَة) ومن ماتَ فقد قامَتْ قيامتُه، فلا يردُ أنَّ تحسُّرَهُم عند موتِهِم وأنَّه غايةٌ للتَّكذيبِ.

قولُه: (فَجأَة) ونصبها على الحالِ بمعنَى باغِتَة، أو المصدَر فإنَّهُ نوعٌ من المجيءِ.

قولُه: (أي الدُّنيَا) أضمِرَت وإن لم يجرِ ذكرُها للعِلمِ بها، أو في السَّاعةِ؛ يعني: في شأنِها والإيمانِ بها.

﴿وهُم يَحمِلُونَ أوزارَهُم علَى ظُهُورِهِم﴾ بأن تأتيَهم عِند البعث على أقبحِ شيء صُورةً وأنتنِه رِيحًا فتركبَهم. ﴿ألا ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَزِرُونَ﴾: يحملونه حِملُهم ذلك!

٣٢ ـ ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿إلاّ لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾، وأمّا الطاعة وما يُعين عليها فمِن أُمور الآخِرة، ﴿ولَلدّارُ الآخِرةُ﴾ ـ وفي قراءةٍ: «ولَدارُ الآخِرةِ» ـ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ لِلّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾، بالياء والتاء، ذلك فيُؤمنون؟

٣٣ ـ ﴿قَد﴾ للتحقيق ﴿نَعلَمُ إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب.......

قولُه: (فتركَبَهُم) وتسوقَهُم إلى النَّارِ، كذا قالهُ السُّديُّ[1]، ورواهُ أبو داودَ[2] مرفُوعاً بهذا المعنى، واللَّفظُ مختلِفٌ فيكونُ تمثيلاً.

وقالَ البيضاويُّ[3]: تمثِيلٌ لاستحقاقِهِم آصارَ الآثامِ.

قولُه تعالَى: (﴿إلّا لَعِب﴾) أي: تنقَضي عن قريبٍ ولا تعقُبُ منفَعَةً.

(﴿ولَهو﴾) أي: تُلهي النَّاسَ وتشغلُهُم عمَّا يعقُبُ منفعَةً دائمةً ولذَّةً حقيقيَّةً.

قولُه: (وفي قِراءَة) للشَّامِي[4].

قولُه: (الشِّرك) لدَوامِها وخُلوصِ منافعِها ولذَّاتِها.

قولُه: (والتَّاء) الخِطابُ، نافعٌ وشاميٌّ وحفصٌ[5].

قولُه: (ذَلِكَ) أنَّ الدَّارَ الآخرةَ خيرٌ، أو: أيَّ الأمرينِ خيرٌ.

قولُه: (للتَّحقِيق) ذكرَ الصَّفويُّ: أنَّ سيبَويهَ قال: ﴿قد﴾ في ﴿قَد نعلَمُ﴾ للتَّحقيقِ والتَّأكيدِ، وقد يقالُ: إنَّهُ للإشارةِ إلى قلَّةِ التَّعليقِ.

قولُه: (مِن التَّكذِيبِ) تسلِيةً لرسُولِ اللهِ ﷺ فيما قالَ الكفَّارُ: إنَّكَ كذَّابٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٣١٨٨).

(٢) لم أقف على مراده.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٥٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٠٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٦).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٩٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٦).

﴿فإنَّهُم لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السِّرّ لعلمهم أنك صادق ـ وفي قراءة بالتخفيف ـ أي: لا يَنسبونك إلى الكذب، ﴿ولكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ـ وضَعَه موضِعَ المُضْمر ـ ﴿بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿يَجحَدُونَ﴾: يُكذّبون، ٣٤ ـ ﴿ولَقَد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ﴾ ـ فيه تسلية للنّبي ـ ﴿فصَبَرُوا علَى ما كُذِّبُوا وأُوذُوا، حَتَّى أتاهُم نَصرُنا﴾ بإهلاك قومهم. فاصبر حتّى يأتيك النصر بإهلاك قومِك، ﴿ولا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾: مَواعِيده. ﴿ولَقَد جاءَكَ مِن نَبَإِ المُرسَلِينَ﴾ ما يَسكُن به قلبُك.

قولُه: (في السِّرِّ) في الحقيقةِ بل تكذيبُكَ عائدٌ عليَّ وراجعٌ إليَّ، وهذا كما تقولُ تسليَةً لعبدِكَ: ما أهانوكَ ولكن أهانُونِي.

قولُه: (وفي قِرَاءَة) لنافعٍ والكسائيِّ[1].

قولُه: (موضِعَ المضمَرِ) للدَّلالَةِ على أنَّهُم ظلِموا لجُحودِهِم، نزلت حين قال أَبُو جَهلٍ: لا نكذِّبُكَ بل نكذِّبُ ما جئتَ به[2]، أو لما سُئِلَ أَبُو جهلٍ عنه قال: واللهِ إنَّهُ لصادِقٌ وما كذَبَ قطُّ، ولكِن إذا ذهَبَ بنُو قصيٍّ باللِّواءِ والسِّقايةِ والنُّبُوَّةِ فماذا يكُونُ لسائِرِ قريشٍ[3].

قولُه: (يُكَذِّبُون) الأظهَرُ: ينكِرونَ.

قولُه تَعَالى: (﴿وأُوذُوا﴾) الظَّاهِرُ عطفُهُ على ﴿صَبروا﴾ أو: على ﴿كذِّبَت﴾ ويبعُدُ عطفُهُ على ﴿كذِّبُوا﴾ كذا في «البَحرِ»[4] وكأنَّ استبعادَهُ لأجلِ ﴿حتَّى أتَاهُم نصرُنا﴾ كذا أفادَهُ الصَّفوَيُّ لكنَّه غيرُ ظاهِرٍ، والظَّاهِرُ: أنَّه لأَجْلِ ﴿فصبَرُوا﴾ فإنَّه يكونُ حينئذٍ تَفريعاً عن غيرِ أصلٍ؛ لأنَّه لم يقُل: كذِّبتُ وأوذِيتُ، حتَّى يقالَ: فصبروا عليها، وإنَّما قالَ: يبعدُ، مع أنَّه أقرَبُ لفظاً ومعنًى لما قُلنا، ويمكنُ أن يقدَّرَ: وأوذِيتَ بمعونَةِ المقامِ، أو يجعَلَ من بابِ الاكتفاءِ بالملزومِ عن اللَّازِمِ.

قولُه: (فَاصبِر) أي: فتأسَّ بهم واصبِرْ، أو فاصبِرْ كما صبَرُوا، أو فاصبِرْ وما صبرُكَ إلَّا باللهِ، وفيه إيماءٌ بوعدِ النَّصرِ للصَّابرِينَ.

قولُه: (لمَوَاعِيدِه) من قولِه: ﴿ولقَد سَبَقَت كَلِمَتُنا لِعِبَادِنا المرسَلِين﴾ [الصافات: ١٧١] الآيات.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٠٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٠) عن علي رضي الله عنه. قال الترمذي: عن ناجية مرسلاً أصح، وقال الحاكم: على شرط الشيخين، وقال الذهبي: ما خرجا لناجية شيئاً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣١٩٣) عن السدي.

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٤٩٠).

٣٥ ـ ﴿وإن كانَ كَبُرَ﴾: عظُم ﴿علَيكَ إعراضُهُم﴾ عن الإسلام بحرصك عليهم ﴿فإنِ استَطَعتَ أن تَبتَغِيَ نَفَقًا﴾: سَرَبًا ﴿في الأرضِ أو سُلَّمًا﴾: مِصعدًا ﴿في السَّماءِ، فتَأتِيَهُم بآيةٍ﴾ ممّا اقترحوا، فافعلْ ـ المعنى: إنك لا تستطيع ذلك. فاصبر حتّى يحكُم الله ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ هِدايتهم ﴿لَجَمَعَهُم علَى الهُدَى﴾، ولكن لم يشأ ذلك فلم يُؤمنوا. ﴿فلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ﴾ بذلك. ٣٦ ـ ﴿إنَّما يَستَجِيبُ﴾ دُعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تفهُّم واعتبار، ﴿والمَوتَى﴾ أي: الكُفّارُ ـ شبَّههم بهم في عدم السماع ـ ﴿يَبعَثُهُمُ اللهُ﴾ في الآخِرة، ﴿ثُمَّ إلَيهِ يُرجَعُونَ﴾: يُردّون، فيُجازيهم بأعمالهم.

٣٧ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّار مكّةَ: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿نُزِّلَ علَيهِ آيةٌ مِن رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّ اللهَ قادِرٌ علَى أن يُنَزِّلَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿آيَةً﴾ ممّا اقترحوا، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ نُزولها بلاء عليهم لوُجوب هلاكهم إن جحدوها.

٣٨ ـ ﴿وما مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿دابَّةٍ﴾ تمشي ﴿في الأرضِ، ولا طائرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء..........

قولُه: (عَنِ الإسلَامِ) أو عنكَ وعن الإيمانِ بما جئتَ به.

قولُه: (سَرَباً) أي: تطلُبُ منفَذاً تنفذُ فيه إلى جوفِ الأرضِ فتطلعُ لهم آيةً.

قولُه: (أو مِصْعَداً) تصعَدُ به إلى السَّماءِ فتنزلُ منها آيةً، والظَّرفانِ صفَتانِ.

قولُه: (فافعَلْ) جوابُ الشَّرطِ الثَّاني، والجملَةُ جوابُ الأوَّلِ.

قولُه: (فَاصبِرْ) ولا تذهَبْ نفسُك عليهم حسراتٍ.

قولُه: (حتَّى يَحكُمَ اللهُ) فإنَّهُ لا مغيِّرَ لحكمِهِ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بما ذكَرَ من مضمونِ المشيئةِ.

قولُه: (في عَدَمِ السَّمَاعِ) الأظهرُ: في عدمِ الاستجابَةِ.

قولُه: (في الآخِرَة) فيعلمُونَ حين لا ينفعُهُم.

قولُه: (والتَّخفِيف) مكِّي[1].

قولُه: (زائِدَة) لاستغراقِ النَّفيِ.

قولُه: (تَمشِي) إتيانُ الصِّفةِ لـ﴿دابَّة﴾ و﴿طائر﴾ لزيادةِ التَّعميمِ والمبالغَةِ بحيثُ لا يبقَى وهمُ خروجِ شيءٍ مِن الأفرادِ؛ لكونِ الوصفينِ من أوصافِ الجنسِ دونَ النَّوعِ فيشعِرُ بأنَّ القصدَ فيهما إلى الجِنسِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٥)، و«حجة القراءات» (ص: ١٠٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ١٥٦)، و«المبسوط في القراءات» (ص: ١٣٣).

﴿بِجَنَاحَيهِ، إلاّ أُمَمٌ أمثالُكُم﴾ في تقدير خلقها ورزقها وأحوالها ـ ﴿ما فَرَّطْنا﴾: تركنا ﴿في الكِتابِ﴾: اللوح المحفوظ، ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ فلم نكتبه ـ ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحشَرُونَ﴾، فيُقضَى بينهم، ويُقتَصّ للجَمّاء من القَرناء، ثم يقول لهم: كونوا تُرابًا.

٣٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماعَ قَبول ﴿وبُكمٌ﴾ عن النُّطق بالحقّ ﴿في الظُّلُماتِ﴾: الكفرِ. ﴿مَن يَشَأِ اللهُ﴾ إضلالَه ﴿يُضلِلْهُ، ومَن يَشَأْ﴾ هِدايتَه ﴿يَجعَلْهُ علَى صِراطٍ﴾: طريقٍ ﴿مُستَقِيمٍ﴾: دِينِ الإِسلام.

٤٠ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لأهل مكّة: ﴿أَرَأَيتَكُم﴾: أخبروني، ﴿إِن أتاكُم عَذابُ اللهِ﴾ في الدُّنيا ﴿أو أتَتكُمُ السّاعةُ﴾: القِيامةُ المُشتملة عليه بغتةً، ﴿أَغَيرَ اللهِ تَدعُونَ﴾؟ لا، ﴿إِن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنّ الأصنام تنفعكم...

قولُه: (وأحوَالِها) وآجالِها.

قولُه: (اللَّوحِ المَحفُوظِ) أو القرآنِ.

قولُه تعَالى: (﴿يُحشَرُونَ﴾) عن ابنِ عبَّاسٍ: مَوتُ البهائمِ حشرُها[١]. والظَّاهرُ أنَّ معناهُ: أنَّها تحشرُ ثمَّ تمُوتُ بخلافِ غيرِها.

قولُه: (الكُفْر) أي: ظُلماتِ الكُفرِ، أو في ظُلمةِ الجهلِ، وظُلمةِ العِنادِ، وظلمةِ التَّقليدِ، أو هو كنايةٌ عن عمَى البصرِ وهو خبرٌ ثانٍ.

قولُه: (إِضلَالَهُ) وهو دليلٌ واضحٌ لنا على المعتزلَةِ.

قولُه: (لأَهلِ مَكَّة) أو للكفرَةِ.

قولُه: (أخبِرُوني) هو من وضعِ السَّببِ موضعَ المسبِّبِ، فإنَّه وضعَ الاستفهامَ منَ العلمِ موضِعَ الاستخبارِ؛ لأنَّه لا يخبِرُ عن الشَّيءِ إلَّا العالمُ به.

قولُه: (علَيه) أي: العَذابِ.

قولُه: (بغتَةً) قيدٌ لهُما.

وقولُه تعَالى: (﴿أَغَيرَ اللهِ تَدعُون﴾) أي: في صرفِ العذابِ عنكم، وهو متعلَّقُ الاستخبارِ.

قولُه: (لا) أي: لا تدعونَ غيرَهُ بلا شُبهَةٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٣٢١٩).

فادعوها، ٤١ ـ ﴿بَل إِيَّاهُ﴾ لا غيرَه ﴿تَدعُونَ﴾ في الشدائد، ﴿فيَكشِفُ ما تَدعُونَ إِلَيهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضُّرّ ونحوه، ﴿إن شاءَ﴾ كشْفَه، ﴿وتَنسَونَ﴾: تتركون ﴿ما تُشرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه.

٤٢ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا إِلَى أُمَمٍ مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿قَبلِكَ﴾ رُسلاً فكذّبوهم، ﴿فأَخَذْناهُم بِالبأساءِ﴾: شِدّة الفقر ﴿والضَّرّاءِ﴾: المرض، ﴿لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذلّلون فيؤمنون. ٤٣ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ، ﴿إِذْ جاءَهُم بأسُنا﴾: عذابنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام..............................

قولُه: (فَادعُوهَا) إشارَةٌ إلى جَوابٍ محذُوفٍ، لكنِ الصَّحيحُ في تقديرِ الجوابِ أن يكونَ بضميرٍ مفرَدٍ مذكَّرٍ ليرجِعَ إلى غيرِ اللهِ، أو فأخبرُوني لم لا تدعُونَ أصنامَكُم في ذلك الحالِ.

قولُه: (لا غَيرَهُ) يعني: تقديمَ المفعولِ لإفادَةِ التَّخصِيصِ.

قولُه: (في الشَّدَائِدِ) كما قالَ تعالى: ﴿وإذا غَشِيَهُم مَوجٌ كالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾ [لقمان: ٣٢].

قولُه: (أَن يَكشِفَه) بدلٌ من الضَّميرِ المجرُورِ؛ أي: يكشفُ ما تدعونَهُ إلى كشفِهِ.

قولُه: (كَشْفَه) مفعُولُ ﴿شاءَ﴾، قالَ البيضاوِيُّ[1]: ولا يشاءُ في الآخرَةِ.

ولا بدَّ من هذا القيدِ جَواباً عمَّا قيلَ: معنَى الآيَة: بل إيَّاهُ تدعونَ أن ينزِلَ بكُم عذابُ اللهِ، أو أتتكُمْ أهوالُ القيامةِ فيكشِفُ عنكم ما تدعونَهُ. فيلزمُ أن يكشِفَ اللهُ الشَّدائدَ عنهم في القيامةِ بالدُّعاءِ.

وقد تمحَّلَ الزَّمخشريُّ[2] في توجيهِهِ مع أنَّه يردُّ عليه بعدُ، فانظُر، كذا أفادَهُ الصَّفويُّ.

قولُه: (فَلا تَدعُونَه) لما ركزَ في العقُولِ على أنَّه القادِرُ على كشفِ الضُّرِّ دون غيرِهِ أو تنسَونَه من شدَّةِ الأمرِ وهولِهِ.

قولُه: (زَائِدَة) يعني: قَبلَك.

قولُه: (رُسُلاً) مفعُول: أرسَلنا.

قولُه: (فكذَّبُوهُم) أي: فكذَّبوا المرسلينَ قدَّرهُ لتصحيحِ عطفِ ما بعدهُ.

قولُه: (شدَّةِ الفَقرِ) أو الجُوعِ، والأحسنُ تفسيرُها بالشِّدَّة.

قولُه: (المَرَض) أو الضُّر، أو الآفاتُ من نُقصانِ الأموالِ والأنفُسِ.

قولُه: (ذلكَ) التَّضرُّعَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦١).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٣).

المقتضي له، ﴿ولكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن للإيمان، ﴿وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من المعاصي فأصرّوا عليها، ٤٤ ـ ﴿فلَمّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿ما ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا وخُوّفوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضرّاء فلم يتّعظوا ﴿فَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿علَيهِم أبوابَ كُلِّ شَيءٍ﴾ من النِّعم استدراجًا لهم.

﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا﴾ فَرَحَ بطرٍ ﴿أَخَذْناهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾: فجْأة، ﴿فإذا هُم مُبلِسُونَ﴾: آيِسُونَ من كُلّ خير، ٤٥ ـ ﴿فقُطِعَ دابِرُ القَومِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخِرُهم، بأن استُؤصِلوا. ﴿والحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ على نصر الرُّسل، وهلاك الكافرين.

٤٦ ـ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكّةَ: ﴿أَرَأَيتُم﴾: أخبروني، ﴿إن أخَذَ اللهُ سَمعَكُم﴾: أصَمَّكم ﴿وأبصارَكُم﴾: أعماكم ﴿وخَتَمَ﴾:..

قولُه: (المقتَضِي) الدَّاعِي والباعِث.

قولُه: (من المعَاصِي) بيانٌ لـ﴿ما﴾ فَقولُه: (فَأَصَرُّوا عَليهَا) نَظراً إلى معنَى ﴿مَا﴾.

قولُه: (فَلَم يَتَّعِظُوا) الظَّاهرُ بالواو؛ ليكونَ تفسيراً لتَركُوا.

قولُه: (والتَّشدِيد) شامِيٌّ[1].

قولُه: (استِدرَاجاً) ليكونَ الأخذُ والهلاكُ أشَدَّ عليهم وأفظَعَ، وقيل: مراوحَةً عليهم بين نوبتَي الضَّرَّاءِ والسَّرَّاءِ وامتحاناً لهم بالشِّدَّةِ والرَّخاءِ إلزاماً للحجَّةِ وإزاحَةً للعِلَّة، والأوَّلُ أولَى لما رويَ: أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلام قالَ: «مُكِرَ بالقَومِ وربِّ الكَعبَة»[2].

قولُه: (فَرَحَ بَطَرٍ) أي: أعجِبوا بما أوتُوا من النِّعمِ واشتَغَلوا بالنِّعمةِ عن المنعِمِ والقيامِ بحقِّهِ.

قولُه: (آيِسُونَ) أو متحيِّرونَ.

قولُه: (أي: آخِرُهُم) بحيثُ لم يبقَ منهم أحَدٌ.

قولُه: (استُؤصِلُوا) يهمزُ ويخفَّفُ، فإنَّ أصلَهُ: أُصِلَ، قال الأصمعيُّ[3]: الدَّابرُ الأصلُ يقال: قطَعَ اللهُ دابرَهُ؛ أي: أذهبَ أصلَهُ.

قولُه: (أخبِرُونِي) أيُّها المشرِكونَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٥٠).

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما هو من قول الحسن، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٩٣)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٣). قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٦٠٥) (٤٩٢): قال الجلال السيوطي: لم أقف عليه مرفوعاً، إنما هو من قول الحسن.

(٣) وانظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٧٩).

طبع ﴿علَى قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئًا، ﴿مَن إلـهٌ غيرُ اللهِ يأتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذه منكم بزعمكم؟ ﴿انظُرْ: كَيفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيّن ﴿الآياتِ﴾: الدلالاتِ على وحدانيّتنا، ﴿ثُمَّ هُم يَصدِفُونَ﴾: يُعرِضون عنها، فلا يؤمنون؟ ٤٧ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أرَأيتَكُم ـ إن أتاكُم عَذابُ اللهِ بَغْتَةً أو جَهْرَةً﴾: ليلاً أو نهارًا ـ ﴿هَل يُهلَكُ إلاّ القَومُ الظّالِمُونَ﴾ الكافرون؟ أي: ما يُهلَك إلاّ هم.

٤٨ ـ ﴿وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلاّ مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمَن بالجنّة ﴿ومُنذِرِينَ﴾ مَن كفرَ بالنار. ﴿فمَن آمَنَ﴾ بهم ﴿وأصلَحَ﴾ عمله ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة، ٤٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ العَذابُ بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾: يَخرجون عن الطاعة.

قولُه: (طبَعَ) بأن يُغَطِّيَ عليها ما يزولُ به عقلُكُم وفهمُكُم.

قولُه: (بما أَخَذَه) وختمَ عليه؛ يعنِي: أنَّ ضميرَ ﴿بِهِ﴾ مفردٌ والمذكورُ ثلاثٌ، وقيل: بأحَدِ هذه المذكورَاتِ، وقيل: بذلك، وهذا أظهَرُ وأَخصرُ.

قولُه: (بزعمِكُم) حقُّه أن يذكرَهُ بعد قولِه: ﴿من إلَهٌ غيرُ اللهِ﴾.

قولُه: (نبيِّنُ) أي: نوضِّحُ، أو تكرِّرَ تارةً من جهةِ المقدِّماتِ العقليَّةِ، وتارةً من جهةِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وتارَةً بالتَّنبيهِ والتَّذكيرِ بأحوالِ المتقدِّمينَ.

قولُه: (الدَّلَالاتِ) وفي نُسخَةٍ: «الدَّالَّاتِ» والأوَّلُ هو المعقُولُ.

قولُه: (ليلاً أو نَهاراً) أو بغتَةً على غفلَةٍ من غير مقدِّمَةٍ أو جهرَةً معايَنَةً تتقدَّمُها أمارَةٌ تؤذنُ بحلُولِها، وهذا أظهَرُ إذ كلٌّ منهما يمكِنُ في كلٍّ منهما.

قولُه: (ما يُهلَك) ولذا صَحَّ الاستثناءُ المفرَغُ منه، والمرادُ: هلاكَ سخطٍ وتعذِيبٍ.

قولُه: (بالنَّار) ولم نُرسِلهُم ليقترَحَ عليهم ويتلَهَّى بهم.

قولُه: (بِهِم) أي: بالرُّسُل.

قولُه: (في الآخِرَة) أي: ﴿فلا خَوفٌ عليهِم﴾ من العَذابِ ﴿ولا هُم يحزنُونَ﴾ بفَواتِ الثَّوابِ، أو على ما فاتَ من دُنياهُم.

قولُه تعالى: (﴿يَمَسُّهُم﴾) يصيبُهُم جعلَ العذابَ ماسًّا كأنَّه الطَّالِبُ للوصولِ إليهم، أو إشارَةٌ إلى أنَّ مَسَّها فقط يَكفِي في التَّحذيرِ واستغنَى بتعريفِهِ عن التَّوصيفِ بنحوِ الشَّديدِ.

قولُه: (عن الطَّاعَة) ومنها التَّصدِيقُ.

٥٠ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لا أَقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائِنُ اللهِ﴾ التي منها يَرزق، ﴿ولا﴾ إنّي ﴿أعلَمُ الغَيبَ﴾: ما غاب عنّي ولم يُوحَ إليّ، ﴿ولا أَقُولُ لكُم: إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَى إِلَيَّ. قُلْ: هَل يَستَوِي الأَعمَى﴾: الكافر ﴿والبَصِيرُ﴾: المؤمن؟ لا. ﴿أفلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون؟

٥١ ـ ﴿وأنذِرْ﴾: خوِّف ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخافُونَ أن يُحشَرُوا إِلَى رَبِّهِم، لَيسَ لَهُم مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ﴿وَلِيٌّ﴾ ينصرهم ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم ـ وجُملة النفي: حال من ضمير «يُحشروا»، وهي محلُّ الخَوف..

قولُه: (التِي مِنهَا يَرزُقُ) أي: خزائنُ رزقِهِ، أو مقدوراتُه، فأعطيكُم ما تريدُونَ.

قولُه: (﴿ولا﴾ إنِّي) أي: ولا أقولُ لكم إنِّي أعلمُ فأخبرُكم بما سيكونُ، عطفٌ على ﴿عِندِي خَزائِنُ﴾ و﴿لا﴾ مزيدةٌ لتأكيدِ النَّفي، وقيل: على ﴿لا أَقُولُ﴾ وهو يُلائِمُ ما بعدهُ، والأوَّلُ أولَى معنًى؛ إذ لا كثيرَ فائدَةٍ في مجرَّدِ الإخبارِ بأنّي لا أعلَمُ الغيبَ، وإنَّما الفائدَةُ في الإخبارِ بأنِّي لا أقولُ ذلك، تأمَّل.

قولُه: (ولَم يُوحَ إليَّ) حالٌ من الفاعِلِ أو المفعُولِ.

قولُه: (مِن المَلائكةِ) أي: من جِنسِهم، أو أقدِرُ على ما يقدِرونَ عليه عادةً.

قولُه: (ما ﴿أَتَّبِعُ﴾) تبرّأَ عمَّا تستَبعدُه العقُولُ من دَعْوى الألوهيَّة والملَكيَّة، وادَّعى النبوَّةَ التي هي من كمَالاتِ البشريَّةِ.

قولُه: (الكافِرُ) أو: مثَلٌ للضالِّ والمهتدِي، أو الجاهلِ والعالمِ، أو مُدَّعي المستحِيلِ ومُدَّعِي المستقِيمِ.

قولُه: (لا) نفيٌ للاستِواءِ، أو إشارةٌ إلى أنَّ الاستِفهامَ بمعنَى: لا.

قولُه: (في ذَلِكَ) أي: عدَمِ الاستِواءِ.

قولُه: (فتُؤمِنُونَ) أو: فتهتَدُوا، أو: فتميَّزُوا.

قولُه: (بالقُرآنِ) وقالَ البيضاويُّ[1]: الضَّميرُ لـ﴿مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وهو لا يصِحُّ لفظاً بل معنًى، فيرجِعُ إلى معنَى الأوَّلِ.

قولُه: (ينصُرُهم) أو يتوَلَّى أمرَهُم.

قولُه: (يَشفَعُ لَهُم) أي: بغَيرِ إذنِهِ إن أرادَ العذابَ بهم.

قولُه: (من ضَمِيرِ ﴿يُحْشَرُوا﴾) أي: يخَافُون أن يُحشَروا غير مشفُوعينَ.

قولُه: (وهيَ محلُّ الخَوفِ) يعنِي: أنَّ المخوِّفَ هو الحشرُ على هذهِ الحالَةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٣).

والمُراد بهم المُؤمنون العاصون ـ ﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بإقلاعِهم عمّا هم فيه وعملِ الطاعات.

٥٢ ـ ﴿ولا تَطرُدِ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجهَهُ﴾ ـ تعالى ـ لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفُقراء. وكان المُشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليُجالسوه، وأراد النبيّ ذلك طمعًا في إسلامهم. ﴿ما علَيكَ مِن حِسابِهِم مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿شَيءٍ﴾ إن كان باطنهم

قولُه: (المُؤمِنُونَ) أو المجوِّزونَ للحَشرِ؛ لأنَّ بعضَ أهلِ الكتابِ المشركِينَ خافُوا ذلك الخَوفَ بعدَ ما أُخبِرُوا بالحَشرِ.

قولُه: (العَاصُونَ) أي: المقصِّرونَ في العَمَلِ.

قولُه: (عمَّا هُم) من السيِّئاتِ.

قولُه: (وعَمَلِ الطَّاعَاتِ) عَطفٌ على (إقلاعِهِم).

قولُه: (بعبَادَتِهِم) وهي الصَّلواتُ المكتُوباتُ، قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[١] ومُجاهدٌ[٢] وقتادةُ[٣] والحسنُ[٤]: أو صلاةُ الصُّبحِ والعصْرِ، وقيل: الذِّكرُ، والمرادُ بـ﴿الغدَاةِ والعَشيِّ﴾: الدَّوامُ، أو خُصَّ الوقتانِ لشرَفِهمَا، والجملَةُ حالٌ من ﴿يَدْعُونَ﴾.

قولُه: (مِن أَعرَاضِ) بالعينِ المهمَلةِ أو المعجَمةِ.

قولُه: (وهُم الفُقرَاءُ) سُمِّي منهُم: صُهيبٌ وبلالٌ وعمَّارٌ وخبَّابٌ وسعدُ بن أبي وقَّاصٍ وابنُ مسعودٍ وسلمانُ الفارِسيُّ، كما صَرَّحَ به في «أسبابِ النُّزول»[٥]، كذا في «المبهمات»[٦] للمصنِّفِ، لكنَّ عدَّ سلمانَ الفارسي مُشكِلٌ؛ إذ إسلامُهُ بعدَ الهجرةِ في المدينَةِ، والآيةُ مكيَّةٌ، وكذَا وقعَ للبيضَاويِّ[٧]، فلا تغفَلْ.

قولُه: (ذلِكَ) أي: طردَهُم.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٢٧٧) نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٢٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٣٣٦) (٧٣٣٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٢٧٣) (١٣٢٨١).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٢٧٠) عنه: أنها الصلوات الخمس.

وفي «تفسير ابن عطية» (٢/ ٢٩٥): قال الحسن: المراد به صلاة مكة التي كانت مرتين في اليوم بكرة وعشيًّا.

(٥) انظر: «أسباب النزول» (ص: ٢١٨).

(٦) انظر: «المبهمات» (ص: ٤١).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٣).

غيرَ مَرْضيّ، ﴿وما مِن حِسابِكَ علَيهِم مِن شَيءٍ، فتَطرُدَهُم﴾: جوابُ النفي، ﴿فتكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلتَ ذلك.

٥٣ ـ ﴿وكَذلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلَينا ﴿بَعضَهُم بِبَعضٍ﴾ أي: الشريفَ بالوضيع والغنيَّ بالفقيرِ بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان، ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: الشُّرفاءُ والأغنياء بمَكّة مُنكِرِينَ: ﴿أَهؤُلاءِ﴾ الفقراءُ ﴿مَنَّ اللهُ علَيهِم مِن بَينِنا﴾ بالهداية؟ أي: لو كان ما هم عليه هدًى ما سبقونا إليه. قال تعالى: ﴿أَلَيسَ اللهُ بِأعلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديَهم؟ بلى.

قولُه: (غيرَ مَرضيٍّ) كما ذكرَهُ المشركُونَ وطعَنُوا في دينِهم، فالمعنَى: ليسَ عليكَ من حسابِ إيمَانهم؟ فلعلَّ إيمانَهُم عندَ اللهِ أعظَمُ من إيمَانِ مَن تطردُهُم بسؤَالِهم طمَعاً في إيمَانِهم لو آمنُوا، وليس عليكَ اعتِبارُ بواطِنِهم، فحِسَابُهم عليهِم لا يتعدَّاهم إلَيكَ، كمَا أنَّ حسابَكَ عليكَ لا يتعدَّاكَ إليهم، أو معناهُ: إنَّما حسَابُهُم على اللهِ، كقَولِ نوحٍ في جوابِ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ الآياتِ إلى: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١١، ١١٤] وهذا أوفَقُ، وقيلَ: الضَّميرُ للمشركِينَ، والمعنَى: لا تُؤاخَذُ بحسابِهم حتَّى يَهُمَّك إيمانُهُم بحيثُ تطرُدُ المؤمنِينَ طمَعاً فيه.

قولُه: (جَوَاب النَّفْي) أي: لا يكونُ حسَابُهم عليك، فكيفَ لك من طردِهم.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: الطَّردَ، وهو جوابُ النَّهيِ، وقيل: عطفٌ على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ وهو ضعِيفٌ.

قولُه: (ابتَلَيْنا) أي: مثلَ ذلكَ الابتِلاءِ العَظيمِ ـ وهو اختلافُ أحوالِ النَّاسِ في أمورِ الدُّنيا ـ ابتلَينَا بعضَهم ببعضٍ في أمرِ الدِّينِ.

قولُه: (بأنْ قدَّمْنَاه) أي: البعضَ الثَّاني.

قولُه: (أي: الشُّرَفاءُ) يعنِي: رؤسَاءَ قريشٍ في شأنِ فُقراءِ المسلِمِين وضُعَفائهِم.

قولُه: (مُنكِرِين) إشارةٌ إلى أنَّ الاستفهامَ للإنْكارِ.

قولُه: (بالهِدَايَةِ) أي: أنعمَ اللهُ عليهم بالهِدايةِ والتَّوفيقِ لِما يُسعدُهم دونَنا، ونحنُ الأكابرُ والرُّؤساءُ، وهم المساكينُ والضُّعفاءُ.

قولُه: (مَا سَبَقُونَا) كقولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

قولُه: (لَهُ) أي: بمَن يقعُ منه الإيمانُ والشُّكرُ.

قولُه: (فَيَهدِيَهمُ) ويوفِّقَهم؛ يعنِي: وبمَن لا يقَعُ منه فيضلُّهم ويخذُلَهم.

قولُه: (بَلَى) إمَّا حكايةٌ عنه ﷺ، أو قولُ المصنِّفِ نفسِه، إشارةٌ إلى أنَّ المستحبَّ أن يُقالَ هذا القولُ في مثلِ هذا المحلِّ، كما وردَ في الحدِيثِ[1].

---

(١) روى أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، وأحمد في «مسنده» (٧٣٩١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٣٦)، =

٥٤ ـ ﴿وإذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِآياتِنا فقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلامٌ عليكُم. كَتَبَ﴾: قضى ﴿رَبُّكُم على نَفسِه الرَّحْمةَ، إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ـ وفي قراءة بالفتح: بدلٌ من «الرحمة» ـ ﴿مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءًا بِجَهالةٍ﴾ منه حيثُ ارتكبه، ﴿ثُمَّ تابَ﴾: رجَع ﴿مِن بَعدِهِ﴾: بعدِ عمله عنه ﴿وأصلَحَ﴾ عمله، ﴿فإنَّهُ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وفي قراءة بالفتح..........................

قولُه: (لَهُم) أي: الَّذين يؤمنُون مُطلَقاً، أو الَّذين يدَّعونَ أمرَه بأن يبدأ بالتَّسليمِ، أو يبلِّغَ سلامَ اللهِ إليهِم ويبشِّرَهم بسَعةِ رحمةِ اللهِ.

قولُه: (أيْ: الشَّأنَ) استئنافٌ، تفسيرِ ﴿الرحمة﴾.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصمٍ[1].

قولُه: (مِنْهُ) أي: ممَّن عمل، في مَوضعِ الحال؛ أي: مَن عَمِلَ ذنباً جاهلاً بحقيقَةِ ما يتبَعُه من المضَارِّ والمفاسِدِ، أو متلبِّساً بفعلِ الجهَلةِ، فإنَّ ارتكَابَ ما يؤدِّي إلى الضَّررِ من أفعالِ الجاهِلينَ.

قولُه: (عَمَلِهِ) أو السُّوءِ.

قولُه: (عَنْهُ) متعلِّقٌ بـ﴿تَابَ﴾ والضَّميرُ إلى «عمَلِه».

قولُه: (عَمَلَهُ) بالتَّدارُكِ والعَزمِ على أن لا يعُودَ، أو أخلَصَ توبتَهُ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَة) الشَّاميِّ وعاصمٍ[2].

قولُه: (بالفَتْحِ) قالَ القاضِي[3]: على إضمَارِ مُبتدأٍ أو خبرٍ؛ أي: فأمرُهُ، أو فلهُ غفرانُهُ، زادَ الصَّفويُّ[4]:

= والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٢) من حديث أبي هريرة بلفظ: «مَن قرأ منكم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، فليقلْ: بلى، وأنا على ذلك من الشَّاهدين، ومَن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فانتهى إلى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فليقلْ: بلى، ومَن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقلْ: آمنَّا بالله». قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت: كذا قال مع أن الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أعرابي مجهول، وفي إسناد الحاكم ـ دون غيره ـ يزيد بن عياض وهو متهم متروك.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣١١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٤).

(٤) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٣٩).

أي: فالمغفرة له. ٥٥ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما بيَّنَّا ما ذُكر ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّن ﴿الآياتِ﴾القُرآنَ ليَظهرَ الحقّ فيُعمَلَ به، ﴿ولِتَستَبِينَ﴾: تظهرَ ﴿سَبِيلُ﴾: طريقُ ﴿المُجرِمِينَ﴾ فتُجتَنَبَ. وفي قراءة بالتَّحتانيَّة، وفي أُخرى بالفَوقانيَّةِ ونصبِ «سَبِيلَ»: خِطابٌ للنبيِّ.

٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿قُلْ: إنِّي نُهِيتُ أن أَعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون..........................

ألبتَّةَ، ومن قرأ بالكَسرِ فتقديرُهُ: فاللهُ يغفِرُ له ويرحمُهُ ألبتَّةَ فإنَّهُ غفُورٌ رَحِيمٌ؛ يعنِي: على الأوَّلِ هو جوابُ الشَّرطِ، وعلى الثَّانِي: جوابُهُ محذُوفٌ، دليلُهُ أُقيمَ مَقامَه، وعلى أيِّ وجهٍ دلَّتْ على أنَّ لزُومَ المغفرَةِ لا يكُونُ إلا بالتَّوبةِ، وأمَّا المغفِرةُ على الاحتِمَالِ الأوَّلِ في مشيئَةِ اللهِ تعالى.

قولُه: (فالمَغْفِرَةُ لَهُ) أي: لمن عَمِلَ وتابَ، أو للتَّائبِ.

قولُه: (ما ذُكِرَ) تبييناً واضِحاً.

قولُه: (القُرآنَ) أو آياتِهِ في صفةِ المطيعِينَ والمجرِمِينَ المصرِّينَ منهُم والأوَّابِينَ.

قولُه: (لِيَظهَرَ) علَّةٌ مقدَّرةٌ للتَّفْصيلِ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ عطفٌ عليهِ.

قولُه: (فتُجتنَبَ) منصُوبٌ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكِسائيِّ وشُعبةَ[١].

قولُه: (بالتَّحتانيَّةِ) لأنَّ السَّبيلَ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ.

قولُه: (وفِي الأُخرَى) نافعٌ[٢].

قولُه: (ونَصْبِ ﴿سَبِيلَ﴾) أي: لنافعٍ[٣]، والحاصِلُ أنَّ ﴿سَبِيلُ﴾ مرفُوعٌ عندَ الجمهورِ.

قولُه: (خِطَابٌ) على معنَى: ولتستَوضِحَ سبيلَهُم وتعرِفَ طريقَهُم، فتُعامِلَ كلًّا منهم بما يلحَقُ له، فصَّلْنا هذا التَّفصِيلَ.

قولُه تعالى: (﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾) أي: صُرِفْتُ بالعِصْمةِ، أو زُجِرتُ بما نُصِبَ لي من الأدلَّةِ وأُنزِلَ عليَّ من الآياتِ في أمرِ التَّوحيد.

قولُه: (تَعبُدُونَ) أي: عن عبَادةِ ما تعبُدونَ، أو ما تدَّعُونهَا آلهةً؛ أي: تسمُّونَها.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣١٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر المصادر السابقة.

﴿مِن دُونِ اللهِ. قُلْ: لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُم﴾ في عِبادتها. ﴿قَد ضَلَلْتُ إِذًا﴾: إن اتّبعتُها، ﴿وما أنا مِنَ المُهتَدِينَ. قُلْ: إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: بيانٍ ﴿مِن رَبِّي، و﴾ قد ﴿كَذَّبتُم بِهِ﴾: بربّي حيثُ أشركتم. ﴿ما عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب. ﴿إِنِ﴾: ما ﴿الحُكمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إلاّ لِلهِ، يَقضِي﴾ القضاءَ ﴿الحَقَّ، وهُوَ خَيرُ الفاصِلِينَ﴾: الحاكمين. وفي قراءةٍ «يَقُصُّ» أي: يقول.

٥٨ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو أَنَّ عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمرُ بَينِي وبَينَكُم﴾ بأن أُعجّله لكم وأستريح، ولكنّه عِند اللهِ، ﴿واللهُ أعلَمُ بِالظّالِمِينَ﴾: متى يُعاقبهم؟ ٥٩ ـ ﴿وعِندَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مَفاتِحُ الغَيبِ﴾:..

قولُه: (فِي عِبَادَتِها) الضَّميرُ راجعٌ إلى ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ باعتِبارِ معناهُ من الأصنامِ.

قولُه: (اتَّبعْتُها) أي: أهواءَكُم، ففي قولِهِ: «عبَادتِها» و«اتّبعتُها» تفكِيكُ الضَّميرِ، وهو جائزٌ حيثُ لا لَبْسَ، فتأمَّل.

قولُه: (بَيَانٍ) البيِّنَةُ: الدَّلالةُ الواضِحةُ التي تفصِلُ الحقَّ من الباطِلِ، قيل: المرادُ بها القرآنُ والوَحيُ، أو الحُجَجُ العقليَّةُ، أو ما يعُمُّهما.

وقولُه تعالى: (﴿مِنْ رَبِّي﴾) أي: من معرفتِهِ، أو صفةٌ لـ﴿بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: من جهةِ ربِّي، أو كائِنةٌ منه صادِرةٌ عنه، وضميرُ ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ على هذا لـ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بمعنَى البيانِ؛ إذِ القصدُ إلى المعرفةِ والتَّفصيلِ بينهُ وبينَهُم، وذلك أنّي صدَّقتُ بالبيِّنةِ وأنتُم كذَّبتُم بها، وهذا أَولى من قولِ المصنِّف: (﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربِّي).

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: ما ذُكِرَ من تعْجيلِ العذَابِ وتأخيرِهِ، وقوله وغير ذلك.

قولُه: (القَضَاءَ) فيكُون ﴿الحَقَّ﴾ صفةَ مصدَرٍ.

قولُه: (وفي قِراءَةٍ) لنافعٍ ومكِّيٍّ وعاصمٍ[1].

قولُه: (﴿يقُصُّ﴾) من قَصِّ الأثَرِ، أو قَصِّ الخبَرِ.

وقولُه: (يقُولُ) أي: يَحكِي على الثَّانِي، وأمَّا على الأوّلِ فمعناهُ: يتَّبعُ الحقَّ والحِكْمةَ فيما حكمَ.

قولُه تعالى: (﴿عِنْدَهُ﴾) أي: في قُدرَتِهِ.

قولُه: (﴿مَفَاتِحُ﴾) جمعُ: مَفتَح، بفتحِ الميمِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣١٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

أي: خزائنه أو الطُّرق المُوصِلة إلى عِلمه، ﴿لا يَعلَمُها إلاّ هُوَ﴾ ـ وهي الخمسة التي في قوله تعالى: «إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ» الآيةَ كما رواه البخاريّ ـ ﴿ويَعلَمُ ما﴾ يَحدُثُ ﴿في البرّ﴾: القِفارِ ﴿والبَحرِ﴾: القُرى التي على الأنهار، ....

قولُه: (إِلَى عِلْمِهِ) أي: علمُ الغَيبِ مُستَعارٌ من المفاتِح الَّذي هو جمعُ مِفتَح ـ بالكسرِ ـ وهو المفتاحُ، ويؤيِّدُه إن قرئ: (مفاتيح)[1] والمعنَى: أنَّه المتوصِّلُ إلى المغيَّباتِ المحيطُ علمُه بها.

قولُه: (وهِيَ) أي: الطُّرُق.

قولُه: (كَمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ) «إنَّ مفَاتيحَ الغَيبِ خمسٌ لا يعلمُها إلَّا اللهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآيَةَ»[2].

قولُه: (يَحْدُثُ) متعلَّقُ الجارِّ، وقولُه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ عطفٌ للإخبارِ عن تعلُّقِ علمِهِ بالمشاهَداتِ على الإخبارِ عن اختصاصِ العلمِ بالمغيَّباتِ، كذا ذكرَهُ القاضِي[3]، وحاصلُهُ: يحِيطُ علمُهُ بالمغيَّباتِ والمشاهَداتِ، ذكرَه الصَّفويُّ[4].

وفي «المدارك»[5]: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ من النَّباتِ والدَّوابِّ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ من الحيوانِ والجواهِرِ وغيرِهما، فقولُهُ: «وغيرِهما» قيدٌ لهما ليُفيدَ عمُومَ المخلُوقاتِ فيهما.

قولُه: (القِفَارِ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ القُرَى الَّتِي على الأَنهَارِ) أي: على أطرَافِها، وقد تبعَ الشَّيخُ البغَويَّ في ذلكَ حيثُ ذكرَ في تفسيرِهِ[6] هُنا: قالَ مجاهِدٌ: البَرُّ المفاوِزُ والقِفارُ، والبحرُ: القُرى والأمصارُ، لا يحدُثُ فيها شيءٌ إلَّا بعلمِهِ، وقيل: هو البرُّ والبحرُ المعرُوفُ، انتهى.

قلتُ: لا وجهَ لتضعِيفِ القولِ الثَّاني، فإنَّه يفيدُ العمُومَ، وهو المتبادرُ إلى المفهُومِ والمقتَضِي للمقامِ، وعليه أكثرُ العُلماءِ الأعلامِ، نعم ذكرَ المحلِّي[7] القولَ الأوَّلَ عند قولِهِ تعَالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٣)، و«البحر المحيط» (٤/ ٥٣٤)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ١)، وعزوها لابن السميفع.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٥).

(٤) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٤١).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٠٩).

(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٩).

(٧) انظر: «تفسير الجلالين» (ص: ٥٣٦).

﴿وما تَسقُطُ مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿وَرَقةٍ إلاّ يَعلَمُها، ولا حَبّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ﴾: عطفٌ على «وَرَقةٍ»، ﴿إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾، هو اللوح المحفوظ. والاستثناء بدلُ اشتمال من الاستثناء قبله.

٦٠ ـ ﴿وهُوَ الّذِي يَتَوفّاكُم بِاللّيلِ﴾: يقبِض أرواحكم عِند النوم، ﴿ويَعلَمُ ما جَرَحتُم﴾: كسَبتم ﴿بِالنّهارِ، ثُمَّ يَبعَثُكُم فِيهِ﴾ أي: النهارِ..

لكن لا تخفَى مناسبةُ تلكَ الآيةِ سابِقاً ولاحِقاً بذلك المعنَى دونَ هذه بذلك، ثمَّ وجدْتُ في «الإتقان»[1] للمصنِّفِ: قال ابن فارسٍ: كلُّ ما في القُرآنِ من ذكرِ البرِّ والبحرِ فالمرادُ بالبحرِ: الماءُ، وبالبرِّ التُّرابُ اليابسُ إلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ فالمرادُ: البرِّيَّةُ والعمرانُ، انتهى واللهُ أعلمُ.

قولُه: (زَائِدَة) للاستغراقِ، مبالَغةً في إحاطةِ علمِهِ بالجزئيَّاتِ.

وقولُه تعالى: (﴿فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾) أي: فوقَ الأَرضِ أو تحتَها، وقيل: المرادُ تحتَ الأرضِ السَّابعةِ، وقيل: تحتَ التُّرابِ، وقيل: الحبُّ الذي يُزرَعُ يُخفِيهَا الزُّرَّاعُ.

وقولُه تعالى: (﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾) عبارَةٌ عن كلِّ شيءٍ.

قولُه: (عَطْفٌ) أي: معطوفاتٌ.

قولُه: (هوَ اللَّوحُ) وهو صفةُ المذكُوراتِ، كما أنَّ ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ صفةُ ﴿وَرَقَةٍ﴾.

قولُه: (يقبِضُ أرْوَاحَكم) وكذا في «المعالم»[2] وهو غيرُ ظاهرٍ، والظَّاهرُ ما في «المدارك»[3]: يقبِضُ أنفسَكُم عن التَّصرُّف بالتَّمامِ في المنامِ، وقال البيضاويُّ[4]: استُعيرَ التَّوفِّي من الموتِ للنَّومِ لما بينهُما من المشارَكةِ في زوالِ الإحساسِ والتَّمييزِ، فإنَّ أصلَه قبضُ الشَّيءِ بتمامِهِ، انتهى.

وقولُه: «فإنَّ» تعليلٌ لـ«استُعيرَ»، ولذا قالَ الصَّفويُّ[5]: وهو التَّوفِّي الأصغَرُ.

قولُه: (كَسَبْتُم) فيه خصَّ اللَّيلَ بالنَّومِ والنَّهارَ بالكسبِ جَرياً على المعتادِ، أو لأنَّهمَا خُلِقَا لذلكَ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبأ: ١٠ ـ ١١].

---

(١) انظر: «الإتقان» (٢/ ١٥٦).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ١٣٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥١٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٥).

(٥) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٤١).

برَدِّ أرواحكم ﴿لِيُقضَى أجَلٌ مُسَمًّى﴾ هو أجل الحياة، ﴿ثُمَّ إلَيهِ مَرجِعُكُم﴾ بالبعث، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به، ٦١ ـ ﴿وهُوَ القاهِرُ﴾ مُستعليًا ﴿فَوقَ عِبادِهِ، ويُرسِلُ علَيكُم حَفَظَةً﴾: ملائكة تُحصي أعمالكم. ﴿حَتَّى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوتُ تَوَفَّتهُ﴾ ـ وفي قراءةٍ «تَوَفّاهُ» ـ ﴿رُسُلُنا﴾: الملائكة المُوكّلون بقبض الأرواح، ﴿وهُم لا يُفَرِّطُونَ﴾: يقصِّرون فيما يُؤمرون به، ٦٢ ـ ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي: الخَلقُ ﴿إلَى اللهِ مَولاهُمُ﴾: مالكِهم ﴿الحَقِّ﴾: الثابتِ العدلِ ليُجازيهم. ﴿ألا لَهُ الحُكمُ﴾: القضاء النافذ فيهم، ﴿وهُوَ أسرَعُ الحاسِبِينَ﴾ يحاسِبُ الخلق كلّهم في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك.

قولُه: (بِرَدِّ أَروَاحكُم) قالَ البغَويُّ[١] وغيرُهُ: أي: يوقظُكُم، وقال القاضِي[٢]: أطلَقَ البَعثَ ترشِيحاً للتَّوفِّي.

قولُه: (أَجَلُ الحَياةِ) إلى المماتِ ليستَوفيَ مُدَّةَ عمُرِهِ.

قولُه: (بالبَعْثِ) وقالَ البيضاويُّ[٣]: بالمَوتِ، وفي «المدارِك»[٤]: أي: رجوعُكُم بالبَعثِ بعدَ الموتِ، وهو أظهَرُ.

قولُه: (مُستَعلِياً) تقدَّم[٥].

قولُه: (تُحْصِي أَعمَالكُم) أو تحفَظُ أبدانَكُم.

وقولُه تعالى: (﴿المَوْتُ﴾) أي: وقتُهُ.

قولُه: (وفي قراءَةٍ) لحَمزةَ بالتَّذكيرِ والإمالةِ المحضَةِ[٦].

قولُه: (المَلَائِكَةُ) أي: ملَكُ الموتِ وأعوانُهُ.

قولُه: (أي: الخَلقُ) أو الملائِكةُ.

وقولُه تعالى: (﴿إِلَى اللهِ﴾) أي: إلى حُكمِهِ وجزائِهِ.

قولُه: (مَالِكِهم) ومتولِّي أمرِهِم.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ١٣٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٥).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) أنظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥١٠).

(٥) عند قوله: «مستعلياً» تحت الآية: ١٨، من سورة الأنعام.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٢١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

٦٣ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لأهل مكّة: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِن ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾: أهوالِهما في أسفاركم، حين ﴿تَدعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾: علانية ﴿وخُفْيَةً﴾: سِرًّا، تقولون: ﴿لَئِنْ﴾ لامُ قسم ﴿أنجَيتَنا﴾ ـ وفي قراءةٍ: «أنجانا» أي: اللهُ ـ ﴿مِن هذِهِ﴾ الظُّلُمات والشدائد، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾: المؤمنين؟

٦٤ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللهُ يُنَجِيكُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِنها ومِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمّ سواها، ﴿ثُمَّ أنتُم تُشرِكُونَ﴾ به.

٦٥ ـ ﴿قُلْ: هُوَ القادِرُ علَى أن يَبعَثَ علَيكُم عَذابًا مِن فَوقِكُم﴾: من السماء كالحِجارة والصيحة ﴿أو مِن تَحتِ أرجُلِكُم﴾..

قولُه: (لأهْلِ مكَّةَ) الظَّاهرُ الإطلاقُ.

قولُه: (أهْوالِهمَا) وشَدائِدِهمَا، استُعيرَتِ الظُّلمةُ للشِّدَّةِ؛ لمشارَكتِها في الهَولِ وإبطالِ الإبصَارِ.

قولُه: (حينَ ﴿تَدْعُونَهُ﴾) الجملةُ حاليَّةٌ.

قولُه: (عَلانيةً) أي: إعلاناً أو مُعلِنين.

قولُه: (سرًّا) أي: سِراراً أو مُسِرِّين؛ يعنِي: كلٌّ منها إمَّا حالٌ وإمَّا مفعولٌ مطلَقٌ؛ فإنَّ الإعْلانَ والإسرارَ نوعٌ من الدُّعاءِ.

قولُه: (وفي قراءَةٍ) للكوفيِّ[1].

قولُه: (أنجَانَا) ليوافِقَ قوله: ﴿تَدْعُونَهُ﴾.

قولُه: (والتَّشديدِ) هشامٌ وكوفيٌّ[2].

قولُه: (سِوَاهَا) أي: الظُّلماتِ.

قولُه: (بِهِ) أي: تعُودونَ إلى الشِّركِ ولا توفُونَ بالعَهدِ، وإنَّما وضَعَ ﴿تُشْرِكُونَ﴾ مَوضِعَ (لا تشركون) تنبِيهاً على أنَّ مَن أشركَ في عبادَةِ اللهِ فكأنَّه لم يعبُدْه رأساً.

قولُه: (كالحِجَارةِ) لقَومِ لوطٍ وأصحابِ الفِيلِ.

قولُه: (والصَّيحَةِ) لثَمودَ، والطُّوفانِ لقومِ نوحٍ، والرِّيحِ لعادٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٢٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٩).

(٢) انظر المصادر السابقة.

كالخَسف، ﴿أو يَلبِسَكُم﴾: يَخلِطَكم ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقًا مُختلفة الأهواء، ﴿ويُذِيقَ بَعضَكُم بأسَ بَعضٍ﴾ بالقِتال. قال ﷺ لمّا نزلت: «هذا أهوَنُ» أو «أيسَرُ»، ولمّا نزل ما قبله: «أعُوذُ بوَجهِكَ». رواه البخاريّ. وروى مُسلم حديثَ «سألتُ رَبِّي ألاّ يَجعلَ بأسَ أُمّتِي بَينَهُم، فمَنَعَنيها». وفي حديثٍ «لمّا نَزلَتْ قالَ: أما إنَّها كائنةٌ، ولَم يأتِ تأوِيلُها بَعدُ». ﴿انظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيّنُ لهم ﴿الآياتِ﴾: الدلالات على قُدرتنا، ﴿لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾: يعلمون أنّ ما هم عليه باطل؟

٦٦ ـ ﴿وكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآنِ ﴿قَومُكَ، وهُوَ الحَقُّ﴾: الصِّدق. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَستُ عَلَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجازيَكم، إنّما أنا مُنذر، وأمرُكم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقِتال. ٦٧ ـ ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبرٍ ﴿مُستَقَرٌّ﴾: وقتٌ يقع فيه ويستقرّ، ....

قولُه: (كالخَسْفِ) لقارُونَ، والإغرَاقِ لِفرعونَ، والزَّلزلةِ لقومٍ آخرِين، وعن ابنِ عبَّاسٍ[١]: عذابُ الفَوقِ أمرَاءُ السُّوءِ، والتَّحتِ: خدَمُ السُّوءِ، وقيل: ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: أكابِرِكُم وحكَّامِكُم، و﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: سفِلتِكُم وعبيدِكُم.

قولُه: (لمَّا نَزَلَتْ) أي: هذِهِ الجمْلةُ الأخِيرةُ؛ وهي قولُه: ﴿أَو يَلْبِسكُم﴾، أو لمَّا نزلتْ هذه الآيةُ، والمشارُ إليه بـ«هذا» الجملةُ الأخِيرةُ، وتذكيرُهُ باعتِبارِ خبرِهِ.

قولُه: (مَا قبْلَهُ) وهو ﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قولُه: (فمَنَعَنِيها) أي: المسْألةَ.

قولُه: (مَا هُم عَليهِ) أي: من الكفرِ.

قولُه: (بالقُرْآنِ) أو بالعذابِ.

وقولُه: (﴿قَوْمُكَ﴾) يعنِي: قرَيشاً.

قولُه: (الصِّدقُ) أي: الواقِعُ لا محَالةَ.

قولُه: (فأُجَازِيَكُم) أو فأمنعَكُم من التَّكذيبِ، أو ما وُكِلَ إليَّ أمرُكم، إنَّما عليَّ البلاغُ، وعلى كلٍّ فليسَ له معنًى قابِلٌ لنَسخٍ؛ لقَولِ الشَّيخِ: «وهذا قبلَ الأمرِ بالقتالِ».

قولُه: (خَبَر) من إخبارِ اللهِ، أو يريدُ: إمَّا العَذابَ أو الإيعَادَ به.

قولُه: (يَقَع) أي: الخبرُ؛ أي: وقتُ استِقرارِ وقوعِهِ ولو بعدَ حينٍ، بعضُهُ في الدُّنيا وبعضُهُ في الآخرَةِ، وهذا تهدِيدٌ شدِيدٌ ووعِيدٌ أكِيدٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٤٠٧).

ومنه عذابكم، ﴿وَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾. تهديدٌ لهم.

٦٨ ـ ﴿وإذا رأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا﴾: القُرآنِ بالاستهزاء ﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾ ولا تُجالسْهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيرِهِ. وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ـ ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾، بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد، ﴿الشَّيطانُ﴾ فقعدتَ معهم ﴿فلا تَقعُدْ بَعدَ الذِّكرَى﴾ أي: تذكُّرِهِ ﴿مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾. فيه وضعُ الظاهر موضعَ المُضمر.

وقال المُسلمون: إن قُمنا كلّما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف. فنزل:

٦٩ ـ ﴿وما علَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ ﴿مِن حِسابِهِم﴾......................................

قولُه: (ومِنْهُ) أي: من الكلِّ، والكلُّ يرجِّحُ الأوَّلَ.

قولُه: (بالاسْتِهزَاءِ) والتَّكذيبِ بها والطَّعنِ فيها.

قولُه: (ولَا تُجَالِسْهُم) وقمْ عنهُم.

وقولُه تعالى: (﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾) أعادَ الضَّميرَ على مَعْنى الآياتِ؛ لأنَّها القُرآنُ، كذا قالوهُ، والأظهَرُ: أنَّه عائِدٌ إلى الخَوضِ.

قولُه: (المَزِيدَةِ) للتَّأكيدِ.

قولُه: (وفتْحِها) أي: وبفَتحِها مع التَّشديدِ شاميٌّ[1].

قولُه: (فَقَعَدْتَ) بأنْ يشغلَكَ بوسوسَتِهِ حتَّى يُنسِيَك النَّهيَ عن مجالسَتِهِم، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ مفعولَهُ الثَّاني محذُوفٌ.

قولُه: (أيْ: تَذَكُّرِه) أي: الحكمِ، و﴿الذِّكْرَى﴾ مصدرٌ، وألفُهُ للتَّأنيثِ.

قولُه: (مَوضِعَ المُضْمَرِ) دَلالةً على أنَّهم ظلَمُوا بوضْعِ التَّكذيبِ والاستِهْزاءِ مَوضِعَ التَّصديقِ والاستِعْظامِ.

قولُه: (وأَنْ نَطُوفَ) فيه دَلالةٌ على أنَّ المرادَ بالقعُودِ المنفيِّ إنَّما هو الحضُورُ.

قولُه: (نَزَلَ) أي: رخصةً لهم بشَرطِ التَّذكيرِ. قال كثيرٌ من السَّلَفِ: هذا منسُوخٌ بآيَةِ النِّساءِ المدنيَّة، وهي قولهُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وصحَّ عن سعيدِ بن جُبيرٍ أنَّ معناهُ: ما عليكُم أن تخُوضُوا في آياتِ اللهِ شيءٌ من حسابِهِم إذا تجنَّبتُم وأعرضْتُم عنهم[2].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٢٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٤٢٩).

أي: الخائضين ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿شَيءٍ﴾ إذا جالسوهم، ﴿ولكِنْ﴾ عليهم ﴿ذِكرَى﴾: تذكرةٌ لهم ووعظ، ﴿لَعلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

٧٠ ـ ﴿وذَرِ﴾: اترُكِ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم﴾ الذي كُلِّفوه ﴿لَعِبًا ولَهْوًا﴾ باستهزائهم به، ﴿وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾، فلا تتعرّض لهم ـ وهذا قبلَ الأمر بالقتال ـ ﴿وذَكِّرْ﴾: عِظْ ﴿بِهِ﴾: القُرآنِ الناسَ لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿تُبسَلَ نَفسٌ﴾: تُسلَمَ إلى الهلاك، ﴿بِما كَسَبَتْ﴾: عمِلته، ﴿لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَليٌّ﴾: ناصِر ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب، ﴿وإن تَعدِلْ كُلَّ عَدلٍ﴾: تَفدِ كُلَّ فِداء..........

قولُه: (زَائِدَةٌ) أي: مما يُحاسَبون عليهِ من آثَامِ الخائضِينَ.

قولُه: (إذا جَالَسُوهُم) يعنِي: إن جالَسَ المتَّقونَ الخائِضينَ.

قولُه: (عَلَيْهِم) أي: المتَّقينَ؛ يعنِي: ﴿ذِكْرَى﴾ مبتدأٌ حُذِفَ خبرُه، ويحتمِلُ النَّصبَ على المصدرِ؛ أي: لكن يذكِّرونَهُم ذكرَى.

قولُه: (لَهُم) أي: للخائضِينَ.

وقولُه: (ووَعظٌ) عطفُ تفسيرٍ؛ أي: يمنعُونَهم عن الخوضِ وغيرِهِ من القبَائحِ.

قولُه: (الخَوضَ) حبًّا أو كرَاهةً لمساءَتِهم، فالضَّميرُ في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ للخائضِينَ.

قولُه: (فَلَا تتعَرَّضْ) قال القاضِي[1]: المعنَى: أعرِضْ عنهُم ولا تُبالِ بأفعَالِهم وأقوَالِهم، ومَن جعلَهُ منسُوخاً حمَلَ الأمرَ على تركِ التَّعرُّض، وهو الأظهَرُ.

قولُه: (لِـ﴿أَنْ﴾ لا) أو مخَافةَ.

قولُه: (تُسْلَم) أو تُؤاخَذَ، أو تُجزى، أو تُرهَنَ، أو تُفتضَحَ، أو تُحبَسَ.

قولُه: (عَمِلَت) أي: بسُوءِ عمَلِهَا.

قولُه: (يَمنَع) أو يدفَع.

قولُه: (تَفْدِ) أي: النَّفسُ.

قولُه: (كُلَّ فِدَاءٍ) قالَ القاضِي[2]: العَدْلُ: الفِدْية؛ لأنَّها تُعادِل المفدِيَّ، وهاهنا الفِداءُ، و﴿كُلَّ﴾ نصبٌ على المصدَرِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٦٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

﴿لا يُؤخَذْ مِنها﴾ ما تُفدَى به. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبسِلُوا بِما كَسَبُوا، لَهُم شَرابٌ مِن حَمِيمٍ﴾: ماءٍ بالغ نهايةَ الحرارة ﴿وعَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم ﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾: بكُفرهم.

٧١ - ٧٢ - ﴿قُلْ: أَندعُو﴾: أنعبدُ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُنا﴾ بعبادته، ﴿ولا يَضُرُّنا﴾ بتركها - وهو الأصنام - ﴿ونُرَدُّ على أعقابِنا﴾: نرجع مُشركين ﴿بَعدَ إذْ هَدانا اللهُ﴾ إلى الإسلام، ﴿كالَّذِي استَهوَتْهُ﴾: أضلّته ﴿الشَّياطِينُ في الأرضِ، حَيرانَ﴾: مُتحيرًا لا يدري: أين يذهب؟ حالٌ من الهاء، ﴿لَهُ أصحابٌ﴾: رُفقة ﴿يَدعُونَهُ إِلَى الهُدَى﴾ أي: ليهدوه الطريق، يقولون له: ﴿ائتِنا﴾، فلا يُجيبهم فيَهلِك؟ والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير «نُرَدّ». ﴿قُلْ: إنَّ هُدَى اللهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الهُدَى﴾، وما عداه ضلال، ﴿وأُمِرْنا لِنُسلِمَ﴾ أي: بأن نُسلم ﴿لِرَبِّ العالَمِينَ، وأنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ واتَّقُوهُ﴾ تعالى. ﴿وهُوَ الَّذِي إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾: تُجمعون يوم القيامة للحِساب.

قولُه: (ما تَفْدِي بِهِ) قال القاضي[1]: الفعلُ مُسنَدٌ إلى ﴿مِنهَا﴾ لا إلى ضميرِ العَدْلِ؛ لأنّه مصدرٌ، وهو ليسَ بمأخوذٍ، بخِلافِ قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] فإنَّه المفدِيُّ به.

قولُه: (وهُوَ الأَصْنَامُ) أي: ما لا يقدِرُ على نفعِنا وضُرِّنا.

قولُه: (نرجعُ) عُطف على: ﴿نَدْعُوا﴾.

قولُه: (أضلَّته) وقرأ حمزةُ[2] بألفٍ مُمالةٍ.

قولُه: (رُفقَةٌ) أي: للمُستَهوى.

قولُه: (يَهْدِيهِم إِلى الطَّرِيقِ) وفي نسخةٍ: «إلى طريقِ الحقِّ» وفي أخرَى: «يهديهِمُ الطَّريقَ».

قولُه: (فَلَا يَحْسَبُهم) أي: فلا يقبَلُ دعوتَهُم، وفي نسخةٍ: «فلا يُجيبُهم» أي: فلا يأتيهِم للإنكَارِ؛ أي: لا يقعُ شيءٌ من ذلكَ.

قولُه: (بأنْ نُسلِمَ) ونُخلِصَ، فاللّامُ بمعنَى الباءِ، وهو مِن جملةِ المقُولِ.

قولُه: (اي: بأَن ﴿أَقِيمُوا﴾) عطفٌ على مَوقعِ ﴿لِنُسلِمَ﴾ كأنّه قيل: وأُمِرْنا أن نُسلِمَ وأن أَقِيمُوا؛ يعني: أنّه عطفٌ بالمعنَى، وفي غيرِ القرآنِ يُسمَّى عطفاً على التَّوهُّمِ، فتفهَّم.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٢٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

٧٣ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾ أي: مُحِقًّا، ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿يَومَ يَقُولُ﴾ للشيء: ﴿كُنْ. فيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة ـ يقول للخلق: قوموا. فيقومون ـ ﴿قَولُهُ الحَقُّ﴾: الصِّدق الواقع لا محالة، ﴿ولَهُ المُلكُ، يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القرنِ النفخةَ الثانيةَ من إسرافيلَ، لا مُلكَ فيه لغيره «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ »؟ ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

٧٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ ابراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ هو لقبه واسمه تارَحُ: ﴿أَتَتَّخِذُ أصنامًا آلِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ. ﴿إنِّيَ أراكَ وقَومَكَ﴾ باتّخاذها ﴿في ضَلالٍ﴾ عن الحقّ ﴿مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ.
٧٥ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إبراهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: مُلكَ ﴿السَّماواتِ والأرضِ﴾ ليستدلّ به على وحدانيّتنا، ﴿ولِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ بها. وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض.

وعُطِفَ على «قال» ٧٦ ـ ﴿فلَمّا جَنَّ﴾: أظلم ﴿علَيهِ اللَّيلُ رأَى كَوكَبًا﴾ ـ قيل: هو الزُّهَرة ـ ﴿قالَ﴾ لقومه وكانوا نَجّامِينَ: ﴿هذا رَبِّي﴾ في زعمكم. ﴿فلَمّا أفَلَ﴾: غاب ﴿قالَ: لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾..

قولُه: (مُحِقًّا) أي: لا لاعِباً وعابثاً.

قولُه: (مَا غابَ) أي: هو عالِمُ ما غابَ عن العبادِ.

قولُه: (هوَ لقَبُه) وقيل: بالعكسِ، أو اسمانِ، قالَ الصَّفويُّ[1]: الأصحُّ أنّه اسمُ أبيهِ.

قولُه: (تعبُدُها) والظَّاهرُ أنَّ ﴿تَتَّخِذَ﴾ متعَدٍّ إلى مفعُولَين.

قولُه: (بيِّنٍ) ظاهرٍ، من أبانَ اللَّازمِ.

قولُه: (مُلْكَ) قيل: هو أعظَمُ الملكِ، والتَّاءُ فيه للمبالغةِ.

قولُه: (ليستَدِلَّ بهِ) أي: بالملكِ؛ يعني: ﴿وليكون﴾ عُطفَ على محذُوفٍ، وهو حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

قولُه: (بِهَا) أي: بوحدانيَّتِنا.

قولُه: (قيلَ: هوَ الزُّهَرةُ) وقيلَ: المشتَرِي.

قولُه: (فِي زعمِكُم) أو على إرخاءِ العَنانِ، أو على وجهِ الاستِدْلالِ زمانَ مُراهقتِهِ، ولا يلائمُهُ قولُه: يا قوم، والأحسَنُ تقدِيرُ الاستفهامِ الإنكارِيِّ.

---

(١) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٥٠).

أن أتّخذهم أربابًا لأنّ الربّ لا يجوز عليه التغيُّر والانتقال لأنهما من شأن الحوادث. فلم ينجع فيهم ذلك. ٧٧ ـ ﴿فلَمّا رأى القَمَرَ بازِغًا﴾: طالعًا ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿هذا رَبِّي. فلَمّا أفَلَ قالَ: لَئِنْ لَم يَهدِنِي رَبِّي﴾: يُثبِّتني على الهُدى ﴿لَأكُونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالِّينَ﴾. تعريضٌ لقومه بأنهم على ضلال. فلم ينجع فيهم ذلك.

٧٨ ـ ﴿فلَمّا رأى الشَّمسَ بازِغةً قالَ: هذا﴾ ـ ذَكَّره لتذكير خبره ـ ﴿رَبِّي. هذا أكبَرُ﴾ من الكوكب والقمر. ﴿فلَمّا أفَلَتْ﴾ وقَوِيتْ عليهم الحُجّة، ولم يَرجِعوا، ﴿قالَ: يا قَومِ، إنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المُحدَثة المُحتاجة إلى مُحدِث. فقالوا له: ما تعبدُ؟ ٧٩ ـ فقال: ﴿إنِّي وَجَّهتُ وَجهِي﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: خلق ﴿السَّماواتِ والأرضَ﴾ أي: اللهِ ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدِّين القيّم، ﴿وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ﴾ به.

٨٠ ـ ﴿وحاجَّهُ قَومُهُ﴾: جادلوه في دِينه، وهدَّدوه بالأصنام أن تُصيبه بسوء إن تركها. ﴿قالَ: أتُحاجُّونِّي﴾، بتشديدِ النون وتخفيفِها بحذف إحدى النونين، ....

قولُه: (أنْ أتّخِذَهُم) أو فضلاً عن عبادتِهم.

قولُه: (التَّغيُّر) أي: الطُّلوعُ والاحتِجابُ.

قولُه: (والانتقَالُ) من حالٍ إلى حالٍ.

قولُه: (الحَوادِثِ) والحدُوثُ يُنافِي الألُوهيَّةَ.

قولُه: (فلَمْ ينْجَعْ) بالنُّونِ والجيمِ؛ أي: فلم يؤثِّر.

قولُه: (ذَكَّرَهُ) أي: اسمَ الإشارةِ، وصيَانةً للرَّبِّ عن وَصْمةِ التَّأنيثِ، أو التَّقديرُ: هذا الشَّيءُ الطَّالعُ.

قولُه: (مِن الكَوكَبِ) جِرْماً وإضاءةً.

قولُه: (الحُجَّةُ) بأن ظهَرَ حدُوثُه وأنَّه مسخَّرٌ.

قولُه: (فقَالُوا) أو لمَّا تبرَّأَ عنها توجَّهَ إلى مُوجِدِها.

قولُه: (خلَقَ) على غيرِ مثالٍ سبَقَ.

قولُه: (مَائلاً) أي: حالَ كونِي مائلاً عن الشِّركِ إلى التَّوحيدِ.

قولُه: (وتخفِيفِهَا) نافعٌ وابنُ عامرٍ بخُلفٍ عن هشامٍ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٣٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٩).

وهي نون الرفع عِند النُّحاة ونون الوقاية عند القُرّاء: أتُجادِلُونَني ﴿في﴾ وحدانيّةِ ﴿اللهِ، وقَد هَدانِ﴾ - تعالى - إليها؟ ﴿ولا أخافُ ما تُشرِكُونَ﴾ـه ﴿بِهِ﴾ من الأصنام أن تُصيبني بسوء لعدم قُدرتها على شيء. ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿أن يَشاءَ رَبِّي شَيئًا﴾ من المكروه يُصيبُني فيكونَ. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾ أي: وسع علمُه كُلّ شيء. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟ ٨١ - ﴿وكَيفَ أخافُ ما أشرَكتُم﴾ بالله، وهي لا تضرّ ولا تنفع، ﴿ولا تَخافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أنَّكُم أشرَكتُم بِاللهِ﴾ في العِبادة ﴿ما لَم يُنَزِّلْ بِهِ﴾: بعبادته ﴿عَلَيكُم سُلطانًا﴾: حُجّة وبرهانًا، وهو القادر على كُلّ شيء؟ ﴿فأيُّ الفَرِيقَينِ أحَقُّ بِالأمنِ﴾ من العذاب، أنحن أم أنتم؟ ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ مَنِ الأحقُّ به - أي: وهو نحن - فاتّبعوه.

٨٢ - ٨٣ - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، ولَم يَلبِسُوا﴾: يخلِطوا ﴿إيمانَهُم بِظُلمٍ﴾ أي: شِركٍ كما فُسّر بذلك في حديث الصحيحين،..

قولُه: (عِنْدَ القُرَّاء) قال الشَّاطبيُّ[1]: والحذفُ لم يكُ أوّلاً.

قولُه: (مِن الأَصْنَام) ضميرُ ﴿به﴾ عائدٌ على ﴿ما﴾ أي: الَّذي تشركُونَ بِهِ اللهَ، وقيل: على ﴿الله﴾ أي: الذي تُشْركونَه باللهِ، قالَه الصَّفويُّ[2].

قولُه: (لكنْ) استِثناءٌ منقطِعٌ؛ أي: لكن أخافُ مشِيئةَ اللهِ، أو متَّصِلٌ تقديرُهُ: لا أخافُ معبُوداتِكُم في وقتٍ قطُّ إلَّا وقتَ مشِيئةِ ربِّي شيئاً من مكرُوهٍ يُصيبُني من جهَتِها، مثلَ أن يرجُمَني بكوكَبٍ أو يجعَلَها قادِرةً على مضرَّتِي.

قولُه: (وَسِعَ علمُه) إشارةٌ إلى أن ﴿عِلماً﴾ تمييزٌ مُحوَّلٌ عن الفاعِلِ.

قولُه: (أَنتُم مِن اللهِ) قال الصَّفويُّ: والواوُ للحالِ، والظَّاهرُ أنّه عطفٌ على ﴿لا أَخَافُ﴾.

قولُه: (بعبادَتِه) فالضَّميرُ لـ﴿مَا﴾ بمعنَى شيئاً، والأظهرُ بإشراكِهِ.

قولُه: (حُجَّةً وبُرهَاناً) أي: كتاباً، ولم يَنصِب عليهِ دليلاً.

قولُه: (أنحنُ) الموحِّدونَ.

قولُه: (مَنِ الأحَقُّ بهِ؟) أي: بالأمنِ، أو ما يحقُّ أن يُخافَ منهُ.

قولُه: (يخْلِطُوا) استِئنافٌ من إبراهِيمَ، أو منَ اللهِ بالجوَابِ عمَّا استفهَمَ عنه.

قولُه: (في حدِيثِ الصَّحيحَين) أنّه لمَّا نزلَتِ الآيةُ شقَّ ذلكَ على الصَّحابةِ وقالوا: أيُّنا لا يظلِمُ نفسَه،

---

(١) انظر: «متن الشاطبية» (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٥١).

﴿أُولئِكَ لَهُمُ الأمنُ﴾ من العذاب، ﴿وهُم مُهتَدُونَ، وتِلكَ﴾: مُبتدأ، ويُبدل منه ﴿حُجّتُنا﴾ التي احتجّ بها إبراهيم على وحدانيّة الله من أُفول الكوكب وما بعده، والخبرُ: ﴿آتيناها إبراهِيمَ﴾: أرشدناه لها حُجّةً ﴿علَى قَومِهِ. نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ﴾ ـ بالإضافة والتنوين ـ في العِلم والحِكمة. ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

٨٤ـ٨٥ـ٨٦ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ إسحاقَ ويَعقُوبَ﴾ ابنَه، ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَينا، ونُوحًا هَدَينا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ إبراهيمَ، ﴿ومِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نُوحٍ ﴿داوُدَ وسُلَيمانَ﴾ ابنَه ﴿وأيُّوبَ ويُوسُفَ﴾ ابنَ يعقوب، ﴿ومُوسَى وهارُونَ ـ وكَذلِكَ﴾: ....

فقال: «ذلك إنَّما هو الشِّركُ، ألم تسمَعُوا ما قالَ لقمَانُ لابنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[١].

وليس الإيمَانُ به أن يصدِّقَ بوجُودِ الصَّانعِ الحكيمِ ويخلِطَ بهذا التَّصديقِ الإشراكَ به، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فالمرادُ بالإيمَانِ: هو التَّصديقُ اللُّغويُّ الخاصُّ بوجُودِ اللهِ فقط؛ لأنَّ خلطَ الإيمانِ الشَّرعيِّ والشِّركِ غيرُ متصوَّرٍ، ولذا قيلَ: المرَادُ بالظُّلمِ المعصيَةُ.

قولُه: (مِن أُفُولِ) أو مِن: ﴿أتحاجونِّي﴾.

قولُه: (حُجَّةً) يعنِي: ﴿عَلَى قَومِهِ﴾ متعلِّقٌ بمقدَّرٍ، ومتعلِّقٌ بـ﴿حُجَّتُنَا﴾ إن جُعِلَ خبرَ ﴿تِلْكَ﴾.

قولُه: (والتَّنوِينِ) كوفيٌّ[٢]، فـ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ مفعُولُ ﴿نَرْفَعُ﴾، و﴿دَرَجَاتٍ﴾ ظرفٌ.

قولُه: (في صنعِهِ) من خفضِهِ ورفعِهِ.

قولُه: (ابنَه) أي: ابنَ إسحَاقَ.

قولُه: (مِنهُما) وقيلَ: منهم.

قولُه: (قَبْلِ إبرَاهِيمَ) عدَّ هديَ إبراهيمَ رحمةً على إبراهيمَ من حيثُ إنَّه أبوهُ، وشرَفُ الوالدِ يتعَدَّى إلى الولَدِ.

قولُه: (أي: نُوحٍ) لأنَّه أقرَبُ، ولأنَّ يونُسَ ولوطاً ليسا من ذرِّيَّةِ إبراهِيمَ، أو الضَّميرُ لإبراهِيمَ؛ إذِ الكلامُ فيه، والمذكورُونَ في الآيةِ الثَّالثةِ عطفٌ على: ﴿نُوحًا﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٣٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

كما جزيناهم ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ ـ وزَكَرِيّاءَ ويَحيَى﴾ ابنَه ﴿وعِيسَى﴾ ابنَ مريمَ، يُفيد أنّ الذّرّيّة تتناول أولاد البنت، ﴿وإلْيَاسَ﴾ ابنَ أخي هارونَ أخي موسى ـ ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ ـ وإسماعِيلَ﴾ ابنَ إبراهيم ﴿واليَسَعَ﴾، اللام زائدة، ﴿ويُونُسَ ولُوطًا﴾ ابنَ هارانَ أخي إبراهيم، ﴿وكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنا عَلَى العالَمِينَ﴾ بالنُّبوّة، ٨٧ ـ ﴿ومِن آبائِهِم وذُرِّيّاتِهِم وإخوانِهِم﴾ ـ عطفٌ على «كلًّا» أو «نُوحًا»، ومِن: للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ـ ﴿واجتَبَيناهُم﴾: اختَرناهم، ﴿وهَدَيناهُم إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾.

٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿ذلِكَ﴾ الدِّين الذي هُدوا إليه.......................................

قولُه: (كمَا جزَيناهُم) أو كما جزَينا إبراهِيمَ، وهو الأظهَرُ.

قولُه: (ابنَ أخِي هارُونَ) وقيل: غيرُه، كذا ذكرَه المحلِّيُّ في محلِّه[1].

قولُه: (اللَّامُ زائدةٌ) وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ[2]: ﴿واللَّيْسَعَ﴾ علمٌ أعجميٌّ أُدخِلَ عليهِ اللّامُ تفخِيماً كما في قوله:

رأيــتُ الوليــدَ بــنَ اليزيــدِ مُبــارَكاً[3]

وهو يوشَعُ بنُ نونٍ، وقيلَ: هو اليسَعُ بنُ أخطوبَ بنِ العَجوزِ.

قولُه: (عطفٌ عَلى ﴿كلًّا﴾) أي: فضَّلْنا كلًّا منهُم.

وقولُه: (أو ﴿نُوحًا﴾) أي: هدَينا هؤلاءِ.

وقولُه: (للتَّبعِيض) أي: على القولَين؛ أي: وبعضُ آبائِهم وذرِّياتِهم وإخوانِهم.

قولُه: (اختَرناهُم) عطفٌ على: ﴿فَضَّلْنا﴾.

وقولُه تعالى: (﴿وهَدَيْنَاهُم﴾) تكرِيرٌ لبيانِ ما هُدوا إليه.

---

(١) انظر: «تفسير الجلالين» (ص: ٥٩٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٣٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٣) هذا صدرُ بيت، عجزه:

شــديداً بأعبــاء الخلافــة كاهلــه

نسبه الموصلي في «سر صناعة الإعراب» (٢/ ١٢١)، وأبو الحسن المرسي في «المحكم» (٩/ ٨٦)، وابن منظور في «لسان العرب» (٣/ ٢٠٠) إلى ابن ميادة.

﴿هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ولَو أشرَكُوا﴾ فَرْضًا ﴿لَحَبِطَ عَنهُم ما كانُوا يَعمَلُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ﴾ ـ بمعنى الكُتب ـ ﴿والحُكمَ﴾: الحِكمة ﴿والنُّبُوّةَ. فإن يَكفُرْ بِها﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿فقَد وَكَّلْنا بِها﴾: أرصدنا لها ﴿قَومًا، لَيسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾، هم المهاجرون والأنصار.

٩٠ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللهُ. فبِهُداهُمُ﴾: طريقِهم من التوحيد والصبر ﴿اقتَدِهْ﴾، بهاء السكت وقفًا ووصلاً، وفي قراءة بحذفها وصلاً. ﴿قُلْ﴾ لأهل مكّة: ﴿لا أسأَلُكُم علَيهِ﴾ أيِ: القُرآنِ ﴿أجْرًا﴾ تُعطُونِيه. ﴿إنْ هُوَ﴾:..

قولُه تعالى: (﴿مَنْ يَشَاءُ﴾) دلِيلٌ على أنَّه متفضِّلٌ بالهدايةِ.

قولُه: (فَرْضاً) أي: مع فضلِهِم وعلُوِّ شأنِهم، فيه دلالةٌ على أنَّ الهُدَى السَّابقَ هو التَّوحيدُ.

قولُه: (بمَعْنَى الكتُبِ) يعنِي: أُريدَ به جنسُ الكتابِ.

قولُه: (الحِكْمَةَ) أي: العلمَ، أو فصْلَ الأمرِ على ما يقتضِيهِ الحقُّ.

قولُه: (أي: بهذه الثَّلاثَة) أو بالنُّبوَّةِ، وهو الأظهرُ.

قولُه: (أرصَدْنا لهَا) أو للإيمانِ بها، أو بمُراعاتِها، والتَّوكيلُ هنا استعارةٌ للتَّوفيقِ للإيمانِ والقيامِ بحقُوقِهِ.

قولُه: (والأنصَارُ) قيل: ومن تَبِعَهم إلى يومِ الدِّينِ، أو: هم الأنبياءُ المذكُورونَ ومُتابِعوهُم، وقيل: الفُرْس، وفي «المبهَمات»[1] هم الأنصارُ أو الملائكةُ.

قولُه: (طريقِهِمْ) أي: فاختَصَّ، والمرادُ: ما توافَقُوا عليه من التَّوحيدِ وأصُولِ الدِّينِ والصِّفاتِ الحمِيدَةِ دونَ الفرُوعِ المختلفِ فيها، فإنَّها ليست هدياً مُضافاً إلى الكلِّ، ولا يمكِنُ التَّأسِّي بهم جمِيعاً.

قولُه: (وفي قراءةٍ) أي: لحمزةَ والكِسائيِّ، وقرأ ابن عامرٍ: بالكسر، لكن بدون الإشباعِ من طريقِ هشامٍ، وبالإشباعِ من طريقِ ابن ذَكْوَانَ[2].

قولُه: (لأهْلِ مكَّةَ) وكذا لأهلِ المدينَةِ وغيرِهما.

قولُه: (أي: القُرآنِ) أو التَّبليغِ.

قولُه: (تُعْطُونِيهِ) أي: جُعلاً من جهتِكُم، وهذا من جملةِ ما أُمِرَ بالاقتِداءِ بهم فيه.

---

(١) انظر: «المبهمات» (ص: ٤٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٥١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥).

ما القُرآن ﴿إلاّ ذِكرَى﴾: عِظةٌ ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ.

٩١ ـ ﴿وما قَدَرُوا﴾ أي: اليهودُ ﴿اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظّموه حقَّ عظمته أو ما عَرَفوه حقّ معرفته، ﴿إذْ قالُوا﴾ للنبيّ وقد خاصموه في القُرآن: ﴿ما أنزَلَ اللهُ علَى بَشَرٍ مِن شَيءٍ. قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن أنزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى لِلنّاسِ، يَجعَلُونَهُ﴾ ـ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ـ ﴿قَراطِيسَ﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطّعة، ﴿يُبدُونَها﴾ أي: ما يُحبّون إبداءه منها، ﴿ويُخفُونَ كَثِيرًا﴾ ممّا فيها كنعت مُحمّد؟ ....

قولُه: (بالقُرْآنِ) أو التَّبليغ، أو القَرض منهُ.

قولُه: (عِظَة) فهو اسمٌ، أو تذكِيرٌ فهو مصْدرٌ.

قولُه: (أي: اليهُودُ) قالهُ ابن عبَّاسٍ، أو مشرِكُو قُريشٍ، قالهُ مجاهِدٌ، كذا في «المبهَمات»[1] والأوَّلُ هو الظَّاهرُ بدليلِ نقضِ كلامِهِم وإلزامِهِم بقولِهِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ وعلى الثَّاني: إلزامُهُم بإنزالِ التَّوراةِ؛ لأنَّه كان من المشهُورَاتِ الذَّائعةِ عندَهُم، وكانوا يقُولُون: ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قولُه: (حقَّ معْرِفتِهِ) أي: في الرَّحمةِ والإنعامِ على العِبادِ حين أنكَرُوا الوحيَ وبعثةَ الرُّسلِ، أو في السَّخَط على الكُفرِ حين جسَروا على هذِهِ المقالَةِ، أمَّا حقيقةُ معرفتِهِ في ذاتِهِ وصفاتِهِ فليسَ لأحدٍ، قالَ ﷺ: «أنتَ كما أثنَيْتَ على نَفسِكَ»[2].

قولُه: (بالياء) بَصريٌّ[3]، على الالتِفاتِ إهانةً، أو الضَّميرُ لليَهودِ، والخطَابُ لقريشٍ.

قولُه: (الثَّلاثَة) منها المتأخِّرانِ.

قولُه: (أي: يكتُبُونَه) فالتَّقديرُ: ذا قراطِيسَ منها؛ أي: من قراطِيسَ.

قولُه: (كنَعْتِ محَمَّدٍ) وآيةِ الرَّجمِ، وأنَّ الله يُبغِضُ الحَبْرَ السَّمينَ[4].

---

(١) انظر: «المبهمات» (ص: ٤٢).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣)، والنسائي (١٦٩)، وابن ماجه (٣٨٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٥٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥٩٧) عن سعيد بن جبير مرسلًا.

﴿وعُلِّمتُم﴾ ـ أيّها اليهودُ ـ في القُرآن ﴿ما لَم تَعلَمُوا أنتُم ولا آباؤُكُم﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه. ﴿قُلِ: اللهُ﴾ أنزلَه. إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه، ﴿ثُمَّ ذَرْهُم في خَوضِهِم﴾: باطلهم ﴿يَلعَبُونَ﴾.

٩٢ ـ ﴿وهذا﴾ القُرآن ﴿كِتابٌ أنزَلْناهُ، مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾: قَبلَه من الكُتب، ﴿ولِتُنذِرَ﴾، بالتاء والياء عطفٌ على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها﴾ أي: أهلَ مكّة وسائرَ الناس، ﴿والَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ يُؤمِنُونَ بِهِ، وهُم علَى صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابِها.

٩٣ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾، بادّعاءِ النبوّة ولم يُنبأ، ﴿أو قالَ: أُوحِيَ إلَيَّ. ولَم يُوحَ إلَيهِ شَيءٌ﴾ ـ نزلتْ في مُسيلِمةَ ـ ﴿و﴾ مِن ﴿مَن قالَ: سأُنزِلُ مِثلَ ما أنزَلَ اللهُ﴾؟ وهم المُستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مِثل هذا.

قولُه: (أيُّها اليَهُودُ) وقيل: الخطابُ لمَن آمنَ من قُريشٍ؛ أي: مِن خبرِ ما سبَقَ، ونبأِ ما يأتِي.

قولُه: (أَنزَلَهُ) أو أنزلَه اللهُ، فالأوَّلُ اسمُه، وهو الأَولى، والثَّانِي فعلُه.

قولُه: (إِنْ لَمْ يَقُولُوهُ) عِناداً، أو تجبُّراً.

قولُه: (مِنَ الكتُبِ) أو التَّوراةِ.

قولُه: (والياءِ) الغَيبةُ، شُعبةُ[1]؛ أي: ليُنذِرَ الكتابُ أو النَّبيُّ.

قولُه: (عَطفٌ عَلَى مَعْنَى مَا قَبْلَه) أو على صريحِ لفظِ ﴿مُبَارَكٌ﴾؛ أي: كتَابٌ مبارَكٌ وكَائنٌ للإِنذَارِ، أو علَّة محذُوفٍ؛ أي: وأنزلنَاهُ.

قولُه تعالى: (﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾) أي: بالنَّبيِّ أو الكتَابِ، والضَّميرُ يحتمِلُهما.

قولُه: (عقَابِها) أي: الآخرَةِ.

قولُه: (بادِّعاءِ النُّبوَّةِ) هكذا في التَّفاسير، لكن يظْهرُ لي أنَّ هذا يُفهَمُ ممَّا بعدَهُ، والتَّأسيسُ أَولى من التَّكريرِ، فالأَولى أن يُقالَ بنِسبةِ الشَّريكِ والوَلدِ ونحوِهما.

قولُه: (في مُسَيلمَةَ) أو ابنِ أبي سَرْحٍ.

قولُه: (﴿مَنْ﴾) إشَارةٌ إلى أنَّه عطفٌ على: ﴿مِمَّنِ افْتَرَى﴾، وأمَّا ﴿أَوْ قَالَ﴾ فهو عطفٌ على: ﴿افْتَرَى﴾.

قولُه: (وهُم المُسْتَهزِئون... إلخ) فتسمِيتُه إنزالاً مَجازٌ، والمعنَى: سأنظُمُ كلاماً يماثِلُ مَا ادَّعيتُم أنَّ اللهَ أنزلَهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٦١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

﴿ولَو تَرَى﴾ -يا مُحمّد- ﴿إذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿في غَمَرَاتِ﴾: سكَرات ﴿المَوتِ، والمَلائكةُ باسِطُو أيدِيهِم﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفًا: ﴿أخرِجُوا أنفُسَكُمُ﴾ إلينا لنقبضها. ﴿اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ﴾: الهوان ﴿بِما كُنتُم تَقُولُونَ علَى اللهِ غَيرَ الحَقِّ﴾ بدعوى النبوّة والإيحاء كذبًا، ﴿وكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرُونَ﴾: تتكبّرون عن الإيمان بها. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا فظيعًا.

٩٤ - ﴿و﴾ يقال لهم إذا بعثوا: ﴿لَقَد جِئتُمُونا فُرادَى﴾: منفردِين عن الأهل والمال والولد ﴿كَما خَلَقْناكُم أوَّلَ مَرّةٍ﴾ أي: حُفاةً عُراةً غُرْلاً، ﴿وتَرَكتُم ما خَوَّلْناكُم﴾: أعطَيناكم من الأموال ﴿وَراءَ ظُهُورِكُم﴾: ....

قولُه: (يا مُحَمَّد) وحُذِفَ مفعولُه لدَلالةِ الظَّرفِ عليهِ؛ أي: لو ترَى زمانَ سكَراتِهم.

قولُه: (المَذكُورُونَ) مِن المفتَري، ومُدَّعِي الوحيِ، ومدَّعِي الإنزالِ.

قولُه: (سَكَراتِ) شَدائد.

قولُه: (إليهِمْ) أي: لقبْضِ أرواحِهم، فقد وردَ: أنَّ أروَاحَ الكفَّارِ تتفرَّقُ في أجسادِهِم وتأبى الخرُوجَ، فتضرِبُهم الملائِكةُ حتَّى تخرُجَ، رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ وغيرُه[1].

قولُه: (تَعْنِيفاً) أي: زجْراً وتغلِيظاً، أو التَّقديرُ: قائلِينَ أخرِجُوها من العذابِ وخلِّصُوها من أيدِينا تهكُّماً.

وقولُه تعالى: (﴿اليَومَ﴾) أي: وقتُ الإماتةِ، أو الوَقتُ الممتَدُّ مِن الإماتَةِ إلى ما لا نهايَةَ لهُ.

قولُه: (الهَوانِ) أي: الذُّلّ.

قولُه: (كَذِباً) وادِّعاءَ الوَلدِ والشَّريكِ.

قولُه: (تتكَبَّرونَ) فالهَوانُ للاستكبارِ.

قولُه: (مُنْفَرِدِينَ) وهو جمعُ فردٍ على غيرِ قياسٍ.

قولُه: (والوَلدِ) وسائرِ ما آثَرْتموهُ من الدُّنيا، أو عن الأعوانِ، أو الأَوثانِ الَّتي زعمْتُم أنَّها شفعَاؤكُم.

قولُه: (أي: حُفَاةً) إشارةٌ إلى أنَّه حالٌ من الضَّميرِ في ﴿فُرادَى﴾؛ أي: مشبِهينَ ابتداءَ خلقِكُم حفاةً، أو بدلٌ من: ﴿فُرادَى﴾ أي: على الهيئَةِ التي وُلِدتُم عليها في الانفرادِ.

قولُه: (أَعْطَيناكُم) أي: تفضُّلاً، فشُغِلتُم به عن الآخرَةِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي في «مسنده» (٧٨٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٠٥٩)، وأحمد في «مسنده» (١٨٥٣٤)، وابن أبي حاتم «تفسيره» (٥/ ١٤٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٧) من حديث البراء رضي الله عنه.

في الدنيا بغير اختياركم، ﴿وَ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿ما نَرَى مَعَكُم شُفَعاءَكُمُ﴾: الأصنامَ ﴿الَّذِينَ زَعَمتُم أَنَّهم فِيكُم﴾ أي: في استحقاق عِبادتكم ﴿شُرَكاءُ﴾ لله. ﴿لَقَد تَقَطَّعَ بَينُكُم﴾: وَصلُكم أي: تَشتَّتَ جمعُكم ـ وفي قراءة بالنصب ظرفٌ، أي: وصلُكم بينكَم ـ ﴿وضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنكُم ما كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ في الدنيا، من شفاعتها.

٩٥ ـ ﴿إنَّ اللهَ فالِقُ﴾: شاقُّ ﴿الحَبِّ﴾ عن النبات ﴿والنَّوَى﴾ عن النخل ـ ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة ـ ﴿ومُخرِجُ المَيِّتِ﴾: النطفةِ والبيضةِ ﴿مِنَ الحَيِّ ـ ذلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿اللهُ. فأنَّى تُؤفَكُونَ﴾: فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ـ؟

٩٦ ـ ﴿فالِقُ الإِصباحِ﴾: مصدر بمعنى الصُّبح أي: شاقُّ عمودِ الصُّبح..........

قولُه: (فِي الدُّنيَا) ما قَدَّمتُم منهُ شيئاً، ولم تحتَمِلوا منهُ نقيراً.

قولُه: (وَصْلُكُم) هوَ من الأضدادِ، ومنه: بانَتْ سُعادُ[1].

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافِعٍ وحفصٍ والكَسائيِّ[2].

قولُه: (أي: وصْلُكُم) إشارَةٌ إلى إضمارِ الفاعِلِ لدَلالةِ ما قبْلَه عليه، وفي «المدارك»[3] أي: وقعَ التقطُّعُ بينكُم.

قولُه: (ذَهَب) الأظهَرُ: ضاعَ وبطلَ.

قولُه: (مِن شَفَاعَتِهَا) أو أنْ لا بعثَ ولا جَزاءَ.

قولُه: (عن النَّبَاتِ) أو: بالنَّباتِ والأشجارِ، وعن مجاهِدٍ: أرادَ الشِّقَّين اللَّذَين في الحنطَةِ والنَّواةِ[4].

قولُه: (كالإِنسَانِ... إلخ) أو الحبِّ اليابسِ من النَّباتِ النَّامِي، أو المؤمنِ من الكافرِ.

قولُه: (الفَالِقُ المُخرِجُ) أي: فاعِلُ هذهِ الأشياءِ هو اللهُ.

---

(١) جزء من مطلع قصيدة كعب بن زهير المعروفة بالبردة، وتمام البيت:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يجز مكبول

انظر: «ديوان كعب بن زهير» (ص: ٦٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٥٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٦٥٣).

ـ وهو أوّل ما يبدو من نور النهار ـ عن ظُلمة الليل، ﴿وجاعِلُ اللَّيلِ سَكَنًا﴾: تَسكن فيه الخلق من التعب، ﴿والشَّمسَ والقَمرَ﴾ ـ بالنصب عطفًا على محلّ «الليلِ» ـ ﴿حُسبانًا﴾: حِسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة وهو حال من مُقدّر أي: يَجريان بحُسبان كما في آية «الرحمن». ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقدِيرُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه.

٩٧ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهتَدُوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ في الأسفار ـ..........

قولُه: (عنْ ظُلمَةِ اللَّيلِ) أو عن بياضِ النَّهارِ، والشَّاقُّ هنا بمعنَى المميِّز.

قولُه: (تسْكُنُ فيهِ الخَلْقُ) أي: عن كَدِّ المعيشَةِ إلى نومِ الغفلَةِ ويستريحُ من التَّعبِ، أو عن وحشَةِ الخَلقِ إلى الأُنس بالحقِّ، كذا في «المدارك»[1] فالسُّكونُ بمعنَى المسكُونِ فيهِ، من قولِهِ تعَالى: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣].

قولُه: (عَلَى محَلِّ ﴿اللَّيْلِ﴾) ويشهَدُ لهمَا أنَّه قُرِئَ بجرِّهِما، والأحسَنُ نصبُهُما بـ«جعل» مقدَّراً مدلولاً عليه بـ﴿جَاعِلُ﴾، ويؤيِّدُه قراءةُ الكُوفيِّ[2]: ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ﴾.

قولُه: (حِسَاباً للأوقَاتِ) أي: على أدوارٍ مختلفَةٍ تُحسَبُ بها الأوقاتُ.

قولُه: (أوْ البَاء مَحْذُوفةٌ) فهو منصُوبٌ بنَزعِ الخافِضِ.

قولُه: (يَجْرِيانِ بحُسْبانٍ) أي: بحسابٍ معيَّنٍ لا يتجاوزانِهِ، أو جعَلَهما على حسابٍ؛ لأنَّ حسابَ الأوقاتِ يُعرَفُ بدَورانِهما وسَيْرِهما، والحُسْبان ـ بالضَّمِّ ـ بمعنَى: العدِّ والحصْرِ، مصدرُ حسَبَ ـ بالفَتح ـ يحسُبُ ـ بالضَّمِّ ـ، كما أنَّ الحِسبانَ بمعنَى الظَّنِّ ـ بالكسر ـ مصدرُ حسِبَ يحسَبُ ـ بالكسرِ أو الفتحِ[3].

قولُه: (كمَا فِي آيَةِ الرَّحْمَن) ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

قولُه: (المَذكُورُ) من فلْقِ الصُّبحِ، وجعلِ اللَّيلِ والشَّمسِ والقمرِ.

قولُه تعَالى: (﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾) أي: خلَقَها، و﴿لِتَهتَدُوا﴾ بدلٌ من: ﴿لَكُم﴾.

قولُه: (فِي الأسْفَارِ) شبَّه مشتَبِهاتِ الطُّرُقِ بالظُّلماتِ، أو المعنَى: في ظُلُماتِ اللَّيل في البرِّ والبحرِ، والإضافةُ للمُلابَسةِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٦١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٤).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيّنّا ﴿الآيَاتِ﴾: الدلالاتِ على قُدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبّرون ـ ٩٨ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾: خلقَكم ﴿مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدمُ، ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ منكم في الرَّحِم، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصُّلب. وفي قراءة بفتح القاف أي: مكانُ قرارٍ لكم..

قولُه: (بيَّنَّا) أي: فصلاً فصلاً، أو مفصَّلاً لا مُجمَلاً.

قولُه: (عَلى قُدْرتِنا) أو التَّوحيدِ.

قولُه: (يتَدبَّرونَ) فإنَّهم المنتفعُونَ به.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لغير مكِّيٍّ والبَصريِّ[1].

قولُه: (مَكَانُ قرَارٍ) أو استِقرارٍ، وليسَ اسمَ مفعُولٍ؛ لأنَّ «استقرَّ» غيرُ متعدٍّ، ومَن فتحَ القافَ كانَ المستودَعُ مثلَه؛ اسمُ مكَانٍ أو مصدرٌ، والمعنَى: فلكُم مستقَرٌّ في الأرحامِ ومستَودَعٌ في الأصلابِ، أو بالعكسِ، أو في الأرحامِ وعلى ظهرِ الأرضِ، أو في القَبرِ وفي الدُّنيا، أو في الرَّحِم والقَبرِ، أو في الجنَّة أو النَّارِ وفي القَبرِ. الأوَّلُ قولُ كثيرٍ من السَّلف منهُم ابنُ عبَّاسٍ[2]، والثَّاني لطائِفةٍ منهم ابنُ مسعُودٍ[3]، والثَّالثُ لسعيدِ بن جُبَيرٍ[4]، والرَّابعُ للحسَنِ[5].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٦٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٦٨٣) و(٧٦٩٢)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٣) عن ابن عباس في قول الله: ﴿فمستقر ومستودع﴾، قال: مستقر في الرحم، ومستودع في صلب، لم يخلق سَيُخلق.

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٦١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٦٩٤)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٨٩٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٨) (٩٠١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٠٥) عن عبد الله أنه قال: المستودع، حيث تموت، والمستقر، ما في الرحم.

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وفي لفظ آخر رواه: عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣٦٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٦٨٤) (٧٦٩٥) قال: مستقرها، في الدنيا، ومستودعها، في الآخرة؛ يعني: فمستقر ومستودع.

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٦٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٦٩١) عن سعيد بن جبير: ﴿فمستقر ومستودع﴾ قال: المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال. فإذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض، فقد استقروا.

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٦٥٩)عن قتادة قال: كان الحسن يقول: مستقر، في القبر، ومستودع، في الدنيا، وأوشك أن يلحق بصاحبه.

﴿قَد فَصَّلْنا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهُونَ﴾ ما يقال لهم.

٩٩ ـ ﴿ وهُوَ الَّذِي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿نَباتَ كُلِّ شَيءٍ﴾ يَنبتُ، ﴿فأخرَجْنا مِنهُ﴾ أي: النباتِ شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضَرَ، ﴿نُخرِجُ مِنهُ﴾: من الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُتَراكِبًا﴾: يركب بعضه بعضًا كسنابل الحِنطة ونحوها ـ ﴿ومِنَ النَّخلِ﴾: خبرٌ ويُبدَل منه ﴿مِن طَلعِها﴾: أوّلِ ما يخرج منها، والمتبدأ ﴿قِنْوانٌ﴾: عراجينُ ﴿دانِيةٌ﴾: قريب بعضها من بعض ـ ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِن أعنابٍ والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُشتَبِهًا﴾ ورقُهما: حالٌ، ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ ثمرُهما.

قال الصَّفويُّ[1]: الاستقرارُ والاستِيْداعُ حالانِ يعترِيانِ على الإِنسانِ من الظَّهرِ إلى الرَّحِم إلى الدُّنيا إلى القَبرِ إلى المحشَرِ إلى الجنَّةِ أو النَّارِ، ففي كلِّ رُتبةٍ يحصُلُ له استقرارٌ واستِيْداعٌ، استقرارٌ بالإِضافةِ إلى ما قبلَها، واستِيداعٌ بالإضافَةِ لما بعدَها.

قولُه: (مَا يُقالُ لَهُم) الفِقهُ تدقِيقُ النَّظرِ، فهو أليَقُ بالاستِدلالِ بالأنفُسِ لدقَّتِه، بخلافِ الاستِدلالِ بالآفاقِ، ففيهِ ظُهورٌ، ولذا قالَ في الأوَّلِ: ﴿لِقَومٍ يَعلَمُون﴾.

قولُه: (أي: النَّباتِ) أو الماءِ. قولُه: (شَيئاً) أي: زرعاً وشجراً.

قولُه: (مِن الخَضِر) أو الماءِ.

قولُه: (خبرٌ) مقدَّمٌ.

قولُه: (منْهَا) أي: من ثمرِهَا، والمعنَى: وحاصِلُه من طَلعِ النَّخل.

قولُه: (قَرِيبٌ بعْضُهَا) أي: ملتفَّةٌ، أو المعنَى: قرِيبةٌ من المتناوَلِ؛ أي: سهْلةٌ للمُجْتَني لِقِصَرِ النَّخلِ اللَّاصقَةِ عُروقُها بالأرضِ، فذكرَ الدَّانيةَ؛ لأنَّ النِّعمةَ فيها أظهرُ، أو دلَّ بذكرِ القَرِيبةِ على ذكرِ البعِيدَةِ.

قولُه: (﴿و﴾أَخْرَجْنَا) إشارَةٌ إلى أنَّ: ﴿جَنَّاتٍ﴾ عطفٌ على: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أو على ﴿خَضِراً﴾، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أيضاً عطفٌ على ﴿نَبَاتَ﴾ أو نصبٌ على الاختِصاصِ لعزَّةِ هذين الصِّنفَين عندَهُم.

قولُه: (بَسَاتينَ) وإنْ كانَ المرادُ من الأعنابِ: الكُرومَ، تسمِيةً للشَّجرِ باسمِ الثَّمرِ، فلا حاجةَ إلى تقدِيرٍ، وإلَّا فلا بدَّ أن يقدَّرَ: من نباتِ أعنابٍ؛ لأنَّ البُستانَ لا يكونُ من العنَبِ نفسِهِ، بل من الأشجارِ.

قولُه: (حَالٌ) منهما، وقيل: من الزَّيتونِ، وقيل: من الرُّمَّانِ، وقيل: من الجمِيعِ؛.......................

---

(١) انظر: «تفسير الإيجي» (١/ ٥٦١).

﴿انظُرُوا﴾، يا مخاطِبينَ، نظرَ اعتبارٍ ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ ـ بفتحِ الثاء والميم وضمِّهما. وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب ـ ﴿إِذا أَثْمَرَ﴾: أوّلَ ما يبدو كيف هو؟ ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِ﴾: نُضجِه إذا أدرك كيف يعود؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُم لَآيَاتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

١٠٠ ـ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾: مفعولٌ ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعولٌ أوّل، ويُبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عِبادة الأوثان، ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾. فكيف يكونون شُركاءَه؟ ﴿وَخَرَقُوا﴾، بالتخفيف والتشديد،..

أي: بعضُ ذلك متَشابهٌ ببعْضٍ آخرَ منه، وبعضُهُ غيرُ متشابهٍ في الهيئَةِ والقَدْرِ واللَّونِ والطَّعمِ، والصَّوابُ: أنَّ التَّقديرَ ﴿مُشْتَبِهاً﴾ شجرُها وثمرُها ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ كِلاهُما حالانِ، لا كما قال الشَّيخُ، فتدبَّرْ.

قولُه: (وبِضمِّها) حمزةُ والكِسائيُّ[1].

قولُه: (وهوَ جَمْعُ ثَمَرةٍ) أو ثمارٍ، ككِتابٍ وكتُبٍ، والتَّقديرُ: إلى ثمرِ كلِّ واحِدٍ من ذلك.

قولُه: (أَوَّلَ مَا يَبْدُو) يعنِي: إذا أخرَجَ ثمرَهُ. قولُه: (كَيْفَ هوَ) أي: انظُروا كيفَ يُثمِرُ ضَعِيفاً لا يُنتفَعُ به.

قولُه: (نُضْجِهِ) أي: إلى حالِ نُضْجِهِ، أو إلى نُضجِهِ.

قولُه: (كَيْفَ يعُودُ) ضَخماً ذا نفعٍ ولذَّةٍ.

قولُه: (المُنتَفِعُونَ بهَا) أي: بالآياتِ.

قولُه: (ويُبدَلُ منْهُ) فيهِ أن يكونَ التَّقدِيرُ: وجعَلُوا للهِ الجنَّ، وليسَ لهُ كثِيرُ معنًى، فالأحسَنُ أن يكونَ منصُوباً بمقدَّرٍ.

قولُه: (حيْثُ أطَاعُوهُم) كما يُطَاعُ اللهُ، أو عبَدُوا الأوثانَ بتسْويلِهم وتحريضِهِم، فالمرادُ بالجنِّ: الشَّياطينُ، وقيل: الملائكةُ؛ بأن عبَدوهُم وقالُوا: الملائكَةُ بناتُ اللهِ، وسمَّاهُم: جِنًّا؛ لاجتِنانِهم؛ تحقِيراً لشأنِهم.

قولُه: (﴿وَ﴾ قَدْ) يعنِي: حالٌ، بتقدِيرِ: «قد»، والضَّميرُ إلى: ﴿الْجِنِّ﴾، أو الضَّميرُ إلى الكُفَّار، والمعنَى: وقد علمُوا أنَّ الله خالقُهُم دونَ الجِنِّ، وليسَ من يخلُقُ كمَنْ لا يخلُقُ.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) أي: تشديدِ الرَّاءِ؛ للتَّكثيرِ، لنافعٍ[2].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٦٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٧٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥).

أي: اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وبَناتٍ، بِغَيرِ عِلمٍ﴾ حيث قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله، والملائكةُ بنات الله. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له! ﴿وتَعالَى عَمّا يَصِفُونَ﴾ بأنّ له ولدًا.

١٠١ ـ هو ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدِعُهما من غير مثال سبق. ﴿أنّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، ولَم تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ﴾: زوجة، ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾؟

١٠٢ ـ ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ، خالِقُ كُلِّ شَيءٍ ـ فاعبُدُوهُ﴾: وحِّدوه ـ ﴿وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظ، ١٠٣ ـ ﴿لا تُدرِكُهُ الأبصارُ﴾ أي: لا تراه ـ وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى:..

قولُه: (اختلَقوا) أي: افتعَلُوا وافترَوا.

قولُه: (حيثُ قَالُوا) أي: اليَهودُ والنَّصارى والعرَبُ. قولُه: (عُزَيرٌ ابنُ اللهِ) والمسِيحُ ابنُ اللهِ.

قولُه: (ولَداً) أو شَريكاً.

قولُه: (هوَ) إشارَةٌ إلى مبتَدإٍ محذُوفٍ.

قولُه: (مُبْدِعُهُما)... إلخ، كذا فسَّرَه مجاهدٌ والسُّدِّيُّ وغيرُهُما[1]، وقيل: من إضافَةِ الصِّفةِ المشبَّهَةِ إلى فاعلِها؛ أي: هو بديعُ سمَواتِهِ، أو إلى الظَّرفِ؛ أي: عدِيمُ النَّظيرِ فيهما.

قولُه: (كيْفَ) أو من أينَ؟

قولُه: (زوجَةٌ) والولدُ إنَّما يكونُ بينَ المتجانسَينِ، ولا يُناسبُه شيءٌ، فإنَّه خالقُ الأشياءِ.

قولُه: (مِنْ شَأنِهِ) قال الصَّفويُّ: إنْ قلتَ الشَّيءَ لما شارفَ الوجُودَ فالأمرُ ظاهرٌ، وإلَّا فالمرادُ: خلقُ كل شيءٍ هو متَّصفٌ بالوجُودِ.

وقولُه تعالى: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾) لم يقلْ: وهو به عليمٌ؛ لأنَّ علمَهُ أشملُ من خلقِهِ؛ لأنَّه يعلمُ الموجُودَ والمعدُومَ والممكِنَ والمحالَ.

قولُه: (وحِّدُوهُ) أو حكمٌ مسبَّبٌ عن مضمُونِ الصِّفاتِ السَّابقةِ؛ فإنَّ مَن استجمَعَها استحَقَّ العبادةَ.

قولُه: (أي: لا تَراهُ) جميعُ الأبصارِ.

قولُه: (وهذَا) أي: العامُّ.

قولُه: (لرُؤيَةِ المُؤمِنينَ) أو التَّقديرُ: في الدُّنيا، أو لا يراهُ أحدٌ على ما هو عليهِ لا بشرٌ ولا ملَكٌ،........

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٥٩)، وابن أبي حاتم «تفسيره» (١١٣٦) (٧٧٣١).

﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرةٌ إِلَى رَبِّها ناظِرةٌ﴾، وحديثِ الشيخَينِ «إنّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كَما تَرَونَ القَمَرَ لَيلةَ البَدرِ». وقيل: المراد لا تُحيط به ـ ﴿وهُوَ يُدرِكُ الأبصارَ﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يُدرِكَ البصرَ، وهو لا يُدرِكُه أو يُحيطَ به علمًا، ﴿وهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الخَبِيرُ﴾ بهم.

قل ـ يا مُحمّد ـ لهم: ١٠٤ ـ ﴿قَد جاءَكُم بَصائرُ﴾: حُججٌ ﴿مِن رَبِّكُم، فمَن أبصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فلِنَفسِهِ﴾ أبصرَ لأنّ ثواب إبصاره له، ﴿ومَن عَمِيَ﴾ عنها فضلّ ﴿فعَلَيها﴾ وبالُ إضلاله، ﴿وما أنا علَيكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيبٍ لأعمالكم. إنما أنا نذير.

لكن إذا تجلَّى بوَجهٍ يمكنُ رؤيتُهُ تُدرِكُه الأبصَارُ، كذا فسَّرَه ابنُ عبَّاسٍ كما نقلَ عنه التِّرمذيُّ وغيرُه[1]، قال الحاكِمُ: صحيحٌ على شَرطِ الشَّيخَين.

قولُه: (وقِيْلَ: لا تحيطُ) يعنِي: ليسَ الإدراكُ مُطلَقَ الرُّؤيةِ، بل هو الرُّؤيةُ على وجهِ الإحاطَةِ.

قولُه: (ولَا تَراهُ) يعنِي: يدرِكُ ما لا تُدرِكُ الأبصارُ كالإبصارِ.

قولُه: (وهُوَ لَا يُدرِكُه) أي: البصَرُ لا يُدرِكُه تعالى.

قولُه: (بِهِمْ) وبأعمالِهم.

قولُه: (حُجَجٌ) أي: جاءَتْكُم بالوحيِ الآياتُ والحُجَجُ القرآنيَّةُ.

قولُه: (البَصَائر) جمعُ: بصِيرةٍ، وهيَ للقَلبِ كالبصَرِ للبدَنِ، سُمِّيَت بها الدِّلالةُ[2]؛ لأنَّها تُجَلِّي له الحقَّ وتُبصِّرُه.

قولُه: (فآمَنَ) أي: يرَى تلكَ الآياتِ فآمَنَ بها، أو أبصرَ الحقَّ وآمنَ به.

قولُه: (أبْصَرَ) قدَّرَ الفِعلَ متأخِّراً؛ ليدُلَّ على الاختصاصِ.

قولُه: (لهُ) أي: لمَنْ أبصَرَ، أو لأنَّ نفعَه لها.

قولُه: (عنهَا) أي: عنِ الآياتِ ولا يؤمِنُ بها، أو عن الحقِّ.

قولُه: (وبَالُ) أي: فعلى نفسِهِ عمًى، وعليها ضرُّهُ.

قولُه: (إنَّما أنَا نذِيرٌ) واللهُ هو الحفيظُ يحفَظُ أعمالَكم ويجازِيكُم عليها، وهذا ـ أي: قولُه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ وقولُهُ: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ـ واردٌ على لسانِ الرَّسولِ ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٧٩) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٧٣٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٤). قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) في (ص): «بهذه الدلالات».

١٠٥ ـ ﴿وكَذَلِكَ﴾: كما بيّنّا ما ذُكر ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّن ﴿الآياتِ﴾ ليعتبروا، ﴿ولِيَقُولُوا﴾ أي: الكُفّار في عاقبة الأمر: ﴿دارَسْتَ﴾: ذاكرتَ أهلَ الكِتاب ـ وفي قراءة «دَرَستَ» أي: كُتبَ الماضين وجئتَ بهذا منها ـ ﴿ولِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾.

١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ﴿اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ـ..................

قولُه: (ليعتَبِرُوا) أي: بعضُهم؛ يعني: أنّه علّةٌ مقدَّرةٌ ليصِحَّ عطفُ ما بعدَهُ، أو التَّقديرُ: وليَقُولُوا دارَسْتَ صرَّفْنا، قُدِّرَ متأخِّراً للاختصاصِ المناسبِ للمَقامِ.

قولُه: (فِي عاقِبَةِ الأَمرِ) إشارَةٌ إلى أنَّ اللامَ لامُ العاقِبةِ، كقولِهِ:

لِـدُوا للمَـوتِ وابْنُـوا للخَـرابِ[1]

قولُه: (أهلَ الكتَابِ) وجازَ إضمارُهم بلا ذكرٍ لشُهرتِهم بالدِّراسةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لغيرِ مكِّيٍّ وبَصريٍّ[2].

قولُه: (﴿دَرَسْتَ﴾) الدَّرسُ: القراءَةُ والتَّعلُّم؛ أي: ليقُولَ المشركُونَ: درسْتَ وتعلَّمْتَ من اليهودِ، ثمَّ تزعمُ أنَّه نزلَ من عندِ اللهِ عليك؛ يعنِي: لشقاوةِ بعضٍ، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٨] فاللَّامُ على أصلِهِ، وقرأ ابنُ عامرٍ[3]: «درسَتْ» من الدُّروسِ؛ أي: قَدُمَتْ هذه الآياتُ وعَفَتْ، كقولِهِم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقولُه تعالى: (﴿ولِنُبَيِّنَهُ﴾) اللّامُ على أصلِهِ؛ لأنَّ التَّبيينَ مقصُودُ التَّصريفِ، والضَّميرُ للآياتِ باعتبارِ المعنَى؛ يعنِي: باعتبارِ أنَّه قرآنٌ؛ أي: كرَّرناهُ لنبيِّنَه، أو للقرآنِ وإن لم يُذكَرْ لكونهِ معلُوماً، أو للمصدَرِ.

وقولُه: (﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾) أي: لهدايَةِ المؤمنِينَ، وحاصلُهُ: تصرِيفُ الآياتِ لشقاوَةِ بعضٍ وسعادَةِ بعضٍ آخرَ.

قولُه: (أي: القُرآنَ) بالتَّديُّنِ والعملِ به.

---

(١) البيت لأبي العتاهية وعجزه: فكلكم يصير إلى ذهاب. انظر: «الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٦).
وهذا اللفظ جاء في أحاديث منها ما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٢٨) (٨٥٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٧٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٧٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦١).

﴿لا إلــهَ إلاّ هُوَ ـ وأعرِضْ عَنِ المُشرِكِينَ. ولَو شاءَ اللهُ ما أشرَكُوا، وما جَعَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا﴾: رقيبًا فتُجازيَهم بأعمالهم، ﴿وما أنتَ علَيهِم بوَكِيلٍ﴾ فتجبرَهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٠٨ ـ ﴿ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدعُونَـ﴾ ـهم ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ، ﴿فيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾: اعتداءً وظلمًا ﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله. ﴿كَذلِكَ﴾: كما زَيَّنّا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنّا لِكُلِّ أُمّةٍ عَمَلَهُم﴾ من الخير والشرّ فأتَوه، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّهِم مَرجِعُهُم﴾ في الآخرة، ﴿فيُنَبِّئُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ فيُجازيهم به.

١٠٩ ـ ﴿وأقسَمُوا﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿بِاللهِ جَهْدَ أيمانِهِم﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها،............

قولُه تعالى: (﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾) ولا تحتفِل بأقوالِهم، ولا تلتفِتْ إلى آرائهم، أو لا تجادِلْهُم واحتمِلْ أذاهُم حتَّى ينصُرَك اللهُ، فإنَّ للهِ حكمَةً في إضلالِهم، قالهُ القاضي[1]، ومن جعلَهُ منسُوخاً بآيةِ السَّيفِ حملَ الإعراضَ على ما يعُمُّ الكفَّ عنهُم، وقال في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ توحيدَهُم وعَدمَ إشراكِهِم ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ وهو دليلٌ على أنَّه تعالى لا يرِيدُ إيمانَهُم؛ لأنَّ مرادَهُ واجبُ الوقُوعِ.

قولُه: (فيُجازِيهم) أو يحفَظُهم من عذابِ اللهِ أو ممَّا يضرُّهُم.

قولُه: (فتُجبِرَهُم على الإيمَانِ) أي: الظَّاهرِ؛ إذِ الإيمانُ الباطِنُ لا يكونُ معَ الإجبارِ والإكراهِ.

قولُه: (وهَذا قَبْلَ الأَمرِ) إن كانَ المشارُ إليه ﴿أعرِض﴾ فهو بعِيدٌ في اللَّفظِ وإن كانَ قريباً في المعنَى، وقد تقدَّمَ، وإن كانَ الإشارةُ إلى الإجبارِ، ففيهِ أن لا تُنسَخَ الأخبارُ، فالمعنَى: ما أنت عليهم بوكِيلٍ تقُومُ بأمُورِهِم، إنَّما أمرُهُم إلى اللهِ، وجملَةُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ﴾ عَطفٌ على جملَةِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لا على ﴿أَشْرَكُوا﴾.

قولُه: (﴿يَدْعُون﴾ هُم) الأَولَى: يدعُونَها؛ إذ قولُهُ: (أي: الأَصنَامَ) تفسِيرٌ لهذا الضَّميرِ؛ يعنِي: لا تذكُرُوا أصنامَهُم الَّتي يعبُدُونَها بما فيها من القبائحِ.

قولُـه: (اعتـدَاءً) أي: تجـاوُزاً عـن الحـقِّ إلـى الباطـلِ، نصـبٌ علـى المصـدرِ مـن غيـرِ لفظِـهِ، ويجُوزُ الحـالُ والعلَّةُ.

وقولُه: (ظُلْماً) هو وضعُ الشَّيءِ في غيرِ محلِّهِ.

قولُه: (باللهِ) وبما يجبُ أن يُذكَرَ بهِ؛ يعنِي: سبُّ آلهتِهِم وإن كان حقًّا لكنَّ فيه مفسدَةً عظيمَةً.

قولُه: (فيُجازِيهم) إن كانَ خيراً فخيرًا، وإنْ كانَ شرًّا فشرًّا.

قولُه: (غايَةَ اجتِهَادِهم) مصدَرٌ في مَوضِع الحالِ، أو مفعُولٌ مُطلَقٌ من غيرِ لفظِهِ؛ أي: أقسَمُوا قسَماً غليظاً.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٧٧).

﴿لَئِنْ جاءَتهُم آيةٌ﴾ ممّا اقترحوا ﴿لَيُؤمِنُنَّ بِها. قُلْ﴾ لهم: ﴿إنّما الآياتُ عِندَ اللهِ﴾، يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير، ﴿وما يُشعِرُكُم﴾: يُدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي: أنتم لا تدرون ذلك. ﴿إنَّها إذا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ﴾ لِما سبق في علمِي ـ وفي قراءة بالتاء خطابًا للكُفّار، وفي أُخرى بفتح «أَنّ» بمعنى «لعلّ» أو معمولةٌ لما قبلها ـ ١١٠ ـ ﴿ونُقَلِّبُ أفئِدَتَهُم﴾: نُحوِّلُ قُلوبَهم عن الحقّ فلا يفهمونه ﴿وأبصارَهُم﴾ عنه فلا يُبصرونه، فلا يُؤمنون ﴿كَما لَم يُؤمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أُنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ، ونَذَرُهُم﴾: نتركهم ﴿في طُغيانِهِم﴾: ضلالتهم: ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون متحيّرين.

قولُه: (ممَّا اقترَحُوا) كجَعْلِ الصَّفا ذهَباً، وهذا إخبارٌ عنهُم لا حكَايةٌ لقولِهم، وإلَّا لقالَ: لئن جاءَتْنا.

قولُه: (يُدرِيكُم) و﴿ما﴾ إنكارِيَّةٌ لا نافِيةٌ، وإلَّا فيَبقَى الفِعلُ بلا فاعِلٍ.

قولُه: (إذا جاءَتْ) الضَّميرُ راجِعٌ إلى الآيةِ المقترَحةِ لا إلى ﴿الآيَاتُ﴾.

قولُه: (ذلكَ) أي: عدمُ إيمانِهم، واللهُ يعلمُ ذلكَ ولا يُنزِلُها.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) للشَّاميِّ وحمزةَ[1].

قولُه: (خطَاباً للكُفَّارِ) أي: فيه وفيما قبلَه، فيُفهَمُ منه أنَّه على الأوَّلِ خطابٌ للمؤمنِينَ، وهو ابتداءُ كلامٍ، وليسَ في حيِّزِ ﴿قُلْ﴾.

قولُه: (وفِي أُخرَى) أي: لغيرِ ابن كثيرٍ وأبِي عمرٍو وأبي بكرٍ بخِلافٍ عنهُ[2].

قولُه: (بمَعنَى: لعَلَّ) إذ قرِئَ: لعلَّها، وقيلَ: ﴿لا﴾ مزِيدةٌ.

قولُه: (أو مَعمُولةٌ لمَا قبلَهَا) أي: لا تدرُونَ أنَّهم لا يؤمنُونَ، أنكرَ السَّببَ مبالَغةً في نفيِ المسبَّبِ، وقيل: تقديرُه أنَّهم لا يؤمنُونَ أو يؤمنُونَ.

قولُه: (فلا يُؤمِنُون) أي: بالآيةِ المقترَحةِ.

قولُه: (مِن الآيَاتِ) كانشقاقِ القمرِ وغيرِهِ، أو المرادُ: كما لم يؤمِنُوا بما أُنزِلَ على مُوسَى وعيسَى؛ لقولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ٤٨].

قولُه: (متحيِّرِينَ) إشارَةٌ إلى أنَّ: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حالٌ من مفعولِ ﴿نَذَرُهُمْ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٣٨٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦١).

(٢) انظر المصادر السابقة.

١١١ ـ ﴿ولَو أنّنا نَزَّلنا إلَيهِم المَلائكةَ، وكَلَّمَهُمُ المَوتَى﴾ كما اقترحوا، ﴿وحَشَرْنا﴾: جمعنا ﴿علَيهِم كُلَّ شَيءٍ قُبُلاً﴾ بضمّتين: جمع قَبِيل أي: فَوجًا فَوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء، أي: مُعايَنةً، فشهدوا بصِدقك، ﴿ما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾ لِما سبق في علم الله، ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿أنْ يَشاءَ اللهُ﴾ إيمانَهم فيؤمنون، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم يَجهَلُونَ﴾ ذلك.

١١٢ ـ ﴿وكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءَك، ويُبدل منه ﴿شَياطِينَ﴾: مَرَدةَ ﴿الإنسِ والجِنِّ، يُوحِي﴾:..

قولُه تعالى: (﴿الْمَلَائِكَةَ﴾) أي: فرأوهُم عياناً.

قولُه: (كَما اقتَرحُوا) فقالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١][1] ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ [الدخان: ٣٦].

قولُه: (جمَعْنا) أي: حُجَّةً ﴿عَلَيهِمْ﴾ أو ﴿على﴾ بمعنَى اللام، وقولهُ تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: من الطُّيورِ والسِّباعِ والدَّوابِّ.

قولُه: (جَمعُ قَبيلٍ) أو مصدرٌ بمعنَى: مُقابلةً، كـ«قِبَلاً» ـ بكسرِ القافِ وفتحِ الباءِ ـ وهو قراءةُ نافعٍ وشاميٍّ[2]، وعلى الوجُوهِ هو حالٌ من ﴿كُلَّ﴾، وإنَّما جازَ ذلك مع عدمِ المطابَقةِ في الجمعيَّةِ لعُمُومِهِ مع أنَّ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ نكرةٌ.

قولُه: (﴿لكِنَّ﴾) فالاستِثناءُ منقطعٌ، والمعنَى: ولكنَّ مشيئةَ اللهِ إذا تعلَّقَتْ آمنوا، والأظهرُ أنَّه استثناءٌ مفرَّغٌ؛ أي: لا يؤمنُونَ في حالٍ إلَّا حالَ مشيئةِ اللهِ إيمانَهُم، وهو حُجَّةٌ واضِحةٌ على المعتَزِلةِ في أنَّ كفرَهُم بمشِيئَةِ اللهِ.

قولُه: (ذلِكَ) أي: يجهلُونَ أنَّهم لو أُتُوا بكلِّ آيةٍ لم يؤمنُوا، فيُقسِمونَ باللهِ جَهدَ أيمانِهم على ما لا يشعُرونَ، أو ولكنَّ أكثرَ المسلمِينَ يجهلونَ أنَّهم لا يؤمنُونَ، فيتمنَّونَ نزُولَ الآيةِ طَمعاً في إيمانِهم.

قولُه: (أعدَاءَكَ) جعَلْنا لكلِّ نبيٍّ سبَقَ.

قولُه: (منهُ) أي: من ﴿عَدُوّاً﴾.

قولُه: (مَرَدَةَ) جمع: ماردٍ؛ أي: متمرِّدينَ للفسادِ، والظَّاهرُ أنَّه من إضافَةِ الصِّفةِ إلى الموصُوفِ، وفي الحدِيثِ الصَّحيحِ أنَّ أبا ذرٍّ سألَ: هل للإنسِ شياطِينُ؟ فقال: «نعَم، هُم شرٌّ من شياطِينِ الجنِّ»[3] قلتُ: ولعلَّهُ لهذا قُدِّموا.

---

(١) في (ص) زيادة: «قوله».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٨٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

(٣) رواه النسائي (٥٥٠٧)، وأحمد في «مسنده» (٢١٥٤٦)، وأبو داود الطيالسي (٤٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣٧٧٢)، وابن

يُوَسْوِسُ ﴿بَعضُهُم إلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ﴾ مُموَّهَهُ من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغرّوهم ـ ﴿ولَو شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاءَ المذكورَ. ﴿فذَرْهُم﴾: دَعِ الكُفّارَ ﴿وما يَفترُونَ﴾ من الكُفر وغيره ممّا زُيِّنَ لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال ـ ١١٣ ـ ﴿ولِتَصغَى﴾ عطفٌ على «غُرورًا» أي: تَميلَ ﴿إلَيهِ﴾ أي: الزُّخرفِ ﴿أفئِدةُ﴾: قلوبُ ﴿الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، ولِيَرضَوهُ ولِيَقتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿ما هُم مُقتَرِفُونَ﴾ من الذُّنوب فيُعاقَبوا عليه.

ونزل لمّا طلبوا من النبيّ أن يجعل بينه وبينهم حَكَمًا، قُل: ١١٤ ـ ﴿أفغَيرَ اللهِ أبتَغِي﴾: أطلبُ ﴿حَكَمًا﴾: قاضيًا بيني وبينكم، ﴿وهُوَ الَّذِي أنزَلَ إلَيكُمُ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿مُفَصَّلاً﴾ مُبيّنًا فيه الحقُّ من الباطل؟ ﴿والَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ﴾: التوراة كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿يَعلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ. فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾: ....

قولُه: (يُوَسوِس) شياطِينُ الجنِّ إلى شياطِينِ الإنسِ، وبعضُ الجِنِّ إلى بعضٍ، وبعضُ الإنسِ إلى بعضٍ.

قولُه: (لِيَغُرُّوهُم) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿غُرُورًا﴾ مفعُولٌ له.

قولُه: (وهَذا قَبلَ الأمرِ) إن لم يكُنِ الأمرُ للتَّهديدِ، أو المعنَى: ولا تغتَمَّ أنت منهُم.

قولُه: (أي: الزُّخرُفِ) أي: زُخرُفِ القَولِ.

قولُه تعالى: (﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾) ليُحبُّوه لأنفسِهِم.

قولُه: (قُل) أي: على إرادةِ القولِ.

قولُه: (أطلُبُ) و﴿غَيرَ﴾ مفعُولٌ و﴿حَكَماً﴾ حالٌ من: ﴿غَيرَ﴾ ويحتملُ عكسَهُ.

قولُه: (قَاضِياً) أي: عادِلاً؛ لأنَّ ﴿حكَماً﴾ أبلَغُ من حاكِمٍ، ولذلك لم يوصَفْ به غيرُ العادِلِ.

قولُه: (منَ البَاطِلِ) فـ(مُبيَّناً) بمعنَى مميَّزاً، وإلا لقالَ: والباطلَ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ القُرآنَ بإعجازِهِ وتقريرِهِ مُغنٍ عن سائرِ الآياتِ.

قولُه: (التَّورَاةَ) أو والإنجيلَ؛ لأنَّ وصفَهُ مذكورٌ فيهما.

قولُه: (والتَّشديدِ) شاميٌّ وحفصٌ[1].

أبي حاتم في «تفسيره» (٧٧٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٩٨).

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٢٠) بعد أن ساق طرق الحديث: هذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٨٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

الشاكِّين فيه. والمُراد بذلك التقريرُ للكُفّار أنه حقّ.

١١٥ ـ ﴿وتَمَّتْ كَلِماتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدقًا وعَدلاً﴾: تمييز، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ﴾ بنقص أو خُلف، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يُقال ﴿العَلِيمُ﴾ بما يُفعل، ١١٦ ـ ﴿وإن تُطِعْ أكثَرَ مَن في الأرضِ﴾ أي: الكُفّارَ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه. ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إلاّ الظَّنَّ﴾ في مُجادلتهم لك في أمر المَيتة إذ قالوا: ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممّا قتلتم، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ يَخرُصُونَ﴾: يكذبون في ذلك.........................

قولُه: (فيهِ) أي: في أنَّهُم يعلمُونَ ذلك.

قولُه: (والمرَادُ بذلِكَ... إلخ) يعنِي قولَه: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ﴾ تأييدٌ لدلالَةِ الإعجازِ على أنَّ القُرآنَ حقٌّ مُنَزَّلٌ من عندِ اللهِ، يعلمُ أهلُ الكتابِ بتصديقِهِ ما عندهُم مع أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يمارِس كتبَهُم ولم يخالِطْ علماءَهُم، وإنَّما وصَفَ جميعَهُم بالعِلمِ لأنَّ أكثرَهُم يعلمُونَ، ومَن لم يعلَمْ فهو متمكِّنٌ منه، وقيل: المرادُ علماؤُهم، وقيل: المرادُ مؤمنُوهُم، واختارَهُ الشَّيخُ.

قولُه تعالى: (﴿وَتَمَّتْ﴾) بلغَتِ الغايَةَ، والكوفيُّ بالإفرادِ[1]؛ أي: ما تكلَّمَ به، أو القرآنُ.

قولُه: (بالمَوَاعِيدِ) والأخبَارِ، وقولهُ: (﴿صِدْقًا﴾) أي: في الأخبَارِ والمواعِيدِ (﴿وَعَدْلاً﴾) في الأحكامِ، فكانَ الأولَى تقدِيمَ المواعِيدِ على الأخبارِ ليكونَ لفًّا مرتَّباً، وفي بعضِ النُّسَخ: «بالأحكَامِ والمواعِيدِ».

قولُه: (تمييزٌ) أو حالٌ أو مفعُولٌ له.

قولُه: (بنَقصٍ) أي: في الحُكمِ (أو خَلْفٍ) في الوَعدِ والوَعِيدِ.

قولُه: (بما يُفعَلُ) وبما يُضمَرُ.

قولُه: (أي: الكُفَّارَ) أو الجُهَّالَ، أو أتباعَ الهَوى، وقيل: المرادُ أرضُ مكَّةَ؛ فإنَّ أكثرَهُم على الضَّلالِ.

قولُه: (دينِهِ) أي: عن الطَّرِيقِ الموصِلِ إلى اللهِ، فإنَّ الضَّالَّ في غالبِ الأمرِ لا يأمرُ إلَّا بما فيه ضلالٌ.

قولُه: (في مُجادَلَتِهم) أو هو ظنُّهم أنَّ آباءَهُم كانُوا على الحقِّ، والمعنَى: ليسُوا راجِعِينَ في عقائِدِهم إلى علمٍ.

قولُه: (في ذلِكَ) أو يكذِبونَ على اللهِ فيما ينسُبونَ إليه كاتِّخاذِ الولَدِ، وجعلِ عبادةِ الأوثانِ واصلةً إليه، وتحليلِ الميتةِ، وتحرِيمِ البحائرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٨٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

١١٧ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ فيُجازي كلًّا منهم.

١١٨ ـ ١١٩ ـ ﴿فكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ﴾ أي: ذُبح على اسمه، ﴿إنْ كُنتُم بِآياتِهِ مُؤمِنِينَ، وما لَكُم ألاّ تأكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ﴾ من الذبائح، ﴿وقَد فُصِّلَ﴾ ـ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ـ ﴿لَكُم ما حُرِّمَ علَيكُم﴾ في آيةِ: «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ»، ﴿إلاّ ما اضطُرِرْتُم إلَيهِ﴾ منه فهو أيضًا حلال لكم؟.........

قولُه: (عالِمٌ) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿مَن﴾ موصولَةٌ أو موصُوفَةٌ في محلِّ النَّصبِ بفعلٍ دلَّ عليهِ ﴿أَعلَمُ﴾ لا به، فإنَّ أفعلَ التَّفضيلِ لا ينصِبُ[1] الظَّاهرَ إلَّا في مسألَةِ الكُحلِ، وقيل: التَّقديرُ: أعلَمُ بمن، فيكُونُ منصُوباً بنزعِ الخافِضِ، ويؤيِّدُه ظهُورُ الباءِ بعدَه في ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

قولُه: (أي: ذُبِحَ) والمعنَى: كُلوا ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ على ذبحِهِ، لا مما ذُكِرَ عليهِ اسمُ غيرِهِ، أو ماتَ حَتْفَ أنفِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ﴾) فإنَّ الإيمانَ لها يقتَضِي استباحَةَ ما أحلَّ اللهُ، لا ما أحلَّ لهُ الظَّنُّ والهَوَى، واجتنابَ ما حرَّمَ اللهُ.

قولُه: (من الذَّبائِح) أي: وما لكُم ألَّا تأكُلُوا منه وتأكُلُوا غيرَهُ؟ وحاصلُهُ: ما لكُم ألَّا تجتَنِبُوا مِن أكلِ المَيتةِ وما لم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عليه، وألَّا تجعَلُوا مأكولَكُم من اللَّحمِ منحَصراً فيما ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ؟ أو المعنَى: وأيُّ غرَضٍ لكم في أن تتحرَّجُوا عن أكلِهِ؟ وما يمنعُكُم عنه؟

قولُه: (والفَاعِل) نافعٌ وحفصٌ في الثَّاني، وهُما مع حمزةَ والكِسائيِّ وأبي بكرٍ في الأوَّلِ[2]، فتأمَّل.

وقولُه: (في الفِعْلَين) أي: ﴿فَصَّلَ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾ فمحَلُّه بعدَه؛ أي: بيَّنَ لكُم ما حرَّمَ مما لم يُحرِّم، أو فصَّلَ ما حرَّمَ وما لم يحرِّمْ.

قولُه: (منهُ) أي: ممَّا حرَّمَ عليكُم.

قولُه: (حَلالٌ لكُم) حالَ الضَّرورةِ فـ﴿ما﴾ موصُولةٌ، والاستِثناءُ من ضمِيرِ ﴿حرم﴾، وقيلَ: ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ في معنَى المدَّةِ؛ أي: الأشيَاءُ التي حُرِّمَتْ عليكُم إلَّا وقتَ الاضطِرارِ إليها.

---

(١) كذا ينظر: «قطر الندى» (١/ ٢٨٠)، وشرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٦٥)، «شذور الذهب» (٢/ ٧٢٤) في أن أفعل التفضيل لا ينصب وقد ذكر في «همع الهوامع» أن ذلك على الأصح (٣/ ٩٤) فلعله يقصد: (لا يرفع لظاهر أو لا يعمل في الظاهر إلا مسألة الكحل فليحرر).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٩٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بُيّن لكم المحرّمُ أكلُه، وهذا ليس منه. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيَضِلُّونَ﴾ - بفتح الياء وضمّها - ﴿بِأَهْوائِهِم﴾: بما تهواه أنفُسهم، من تحليل الميتة وغيرها، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِالْمُعتَدِينَ﴾: المُتجاوزين الحلالَ إلى الحرام.

١٢٠ - ﴿وذَرُوا﴾: اتركوا ﴿ظاهِرَ الإِثْمِ وباطِنَهُ﴾: علانيتَه وسرَّه - والإثم قيل: الزِّنَى، وقيل: كلّ معصية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِما كانُوا يَقتَرِفُونَ﴾: يكتسبون -

١٢١ - ﴿ولا تأكُلُوا مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عَلَيهِ﴾ بأن مات أو ذُبح على اسم غيره، وإلاّ فما ذَبَحَه المُسلمُ، ولم يُسمِّ فيه عمدًا أو نِسيانًا، فهو حلال - قاله ابن عبّاس، ....

قولُه: (وهَذا) أي: المحرَّمُ ليس ممَّا ذُكِرَ.

قولُه: (وضمِّهَا) كوفيٌّ[1].

قولُه: (بما تهوَاهُ) أي: بتشهِّيهم عن غيرِ تعلُّقٍ بدليلٍ يُفيدُ العِلمَ.

قولُه: (وغيرِهَا) أي: غيرِ الميتةِ، والأحسَنُ: «وغيرِه» فيكُونُ المعنَى: من تحلِيلِ الحرَامِ وتحرِيمِ الحلالِ.

قولُه: (في ذلكَ) أي: فيما تهوَاهُ أنفسُهُم، أو في تحلِيلِ الميتَةِ.

قولُه: (إلى الحَرَامِ) والحقَّ إلى الباطِلِ.

قولُه: (علانيتَه) الأظهرُ: ما يُعلَنُ وما يُسَرُّ، أو ما بالجوارِحِ وما بالقَلبِ، أو الشِّركَ الجليَّ والخَفيَّ.

قولُه: (والإثمُ قيلَ: الزِّنا) يعنِي: في الحوانِيتِ واتِّخاذِ الأخدانِ.

قولُه: (كلَّ معصِيةٍ) وهو الظَّاهرُ، وقيل: ظاهِرُ الإثمِ رؤيةُ الأعمالِ، وباطنُهُ الرُّكونُ إليها في السِّرِّ، وقيلَ: طلبُ الدُّنيا وطلبُ الجنَّةِ؛ إذ هما جمِيعاً يشغَلانِ عن الحقِّ، وما يشغَلُ عن الحقِّ فهو إثمٌ، ولذا قيل: حسنَاتُ الأبرَارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ.

قولُه: (عَمْداً) ظاهِرُ الآيةِ تحريمُ مترُوكِ التَّسميَةِ عَمداً أو نسياناً، وهو مذهَبُ بعضِ السَّلفِ، وإليه ذهبَ داودُ الظَّاهِريُّ، وعن أحمدَ مثلُهُ[2].

قال الصَّفويُّ: وعندَ كثيرٍ من السَّلفِ، وهو المشهورُ عن مذهبِ مالكٍ وأحمدَ، وعليهِ أبُو حنيفَةَ وأصحابُهُ، وقيل: الإجماعُ منعقِدٌ على أنَّ تركَ التَّسميةِ نِسياناً لا يضُرُّ، أمَّا عمْداً فالذَّبيحةُ حرامٌ.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٩٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

(٢) التسمية على الذبيحة: المشهور من مذهب أحمد، أنها شرط مع الذكر، وتسقط بالسهو. انظر: «المغني» (٩/ ٣٨٨)، و«كشف القناع» (٦/ ٢٠٩).

وعليه الشافعيّ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: الأكلَ منه، ﴿لَفِسقٌ﴾: خُروج عمّا يَحِلّ، ﴿وإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يُوَسْوِسُونَ، ﴿إلَى أوليائهِم﴾: الكُفّارِ، ﴿لِيُجادِلُوكُم﴾ في تحليل الميتة، ﴿وإنْ أطعتُمُوهُم﴾ فيه، ﴿إنَّكُم لَمُشرِكُونَ﴾.

ونزل في أبي جهل وغيره: ١٢٢ ـ ﴿أوَمَن كانَ مَيْتًا﴾ بالكُفر، ﴿فأحيَيناهُ﴾ بالهُدى ﴿وجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمشِي بِهِ في النّاسِ﴾:..

قولُه: (وعلَيهِ الشَّافِعيُّ) والتَّسمِيةُ مُستحَبَّةٌ عندَهُ.

قولُه: (أي: الأَكلَ) الذي دلَّ عليهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾.

وقولُه: (مِنهُ) أي: ﴿ممَّا لم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عليهِ﴾، والمشهُورُ عندَ المفسِّرينَ: أنَّ الضَّميرَ في ﴿إنَّه﴾ للذَّبيحِ، لما فيهِ مبالَغةٌ كـ«رجلٌ عدلٌ» وقيل: المُضافُ مقدَّرٌ؛ أي: أكل ما لم يُذكَرْ.

قولُه: (في تَحلِيلِ المَيتَةِ) يقولُونَ: تزعُمُ أنَّ ما قتلتَ أنتَ وأصحابُكَ والصَّقرُ والكَلبُ: حلالٌ، وما قتلَهُ اللهُ حرامٌ، روى هذا التَّفسيرَ ابنُ ماجَه وأبو داودَ وغيرُهُما عن ابنِ عبَّاسٍ[1]، واتَّفقَ أكثرُ المفسِّرينَ على ذلك.

قولُه: (فيهِ) أي: في استِحلالِ ما حرَّمَ.

وقولُه تعالى: (﴿إنَّكُمْ لَمُشرِكُونَ﴾) فإنَّ مَن تركَ طاعةَ اللهِ إلى طاعَةِ غيرِهِ واتَّبعَه في دينِهِ فقد أشرَكَ.

قولُه: (وغَيرِهِ) أي: عُمرَ أو عمَّارٍ على ما في «المبهَمات»[2] وأمَّا ما اختارَهُ البيضَاويُّ[3] من أنَّها نزلَتْ في حمزةَ وأبِي جهلٍ فقد ضعَّفَه ابنُ كثيرٍ[4].

قولُه: (بالكُفرِ) والجَهلِ، وقَرأ نافعٌ: «ميِّتاً» بالتَّشديد[5].

قولُه: (بالهُدَى) أي: بالإيمانِ والعِلمِ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨١٩)، والترمذي (٣٠٦٩)، والنسائي (٤٤٣٧)، وابن ماجه (٣١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥٧) (١٢٢٩٥). وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٤٣).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨١).

(٤) قلت: في هذا النقل نظر، وعبارته كما في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠): زعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقيل: عمر هو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وقيل: عمار. وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها: أبو جهل، والصحيح أن الآية عامة، يدخل فيها كل مؤمن وكافر.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٩٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

يتبصّر به الحقَّ من غيره وهو الإيمانُ، ﴿كَمَن مَثَلُهُ﴾ ـ مَثَلُ: زائدٌ ـ أي: كمن هو ﴿في الظُّلُماتِ، لَيسَ بِخارِجٍ مِنها﴾ وهو الكافر؟ لا. ﴿كَذلِكَ﴾: كما زُيِّن للمؤمنين الإيمانُ ﴿زُيِّنَ لِلكافِرينَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من الكُفر والمعاصي، ١٢٣ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ كما جعلنا فُسّاق مَكة أكابرَها، ﴿جَعَلْنا في كُلِّ قَرْيةٍ أكابِرَ مُجرِمِيها، لِيَمكُرُوا فِيها﴾ بالصدّ عن الإيمان، ﴿وما يَمكُرُونَ إلاّ بِأنفُسِهِم﴾ لأنّ وباله عليهم، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ بذلك.

١٢٤ ـ ﴿وإذا جاءَتْهُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿آيَةٌ﴾ على صِدق النبيّ ﴿قالُوا: لَن نُؤمِنَ﴾ به، ﴿حَتَّى نُؤتَى مِثلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ من الرسالة ويُوحَى إلينا لأنّا أكثر مالاً وأكبر سِنًّا. قال تعالى: ﴿اللهُ أعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ﴾، بالجمعِ والإفراد..

قولُه: (يُبصِرُ) وفي نسخَةٍ: «يتبصَّرُ» أي: يهتدِي كيفَ يسلُكُ وكيف يتصرَّفُ.

قولُه: (وهُو الإِيمانُ) أو القُرآنُ.

قولُه: (أي: كمَن هُو) و(هو) مبتَدأٌ خبرُهُ ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ و﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ حالٌ من المستكِنِّ في الظَّرفِ.

قولُه: (وهُو الكَافِر) أي: مثلٌ لمن بقيَ على الضَّلالةِ لا يفارقُها بحالٍ.

قولُه: (لا) أي: لا يستوِيانِ مثَلاً.

قولُه: (كمَا جعلْنا) أي: صيَّرْنا.

قولُه: (أكابرَهَا) أي: رؤسَاءَها ومُترَفِيها، والأظهرُ: كما جَعَلنا في مكَّةَ أكابرَ مجرمِيهَا ليَمكُروا فيها، ومفعُولاهُ: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ على تقدِيمِ المفعُولِ الثَّانِي.

قولُه: (بالصَّدِّ) أي: بمنعِ النَّاسِ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بأنَّ وبالَهُ عليهم، وفي البيضَاويِّ[1] ذلكَ، وهو غيرُ ظاهرٍ، إلَّا أن يُقالَ: الشُّعورُ بمعنَى العقلِ، ففي «القاموس»[2]: شعَرَ به: علِمَ به وفطِنَ له وعقَلَه.

قولُه: (على صِدْقِ) أي: دالَّةٌ.

قولُه: (بِهِ) أي: بالنَّبيِّ، والظَّاهرُ: بها؛ أي: بالآيَةِ.

قولُه: (والإِفرَادِ) مكِّيٌّ وحفصٌ[3].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨١). (٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤١٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

وحيث: مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم»، أي: يعلمُ الموضعَ الصالح لوضعها فيه فيضعُها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغارٌ﴾: ذُلّ ﴿عِندَ اللهِ وعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمكُرُونَ﴾ أي: بسبب مكرهم.

١٢٥ ـ ﴿فمَن يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشرَحْ صَدرَهُ لِلإسلامِ﴾ بأن يَقذِفَ في قَلبه نُورًا فيَنفسِحَ له ويَقبَلَه كما ورد في حديث، ﴿ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيْقًا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ عن قبوله ﴿حَرِجًا﴾: شديد الضِّيق، بكسر الراء: صفةٌ، وفتحِها: مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً، ﴿كَأنَّما يَصَّعَّدُ﴾ ـ وفي قراءةٍ «يَصّاعَدُ»، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، ....

قولُه: (دلَّ علَيهِ ﴿أَعْلَمُ﴾) أي: لا به؛ لأنَّ أفعَلَ التَّفضيل لا يعمَلُ في الفاعِلِ الظَّاهِرِ والمفعُولِ بلا واسِطةٍ.

قولُه: (ذلكَ) أي: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ... ﴾ إلخ.

قولُه: (ذُلٌّ) وحَقارةٌ بعدَ كِبَرِهم وعِظَمِهم.

وقولُه تعالى: (﴿عِنْدَ اللهِ﴾) أي: يومَ القيامَةِ، أو في حُكمِهِ، وقيل: تقديرُهُ: من عندِ اللهِ.

قولُه: (فينفَسِحَ لهُ) أي: للإسلامِ.

قولُه: (كمَا ورَدَ في حدِيثٍ) فقالُوا: فهل لذلكَ من أمارَةٍ؟ قال: الإِنَابةُ إلى دارِ الخُلُودِ، والتَّجافِي عن دارِ الغُرُورِ، والاستِعدادُ للمَوتِ قبلَ نزُولِهِ، رواهُ ابنُ أَبِي حاتمٍ[1] بروايَاتٍ متنوِّعاتٍ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) مكِّيٌّ[2].

قولُه: (بكَسرِ الرَّاءِ) نافعٌ وشُعبةُ.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لشُعبةَ.

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (١٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣٨٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٧٣)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٩١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن أبي جعفر ـ رجل من بني هاشم وليس محمد بن علي ـ مرسلاً.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣١٥)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: عدي بن الفضل ساقط.

(٢) انظر لهذه القراءة وما بعدها: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٨، ٢٦٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٣٩٩، ٤٠٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦، ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

وفي أُخرى بسُكونها ـ ﴿في السَّماءِ﴾ إذا كُلِّف الإيمانَ لشِدّته عليه. ﴿كَذلِكَ﴾ الجعلِ ﴿يَجعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾: العذابَ أو الشيطانَ أي: يُسلّطه، ﴿علَى الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ﴾.

١٢٦ ـ ﴿وهذا﴾ الذي أنت عليه ـ يا مُحمّد ـ ﴿صِراطُ﴾: طريقُ ﴿رَبِّكَ مُستَقِيمًا﴾: لا عِوَجَ فيه. ونصبُه على الحال المؤكِّدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة. ﴿قَد فَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال ـ أي: يتّعظون. وخُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون، ١٢٧ ـ ﴿لَهُم دارُ السَّلامِ﴾ أي: السلامة ـ وهي الجنّة ـ ﴿عِندَ رَبِّهِم، وهُوَ وَلِيُّهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

١٢٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم﴾ ـ بالنون، والياءِ أي: اللهُ ـ الخلقَ ﴿جَمِيعًا﴾، ويقال لهم:

قولُه: (وفي أُخرَى) لابنِ كثيرٍ بسكُونِها؛ أي: الصَّادِ.

قولُه: (لشِدَّتِه) أي: مثَلُه في امتِناعِ قَبولِ الإيمانِ مثَلُ صعُودِ السَّماءِ؛ فإنَّه ممتنِعٌ غيرُ مُستَطاعٍ، أو معنَاهُ: كأنَّما يتصاعدُ إلى السَّماءِ هرَباً من الإيمانِ وتباعُداً عنه.

قولُه: (العذَابَ) أو الخِذلانَ.

قولُه: (أو الشَّيطانَ...) إلخ، إشارةٌ إلى تضمِينِ «جعل» معنَى: «سلَّطَ».

قولُه: (طرِيقُ) أي: طريقُهُ الَّذي ارتَضاهُ.

قولُه: (المؤكِّدَة) كقولِه: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ [البقرة: ٩١]، أو على الحالِ المقيِّدةِ.

قولُه: (السَّلامَة) من المكارِهِ، أو دارُ اللهِ، والإضافَةُ للتَّشريفِ، أو دارٌ تحيَّتُهم فيها سلامٌ.

وقولُه تعالى: (﴿عِنْدَ رَبِّهِم﴾) أي: في ضمانِهِ، أو حُكمِهِ، أو يومَ القيامَةِ، أو ذخِيرةٌ لهم عندَهُ لا يعلَمُ كُنهَها غيرُه.

وقولُه تعالى: (﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾) أي: ناصرُهُم بسبَبِ أعمالِهم، أو متولِّيهم بجزائِها.

قولُه: (اذكُرْ) أو نقُولُ، وحينئذٍ لا يحتاجُ إلى تقدِيرِ القولِ فيما بعد.

قولُه: (والياءِ) حفصٌ[1].

قولُه: (الخَلقَ) أو الثَّقلين؛ إذِ الكلامُ فيهم.

قولُه: (فيُقَالُ لهُم) أي: لكُفَّارِ الجنِّ، ولا يصحُّ أن يرجعَ إلى الخَلقِ جمِيعاً، ولا إلى الثَّقلَينِ، فتأمَّل.

أو التَّقديرُ: قائلِينَ؛ يعنِي قولَهُ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ في موقعِ الحالِ بتقدِيرِ القَولِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٠٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٢).

﴿يا مَعشَرَ الجِنِّ، قَدِ استكثَرْتُم مِنَ الإنسِ﴾ بإغوائكم، ﴿وقالَ أولِياؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الإِنسِ: رَبَّنا، استَمتَعَ بَعضُنا بِبَعضٍ﴾: انتفع الإِنسُ بتزيين الجنّ لهم الشهواتِ، والجنُّ بطاعة الإِنس لهم، ﴿وبَلَغنا أجَلَنا الَّذِي أجَّلْتَ لَنا﴾، وهو يوم القيامة. وهذا تحسُّرٌ منهم.

﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿النّارُ مَثْواكُم﴾: مأواكم ﴿خالِدِينَ فِيها، إلاّ ما شاءَ اللهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشُرب الحميم. فإنه خارجَها.........

قولُه: (بإغْوَائكُم) أي: إيَّاهُم، والأظهَرُ: من إغوائِهم بحذفِ مضَافٍ، قال الصَّفويُّ: كذا قدَّرَه ابنُ عبَّاسٍ[1] ومجاهِدٌ[2] وقتادةُ[3] والحسَنُ[4]؛ أي: أضلَلتُم كثِيراً منهم.

قولُه تعالى: (﴿أَولِيَاؤُهُم﴾) أي: الجنُّ.

قولُه: (أطَاعُوهُم) أي: أطاعُوا الجِنَّ.

وقولُه تعالى: (﴿مِنَ الإِنْسِ﴾) بيانٌ للأولياءِ.

قولُه: (انتَفَعَ الإِنْسُ...) إلخ، هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ[5]، وقيل: استمتاعُ الإنسِ بهم أنَّهم كانُوا يَعوذونَ بهم في المَفاوِزِ والمخاوِفِ، واستمتاعُهُم بالإنسِ اعترافُهم بأنَّهم يقدِرونَ على إجارَتِهم.

قولُه: (وهُو يومُ القيَامَةِ) أو الموتُ.

قولُه: (مَأْوَاكُم) ظاهرُ الآيَةِ: أنَّ الخِطابَ لكُفَّارِ الجِنِّ، ويُمكِنُ أن يكونَ لمطلَقِ الكفَّار، أو للثَّقلَين مُطلَقاً تغلِيباً.

قولُه: (فإنَّه خارجَهَا) تبعَ المحلِّيَّ في هذا، وهو مخالِفٌ لظاهرِ آيَةِ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فالصَّحيحُ ما قالَهُ القاضِي[6]؛ أي: إلَّا الأوقاتَ التي يُنقَلونَ فيها من النَّارِ إلى الزَّمهَرير، وقيل: إلَّا ما شاءَ قبلَ الدُّخولِ، كأنَّه قيل: النَّارُ مثواكُم أبداً إلَّا ما أمهلَكُم، فـ«ما» مصدريَّةٌ قُدِّرَ معه مُضافٌ؛ أي: هم مخلَّدُونَ في جميعِ الأوقاتِ إلَّا وقتَ مشِيئةِ اللهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٨٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٨٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٩١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣٨٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٩٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٨٨٩).

(٥) ذكر ذلك كثير من أصحاب التفاسير دون عزوه إلى مصدره وقائله، إلا أن ابن الجوزي قال بعد أن ساقه في «زاد المسير» (٧٧): روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس وبه قال محمد بن كعب والزجاج.

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٢).

كما قال تعالى: «ثُمَّ إِنَّ مَرجِعَهُم لَإِلَى الجَحِيمِ». وعن ابن عبّاس أنه فيمَن عَلِمَ اللهُ أنهم يؤمنون، فـ «ما» بمعنى: مَن. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

١٢٩ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما متّعنا عُصاةَ الإنس والجنّ بعضَهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾ من الوِلاية ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعضًا﴾ أي: على بعض ﴿بِما كَانُوا يَكسِبُونَ﴾ من المعاصي..........................

قولُه: (﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾) قالَ القاضِي: أي: إلى درَكاتِها، أو إلى نفسِهَا، فإنَّ الزَّقُّومَ والحمِيمَ نزُلٌ يُقدَّمُ إليهم قبل دخولِهَا، وقيل: الحمِيمُ خارجٌ عنها.

والعجَبُ من المصنِّفِ أنَّه اختارَ هذا القِيلَ وخالفَ أقوالَ السَّلفِ على ما ذكرَهُ في «الدُّرِّ»[1] عن ابن مسعُودٍ قال: لا ينتصِفُ النَّهارُ يومَ القيامةِ حتَّى يَقيلَ هؤلاءِ ويَقيلَ هؤلاءِ، أهلُ الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ، وقرأ: «ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهم لَإِلَى الْجَحِيمِ»، وعن قتادةَ[2]: فهُم في عناءٍ وعذابٍ بينَ نارٍ وحمِيمٍ، وتَلا هذهِ الآيَةَ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

قولُه: (أنَّه) أي: الاستثناءَ.

قولُه: (فيمَنْ عَلِمَ اللهُ) هذا إنَّما يستَقِيمُ لو كان الخطابُ للثَّقلَينِ في الدُّنيا، فتأمَّل.

قولُه: (فـ«مَا» بمَعنَى «مَن») قيلَ: «ما» بمعنَى «مَن» والخطابُ عامٌّ لكلِّ كافرٍ وفاسقٍ، والاستثناءُ للفُسَّاقِ، وخطرَ لي أنَّ الخطابَ للجنِّ والإنسِ والاستثناءَ للمُؤمِنينَ؛ أي: النَّارُ مثوَاكُم إلَّا القوم الذين شاءَ اللهُ إيمانَهُم في الدُّنيا وآمَنوا، أو إلَّا من شاءَ اللهُ من المؤمنِينَ، فإنَّ الكامِلينَ ليسَتْ مثواهُم وإن كانَ لهم ورُودٌ، والفاسقِينَ ليسُوا مخلَّدينَ، وهذا واضِحٌ عندِي، ولم أرَ مَن ذكرَهُ، ولا أعرِفُ وجهَ عدمِ ذكرِهِم إيَّاهُ، ويمكِنُ تصحِيحُ كلامِ ابن عبَّاسٍ بهذا، ويؤيِّدُه ما ذكرَهُ المصنِّفُ في «الدُّرِّ»[3] عن ابن عبَّاسٍ: إنَّ هذهِ الآيَةَ لا ينبَغِي لأحدٍ أن يحكُمَ على اللهِ في خلقِهِ، لا يُنزِلَهم جنَّةً ولا ناراً، واللهُ أعلمُ بمرادِهِ.

قولُه: (مِن الوِلايَةِ) أي: نكِلُ بعضَهُم إلى بعضٍ، أو نجعلُ بعضَهم يتولَّى بعضاً فيُغوِيهم، أو أولياءَ بعضٍ وقرناءَهُم في العَذابِ كما كانُوا في الدُّنيا، أو المعنَى: ونسلِّطُ بعضَهُم على بعضٍ، كما وردَ: «مَن أعانَ ظالماً

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٩٦، ٩٧).
والأثر رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٠٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٧).
والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٨٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٩٧).

١٣٠ ـ ١٣١ ـ ﴿يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ، أَلَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم﴾ أي: من مجموعكم الصادقِ بالإنس، أو رسلُ الجنّ: نُذُرُهم الذين يستمعون كلام الرسل، فيُبلّغون قومهم، ﴿يَقُصُّونَ علَيكُم آياتِي، ويُنذِرُونكُم لِقاءَ يَومِكُم هذا؟ قالُوا: شَهِدْنا علَى أنفُسِنا﴾ أن قد بَلَغَنا ـ قال تعالى: ﴿وغَرَّتهُمُ الحياةُ الدُّنيا﴾ فلم يُؤمنوا ـ ﴿وشَهِدُوا علَى أنفُسِهِم أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ. ذلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أنْ﴾ ـ اللام مُقدّرة وهي مخفّفة ـ أي: لأنّه ﴿لَم يَكُنْ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ﴾ منها، ﴿وأهلُها غافِلُونَ﴾: لم يُرسَل إليهم رسول يُبيّن لهم.

١٣٢ ـ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجاتٌ﴾: جزاءٌ ﴿مِمّا عَمِلُوا﴾ من خير وشرّ،..............

سلَّطَه اللهُ عليهِ»، وهذا قولُ مالكِ بن دينارٍ[1].

وقالَ الرَّازيُّ[2]: هذا يدلُّ[3] على أنَّ الرعيَّةَ إذا كانُوا ظالِمِينَ فاللهُ تعالى يسلِّطُ ظالماً عليهِم مثلَهُم.

قولُه: (فيُبلِّغُونَ) تعلَّقَ بظاهِرِ الآيةِ قومٌ، وقالُوا: بُعِثَ إلى كلٍّ من الثَّقلَينِ رسُلٌ من جنسِهِم، والأوَّلُ هو الصَّحيحُ.

قولُه: (قد بَلَغَنا) وذلكَ حين شهِدَتْ عليهم جوارحُهُم.

قولُه: (فلَم يُؤمِنُوا ﴿وَشَهِدُوا﴾) الشَّهادةُ الأُولَى حكَايةٌ لقَولِهِم، والثَّانيةُ ذمٌّ لهُم، فلا تكرارَ؛ لاختِلافِ المخبَرِ.

قولُه: (أي: إرسَالُ الرُّسُلِ) وهو خبرُ مبتَدأٍ محذُوفٍ؛ أي: الأمرُ ذلك.

قولُه: (لأنَّهُ) أي: الشَّأنَ.

قولُه: (منهَا) أي: من القُرَى بحَذفِ الأهلِ؛ أي: بسَببِ ظلمٍ فعَلوهُ.

قولُه: (يُبيِّنُ لهُم) كقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وقولُه تعالى: (﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾) أي: من أعمالِهِم، أو من جزائِها، أو من أجْلِها.

قولُه: (من خَيرٍ وشرٍّ) فـ﴿دَرَجَاتٌ﴾ بمعنَى مراتِب، أو فيهِ تغليبُ الدَّرجاتِ على الدَّرَكاتِ.

---

(١) لم أقف عليه من قول مالك بن دينار، وإنما رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٢٤) (١٠٦٣): ابن زكريا هو العدوي متهم بالوضع، فهو آفته، ثم قال: وبالجملة فمعناه صحيح.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٣/ ١٥٠).

(٣) في (م): «دل».

﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، ١٣٣ ـ ﴿ورَبُّكَ الغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمةِ، إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ بالإهلاك، ﴿ويَستَخلِفْ مِن بَعدِكُم ما يَشاءُ﴾ من الخلق ﴿كَما أنشأَكُم مِن ذُرِّيَّةِ قَومٍ آخَرِينَ﴾ أذهَبُهم، ولكنه أبقاكم رحمةً لكم. ١٣٤ ـ ﴿إنَّ ما تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لآتٍ﴾ لا مَحالة، ﴿وما أنتُم بِمُعجِزِينَ﴾: فائتينَ عذابَنا.

١٣٥ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يا قَومِ، اعمَلُوا علَى مَكانَتِكُم﴾: حالتِكم. ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾: موصولةٌ مفعول العِلم، ﴿تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿إنَّهُ لا يُفلِحُ﴾: يَسعد ﴿الظّالِمُونَ﴾: الكافرون.

قولُه: (والتّاءِ) الخطاب، شاميٌّ[1] على التَّغليبِ.

قولُه: (وعبَادَتِهم) أو عن خلقِهِ من جميعِ الجهاتِ، أو عن العبادِ والعِبادةِ، وقيل: الغَنيُّ عن طاعةِ المطيعِينَ ذُو الرَّحمةِ على المذنبِينَ.

قولُه: (يا أهلَ مكَّةَ) أو أيُّها العُصاةُ.

قولُه: (بالإهلَاكِ) أرادَ إهلاكَ الاستِئصالِ، لا إمَاتةَ ناسٍ بعد ناسٍ، وقيل: الخِطابُ عامٌّ للخَلقِ كلِّهم، والمرادُ: إظهارُ القُدرةِ التَّامَّةِ، كما قالَ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣].

قولُه: (أذهَبَهُم) صفةٌ أُخرَى لـ﴿قَومٍ﴾.

قولُه: (ولكِنَّه) تعالَى، استِدراكٌ على قولِهِ: ﴿إِنْ يَشَأْ﴾.

قولُه: (مِن السَّاعةِ) الأحسَنُ: من البَعثِ وأحوالِهِ.

قولُه: (لا محَالَةَ) أي: كائنٌ.

قولُه: (فائِتِينَ) أو مُعجِزينَ اللهَ في قدرتِهِ.

قولُه: (حالتِكُم) الَّتي كنتُم عليهَا.

قولُه: (على حالَتِي) أي: على ما أنا عليه؛ يعنِي: اثبُتُوا على الكُفرِ فإنِّي ثابِتٌ على الإسلامِ، وهو أمرُ تهدِيدٍ.

قولُه: (مفعُولُ العِلمِ) على أنَّه متعدٍّ إلى مفعُولٍ واحِدٍ، بمعنَى: تعرِفُونَ.

قولُه تعالى: (﴿إِنَّهُ﴾) أي: الشَّأنَ.

قولُه: (الكافِرُونَ) وضعَ الظَّالمينَ موضِعَ الكافرِينَ؛ لأنَّه أعمُّ وأكثرُ فائِدةً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٣).

١٣٦ ـ ﴿وجَعَلُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿لِلهِ مِمّا ذَرَأَ﴾: خلقَ ﴿مِنَ الحَرْثِ﴾: الزرعِ ﴿والأنعامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضِّيفان والمساكين، ولشُركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سَدَنتها، ﴿فقالُوا: هذا لِلهِ، بِزَعْمِهِمْ﴾ ـ بالفتح والضمّ ـ ﴿وهذا لِشُرَكائنا﴾. فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إنّ الله غنيّ عن هذا، كما قال تعالى:

﴿فما كانَ لِشُرَكائِهِم فلا يَصِلُ إلَى اللهِ﴾ أي: لجهته، ﴿وما كانَ لِلهِ فهُوَ يَصِلُ إلَى شُرَكائهِم. ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَحكُمُونَـ﴾ ـهُ حكمُهم هذا! ١٣٧ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما زُيِّنَ لهم ما ذُكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشرِكِينَ قَتلَ أولادِهِم﴾ بالوأد ﴿شُرَكاؤُهُم﴾ من الجنّ ـ بالرفع: فاعل «زَيَّنَ». وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع «قَتلُ» ونصبِ الأولاد به وجرِّ «شُركائِهِم» بإضافته.........................

قولُه تعالى: (﴿وَالأَنعَامِ﴾) أي: النِّتاجِ.

قولُه: (إلى سَدَنَتِها) أي: خدَمِ أصنامِهِم.

قولُه: (والضَّمِّ) كسَائيٌّ[1]، وهو متعلِّقٌ بـ﴿قَالُوا﴾، أو بما تعلَّقَ به: ﴿لِلهِ﴾.

قولُه: (التَقَطُوهُ) وردُّوهُ إلى ما جعَلوهُ وقالُوا: إنَّ الصَّنمَ فقِيرٌ، وسدَنتَه يحتاجُونَ إلى نفَقةٍ، أو إن هلكَ أو انتقَصَ منه شيءٌ أخذُوا بدلَهُ مما جعَلُوهُ للهِ.

قولُه: (تركُوهُ) أو ماتَ شَيءٌ لم يُبالُوا به.

قولُه: (ما ذُكِرَ) أي: مثلُ ذلك التَّزيينِ في قسمَةِ القُرُباتِ بين اللهِ وآلهتِهِم، وقيل: مثلُ هذا الفِعلِ القَبيحِ، إشَارةً إلى نفسِ هذا التَّزيينِ، وهو تزيينُ قتلِ الأولادِ.

قولُه: (بالوَأدِ) ونحرِهِم لآلهتِهِم.

قولُه: (منَ الجِنِّ) أو من السَّدَنةِ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) للشَّاميِّ[2].

قولُه: (ببنَائِهِ) أي: «زُيِّنَ».

قولُه: (بهِ) أي: بـ﴿قَتلَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٠٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضرُّ. وإضافةُ القتل إلى الشركاء لأمرهم به ـ ﴿لِيُرْدُوهُم﴾: يُهلكوهم، ﴿وليَلبِسُوا﴾: يَخلِطوا ﴿عليهِم دِينَهُم، ولَو شاءَ اللهُ ما فَعَلُوهُ. فذَرْهُم وما يَفترُونَ﴾.

١٣٨ ـ ﴿وقالُوا: هٰذِهِ أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام، ﴿لا يَطعَمُها إلاّ مَن نَشاءُ﴾ من خَدَمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعمِهِم﴾ أي: لا حُجّة لهم فيه، ﴿وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ فلا تُركب كالسَّوائب والحَوامي، ﴿وأنعامٌ لا يَذكُرُونَ اسمَ اللهِ علَيها﴾ عِند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم. ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افتِراءً علَيهِ ـ سَيَجزِيهِم بِما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ عليه ـ ١٣٩ ـ ﴿وقالُوا: ما في بُطُونِ هٰذِهِ الأنعامِ﴾ المُحرَّمة ـ وهي السوائبُ والبحائر ـ ﴿خالِصةٌ﴾: ....

قولُه: (ولا يَضرُّ) أي: هذا الفصلُ، بل الفَصْلُ بينَهما يدلُّ على أنَّ هذا الفَصلَ جائزٌ، والمطعُونُ من طعَنَ فيه كالزَّمخشريِّ[١]، وهذا عادتُهُ من الطَّعنِ في إسنادِ قراءَةِ السَّبعةِ بزعمِهِ أنَّهم يقرَؤُونَ من عندِ أنفسِهم، ونِعْمَ ما قالَ التَّفتازانيُّ: هي مما يُستشهَدُ بها لا لها.

والعجَبُ من البيضاويِّ أنه تبعَ الزَّمخشريَّ وضعَّفَه[٢]، هذا وفي «التَّسهيل»[٣]: إن كان المضافُ مَصدراً جازَ أن يُضافَ نَظماً ونَثراً إلى فاعلِهِ مَفصُولاً بمفعُولهِ.

قولُه: (يُهلِكُوهُم) بالإغواءِ.

قولُه: (يَخلِطوا) ما كانُوا عليه من دينِ إسماعِيلَ، أو ما وجبَ عليهم أن يتَديَّنوا به، ثمَّ اللَّامُ للتَّعليلِ إن كانَ التَّزيينُ من الشَّيطانِ، وللعاقِبةِ إن كانَ من السَّدَنةِ.

قولُه: (﴿حِجْرٌ﴾ حرامٌ) وهذهِ إشارَةٌ إلى ما جُعِلَ لآلهتِهِم.

قولُه: (وغيرِهِم) من الرِّجالِ دونَ النِّساءِ.

قولُه: (كالسَّوائِبِ) والبحائرِ.

قولُه: (ذلكَ) التَّحريمَ.

قولُه: (عليهِ) أي: على اللهِ؛ أي: بسبَبِ افترائِهِم، أو بدلُهُ.

قولُه: (المُحرَّمةِ) أي: أجنَّتِها.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر: «تسهيل الفوائد» لأبي عبد الله الجياني (ص: ١٦١).

حلالٌ ﴿لِذُكُورِنا، ومُحَرَّمٌ علَى أزْواجِنا﴾ أي: النساء، ﴿وإن يَكُنْ مَيْتةٌ﴾ ـ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ـ ﴿فهُم فِيهِ شُرَكاءُ. سَيَجزِيهِم﴾ اللهُ ﴿وَصفَهُم﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي: جزاءه. ﴿إنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

١٤٠ ـ ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿أولادَهُم﴾ بالوأد ﴿سَفَهًا﴾: جهلاً ﴿بِغَيرِ عِلمٍ، وحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ ممّا ذُكر ﴿افتِراءً علَى اللهِ. قَد ضَلُّوا وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾.

١٤١ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَ﴾: خلق ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مَعرُوشاتٍ﴾: مبسوطات على الأرض كالبِطّيخ ﴿وغَيرَ مَعرُوشاتٍ﴾ بأن ارتفعتْ على ساق كالنخل،..............................

قولُه: (حَلالٌ) خالِصةٌ، وتأنيثُ الخالِصَةِ وتذكيرُ ﴿مُحَرَّمٌ﴾ لمعنى (ما) فإنَّهُ الأجنَّةُ[١] وللفظِهِ، أو التَّاءُ للمبَالغَةِ، وذكرَ ضميرَ ﴿فِيهِ﴾؛ لأنَّه يرجِعُ إلى لَفظِ ﴿مَا﴾ لا إلى ﴿مَيتَةً﴾.

قولُه: (أي: النِّساءِ) يعنِي: إن وُلِدَ حيًّا.

قولُه: (بالرَّفعِ) مكِّيٌّ وشاميٌّ[٢].

قولُه: (تأنيثِ الفِعلِ) شامِيٌّ وشعبةُ[٣].

قولُه تعالى: (﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾) الضَّميرُ إلى لفظِ ﴿مَا﴾ يعنِي: فالذُّكورُ والإناثُ فيه سواءٌ.

قولُه: (جزَاءَه) أي: جزاءَ وصفِهِم، وقيل: تقدِيرُهُ: على وصفِهِم.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) مكِّيٌّ وشاميٌّ[٤].

قولُه: (جَهلاً) أي: لجهلِهِم بأنَّ اللهَ رازِقُ أولادِهِم لا هُم، ويجُوزُ نصبُهُ على الحالِ أو المصدَرِ.

قولُه: (ممَّا ذُكِرَ) أي: من نحوِ البحائرِ.

قولُه: (خَلَقَ) أو أبدَعَ.

قولُه: (مبسُوطَاتٍ) نقلَ البغويُّ[٥] عن ابن عبَّاسٍ: ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما انبسَطَ على وجهِ الأرضِ ممَّا يُعَرَّشُ

---

(١) في (ص): «فاته للأجنة».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤١٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤١٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ١٦٤).

﴿و﴾ أنشأ ﴿النَّخلَ والزَّرعَ مُختَلِفًا أُكُلُهُ﴾: ثمره وحبّه في الهيئة والطعم، ﴿والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُتَشابِهًا﴾ ورقُهما: حال ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ طَعمُهما ـ ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إذا أثمَرَ﴾ قبلَ النُّضج، ﴿وآتُوا حَقَّهُ﴾: زكاتَه ﴿يَومَ حَصادِهِ﴾،...

مثلُ الكَرْمِ والقَرْعِ والبِطِّيخِ، ﴿وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما قامَ على ساقٍ كالنَّخلِ والزَّرعِ وسائرِ الأشجارِ، وقالَ الضَّحَّاك: كلاهُما الكَرْمُ خاصَّةً، منها ما عُرِّشَ، ومنها ما لم يُعَرَّش، انتهى.

وظاهرُ قولِ المصنِّفِ أنَّ العَرْشَ معناهُ اللُّغويُّ: البَسطُ، وضدُّه: الرَّفعُ، وليس كذلكَ؛ ففي «القاموس»[1]: عَرَّشَ الكَرْمَ: رفَعَ دواليهِ على الخَشبِ، انتهى.

فالمرادُ بالمعرُوشِ ما يُعرَّشُ من المبسَّطِ، وبغيرِهِ ما لا يُعرَّشُ بل يرتفِعُ بنفسِهِ، فالصَّحيحُ ما قالهُ القاضِي[2] أنَّ ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات على ما يحمِلُها ﴿وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ مُلقَياتٍ على وجهِ الأرضِ؛ أي: متروكَاتٍ، هذا وأكثرُ المفسِّرينَ على قولِ الضَّحَّاك، وهو منقُولٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً على ما ذكرَهُ في «الدُّرِّ»[3] والخلافُ إنَّما هو أنَّ المرادَ بجنَّاتِ الكُرُوم خاصَّةً أو أعمَّ، فافهَم تغنَمْ وتسلَمْ، واللهُ أعلم.

قولُه: (ثمرُهُ) الَّذي يؤكَلُ ناظرٌ إلى النَّخلِ، و(حَبُّه) ناظرٌ إلى الزَّرعِ، والضَّميرُ للزَّرعِ، والثَّاني مَقيسٌ عليهِ، أو للنَّخلِ، والزَّرعُ داخلٌ في حُكمِهِ لكونِهِ مَعطُوفاً عليهِ، أو للجمِيعِ على تقدِيرِ أُكُلِ ذلك أو أحدٍ منهُما، ومختَلفاً: حالٌ مقدَّرةٌ؛ أي: مقدَّراً اختلافُهُ؛ لأنَّه لم يكُن كذلكَ عندَ الإنشاءِ.

قولُه: (والطَّعمِ) أو الكيفيَّةِ.

قولُه: (ورقُهمَا) أو في المنظَرِ.

قولُه: (طعمُهُمَا) أو يتشابَهُ بعضُ أفرادِهِما في اللَّونِ والطَّعمِ، ولا يتشابَهُ بعضُها، والضَّميرُ في ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ إلى كلِّ واحدٍ من مجمُوعِ ما ذُكِرَ.

قولُه: (قَبلَ النُّضجِ) أي: الإدراكِ، الأحسَنُ: وإن لم ينضَجْ.

قولُه: (زكَاتَهُ) قالَ القاضِي[4]: يرِيدُ به ما كانَ يتصدَّقُ به يومَ الحصادِ، لا الزَّكاةَ المقدَّرةَ؛ فإنَّها فُرِضَتْ بالمدينَةِ، والآيَةُ مكِّيَّةٌ، وقيل: الزَّكاةُ، والآيَةُ مدنيَّةٌ، والأمرُ بإتيانِها يومَ الحصادِ يُهتَمُّ به حينئذٍ حتَّى لا يؤخَّرَ عن

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (١/ ٥٩٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٣٦٧).

والأثر عزاه لأبي الشيخ.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٥).

بالفتح والكسر، من العُشرِ أو نِصفِه، ﴿ولا تُسرِفُوا﴾ بإعطاء كلّه، فلا يبقى لعِيالكم شيء. ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾: المتجاوزين ما حُدَّ لهم - ١٤٢ - ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ الأنعامِ حَمُولَةً﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وفَرْشًا﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سُمّيتْ فرشًا لأنها كالفرش للأرض لدنوّها منها. ﴿كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ﴾: طرائقَه في التحريم والتحليل. ﴿إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيّنُ العداوة.

١٤٣ - ﴿ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾: أصنافٍ، بدلٌ من «حَمولةً وفرشًا»، ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ زوجينِ ﴿اثنَينِ﴾ ذكرٌ وأنثى ﴿ومِنَ المَعَزِ﴾، بالفتح والسكونِ،........................

وقتِ الأداءِ، وليُعلَمَ أنَّ الوجُوبَ بالإدراكِ لا بالتَّنقيَةِ، وعلى الأوَّلِ قالُوا: إنَّها نُسِخَت، والثَّاني هو المنقُولُ عن أكثرِ السَّلَف.

قولُه: (بالفَتحِ) قرأ به أبُو عمرٍو وابنُ عامرٍ وعاصمٌ[1].

قولُه: (منَ العُشْرِ) بيانُ حقِّه، ففيما خرجَ من الأرضِ العُشْريَّةِ وسقاهُ ماءٌ جارٍ على وَجهِ الأرضِ أو مطرٌ عُشْرٌ، وفيما سُقيَ بنحوِ دلوٍ نصفُهُ.

قولُه: (فلا يَبقَى) إشارةٌ إلى ما رُويَ عن ابن عبَّاسٍ[2]: أنَّ أحداً من الصَّحابةِ صرمَ خمسَمئةِ نخلةٍ، فقسَمَها في يومٍ واحدٍ، ولم يترُكْ لعيالِهِ شيئاً، فنزلَتْ، وقيل: الإسرافُ الصَّرفُ في المعصيَةِ، ولذا قيل: لا سرَفَ في خيرٍ، ولا خيرَ في سَرَفٍ، وقيل: لا تُسرِفوا في الأكلِ أو في البُخلِ، فلا تُعطُوا حقَّ اللهِ.

قولُه: (لدُنوِّهَا) أي: الصِّغارِ.

قولُه: (التَّحرِيمِ) من عندِ أنفسِكُم.

قولُه: (زوجَينِ) الزَّوجُ: ما معه آخرُ من جنسِهِ يُزاوجُه، وقد يقالُ لمجموعِهِما، والمرادُ الأوَّلُ.

قولُه: (ذكَر وأُنثَى) وهو بدلٌ من ﴿ثمانِيَةَ﴾ إنْ جُوِّزَ البدَلُ من البَدلِ، وإلَّا فمن ﴿الضَّأْنِ﴾ بدلٌ من الأنعامِ، و﴿اثنَين﴾ من ﴿حَمُولَةً وفرشاً﴾.

قولُه: (بالفَتحِ) مكِّيٌّ وبَصريٌّ وشاميٌّ[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤١٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٢) لم أقف عليه من رواية ابن عباس، وروى الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٤٠٤٠) عن ابن جريج.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤١٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

﴿اثنَينِ ـ قُلْ﴾ يا مُحمّد لمن حرّمَ ذُكورَ الأنعام تارة وإناثَها أُخرى ونسبَ ذلك إلى الله: ﴿آلذَّكَرَينِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ اللهُ عليكم ﴿أمِ الأُنثَيَينِ﴾ منهما، ﴿أمْ ما اشتَمَلَتْ علَيهِ أرحامُ الأُنثَيَينِ﴾ ذكرًا كان أو أُنثى؟ ﴿نَبِّئُوني بِعِلمٍ﴾ عن كيفيّة تحريم ذلك، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. المعنى: مِن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قِبَل الذُّكورةِ فجميع الذكور حرام، أو الأنوثةِ فجميع الإناث، أو اشتمالِ الرحم فالزوجان. فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار ـ ١٤٤ ـ ﴿ومِنَ الإبِلِ اثنَينِ ومِنَ البَقَرِ اثنَينِ. قُلْ: آلذَّكَرَينِ حَرَّمَ امِ الأُنثَيَينِ، أمْ ما اشتَمَلَتْ عَلَيهِ أرحامُ الأُنثَيَينِ؟ أمْ﴾: بل أ ﴿كُنتُم شُهَداءَ﴾: حُضورًا ﴿إذ وَصّاكُمُ اللهُ بِهذا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه. ﴿فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ، مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بذلك، ﴿لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ؟ إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾.

١٤٥ ـ ﴿قُلْ: لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إلَيَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يَطعَمُهُ إلاّ أن يَكُونَ﴾، ....

قولُه: (عن كيفيّةِ) أو بأمرٍ معلُومٍ يدُلُّ على أنَّ اللهَ حرَّمَ شيئاً من ذلك.

قولُه: (فيهِ) أي: في تحريمِ ذلك.

قولُه: (والاستِفهَامُ للإنْكارِ) أي: لإنكارِ أنَّ الله حرَّمَها، والمقصُودُ: إنكارُ فعلِ التَّحريمِ، لكنَّه أُورِدَ في صورَةِ إنكارِ المفعُولِ ليُطابِقَ ما كانُوا يدَّعونَه من التَّفصيلِ في المفعُولِ والتَّرديدِ فيه، فيكونُ الإنكارُ بطَريقٍ برهانيٍّ من جهةِ أنَّه لا بدَّ للفعلِ من متعلِّقٍ، فإذا نُفِيَ جميعُ متعلَّقاتِهِ على التَّفصيلِ لزِمَ نفيُ الفِعلِ.

قولُه: (حُضُوراً) قالَ القاضِي[1]: حاضِرينَ مُشاهِدينَ.

قولُه: (التَّحرِيمِ) أي: بتحريمِ بعضٍ وتحليلِهِ، وهذا من بابِ التَّهكُّم.

قولُه: (ذلكَ) أي: الإيصاءَ.

قولُه: (فيهِ) أي: التَّحريمِ.

قولُه: (بذلِكَ) أي: بنسبَةِ ذلك التَّحريمِ إليه تعالى، والمرادُ: كبراؤُهُم المقرُّونَ لذلك، أو عمرُو بنُ لُحَيٍّ المؤسِّسُ له.

قولُه تعالى: (﴿بِغَيرِ عِلْمٍ﴾) أي: مُلتبِساً بغيرِ علمٍ، حالٌ من الفاعِلِ، وجُوِّزَ أن يكونَ من المفعُولِ.

قولُه تعالى: (﴿فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾) أي: القُرآنِ، أو مطلقاً.

قولُه: (شَيئاً) تقدِيرُ المصنِّفِ في موصُوفِ ﴿مُحَرَّماً﴾ شيئاً أَولَى من تقدِيرِ البيضَاويِّ[2]: طعَاماً.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٦).

بالياء والتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ ـ بالنصب. وفي قراءة بالرفع مع التحتانيّة ـ ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: سائلاً بخلاف غيره كالكبِد والطِّحال، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ـ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾: حرامٌ ـ ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذُبح على اسم غيره..............................

قولُه: (باليَاءِ) أي: الطَّعامِ.

قولُه: (والتَّاءِ) لتأنيثِ الخبرِ، مكِّيٌّ وحمزةُ[1].

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) للشَّاميِّ[2] برفع الـ﴿ميتة﴾ على أنَّ «كان» هي التَّامَّةُ، فقوله: (مع التَّحتانيَّةِ) سهوٌ، وإنَّما الصَّوابُ: مع الفوقانيَّةِ.

وقولُه تعالى: (﴿أو دَماً﴾) عطفٌ على: ﴿أن يَكُونَ﴾ أي: إلَّا وجُودَ ميتَةٍ أو دماً، كذا قالَهُ القاضِي[3]، وقال الصَّفويُّ: فيه إشكالٌ، واختارَ أنَّ الاستِثناءَ مفرَّغٌ؛ يعنِي: لا أجدُ شيئاً من المطعُوماتِ حراماً في حالٍ من الأحوالِ إلَّا حالَ أن يكُونَ المطعُومُ أحدَ الأربعَةِ.

قولُه: (سَائلاً) كالدَّمِ في العُرُوقِ.

قولُه: (بخِلافِ غيرِهِ) فلا يحرُمُ الدَّمُ الَّذي في اللَّحم، كذا في «المدارك»[4].

قولُه: (كالكَبِد والطِّحَالِ) لقولِهِ ﷺ: «أُحِلَّتْ لنا مَيتَتَانِ ودمَانِ؛ والميتَتَانِ السَّمكُ والجرَادُ»[5].

قولُه: (حرَامٌ) أو نجسٌ؛ لتعوُّدِهِ أكلَ النَّجاسةِ، أو خبِيثٌ مخبَّثٌ واختُلِفَ في مرجعِ الضَّميرِ، هل الخنزِيرُ أو لحمُه؟.

وقولُه تعالى: (﴿أو فِسْقاً﴾) عطف على: ﴿لحم خنزير﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ للتَّعليلِ.

قولُه: (أي: ذُبِحَ) صفةٌ له موضِّحةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٢٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٧).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٤٥).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٣١٤)، وأحمد في «مسنده» (٥٧٢٣)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٣٣١)، والدارقطني في «سننه» (٤٧٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٩٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

ورواه البيهقي عن الدارقطني في «السنن الكبرى» (١١٩٦) عن ابن عمر موقوفاً، وقال: هذا إسناد صحيح وهو في معنى المسند وقد رفعه أولاد زيد عن أبيهم.

وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ١٦١): وكذا صحح الموقوف أبو زرعة وأبو حاتم.

﴿فمَنِ اضطُرَّ﴾ إلى شيء ممّا ذُكر فأكلَه ﴿غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ به. ويُلحَق بما ذُكر، بالسُّنَّة، كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ومِخلبٍ من الطير.

١٤٦ ـ ﴿وعلَى الَّذِينَ هادُوا﴾ أي: اليهودِ ﴿حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ ـ وهو ما لم تُفرَّق أصابعه كالإبل والنعام ـ ﴿ومِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنا علَيهِم شُحُومَهُما﴾: الثُّروب وشحم الكُلَى، ﴿إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أوِ﴾ حملتْه ﴿الحَوايا﴾: الأمعاءُ جمعُ حاوِياءَ أو حاوِيَةٍ ﴿أو ما اختَلَطَ بِعَظمٍ﴾ منه، وهو شحم الأَلْيَة، فإنه أُحِلّ لهم. ﴿ذلِكَ﴾ التحريمُ ﴿جَزَيناهُم﴾ به ﴿بِبَغيِهِم﴾: بسبب ظُلمهم بما سبق في سورة «النساء». ﴿وإنّا لَصادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ﴿فإنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئتَ به ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُم ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ﴾، حيث لم يعاجلكم بالعُقوبة ـ وفيه تلطّفٌ بدعائهم إلى الإيمان ـ ﴿ولا يُرَدُّ بأسُهُ﴾: عذابهُ إذا جاء ﴿عَنِ القَومِ المُجرِمِينَ. سَيَقُولُ الَّذِين أشرَكُوا: لَو شاءَ اللهُ ما أشرَكْنا﴾ نحن ﴿ولا آباؤُنا ولا حَرَّمْنا مِن شَيءٍ﴾....

قولُه: (ويُلحَقُ بما ذُكِرَ) أي: من الأشياءِ الأربَعةِ، والأولَى تقدِيمُه على ﴿فَمَنْ اضطُرَّ﴾ والآيةُ مُحكَمةٌ لأنها تدلُّ على أنَّه لم يجِدْ فيما أُوحيَ إليه في ذلك الوقتِ، أو في وَحيِ القُرآنِ محرَّماً غير هذه، وذلك لا يُنافِي ورُودَ التَّحرِيمِ في شيءٍ آخرَ بعد هذا.

قولُه: (ما لم تُفرَّقْ) أي: ما لم يكُن مشقُوقَ الأصابعِ.

قولُه: (والنَّعَامِ) والبَطِّ، والنَّعامُ اسمُ جنسٍ كحمامٍ وحمامةٍ، أو كلُّ ما له إصبعٌ، كالإبلِ والسِّباعِ والطُّيورِ.

قولُه: (الثُّرُوبَ) بالثّاء المثلَّثة، جمعُ: الثَّرْب، وهو شَحمٌ رقيقٌ يغشَى الكَرِشَ والأمعاءَ.

قولُه: (الكُلَى) جمعُ كُلْية؛ بضمِّ الكافِ وسكونِ اللّامِ.

قولُه: (بهَا) أي: بالظُّهُور. وقولُه: (منهُ) أي: الشَّحمِ.

قولُه: (الأمعَاءُ) أي: ما اشتمَلَ على الأمعاءِ.

قولُه: (وهُو شَحمُ الأَلْيَةِ) وفي «المدارك»[1]: أو المخِّ.

قولُه: (التَّحرِيمُ) أو التَّضيِيقُ أو الجزاءُ.

قولُه: (بهِ) أي: بالتَّحريمِ.

قولُه: (نحنُ) عطفَ ﴿آباؤُنا﴾ على الضَّميرِ في ﴿أَشرَكْنَا﴾ من غيرِ تأكِيدٍ للفَصلِ بلا.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٤٥).

فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما كذّب هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ رُسلَهم، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾: عذابنا. ﴿قُلۡ: هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ بأنّ الله راضٍ بذلك، ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾؟ أي: لا عِلم عندكم. ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ، وَإِنۡ﴾: ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ﴿قُلۡ﴾: إن لم يكن لكم حُجّة ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾: التامّة. ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ هِدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ. قُلۡ: هَلُمَّ﴾: أحضِروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرّمتموه. ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ، وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ، وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: يُشركون.

قولُه: (فهُو رَاضٍ بِهِ) ألزَمَ على هذا؛ إذ لا يلزَمُ من المشيئةِ الرِّضا.

قولُه: (كما كذَّبَ هؤُلاءِ) أي: بهذهِ الشُّبهةِ الدَّاحضَةِ.

قولُه: (عذابَنَا) الَّذي أنزَلنَا عليهِم بتكذِيبِهِم، فعَلِمُوا أنَّهم على دِينٍ غير مرضِيٍّ.

قولُه: (بأنَّ اللهَ) أي: أمرٌ معلُومٌ يدلُّ على رضَى اللهِ عنكُم فيما أنتُم عليه.

وقولُه تعالى: (﴿فَتُخۡرِجُوهُ﴾) أي: فتُظهِرُوه.

قولُه: (تكذِبُونَ فيهِ) أو على اللهِ تعالى، فإنَّه منعَ الكذبَ وغضِبَ على المشركِينَ مع أنَّه لا يَجرِي في مُلكِهِ إلَّا ما يشاءُ.

قولُه: (التَّامَّةُ) أي: البيِّنةُ الواضِحةُ الَّتي بلغَتْ غايَةَ المتانَةِ والقوَّةِ على الإثباتِ؛ وهي الكتابُ والرَّسولُ والبيانُ.

قولُه تعالى: (﴿لَهَدَىٰكُمۡ﴾) أي: بالتَّوفيقِ لها والحملِ عليها، ولكن شاءَ هدايَةَ قومٍ وضلالَ آخرِينَ، والمعنَى: وإذْ قد ظهرَ أن لا حُجَّةَ لكُم، فلله الحُجَّةُ، لكن لا يَهدِي اللهُ الكلَّ إليها لعدَمِ مشيئتِهِ، ولهُ في ذلك حِكَمٌ ومصَالحُ لا يهتَدِي إليها إلَّا من هداهُ اللهُ.

قولُه: (أحضِرُوا) يعنِي: أنَّه اسمُ فعلٍ بمعنَى الأمرِ.

قولُه: (الَّذِي حرَّمتُمُوهُ) يعنِي: قدوَتَهم في التَّحريمِ.

وقولُه تعالى: (﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾) عِناداً (﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ﴾) لا تصدِّقْهُم فيه؛ فإنَّ التَّصديقَ ملزُومُ الشَّهادةِ، وبيِّنَ لهم فسادَهُ، فإنَّ التَّسليمَ موافَقةٌ لهم في الشَّهادةِ الباطلَةِ، وقيل: مُشاكَلة.

١٥١ ـ ﴿قُلْ: تَعالَوا، أتلُ﴾: أقرأ ﴿ما حَرَّمَ رَبُّكُم عليكُم، أنْ﴾ ـ مُفسِّرةٌ ـ ﴿لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و﴾ أحسِنوا ﴿بِالوالِدَينِ إحسانًا، ولا تَقتُلُوا أولادَكُم﴾، بالوأد ﴿مِن﴾ أجل ﴿إملاقٍ﴾: فقرٍ تخافونه ـ ﴿نَحنُ نَرزُقُكُم وإيّاهُم ـ ولا تَقرَبُوا الفَواحِشَ﴾: الكبائر كالزنَى ﴿ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ﴾، أي: علانيتَها وسِرَّها، ﴿ولا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بِالحَقِّ﴾ كالقَوَدِ وحدِّ الرِّدّة ورجم المُحصَن ـ ﴿ذلِكُم﴾ المذكورُ ﴿وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾: تتدبّرون ـ ١٥٢ ـ ﴿ولا تَقرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بِالَّتِي﴾ أي: بالخَصلة التي ﴿هِيَ أحسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحُه ﴿حَتَّى يَبلُغَ أشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم، ﴿وأوفُوا الكَيلَ والمِيزانَ بِالقِسطِ﴾: بالعدل وترك البَخس ـ ﴿لا نُكَلِّفُ نَفسًا إلاّ وُسعَها﴾: طاقتها في ذلك. فإن أخطأ في الكيل والوزن،..

قولُه: (أقرأ ﴿عَلَيكُم﴾) متعلِّقٌ به أو بـ﴿حرَّم﴾.

قولُه: (مفسِّرةٌ) و﴿لا﴾ للنَّهي ليصِحَّ عطفُ أمرٍ عليه، ولا يمنعُ العطفَ تعليقُ الفعلِ المفسَّرِ بـ﴿مَا حَرَّمَ﴾ فإنَّ التَّحريمَ باعتبارِ الأوامرِ يرجِعُ إلى أضدادِهَا، ومَن جعلَ ﴿أنْ﴾ ناصِبةً فمحلُّها النَّصبُ بـ﴿عليكم﴾ للإغراءِ، وهو الأظهَرُ و﴿شيئاً﴾ يحتملُ المصدرَ والمفعُولَ.

قولُه: (أحسِنُوا) وُضِعَ موضِعَ لا تسِيئُوا للمبالغَةِ.

قولُه تعالى: (﴿نَحنُ نَرزُقُكُمْ﴾) الظَّاهرُ: ﴿نَحنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ كما في الإسراءِ، لكن قُدِّمَ هنا ليكُونَ كالدَّليلِ، فإنَّ رازقَ الأصلِ رازقُ التَّابعِ بالأولويَّة.

قولُه: (أي: علانِيَتَها) بدَلٌ. قالَ المحاسِبيُّ[1]: ﴿الفواحش﴾ ما أُريدَ به غيرُ اللهِ، و﴿ما ظهرَ﴾ الرِّياءُ و﴿ما بطن﴾ الدَّعوَى الكاذِبةُ.

قلتُ: الأظهرُ العُجْبُ والغرُورُ، فإنَّها ناشِئةٌ عنها.

قولُه: (بالخَصلَةِ) أو بالطَّريقةِ أو بالفِعلةِ.

قولُه: (صلاحُهُ) أي: ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾ يعنِي: أحسنَ ما يُفعَلُ بمالِهِ كحفظِهِ وتثميرِهِ.

قولُه: (بأَن يَحتلِمَ) فادفعُوهُ إليه.

قولُه: (وتَركِ البَخْسِ) إشارةٌ إلى أنَّ الأمرَ بمعنَى النَّهيِ عن ضدِّهِ لدَفعِ الإشكالِ.

قولُه: (في ذلِكَ) الإيفاءِ.

قولُه: (فإِن أخطَأَ) الأظهَرُ: فإن أخطأَت، لكن ذكَّرَ بتأويلِ الشَّخصِ.

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من كتبه.

والله يعلم صحّة نيّته، فلا مُؤاخذة عليه كما ورد في حديث ـ ﴿وإذا قُلتُم﴾ في حُكم أو غيره ﴿فاعدِلُوا﴾ بالصِّدق، ﴿ولَو كانَ﴾ المقولُ له أو عليه ﴿ذا قُربَى﴾: قرابة، ﴿وبِعَهدِ اللهِ أَوفُوا. ذٰلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَذَّكَّرُونَ﴾، بالتشديدِ: تتّعظونَ، والسكونِ.

١٥٣ ـ ﴿وأنَّ﴾ ـ بالفتحِ على تقدير اللام، والكسرِ استئنافًا ـ ﴿هذا﴾ الذي وصّيتكم به ﴿صِراطِي مُستَقِيمًا﴾: حالٌ ﴿فاتَّبِعُوهُ، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الطُّرقَ المُخالفة له ﴿فتَفَرَّقَ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ تميلَ ﴿بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾: دِينه. ﴿ذٰلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾.

قولُه: (أو غيرِهِ) الظَّاهرُ بالواوِ، ولذا قال البيضاويُّ[1]: ونحوِهِ، فـ(أو) للتَّنويعِ، و(غيرِه) أعمُّ من (نحوِه) من الفتوَى والشَّهادةِ، فمعناهُ: تكلَّمتُم في شيءٍ.

قولُه: (بالصِّدقِ) في القولِ، لا تجورُوا فيه.

قولُه: (قَرَابةٍ) منكُم.

قولُه تعالى: (﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾) إضافةٌ إلى الفاعلِ أو المفعُولِ؛ أي: لا تنقُضُوا الميثاقَ.

قولُه: (والسُّكُونِ) صوابُهُ التَّخفيفُ، وهو لحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[2].

قولُه: (الفَتحِ بتَقدِيرِ اللَّامِ) على أنَّه عليهِ لقولِهِ: ﴿فاتَّبِعُوهُ﴾.

قولُه: (والكَسرِ) حمزةُ والكِسائيُّ، والبَاقي بالفتحِ والتَّشديدِ إلَّا ابنَ عامرٍ؛ فإنَّه يخفِّفُ[3]، وهذا لا يُفهَمُ من كلامِ الشَّيخِ.

قولُه: (الَّذي وصَّيتُكُم بهِ) وقيل: الإشارَةُ إلى ما ذُكِرَ في السُّورةِ، فإنَّها بأَسْرِها في إثباتِ التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ، وهذا القولُ أتمُّ وأعمُّ، ويلائمُه قولُه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾.

قولُه: (حالٌ) من ﴿صِرَاطِي﴾ أي: دينِي؛ يعنِي: لا عِوجَ فيه.

قولُه: (تمِيلَ) والباءُ للتَّعدِيَةِ.

قولُه: (دينِهِ) و﴿ذلكم﴾ الدِّينُ أو الاتِّباعُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ١٨٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٢٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٣٥)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

١٥٤ ـ ﴿ثُمَّ آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة ـ وثمّ: لترتيب الإخبار ـ ﴿تَمامًا﴾ للنِّعمة ﴿علَى الَّذِي أحسَنَ﴾ بالقيام به، ﴿وتَفصِيلاً﴾: بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿وهُدًى ورَحْمةً، لَعَلَّهُم﴾ أي: بني إسرائيلَ ﴿بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾: بالبعث ﴿يُؤمِنُونَ﴾.

١٥٥ ـ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كِتابٌ أنزَلْناهُ مُبارَكٌ ـ فاتَّبِعُوهُ﴾، يا أهل مكّة، بالعمل بما فيه. ﴿واتَّقُوا﴾ الكُفرَ، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ـ ١٥٦ ـ أنزلناه لِـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا: إنَّما أُنزِلَ الكِتابُ علَى طائفتَينِ﴾: اليهودِ والنصارى ﴿مِن قَبلِنا، وإنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمها محذوف أي: إنّا ﴿كُنّا عَن دِراستِهِم﴾: قراءتهم ﴿لَغافِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلُغتنا. ١٥٧ ـ ﴿أو تَقُولُوا: لَو أنّا أُنزِلَ علَينا الكِتابُ لَكُنّا أهدَى مِنهُم﴾ لجَودة أذهاننا. ﴿فقَد جاءَكُم بَيِّنةٌ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّكُم وهُدًى ورَحْمةٌ﴾ لمن اتّبعه.

﴿فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ، وصَدَفَ﴾: أعرض ﴿عَنها؟ سَنَجزِي الَّذِينَ يَصدِفُونَ عَن آياتِنا سُوءَ العَذابِ﴾ أي: أشَدَّه ﴿بِما كانُوا يَصدِفُونَ﴾.

قولُه: (لترتِيبِ الأَخبَارِ) فإنَّ الإيتاءَ قبلَهُ، وهو عطفٌ على: ﴿وَصَّاكُم﴾.

قولُه: (بالقِيَامِ بِهِ) الظَّاهرُ: بعملِهِ، فـ﴿الذي﴾ بمعنَى مَن، ويؤيِّدُه أنّه قُرِئَ: «عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا» أو بتبليغِهِ، وهو موسَى.

قولُه: (بيَاناً) مفصَّلاً بالكسرِ أو الفتحِ، وهو عطفٌ على: ﴿تَماماً﴾ ونصبُهُما يحتَملُ العِلَّةَ والحالَ والمصدَرَ.

قولُه: (بمَا فِيهِ) ومن جملتِهِ الإيمانُ.

قولُه: (الكُفرَ) الأَولَى؛ أي: مخالفَتَهُ أو مخالفَتِي.

قولُه: (لـ﴿أَنْ﴾ لا) والأولَى: كراهَةَ أن يقولُوا، وهو علَّةٌ لـ﴿أَنْزَلنَاهُ﴾ المقدَّرِ للفصلِ بالأجنَبيِّ.

قولُه: (مُخفَّفةٌ) فاللَّامُ فارِقةٌ، وقيل: نافِيةٌ، فاللَّامُ بمعنى إلَّا.

قولُه: (لهَا) أي: لدرَاستِهِم.

قولُه: (إذْ ليسَ بلُغَتِنا) أي: ولا كُلِّفْنا[1] بمعرِفَتِها.

قولُه: (بيَانٌ) أي: إن صدَقتُم فيما قلتُم فقد جاءَتكُم حُجَّةٌ واضِحةٌ فيها بيانُ الحلالِ والحرامِ، فالفاءُ فصِيحةٌ.

قولُه: (أعرَضَ) أو صدَّ غيرَهُ، أو فمن صدَّ بالأَولَى.

---

(١) في (ص): «ولا تكلفنا».

١٥٨ ـ ﴿هَل يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظر المُكذِّبون ﴿إلاّ أن تأتِيَهُمُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه بمعنى: عذابُه، ﴿أو يأتِيَ بَعضُ آياتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماتِه الدالّةِ على الساعة؟ ﴿يَومَ يأتِي بَعضُ آياتِ رَبِّكَ﴾ ـ وهي طُلوع الشمس من مَغرِبها كما في حديث الصحيحين ـ ﴿لا يَنفَعُ نَفسًا إيمانُها، لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ﴾ ـ الجُملة: صفة «نفس» ـ ﴿أو﴾ نفسًا لم تكن ﴿كَسَبَتْ في إيمانِها خَيرًا﴾: طاعة، أي: لا تنفعها توبتها كما في الحديث............................

قولُه: (المَذكُورُون) وفي نسخةٍ صحِيحةٍ: «المُكذِّبون» أي: أهلُ مكَّةَ، شُبِّهوا بالمنتظِرينَ.

قولُه: (والياءِ) الغَيبةِ، حمزةُ والكِسائيُّ[(١)].

قولُه: (بمَعنَى: عذَابُهُ) الظَّاهرُ: أمرُه بالعذابِ، أو عذابُهُ، أو كلُّ آياتِهِ؛ يعنِي: آياتِ القيامةِ والهلاكَ الكلِّيَّ؛ لقولِهِ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعنِي: أشراطَ السَّاعةِ.

وقالَ الصَّفويُّ: المرادُ: يومُ القيامةِ، وإتيانُ الرَّبِّ ليسَ مثلَ إتيانِ الخلقِ، لا نعرِفُه ونؤمنُ به.

وقالَ البَغويُّ[(٢)]: يأتِي بلا كيفٍ لفصلِ القضاءِ بين خلقِهِ في موقِفِ القيامَةِ.

قولُه: (على السَّاعَةِ) أي: قربِها، وهي عَشْرٌ على ما رواهُ مسلِمٌ[(٣)]: «الدُّخَانُ، ودابَّةُ الأَرضِ، وخَسفٌ بالمشرِقِ، وخَسْفٌ بالمغرِبِ، وخسْفٌ بجزيرَةِ العربِ، والدَّجّال، وطلوعُ الشَّمسِ من مغربِهَا، ويأجُوجُ ومأجُوجُ، ونزولُ عيسَى، ونارٌ تخرُجُ من عَدَنٍ».

قولُه: (وهيَ طُلُوعُ الشَّمسِ) وهذا بعضٌ من ذلك البَعضِ، وهو أعظمُهَا وأقربُهَا؛ وهي الَّتي تضطرُّهُم إلى الإيمانِ.

قولُه: (الجُملَةُ صِفةُ (نفس)) كالمحتضِرِ إذا صارَ الأمرُ عياناً، والإيمانُ برهانيٌّ عَينيٌّ.

قولُه: (نَفساً) فـ﴿كَسَبَتْ﴾ عطفٌ على: ﴿آمَنَتْ﴾ والمعنَى: أنَّه لا ينفعُ الإيمانُ حينئذٍ نفساً غير مقدِّمةٍ إيمانَها، أو مقدِّمةٍ إيمانَها غير كاسِبةٍ في إيمانها خيراً.

قولُه: (أي: لا تنفعُهَا توبتُها) إشارةٌ إلى أنَّ الخيرَ هو التَّوبةُ؛ إذ بها تمامُهُ معنًى، وبه يندفِعُ استِدلالُ المعتزِلَةِ بالآيةِ على أنَّ مجرَّدَ الإيمانِ بدونِ الطَّاعةِ ليس بنافعٍ، لكن لا يخفَى أنَّ الإشكالَ باقٍ، فلا بدَّ من تقدِيرٍ أو تقييدٍ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٣٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ١٧٣).

(٣) رواه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

﴿قُلِ: انتَظِرُوا﴾ أحدَ هذه الأشياءِ. ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

١٥٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، ﴿وكانُوا شِيَعًا﴾: فِرَقًا في ذلك ـ وفي قراءةٍ «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمروا به، وهم اليهود والنصارى ـ ﴿لَسْتَ مِنهُم فِي شَيْءٍ﴾. فلا تتعرّض لهم..

بأن يُقالَ: ﴿لا ينفَعُ نفساً إيمانُها﴾ وتوبتُها؛ ليكُونَ اللَّفُّ والنَّشرُ التَّرتيبيُّ، أو إيمانُها مطلَقاً أصليًّا أو كامِلاً، أو المرادُ بـ﴿إيمانها﴾: توبتُها عن الكُفرِ أو المعاصِي، أو يُقال: لا ينفَعُ نفعاً مطلَقاً أو نفعاً كامِلاً، وهذه الوجُوهُ لم أرَ من ذكرَها، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (أحَدَ) أي: إتيانَهُ.

قولُه: (ذلكَ) الظَّاهرَ، وحينئذٍ لنا الفَوزُ وعليكُم الويلُ.

قولُه: (فِرَقاً) تُشيِّعُ كلُّ فرقةٍ إماماً، وبعضُهم يكفِّرُ بعضاً.

قولُه: (وفِي قرَاءةٍ) لحَمزةَ والكسائيِّ[(١)].

قولُه: (تَركُوا) الأَوْلَى: بايَنوا.

قولُه: (وهُمُ اليَهُودُ) هذا قولُ قَتادةَ[(٢)]، وعن عائشةَ[(٣)]: أصحابُ البِدَعِ، ورُوِيَ مرفُوعاً: «همُ الخوارِجُ»[(٤)]، كذا في «المبهَمات»[(٥)].

قولُه: (فَلا تتعرَّضْ لَهُم) أو ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ من السُّؤالِ عنهم وعن تفرُّقِهِم، أو من عقابِهِم، أو أنت بريءٌ منهم، وقيل: هو نَهيٌ عن التَّعرُّضِ لهم، وهو ـ أي: التَّعرُّضُ ـ منسُوخٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٣٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤٢٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٥٥)، وعند عبد الرزاق والطبري زيادة: والنصارى.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٥٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٥٦٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٤٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩): رواه ابن مردويه وهو غريب ولا يصح رفعه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٥٠)، عن أبي غالب أنه قال: حدثني أبو أمامة عن رسول الله، وذكره.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩): لا يصح.

(٥) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٤٣).

﴿إِنَّما أمرُهُم إِلَى اللهِ﴾ يتولاّه، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِما كانُوا يَفعَلُونَ﴾ فيُجازيهم به. وهذا منسوخ بآية السيف. ١٦٠ ـ ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنةِ﴾ أي: «لا إلـٰـهَ إلاّ اللهُ» ﴿فَلَهُ عَشرُ أمثالِها﴾ أي: جزاءُ عشر حسنات، ﴿ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ فلا يُجزَى إلاّ مِثلَها﴾ أي: جزاءه،..........

قولُه: (يتوَلَّاهُ) أي: جزاءَهُم أو أمرَهُم، وفي نسخَةٍ: «يتولَّاهم».

قولُه: (وهَذا) أي: التَّعرُّض المفهُومُ من قولهِ: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ﴾ فحقُّه أن يليَهُم؛ لأنَّ تأخيرَهُ يوهِمُ الفسادَ برجوعِهِ إلى ما تقدَّمَه جمِيعاً.

قولُه: (أي: لا إلهَ إلَّا اللهُ) كذا رُوِيَ مرفُوعاً[1] وموقُوفاً[2]، لكنَّ الظَّاهرَ أنَّه أُريدَ بها مثَلاً، أو المرَادُ: أنَّها أعظمُهَا، ويؤيِّدُه أنَّها لمَّا نزلَتْ قالَ رجلٌ من المسلمِينَ: يا رسُولَ اللهِ؛ لا إلهَ إلَّا اللهُ حسنَةٌ؟ قال: «نعَم؛ أفضَلُ الحسنَاتِ»[3].

قولُه: (عشْرِ حسنَاتٍ) أي: أمثالِهَا فضلاً من اللهِ تعالى، وفي كلامِهِ إشارةٌ إلى أنَّ تركَ التَّاءِ في (عشَرة) مع أنَّ المثَلَ المذكُورَ مذكَّرٌ يجبُ التَّاءُ معهُ بحذفِ الموصُوفِ وإقامَةِ الجِنسِ المميِّزِ مقامَهُ، ثمَّ هذا أقلُّ ما وعدَ من الأضعافِ، وقد جاءَ الوَعدُ بسَبعِينَ وسبعِمئةٍ[4] وبغَيرِ حسابٍ.

ولذا قيل: المرادُ بالعشَرةِ الكَثرةُ دونَ العددِ.

قولُه: (جزَاءَهُ) أي: جزاءَ مثلِها لا يُضاعَفُ قضيَّةً للعدلِ.

---

(١) رواه ابن راهويه في «مسنده» (٥٤٢)، والمحاملي في «أماليه» (٤٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال يحيى: أحسبه عن النبي ﷺ، وهذا الحديث قد ورد في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٦٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٣)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٢٧١) وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٠٣) عن سعيد بن جبير.

وروى أحمد في «مسنده» (٢١٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٦٤٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٩٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٢) عن أبي ذر، قال: قلت يا رسول الله: لا إله إلا الله، من الحسنات؟ قال: «هي من أفضل الحسنات».

وفي بعضها: «من أحسن الحسنات».

(٤) روى البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، وأحمد في «مسنده» (٣٤٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل قال: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾: يُنقصون من جزائهم شيئًا.

١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ﴿قُلْ: إنَّني هَداني رَبِّيَ إلَى صِراطٍ مُستقِيمٍ﴾، ويُبدل من محلّه ﴿دِينًا قَيِّمًا﴾: مستقيمًا، ﴿مِلَّةَ إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. قُلْ: إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي﴾: عِبادتي من حجّ وغيره ﴿ومَحْيايَ﴾: حياتي ﴿ومَماتِي﴾: موتي ﴿للهِ رَبِّ العالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ﴾ في ذلك، ﴿وبِذلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ، وأنا أوَّلُ المُسلِمِينَ﴾ من هذه الأمّة.

١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ﴿قُلْ: أغَيرَ اللهِ أبغِي رَبًّا﴾: إلـٰهًا؟ أي: لا أطلب غيره، ﴿وهُوَ رَبُّ﴾: مالكُ ﴿كُلِّ شَيءٍ، ولا تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ﴾ ذنبًا ﴿إلاّ علَيها، ولا تَزِرُ﴾: تحمل نفسٌ ﴿وازِرَةٌ﴾: آثمةٌ ﴿وِزرَ﴾.......

قولُه: (لا يُنقَصُونَ من جزائِهِم شيئاً) الأولَى: لا يُظلَمون بنقصِ ثوابٍ أو زيادةِ عقابٍ.

قولُه: (من محلِّهِ) أي: من محلِّ ﴿إلى صِراطٍ﴾، إذ المعنَى: هداني صراطاً، أو منصُوبٌ بأعنِي.

وقولُه تعالى: (﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾) عطفُ بيانٍ لـ﴿دِينًا﴾ و(﴿حَنِيفًا﴾): مائلاً إلى الصَّوابِ، حالٌ من: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

و(﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾) كما يقولُهُ المشركُونَ عطفٌ عليه، ثمَّ قولهُ تعالى: «قَيِّمًا» بفتحِ القافِ وتشديدِ الياءِ مكسُورًا، وفي قراءةِ الشَّاميِّ والكوفيِّينَ بكَسر القافِ وفتحِ الياءِ مخفَّفاً[1].

قولُه: (عبَادَتِي) أي: كلِّها، أو قُرُباتِي، أو حَجِّي.

قولُه: (مَوتِي) أي: أنفُسَهما، أو ما أنا عليه فيهِمَا من الإيمانِ والطَّاعةِ، أو طاعاتِ الحياةِ والخيراتِ المضافةِ إلى المماتِ كالوصيَّةِ والتَّدبيرِ والصَّدقاتِ الجاريةِ.

قولُه: (في ذلِكَ) أي: خالِصةً لهُ لا أُشرِكُ فيها غيرَهُ.

قولُه: (التَّوحيدِ) أو القولِ، أو الإخلاصِ، أو الطَّريقِ.

قولُه: (إلهاً) غيرَ اللهِ، حالٌ من ﴿رَبًّا﴾ والهمزةُ للإنكارِ.

قولُه: (مالِكُ) والجملةُ حالٌ في موقعِ العِلَّةِ للإنكارِ والدَّليلِ له؛ أي: وكلُّ ما سواهُ مربُوبٌ مثلِي لا يصلُحُ للرُّبوبيَّة.

قولُه: (آثِمَة) أي: لا تؤاخَذُ بإثمِ غيرِها.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٤٣٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٧).

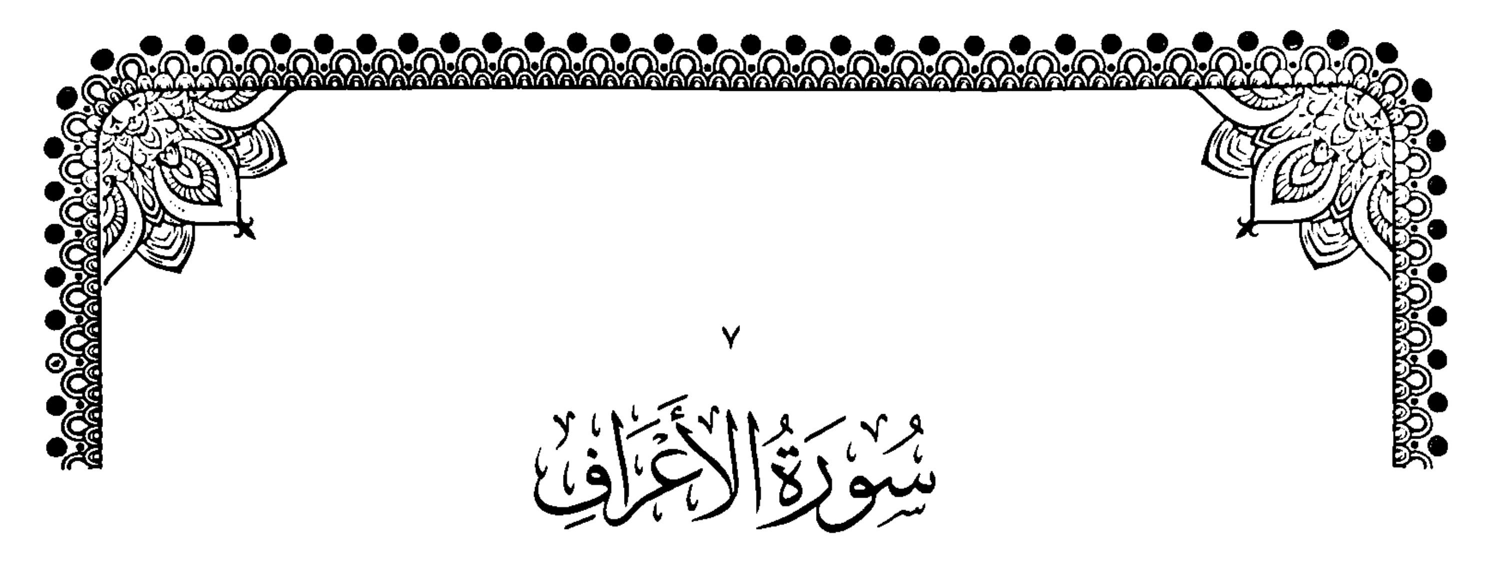
نفسٍ ﴿أُخرَى، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ، وهُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائفَ الأرضِ﴾: جمع خليفة، أي: يخلُف بعضكم بعضًا فيها، ﴿ورَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك، ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: ليختبركم ﴿فِيما آتاكُم﴾: أعطاكم ليَظهر المطيعُ منكم والعاصي. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقابِ﴾ لمن عصاه، ﴿وإنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمُؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

قولُه: (وغَيرِ ذلكَ) من قوَّةِ البَدنِ وزيادَةِ الحُسنِ وكثرةِ العشائرِ.

قولُه: (المُطِيعُ) والشَّاكرُ والصَّابرُ والقانِعُ والرَّاضِي.

قولُه: (لمَن عصَاهُ) لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، أو لأنَّه يُسرِعُ إذا أرادَهُ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٧

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكية إلاّ «واسألهم عن القرية» الثمانَ أو الخمسَ آيات، مِائَتانِ وخمسُ أو ستُّ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿المص﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

٢ ـ هذا ﴿كِتابٌ أُنزِلَ إلَيكَ﴾، خطابٌ للنبيِّ ـ ﴿فلا يَكُنْ في صَدرِكَ حَرَجٌ﴾: ضِيق ﴿مِنهُ﴾ أن تُبلّغه مَخافةَ أن تُكذَّب ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾: مُتعلّق بـ «أُنزل» أي: للإنذار ﴿بِهِ وذِكرَى﴾: تذكرةٍ ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾ به.

٣ ـ قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إلَيكُم مِن ربِّكُم﴾ أي: القُرآنَ، ﴿ولا تَتَّبِعُوا﴾ تتّخذوا ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿أولِياءَ﴾ تُطيعونهم في معصيته تعالى...

سُورَةُ الأَعْرَافِ

قولُه: (هَذا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿كِتَابٌ﴾ خبرُ مبتَدإٍ محذُوفٍ، والمشارُ إليه: إمَّا القُرآنُ أو السُّورةُ، والتَّذكيرُ باعتِبارِ الخبرِ.

قولُه: (خطَابٌ للنَّبيِّ) لا يحتملُ غيرَهُ، والجُملةُ صفةٌ لـ﴿كِتَابٌ﴾.

قولُه: (أن تُبلِّغَه) أي: من تبليغِهِ.

قولُه: (أن تُكذَّبَ) فيه.

قولُه: (تذكِرَةٍ) بالجرِّ، عطفٌ على محلِّ: ﴿تُنذِرَ﴾.

قولُه: (أي: القُرآنَ) أي: أوامرَهُ ونواهيَهُ؛ إذِ المرادُ الإنزالُ من السَّماءِ، وقيل: يعُمُّ القُرآنَ والسُّنَّةَ.

قولُه: (أي: اللهِ) الأظهَرُ: ﴿ربِّكُم﴾.

﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾، بالتاء والياء: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها، وما: زائدةٌ لتأكيد القِلّة.

٤ ـ ﴿وكَم﴾: خبريّةٌ مفعولٌ ﴿مِن قَرْيةٍ﴾ أُريدَ أهلُها ﴿أهلَكْناها﴾: أردنا إهلاكها، ﴿فجاءَها بأسُنا﴾: عذابُنا ﴿بَياتًا﴾: ليلاً ﴿أو هُم قائلُونَ﴾: نائمون بالظهيرة! والقيلولة: استراحةٌ نصفَ النهار، وإن لم يكن معها نوم، أي: مرّةً جاءها ليلاً ومرّةً نهارًا، ٥ ـ ﴿فما كانَ دَعْواهُم﴾: قولَهم ﴿إذ جاءَهُم بأسُنا، إلاّ أن قالُوا: إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾.

٦ ـ ﴿فلَنَسألَنَّ الّذِينَ أُرسِلَ إلَيهِم﴾ أي: الأُممَ عن إجابتِهم الرُّسلَ وعملِهم فيما بلغهم،..........

قولُه: (بالتَّاءِ) أي: الخطابِ، غيرُ ابنِ عامرٍ على خلافٍ في تشديدِ الذَّالِ وتخفِيفِها[1] كما سبقَ.

وقولُه: (والياء) لم يقرَأْ أحدٌ بالياءِ فقط، نعَم قرأَ ابنُ عامرٍ بالياءِ والتَّاءِ معاً على الأصلِ، بناءً على أنَّ الخطابَ بعدُ مع النَّبيِّ ﷺ، فقولُه: (فيهِ) راجعٌ إلى الأوَّلِ لا إليهما كما يوهِمُ.

وقولُه: (وفي قرَاءةٍ بسُكُونهَا) سهوٌ آخرُ، والصَّوابُ: بتخفيفِها، وهو لحفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (لتَأكِيدِ القِلَّة) أي: يتَّعظُون اتِّعاظاً قليلاً، وقيل: المرادُ بالقِلَّةِ العدَمُ لعَدمِ المنفعَةِ.

قولُه: (مفعُولٌ) منصُوبٌ على شريطةِ التَّفسيرِ؛ أي: كثيراً من القُرى.

قولُه: (أرَدْنَا إهلاكَهَا) بالعذابِ لمخالفةِ الرُّسُل، أو أهلكناها بالخِذلانِ.

قولُه: (ليلاً) أي: بائتينَ ليلاً كقومِ لوطٍ، مصدَرٌ وقعَ مَوقِعَ الحالِ، وما بعدَه عطفٌ عليه، فإنَّه حالٌ من (القيلولة) أي: الضُّحى؛ أي: قائلينَ نصفَ النَّهارِ كقومِ شُعَيبٍ، وكلا الوَقتَينِ وقتُ غفلَةٍ واستراحَةٍ، فالعذابُ فيهما أفظَعُ.

قولُه: (قولَهم) أو دعاءَهم واستغاثتَهُم؛ أي: لم يكُنْ دعاءَهم إلَّا هذا القولُ لعلمِهِم بأن ليسَ الحينُ حينَ دعاءٍ ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ جازَ نصبُهُ بالخبرِ، ورفعُ ﴿أَنْ قَالُوا﴾ بالاسميَّةِ، ويجوزُ العكسُ، وهو الأظهَرُ؛ لوجُوبِ تقدِيمِ الفاعِلِ في نحوِ: ضربَ موسَى عيسَى، لكنَّ نظائرَهُ يدُلُّ على الأوَّلِ نحوُ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [النمل: ٥٦] و﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الجاثية: ٢٥] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ [الحشر: ١٧].

قولُه: (أي: الأُمَمَ) فـ﴿أُرسِلَ﴾ مسندٌ إلى الجارِّ والمجرورِ.

قولُه: (فيمَا بلَغَهُم) بالتَّخفيفِ؛ أي: في حكمِ وصلَ إليهم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٧).

﴿ولنسألَنَّ المُرسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ، ٧ ـ ﴿فلنَقُصَّنَّ عليهِم بِعِلمٍ﴾: لَنُخبرَنّهم عن عِلم بما فَعلوه، ﴿وما كُنّا غائبِينَ﴾ عن إبلاغِ الرُّسل والأُممِ الخالية فيما عملوا، ٨ ـ ﴿والوَزنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكِفّتانِ كما ورد في حديث كائنٌ ﴿يَومَئِذٍ﴾ أي: يومَ السُّؤال المذكور ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿الحَقُّ﴾: العدل صِفة «الوزنُ»، ﴿فمَن ثقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون، ٩ ـ ﴿ومَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بالسيّئات ﴿فأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِما كانُوا بِآياتِنا يَظلِمُونَ﴾: يجحدون.

قولُه: (عن الإبْلاغِ) أي: إبلاغ رسالتِهم، أو عمَّا أُجِيبُوا به، والمرادُ من هذا السُّؤالِ توبِيخُ الكفَرةِ وتقريعُهُم، والمنفِيُّ في قولِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ﴾ [القصص: ٧٨] سؤالُ الاستِعلامِ، أو للقِيامةِ مواقفُ.

قولُه: (لنُخبِرَنَّهم) أي: الرُّسلَ والمرسَلَ إليهم.

قولُه: (عن عِلمٍ) أي: إخباراً صادِراً عن علمٍ، أو بمعلُومِنا منهم.

قولُـه: (الخاليـةِ) الظَّاهـرُ خلُـوُّ الـكَلامِ عن هذا القَيـدِ، أو الخاليةِ بالنِّسبَةِ إلـى القيامَةِ لا بالنِّسبةِ إلى زمنِ الخطابِ.

قولُه: (للأَعْمَالِ) بتقلِيبِها أجساماً.

قولُه: (أو لصَحَائِفِها) وعليه الجمهُورُ، وقيل: لأصحَابِها.

قولُه: (كِفَّتانِ) ينظُرُ إليه الخلائقُ إظهاراً للمَعْدَلةِ وقطعاً للمعذِرةِ، كما يسألُهُم عن أعمالِهِم، فتَعترِفُ بها ألسنَتُهم، وتشهَدُ بها جوارحُهُم.

قولُه: (بالحَسَناتِ) قال البيضَاويُّ[1]: ﴿موازِينُهُ﴾ حسناتُهُ، أو ما يوزَنُ به حسَناتُهُ، وجمعُهُ باعتبَارِ اختِلافِ الموزونَاتِ، أو بقَدْرِ الوَزنِ، فهو جمعُ موزُونٍ أو ميزانٍ.

وقالَ الصَّفويُّ: ﴿موازِينُهُ﴾ أي: أعمالُهُ مُطلقاً؛ أي: جميعُ أعمالِهِ حسنةً أو سيِّئةً، ولا تخصُّها بالحسَناتِ كما خصَّها الزَّمخشريُّ[2]؛ فإنَّه خلافُ الظَّاهرِ، بل غلطٌ، فتأمَّل، فإنَّه دقِيقٌ، وكلامُ الشَّيخِ بالحملِ على الثَّاني حقِيقٌ.

قولُه: (يجحَدُونَ) أي: بالإنكارِ موضعَ التَّصْديقِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٨٩).

١٠ ـ ﴿ولَقَد مَكَّنَاكُم﴾ ـ يا بني آدم ـ ﴿في الأرضِ، وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ﴾، بالياء: أسبابًا تعيشون بها جمع مَعِيشة ـ ﴿قَلِيلاً ما﴾ لتأكيد القِلّة ﴿تَشكُرُونَ﴾ على ذلك ـ ١١ ـ ﴿ولَقَد خَلَقْناكُم﴾ أي: أباكم آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُم﴾ أي: صوّرناه وأنتم في ظهره، ﴿ثُمَّ قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿فسَجَدُوا إلاّ إبلِيسَ﴾ أبا الجِنّ كان بين الملائكة، ﴿لَم يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ﴾.

١٢ ـ ١٣ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿ما مَنَعَكَ ألاّ﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿تَسجُدَ إذْ﴾: حينَ ﴿أمَرتُكَ؟ قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَنِي مِن نارٍ، وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ. قالَ: فاهبِطْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات ـ ﴿فما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَكَ أن تَتَكبَّرَ فِيها ـ فاخرُجْ﴾ منها. ﴿إنَّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ﴾: الذليلين. ١٤ ـ ﴿قالَ: أنظِرْنِي﴾:..

قولُه: (يا بَنِي آدَمَ) أي: من سُكناها وزرعِهَا والتَّصرُّفِ فيها والتَّمليكِ والقُدرةِ.

قولُه: (بالياءِ) احتِرازًا من قراءةٍ شاذَّةٍ بالهمزةِ تشبيهاً بما الياءُ فيه زائِدةٌ كصحائف.

قولُه: (عَلى ذلِكَ) أي: على ما صَنعتُ إليكم.

قولُه: (آدَمَ) طيناً غير مصوَّرٍ.

قولُه: (أي: صوَّرنَاهُ) نزَّل خلقَه وتصويرَهُ منزلَةَ خلقِ الكلِّ وتصويرِهِ؛ لأنَّه أبُو البَشرِ.

قولُه تعالى: (﴿مِنَ السَّاجِدِينَ﴾) أي: ممَّن سجَدُوا لآدَمَ.

قولُه: (زائِدةٌ) أي: أن تسجُدَ كما في «ص» وجُوِّزَ أن يكونَ معناهُ: ما حملَكَ على أن لا تسجُدَ، ويمكنُ: ما منعَكَ عن طاعَتِي بأن لا تسجُدَ؟.

وقولُه تعالى: (﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾) جوابٌ من حيثُ المعنَى استؤنِفَ به استِبعاداً لأن يكونَ مثلُهُ مأمُوراً بالسُّجودِ لمثلِهِ، فهذا إنكَارٌ واعتِراضٌ على اللهِ، وكُفرٌ به أورثَهُ العُجبَ والتَّكبُّرَ، ومعارَضَةَ النَّصِّ الجليِّ بالقِياسِ العَقليِّ.

قولُه: (من السَّماوَاتِ) وقيل: من منزلتِكَ، أو من الهيئةِ الملكيَّةِ.

قولُه: (﴿فَمَا﴾ يَنبَغِي) وما يصِحُّ، وما يستَقِيمُ.

قولُه: (الذَّليلِينَ) أي: ممَّن أهانَهُ اللهُ لكِبْرِه، وفي الحديثِ: «مَن تواضَعَ للهِ رفعَهُ اللهُ، ومَن تكبَّرَ وضعَهُ اللهُ» رواهُ البيهقِيُّ[١].

---

(١) رواه القطيعي في «جزء الألف دينار» (٢٧٥)، والقضاعي في «مسنده» (٣٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٩٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

=

أَخِّرني ﴿إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ﴾ أي: الناسُ.

١٥ ـ ﴿قالَ: إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ﴾. وفي آية أُخرى: «إِلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ» أي: وقت النفخة الأُولى. ١٦ ـ ﴿قالَ: فبِما أغوَيتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء: للقسم، وجوابُه ﴿لَأَقعُدَنَّ لَهُم﴾ أي: لبَنِي آدمَ ﴿صِراطَكَ المُستَقِيمَ﴾ أي: على الطريق المُوصل إليك، ١٧ ـ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَينِ أيدِيهِم ومِن خَلفِهِم وعَن أيمانِهِم وعَن شَمائِلِهِم﴾ أي: من كُلّ جِهة، فأمنعُهم عن سلوكه ـ قال ابن عبّاس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلاّ يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ـ ﴿ولا تَجِدُ أكثَرَهُم شاكِرِينَ﴾: مُؤمنينَ.

قولُه: (أَخِّرْنِي) أي: فلا تُمِتنِي، أو لا تعجِّل عقوبَتِي. قال بعضُ العارِفِين: لو كان موفَّقاً لقالَ: انظُرْ إليَّ.

قولُه: (أي: النَّاسُ) والأَولى: الخلقُ؛ يعنِي: الضَّميرُ على ما دلَّ عليه المعنَى، إذ ليس في اللَّفظِ ما يعُودُ عليه.

قولُه: (وفِي آيَةٍ أُخرَى) يعنِي: هذهِ الآيةُ تقتَضِي الإجابةَ إلى سُؤالِهِ ظاهِراً، لكنَّه محمُولٌ على ما جاءَ مقيَّداً، وفي إسعافِهِ إليه ابتِلاءُ العِبادِ.

قولُه: (بإغوَائِك) يعنِي: ﴿ما﴾ مصدَرِيَّةٌ.

قولُه: (أي: لبَنِي آدَم) ترصُّداً بهم كما يقعُدُ القُطَّاع للسَّائرةِ.

قولُه: (عَلى الطَّرِيقِ) يعنِي: نصبُ ﴿صراطَ﴾ على الحذفِ والإيصالِ.

قولُه: (ولا يستَطِيعُ) وعنه: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قِبَلِ الآخِرَة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من قِبَلِ الدُّنيا، ويحتمِلُ العكسَ ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ من جهةِ حسَناتِهِم وسيِّئاتِهِم.

قولُه: (لئلَّا يَحُولَ) قيل: ولم يقل: من تحتِهِم؛ لأنَّ الإتيانَ منه مُوحِشٌ، قلتُ: هو عدوٌّ مبينٌ ما يبالِي من الإيحاشِ، فالوجهُ أن يقالَ: لتكبُّرِه واستعلائِهِ لا سيَّما وقد مُنِعَ من جهةِ العلُوِّ، ويمكنُ أن يُقالَ: هو لا يريدُ إلَّا اغترارَهُم لا توحُّشَهم.

قولُه: (مُؤمِنِينَ) وإنَّما قالَه ظنًّا لقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] الآيَةَ.

= وروى ابن ماجه (٤١٧٦)، وأحمد في «مسنده» (١١٧٢٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «من يتواضع لله درجة يرفعه الله به درجة، ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله به درجة».

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٤٩) (١٢٦): إسناد ابن ماجه حسن.

١٨ ـ ﴿قالَ: اخرُجْ مِنها مَذْؤُومًا﴾، بالهمز: مَعِيبًا أو ممقوتًا، ﴿مَدحُورًا﴾: مُبعَدًا عن الرحمة ـ ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنهُم﴾: منَ الناس، واللام: للابتداء أو موطّئة للقسم، وهو ﴿لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أجمَعِينَ﴾ أي: منك بذُرّيّتك ومن الناس. وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «مَن» الشرطيّة، أي: مَن تبعك أُعذّبه ـ ١٩ ـ ﴿و﴾ قال: ﴿يا آدَمُ، اسكُنْ أنتَ﴾: تأكيد للضمير في «اسكُنْ» ليُعطف عليه ﴿وزَوجُكَ﴾ حواءُ بالمدّ ﴿الجَنّةَ، فكُلا مِن حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هذِهِ الشَّجَرةَ﴾ بالأكل منها ـ وهي الحِنطة ـ ﴿فتكُونا مِنَ الظّالِمِينَ﴾.

٢٠ ـ ﴿فوَسْوَسَ لَهُما الشَّيطانُ﴾: إبليسُ ﴿لِيُبدِيَ﴾: يُظهِرَ ﴿لَهُما ما وُورِيَ﴾ ـ فُوعِلَ من المُواراة ـ ﴿عَنهُما مِن سَوءاتِهِما، وقالَ: ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هذِهِ الشَّجَرةِ إلاّ﴾ كراهةَ ﴿أن تَكُونا مَلَكَينِ﴾ ـ وقُرِئ بكسر اللام ـ ﴿أو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أُخرى:.....

قولُه: (بالهَمزِ) من ذأَمَهُ إذا ذمَّهُ، وقُرِئ: «مذوماً» كمَسُولٍ في مسؤول، من ذامَه[1] ذمَّه، وقُرِئ: «مذموماً».

قولُه: (مُبعَداً) أو مطرُوداً.

قولُه: (أو موطِّئةٌ) وهو الصَّحيحُ، وهي اللّامُ الدَّاخلةُ على أداةِ شرطٍ.

قولُه: (وهُو) الصَّوابُ وجوابُه، إذ سُمِّيَتْ موطِّئةً لأنَّها وطَّأتِ الجوابَ للقسمِ؛ أي: مهَّدَته له، وهو سادٌّ مسَدَّ جوابِ الشَّرطِ، فقولُهُ: (وفِي الجُمْلَة... إلخ) غيرُ مُحتاجٍ إليه.

قولُه: (﴿و﴾ قَالَ) الأحسنُ: ﴿و﴾ قلنَا؛ لورُودِهِ في آيَةٍ أُخرَى.

قولُه: (بالأَكلِ) أو مُطلَقاً مبالَغةٌ.

قولُه: (وهيَ الحِنْطَةُ) تقدَّمَ الخلافُ فيه.

وقولُه تعالى: (﴿فتَكُونَا﴾) أي: تصِيرَا، يحتمِلُ الجزمَ على العطفِ، والنَّصبَ على الجوابِ.

قولُه: (إبلِيْس) أي: فعَلَ الوسوَسَةَ لأَجلِهما، وهي حديثٌ يلقِيهِ في القلبِ.

قولُه: (ليُظهِرَ) واللّامُ للعاقِبَةِ أو للغرَضِ.

قولُه: (فُوعِلَ) أي: ماضٍ مجهُولٌ.

قولُه: (من الموَارَاةِ) للمبالَغةِ؛ بمعنَى: السَّترِ والتَّغطيَةِ.

وقولُه تعالى: (﴿مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾) أي: عوراتِهِما، و﴿مِن﴾ بيَانٌ لـ﴿ما﴾.

---

(١) «ذآمه»: ليس في (م).

«هَل أدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبلَى»؟ ٢١ ـ ﴿وقاسَمَهُما﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إنِّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

٢٢ ـ ﴿فدَلاّهُما﴾: حطّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه، ﴿فلَمّا ذاقا الشَّجَرةَ﴾ أي: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾ أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُله وقُبُلُ الآخر ودُبُره ـ وسُمِّي كُلّ منها سوءة لأنّ انكشافه يسوء صاحبَه ـ ﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾: أخذا يُلزقان ﴿علَيهِما مِن وَرَقِ الجَنّةِ﴾ ليستترا به، ﴿وناداهُما رَبُّهُما: أَلَم أنهَكُما عَن تِلكُما الشَّجرةِ، وأقُلْ لَكُما: إنَّ الشَّيطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبينٌ﴾: بيِّن العداوة؟ استفهام تقرير.
٢٣ ـ ﴿قالا: رَبَّنا، ظَلَمْنا أنفُسَنا﴾ بمعصيتنا، ﴿وإن لَم تَغفِرْ لَنا وتَرحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿قالَ: اهبِطُوا﴾ أي: آدمُ وحواءُ بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿بَعضُكُم﴾: بعض الذرّيّة ﴿لِبَعضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضًا، ﴿ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ﴾: مكانُ استقرار ﴿ومَتاعٌ﴾: تمتّعٌ ﴿إلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه آجالكم..

قولُه: (أي: أقسَمَ) والمفاعَلةُ للمبالغَةِ.

قولُه: (في ذلِكَ) القَولِ، وقدَّم ﴿لَكُمَا﴾ مراعَاةً للفاصِلةِ.

قولُه: (حطَّهُما) الأظهرُ: نزَّلَهُما إلى الأكلِ من الشَّجرةِ، والحطُّ إنَّما هو إشارةٌ لا عبارةٌ.

قولُه: (منهُ) أي: بما غرَّهُما به من القسَمِ، فإنَّهُما ظنَّا أنَّ أحداً لا يحلِفُ باللهِ كاذِباً.

قولُه: (أي: أكَلا) الأحسنُ: لمَّا وَجَدا طعمَهَا أخَذا في الأكلِ منها أخذَتْهُما العُقُوبةُ وشُؤمُ المعصِيَةِ، فتهافَتَ عنهما لباسُهُما، وظهرَتْ لهُما عوراتُهُما.

قولُه: (ودبُرُه) أي: دبرُ الآخرِ.

قولُه: (يُلزِقَان) ورَقةً فوقَ ورقةٍ؛ يعني: يرقِّعانِ.

وقولُه تعالى: (﴿عَلَيهِما﴾) أي: على سوآتِهما.

قولُه: (لِيَستَتِرا به) أي: بورَقِ أشجارِ الجنَّةِ، قيل: ورقُ التِّينِ.

قولُه تعالى: (﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾) بتقدِيرِ: قائلاً.

قولُه: (أي: آدَمُ) «أي» ندائيَّةٌ لا تفسيريَّةٌ.

قولُه: (بعضُ الذُّرِّيَّةِ) الجُملةُ في موضِعِ الحالِ؛ أي: متعادينَ.

قولُه: (مكَانُ) أو استِقرارٌ.

قولُه: (آجالُكُم) المعلُومةُ.

٢٥ ـ ﴿قالَ: فِيها﴾ أي: الأرضِ ﴿تَحيَونَ وفِيها تَمُوتُونَ، ومِنها تَخرُجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول.

٢٦ ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ، قَد أنزَلْنا علَيكُم لِباسًا﴾ أي: خلقناه لكم ﴿يُوارِي﴾: يَستُرُ ﴿سَوءاتِكُم، ورِيشًا﴾ هو ما يُتجمّل به من الثياب، ﴿ولِباسَ التَّقوَى﴾: العملَ الصالح أو السمتَ الحسن، بالنصبِ: عطفٌ على «لباسًا» والرفعِ: مبتدأ خبره جملةُ ﴿ذلِكَ خَيرٌ. ذلِكَ مِن آياتِ اللهِ﴾: دلائلِ قُدرته، ﴿لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنون. فيه التفات عن الخِطاب إلى الغَيبة.

٢٧ ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ، لا يَفتِنَنَّكُمُ﴾: يُضِلَّنّكم ﴿الشَّيطانُ﴾ أي: لا تتّبعوه فتُفتَتَنُوا ﴿كَما أخرَجَ أبَوَيكُم﴾ بفِتنته ﴿مِنَ الجَنّةِ، يَنزِعُ﴾: حالٌ ﴿عَنهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوءاتِهِما. إنَّهُ﴾ أي: الشيطانَ ﴿يَراكُم هُوَ وقَبِيلُهُ﴾:..

قولُه: (للفَاعِلِ) حمزَةُ والكِسائيُّ[1].

قولُه: (أي: خلقْنَاهُ لكُم) ولمَّا كان بقضاءٍ سماويٍّ وأسبابٍ من السَّماءِ قال: و﴿أنزلنا﴾، أو أنزلنا أصُولَ الأشياءِ كلِّها.

قولُه: (العَمَلُ الصَّالِح) أو العفافُ، وقيل: الإيمانُ، وقيل: لباسُ الحَربِ، والأحسَنُ: خشيَةُ اللهِ.

قولُه: (بالنَّصبِ) نافعٌ وشاميٌّ، أو كِسائيٌّ[2].

قولُه تعالى: (﴿ذَلِكَ﴾) أي: إنزالُ اللِّباسِ.

قولُه: (قُدرَتِه) وفضلِه ورحمتِه.

قولُه: (فيُؤمِنُون) أو فيعرفُونَ نعمتَهُ، أو يتَّعظُونَ فيتورَّعُونَ عن القبَائحِ من كشفِ العورةِ وغيرِها.

قولُه: (بفِتنتِهِ) أي: فتنةً مثلَ إخراجِ أبوَيكُم.

قولُه: (حَالٌ) من ﴿أبَوَيْكُم﴾ أو من فاعلِ ﴿أَخْرَجَ﴾، وإسنادُ النَّزعِ والإخراجِ إليه للتَّسبُّب.

قولُه: (أي: الشَّيطَانَ) يعني: ليسَ ضميرَ الشَّأنِ، وهو الظَّاهرُ، والجُملةُ تعليلٌ للنَّهيِ، فإنَّ عدوًّا يراكَ ولا تراهُ لشَديدُ المعرفَةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٨).

جنوده ﴿مِن حَيثُ لا تَرونَهُم﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم. ﴿إنّا جَعَلْنا الشّياطِينَ أولياءَ﴾: أعوانًا وقُرناء ﴿لِلّذِينَ لا يُؤمِنُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿وإذا فَعَلُوا فاحِشةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عُراةً قائلين: «لا نطوف في ثياب عصَينا اللهَ فيها»، فنُهوا عنها، ﴿قالُوا: وَجَدْنا علَيها آباءَنا﴾ فاقتدَينا بهم، ﴿واللهُ أمَرَنا بِها﴾ أيضًا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّ اللهَ لا يأمُرُ بِالفَحشاءِ. أتَقُولُونَ علَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار.

٢٩ ـ ﴿قُلْ: أمَرَ رَبِّي بِالقِسطِ﴾: العدل، ﴿وأقِيمُوا﴾ ـ معطوف على معنى: «بالقِسط»، أي قال: أقسِطوا وأقيموا. أو قبله «فأقبِلُوا» مُقدَّرًا ـ..............................

قولُه: (للَطَافةِ) وليسَ في الآيةِ دليلٌ على أنَّ الجنَّ لا يُرى أصلاً.

قولُه: (أعواناً) وأحياءَ.

قولُه: (كالشِّركِ) أي: فِعلةً متناهِيةً في القُبحِ.

قولُه: (وطوَافِهِم) أي: رجالِهِم ونسائِهِم.

قولُه: (فنُهُوا) عطفٌ على: ﴿فَعَلُوا﴾.

قولُه: (فاقتَدَينَا بِهِم) اعتَقَدُوا أنَّ فعلَ آبائِهِم مستندٌ إلى أمرٍ من اللهِ وشَرعٍ، أو اعتَذَرُوا واحتجُّوا بأمرَينِ؛ تقلِيدِ الآباءِ، والافتراءِ على اللهِ، فأعرَضَ عن الأوَّلِ لظهُورِ فسادِهِ وردَّ الثَّانيَ بقولِهِ: ﴿قل... ﴾ إلخ.

قولُه: (إنكَارٍ) يتضمَّنُ النَّهيَ عن الافتراءِ على اللهِ.

قولُه: (بالعَدْلِ) وهو الوسَطُ من كلِّ أمرٍ، المتجافِي عن طرفَي الإفرَاطِ والتَّفرِيطِ.

قولُه: (مَعنَى: بالقِسطِ) في «البحر»[1]: ﴿وأَقِيمُوا﴾ معطُوفٌ على ما ينحَلُّ إليه المصدَرُ الَّذي هو ﴿القِسطُ﴾ أي: بأنْ أَقسِطُوا وأَقِيمُوا نحوَ:

لَلبــسُ عبَــاءةٍ وتقــرَّ عَينِــي[2]

أي: لَأن ألبَسَ عباءةً وتقرَّ عَينِي.

قولُه: (مُقدَّراً) ولا مانعَ أن يُعطَفَ على: ﴿أمَرَ﴾ أو ﴿قُلْ﴾.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٣٧).

(٢) هذا صدرُ بيت لميسون بنت بحدل الكلبية، وعجزه:

أحـبُّ إلـيَّ مـن لبسِ الشـفوف

انظر: «سر صناعة الإعراب» للموصلي (١/ ٢٨٤)، و«الإيضاح» للقيسي (١/ ٣٤٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٥٣٥).

﴿وُجُوهَكُم﴾ لِلهِ ﴿عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾ أي: أخلِصوا له سُجودكم، ﴿وادعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك. ﴿كَما بَدَأَكُم﴾: خلقكم ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يُعيدكم أحياءً يومَ القيامة، ٣٠ ـ ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَى، وفَرِيقًا حَقَّ علَيهِمِ الضَّلالةُ. إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أولِياءَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه، ﴿ويَحسِبُونَ أنَّهم مُهتَدُونَ﴾.

٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ، خُذُوا زِينَتَكُم﴾: ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾: عِند الصلاة والطواف، ﴿وكُلُوا واشرَبُوا﴾ ما شِئتم ﴿ولا تُسرِفُوا. إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ. قُلْ﴾ إنكارًا عليهم: ﴿مَن حَرَّمَ زِينةَ اللهِ الَّتِي أخرَجَ لِعِبادِهِ﴾ من اللِّباس ﴿والطَّيِّباتِ﴾: المُستلَذّاتِ..........

قولُه: (للهِ) أو: نحوَ القِبلَةِ.

قولُه: (سُجُودَكم) فالمسجِدُ مصدَرٌ ميمِيٌّ، وقيل: في كل وقت سجودٍ أو مكانه، والسُّجودُ الصَّلاةُ؛ أي: صلُّوا، أو في أيِّ مسجدٍ حضرَتْكُم الصَّلاةُ.

قولُه: (من الشِّركِ) أو مخلصينَ له الطَّاعةَ، فلا تُقبَلُ عبادَةٌ إلَّا إذا كانَتْ موافِقةً للشَّريعَةِ خالِصةً.

قولُه: (أي: يُعيدُكُم) وقيل: كما بدَأَكُم من التُّرابِ تعُودُونَ إليه، وقيل: كما بدأَكُم حُفاةً عُراةً غُرْلاً تعودُونَ، وقيل: كما خلقَكُم مؤمِناً وكافراً يُعيدُكم.

قال السُّدِّيُّ[1]: معناهُ: كما خلقناكُم؛ فرِيقٌ مهتدُونَ وفريقٌ ضُلَّالٌ، كذلك تعودُونَ وتُخرَجونَ من بطُونِ أمَّهاتِكُم.

وقال النُّوريُّ: نُجرِي عليكُم في الأبدِ كما قضَينا عليكُم في الأزَلِ.

قولُه: (﴿فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾) قالَ القاضِي[2]: بمقتَضَى القضاءِ السَّابقِ، وانتصابُهُ بفعلٍ يفسِّرُه ما بعدَهُ؛ أي: وخَذَلَ، وهو اعتزالٌ تَبِعَ فيه الزَّمخشريَّ المدسِّسَ الذي تدسِيسُهُ قد يخفَى على مثلِ البيضاويِّ، ولذا حرَّمَ بعضُ العلماءِ مطالَعةَ «الكشَّاف».

فالصَّوابُ ما قالَ في «المدارك»[3]: أي: وأضَلَّ، وهو الملائِمُ لـ﴿هدى﴾ ولـحقَّتْ عليهمُ الضَّلالةُ.

قولُه: (ما شِئتُم) والأحسَنُ: ما طابَ لكُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٦٤).

﴿مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم، ﴿خَالِصَةً﴾: خاصّة بهم ـ بالرفع، والنصب: حالٌ ـ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ. كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: نُبيّنها مِثْلَ ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبّرون، فإنهم المُنتفعون بها.

٣٣ـ ﴿قُلْ: إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾: الكبائرَ كالزِّنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرَها وسِرَّها، ﴿وَالْإِثْمَ﴾: المعصية ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو الظلم، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾: بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾: حُجّة، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يُحرّم وغيره. ٣٤ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مُدّة، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

قولُه: (بالاستِحقَاقِ) والأصالَةِ، هي مخلُوقَةٌ لهُم، وقيل: ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ ظَرفٌ لـ﴿آمَنُوا﴾.

قولُه: (غيرُهُم) أي: الكفَرةُ تَبعاً.

قولُه: (خاصّةً) لا يشارِكُهُم غيرُهُم، وقيل: خالِصةً في الآخرةِ من التَّنغِيصِ والغمِّ.

قولُه: (بالرَّفعِ) نافعٌ[1] على أنّها خبرٌ بعد خبرٍ.

قولُه: (حالٌ) مقدَّرةٌ؛ أي: من المستكِنِّ في الظَّرفِ؛ أي: للَّذينَ، والمعنى: مقدَّراً لهم الخلُوصُ.

قولُه: (المَعصِيةَ) أي: كلَّ ذنبٍ، أو الصَّغائرَ.

قولُه: (على النَّاسِ) بالظُّلمِ والكِبْرِ، أفردَهُ بالذِّكرِ مبالَغةً.

قولُه: (هُو الظُّلْمُ) متعلِّقٌ بـ﴿الْبَغْيَ﴾ مؤكِّدٌ له معنًى.

قولُه: (حُجَّةً) ومن المحالِ إنزالُ البُرهانِ على الإشراكِ، فيكُونُ تهكُّماً واستهزاءً.

قولُه: (وغيرِهِ) من تحليلِ ما لم يُحِلَّ، والإلحادِ في صفتِهِ.

قولُه: (مدّةٌ) وقولُه تعالى: (﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ...﴾) إلخ أي: إن انقرضَتْ مدَّتُهم أو حانَ وقتُهم لا يتأخّرونَ ولا يتقدَّمونَ أقصرَ وقتٍ، كذا قالهُ القاضِي[2]، وحاصلُ كلامِهِ مبنيٌّ على أنّه بمنزلَةِ المثَلِ لا يُقصَدُ من مجمُوعِ الكَلامِ، إلَّا أنَّ الوقتَ المقرَّرَ لا يتبدَّلُ ولا يتغيَّرُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١١).

٣٥ ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ، إمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿يأتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَقُصُّونَ علَيكُم آياتِي، فمَنِ اتَّقى﴾ الشِّرك ﴿وأصلَحَ﴾ عملَه ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة، ٣٦ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، واستكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿عَنها﴾ فلم يُؤمنوا بها، ﴿أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

٣٧ ـ ﴿فمَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: القُرآنِ؟ ﴿أُولئِكَ يَنالُهُم﴾: يُصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾: حظّهم ﴿مِنَ الكِتابِ﴾ ممّا كُتب لهم في اللوح المحفوظ من الرِّزق والأجل وغير ذلك. ﴿حَتَّى إذا جاءَتهُم رُسُلُنا﴾: الملائكة ﴿يَتوَفَّونَهُم قالُوا﴾ لهم تبكيتًا: ﴿أينَ ما كُنتُم تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ؟ قالُوا: ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنّا﴾ فلم نرهم. ﴿وشَهِدُوا علَى أنفُسِهِم﴾ عِند الموت ﴿أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ﴾.

وقيلَ: قولُهُ: ﴿لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ منقطِعٌ من الجوابِ على الاستئنافِ؛ أي: وهُم لا يستَقدِمُونَ الأجلَ؛ أي: لا يسبِقُونَه، وقريبٌ منه ما قالهُ العلَّامةُ التَّفتازانيُّ[1] أنَّه عطفٌ على الشَّرطيةِ؛ يعنِي: ويقدَّرُ بعدَه قبلَ ذلك؛ أي: قبلَ مجيءِ الأجلِ، وقيل: جمعَ بين الممكنِ والمحالِ مبالَغةً في نفيِ الممكِنِ.

قولُه: (إنْ الشَّرطيَّةِ) شرطٌ ذكرَهُ بحرفِ الشَّكِّ للتَّنبيهِ على أنَّ إتيانَ الرُّسلِ أمرٌ جائزٌ غيرُ واجبٍ.

قولُه: (الزَّائِدَة) لتأكيدِ مَعنَى الشَّرطِ، ولذلكَ أكَّدَ فعله بالنُّونِ.

قولُه: (فلَم يُؤمِنُوا) أو لم يعمَلُوا.

قولُه: (وغيرِ ذلِكَ) من الأعمالِ والسَّعادةِ والشَّقاوَةِ.

قولُه: (المَلائِكةُ) ملكُ الموتِ وأعوانُه.

قولُـه تعالـى: (﴿أيـن ما﴾) هـو مفصُولٌ في بعـضِ المصاحِـفِ العُثمانيَّـةِ، موصُـولٌ في بعضِهـا، فقَولُ البيضـاويِّ[2]: ﴿مـا﴾ وُصِلَـتْ بـ﴿أين﴾ فـي المصحَـفِ، وحقُّها الفصلُ؛ لأنَّهـا موصُولةٌ. سـهوٌ؛ لأنَّه خطَّانِ لا يُقاسـانِ؛ خـطُّ المصحَفِ وخـطُّ العَروضِ.

قولُه: (عندَ المَوتِ) أو في القيامةِ، ولا يعارِضُ قوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] لاحتِمالِ اختلافِ الزَّمانِ أو اختِلافِ القائلِ.

---

(١) انظر: «مختصر المعاني» (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٢).

٣٨ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة: ﴿ادخُلوا في﴾ جُملةِ ﴿أُمَمٍ قَد خَلَت مِن قَبلِكُم مِنَ الجِنِّ والإنسِ في النّارِ﴾: مُتعلّق بـ «ادخلوا»، ﴿كُلَّما دَخَلَت أُمَّةٌ﴾ النارَ ﴿لَعَنَتْ أُختَها﴾ التي قبلها لضلالها بها. ﴿حَتَّى إذا ادّارَكُوا﴾: تلاحقوا ﴿فِيها جَمِيعًا قالَتْ: أُخراهُم﴾ ـ وهم الأتباع ـ ﴿لِأُولاهُم﴾ أي: لأجلهم وهم المتبوعون: ﴿ربَّنا، هؤُلاءِ أضَلُّونا. فآتِهِم عَذابًا ضِعفًا﴾: مُضعّفًا ﴿مِنَ النّارِ. قالَ﴾ تعالى: ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعفٌ﴾: عذاب مُضعّف، ﴿ولكِنْ لا تَعلَمُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ما لكُلّ فريق.

٣٩ ـ ﴿وقالَتْ أُولاهُم لِأُخراهُم: فما كانَ لَكُم علَينا مِن فَضلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا. فنحن وأنتم سواء. قال تعالى لهم: ﴿فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكسِبُونَ﴾.

قولُه: (﴿قالَ﴾ تَعالَى) أو أحدٌ من الملائكَةِ.

قولُه: (جُملَةِ) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿في أُمَمٍ﴾ حالٌ؛ أي: كائنِينَ في جملةِ أممٍ مصاحِبينَ لهم.

قولُه: (لضَلالتِهَا) أي: لضَلالةِ الأمَّةِ بأختِهَا في الدِّينِ، وفي نسخةٍ: «لإضلالها لها» فينعَكسُ الضَّميرانِ.

قولُه: (تَلاحَقُوا) وأصلُ ﴿ادَّارَكُوا﴾ تَداركُوا.

قولُه: (وهُم الأتبَاعُ) يعنِي: آخرَهُم منزِلةً أو دخُولاً.

قولُه: (لأَجلِهِم) أي: لأجلِ أوَّلِهم؛ إذِ الخطابُ معَ اللهِ لا معهُم؛ يعنِي: لِأُولاهُم دخُولاً؛ فإنَّ المتبُوعَ يدخُلُ قبلَ التَّابعِ؛ لأنَّه أشدُّ جُرماً، أو آخرُ كلِّ أمَّةٍ لأوَّلِها، أو أهلُ آخرِ الزَّمانِ لأوَّلِهم الذين شرَعوا لهُم ذلك الدِّينَ.

وقولُه تعالى: (﴿أَضَلُّونا﴾) أي: سنُّوا لنا الضَّلالَ فاقتَدَينا بهم.

قولُه: (مُضعَّفاً) لأنَّهم ضلُّوا وأضلُّوا.

قولُه: (مُضعَّف) أمَّا القادَةُ فبكُفرِهم وتضلِيلِهم، وأمَّا الأتباعُ فبكُفرِهِم وتقلِيدِهِم.

قولُه: (بالتَّاء) أي: ما لكُم، أو ما لكلِّ فريقٍ منكُم من العذابِ.

قولُه: (والياءِ) الغيبةِ، شعبةُ[1].

قولُه: (بسببِنَا) هذا غيرُ مستقِيمٍ، والأظهرُ أنَّ القادةَ لمَّا سمِعُوا قولَه تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعفٌ﴾ قالُوا للسَّفِلةِ: ما لكم فضلٌ علينا، فإنَّا متساوُونَ في الضَّلالِ واستِحقاقِ العَذابِ. هذا وأُخرَى هنا بمَعنَى: آخِرَة مؤنَّثُ آخِر، مقابِلُ أُولى، لا مؤنَّثُ آخرَ بمعنَى: غيرَ، كقوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

(قالَ تعالَى) قال؛ أي: للفَرِيقينِ، أو قال القادَةُ، أو الملائكَةُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

٤٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنا واستكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿عَنها﴾ فلم يُؤمنوا بها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُم أبوابُ السَّماءِ﴾ إذا عُرِج بأرواحهم إليها بعد الموت، فيُهبَط بها إلى سِجِّين، بخِلاف المؤمن فيُفتّح له ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث، ﴿ولا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ، حَتَّى يَلِجَ﴾: يدخلَ ﴿الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ﴾: ثَقب الإبرة. وهو غير مُمكن، فكذا دُخولهم ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجزِي المُجرِمِينَ﴾ بالكُفر ـ ٤١ ـ ﴿لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ﴾: فِراش ﴿ومِن فَوقِهِم غَواشٍ﴾: أغطيةٌ من النار، جمع غاشية، وتنوينه عِوض من الياء المحذوفة. ﴿وكَذلِكَ نَجزِي الظَّالِمِينَ﴾.

٤٢ ـ ٤٣ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾: مبتدأ ـ وقوله ﴿لا نُكَلِّفُ نَفسًا إلاّ وُسْعَها﴾: طاقَتَها من العمل: اعتراض بينه وبين خبره ـ وهو ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ، ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ﴾: حِقد كان بينهم في الدُّنيا،......................

قولُه: (فلم يُؤمِنُوا) الأولى: عن الإيمانِ بها.

وقولُه تعالى: (﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾) أي: لأدعِيَتِهم وأعمالِهم وأرواحِهم، والتَّاء في ﴿تُفَتَّحُ﴾ لتأنيثِ الأبوابِ، والتَّشديدُ لكثرتِهَا، وقرأ أبو عمرٍو بالتَّخفيفِ، وحَمزةُ والكِسائيُّ به وبالياءِ[1]؛ لأنَّ التَّأنيثَ غير حقِيقيٍّ، والفِعلُ مقدَّمٌ.

قولُه: (فكَذا دُخولُهم) المتوقِّفُ عليه.

قولُه: (الجزَاءِ) الفظيعِ.

قولُه: (وتنوِينُه... إلخ) أي: التَّنوينُ فيه للبَدلِ عن الإعلالِ، وهو قولُ سيبَويهِ[2]، وللصَّرفِ عندَ غيرِه، وتفصِيلُ هذا المبحَثِ في شَرحِ مولانا عبدِ الرَّحمنِ الجاميِّ قدَّسَ الله سرَّهُ السَّامي[3].

قولُه: (اعتِرَاضٌ) للتَّرغيبِ في اكتسابِ النَّعيمِ المقِيمِ بما يسَعُه طاقتُهُم، وللإعلامِ بأنَّ هذهِ المرتَبةَ الجليلةِ يمكنُه الوُصولُ إليها بسُهولةٍ.

قولُه: (وهُو) أي: خبرُهُ.

قولُه: (حِقدٍ) وحسَدٍ، فلم يبقَ بينهُم إلَّا التَّوادُّ. رويَ عن عليٍّ[4]: إنِّي لأَرجُو أن أكونَ أنا وعُثمانُ وطلحَةُ والزُّبيرُ منهم.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب» (ص: ١٠٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٤٦٦٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٨٢١)، وأحمد في =

﴿تَجرِي مِن تَحتِهِمُ﴾: تحتِ قُصورهم ﴿الأنهارُ، وقالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم: ﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه، ﴿وما كُنّا لِنَهتَدِيَ، لَولا أنْ هَدانا اللهُ﴾ـ حُذف جواب «لولا» لدلالة ما قبله عليه ـ ﴿لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ. ونُودُوا أنْ﴾ ـ مُخفَّفة أي: أنّه، أو مُفسِّرة، في المواضع الخمسة ـ ﴿تِلكُمُ الجَنّةُ أُورِثتُمُوها بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾.

قولُه: (تحت قُصُورِهِم) أو تحتَ تصرُّفِهِم.

قولُه: (لعَمَلِ) أو لتحصِيلِ هذا النَّعيمِ الذي صِرْنا إليه بالإيمانِ والعمَلِ الصَّالحِ.

قولُه: (علَيهِ) وقرأ ابنُ عامرٍ: «ما كنا» بغير واوٍ[1]، على أنَّها مبنيَّةٌ للأولَى.

قولُه: (أي: أنَّه) الأظهرُ: بأنَّه، واسمُها ضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ.

وقولُه: (أو مفسِّرةٌ) لوجُودِ شَرطَيها وهما أنَّ قبلَها جملةً فـي مَعنَى القَولِ، وبَعدَها جملَةً، والمناداةُ منَ القَولِ، والنِّداءُ إمَّا منَ اللهِ، أو منَ الملائكةِ إذا رأوا الجنَّةَ من بعيدٍ، أو بعدَ دخُولِها، والمنادَى له بالذَّاتِ هو ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي: أُعطيتُموها بلا سببٍ، أو ميراثُكُم من أهلِ النَّارِ، فقد وردَ: «ما مِن أحدٍ إلَّا ولـهُ منزلٌ في الجنَّةِ ومنزل في النَّار، والكافِرُ يرِثُ المؤمنَ منزلَهُ من النَّارِ، والمؤمِنُ يرثُ الكافرَ منزلَهُ من الجنَّةِ»، رواهُ ابنُ ماجه والنَّسائيُّ وغيرُهُما[2].

وفي «المدارك»[3]: سمَّاها مِيراثاً؛ لأنَّها لا تُستحَقُّ بالعَمَلِ، بل هي محضُ فضْلِ اللهِ.

وقولُه تعالى: (﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: بسبَبِ أعمالِكُم، قالهُ القاضِي[4]، والتَّحقيقُ: أنَّ إدخالَ الجنَّةِ فضْلٌ، وإدخالَ النَّارِ عدلٌ، والدَّرجاتِ والدَّرَكاتِ بحسَبِ الحسَناتِ والسيِّئاتِ، والخلُودَ فيهما بالنيَّاتِ.

= «فضائل الصحابة» (١٠٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢١٥)، وأبو بكر بن الخلال في «السنة» (٥٥٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٧٤)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٧٩) (١١١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٦٣)، ولم تأت الأسماء مجتمعة إلا في بعض الروايات.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٢٥)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٥٢٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم أقف عليه عند النسائي، وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٤٢).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٦٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٣).

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿ونادى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النّارِ﴾ تقريرًا وتبكيتًا: ﴿أنْ قد وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا. فهَل وَجَدتُم ما وَعَدَ﴾ كم ﴿رُبُّكُم﴾ من العذاب ﴿حَقًّا؟ قالُوا: نَعَمْ. فأذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مُنادٍ ﴿بَينَهُم﴾: بين الفريقين أسمعهم: ﴿أنْ لَعْنةُ اللهِ علَى الظّالِمِينَ الّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه، ﴿ويَبغُونَها﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: مُعْوَجّة، ﴿وهُم بِالآخِرةِ كافِرُونَ﴾.

٤٦ ـ ﴿وبَينَهُما﴾ أي: أصحابِ الجنّة والنار ﴿حِجابٌ﴾: حاجز ـ قيل: هو سُور الأعراف ـ ﴿وعلَى الأعرافِ﴾ وهو سُور الجنّة ﴿رِجالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيّئاتهم كما في الحديث، ﴿يَعرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنّة والنار ﴿بِسِيماهُم﴾: بعلامتهم ـ وهي بياض الوُجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين، لرُؤيتهم لهم إذ موضعُهم عالٍ ـ ﴿ونادَوا أصحابَ الجَنّةِ: أنْ سَلامٌ علَيكُم﴾. قال تعالى:..............

قولُه: (مِنَ الثَّوابِ) أي: ما وعدَنا ربُّنا في الدُّنيا من الثَّوابِ في الآخرَةِ.

قولُه تعالى: (﴿نعَم﴾) الكسائيُّ بكسرِ العينِ[1].

قولُه: (مُنادٍ) قيل: إسرافِيلُ، وقيل: جبريلُ، وقيل: ملَكٌ غيرُ معيَّنٍ.

وقولُه تعالى: (﴿أنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾) قرأَ نافعٌ وقُنبُلٌ وأبو عَمرٍو وعاصمٌ بتخفيفِ ﴿أَنْ﴾ ورفعِ ﴿لَعْنَةُ﴾[2].

قولُه: (النَّاسَ) أي: يمنَعُونَهم أو يُعرِضونَ.

قولُه: (مُعوَجَّةً) يعنِي: يطلُبُونَ لشرعِ اللهِ زيغاً، ويقولُونَ للنَّاسِ في هذا الدِّينِ كذا من الزَّيغِ والعَيبِ حتى لا يتبعَها أحدٌ.

قولُه: (وهُو سُورُ الجنَّةِ) أو على أعرافِ الحِجَابِ؛ أي: أعاليهِ.

قولُه: (استوَتْ حسَنَاتُهمْ) وهو الأصحُّ، بل الصَّحِيحُ من اثنَي عشرَ قولاً، حَكاها القُرطبيُّ[3].

قال تعالى: (﴿ونادَوا﴾) أي: أصحابُ الأعرافِ إذا نظرُوا إلى أهلِ الجنَّةِ.

قولُه: (قالَ تَعَالى) يعنِي: أنَّه استئنافٌ؛ كأنَّ سائلاً سألَ عن حالِ أصحابِ الأعرافِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٢١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢١١) والقرطبي سرد عشرة أقوال.

﴿لَم يَدخُلُوها﴾ أي: أصحابُ الأعراف الجنَّةَ، ﴿وهُم يَطمَعُونَ﴾ في دُخولها. قال الحسن: لم يُطمِعهم إلاّ لكرامةٍ يُريدها بهم. وروى الحاكم عن حُذيفةَ، قال: «بَينَما هُم كَذلِكَ إذ طَلَعَ علَيهِم رَبُّكَ، فقالَ: قُومُوا ادخُلُوا الجَنّةَ. فقَد غَفَرتُ لَكُم».

٤٧ ـ ﴿وإذا صُرِفَت أبصارُهُم﴾ أي: أصحابِ الأعراف ﴿تِلقاءَ﴾: جِهةَ ﴿أصحابِ النّارِ قالُوا: رَبَّنا، لا تَجعَلْنا﴾ في النار ﴿مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾.

٤٨ ـ ﴿ونادَى أصحابُ الأعرافِ رِجالاً﴾ من أصحاب النار، ﴿يَعرِفُونَهُم بِسِيماهُم، قالُوا: ما أغنَى عَنكُم﴾ من النار ﴿جَمعُكُم﴾ المالَ أو كثرتُكم ﴿وما كُنتُم تَستكبِرُونَ﴾ أي: واستبكارُكم عن الإيمان؟ ويقولون لهم، مشيرين إلى ضُعفاء المسلمين: ٤٩ ـ ﴿أهؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمةٍ﴾؟ قد قيل لهم: ﴿ادخُلُوا الجَنّةَ، لا خَوفٌ علَيكُم ولا أنتُم تَحزَنُونَ﴾. وقُرِئ: «أُدْخِلُوا» بالبناء للمفعول، «ودَخَلُوا». فجُملة النفي حال أي: مقولاً لهم ذلك.

٥٠ ـ ٥١ ـ ﴿ونادَى أصحابُ النّارِ أصحابَ الجَنّةِ: أنْ أفِيضُوا علَينا مِنَ الماءِ أو مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الطعام..

قولُه: (أصحَابُ الأَعرَافِ) في الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ نظرَهُم إلى أصحابِ النَّارِ لا برَغبةٍ منهم، بخِلافِ نظرِهِم إلى أصحابِ الجنَّةِ.

قولُه: (مِن أصحَابِ النَّارِ) وإنَّما يعرفُونَ ذلك بالإلهامِ، أو تعليمِ الملائكةِ، أو بالكَشْفِ.

قولُه: (عنِ الإِيمَان) أو عن الحقِّ، أو على الخَلقِ.

قولُه: (ويقُولُونَ لَهُم) أي: من تتمَّةِ قولِهِم للرِّجالِ.

قولُه: (إلى ضُعفَاءِ المُسلِمِينَ) الَّذين كانت الكفَرةُ يحتَقِرُونَهم في الدُّنيا، ويحلِفُون أنَّ اللهَ لا يُدخِلُهُم الجنَّةَ.

قولُه: (لهُم) أي: للضُّعفاءِ؛ يعني: فقيلَ لأصحابِ الأعرافِ: ﴿ادخُلوا الجنَّةَ﴾ بفَضلِ اللهِ بعدَ أن حُبِسُوا حتَّى أبصَرُوا الفريقَينِ وعرَفُوهُم وقالوا لهم ما قالُوا.

قولُه: (ذلكَ) أي: لا خَوفٌ عليكم.

قولُه: (مِنَ الطَّعَامِ) كقولِهِ:

علفتُها تِبناً وماءً بارِداً[1]

---

(١) شطر لا يعرف قائله وتتمته:

حتى شَتَتْ همالةً عيناها

﴿قالُوا: إنَّ اللهَ حَرَّمَهُما﴾: منعهما ﴿عَلَى الكافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهْوًا ولَعِبًا، وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا. فاليَومَ نَنساهُم﴾: نتركهم في النار ﴿كَما نَسُوا لِقاءَ يَومِهِم هذا﴾ بتركهم العملَ له، ﴿وما كانُوا بِآياتِنا يَجحَدُونَ﴾ أي: وكما جحدوا.

٥٢ ـ ﴿ولَقَد جِئناهُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿بِكِتابٍ﴾: قُرآنٍ، ﴿فَصَّلْناهُ﴾ بيّنّاه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَى عِلمٍ﴾: حالٌ، أي: عالمين بما فُصِّل فيه، ﴿هُدًى﴾: حال من الهاء ﴿ورَحْمَةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ به.

٥٣ ـ ﴿هَل يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إلاّ تأوِيلَهُ﴾: عاقبةَ ما فيه؟ ﴿يَومَ يأتِي تأوِيلُهُ﴾، هو يوم القِيامة، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ﴾: تركوا الإِيمان به:........................

أو من سائرِ الأَشربةِ ليُلائمَ الإفاضةَ؛ لأنَّها مختصَّةٌ بما له سيَلانٌ، وصرَّحَ بالأوَّلِ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه[1]، وفي الآيَةِ دلِيلٌ على أنَّ الجنَّةَ فوقَ النَّار.

قولُه: (مَنَعَهُما) أي: ماءَ الجنَّةِ وطعامَها عنهم منعَ المحرَّمِ عن المكلَّفِ.

قولُه: (أي: وكَمَا جحَدُوا) فيكُونُ ﴿ما كانُوا﴾ عطفاً على: ﴿ما نَسُوا﴾، والظَّاهرُ أنَّ الكافَ في ﴿كما﴾ للتَّعليلِ، و﴿ما﴾ فيهما مصدريَّةٌ.

قولُه: (قُرآنٍ) قيل: المرادُ من الكتابِ جنسُهُ؛ أي: بكتابٍ إلهيٍّ، وهو الظَّاهرُ؛ فإنَّ الضَّميرَ في ﴿جِئْنَاهُم﴾ عامٌّ في الكفَّارِ، لا خاصٌّ بمكذِّبِي محمَّدٍ ﷺ.

قولُه: (بيَّنَّاه) أي: بيَّنَّا معانِيَهُ من العقائدِ والأَحكامِ والمواعِظِ مفصَّلةً.

قولُه: (حالٌ) من فاعلِ (فصَّلْنا).

قولُه: (بمَا فصَّلَ) أو كيفَ نفصِّلُ.

قولُه: (حالٌ من الهَاءِ) أي: هاءُ ﴿فَصَّلناهُ﴾ وحقُّه التَّأخِيرُ عن ﴿رَحمةً﴾، وقيل: ﴿هُدًى﴾ و﴿رحمةً﴾ مفعُولٌ له.

قولُه: (عاقِبَةَ مَا فِيهِ) أي: ما يؤُولُ إليه أمرُ الكتابِ من تبيينِ صدقِهِ بظهُورِ ما نطقَ به من الوَعدِ والوَعِيدِ.

وقولُه تعالى: (﴿مِن قَبلُ﴾) أي: قبلَ إتيانِهِ في الدُّنيا.

قولُه: (الإِيمَانَ) والعَمَلَ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٧٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٠) مصرحاً عن السدي.
وأما رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري في «تفسيره» (١٤٧٥١) فغير صريحة بذلك.

﴿قد جاءت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ. فهَل لَنا مِن شُفَعاءَ فيَشفَعُوا لَنا، أَو﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿فنعمَلَ غَيرَ الَّذِي كُنَّا نَعمَلُ﴾: نوحِّدَ الله ونتركَ الشركَ؟ فيقال لهم: لا. قال الله تعالى: ﴿قَد خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ إذ صاروا إلى الهلاك، ﴿وضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك.

٥٤ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ﴾ من أيام الدُّنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ـ ولو شاء خلقهنّ في لمحة، والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبُّتَ ـ ﴿ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ﴾ هو في اللغة: سرير المُلك،...

قولُه: (﴿أو﴾ هَل) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿نُرَدُّ﴾ عطفٌ على: ﴿لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾.

وقولُه: (﴿فَنَعْمَلَ﴾) جوابُ الاستفهامِ الثَّاني، وقُرِئ بالرَّفع[1]؛ أي: فنحنُ نعمَلُ.

قولُه: (لا) أي: ليسَ لكُم شُفعاءُ، ولا ردٌّ إلى الدُّنيا.

قولُه: (إذْ صَارُوا) بصَرفِ أعمارِهِم في المعصيةِ.

قولُه: (ذهَبَ) وغابَ وبطَلَ.

قولُه: (من دَعوَى الشِّركِ) فلم تنفَعْهم آلهَتُهُم.

قولُه: (من أيَّامِ الدُّنيَا) أو أيَّامِ الآخرةِ؛ كلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ، نصَّ على الثَّاني مجاهِدٌ[2] والإمامُ أحمدُ[3]، وصرَّحَ كثيرٌ من السَّلفِ أنَّ المرادَ من السِّتَّةِ ما عَدا السَّبتَ.

قولُه: (أي: في قَدْرِها) أي: في قدرِ ستَّةِ أيَّامٍ.

قولُه: (شَمسٌ) إذِ اليومُ المتعارَفُ عندَ أهلِ الهَيئةِ من زمانِ طلُوعِها إلى غرُوبِها، وعندَ أهلِ الشَّرعِ من الصُّبحِ إلى غرُوبِ الشَّمسِ.

قولُه: (عنهُ) أي: عن خلقِهنَّ دفعةً.

قولُه: (سريرُ المُلكِ) العرشُ: الجِسمُ المحيطُ بسائرِ الأجسامِ؛ سُمِّي به لارتفاعِهِ، أو للتَّشبيهِ بسريرِ المُلكِ، فإنَّ الأمُورَ والتَّدابيرَ تنزِلُ منه، وقيل: المُلكُ.

---

(١) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «الكشاف» (٢/ ١٠٩) و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢١٨)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ١٥) ونُسِبَتْ للحسن البصري.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٧٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٩٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٦).

(٣) ذكرها كذلك عنه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٢٦).

استواءً يليق به، ﴿يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ﴾، مُخففًا ومُشدَّدًا، أي: يُغطي كُلًّا منهما بالآخر، ﴿يَطلُبُهُ﴾: يطلب كُلٌّ منهما الآخرَ طلبًا ﴿حَثِيثًا﴾: سريعًا ـ ﴿والشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ﴾، بالنصبِ عطفًا على «السّماواتِ»، والرفعِ مبتدأ خبرُه ﴿مُسَخَّراتٍ﴾: مُذلَّلاتٍ ﴿بِأمرِهِ﴾: بقُدرته. ﴿ألا لَهُ الخَلقُ﴾ جميعًا ﴿والأمرُ﴾ كُلّه. ﴿تَبارَكَ﴾: تعظّمَ ﴿اللهُ رَبُّ﴾: مالكُ ﴿العالَمِينَ﴾!

٥٥ ـ ﴿ادعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا﴾: حالٌ تذلُّلاً ﴿وخُفيَةً﴾:........................

قولُه: (استِوَاءً يلِيقُ بِهِ) أجمعَ السَّلَفُ على أنَّ استواءَ العَرشِ صفةٌ له بلا كَيفٍ، نؤمِنُ به ونكِلُ العِلمَ إلى اللهِ تعالى، وقالَ مالِكٌ[1]: الاستِواءُ معلُومٌ، والكيفُ مجهُولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ.

وقيل: معناهُ: استَولَى، أو استَولَى أمرُه.

قولُه: (مشدَّداً) حمزةُ والكِسائيُّ وشعبَةُ[2] للدَّلالةِ على التَّكريرِ.

قولُه: (يُغطِّي) ولم يذكُرْ عكسَهُ للعِلمِ بِهِ، ولأنَّ اللَّفظَ يحتملُهُما.

قولُه: (يطلُبُ) أي: يعقُبُه سرِيعاً، كالطَّالبِ له لا يفصِلُ بينهما شيءٌ، فـ﴿يَطلُبُهُ﴾ مجازٌ.

قولُه: (طَلَباً) صفةُ مصدرٍ محذُوفٍ، أو حالٌ من الفاعلِ بمعنَى: حاثًّا، أو المفعُولِ بمعنَى: محثُوثاً.

قولُه: (والرَّفعِ) شاميٌّ[3].

قولُه: (خبرُهُ «مُسَخَّراتٌ») بالرَّفعِ، والباقُون بنصبِ: ﴿مُسَخَّراتٍ﴾[4] على الحالِ.

قولُه: (جمِيعاً) أي: لا خالقَ إلَّا هو، أو الخلقُ كلُّه مُلكٌ له.

قولُه: (كلُّه) لا يجرِي في مُلكِه إلَّا ما يشاءُ.

قولُه: (تعظَّمَ) أو تكاثرَ خيرُهُ.

قولُه: (حالٌ) أي: هو وما بعدَهُ؛ يعنِي: ذوِي تضرُّعٍ وخُفيةٍ، فإنَّ الإخفاءَ دليلُ الإخلاصِ.

---

(١) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، واللالكائي في «شرح الأصول» (٦٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) بلفظ قريب منه، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٥٤): هذا القول من مالك جاء بألفاظ مختلفة وأسانيد متنوعة.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٢٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر المصادر السابقة

(٤) انظر المصادر السابقة.

سِـرًّا ـ ﴿إِنَّـهُ لا يُحِـبُّ الْمُعتَدِينَ﴾ في الدُّعاء بالتشـدّق ورفع الصوت ـ ٥٦ ـ ﴿ولا تُفسِـدُوا في الأرضِ﴾ بالشِّـرك والمعاصـي ﴿بَعـدَ إصلاحِهـا﴾ ببعـث الرسـل، ﴿وادعُـوهُ خَوفًـا﴾ مـن عِقابـه ﴿وطَمَعًا﴾ في رحمتـه. ﴿إنَّ رَحْمـةَ اللهِ قَرِيـبٌ مِـنَ الْمُحسِـنِينَ﴾: المُطيعين. وتذكيـر «قريب» المخْبَرِ بـه عن «رحمة» لإِضافتهـا إلى «الله».

٥٧ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ﴾ أي: مُتفرّقةً قُدّامَ المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، ....

قولُه: (في الدُّعَاءِ) وغيرِهِ.

قولُه: (بالتَّشدُّقِ) هو التَّوسُّع في الكلامِ من غيرِ احتياطٍ واحتِرازٍ، كذا في «النِّهاية»[(١)].

قولُه: (ورفعِ الصَّوتِ) أي: الصِّياحِ، وكالإِطنابِ بمثلِ مسألَةِ الجنَّةِ ونعيمِها وإستبرَقِها وقُصُورها وحُورِها وأمثالِ ذلك، وتكلُّفِ السَّجعِ، وكطلبِ المُحالِ مثلَ رُتبةِ الأنبياءِ والصُّعودِ إلى السَّماءِ.

قولُه: (في رحمتِهِ) حالانِ من الفاعلِ؛ أي: خائفِينَ وطامعِينَ، أو منصُوبانِ على العلَّةِ، قيل: خوفاً من بُعدِه، وطمَعاً في قُربِهِ. والأظهرُ: خوفاً من جلالِهِ، وطمَعاً في جمالِهِ، ولو فُسِّرَ (ادْعُوا) بمَعنَى: اعبُدوا؛ لكانَ أتمَّ وأعمَّ؛ لأنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، بل مخُّها[(٢)]، وتخلَّصَ الكلامُ من ظاهرِ التَّكرارِ.

قولُه: (المُطِيعِينَ) أي: في أمرِهِ ونهيِهِ.

قولُه: (لإِضَافتِهَا) يعنِي: اكتسَبَ المرجعُ التَّذكيرَ من المضافِ إليهِ، أو لأنَّه صفةُ محذوفٍ؛ أي: أمرٌ قرِيبٌ.

قولُه: (متَفرِّقةً) تفسيرُ: «نُشُرًا» فالأَولَى تقديمُه.

قولُه: (وفي قرَاءةٍ) للشَّاميِّ[(٣)].

قولُه: (وفي أُخرَى) حمزةُ والكِسائيُّ[(٤)].

قولُه: (مَصْدراً) في موقعِ الحالِ؛ بمعنَى: ناشِراتِ السَّحابِ الثِّقالِ.

---

(١) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٥٣).

(٢) يشير إلى الحديث الذي رواه الترمذي (٣٣٧١) وغيره من حديث أنس رضي الله عنه: «الدعاء مخ العبادة».
وهذا اللفظ حسنه بشواهده الشيخ شعيب في تعليقه على «مسند أحمد» (١٨٣٥٢) عند تخريجه للحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٣١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٧٠).

(٤) انظر المصادر السابقة.

وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحَّدة بدلَ النون، أي: مبشِّراتٍ. ومُفرد الأُولى: نَشُورٌ كرَسُول، والأخيرة: بَشِيرٌ. ﴿حَتَّى إذا أقَلَّتْ﴾: حَملَتِ الرياحُ ﴿سَحابًا ثِقالاً﴾ بالمطر ﴿سُقناهُ﴾ أي: السحابَ ـ وفيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿لِبَلَدٍ مَيْتٍ﴾: لا نبات به أي: لإِحيائه، ﴿فأنزَلْنا بِهِ﴾: بالبلد ﴿الماءَ، فأخرَجْنا بِهِ﴾: بالماء ﴿مِن كُلِّ الثَمراتِ ـ كَذلِكَ﴾ الإِخراجِ ﴿نُخرِجُ المَوتَى﴾ من قُبورهم بالإحياء، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون ـ ٥٨ ـ ﴿والبَلَدُ الطيِّبُ﴾: العذبُ الترابِ ﴿يَخرُجُ نَباتُهُ﴾ حسنًا ﴿بِإِذنِ رَبِّهِ﴾ ـ هذا مَثَلُ المُؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ـ ﴿والَّذي خَبُثَ﴾ ترابُه ﴿لا يَخرُجُ﴾ نباتُه ﴿إلاَّ نَكِدًا﴾: عسِرًا بمشقّة......

قولُه: (وفِي أُخرَى) عاصمٌ[١]؛ وهو تخفيفُ (بُشُر) وقد قُرِئ به[٢]، فقولُه: (أي: مبشِّراً) الظَّاهر: مبشِّراتٍ.

قولُه: (ومُفردُ الأُولَى) أي: مخفَّفاً، وكذا مثقَّلُه الَّذي للباقِينَ، ولا يخفَى أنَّ ابنَ كثيرٍ وحمزةَ والكِسائيَّ يقرؤُونَ[٣] ﴿الرِّياحَ﴾ بالإفرادِ فتأمَّل؛ لا تقعْ في التَّركيبِ الَّذي بمنزلةِ التَّلفيقِ.

قولُه: (بالمَطرِ) جمعَهُ؛ لأنَّ السَّحابَ بمعنَى: السَّحائبِ، وتذكيرُ الضَّميرِ باعتبارِ اللَّفظِ.

قولُه: (أي: لِإحيَائهِ) أو لأجلِه، أو لسقيِه، والمرادُ بالبلدِ: الأرضُ.

قولُه: (بالبَلَدِ) أو بالسَّحابِ، أو بالسَّوقِ، أو بالرِّيحِ، والباء للسَّببيَّةِ في الأخيراتِ، للظَّرفيَّةِ في الأولَى، وكذلك: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾.

وقولُه تعالى: (﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾) أي: من كلِّ أنواعِها.

قولُه: (الإِخرَاجِ) أي: إخراجِ الثَّمراتِ، أو إحياءِ البلدِ الميِّتِ.

قولُه: (فتُؤمِنُون) أي: تعلمُونَ أنَّ من قدَرَ على ذلك قدَرَ على هذا فتُؤمنُونَ بالبعثِ.

قولُه: (العذْبُ) الكريمُ.

قولُه: (حَسناً) أي: سريعاً حسناً، وهو يُفهَمُ من مقابلَتِه بقولِه: ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾ [الأعراف: ٥٨].

قولُه: (ترَابُه) كالحَرَّةِ؛ وهي أرضٌ ذاتُ حجارةٍ سُودٍ، والسَّبْخةُ[٤]: أرضٌ ذاتُ نزٍّ[٥] ومِلحٍ.

قولُه: (عَسِراً) أي: بطِيئاً أو قلِيلاً عديمَ النَّفعِ، ونصبُه على الحالِ.

قولُه: (بمشَقَّةٍ) أي: بمعالجَةٍ يعرِفُها أهلُها.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) ونسبها في «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» (١/ ٢٥٥) لابن عباس والسلمي بخلاف، وعاصم بخلاف.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٣٢).

(٤) الباء تسكن وتفتح. «تاج العروس» (٧/ ٢٦٩).

(٥) النز ـ بفتح النون وكسرها ـ: ما يتَحَلَّبُ من الأرض من الماء. «مختار الصحاح» (ص: ٣٠٨).

وهذا مَثَلُ الكافر. ﴿كَذَلِكَ﴾: كما بيّنّا ما ذُكر، ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَشكُرُونَ﴾ اللهَ فيؤمنون.

٥٩ ـ ﴿لَقَد﴾ ـ جوابُ قسم محذوف ـ ﴿أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، فقالَ: يا قَومِ اعبُدُوا اللهَ. مالَكُم مِن إلٰـهٍ غَيرِهِ﴾. بالجرِّ صفةٌ لِـ «إلٰـهٍ»، والرفعِ بدلٌ من محلّه. ﴿إنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾ ـ إن عبدتم غيره ـ ﴿عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

٦٠ ـ ﴿قالَ المَلَأُ﴾: الأشراف ﴿مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّن. ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، لَيسَ بِي ضَلالةٌ﴾ ـ هي أعمّ من الضلال، فنفيُها أبلغ من نفيه ـ ﴿ولكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ، أُبَلِغُكُم﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿رِسالاتِ رَبِّي، وأنصَحُ﴾: أُريد الخيرَ ﴿لَكُم، وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ. أ﴾ كذّبتم ....

قولُه: (اللهَ) أو نعمَهُ.

قولُه: (بالجرِّ) كسائيٌّ[1].

قولُه: (من مَحَلِّهِ) لأنّه اسمُ ﴿ما﴾.

قولُه: (إنْ عبَدتُم) أو إن لم تُؤمِنُوا.

قولُه: (يَومُ القيَامَةِ) أو يومُ نزُولِ الطُّوفانِ.

قولُه: (الأَشرَافُ) فإنَّهم يملؤونَ العُيونَ.

قولُه: (بيِّنٍ) لأنّك تركتَ دينَ آبائكَ.

قولُه: (هيَ أعَمُّ) أي: شيءٌ من الضَّلالةِ.

وقولُه: (منَ الضَّلالِ) أي: البيِّنِ.

وقولُه: (﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾) أي: ثابتٌ على طريقِ الهدايَةِ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) بَصريٌّ[2].

قولُه: (أكذَّبتُم) الهمزةُ للإنكارِ، والعطفُ على محذُوفٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٣٩)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٤١)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٧٠).

﴿وَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ﴾: موعظة ﴿مِن رَبِّكُم على﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنكُم لِيُنذِرَكُم﴾ العذابَ إن لم تُؤمنوا، ﴿ولِتَتَّقُوا﴾ اللهَ، ﴿ولَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ بها؟

٦٤ ـ ﴿فكَذَّبُوهُ، فأنجيناهُ والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿في الفُلْكِ﴾: السفينة، ﴿وأَغرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ بالطوفان. ﴿إنَّهُم كانُوا قَومًا عَمِينَ﴾ عن الحقّ.

٦٥ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى عادٍ﴾ الأولى ﴿أخاهُم هُودًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه. ﴿مالَكُم مِن إلـٰـهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ﴾: تخافونه، فتؤمنون؟ ٦٦ ـ ﴿قالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في سَفاهةٍ﴾: جهالة، ﴿وإنّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في رسالتك.

٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، لَيسَ بِي سَفاهةٌ، ولكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ، أُبَلِّغُكُم رِسالاتِ رَبِّي، وأنا لَكُم ناصِحٌ أمِينٌ﴾: مأمون على الرسالة.........

وقولُه تعالى: (﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾) أي: مِن أن جاءَكُم.

قولُه: (موعِظَةٌ) أو رسالَةٌ.

قولُه: (اللهَ) أي: عقابَهُ أو مخالفتَهُ.

قولُه: (بهَا) أي: بالموعِظَةِ.

قولُه: (من الغَرقِ) الأصحُّ أنَّهم ثمانُونَ، رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ[1] عن ابنِ عبَّاسٍ.

قولُه: (السَّفينةِ) متعلِّقٌ بـ﴿مَعَهُ﴾ أو بـ﴿أنجَينا﴾.

قولُه: (بالطُّوفَانِ) متعلِّقٌ بـ﴿أَغْرَقْنَا﴾.

قولُه: (عن الحَقِّ) أي: عُمْيَ القُلوبِ عن معرفةِ اللهِ غيرَ مُستعبِرينَ، وأصلُه: عَمِيِينَ، فخُفِّفَ.

قولُه: (أرسَلْنا) يعني: ﴿أَخَاهُم﴾ عطفٌ على: ﴿نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، و(﴿هُوداً﴾) عطفُ بيانٍ لـ﴿أَخَاهُم﴾ والمرادُ به: الواحدُ منهُم؛ كقولِهِم: يا أخا العربِ، أو في النَّسبِ.

قولُه: (جهَالَةٍ) أي: متمكِّناً راسِخاً فيها، فالظَّرفُ وقعَ حالاً.

وقولُه: (﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾) أي: كامِلُ العَقلِ لأنِّي رسُولٌ.

قولُه: (مأمُونٌ) لا أكذِبُ فيها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٦)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٥٢).

٦٩ ـ ﴿أوَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ مِن رَبِّكُم علَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنكُم لِيُنذِرَكُم؟ واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ﴾ في الأرض ﴿مِن بَعدِ قَومِ نُوحٍ، وزادَكُم في الخَلْقِ بَسْطَةً﴾: قوّة وطُولاً. وكان طويلُهم مِائَةَ ذراع وقصيرُهم ستّين. ﴿فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ﴾: نِعَمَه، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

٧٠ ـ ﴿قالُوا: أجِئتَنا لِنَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ، ونَذَرَ﴾: نترك ﴿ما كانَ يَعبُدُ آباؤُنا؟ فائْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ به من العذاب، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في قولك. ٧١ ـ ﴿قالَ: قَد وَقَعَ﴾: وجب ﴿علَيكُم مِن رَبِّكُم رِجْسٌ﴾: عذاب ﴿وغَضَبٌ. أتُجادِلُونَنِي في أسماءٍ، سَمَّيتُمُوها﴾ أي: سمّيتم بها ﴿أنتُم وآباؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿ما نَزَّلَ اللهُ بِها﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلطانٍ﴾: حُجّة وبُرهان؟ ﴿فانتَظِرُوا﴾ العذاب. ﴿إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم لي. فأُرسِلتْ عليهم الريحُ العَقيم.

٧٢ ـ ﴿فأنجَيناهُ﴾ أي: هودًا ﴿والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المُؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنّا، وقَطَعْنا دابِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ ....

قولُه تعالى: (﴿إِذْ جَعَلَكُمْ﴾) ﴿إِذْ﴾ هنا مفعُولٌ بِهِ لـ﴿اذْكُرُوا﴾ لا ظرفٌ كما لا يخفَى.

قولُه: (أنعُمَه) تعمِيمٌ بعد تخصِيصٍ.

قولُه: (تَفُوزُون) أي: لكي يُفضِيَ بكُم ذكرُ النِّعَمِ إلى شُكرِها المؤدِّي إلى الفَوزِ.

قولُه: (منَ العَذابِ) المدلُولِ عليه بقولِه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

قولُه: (وجَبَ) أو حقَّ عليكُم، أو نزَلَ عليكُم، على أنَّ المتوقَّعَ كالواقعِ.

قولُه: (عذَابٌ) وغضَبٌ إرادةُ الانتقامِ.

قولُه: (أي: سمَّيتُم) أو في أشياءَ سمَّيتُموهَا آلهةً وليسَ فيها معنَى الإلهيَّةِ، فما هي إلَّا من موضُوعاتِكم ومختَرَعاتِكُم، أو ما هي إلَّا أسماءٌ أحدثتُمُوها، وليسَ تحتها مسمَّياتٌ.

قولُه: (أصناماً) مفعولُ: ﴿سَمَّيتُم﴾.

قولُه: (أي: بعبَادَتِها) أي: ما جعلَ اللهُ لكُم في عبادَتِها حُجَّةً ولا دليلاً.

قولُه: (العذَابَ) أي: نزولَهُ.

قولُه: (بتكذِيبِكُم) حتَّى ترَوا حالَكُم وحالِي.

قولُه: (من المُؤمِنِينَ) أي: معه في الدِّينِ.

قولُه: (﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾) عليهِم.

أي: استأصلناهم، ﴿وما كانُوا مُؤمِنِينَ﴾: عطفٌ على «كذّبوا».

٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى ثَمُودَ﴾، بترك الصرف مُرادًا به القبيلةُ، ﴿أخاهُم صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ. ما لَكُم مِن إلٰهٍ غَيرُهُ. قَد جاءَتكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجزة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ على صدقي. ﴿هذِهِ ناقةُ اللهِ لَكُم آيَةً﴾: حالٌ عاملها معنى الإشارة ـ وكانوا سألوه أن يُخرجها لهم من صخرة عيّنوها ـ ﴿فذَرُوها، تَأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾: بعقر أو ضرب، ﴿فيأخُذَكُم عَذابٌ أَلِيمٌ، واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ﴾ في الأرض ﴿مِن بَعدِ عادٍ، وبَوّأَكُم﴾: أسكنكم ﴿في الأرضِ، تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِها قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف، ﴿وتَنحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء. ونصبُه على الحال المُقدَّرة. ﴿فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾.

قولُه: (استَأصَلنَاهُم) أي: أهلَكْناهُم عن آخرِهم.

قولُه: (عَطفٌ عَلى: ﴿كذّبوا﴾) تعريضٌ بمَن آمَنَ فيهم، وتنبيهٌ على أنَّ الفارقَ بين من نجا وهَلك لعدمِ الإيمانِ.

قولُه: (بتَركِ الصَّرفِ) وقُرئ مصرُوفاً[1] بتأويلِ الحيِّ.

قولُه: (معجِزَةٌ) ظاهرةُ الدَّلالةِ.

وقولُه تعالى: (﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾) استئنافٌ لبَيانِها، وإضافةُ النَّاقةِ إلى اللهِ لتعظِيمِها، ولأنَّها جاءَتْ من عندِه بلا وسائطَ وأسبابٍ معهُودةٍ، فإنَّها خرجَتْ من الصَّخرةِ يومَ عيدٍ بمحضَرِهم حينَ سألوا تلكَ المعجزةَ، وعَهِدوا أن يؤمنُوا بهِ بعدَما تظهرُ، ولذلك كانت آيةً.

قولُه: (أو ضَربٍ) أو طَردٍ أو أذًى.

وقولُه تعالى: (﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾) جوابُ النَّهي.

قولُه: (فِي الأَرضِ) أو في مساكنِهم.

قولُه: (أسكنكُم ﴿فِي الأَرْضِ﴾) أي: في أرضِ الحِجرِ.

وقولُه تعالى: (﴿تَتَّخِذُونَ﴾) أي: تبنُونَ القصُورَ في سهُولها، أو من سهُولةِ الأرضِ بما تصنَعُونَ منها كاللَّبِن والآجُرّ.

قولُه: (ونصبُهُ) أي: لفظِ ﴿بُيُوتاً﴾؛ لأنَّ الجَبلَ ما كان بيتاً في حالِ النَّحتِ.

---

(١) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٩١)، و«السراج المنير» (١/ ٤٨٨)، ونسبت لابن وثاب والأعمش.

٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ استَكبَرُوا مِن قَومِهِ﴾: تكبّروا عن الإيمانِ به ﴿لِلَّذِينَ استُضعِفُوا لِمَن آمَنَ مِنهُم﴾ أي: من قومه، بدل ممّا قبله بإعادة الجارّ: ﴿أتعلَمُونَ أنَّ صالِحًا مُرسَلٌ مِن رَبِّهِ﴾ إليكم؟ ﴿قالُوا﴾: نعم ﴿إنّا بِما أُرسِلَ بِهِ مُؤمِنُونَ. قالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا: إنّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كافِرُونَ﴾.

وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملّوا ذلك، ٧٧ ـ ﴿فعَقَرُوا النّاقَةَ﴾ عَقَرَها قُدارٌ بأمرهم بأن قتلها بالسيف، ﴿وعَتَوا عَن أمرِ رَبِّهِم، وقالُوا: يا صالِحُ، ائتِنا بِما تَعِدُنا﴾به من العذاب على قتلها، ﴿إن كُنتَ مِنَ المُرسَلِينَ﴾.

٧٨ ـ ﴿فأخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ﴾: الزلزلةُ الشديدة من الأرض والصيحةُ من السماء، ﴿فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ﴾: ....

قولُه: (أي: مِن قَومِهِ) أي: الرَّعايا.

قولُه: (ممَّا قبلَهُ) أي: من ﴿قَومِهِ﴾ أو من ﴿الَّذِينَ﴾ بدلُ الكلِّ على الأوَّلِ، وبدلُ البعضِ على الثَّانِي، فإنَّ المستضعَفينَ كثيرُونَ، والمؤمنُونَ أربعةُ آلافٍ.

قولُه: (إلَيكُم) قالوهُ على الاستِهزاءِ.

قولُه: (نعَم) يعنِي: عدَلُوا به عن الجوَابِ السَّوي الذي هو: نعَم، تَنبيهاً على أنَّ إرسالَهُ أظهَرُ من أن يشكَّ فيهِ عاقِلٌ، وإنَّما الكلامُ فيمن آمَنَ ومن كفَرَ ونحن مؤمنُونَ.

قولُه: (عَقرَهَا قُدَار) أسندَ إلى جميعِهِم فعلَ بعضِهِم للمُلابَسَةِ، أو لأنَّهُ كانَ برضاهُم أو بأمرِهِم، وقولُه تعالى: ﴿وعَتَوا﴾ أي: عن قَبُولِ أمرِ ربِّهم واستكبَروا عن امتثالِه، وهو ما بلَّغهُم صالِحٌ بقولِهِ: ﴿فذَرُوهَا﴾.

وقولُه تعالى: (﴿وقَالُوا﴾) يعنِي: حينَ قال لهُم: ولا تمسُّوها بسُوءٍ فيأخُذَكُم عذابٌ أليمٌ.

قولُه: (والصَّيحَةُ مِن السَّماءِ) فتقطَّعَتْ قُلوبهُم في صُدورِهِم، هكذا ذكرَهُ علَماءُ التَّفسيرِ فلا مُنافَاةَ بين هذا وبينَ مَا وقعَ في موضِعٍ آخرَ: ﴿فأَخَذتهُمُ الصَّيحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]؛ لأنَّ في عذابِهِم رجفَةً وصيحَةً فبيَّنَ في كُلِّ موضِعٍ شَيئاً.

قولُه: (﴿جاثِمِين﴾ ... إلخ) في «الدُّرِّ»[1] المنقُولِ: مَيِّتِين، وفي «المعَالمِ»[2]: خامِدينَ ميِّتِين، قيل: سقَطوا على وجوهِهِم موتَى عن آخرِهِم.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٤).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٢٠٧).

باركين على الرُّكب ميّتين، ٧٩ ـ ﴿فتوَلّى﴾: أعرَضَ صالح ﴿عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغتُكُم رِسالَةَ رَبِّي، ونَصَحتُ لَكُم، ولكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحِينَ﴾.

٨٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿لُوطًا﴾، ويُبدل منه ﴿إذْ قالَ لِقَومِهِ: أتأتُونَ الفاحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ﴾ الإنس والجنّ؟ ٨١ ـ ﴿أإنَّكُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ الألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَتأتُونَ الرِّجالَ شَهْوةً مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ﴾: متجاوزون الحلالَ إلى الحرام.

٨٢ ـ ﴿وما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أن قالُوا: أخرِجُوهُم﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِن قَريَتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾..

وفي «المدَارِكِ»[1]: ميِّتِينَ قعُودًا، يقالُ: النَّاسُ جُثَّم؛ أي: قعُودٌ لا حراكَ بهم ولا يتكلَّمونَ.

وفي «القَامُوس»[2]: جَثَمَ: لزِمَ مَكانَهُ ولم يَبرَح، أو وقعَ على صَدرِهِ، انتهى.

وأمّا قولُه: (باركِينَ على الرُّكَبِ) فما أعرفُ أنَّهُ منقُولٌ من اللُّغةِ، أو من القِصَّة.

قولُه: (يُبدَل) بدلَ الاشتمالِ؛ لأنَّهُ لا يمكِنُ أن يكونَ ظَرفاً لـ«اذكُر» من حيثُ المعنَى، أو تقديرُهُ: وأرسَلنا لُوطًا (فـ﴿إذ﴾) ظَرفٌ؛ أي: وقتَ قولِهِ لهم.

قولُه: (أي: أدبَارَ) أي: إتيانَها، أو من أَتَى المرأَةَ إذا غشِيَها.

قولُه: (بتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) والاستفهامُ للإنكارِ، وفي قراءةِ نافِع وحفصٍ بالإخبَارِ[3].

قولُه: (وتَسهِيلِ الثَّانيةِ) ابنُ كَثيرٍ وأبُو عَمرو[4].

قولُه: (وإدخَالِ ألِف) لأبي عَمرو، وكانَ حقُّهُ أن يقُولَ: (وتَركِهُ) أي: وتَركِ الإدخالَ ليُفهَمَ قراءَةُ ابنِ كَثِيرٍ[5].

وقولُه: (عَلى الوَجهَينِ) مرادُهُ: وجهَي التَّحقيقِ والتَّسهيلِ، لكن لا إدخالَ لأحدٍ هنا في وجهِ التَّحقيقِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٥٨٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٨٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٤٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٧).

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) انظر المصادر السابقة.

من أدبار الرجال. ٨٣ ـ ﴿فأنجيناه وأهلَهُ إلا امرأتَهُ، كانَتْ مِنَ الغابِرينَ﴾: الباقين في العذاب، ٨٤ ـ ﴿وأمطرْنا عليهم مَطَرًا﴾ هو حِجارة السِّجِّيل فأهلكتهم. ﴿فانظرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُجرمينَ﴾؟

٨٥ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ. ما لَكُم مِن إلـٰهٍ غَيرُهُ. قد جاءَتكُم بَيِّنةٌ﴾: مُعجزة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ على صِدقي. ﴿فأَوفُوا﴾: أتمُّوا ﴿الكَيلَ والمِيزانَ، ولا تَبخَسُوا﴾: تَنقُصوا ﴿النّاسَ أشياءَهُم، ولا تُفسِدُوا في الأرضِ﴾ بالكُفر والمعاصي ....

قولُه: (مِن أَدبَارِ الرِّجَالِ) أو من أدبارِ الرِّجالِ والنِّساءِ، هكذا فسَّرهُ ابنُ عبَّاسٍ[1] ومجاهدٌ[2] وقتادةُ[3]، وقيل: من الفواحشِ قالوهُ سخريةً.

قال تعالى: (﴿وأَهلَهُ﴾) أي: من آمَنَ به، وما آمنَ أحدٌ سوَى أهلِ بيتِهِ إلَّا امرأتَهُ فإنَّها كانت تُسِرُّ الكُفرَ.

قولُه: (البَاقِينَ) والتَّذكيرُ لتَغليبِ الذُّكورِ.

قولُه: (هوَ حِجَارَة) أي: نَوعاً من المطرِ عَجِيباً، وهو مبيَّنٌ بقولِه تعالى: ﴿وأَمطَرنَا علَيهِم حِجَارةً من سِجِّيل﴾ [الحجر: ٧٤] وهو طينٌ طبِخَ بالنَّارِ.

قولُه: (أَرسَلنَا) و(﴿مَديَن﴾) قبيلَةٌ، أو المرادُ: إلى بلدِ مديَنَ، وكان يقالُ لشعَيبٍ: خطيبُ الأنبياءِ؛ لحُسنِ مراجعتِهِ قومَهُ.

قولُه: (مُعجِزَة) كانت لهُ، وليسَ في القُرآنِ أنَّها ما هي.

قولُه: (أَتِمُّوا) أي: آلةَ الكَيلِ على الإضمارِ، إذ أرادَ بالكَيلِ الذي هو المصدَرُ ما يكالُ به وهو المكيالُ لقولِهِ: ﴿والمِيزَان﴾، كما قالَ في سُورةِ هُودٍ: ﴿أَوفُوا المِكيَالَ والمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٥] أو أوفُوا الكَيلَ ووزنَ الميزانِ.

قولُه: (تُنقِصُوا) أي: حقوقَهُم، وإنَّما قالَ (﴿أَشيَاءَهُم﴾) للتَّعميمِ تنبيهاً على أنَّهُم كانوا يبخَسونَ الجليلَ والحَقِيرَ والقليلَ والكثِيرَ، وقيل: كانُوا مكَّاسِينَ لا يدعُونَ شيئاً إلا مكسُوهُ.

قولُه: (والمَعَاصِي) منها الحَيفُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٨٣٦)، وعبد الرزاق وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٨٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٨).

(٣) الذي روي عن قتادة أنه قال: عابوهم والله بغير عيب أي أنهم أناس يتطهرون من أعمال السوء.
رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤٨٣٨)، وعبد بن حميد وأبي الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٦).

﴿بَعدَ إصلاحِها﴾ ببعث الرُّسل - ﴿ذلِكُم﴾ المذكور ﴿خَيرٌ لكُم، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ مُريدي الإيمان فبادروا إليه - ٨٦ - ﴿ولا تَقعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ﴾: طريق، ﴿تُوعِدُونَ﴾: تُخوِّفونَ الناس بأخذ ثيابهم أو المَكس منهم، ﴿وتَصُدُّونَ﴾: تَصرِفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه ﴿مَن آمَنَ بِهِ﴾ بتوعّدكم إياه بالقتل، ﴿وتَبغُونَها﴾: تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ مُعْوَجّة، ﴿واذكُرُوا إذْ كُنتُم قَلِيلاً فكَثَّرَكُم، وانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُفسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلَهم، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ ٨٧ - ﴿وإن كانَ طائفةٌ مِنكُم آمَنُوا بِالَّذِي أُرسِلْتُ بِهِ وطائفةٌ لَم يُؤمِنُوا﴾ به ﴿فاصبِرُوا﴾: انتظروا، ﴿حَتَّى يَحكُمَ اللهُ بَينَنا﴾ وبينكم بإنجاءِ المُحقِّ وإهلاك المُبطل، ﴿وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ﴾: أعدلُهم.

٨٨ - ﴿قالَ المَلَأُ الَّذِينَ استكبَرُوا مِن قَومِهِ﴾ عن الإيمان: ﴿لَنُخرِجَنَّكَ - يا شُعَيبُ - والَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَريَتِنا، أَو لَتَعُودُنَّ﴾: تَرجِعُنّ ﴿في مِلَّتِنا﴾: ديننا..

قولُه: (بِبَعْثِ الرُّسُل) الأظهرُ: الرَّسُولِ وأمرِه بالعَدلِ.

قولُه: (أي ﴿ذَلِكُم﴾ المذكُورُ) من العَملِ بما أمرَهُم به ونهاهُم عنه.

ومعنَى: «الخَيرِيَّةِ» إمَّا الزِّيادةُ مطلَقاً، أو في الإنسانيَّةِ، وحُسنِ الثَّناءِ وجمعِ المالِ؛ أي: خيرٌ لكُم في الدَّارَينِ مَنالاً ومآلاً إن كنتُم مصدِّقينَ بمآلي.

قولُه: (طَرِيق) والباءُ ظرفِيَّة، قالَ القاضِي[1]: قيل: كانُوا يجلسونَ على طُرقِ النَّاسِ.

و(﴿تُوعِدُونَ﴾) في موضعِ الحالِ و(﴿تَصُدُّونَ﴾) عطفَ على: ﴿تُوعِدُونَ﴾ وتنازَعا في ﴿من آمَنَ﴾ والعَملُ للثَّاني و﴿بِهِ﴾؛ أي: باللهِ أو بشُعَيبٍ.

قولُه: (بأَخذِ ثِيَابِهِم) غَصباً، وقيل: كانُوا يقطَعونَ الطَّرِيقَ.

قولُه: (مُعوَجَّةً) أي: تطلبُونَ لسَبيلِ اللهِ عوَجاً بوَصفِها للنَّاسِ بأَنَّها معوَجَّةٌ أو عوَجاً بإلقاءِ الشُّبَهِ، قَال تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ أي: في العدَدِ والعُدَد.

قولُه: (﴿فَكَثَّرَكُم﴾) بالبرَكَةِ في النَّسلِ والمالِ.

قولُه: (مِنَ الهَلاكِ) واعتبِرُوا بهم.

قولُه: (بِإنجَاءِ المُحِقِّ) فهو وَعدٌ للمُؤمنينَ ووعِيدٌ للكافِرينَ.

قولُه: (أَعدَلُهُم) لا حَيفَ في حكمِهِ ولا مُعقِّبَ لقضائهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٣).

وغَلّبوا في الخِطاب الجمعَ على الواحد لأنّ شُعيبًا لم يكن في مِلّتهم قَطُّ.

وعلى نحوه أجاب، ﴿قالَ: أ﴾ نعود فيها، ﴿وَلَو كُنّا كارِهِينَ﴾ لها؟ استفهام إنكار. ٨٩ ـ ﴿قَدِ افتَرَينا عَلَى اللهِ كَذِبًا، إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُم بَعدَ إذْ نَجّانا اللهُ مِنها! وما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَنا أن نَعُودَ فِيها إلاّ أن يَشاءَ اللهُ رَبُّنا﴾ ذلك فيَخذُلَنا. ﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾ أي: وسع علمُه كُلَّ شيء ومنه حالي وحالكم. ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا. رَبَّنا، افتَحْ﴾: احكم ﴿بَينَنا وبَينَ قَومِنا بِالحَقِّ، وأنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ﴾: الحاكمين.

٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿وقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَئِنِ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿اتَّبَعْتُم شُعَيبًا إنَّكُم إذًا لَخاسِرُونَ. فأخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة، ﴿فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ﴾: باركين على الركب ميّتين. ٩٢ ـ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا﴾: مبتدأ خبرُه ﴿كأَنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ واسمها محذوف ـ أي: كأنّهم ﴿لَم يَغْنَوا﴾: يُقيموا ﴿فِيها﴾: في ديارهم. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ﴾..

قولُه: (الجَمْع) أي: الَّذين آمَنُوا.

قولُه: (قَطُّ) لأنَّ الأنبياءَ لا يجوزُ عليهمُ الكُفرُ مُطلقاً.

وقولُه: (وعَلى نَحوِهِ) أي: على ذلك التَّغليبِ، ويمكنُ أن يكُونَ «عادَ» من أخَواتِ كان، بمعنَى: صارَ فلا يستَدعِي الرُّجُوعَ إلى حالِه سابِقاً.

قولُه: (استِفهَامُ إنكَارٍ) أي: كيف نعودُ ونحن كارِهونَ لها.

قولُه: (يَنبَغِي) ويصِحُّ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: العَودَ منّا أو خذلانَنا وارتدادَنا، فإنَّهُ مصرِّفٌ للقُلوبِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الكُفرَ بمشيئتِهِ.

قولُه: (وَسِعَ عِلمُهُ) إشارَةٌ إلى أنَّ «عِلمًا» تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعلِ.

قولُه: (كُلَّ شَيءٍ) أي: أحاطَ بما كانَ وما يكونُ.

قولُه: (لامُ قَسَم) أي: موطِّئةٌ للقَسمِ.

قولُه: (الزَّلزَلَة) وفي سورةِ الحِجِّ: ﴿فَأَخَذتهُم الصَّيحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] ولعلَّها كانت من مبادِئِها، وفي سورَةِ الشُّعراءِ: ﴿عَذابُ يَومِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] أي: سحابَةٌ فيها شررٌ من النَّارِ ولهَبٌ، وهي كانت قبلَها فاجتمعَ عليهم أنواعٌ من العذابِ، أو عذابُ الظُّلَّةِ مختصٌّ بأصحابِ الأيكَةِ.

التأكيد بإعادة الموصولِ وغيرِه للردّ عليهم في قولهم السابق. ٩٣ ـ ﴿فتولّى﴾: أعرَض ﴿عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغتُكُم رِسالاتِ رَبِّي، ونَصَحْتُ لَكُم﴾ فلم تُؤمنوا. ﴿فكَيفَ آسَى﴾: أحزنُ ﴿علَى قَومٍ كافِرِينَ﴾؟ استفهام بمعنى النفي.

٩٤ ـ ﴿وما أرسَلْنا في قَرْيَةٍ مِن نَبِيٍّ﴾ فكذّبوه ﴿إلاّ أخَذْنا﴾: عاقبنا ﴿أهلَها بِالبأساءِ﴾: شِدّةِ الفقر ﴿والضَّرّاءِ﴾: المرضِ، ﴿لَعَلَّهُم يَضَّرَّعُونَ﴾: يتذلّلون فيُؤمنون، ٩٥ ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنا﴾: أعطيناهم ﴿مَكانَ السَّيِّئةِ﴾: العذابِ ﴿الحَسَنةَ﴾: الغِنى والصحّةَ، ﴿حَتَّى عَفَوا﴾: كثُروا، ﴿وقالُوا﴾ كُفرًا للنعمة: ﴿قَد مَسَّ آباءَنا الضَّرّاءُ والسَّرّاءُ﴾ كما مسّنا. وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه. قال تعالى: ﴿فأخَذْناهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

٩٦ ـ ﴿ولَو أنَّ أهلَ القُرَى﴾ المُكذِّبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورُسلهم ﴿واتَّقَوا﴾ الكُفرَ والمعاصي......

قولُه: (وغَيرِهِ) من الجملَةِ الاسميَّةِ والضَّميرِ.

قولُه: (في قولِهِم السَّابِق) ﴿لئِن اتَّبعتُم شُعَيباً إنَّكُم إذًا لخاسِرُون﴾ [الأعراف: ٩٠]؛ أي: هم الخاسِرُونَ دِيناً ودُنيا لا الذين اتَّبعوهُ كما زعمُوا فإنَّهُم الرَّابحُونَ في الدَّارينِ.

قولُه: (بمَعنَى النَّفي) أي: قالَ (﴿يَا قَومِ﴾... إلخ) تأسُّفاً بهم لشدَّةِ حُزنِه عليهم، ثمَّ أنكرَ على نفسِهِ فقال: فكيفَ آسَى على قومٍ ليسُوا أهلَ حُزنٍ لاستحقاقِهِم ما نزلَ عليهم بكُفرِهِم، أو قالهُ اعتِذاراً عن عدمِ شدَّةِ حُزنهِ عليهِم، والمعنى: لقد بالَغتُ في الإبلاغِ فلم تصدِّقُوا قولي فكيفَ آسَى عليكُم؟

قولُه: (يَتذَلَّلونَ) ويترُكُونَ الاستكبارَ عن الإيمانِ.

قولُه: (أعطَينَاهُم) ابتلاءً.

قولُه: (العَذَاب) أي: بدلَ ما كانُوا فيه من البلاءِ والشِّدَّة.

قولُه: (كَثُرُوا) عَدداً وعُدداً.

قولُه: (فَجأَة) مصدرٌ؛ أي: هذا النَّوعَ من الأخذِ.

قولُه: (قَبلَه) أي: قبلَ مجيئِهِ.

قولُه: (المكذِّبين) أي: تلكَ القُرَى التي أرسلنا فيها رُسُلًا، أو القُرَى المدلُولِ عليها بقولِه: ﴿ومَا أرسلنَا في قَريَةٍ من نَبيٍّ﴾ وقيل: مكَّة وما حَولها.

قولُه: (وَرسُلِهِ) وفي نسخةٍ: «وَرُسُلِهِم».

قولُه: (الكُفرَ والمَعَاصِيَ) الأحسنُ: آمَنوا واتَّقُوا مكانَ كُفرِهِم وعصيانِهِم.

﴿لَفَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿عليهم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات، ﴿ولكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرُّسلَ، ﴿فأَخَذْناهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾.

٩٧ ـ ﴿أفأَمِنَ أهلُ القُرَى﴾ المُكذّبون ﴿أن يأتِيَهُم بأسُنا﴾: عذابنا ﴿بَياتًا﴾: ليلاً، ﴿وهُم نائمُونَ﴾ غافلون عنه؟ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ﴿أوَأَمِنَ أهلُ القُرَى أن يأتِيَهُم بأسُنا ضُحًى﴾: نهارًا، ﴿وهُم يَلعَبُونَ؟ أفأَمِنُوا مَكرَ اللهِ﴾: استدراجَه إيّاهم بالنعمة وأخْذَهم بغتةً؟ ﴿فلا يأمَنُ مَكرَ اللهِ إلاّ القَومُ الخاسِرُونَ﴾.

١٠٠ ـ ﴿أوَلَم يَهْدِ﴾: يتَبيَّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأرضَ﴾ بالسُّكنى ﴿مِن بَعدِ﴾ هلاكِ ﴿أهلِها أنْ﴾ ـ فاعلٌ مُخفّفة واسمها محذوف ـ أي: أنّه ﴿لَو نَشاءُ أصَبْناهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِم﴾ كما أصبنا مَن قبلهم؟ والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف..........

قولُه: (والتَّشدِيد) شَامِي[١].

قولُه: (بالنَّبَاتِ) أو لوسَّعنا عليهم الخيرَ من كُلِّ جانبٍ.

قولُه: (لَيلاً) أي: وقتَ بيتُوتَةٍ فنصَبهُ على الظَّرفِ بحذفِ المضافِ، وهو أولَى لمناسبةِ قوله: ﴿ضُحًى﴾، وإن جازَ أن يكونَ حالاً بمعنَى: بائتينَ.

قولُه: (غَافِلُونَ) والجملةُ حالٌ من ضميرِهم البارِزِ.

قولُه: (نَهاراً) أو ضحوَةَ النَّهارِ، وهو أظهرُ لقولِهِ: ﴿وَهُم يَلعَبُون﴾ أي: من فَرطِ الغَفلةِ، أو يشتغِلونَ بما لا ينفعُهُم.

قولُه: (يتبيَّن) يعني: إنَّما عُدِّي ﴿يهدِ﴾ باللَّامِ؛ لأَنَّهُ بمعنَى يتبيَّن أو للتَّضمينِ.

قولُه: (بالسُّكنَى) أي: يخلُفونَ من خلا قبلَهُم ويرثُونَ ديارَهُم.

قولُه: (فَاعِل) أي: جملَةُ: (﴿أَن لَو نَشَاءُ﴾) فاعِل (﴿يَهدِ﴾) وفي قراءةٍ شاذَّةٍ بالنُّون[٢] فهو مفعولُهُ.

قولُه: (أي: أَنَّهُ) الشَّأنَ.

قولُه: (بالعَذَابِ) أو بالبلاءِ، والباءُ في ﴿بذنُوبِهِم﴾ للسَّببيَّة.

قولُه: (للعَطفِ) وإنَّما أُخِّرتا لصَدارَةِ الاستفهامِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٨).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦٥)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٠)، وعزوها لأبي عبد الرحمن وقتادة ويعقوب في رواية زيد، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢١٧) وعزاها لقتادة ويعقوب.

وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأوّل عطفًا بـ «أوْ». ﴿و﴾ نحن ﴿نَطبَعُ﴾: نَختِمُ ﴿علَى قُلُوبِهِم، فهُم لا يَسمَعُونَ﴾ الموعظةَ سماعَ تدبُّر.

١٠١ ـ ١٠٢ ـ ﴿تِلكَ القُرَى﴾ التي مرَّ ذِكرها ﴿نَقُصُّ علَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿مِن أنبائها﴾: أخبارِ أهلها. ﴿ولَقَد جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبيّناتِ﴾: المُعجزات الظاهرات، ﴿فما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾ عِند مجيئهم، ﴿بِما كَذَّبُوا﴾: كفروا به ﴿مِن قَبلُ﴾ قبلِ مجيئهم، بل استمرّوا على الكُفر. ﴿كَذلِكَ﴾ الطبعِ ﴿يَطبَعُ اللهُ علَى قُلُوبِ الكافِرِينَ. وما وَجَدْنا لِأكثَرِهِم﴾ أي: أكثر الناس ﴿مِن عَهدٍ﴾ أي: وفاءٍ بعهدهم يوم أخذِ الميثاق، ﴿وإنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ ـ ﴿وَجَدْنا أكثَرَهُم لَفاسِقِينَ﴾.

قولُه: (وفي قِراءَةٍ) للحرميَّين والشَّامي[1].

قولُه: (في المَوضِعِ الأوَّلِ) أي: من الموضِعَينِ المعرُوفَينِ بأو.

قولُه: (﴿و﴾ نَحنُ) إشارةٌ إلى أنَّهُ استئنافٌ منقطعٌ عمَّا قبلَهُ، ولهذا غيَّرَ الأسلُوبَ ولم يقُل: طَبَعنا.

قولُه: (أخبَارِ أهلِهَا) و﴿من﴾ للتَّبعيضِ، إذ لها أنباءٌ غيرُها ما قصَّها.

قولُه: (عندَ مَجِيئِهِم) أي: مجيءِ الرُّسلِ بها.

قولُه: (قبلَ مَجِيئِهِم) أي: الباءُ للسَّببيَّة؛ يعنِي: كُفرُهُم السَّابقَ بسببِ كفرِهِم اللَّاحقِ، وعن بعضِ السَّلفِ: المرادُ: من قبلِ يومِ أخذِ الميثاقِ، فإنَّهم أقرُّوا باللِّسانِ وأضمَرُوا التَّكذيبَ، وهو قولُ الربيعِ بنِ أنسٍ والسُّدِّي وغيرِهِما واختارَهُ ابنُ جريرٍ[2]، أو المرادُ: قبلَ رُؤيتِهِم تلك المعجزَاتِ؛ يعنِي: بعدَ ما طبَعناهُم لا يمكِنُ لهم الإيمانُ بما جاءَهُم الرُّسلُ، فعلى هذا الباءُ صلَةُ: ﴿يؤمنُوا﴾.

قولُه: (الطَّبعِ) أي: الشَّديدِ.

قولُه: (أي: أكثر النَّاسِ) فالآيَةُ اعتراضٌ أو لأكثَرِ الأُممِ المذكُورينَ.

قولُه: (وفَاءٍ) يحتمِلُ الجرَّ والنَّصبَ.

قولُه: (بعَهدِهِم) أو عهدِهِم مع أنبيائِهِم.

قولُه: (مُخَفَّفة) أي: إنَّ الشَّأنَ علِمناهُم.

وقولُهُ: (﴿لفَاسِقِينَ﴾) أي: خارِجينَ عن طاعَتِنا واللَّام فارِقَة، وعندَ الكوفيِّينَ ﴿إن﴾ للنَّفي واللام بمعنَى: إلَّا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١١)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٩) إلا أن ابن جرير جعل قول السدي مختلفاً قليلًا عن قول أبي بن كعب والربيع بن أنس، والذي رجحه الطبري قول أبي بن كعب والربيع.

١٠٣ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِم﴾ أي: الرُّسلِ المذكورين ﴿مُوسَى بِآياتِنا﴾ التسع ﴿إِلَى فِرعَونَ ومَلَئهِ﴾: قومِه، ﴿فظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿بِها. فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ﴾ بالكفر مِن إهلاكهم؟ ١٠٤ ـ ﴿وقالَ مُوسَى: يا فِرعَونُ، إنِّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ إليكَ. فكذَّبه، فقال: أنا ١٠٥ ـ ﴿حَقِيقٌ﴾: جدير ﴿ علَى أن﴾ أي: بأن ﴿لا أَقُولَ علَى اللهِ إلاّ الحَقَّ﴾. وفي قراءة بتشديد الياء ـ فحقيق: مبتدأ خبره «أن» وما بعده ـ ﴿قَد جِئتُكُم بِبَيِّنةٍ، مِن رَبِّكُم. فأرسِلْ مَعِي﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾. وكان استعبدَهم.

قولُه: (أي: الرُّسُل) أو الأُممِ.

قولُه: (التِّسْعِ) يأتِي تفصِيلُها به في آخرِ الإسراءِ؛ يعنِي: المرادُ بها المعجِزاتُ دُونَ التَّوراةِ لنزُولِها بعدَ هلاكِ فرعَونَ.

قولُه: (كَفَروا) أي: وضَعُوا الكُفرَ بها مكانَ الإيمانِ الَّذي هو من حقِّهَا لوضُوحِها.

قولُه: (بالكُفرِ) متعلِّقٌ بـ﴿المفسِدِينَ﴾، و(مِن إهلَاكِهِم) بيانُ ﴿عاقبة﴾.

قولُه: (فقَالَ) أي: موسَى.

قولُه: (أنا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿حَقِيقٌ﴾ خبرُ مُبتدإٍ محذوفٍ، وقيل: إنَّهُ صفةُ ﴿رَسُول﴾ أو خبرٌ بعدَ خبَرٍ.

قولُه: (جَدِيرٌ) فـ(﴿عَلَى﴾) بمعنَى: الباءِ، أو ثابتٌ فـ(على) على معناهُ، وقولهُ: إلَّا الحقَّ؛ أي: القَولَ الحقَّ.

قولُه: (وفي قرَاءَةٍ) لنافِع[1].

قولُه: (فحَقِيقٌ) أي: واجبٌ.

وقولُه: (فحَقِيق مُبتَدَأ... إلخ) والأظهرُ أنَّ ما بعدَهُ فاعلُ: ﴿حقيق﴾.

قالَ تعالى: (﴿بِبيِّنَةٍ﴾) أي: العَصا.

قولُه: (إلى الشَّامِ) أي: الأرضِ المقدَّسَةِ التي هي وطَنُ آبائِهِم.

قولُه: (وكَانَ) أي: فرعَونُ.

قولُه: (استَعبدَهُم) واستخدَمَهُم في الأعمالِ الشَّاقَّة.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٩).

١٠٦ ـ ﴿قالَ﴾ فرعون له: ﴿إن كُنتَ جِئتَ بِآيةٍ﴾ على دعواك ﴿فائتِ بِها، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ فيها. ١٠٧ ـ ﴿فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾: حيّة عظيمة، ١٠٨ ـ ﴿ونَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه، ﴿فإذا هِيَ بَيضاءُ﴾ ذات شُعاع ﴿لِلنّاظِرِينَ﴾ خلافُ ما كانت عليه من الأُدمة.

١٠٩ ـ ﴿قالَ المَلأُ مِن قَومِ فِرعَونَ: إنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في عِلم السِّحر ـ وفي «الشعراء» أنه من قول فرعون نفسه، فكأنّهم قالوه معه على سبيل التشاور ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ﴿يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم. فماذا تأمُرُونَ؟ قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ﴾:..........

قولُه: (علَى دَعوَاكَ) من عِند من أرسلَكَ.

قولُه: (فيهَا) أي: في دعواكَ.

قولُه: (حيَّة عَظِيمَة) أي: ظاهِرٌ أمرُه لا يُشكُّ في أنَّه ثُعبانٌ.

قولُه: (مِن جَيبِهِ) أو من تحتِ إبطِهِ؛ يعنِي: بعدَ ما أدخلَها فيه.

قولُه: (ذَاتُ شُعَاعٍ) غلبَ نُورَ الشَّمسِ؛ يعنِي: بيضاء بَياضاً خارِجاً عن العادةِ يجتمِعُ عليها النَّظَّارَة ثمَّ أعادَها إلى كمِّهِ فعادَتْ إلى لَونِها الأوَّلِ، هكذا قالَه مجاهِدٌ وغيرُه[1].

قولُه: (مِنَ الأُدمَةِ) إذ رويَ أنَّه كانَ آدَمَ شديدَ الأُدْمَةِ، وفي «القامُوسِ»[2]: الأُدمَةُ ـ بالضَّم ـ في الإنسانِ، السُّمرَةُ ـ بالضَّم ـ وهي منزلَةٌ بين البياضِ والسَّوادِ.

قولُه: (التَّشاوُر) فحكي عنه في سُورةِ الشُّعراءِ وعنهم هاهُنا، أو قالَ الملأُ بطريقِ التَّبليغِ من لسانِ فرعونَ إلى القبطِ.

وقوله: (﴿يرِيدُ أَن يخرِجَكُم﴾) يا معشرَ القِبطِ (﴿من أرضِكُم﴾) مصرَ (﴿فماذَا تأمُرُونَ﴾) تشيرُونَ في أمرِهِ فهو من المؤامرَةِ بمعنَى: المشاورَةِ، وجازَ أن يكونَ من الأمرِ الَّذي هو ضدُّ النَّهيِ؛ أي: أيَّ أمرٍ تأمُرونا، وعلى الوجهَينِ يُشَمُّ من كلامِهِ رائحةُ الدَّهشِ والحَيرَة.

وفي (﴿أَرجِهِ﴾) ستُّ قراءاتٍ[3] تطلَبُ من مَحلِّها مع تحقِيقِ ما فيها.

(١) أما ما ذكر المؤلف فهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٣). وأما قول مجاهد فقال: نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص، رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٢٠). وذكر ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٠٩) قول ابن عباس، ثم قال: وكذا قال مجاهد وغير واحد.

(٢) انظر: «القاموس» (ص: ١٠٧٤).

(٣) والقراءات هي: بالهمز، وتركه، وبإشباع الضمة والهمز، وباختلاس الحركة، وبكسر الهاء، وإسكانها مع ترك الهمز، انظر: «الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٥٧ ـ ٦٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٢) (٢٢).

أَخِّرْ أمرهما، ﴿وأرسِلْ في المَدائنِ حاشِرينَ﴾: جامعين، ١١٢ ـ ﴿يأتوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ﴾ ـ وفي قراءة «سَحّارٍ» ـ ﴿عَلِيمٍ﴾: يفضُلُ موسى في عِلم السِّحر.

١١٣ ـ ١١٤ ـ فجمعوا، ﴿وجاءَ السَّحَرةُ فِرعَونَ، قالُوا: أإنَّ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَنا لَأَجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ؟ قالَ: نَعَمْ، وإنَّكُم لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾.

١١٥ ـ ﴿قالُوا: يا مُوسَى، إمّا أن تُلقِيَ﴾ عصاك، ﴿وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ﴾ ما معنا.

١١٦ ـ ﴿قالَ: ألقُوا﴾. أمَرَ للإذن بتقديم إلقائهم توسُّلاً به إلى إظهار الحقّ. ﴿فلَمّا ألقَوا﴾ حِبالهم وعصيّهم ﴿سَحَرُوا أعيُنَ النّاسِ﴾:..............................

قولُه: (أَخِّرْ أمرَهُمَا) أو احبِسهُما.

قولُه: (جَامِعِين) أي: رِجالاً يحشُرُونَ إليك من في مدائنِ صعيدِ مصرَ من نَواحِي مصرَ من السَّحَرَة.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (بتحقِيقِ الهَمزَتَينِ) ابنُ عامرٍ وأبُو بكرٍ وحمزَةُ والكِسائِيُّ[2].

قولُه: (وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ) أبُو عَمرو[3].

قولُه: (وإدخَالِ ألفٍ) لأَبي عَمرٍو مع التَّسهِيلِ وهشامٍ مع التَّحقِيقِ، وهذا معنَى قولِهِ: (عَلَى الوَجهَينِ) وبقِيَ الحرميَّانِ وحفصٌ بالإخبارِ[4].

قولُه: (﴿قالَ نَعَم﴾) أي: قال فرعَونُ إنَّ لكُم أجراً.

وَقولُه: (﴿وإنَّكُم﴾) عطفٌ على محذُوفٍ سدَّ مسدَّهُ نعَم، وزيادَةً على الجوابِ لتحريضِهِم.

قولُه: (مَا مَعنَا) من الِحبالِ والعِصِيِّ خيَّرُوا مُوسَى مراعاةً للأدبِ، أو إظهاراً للجلادَةِ.

قولُه: (تَوَصُّلاً) أو كَرَماً وتسامُحاً، أو ازدِراءً بهم ووُثُوقاً على اللهِ، فليسَ أمرُهُم بالإلقاءِ قبلَهُ من قبِيلِ الإباحَةِ للسِّحرِ والرِّضا بالكُفرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٦٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٦٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٢).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر المصادر السابقة.

صرفوها عن حقيقة إدراكها، ﴿واسترهَبُوهُم﴾: خوّفوهم حيثُ خَيّلوها حيّاتٍ تسعى، ﴿وجاؤُوا بِسِحرٍ عَظِيمٍ﴾.

١١٧ ـ ﴿وأَوحَينا إلَى مُوسَى: أنْ أَلقِ عَصاكَ. فإذا هِيَ تَلقَّفُ﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل: تبتلعُ ﴿ما يأفِكُونَ﴾: يقلِبون بتمويههم، ١١٨ ـ ﴿فوَقَعَ الحَقُّ﴾: ثَبَتَ وظهر، ﴿وبَطَلَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من السِّحر، ١١٩ ـ ﴿فغُلِبُوا﴾ أي: فرعونُ وقومه ﴿هُنالِكَ، وانقَلَبُوا صاغِرِينَ﴾: صاروا ذليلين، ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ﴿وأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ، قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ﴾، لعِلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

قولُه: (صَرَفُوهَا) بأن خيَّلُوا إليهَا ما الحقيقَة بخلافِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿بِسِحرٍ عَظِيمٍ﴾) أي: في فنِّهِ، رُويَ[١]: أنَّهُم ألقُوا حبالاً غِلاظاً وخُشباً طِوالاً، كأنَّها حيَّاتٌ ملأَتِ الوَادِيَ وركِبَ بعضُها بَعضاً، قيل: خمسَةَ عشرَ ألفَ ساحِرٍ، وقيل: أكثَرُ مع كلِّ عِصِيٌّ وحبَالٌ غِلاظٌ طُوالٌ.

قالَ السُّدِّيُّ[٢]: كانوا بضعَةً وثلاثينَ ألفَ رجُلٍ، ونقلَ ابنُ جرِيرٍ[٣] أنَّهُم سبعُونَ ألفَ سَاحِرٍ.

قولُه: (مِنَ الأَصلِ) أي: أصلُهُ تتلَقَّف، وقرأَ البزِّي: بتشديدِ التاءِ؛ أي: بإدغامِ التاءِ في التاءِ على الأصلِ في الوصلِ، وقرأَ حفصٌ على وزنِ تَمنَع من الثُّلاثِي المجَرَّد[٤].

قولُه: (فَثبَتَ) أي: لظهورِ أمرِهِ.

قولُه: (مِنَ السِّحرِ) والمعارَضَة.

قولُه: (ذَلِيلِينَ) مبهُوتِينَ منهَزِمِينَ، أو رجَعُوا إلى المدينَةِ أذلَّاءَ مغلوبِينَ مقهورِينَ.

قولُه: (لعلمِهِم) علَّةٌ (لـ﴿أُلقِي﴾... إلخ) جعَلَهُم مُلقَينَ على وجوهِهِم تنبيهاً على أنَّ الحقَّ بيَدِهِم واضطَرَّهُم إلى السُّجودِ بحيثُ لم يبقَ لهُم تمالُكٌ، وأبدَلُوا الثَّاني من الأوَّلِ؛ لئلا يتوهَّمَ أنَّهم أرادُوا به فرعونَ ربَّ القبطِ، وقُدِّمَ موسَى هنا؛ لأنَّه أكبرُ رتبَةً، وأُخِّرَ في موضعٍ آخَرَ؛ لأنَّ هارُونَ أكبرُ سنًّا أو مراعاةً للفاصِلَة.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٦٢٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٤١) عن أبي بزة.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٦٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٣).

١٢٣ ـ ﴿قَالَ فِرعَونُ: ءَآمَنتُمْ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا ـ ﴿بِهِ﴾: بمُوسى ﴿قَبلَ أن آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُم؟ إنَّ هذا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكرٌ، مَكَرتُمُوهُ في المَدِينةِ لِتُخرِجُوا مِنها أهلَها. فَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ ما ينالكم منّي. ١٢٤ ـ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ﴾ أي: يدَ كُلّ واحد اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ﴾.

١٢٥ ـ ﴿قالُوا: إنّا إلَى رَبِّنا﴾ بعد موتنا، بأيِّ وجه كان، ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون في الآخِرة، ١٢٦ ـ ﴿وما تَنقِمُ﴾: تُنكر ﴿مِنّا إلاّ أن آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتنا. رَبَّنا، أفرِغْ عَلَينا صَبْرًا﴾ عِند فِعلِ ما توعَّدَه بنا، لئلاّ نرجِع كُفّارًا، ﴿وتَوَفَّنا مُسلِمِينَ﴾.

١٢٧ ـ ﴿وقالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ﴾ له: ﴿أتَذَرُ﴾:..............................

قولُه: (بتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) شُعبَة وحمزَة والكِسائيُّ[1]، وكان حقُّه أن يقولَ: وبتسهيلِ الثَّانيةِ للباقِينَ ما عدَا حفصًا فإنَّهُ يقرأُ بالإخبارِ، وهكذا في طهَ والشُّعراءِ؛ إلا أنَّ قنبلاً وافقَ حَفصاً في طهَ، وفي هذه السُّورةِ يُبْدِلُ الثَّانيةَ واوًا في الوصلِ ولا إدخالَ لأحدٍ هنا.

وقولُه: (وإبدَالِ الثَّانيةِ) صوابُه: (الثَّالثةِ)، وهو للكُلِّ.

قولُه: (بمُوسَى) أو باللهِ، والاستفهامُ فيه مَذكوراً أو مقدَّراً للإنكارِ.

قولُه: (أنا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿آذَنَ﴾ صيغَةُ متكَلِّمٍ من الإذنِ، لا أنَّه ماضٍ من الإيذانِ، وضميرُه لفرعَونَ.

قالَ تعالى: (﴿لمكر﴾) أي: لحيلَةٌ صنعتُمُوها أنتُم ومُوسَى في مدينةِ مصرَ قبلَ أن تخرُجُوا للميعادِ لتُخرِجُوا منها القِبطَ وتخلُصَ لكم ولبَنِي إسرائيلَ.

قولُه: (مَا يَنالُكُم) وهو تهديدٌ مجمَلٌ تفصيلِهِ ﴿لأقطِّعَنَّ﴾... إلخ.

قولُه: (رَاجِعُونَ) فلا نُبالي بوعيدِكَ.

قولُه: (عِندَ فِعْلِ مَا توَعَّده) بتشديدِ العينِ المفتوحةِ، قيل: إنَّه فعلَ بهم ما أوعدَهُم به، قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه[2]: كانُوا أوَّلَ النَّهارِ سَحَرةً وفي آخرِه شُهداءَ، وقيل: لم يقدِرْ عليهم لقولِهِ تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

قولُه: (لَهُ) لفرعَونَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٦٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٨)، عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٥٨) عن عبيد بن عمير، و(١٤٩٥٩) عن قتادة، و(١٤٩٦٠) عن مجاهد.

تتركُ ﴿مُوسَى وقَومَهُ لِيُفسِدُوا في الأرضِ﴾ بالدُّعاء إلى مُخالفتك، ﴿ويَذَرَكَ وآلِهتَكَ﴾؟ وكان صنعَ لهم أصنامًا صِغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربّكم وربّها. ولذا قال: «أنا رَبُّكُمُ الأعلى». ﴿قالَ: سَنُقَتِّلُ﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿أبناءَهُم﴾ المولودين، ﴿ونَستَحْيِي﴾: نستبقي ﴿نِساءَهُم﴾ كفِعلنا بهم من قبلُ، ﴿وإنّا فَوقَهُم قاهِرُونَ﴾: قادرون. ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل.

١٢٨ - ﴿قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: استَعِينُوا بِاللهِ واصبِرُوا﴾ على أذاهم. ﴿إنَّ الأرضَ لِلهِ يُورِثُها﴾: يُعطيها ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، والعاقِبةُ﴾ المحمودة ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ الله. ١٢٩ - ﴿قالُوا: أُوذِينا مِن قَبلِ أن تأتِيَنا ومِن بَعدِ ما جِئتَنا. قالَ: عَسَى رَبُّكُم أن يُهلِكَ عَدُوَّكُم، ويَستَخلِفَكُم في الأرضِ،.........

قولُه: (وكانَ صَنعَ) وهو منقولٌ عن السُّدِّيِّ[١]، وقيل: كانَ يعبُدُ الكواكِبَ، وقيل: كان لفرعَونَ بقرةٌ يعبُدُها ويأمُرُ أن يعبُدُوا بقرَةً حَسناءَ. نقلَهُ ابنُ عبَّاسٍ[٢].

قولُه: (والتَّخفِيف) حرميَّان[٣].

قولُه: (مِن قَبلُ) ليعلمَ أنَّا على ما كُنَّا عليه من القهرِ والغلبَةِ، ولا يتوَهَّمَ أنَّه المولُودُ الذي حكمَ المنجِّمُونَ والكهَنةُ بذهابِ مُلكِنا على يَدَيه.

قولُه: (قادِرُونَ) غالبُونَ وهُم مقهُورُونَ تحت أيدِينا.

قولُه: (يُعطِيهَا) فرُبَّما يأخُذُ منهم ويعطِيكُم بسهُولَةٍ كالميراثِ، واللامُ في ﴿الأرض﴾ تحتمِلُ العهدَ والجنسَ.

قولُه: (المَحمُودَةُ) أو عاقبةُ الأمرِ بالنَّصرِ والظَّفرِ للمتَّقِينَ فثقُوا باللهِ تعالى، وقال بعضُهُم: معناهُ الآخرَةُ للمتَّقينَ خاصَّةً، وأمَّا الدُّنيا فإنَّها بالشِّركةِ بين المسلمينَ والكفَّارِ قالَ تعالى: ﴿وتِلكَ الأيَّامِ نُداوِلُهَا بين الناس﴾ [الأعراف: ١٢٩].

قالَ تعالى: (﴿في الأَرضِ﴾) أي: في أرضِهِم ومُلكِهِم، وهو تصريحٌ بما كنَّى عنهُ أوَّلاً لمَّا رَأى أنَّهُم لم يتسَلَّوا بذلك، ولعلَّهُ أتى بفعلِ الطَّمَعِ لعدمِ جزمِهِ بأنَّهم المستخلفُونَ بأعيانِهم أو أولادُهم، وقد رُويَ[٤]: أنَّ مصرَ إنَّما فُتِحَ لهُم في زمنِ داودَ عليه السَّلامُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٩٦)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٢/ ١٤٥) عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٦٢).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٧٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٣/ ٣٠).

فيَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ﴾ فيها؟

١٣٠ ـ ﴿ولَقَد أخَذْنا آلَ فِرعَونَ بِالسِّنِينَ﴾: بالقحط ﴿ونَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون فيُؤمنون، ١٣١ ـ ﴿فإذا جاءَتهُمُ الحَسَنةُ﴾: الخِصب والغِنى ﴿قالُوا: لَنا هذِهِ﴾ أي: نستحقّها ـ ولم يشكروا عليها ـ ﴿وإن تُصِبْهُم سَيِّئةٌ﴾: جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَى ومَن مَعَهُ﴾ من المُؤمنين. ﴿ألا إنَّما طائرُهُم﴾: شُؤمهم ﴿عِندَ اللهِ﴾ يأتيهم به، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنَّ ما يُصيبهم من عِنده.

١٣٢ ـ ﴿وقالُوا﴾ لمُوسى: ﴿مَهما تأتِنا بِهِ مِن آيةٍ لِتَسحَرَنا بِها فما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ﴾، فدعا عليهم، ١٣٣ ـ ﴿فأرسَلْنا عَلَيهِمِ الطُّوفانَ﴾، وهو ماء دخل بُيوتهم ووصل إلى حُلوق الجالسين سبعةَ أيام، ﴿والجَرادَ﴾ فأكلَ زرعهم وثمارهم كذلك، ﴿والقُمَّلَ﴾: السُّوسُ أو نوعٌ من القُراد فتتبّع ما تركه الجراد، ﴿والضَّفادِعَ﴾ فملأَت بُيوتهم وطعامهم، ﴿والدَّمَ﴾ في مِياههم، ....

قولُه: (فِيهَا) فيرَى ما تعملونَ من شُكرٍ وكُفرانٍ وطاعَةٍ وعصيانٍ؛ ليُجازيَكُم على أعمالِكُم.

قالَ تعالى: (﴿وَنَقصٍ من الثَّمَرَات﴾) بكثرةِ العاهاتِ.

قولُه: (يَتَّعِظُون) أي: يتنبهون على أنَّ ذلك لشُؤمِ كُفرِهِم ومعاصِيهِم فيتَّعِظُون.

قولُه: (ولَم يشكُرُوا عَلَيهَا) أي: مُنْعِمَها، ولم يرَوا من فضلِ الله وبركَةِ رسُولِه.

قولُه: (شُؤمُهُم) من قبلِ اللهِ، ومن عندِهِ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ[1].

قولُه: (دَخَلَ بُيُوتَهُم) أي: بيُوتَ القِبْطِ ولم يدخُل بيوتَ بني إسرائيلَ مع أنَّ بيوتَهُم مشتبِكَةٌ، وقيل: الجُدرِي، وقيل: الموتانُ، وقيل: الطَّاعونُ.

قولُه: (كَذَلِكَ) أي: سبعَةَ أيَّامٍ.

قولُه: (أَو نَوعٌ مِنَ القُرَادِ) هو كبارُهَا، وقيل: البراغِيثُ، وقيل: القَمْلُ ـ بفتحِ القافِ وسكُونِ الميمِ ـ وبه قرأ الحسَنُ[2].

قولُه: (في مِيَاهِهِم) دُونَ مياهِ بني إسرئِيلَ ماءٌ للمحبُوبِينَ ودماءٌ للمَحجوبِينَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٨٧).

(٢) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٢٢٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٤٨)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٤٤)، و«مفاتيح الغيب» (١٤/ ٣٤٦).

﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾: مُبيَّنات، ﴿فاستكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها، ﴿وكانُوا قومًا مُجرِمِينَ﴾.

١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ﴿ولَمّا وَقَعَ علَيهِمِ الرِّجزُ﴾: العذاب ﴿قالُوا: يا مُوسَى، ادعُ لَنا ربَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنّا إن آمنا، ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿كَشَفْتَ عَنّا الرِّجزَ لَنُؤمِنَنَّ لَكَ، ولَنُرسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إسرائيلَ. فلَمّا كَشَفْنا﴾ بدعاء مُوسى ﴿عَنهُمُ الرِّجزَ إلَى أجَلٍ هُم بالِغُوهُ إذا هُم يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم، ويُصرّون على كُفرهم.

١٣٦ ـ ﴿فانتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم في اليَمِّ﴾: البحر المِلح ﴿بِأَنَّهُم﴾: بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ﴾: لا يتدبّرونها، ١٣٧ ـ ﴿وأَورَثْنا القَومَ الَّذِينَ كانُوا يُستَضعَفُونَ﴾ بالاستعباد ـ وهم بنو إسرائيل ـ ﴿مَشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض وهي الشام، ﴿وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ الحُسنَى﴾، وهي قوله «ونُرِيدُ أن نَمُنَّ علَى الَّذِينَ استُضعِفُوا» إلى آخره، ﴿علَى بَنِي إسرائيلَ بِما صَبَرُوا﴾ على أذى عدوّهم، ﴿ودَمَّرْنا﴾: أهلكنا ﴿ما كانَ يَصنَعُ فِرعَونُ وقَومُهُ﴾ من العَمارة، ﴿وما كانُوا يَعرِشُونَ﴾، بكسر الراء وضمّها: يرفعون من البُنيان.

قولُه: (مُبيَّنَاتٌ) أو منفصِلاتٌ لامتحانِ أحوالِهِم إذا كان بينَ كُلِّ آيتينِ منها شهرٌ.

قولُه: (العذَابُ) أي: العذابُ المفصَّلُ، أو الطَّاعُونُ على قولِ من لم يفسِّرِ الطُّوفانَ به.

قالَ تعالى: (﴿إلى أَجَلٍ﴾) أي: إلى حدٍّ من الزَّمانِ (﴿هُم بالغُوهُ﴾) فمعذَّبُونَ فيه، أو مهلَكُونَ وهو وقتُ الغرقِ أو الموتِ.

قولُه: (وهيَ الشَّامُ) ملَكَها بنو إسرائيلَ بعد الفراعنَةِ والعمالِقَةِ وتمكَّنُوا فيها.

قولُه: (وهيَ قولُه) أي: مضَتْ واتَّصلَتْ بالإنجازِ عِدَتُه إيَّاهُم بالنَّصرِ والتَّمكينِ (وهي) أي: الكلمَةُ (قولُه) قالَهُ مُجاهِد وابنُ جرير[1] (إلى آخرِهِ) يعنِي: إلى قولِهِ: ﴿ومَا كانُوا يحذَرُونَ﴾ [القصص: ٦].

قولُه: (أَهلَكنَا) الأَوْلى: وخَرَّبنا.

قولُه: (وضمِّهَا) شَامِي وشُعبَة[2].

قولُه: (مِنَ البُنيَانِ) كصَرحِ هامانَ، أو يعرُشُونَ من البساتِينِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٧٧)، وقول مجاهد رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٠٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٧٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٤).

١٣٨ ـ ﴿وجاوَزْنا﴾: عبرْنا ﴿بِبَنِي إسرائيلَ البَحرَ، فأتَوا﴾: فمرّوا ﴿علَى قَومٍ يَعكُفُونَ﴾ ـ بضمّ الكاف وكسرها ـ ﴿علَى أصنامٍ لَهُم﴾: يُقيمون على عبادتها. ﴿قالُوا: يا مُوسَى، اجعَلْ لَنا إلـٰهًا﴾: صنمًا نعبده، ﴿كَما لَهُم آلِهةٌ. قالَ: إنَّكُم قَومٌ تَجهَلُونَ﴾ حيثُ قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ﴿إنَّ هؤُلاءِ مُتبَّرٌ﴾: هالك ﴿ما هُم فِيهِ وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ. قالَ: أغَيرَ اللهِ أبغِيكُم إلـٰهًا﴾: معبودًا ـ وأصله: أبغي لكم ـ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُم علَى العالَمِينَ﴾ في زمانكم؟ بما ذكره في قوله:

١٤١ ـ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذْ أنجَيناكُم﴾ ـ وفي قراءة «أنجاكُم» ـ ﴿مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم﴾: يُكلّفونكم ويُذيقونكم ﴿سُوءَ العَذابِ﴾: أشدَّه، وهو ﴿يُقَتِّلُونَ أبناءَكُم ويَستَحيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِساءَكُم، وفي ذلِكُم﴾ الإنجاءِ أو العذابِ ﴿بَلاءٌ﴾: ....

قولُه: (عَبَرْنَا) رويَ: أنَّ مُوسَى عليه السَّلامُ عبرَ بهم يومَ عاشُوراءَ بعد مهلِكِ فرعَونَ وقومِهِ فصامُوهُ شُكراً[1].

قولُه: (وكَسرِهَا) حمزَة والكِسائيُّ[2].

قولُه: (صَنَماً) أو مِثالاً.

قولُه: (حَيثُ قَابَلتُم... إلخ) أو لأنَّ العاقِلَ لا يطلُبُ مَعبُوداً مخلوقاً لا ينفَعُ ولا يضُرُّ.

قولُه: (هَالِكٌ) يعنِي: أنَّ اللهَ يَهدِمُ دينَهُم الَّذي هُم عليه ويجعل أصنامَهُم رُضاضاً، والإشارَةُ إلى القومِ.

و(﴿ما هُم﴾) مفعُولُ ما لم يسمَّ فاعلهُ، أو مبتدأٌ قُدِّمَ عليه خبرُهُ.

وقولُه: (﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾) من عبادَتِها وإن قصَدُوا بها التَّقرُّبَ إلى اللهِ تعالى.

قولُه: (أَبغِي) أي: أطلُب.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) للشَّامِي[3].

قولُه: (وَهُم ﴿يُقَتِّلُونَ﴾) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بدلٌ من: ﴿يَسُومُونَكُم﴾ مبيِّنٌ له، وفي قراءةٍ لنافعٍ بالتَّخفِيفِ[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠)، وأبو داود (٢٤٤٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢٨٤٨)، وابن ماجه (١٧٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٧٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٤).

(٤) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٤).

إنعام أو ابتلاء ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ﴾. أفلا تتّعظون فتنتهون عمّا قلتم؟

١٤٢ ـ ﴿وواعَدْنا﴾ ـ بألِفٍ ودونِها ـ ﴿مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً﴾ نُكلّمه عِند انتهائها بأن يصومها ـ وهي ذو القَعدة ـ فصامها، فلمّا تمّت أنكرَ خُلوفَ فمه فاستاك، فأمره الله بعشَرة أُخرى ليُكلّمه بخُلوف فِيه، كما قال تعالى: ﴿وأتمَمْناها بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحِجّة، ﴿فتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ﴾: وقتُ وعده بكلامه إيّاه ﴿أربَعِينَ﴾: حالٌ ﴿لَيلَةً﴾: تمييز، ﴿وقالَ مُوسىَ لِأخِيهِ هارُونَ﴾ عِند ذهابه إلى الجبل للمُناجاة: ﴿اخلُفْني﴾: كنْ خليفتي ﴿في قَومِي وأصلِحْ﴾ أمرهم، ﴿ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفسِدِينَ﴾ بمُوافقتهم على المعاصي.

١٤٣ ـ ﴿ولَمّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه، ﴿وكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كلامًا، يسمعه من كُلّ جِهة، ﴿قالَ: رَبِّ، أرِنِيَ﴾ نفسَك، ﴿أنظُرْ إلَيكَ. قالَ: لَن تَرانِي﴾ أي: لا تقدِر على رُؤيتي..

قولُه: (أو ابتِلاءٌ) أي: محنَةٌ.

قولُه: (ودُونَهَا) بصرِي[1].

قولُه: (نكلِّمُهُ) ونرسِلُ لهُ كِتاباً من عندِنا، وقيل: أمرَهُ أن يتخَلّى ثلاثِينَ بالصَّومِ والعبادَةِ، ثمَّ أنزَلَ عليه التَّوراةَ في العَشرِ وكلَّمهُ فيها.

قولُه: (حالٌ) أي: تمَّ بالِغاً أربَعينَ.

قولُه: (أَمرَهُم) بما يجبُ أن يُصْلِحَ، أو كُنْ مُصلِحاً، أو ارفُقْ بهم واحمِلْهُم على طاعةِ اللهِ.

قولُه: (بمُوَافقَتِهِم) الأَوْلى بمرافقَتِهِم.

قولُه: (أي: للوَقتِ...) إلخ واللّامُ للاختِصاصِ؛ أي: اختُصَّ مجيئُهُ لميقاتِنَا.

قولُه: (بلا وَاسِطَةٍ) كما يكلِّمُ الملائِكَةَ.

قولُه: (كَلَاماً...) إلخ أي: سمِعَ كَلاماً ليس من جنْسِ سماعِ كلامِ المُحدَثين، فلمَّا سمعَ كلامَهُ اشتَاقَ إلى لقائِهِ.

قولُه: (نفسَكَ) الأَوْلى: ذاتَكَ، بأن تمكِّنَنِي من رُؤيَتِكَ.

قولُه: (لا تَقدِر) أي: في الدُّنيا، وقد وردَتْ أحاديثُ صحيحَةٌ صريحَةٌ على رؤيَةِ اللهِ في الآخرَةِ، واجتمعَتِ الأمَّةُ على ذلك سوَى المعتزِلَةِ، وحسبُهُم من الخُسرَانِ والحسرَةِ إن عاملَهُمُ اللهُ تعالى بعقيدَتِهِم وحرَمَهم من نعمَةِ لقائِه.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٥٥).

والتعبير به دون «لن أُرَى» يُفيد إمكان رُؤيته تعالى. ﴿ولكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منكَ. ﴿فإِنِ استَقَرَّ﴾: ثَبَتَ ﴿مَكانَهُ فسَوفَ تَرانِي﴾ أي: تَثبُتُ لرؤيتي، وإلاّ فلا طاقة لك. ﴿فلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نُوره قدرُ نِصفِ أُنمُلةِ الخِنصِر كما في حديث صحّحه الحاكم، ﴿لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، بالقصر والمدّ، أي: مدكوكًا مستويًا بالأرض، ﴿وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾: مَغشِيًّا عليه لهول ما رأى، ﴿فلَمّا أفاقَ قالَ: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك! ﴿تُبتُ إِلَيكَ﴾ من سُؤال ما لم أُومَرْ به، ﴿وأنا أوَّلُ المُؤمِنِينَ﴾ في زماني.

١٤٤ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى له: ﴿يا مُوسَى، إِنِّيَ اصطَفَيتُكَ﴾: اختَرتك ﴿علَى النّاسِ﴾: أهل زمانك....

قولُه: (دُونَ (لَنْ أُرَى)) ولن أُرِيَكَ، ولن تنظُرَ إليَّ، تنبيهاً على أنَّهُ قاصِرٌ عن رؤيتِه لتوقُّفِها على معنًى مُعَدٍّ في الرَّائي لم يوجَدْ فيه بعد.

قولُه: (إِمكَانَ رُؤيَتِهِ) وقولهُ: ﴿أرِنِي﴾ أيضاً دلِيلٌ عليه؛ لأنَّ طلبَ المستحِيلِ من اللهِ تعالى محالٌ من الرَّسُولِ، وخُصُوصاً ما يقتَضِي الجهلَ باللهِ تعالى.

قولُه: (صَحَّحَهُ الحَاكِمُ) وفي التِّرمذِيِّ وغيرِه ما يدلُّ على أنَّهُ مرفوعٌ عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

قولُه: (والمدِّ) حمزَة والكِسائيُّ(٢)؛ أي: أرضاً مستَوِيةً.

وقولُه: (أي: مَدكُوكاً) تفسِيرٌ للقَصرِ.

قولُه: (تَنزِيهاً) أي: أنزِّهُكَ عمَّا لا يليقُ بك.

قولُه: (في زَمَانِي) أي: أوَّلُ قومِي إيماناً، أو أنا أوَّلُ من آمنَ بأنَّكَ لا تُرَى في الدُّنيا.

قولُه: (أَهلِ زَمَانِكَ) وهارونُ وإن كان نبيًّا كان مأمُوراً باتِّباعهِ ولم يكُنْ كلِيماً ولا صاحِبَ شَرعٍ.

---

(١) أما الموقوف عن ابن عباس رضي الله عنهما، فرواه الطبري في «تفسيره» (١٥٠٧٨)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٠٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وأما حديث الترمذي فرواه (٣٠٧٤)، وأحمد في «مسنده» (١٢٢٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥٠٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٨٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٧٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٥).

﴿بِرِسالاتِي﴾ - بالجمع والإفراد - ﴿وبِكَلامِي﴾ أي: تكليمي إيّاك. ﴿فخُذْ ما آتيتُكَ﴾ من الفضل، ﴿وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ لأنعُمي. ١٤٥ - ﴿وكَتَبْنا لَهُ في الألواحِ﴾ أي: ألواح التوراة. وكانت من سِدر الجنّة أو زَبَرْجَدٍ أو زُمرُّدٍ سبعة أو عشَرة - ﴿مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿مَوعِظةً وتَفصِيلاً﴾: تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾، بدلٌ من الجارّ والمجرور قبله. ﴿فخُذْها﴾ - قبْلَه «قلنا» مقدّرًا - ﴿بِقُوّةٍ﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿وأْمُرْ قَومَكَ يأخُذُوا بأحسَنِها. سأُرِيكُم دارَ الفاسِقِينَ﴾: فرعونَ وأتباعِه ....

قولُه: (والإِفرَاد) الحرميَّان[1] بوَحيِي، والجمعُ معناهُ: أسفارُ التَّوراةِ.

قولُـه: (لأَنعُمِـي) ولا تطلُـب ما لا طاقَةَ لـكَ به، رويَ[2]: أنَّ سـؤالَ الرُّؤيـةِ كانَ يومَ عرفَةَ، وإعطَـاءَ التَّوراةِ يومَ النَّحرِ.

قولُه: (أي: ألوَاحِ التَّورَاةِ) وقيل: الألواحُ قبلَ نُزولِ التَّوراةِ.

قولُه: (أو زُمُرُّدٍ) وياقُوتٍ أحمَرَ.

قولُـه: (بـدَلٌ) أي: ﴿موعظَـةً﴾ ومـا بعدَهَـا؛ أي: كتَبْنـا كلَّ شـيءٍ مـن المواعـظِ وتفصيلِ الأحـكامِ، أو مفعـولٌ له.

قولُه: (قَبْلَه) أي: قبلَ ﴿خُذهَا﴾ بعد الفاءِ.

قولُه: (قُلنَا) عَطفاً على: ﴿كتبنَا﴾ والهاءُ للألواحِ.

قال تعالى: (﴿بأَحسَنِهَا﴾) أي: بأحسنِ ما فيها كالصَّبرِ والعفوِ بالإضافةِ إلى الانتصارِ والاقتصاصِ فأمرَهُم على طريقةِ النَّدبِ والحَثِّ على الأفضلِ، كقولِه تعالى: ﴿واتَّبِعُوا أَحسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيكُم﴾ [الزمر: ٥٥] أو بواجِباتِها، فإنَّ الواجبَ أحسنُ من غيرِه، وقيل: المرادُ من الأحسنِ الواجباتُ والمندُوباتُ فإنَّهما أحسنُ من المباحِ، وقال ابنُ عبَّاسٍ وعكرمَةُ[3]: أي: التَّكليفُ عليك يا مُوسَى أشدُّ من التَّكليفِ على قومِكَ.

ويجوزُ أن يرادَ بالأحسنِ: البالغُ في الحُسنِ مطلقاً لا بالإضافةِ، وهو المأمورُ به كقولِهم: الصَّيفُ أحرُّ من الشِّتاءِ، والعسلُ أحلى من الخلِّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٧٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٥).

(٢) لم أقف عليه مسنداً، إلا أنه مذكور في كتب التفاسير فالماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٥٩) عزاه لابن عباس، والثعلبي والبغوي في «الكشف والبيان» (٤/ ٢٧٩)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢٣١) للكلبي، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٧٩) لقتادة والكلبي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥١١٦) عن عكرمة عن ابن عباس.

-وهي مصر-لتعتبروا بهم.

١٤٦ - ﴿سأصرِفُ عَن آياتِيَ﴾: دلائلِ قُدرتي من المصنوعات وغيرها، ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾ بأن أخذُلَهم فلا يتفكّرون فيها؟ ﴿وإن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنُوا بِها، وإن يَرَوا سَبِيلَ﴾: طريقَ ﴿الرُّشدِ﴾: الهُدى الذي جاء من عند الله ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾: يسلكوه،.........

قولُه: (وهيَ مِصر) نقلَ المصنِّفُ في «مُبهماتِ القُرآن»[١] عن مجاهدٍ[٢]: مصيرَهُم في الآخرةِ، وعن الحسنِ[٣]: جهنَّم، وقال: ذكرَ الحافظُ أَبو الفضلِ العراقِي في «شرحِ ألفيَّتِهِ»[٤]: قد تصحَّفتِ الرِّوايةُ الأُولى على بعضِ الكبارِ فقال: مصرَ، انتهى.

لكنْ ذكرَ البغويُّ[٥] عن عطيَّةَ العوفِيِّ: أرادَ دارَ فرعَونَ وقومِهِ وهي مصرُ، يدلُّ عليه قراءَةُ قَسامَةَ بن زهَير: «سأُورِثكُم دارَ الفاسِقِين» يعنِي: فيوافِقُ قوله تعالى: ﴿وأَورَثنَاهَا بَنِي إِسرَائِيل﴾ [الشعراء: ٥٩] لكِن فيه خلافٌ تقدَّمَ أَنَّهُم هم أو أولادُهُم والله أعلمُ.

وقال قتادةُ وغيرُه[٦]: سأدخِلكُم الشَّامَ فأريكُم منازِلَ القُرُونِ الماضيَةِ الذين خالَفُوا أمرَ الله لتعتَبِروا بها.

وقالَ الكلبِيُّ[٧]: ما مرُّوا عليه إذا سافَرُوا من منازِلِ عَادٍ وثمُودَ والقرُونِ الذين أهلِكُوا.

قولُه: (مِنَ المَصنُوعَات) الآفاقيَّة والأنفُسيَّةِ، وقوله: (وغيرِهَا) من الأدلَّةِ النَّقليَّة والعقليَّةِ.

وقولُه تعالى: (﴿بِغَيرِ الحَقِّ﴾) صلَة ﴿يَتَكَبَّرُون﴾ أي: يتكبَّرونَ بما ليس بحقٍّ وهو دينُهم الباطلُ، أو حالٌ من فاعلِه؛ فإنَّ تكبُّرَ المحقِّ على المبطلِ حقٌّ والتَّكبُّرَ على المتكبِّرِ صدقَةٌ.

قولُه: (بأن أخذُلَهم) أو أطبعَ على قُلوبِهم.

وقولُه تعالى: (﴿وإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ﴾) مُنزَلَةٍ أو معجِزَةٍ (﴿لا يؤمِنُوا بهَا﴾) لعنادِهِم.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥١١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٦).

(٤) انظر: «شرح التبصرة والتذكرة» (٢/ ١٠٤).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٢٣٤).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤١٠)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٤).

رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥١٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٦) عن قتادة أنه قال: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ منازلهم.

(٧) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٢/ ٥٢٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٢).

﴿وإن يَرَوا سَبِيلَ الغَيِّ﴾: الضلالِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ـ ذلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآيَاتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ﴾. تقدَّمَ مِثلُه ـ ١٤٧ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا ولِقاءِ الآخِرةِ﴾: البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلت ﴿أعمالُهُم﴾: ما عملوه في الدنيا من خير كصِلة رَحِم وصدقة، فلا ثواب لهم لعدم شرطه، ﴿هَل﴾: ما ﴿يُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي؟

١٤٨ ـ ﴿واتَّخَذَ قَومُ مُوسَى مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ ذهابه إلى المُناجاة، ﴿مِن حُلِيِّهِم﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلّة عِرس، فبقي عِندهم، ﴿عِجلاً﴾ صاغه لهم منه السامريّ، ﴿جَسَدًا﴾: بدلٌ لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوارٌ﴾ أي: صوت يسمع. انقلب كذلك بوضع التُّراب الذي أخذه من حافر فرسِ جِبريلَ في فمه،...

قولُه: (الصَّرْف) أو مصيرُهُم إلى هذه الحالةِ.

قولُه: (البَعْثِ) فيكونُ التَّقديرُ: ولقائهم الدَّارَ الآخرَةَ، فالمصدرُ مضافٌ إلى المفعُولِ.

وقولُه: (وغَيرِه) إشارةٌ إلى تفسيرٍ آخرَ، وهو ما وعدَ اللهُ في الآخرَة.

قولُه: (لعَدمِ شَرطِهِ) يعني: الإيمانَ، وفيه أنّه ليس الإيمانُ شَرطاً في صِحَّةِ نحو صلَةِ رحمٍ، وإطعامِ ضَيفٍ، وإغاثةِ ملهُوفٍ، ورحْمِ يتيمٍ، فالأولى أن يقالَ: لمجازاتِهم بها في الدُّنيا، أو المرادُ بـ«شرطِهِ» الإخلاصُ؛ يعني: عدمَ الرِّياءِ والأذَى.

قالَ تعالى: (﴿قَومُ مُوسَى﴾) أي: اتَّخذَ السَّامرِيُّ لهم بإعانتِهم ورضاهُم، أو المرادُ: اتِّخاذُهُم إيَّاهُ إلهًا.

قولُه: (الَّذِي استَعَارُوهُ) الظَّاهرُ: التي استعارُوها؛ لأنَّ الحُليَّ جمعُ حَلْيٍ؛ كثَدْيٍ وثُدِيٍّ[1]، وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالكسرِ للإتباعِ، نعم قرأَ يعقُوبُ من العشرَةِ بالإفرادِ[2]، لكن يبعدُ حملُه على قراءتِهِ، وغايَةُ توجيهِ كلامِه أنَّه مرفُوعٌ أو منصُوبٌ على القطعِ؛ أي: الجِنسِ الَّذي، هذا وإضافتُها إليهم؛ لأنَّها كانت في أيدِيهم أو ملكُوهَا بعد هلاكِ أعدائِهم.

قولُه: (لَحْماً ودَماً) الظَّاهرُ: ذا لَحمٍ ودمٍ، أو جَسداً من الذَّهبِ خالِياً من الرُّوحِ استمرَّ على كونِهِ من الذَّهبِ إلا أنَّه يدخلُ فيه الهواءُ فيصوِّتُ كالبقرِ، قيل: كانوا يسجُدُونَ حين خُوَارِهِ ويرفَعونَ رؤوسَهُم عند سُكوتِهِ.

قولُه: (مِن حَافِرٍ) أي: أثَرِه.

قولُه: (في فَمِهِ) متعلِّقٌ بـ«وَضْعِ».

---

(١) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٣١٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٨٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٦).

فإن أثره الحياةُ فيما يُوضع فيه. ومفعول «اتّخذ» الثاني محذوف أي: إلـٰهًا ـ ﴿أَلَم يَرَوا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُم، ولا يَهدِيهِم سَبِيلاً﴾؟ فكيف يُتَّخذ إلـٰهًا؟ ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلـٰهًا، ﴿وكانُوا ظالِمِينَ﴾ باتّخاذه ـ ١٤٩ ـ ﴿ولَمّا سُقِطَ في أَيدِيهِم﴾ أي: ندموا على عبادته، ﴿ورَأَوا﴾: علموا ﴿أَنَّهُم قَد ضَلُّوا﴾ بها ـ وذلك بعد رُجوع موسى ـ ﴿قالُوا: لَئِنْ لَم يَرحَمْنا رَبُّنا ويَغفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

١٥٠ ـ ﴿ولَمّا رَجَعَ مُوسَى إلَى قَومِهِ غَضبانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾: شديد الحُزن ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿بِئسَ ما﴾ أي: بئس خلافةً ﴿خَلَفتُمُونِيـ﴾ـها ﴿مِن بَعدِيَ﴾ خلافتكم هذه، حيث أشركتم! ﴿أَعَجِلتُم أَمرَ رَبِّكُم؟ وأَلقَى الأَلْواحَ﴾: ألواح التوراة غضبًا لربّه فتكسّرت، ﴿وأَخَذَ بِرأسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشَعره بيمينه ولِحيته بشِماله، ﴿يَجُرُّهُ إلَيهِ﴾ غضبًا..

قولُه: (إلَهاً) تكرِيرٌ للذَّمِّ.

قولُه: (باتِّخَاذِهِ) لأنَّ الظُّلمَ وضعُ الشَّيءِ في غير موضِعِه.

قولُه: (أي نَدِمُوا) كِنَايةٌ عن اشتدادِ ندامتِهِم، فإنَّ النَّادِمَ يعضُّ يدهُ غمًّا فتصيرُ يدُهُ مسقُوطاً فيها؛ لأنَّ فاهُ وقعَ فيهَا و﴿سقطَ﴾ مُسنَدٌ إلى: ﴿في أيدِيهِم﴾.

قولُه: (بِهَا) أي: بعبادَةِ العجلِ، والأظهَرُ: به؛ أي: باتِّخاذِه.

قالَ تعالى: (﴿لَئِن لم يَرحَمنَا رَبُّنَا﴾) أي: بقبُولِ التَّوبةِ، أو بإنزالِها، أو بتوفيقِها.

قولُه: (والتَّاءُ) الخطابُ، حمزةُ والكِسائيُّ مع نصبِ: «رَبَّنَا» على النِّداءِ[1].

قولُه: (شَدِيدَ الحُزنِ) أو شديدَ الغضَبِ.

قولُه: (خِلافَتُكُم هذِهِ) ومعنَى: ﴿من بَعدِي﴾ أي: من بعد انطِلاقِي، أو من بعدِ ما رأَيتُم منِّي من التَّوحيدِ والتَّنزيهِ.

وقولُه: (﴿أَعجِلتُم أمرَ رَبِّكُم﴾) هذا كما يقالُ لمن وَلَّى أحَداً غير مستَحِقٍّ للولايَةِ: عجلْتَ أمرَ السَّلطَنَةِ؛ أي: في حالِها وأمرِها، فيكونُ من بابِ الحذفِ والإيصالِ.

قولُه: (غَضباً) أو خَوفاً من أن قصَّرَ في كفِّهِم ونهيِهِم، وهارونُ أكبرُ منه بثَلاثِ سِنِينَ، وكان حَمُولاً[2] لَيِّناً، ولذلك كانَ أَحَبَّ إلى بنِي إسرائيلَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٨٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٦).

(٢) حمولٌ: ذو حِلْم، انظر: «القاموس» (ص: ٩٨٧).

﴿قالَ﴾: يا ﴿ابنَ أُمَّ﴾ ـ بكسر الميم وفتحها، أراد: أُمّي. وذِكرُها أعطفُ لقلبه ـ ﴿إنَّ القَومَ استَضعَفُوني، وكادُوا﴾: قاربوا ﴿يَقتُلُونَني. فلا تُشمِتْ﴾: تُفرِح ﴿بِيَ الأعداءَ﴾ بإهانتك إيّاي، ﴿ولا تَجعَلْني مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ بعِبادة العِجل في المُؤاخذة.

١٥١ ـ ﴿قالَ: رَبِّ اغفِرْ لِي﴾ ما صنعتُ بأخي ﴿ولِأخِي﴾ ـ أشرَكَه في الدعاء إرضاءً له ودفعًا للشماتة به ـ ﴿وأدخِلْنا في رَحمتِكَ، وأنتَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ﴾.

١٥٢ ـ قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ﴾ إلـٰهًا ﴿سَيَنالُهُم غَضَبٌ﴾: عذاب ﴿مِن رَبِّهِم، وذِلَّةٌ في الحَياةِ الدُّنيا﴾ ـ فعُذِّبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضُربتْ عليهم الذِّلّة إلى يوم القيامة. ﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجزِي المُفتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره ـ ١٥٣ ـ ﴿والَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ، ثُمَّ تابُوا﴾: رجَعوا عنها ﴿مِن بَعدِها وآمَنُوا﴾ بالله، ﴿إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها﴾ أي: التوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

١٥٤ ـ ﴿ولَمّا سَكَتَ﴾: سكن ﴿عَن مُوسَى الغَضَبُ أخَذَ الألْواحَ﴾ التي ألقاها،..............

قولُه: (بكَسرِ الميمِ) شامِيٌّ وشُعبَة وحمزَة والكِسائيُّ، وأصلهُ: أمِّي، فحذفت الياءُ اكتفاءً بالكسرَة تخفيفاً كالمنادَى المضافِ إلى الياءِ، والباقُونَ بالفتحِ زيادةً في التَّخفيفِ لطُولِه[1].

قولُه: (أعطَفُ لقَلبِهِ) أي: ليُرَقِّقَهُ عليه، وكانا أخَوينِ من أبٍ وأمٍّ، صرَّحَ به مجاهدٌ والسُّدِّي وابنُ جرير وغيرُهُم[2].

قولُه: (في المؤاخَذَةِ) أو في نسبَةِ التَّقصِيرِ.

قولُه: (لإرضائهِ) أي: ترضيَةً له.

قولُه: (الذِّلَّة) وهي إخراجُهُم من ديارِهِم وهوانُهم إلى الأبدِ، وقيل: الجزيَةُ.

قولُه: (وغيرِهِ) باتِّخاذِ الولدِ والصَّاحبةِ.

قولُه: (﴿لَغَفُورٌ﴾ لَهُم) أي: وإن عظُمَ الذَّنبُ ـ كجرائمِ عبدَةِ العجلِ ـ وكثُرَ كجرَائمِ بني إسرائيل.

قولُه: (سَكَن) وقد قرئَ به؛ أي: باعتذارِ هارُونَ أو بتوبتِهِم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٨٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٤)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٣١)، و«معالم التنزيل» (٢/ ٢٣٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٨) وضعف ذلك الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٦١) بقوله: وقيل كان أخاه لأبيه وأمه، ولم يعزه أحد ممن سبق إلى قائله.

﴿وفي نُسْخَتِها﴾ أي: ما نُسخ فيها أي: كُتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِم يَرهَبُونَ﴾: يخافون. وأُدخل اللام على المفعول لتقدّمه.

١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ﴿واختارَ مُوسَى قَومَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبعِينَ رَجُلاً﴾ ممّن لم يعبدوا العِجل بأمره تعالى، ﴿لِمِيقاتِنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عِبادة أصحابهم العِجلَ، فخرج بهم، ﴿فلَمّا أخَذَتهُمُ الرَّجْفةُ﴾: الزلزلة الشديدة ـ قال ابن عبّاس: لأنهم لم يُزايِلُوا قومهم حين عبدوا العِجل. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتْهم الصاعقة ـ ﴿قالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبِّ، لَو شِئتَ أهلَكتَهُم مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ خروجي بهم ليُعايِنَ بنو إسرائيل ذلك ولا يتّهموني، ﴿وإيّايَ. أتُهلِكُنا بما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا﴾؟ استفهام استعطاف، أي: لا تُعذّبنا بذنب غيرنا. ﴿إنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفِتنةُ التي وقعتْ فيها السُّفهاء ﴿إلاّ فِتنَتُكَ﴾: ابتلاؤك، ﴿تُضِلُّ بِها مَن تَشاءُ﴾ إضلاله، ﴿وتَهدِي مَن تَشاءُ﴾ هِدايته. ﴿أنتَ وَلِيُّنا﴾: مُتولّي أُمورنا. ﴿فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا ـ وأنتَ خَيرُ الغافِرِينَ ـ واكتُبْ﴾:..........

قولُه: (على المفعُولِ) أي: ﴿لربِّهم﴾.

وقولُه: (لتقَدُّمِهِ) أي: المفعُولِ وضَعْفِ الفعلِ بالتَّأخيرِ، أو حُذِفَ المفعولُ واللَّامُ للتَّعليلِ، والتَّقديرُ: يرهبُونَ معاصيَ اللهِ لربِّهِم، وقدِّمَ مُراعاةً للفاصلَةِ أو للاختصاصِ.

قولُه: (أي: مِن قَومِهِ) من بابِ الحذفِ والإيصالِ.

قولُه: (بأمرِهِ) متعلِّقٌ بـ﴿اختَارَ﴾.

قولُه: (لم يُزَايلُوا) أي: لم يفارِقُوا.

قولُه: (أي: قَبلِ خُرُوجِي) قال بعضُهم: ما ماتُوا ثمَّ بعد تضرُّعِ مُوسَى كُشِفَ عنهم الرِّجزُ فاطمأنُّوا، أو ماتُوا لكن أحياهُمُ اللهُ تعالى بدُعاءِ موسَى لهم.

قوله: «قَبلِ خُرُوجِي» لا يُلائِم قوله: ﴿وإيَّايَ﴾ فالأولى ما قالَ القاضِي[1]: تمنَّى هلاكَهُم وهلاكَهُ قبلَ أن يرَى ما رأى، أو بسببٍ آخَر.

قولُه: (ابتِلاؤُكَ) حين أَوْجَدتَ في العجلِ خُوارًا فزاغُوا به.

قالَ تعالى: (﴿فاغفِر لنَا﴾) ذُنوبَنا الماضيَةَ ﴿وارحَمنَا﴾ بأن لا توقِعَنَا بعدُ في مثلِهَا ﴿وأَنتَ خَيرُ الغَافِرِين﴾ يغفِرُ السَّيئةَ ويبدِلُها بالحسنةِ ويغفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً بلا غرضٍ ولا عِوضٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٣٦).

أوجِبْ ﴿لَنا في هذِهِ الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرةِ﴾ حسنة. ﴿إنّا هُدْنا﴾: تُبنا ﴿إلَيكَ﴾.

﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أشاءُ﴾ تعذيبه، ﴿ورَحْمتِي وَسِعَتْ﴾: عمَّت ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ في الدنيا. ﴿فسَأكتُبُها﴾ في الآخِرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، والَّذِينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ مُحمّدًا ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوبًا عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجِيلِ﴾ باسمه وصفته، ﴿يأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ ويَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ، ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ﴾ ممّا حُرِّم في شرعهم،.......

قولُه: (أَوجِب) أي: أثبِتْ، وحسنةُ الدُّنيا حسنُ المعيشَةِ وتوفيقُ الطَّاعةِ، وحسنةُ الآخرَةِ: الجنَّةُ والقربةُ.

قولُه: (﴿قالَ﴾ تعَالَى) أي: مجِيباً له في قولِهِ: ﴿إنْ هِيَ إلا فِتنَتُكَ﴾.

قولُه: (في الدُّنيَا) حتَّى الشَّجرَ والحجرَ وحتَّى إبليسَ.

قولُه: (في الآخِرَةِ) أو فأكتبهَا كَتْبَةً خاصَّةً منكم يا بنِي إسرائيلَ، وهذا هو الأظهرُ لما بعدَهُ، ويكونُ ﴿الذين يتبعون﴾ بدَلاً من ﴿الذينَ يتَّقونَ﴾ بدلَ البعضِ أو الكلِّ، أو تقديرُهُ: هم الذين يتَّقونَ، وعلى الأوَّلِ يتعيَّنُ أن يكُونَ مبتَدأً خبرُهُ: ﴿يأمُرُهُم﴾ وهو الأنسَبُ لإفادةِ عمُومِ الرَّحمةِ.

وقولُه: (﴿الأُمِّيَّ﴾) منسوبٌ إلى أمَّةِ العربِ، وهي لم تكُن تكتُبُ ولا تقرَأُ ـ يعنِي: غالِباً ـ فاستُعِيرَ لمن لا يعرِفُ الكتابَةَ ولا القراءَةَ، وقيل: منسُوبٌ إلى الأمِّ؛ أي: هو كما ولدَتهُ أمُّه، وكونُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أمِّيًّا صفةُ مَدحٍ له تشهدُ بنبُوَّتهِ، وتنفِي ارتيابَ المبطِلِينَ حيثُ أتى بالعُلومِ الجمَّةِ وأخبارِ القرُونِ الماضيَةِ بلا تعلُّمِ خطٍّ واستفادةٍ من كتابٍ.

وقيل: منسُوبٌ إلى أمِّ القُرَى، وهي مكَّةُ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد دَحا الأرضَ من تحتِها؛ ولأجلِ هذا سمِّيَت: أمَّ القُرَى، على ما وردَ به الخبرُ[1]، وبين ﴿الأمِّيَّ﴾ و﴿مَكتُوباً﴾ صنعَةُ طِباقٍ؛ أي: لم يكُن كاتباً، وكان مكتُوباً، كذا حقَّقَهُ الكافِيجِي شيخُ المصَنِّفِ[2].

قولُه: (باسْمِهِ وصِفَتِهِ) عن ابنِ عبَّاسٍ مرفُوعاً[3]: «اسمِي في القُرآنِ محمَّدٌ، وفي الإنجيلِ أحمَدُ، وفي التَّوراةِ أحيَدُ؛ لأنِّي أُحِيدُ أمَّتِي عن نارِ جهنَّمَ» أي: أميِّلُهم وأصرِفُهم عنها.

قولُه: (ممَّا حُرِّمَ في شَرعِهِم) عليهم كالشُّحومِ ولحُومِ الإبلِ، وما حرَّمُوا على أنفُسِهم من نحو البحيرَةِ.

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠٤٥) عن عطاء وعمرو بن دينار.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٥٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣١).

قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٣٢٦): في إسناده وضاع.

﴿ويُحَرِّمُ علَيهِمِ الخَبائِثَ﴾ من الميتة ونحوها، ﴿ويَضَعُ عَنهُم إصرَهُم﴾: ثِقلهم، ﴿والأغلالَ﴾: الشدائد ﴿الَّتي كانَتْ عَلَيهِم﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم، ﴿وعَزَّرُوهُ﴾: وَقَّروه ﴿ونَصَرُوهُ، واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾.

١٥٨ ـ ﴿قُل﴾ خِطابٌ للنبيِّ: ﴿يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعًا، الَّذِي لهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، يُحيِي ويُمِيتُ. فآمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤمِنُ بِاللهِ وكَلِماتِهِ﴾ القُرآنِ، ﴿واتَّبِعُوهُ، لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾: ترشُدون.

١٥٩ ـ ﴿ومِن قَومِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿يَهدُونَ﴾ الناس ﴿بِالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ﴾ في الحُكم،

١٦٠ ـ ﴿وقَطَّعْناهُم﴾: فَرَّقنا بني إسرائيل ﴿اثنَتَي عَشْرَةَ﴾:..

قولُه: (ونَحوِهَا) كالدَّمِ ولحمِ الخنزيرِ، أو كالرِّبا والرَّشوَة.

قولُه: (ثِقَلَهم) أي: يُسقِطُ عنهم العهدَ الَّذي أُخِذَ عليهم بالعملِ بالتَّوراةِ.

قولُه: (الشَّدَائدَ) أي: التَّكاليفَ الشَّاقَّةَ التي كانت في دينِهم.

قولُه: (كقَتلِ النَّفسِ) وكتعيينِ القصاصِ في العمدِ والخطَأ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ.

قولُه: (وقَّروهُ) أي: عظَّمُوه.

قولُه: (أي: القُرآنَ) وقوله: ﴿مَعَهُ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿أُنزِلَ﴾ على حذفِ مُضافٍ؛ أي: مع نبوَّتِهِ، ويجُوزُ أن يكُون متعلِّقاً بـ﴿اتَّبَعُوا﴾؛ أي: واتَّبعُوا النُّورَ المنزلَ مع اتباعِ النبيِّ فيكُونُ إشارةً إلى اتِّباعِ الكتابِ والسُّنَّةِ؛ يعني: استقلالاً، وإلَّا ففي ضِمْنِ الكتابِ اتِّباعُ السُّنَّةِ موجودٌ أيضاً قال تعالى: ﴿ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهاكُم عَنهُ فانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

قولُه: (القُرآنِ) الأتمَّ الأعمَّ: بما أُنزِلَ عليه وعلى سائرِ الرُّسلِ من كُتُبِهِ ووحيِهِ ويمكنُ الاكتفاءُ بالأوَّلِ؛ لأنَّ الإيمانَ به إيمانٌ بالكُلِّ.

قولُه: (جمَاعَةٌ) المرادُ بهم: الثَّابتُونَ على الإيمانِ القائمُونَ بالحقِّ من أهلِ زمانِهِ، وقيل: مُؤمِنُوا أهلِ الكتابِ، وقيل: قومٌ وراءَ الصِّينِ رآهُم رسُولُ اللهِ ﷺ ليلةَ المعراجِ فآمنُوا به[1].

قولُه: (فرَّقنَا) أي: صيَّرنَا بني إسرائيلَ قطَعاً وفرَقاً متميِّزاً بعضُهم عن بعضٍ.

---

(١) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٥٨٦) عن مقاتل.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥٢٥١) عن ابن جريج، وليس فيه أن الرسول ﷺ رآهم.

حالٌ ﴿أسباطًا﴾: بدلٌ منه، أي: قبائلَ ﴿أُمَمًا﴾: بدلٌ ممّا قبله، ﴿وأوحَينا إلَى مُوسَى إذِ استَسقاهُ قَومُهُ﴾ في التِّيهِ: ﴿أنِ اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ﴾. فضربه، ﴿فانبَجَسَتْ﴾: انفجرتْ ﴿مِنهُ اثنَتا عَشرةَ عَينًا﴾ بعدد الأسباط ـ ﴿قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾: سِبطٍ منهم ﴿مَشرَبَهُم ـ وظَلَّلْنا عَلَيهِمِ الغَمامَ﴾ في التِّيه من حرّ الشمس، ﴿وأنزَلْنا عَلَيهِمِ المَنَّ والسَّلوَى﴾ ـ هما التُّرَنْجِبينُ والطير السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم. وما ظَلَمُونا، ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾.

١٦١ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قِيلَ لَهُمُ: اسكُنُوا هذِهِ القَريَةَ﴾: بيتَ المَقدس، ﴿وكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم، وقُولُوا﴾:..

قولُه: (حَالٌ) وتأنيثُهُ للحَملِ على الأُمَّةِ أو القطعَة، أو مفعُولٌ ثانٍ لـ«قطَّعَ»، فإنَّه متضمِّنٌ معنى صيَّر، قال البيضاويُّ[1]: قرئ بكسرِ الشِّينِ وإسكانها، فيُوهِمُ أنَّ هاتينِ القراءتَينِ شاذَّتان، وفتحَ الشِّينِ هو المتواترُ وليس كذلك، بل اتُّفِقَ على الفتح والسُّكونِ، وأمَّا فتحُ الشينِ فقراءةٌ شاذَّةٌ عن الأعمشِ، والكسرُ روايةٌ عن المطَّوِّعِي[2].

قولُه: (بدَلٌ منهُ) أي: من اثنَي عشرَ، ولذلك جمعَ، ولو كانَ تمييزاً لأُفرِدَ.

قولُه: (أي: قَبَائلَ) الأسباطُ في بنِي إسرائيلَ كالقبائلِ في العَربِ، كذا في «الصِّحَاح»[3].

قولُه: (بدَلٌ ممَّا قبلَهُ) ومن لم يُجوِّزِ الإبدالَ من البدلِ فلا بُدَّ أن يقولَ إنَّهُ نعتٌ.

قولُه: (فضرَبَهُ) وحذَفهُ للإيماءِ على أنَّ موسَى لم يتوقَّفْ في الامتثالِ، وأنَّ ضربَهُ لم يكُنْ مؤثِّراً يتوقَّفُ عليه الفعلُ في ذاتِهِ.

قولُه: (في التِّيهِ) ليقِيَهُم.

قولُه: (التُّرَنْجِبِينُ) أو شيءٌ كالتُّرَنْجِبين.

وقولُه: (السُّمَانَى) أو طيرٌ كالسُّمانَى.

قالَ تعالى: (﴿ومَا ظَلَمُونَا﴾) أي: ما رجعَ ضرَرُ كُفرانِ نعمِهِم إلينا.

قولُه: (اذكُرْ) أي: هذا الزَّمانَ أو الحادثَ حين قيلَ.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٣٨).

(٢) الإمام شيخ القراء مسند العصر أبو العباس الحسن بن سعيد بن جعفر العباداني المطَّوِّعي، نزيل إصطخر، إمام عارف ثقة في القراءة أثنى عليه الحافظ أبو العلاء الهمذاني ووثقه. ت: ٣٧١هـ. «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٦٠)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٢١٣).

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٢٩).

أمرُنا ﴿حِطَّةٌ. وادخُلُوا البابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾: سُجودَ انحناء، ﴿نَغفِرْ﴾ ـ بالنون، وبالتاء مبنيًّا للمفعول ـ ﴿لكُم خَطاياكُم. سَنَزِيدُ المُحسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا. ١٦٢ ـ ﴿فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم﴾، فقالوا: حَبَّةٌ في شَعَرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم، ﴿فأرسَلْنا عَلَيهِم رِجزًا﴾: عذابًا ﴿مِنَ السَّماءِ، بِما كانُوا يَظلِمُونَ﴾.

١٦٣ ـ ﴿واسأَلْهُم﴾ ـ يا مُحمّد ـ توبيخًا ﴿عَنِ القَرْيةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرةَ البَحرِ﴾:...............

قولُه: (أَمرُنَا ﴿حِطَّةٌ﴾) أي: مغفِرَة؛ يعني: استغفِرُوا، أو أقِرُّوا بالذَّنبِ، أو احطُط عنَّا الخَطايا.

قولُه: (سُجُودَ انحِنَاء) شُكراً للهِ تعالى على الفتحِ والإنقاذِ من التِّيهِ، ويمكنُ أن يقالَ: تواضُعاً لا تجبُّراً على خلافِ الجبَّارِين.

قولُه: (بالنُّونِ) يعني: مَبْنياً للفاعلِ، قراءَةُ غير نافعٍ وشامِيٍّ[١].

قولُه: (﴿خَطايَاكُم﴾) هذا قراءةُ أبي عَمرو، وقرأ ابنُ عامرٍ بالإفرادِ، والباقُونَ بالجمعِ المصَحَّح[٢].

قولُه: (في شُعَيرَة) وفي نُسخَةٍ: «شَعرَة»، وقيل: بدَّلُوا ﴿حطَّة﴾ بحنطَةٍ استِهزاءً.

قولُه: (ودخَلُوا...) إلخ، فينبَغِي أن يقدَّرَ بعد ﴿قَولاً﴾: وفِعلاً، وقالَ أبو البقاءِ[٣]: في الكلامِ حذفٌ تقديرُهُ: فبدَّلَ الذينَ ظلمُوا بالَّذي قيل لهُم قَولاً [غيرَ الَّذي قيلَ لهُم]، ﴿فبدَّلَ﴾ يتعَدَّى إلى مفعُولٍ واحِدٍ بنفسِهِ، وإلى آخرَ بالباءِ، والَّذي مع الباءِ يكون هو المترُوكُ، والذي بغيرِ باءٍ هو الموجودُ.

قولُه: (يزحَفُونَ) الزَّحفُ[٤]: المشيُ على المقعَدِ مثل الصِّبيانِ، والأستاهُ جمعُ: سَتْهٍ، ويحرَّكُ بمعنَى: الاستِ، وهو الدُّبُر[٥] ففي الكلامِ تجرِيدٌ.

قولُه: (عَذَاباً) أي: مُقدَّراً.

قولُه: (تَوبِيخاً) أي: سلِ اليهودَ الَّذين بحضرَتكَ للتَّوبيخِ ـ بتقدِيمِ كفرِهِم وعصيانِهِم ـ والإعلامِ بما هو من عُلومِهِم الَّتي لا تُعلَمُ إلا بتعلِيمٍ أو وحيٍ، ليكونَ لك معجزةً عليهم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٩٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٩٩).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٦٦).

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» (١/ ٥٢٧).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٤٦).

مُجاورةَ بحرِ القُلزُم ـ وهي أيلةُ ـ ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعدُونَ﴾: يعتدون ﴿فِي السَّبتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه، ﴿إِذْ﴾: ظرف لـ«يعدون» ﴿تأتِيهِم حِيتانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعًا﴾: ظاهرة على الماء، ﴿ويَومَ لا يَسبِتُونَ﴾: لا يُعظّمون السبت أي: سائرَ الأيام ﴿لا تأتِيهِم﴾ ابتلاءً من الله؟ ﴿كَذٰلِكَ نَبلُوهُم بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾ ـ ولمّا صادوا السمك افترقتِ القرية أثلاثًا: ثُلث صادوا معهم، وثُلث نهَوهم، وثُلث أمسكوا عن الصيد والنهي ـ ١٦٤ ـ ﴿وإِذْ﴾: عطف على «إذ» قبله ﴿قالَتْ أُمَّةٌ مِنهُم﴾ لم تَصِدْ ولم تَنهَ لِمَن نَهى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَومًا، اللهُ مُهلِكُهُم أو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَدِيدًا؟ قالُوا﴾: موعظتُنا ﴿مَعذِرةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُم﴾،..............................

قولُه: (مجاوِرَةَ) أي: قريبةً منه.

قولُه: (وهيَ أَيلَةُ) قريةٌ بين مدينَ والطُّور على شاطئِ البحرِ، وقيل: مديَن، وقيل: طبرِيَّة.

قولُه: (مَا وقعَ) بدلٌ من: ﴿القريَةِ﴾؛ أي: سلهُم عمَّا وقعَ بأهلِها، والأظهَرُ: عن خبرِ القريَةِ وما وقعَ بأهلِها، أو عن خبرِ أهلِها، وهذا ألطَفُ.

قولُه: (يعتَدُونَ) أي: يتجاوزُونَ حُدودَ اللهِ.

قولُه: (ظَرْفٌ) أي: ﴿إذ﴾ الثَّانيةُ، والأُولَى ظرفٌ لـ﴿كانَتْ﴾ أو ﴿حاضِرَة﴾.

وقولُه تعالى: (﴿يَومَ سَبتِهِم﴾) أي: يومَ تعظيمِهِم أمرَ السَّبتِ، مصدَر سبَتَت اليهودُ: إذا عظَّمَت سَبتَها بالتَّجرُّدِ للعبادَةِ.

قولُه: (ظاهِرَةً) حالٌ من الحيتانِ.

وقولُه تعالى: (﴿كَذَلِكَ﴾) أي: مثلَ ذلك الامتحانِ الشَّديدِ نختبِرُهُم بإظهارِ السَّمكِ في اليومِ المحرَّمِ عليهم وإخفائهِ في اليومِ المحلَّلِ لهم، وقيل: ﴿كذلِكَ﴾ متَّصلٌ بما قبلَهُ؛ أي: لا تأتيهِم مثلَ إتيانِهِم يومَ السَّبتِ.

قولُه: (﴿إذ﴾ قَبْلَهُ) أي: ﴿إذ يعدون﴾، فـ﴿إذ﴾ الثَّاني ظرفٌ للأوَّلِ.

وقولُه تعالى: (﴿مُهلِكُهُم﴾) أي: مُختَرِمُهم، أو معذِّبُهُم، فإنَّهُم علمُوا لكثرَةِ عدمِ نفعِ الموعظَةِ أنَّها لا تنفَعُ، فلا محالَةَ استحقُّوا سُخطَ اللهِ أو الإهلاكَ في الدُّنيا والتَّعذِيبَ في العُقبَى.

قولُه: (موعِظَتُنا) أي: قالت الفرقَةُ النَّاهِيةُ مُجيبَة لهم، وأشارَ إلى أن رفعَ: ﴿معذِرَةٌ﴾ على أنَّها خبرُ مبتدإٍ محذُوفٍ، وقرأ[1] حفصٌ بالنَّصبِ على المصدرِ أو العلَّة؛ أي: اعتَذَرنا به معذِرةً، أو وعظناهُم معذرَةً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٩٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٠).

لئلاّ نُنسبَ إلى تقصير في ترك النهي، ﴿ولَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الصيد.

١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ﴿فلَمّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿ما ذُكِّرُوا﴾: ما وُعظوا ﴿بِهِ﴾، فلم يرجِعوا، ﴿أنجَينا الَّذِينَ يَنهَونَ عَنِ السُّوءِ، وأخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، ﴿بِما كانُوا يَفسُقُونَ، فلَمّا عَتَوا﴾: تكبّروا ﴿عَن﴾ تركِ ﴿مّا نُهُوا عَنهُ قُلْنا لَهُم: كُونُوا قِرَدةً خاسِئِينَ﴾: صاغرين. فكانوها. وهذا تفصيل لِما قبله. قال ابن عبّاس: ما أدري ما فُعل بالفرقة الساكتة؟ وقال عِكرمةُ: لم تَهلِك لأنها كرهتْ ما فعلوه، وقالت: لِمَ تعظون إلى آخره. وروى الحاكم عن ابن عبّاس أنه رَجَعَ إليه وأعجبه.

١٦٧ ـ ﴿وإذْ تأَذَّنَ﴾: أعلمَ ﴿رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم﴾..............................

قولُه: (الصَّيدَ) إذِ اليأسُ لا يحصلُ إلَّا بالإهلاكِ.

قولُه: (ترَكُوا) تركَ النَّاسِي.

قولُه: (وُعِظُوا) أي: ما وعظَهُم به صُلحاؤُهُم.

قولُه: (شَدِيدٍ) فعيلٍ، وفي روايةٍ عن شُعبةَ على وزنِ فَيْعَل، وقرأَ الشَّامي بكسرِ الباءِ وسكُونِ الهمزَةِ، ونافِع على قلبِ الهمزَةِ ياءً[1].

قولُه: (وهذَا) يعنِي: ﴿فلمَّا عتَوا﴾ (تفصِيلٌ لمَا قبلَهُ) يعني: ﴿أَخَذْنا﴾.

قولُه: (رجَعَ إلَيهِ) أي: إلى قولِ عكرِمَة[2]، وقيل: إنَّ الفرقةَ السَّاكتَة أيضاً مسِخُوا، عن بعضِ السَّلفِ أنَّهم سمِعُوا منادِياً قال: كونُوا قِرَدةً[3]، أو المرادُ: من أمرِهِم سرعَةُ التَّكوينِ، والأصحُّ: أنَّ المسخَ صُورِيٌّ ومعنَوِيٌّ، ثمَّ هلَكُوا بعد ثلاثَةِ أيَّامٍ، ولم يبقَ منهم نسلٌ[4]، والعذابُ البَئِيسُ: هو المسخُ، وقيل: المسخُ معنَوِيٌّ لا صُورَي، والعذابُ غيرُ المسخِ، وهو قد كان أولًا ثمَّ كان المسخُ آخرًا.

قولُه: (أعلَمَ) تفعَّلَ من الإيذانِ بمعناهُ كالتَّوعُّدِ والإيعادِ، أو قالَ: أو أمرَ وحكَمَ، وأُجرِيَ مجرَى فعلِ القسَمِ كعَلِمَ اللهُ، وشهِدَ اللهُ، ولذلك أُجِيبَ بجوابِ القسمِ، والمعنَى: وإذ أوجَبَ ربُّكَ على نفسِهِ ليسلِّطَنَّ على اليهودِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ٩٨، ٩٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥٢٧١)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٤)، والبيهقي في «المعرفة» (٢٠٨١٩)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦٨)، عن عطاء.

(٤) روى مسلم (٢٦٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود وفيه: قال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير، هي مما مسخ؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لم يهلك قوماً، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك».

أي: اليهودِ ﴿إِلَى يَومِ القِيامةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذابِ﴾ بالذلّ وأخذ الجزية، فبعث عليهم سُليمانَ وبعده بُختَنَصَّرَ، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدّونها إلى المجوس إلى أن بُعث نبيّنا ﷺ وضربها عليهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقابِ﴾ لمن عصاه، ﴿وإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

١٦٨ ـ ﴿وقَطَّعْناهُم﴾: فرّقناهم ﴿في الأرضِ أُمَمًا﴾: فِرَقًا، ﴿مِنهُمُ الصّالِحُونَ، ومِنهُم﴾ ناس ﴿دُونَ ذلِكَ﴾ الكُفّارُ والفاسقون، ﴿وبَلَوناهُم بِالحَسَناتِ﴾: بالنِّعم ﴿والسَّيِّئاتِ﴾: النِّقم، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عن فِسقهم.

قولُه: (بالذُّلِّ وأَخْذِ الجِزيَةِ) الأظهَرُ: بالإذلالِ وضربِ الجزيَةِ.

قولُه: (فقتَلَهُم) أي: مُقاتلِيهِم (وسَبَاهُم) أي: نساءَهُم وذرارِيهِم.

قولُه: (عَلَيهِم) أي: على من بَقِيَ منهم.

قولُه: (لمَن عَصَاهُ) أي: استمَرَّ على عصيانِهِ.

قولُه: (لأَهلِ طَاعَتِهِ) أو لمن تابَ.

قولُه: (بِهِم) أي: بالمطيعِينَ؛ أي: المؤمنينَ.

قولُه: (فَرَّقنَاهُم) في البلادِ فلا تجتمِعُ كلمَتُهُم، ولا تكونُ لهم شوكَةٌ قطُّ.

قولُه: (فِرَقاً) مفعُولٌ ثانٍ؛ لأنَّ القطعَ بمعنَى التَّصييرِ، أو حالٌ.

وقولُه تعالى: (﴿مِنهُم الصَّالِحُون﴾) صفَةُ ﴿أمماً﴾ أو بدلٌ منه، وهم الذين آمَنُوا بالمدينَةِ ونظراؤُهُم، كذا قالَهُ البيضاوِيُّ[1]، وهو يخالِفُ ما قَالَهُ في: ﴿خلف﴾، فالأَولَى أن يُقالَ هنا: همُ الذين ثبَتُوا على الإيمانِ في كلِّ زمانٍ.

قولُه: (نَاسٌ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿دُونَ﴾ مرفوعُ المحَلِّ بأنَّهُ صفَةُ موصُوفٍ محذوفٍ، و﴿منهُم﴾ خبرُهُ.

قولُه: (والفاسِقُونَ) تبعَ في ذكرِه البيضاوِي[2]، والأولَى تركُهُ إذِ المرادُ بـ﴿الصَّالِحُون﴾ المؤمنُونَ لا الكامِلُون في الصَّلاحِ ففيه نزغَةُ الاعتزالِ ودسيسَةُ المعتزِلي.

قولُه: (بالنِّعَم) أي: امتحَنَّاهُم بها.

قولُه: (عَن فِسْقِهِم) الأَولَى: عمَّا كانوا عليه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤٠).

(٢) انظر المصدر السابق.

١٦٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، وَرِثُوا الكِتابَ﴾: التوراة عن آبائهم، ﴿يأخُذُونَ عَرَضَ هذا الأدنَى﴾ أي: حُطامَ هذا الشيء الدنيّ، أي: الدنيا من حلال وحرام، ﴿ويَقُولُونَ: سَيُغفَرُ لَنا﴾ ما فعلناه. ﴿وإنْ يأتِهِم عَرَضٌ مِثلُهُ يأخُذُوهُ﴾. الجملة حال، أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مُصرّون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار.

﴿ألَم يُؤخَذْ﴾ ـ استفهام تقرير ـ ﴿عَلَيهِم مِيثاقُ الكِتابِ﴾، الإضافةُ بمعنى: «في»، ﴿ألاّ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاّ الحَقَّ، ودَرَسُوا﴾: عطفٌ على «يؤخذ» قرؤوا ﴿ما فِيهِ﴾؟.........

قالَ تعَالى: (﴿فَخَلفَ من بَعدِهِم خَلْفٌ﴾) أي: من بعدِ ذلك الجيلِ الذي فيه الصَّالحُ والطَّالحُ ﴿خلْفٌ﴾ بدَلُ سَوءٍ[1]، مصدَرٌ نُعِتَ به، ولذلك يقعُ على الواحدِ والجمعِ، والمرادُ به: الَّذين كانُوا في عصرِ رسُولِ اللهِ ﷺ.

قولُه: (عن آبَائِهم) أو أسلافِهِم يقرؤُونهَا ويقفونَ على ما فيها.

قولُه: (الدَّنيِّ) من الدُّنوِّ أو الدَّناءَةِ.

قولُه: (مِن حَلالٍ وحَرَامٍ) أو من الرُّشَا في الحُكومَةِ، وعلى تحريفِ الكلِمِ.

قولُه: (والجُملَة) أي: جُملَة ﴿وَيقُولونَ﴾ حالٌ من فاعِلِ: ﴿وَرثوا﴾.

قولُه: (أي يَرجُونَ المغفِرَة...) إلخ، جعلَ الزَّمخشريُّ الواو للحالِ[2] بهذا الوصْفِ الَّذي ذكَرهُ من أنَّ الغُفرانَ شرطُهُ التَّوبَة، وهو رأيُ المعتزلَةِ، والظَّاهِرُ: أنَّ هذه الجُملَة مستأنفَةٌ، والتَّقبِيحُ ليس لرجاءِ المغفرَةِ بل لجزمِهِم بالمسامحةِ.

قولُه: (وَعدُ المَغفِرَةِ) قد يقالُ: ولا عدَمُ رجائها، ولذا قالَ البيضاويُّ[3] في قولِه تعَالى: ﴿أن لا يَقُولُوا﴾ المرادُ: توبيخُهُم على البتِّ بالمغفرَةِ مع عدمِ التَّوبَة.

قولُه: (بمَعنَى: فِي) و﴿الكِتَابِ﴾ التَّوراةِ.

وقولُه تعالى: (﴿أن لا يقولوا﴾) عطفُ بيانٍ للميثاقِ، والاستثناءُ منقطِعٌ ألبَتَّة، فإنَّ معنَى قال عليه: افتراهُ، اللَّهمَّ إلا أن يُقالَ «على» بمعنى: «في»؛ أي: في حقِّهِ تعالى فحينئذٍ يكُونُ متَّصِلاً.

قولُه: (عَطفٌ على ﴿يؤخذ﴾) حقُّهُ أن يقُولَ: على أخذَ، وتوضيحُه: أنَّهُ عطفٌ على ﴿أَلَم يُؤخَذْ﴾ من حيثُ المعنَى فإنَّهُ تقرِيرٌ؛ أي: أخذَ عليهمُ الميثاقَ ودَرسُوا، وليس من عطفِ الإخبارِ على الإنشاءِ؛ لأنَّ الهمزَةَ

---

(١) المراد أن الخلف بتسكين اللام الخلف السيء انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٠٩)

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ١٧٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤١).

فلِمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ ﴿والدّارُ الآخِرةُ خَيرٌ لِلّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرامَ. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ أنها خير، فيؤثرونها على الدنيا؟ ١٧٠ ـ ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿بِالكِتابِ﴾ منهم، ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿إنّا لا نُضِيعُ أجرَ المُصلِحِينَ﴾. الجملة: خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي: أجرَهم.

١٧١ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ نَتَقْنا الجَبَلَ﴾: رفعناه من أصله ﴿فَوقَهُم، كأنَّهُ ظُلَّةٌ، وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أنَّهُ واقِعٌ بِهِم﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه، إن لم يَقبلوا أحكام التوراة.........

للإنكارِ لا لمحضِ الاستفهامِ، أو عطفٌ على: ﴿ورِثُوا﴾ و﴿ألم يؤخذ﴾ اعتراضٌ، أو الجملةُ حالٌ بتقدِيرِ: قد، أو بدُونِه.

قولُه: (بِنِسبَةِ المغفِرَةِ) أي: حتماً لا جَوازاً.

قولُه: (الحَرامُ) أو المعاصِي؛ يعنِي: ممَّا يأخذُ هؤلاءِ.

قولُه: (والتَّاء) الخطابُ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ على الالتفاتِ[1].

قولُه: (فَيُؤثِرُونَهَا) بالوجهَينِ.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) شُعبَة[2].

قولُه: (والجُملَةُ خَبرُ ﴿الذِينَ﴾) أو الخبرُ مقدَّرٌ؛ أي: لهم أجرُهم، والجملَةُ استئنافٌ فيه معنَى التَّعلِيل، ولذا كتبَ أربابُ الوقُوفِ وَقفاً مُطلَقاً على الصَّلاةِ[3].

قولُه: (ووَضْعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المضمَرِ) تنبيهاً على أنَّ الإصلاحَ كالمانعِ من التَّضيِيعِ، وإفرادُ الإقامَةِ لإنافتِهَا[4] على سائرِ أنواعِ التَّمسُّكاتِ، قالَهُ البيضاوِيُّ[5].

أو لأنَّها أمُّ العباداتِ وتنهَى عن السَّيِّئاتِ.

قولُه: (رفَعنَاهُ) أي: قلَعناهُ ورفعناهُ، وأصلُ النَّتقِ: الجَذبُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٦)، «حجة القراءات» (ص: ٣٠١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٣/ ٢٩٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٩٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠١).

(٣) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٨٠)، و«القطع والائتناف» (ص: ٢٦٥).

(٤) أناف على شيء: أي أشرف، انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٣٧).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤١).

ـ وكانوا أَبَوها لِثِقَلها ـ فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا ما آتيناكُم بِقُوَّةٍ﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿واذكُرُوا ما فِيهِ﴾ بالعمل به، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾.

١٧٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إِذْ﴾: حينَ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم﴾ ـ بدلُ اشتمال ممّا قبله بإعادة الجارّ ـ ....

قولُه: (واجتِهَادٍ) في العملِ به.

قولُه: (بالعَمَلِ بِهِ) ولا تتركُوهُ كالمنسِيِّ.

قالَ تعالى: (﴿مِن بَنِي آدَمَ﴾) أي: من هذا النَّوعِ فشملَ آدمَ، ولا بدَّ من هذا التَّأويلِ؛ لأنَّ أخذَ الميثاقِ كان من الكُلِّ، وأيضاً كان قبلَ خلقِ بنِي آدمَ، ففي الحقيقةِ إنَّما أخذُهُ من ظَهرِ آدَمَ بواسطةٍ وغير واسِطةٍ على سبيلِ التَّناسُلِ، لكن في عيسى إشكالٌ، ولعلَّهُ داخلٌ في الوسطِ ولو بوسَطٍ، هذا الَّذي خَطرَ ببالِي ولم أرَ من ذكَرَه.

قولُه: (بَدَلُ اشتِمَال) وفي البيضاويِّ[1]: بدَلُ بعضٍ.

والمحاكَمةُ بينهُما لا تليقُ بمِثلي[2]، ولكِن ما لا يُدرك كلُّهُ لا يترَكُ كلُّهُ، فأقولُ وباللهِ التَّوفيقُ وبيدِهِ أزِمَّةُ التَّحقِيقِ:

إنَّ قولَ القاضِي أظهَرُ لفظاً لظُهُورِ بعضيَّةِ الظُّهورِ، وكلامُ الشَّيخِ أدقُّ معنًى، إذ بدلُ الاشتمالِ على ما حرَّرَهُ أربَابُ الكمالِ هو أن تكون بينهُ وبين المبدَلِ منه ملابسَةٌ بحيثُ توجبُ النِّسبةُ إلى المتبُوعِ النِّسبةَ إلى الملابِسِ إجمالاً، نحوُ: أعجَبنِي زيدٌ علمهُ، حيثُ يُعلَمُ ابتداءً أنَّه يكونُ زيدٌ معجباً باعتبارِ صفاتِه لا باعتبارِ ذاتِهِ، ويتضمَّنُ نسبةُ الإعجابِ إلى زيدٍ نسبتَهُ إلى صفةٍ من صفاتِهِ إجمالاً، وكذا في: سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ، بخلافِ: ضرَبتُ زيداً حمارَهُ، وضربتُ زيداً غلامَهُ؛ لأنَّ نسبةَ الضَّربِ إلى زيدٍ تامَّةٌ، ولا يلزَمُ في صحَّةِ النِّسبةِ اعتِبارُ غير زيدٍ، فيكونُ من بابِ بدَلِ الغلطِ فهذا أصلٌ ممهَّدٌ، فلنرجِعْ إلى المثالِ المذكُورِ فنقُولُ أوّلاً:

إنَّ الظَّهرَ ليس بعضَ بَني آدمَ حقيقَةً بل بعضَ أعضائهِ، ثمَّ نقولُ في الملابسَةِ: إنَّهُ لا يخفَى أنَّ نسبَةَ الأخذِ الَّذي بمعنَى الإخراجِ إلى بنِي آدمَ نسبةٌ إلى ظهورِهِم إجمالاً؛ لأنَّه يُعلَمُ ابتداءً أنَّ بنِي آدمَ مأخوذون لا باعتبارِ ذواتِهِم بل باعتبارِ أجسادِهِم وأعضائهِم، ويتضمَّنُ نسبَةُ الأخذِ إليهم نسبتَهُ إلى أعضائهِم إجمالاً، ولا شكَّ أنَّ النِّسبَةَ ليست تامَّةً؛ إذ لو قيل: وإذ أخذَ ربُّكَ من بَني آدَمَ ذرِّيَّتَهُم، ما استقامَ الكلامُ، كما لو قيل: أعجبَنِي زيدٌ، وسكتَ، ما أفادَ محلَّ الإعجابِ بخلافِ: أكلتُ الرَّغِيفَ نصفَهُ، فإنَّه لو لم يذكُرْ نصفَهُ كانت النِّسبَةُ تامَّةً، ثمَّ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤١).

(٢) في (م) و(ص): «المثلي»، وهي عبارة من المصنف تدل على خفض الجناح لأهل العلم، والتواضع منه رحمه الله.

﴿ذُرِّيَّاتِهِم﴾ بأن أخرج بعضهم من صُلبِ بعضٍ من صُلبِ آدمَ، نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذرّ بنَعمانَ يومَ عَرَفَةَ، ونصب لهم دلائل على رُبوبيّته وركّب فيهم عقلاً، ﴿وأشهَدَهُم علَى أنفُسِهِم﴾،....

رأيتُ أبا البقاءِ صرَّحَ في «إعرابِهِ»[1] بأنَّه بدَلُ الاشتمالِ، واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ.

قولُه: (﴿ذُرِّيَّاتِهِم﴾) بالجمعِ نافعٌ وبصرِيٌّ وشاميٌّ[2].

قولُه: (بنَعْمانَ) بالفتحِ، وادٍ في طريقِ الطَّائفِ يُخرِجُ إلى عرفاتٍ، قالَه الطِّيبيُّ[3].

قولُه: (يومَ عرَفَةَ) فيه إشارةٌ إلى المناسبةِ الاجتماعيَّةِ والتَّعريفيَّةِ وإكمالِ الأمُورِ الدِّينيَّة.

قولُه: (ونصَبَ لَهُم...) إلخ، هذا تلفيقٌ بين كلامِ السَّلفِ المؤيَّدِ بالأحاديثِ الصِّحاحِ وبين كلامِ الخلفِ، وبعضِ السَّلفِ وهو الحسنُ البصرِي[4]: أنَّ المرادَ بهذا الإشهادِ أنَّه خلقَهُم على فطرةِ الإسلامِ ونصبَ لهم دلائلَ التَّوحيدِ، ولظهُورِها صارَتْ بمنزلةِ أنَّه قيل لهُم: ﴿أَلَستُ بربِّكُم قالُوا بَلَى﴾ ومشَى عليه القاضِي[5]، ثمَّ قال: وقيل: لمَّا خلقَ الله آدمَ أخرجَ من ظهرِهِ ذرِّيَّةً كالذَّرِّ وأحياهُم وجعلَ لهم العقلَ والنُّطقَ وألهمَهُم ذلك؛ لحديثٍ رواهُ عمرُ رضي اللهُ عنه[6].

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٦٠٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠١).

(٣) انظر: «شرح المشكاة» (٢/ ٥٨٢).

(٤) روى أحمد في «مسنده» (١٦٣٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣١٣١)، والدارمي في «سننه» (٢٥٠٦)، وأبو بكر ابن الخلال في «السنة» (٨٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٦٦) عن الحسن بن أبي الحسن، حدَّثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربعَ غزوات قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قَتَلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتدَّ عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرية؟» فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناءَ المشركين؟ فقال: «إن خيارَكم أولادُ المشركين! ألا إنها ليست نسمة تُولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لِسَانها، فأبواها يهوِّدانها أو ينصرانها» قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه، قال: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: تابعه يونس عن الحسن ثنا الأسود بهذا على شرط الشيخين.

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤١).

(٦) رواه أبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٢٦)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٨٩٨) (٢)، وأحمد في «مسنده» (٣١١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: فيه إرسال.

قال: ﴿أَلَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بَلَى﴾ أنت ربّنا، ﴿شَهِدْنا﴾ بذلك. والإشهادُ لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ ـ بالياء والتاء في الموضعين ـ أيِ الكُفّارُ ﴿يَومَ القِيامةِ: إنّا كُنّا عَن هذا﴾ التوحيد ﴿غافِلِينَ﴾ لا نعرفه، ١٧٣ ـ ﴿أو يَقُولُوا: إنَّما أشرَكَ آباؤُنا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِنا، ﴿وكُنّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم﴾ فاقتدَينا بهم. ﴿أفتُهلِكُنا﴾: تُعذّبنا ﴿بِما فَعَلَ المُبطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشِّرك؟ المعنى: لا يُمكنهم الاحتجاج بذلك، مع إشهادهم على أنفُسهم بالتوحيد، والتذكيرُ به على لسان صاحب المُعجزة قائمٌ مقامَ ذكره في النفوس. ١٧٤ ـ ﴿وكَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نُبيِّنها مِثلَما بيّنّا المِيثاقَ ليتدبّروها ﴿ولَعلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عن كُفرهم. ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ﴿واتلُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿علَيهِم﴾ أيِ: اليهودِ ﴿نَبأَ﴾: خبرَ ﴿الَّذِي آتيناهُ آياتِنا، فانسَلَخَ مِنها﴾: خرج بكُفره كما تخرج الحيّة من جِلدها ـ وهو بَلعَمُ بنُ باعُوراءَ من عُلماء بني إسرائيل،

قولُه: (بِذَلِكَ) أي: بمضمُونِ ﴿بَلى﴾، وقيل: شَهِدنا كلامَ اللهِ تعالى، فلا يُحتاجُ حينئذٍ إلى تقديرِ: (والإشهَادُ).

قولُه: (لـ﴿أنْ﴾ لا) والأولَى: كراهَةَ ﴿أن يقُولُوا﴾.

(باليَاءِ) الغيبَة أبُو عَمرو[1]؛ لأنَّ أوّلَ الكَلامِ على الغيبَةِ.

قولُه: (قَبْلِنَا) أي: قَبلِ زمانِنا.

قولُه: (والتَّذكِيرُ بِهِ) ونصْبُ الأدلَّةِ على الرُّبوبيَّة.

قولُه: (في النُّفُوسِ) دَفعَ إيرادَ أنَّ اللهَ جعلَ علَّةَ أخذِ العهدِ: ألَّا يقُولُوا في القيامَةِ كذلك، فالواجبُ ألَّا ينسيهُمُ اللهُ هذا العهدَ، حتَّى تكُونَ له فائدةٌ، وإلَّا فهو كأن لم يكُن.

قولُه: (نُبيِّنُهَا) أي: الآياتِ المنصُوبةَ والمتلُوَّةَ.

قولُه: (ليتدَبَّرُوهَا) أو لفوائدَ جمَّةٍ، إشارةٌ إلى أنَّ قولَه: ﴿ولَعلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عطفٌ على مُقدَّرٍ.

قولُه: (أي: اليَهُودِ) أو قَومِك.

قولُه: (وهوَ بلعَمُ) عليه الأكثرونَ، وكانَ عالِماً باسمِ اللهِ الأعظَمِ، وقد صحَّ عن عبدِ الله بنِ عَمرو: أنَّ المرادَ أميَّةُ بنُ [أبي] الصَّلتِ[2]، فقيل: مرادُ ابنِ عَمرو أنَّه يشبهُهُ في كثرَةِ علمِهِ وتتبُّعهِ كتُبَ الأوائلِ، ومع ذلك

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٢)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٠).

سُئل أن يدعو على مُوسى وأُهدي إليه شيء، فدعا فانقلب عليه واندلعَ لسانُه على صدره ـ ﴿فأتبَعَهُ الشَّيطانُ﴾: فأدركه فصار قرينه، ﴿فكانَ مِنَ الغاوِينَ، ولَو شِئنا لَرَفَعْناهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِها﴾ بأن نُوفّقه للعمل، ﴿ولكِنَّـهُ أخلَدَ﴾: سكن ﴿إلَى الأرضِ﴾ أيِ: الدنيا ومال إليها، ﴿واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في دُعائه إليها فوضعناه.

﴿فمَثَلُه﴾: صِفتُه ﴿كَمَثَلِ الكَلبِ، إن تَحمِلْ عَلَيهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلهَثْ﴾: يَدلعْ لسانَه، ﴿أو﴾ إن ﴿تَترُكْهُ يَلهَثْ﴾..

صارَ إلى موالاةِ المشركينَ ومُناصرَتِهم، ويؤيِّدُ هذا التَّأويلَ ما رويَ عن قتادةَ[1] قالَ: هذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ لمن عُرِضَ عليه الهُدَى فأَبَى أن يقبلَهُ وتركَهُ.

قولُه: (علَى مُوسَى) وجنُودِه فأَبَى، ثمَّ ألحُّوا فألحُّوا.

قولُه: (فانقَلَبَ) وقيل: فقبلَ الله، فبقُوا في التِّيهِ ثمَّ دعَا مُوسَى عليه فنُزِعَ عنه الإيمانُ، وقال بعضُهم: ما يسَّرَ اللهُ لهُ الدُّعاءَ على مُوسَى لكن قالَ لهم: أخرجُوا النِّساءَ يستقبلهم، فعسى أن يَزنُوا ففعَلُوا فوَقعَ واحِدٌ من بَني إسرائيلَ في الزِّنَا فنزلَ عليهم الطَّاعُونُ فقتلَ أحَدُ علمائهِم الزَّانِيَ فكُشِفَ عنهم العذابُ، قيل: فحُسبَ من هلكَ في الطَّاعُونِ في ساعةٍ من النَّهارِ فوجدَ سبعينَ ألفاً، هكذا رواهُ ابنُ جريرٍ وابنُ عساكرٍ ومحمَّدُ بنُ إسحاقَ وغيرُهم[2].

قولُه: (فأدرَكَهُ) الأظهرُ: حتَّى لحقَهُ، وقيل: استتبَعهُ.

وقولُه تعالى: (﴿فكَانَ من الغَاوِين﴾) فصارَ من الضَّالِّين.

قولُه: (إلى مَنازِلِ العُلمَاءِ) وقولُه تعالى: (﴿بِهَا﴾) أي: بسببِ تلك الآياتِ وملازمَتِها.

وقولُه: (بأَن نوفِّقَهُ) بيانُ الرَّفعِ.

قولُه: (أي: الدُّنيَا) وزخارِفِها فإنَّ جميعَ زخارِفِهَا من الأرضِ، أو إلى السُّفالَةِ[3].

قولُـه: (فـي دُعَائـِهِ) أي: هواهُ إلى الدُّنيَـا بإيثارِهَا وأَخْذِ الرَّشـوَةِ واستِرْضاءِ قومِهِ وإعراضِـهِ عن مقتَضَى الآياتِ.

قولُه: (يَدْلَعْ لسَانَهُ) من شدَّةِ التَّنفُّس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٤٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٤٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٣) السفالة ـ بالضم ـ: نقيض العلوّ، وبالفتح: النذالة. «مختار الصحاح» (ص: ١٤٩).

وليس غيره من الحيوان كذلك. وجملتا الشرط حال، أي: لاهثًا ذليلاً بكُلّ حال. والقصد التشبيه في الوضع والخِسّة بقرينة الفاء المُشعرة بترتّب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتّباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذلِكَ﴾ المَثَل ﴿مَثَلُ القومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا ـ فاقصُصِ القَصَصَ﴾ على اليهود، ﴿لَعَلَّهُم يَتَفكَّرُونَ﴾: يتدبّرون فيها فيُؤمنون ـ ١٧٧ ـ ﴿ساءَ﴾: بئس ﴿مَثَلاً القَومُ﴾ أي: مَثَلُ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، وأنفُسَهُم كانُوا يَظلِمُونَ﴾ بالتكذيب! ١٧٨ ـ ﴿مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

١٧٩ ـ ﴿ولَقَد ذَرَأْنا﴾: خلقنا ﴿لِجَهنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ والإنسِ، لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِها﴾ الحقَّ، ﴿ولَهُم أعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِها﴾ دلائلَ قُدرة الله بصَرَ اعتبار، ﴿ولَهُم آذانٌ لا يَسمَعُونَ بِها﴾ الآياتِ والمواعظَ سماعَ تدبّر واتّعاظ. ﴿أُولئِكَ كالأنعامِ﴾ في عدم الفِقه والبصر والاستماع، ﴿بَل هُم أضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مَضارّها، وهؤلاء يُقدمون على النار مُعانَدةً. ﴿أُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾.

قولُه: (كذلِكَ) بأن يلهَثَ دائماً وذلك لضعفِ فؤادِهِ؛ أي: مَثَلُهُ في أن وعظتَهُ أو تركتَهُ فهو على الضَّلالِ، وقلبُ الكافرِ ضعيفٌ، وقيل: لمَّا دَعا على مُوسَى خرجَ لسانُه فوقَعَ على صَدرِهِ وجعلَ يلهَثُ كالكلبِ، وقيل: انقلبَتْ صورَتُه صورَةَ الكَلبِ، ولذا قيل: يدخلُ النَّارَ في صورَةِ كلبِ أصحابِ الكهفِ، وكلبُهم يدخلُ الجنَّةَ في صُورةِ الإنسانيَّةِ.

قولُه: (علَى اليَهُودِ) أو على كفَّارِ مكَّةَ.

قولُه: (أي: مَثلُ القَومِ) بحذفِ المُضافِ.

قولُه: (خلَقنَا) ولامُ ﴿لجهَنَّم﴾ لامُ العاقبَةِ، فإنَّ الجنَّ والإنسَ خلِقُوا للعبادةِ، ويمكِنُ أن تكونَ الألفُ واللَّامُ في الآيتينِ للعهدِ، وإليه أشارَ القاضِي بقولِهِ[1]: يعنِي: المصِرِّينَ على الكُفرِ في علمِهِ تعالى.

قولُه: (بَصَرَ اعتِبَارٍ) الأولَى: إبصارَ اعتبارٍ.

قولُه: (في عَدَمِ الفِقْهِ) أي: معرفَةِ الحقِّ.

قولُه: (والبَصَرِ) والأظهرُ: والإبصارِ للاعتبارِ.

وقولُه: (والاستِمَاعِ) أي: للتَّدبُّرِ، أو كالأنعامِ في أنَّ مشاعِرَهُم وقُوَاهُم متوجِّهَةٌ إلى أسبابِ التَّعيُّشِ مقصُورَةٌ عليها قالَ تعَالى: ﴿يَأكُلُونَ كمَا تَأكُلُ الأَنعَامُ﴾ [محمد: ١٢] لكمالِهِم في الغفلَةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤٣).

١٨٠ ـ ﴿و للهِ الأسماءُ الحُسنَى﴾ التِّسعةُ والتِّسعون الواردُ بها الحديثُ، والحُسنى: مُؤنّث الأحسَن. ﴿فادعُوهُ﴾: سمُّوه ﴿بها، وذَرُوا﴾: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلحِدُونَ﴾، مِن: ألحَدَ ولَحَدَ: يَميلون عن الحقّ ﴿في أسمائِهِ﴾ حيثُ اشتقّوا منها أسماء لآلهتهم: كاللاّتِ من الله، والعُزّى من العزيز، ومَناةَ من المنّان. ﴿سَيُجزَونَ﴾ في الآخِرة جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾. وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٨١ ـ ﴿ومِمَّن خَلَقْنا أُمّةٌ يَهدُونَ بِالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ﴾ ـ هم أُمّة مُحمّد ﷺ كما في حديثٍ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القرآنِ من أهل مكّة ﴿سَنَستَدرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ، وأُملِي لَهُم﴾: أُمهِلُهم. ﴿إنَّ كَيدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يُطاق.

١٨٤ ـ ﴿أوَلَم يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا: ﴿ما بِصاحِبِهِم﴾ مُحمّد ﴿مِن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ، ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار؟ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ﴿أوَلَم يَنظُرُوا في مَلَكُوتِ﴾: مُلكِ..............

قولُه: (الوَارِدُ) وسيرِدُ في آخرِ الإسراءِ.

قولُه: (مؤنّثُ الأَحسَن) أي: هي أحسَنُ الأسماءِ؛ لأنّها دالّةٌ على مَعانٍ هي أحسَنُ المعانِي وليسَتْ منحَصِرَةً في التِّسعةِ والتِّسعِينَ، فالمرادُ بها: الألفاظُ، وقيل: الصِّفاتُ.

قولُه: (ولَحَدَ) من بابِ عَلِمَ، قراءَة حمزَة[1].

قولُه: (وهَذا) أي: اترُكُوا؛ يعنِي: إن لم يكُنْ للتّهديدِ، ومحلُّ هذا قبلَ: ﴿سيُجزَونَ﴾.

قولُه: (مِن أَهلِ مَكّة) وغيرهم.

قولُه: (نأخُذُهُم) أو نُدْنيهِم إلى الهلاكِ، وأصلُ الاستدراجِ: الاستصعادُ والاستنزالُ درجَةً بعد درجةٍ.

وقولُه تعالى: (﴿مِن حيثُ لا يعلَمُون﴾) أي: كُلّما جدَّدُوا معصِيةً جدَّدنا لهم نعمَةً ونُنسيهم الاستغفارَ من الخطيئةِ والشُّكرَ على النِّعمَةِ، حتَّى يظنُّوا أنّها لطفٌ من اللهِ بهم فيزدادُوا بَطراً حتَّى تحقَّ عليهم كلمَةُ العذابِ.

قولُه: (أُمهِلُهم) ليزدادُوا ضلالاً بعد ضَلالٍ.

قولُه: (شَدِيدٌ) أي: أخذِي، وإنَّما سمَّاهُ كَيداً؛ لأنَّ ظاهرَهُ إحسانٌ وباطِنهُ خِذلانٌ.

قولُه: (بَيِّنُ الإنذَارِ) أو مُوضِحُ إنذارِهِ بحيثُ لا يخفَى على ناظرٍ.

قولُه: (مُلْكِ) أي: مُلكِها وربوبِيَّتِها، وقيل: عجائبِها، والتّاءُ للمُبالغَةِ، قيل: النَّظرِ في الملكُوتِ يورِثُ الاعتبارَ، والنَّظرُ إلى الملِكِ يسقطُ عنكَ الاشتغالَ بالأغيارِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٦).

﴿السَّماواتِ والأرضِ و﴾في ﴿ما خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾ ـ بيانٌ لـ «ما» ـ فيستدلّوا به على قُدرة صانعه ووحدانيّته، ﴿و﴾ في ﴿أنْ﴾ أي: أنّه ﴿عَسَى أن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ﴾: قرُبَ ﴿أجَلُهُم﴾ فيموتوا كُفّارًا فيصيروا إلى النار، فيُبادروا إلى الإيمان؟ ﴿فبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ أي: القرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ﴾؟ ﴿مَن يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ لَهُ، ويَذَرُهُم﴾ ـ بالياء والنون مع الرفعِ استئنافًا، والجزمِ عطفًا على محلّ ما بعد الفاء ـ ﴿في طُغيانِهِم يَعمَهونَ﴾: يتردّدون تحيُّرًا.

وقولُه: (﴿و﴾ فِي) يعنِي: عَطفٌ على: ﴿مَلكُوت﴾.

قولُه: (بَيانٌ لـ﴿مَا﴾) وتفسِيرُ ﴿مَا﴾ الَّذي بمَعنى شيءٍ بشيءٍ للإشارَةِ إلى أنَّ المرادَ بـ﴿ما﴾ عام؛ أي: أيُّ شيءٍ.

فَفِـي كُـلِّ شَـيءٍ لَـهُ آيَـةٌ　　　تَـدُلُّ عَلَـى أنَّـهُ واحِـدٌ[1]

قولُه: (ووحدَانيَّتِهِ) وعِظَمِ شَأنِ مالِكِه ليظهَرَ لهم صحَّةُ ما يدعوهُم إليه.

قولُه: (﴿و﴾ في ﴿أنْ﴾) إشارةٌ إلى أنَّهُ عَطفٌ على: ﴿ملكُوت﴾.

قولُه: (أي: أنَّهُ) يعنِي: ﴿أن﴾ خفيفَةٌ من الثَّقيلةِ، واسمُه: ضميرُ الشَّأنِ، وكذا اسمُ ﴿يكُونُ﴾، وجُوِّزَ أن تكونَ مصدريَّةً (فيمُوتُوا) عطفٌ على: ﴿يكُون﴾.

قولُه: (فيُبَادِرُوا) نصبٌ على جوابِ الاستفهامِ؛ يعنِي: أوَلَم ينظُرُوا في اقترابِ آجالِهِم وتوقُّعِ حُلولِها فيُسارِعُوا إلى طلبِ الحقِّ والتَّوجُّهِ إلى ما يُنجيهِم قبلَ مُفاجأةِ الموتِ ونُزولِ العذابِ.

قولُه: (أي: القُرآنِ) يعنِي: إذا لم يؤمنُوا به وهو النِّهايةُ في البيانِ.

قولُه: (بالياءِ) التَّحتانيَّة بصرِيٌّ وكُوفيٌّ[2].

قولُه: (والجَزمِ عَطفاً على) الرَّفع، حَمزَة والكِسائِي[3].

قولُه: (مَا بَعدَ الفاءِ) كأنَّهُ قيل: من يُضللِ اللهُ لا يهدِه أحدٌ غيرُه ويذَرْهُم.

قولُه: (يَتردَّدُونَ) حالٌ من «هم».

---

(١) انظر: «ديوان أبي العتاهية» (ص: ١٢٢).

(٢) قرأ أبو عمرو وكذلك عاصم في رواية أبي بكر وحفص عن عاصم: ﴿ويذرهم﴾ بالياء والرفع، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٧).

(٣) أي: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ويذرهم﴾ بالياء مع الجزم، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٠٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٧).

١٨٧ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿عَنِ السّاعةِ﴾ القِيامة: ﴿أيّانَ﴾: متى ﴿مُرْساها؟ قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما عِلمُها﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي، لا يُجَلِّيها﴾: يُظهرُها ﴿لِوَقتِها﴾ ـ اللام بمعنى: في ـ ﴿إلاّ هُوَ. ثَقُلَتْ﴾: عظُمت ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾ على أهلهما لهولها، ﴿لا تأتِيكُم إلاّ بَغْتةً﴾: فَجْأة. ﴿يَسألُونَكَ، كأنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مُبالِغ في السُّؤال ﴿عَنها﴾ حتّى علمتَها. ﴿قُلْ: إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ﴾ ـ تأكيدٌ ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ أنّما عِلمُها عِنده تعالى.

١٨٨ ـ ﴿قُلْ: لا أملِكُ لِنَفسِي نَفعًا﴾ أجلِبه ﴿ولا ضَرًّا﴾ أدفعه، ﴿إلاّ ما شاءَ اللهُ، ولَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ﴾: ما غابَ عنّي ﴿لَاستكثَرتُ مِنَ الخَيرِ، وما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾..........................

قولُه: (القِيَامَة) وهي من الأسماءِ الغالِبةِ، وإطلاقُها عليها إمَّا لوقُوعِها بغتَةً أو لسُرعَةِ حِسابِها، أو لأنَّها على طُولِها عندَ اللهِ كساعَةٍ.

قولُه: (متَى) وأصلُهُ: أيُّ آنٍ تكونُ.

وقولُه تعالى: (﴿مُرسَاهَا﴾) أي: إرساؤُهَا وإثباتُهَا، نزلَت في قُريش كانوا يسأَلونَ وقتَها استبعاداً لوقُوعِها.

وقولُه (﴿عندَ ربِّي﴾) يعنِي: استأثَرَ به لم يُطلِعْ عليه مَلَكاً مقرَّباً ولا نبيًّا مُرسلاً.

قولُه: (يُظهِرُهَا) أي: أمرَها، والمعنَى: أنَّ الخفاءَ بها مستمِرٌّ على غيرِه إلى وقتِ وقُوعِها.

قولُه: (على أَهلِهَا) وفي نُسخَةٍ: «أهلِهما» أي: من الملائكةِ والثَّقلينِ، وكأنَّه إشارَةٌ إلى الحكمَةِ في إخفائها، وقيل: ثقُلَتْ عليهما عند الوقُوعِ حتَّى انشقَّتْ وانهدمَتْ، وقيل: ثقُلَ خفاؤُها على أهلِها، وقيل: معناهُ خفيَتْ وكُلُّ خفِيٍّ ثقيلٌ.

قولُه: (فجأَةً) على غفلَةٍ، ونصبُه على المصدَرِ فإنَّها نوعٌ من الإتيانِ.

قولُه: (مبَالِغٌ) أي: عالمٌ بها، فإنَّ من بالغَ في السُّؤالِ استحكمَ علمُه عنه.

قولُه: (تأكِيدٌ) ومبالغَةٌ، أو كرَّرهُ لتكريرِ ﴿يسألُونَكَ﴾ لما نيطَ به من هذه الزِّيادةِ.

قولُه: (عندَهُ) مختَصٌّ به.

قولُه: (أَجلِبُهُ) الأظهرُ: جَلْبَ نفعٍ ولا دَفْعَ ضُرٍّ، وهو إظهارٌ للعبُوديَّةِ والتَّبرُّءِ عن ادِّعاءِ العلمِ بالغيُوبِ.

وقولُه: (﴿إلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾) أي: من ذلك الجَلبِ والدَّفعِ فيلهِمُنِي إيَّاه ويوفِّقُني له، فالاستثناءُ متَّصِلٌ، أو لكن ﴿مَا شاءَ﴾ يصِلُ فمُنقطِعٌ.

من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضارّ. ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنا إلاّ نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وبَشِيرٌ﴾ بالجنّة ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾.

١٨٩ ـ ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدةٍ﴾ أي: آدم، ﴿وجَعَلَ﴾: خلقَ ﴿مِنها زَوجَها﴾ حوّاء ﴿لِيَسكُنَ إلَيها﴾ ويألفَها، ﴿فلَمّا تَغَشّاها﴾: جامعَها ﴿حَمَلَت حملاً خَفِيفًا﴾ هو النُّطفة، ﴿فمَرَّتْ بِهِ﴾: ذهبت وجاءت لخِفّته، ....

قولُه: (مِن فَقرٍ) فلم أكُنْ غالِباً مرَّةً ومغلُوباً أُخرَى، ورابِحاً وخاسِراً في التِّجارةِ، ولعلَّ هذا باعتبارِ فهمِ المخاطبينَ وزعمِ المنكرِينَ، وإلا فاطِّلاعُ بعضِ الغيُوبِ من الأمورِ المقدَّرةِ لا توجبُ تيسيرَ عَسيرٍ وجلبَ نفعٍ ودفعَ ضُرٍّ، نزلَتْ حينَ قالت قريشٌ: ألا تعلَمُ الرُّخصَ قبلَ الغلاءِ فتشتَرِي وتربحَ، والأرضَ التي تُرِيدُ أن تُجدِبَ وترتحلَ إلى المخصبةِ[1].

وقيل: ﴿الغَيْبَ﴾ الأجَل و﴿الخَيرِ﴾ العَمل و﴿السُّوءُ﴾ الوَجَل، ولا شَكَّ أنَّ ﴿ما مسَّنِيَ﴾ عطفٌ على: ﴿استكثَرْتُ﴾ فما ذكرَهُ أربابُ الوقُوفِ من أنَّ بينهما مُعانقَةً غيرُ صحيحٍ.

قولُه: (للكَافِرِينَ) أشارَ إلى أنَّ متعلَّقَ الـ﴿نَذِيرٌ﴾ محذُوفٌ، والمذكُورُ متعَلِّقُ البَشيرِ، أو المعنَى: وما أنا إلا عَبدٌ مرسَلٌ للإنذَارِ والبِشارَةِ لقَومٍ يؤمنُونَ، فإنَّهُم المنتفِعُونَ بهما.

قولُه: (حوَّاءَ) أي: من جسدِ آدمَ من ضِلْعٍ من أضلاعِهِ اليُسرَى.

قولُه: (يألَفهَا) ويأنَسُ بها اطمئنانَ الشَّيءِ إلى جزئِهِ، وإنَّما ذكَّرَ الضَّميرَ ذَهاباً إلى المعنَى.

قولُه: (هوَ النُّطفَةُ) فالحملُ بمعنَى المحمُولِ، أو المعنَى: حَمْلاً خفَّ عليها ولم تلقَ منهُ ما تلقَى منه الحوامِلُ غالِباً من الأذَى.

قولُه: (ذَهَبتْ وجاءَتْ) هذا يلائمُ القراءَةَ الشَّاذَّةَ[2]: «فمَارَتْ» من المَوْرِ، وهو المجيءُ والذَّهابُ، وأمَّا على القراءةِ المتواترَةِ فمعناهُ: استمرَّتْ به قامَتْ وقعدَتْ.

قولُه: (لخفَّتِهِ) أي: الحملِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص: ٢٢٨)، وروي عن ابن عباس، في قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ [الأعراف: ١٨٨]، قال: لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر.
رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٩).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٢/ ٢٣٨)، و«تفسير ابن عطية» (٢/ ٤٨٦)، و«زاد المسير» (٢/ ١٧٧)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢٤٦)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٣٤)، و«اللباب في علوم الكتاب» (٩/ ٤١٧)، وبعضهم عزاها لعبد الله بن عمرو بن العاص والجحدري.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ بكِبَر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمةً ﴿دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا: لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولدًا ﴿صالِحًا﴾: سَوِيًّا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

١٩٠ ـ ﴿فَلَمَّا آتاهُما﴾ ولدًا ﴿صالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾، وفي قراءة بكسر الشين والتنوين، أي: شَريكًا ﴿فِيما آتاهُما﴾ بتسميته عبدَ الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلا لله، وليس بإشراك..........

قولُه: (بكِبَرِ الوَلَدِ) أي: صارَتْ ذا ثقَلٍ، وقرِئَ[1] بالبناءِ للمفعُولِ؛ أي: أثقلَها حملُها.

قولُه: (وأشفَقَا) إشارةٌ إلى ما نُقِلَ أنَّ حوَّاءَ لمَّا حملَتْ أتاها إبليسُ في غيرِ صُورَتِهِ فقال لها: ما يُدريكِ ما في بطنِكِ لعلَّهُ بهيمَةٌ؟ وما يُدريكِ من أين يخرُجُ؟ فخافَتْ من ذلك وذكرَتْ لآدمَ فهمَّا منه ثمَّ عاد إليها، وقال: إنِّي من الله بمنزلَةٍ، فإن دعَوتُ اللهَ أن يجعلَهُ خَلقاً مثلَكَ ويسهِّلَ عليك خروجَهُ فسمِّيهِ عبدَ الحارثِ ـ وكانَ اسمُه: حارِثاً، في المَلِكيَّة ـ ففعلَتْ، فلمَّا ولدَتْ سمَّياهُ: عبدَ الحارثِ[2].

(سَوِيًّا) قد صلُحَ بدنُهُ، أو بَشراً سوِيًّا وهو الأنسَبُ للإشفاقِ المذكُورِ.

قولُه: (علَيهِ) أي: على هذا الإيتاءِ؛ يعنِي: على هذِه النِّعمَةِ المجدَّدةِ.

قولُه: (وفي قرَاءَةٍ) لنافعٍ وشُعبَةَ[3].

قولُه: (أي: شَرِيكاً) الظَّاهِر: أي شَرِكةً، بأن أشرَكا فيه غيرهُ، أو ذوِي شِركةٍ وهم الشُّركاءُ.

قولُه: (ليسَ بإشرَاكٍ) أي: حقيقيٍّ؛ لأنَّهما ما اعتقَدا أنَّ الحارثَ ربُّهُ بل قصَدا إلى أنَّه سببُ صلاحِهِ، فسمَّاهُ الله تعالى شِرْكاً للتَّغليظِ، فإنَّ الذَّنبَ من العارفِينَ المقرَّبينَ أشدُّ وأعظَمُ، فالشِّركُ الخفيُّ منهم بمنزِلَة

---

(١) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «الكشاف» (٢/ ١٨٦)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ٤٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٣٥) ولم يعزها أحد إلى قائلها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٢) عن سعيد بن جبير.
وروي بنحوه مرفوعاً، رواه الترمذي (٣٠٧٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٠١١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥٥١٣)، والروياني في «مسنده» (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٥) (٦٨٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٣) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ولكن الحافظ ابن كثير قد أعله من ثلاثة أوجه ذكرها في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١١١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٤).

في العبوديّة لعِصمة آدمَ. وروى سمُرةُ عن النبيّ ﷺ قال: «لَمّا وَلَدَتْ حَوّاءُ طافَ بِها إبلِيسُ ـ وكانَ لا يَعِيشُ لَها وَلَدٌ ـ فقالَ: سَمِّيهِ عَبدَ الحارثِ. فإنّهُ يَعِيشُ. فسَمّتْه فعاشَ، فكانَ ذلِكَ مِن وَحيِ الشَّيطانِ وأمرِهِ». رواه الحاكمُ وقال: صحيحٌ، والترمذيُّ وقال: حسن غريب. ﴿فتعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ أي: أهلُ مكّة به من الأصنام! والجملة: مُسبَّبةٌ عطفٌ على «خلقكم»، وما بينهما اعتراض.

١٩١ ـ ١٩٢ ـ ﴿أيُشرِكُونَ﴾ به في العِبادة ﴿ما لا يَخلُقُ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ، ولا يَستَطِيعُونَ لَهُم﴾ أي: لعابدِيهم ﴿نَصرًا، ولاأنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممّن أراد بهم سوءًا من كسر أو غيره؟ والاستفهام للتوبيخ. ١٩٣ ـ ﴿وإن تَدعُوهُم﴾ أي: الأصنامَ ﴿إلَى الهُدَى لا يَتَّبِعُوكُم﴾، بالتشديد والتخفيف.

الجليّ، ويكونُ لفظُ: ﴿شركاء﴾ من إطلاقِ الجمعِ على الواحدِ، ويحتملُ أن يقالَ: إنَّهُما لمَّا فعَلا ذلك اقتدَى بهما بعضُ النَّاسِ في ذلك فسمَّوا أولادَهُم: عبدَ شَمسٍ، ونحوه، فنُسِبَ إليهما كلُّ ذلك لتسبُّبهما، ثمَّ قالَ تعالى: ﴿فتعالى الله﴾ نَظراً إلى الحقيقةِ، وأنَّ الفعلَ منهما ومن أولادِهِما فنُسِبَ إلى الكُلِّ.

قولُه: (لعِصمَةِ آدَمَ) ولحفظِ حوَّاءَ.

قولُه: (فسَمَّتْهُ) عبدَ الحارثِ بإذنٍ من آدَمَ ولم تعرِفْ حوَّاء أنَّه إبليسُ.

قولُه: (أي: أَهلُ مكَّةَ) وغيرُهُم.

وقولُه: (بِهِ) متعَلِّقٌ بـ﴿يُشرِكُون﴾ و(مِنَ الأصنَام[١]) بيانُ ﴿ما﴾.

قَالَ تعالى: (﴿وَهُم يَخلُقُون﴾) الضَّمِيرُ للأصنامِ جيءَ به على تسمِيَتِهِم إيَّاها آلهَةً.

قولُه: (أي: الأصنَامَ) فالخطابُ للمشرِكينَ؛ أي: إن تدعُوهُم إلى أن يهدُوكُم لا يتَّبعُوكُم إلى مرادِكُم ولا يجِيبُوكُم[٢] كما يجيبُكُم اللهُ، أو المعنَى: وإن تدعُوا المشركينَ إلى الإسلامِ، فالخطابُ له ﷺ ومَن تبعَهُ، والأوَّلُ أوفَقُ لما بعدَهُ من قولِهِ: ﴿سَواءٌ علَيكُم﴾ ومِنْ قوله: ﴿وإن تدعُوهُم إلى الهُدَى لا يَسمَعُوا﴾ [الأعراف: ١٩٨] الآيَة.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) وفتحِ الباءِ، نافعٌ[٣].

---

(١) في الأصول: «الأصناف» وما أثبته من المصدر.

(٢) في الأصول: «يجيبكم» والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١١٣)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٥).

﴿سَواءٌ عَلَيكُم أدَعَوتُمُوهُم﴾ إليه ﴿أم أنتُم صامِتُونَ﴾ عن دُعائهم، لا يتّبعوه لعدم سماعهم. ١٩٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ عِبادٌ﴾ مملوكة، ﴿أمثالُكُم. فادعُوهُم، فلْيَستَجِيبُوا لَكُم﴾ دُعاءكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنها آلهة. ثمّ بيّن غايةَ عجزهم وفضلَ عابديهم عليهم، فقال: ١٩٥ ـ ﴿ألَهُم أرجُلٌ يَمشُونَ بِها، أم﴾: بل أ ﴿لَهُم أيدٍ﴾: جمع يد ﴿يَبطِشُونَ بِها؟ أم﴾: بل أ ﴿لَهُم أعيُنٌ يُبصِرُونَ بِها؟ أم﴾: بل أ ﴿لَهُم آذانٌ يَسمَعُونَ بِها﴾؟ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك، ممّا هو لكم. فكيف تعبدونهم، وأنتم أتمُّ حالاً منهم؟

﴿قُلِ﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿ادعُوا شُرَكاءَكُم﴾ إلى هلاكي، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ، فلا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ. فإني لا أُبالي بكم. ١٩٦ ـ ﴿إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ﴾: يتولّى أُموري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ﴾: القُرآن، ﴿وهُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ﴾ بحِفظه، ١٩٧ ـ ﴿والَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ لا يَستَطِيعُونَ نَصرَكُم، ولا أنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾. فكيف أبالي بهم؟..

قولُه: (إلَيهِ) أي: إلى الهُدَى، وكذا ضميرُ (لا يتّبِعُوه).

قولُه: (تَعبُدُون) أي: تعبدُونَهُم وتسمُّونَها آلهَةً.

قولُه: (مملُوكَةٌ) مسخَّرَةٌ.

قولُه: (في أنَّهَا) الأظهرُ: في أنَّهُم.

قولُه: (إلى هَلَاكِي) أي: استَعينُوا بهم في عَداوَتي.

وقولُه تعالى: (﴿ثمَّ كِيدُون﴾) أي: فبالغُوا فيما تقدرُونَ عليه من مكرُوهي أنتم وشركاؤُكُم، قرأَ أبُو عَمرو بإثباتِ الياءِ وصلًا وهشامٌ مُطلَقاً، والباقُونَ بالحذفِ مُطلَقاً[1].

قولُه: (فإنِّي لا أُبالِي) لوُثوقِي على ولايَةِ اللهِ وحفظِهِ.

قولُه: (بحفْظِهِ) الظَّاهرُ: يحفَظُهُم، إمَّا بالموحدةِ مصدراً أو بالتَّحتانيَّتينِ فِعلاً؛ يعنِي: ومن عادتِه تعالى أن يتوَلَّى الصَّالحينَ من عبادِهِ فَضلاً عن أنبيائِه، قالَ الواسطِي[2]: يتَولَّى الصَّالحينَ بالوِقايةِ ويتَولَّى الفاسِقينَ بالغوايَةِ.

قولُه: (فكَيفَ أُبالي) يعنِي: أنَّه من تمامِ التَّعليلِ لعدمِ مُبالاتِهِ بهم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٩٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١١٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٨).

(٢) وانظر: «تفسير السلمي» (١/ ٢٦٠).

١٩٨ ـ ﴿وإن تَدعُوهُم﴾ أي: الأصنامَ ﴿إلَى الهُدَى لا يَسمَعُوا. وتَراهُم﴾ ـ يا مُحمّد ـ أي الأصنامَ ﴿يَنظُرُونَ إلَيكَ﴾ أي: يُقابلونك كالناظر، ﴿وهُم لا يُبصِرُونَ﴾.

١٩٩ ـ ﴿خُذِ العَفوَ﴾: اليُسرَ من أخلاق الناس، ولا تبحث عنها، ﴿وَاْؤمُرْ بِالعُرفِ﴾: المعروف، ﴿وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾ فلا تُقابلْهم بسَفَههم، ٢٠٠ ـ ﴿وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّةِ في «ما» المزيدةِ ـ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يَصرفْك عمّا أُمِرتَ به صارف ﴿فاستَعِذْ بِاللهِ﴾: جوابُ الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدفعْه عنك. ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفِعل.

٢٠١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إذا مَسَّهُم﴾: أصابَهم ﴿طَيفٌ﴾، وفي قراءة: «طائفٌ»، أي: شيء ألَمَّ بهم ﴿مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا﴾ عِقابَ الله وثوابه، ﴿فإذا هُم مُبصِرُونَ﴾ الحقَّ من غيره فيرجعون، ٢٠٢ ـ ﴿وإخوانُهُم﴾ أي: إخوان الشياطين..........................

قولُه: (كالنَّاظِرِ) لأنَّهم صُوِّرُوا بصُورةِ من ينظُرُ إلى من يواجِهُه.

قولُه: (اليُسْر) أي: خُذ ما عَفا لك من أفعالِ النَّاسِ وسهُلَ، ولا تطلُبْ ما يشُقُّ عليهم من العفوِ الَّذي هو ضدُّ الجَهدِ.

قولُه: (المَعرُوفِ) المستحسَنِ من الأفعالِ.

قولُه: (فَلا تُقَابِلْهُم) أي: بالمماراةِ والمكافأةِ، وهذه الآيةُ جامعَةٌ لمكارِمِ الأخلاقِ، آمرَةٌ للرَّسُولِ ﷺ باستجماعِهَا، وقد وردَ في تفسِيرِها: «أن تَصِلَ من قطعَكَ، وتُعطِي من حَرمَك، وتَعفُوا عمَّن ظَلمَك»[1].

قولُه: (صَارِفٌ) أي: وسوَسَةٌ تحمِلُكَ على خِلافِ ما أمرتَ به كاعتِراءِ غضَبٍ وفِكْرٍ.

قولُه: (وجَوابُ الأمْرِ محذُوفٌ) يعني: هنا، وإلَّا فالأمرُ ليس لازِمَ الجوابِ.

قولُه: (للقَولِ) ومنه استعاذَتُكَ.

قولُه: (بالفِعلِ) أو يعلَمُ ما فيه صلاحُ أمرِكَ فيحمِلُكَ عليه.

قولُه: (وفي قِراءَة) أي: لغيرِ مكِّي وبَصرِي وكِسائِي[2].

قولُه: (أي: إخوَانُ الشَّيطَانِ) وفي نسخةٍ: «الشَّياطِين» فأُريدَ بالشَّيطانِ المذكُورِ سابِقاً الجنسُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥٥٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨)، عن أمي بن ربيعة، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٨٠): هذا مرسل وقد روي له شواهد من وجوه أُخر.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٥).

من الكُفّار ﴿يَمُدُّونَهُم﴾ الشياطينُ ﴿في الغَيِّ، ثُمَّ﴾ هم ﴿لا يُقصِرُونَ﴾: يكُفّون عنه بالتبصُّر كما تَبَصَّرَ المتّقون، ٢٠٣ ـ ﴿وإذا لَم تأتِهِم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿بآيةٍ﴾ ممّا اقترحوا ﴿قالُوا: لَولا﴾ هلاّ ﴿اجتَبَيتَها﴾: من قِبَلِ نفسك. ﴿قُل﴾ لهم: ﴿إنَّما أتَّبِعُ ما يُوحَى إلَيَّ مِن رَبِّي﴾، وليس لي أن آتيَ من عند نفسي بشيء. ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿بَصائرُ﴾: حُججٌ ﴿مِن رَبِّكُم وهُدًى ورَحمةٌ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾.

٢٠٤ ـ ﴿وإذا قُرِئَ القُرآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا﴾ عن الكلام، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ـ نزلتْ في ترك الكلام في الخُطبة، وعُبِّر عنها بالقُرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القُرآن مُطلقًا ـ.............

قولُه: (منَ الكُفَّارِ) بيانٌ لـ«إخوانُ»؛ أي: إخوانُ الشَّيطانِ الذين لم يتَّقُوا.

قولُه: (الشَّيَاطِينُ) بالرَّفعِ بيانُ ضميرِ الفاعلِ وضَميرِ المفعُولِ إلى الكفَّارِ، وقرأ[١] نافعٌ من الإمدَادِ وتعبيرُ البيضاوِي[٢] بـ«قرئ» سهو قلَمٍ ومِدادٍ.

قالَ تعالى: (﴿في الغَيِّ﴾) بالتَّزيينِ والحملِ عليه.

قولُه: (﴿ثمَّ﴾ هُم) أي: الإخوانُ.

قولُه: (عنهُ) أي: عن الغيِّ، أو الشَّياطينُ لا يمسِكونَ عن إغوائِهِم حتَّى يردُّوهُم.

قولُه: (ممَّا اقتَرَحُوا) أو من القُرآنِ.

قولُه: (أنشَأْتَهَا) وجمعتَهَا، أو طلبتَهَا من اللهِ.

قولُه: (حُجَجٌ) أي: بصائرُ للقُلوبِ تبصِرُ الحقَّ، وتدرِكُ الصَّوابَ.

قولُه: (نَزَلَت) وقالَ الصَّفوِيُّ: الأصحُّ نزلَتْ في تركِ التَّكلُّمِ في الصَّلاةِ، أو تركِ القراءةِ مع الإمامِ إذا جهرَ فيها، ولا شكَّ أنَّهُ يستحَبُّ الاستماعُ والإنصاتُ عند قراءةِ القُرآنِ مُطلقاً.

قولُه: (مُطلَقاً) أي: في الصَّلاةِ وغيرِها، في «المدَارِكِ»[٣]: ظاهرُه وجُوبُ الاستماعِ والإنصاتِ وقتَ القراءةِ في الصَّلاةِ وغيرِها، وقيل: معناهُ إذا تلا عليكُم الرَّسولُ القُرآنَ عند نزُولِهِ فاستمِعُوا له، وجمهُورُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم على أنَّه في استماعِ المؤتمِّ، وقيل: في استماعِ الخُطبَةِ، وقيل: فيهما وهو الأصحُّ، انتهى.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٤٧).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٢٨).

٢٠٥ ـ ﴿واذكُرْ رَبَّكَ في نَفسِكَ﴾ أي: سِرًّا ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذلُّلاً ﴿وخِيفةً﴾: خوفًا منه ﴿و﴾ فوقَ السرّ ﴿دُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ﴾ أي: قصدًا بينهما ﴿بِالغُدُوِّ والآصالِ﴾: أوائل النهار وأواخره، ﴿ولا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

٢٠٦ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ ﴿لا يَستكبِرُونَ﴾: يتكبّرون ﴿عَن عِبادتِهِ، ويُسَبِّحُونَهُ﴾: يُنزِّهونه عمّا لا يليق به، ﴿ولَهُ يَسجُدُونَ﴾ أي: يخصُّونه بالخُضوع والعِبادة. فكونوا مِثلهم.

قولُه: (سِرًّا) أي: قلبيًّا أو لِسانيًّا.

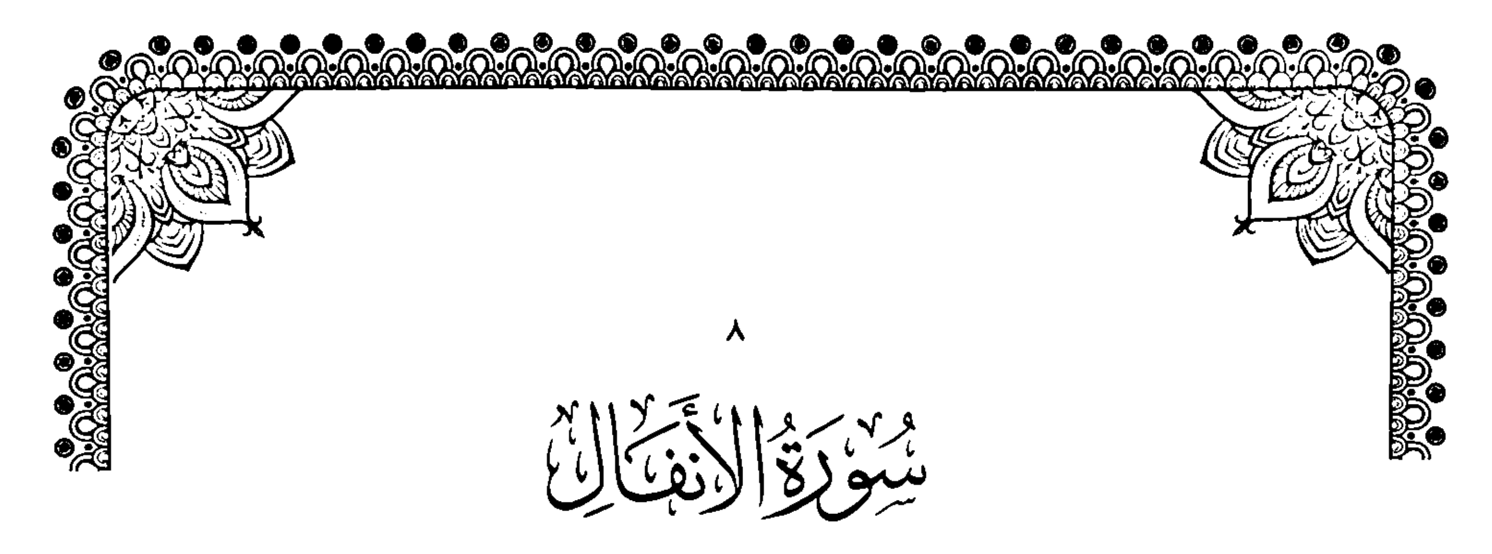
قولُه: (تَذَلُّلاً) ونصبُهُ وما بعدَهُ على الحاليَّةِ؛ أي: متضرِّعاً وخائفاً.

قولُه: (أوائلِ النَّهَارِ) لفَضلِ هذينِ الوقتَينِ، أو المرادُ: الدَّوامُ.

قولُه: (أي: الملائِكَةَ) والعندِيَّةُ مكانَةٌ ومنزِلَةٌ لا مكانٌ ومنزِلٌ، تعالى اللهُ عن ذلك.

قولُه: (فكُونُوا مِثلَهُ) أي: هم، مع كونِهِم آمنِينَ من خوفِ سوءِ العاقبَةِ وعذابِهِ متوجِّهونَ إليه تعالى دائماً فأنتُم مع خوفِكُم كيف تتمادَونَ في الغفلَةِ وتعبُدونَ غيره، ولذلك شرعَ السُّجودَ لقراءَتِهِ فكأنَّ السَّاجدَ يقولُ: سمِعنَا وأطَعنا. واللهُ أعلمُ.

***



٨

سورة الأنفال

مدنية أو إلاّ «وإذ يمكر» الآياتِ السبعَ فمكية، خمسٌ أو ستّ أو سبع وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

لمّا اختلف المسلمون في غنائم بدرٍ، فقال الشُّبّانُ: هي لنا لأننا باشرْنا القتال. وقال الشُّيوخُ: «كنّا رِدءًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفِئتم إلينا. فلا تستأثروا بها»، نَزَلَ: ١ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿عَنِ الأنفالِ﴾: الغنائمِ لمَن هي؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الأنفالُ لِلهِ والرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيثُ شاءا. فقسَّمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في «المستدرك». ﴿فاتّقُوا اللهَ وأصلِحُوا ذاتَ بَينِكُم﴾..

سورة الأنفال

قولُه: (الشُّبّانُ) بضمِّ الشينِ وتشديدِ الباءِ، جمعُ: شَابٌّ.

قولُه: (رِدْءًا) أي: معينينَ لكم بالتَّدبيرِ ثابتينَ تحت الأعلامِ.

قولُه: (انكَشَفتُم) أي: انهزَمتُم.

(لفِئتُم) بكسرِ الفاءِ؛ أي: رجعتُم.

(فَلا تَستَأثِرُوا) أي: لا تختصُّوا بالغنائِم.

قولُه: (الغَنائِم) أي: حُكمِها، جمعُ: نَفَلٍ محرَّكة.

قولُه: (شاءَا) بصيغةِ التَّثنيةِ.

قالَ تعالى: (﴿فاتَّقُوا اللهَ﴾) أي: في الاختِلافِ.

أي: حقيقةَ ما بينكم بالمودّة وترك النزاع، ﴿وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا.

٢ ـ ﴿إنّما المُؤمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمانِ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ﴾ أي: وعيدُه ﴿وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُم، وإذا تُلِيَتْ عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا﴾: تصديقًا، ﴿وعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقون لا بغيره،

٣ ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: يأتون بها بحقوقها، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾: أعطَيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

٤ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا﴾: صِدقًا بلا شكّ، ﴿لَهُم دَرَجاتٌ﴾: منازل في الجنّة ﴿عِندَ رَبِّهِم ومَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة.

٥ ـ ﴿كَما أخرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيتِكَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّقٌ بـ«أخرج»، ﴿وإنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾ الخُروجَ ـ والجملة: حال من كاف «أخرجك»، وكما: خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الحالُ في كراهتهم لها مِثلُ إخراجك في حال كراهتهم. وقد كان خيرًا لهم، فكذلك [هذه] أيضًا. وذلك أنّ أبا سُفيانَ قَدِمَ بِعِير من الشام فخرج ﷺ وأصحابه ليغنموها، ....

قولُه: (حَقِيقَةَ مَا بَينِكُم) أو الحالُ التي بينكُم، أو حالُ وصلتِكُم أو فرقَتِكُم، فإنَّ «بين» من الأضدادِ.

قولُه: (بالمَوَدَّةِ) والمواساةِ والمساعَدَةِ فيما رزقَكُمُ اللهُ وتسليمِ أمرِهِ إلى اللهِ ورسولِهِ.

قولُه: (حقًّا) أي: إن كنتُم كامِلي الإيمانِ، فإنَّ كَمالَ الإيمانِ بالطَّاعةِ والاتِّقاءِ والإصلاحِ.

قولُه: (الإيمَانِ) بالنَّصبِ على نَزعِ الخافِضِ.

قولُه: (أي: وعِيدُهُ) أو مُطلَقاً.

قولُه: (خافَتْ) أو فزِعَتْ لذكرِهِ استعظاماً له وتهيُّباً من جلالِهِ.

قولُه: (تَصدِيقاً) فيه أنَّ التَّصدِيقَ عند أربابِ التَّحقيقِ لا يقبلُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ، فالصَّحِيحُ لزيادةِ المؤمنِ به أو لاطمئنانِ النَّفسِ ورُسُوخِ اليقينِ بتظاهُرِ الأدلَّةِ أو بالعملِ بمُوجِبِها، فإنَّ الكلامَ في كامِلي الإيمانِ.

قولُه: (لا بغَيرِهِ) الحصرُ مُستَفادٌ من تقديمِ الصِّلةِ.

قولُه: (صِدْقاً) و(﴿حَقًّا﴾) مصدرٌ مؤكِّدٌ كقولِهِ: هو: عبدُ اللهِ حقًّا.

قولُه: (﴿دَرَجَاتٍ﴾ في الجنَّةِ) يرتقُونَها بأعمالِهِم.

قولُه: (حال) أي: في موقعِ حالٍ؛ يعنِي: أخرجَكَ من مكَّةَ في حالِ كراهَتِهِم.

قولُه: (في كرَاهَتِهِم) إيَّاها مثلُ إخراجِكَ للحَربِ في كراهَتِهِم له.

قولُه: (بعِيرٍ) العيرُ: القافلَةُ، وكان فيها تجارةٌ ومعها أربعُونَ راكِباً فأخبرَ جبرِيلُ رسُولَ اللهِ ﷺ فأخبرَ

فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبّوا عنها، وهم النفير. وأخذ أبو سُفيان بالعِير طريقَ الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجِعْ. فأبى وسار إلى بدر، فشاور ﷺ أصحابَه وقال: «إنّ اللهَ وَعَدَنِي إحدَى الطّائفتَينِ» ـ فوافقوه على قتال النفير، وكرهَ بعضهم ذلك وقالوا: «لم نَستَعِدَّ له» كما قال تعالى: ٦ ـ ﴿يُجادِلُونَكَ في الحَقِّ﴾: القتالِ ﴿بَعدَ ما تَبيَّنَ﴾: ظهر لهم، ﴿كأنّما يُساقُونَ إلَى المَوتِ، وهُم يَنظُرُونَ﴾ إليه عِيانًا في كراهتهم له.

٧ ـ ﴿و﴾اذكرْ ﴿إذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدَى الطّائفتَينِ﴾: العِيرَ أو النفيرَ ﴿أنّها لَكُم، وتَوَدُّونَ﴾: تُريدون ﴿أنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوكةِ﴾ أيِ: البأسِ والسلاح ـ وهي العِير ـ ﴿تَكُونُ لَكُم﴾ لِقِلّة عَدَدها وعُدَدها بخِلاف النفير، ﴿ويُرِيدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ﴾: يُظهرَه ﴿بِكَلِماتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام، ﴿ويَقطَعَ دابِرَ الكافِرِينَ﴾: آخِرَهم بالاستئصال. فأمَرَكم بقتال النفير ٨ ـ ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ﴾: يمحق ﴿الباطِلَ﴾: الكُفر، ﴿ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ﴾: المُشركون ذلك.

المسلمِينَ فأعجبَهُم تلقِّيها لكثرَةِ المالِ وقلَّةِ الرِّجالِ، فعلمَتْ قريشٌ فنادَى أبو جهلٍ فوقَ الكَعبةِ: يا أهلَ مكَّةَ النَّجا النَّجا على كُلِّ صَعبٍ وذلُولٍ، عيرَكُم أموالَكُم إن أصابَها محمَّدٌ لم تفلِحُوا بعدَها أبداً[١].

قولُه: (لم نستَعِدَّ لَه) أي: للقِتالِ، إنَّا خرَجنا للعيرِ.

قولُه: (في القِتَالِ) أي: في إيثاركَ القتالَ بإظهارِ الحقِّ لإيثارِهم تلقِّي العيرِ عليه.

قولُه: (ظَهرَ لَهُم) أنَّهم يُنصَرونَ أين ما توجَّهُوا بإعلامِ الرَّسولِ ﷺ.

قولُه: (في كَراهَتِهِم له) أي: يكرهُونَ القتالَ كراهَةَ من يُساقُ إلى الموتِ وهو يشاهِدُ أسبابَهُ، وكانَ ذلك لقلَّةِ عدَدِهِم وعَدمِ تأهُّبِهِم لعُدَدِهِم، إذ رويَ: أنَّهُم كانُوا مُشاةً وما كان فيهم إلَّا فارِسانِ.

و(﴿إحدَى﴾) ثانِي مفعُولي ﴿يعدُكُم﴾ و(﴿أنّها لَكُم﴾) بدَلُ اشتمالٍ.

قولُه: (أو النَّفِيرَ) يعنِي: العسكَر، وكان أهلُ مكَّةَ إذا عايَرُوا بعضَ النَّاسِ يقولُونَ له: لست من العِيرِ ولا من النَّفِيرِ[٢].

قولُه: (تُرِيدُون) الأظهرُ: تحبُّونَ وتتمنَّونَ.

قولُه: (يُظهِرَهُ) أي: يُبيِّنَهُ ويُعليَه.

قولُه: (فأمَرَكُم) قدَّرَهُ لتتعلَّقَ به اللامُ.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٥٠).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٩٩) (١٩٠٣)، و«الأمثال» للهاشمي (١/ ٢٨٦) (١٤٢٣).

٩ ـ اذكرْ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾: مُعينكم ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتتابعين يُردف بعضهم بعضًا. وعَدَهم بها أوّلاً، ثمّ صارت ثلاثة آلاف ثمّ خمسة كما في «آل عمران». وقُرئ: «بِآلُفٍ» كأفلُس، جمعٌ. ١٠ ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمدادَ..

قولُه: (تَطلُبُون) لأنَّهم لمَّا علمُوا أن لا محيصَ من القتالِ أخذُوا يقولُونَ: أي ربِّ انصُرنا على عدوِّكَ، أغِثنَا يا غياثَ المستغيثِينَ، وعن عُمرَ أنَّه ﷺ نظرَ إلى المشركينَ وهُم ألفٌ وإلى الصَّحابةِ وهم ثلاثمائة، فاستقبَلَ القبلَةَ ومَدَّ يديهِ وقال: «اللَّهمَّ أنجِزْ لِي ما وعدتَنِي، اللَّهمَّ إن تُهلِك هذِه العصابةَ لا تُعبَدْ في الأرضِ» فما زالَ كذلك حتَّى سقطَ رداؤُه، فقالَ أبو بكرٍ: يا نبيَّ اللهِ كفاكَ مناشدَتُك ربَّكَ، فإنَّهُ سيُنجِزُ لك ما وعدَكَ[1].

قولُه: (بأنِّي) فحذفَ الجارَّ وسلَّطَ عليه الفعلَ.

قولُه: (متَابِعِينَ) أو مُتَّبِعِينَ المؤمنينَ، من أردفتَهُ: إذا جئتَ بعدَهُ، وقرَأَ[2] نافعٌ بفتح الدَّالِ؛ أي: متَّبَعِينَ بمعنَى أنَّهم كانُوا مقدِّمَةَ الجيشِ أو ساقَتَهُم.

قولُه: (بهَا) أي: بالألفِ... إلخ، وقيل: المرادُ بالألفِ الَّذين كانُوا على المقدِّمةِ أو السَّاقةِ، أو وجوهُهُم وأعيانُهُم، أو من قاتَلَ منهم، واختُلِفَ في مُقاتلتِهِم، وقد روي: أخبارٌ تدلُّ عليها[3].

قولُه: («بآلُفٍ» كأَفلُسٍ جمعٌ) وكذا «بآلافٍ»[4] فيوافِقُ ما في سورَةِ آل عمرانَ[5].

قولُه: (أي: الإمدَادَ) المفهُومَ من يُمِدُّ.

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٨٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٨)، والبزار في «مسنده» (١٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٧).

(٣) روى مسلم (١٧٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩٣) قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس، بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة».

(٤) وهما من القراءات الشاذة، انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٠٤)، و«زاد المسير» (٢/ ١٩١)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ٥١)، و«فتح القدير» (٢/ ٣٣١)، وبعضهم عزاها لعاصم الجحدري وغيره.

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

﴿إلاّ بُشرَى، ولِتَطمَئنَّ بِهِ قُلُوبُكُم. وما النَّصرُ إلاّ مِن عِندِ اللهِ. إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

١١ ـ اذكرْ ﴿إذْ يَغشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً﴾: أمْنًا ممّا حَصَلَ لكم من الخوف، ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ويُنَزِّلُ عَلَيكُم مِنَ السَّماءِ ماءً، لِيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات، ﴿ويُذهِبَ عَنكُم رِجْزَ الشَّيطانِ﴾: وسْوَستَه إليكم بأنكم لو كنتم على الحقّ ما كنتم ظِماءً مُحدِثين، والمشركون على الماء، ﴿ولِيَربِطَ﴾: يَحبِسَ ﴿عَلَى قُلُوبِكُم﴾ باليقين والصبر، ﴿ويُثَبِّتَ بِهِ الأقدامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

١٢ ـ ﴿إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلَى المَلائكةِ﴾ الذين أمدّ بهم المسلمين: ﴿أنِّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَعَكُم﴾ بالعون والنصر. ﴿فثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير. ﴿سأُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ﴾: الخوفَ. ﴿فاضرِبُوا فَوقَ الأعناقِ﴾أي: الرؤوسَ، ﴿واضرِبُوا مِنهُم كُلَّ بَنانٍ﴾ أي: أطرافَ اليدين والرجلين.

وقولُه: (﴿إلَّا بُشرَى﴾) أي: إلَّا بشارَةً لكُم بالنَّصرِ ولتطمَئنَّ قلوبُكُم فيَزولَ ما بها من الوجَلِ لقلَّتِكُم وذِلَّتكُم.

قالَ تعالى: (﴿ومَا النَّصرُ﴾) يعنِي: إمدادُ الملائكَةِ، وكثرَةُ العدَدِ والعُدَدِ ونحوُها وسائطُ لا تأثيرَ لها فلا تحسِبُوا النُّصرةَ منها، ولا تيأسُوا منه بفَقدِها.

قالَ تعَالى: (﴿إذ يُغشِّيكُمُ﴾) قَرأَ نافعٌ بالتَّخفيفِ، من أغشَيْتُهُ إيَّاهُ، والفاعلُ على القراءتَينِ هو اللهُ، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو: «يَغْشَاكُمُ النُّعاسُ» بالرَّفعِ[1].

قولُه: (أَمْناً) أي: من اللهِ، وهو مفعُولٌ له باعتبارِ المعنى.

قولُه: (ظِمَاءً) عِطاشاً وزناً ومعنًى.

قولُه: (أنْ تَسُوخَ) أي: كراهتَهُ، والأظهَرُ: حتَّى لا تسُوخَ، يقالُ: ساخَتْ قوائمُهُ في الأرضِ دخلَتْ فيها وغابَتْ، والضَّميرُ في ﴿بِهِ﴾ للمطَرِ، وقيل: بالرَّبطِ على القُلُوبِ حتَّى تثبُتَ في المعرَكَةِ.

قولُه: (أي بأنِّي) فيه أنَّه مفعُولُ ﴿يُوحِي﴾ فتقديرُ الباء غيرُ صحيحٍ.

قولُه: (بالإِعَانَة) بتكثيرِ سوادِهِم أو بمُحاربَةِ أعدائِهم فيكونُ ما بعدَهُ كالتَّفسيرِ لقولِه: ﴿إنِّي معَكُم فثَبِّتُوا﴾ وفيه دليلٌ على أنَّهم قاتَلُوا.

قولُه: (أي: الرُّؤُوس) يعنِي: أعالِي الأعناقِ الَّتي هي المذابحُ من الرُّؤوسِ.

قولُه: (أي: أطرَافَ) أي: حزُّوا رقابَهُم وقطِّعُوا أطرافَهُم، والبنانُ: الأصابعُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٨).

فكان الرجل يقصِد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل سيفه إليه. ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى، فلم يَبْقَ مُشرك إلاّ دخل في عينيه منها شيء فهُزموا. ١٣ ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُم شاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له. ١٤ ـ ﴿ذلِكُم﴾ العذابُ ـ ﴿فذُوقُوهُ﴾ أيها الكُفّار في الدنيا ـ ﴿وأنَّ لِلكافِرِينَ﴾ في الآخِرة ﴿عَذابَ النّارِ﴾.

١٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحفًا﴾ أي: مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فلا تُوَلُّوهُمُ الأدبارَ﴾ منهزمين. ١٦ ـ ﴿ومَن يُوَلِّهِم يومَئِذٍ﴾ أي: يومَ لقائهم ﴿دُبُرَهُ، إلاّ مُتَحَرِّفًا﴾: مُنعطفًا ﴿لِقِتالٍ﴾ بأن يُريهم الفَرّةَ مَكيدةً وهو يريد الكرّةَ ﴿أو مُتَحَيِّزًا﴾: مُنضمًّا ﴿إلَى فِئةٍ﴾:..........

قولُه: (فتَسقُطُ) بالتاءِ، أو الياءِ؛ أي: الرَّقبَةُ أو الكافرُ.

قولُه: (العَذَابُ) إشارةٌ إلى الضَّربِ، أو الأمرِ به، والخطابُ للرَّسُولِ، أو لكلِّ أحدٍ من المخاطبينَ قبلُ.

قولُه: (خَالَفُوا) واشتقاقُه من الشِّقِّ؛ لأنَّ كلًّا من المتعاندَينِ في شقٍّ خلافِ شقِّ الآخرِ، أو من الشَّقِّ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يريدُ مشقَّةَ الآخرِ.

قولُه: (العَذَابُ) الخطابُ فيه للكفرَة على طريقةِ الالتِفاتِ، ومحلُّهُ النَّصبُ بفعلٍ دلَّ عليهِ: ﴿فذُوقُوهُ﴾ أو محلُّهُ الرَّفعُ؛ أي: الأمرُ ذلكُم أو ذلكُم واقعٌ.

قولُه: (في الآخِرَةِ) عطفٌ على: ﴿ذلِكُم﴾، أو نصبٌ على المفعُولِ معه.

قولُه: (مُجتَمِعِين) يعني: انتصابُه على الحالِ من المفعُولِ فقط، وهو مصدَرُ زحَفَ الصَّبيُّ: إذا دبَّ على مقعَدِهِ قليلًا قليلاً، سُمِّيَ به الجمعُ الكثيرُ.

قولُه: (مُنهَزِمِينَ) حالٌ مقدَّرٌ احترازِيٌّ من الفاعلِ، والمعنَى: فلا تُوَلُّوهُم الأدبارَ بالانهزامِ فضلاً أن يكونوا مثلَكُم، أو أقلَّ، والأظهرُ: أنَّها محكمَةٌ مخصُوصَةٌ بقولِهِ: ﴿حَرِّضِ المؤمِنِين﴾ [الأنفال: ٦٥] الآية.

قولُه: (أي: يَومَ لقَائِهِم) وقيل: هذا مختَصٌّ بأهلِ بدرٍ.

قولُه: (الفِرَّة) بكسرِ الغينِ المعجمَة؛ أي: تغرِيرَ العدوِّ، فإنَّهُ من مكائدِ الحربِ، في الحديثِ: «والحَربُ خَدعَةٌ»[1].

قولُه: (الكَرَّةَ) أي: الرَّجعَة، ومنه الكُرَّارُ[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩)، وأبو داود (٢٦٣٦)، والترمذي (١٦٧٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) وهم الذين عادوا من غزوة مؤتة، فقال لهم الناس: يا فُرَّار في سبيل الله، فقال لهم النبي ﷺ: «ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله».

=

جماعة من المسلمين يستنجدُ بها، ﴿فقد باءَ﴾: رجَع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، ومأواهُ جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ هي! وهذا مخصوص بما إذا لم يَزِد الكُفّارُ على الضِّعف.

١٧ ـ ﴿فلَم تَقتُلُوهُم﴾ ببدر بقوّتكم، ﴿ولكِنَّ اللهَ قَتَلَهُم﴾ بنصره إيّاكم، ﴿وما رَمَيتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ أعيُنَ القوم، ﴿إِذْ رَمَيتَ﴾ بالحصباء لأنّ كفًّا من الحصباء لا يملأ عُيون الجيش الكثير برمية بشَر، ﴿ولكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم.

قولُه: (يستَنجِدُ) يستَعينُ، وانتصابُ ﴿متحرِّفاً﴾ و﴿متحَيِّزاً﴾ على الحالِ، و﴿إلا﴾ لغوٌ لا عملَ له، أو الاستثناءُ من المولِّينَ؛ أي: إلَّا رجُلاً متحرِّفاً أو متحَيِّزاً، كذا قالَهُ البيضاويُّ[1]، وقولُهُ: و﴿إلَّا﴾ لَغوٌ؛ أي: في اللَّفظِ لا في المعنَى؛ إذِ المعنى: فلا تولُّوهُم الأدبارَ في حالٍ من الأحوالِ إلَّا تحرُّفاً، وفي قولِهِ: لا عملَ له، إشارَةٌ إلى هذا المعنى.

قولُه: (الكُفَّارُ) أي: الحامِلونَ على المسلِمينَ.

قولُه: (على الضِّعْفِ) لقولِهِ: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُم﴾ [الأنفال: ٦٦] الآيَةَ، وقيل: الآيَةُ مخصوصَةٌ بأهلِ بدرٍ أو الحاضِرينَ معه في الحربِ مُطلَقاً.

قولُه: (بنَصرِهِ) وتسليطِكُم عليهم وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهِم.

قولُه: (أَعيُنَ القَومِ) أي: رَميًا توصِلُها إلى أعيُنِهم ولم تقدِرْ عليه.

قولُه: (بالحَصَى) أي: أتيتَ بصورةِ الرَّمي، وقيل: ما رميتَ خَلْقاً إذ رمَيتَ كَسْباً.

قولُه: (بإيصَالِ) أي: أَتَى بما هو غايَةُ الرَّمي فأوصَلَها إلى أعيُنِهم جَميعاً حتَّى انهَزَموا، وتمكَّنتُم من قطعِ دابِرِهِم، وقرأَ ابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ بالتَّخفيفِ ورَفعِ ما بعدَهُ في الموضعَينِ[2]، قالَ في «الكَشفِ»[3]:

= رواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٢)، عن عروة بن الزبير، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٣) قال: وقد قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة، وذكره، ثم قال: هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة، وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا لِجُمْهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصِروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه» فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً لهم وإعظاماً، وإنما كان التأنيب، وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٥٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٩)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٣٤).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (٧/ ٥٢، ٥٣).

فعلَ ذلك ليقهر الكافرين، ﴿وليُبليَ المؤمنينَ مِنهُ بَلاءً﴾: عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة. ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم. ١٨ ـ ﴿ذلِكُم﴾ الإبلاء حقّ، ﴿وأنَّ اللهَ مُوَهِّنٌ﴾: مُضْعِفٌ ﴿كَيدَ الكافِرِينَ﴾.

١٩ ـ ﴿إن تَستَفتِحُوا﴾ أيّها الكُفّار: تطلبوا الفتحَ، أي: القضاءَ، حيثُ قال أبو جهلٍ منكم: «اللّهمَّ، أيُّنا كان أقطعَ للرَّحِم، وآتانا بما لانَعرِفُ، فأحِنْه الغَداةَ» أي: أهلِكه، ﴿فقَد جاءَكُمُ الفَتحُ﴾: القضاء بهلاك من هو كذلك ـ وهو أبو جهل ومن قُتل معه دون النبيّ والمؤمنين ـ ﴿وإن تَنتَهُوا﴾ عن الكُفر والحرب ﴿فهُوَ خيرٌ لَكُم، وإن تَعُودُوا﴾ لقتال النبيّ ﴿نَعُدْ﴾ لنَصره عليكم، ﴿ولَن تُغنِيَ﴾: تَدفعَ ﴿عَنكُم فِئَتُكُم﴾: جماعتكم ﴿شَيئًا، ولَو كَثُرَتْ! وإنَّ اللهَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾، بكسرِ «إنّ» استئنافًا، ....

الذي عليه المحدِّثُونَ: أنَّ الرَّميَ كان يومَ حنينٍ، وأمَّا المفسِّرونَ فقد ذكرُوا الرَّميَ في الموضعَينِ.

قولُه: (فَعَلَ ذَلكَ) أي: ما فعلَ.

قولُه: (الإبلاءُ) أو البلاءُ الحسنُ، أو القتلُ، أو الرَّميُ.

قولُه: (حقٌّ) خبَر ﴿ذلِكُم﴾ فمحلُّهُ الرَّفعُ، أو المقصُودُ: أو الأمرُ ذلكم.

وقولُه: (﴿وأنَّ اللهَ﴾) معطُوفٌ عليهِ؛ أي: المقصُودُ: إبلاءُ المؤمنينَ وتوهِينُ كيدِ الكافِرينَ وإبطالُ حيلتِهِم.

قولُه: (مُضْعِفٌ) الحرميَّانِ وأبو عَمرٍو بالتَّشديدِ، وحفصٌ بالإضافةِ والتَّخفيفِ[1].

قولُه: (أيُّها الكُفَّارُ) خطابٌ لأهلِ مكَّةَ على سبيلِ التَّهكُّمِ، وذلك أنَّهم حين أرادُوا الخرُوجَ تعلَّقُوا بأستارِ الكعبةِ، وقالوا: اللَّهمَّ انصُر أعلى الجندَينِ، وأهدَى الفئتينِ، وأكرَمَ الحزبَينِ.

قولُه: (وأتَانَا) أي: جَاءَنا.

قولُه: (فأَحِنْهُ) بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الحاء وسكونِ النُّونِ.

قالَ تعَالى: (﴿فهوَ خَير﴾) لتضمُّنِه سلامَةَ الدَّارينِ وخيرَ المنزِلَين.

قالَ تعَالى: (﴿شيئاً﴾) أي: من الإغنَاءِ، أو المضَارِّ؛ ولو كثُرَتْ فئتُكُم.

قولُه: (استِئنَافاً) فيه معنَى التَّعليلِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٤)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٠٩).

وفتحِها على تقدير اللام.

٢٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولا تَوَلَّوا﴾: تُعرضوا ﴿عَنهُ﴾ بمُخالفة أمره، ﴿وأنتُم تَسمَعُونَ﴾ القُرآن والمواعظ، ٢١ ـ ﴿ولا تكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا: سَمِعْنا. وهُم لا يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّر واتّعاظ، وهم المُنافقون أو المُشركون.

٢٢ ـ ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحقّ ﴿البُكمُ﴾ عن النُّطق به ﴿الَّذِينَ لا يَعقِلُونَـ﴾ـه، ٢٣ ـ ﴿ولَو عَلِمَ اللهُ فِيهِم خَيرًا﴾: صلاحًا بسماع الحقّ ﴿لَأَسمَعَهُم﴾ سماعَ تفهُّم، ﴿ولَو أسمَعَهُم﴾ ـ فرْضًا وقد علم أنْ لا خير فيهم ـ ﴿لتَوَلَّوا﴾ عنه ﴿وهُم مُعرِضُونَ﴾ عن قبوله عِنادًا وجُحودًا.

٢٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة، ﴿إذا دَعاكُم لِما يُحيِيكُم﴾ من أمر الدِّين لأنه سبب الحياة الأبديّة، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ المَرءِ وقَلبِهِ﴾،.......................

قولُه: (وفتحِهَا) نافعٌ وشاميٌّ وحفصٌ[١].

قولُه: (على تَقدِيرِ اللَّام) يعنِي: ولأنَّ اللهَ مع المؤمنينَ كانَ ذلك.

قولُه: (تُعرِضُوا) بحذفِ التاءِ.

قولُه: (﴿عنهُ﴾) أي: الرَّسولِ، وقيل: الضَّميرُ للجهَادِ.

قولُه: (والمَواعِظَ) سماعَ فَهمٍ وتَصديقٍ.

قولُه: (سمَاعَ تدَبُّرٍ) فكأنَّهُم لا يسمعونَ رَأساً.

قولُه: (وهمُ المنَافِقُون...) إلخ؛ أي: الَّذين ادَّعوُا السَّماعَ.

قولُه: (عَن سمَاعِ الحَقِّ) و﴿الدَّوابِّ﴾: ما يدِبُّ على الأَرضِ، أو البَهائمِ، عدَّهُم من البَهائمِ، ثمَّ جعلَهُم شرَّهَا لإبطالِ ما ميَّزُوا به وفُضِّلُوا لأجلِهِ.

قولُه: (صَلَاحاً) أو سعادَةً كتبَتْ لهم، أو انتِفاعاً بالآياتِ.

قولُه: (عنهُ) ولم ينتَفِعوا به، أو ارتَدُّوا بعد التَّصديقِ والقَبُولِ.

قولُه: (من أَمرِ الدِّينِ) وعُلومِهِ، بَيانٌ لـ﴿مَا﴾ فإنَّها حياةُ القلبِ، والجهلُ موتُهُ، كقول بعضِهِم:

لا تُعجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُهُ ... فَذاكَ مَيْتٌ وثَوبُهُ كَفَنُ[٢]

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٥)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٠).

(٢) البيت مذكور في «الكشاف» (٢/ ٢١٠)، وقال الطيبي في «فتوح الغيب» (٧/ ٦٤): البيت من قول أبي الطيب، وقال الشهاب =

فلا يستطيع أن يُؤمن أو يكفر إلاّ بإرادته، ﴿وأنَّهُ إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ فيُجازيكم بأعمالكم، ٢٥ ـ ﴿واتَّقُوا فِتْنَةً﴾، إن أصابتكم ﴿لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خاصّةً﴾، بل تعمّهم وغيرَهم ـ واتقاؤها بإنكار مُوجِبها من المُنكَر ـ ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لِمَن خالفه، ٢٦ ـ ﴿واذكُرُوا إذْ أنتُم قَلِيلٌ مُستَضعَفُونَ في الأرضِ﴾: أرض مكّة، ﴿تخافُونَ أن يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ﴾: يأخذَكم الكُفّار بسُرعة، ﴿فآواكُم﴾ إلى المدينة، ﴿وأيَّدَكُم﴾: قوّاكم ﴿بِنَصرِهِ﴾ يومَ بدر بالملائكة، ﴿ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ﴾: الغنائمِ، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعَمَه.

ونزلَ في أبي لُبابة بنِ عبدِ المُنذر، وقد بعثه ﷺ إلى بني قُريظةَ ليَنزلوا على حُكمه فاستشاروه، فأشار إليهم أنّه الذبحُ لأنّ عِيالَه ومالَه فيهم:..

أو ممَّا يُورثُكُم الحياةَ الأبديَّةَ والنِّعَمَ السَّرمديَّةَ من العقائدِ والأعمالِ، أو من الجهادِ، فإنَّه سببُ بقائكُم إذ لو تركُوهُ لغلبهُم العدوُّ وقتلَهُم، أو الشَّهادةِ لقولِهِ تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ووحَّدَ ضميرَ «دعا» لأنَّ طاعةَ اللهِ في طاعةِ الرَّسُولِ، أو لأنَّ دعوةَ اللهِ تسمَعُ من الرَّسُولِ.

قولُه: (فَلا يستَطِيعُ) وقيل: تمثيلٌ لغايَةِ قربهِ من العبدِ، وتنبيهٌ على أنَّه مطَّلعٌ على مكنُوناتِ القُلوبِ بما عسَى يَغفُلُ عنه صاحِبهَا، أو حثٌّ على المبادرةِ إلى إخلاصِ القُلوبِ وتصفيَتِها قبلَ أن يحُولَ اللهُ بينَهُ وبين قلبِهِ بالموتِ أو الارتدادِ.

قولُه: (إن أَصَابَتكُم) الأظهرُ: إن لم تتَّقُوها.

قولُه: (بَل تَعمُّهُم) أي: الظَّالمينَ.

قولُه: (مُوجِبهَا) بكسرِ الجيمِ؛ أي: سببِ الفتنَةِ، وبافتِراقِ الكلمَةِ وظهُورِ البدَعِ والتَّكاسُلِ في الجهادِ.

قولُه: (أرضِ مَكَّة) يستضعفُكُم قريشٌ والخطابُ للمُهاجرينَ، وقيل: للعربِ كافَّةً، فإنَّهُم كانوا أذلَّاءَ في أيدِي فارِسَ والرُّومِ.

قولُه: (الكُفَّارُ) أي: كفَّارُ قريشٍ، أو من عداهُم، فإنَّهُم كانُوا جميعاً مُعادِينَ مضادِّينَ لهم.

قولُه: (إلى المَدِينَة) أو جعلَ لكم مَأوىً تتحصَّنونَ به عن أعاديكُم.

قولُه: (بالملائِكَة) أو بمظاهَرةِ الأنصارِ.

قولُه: (لأنَّ) علَّةٌ لـ(أشَارَ).

= الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٤/ ٢٦٣): البيت المذكور للزمخشري، كما قرأته في ديوانه من قصيدة مدح بها المؤتمن بالله الخليفة، وقد ألمَّ فيه بقول أبي الطيب من قصيدته.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ، و﴾ لا ﴿تَخُونُوا أماناتِكُم﴾: ما اؤْتُمنتُم عليه من الدِّين وغيره، ﴿وأنتُم تَعلَمُونَ، واعلَمُوا أنَّما أمْوالُكُم وأولادُكُم فِتْنَةٌ﴾ لكم صادَّةٌ عن أُمور الآخِرة، ﴿وأنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ﴾. فلا تُفَوِّتوه بمُراعاة الأموال والأولاد والخِيانة لأجلهم. ونزلَ في تَوبتِه:

٢٩ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَتَّقُوا اللهَ﴾ بالأمانة وغيرها ﴿يَجعَلْ لَكُم فُرقانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون، ﴿ويُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئاتِكُم، ويَغفِرْ لَكُم﴾ ذُنوبكم. ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

٣٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذْ يَمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقد اجتمعوا للمُشاورة في شأنك بدار الندوة، ﴿لِيُثبِتُوكَ﴾:.......................................

قالَ تعَالى: (﴿لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ﴾) بأن تضمِرُوا خِلافَ ما تُظهِرونَ، أو بتعطيلِ الفرائضِ والسُّننِ، أو بالغُلُولِ في الغنائمِ.

قولُه: (﴿و﴾ لا) إشارةٌ إلى أنَّهُ مجزُومٌ بالعطفِ على الأوَّلِ وجُوِّزَ نصبُه على الجوابِ بالواوِ.

قولُه: (منَ الدِّينِ) أو فيما بينكُم.

قالَ تعالى: (﴿وأَنتُم تَعلَمُون﴾) أنَّكم تخُونونَ، أو أنتُم علماءُ تميِّزونَ الحسنَ من القَبيحِ.

قولُه: (صَادَّةٌ) أي: مانِعةٌ وشاغلَةٌ، أو لأنَّهم سببُ الوقُوعِ في الإثمِ والعقابِ، أو محنَةٌ من اللهِ ليبلُوَكُم فيهم فلا يحملنَّكُم حبُّهُم على الخيانَةِ كأبِي لبابَةَ؛ قالَ حمدُونُ[1]: من اعتمَدَ على شَيءٍ سوَى اللهِ فهو عليه فتنَةٌ.

قولُه: (﴿أجرٌ عَظِيم﴾) لمن آثرَ رِضا اللهِ عليهم، وراعَى حدودَهُ فيهم.

قالَ تعالى: (﴿فرقانا﴾) هدايَةً في قلوبِكُم تفرِّقُونَ بها بين الحقِّ والباطلِ، أو نَصْراً يُفرِّقُ بين المحقِّ والمبطِلِ بإعزازِ المؤمنينَ وإذلالِ الكافرينَ أو مخرَجاً من الشُّبهاتِ، أو نَجاةً عمَّا تحذرُونَ في الدَّارينِ، وإليه مالَ الشَّيخُ وعليه مآلُ كلامِهِ.

قولُه: (ذُنوبَكُم) قيل: السَّيِّئاتُ: الصَّغائرُ، والذُّنُوبُ: الكبائرُ، وقيل: المرادُ ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ؛ لأنَّها في أهلِ بدرٍ، وقد غفرَهُما اللهُ لهم، كما في الأحاديثِ الصِّحاحِ[2].

قولُه: (وقدِ اجتمَعُوا) حين سمعُوا بإسلامِ الأنصارِ ومتابعتِهِم وفرِقُوا، فدخلَ عليهم إبليسُ في صورَةِ

---

(١) وانظر: «تفسير السلمي» (٢/ ٦٠).

(٢) روى البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذي (٣٣٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٢١) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه: أن النبي ﷺ قال في حق حاطب رضي الله عنه: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

يُوثقوك ويَحبِسوك ﴿أو يَقتُلُوكَ﴾ كلّهم قِتلَةَ رجلٍ واحد ﴿أو يُخرِجُوكَ﴾ من مكّة ـ ﴿ويَمكُرُونَ﴾ بك، ﴿وَيمكُرُ اللهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبّروه، وأمرك بالخروج، ﴿واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ﴾: أعلَمُهم به ـ ٣١ ـ ﴿وإذا تُتلَى عَلَيهِم آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿قالُوا: قَد سَمِعْنا. لَو نَشاءُ لَقُلْنا مِثلَ هذا﴾ ـ قاله النضرُ بن الحارث لأنه كان يأتي الحِيرة يَتّجر،..

شيخ، وقال: أنا من نجدٍ سمعْتُ اجتماعَكُم فأردْتُ أن أحضُرَكُم ولن تعدِمُوا منِّي رأياً ونُصْحاً، فقالَ أبُو البختريِّ: رأيِي أن تحبسُوهُ في بيتٍ وتسُدُّوا منافذَهُ غيرَ كوَّةٍ تلقُونَ إليه طعامَهُ وشرابَهُ منها حتَّى يمُوتَ، فقالَ الشَّيخُ: بئسَ الرَّأيُ، يأتيكُم من يقاتلُكُم من قومِهِ ويخلِّصُهُ من أيديكُم، فقالَ هشامُ بن عَمرٍو: رأيِي أن تحملُوهُ على جملٍ فتخرِجوهُ من أرضِكُم فلا يضرَّكُم ما صنعَ، فقال: بئسَ الرَّأي، يفسِدُ قَوماً غيرَكُم ويقاتِلكُم بهم، فقال أبو جهلٍ: أنا أَرَى أن تأخُذوا من كلِّ بطنٍ غُلاماً وتُعطوهُ سَيفاً فيضرِبوهُ ضربَةً واحدةً فيتفرَّقَ دمُهُ في القبائلِ فلا يَقوَى بنو هاشمٍ على حربِ قريشٍ كلِّهم فإذا طَلَبوا العقلَ عقَلناهُ، فقالَ: صدَقَ هذا الفَتَى، فتفرَّقُوا على رأيهِ[1].

قولُه: (بتَدبِيرِ أمرِكَ) أي: بردِّ مكرِهِم عليهم، أو بمُجازاتِهِم عليهِ، أو بمعامَلةِ الماكِرينَ معهم بأن أخرجَهُم إلى بدرٍ وقلَّلَ المسلمينَ في أعيُنِهِم حتَّى حَمَلوا عليهم فقُتِلوا.

قولُه: (بأنْ أَوحَى) وأتى جبرِيلُ وأخبرَهُ بالخبرِ، وأمرَهُ بالهجرَةِ، فبيَّتَ علِيًّا على مضجَعِهِ وخرجَ مع أبي بَكرٍ إلى الغارِ[2].

قولُه: (أعلَمُهُم) أو لا يُؤبَهُ بمكرِهِم دُونَ مكرِه، وإسنادُ أمثالِ هذا إنَّما يحسُنُ للمُزاوَجَةِ، ولا يجوزُ إطلاقُهَا ابتداءً لما فيه من إيهامِ ذمٍّ.

قولُه: (قالَهُ النَّضْرُ) وإسنادُه إلى الجمِيعِ إسنادُ ما فعلَهُ رئيسُ القومِ، فإنَّهُ كانَ قاصَّهُم[3].

قولُه: (الحِيرَة) بالكسرِ، محلَّةٌ بنيسابُورَ أو بلدٌ قربَ الكُوفةِ، كذا في «القامُوسِ»[4] والثَّانِي أقرَبُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٩٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٥٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) جاء فيما قبله.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٥٩٧٧) عن ابن جريج في قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ قال: كان النضر بن الحارث يختلف تاجرًا إلى فارس، فيمرُّ بالعِباد وهم يقرأون الإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكة، فوجد محمدًا ﷺ قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: ﴿قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾، للذي سَمِع من العباد. فنزلت: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ قال: فقص ربُّنا ما كانوا قالوا بمكة، وقص قولهم: إذ قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك... ﴾ الآية.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٢).

فيشتري كُتب أخبار الأعاجم، ويحدِّث بها أهل مكّة ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿إلاّ أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿وإذْ قالُوا: اللّهُمَّ، إن كانَ هذا﴾ الذي يقرؤه مُحمّد ﴿هُوَ الحَقَّ﴾ المُنزَلَ ﴿مِن عِندِكَ فأمطِرْ عَلَينا حِجارةً مِنَ السَّماءِ، أوِ ائتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾: مؤلم على إنكاره. قاله النضر أو غيره استهزاءً وإيهامًا أنه على بصيرةٍ وجزمٍ ببُطلانه. ٣٣ ـ قال تعالى: ﴿وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ بما سألوه، ﴿وأنتَ فِيهِم﴾ لأنّ العذاب إذا نزل عَمَّ، ولم تُعذَّب أُمّة إلاّ بعد خروج نبيّها والمؤمنين منها، ﴿وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُم، وهُم يَستَغفِرُونَ﴾ حيثُ يقولون في طوافهم: غُفرانَكَ غُفرانَكَ. وقيل: هم المُؤمنون المُستضعفون فيهم كما قال تعالى: «لَو تَزَيَّلُوا لَعَذّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابًا ألِيمًا».

٣٤ ـ ﴿وما لَهُم ألاّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ بالسيف بعد خُروجك والمُستضعفين ـ وعلى القول الأوّل هي ناسخة لما قبلها، وقد عذّبهم الله ببدر وغيره ـ ﴿وهُم يَصُدُّونَ﴾: يمنعون النبيّ والمُسلمين ﴿عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أن يطوفوا به، ﴿وما كانُوا أولِياءَهُ﴾ كما زعموا؟ ....

قولُه: (أو غَيرُه) أبو جهلٍ.

قولُه: (غُفرَانَكَ) انظُر نظرَ اعتبارٍ، إذا كان مجرَّدُ الاستغفارِ نفَعَ الكفَّارَ، فكيف لا ينفَعُ الأبرَارَ، فعليك به لا سيَّما أطرافُ النَّهارِ.

قولُه: (همُ المُؤمِنُونَ) أي: من بقيَ فيهم من المؤمِنينَ.

قولُه: (بالسَّيفِ) أي: ما لهم ممَّا يمنعُ تعذيبَهُم متى [زال] ذلك، وكيف لا يعذَّبُون وحالُهُم ذلك[1].

قولُه: (والمُستَضعَفِين) أي: وبعدَ خُروجِهِم، أو تركِ الكفَّارِ الاستغفارَ.

قولُه: (نَاسِخَةٌ) فيه أنَّ الأخبارَ لا تنسَخُ.

وقولُه: (وقَد عذَّبَهُم) فيه أنَّ ما قَبلَها عذابٌ عامٌّ فلا مُنافاةَ.

قولُه: (أَن يَطُوفُوا) يعني: ومِنْ صدِّهِم عنه إلجاءُ رسولِ اللهِ والمؤمنينَ إلى الهجرَةِ وإحصارُهُم عامَ الحديبِيَةِ.

قولُه: (كَمَا زعَمُوا) أي: ما كانُوا مستحقِّينَ ولايَةَ أمرِه مع شركِهِم، وهو ردٌّ لما كانوا يقولُونَ نحنُ ولاةُ البيتِ والحرمِ فنصُدُّ من نشاءُ وندخِلُ من نشاءُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٢/ ٥٨).

﴿إنْ﴾: ما ﴿أَولياؤُهُ إلاّ المُتَّقُونَ، ولكِنَّ أكثرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. ٣٥ ـ ﴿وما كانَ صَلاتُهُم عِندَ البَيتِ إلاّ مُكاءً﴾: صفيرًا ﴿وتَصدِيةً﴾: تصفيقًا، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أُمروا بها. ﴿فذُوقُوا العَذابَ﴾ ببدر ﴿بِما كُنتُم تَكفُرُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أمْوالَهُم﴾ في حرب النبيّ ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ. فَسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيهِم حَسْرَةً﴾: ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه، ﴿ثُمَّ يُغلَبُونَ﴾ في الدُّنيا ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخِرة ﴿يُحشَرُونَ﴾: يُساقون ـ..........

قالَ تعَالى: (﴿إلَّا المتَّقُون﴾) أي: من الشِّركِ؛ يعنِي: الذين لا يعبُدُونَ فيه غيره، وقيل: الضَّميرانِ للهِ.

قولُه: (أنْ لا وِلايَةَ) كأنَّهُ نبَّه بالأكثرِ على أنَّ منهم من يعلَمُ ويعانِدُ، أو أرادَ به الكُلَّ كما يُرادُ بالقلَّةِ العدَم.

قولُه: (﴿صَلَاتُهم﴾) أي: دُعاؤُهم، أو ما يسمُّونَهُ صلاةً، أو ما يضَعونَ موضِعَها، كذا في البيضاويِّ[1].

وقولُ الشَّيخِ: (الَّتي أُمِرُوا بهَا) زيادةٌ ضررٍ إذِ اختُلِفَ في أنَّ الكفَّارَ مخاطَبونَ بالفُرُوعِ أم لا، والثَّانِي: هو المعتمَدُ عندَنا معَ أنَّ مذهبَ الشَّافعيِّ هو أنَّهم مخاطَبونَ بالفُروعِ لكن بشرطِ تقدُّمِ الإيمانِ[2].

قولُه: (ببَدرٍ) وقيل: عذابَ الآخرَةِ.

قولُه: (في حَربِ النَّبيِّ) نزلَتْ في أبي سُفيانَ، كذا في «المبهَمات»[3]، استأجَرَ ليومِ أُحُدٍ ألفَينِ من العَربِ سوَى من استجاشَ[4] من العَربِ، وأنفَقَ عليهِم أربعِينَ أوقيةً أو في أصحابِ العيرِ، فإنَّه لمَّا أُصيبَ قُريشٌ ببدرٍ قيل لهم: أعينُوا بهذا المالِ على حربِ محمَّدٍ لعلَّنا ندرِكُ منه ثأرَنا ففعَلوا.

أو في المطعِمينَ يومَ بَدرٍ وكانوا اثنَي عشَرَ رجُلاً من قرَيشٍ يطعِمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ عُشْرَ جُزورٍ.

والمَرادُ بـ(﴿سبِيلِ اللهِ﴾) دينُهُ واتِّباعُ رسولِه.

وقولُه تعالى: (﴿فَسيُنفِقُونَهَا﴾) أي: بتمامِها، ولعلَّ الأوَّلَ: إخبارٌ عن إنفاقِهم في تلك الحالِ، وهو إنفاقُ بدرٍ، والثَّاني: إخبارٌ عن إنفاقِهم فيما يُستَقبلُ وهو إنفاقُ أُحُدٍ.

قولُه: (في الدُّنيَا) أي: آخرَ الأمرِ، وإن كانَ الحربُ بينهم سِجالاً قبلَ ذلك.

قولُه: (مِنهُم) أي: الذين ثبَتُوا على الكُفرِ منهم، إذ أسلَمَ بعضُهُم كأبي سُفيانَ وخالدٍ وعكرِمةَ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «فصول البدائع» (١/ ٢٩٦)، و«المستصفى» (ص: ٧٣)، و«روضة الناظر» (١/ ١٦٠ ـ ١٦٢)، و«الإبهاج في شرح المنهاج» (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٤٩).

(٤) في (ص): «احتبَس».

٣٧ ـ ﴿لِيَمِيزَ﴾: مُتعلّق بـ «تكونُ»، بالتخفيف والتشديد، أي: يَفصِلَ ﴿اللهُ الخَبِيثَ﴾: الكافرَ ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المُؤمنِ، ﴿ويَجعَلَ الخَبِيثَ بَعضَهُ علَى بَعضٍ، فيَركُمَهُ جَمِيعًا﴾: يجمعَه متراكبًا بعضُه فوق بعض، ﴿فيَجعَلَهُ في جَهَنَّمَ. أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

٣٨ ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿إن يَنتَهُوا﴾ عن الكُفر وقِتال النبيِّ ﷺ ﴿يُغفَرْ لَهم ما قَد سَلَفَ﴾ من أعمالهم، ﴿وإن يَعُودُوا﴾ إلى قِتاله ﴿فقَد مَضَت سُنّةُ الأوَّلِينَ﴾ أي: سُنّتُنا فيهم بالإهلاك. فكذا نفعل بهم. ٣٩ ـ ﴿وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتنَةٌ﴾: شِركٌ، ﴿ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ وحده ولا يُعبَدَ غيرُه. ﴿فإنِ انتَهَوا﴾ عن الكُفر ﴿فإنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيهم به،....

قولُه: (متعلِّقٌ بـ﴿تَكُونُ﴾) أي: ما أنفقَهُ المشرِكونَ في عداوَةِ رسولِ اللهِ ﷺ ممَّا أنفقَهُ المسلمُونَ في نُصرتِهِ، أو متعلِّقٌ بـ﴿يُحشَرُونَ﴾ أو ﴿يُغلَبُون﴾ أي: الكافِرَ من المؤمنِ، أو الفسادَ من الصَّلاحِ، وبهذا التَّفصيلِ عرَفتُ أنَّ في كلامِ الشَّيخِ تلفِيقاً.

قولُه: (والتَّشدِيد) حمزَة والكِسائِي[1].

قولُه: (﴿على بعض﴾) لفَرْطِ ازدحامِهِم، أو يضمَّ إلى الكافرِ ما أنفَقَهُ ليزيدَ به عذابَهُ، كمالِ الكانِزينَ.

وقولُه تعَالى: (﴿أُولَئِكَ﴾) إشارَةٌ إلى الخبيثِ إن قُدِّرَ: الفريقُ الخبيثُ، أو إلى المنفقينَ، فإنَّهُم الكاملونَ في الخُسرَانِ؛ لأنَّهُم خسِرُوا أنفسَهُم وأموالَهُم.

قولُه: (كأبِي سفيَانَ) أي: قُل لأجلِهِم.

قولُه: (مِن أَعمَالِهِم) الأظهَرُ: من ذنُوبهِم، أو إشارَةٌ إلى ما قيل:

مَن لم يَكُنْ لِلوِصالِ أهلًا ... فكُلُّ طَاعَاتِهِ ذُنُوبُ[2]

يعني: فَضلاً عن سائرِ أعمالِهِ.

قولُه: (قِتَالِه) أي: النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (فِيهِم) أي: الأوَّلِينَ الذين تحزَّبُوا على الأنبياءِ كما جَرَى على أهلِ بَدرٍ فليتوَقَّعُوا مثلَ ذلك.

قولُه: (شِرْكٌ) أي: فيهم.

قولُه: (بِه) أي: بانتهائِهِم عنه وإسلامِهِم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٥٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٧٢).

(٢) انظر: «ديوان أبي بكر الشبلي» (ص: ٨٩)، إلا أنه قال: فكل إحسانه ذنوب.

٤٠ ـ ﴿وإن تَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿فاعلَمُوا أنَّ اللهَ مَولاكُم﴾: ناصرُكم ومُتولّي أُموركم، ﴿نِعمَ المَولَى﴾ هو! ﴿ونِعمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصرُ لكم!

٤١ ـ ﴿واعلَمُوا أنَّ ما غَنِمتُم﴾: أخذتم من الكُفّار قهرًا ﴿مِن شَيءٍ فأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ﴾ يأمرُ فيه بما يشاء، ﴿ولِلرَّسُولِ ولِذِي القُربَى﴾: قرابةِ النبيِّ ﷺ من بني هاشم والمُطّلبِ، ﴿واليَتامَى﴾: أطفالِ المُسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء، ﴿والمَساكِينِ﴾: ذوِي الحاجة من المُسلمين، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين ـ أي: يستحقّه النبيّ والأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أنّ لكُلٍّ خُمُسَ الخُمُسِ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ـ ﴿إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ﴾ فاعلموا ذلك،

قولُه: (عنِ الإيمَانِ) ولم ينتَهوا عن الكُفرِ.

قولُه: (ناصِرُكُم) فثِقُوا به ولا تُبالُوا بمعاداتِهِم.

قولُه: (هو) لا يُضيِّع من تولَّاهُ.

قولُه: (أي: النَّاصِرُ) لا يُغلَبُ من نصرَهُ.

قالَ تعالى: (﴿مِن شَيءٍ﴾) ممَّا يقعُ عليه اسمُ الشَّيءِ حتَّى المِخْيطِ.

وقولُه: (﴿فَأَنَّ للهِ﴾) مبتدأٌ خبرُه محذُوفٌ؛ أي: ثابتٌ.

قولُه: (يأمُرُ) فيه إشارَةٌ إلى أنَّ ذكرَ ﴿لله﴾ للتَّعظيمِ، وهو قولُ الجمهُورِ[١]، وقيل: سهمُهُ يصرَفُ إلى الكعبَةِ.

قولُه: (بني هاشِمٍ وبَنِي المطَّلِب) دونَ بني عبدِ شمسٍ وبنِي نوفَلٍ.

قولُه: (خُمُسَ الخُمُسِ) وأمَّا بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ فسهمُهُ ساقِطٌ، وكذا سهمُ ذوِي القُربَى، وإنَّما يعطَونَ لفقرِهِم، كذا في «المدَارِك»[٢].

قولُه: (فاعلَمُوا ذلكَ) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿إنْ﴾ متعلِّقٌ بمحذُوفٍ دلَّ عليهِ ﴿واعلَمُوا﴾ أي: إن كنتُم آمنتُم باللهِ فاعلمُوا أنَّ الخُمُسَ لهؤلاءِ فسلِّموهُ إليهم واكتَفُوا بالأخماسِ الأربعةِ الباقِيَةِ، فإنَّ العلمَ العمَلِي إذا أُمرَ به، لم يُرَدْ منه العلمُ المجرَّدُ؛ لأنَّه مقصُودٌ بالعَرَضِ، والمقصودُ بالذَّاتِ هو العمل. هذا كلامُ القاضِي[٣].

وقدَّرَ الفاضلُ الهندِيُّ: فاعلَمُوا بذلك، نصًّا على المقصُودِ، وحَذَراً من التِّكرارِ.

---

(١) وانظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (٤/ ٢٢)، و«البحر المديد» (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٤٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٦٠).

﴿وما﴾ ـ عطفٌ على «بالله» ـ ﴿أنزَلْنا علَى عَبدِنا﴾ مُحمّد من الملائكة والآيات ﴿يَومَ الفُرقانِ﴾ أي: يوم بدرٍ الفارقِ بين الحقّ والباطل، ﴿يَومَ التَقَى الجَمعانِ﴾: المسلمون والكُفّار. ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه نصركم مع قِلّتكم وكثرتهم.

٤٢ ـ ﴿إذ﴾ ـ بدلٌ من «يوم» ـ ﴿أنتُم﴾ كائنون ﴿بِالعُدْوةِ الدُّنيا﴾: القُربَى من المدينة، وهي بضمّ العين وكسرها: جانبِ الوادي، ﴿وهُم بِالعُدْوةِ القُصوَى﴾: البُعدى منها، ﴿والرَّكبُ﴾: العِير كائنون بمكانٍ ﴿أسفَلَ مِنكُم﴾ ممّا يلي البحر، ﴿ولَو تَواعَدتُم﴾ أنتم والنفير لِلقِتال ﴿لَاختَلَفتُم في المِيعادِ، ولكِنْ﴾ جمعَكم بغير مِيعاد ﴿لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولاً﴾ في عِلمه، وهو نصر الإِسلام ومحق الكُفر، فعلَ ذلك ﴿لِيَهلِكَ﴾: يَكفرَ ﴿مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ أي: بعد حُجّة ظاهرة قامت عليه ـ وهي نصر المُؤمنين مع قِلّتهم على الجيش الكثير ـ ﴿ويَحْيا﴾: يُؤمنَ ﴿مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ. وإنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قولُه: (الفَارِقَ) فرّقَ اللهُ فيه.

قولُه: (من ﴿يَومَ﴾) أي: ﴿يومَ الفُرقَانِ﴾.

قولُه: (وكسرِهَا) مكّيٌّ وبصرِيٌّ[1]، وقرئَ بالفتحِ[2].

قولُه: (العِيرُ) أو قُوَّادُها.

قولُه: (بمَكَانٍ) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿أسفَلَ﴾ منصُوبٌ على الظَّرفِ واقعٌ موقعَ الخبرِ.

وقولُه تعالى: (﴿مِنكُم﴾) أي: من مكانِكُم، والجملَةُ حالٌ من الظَّرفِ قبلَهُ.

قولُه: (ممَّا يَلِي البَحرَ) يعني: السَّاحلَ.

قولُه: (للقِتَالِ) ثمَّ علمتُم حالَكُم وحالَهُم (﴿لاختَلَفتُم﴾) أنتم هيبَةً منهم ويأساً من الظَّفَرِ.

قولُه: (في عِلمِهِ) أي: حقيقاً بأن يُفعلَ.

قولُه: (فعلَ) والأولَى: أنَّ ﴿لِيَهلِكَ﴾ بدلٌ من ﴿ليَقضِي﴾، أو متعلِّقٌ بقولِه: ﴿مفعُولاً﴾.

قولُه: (يكفُرَ) أي: ليصدُرَ كُفْرُ من كفرَ وإيمانُ من آمنَ عن وضُوحِ بيِّنَةٍ على استعارةِ الهلاكِ والحياةِ للكُفرِ والإسلامِ، والمرادُ بـ(﴿مَن هلكَ﴾) و(﴿من حيَّ﴾): المشارِفُ للهلاكِ والحياةِ، أو من هذا حالُه في علمِ اللهِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢١).

(٢) وهي من القراءات الشاذة، انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٣٢٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٦٠٩)، ونسبها للحسن وقتادة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد.

٤٣ ـ اذكرْ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي: نومك ﴿قَلِيلاً﴾ فأخبرتَ به أصحابك فسُرّوا، ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾: جَبُنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾ ـكم من الفشل والتنازُع ـ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوبِ ـ ٤٤ ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾، أيُّها المُؤمنون، ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ نحوَ سبعين أو مِائةٍ وهم ألف لتُقدِموا عليهم، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليُقْدِموا ولا يرجعوا عن قِتالكم ـ وهذا قبل التحام الحرب. فلمّا التحم أراهم إيّاهم مِثلَيهم

وقضائه، أو المعنَى: ليَموتَ من يموتُ عن بيِّنةٍ عايَنها، ويعيشَ من يعيشُ عن حجَّةٍ شاهَدَها لئلَّا يكونَ له حجَّةٌ ومعذِرَةٌ، فإنَّ وقعَةَ بدرٍ من الآياتِ الواضحَةِ.

وقرأَ[1] نافعٌ والبزِّيُّ وشعبَةُ: «من حَيِيَ» بفكِّ الإدغامِ للحملِ على المستقبلِ، ونسبَةُ القاضِي[2] هذهِ القراءَةَ إلى ابنِ كثيرٍ غيرُ صَحيحَةٍ.

قولُه: (اختَلَفتُم) وتفرَّقَتْ آراؤكُم بينَ القرارِ والفرارِ.

قولُه: (﴿سَلَّمَ﴾ كُم) أي: أنعمَ عليكم بالسَّلامةِ.

قولُه: (بمَا في القُلُوبِ) يعلمُ ما سيكونُ فيها وما يُغيِّرُ أحوالَها.

قولُه: (أيُّهَا المُؤمِنُونَ) الضَّميرانِ مفعُولا «يُرِي»، و﴿قَلِيلًا﴾ حالٌ من الثَّانِي.

قولُه: (نَحوَ سَبعِينَ) قال ابنُ مسعودٍ لمن إلى جنبِهِ: أتُراهُم سبعِينَ؟ فقالَ: أُرَاهُم مئةً[3] تثبِيتاً لهم وتصدِيقاً لرُؤيا الرَّسولِ ﷺ.

قولُه: (ليُقْدِمُوا) حتَّى قال أبُو جهلٍ: إنَّ محمَّداً وأصحابَهُ أكلَةُ جَزُورٍ[4].

قولُه: (مِثلَيهِم) لتُفاجئهُم الكثرةُ فتبهَتَهُم وتكسِرَ قلوبَهُم، وهذا من عظائمِ آياتِ تلك الواقعةِ فإنَّ البصَرَ وإن كانَ قد يَرى الكثيرَ قليلاً والقليلَ كثيراً لكِنْ لا على هذا الوجهِ، ولا إلى هذا الحدِّ، وإنَّما يتصوَّرُ ذلك بصدِّ اللهِ الأبصارَ عن إبصارِ بعضٍ دُونَ بعضٍ مع التَّساوِي في شرُوطِ الرُّؤيةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٦)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٢٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٦١). قلت: هي من رواية البزي عن ابن كثير، أما قراءة: ﴿حي﴾ فهي لابن كثير من رواية قنبل.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٢٦٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٤٧) (١٠٢٦٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٦٧)، وأحمد بن منيع كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٣١٥) وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح، إن كان أبو عبيدة سمعه من أبيه، فقد اختلف في سماعه منه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٧٨) عن عكرمة، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢/ ٣١٣) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٦) (٩٩٥٤): رجاله ثقات.

كما في «آل عمران» ـ ﴿لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولاً. وإلَى اللهِ تَرجِعُ﴾: تصير ﴿الأُمُورُ﴾.

٤٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُم فِئَةً﴾: جماعة كافرة ﴿فاثبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا، ﴿واذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾: ادعوه بالنصر، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون، ٤٦ ـ ﴿وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولاتَنازَعُوا﴾: تختلفوا فيما بينكم، ﴿فتَفشَلُوا﴾: تجبُنوا ﴿وتَذهَبَ رِيحُكُم﴾: قُوّتكم ودَولتكم، ﴿واصبِرُوا ـ إنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالنصر والعون ـ ٤٧ ـ ﴿ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم﴾ ليمنعوا عِيرهم ولم يرجِعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا ورِئاءَ النّاسِ﴾، حيثُ قالوا: «لا نرجِعُ حتّى نشربَ الخمر وننحرَ الجَزور، وتَضربَ علينا القِيانُ ببدر، فيتسامعَ بذلك الناسُ»،..............................

وقولُه تعالى: (﴿لِيَقضِيَ اللهُ﴾) كَرَّرَهُ لاختلافِ الفعلِ المعلَّلِ.

قولُه: (تَصِيرُ) هذا تفسِيرٌ لقراءةِ شامِيٍّ وحمزَةَ والكِسائيِّ على البناءِ للفاعلِ(١)، وأمَّا تَفسيرُ قراءَةِ الباقِينَ(٢) فـ: تُرَدُّ.

قولُه: (جَمَاعَةً) أي: حارَبتُم، ولم يَصِفْها بالكُفرِ؛ لأنَّ المؤمنينَ ما كانُوا يلقَونَ إلا الكفَّارَ، واللِّقاءُ ممَّا غلبَ في القتالِ.

قولُه: (فِيمَا بَينَكُم) كما فعلتُم ببَدرٍ أو أُحُدٍ، و﴿تنازَعُوا﴾ بحذفِ إحدى التَّاءينِ.

قولُه: (تجبُنُوا) جوابُ النَّهيِ.

قولُه: (﴿رِيحُكُم﴾) الرِّيحُ مُستعارَةٌ للدَّولةِ من حيثُ إنَّها في تمشِّي أمرِها ونفاذِهِ مشبَّهةٌ بها في هُبوبِهَا ونُفُوذِها، أو المرادُ بها: الحقيقَة، فإنَّ النُّصرَةَ لا تكونُ إلَّا بريحٍ يبعثُهَا اللهُ، وفي الحديثِ: «نُصِرتُ بالصَّبَا، وأُهلِكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ»(٣).

قالَ تعالى: (﴿بَطَرًا﴾) أي: فَخراً وأشراً ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ليُثنُوا عليهم بالشَّجاعةِ والسَّخاوةِ بها.

قولُه: (القَيْنَاتُ) وفي بعضِ النُّسخِ: «القِيان» الجَوارِي المغنِّيَاتُ، فوافَوها ولكن سُقُوا كأسَ المنايا وناحَتْ عليهم النَّوائحُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣٠)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٣٠٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٤٦).

(٢) وهي ﴿تُرجع﴾ بضم التاء، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ١٣١)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٣٠٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٤٥).

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٠٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٠١٣)، والطيالسي في «مسنده» (٢٧٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٦٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

﴿ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ. واللهُ بِما يَعمَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿مُحِيطٌ﴾ عِلمًا فيُجازيهم به.

٤٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ﴾: إبليس ﴿أعمالَهُم﴾ بأن شجّعهم على لِقاء المُسلمين، لمّا خافوا [حين] الخُروج من أعدائهم بني بكر، ﴿وقالَ﴾ لهم: ﴿لا غالِبَ لَكُمُ اليَومَ مِنَ النّاسِ، وإنِّي جارٌ لَكُم﴾ من كِنانة. وكان أتاهم، في صُورة سُراقةَ بنِ مالكٍ سيِّدِ تلك الناحية. ﴿فلَمّا تَراءتِ﴾: التقَتِ ﴿الفِئَتانِ﴾ المُسلمة والكافرة ورأى الملائكةَ، وكان يده في يد الحارث بن هشام، ﴿نَكَصَ﴾: رجَع ﴿عَلَى عَقِبَيهِ﴾ هاربًا، ﴿وقالَ﴾ لمّا قالوا له: «أتَخذُلُنا على هذا الحال»؟: ﴿إنِّي بَرِيءٌ مِنكُم﴾: من جِواركم. ﴿إنِّيَ أرَى ما لا تَرَونَ﴾ من الملائكة. ﴿إنِّيَ أخافُ اللهَ﴾ أن يُهلكني، ﴿واللهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

٤٩ ـ ﴿إذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقاد: ﴿غَرَّ هؤُلاءِ﴾ أي: المسلمين ﴿دِينُهُم﴾ إذ خرجوا مع قِلّتهم يُقاتلون الجمع الكثير توهّمًا أنهم يُنصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم: ﴿ومَن يَتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾: يَثِقْ بِهِ يَغلِبْ، ﴿فإنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه.

قولُه: (بالياء) العشرَةُ متّفقونَ على الغيبَةِ.

قولُه: (فيُجَازِيهم) وفي البيضاويِّ[1]: فيُجازِيكُم، يوهمُ أنَّ القراءةَ بالخطابِ، وليس كذلك.

قولُه: (بني بَكرٍ) المشهورُ بنِي كنانَةَ.

وقولُه: (من كنَانَةَ) يدلُّ عليه؛ أي: مجِيرٌ منهم.

قولُه: (وكَانَ) أي: إبلِيسُ.

قولُه: (مَالِكٍ) الكِنانِي.

قولُه: (أن يُهلِكَنِي) ويكون الوقتُ هو الوَقتُ الموعُودُ؛ إذ رَأَى فيه ما لم يرَ قَبلُ، أو المعنَى: يُصيبَنِي مكرُوهٌ من الملائكَة.

قولُه: (ضَعفُ اعتِقَادٍ) أي: الذين لم يطمئنُّوا إلى الإيمانِ بعد، وبقيَ في قلوبِهِم شُبهَةٌ، وقيل: هم المشركُونَ، وقيل: المنافقُونَ، والعطفُ لتغايُرِ الوصفينِ.

قولُه: (معَ قلَّتِهم) ثلاثَمئةٍ وبضعَةَ عَشَر.

قولُه: (الجَمعَ الكَثِير) زُهاءَ ألفٍ.

قولُه: (بسَبَبِهِ) أي: دِيْنِهم.

قولُه: (يَغلِبْ) أشارَ إلى أنَّ الجزاءَ مصدَرٌ، وأنَّ قولَهُ: ﴿فإنَّ اللهَ عَزِيزٌ حكِيمٌ﴾ دليلُ الجزاءِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٦٢).

٥٠ ـ ﴿ولَو تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذْ يَتَوَفَّى﴾، بالياء والتاء، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائكةُ، يَضرِبُونَ﴾: حالٌ ﴿وُجُوهَهُم وأدبارَهُم﴾ بمَقامعَ من حديد، ﴿و﴾ يقولون لهم: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾ أي: النارِ. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا عظيمًا. ٥١ ـ ﴿ذلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيكُم﴾ ـ عُبّر بهما دون غيرهما، لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما ـ ﴿وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ﴾ أي: بِذِي ظُلم ﴿لِلعَبِيدِ﴾، فيُعذِّبهم بغير ذنب. دأبُ هؤلاء ٥٢ ـ ﴿كَدأبِ﴾: كعادةِ ﴿آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ، فأخَذَهُمُ اللهُ﴾ بالعِقاب ﴿بِذُنُوبِهِم﴾. جُملة «كفروا» وما بعدها: مفسِّرة لما قبلها. ﴿إنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يُريده ﴿شَدِيدُ العِقابِ﴾.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأنَّ﴾ أي: بسبب أنّ ﴿اللهَ لَم يَكُ مُغيِّرًا نِعْمةً أنعَمَها علَى قَومٍ﴾: مبدّلاً لها بالنقمة، ﴿حتَّى يُغيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم﴾: يُبدّلوا نِعمتهم كُفرًا كتبديل كُفّار مكّة إطعامَهم من جوع وأمنَهُم من خوف وبَعْثَ النبيّ إليهم، بالكُفر والصدّ عن سبيل الله وقِتال المؤمنين، ﴿وأنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، كَدأْبِ آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِم، فأهلَكْناهُم بِذُنُوبِهِم، وأغرَقْنا آلَ فِرعَونَ﴾:..

قولُه: (يا محَمّد) أي: لو رأيتَ، فإنَّ «لو» تجعلُ المضارعَ ماضِياً عكسَ «إنْ».

قولُه: (والتّاء) التّأنيثُ للشّامِيِّ[1].

قولُه: (حَالٌ) منهم، أو من الملائكَةِ، أو منهما؛ لاشتمالِه على الضَّميرينِ، قالَ تعَالى: ﴿وأَدبَارَهُم﴾ ظهورَهُم، أو أستاهَهُم، ولعلَّ المرادَ تعميمُ الضَّربِ؛ أي: يضربونَ ما أقبلَ منهم وما أدبَرَ.

قولُه: (﴿و﴾ يقُولُون) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿ذُوقُوا﴾ عطفٌ على ﴿يَضرِبُون﴾ بإضمارِ القولِ.

قولُه: (بِهِمَا) أي: بسببِ ما اكتسبتُم من الكُفرِ والمعاصِي، وهو خبرٌ لـ﴿ذَلِك﴾.

قولُه: (أي: بِذِي ظُلم) فالتَّشدِيدُ للنِّسبَةِ كتَمَّارٍ، أو للتَّكثيرِ لأجلِ العَبيدِ.

قولُه: (لَهَا) الأظهرُ: إيَّاها.

قولُه: (يُبَدِّلُوا نعمَتَهم) الظَّاهر: حتَّى يبدِّلُوا ما بهم من الحالِ إلى حالٍ أسوَأَ، كتغييرِ قريشٍ حالَهُم في صلَةِ الرَّحمِ والكَفِّ عن تعرُّضِ الآياتِ والرُّسُلِ السَّابقِينَ بمُعاداةِ الرَّسُولِ ومن تبعَهُ منهم إلى غير ذلك ممَّا أحدَثُوا بعد المبعثِ.

وقولُه: (كتَبدِيلِ كفَّارِ مَكَّة) من إضافةِ المصدرِ إلى المفعُولِ، أو إلى الفاعلِ، والإسنادُ للسَّببِيَّة.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١١).

قومَه معه، ﴿وكُلٌّ﴾ من الأُمم المُكذِّبة ﴿كانُوا ظالِمِينَ﴾.

ونزل في قُرَيظةَ: ٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ فَهُم لا يُؤمِنُونَ ـ الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنهُم﴾ ألاّ يُعينوا المشركين، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهدَهُم في كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها، ﴿وهُم لا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ في غدرهم. ٥٧ ـ ﴿فإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿تَثقَفَنَّهُم﴾: تَجِدَنّهم ﴿في الحَربِ فشَرِّدْ﴾: فرِّقْ ﴿بِهِم مَن خَلْفَهُم﴾ من المُحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: يتّعظون بهم، ٥٨ ـ ﴿وإمّا تَخافَنَّ مِن قَومٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيانَةً﴾ في العهد بأمارةٍ تلوح لك ﴿فانبِذْ﴾: اطرحْ عهدهم ﴿إلَيهِم علَى سَواءٍ﴾: حالٌ، أي: مُستويًا أنت وهم في العِلم بنقض العهد بأن تُعلِمَهم به، لئلاّ يتّهموك بالغدر. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنِينَ﴾.

ونزل فيمن أَفلَتَ يومَ بدر: ٥٩ ـ ﴿ولا تَحسِبَنَّ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ اللهَ، أي: فاتُوه ـ ﴿إنَّهُم لا يُعجِزُونَ﴾: لا يفوتونه. وفي قراءة بالتحتانيّة، فالمفعول الأوّل محذوف، أي: أنفُسَهم، وفي أُخرى بفتح «أنّ» على تقدير اللام ـ ....

قولُه: (المكذِّبَة) أو من غَرْقَى القِبْطِ وقتلَى قريشٍ.

قولُه: (بالتَّنكِيلِ) متعلِّقٌ بـ﴿شَرِّدْ﴾.

قولُه: (حالٌ) أي: في موقعِ الحالِ؛ أي: من النَّابذِ والمنبُوذِ إليهم.

قولُه: (أَفلَتَ) أي: تخلَّصَ.

قولُه: (وفي قِرَاءَة) لشامِيٍّ وحفصٍ وحَمزَة[1].

قولُه: (بالتَّحتَانيَّةِ) يعنِي: في ﴿لا يحسبن﴾[2] فحقُّهُ التَّقدِيمُ على: ﴿إنَّهُم﴾.

قولُه: (فالمفعُولُ) يعنِي: والفاعِلِ ﴿الذينَ كَفَرُوا﴾ وقيل: الفاعلُ ضمِيرُ أحَدٍ، أو حاسِبٌ، أو ﴿مَن خلفَهم﴾.

قولُه: (مَحذُوف) للتَّكرارِ المعنويِّ.

قولُه: (وفي أُخرَى) أي: مختصَّةً للشَّاميِّ[3].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٧)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٥٤)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٢).

(٢) في الأصول: «لا يحسبَنَّهم»: وهو خطأ.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٥٧)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٢).

٦٠ ـ ﴿وأعِدُّوا لَهُم﴾: لقتالهم ﴿ما استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ﴾ ـ قال ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ» رواه مسلم ـ ﴿ومِن رِباطِ الخَيلِ﴾: مصدرٌ بمعنى حبسها في سبيل الله، ﴿تُرهِبُونَ﴾: تُخوِّفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿وآخَرِينَ مِن دُونِهِم﴾ أي: غيرِهم ـ وهم المنافقون أو اليهود ـ ﴿لا تَعلَمُونَهُمُ، اللهُ يَعلَمُهُم. وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ في سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيكُم﴾ جزاؤه، ﴿وأنتُم لا تُظلَمُونَ﴾: تُنقَصون منه شيئًا.

٦١ ـ ﴿وإن جَنَحُوا﴾: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها: الصُّلحِ ﴿فاجنَحْ لَها﴾ وعاهدْهم ـ وقال ابن عبّاس: هذا منسوخ بآية السيف. ومُجاهدٌ: مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلتْ في بني قُرَيظةَ ـ ﴿وتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾: ثِقْ به ـ ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿وإن يُرِيدُوا أن يَخدَعُوكَ﴾ بالصُّلح ليستعدّوا لك ﴿فإنَّ حَسْبَكَ﴾: كافيك ﴿اللهُ. هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصرِهِ وبِالمُؤمِنِينَ، وألَّفَ﴾:..

قولُه: (لِقِتَالِهِم) أي: ناقضِي العهدِ، أو الكفَّار.

قالَ تعَالى: (﴿مِن قُوَّةٍ﴾) من كُلِّ ما يُتقوَّى به في الحربِ.

قولُه: (هيَ الرَّمي) وفي نُسخَةٍ: «هو» فالتَّذكيرُ باعتبارِ الخبرِ، ولعلَّ تخصيصَهُ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أقواهُ.

قولُه: (أو اليهُودُ) أو الجنُّ، أو أهلُ فارسَ، أو الشَّياطينُ التي في الدُّورِ، كذا في «المبهَمَات»[1].

قالَ تعالى: (﴿لا تَعلَمُونَهُم﴾) أي: لا تعرفُونَهُم بأعيانِهِم.

قولُه: (منهُ) أي: جزائِهِ.

قولُه: (بكَسرِ السِّين) شُعبَة[2].

قولُه: (عاهِدْهُم) الأظهرُ: عاهِدْ معهُم، وتأنيثُ الضَّميرِ لحملِ السِّلمِ على نقيضِها وهو الحربُ.

قولُه: (بالفِعلِ) والنيَّة.

قولُه: (كَافِيكَ) قالَ جريرٌ[3]:

إنِّـي وَجَدتُ مِنَ المـكَارِمِ حَسبَكُم   أَن تَلبَسُـوا خُزَّ الثِّيَابِ وتَشبَعُوا

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٥٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٥٨)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٢).

(٣) انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٣٣)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ٦٥).

جمع ﴿بَينَ قُلُوبِهِم﴾ بعد الإِحَن، ﴿لَو أنفقتَ ما في الأرضِ جَمِيعًا ما أَلَّفتَ بَينَ قُلُوبِهِم، ولكنَّ اللهَ أَلَّفَ بَينَهُم﴾ بقُدرته. ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَخرج شيء عن حكمته.

٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ، حَسْبُكَ اللهُ و﴾ حسبُك ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ. يا أَيُّها النَّبِيُّ، حَرِّضِ﴾: حُثَّ ﴿المُؤمِنِينَ علَى القِتالِ﴾ للكفّار، ﴿إن يَكُنْ مِنكُم عِشرُونَ صابِرُونَ يَغلِبُوا مِائَتَينِ﴾ منهم، ﴿وإن يَكُنْ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِنكُم مِائَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغلِبُوا ألفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُم﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿قَومٌ لا يَفقَهُونَ﴾. وهذا خبر بمعنى الأمر، أي: لِيقاتل العشرون منكم المِائتَين والمِائةُ الألفَ ويَثبُتوا لهم.

ثمّ نُسخ لمّا كثروا بقوله: ٦٦ ـ ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُم، وعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضُعفًا﴾ ـ بضمّ الضاد وفتحها ـ عن قِتال عشَرةِ أمثالكم. ﴿فإن يَكُنْ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِنكُم مِائَةٌ صابِرةٌ يَغلِبُوا مِائَتَينِ﴾ منهم،

قولُه: (الإِحَنِ) كعِنَب جمعُ: إِحْنَةٍ ـ بالكَسر ـ: الحِقدُ والغضَبُ[1]، وهذا من مُعجزاتِهِ ﷺ وبيانُهُ: ﴿لو أنفقتَ﴾... إلخ.

قولُه: (﴿و﴾ حَسبُك) فـ﴿مَن اتَّبعَكَ﴾ في محلِّ الرَّفعِ عَطفاً على اسمِ ﴿اللهِ﴾، وقيل: في محلِّ النَّصبِ على المفعُولِ معه، أو الجرِّ عَطفاً على كافِ الخطابِ عند الكُوفيِّينَ، نزلَتْ لمَّا أسلمَ معه ﷺ أربَعونَ آخرُهم عُمر، كما أخرجَه الطَّبرانِيُّ وغيرُه[2].

قولُه: (حُثَّ) أي: بالغْ في حثِّهم عليه.

قولُه: (والتَّاء) التَّأنيث؛ الحرميَّان وابنُ عامِرٍ[3].

قولُه: (وهذَا خَبرٌ) الظَّاهِرُ: شَرطٌ.

قولُه: (وفتحِهَا) عاصِمٌ وحَمزَةُ[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٦٠) (١٢٤٧٠)، والآجري في «الشريعة» (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨) (١١٠٣٢): رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٨) عن سعيد بن جبير، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٦): وقد روي عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون، وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٨)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٦٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٦١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٣).

﴿وإِن يَكُن مِنكُم ألفٌ يَغلِبُوا ألفَينِ بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته. وهو خبر بمعنى الأمر، أي: لِتقاتلوا مثلَيكم وتَثبُتوا لهم. ﴿واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

ونزل لمّا أخذوا الفِداء من أسرى بدر: ٦٧ ـ ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أن تَكُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ في الأرضِ﴾: يُبالغَ في قتل الكُفّار. ﴿تُرِيدُونَ﴾ ـ أيها المُؤمنون ـ ﴿عَرَضَ الدُّنيا﴾: حُطامَها بأخذ الفِداء، ﴿واللهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الآخِرَةَ﴾ أي: ثوابَها بقتلهم، ﴿واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وهذا منسوخ بقوله: «فإمّا مَنًّا بَعدُ، وإمّا فِداءً». ٦٨ ـ ٦٩ ـ ﴿لَولا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ بإحلالِ الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُم فِيما أَخَذتُم﴾ من الفِداء ﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.........................

قولُه: (والياء) التَّذكِير للكُوفِي[١].

قولُه: (والياء) التَّذكِير [لغير] بَصرِي[٢].

قولُه: (يُبَالِغَ) حتَّى يُذِلَّ الكفرَ، ويقلَّ حزبُهُ، ويعزَّ الإسلامُ ويستَولِي أهلُهُ.

قولُه: (وهذَا مَنسُوخٌ) قال ابنُ عبَّاسٍ: كانَ هذا يومَ بدرٍ، والمسلمونَ يومئذٍ قليلٌ، فلمَّا كثُروا واشتَدَّ سلطانُهُم أنزلَ اللهُ في الأسارَى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعدُ وإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] فجعلَ اللهُ نبيَّهُ والمؤمنينَ في أمرِ الأسارَى بالخيارِ إن شاؤُوا قتلوهُم وإن شاؤُوا استعبدوهُم، وإن شاؤُوا فادَوهُم، وإن شاؤُوا أعتَقوهُم، كذا ذكَرهُ البغَويُّ[٣]، وهو ليسَ نصًّا في النَّسخِ، فتأمَّل.

قالَ تعَالى: (﴿لَولا كِتابٌ﴾) أي: لولا حُكمٌ سبقَ في اللَّوحِ المحفُوظِ، وهو أنَّه لا يُعاقَب أحدٌ بالخطَأ، وكانَ هذا خطأً في الاجتهادِ، وأن لا يعذَّبَ أهلُ بدرٍ، أو أنَّ الفديَةَ التي أخذُوها ستحِلُّ لهُم، وهذا معنَى قوله: (بإحلَالِ الغنَائمِ).

قالَ تعَالى: (﴿عَذَابٌ عَظِيم﴾) رويَ أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام قالَ: «لو نزَلَ العَذابُ لمَا نجَا منه غيرُ عُمرَ وسعدِ بنِ مُعاذٍ»[٤] لأنَّهما أشَارَا إلى الإثخانِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٣١٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٥) وذكر فيه عمر رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦٣٢٠) وذكر فيه سعد بن معاذ رضي الله عنه.

قال العراقي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٩)، والمناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٦٦١): روى الطبري عن ابن =

فكُلُوا مِمَّا غَنِمتُم حَلالاً طَيِّبًا ـ واتَّقُوا اللهَ ـ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٧٠ ـ ٧١ ـ ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لِمَن في أيدِيكُم مِنَ الأُسارَى**﴾، وفي قراءة «الأَسرَى»: ﴿**إن يَعلَمِ اللهُ في قُلُوبِكُم خَيرًا**﴾: إيمانًا وإخلاصًا ﴿**يُؤتِكُم خَيرًا مِمّا أُخِذَ مِنكُم**﴾ من الفِداء بأن يُضعِفه لكم في الدنيا ويُثيبَكم في الآخرة، ﴿**ويَغفِرْ لَكُم**﴾ ذُنوبكم. ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وإن يُرِيدُوا**﴾ أي: الأسرى ﴿**خِيانَتَكَ**﴾ بما أظهروا من القول ﴿**فقَد خانُوا اللهَ مِن قَبلُ**﴾: قبلِ بدر بالكفر، ﴿**فأمكَنَ مِنهُم**﴾ ببدر قتلاً وأسرًا. فلْيتوقَّعوا مثلَ ذلك إن عادوا. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صنعه.

٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ ـ وهم المهاجرون ـ ﴿**والَّذِينَ آوَوْا**﴾ النبيَّ ﴿**ونَصَرُوا**﴾هُ ـ وهم الأنصار ـ ﴿**أُولئِكَ بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ**﴾ في النُّصرة والإرث، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا ولَم يُهاجِرُوا مالَكُم مِن وِلايَتِهِم**﴾ ـ بكسر الواو وفتحها ـ ﴿**مِن شَيءٍ**﴾، فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة، ﴿**حَتَّى يُهاجِرُوا**﴾ ـ وهذا منسوخ بآخِر السُّورة ـ.......

وقولُه تعالى: (﴿مِمَّا غَنِمتُم﴾) من الفديَةِ فإنَّها من جملَةِ الغنائمِ.

قولُه: (وفي قرَاءَة) لغيرِ أبي عَمرٍو[1]، وسُمِّي منهم العبَّاسُ وعقيلُ ونوفَلُ بنُ الحَارثِ وسُهَيلُ بنُ بيضاءَ[2].

قالَ تعالى: (﴿فَأَمكَن﴾) أي: فأمكنَكَ.

قالَ تعالى: (﴿وجَاهَدُوا بأموَالِهِم﴾) بصَرفِها في الخيلِ والسِّلاحِ والإنفاقِ على المحتاجينَ.

قولُه: (النَّبيَّ) والمهاجرينَ إلى ديارِهِم.

قولُه: (بكَسرِ الواوِ) حمزَة[3]؛ أي: من تولِّيهم في الميرَاثِ.

قولُه: (بآخِرِ السُّورَةِ) ﴿وأُولُوا الأرحَامِ... ﴾ إلخ.

= إسحاق: لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدراً إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه وقال سعد بن معاذ يا رسول الله الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ».

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٦٢)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٤).

(٢) ذكروا في حديث طويل رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٠١) عن موسى بن عقبة.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٩)، و«الحجة للقراء السبعة» (٤/ ١٦٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٢٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٤).

﴿وإنِ استَنصَرُوكُم في الدِّينِ فعَلَيكُمُ النَّصرُ﴾ لهم على الكُفّار ﴿إلاّ علَى قَومٍ بَينكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ﴾: عهدٌ، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ـ ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ ـ والَّذِينَ كَفَرُوا بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ﴾ في النُّصرة والإرث. فلا إرث بينكم وبينهم. ﴿إلاّ تَفعَلُوهُ﴾ أي: تَولِّيَ المسلمين وقطعَ الكُفّار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوّة الكُفر وضعف الإسلام.

٧٤ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا، لَهُم مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة، ٧٥ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعدُ﴾ أي: بعدِ السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وهاجَرُوا وجاهَدُوا مَعَكُم فأُولئِكَ مِنكُم﴾ ـ أيّها المُهاجرون والأنصار ـ ﴿وأُولُو الأرحامِ﴾: ذَوُو القرابات ﴿بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ﴾ في الإرث من التوارثِ بالإيمان والهجرة المذكورِ في الآية السابقة ﴿في كِتابِ اللهِ﴾: اللوحِ المحفوظ. ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، ومنه حِكمة الميراث.

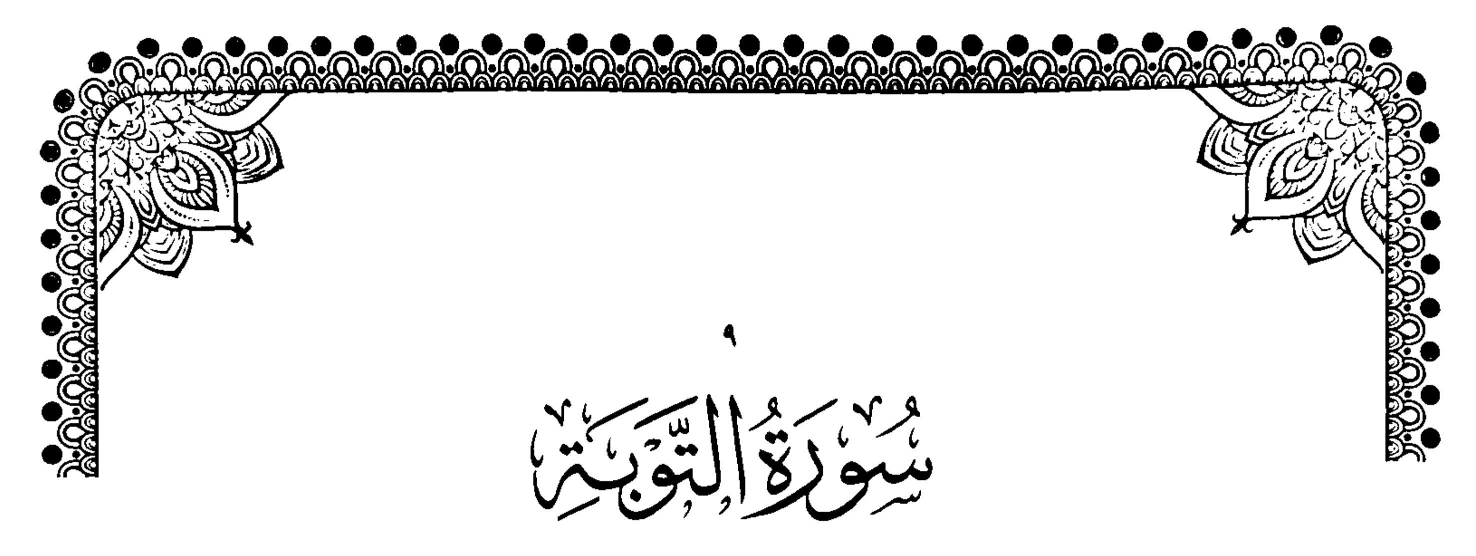
قولُه: (فلَا إرثَ) يعنِي: بطَرِيقِ المفهومِ.

قولُه: (منَ التَّوَارُثِ) متعَلِّقٌ بـ﴿أَوْلى﴾.

قولُه: (اللَّوحِ المَحفُوظ) أو في حُكمِ اللهِ، أو القُرآنِ، قالَ في «المدارِكِ»[1]: وهو دلِيلٌ لنا على توريثِ ذوي الأرحامِ. واللهُ تعالى أعلمُ.

***

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٦٠).



٩

سُورَةُ التَّوبَةِ

مدنية أو إلاّ الآيتين آخرها، مِائَةٌ وثلاثون أو إلاّ آيَةً.

ولم تُكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يُؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن عليّ: أنّ البسملةَ أمانٌ، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حُذيفةَ: «إنّكُم تُسمُّونها سُورةَ التوبةِ، وهي سُورةُ العَذابِ». وروى البخاريّ عن البراء أنها آخرُ سُورةٍ نَزَلتْ.

١ ـ هذه ﴿بَراءةٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ واصلةٌ ﴿إلَى الَّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دونَ أربعة أشهر أو فوقها،..

سُورَةُ التَّوبَةِ

قولُه: (مِن آخرِها) مِن قولِه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهي آخرُ ما نزلَ، وهذا معنَى ما في نسخَةٍ: إلَّا آيتَين من آخرِ ما نزَلَ.

قولُه: (لَم يَأمُرْ) يعني: كانَ ﷺ إذا نزلَتْ عليه سُورةٌ أو آيةٌ بيَّنَ مَوضِعَها، وتوفِّي ولم يبيِّنْ مَوضِعَها، وكانت قصَّتُها تُشابِه قصَّةَ الأنفالِ وتُناسِبُها؛ لأنَّ في الأنفالِ ذكرَ العُهودِ، وفي براءةَ نبذَها، فضُمَّتْ إليها، وقيل: لمَّا اختلفَتِ الصَّحابةُ في أنَّهما سورةٌ واحدةٌ أو سُورتانِ تُرِكَتْ بينهما فُرْجةٌ.

قولُه: (فِي مَعْنَاهُ) أي: معنى ما تقدَّمَ من عدمِ الأمرِ؛ يعني: في بيانِ حكمتِهِ.

قولُه: (وهِيَ سُورَةُ العَذَابِ) ولها أسماءٌ أخرُ، ذكرَها القَاضِي[1].

قولُه: (هَذِه) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿براءة﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، و﴿مِن﴾ ابتدائيَّةٌ متعلِّقةٌ بمحذوفٍ، ويجوزُ أن تكونَ ﴿براءة﴾ مبتدأً لتخصُّصِها بصفَتِها، والخبرُ: ﴿إلى الذين﴾.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٧٠).

ونَقَضُوا العهدَ بما يُذكر في قوله: ٢ ـ ﴿فسِيحُوا﴾: سيروا آمنين ـ أيها المُشركون ـ ﴿في الأرضِ أربَعَةَ أشهُرٍ﴾، أوّلُها شوّال بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها، ﴿واعلَمُوا أنّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ﴾ أي: فائتِي عذابِه، ﴿وأنَّ اللهَ مُخزِي الكافِرينَ﴾: مُذِلّهم في الدنيا بالقتل والأُخرى بالنار.

٣ ـ ﴿وأذانٌ﴾: إعلامٌ ﴿مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ إلَى النّاسِ يَومَ الحَجِّ الأكبَرِ﴾: يومَ النحر، ﴿أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ وعهودِهم ﴿ورَسُولُهُ﴾ بريءٌ أيضًا ـ «وقد بَعثَ ﷺ عليًّا من السَّنة وهي سنةُ تِسعٍ، فأذّنَ يومَ النحرِ بمِنًى بهذه الآياتِ وألاّ يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشركٌ ولا يطوفَ بالبيتِ عُريانٌ». رواه البخاريّ ـ ﴿فإن تُبتُم﴾ من الكفر.......................................

قولُه: (بما يُذكَرُ) متعلّقٌ بقولِه: ﴿براءة﴾.

قولُه: (بدَلِيلِ مَا سَيَأتِي) من قولِهِ: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ [التوبة: ٥] أي: ذو القَعْدةِ وذو الحجَّةِ والمحرَّمُ.

قولُه: (فَائِتِي عذَابِهِ) وإنْ أمهلَكُم.

قولُه: (بالقَتْلِ) والأسرِ.

قولُه: (إِعلَامٌ) فَعَالٌ بمعنى الإفعالِ، كالأمانِ والعطاءِ.

قولُه: (يَومَ النَّحْرِ) أي: يومَ العيدِ؛ لأنَّ فيه تمامَ الحجِّ وأكثرَ أفعالِهِ، ولأنَّ الإعلامَ كانَ فيه، ولِما رويَ: أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقفَ يومَ النَّحرِ عندَ الجمَراتِ في حَجَّةِ الوَداعِ فقالَ: «هذا يومُ الحجِّ الأكبرِ». رواه أبو داودَ والحاكمُ، وصحَّحَه[1].

وقيلَ: يومُ عرَفةَ لقولِه ﷺ: «الحجُّ عرَفةُ» رواه أبو داودَ وغيرُه[2]. ووصْفُ الحجِّ بالأكبرِ لأنَّ العُمرةَ تُسمَّى بالحجِّ الأصغرِ، وقد بيَّنتُ الحجَّ الأكبرَ بالمعنى المتعارَفِ في رسالةٍ سمَّيتُها بـ«الحظُّ الأوفَرِ»[3].

قولُه: (بريْءٌ) أيضًا يحتملُ أن يكونَ إشارةً إلى أنَّه عطفٌ على المستكنِّ في ﴿بريء﴾ أو مبتدأٌ خبرُه مقدَّرٌ دلَّ عليهِ ما قبلَه.

قولُه: (منَ الكُفْرِ) والغَدرِ.

---

(١) رواه أبو داود (١٩٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وأحمد في «مسنده» (١٨٧٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٧٠٣) من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الحظ الأوفر» (ص: ٩٨).

﴿فهوَ خيرٌ لكُم، وإن تَوَلَّيتُم﴾ عن الإيمان ﴿فاعلَمُوا أنَّكُم غيرُ مُعجِزِي اللهِ. وبَشِّرِ﴾: أخبرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعذابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلم. وهو القتلُ والأسر في الدنيا والنارُ في الآخِرة. ٤ ـ ﴿إلاَّ الَّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ، ثُمَّ لَم يَنقُصُوكُم شَيئًا﴾ من شُروط العهد، ﴿ولَم يُظاهِرُوا﴾: يُعاونوا ﴿عَلَيكُم أحَدًا﴾ من الكُفّار، ﴿فأتِمُّوا إلَيهِم عَهدَهُم إلَى﴾ انقضاء ﴿مُدّتِهِم﴾ التي عاهدتموهم عليها. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ بإتمام العُهود.

٥ ـ ﴿فإذا انسَلَخَ﴾: خرج ﴿الأشهُرُ الحُرُمُ﴾ ـ وهي آخِر مُدّة التأجيل ـ ﴿فاقتُلُوا المُشرِكِينَ حَيثُ وجَدتُمُوهُم﴾ في حِلٍّ أو حَرم، ﴿وخُذُوهُم﴾ بالأسر، ﴿واحصُرُوهُم﴾ في القِلاع والحُصون حتّى يُضطرّوا إلى القتل أو الإسلام، ﴿واقعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرصَدٍ﴾: طريقٍ يسلكونه ـ..................

وقولُه تعالى: (﴿فهو﴾) أي: التَّوبُ.

قولُه: (عنِ الإيمَانِ) أي: ثبتُّم عن التَّولِّي عنه وعن الوفاءِ، والأقربُ: وإنْ تولَّيتُم عن[1] التَّوبةِ.

قولُه: (أخْبِرْ) ففيهِ تهكُّمٌ.

قوله تعالى: (﴿إلَّا الذِينَ عاهدتم﴾) قالَ ابنُ عبَّاسٍ[2]: هم قريشٌ، كذا في «المبهَماتِ»[3] وهو استثناءٌ مِن ﴿المشركين﴾ في قولِهِ: ﴿بريء من المشركين﴾ أو استدراكٌ، وكأنَّه قيلَ لهم بعْدَ أن أُمِرُوا بنبذِ العهدِ إلى النَّاكثينَ: ولكنِ الذين عاهَدوا منهُم.

قولُه: (مِن شُرُوطِ العَهدِ) ولم ينكُثُوه.

قولُه: (خرَجَ) الأولى تفسيرُه بانقضَى، وأصلُ الانسلاخِ خروجُ الشَّيءِ ممَّا لابسَه، من سَلخِ الشَّاةِ.

قولُه: (وهيَ آخِرُ) يعني: الأشهُرَ التي أُبيحَ للنَّاكثينَ أن يسيحُوا فيها.

وقولُه تعالى: (﴿فاقتلوا المشركين﴾) أي: النَّاكثينَ.

قولُه: (فِي حِلٍّ) الأظهرُ: من حِلٍّ.

قولُه: (فِي القِلَاعِ) أو قيِّدوهُم وامنَعُوهم منَ التَّصرُّفِ في البلادِ واحبسُوهم.

قولُه: (طَرِيقٍ) أي: ممرٌّ لئلَّا ينبسِطُوا في البلادِ.

---

(١) «التوب قولُه: عن الإيمان أي: ثبتم عن التّولي عنه وعن الوفاء والأقرب وإن توليتم عن»: ليس في (ص).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٤٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٣٤) لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) انظر: «مفحمات الأقران/ ط الرسالة» (ص: ١٠٣).

ونصبُ «كُلّ» على نزع الخافض ـ ﴿فإن تابُوا﴾ من الكُفر ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾ ولا تتعرّضوا لهم ـ ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب ـ ٦ ـ ﴿وإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿استَجارَكَ﴾: استأمنَك من القتل ﴿فأجِرْهُ﴾: آمِنْه ﴿حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ثُمَّ أبلِغْهُ مأمَنَهُ﴾ أي: موضع أمنه ـ وهو دار قومه ـ إن لم يُؤمن، لِيَنظرَ في أمره. ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأنَّهُم قَومٌ لا يَعلَمُونَ﴾ دِينَ الله. فلا بُدّ لهم من سماع القُرآن ليعلموا.

٧ ـ ﴿كَيفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلمُشرِكِينَ عَهدٌ عِندَ اللهِ وعِندَ رَسُولِهِ﴾، وهم كافرون بهما غادرون؟ ﴿إلاّ الَّذِينَ عاهَدتُم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ يومَ الحُدَيبية ـ وهم قريش المُستثنَون من قبلُ ـ ﴿فما استَقامُوا لَكُم﴾: أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فاستَقِيمُوا لَهُم﴾ على الوفاء به. وما: شرطيّة. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾. وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكرٍ على خُزاعةَ.

٨ ـ ﴿كَيفَ﴾ يكون لهم عهد، ﴿وإن يَظهَرُوا عَلَيكُم﴾: يظفروا بكم ﴿لا يَرقُبُوا﴾: يُراعوا ﴿فِيكُم إلًّا﴾: قرابةً ﴿ولا ذِمّةً﴾: عهدًا، بل يُؤذوكم ما استطاعوا؟ وجملة الشرط: حال.......

قولُه: (عَلَى نزْعِ الخَافِضِ) الظَّاهرُ انتصابُه على الظَّرفِ.

قولُه: (مِن الكُفْرِ) أو عن الشِّركِ بالإيمانِ، و﴿أقاموا﴾ و﴿آتوا﴾ تصْدِيقاً لتوبتِهم وإيمانِهم.

قولُه: (ولَا تَتَعَرَّضُوا) يعني: فدَعُوهم.

قالَ تعالى: (﴿وإن أحد من المشركين﴾) أي: المأمُورِ بالتَّعرُّضِ لهم.

قولُه: (مَرفُوعٌ بِفِعلٍ) لا بالابتداءِ؛ لأنَّ «إنْ» من عواملِ الفعلِ.

قولُه: (لِيَنْظُرَ) علّةٌ لـ﴿يسمع﴾ أو ﴿أبلغه﴾.

قولُه: (المَذْكُورُ) أو الأمنُ، أو الأمرُ.

قولُه: (مِن قَبْلُ) ومحلُّه النَّصبُ على الاستثناءِ، أو الجرُّ على البدَلِ، أو الرَّفعُ على أنَّ الاستِثناءَ منقطعٌ؛ أي: ولكنِ الذينَ عاهدتُم منهم عندَ المسجدِ الحرامِ فتربَّصُوا أمرَهُم.

قولُه: (عَلَى الوَفاءِ) وهو كقولِه: ﴿فأتموا إليهم عهدهم﴾ [التوبة: ٤] غيرَ أنّه مُطلَقٌ، وهذا مقيَّدٌ بالاستقامةِ.

قولُه: (شَرطيَّةٌ) أو مصدريّةٌ ظرفيّةٌ.

قولُه: (قَرَابةً) أو حِلفاً.

قولُه: (وجُملَةُ الشَّرطِ) أي: معَ الجزاءِ. (حالٌ)؛ أي: وحالُهم أنّهم إنْ يظفَروا.

﴿يُرضُونكُم بِأفواهِهِم﴾: بكلامهم الحسن، ﴿وتأبى قُلُوبُهُم﴾ الوفاءَ به، ﴿وأكثرُهُم فاسِقُونَ﴾: ناقضون للعهد. ٩ ـ ﴿اشتَرَوا بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتّباعها للشهوات والهوى، ﴿فصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾: دِينه. ﴿إنَّهُم ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَـ﴾ـه عملُهم هذا! ١٠ ـ ﴿لا يَرقُبُونَ في مُؤمِنٍ إلًّا ولا ذِمَّةً، وأُولئِكَ هُمُ المُعتَدُونَ﴾.

١١ ـ ﴿فإن تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فإخوانُكُم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدِّينِ ـ ونُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون ـ ١٢ ـ ﴿وإن نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أيمانَهُم﴾: مواثيقهم ﴿مِن بَعدِ عَهدِهِم وطَعَنُوا في دِينِكُم﴾: عابوه ﴿فقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفرِ﴾: رُؤساءه ـ فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر ـ

قولُه: (بِهِ) أي: بما يتفوَّه به أفواهُهم.

قولُه: (ناقِضُونَ) أو متمرِّدونَ لا عقيدةَ تكُفُّهم، ولا مروءةَ تمنَعُهم، وتخصِيصُ الأكثرِ لِما في بعضِ الكفَرةِ من التَّجافي عن الغَدْرِ.

قولُه: (القُرآنِ) أي: استبدَلوا بهِ.

قولُه: (مِن الدُّنيَا) أي: عِوضاً يسيراً.

قولُه: (اتِّباعَها) أي: الآياتِ.

قولُه: (لِلشَّهَوَاتِ) أي: لتحصيلِها.

قولُه: (دِينِهِ) الموصِلِ إليه، أو سبيلِ بيتِهِ بحصرِ الحُجَّاجِ والعُمَّارِ.

وقولُه تعالى: (﴿لا يرقبون﴾) قيلَ: الأوَّلُ عامٌّ في النَّاقضينَ، وهذا خاصٌّ بالذينَ اشترَوا؛ وهم اليهودُ والأعرابُ الذينَ جمعَهُم أبو سفيانَ وأطعَمَهم.

قولُه: (فهُمْ إخوَانُكُم) لهم ما لَكُم، وعليهِم ما عليكُم.

قولُه: (يتدَبَّرُونَ) اعتراضٌ بينَ الشَّرطيَّاتِ للحثِّ على تأمُّلِ ما فصَّلَ مِن أحكامِ المعاهَدِين أو خصالِ التَّائبين.

قولُه: (عَابُوهُ) بصريحِ التَّكذيبِ وتقبيحِ الأحكامِ.

قولُه: (رُؤَسَاءَهُ) فالتَّخصِيصُ إمَّا لأنَّ قتلَهُم أهمُّ وهم أحقَّاءُ به، أو للمنعِ مِن مراقبتِهِم.

وقولُه: (فِيهِ وضْعُ الظَّاهِرِ) لا يلائمُ ما قبلَه، فالظَّاهرُ أن يقولَ: أو فيه؛ يعني الأصلَ: فقاتِلوهُم، فوضعَ ﴿أئمّة الكفر﴾ موضِعَ الضَّميرِ للدِّلالةِ على أنَّهم صَاروا بذلك ذَوي الرِّياسةِ والتَّقدُّمِ في الكفرِ، أحقَّاءَ بالقتلِ.

﴿إنَّهُم لا أيمانَ﴾: عهودَ ﴿لَهُم﴾ ـ وفي قراءة بالكسر ـ ﴿لَعَلَّهُم يَنتَهُونَ﴾ عن الكُفر. ١٣ ـ ﴿ألا﴾ للتحضيض ﴿تُقَاتِلُونَ قَوْمًا، نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أيمانَهُم﴾: عهودهم، ﴿وهَمُّوا بِإخراجِ الرَّسُولِ﴾ من مكّة لمّا تشاوروا فيه بدار الندوة، ﴿وهُم بَدَؤُوكُم﴾ بالقِتال ﴿أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيثُ قاتلوا خُزاعةَ حلفاءكم مع بني بكر،

وأصلُ ﴿أئمَّة﴾: أَأْمِمَة، جمعُ: إمامٍ، فأُعِلَّ بالنَّقلِ والإدغام[١]، وقَرَأَ الحرَميَّانِ وأبو عَمرٍو بتسهيلِ الثَّانيةِ، وبإبدالِها ياءً محضةً أيضاً[٢]، وقولُ البيضاويِّ[٣]: والتَّصريحُ بالياءِ لحنٌ؛ خطأٌ، والباقونَ بتحقيقِ الهمزَتَين، ويُدخِلُ هشامٌ ألِفاً بينهما بخلافٍ عنه.

قولُه: (عُهُودَ ﴿لَهُمْ﴾) في «الكشّاف»[٤]: فإنْ قلتَ: كيفَ أثبَتَ لهم الأيمانَ في قولِه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ ثمَّ نفى عنهم؟ قلتُ: أرادَ أيمانَهم التي أظهرُوها، ثمَّ قال: ﴿لا أيمان لهم﴾ على الحَقيقةِ، وإلَّا لَما طعنُوا، ولم ينكُثوا.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[٥].

قولُه: (عَنِ الكُفْرِ) و﴿لعلَّهم﴾ متعلِّقٌ بـ﴿قاتلوا﴾.

قولُه: (لِلتَّحْضِيضِ) نصَّ عليه «المغني»[٦] وفي البيضاويِّ[٧]: تحريضٌ على القتالِ؛ لأنَّ الهمزةَ دخلَتْ على النَّفي للإنكارِ، فأفادَتِ المبالغةَ في الفعل.

قولُه: (عُهُودَهُمْ) التي حلَفُوها مع الرَّسول ﷺ والمؤمنينَ على أنْ لا يُعاوِنوا عليهم، فعاوَنوا بني بَكرٍ على خُزاعةَ.

قولُه: (فِيهِ) الضَّميرُ إلى الإخراجِ.

قولُه: (حَيثُ قَاتَلُوا... إلخ) هذا قد فُهِمَ مِن قولِه: ﴿نكثوا﴾ فالأَولى ما قالَ القاضِي؛ لأنَّه عليه الصَّلاةُ

---

(١) جاء في «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» (٦/ ٢٥): التقى ميمان فأُريد إدغامُهما فنُقلت حركةُ الميم الأولى للساكن قبلَها، وهو الهمزة الثانية، فأدَّى ذلك إلى اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة: فالنحويون البصريون يوجبون إبدال الثانية ياء، وغيرُهم يحقق أو يسهِّل بينَ بين.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٧٣).

(٤) انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٥١).

(٥) أي: ﴿لا إيمان﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٥).

(٦) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٩٧).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٧٣).

فما يمنعكم أن تُقاتلوهم؟ ﴿أَتَخشَونَهُم﴾: أتخافونهم؟ ﴿فاللهُ أَحقُّ أن تَخشَوهُ﴾ في ترك قِتالهم، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾.

١٤ ـ ﴿قاتِلُوهُم، يُعَذِّبْهُمُ اللهُ﴾: يَقتلْهم ﴿بِأيدِيكُم، ويُخْزِهِم﴾: يُذلَّهم بالأسر والقهر، ﴿ويَنصُرْكُم عليهِم، ويَشفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ﴾ ممّا فُعل بهم ـ هم بنو خُزاعةَ ـ ١٥ ـ ﴿ويُذهِبْ غَيظَ قُلُوبِهِم﴾: كربَها. ﴿ويَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سُفيانَ. ﴿واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

١٦ ـ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبتُم أن تُترَكُوا، ولَمّا﴾: لم ﴿يَعلَمِ اللهُ﴾ علمَ ظُهورٍ ﴿الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم﴾ بإخلاص، ﴿ولَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ ولا رَسُولِهِ ولا المُؤمِنِينَ وَلِيجةً﴾: بِطانةً وأولياء. المعنى: ولم يَظهرِ المخلصون ـ وهم الموصوفون بما ذُكر ـ من غيرهم؟ ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ما كانَ لِلمُشرِكِينَ أن يَعمُرُوا مَسجِدَ اللهِ﴾ ـ بالإفراد والجمع ـ ....

والسَّلامُ بدأَهم بالدَّعوةِ وإلزامِ الحُجَّةِ بالكتابِ في التَّحدِّي، به فعدَلوا عن معارضتِهِ إلى المعَاداةِ والمقاتَلَةِ، فما يمنعُكم أن تُعارِضُوهم وتُصادِمُوهم؟

قولُه: (كَرْبَها) وقد أَوفى اللهُ بما وعدَهُم، فالآيةُ من المعجزاتِ.

قولُه: (بالرُّجُوعِ) ابتداءُ إخبارٍ بأنَّ بعضَهم يتوبُ، وكانَ كذلك.

قولُه: (بمَعْنَى هَمزَةِ الإنكَارِ) يعني: ﴿أم﴾ منقطعةٌ للإضْرابِ، ومع ذلكَ تتضمَّنُ استفهاماً إنكاريًّا على ما حقَّقَه «المغني»[1].

قولُه: (لمْ) بينَهما فرقٌ.

قولُه: (عِلمَ ظُهُورٍ) تقدَّمَ تحقيقُه.

قالَ تعالى: (﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾) عطفٌ على ﴿جَاهَدُوا﴾.

قالَ تعالى: (﴿مَا كَانَ﴾) ما صحَّ.

قولُه: (بالإفرادِ) مكِّيٌّ وبَصريٌّ.

قولُه: (والجَمْعِ) أي: شيئاً من المساجِدِ، فضلاً عن المسجِدِ الحرامِ، وقيل: هو المرادُ، وإنَّما جُمِعَ لأنَّه قِبلةُ المساجِدِ وإمامُها، فعامِرُه كعامرِ الجميعِ، ويحتملُ أنَّه جمعٌ؛ لأنَّ كلَّ جهةٍ من جهاتِهِ مسجدٌ، أو للتَّعظيمِ، أو لكِبَرِه الحسِّيِّ والمعنويِّ، فكان كلُّ جزءٍ منه مسْجداً. كما قيلَ في: سراويل.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٦).

بدُخوله والقُعود فيه ﴿شاهِدِينَ علَى أنفُسِهِم بِالكُفرِ. أُولئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلت ﴿أعمالُهُم﴾ لعدم شرطها، ﴿وفي النّارِ هُم خالِدُونَ. إنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ، ولَم يَخشَ﴾ أحدًا ﴿إلاّ اللهَ. فعَسَى أُولئِكَ أن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾.

١٩ ـ ﴿أجَعَلتُم سِقايَةَ الحاجِّ وعِمارَةَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: أهلَ ذلك ﴿كَمَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وجاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ؟ لا يَستَوُونَ عِندَ اللهِ﴾ في الفضل ـ ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين. نزلتْ ردًّا على من قال ذلك، وهو العبّاس أو غيره ـ ٢٠ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم أعظَمُ دَرَجةً﴾: رُتبة ﴿عِندَ اللهِ﴾ من غيرهم، ﴿وأُولئِكَ هُمُ الفائزُونَ﴾: الظافرون بالخير، ٢١ ـ ﴿يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمةٍ مِنهُ ورِضوانٍ وجَنّاتٍ لَهُم فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾: دائم ٢٢ ـ ﴿خالِدِينَ﴾: حال مُقدّرة ﴿فِيها أبَدًا. إنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: (﴿شاهدينَ﴾) حالٌ من الواو[1].

قولُه: (شَرطِهَا) أي: الأعمالِ، وهو الإيمانُ.

قولُه: (أَي: أَهلَ ذلِكَ) أي: ما ذُكِرَ من السِّقايةِ والعِمَارةِ؛ لأنَّهما مصدرانِ، فلا يُشبَّهان بالجثثِ بل لا بدَّ من إضمارٍ، أو التَّقديرُ: أجعلتُم سقايةَ الحاجِّ كإيمانِ مَن آمَن[2].

قولُه: (ذلكَ) من أنَّ السِّقايةَ والعِمارةَ كالإيمان.

قولُه: (أو غَيرُه) الأظهرُ: وغيرُه، على ما في «المعالِمِ»[3] و«الدُّر»[4].

قولُه: (مِن غَيرِهم) يعُمُّ أهلَ السِّقايةِ وغيرَهم.

قولُه: (دائمٌ) وقرأ حمزةُ[5]: «يَبْشُرهم» بتخفيفِ الشِّينِ المضمومةِ وفتحِ حرفِ المضارعةِ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿يَعْمُرُوا﴾.

(٢) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر، والسقاية والعمارة فعل، وقوله: كمن آمن بالله إشارة إلى الفاعل، فظاهر اللفظ يقتضي تشبيه الفعل بالفاعل، والصفة بالذات؛ وإنه محال، فلا بدَّ من التأويل وهو من وجهين: الأول: أن نقول التقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ والثاني: أن نقول التقدير: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله.
انظر: «تفسير الرازي» (١٦/ ١٢)، و«التفسير البسيط» (٣/ ٥١٨).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٣٢٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ١٤٥).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٥).

ونزل فيمن ترك الهِجرة لأجل أهله وتجارته: ٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا آباءَكُم وإخْوانَكُم أولِياءَ، إنِ استَحَبُّوا﴾: اختاروا ﴿الكُفرَ علَى الإيمانِ. ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ. قُلْ: إن كانَ آباؤُكُم وأبناؤُكُم وإخْوانُكُم وأزْواجُكُم وعَشِيرتُكُم﴾: أقرباؤكم ـ وفي قراءة: «عَشِيراتُكُم» ـ ﴿وأمْوالٌ اقتَرَفتُمُوها﴾: اكتسبتموها ﴿وتِجارةٌ تَخشَونَ كَسادَها﴾: عدمَ نَفاقها ﴿ومَساكِنُ تَرضَونَها أحَبَّ إلَيكُم مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ﴾، فقعدتم لأجله عن الهِجرة والجِهاد، ﴿فتَرَبَّصُوا﴾: انتظروا ﴿حَتَّى يأتِيَ اللهُ بِأمرِهِ﴾. تهديدٌ لهم. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾.

٢٥ ـ ﴿لَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرةٍ﴾ كبَدرٍ وقُرَيظةَ والنَّضيرِ، ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ حُنَينٍ﴾: وادٍ بين مكّة والطائف، أي: يومَ قِتالكم فيه هوازنَ ـ وذلك في شوّال سنة ثمانٍ ـ ﴿إذ﴾: بدل من «يومَ»، ﴿أعجَبَتْكُم كَثرَتُكُم﴾، فقلتم: لن نُغلَب اليوم من قِلّة ـ..........................

قولُه: (اختارُوا) وحرَّضوا عليه.

قولُه: (أقرِباؤكُم) مأخوذٌ من العِشْرة[1].

قولُه: (وفِي قِراءَةٍ) لشُعبةَ[2].

قولُه: (نَفَاقِها)؛ أي: رواجِها.

قولُه: (والجِهادِ) وكذا عن الحجِّ، والمرادُ الحبُّ الاختياريُّ دونَ الطَّبيعي فإنَّه لا يدخلُ تحتَ التَّكليفِ.

قولُه: (تهدِيدٌ) أي: وجوابُ الأمرِ: عقوبةٌ عاجلةٌ، أو آجلةٌ، وقيلَ: فتحَ مكَّةَ، وفي الآيةِ تشديدٌ عظيمٌ، وقلَّ مَن يتخلَّصُ منه. قولُه: (للحَربِ) أي: مَواقعَ لها.

قولُه: (﴿و﴾اذكُرْ) أو التَّقديرُ: وموطِنَ حُنَينٍ، أو يقدَّرُ: أمامَ مواطنَ، أو يفسَّرُ الموطِنُ بالوقتِ.

قولُه: (هَوازِنَ) وثَقيفاً.

قولُه: (فقُلْتُم) قالَ النَّبيُّ[3]، أو أبو بكرٍ[4]، أو غيرُه مِن المسلمينَ.

---

(١) انظر: «تاج العروس» (١٣/ ٥٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٣).

(٣) لعله يشير لما روى أبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، وأحمد في «مسنده» (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه ولفظه: «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة». قال الترمذي: حديث حسن غريب. أما أبو داود فصحح إرساله، إلا أنه ليس في الحديث ما يدل على أنه في حنين، بل جاء فيما رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٣) عن الربيع: أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، فشقَّ ذلك على رسول الله.

(٤) جاء في «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٢٤٦): قال سعيد بن المسيب: القائل لذلك أبو بكر الصديق، وحكى ابن جرير أنَّ =

وكانوا اثنَي عشرَ ألفًا والكُفّارُ أربعة آلاف ـ ﴿فلَم تُغنِ عَنكُم شَيئًا! وضاقَتْ علَيكُمُ الأرضُ بِما رَحُبَتْ﴾ ما: مصدريّة أي: مع رُحبِها أي سَعتِها، فلم تجدوا مكانًا تطمئنّون إليه لشِدّة ما لحقكم من الخوف، ﴿ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرينَ﴾: منهزمين، وثَبَتَ النبيّ ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غيرُ العبّاس وأبو سُفيانَ آخذٌ بِركابه، ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿ثُمَّ أنزَلَ اللهُ سَكِينتَهُ﴾: طُمأنينته ﴿على رَسُولِهِ وعلَى المُؤمِنينَ﴾، فرَدُّوا إلى النبيّ ﷺ لمّا ناداهم العبّاس بإذنه وقاتلوا، ﴿وأنزَلَ جُنُودًا لَم تَروها﴾: ملائكةً،......................

قولُه: (اثنَي عَشَرَ ألفاً) العَشْرُ الذينَ حضَروا فتحَ مكَّةَ، وألفانِ انضمُّوا إليهم مِن الطُّلَقاءِ.

قالَ تعالى: (﴿فلم تغنِ﴾) أي: الكثرةُ شيئاً، مِن الإغناءِ، أو أمرِ العدُوِّ.

قولُه: (مُنهزِمينَ) حتَّى بلغَ مُنهزِمُهم مكَّةَ.

قولُه: (غيرُ العبَّاسِ) أخذا بلِجامِه.

وقولُه: (ولَيسَ معهُ غيرُ العبَّاسِ) بظاهِرِه يُنافي ما ذكرَه في «الدُّر»[(١)] عن الطَّبرانيِّ والحاكمِ، وصحَّحَه وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ في «الدَّلائلِ» عن ابنِ مسعودٍ قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في حُنَينٍ، فولَّى عنه النَّاسُ، وبقيتُ معه في ثمانينَ رجلاً من المهاجرينَ والأنصارِ. الحديثَ[(٢)]، فالجمعُ بأنَّ عمَّه وابنَ عمِّه كانا في خِدمتِهِ، وباقِيهم في المحاربةِ بينَ يديهِ وفي حضرَتهِ.

قولُه: (أبُو سُفيَانَ) بنُ الحارثِ؛ يعني: عمَّه وابنَ عمِّه، وناهيكَ هذا شهادةً على تناهِي شجاعتِهِ.

قولُه: (فرُدُّوا) بضمِّ الراءِ؛ أي: كرُّوا ميلاً واحداً يقولون: لبَّيك لبَّيك.

قولُه: (العبَّاسُ) وكان صيِّتاً.

قولُه: (بإذنِهِ) حيثُ قالَ له: صِحْ بالنَّاسِ: يا عبادَ اللهِ، يا أصحابَ الشَّجرةِ، يا أصحابَ سورةِ البقرةِ[(٣)].

قولُه: (ملائِكةً) خمسةَ آلافٍ، أو ثمانيةً، أو ستَّةَ عشرَ، فالتقَوا مع المشركين، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ هذا حينَ حَميَ الوَطيسُ، وهو تنُّورُ الحديدِ؛ يعني: اشتدَّ الحربُ، ثمَّ أخَذَ كفًّا من التُّرابِ، فرماهم ثمَّ قال: «انهزَموا وربِّ الكعبةِ»، فانهزَموا.

القائل لذلك رسول الله ﷺ، وقيل: بل العباس، وقيل: رجل من بني بكر.

(١) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ١٥٩).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤٣٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٦٩) (١٠٣٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٤٢). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وخالفه الذهبي فقال: الحارث وعبد الله ذوا مناكير هذا منها ثم فيه إرسال.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٥٩٣)، وأحمد في «مسنده» (١٧٧٥)، والحميدي في «مسنده» (٤٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٤٩) من حديث العباس رضي الله عنه.

﴿وعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر. ﴿وذلِكَ جَزاءُ الكافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعدِ ذلِكَ عَلَى مَن يَشاءُ﴾ منهم بالإسلام. ﴿واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٢٨ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّما المُشرِكُونَ نَجَسٌ﴾: قَذَرٌ لِخُبث باطنهم. ﴿فلا يَقرَبُوا المَسجِدَ الحَرامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحَرَمَ ﴿بَعدَ عامِهِم هذا﴾: عامِ تسع من الهجرة، ﴿وإِن خِفتُم عَيلَةً﴾: فقرًا بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوفَ يُغنِيكُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، إِن شاءَ﴾. وقد أغناهم بالفُتوح والجِزية. ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٢٩ ـ ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ﴾ ـ وإلاّ لآمنوا بالنبيِّ ـ ﴿ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر، ﴿ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ﴾: الثابتِ الناسخ لغيره من الأديان ـ وهو الإسلام ـ ﴿مِنَ﴾: بيانٌ لِـ «الَّذِينَ» ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾...

قولُه: (والأَسْرِ) وقد سُبيَ يومئذٍ ستَّةُ آلافِ نفسٍ، وأُخِذَ من الإبلِ والغنمِ ما لا يُحصَى.

قولُه: (لخُبْثِ باطِنِهِمْ) أو لأنَّه يجبُ أن تجتنِبَ عنهم كما يُجتنَبُ مِن الأنجاسِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ أعيانَهم نجسَةٌ[1].

قولُه: (لَا يدْخُلُوا الحَرَمَ) وفي «المدارِكِ»[2]: فلا يحُجُّوا، ولا يعتمِروا. وقاسَ مالكٌ سائرَ المساجِدِ على المسجِدِ الحرامِ في المنعِ.

قولُه: (عامَ تِسْعٍ) يعني: سنةَ براءةَ، وقيلَ: سنةَ حَجَّةِ الوَداعِ.

قولُه: (والجِزْيَةِ) وغيرِها، وقيَّدَه بالمشيئةِ لتنقطِعَ الآمالُ إلى اللهِ، ولينبِّهَ على أنَّه متفضِّلٌ في ذلكَ، وأنَّ الغنى الموعودَ يكونُ لبعضٍ دونَ بعضٍ، في عامٍ دونَ عامٍ.

قولُه: (وإلَّا) أي: لا يؤمنونَ على ما ينبغي وإلَّا... إلخ. فإيمانُهم كَلا إيمانٍ.

قولُه: (كالخَمْرِ) ممَّا يثبُتُ تحريمُه بالكتابِ والسُّنَّة.

قولُه: (لـ﴿الَّذِينَ﴾) ﴿لا يؤمنون﴾.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩١): معنى ذلك: ما المشركون إلا رِجْسُ خنزير أو كلب وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه غير حميد، فكرهنا ذكره.

وقال الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٣/ ٢٦٥): روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد واه: ما المشرك إلا رجس؛ خنزير أو كلب.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٧٣).

أي: اليهودِ والنصارى، ﴿حَتَّى يُعطُوا الجِزْيَةَ﴾: الخراج المضروب عليهم كُلَّ عام ﴿عَن يَدٍ﴾: حالٌ، أي: منقادين، أو بأيديهم لا يُوكِّلون بها، ﴿وهُم صاغِرُونَ﴾: أذلاَّءُ منقادون لحُكم الإِسلام.

٣٠ - ﴿وقالَتِ اليَهُودُ: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ. وقالَتِ النَّصارَى: المَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ابنُ اللهِ. ذلِكَ قَولُهُم بِأفواهِهِم﴾ لا مُستندَ لهم عليه، بل ﴿يُضاهُونَ﴾: يُشابِهون به ﴿قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ﴾ من آبائهم تقليدًا لهم..

قولُه: (حَالٌ) مِن الضَّمير؛ أي: عن يدٍ موافقةٍ؛ بمعنى: مُنقادينَ، أو عن يدِهم، بمعنى: مسلِّمينَ بأيدِيهم غيرَ باعثينَ بأيدِي غيرِهم، فحقُّه أن يقولَ: منقادينَ أو مسلِّمينَ... إلخ. أو المعنى: عن غِنًى، فلذلكَ لا تؤخَذُ من الفقيرِ، أو حالٌ مِن الجزيةِ بمعنى: نقداً مسلَّمةً عن يدٍ إلى يدٍ، أو عن إنعامٍ عليهم؛ فإنَّ إبقاءَهُم بالجزيةِ نعمةٌ عظيمَةٌ.

قولُه: (أَذِلَّاءُ) عن ابنِ عبَّاسٍ[1]: تؤخَذُ الجِزيةُ مِن الذِّمِّيِّ، ويوجَأُ عنقُه، وفي «المدارِكِ»[2]: أي: يؤخَذُ منهم على الصَّغارِ والذُّلِّ؛ وهو أن يأتيَ بنفسِهِ ماشياً غيرَ راكبٍ، ويسلِّمَها وهو قائمٌ، والمتسلِّمُ جالسٌ، وأن يُتَلتَلَ تلتلةً، ويؤخَذَ بتَلْبيبِهِ، ويقالَ له: أدِّ الجِزيةَ يا ذمِّيُّ وإن كانَ يؤدِّيها، ويُزَخُّ في قَفاه. تَلْتَلَهُ أي: زعزعَهُ وأقلقَه وزلزلَه، كذا في «الصِّحاح»[3] وزخَّه: أوقعَه في وَهدةٍ، كذا في «القاموس»[4].

قولُه: (﴿وقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾) بالتَّنوينِ عاصمٌ والكِسائيُّ[5].

قولُه: (لَا مُستَندَ) يعني: بأفواهِهِم إشعارٌ بأنَّه قولٌ مُجرَّدٌ عن برهانٍ، وتحقيقٌ مماثلٌ للمُهمَلِ الذي يوجدُ في الأفواهِ، ولا يوجَدُ مفهومُه في الأعيانِ، وقيلَ: إنَّه تأكيدٌ لنسبةِ هذا القولِ إليهم، ونفيٌ للتَّجوُّزِ عنها.

قولُه: (يُشَابِهُونَ) المضاهاةُ: المشابَهةُ، والهمزُ لغةٌ فيه، وقد قرأَ به عاصمٌ[6].

قولُه: (بِهِ) أيْ: بقولِهم، وقيلَ: يُضاهي قولُهم قولَ الذينَ كفروا، فحُذِفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَه.

قولُه: (مِن آبَائِهِم) أي: قدَمائِهم، على معنى أنَّ الكفرَ قديمٌ فيهم، بيانٌ لـ﴿الذين﴾، وقولُه: ﴿مِن قبل﴾ أي: قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف أيضاً في «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٢٥٣٤) وعزاه لتفسير البيضاوي. وانظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٧٨).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٧٤).

(٣) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٤٥).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٢).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٣).

(٦) انظر المصدر السابق: (ص: ٣١٤).

﴿قاتَلَهُمُ﴾: لعنهم ﴿اللهُ. أنَّى﴾: كيف ﴿يُؤفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقّ مع قِيام الدليل؟ ٣١ ـ ﴿اتَّخَذُوا أحبارَهُم﴾: عُلماءَ اليهود ﴿ورُهبانَهُم﴾: عُبّادَ النصارى ﴿أربابًا مِن دُونِ اللهِ﴾، حيثُ اتّبعوهم في تحليل ما حُرّم وتحريم ما أُحِلّ، ﴿والمَسِيحَ بنَ مَريَمَ، وما أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلاّ لِيَعبُدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إلـٰهًا واحِدًا، لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ. سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يُشرِكُونَ﴾!

٣٢ ـ ﴿يُرِيدُونَ أن يُطفِئُوا نُورَ اللهِ﴾: شرعَه وبراهينه ﴿بِأفواهِهِم﴾: بأقوالهم فيه، ﴿ويأبَى اللهُ إلاّ أن يُتِمَّ﴾: يُظهِرَ ﴿نُورَهُ، ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ذلك. ٣٣ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ﴾ مُحمّدًا ﴿بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ﴾: يُعلِيَه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: جميعِ الأديان المُخالفة له، ﴿ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ ذلك.

٣٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحبارِ والرُّهبانِ لَيأكُلُونَ﴾: يأخذون ﴿أموالَ النّاسِ بِالباطِلِ﴾ كالرُّشا في الحُكم، ﴿ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه، ﴿والَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَكنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَها﴾ أي: الكنوزَ ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾،..........

قولُه: (لعَنَهُم) دعاءٌ عليهم بالإهلاكِ؛ فإنَّ مَنْ قاتلَه الله هلَكَ، أو تعجُّبٌ من شناعةِ قولِهم.

قولُه: (حَيثُ اتَّبعُوهُم) أو بالسُّجودِ لهم.

قولُه: (بأَنْ يعْبُدُوا) أي: يُطيعوا، وأمَّا طاعةُ الرسلِ وسائرِ مَن أمرَ اللهُ بطاعتِهِ [فهي] في الحقيقةِ طاعةُ اللهِ.

قولُه: (وبَرَاهِيْنَه) أي: حُجَجَهُ الدَّالَّةَ على وحدانيَّتِه وتقدُّسِه عن الولدِ، أو القرآنَ، أو نبوَّةَ محمَّدٍ.

قالَ تعالى: (﴿ويَأْبى اللهُ﴾) أي: لا يرضَى، فصَحَّ الاستثناءُ المفرَّغُ، والفعلُ موجبٌ لأنَّه في معنى النَّفي.

قولُه: (ذلِكَ) أي: الإتمامَ.

قولُه: (يُعلِيَه) من الإعلاءِ.

قولُه: (ذلِكَ) أيْ: الإظهارَ.

قولُه: (كَالرِّشَا) جمع: الرِّشوةِ، مثلَّثة الرَّاءِ.

قولُه: (النَّاسَ) أيْ: يعرَضُونَ.

قولُه: (أي: الكُنُوزَ) أو الأموالَ؛ لأنَّ الحكمَ عامٌّ، والضَّميرُ قد يعودُ إلى أعمَّ مِن المذكورِ؛ أي: أصنافَ المكنوزاتِ، وقيلَ: الضَّميرُ راجعٌ إلى المعنى؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما دنانيرُ ودراهمُ، أو للفضَّةِ، وتخصيصُها لقربِها ودَلالةِ حكمِها على أنَّ الذَّهبَ أَولى بهذا الحكمِ، فإنَّ الذَّهبَ يُصرَفُ بالفضَّةِ ثمَّ يُصرَف، أو معناه: ولا يُنفِقونَها، والذَّهبُ والفضَّةُ خُصَّا بالذِّكرِ مِن بينِ الأموالِ؛ لأنَّهما قانونُ التَّمَوُّلِ وأثمانُ الأشياءِ، وذكرُ كنزِهمَا دليلٌ على ما سواهمَا.

أي: لا يُؤدّون منها حقّه من الزكاةِ، والخبرُ: ﴿فبَشِّرْهُم﴾: أخبِرْهم، ﴿بِعَذابٍ أليمٍ﴾: مُؤلِم ٣٥ ـ ﴿يَومَ يُحمَى علَيها في نارِ جَهَنَّمَ، فتُكوَى﴾: تُحرَقُ ﴿بِها جِباهُهُم وجُنُوبُهُم وظُهُورُهُم﴾، ويُوسّع جلدهم حتى تُوضع عليه كلّها، ويقال لهم: ﴿هذا ما كَنَزتُم لِأنفُسِكُم. فذُوقُوا ما كُنتُم تَكنِزُونَ﴾ أي: جزاءَه.

٣٦ ـ ﴿إنَّ عِدّةَ الشُّهُورِ﴾ المُعتدِّ بها للسَّنة ﴿عِندَ اللهِ اثنا عَشَرَ شَهْرًا في كِتابِ اللهِ﴾: اللوحِ المحفوظ ﴿يَومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، مِنها﴾ أي: الشُّهورِ ﴿أربَعةٌ حُرُمٌ﴾: مُحرَّمة: ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجبٌ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: تحريمُها ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المستقيم ـ ﴿فلا تَظلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهرِ الحُرم ﴿أنفُسَكُم﴾ بالمعاصي ـ فإنها فيها أعظم وِزرًا. وقيل: في الأشهُرِ كُلّها ـ ﴿وقاتِلُوا المُشرِكِينَ كافّةً﴾ أي: جميعًا في كُلّ الشُّهور ﴿كَما يُقاتِلُونَكُم كافّةً، واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

٣٧ ـ ﴿إنَّما النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحُرمة شهر إلى آخَرَ كما كانت الجاهليّة تفعله من تأخير حُرمة المُحرّم إذا هلَّ، وهم في القتال،..........................

قولُه: (أخبِرْهُم) ففيهِ تهكُّمٌ.

قولُه: (مُؤلِمٍ) ومنه الكَيُّ بهما.

قولُه: (كُلُّهَا) وخُصّتْ هذه الأعضاءُ لأنّهم عبَسوا وجوهَهم عندَ رؤيةِ الفقيرِ وازورُّوا عن السَّائلِ وأعرَضوا عنه وولَّوه ظهورَهم، أو معناه: يكونُ على الجهاتِ الأربعِ؛ مَقاديمِهم ومآخيرِهم وجنوبِهم وظهُورِهم.

قالَ تعالى: (﴿شهرا﴾) زِيدَ للتأكيدِ، كذا في «الكشفِ»[1] وقيلَ: إنَّ ﴿شهراً﴾ وإنْ فُهِمَ من ﴿عدَّة الشُّهورِ﴾ إلَّا أنّه بالنِّسبةِ إلى عاملِه وهو ﴿اثنا عشر﴾ مبيِّنٌ لا مؤكِّدٌ.

قولُه: (اللَّوحِ المَحْفُوظِ) أو في حُكمِهِ تعالى.

قولُه: (مُحَرَّمةٌ) أي: يحرُمُ القِتالُ فيها.

قولُه: (أي: تحرِيمُهَا) أي: الشُّهورِ.

قولُه: (المُسْتَقِيمُ) دينُ إبراهيمَ وإسماعيلَ، والعربُ ورِثُوه منهما.

قولُه: (بالمَعَاصِي) الجمهورُ على أنَّ حرمَةَ المقاتَلةِ فيها منسُوخةٌ، وأوّلوا الظُّلمَ بارتكابِ المعاصِي.

قولُه: (أعْظَمُ وِزراً) كارتكابِها في الحرمِ وحالَ الإحرامِ.

قولُه: (أي: جَمِيْعاً) وهي مصدرٌ، كفٌّ عن الشّيءِ؛ فإنَّ الجميعَ مكفُوفٌ عن الزِّيادةِ، وقعَ موقِعَ الحالِ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (٧/ ٢٤٠).

إلى صفر ﴿زِيادةٌ في الكُفرِ﴾ لكُفرهم بحُكم الله فيه، ﴿يُضَلُّ﴾ ـ بضمّ الياء وفتحها ـ ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ﴾ أي: النسيءَ ﴿عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا لِيُواطِئُوا﴾: يُوافقوا بتحليل شهرٍ وتحريم آخَرَ بدلَه ﴿عِدَّةَ﴾: عددَ ﴿ما حَرَّمَ اللهُ﴾ من الأشهُر، فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون، ولا ينظرون إلى أعيانها، ﴿فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ. زُيِّنَ لَهُم سُوءُ أعمالِهِم﴾ فظنّوه حسنًا. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾.

ونزل لمّا دعا رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة تَبُوكَ، وكانوا في عُسرةٍ وشِدّة وحرّ، فشقّ عليهم:

٣٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، ما لَكُم إذا قِيلَ لَكُمُ: «انفِرُوا في سَبِيلِ اللهِ» اثّاقَلتُم﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في المُثلّثة واجتلاب همزة الوصل ـ أي: تباطأتم ومِلتم عن الجِهاد ﴿إِلَى الأرضِ﴾ والقُعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ. ﴿أرَضِيتُم بِالحَياةِ الدُّنيا﴾ ولذّاتها ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ أي: بدلَ نعيمها؟.............

قولُه: (إِلَى صَفَر) قرأ[1] ورشٌ: «النَّسيُّ» بالإدغامِ.

قولُه: (لكُفْرِهِم) لأنَّ تحليلَ ما حرَّمَ اللهُ، وتحريمَ ما أحلَّهُ، فهو كفرٌ آخرُ ضمُّوه إلى كُفرِهم.

قولُه: (بضمِّ اليَاءِ) مع فتح الضَّادِ، حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ[2].

قولُه: (وفَتحِهَا) مع كسرِ الضَّادِ الباقونَ[3]، وعن يعقُوبَ[4]: «يُضِلُّ» على أنَّ الفعلَ للهِ.

قولُه: (أي: النَّسِيءَ) الظَّاهرُ: المنسأُ مِن الأشهرِ الحرُمِ، ويُحرِّمونَ مكانَه شهراً آخرَ.

وقولُه تعالى: (﴿وَيُحَرِّمُونَهُ﴾) أي: يترُكونَه على حُرمتِه.

قولُه: (إِلَى غَزْوةِ تَبُوكَ) أُمِروا بها بعدَ رُجوعِهم من الطَّائفِ.

قولُه: (وشِدَّةِ حرٍّ) وبُعْدِ سفرٍ، وكثْرةِ عدوٍّ.

قولُه: (تبَاطَأْتُمْ) وقُرِئَ[5]: «تثاقلتُم» على الأصلِ.

قولُه: (ومِلتُم) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ متعلِّقٌ به، وضُمِّنَ معنى الميلِ فعُدِّيَ بـ﴿إلى﴾.

قولُه: (ولذَّاتِهَا) وغُرورِهَا.

قولُه: (أي: بدَلَ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿مِنَ﴾ بمعنى: بدَلَ، كما قالَه الفاضِلُ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٤).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٧٩).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٥٧) ونسبت للأعمش.

﴿فما مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا في﴾ جنب متاع ﴿الآخِرةِ إلاّ قَلِيلٌ﴾: حقير. ٣٩ـ ﴿إلاّ﴾ ـ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطيّة في الموضعين ـ ﴿تَنفِرُوا﴾: تخرجوا مع النبيّ للجِهاد ﴿يُعَذِّبْكُم عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا، ﴿ويَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم﴾ أي: يأتِ بهم بدلكم، ﴿ولا تَضُرُّوهُ﴾ أيِ: اللهَ أو النبيَّ ﴿شَيئًا﴾ بترك نصره! فإنّ الله ناصرٌ دِينَه. ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دِينه ونبيّه.

٤٠ ـ ﴿إلاّ تَنصُرُوهُ﴾ أيِ: النبيَّ ﴿فقَد نَصَرَهُ اللهُ إذْ﴾: حينَ ﴿أخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكّة، أي: ألجؤوه إلى الخُروج، لمّا أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة، ﴿ثانِيَ اثنَينِ﴾: حالٌ،............

قولُه: (بإدْغَامِ لا) انقلبت العبارةُ على الشَّيخِ رحمهُ اللهُ، وحقُّه أنْ يقولَ: بإدغامِ نونِ الشَّرطيَّةِ في لامِ «لا» وكان القياسُ أن يكتبَ النُّونَ؛ لأنَّ «إنْ» كلمةٌ برأسِها، و«لا» نافيةٌ، لكن رُسِمَ في المصاحِفِ موصُولاً لمتابعةِ الخطِّ اللَّفظَ، فكأنَّه ـ واللهُ أعلمُ ـ سببُ وهمِ ابنِ مالكٍ ـ على إمامتِهِ ـ حيثُ ذكرَ «إلَّا» الثَّانيةَ[1] في شرحِ «التَّسهيلِ»[2] مِن أقسامِ «إلَّا» الاستثنائيَّة.

قلتُ: التَّعجُّبُ من وجوهٍ:

أولًا: من جهةِ الصَّرفِ والنَّحوِ، وهو حذفُ النُّون بلا سببٍ.

وثانياً: من جهةِ النَّحوِ؛ لأنَّ مدخولَ الاستثناءِ لا يكونُ إلَّا اسماً، ولا بدَّ من وجودِ المستثنَى منه أيضاً، نصًّا حقيقةً أو حكماً.

وثالثاً: من جهةِ التَّفسيرِ؛ فإنَّه لا يَظهرُ له معنًى أبداً.

قولُه: (مُؤْلِماً) بالإهلاكِ بسببٍ فظيعٍ، كقحطٍ وظُهورِ عدوٍّ.

قولُه: (بدَلَكُم) أي: مُطِيعينَ، كأهلِ اليَمنِ وأبناءِ فارسَ.

قولُه: (أي: اللَّهَ) إذ لا يقدَحُ تثاقُلُكم في نصْرِ دينهِ شيئاً؛ فإنَّه الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ، أو في كلِّ أمرٍ.

قولُه: (أو النَّبيَّ) فإنَّ اللهَ وعدَ له بالعصمةِ والنُّصرَةِ، ووعْدُه حقٌّ.

قولُه: (ونَبيِّه) بلا مددٍ كما قالَ: ﴿إلَّا تَنصُرُوهُ...﴾ إلخ.

قولُه: (أي: أَلجَؤُوْهُ) أو هَمُّوا بإخراجِهِ، أو تسبَّبُوا لإذْنِ اللهِ له بالخرُوجِ.

قولُه: (حَالٌ) أي: مِن الهاءِ[3].

---

(١) أي قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه...﴾ الآية [التوبة: ٤٠].

(٢) لم أجدها في النسخة التي بين يدي من «شرح التسهيل». وانظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ١٥٩).

(٣) أي: في قوله تعالى: ﴿إذ أخرجه﴾.

أي: أحدَ اثنين، والآخَرُ أبو بكر ـ المعنى: نصره الله في مِثل تلك الحالة، فلا يَخذِله في غيرها ـ ﴿إِذْ﴾: بدل من «إذ» قبله ﴿هُما في الغارِ﴾: نَقبٍ في جبلِ ثور، ﴿إِذْ﴾: بدلٌ ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾ أبي بكر، وقد قال له، لمّا نظر أقدام المشركين: «لَو نَظَرَ أحَدُهُم تَحتَ قَدَمَيهِ لأبصَرَنا»: ﴿لا تحزَنْ. إنَّ اللهَ مَعَنا﴾ بنصره. ﴿فأنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾: طُمأنينته ﴿علَيهِ﴾ ـ قيل: على النبيّ، وقيل: على أبي بكر ـ ﴿وأيَّدَهُ﴾ أي: النبيَّ ﴿بِجُنُودٍ لَم تَروها﴾: ملائكةٍ في الغار ومواطن قِتاله، ﴿وجَعَلَ كَلِمةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوةَ الشِّرك ﴿السُّفلَى﴾ المغلوبةَ.

قولُه: (بَدَل) البعضِ، وقيل: ﴿إِذْ هُمَا﴾ ظرفٌ لـ﴿ثَانِيَ﴾.

قولُه: (نَقْبٍ...) إلخ. بالنُّون في أوَّله أو المثلَّثةِ؛ يعني: في أعلى ثَورٍ، وثَورٌ جبلٌ بمكَّةَ مكثا فيه ثلاثاً[1].

قولُه: (بَدَلٌ ثَانٍ) أو ظرفٌ لـ﴿ثَانِيَ﴾.

قولُه: (أي: أَبِي بَكرٍ) عليه إجماعُ المفسِّرين، ولذا مَن أنكرَ صُحْبَةَ أبي بكرٍ كَفَرَ.

قولُه: (وقَد قَالَ) أي: أبو بكرٍ.

قولُه: (لَمَّا رَأَى) أي: أبو بكرٍ.

قالَ تعالى: (﴿لَا تَحْزَنْ﴾) أي: لا تخَفْ (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾)[2] على ما قُدِّر لنا في الأزَلِ.

قولُه: (بنَصْرِهِ) وقولُ البيضاويِّ[3]: بالعصْمةِ والمعونَةِ. أرادَ اللَّفَّ والنَّشرَ. قيل: إنَّ المشركينَ طلَعُوا فوقَ الغارِ، فأشفقَ أبو بكرٍ على رسُولِ اللهِ ﷺ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «ما ظنُّكَ باثنَينِ اللهُ ثالثُهما» فأعماهُمُ اللهُ عن الغارِ، فجعلُوا يتردَّدُونَ حولَه ولم يرَوه.

وقيل: لمَّا دخلا الغارَ بعثَ اللهُ حمَامتَيْن فباضَتا في أسفلِهِ، والعنكبُوتَ فنسجَتْ عليه.

قولُه: (طُمَأْنِينَتَه) أي: أمنَهُ الذي تسكنُ عندَه القلُوبُ.

قولُه: (وقيل: علَى أَبِي بَكْرٍ) وهو الأظهرُ؛ لأنَّه كان مُنزَعِجاً، وقيل: عليهما بتقديرِ كلٍّ واحدٍ منهما.

قولُـه: (ومَوَاطِـن) الظَّاهـرُ: «أو» كيـومِ بـدرٍ والأحـزابِ وحُنيـنٍ، فتكـونُ الجملـةُ معطوفـةً علـى قولِه: ﴿نَصَرَهُ اللهُ﴾.

قولُه: (أي: دَعْوةَ الشِّركِ) أو الشِّركَ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦١٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩/ ٥٤٤) (١٣٧) عن مجاهد.

(٢) «﴿إن الله معنا﴾»: ليس في (م).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٨١).

﴿وكَلِمةُ اللهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِيَ العُليا﴾: الظاهرةُ الغالبة. ﴿واللهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه.

٤١ ـ ﴿انفِرُوا خِفافًا وثِقالاً﴾: نِشاطًا وغيرَ نِشاط ـ وقيل: أقوياءَ وضُعفاء، أو أغنياءَ وفُقراء. وهي منسوخة بآيةِ «لَيسَ على الضُّعَفاءِ» ـ ﴿وجاهِدُوا بِأموالِكُم وأنفُسِكُم في سَبِيلِ اللهِ. ذلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا.

ونزل في المنافقين الذين تخلّفوا: ٤٢ ـ ﴿لَو كانَ﴾ ما دعوتَهم إليه ﴿عَرَضًا﴾: متاعًا من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾: سهلَ المأخذِ ﴿وسَفَرًا قاصِدًا﴾: وسَطًا ﴿لاتَّبَعُوكَ﴾ طلبًا للغنيمة، ﴿ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيهِمِ الشُّقّةُ﴾: المسافة فتخلّفوا. ﴿وسَيَحلِفُونَ بِاللهِ﴾ إذا رجَعتم إليهم ﴿لَوِ استَطَعْنا﴾ الخُروجَ ﴿لَخَرَجْنا مَعَكُم، يُهلِكُونَ أنفُسَهُم﴾ بالحَلِف الكاذب، ﴿واللهُ يَعلَمُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في قولِهم ذلك.

وكان ﷺ أذِن لجماعة في التخلّف باجتهاد منه فنزل عِتابًا له، ....

قولُه: (أي: كلِمَةُ الشَّهَادةِ) يعني: التَّوحيدَ، أو دعوةَ الإسلامِ.

قولُه: (نِشَاطاً) أي: نشاطَكُم للنَّفرِ.

قولُه: (أَو غيرَ نِشَاطٍ) أي: ثِقالاً عن النَّفرِ؛ لمشقَّتِهِ عليكُم، أو لقلَّةِ عيالِكُم أو لكثْرتِها، أو رُكباناً ومُشاةً، أو خِفافاً وثِقالاً من السِّلاحِ، أو صِحاحاً ومِراضاً، ولذلك لمَّا قال ابنُ أمِّ مكتومٍ لرسولِ اللهِ: أعليَّ أنْ أنفِرَ؟ قال: «نعم» حتَّى نزلَ: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

قولُه: (وقيلَ: أقْوِياءَ) وقيل: شُبَّاناً وشيوخاً، قلتُ: أو مُشتغِلينَ بذكرِ اللهِ وغافلينَ؛ لِما رُويَ في الحديثِ: «إنَّ الذِّكرَ يضَعُ عن الذَّاكرِينَ أثقالَهم، فيأْتونَ يومَ القيامةِ خِفَافاً» وهذا لم أرَ مَنْ ذكَرَه[1].

قولُه: (المَسَافةُ) التي تُقطعُ بمشقَّةٍ.

قولُه: (إذَا رجَعْتُم) من تبوكَ.

قولُه: (الخُرُوجَ) باستطَاعةِ العُدَّةِ أو البدنِ، وقولُه: ﴿لَخَرَجْنا﴾ سادٌّ مسَدَّ جوابَي القسمِ والشَّرطِ، وهذا مِن المعجزاتِ؛ لأنَّه إخبارٌ عمَّا وقعَ قبلَ وقُوعِهِ.

قولُه: (في قولِهِم) لأنَّهم كانوا مُستطِيعينَ للخروجِ.

قولُه: (باجتِهَادٍ مِنهُ) وكانَ خلافَ الأَولى.

---

(١) روى الترمذي (٣٥٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٤) من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقدّم العفو تطمينًا لقلبه: ٤٣ ـ ﴿عَفا اللهُ عَنكَ. لِمَ أذِنتَ لَهُم﴾ في التخلّف؟ وهلاّ تركتهم، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العُذر، ﴿وتَعلَمَ الكاذِبِينَ﴾ فيه.

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿لا يَستأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ في التخلّف عن ﴿أن يُجاهِدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم. واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ. إنَّما يَستأذِنُكَ﴾ في التخلّف ﴿الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وارتابَت﴾: شكّت ﴿قُلُوبُهُم﴾ في الدِّين، ﴿فهُم في رَيبِهِم يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون.

٤٦ ـ ﴿ولَو أرادُوا الخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبةً من الآلة والزاد، ﴿ولكِنْ كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُم﴾ أي: لم يُرد خُروجهم، ﴿فثَبَّطَهُم﴾: كسّلهم، ﴿وقِيلَ﴾ لهم: ﴿اقعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ﴾ المرضَى والنِّساء والصِّبيان. أي: قدّر الله ـ تعالى ـ ذلك. ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿لَو خَرَجُوا فِيكُم ما زادُوكُم إلاّ خَبالاً﴾: فسادًا بتخذيل المُؤمنين، ﴿ولَأوضَعُوا خِلالَكُم﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة، ﴿يَبغُونَكُمُ﴾: يطلبون لكم ﴿الفِتنَةَ﴾ بإلقاء العداوة، ﴿وفِيكُم سَمّاعُونَ لَهُم﴾ ما يقولون سماعَ قَبول. ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ. لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتنَةَ﴾ لكَ ﴿مِن قَبلُ﴾: أوّلَ ما قدِمتَ المدينة،..........

قولُه: (فِي التَّخَلُّفِ) أي: بلا عذرٍ عن أنْ يُجاهِدُوا؛ أي: عن الجهادِ، أو «في التَّخَلُّفِ» كراهةَ أن يُجاهِدُوا.

قولُه: (فِي التَّخَلُّفِ) يعني: بلا عُذرٍ.

قولُه: (أي: لَم يُرِدْ) استدراكٌ عن مفهومِ قولِه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الخرُوجَ﴾ كأنَّه قال: ما خرجُوا ولكنْ تُثُبِّطوا؛ لأنَّه تعالى كرِهَ انبعاثَهم؛ أي: نُهوضَهُم للخرُوجِ.

قولُه: (كسَّلَهُم) الأظهرُ: فحبسَهم بالجُبنِ والكسلِ.

قولُه: (أي: قَدَّرَ...) إلخ. يعني: أنَّه تمثيلٌ لإلقاءِ اللهِ كراهةَ الخرُوجِ في قُلوبِهم، أو لوسوَسةِ الشَّيطانِ بالأمرِ بالقُعُودِ، أو حكايةُ قولِ بعضِهم لبعْضٍ، أو إذنُ الرَّسولِ لهم.

و(﴿القاعِدِينَ﴾) يحتملُ المعذُورِينَ وغيرَهم، وعلى الوجهينِ لا يخلُو عن ذمٍّ.

قولُه: (فَسَاداً) أي: ما زادُوكم بخروجِهم شيئاً إلَّا فَساداً وشرًّا.

قولُه: (بالمَشْيِ) الباءُ للتَّعديةِ، أو «أسرَعوا» ركائبَهم بالنَّميمةِ أو الهزيمةِ أو التَّخذيلِ.

قولُه: (بِإلْقَاءِ العَدَاوَةِ) والخلافِ فيما بينكم، والرُّعبِ في قُلوبِكم.

قولُه: (سَمَاعَ قَبُولٍ) أي: ضَعَفَةٌ يسمَعونَ قولَهم ويُطيعونَهم، أو نمَّامونَ يسمَعونَ حديثَكُم للنَّقلِ إليهم.

قولُه: (لكَ) أي: تشتِيتَ أمرِكَ وتفريقَ أصحابِكَ يومَ أُحُدٍ، فإنَّ ابنَ أُبيٍّ وأصحابَه كما تخلَّفُوا عن تبوك ـ

﴿وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفِكر في كيدك وإبطال دِينك ﴿حَتَّى جاءَ الحَقُّ﴾: النصر، ﴿وظَهَرَ﴾: عزَّ ﴿أمرُ اللهِ﴾: دِينُه، ﴿وهُم كارِهُونَ﴾ له فدخلوا فيه ظاهرًا.

٤٩ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَقُولُ: ائْذَنْ لِي﴾ في التخلّف ﴿ولا تَفتِنِّي﴾. وهو الجَدّ بن قيسٍ، قال له النبيّ: «هَل لَكَ في جِلادِ بَنِي الأصفرِ»؟ فقال: إني مُغرَم بالنساء، وأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألاّ أصبرَ عنهنّ، فأُفتَتَنَ. قال تعالى: ﴿ألا فِي الفِتْنةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلّف ـ وقُرئ «سَقَطَ» ـ ﴿وإنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطةٌ بِالكافِرِينَ﴾: لا مَحيص لهم عنها. ٥٠ ـ ﴿إن تُصِبْكَ حَسَنةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُم، وإن تُصِبْكَ مُصِيبةٌ﴾: شِدّة ﴿يَقُولُوا: قَد أخَذْنا أمرَنا﴾ بالحزم حين تخلّفنا ﴿مِن قَبلُ﴾: قبلِ هذه المُصيبة، ﴿ويَتَوَلَّوا وهُم فَرِحُونَ﴾ بما أصابك.

٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَن يُصِيبَنا إلاّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا﴾ إصابتَه. ﴿هُوَ مَولانا﴾: ناصرنا ومُتولّي أُمورنا. ﴿وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ. قُلْ: هَل تَرَبَّصُونَ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل ـ....

تخلَّفوا[١] عن أحُدٍ ـ بعدَما خرَجوا مع الرَّسولِ إلى ذِي جُدَّةٍ أسفلَ من ثَنيَّةِ الوداعِ، انصرَفوا يوم أُحُدٍ[٢].

قولُه: (لَهُ) أي: لدِينِه؛ أي: على رغْمٍ منهُم.

قالَ تعَالى: (﴿ولا تَفْتِنِّي﴾) أي: لا توقِعْني في الفتنةِ؛ يعني: بنساءِ الرُّومِ.

قولُه: (مُغْرَمٌ) أي: مُولَعٌ وحريصٌ.

قولُه: (بالتَّخلُّفِ) أي: إنَّ الفتنةَ هي التي سَقَطوا فيها، وهي فتنةُ التَّخلُّفِ، لا ما احترَزُوا عنه.

قولُه: (لا مَحِيْصَ) أي: جامِعةٌ لهم يومَ القيامَةِ أو الآنَ؛ لإحاطَةِ أسبابِها.

قولُه: (بالحَزْمِ) تبجُّحاً بانصرافِهِم واستحماداً لرَأيِهِم في التَّخلُّفِ.

قولُه: (إصَابَتَه) يعني: في اللَّوحِ، لا يتغيَّرُ بموافَقَتِكُم ومخالفَتِكُم، أو ما اختصَّنا بإثباتِهِ من النُّصرةِ والشَّهادةِ، فمعنى ﴿كَتَبَ﴾: أثبتَ.

قولُه: (منَ الأَصْلِ) وقرَأَ[٣] البَزِّيُّ بإدغامِ الأُولى في الثانيةِ وصلاً؛ يعني: مع بقاءِ سكونِ اللَّامِ، وقولُ أبي

---

(١) في (م) و(د): «يتخلفوا».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٦٧٨٤) تخلفهم عن رسول الله في غزوة تبوك عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم، كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض.
وروى الطبري في «تفسيره» (٨١٩٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٨٦٠) تخلفهم عن رسول الله في غزوة أحد عن ابن إسحاق، قال: حدثني ابن شهاب الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن يحيى بن حبان، وغيرهم من علمائنا.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٨٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣).

أي: تنتظرون أن يقع ﴿بِنا إلاّ إحدَى﴾ العاقبتَينِ ﴿الحُسنَيَينِ﴾: تثنية حُسنَى تأنيث أحسن، النصر أو الشهادة؟ ﴿ونَحنُ نَتَربَّصُ﴾: ننتظر ﴿بِكُم أن يُصيبَكُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِن عِندِهِ﴾: بقارعة من السماء ﴿أو بِأيدِينا﴾ بأن يأذن لنا بقتالكم. ﴿فتَرَبَّصُوا﴾ بنا ذلك. ﴿إنّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

٥٣ ـ ﴿قُلْ: أنفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوعًا أو كَرهًا. لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُم﴾ ما أنفقتموه. ﴿إنَّكُم كُنتُم قَومًا فاسِقِينَ﴾. والأمر هنا بمعنى الخبر. ٥٤ ـ ﴿وما مَنَعَهُم أن تُقبَلَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿مِنهُم نَفَقاتُهُم إلاّ أنَّهُم﴾: فاعل، وأن تُقبل: مفعول،...

البقاءِ[١]: مع كسرِ اللامِ، غيرُ صحيحٍ، وقرأ[٢] هشامٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بإدغامِ اللامِ في التاءِ.

قولُه: (النَّصرَ) الظَّاهرُ: النُّصْرةَ.

قولُه: (ننتَظِرُ) أيضاً إحدَى السَّوءتَينِ.

قولُه: (بأنْ يَأذَنَ) ظاهرُه أنَّه عطفٌ: ﴿بأيدينا﴾ على ﴿بعذاب﴾ والأظهرُ أنَّه عطفٌ على ﴿من عنده﴾.

قولُه: (بِقِتَالِكُم) أيُّها المنافقُونَ.

قولُه: (ذلكَ) ما هو عاقبتُنا.

قولُه: (مَا أنفَقْتُمُوهُ) ويحتملُ ـ نفيُ التَّقبُّلِ ـ أمرَين: أن لا يؤخَذَ منهم، أو أن لا يُثابُوا عليهِ.

قولُه: (بمَعْنَى الخَبَرِ) أي: لن يَقبَلَ منْكُم نَفَقاتِكُم، أنفقْتُم طَوْعاً أو كَرْهاً.

قولُه: (باليَاءِ) التَّذكير حمزةُ والكِسائيُّ[٣]؛ لأنَّ تأنيثَ النَّفقاتِ غيرُ حقيقِيٍّ، وقُرِئَ[٤]: «يَقْبَلَ» بصيغةِ الفاعلِ على أنَّ الفعلَ للهِ، و«نفقاتِهم» بالنَّصبِ.

قولُه: (مَفعُولٌ) أي: وما منعَهُم قبُولَ نفقاتِهم إلَّا كفرُهم. في «القاموسِ»[٥]: منعَه ضدُّ أعطاهُ، فيكونُ متعدِّياً إلى مفعولينِ.

وقولُ أبي البقاءِ[٦] أنَّ: «يَقْبَلَ» في مَوضِعِ الفاعلِ، غيرُ صَحيحٍ معنًى. وقولُه: ويجوزُ أنْ يكونَ فاعلَ

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٦٤٦).

(٢) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٢٧٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣١٩).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢١٦) و«يقبلَ» نسبت لابن سعدان عن أبي عمرو، و«نفقاتِهم» للحسن بن عمران وكرداب.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٦٤).

(٦) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٦٤٦، ٦٤٧).

﴿كَفَرُوا بِاللهِ وبِرَسُولِهِ، ولا يأتُونَ الصَّلاةَ إلاّ وهُم كُسالَى﴾: مُتثاقلون، ﴿ولا يُنفِقُونَ إلاّ وهُم كارِهُونَ﴾ النفقةَ لأنهم يَعدّونها مَغرمًا.

٥٥ ـ ﴿فلا تُعجِبْكَ أموالُهُم ولا أولادُهُم﴾ أي: لا تَستحسنْ نِعَمَنا عليهم، فهي استدراج. ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يُعذّبهم ﴿بِها في الحَياةِ الدُّنيا﴾ بما يَلقَون في جمعها من المشقّة وفيها من المصائب، ﴿وتَزهَقَ﴾: تخرجَ ﴿أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ﴾، فيُعذّبَهم في الآخِرة أشدّ عذاب. ٥٦ ـ ﴿ويَحلِفُونَ بِاللهِ إنَّهُم لَمِنكُم﴾ أي: مُؤمنون، ﴿وما هُم مِنكُم، ولكِنَّهُم قَومٌ يَفرَقُونَ﴾: يخافون أن تفعلوا بهم كالمُشركين فيحلفون تقيّةً، ٥٧ ـ ﴿لَو يَجِدُونَ مَلجأً﴾ يلجؤون إليه ﴿أو مَغاراتٍ﴾: سَراديبَ ﴿أو مُدَّخَلاً﴾:..

«منعَ»: اللهُ، و﴿أَنَّهُم كَفَرُوا﴾ مفعولٌ له؛ إعرابٌ حسنٌ.

قولُه: (مُتَثَاقِلِيْنَ) ليسَ تفسيراً لـ﴿كسالى﴾، بل للجُملةِ الحاليَّةِ، وفي نسخةٍ: «متثاقلونَ».

قولُه: (لأَنَّهُم) تعليلٌ للفِقْرةِ الثَّانيةِ، والأولى أن يُقالَ: لأَنَّهم لا يرجُونَ بهما ثواباً، ولا يخافُونَ على تَركِهِمَا عقاباً.

قولُه: (أَن يُعذِّبَهُم) أي: تَعذِيبَهم، واللَّامُ زائدةٌ.

قولُه: (فِي جَمْعِهَا) وحِفْظِها.

قولُه: (منَ المَشَقَّةِ) وفي تركِهَا لآخرَ مِن الحسرَةِ.

قولُه: (تَخرُجَ) أي: بصُعُوبةٍ.

قولُه: (أي) ندائيٌّ لا تفسيريٌّ.

قولُه: (يَلجَؤُونَ) أي: مكاناً يلجؤُونَ إليه مُتحصِّنينَ مِن: رأسِ جبلٍ، أو قلعةٍ، أو جزيرةٍ.

قولُه: (سَرادِيْبَ) السِّردابُ ـ بالكسرِ ـ: بناءٌ تحتَ الأرضِ للصَّيفِ، معرَّبٌ، والمغارةُ: الكهفُ، كالبيتِ المنقُورِ في الجبلِ، أو كالغارِ في الجبلِ، إلَّا أنَّه واسعٌ، فإذا صغُرَ فغارٌ، كذا في «القاموسِ»[1].

= وعبارته هي: قوله تعالى: ﴿أن تقبل﴾: في موضع نصب بدلاً من المفعول في ﴿منعهم﴾. ويجوز أن يكون التقدير: من أن تقبل. و﴿أنهم كفروا﴾: في موضع الفاعل.

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٥١).

موضعًا يَدَّخِلونه ﴿لَوَلَّوا إلَيهِ، وهُم يَجمَحُونَ﴾: يُسرعون في دُخوله والانصراف عنكم إسراعًا لا يردّه شيء كالفرس الجموح.

٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَلمِزُكَ﴾: يَعيبك ﴿في﴾ قَسْمِ ﴿الصَّدَقاتِ، فإن أُعطُوا مِنها رَضُوا، وإن لَم يُعطَوا مِنها إذا هُم يَسخَطُونَ. ولَو أَنَّهُم رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها، ﴿وقالُوا: حَسْبُنا﴾: كافِينا ﴿اللهُ. سَيُؤتِينا اللهُ مِن فَضلِهِ ورَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا. ﴿إنّا إلَى اللهِ راغِبُونَ﴾ أن يُغنِيَنا. وجواب «لو»: لَكان خيرًا لهم.

فتفسيرُ المغاراتِ بالغِيْرانِ ـ التي عليها الجمهورُ مِن المفسِّرينَ[١] ـ هو المناسبُ، والذي اختارَه الشَّيخُ هو قولُ عطاءٍ[٢] على ما نقلَه البغويُّ[٣].

قولُه: (مَوضِعاً يَدَّخِلُونَه) بتشديدِ الدَّالِ، وفسِّرَ بالنَّفقِ والسَّرَبِ، يندسُّونَ فيه، والسَّرَبُ ـ محرَّكة ـ: جُحْرُ الوحشِيِّ والحفيرُ تحت[٤] الأرضِ، والنَّفَقُ ـ محرَّكةً ـ: سَرَبٌ في الأرضِ له مخلصٌ إلى مكانٍ[٥].

قولُه: (لا يَرُدُّه) أي: الانصرافَ.

قولُه: (يَعيبُكَ) وقرأَ يعقوبُ بضمِّ الميم[٦]، وقولُ البيضاويِّ[٧]: قرأَ ابنُ كثيرٍ: (يُلامِزُك)[٨]. غيرُ صحيحٍ. في «المبهَمات»[٩]: هو ذو الخُوَيْصِرَةِ، كما أخرجَهُ البخاريُّ[١٠].

قولُه: (ونَحْوِها) أي: الصَّدقةِ، وذِكْرُ اللهِ للتَّعظيمِ والتَّنبيهِ على أنَّ ما فعَلَه الرسُولُ كانَ بأمرِه.

قولُه: (كَافِيْنا) أي: كفانا فضْلُه.

قولُه: (أنْ يُغنِيَنا) أي: في إغنائِهِ إيَّانا مِن فضْلِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٨٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦٨١٢) عن قتادة.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٣٥٨).

(٤) في (ص): «تحت» وفوقها «في».

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٦) و(ص: ٩٢٦).

(٦) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٨٠).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٨٥).

(٨) قراءة ابن كثير كالباقين، إلا أنه روي عنه من طرق «يلمُزك» انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٥).

(٩) انظر: «مفحمات الأقران/ ط الرسالة» (ص: ١٠٦).

(١٠) رواه البخاري (٦٩٣٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

٦٠ ـ ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ﴾: الزَّكَوات مصروفةٌ ﴿لِلفُقَراءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعًا من كِفايتهم، ﴿والمَساكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿والعامِلِينَ عَلَيها﴾ أي: الصدقاتِ مِن جابٍ وقاسمٍ وكاتبٍ وحاشرٍ، ﴿والمُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُم﴾ ليُسلِموا أو يثبتَ إسلامهم أو يُسلمَ نُظراؤهم أو يذبّوا عن المسلمين ـ أقسامٌ، والأوّل والأخير لا يُعطَيان اليوم عِند الشافعيّ لعِزّ الإسلام بخلاف الآخَرَينِ فيُعطَيان على الأصحّ ـ ﴿وفي﴾ فكّ ﴿الرِّقابِ﴾ أي: المُكاتَبينَ، ﴿والغارِمِينَ﴾: أهلِ الدَّين، إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لِإصلاح ذات البين ولو أغنياءَ، ﴿وفي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: القائمين بالجِهاد ممّن لا فيء لهم ولو أغنياءَ، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطعِ في سفره، ﴿فَرِيضةً﴾: نُصب بفعله المُقدّر ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه. فلا يجوز صرفُها لغير هؤلاء ولا منعُ صِنف منهم إذا وُجد..

قولُه: (مَصرُوفَةٌ) أي: لهؤلاءِ المعدُودِينَ دونَ غيرِهم.

قولُه: (مِن كِفَايَتِهِم) وعندَنا: مَن لا يملِكُ نِصاباً.

قولُه: (مَا يَكفِيهِم) أي: جميعَهُ، وعندَنا: من لا يملِكُ شيئاً.

قولُه: (وحَاشِرٍ) ولو كانَ غنيًّا.

قولُه: (أَقْسَامٌ) في «المبهماتِ»[1]: منهم أبو سُفيانَ وابناهُ معاويةُ [ويزيدُ].

قولُه: (علَى الأَصَحِّ[2]) ولا يُعطَون مطلقاً عندَنا[3] لعزِّ الإسلامِ.

قولُه: (أي: المُكَاتَبِينَ) أو بأنْ تُبْتاعَ الرِّقابُ فتُعتَقَ، وبه قال مالكٌ وأحمدُ، وقيل: بأن يُفدَى الأُسارى.

قولُه: (أهلِ الدَّيْنِ) في «المدارِكِ»[4]: الذينَ ركبَتْهم الدُّيونُ.

قولُه: (القَائِمِينَ) في «المدارك»[5]: فقراءُ الغُزاةِ، أو الحُجَّاجُ المنقطَعُ بهم. وقيل: في بناءِ القَناطرِ والحصُونِ.

قولُه: (المُنقَطِعِ) أي: عن مالِهِ.

قولُه: (المُقَدَّرِ) دلَّ عليهِ الآيةُ؛ أي: فرضَ لهم الصَّدقاتِ فريضَةً.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران/ ط الرسالة» (ص: ١٠٦).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (٨/ ٤٩٧).

(٣) انظر: «الهداية» (١/ ١١٠).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٨٨).

(٥) انظر المصدر السابق.

فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصِّنف على بعض.

وأفادت اللام وجوبَ استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قَسَمَ لعُشْرِه، بل يكفي إعطاءُ ثلاثة من كُلّ صِنف، ولا يكفي دونَها كما أفادته صيغة الجمع. وبَيَّنتِ السُّنّة أنّ شرط المُعطَى منها الإِسلامُ وألاّ يكون هاشميًّا ولا مُطّلِبيًّا.

٦١ ـ ﴿ومِنهُمُ﴾ أي: المُنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه، ﴿ويَقُولُونَ﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلاّ يبلغَه: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كُلّ قِيلٍ ويقبله، فإذا حلفنا له إنّا لم نقل صدَّقَنا. ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مستمِعُ ﴿خَيرٍ لَكُم﴾ لا مستمِعُ شرّ، ﴿يُؤمِنُ بِاللهِ ويُؤمِنُ﴾: يُصدّق ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم ـ واللام: زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ـ ﴿ورَحْمةٌ﴾، بالرفع عطفًا على «أذنُ» والجرِّ

قولُه: (علَى السَّوَاءِ) قال القاضِي[1]: ظاهرُ الآيةِ يقتَضِي ذلك، وإليه ذهبَ الشَّافعيُّ[2]، وعن عمرَ وحذيفَةَ وابنِ عبَّاسٍ وغيرِهم مِن الصَّحابةِ والتَّابعينَ[3]: جَوازُ صَرفِها إلى صنفٍ واحدٍ، وبه قال الأئمَّةُ الثَّلاثةُ[4]، واختارَه بعضُ أصحابنَا، وبه كانَ يفتِي شيخِي ووالدِي رحمَه اللهُ على أنَّ الآيةَ بيانُ أنَّ الصَّدقَةَ لا تَخرُجُ منهم لا إيجابُ قَسْمِها عليهم.

قولُه: (لَا يجِبُ) أي: استغراقُ الأفرادِ.

قولُه: (لعُشْرِه) فيه تنبيهٌ على أنَّه أرادَ أفرادَ فُقراءِ بلدِهِ، وإلَّا فلو أرادَ فُقراءَ الدُّنيا كلِّها لتعذَّرَ، فتدبَّر.

قولُه: (ولا يَكفِيْ دُونَها) وعندَنا: يكفِي إعطاءُ فردٍ.

قولُه: (صِيغَةُ الجَمْعِ) فيه أنَّه مقابلةُ الجمعِ بالجمعِ.

قولُه: (ولَا مُطَّلِبيًّا) ولا مولًى مِن مواليهم، ولا مَنْ بينهُما ولادةٌ أو زوجيَّةٌ.

قولُه: (صدَّقَنَا) وفي «المداركِ»[5]: وإيذاؤُهم له هو قولُهم فيه: ﴿هُو أُذُن﴾ قصَدُوا به المذمَّةَ، وأنَّه مِن أهلِ سلامةِ القُلوبِ والغرَّة، ففسَّرَه اللهُ بما هو مدحٌ له.

قولُه: (والجَرِّ) حمزةُ[6].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (٨/ ٤٧٨).

(٣) روى ذلك عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٢، ٣٢٣).

(٤) أي: أبو حنيفة ومالك وأحمد، انظر: «الهداية» (١/ ١١١)، و«المعونة» (ص: ٤٤٠)، و«المغني» (٢/ ٤٩٨).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (١/ ٦٨٩).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٠).

عطفًا على «خير»، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم، والَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

٦٢ ـ ﴿يَحلِفُونَ بِاللهِ لَكُم﴾ ـ أيها المؤمنون ـ فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنّهم ما أتَوه، ﴿لِيُرضُوكُم، واللهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرضُوهُ﴾ بالطاعة. ﴿إن كانُوا مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا. وتوحيد الضمير لتلازم الرِّضاءين، أو خبرُ «اللهُ» أو «رسولُه» محذوف. ٦٣ ـ ﴿أَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿مَن يُحادِدِ﴾: يُشاقِقِ ﴿اللهَ ورَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خالِدًا فِيها؟ ذلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾.

٦٤ ـ ﴿يَحذَرُ﴾: يخاف ﴿المُنافِقُونَ أن تُنَزَّلَ علَيهِم﴾ أي: المُؤمنين ﴿سُورةٌ، تُنَبِّئُهُم بِما في قُلُوبِهِم﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون. ﴿قُلِ: استَهزِئُوا﴾. أمرُ تهديدٍ. ﴿إنَّ اللهَ مُخرِجٌ﴾: مُظهرٌ ﴿ما تَحذَرُونَ﴾ إخراجَه من نِفاقكم. ٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سأَلتَهُم﴾ عن استهزائهم بك والقرآنِ، وهم سائرون معك إلى تَبُوكَ، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُعتذرِين: ﴿إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك.......................................

قولُه: (فيْمَا بلَغكُم) أو فيما تخلَّفُوا.

قولُه: (يُشاقِقِ) مُفاعَلَةٌ مِن الحدِّ.

وقولُه تعَالى: (﴿فَأَنَّ﴾) على حذفِ الخبرِ؛ أي: فحقٌّ أنَّ لهُ نارَ جهنَّمَ، أو على تكريرِ[1] «أنَّ» للتَّأكيدِ، وقُرِئَ[2] بالكسرِ.

قولُه: (جَزَاءً) أي: للجزاءِ.

قولُه: (إخرَاجَهُ) أو إنزالَهُ.

قولُه: (وهُم سَائرُونَ) رُوِيَ: أنَّ ركبَ المنافقينَ مرُّوا على رسُولِ اللهِ فقالوا: انظُروا إلى هذا الرَّجلِ يريدُ أن يفتحَ قصُورَ الشَّامِ وحصُونَه، هيهاتَ، فأخبرَ اللهُ به نبيَّه، فدَعاهُم وقال: «قلتُم كذا وكذا؟» فقالُوا: لا واللهِ، ما كنَّا في شيءٍ مِن أمرِكَ وأمرِ أصحَابِك، ولكن كنَّا في شيءٍ ممَّا يخوضُ فيه الرَّكبُ[3].

قولُه: (في الحَدِيثِ) أي: في التَّحدُّثِ.

قولُه: (ذلكَ) أي: الاستهزاءَ.

---

(١) من قوله: «مفاعلة من الحد... إلى قوله:... على تكرير»: ليس في (ص).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢١٨) ونسبت للحسن بن عمران وابن أبي عبلة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦٩١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣٠) عن قتادة.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِاللهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِئُونَ؟ لا تَعتَذِرُوا﴾ منه. ﴿قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾ أي: ظهر كُفركم بعد إظهار الإيمان. ﴿إن يُعْفَ﴾ ـ بالياءِ مبنيًّا للمفعول، والنونِ مبنيًّا للفاعل ـ ﴿عَن طائفةٍ مِنكُم﴾ بإخلاصها وتوبتها كمَخْشِيِّ بنِ حُمَيِّرٍ ﴿تُعَذَّبْ﴾ ـ بالتاء والنون ـ ﴿طائفةٌ بِأَنَّهُم كانُوا مُجرِمِينَ﴾: مُصرّين على النفاق والاستهزاء.

٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ بَعضُهُم مِن بَعضٍ﴾ أي: مُتشابهون في الدِّين كأبعاض الشيء الواحد، ﴿يأمُرُونَ بِالمُنكَرِ﴾: الكُفرِ والمعاصي، ﴿ويَنهَونَ عَنِ المَعرُوفِ﴾: الإيمانِ والطاعة، ﴿ويَقبِضُونَ أيدِيَهُم﴾ عن الإنفاق في الطاعة، ﴿نَسُوا اللهَ﴾: تركوا طاعته، ﴿فنَسِيَهُم﴾: تركهم من لُطفه. ﴿إنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ، وعَدَ اللهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها، هِيَ حَسْبُهُم﴾ جزاءً وعقابًا، ﴿ولَعَنَهُمُ اللهُ﴾: أبعدهم عن رحمته، ﴿ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم.

قولُه: (عنهُ) أي: الاستهزاءِ.

قولُه: (ظَهَرَ كفرُكُم) بإيذاءِ الرَّسُولِ والطَّعنِ فيه.

قولُه: (مَبنِيًّا للفَاعِلِ) عاصمٌ، وكذا في ﴿نُعَذِّبْ﴾ إلَّا أنَّه بالتَّأنيثِ مجهُولاً، ورَفْعُ ﴿طائفةٌ﴾ ونصْبُها متفرِّعان على القراءَتَين[1]، فتأمَّل.

قولُه: (والاستِهزَاءِ) قالَ القاضِي[2]: أو مُقْدِمِينَ على الإيذاءِ والاستهزاءِ.

قولُه: (فِي الدِّيْنِ) الأَولى: في النِّفاقِ والبُعدِ عن الإيمانِ، وقال الطِّيبيُّ في «شرحِ المشكاةِ»[3]: ﴿مِنْ﴾ للاتِّصالِ، كقولِه ﷺ: «ليسَ الدَّدُ مِنِّي، ولا أنا مِن الدَّد»[4]. وفي «القاموس»[5]: الدَّدُ: اللَّهوُ واللَّعبُ.

قولُه: (عنِ الإِنْفاقِ) وقبضُ اليدِ كنايةٌ عن الشُّحِّ.

---

(١) القراءة الأولى هي لعاصم: ﴿نَعفُ﴾ و﴿نُعذِّب﴾ و﴿طائفةً﴾.

والقراءة الثانية هي للباقين: «يُعف» و«تُعذب» «طائفةٌ». انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٨٧).

(٣) انظر: «شرح المشكاة» (٢/ ٥٧٣).

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٥)، والبزار في «مسنده» (٦٢٣١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٩٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٥، ٢٢٦): فيه يحيى بن محمد بن قيس، وقد وثق، ولكن ذكروا هذا الحديث من منكرات حديثه، والله أعلم، وقال الذهبي: قد تابعه عليه غيره.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٠).

أنتم - أيها المُنافقون - ٦٩ - ﴿كالَّذِينَ مِن قَبلِكُم، كانُوا أَشَدَّ مِنكُم قُوَّةً، وأكثَرَ أَمْوالاً وأولادًا، فاستَمتَعُوا﴾: تمتّعوا ﴿بِخَلاقِهِم﴾: نصيبهم من الدنيا، ﴿فاستَمتَعتُم﴾ - أيها المُنافقون - ﴿بِخَلاقِكُم كَما استَمتَعَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم بِخَلاقِهِم، وخُضتُم﴾ في الباطل والطعن في النبيّ ﴿كالَّذِي خاضُوا﴾ أي: كخَوضهم. ﴿أُولئِكَ حَبِطَت أعمالُهُم في الدُّنيا والآخِرةِ، وأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

٧٠ - ﴿أَلَم يأتِهِم نَبَأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، قَومِ نُوحٍ وعادٍ﴾: قومِ هود ﴿وثَمُودَ﴾: قومِ صالح، ﴿وقَومِ إبراهِيمَ وأصحابِ مَدْيَنَ﴾: قومِ شُعيب، ﴿والمُؤتَفِكاتِ﴾: قُرى قومِ لُوط، أي: أهلِها؟ ﴿أَتَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات فكذبُوهم فأُهلِكوا. ﴿فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾ بأن يُعذّبهم بغير ذنب، ﴿ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

٧١ - ﴿والمُؤمِنُونَ والمُؤمِناتُ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعضٍ، يأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، ويُطِيعُونَ اللهَ ورَسُولَهُ، أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللهُ - إنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يَضع شيئًا إلاّ في محلّه - ٧٢ - ﴿وعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ. ﴿ورِضْوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ﴾: أعظم من ذلك كُلّه. ﴿ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

٧٣ - ﴿يا أَيُّها النَبِيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ﴾ بالسيف ﴿والمُنافِقِينَ﴾ باللسان والحُجّة، ﴿واغلُظْ علَيهِم﴾ بالانتهار والمَقت. ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي! ٧٤ - ﴿يَحلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِاللهِ، ما قالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السبّ،..

قولُه: (أنتُمْ) مثلُ الَّذين، أو فعلْتُم مثلَمَا فعلَ الذين.

قولُه: (منَ الدُّنيَا) أي: مَلاذِّها.

قولُه: (أي: كخَوضِهِم) يعني: كالخَوضِ الذي خاضُوهُ، أو كالفوجِ الذي خاضُوا.

قولُه: (قُرَى قومِ لُوطٍ) ائتفكَتْ بهم؛ أي: انقلبَتْ فصارَتْ عالِيها سافِلَها.

قولُه: (بأَنْ يُعَذِّبَهم) أو لم يكُنْ مِن عادتِهِ ما يُشابهُ ظلْمَ النَّاسِ كالعُقوبةِ بلا جُرمٍ.

قولُه: (إقَامَةٍ) وخُلُودٍ.

قولُه: (أعْظَمُ) لأنَّه المبدأُ لكُلِّ سعادةٍ وكرامةٍ.

قولُه: (والحُجَّةِ) وإقامةِ الحدودِ.

قولُه: (منَ السَّبِّ) والطَّعنِ.

﴿ولَقَد قالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ، وكَفَرُوا بَعدَ إسلامِهِم﴾: أظهروا الكُفر بعد إظهار الإِسلام، ﴿وهَمُّوا بِما لَم يَنالُوا﴾ من الفتك بالنبيّ ليلة العَقَبة عند عَودِه من تبوكَ ـ وهم بضعةَ عشرَ رجلاً ـ فضرب عمّار بن ياسر وُجوه الرواحل لمّا غشُوه فرَدّوا.

﴿وما نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إلاّ أن أغناهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ مِن فَضلِهِ﴾ بالغنائم بعد شِدّة حاجتهم. المعنى: لم ينلهم منه إلاّ هذا، وليس ممّا يُنقَم. ﴿فإن يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويُؤمنوا ﴿يَكُ خَيرًا لَهُم، وإن يَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذابًا أَلِيمًا في الدُّنيا﴾ بالقتل ﴿والآخِرةِ﴾ بالنار، ﴿وما لَهُم في الأرضِ مِن وَلِيٍّ﴾: يحفظهم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾: يمنعهم.

٧٥ ـ ﴿ومِنهُم مَن عاهَدَ اللهَ، لَئِنْ آتانا مِن فَضلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ـ ﴿ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ ـ وهو ثعلبة بن حاطب، سأل النبيَّ ﷺ أن يدعوَ له أن يرزقَه اللهُ مالاً، ويؤدّيْ منه كُلَّ ذي حقّ حقّه ـ فدعا له فوُسِّعَ عليه، فانقطعَ عن الجُمعة والجماعة ومَنعَ الزكاةَ كما قال تعالى: ٧٦ ـ ٧٧ ـ ﴿فلَمّا آتاهُم مِن فَضلِهِ بَخِلُوا بِهِ، وتَوَلَّوا﴾ عن طاعة الله،.........................

قولُه: (منَ الفَتْكِ) أي: القتلِ بغتةً.

قولُه: (وهُم بضْعَةَ عشَرَ) في البيضاويِّ[1]: خمسةَ عشَرَ منهم توافَقُوا أنْ يدفَعُوه عن راحلتِهِ إلى الوَادِي إذا تسنَّمَ العقَبةَ باللَّيلِ، فأخذَ عمَّارُ بنُ ياسرٍ بخطامِ راحلَتِه يقودُها، وحذيفةُ خلْفَها يسُوقُها، فبينَما هما كذلك إذْ سمعَ حذيفةُ بوَقْعِ أخفافِ الإبلِ وقَعقَعةِ السِّلاحِ، فقال: إليكُم إليكُم يا أعداءَ اللهِ، فهرَبُوا.

قولُه: (لمَّا غَشُوهُ) بفتحِ الغينِ وضمِّ الشِّينِ المخفَّفةِ.

قولُه: (فَرُدُّوا) مجهولٌ.

قولُه: (إلَّا هَذا) والاستثناءُ مفرَّغٌ من أعمِّ المفاعيلِ أو العللِ؛ أي: شيئاً، أو لشيءٍ.

قولُه: (منهُ) مِن اللهِ، أو عذابِه.

قولُه: (ويُؤَدِّي) لا يصحُّ عطفُه على «يرزُقَ» كما لا يخفَى، فالتَّقديرُ: وهو يؤدِّي؛ أي: والحالُ أنَّه يؤدِّي؛ لأنَّه قال: ادْعُ اللهَ أنْ يرزُقَني مالاً، فقالَ ﷺ: «يا ثعلَبةُ؛ قليلٌ تؤدِّي شُكْرَه خيرٌ مِن كثيرٍ لا تُطِيقُه»، فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ لئن رَزقَني اللهُ مالاً لأُعطيَنَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

قولُه: (فدَعَا لهُ) فاتَّخذَ غنَماً فنمَتْ كما ينْمِي الدُّودُ، حتَّى ضاقَتْ بها المدينَةُ، فنزلَ وادِياً.

قولُه: (والجَمَاعَةِ) بعدَ أن كانَ يُسمَّى حمامةَ المسجدِ لمداومَةِ ملازَمتِهِ، فسأَلَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ فقيل:

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٨٩).

﴿وهُم مُعرِضُونَ، فأعقبَهُم﴾ أي: فصيَّر عاقبتهم ﴿نِفاقًا﴾ ثابتًا ﴿في قُلُوبِهِم إلَى يَومِ يَلقَونَهُ﴾ أي: الله ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿بِما أخلَفُوا اللهَ ما وَعدُوهُ، وبِما كانُوا يَكذِبُونَ﴾ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبيّ ﷺ بزكاته، فقال: «إنّ اللهَ مَنَعَنِي أن أقبَلَ مِنكَ»، فجعل يحثو التراب على رأسه. ثمّ جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثمّ إلى عُمرَ فلم يقبلها، ثمّ إلى عُثمانَ فلم يقبلها، ومات في زمانه. ٧٨ ـ ﴿أَلَم يَعلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللهَ يَعلَمُ سِرَّهُم﴾: ما أسرّوه في أنفُسهم ﴿ونَجْواهُم﴾: ما تناجَوا به بينهم، ﴿وأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العِيان؟

ولمّا نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرائي..................

كثُرَ مالُه حتَّى لا يَسَعُه وادٍ، فقال: «يا وَيحَ ثعلبةَ» فبعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ مُصدِّقَين؛ أي: عاملَينِ لأخْذِ الصَّدقاتِ فاستقبلَهُما النَّاسُ بصدَقاتِهِم، ومرَّا بثعلبةَ فسَألاه الصَّدقةَ، وأقرآهُ الكتابَ الذي فيه الفرائضُ، فقالَ: ما هذه إلَّا جِزْيةٌ، ما هذه إلَّا أختُ الجزْيةِ، فارْجِعا حتَّى أرَى رأيي[١].

قولُه: (فصَيَّرَ) أي: فجَعَلَ اللهُ عاقبةَ فعلِهِم ذلكَ.

قولُه: (أي: اللَّهَ) بالموتِ، أو يلقَوْنَ عملَهُم؛ أي: جزاءَه، وهو يومُ القيامَةِ.

قولُه: (ثمَّ إلَى عُثمَانَ فلَمْ يقبَلْها) وقيل: قبِلَها، وعُلِّلَ بأنْ يكونَ أخذَها توسِعةً للمُسلِمينَ بها.

قولُه: (مَا تَنَاجَوا) مِن المطاعنِ.

قولُه: (جاءَ رجُلٌ) في «المبهماتِ»[٢]: منهم ابنُ عوفٍ. قيل: جاءَ بأربعةِ آلافِ درهمٍ، وقالَ: كانَ لي ثمانيةُ آلافٍ، فأقرضْتُ ربِّي أربعةً، وأمسَكْتُ لعِيَالي أربعةً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «باركَ اللهُ لكَ فيما أعطَيْتَ وفيما أمسَكْتَ»[٣]،..

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٣)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (ص: ٢٢٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٤٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٩) مطولاً عن أبي أمامة الباهلي، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري.

قال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢): رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك.

وقال السخاوي في «السر المكتوم» (ص: ١٤٦): سنده ضعيف جدًا.

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٨).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٨٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧٠١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٥١) عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، وقال البزار: لم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت، عن أبي عوانة. =

وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إنّ الله لغنيّ عن صدقةِ هذا. فنزل: ٧٩ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾: يَعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المُتنفّلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقتهم فيأتون به، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، والخبرُ: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم على سخريتهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٨٠ ـ ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: تخييرٌ له في الاستغفار وتركه. قال ﷺ: «إنِّي خُيِّرتُ فاخترتُ». يعني الاستغفارَ، رواه البخاريّ. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. قيل: المُراد بالسبعين المُبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاريّ حديثُ «لَو أعلَمُ أنّي لَو زِدتُ علَى السَّبعِينَ غُفِرَ لَزِدتُ علَيها». وقيل: المُراد العدد المخصوص لحديثه أيضًا: «وسأزِيدُ على السَّبعِينَ». فبُيِّنَ له حسمُ المغفرة بآيةِ «سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم». ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فبارَكَ اللهُ له حتَّى صُولِحَتْ إحدى امرأتَيْهِ عن نصْفِ الثَّمنِ على ثمانينَ ألفَ درهمٍ[١].

قولُه: (رجُلٌ) هو أبو عَقيْلٍ الأنصاريُّ فقال: بتُّ ليلَتِي أجُرُّ بالجريرِ ـ أي: بالحبلِ ـ لاستقاءِ النَّاسِ على صاعَينِ، فترَكْتُ صاعاً لعيالي وجئتُ بصَاعٍ، فأمرَه رسولُ اللهِ ﷺ أن ينثُرَه على الصَّدقاتِ[٢].

قولُه: (مُبتَدَأٌ) أو ذمٌّ مرفوعٌ أو منصُوبٌ.

قولُه: (لحَدِيثِهِ) أي: البخاريِّ[٣]، ورُوِيَ: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ ـ وكانَ مِن المخلصِينَ ـ سألَ رسولَ الله ﷺ في مرضِ أبيهِ أنْ يستغفِرَ له، ففعلَ، فنزلَتْ[٤].

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢): رواه البزار عن أبي سلمة مرسلاً، وفيه عمر بن أبي سلمة، وثقه العجلي وأبو خيثمة وابن حبان، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (١٩٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٥) عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه. لكن فيهما ربع الثمن.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٥٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧٠١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٤٥) (٣٥٩٨) عن أبي عقيل رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه ولا جرحه.

(٣) رواه البخاري (٤٦٧١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسنداً، وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عبد الله بن أبي لما توفي، جاء ابنه إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له... الحديث.

رواه البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٤٠٠) واللفظ للبخاري.

٨١ ـ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوكَ ﴿بِمَقْعَدِهِم﴾: بقُعودهم ﴿خِلافَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللهِ، وكَرِهُوا أن يُجاهِدُوا بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ، وقالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لا تَنفِرُوا﴾: تخرجوا إلى الجِهاد ﴿في الحَرِّ. قُلْ: نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوكَ. فالأَولى أن يتّقوها بترك التخلّف ـ ﴿لَو كَانُوا يَفقَهُونَ﴾: يعلمون ذلك ما تخلّفوا ـ ٨٢ ـ ﴿فلْيَضحَكُوا قَلِيلاً﴾ في الدنيا ﴿ولْيَبكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا، جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾. خبرٌ عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣ ـ ﴿فإن رَجَعَكَ﴾: ردّك ﴿اللهُ﴾ من تبوكَ ﴿إلَى طائفَةٍ مِنهُم﴾: ممّن تخلّف بالمدينة من المُنافقين، ﴿فاستأذَنُوكَ لِلخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أُخرى، ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أبَدًا، ولَن تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا. إنَّكُم رَضِيتُم بِالقُعُودِ، أوَّلَ مَرَّةٍ. فاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ﴾: المُتخلّفين عن الغزو من النِّساء والصِّبيان وغيرهم.

ولمّا صلّى النبيّ ﷺ على ابن أُبيّ نزل: ٨٤ ـ ﴿ولا تُصَلِّ عَلَى أحَدٍ مِنهُم ماتَ أبَدًا، ولا تَقُمْ عَلَى قَبرِهِ﴾ لدفن أو زيارة ـ ﴿إنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وماتُوا وهُم فاسِقُونَ﴾: كافرون ـ ٨٥ ـ ﴿ولا تُعجِبْكَ أمْوالُهُم وأولادُهُم. إنَّما يُرِيدُ اللهُ أن يُعَذِّبَهُم بِها في الدُّنيا، وتَزهَقَ﴾: تخرج ﴿أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ﴾.

٨٦ ـ ٨٧ ـ ﴿وإذا أُنزِلَت سُورةٌ﴾ أي: طائفة من القُرآن ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِاللهِ، وجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، استأذَنَكَ أُولُو الطَّولِ﴾:..

قولُه: (أي: بعْدَ) يعني: ﴿خلاف﴾ بمعنى: خَلْفَ، ويقال: أقامَ خلْفَ الحيِّ؛ أي: بعدَهُم، ويجوزُ أن يكونَ مصدراً بمعنى: المخالفَةِ، فيكونُ انتصابُه على العلَّةِ أو الحاليَّة.

قولُه: (لبَعْضٍ) أو للمؤمنينَ تثبيطاً وتعْوِيقاً.

قولُه: (بصِيغَةِ الأَمرِ) للدَّلالَةِ على أنَّه حتمٌ واجبٌ.

قولُه: (مِنَ المُنافِقِينَ) بيانُ ﴿طائفةٍ﴾ فإنَّ جميعَ المتخلِّفِينَ لم يكونوا مُنافقينَ، وكان المتخلِّفونَ اثنَي عشرَ رجُلاً.

قولُه: (ولمَّا صَلَّى) أو ذهبَ ليصلِّيَ عليه.

قولُه: (تَخرُجَ) تكريرٌ للتَّأكيدِ، والأمرُ حقيقٌ به، فإنَّ الأبصارَ طامحةٌ إلى الأموالِ والأولادِ، والنُّفوسُ مُغْتبطةٌ عليها، ويجوزُ أن تكونَ هذه في فريقٍ غيرِ الأوَّلِ.

قولُه: (أَي: طائفَةٌ) سورةٌ أو بعضُها.

قولُه: (بأَنْ) وقيل: مفسِّرةٌ.

ذَوُو الغِنى ﴿مِنهُم، وقالُوا: ذَرْنا نَكُنْ مَعَ القاعِدِينَ. رَضُوا بِأن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ﴾: جمع خالفة أي: النساءِ اللاّتي تَخَلَّفْنَ في البُيوت، ﴿وطُبِعَ علَى قُلُوبِهِم، فهُم لا يَفقَهُونَ﴾ الخيرَ.

٨٨ ـ ﴿لكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم، وأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيراتُ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ [أي: الفائزون]. ٨٩ ـ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

٩٠ ـ ﴿وجاءَ المُعَذِّرُونَ﴾ ـ بإدغام التاء في الذال في الأصل، أي: المُعتذِرون بمعنى المعذورين. وقُرئ به ـ ﴿مِنَ الأعرابِ﴾ إلى النبيّ ﴿لِيُؤذَنَ لَهُم﴾ في القُعود لعُذرهم، فأَذِن لهم، ﴿وقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في ادّعاء الإيمان من مُنافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

٩١ ـ ﴿لَيسَ علَى الضُّعَفاءِ﴾ كالشيوخ، ﴿ولا علَى المَرضَى﴾ كالعُمْي والزَّمْنَى، ﴿ولا علَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد،..

قال تعَالى: (﴿مَعَ القاعِدينَ﴾) أي: لعُذْرٍ، ففيهِ تغليبُ الذُّكورِ، كما في ﴿الخوالِفِ﴾ تغليبُ الإناثِ.

قولُه: (الخَيْرَ) أو ما في الجهادِ، وموافقَةِ الرَّسولِ مِن السَّعادةِ، وما في التَّخلُّفِ عنه مِن الشَّقاوةِ.

ثمَّ قالَ تعالى: (﴿لكِنِ﴾) أي: إنْ تخلَّفَ هؤلاءِ ولم يجاهِدُوا فقد جاهدَ مَن هو خيرٌ منهم.

قولُه: (فِي الدُّنيَا) فـ﴿الخيراتُ﴾ منافعُ الدَّارينِ، وقيل: الحورُ؛ لقولِه تعَالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

قولُه: (بإدغَامِ التَّاءِ) بعدَ نقلِ حرَكتِها إلى العينِ.

قولُه: (بمَعْنَى المُعْذِرُون وقُرِئ بِهِ) يعني بِهِ قراءةَ يعقوبَ[١]: «المُعْذِرونَ» مِن أعذَرَ: إذا اجتهدَ في العُذرِ، وأمَّا ما في بعضِ النُّسخِ بلفظِ: «المَعْذُورُونَ» فلا يصحُّ روايةً ولا درايةً.

قولُه: (﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾) بيانُ ﴿المُعَذِّرُونَ﴾. و(إلى النَّبيِّ) متعلِّقٌ بـ﴿جَاءَ﴾.

قولُه: (فأَذِنَ لهُم) واختُلِفَ في أنَّهم كانوا معتذرينَ بالتَّصنُّعِ أو بالصِّحَّةِ؟ فيكونُ قولُه: ﴿وقَعَدَ الَّذِينَ﴾ في غيرِهم، وعليه الشَّيخُ وإن كانوا هم الأوَّلينَ، فكذَّبهم بالاعتذارِ.

قولُه: (عنِ المَجِيْء) متعلِّقٌ بـ﴿قَعَدَ﴾.

قولُه: (كالشُّيُوخِ) الهرْمَى.

قولُه: (فِي الجِهَاد) لفقرِهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٨٠).

﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التخلّف عنه ﴿إذا نَصَحُوا للهِ ورَسُولِهِ﴾ في حال قُعودهم بعدمِ الإرجاف والتثبيط والطاعةِ ـ ﴿ما علَى المُحسِنينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبيلٍ﴾: طريقٍ بالمُؤاخذة، ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بالتوسعة في ذلك ـ ٩٢ ـ ﴿ولا علَى الَّذِينَ إذا ما أتَوكَ لِتَحمِلَهُم﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار وقيل: بنو مُقَرِّن، ﴿قُلتَ: لا أجِدُ ما أحمِلُكُم علَيهِ﴾: حالٌ، ﴿تَوَلَّوا﴾: جوابُ «إذا» أي: انصرفوا، ﴿وأعيُنُهُم تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿الدَّمعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿ألاَّ يَجِدُوا ما يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد.

٩٣ ـ ﴿إنَّما السَّبِيلُ علَى الَّذِينَ يَستأذِنُونَكَ﴾ في التخلُّف، ﴿وهُم أغنِياءُ. رَضُوا بِأن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ، وطَبَعَ اللهُ علَى قُلُوبِهِم، فهُم لا يَعلَمُونَ﴾. تقدّمَ مِثلُه..........

قولُه: (والطَّاعَةِ) عطفٌ على «عدَمِ الإرْجافِ» وكانَ حقُّها التَّقديمَ لشُمولِها الإيمانَ وغيره.

قولُه: (بذَلِكَ) أي: ليسَ عليهم جُناحٌ في التَّخلُّف بسبَبِ ما ذُكِرَ مِن الأعذارِ، وفيه وضْعُ الظَّاهرِ مَوضِعَ المضمرِ.

قولُه: (طَرِيقٌ) بالرَّفعِ، إشارةٌ إلى أنَّ ﴿مِنْ﴾ زائدةٌ للاستغراقِ.

قولُه: (بالمُؤاخَذَةِ) والمعاتبةِ.

قولُه: (لهُمْ) أو للمُسيءِ، فكيف للمُحسنِ؟.

وقولُه تعالى: (﴿ولا على الذين﴾) عطفٌ على ﴿الضُّعفاءِ﴾ أو على ﴿المحسنين﴾.

قولُه: (مِنَ الأنصَارِ) وهُم البكَّاؤُونَ.

قولُه: (بَنُو مُقَرِّنٍ) بتشديدِ الرَّاءِ المكسُورةِ، وقيل: أبو موسى وأصحابُه.

قولُه: (حَالٌ) مِن الكافِ في ﴿أتَوكَ﴾ بإضمارِ قد.

قولُه: (تسِيلُ) أي: دمعُها.

قولُه: (للبيَانِ) وهي مع المجرورِ في محلِّ النَّصبِ على التَّمييزِ، وهو أبلغُ مِن «يفيضُ دمعُها»؛ لأنَّه يدُلُّ على أنَّ العينَ صارَتْ دمعاً فيَّاضاً.

وقولُه تعالى: (﴿حَزَناً﴾) نصبٌ على العلَّة أو الحالِ.

قولُه: (لأَجْلِ) أي: لئلَّا يجدُوا، متعلِّقٌ بـ﴿حَزَناً﴾ أو بـ﴿تَفِيْضُ﴾.

قولُه: (فِي التَّخَلُّفِ) أي: بالمعاذِيرِ الكاذِبةِ.

٩٤ ـ ﴿يَعتَذِرُونَ إلَيكُم﴾ في التخلّف ﴿إذا رَجَعتُم إلَيهِم﴾ من الغزو. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لا تَعتَذِرُوا. لَن نُؤمِنَ لَكُم﴾: نُصدّقكم. ﴿قَد نَبَّأَنا اللهُ مِن أخبارِكُم﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم، ﴿وسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ، ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: اللهِ، ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم عليه.

٩٥ ـ ٩٦ ـ ﴿سَيَحلِفُونَ بِاللهِ لَكُم إذا انقَلَبتُم﴾: رجعتم ﴿إلَيهِم﴾ من تبوكَ، إنهم معذورون في التخلّف، ﴿لِتُعرِضُوا عَنهُم﴾ بتركِ المُعاتبة ـ ﴿فأعرِضُوا عَنهُم. إنَّهُم رِجسٌ﴾: قذَر لخُبث باطنهم، ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ ـ يَحلِفُونَ لَكُم لِتَرضَوا عَنهُم. فإن تَرضَوا عَنهُم فإنَّ اللهَ لا يَرضَى عَنِ القَومِ الفاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سُخط الله.

٩٧ ـ ﴿الأعرابُ﴾: أهل البدو ﴿أشَدُّ كُفرًا ونِفاقًا﴾ من أهل المُدن لجفائهم وغِلَظ طِباعهم وبُعدهم عن سماع القُرآن، ....

قولُه: (مِنَ الغَزْوِ) أي: مِن هذه السَّفرةِ.

قولُه: (أي: أَخْبَرَنا) أي: أعلَمَنا بالوحي إلى نبيِّهِ بعضَ أخبارِكُم؛ وهو ما في ضمائرِكُم مِن الشَّرِّ والفسادِ.

وقولُه تعالى: (﴿وسَيَرَى اللهُ﴾) أتَتُوبُونَ عن الكفرِ أم تَثْبُتُونَ عليه.

قولُه: (أي: اللَّهِ) أي: إليه، فوضعَ الوصْفَ موضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على أنَّه مُطَّلِعٌ على سرِّهم وعلَنِهم.

قولُه: (قَذَرٌ) لا ينفعُ فيه المعاتَبةُ، فإنَّ المقصُودَ منها التَّطهيرُ بالحملِ على الإنابةِ، وهؤلاءِ أرجاسٌ لا تقبَلُ التَّطهيرَ، فهو علَّةُ الإعراضِ وتركِ المعاتبةِ.

قولُه: (المُدُن) والقُرى.

قولُه: (لجَفَائِهِم) في الحديثِ: «مَن سكَنَ الباديةَ جفَا»[1]؛ أي: غَلُظَ طبعُه، كذا في «النِّهايةِ»[2]، فقولُه: (وغِلَظِ) عطفٌ تفسيريٌّ.

قولُه: (وبُعْدِهِم) الموجبِ لعدمِ مخالطَتِهم لأهلِ العلمِ ولقلَّةِ استماعِهم.

قولُه: (للقُرْآنِ) والسُّنَّة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي (٤٣٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٣٣٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري.

(٢) انظر: «النهاية» (١/ ٢٨١).

﴿وأجدَرُ﴾: أولى ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا يَعلَمُوا حُدُودَ ما أنزَلَ اللهُ علَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ـ ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم ـ ٩٨ ـ ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغرَمًا﴾: غرامة وخُسرانًا لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفًا، وهم بنو أسدٍ وغطفانَ، ﴿ويَتَرَبَّصُ﴾: ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوائرَ﴾: دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلّص. ﴿عَلَيهِم دائِرةُ السُّوءِ﴾، بالضمّ والفتح، أي: يدور العذاب والهلاك لا عليكم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عِباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

٩٩ ـ ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ كجُهينةَ ومُزينةَ، ﴿ويَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيله ﴿قُرُباتٍ﴾ تُقرّبه ﴿عِندَ اللهِ و﴾وسيلةً إلى ﴿صَلَواتِ﴾: دعواتِ ﴿الرَّسُولِ﴾ له. ﴿ألا إنَّها﴾ أي: نفقتَهم ﴿قُرُبةٌ﴾ ـ بضمّ الراء وسُكونها ـ ﴿لَهُم﴾ عِنده. ﴿سَيُدخِلُهُمُ اللهُ في رَحْمتِهِ﴾: جنّتِه. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

١٠٠ ـ ﴿والسّابِقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنصارِ﴾ ـ وهم من شَهد بدرًا، أو جميعُ الصحابة ـ

قولُه: (أَولَى) وأحقُّ وأليَقُ.

قولُه: (غَرامَةً) أي: يعُدُّه غرامةً.

قولُه: (خَوْفاً) أي: تقيَّةً أو رياءً.

قولُه: (دوَائِرَ الزَّمَانِ) حوادثَ الدَّهرِ.

قولُه: (أَن تنقَلِبَ) الظَّاهِرُ: لينقلِبَ الأمرُ عليكُم فيتخلَّصَ مِن النِّفاقِ.

قولُه: (بالضَّمِّ) مكِّيٌّ وبَصريٌّ[1].

قولُه: (أي: يَدُورُ) اعتراضٌ بالدُّعاءِ عليهم بنحوِ ما يتربَّصُونَه، أو الإخبارِ عن وقُوعِ ما ينتظِرونَ به عليهم.

قولُه: (تُقرِّبُهُ) أي: سببُ قُرُباتٍ وهي ثاني مفعُولَي ﴿يتَّخِذُ﴾ و﴿عِنْدَ اللهِ﴾ صفتُها، أو ظرفٌ لـ﴿يتَّخِذُ﴾.

قولُه: (وَسِيلَةً) الأظهرُ: بسبب صلواته؛ لأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ يدعُو للمُتصدِّقينَ.

قولُه: (بضمِّ الرَّاءِ) وَرْشٌ[2].

قولُه: (مَنْ شهِدَ بدْراً) أو بيعةَ الرِّضوانِ، أو الذينَ صلَّوا إلى القِبلتَين، أو من أسلَمَ قبلَ الفتحِ، أو قبلَ الهجرةِ.

قولُه: (أو جمِيْعُ الصَّحَابةِ) فـ﴿مِنَ﴾ للبيانِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٢).

﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإحسانٍ﴾ في العمل، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه، ﴿وأعَدَّ لَهُم جَنّاتٍ، تَجرِي تَحتَها الأنهارُ﴾ ـ وفي قراءة بزيادة «مِن» ـ ﴿خالِدِينَ فِيها أبَدًا. ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

١٠١ ـ ﴿ومِمَّن حَولَكُم﴾ ـ يا أهل المدينة ـ ﴿مِنَ الأعرابِ مُنافِقُونَ﴾ كأسلَمَ وأشجَعَ وغِفارٍ، ﴿ومِن أهلِ المَدِينةِ﴾ مُنافقون أيضًا، ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾: لجُّوا فيه واستمرّوا، ﴿لا تَعلَمُهُم﴾ ـ خِطاب للنبيّ ـ ﴿نَحنُ نَعلَمُهُم، سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَينِ﴾ بالفضيحةِ أو القتلِ في الدنيا وعذابِ القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إلَى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار، ١٠٢ ـ ﴿و﴾ قوم ﴿آخَرُونَ﴾: مبتدأ ﴿اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم﴾ من التخلّف: نعتُه والخبرُ: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحًا﴾ ـ وهو جهادُهم قبل ذلك أو اعترافُهم بذنوبهم أو غيرُ ذلك ـ ﴿وآخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلُّفهم، ﴿عَسَى اللهُ أن يَتُوبَ عَلَيهِم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. نزلت في أبي لُبابةَ وجماعةٍ،...

قولُه: (فِي العَمَلِ) الشَّاملِ للإيمانِ الذي هو عملُ القلبِ.

قولُه: (بطَاعتِهِ) أي: قَبُولِها.

قولُه: (بثَوَابِهِ) في الدَّارينِ.

قولُه: (وفِي قرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ[1].

قولُه: (بزِيَادَةِ «مِن») وجرِّ «تحتِها».

قولُه: (أيضاً) إشارةٌ إلى أنّه عطفٌ على ﴿ممَّن حولَكُم﴾ و﴿مَرَدُوا﴾ استئنافٌ.

قولُه: (خِطابٌ للنَّبِيِّ) أي: لا تعرِفُهم بأعيانِهم.

قولُه: (وعذَابِ القَبرِ) أو بالفضيحَةِ والقتلِ في الدُّنيا.

قولُه: (ذلِكَ) أي: التَّخلُّفِ.

قولُه: (أَو غَيرُ ذلِكَ) أي: إظهارُ النَّدمِ، والواو إمَّا بمعنى الباءِ، كقولِهم: بِعْتُ الشَّاةَ: شاةً ودِرْهماً، أو للدَّلالة على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما مخلوطٌ بالآخرِ.

قولُه: (وهُو تخَلُّفُهُم) ومَوافقةُ أهلِ النِّفاقِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

أوثقوا أنفُسهم في سواري المسجد لمّا بلغهم ما نزل في المُتخلّفين، وحلفوا لا يَحلّهم إلاّ النبيّ ﷺ، فحلَّهم لمّا نزلت.

١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ﴿خُذْ مِن أموالِهِم صَدَقَةً، تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِها﴾ من ذنوبهم ـ فأخذ ثُلث أموالهم وتصدّق بها ـ ﴿وصَلِّ عَلَيهِم﴾ أي: ادعُ لهم. ﴿إنَّ صَلَواتِكَ سَكَنٌ﴾: رحمة ﴿لَهُم﴾ وقيل: طُمأنينة بقَبول توبتهم ـ ﴿واللهُ سَميعٌ عَليمٌ. ألَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ، ويأخُذُ﴾: يقبل ﴿الصَّدَقاتِ، وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ﴾ على عِباده بقَبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة ـ ١٠٥ ـ ﴿وقُلِ﴾ لهم أو للناس: ﴿اعمَلُوا﴾ ما شئتم. ﴿فسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ، وسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: الله، ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

١٠٦ ـ ﴿وآخَرُونَ﴾ من المُتخلّفين ﴿مُرجَؤُونَ﴾ ـ بالهمز وتركه ـ مؤخّرون عن التوبة ﴿لِأمرِ اللهِ﴾

قولُه: (إلّا النَّبيُّ) فقال: «وأنا أُقسِمُ لا أَحُلُّهم حتَّى أؤمَرَ فيهم»[1].

قولُه: (لمَّا نَزلَتْ) فقالوا: يا رسولَ اللهِ؛ هذه أموالُنا التي خلَّفَتْنا، فتصدَّقْ بها وطهِّرْنا، فقالَ: «ما أُمِرتُ أن آخذَ مِن أموالِكُم شيئاً»، فنزلَت: ﴿خُذْ مِن أمْوالِهِم صدقةً تطهِّرُهُم﴾[2] أي: عن الذُّنوبِ، أو حبِّ المالِ المؤدِّي بهم إلى مثْلِه. ﴿وتُزَكِّيهم بها﴾ تُنَمِّي بها حسنَاتِهم وترْفَعُهم بها إلى منازِلِ المخلِصينَ، فقولُه: «مِن ذُنوبِهم» متعلِّقٌ بـ﴿تُطهِّرُهم﴾ فكانَ ينبغِي تقديمُه.

قولُه: (وقيلَ: طُمَأْنِينَةٌ) وهو الأظهرُ؛ أي: تطمَئنُّ بها قلوبُهم، وتسكُنُ إليها نفوسُهم، وجَمعُها؛ لتعدُّدِ المدعوِّ لهم.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بالإفرادِ[3].

قولُه: (أي: اللهِ) أي: بالموتِ.

قولُه: (بالهَمْزِ) أي: المضمومِ مكِّيٌّ وبَصريٌّ وشاميٌّ وشعبةُ[4].

قولُه: (مُؤخَّرُونَ) أي: موقوفٌ أمرُهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧١٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٧، ٢٨٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٣).

فيهم بما يشاء، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُم﴾ بأن يُميتهم بلا توبة، ﴿وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيهِم ـ واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم ـ وهم الثلاثة الآتون بعدُ: مُرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهِلال بن أُميّة. تخلّفوا كسلاً ومَيلاً إلى الدَّعة لا نِفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبيّ ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة، وهجرهم الناس حتّى نزلت توبتهم بعدُ.

١٠٧ ـ ﴿و﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسجِدًا﴾ ـ وهم اثنا عشرَ من المُنافقين ـ ﴿ضِرارًا﴾: مُضارّة لأهل مسجد قُباءٍ ﴿وكُفرًا﴾ لأنهم بنَوه بأمر أبي عامرٍ الراهبِ، ليكون مَعقِلاً له يَقدَم فيه من يأتي من عنده ـ وكان ذهب ليأتي بجُنود من قيصر لقتال النبيّ ﷺ ـ ﴿وتَفرِيقًا بَينَ المُؤمِنِينَ﴾ الذين يُصلّون بقُباءٍ بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وإرصادًا﴾: ترقّبًا ﴿لِمَن حارَبَ اللهَ ورَسُولَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ بنائه. وهو أبو عامرٍ المذكورُ. ﴿ولَيَحلِفُنَّ إن﴾: ما ﴿أَردنا﴾ ببنائه ﴿إلاّ﴾ الفَعلةَ ﴿الحُسنَى﴾ من الرِّفقِ بالمِسكين في المطر والحرّ ....

قولُه: (بأَنْ يُميتَهم) وقولُ القاضِي[1]: إن أصرُّوا على النِّفاقِ. غيرُ صحيحٍ بظاهرِه؛ إذ الكلامُ في الثَّلاثةِ، وهم مُخلِصونَ لا مُنافِقونَ، والتَّرديدُ للعباد، وفيه دليلٌ على أنَّ كلا الأمرين بإرادتِهِ تعالى.

قولُه: (وهِلَالٌ) تجمعُ «مَكّة» أوائلُ أسمائهم.

قولُه: (وهَجَرَهُمُ النَّاسُ) لأمرِ النبيِّ ﷺ أن لا يُسلِّموا عليهم ولا يكلِّمُوهم[2].

قولُه: (﴿و﴾ مِنهُم) هذا عطفٌ في غايةِ البُعد ولا تُناسِبُه قراءة نافعٍ والشَّاميِّ[3] بغير واوٍ، فالوجْهُ أنَّه منصوبٌ على الاختصاصِ، أو مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ؛ أي: جازيناهُم.

قولُه: (ذهَبَ) أي: إلى الشَّامِ، فقولُه: ﴿كفراً﴾ أي: تقويةً للكُفرِ الذي يُضمِرونَه.

قولُه: (قبلِ بنائِهِ) متعلِّقٌ بـ﴿حارَبَ﴾.

قولُه: (المَذكُورُ) فإنَّه قالَ لرسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ: لا أجدُ قوماً يُقاتِلونكَ إلَّا قاتلتُكَ معهم، فلم يزلْ يُقاتِلُه إلى يومِ حُنينٍ، وانهزمَ مع هوازِنَ، وهربَ إلى الشَّام ليأتيَ مِن قيصرَ بجنودٍ يحاربُ بهم رسولَ اللهِ، وماتَ بقِنَّسْرِين وحيداً.

قولُه: (الفَعْلَةَ) أو الخَصلةَ، أو الإرادةَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٩٧).

(٢) جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٣).

والتوسعةِ على المُسلمين، ﴿واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في ذلك.

وكانوا سألوا النبيّ أن يصليَ فيه، فنزل: ١٠٨ ـ ﴿لا تَقُمْ﴾: تُصلِّ ﴿فِيهِ أبَدًا﴾، فأرسلَ جماعة هدموه وحرّقوه وجعلوا مكانه كُناسة يُلقى فيها الجِيَفُ. ﴿لَمَسجِدٌ أُسِّسَ﴾: بُنيتْ قواعده ﴿عَلَى التَّقوَى مِن أوَّلِ يَومٍ﴾ وُضِعَ يومَ حللتَ بدار الهِجرة ـ وهو مسجد قُباءٍ كما في البخاريّ ـ ﴿أحَقُّ﴾ منه ﴿أن﴾

قولُه: (والتَّوسِعَةِ) والصَّلاةِ والذِّكرِ.

قولُه: (فِي ذلِكَ) أي: حَلِفِهم.

قولُه: (وكَانُوا) رُويَ: أنَّ بني عَمرِو بنِ عوفٍ لمَّا بنَوا مسجدَ قُباءٍ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يأتيَهم، فأتاهُم فصلَّى فيه، فحسدَتْهم إخوانُهم بنو غُنم بنِ عوفٍ، فبنَوا مسجداً، فقالوا: قد بنَيْنا مسجداً لذي الحاجَةِ والعلَّةِ فصلِّ فيه حتَّى نتَّخِذَه مصلّىً، فقالَ: «أنا على جَناحِ سفرٍ، وإذا قَدِمْنا إن شاءَ اللهُ صلَّينا فيه» فلمَّا رجعَ كرَّرَ عليه، فنزلَتْ[1].

قولُه: (وُضِعَ) أي: من أيَّامِ وجُودِه.

قولُه: (وهُو مسجِدُ قُباءٍ) أسَّسَه رسولُ الله ﷺ، وصلَّى فيه أيَّامَ مُقامِه بقُباءٍ مِن الإثنين إلى الجمُعةِ؛ لأنَّه أوفقُ للقصَّة.

قولُه: (كَما فِي البُخَاريِّ) لا أعرفُ في «صحيحِهِ» حديثاً دالًّا عليه، نعم روى البخاريُّ في «تاريخِه» وجماعةٌ عن محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ أنَّه قال: لمَّا أتى رسولُ الله ﷺ المسجدَ الذي أُسِّسَ على التَّقوى مسجدَ قُباءٍ فقالَ: «إنَّ اللهَ قد أثنَى عليكُم في الطُّهورِ خيراً، أفَلا تخبرُوني» فقالوا: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّا لَنجدُه مكتوباً عندَنا في التَّوراةِ: الاستنجاءُ بالماءِ، ونحن نفعلُه اليومَ[2] كذا في «الدُّر»[3] وفي بعض النُّسخِ بدلُ: «كما في البخاريِّ» «كما في الحديثِ» يعني: الآتيَ بعد ذلكَ.

---

(١) جاء ذلك مفرقاً فيما رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٥٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٧٣٩) عن سعيد بن جبير.

وفيما رواه الطبري في «تفسيره» (١٧١٨٦) عن ابن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٣٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٣٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٨)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦٥٩) عن محمد بن عبد الله بن سلام. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ١٥٧) (٣٨١)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦٦٢) عن محمد بن عبد الله بن سلام، عن أبيه.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٩، ٢٩٠).

أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾: تُصلّيَ ﴿فِيهِ. فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يُثيبهم. وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خُزيمة في صحيحه عن عُويمِ بن ساعدةَ:

«أنَّهُ ﷺ أتاهُم في مَسجِدِ قُباءٍ، فقالَ: إنَّ اللهَ ـ تَعالَى ـ قَد أحسَنَ علَيكُمُ الثَّناءَ في الطُّهورِ في قِصَّةِ مَسجِدِكُم. فما هذا الطُّهورُ الَّذي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟ قالوا. واللهِ ـ يا رَسُولَ اللهِ ـ ما نَعلَمُ شَيئًا إلاَّ أنّه كانَ لَنا جِيرانٌ مِنَ اليَهُودِ، فكانُوا يَغسِلُونَ أَدبارَهُم مِنَ الغائطِ، فغَسَلنا كَما غَسَلُوا» ـ وفي حديث رواه البَزار: فقالوا: نُتبِعُ الحِجارةَ بالماءِ ـ «فقالَ: هُو ذاكَ. فعَلَيكُمُوهُ».

قال الصَّفويُّ[1]: جماعةٌ مِن السَّلفِ على أنّه مسجدُ قُباءٍ، منهم ابنُ عبَّاسٍ[2]، وبعضٌ منهم على أنّه المسجدُ الذي في جَوفِ المدينةِ، وعليه حديثٌ صحيحٌ. وهو ما رُويَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن المسجدِ الذي أُسِّسَ على التَّقوى، فأخذَ حَصْباءَ فضربَ بها الأرضَ وقال: «هو مسجدُكم هذا مسْجدُ المدينةِ» رواه مسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[3].

قالَ صاحبُ «الكشفِ»[4]: أقولُ: ومعَ بيانِ رسولِ الله ﷺ لا يُعبَأ بقولِ غيرِه، وأمَّا ما رواه التِّرمذيُّ وأبو داودَ أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أهلِ قُباءٍ: ﴿فيه رجالٌ يحبُّونَ أن يتطهَّروا﴾[5] فهو لا يُعارِضُ نصَّ رسولِ اللهِ ﷺ، وأمَّا ما رواه ابنُ ماجَه أنَّ هذه الآيةَ لمَّا نزلَتْ ﴿فيه رجال﴾ قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ واقفاً على بابِ مسجدِ قُباءٍ: «يا معشرَ الأنصارِ؛ إنَّ اللهَ قد أثنَى عليكم في الطُّهورِ، فما طُهورُكم؟»[6] فلا يدُلُّ على اختصاصِ أهلِ قُباءٍ، ولا يُنافي الحمْلَ على أهلِ مسجدِهِ من الأنصارِ.

قولُه: (عُوَيْم) بمهملةٍ مصغَّراً، على زِنة: رُجَيْل.

---

(١) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للإيجي (٢/ ١٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧٢١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨١).

(٣) رواه مسلم (١٣٩٨)، والترمذي (٣٠٩٩)، والنسائي (٦٩٧) واللفظ لمسلم.

(٤) وانظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (٧/ ٣٦٢).

(٥) رواه أبو داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٦) رواه ابن ماجه (٣٥٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٧٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

١٠٩ ـ ١١٠ ـ ﴿أفمَن أسَّسَ بُنيانَهُ عَلَى تقوَى﴾: مخافةٍ ﴿مِنَ اللهِ و﴾رجاءِ ﴿رِضوانٍ﴾ منه ﴿خيرٌ أم مَن أسَّسَ بُنيانَهُ على شَفا﴾: طَرَفِ ﴿جُرُفٍ﴾، بضمّ الراء وسكونها: جانبٍ ﴿هارٍ﴾: مُشرف على السقوط، ﴿فانهارَ بِهِ﴾: سقط مع بانيه ﴿في نارِ جَهَنَّمَ﴾ خيرٌ؟ تمثيلٌ للبناء على ضِدّ التقوى بما يؤول إليه. والاستفهام للتقرير، أي: الأوّل خير. وهو مِثال مسجد قُباءٍ، والثاني مِثال مسجد الضِّرار. ﴿واللهُ لا يَهدِي القومَ الظّالِمِينَ. لا يَزالُ بُنيانُهُمُ الَّذِي بَنَوا رِيبةً﴾: شكًّا ﴿في قُلُوبِهِم إلاّ أن تَقَطَّعَ﴾: تنفصل ﴿قُلُوبُهُم﴾ بأن يموتوا. ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم.

١١١ ـ ﴿إنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ أنفُسَهُم وأموالَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجِهاد ﴿بِأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ، فيَقتُلُونَ ويُقتَلُونَ﴾:..............................

قولُه: (مَخَافَةٍ) أي: بنيانُ دينِه على قاعدةٍ مُحكَمةٍ هي التَّقوى من اللهِ وطلبُ مَرضاتِهِ بالطَّاعةِ.

قولُه: (وسُكُونِهَا) شاميٌّ وأبو بكرٍ وحمزةُ[1].

وقد قرَأَ نافعٌ والشَّاميُّ[2]: «من أُسِّسَ» على البناءِ للمفعولِ.

قولُه: (جَانِبٍ) أي: على قاعدةٍ هي أضعفُ القواعدِ وأرخَاها.

قولُه: (سقَطَ) يعنِي: فأدّى به لِخوَرِه[3]، وقلّةِ استمساكِه إلى السُّقوطِ، لمَّا جُعِلَ الجُرُف الهائر مجازاً عن الباطلِ، قيل: ﴿فانهارَ به... ﴾ إلخ على معنى: فطاحَ به الباطلُ في النَّار.

قولُه: (شَكًّا) خبرٌ لـ﴿بنيانهم﴾ لأنَّه مصدرٌ أُريدَ به المفعولُ، وليسَ بجمعٍ ولذلك وُصِفَ بالموصولِ المفردِ، والمعنى: إنَّ بناءَهم هذا لا يزالُ سببَ شكِّهم وتزايُدِ نفاقِهم؛ فإنَّ الشكَّ حملَهُم على ذلك، ثمَّ لمَّا هُدِمَ رسخَ الشَّكُّ في قلوبهم، وازدادَ بحيثُ لا يزول وَسْمُه عن قُلوبِهم ﴿إلَّا أن تقطَّعَ﴾ قِطعاً بحيثُ لا تبقَى لها قابليَّةُ الإدراكِ والإضمارِ، وهي في غايةِ المبالغةِ، والاستثناءُ مِن أعمِّ الأزمنةِ، وقرأَ[4] شاميٌّ وحمزةُ وحفصٌ ﴿تقطَّعَ﴾ على بناءِ الفاعلِ، بمعنى: تتقطَّعَ.

قولُه: (بأَن يبْذُلُوهَا) الأظهرُ: يبذُلوهما، وهو تمثيلٌ لإثابةِ اللهِ إيَّاهُم الجنَّةَ على بذْلِ أنفسِهم وأموالِهم في سبيلِه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٤).

(٢) انظر المصادر السابقة: (ص: ٣١٨)، و(ص: ٣٢٣).

(٣) أي: ضعفه.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٤).

جُملة استئناف بيان للشراء ـ وفي قراءة بتقديم المبنيّ للمفعول، أي: فيُقتل بعضهم ويُقاتِل الباقي ـ ﴿وَعدًا عليهِ حَقًّا﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿في التَّوراةِ والإنجيلِ والقُرآنِ ـ ومَن أوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللهِ﴾؟ أي: لا أحد أوفى منه ـ ﴿فاستَبشِرُوا﴾، فيه التفات عن الغَيبة، ﴿بِبَيعِكُمُ الَّذِي بايَعتُم بِهِ. وذلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الفوزُ العَظِيمُ﴾: المُنيلُ غايةَ المطلوب.

١١٢ ـ ﴿التّائبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ، من الشِّرك والنفاق ﴿العابِدُونَ﴾: المُخلصون العِبادةَ للهِ، ﴿الحامِدُونَ﴾ له على كُلِّ حال، ﴿السّائحُونَ﴾: الصائمون،..........

قولُه: (جُملَةُ استِئنَافٍ) الأظهرُ: الجملةُ استئنافٌ، أو استئنافٌ لبيانِ ما لأجلِه الشَّري، وقيل: ﴿يقاتلون﴾ في معنَى الأمرِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (ويُقَاتِلُ البَاقِي) قال القاضِي[2]: وقد عرفتَ أنَّ الواوَ لا توجِبُ التَّرتيبَ، وأنَّ فعلَ البعْضِ قد يُسنَدُ إلى الكُلِّ.

قولُه: (فيهِ التِفَاتٌ) أي: فافرَحُوا به غايةَ الفرحِ.

قولُه: (بتَقدِيرِ مُبتَدَأ) أي: هم التَّائبونَ، والمرادُ بهم المؤمنونَ المذكُورونَ.

قولُه: (الصَّائِمُونَ) لقولِهِ ﷺ: «سيَاحةُ أمَّتي الصَّومُ»[3]، أو السَّائحونَ للجهادِ[4]، أو لطلبِ العلمِ[5]، أو

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٥).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٩٩).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وجاء من طريق عبيد بن عمير، عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن السائحين، فقال: «هم الصائمون».

رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٠٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه على أنه مما أرسله أكثر أصحاب بن عيينة ولم يذكروا أبا هريرة في إسناده.

وقال البيهقي: هكذا روي بهذا الإسناد، موصولاً، والمحفوظ عن ابن عيينة، عن عمرو عن عبيد بن عمير، عن النبي ﷺ مرسلاً.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٧٣١٣) عن عائشة قالت: سياحةُ هذه الأمة الصيام.

(٤) عن أبي أمامة، أن رجلًا قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى».

رواه أبو داود (٢٤٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٨٣) (٧٧٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٩٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٥٠٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٥) عن عكرمة أنه سئل عن قوله: ﴿السائحون﴾ [التوبة: ١١٢] قال: «طلبة العلم».

رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٠)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٤/ ٧٩) (١٤٦٥).

﴿الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ﴾ أي: المُصلّون، ﴿الآمِرُونَ بِالمَعرُوفِ والنّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ، والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾: لِأحكامه بالعمل بها. ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بالجنّة.

ونزل في استغفاره ﷺ لعمّه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبوَيه المُشرِكَين: ١١٣ ـ ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ، ولَو كانُوا أُولِي قُربَى﴾: ذوي قرابة ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُم أصحابُ الجَحِيمِ﴾: النار، بأن ماتوا على الكُفر، ١١٤ ـ ﴿وما كانَ استِغفارُ إبراهِيمَ لِأبِيهِ إلاّ عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ﴾ بقوله: «سأستَغفِرُ لَكَ رَبِّي» رجاءَ أن يُسلم، ﴿فلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ﴾ بموته على الكُفر ﴿تَبَرَّأَ مِنهُ﴾ وترك الاستغفار له. ﴿إنَّ إبراهِيمَ لَأوّاهٌ﴾: كثير التضرّع والدُّعاء ﴿حَلِيمٌ﴾: صبور على الأذى.

١١٥ ـ ﴿وما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَومًا بَعدَ إذ هَداهُم﴾ للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم ما يَتَّقُونَ﴾ من العمل، فلا يتّقوه فيستحقّوا الإضلال. ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مُستحِقُّ الإضلالِ والهِداية..........

للحجِّ والزِّيارةِ[١].

قولُه: (أي: المُصَلُّون) تفسيرٌ للوصفَينِ، والأظهرُ أن يُقدَّرَ بعدَهما[٢] في الصَّلاةِ، والواو في ﴿والنَّاهونَ﴾ واو الثَّمانيةِ[٣].

قولُه: (بالجنَّةِ) وفيه وضعُ الظَّاهرِ موضعَ المضمَرِ.

قولُه: (لأَبوَيهِ) الضَّميرُ راجعٌ إلى «بعض».

قولُه: (بمَوْتِهِ) أو بالوحيِ بأنَّه لن يؤمنَ.

قولُه: (كثِيرُ التَّضَرُّعِ) والتَّأوُّه.

قالَ تعَالى: (﴿وما كانَ اللهُ﴾) أي: حكمُه. ﴿لِيُضِلَّ﴾ لينسُبَهم إلى الضَّلالِ.

قولُه: (منَ العَملِ)[٤] أي: حتَّى يبيِّنَ لهم خطرَ ما يجبُ اتِّقاؤهُ.

قولُه: (الإِضْلالِ) أي: النِّسبةُ إلى الضَّلالِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الغافلَ غيرُ مكلَّفٍ.

---

(١) جاء في حديث عن عثمان بن مظعون، وفيه: «فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله، والحج والعمرة».
رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٦٠٦)، وابن بشران في «الأمالي/ ج٢» (١٦٣٦).

(٢) في نسخ المخطوطات: «بعدمها» ولعل ما أثبته الصواب.

(٣) انظر: «الفصول المفيدة في الواو المزيدة» للعلائي (ص: ١٤٢) فقد ذكر فيه: واو الثمانية والرد على القول بها.

(٤) «إلى الضّلال. قولُه: من العمل»: ليست في (ص).

١١٦ ـ ﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي ويُمِيتُ، وما لَكُم﴾ ـ أيها الناس ـ ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: يحفظكم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾: يمنع عنكم ضرره.

١١٧ ـ ﴿لَقَد تابَ اللهُ﴾ أي: أدام توبته ﴿علَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في ساعةِ العُسْرةِ﴾ أي: وقتِها ـ وهي حالهم في غزوة تبوكَ، كان الرجلان يقتسمان تمرةً والعشرة يعتقبون البعيرَ الواحد، واشتدّ الحرّ حتّى شربوا الفَرْث ـ ﴿مِن بَعدِ ما كادَ تَزِيغُ﴾، بالتاء والياء: تَميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنهُم﴾ عن اتّباعه إلى التخلّف لِما هم فيه من الشّدّة، ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيهِم﴾ بالثبات. ﴿إِنَّهُ بِهِم رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

١١٨ ـ ١١٩ ـ ﴿وَ﴾ تابَ ﴿علَى الثَّلاثةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التَّوبة عليهم، بقرينة ﴿حَتَّى إذا ضاقَتْ علَيهِمِ الأرضُ بِما رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحبِها، أي: سَعتِها، فلا يجدون مكانًا يطمئنّون إليه، ﴿وضاقَتْ علَيهِم أنفُسُهُم﴾: قُلوبهم للغمِّ والوحشة بتأخير تَوبتهم فلا يسعها سُرور ولا أُنس، ﴿وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أنْ﴾:..

قولُه: (أدَامَ توبَتَه) قال القاضي[١]: مِنْ إذنِ المنافقينَ في التَّخلُّفِ. وقيل: هو بعثٌ على التَّوبةِ، والمعنى: ما مِن أحدٍ إلَّا وهو محتاجٌ إلى التَّوبةِ؛ إذْ ما مِن أحدٍ إلَّا وله مقامٌ يُستنقَصُ دونَه ما فيه، والتَّرقِّي إليه توبةٌ من تلك النَّقيصَةِ وإظهارٌ لفضلِها بأنَّها مقامُ الأنبياءِ والصَّالحينَ مِن عبادِه.

قلتُ: وتسليةٌ للمُذنبينَ التَّائبينَ، وإشارةٌ إلى أنَّ التَّائبَ من الذَّنبِ كمَن لا ذنبَ له، والأظهرُ أن يقالَ: قَبِلَ اللهُ توبتَهُم.

قولُه: (الفَرْثَ) هو سِرْجِينُ الكَرِش. كذا في «القاموسِ»[٢]، فلا بدَّ من تقديرِ مُضافٍ؛ أي: ماءَه.

وفي قولِهِ تعالى: (﴿كَادَ﴾) ضميرُ الشَّأنِ.

قولُه: (والياءِ) التَّذكيرُ حفصٌ وحمزةُ[٣]؛ لأنَّ تأنيثَ القُلوبِ غيرُ حقيقيٍّ.

قولُه: (عنِ التَّوبَةِ) أي: خُلِّفَ أمرُهم، فإنَّهم الـ﴿مُرجَون﴾، أو المعنى: تخلَّفوا عن الغَزوِ.

قولُه: (أي: سَعَتِها) لإعراضِ النَّاسِ عنهم بالكُلِّية، وهو مثَلٌ لشدَّةِ الحَيرَةِ.

قولُه: (﴿أَن﴾) أي: بأنْ، أو علِمُوا أنْ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٧٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٥).

مُخففةٌ ﴿لا مَلجأَ مِنَ اللهِ إلاَّ إليه، ثُمَّ تابَ عليهِم﴾: وفّقهم للتَّوبة ﴿لِيَتُوبُوا. إنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ. يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ﴾ بترك معاصيه، ﴿وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعُهود بأن تلزموا الصِّدق.

١٢٠ ـ ﴿ما كانَ لِأَهلِ المَدِينةِ ومَن حَولَهُم مِنَ الأعرابِ أن يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللهِ﴾ إذا غزا، ﴿ولا يَرغَبُوا بِأنفُسِهِم عَن نَفسِهِ﴾ بأن يصونوها عمّا رضيه لنفسه من الشدائد. وهو نهي بلفظ الخبر. ﴿ذلِكَ﴾ أي: النهيُ عن التخلّف ﴿بِأنَّهُم﴾: بسبب أنهم ﴿لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ﴾: عطش ﴿ولا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿ولا مَخمَصةٌ﴾: جوع ﴿في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَطَؤُونَ مَوطِئًا﴾: مصدرٌ بمعنى وطئًا ﴿يَغِيظُ﴾: يُغضِب ﴿الكُفّارَ، ولا يَنالُونَ مِن عَدُوٍّ﴾ للهِ ﴿نَيلاً﴾ قتلاً أو أسرًا أو نهبًا، ﴿إلاّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ﴾ ليُجازَوا عليه ـ.....

وقولُه تعالى: (﴿مِنَ اللهِ﴾) أي: من سخطِهِ إلَّا إلى استغفارِه والرُّجوعِ إليه وإلى طلبِ رضوانِهِ.

قولُه: (فِي الإيمَانِ) ضُبِطَ بفتحِ الهمزةِ وكسرِها[1]، والثَّاني أَولى؛ لأنَّ التَّأسيسَ أقوَى.

قولُه: (إِذَا غَزَا) أو عن حكمِهِ.

قولُه: (بِأَن يَصُونُوهَا) أي: لا يُعرِضُوا عن نفسِ النَّبيِّ ضانِّينَ بأنفُسِهم. كذا قالَه الفاضلُ، وجعلَ ﴿لا﴾ زائدةً.

وقال البيضاويُّ[2] في ﴿لا يرغبوا﴾: يجوزُ النَّصبُ والجزمُ. وقال: معناه: لا يصُونوا أنفُسَهم عمَّا لم يصُنْ نفسَه عنه ويُكابِدُوا معه ما يُكابِدُه من الأهوالِ. انتهى.

وفي عطْفِ «يكابدوا» إشكالٌ لنا لا مدْفعَ له.

قولُه: (وهِي) أي: جملةُ ﴿ما كان... ﴾ إلخ، نهيٌ عبَّرَ عنه بصيغةِ النَّفيِ للمبالغَةِ.

قولُه: (أي: النَّهيُ عَنِ التَّخلُّفِ) إشارةٌ إلى أنَّ الإشارةَ إلى[3] ما دلَّ عليهِ قولُه: ﴿ما كان﴾ مِن النَّهيِ عن التَّخلُّفِ، أو وجوبِ المشايعَةِ.

قولُه: (عطَشٌ) الظَّمأُ، وقد يُمدُّ، وقُرِئَ به[4]، وهو شدَّةُ العطَشِ.

قولُه: (مَصدَرٌ) أو لا يدوسُونَ مَكاناً.

قولُه: (يُغضِبُ) وطؤهُ.

---

(١) أي: في الأيمان، وفي الإيمان.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠١).

(٣) «أن الإشارة إلى»: ليست في (ص).

(٤) أي: «ظَمَاء» وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٢٣) ونسبت لابن عمير.

﴿إنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ﴾ أي: أجرَهم بل يُثيبهم - ١٢١ - ﴿ولا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقةً صَغِيرةً﴾ ولو تمرةً ﴿ولا كَبِيرةً، ولا يَقطَعُونَ وادِيًا﴾ بالسَّير ﴿إلاّ كُتِبَ لَهُم﴾ ذلك، ﴿لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

ولمّا وُبِّخوا على التخلّف وأرسل النبيّ سَرِيّة نَفروا جميعًا، فنزل: ١٢٢ - ﴿وما كانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كافّةً. فلَولا﴾: فهلاّ ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقةٍ﴾: قبيلةٍ ﴿مِنهُم طائفةٌ﴾: جماعة، ومكَثَ الباقون ﴿لِيتَفَقَّهُوا﴾ أي: الماكثون ﴿في الدِّينِ، ولِيُنذِرُوا قَومَهُم إذا رَجَعُوا إلَيهِم﴾ من الغزو بتعليم ما تعلّموه من الأحكام، ﴿لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ﴾ عِقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عبّاس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلّف أحد فيما إذا خرج النبيّ.

١٢٣ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفّارِ﴾ أي: الأقربَ فالأقرب منهم، ﴿ولْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً﴾: شِدّة، أي: أغلظوا عليهم، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

قولُه: (أي: أَجرَهُم) ففيهِ وضعُ الظَّاهرِ.

قولُه: (فيهِ) أي: في سبيلِ اللهِ. قولُه تعالى: ﴿ولا كبيرة﴾ مثلُ ما أنفقَ عثمانُ في جيشِ العُسْرةِ.

قولُه: (جَزَاءَهُم) أي: جزاءَ أحسنِ أعمالِهم، أو أحسَنَ جزاءِ أعمالِهم.

قولُه: (إلَى الغَزوِ) يعني: لا يَستقيمُ لهم أنْ يتثبَّطوا جميعاً، فإنَّه يُخِلُّ بأمرِ المعاشِ، كما أنَّ هذا يُخِلُّ بأمرِ المعادِ.

قولُه: (قَبِيلَةٍ) أي: جماعةٍ كثيرةٍ كقبيلةٍ وأهلِ بلدَةٍ.

قولُه: (جَمَاعةٌ) أي: قليلةٌ، في «التَّوضيحِ»: الطَّائفةُ تقعُ على واحدٍ فصاعداً. قال في «التَّلويحِ»: الطَّائفةُ: بعضٌ من الفرقةِ واحدٌ واثنانِ؛ إذ الفِرقةُ هي الثَّلاثةُ فصاعداً[1]. وقولُه تعالى: ﴿مِن كلِّ فرقَةٍ﴾ وإن كانَ عامًّا إلَّا أنّه خُصَّ بالإجماعِ على عدَمِ خرُوجِ واحدٍ مِن كلِّ ثلاثةٍ. انتهى. فلهذا فسَّرها الشَّيخُ بالقبيلةِ، والآيةُ دالَّةٌ على أنَّ خبرَ الآحادِ يُفيدُ العِلمَ والعملَ.

قولُه: (شِدَّةً) وصبراً على القتالِ، وقُرِئَ بفتحِ الغينِ وضمِّها[2].

---

(١) انظر: «شرح التلويح على التوضيح» (٢/ ٥، ٦).

(٢) أي: «غَلْظة» و«غُلْظة» وهي قراءات شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٠) والأولى نسبت للمفضل عن عاصم، والثانية لأبان بن تغلب.

١٢٤ ـ ﴿وإذا ما أُنزلت سورةٌ﴾ من القرآن ﴿فمنهم﴾ أي المنافقين ﴿مَن يقولُ﴾ لأصحابه استهزاءً: ﴿أيُّكم زادته هذه إيمانًا﴾: تصديقًا؟ قال تعالى: ﴿فأمّا الَّذينَ آمَنوا فزادتهم إيمانًا﴾ لتصديقهم بها، ﴿وهم يستبشرونَ﴾: يفرحون بها. ١٢٥ ـ ﴿وأمّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقاد ﴿فزادتهم رِجسًا إلى رِجسِهِم﴾: كُفرًا إلى كُفرهم لكُفرهم بها، ﴿وماتُوا وهُم كافِرونَ﴾. ١٢٦ ـ ﴿أوَلا يَرَونَ﴾ ـ بالياء أي: المنافقون، والتاء أيها المؤمنون ـ ﴿أنَّهم يُفتَنونَ﴾: يُبتلَون ﴿في كُلِّ عامٍ مَرَّةً أو مَرَّتَينِ﴾ بالقحط والأمراض. ﴿ثُمَّ لا يَتوبونَ﴾ من نفاقهم، ﴿ولا هُم يَذَّكَّرونَ﴾ يتعظون؟

١٢٧ ـ ﴿وإذا ما أُنزلت سورةٌ﴾ فيها ذكرهم، وقرأها النبيّ، ﴿نَظَرَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ﴾ يُريدون الهرب يقولون: ﴿هَل يَراكُم مِن أحَدٍ﴾ إذا قمتم؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا، ﴿ثُمَّ انصَرَفوا﴾ على كُفرهم، ﴿صَرَفَ اللهُ قُلوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأنَّهم قَومٌ لا يَفقَهونَ﴾ الحقَّ لعدم تدبّرهم.

قولُه: (لتَصديقِهِم بِهَا) أي: بانضمامِ الإيمانِ بها وبما فيها إلى إيمانِهم، أو بزيادةِ العلمِ الحاصلِ من تدبُّرِ السُّورة.

قولُه: (بِهَا) أي: بنزولها؛ لأنّه سببٌ لزيادةِ كمالاتِهم وارتفاعِ درجاتِهم.

قولُه: (ضَعفُ اعتِقَادٍ) أي: كفرٌ.

قولُه: (كُفراً إلَى كُفرِهِم) أي: كفراً بها[1] مضموماً إلى الكُفرِ بغيرِها، واختُلِفَ في زيادةِ الإيمانِ معَ اتّفاقِهم في زيادةِ الكفرِ.

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ حمزةُ[2]، وفي البيضاويّ[3]: قُرِئَ بالتاء. موهمٌ أنّه شاذٌّ.

قولُه: (يُرِيدُونَ الهَرَبَ) أو تغامَزوا بالعُيونِ إنكاراً لها وسُخريةً، أو غيظاً لما فيها من عُيوبِهم.

قولُه: (إذَا قُمتُم؟) الأظهرُ: إن قمتُم.

قولُه: (عَلَى كُفرِهِم) أو عن حضرتِه مخافةَ الفضيحةِ.

قولُه: (عنِ الهُدَى) وهو يحتملُ الإخبارَ والدُّعاءَ.

قولُه: (لعَدَمِ تدبُّرِهِم) أو لسوءِ فهمِهم.

---

(١) في (ص): «بهما».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠٣).

١٢٨ ـ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم مُحمّد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم، أي: مشقّتكم ولِقاؤكم المكروهَ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة ﴿رَحِيمٌ﴾: يُريد لهم الخير.

١٢٩ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ: حَسْبِيَ﴾: كافِيَّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقتُ لا بغيره، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الكُرسيِّ ﴿الْعَظِيمِ﴾. خصّه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. روى الحاكم في «المستدرك» عن أُبيّ بن كعب قال: آخرُ آية نزلت «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ» إلى آخر السُّورة.

قولُه: (أي: منكُم) أي: مِن جنسِكُم عربيٌّ أو آدميٌّ مثلُكم، وقُرِئ: «من أَنفَسِكُم»[1]؛ أي: أشرَفِكم.

قولُه: (شَدِيدٌ) شاقٌّ.

قولُه: (أَي: عنتُكُم) أشارَ إلى أنَّ ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ مَوضِعُها رفعٌ بـ﴿عزيز﴾ وهو صفةٌ لـ﴿رسول﴾ وقيلَ: ﴿ما عنتم﴾ مبتدأٌ و﴿عزيز عليه﴾ خبرٌ مقدَّمٌ، والجملةُ صفةُ ﴿رسول﴾ وقيلَ: ﴿عزيز﴾ وحدَه صفةٌ؛ يعني: أنَّه عَزيزٌ عندَ اللهِ، وعزيزُ الوجُودِ عندَ الخلْقِ.

قولُه: (أَن تَهْتَدُوا) أي: هدايتُكُم.

وقولُه تعالى: (﴿بالمؤمنينَ﴾) منكُم ومِن غيرِكم متعلِّقٌ بـ﴿رؤوف﴾ قُدِّمَ الأبلغُ منهما مُحافظةً على الفاصِلَةِ.

قولُه: (لَا بغَيْرِه) مُستفادٌ من تقديمِ الجارِّ.

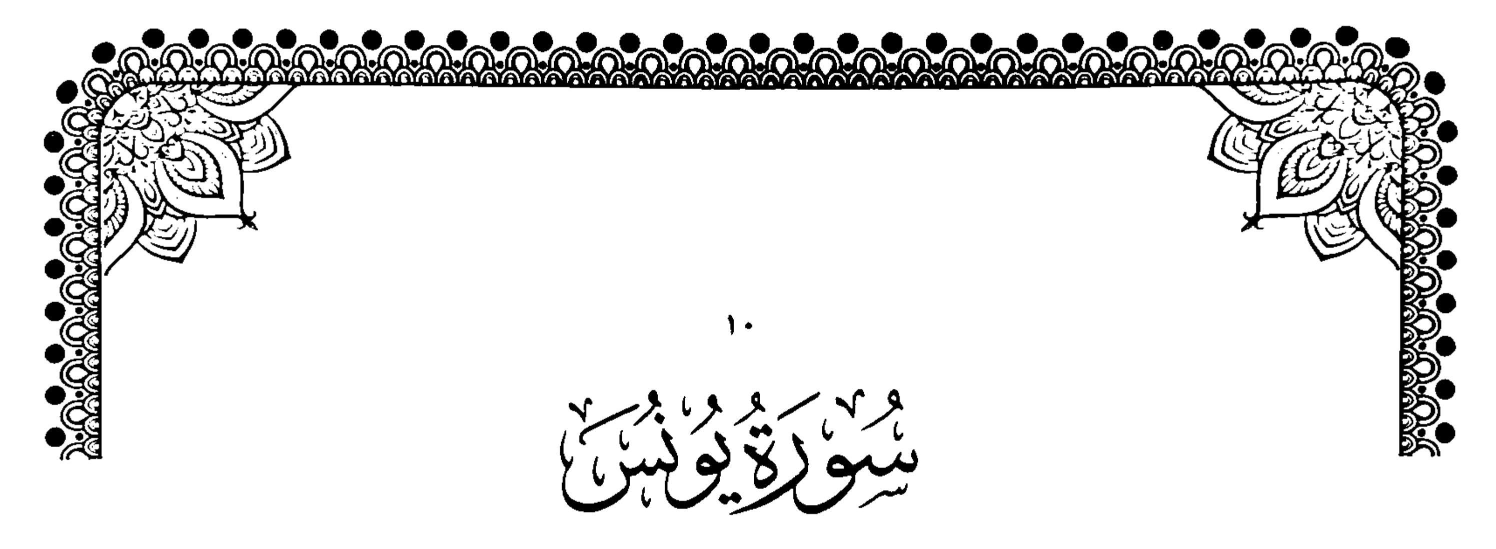
قولُه: (الكُرْسِيِّ) الأصحُّ أنَّه الجسمُ الأعظمُ المحيطُ، وقرئَ: «العظيمُ» بالرَّفع[2]، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٠) ونسبت للنبي ﷺ وفاطمة وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦١) ونسبت لأهل مكة.



١٠

سورة يونس

مكية إلاّ «فإن كنت في شك» الآيتين أو الثلاث، أو «ومنهم من يؤمن به» الآيَة، مِائَةٌ وتسعُ أو عشرُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾ القُرآن ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿الحَكِيمِ﴾: المُحكَمِ.

٢ ـ ﴿أكانَ لِلنّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة، استفهامُ إنكار، والجارّ والمجرور: حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصبِ: خبرُ «كان»، والرفعِ اسمُها، ....

سورة يونس

قولُه: (اللَّهُ أعلَمُ) قيل: معناه: أنا اللهُ أَرى وقيل: بانضمَامِ ﴿حم﴾ و﴿ن﴾ يصيرُ «الرَّحمن».

قولُه: (أي: هذِهِ الآيَاتُ) أو آياتُ هذِه السُّورةِ.

قولُه: (المُحْكَم) أي: لم يُنسَخ منه شيءٌ، أو وصفَه بـ﴿الحَكِيمِ﴾ لاشتمالِهِ على الحِكَمِ أو الحُكْمِ، أو لأنّه كلامُ حكيمٍ.

قولُه: (أي: أَهلِ مكَّة) تفسيرٌ ﴿للنَّاسِ﴾.

قولُه: (إنكَارٍ) للتَّعجُّبِ.

قولُه: (والرَّفْع) أي: برفْعِ ﴿عجباً﴾ وهو قراءةٌ شاذَّةٌ[1].

---

(١) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٢٣) ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه.

والخبرُ وهو اسمُها على الأُولى: ﴿أن أَوحَينا﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنهُم﴾ مُحمّدٍ ﷺ: ﴿أن﴾: مُفسّرةٌ ﴿أنذِرِ﴾: خوِّفِ ﴿النّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب، ﴿وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿لَهُم قَدَمَ﴾: سَلَفَ ﴿صِدقٍ عِندَ رَبِّهِم﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدّموا من الأعمال؟ ﴿قالَ الكافِرُونَ: إنَّ هذا﴾ القُرآنَ المُشتمِلَ على ذلك ﴿لَسِحرٌ مُبينٌ﴾: بيِّنٌ. وفي قراءة: «لَساحِرٌ» والمشارُ إليه النبيُّ.

٣ ـ ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ من أيام الدنيا،................

قولُه: (والخَبَرُ) مبتدأٌ خبرُه ﴿أن أوحينا﴾.

قولُه: (وهُو اسمُها) جملةٌ حاليَّةٌ مُعترِضةٌ.

قولُه: (الأوَّلِ) أي: على النَّصبِ.

قولُه: (أي: إيحَاؤُنَا) أو إيحاءَنا.

قولُه: (مُحمَّدٍ) أي: غيرِ مشهورٍ بالرِّياسةِ.

قولُه: (مفسِّرةٌ) لِمَا في الإيحاءِ مِن معنى القَولِ.

قولُه: (الكَافِرِينَ) قيل: عمَّمَ الإنذارَ؛ إذْ قلَّمَا مِن أحدٍ ليسَ فيه ما ينبَغِي أنْ يُنذَرَ منه، وخصَّصَ البشارةَ؛ إذ ليسَ للكفَّارِ ما يصحُّ أن يُبشَّروا به.

قولُه: (سَلَفَ) أي: سبقَ، أو سعيَ، أو مرتبةَ، وأضافَها إلى الصِّدقِ لتحقُّقِها والتَّنبيه على أنَّهم إنَّما ينالونها بالصِّدقِ، وقال مقاتلٌ: هو محمَّدٌ شفيعُ صدقٍ. أخرَجَه ابنُ أبي حاتمٍ(١)، كذا في «المبهَماتِ»(٢) ويؤيِّدُه قولُه ﷺ: «أنا فرَطُكم»(٣).

قولُه: (بمَا قَدَّمُوا) أو بما سبقَتْ لهم السَّعادةُ في الذِّكرِ الأوَّلِ.

قولُه: (وفِي قِراءَةٍ) للمكِّيِّ والكوفيِّ(٤)، وفيه اعترافٌ بالعَجزِ عن المعارضَةِ.

قولُه: (أيَّامِ الدُّنيَا) أو كل يومٍ ألف سنةٍ(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠١٩٩).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٥٣).

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٢)، و«حجة القراءات» (٣٢٧).

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٦) واللفظ للطبري: عن ابن عباس قال: خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدون أنتم.

=

أي: في قدْرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر ـ ولو شاء لخلقهنّ في لمحة. والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبّتَ ـ ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾ استواءً يليق به، ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ بين الخلائق، ﴿ما مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إلاَّ مِن بَعدِ إذنِهِ﴾. ردٌّ لقولهم: إنّ الأصنام تشفع لهم. ﴿ذلِكُمُ﴾ الخالق المُدبّر ﴿اللهُ رَبُّكُم. فاعبُدُوهُ﴾: وحّدوه. ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾؟ بإدغام التاء في الأصل في الذال.

٤ ـ ﴿إلَيهِ﴾ تعالى ﴿مَرجِعُكُم جَمِيعًا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿إنَّهُ﴾ ـ بالكسرِ استئنافًا والفتحِ على تقدير اللام ـ ﴿يَبدَأُ الخَلقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث، ﴿لِيَجزِيَ﴾: لِيُثِيبَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالقِسطِ، والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم شَرابٌ مِن حَمِيمٍ﴾: ماء بالغٍ نهايةَ الحرارة، ﴿وعَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلمٌ ﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾ أي: بسبب كُفرهم.

٥ ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً﴾: ذاتَ ضياء..................................

قولُه: (بينَ الخَلائقِ) أي: يقدِّرُ أمرَ الكائناتِ، فاللَّامُ للعهدِ أو للاستغراقِ.

قولُه: (ردٌّ) أو إثباتُ الشَّفاعةِ لمن أَذِنَ له.

قولُه: (الخَالِقُ) أي: ربُّكم لا غيرُ.

قولُه: (وحِّدُوهُ) بالعبادَةِ.

قولُه: (بإدغَامِ التَّاءِ) وبالتَّخفيفِ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ[1].

قولُه: (تعَالى) لا إلَه غيرُه فاستعِدُّوا للقائِهِ.

قولُه: (والفَتحِ) لأبي جعفرٍ[2]، مِن العَشَرةِ.

قولُـه: (أي: بـدأَه) الظَّاهـرُ إبقاءُ الفعـلِ على المعنـى المضَارعيِّ؛ لأنَّ المرادَ الاسـتِمرارُ، نحـوُ: فلانٌ يُعطِي ويمنَعُ.

قالَ تعالى: (﴿بالقسطِ﴾) أي: بعَدلِهِ، لا يُنقِصُ مِن ثوابِهم بمقتَضَى وعدِهِ، ويزيدُ مِن فضْلِهِ، أو بعدالَتِهم وقيَامِهم على العدْلِ في أمُورِهم، أو بإيمَانِهم؛ لأنَّه العَدلُ القويمُ، كمَا أنَّ الشِّركَ ظلمٌ عظيمٌ، وهو الأَوجَهُ لمقابلَةِ ما بعدَهُ.

قولُه: (ذَاتَ ضِياءٍ) أو مبالغَةً.

= قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«التسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

(٢) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٣٢).

أي: نورٍ ﴿والقَمَرَ نُورًا، وقَدَّرَهُ﴾ من حيثُ سيرُه ﴿مَنازِلَ﴾ ثمانيةً وعشرين منزلاً في ثمانٍ وعشرين ليلةً من كُلِّ شهر، ويستتر ليلتينِ إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿لِتَعلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ. ما خَلَقَ اللهُ ذلِكَ﴾ المذكورَ ﴿إلاّ بِالحَقِّ﴾ لا عبثًا، تعالى عن ذلك. ﴿يُفَصِّلُ﴾، بالياء والنون، يُبيّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون.

٦ ـ ﴿إنَّ في اختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالذَّهاب والمجيء والزيادة والنُّقصان، ﴿وما خَلَقَ اللهُ في السَّماواتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونُجوم وغير ذلك ﴿و﴾ في ﴿الأرضِ﴾ من حيوان وجِبال وبِحار وأنهار وأشجار وغيرها، ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَتَّقُونَـ﴾ ـه فيُؤمنون. خصّهم بالذكر لأنهم المُنتفعون بها.

٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾ بالبعث ﴿ورَضُوا بِالحَياةِ الدُّنيا﴾........................

قولُه: (أي: نُورٍ) فيه أنَّ الضِّياءَ أقوَى الأنوارِ، وقرَأ قُنبُلٌ[1]: (ضئاء) بهمزتَين على القَلْبِ، بتقديمِ اللَّامِ على العَينِ.

قولُه: (مِن حَيثُ سيْرُهُ) الضَّميرُ لكلِّ واحدٍ؛ أي: قدَّر مسيرَ كلِّ واحدٍ منهمَا منازِلَ، أو قدَّرَ كلَّ واحدٍ ذا منازِلَ، أو للقمَرِ، وتخصيصُه بالذِّكرِ لسُرعةِ سَيْرِه ومُعايَنةِ منازِلِه وإناطةِ أحكامِ الشَّرعِ غالباً به، ولذلكَ علَّلَه بقولِه: ﴿لتعلَموا﴾ ثمَّ الظَّاهرُ أنَّ المرادَ البروجُ لا المنَازلُ؛ إذ بهَا وبقطعِهَا عددُ السِّنين والحسَابُ.

قولُه: (بذلِكَ) في مُعامَلاتِكم وتصرُّفاتِكم.

وقولُه تعَالى: (﴿والحِسَابَ﴾) أي: حسَابَ الأوقَاتِ مِن الأشْهرِ والأيَّامِ.

قولُه: (بالياءِ) الغَيبة، مكِّيٌّ وبَصريٌّ وحفصٌ[2].

قولُه: (والنُّقصَانِ) والظُّلمةِ والضِّياءِ.

وقولُه تعالى: (﴿ومَا خَلَقَ اللهُ﴾) أي: وفيما خلَقَ.

قولُه: (وغَيرِ ذلِكَ) من الكائناتِ العُلْويَّةِ.

قولُه: (وغَيرِها) من الكائناتِ السُّفليَّةِ.

قولُه: (علَى قُدرَتِهِ) ووحدتِهِ لعدَمِ فسَادِها.

قولُه: (بالبَعْثِ) أي: لا يتوقَّعونَه لا رجاءً ولا خوفاً لإنكَارِهم البعثَ.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٨).

بدلَ الآخِرة لإنكارهم لها ﴿واطمَأَنُّوا بِها﴾: سكنوا إليها، ﴿والَّذِينَ هُم عَن آياتِنا﴾: دلائلِ وحدانيّتنا ﴿غافِلُونَ﴾: تاركون للنظر فيها، ٨ ـ ﴿أُولَئِكَ مأواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي. ٩ ـ ١٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهدِيهِم﴾: يُرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمانِهِم﴾: به بأن يجعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة، ﴿تَجرِي مِن تَحتِهِمِ الأنهارُ في جَنّاتِ النَّعِيمِ، دَعْواهُم فِيها﴾: طلبهم لِما يشتهونه في الجنّة أن يقولوا: ﴿سُبحانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا أللهُ! فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم، ﴿وتَحِيَّتُهُم﴾ فيما بينهم ﴿فِيها سَلامٌ، وآخِرُ دَعْواهُم أنِ﴾ ـ مُفسِّرة ـ ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

قولُه: (سَكَنوا إِلَيهَا) مقصِّرينَ همَمَهم على لذائذِها أو سكَنُوا فيها سكُونَ مَن لا يُزعَجُ عنها.

قولُه: (دَلَائلِ) الكونيَّةِ والشَّرعيَّةِ.

قولُه: (بِهِ) أي: بسببِ إيمانِهم بالبعثِ.

قولُه: (بأنْ يجعَلَ) بيانُ الإرشادِ، أو يهديَهم إلى الجنَّةِ أو إلى سُلوكِ السَّبيلِ المؤدِّي إلى الثَّوابِ.

قولُه: (طَلَبُهمْ) عن كثيرٍ مِن السَّلفِ: أنَّ أهلَ الجنَّة كلَّما اشتهَوا شيئاً قالوا: سبحانَكَ اللَّهمَّ، فيأتِيهم الملَكُ بما يشتَهونَ، فيسلِّمُ عليهم فيردُّونَ عليهِ، وذلكَ تحيَّتُهم، فإذا أكَلوا حمِدُوا اللهَ، وذلكَ قولُه: ﴿وآخرُ دعْواهم...﴾ إلخ[1].

قولُه: (فإِذَا) للمُفاجأةِ.

قولُه: (فيمَا بَينَهُم) أي: ما يُحيِّي به بعضُهم بعضاً، أو تحيَّةُ الملائكةِ أو اللهِ تعالى إيَّاهُم.

قولُه: (مُفَسِّرةٌ) الصَّحيحُ قولُ القاضِي[2]: إنَّ ﴿أن﴾ هي المخفَّفةُ مِن الثَّقيلةِ، وقد قُرِئَ بها وبنصبِ: ﴿الحمد﴾[3]. وزادَ في «المدارِكِ»[4]: أصلُه: أنه الحمدُ للهِ، والضَّميرُ للشَّأنِ.

قال الرَّضيُّ[5]: ينبَغِي أن يُعلَمَ أنَّ ما بعدَ «أن» المفسِّرةِ ليسَ مِن صلَةِ ما قبلَهَا، بل يتمُّ الكلامُ بدونِهِ، ولا يُحتاجُ إليه إلَّا مِن جهةِ التَّفسيرِ للمُبهَم المقدَّر، فقولُه تعالى: ﴿وآخرُ دعواهم أنِ الحمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ﴾ ليسَتْ ﴿أن﴾ فيهِ المفسِّرةَ؛ لأنَّ قولَه: ﴿الحمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ﴾ خبرُ المبتدإِ المقدَّمِ. انتهى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧٥٦٣) عن ابن جريج.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠٦).

(٣) أي: (أنَّ الحمدَ) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦١) ونسبت لبلال بن أبي بردة وابن محيصن.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٩).

(٥) انظر: «شرح الرضي لكافية ابن الحاجب» (٢/ ١٣٨٠).

ونزل لمّا استعجل المشركون العذاب: ١١ ـ ﴿ولَو يُعَجِّلُ اللهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ استِعجالَهُم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالخَيرِ لَقُضِيَ﴾ ـ بالبناء للمفعول وللفاعل ـ ﴿إلَيهِم أجَلُهُم﴾، بالرفع والنصب، بأن يُهلِكهم، ولكن يُمهلهم ـ ﴿فنَذَرُ﴾: نتركُ ﴿الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا في طُغيانِهِم يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون مُتحيّرين ـ ١٢ ـ ﴿وإذا مَسَّ الإنسانَ﴾: الكافرَ ﴿الضُّرُّ﴾: المرض والفقر ﴿دَعانا لِجَنبِهِ﴾ أي: مُضطجعًا ﴿أو قاعِدًا أو قائمًا﴾ أي: في كُلّ حال، ﴿فلَمّا كَشَفْنا عَنهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كُفره ﴿كأنْ﴾، مُخفّفةٌ واسمها محذوف، أي: كأنّه ﴿لَم يَدعُنا إلَى ضُرٍّ مَسَّهُ. كَذلِكَ﴾: كما زُيّنَ له الدعاءُ عِند الضرر والإعراضُ عِند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلمُسرِفِينَ﴾: المُشركينَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

قولُه: (أي: كاستِعْجَالِهِم) تقديرُ الكلامِ: ولو يعجِّلُ اللهُ للنَّاسِ تعجيلَهُ للخَيرِ حينَ استعْجَلوا الشَّرَّ استعجَالاً كاستعْجَالِهم بالخيرِ، فحُذِفَ منه ما حُذِفَ لِدلالةِ الباقِي عليهِ.

قولُه: (وللفَاعِلِ) الشَّاميِّ[1].

قولُه: (والنَّصْبِ) شاميٌّ[2].

قولُه: (ولكنْ يُمهِلُهُم) يعني: بفضلِهِ يستَجِيبُ في الخيرِ سريعاً لا في الشَّرِّ. وقولُه: «يمهلُهم» ينبَغِي أن يكونَ بالنُّونِ؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿فنذرُ﴾ عطفٌ على فعلٍ محذوفٍ دلَّتْ عليه الشرطيَّةُ؛ كأنَّه قيل: ولكنْ لا نعجَلُ ولا نقْضِي فنذرُهُم إمهَالاً لهم واستدراجاً، وتوضيحُه أنَّ ظاهرَه العطفُ على الشَّرطِ والجزاءِ، ولا يستقيمُ؛ لأنَّ حُكمَه الثُّبوتُ لا الانتفاءُ، فأُجيبَ بأنَّه عطفٌ على النَّفيِ الدَّالِّ عليه كلمةُ ﴿لو﴾ إلَّا أنَّ ذاكَ في النَّاسِ على الإطلاقِ، وهذا في ﴿الذينَ لا يرجونَ﴾ فتأمَّلْ. فإنَّه دقيقٌ وبالتأمُّلِ حقيقٌ.

قولُه: (أي: مُضطَجِعاً) وأصلُه: مُلْقِياً لجنبِهِ إشارةٌ إلى أنَّ ﴿لجنبِهِ﴾ حالٌ.

قولُه: (أي: فِي كُلِّ حَالٍ) يعني: فائدةُ التَّرديدِ تعميمُ الدُّعاءِ لجميعِ الأحوالِ أو لأصنافِ المضارِّ.

قولُه: (عَلَى كُفرِهِ) أي: مضَى على طريقتِهِ قبلَ الضُّرِّ، ونسِيَ ما كان يدعو إليه، واستمرَّ على كفرِهِ، أو ﴿مرَّ﴾ عن موقفِ الدُّعاءِ لا يرجعُ إليه.

وقولُه تعالى: (﴿إلى ضرٍّ﴾) أي: إلى كشفِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿ما كانوا يعملونَ﴾) مِن الانهماكِ في الشَّهواتِ والإعراضِ عن العباداتِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٨).

(٢) انظر المصادر السابقة.

١٣ ـ ﴿ولَقَد أهلَكْنا القُرُونَ﴾: الأمم ﴿مِن قَبلِكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿لَمّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك، ﴿و﴾ قد ﴿جاءَتهم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: الدلالات على صِدقهم، ﴿وما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾: عطفٌ على «ظلموا» ـ ﴿كَذلِكَ﴾: كما أهلكنا أُولئك ﴿نَجزِي القَومَ المُجرِمِينَ﴾: الكافرين ـ ١٤ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْناكُم﴾ يا أهل مكّة ﴿خَلائفَ﴾: جمع خليفة ﴿في الأرضِ مِن بَعدِهِم، لِنَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ﴾ فيها؟ وهل تعتبرون بهم فتُصدّقوا رُسلَنا؟

١٥ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّناتٍ﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿قالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾: لا يخافون البعث: ﴿ائتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هذا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا، ﴿أو بَدِّلْهُ﴾ من تِلقاء نفسك. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أن أُبَدِّلَهُ مِن تِلقاءِ﴾: قِبَلِ ﴿نَفسِي. إن﴾: ما ﴿أتَّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إلَيَّ. إنِّي أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي﴾ بتبديله، ﴿عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

١٦ ـ ﴿قُلْ: لَو شاءَ اللهُ ما تَلَوتُهُ علَيكُم، ولا أدراكُم﴾: أعلمَكم ﴿بِهِ﴾. ولا: نافية، عطفٌ على ما قبله...

قولُه: (قَد) أي: حالٌ من الواو بإضمارِ قد، وقيل: عطفٌ على ﴿ظلَموا﴾.

قولُه: (الدَّلَّاتِ) أي: بالحُججِ الدَّالَّةِ.

قولُه: (عَطفٌ) أو اعتراضٌ.

قولُه: (الكَافِرِينَ) أي: نجزي كلَّ مجرمٍ، أو نجزيكُم، فوضعَ المظهَرُ موضعَ المضمَرِ.

قولُه: (فيهَا) يعني: استخلافَ مَن يُختبَرُ.

قولُه: (لَا يَخَافُون) أو لا يأمُلونَ.

قولُه: (عَيْبُ) ولا بعثٌ.

قولُه: (مِن تلقَاءِ) بأن تجعَلَ مكانَ الآيةِ المشتمِلةِ على ما ذُكِرَ آيةً أخرى.

قولُه: (قِبَلِ) يعني: فضلاً عن آخرَ، أو المرادُ بالتَّبديلِ ما يشمَلُها.

قالَ تعَالى: (﴿قل لو شاء الله﴾) أي: غيرَ ذلكَ.

قولُه: (أعلَمَكُم) أي: على لساني.

قولُه: (﴿لا﴾ نَافِيةٌ) الظَّاهرُ أنها: مؤكِّدةٌ للنَّفي.

قولُه: (عَلى مَا قَبْلَه) فيه لطافةٌ.

وفي قراءة بلامٍ جوابَ «لو»، أي: لأعلمكم به على لسان غيري. ﴿فقد لَبِثتُ﴾: مَكَثتُ ﴿فِيكُم عُمُرًا﴾ سِنِينَ أربعين ﴿مِن قَبلِهِ﴾، لا أُحدِّثكم بشيء. ﴿أفلا تعقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبَلي؟ ١٧ ـ ﴿فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنِسبة الشريك إليه ﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: القُرآنِ؟ ﴿إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ﴾: يَسعد ﴿المُجرِمُونَ﴾: المُشركون.

١٨ ـ ﴿ويَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَضُرُّهُم﴾ ـ إن لم يعبدوه ـ ﴿ولا يَنفَعُهُم﴾ إن عبدوه، هو الأصنام، ﴿ويَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ. قُلْ﴾ لهم: ﴿أتُنَبِّئُونَ اللهَ﴾: تُخبرونه ﴿بِما لا يَعلَمُ في السَّماواتِ ولا في الأرضِ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك لعلمه، إذ لا يخفى عليه شيء. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَـ﴾ـه معه!

١٩ ـ ﴿وما كانَ النّاسُ إلاّ أُمَّةً واحِدةً﴾: على دِين واحد ـ وهو الإسلام ـ من لدُن آدمَ إلى نُوح، وقيل: من عهد إبراهيمَ إلى عمرِو ابنِ لُحَيّ، ﴿فاختَلَفُوا﴾ بأن ثبَتَ بعض وكفر بعض، ﴿ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ أي: الناسِ في الدنيا، ﴿فِيما فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من الدِّين بتعذيب الكافرين.

٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكّة: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿آيةٌ مِن رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ـ ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما الغَيبُ﴾:..........................

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للمكيِّ بخُلْفٍ عن البزِّيِّ[1].

قولُه: (جوابَ ﴿لو﴾) الصَّحيحُ أنَّ اللَّامَ لامُ التَّوكيدِ، و﴿ما تلَوتُه﴾ و﴿لا أدراكم﴾ كلاهما جوابٌ بالتَّعاطُفِ، والأوَّلُ نفيٌ والثَّاني إثباتٌ.

قولُه: (سنِيْناً) كذا بالنَّصبِ مع الألفِ، والصَّوابُ: «سنينَ» بلا ألفٍ؛ لأنَّه مُلحَقٌ بجمعِ السَّالم.

قولُه: (لَا أُحَدِّثُكم) إشارةٌ إلى أنَّ القرآنَ مُعجِزٌ.

قولُه: (وهوَ الأصْنامُ) سبحانَ اللهِ! يرضَونَ أن يكونَ الإلهُ حجراً، ولا يرضَون أن يكونَ الرَّسولُ بشراً، ويدَّعونَ لها الشَّفاعةَ، ولو كانَ لها قَدْرٌ لدفعَتِ النحتَ عن رأسِها.

قولُه: (معَهُ) وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بالخطابِ[2].

---

(١) أي: (ولأدراكم) وهي أيضًا من رواية قنبل، انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٢٩).

(٢) انظر المصادر السابقة.

ما غاب عن العِباد أي: أمرُه ﴿لِلهِ﴾ ومنه الآياتُ، فلا يأتي بها إلاّ هو، وإنّما عليَّ التبليغُ. ﴿فانتَظِرُوا﴾ العذابَ، إن لم تُؤمنوا. ﴿إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ ـ وإذا أذَقنا النّاسَ﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿رَحْمَةً﴾: مطرًا وخِصبًا ﴿مِن بَعدِ ضَرّاءَ﴾: بُؤس وجدب ﴿مَسَّتهُم إذا لَهُم مَكرٌ في آياتِنا﴾ بالاستهزاء والتكذيب. ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللهُ أسرَعُ مَكرًا﴾: مُجازاةً. ﴿إنَّ رُسُلَنا﴾: الحَفَظةَ ﴿يَكتُبُونَ ما تَمكُرُونَ﴾. بالتاء والياء.

٢٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُم﴾ ـ وفي قراءة: «يَنشُرُكُم» ـ ﴿في البَرِّ والبَحرِ. حَتَّى إذا كُنتُم في الفُلْكِ﴾: السُّفن، ﴿وجَرَينَ بِهِم﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ ﴿بِريحٍ طَيِّبةٍ﴾: ليّنة ﴿وفَرِحُوا بِها، جاءَتها رِيحٌ عاصِفٌ﴾: شديدةُ الهُبوب تكسِر كُلّ شيءٍ،.............................

قولُه: (أي: أَمْرُه) أي: أمرُ الغيبِ مختَصٌّ باللهِ.

قولُه: (ومنهُ) أي: من جملَةِ الغيبِ.

قولُه: (وخِصْباً) وصحَّةً وسَعةً.

قولُه: (وجَدْبٌ) ومرضٌ وفقرٌ.

قولُه: (مُجَازَاةً) المكرُ: إخفاءُ الكيدِ، وهو مِن اللهِ إمَّا الاستِدراجُ، أو الجزاءُ على المكرِ.

قولُه: (والياء) الغَيبةُ قراءةُ يعقوبَ مِن العَشَرةِ[١]، قالَ البيضَاويُّ[٢]: ليوافقَ ما قبلَه. يعنِي: ﴿إذا لهم مكرٌ﴾ لا يكتُبونَ كما يُتوهَّمُ، فتفهَّمْ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ[٣]، من النَّشرِ، على زِنةِ ينصُرُ.

قولُه: (السُّفُنِ) جمعُ: سفينةٍ، فالفُلْكُ هنا جمعٌ بدليلِ و﴿جرين بهم﴾ أي: بمَنْ فيها.

قولُه: (عنِ الخِطَاب) إلى الغيبةِ للمُبالغةِ في سُرعةِ جَريها؛ كأنَّ الحاضرينَ غابُوا بمجرَّدِ الجري.

قولُه: (لَيِّنة) الهبُوبِ.

قالَ تعَالى: (﴿جاءتها﴾) جوابُ ﴿إذا﴾ والضَّميرُ للفُلكِ أو للرِّيحِ الطَّيبةِ؛ بمعنى: تلقَّتْها[٤].

قولُه: (شَدِيدَة) أي: ذاتُ عَصفٍ شديدٍ.

---

(١) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٣٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٠٩).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٢٩).

(٤) في الأصول: «تلقتهما» ولعل الصواب ما أثبته.

﴿وجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكانٍ، وظَنُّوا أَنَّهم أُحِيطَ بِهِم﴾ أي: أُهلِكوا، ﴿دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الدُّعاءَ ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿أنجَيتَنا مِن هذِهِ﴾ الأهوالِ ﴿لنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾: المُوحّدين، ٢٣ ـ ﴿فلَمّا أَنجاهُم إذا هُم يَبغُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾: بالشِّرك. ﴿يا أَيُّها النّاسُ، إنَّما بَغيُكُم﴾: ظُلمكم ﴿عَلَى أنفُسِكُم﴾ لأنّ إثمه عليها. هو ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ تُمتّعون فيها قليلاً، ﴿ثُمَّ إلَينا مَرجِعُكُم﴾ بعد الموت، ﴿فنُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فنُجازيكم عليه. وفي قراءة بنصب: «متاعَ»، أي: تَتمتّعون.

٢٤ ـ ﴿إنَّما مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ﴾: مطر، ﴿أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ﴾: بسببه ﴿نَباتُ الأرضِ﴾،..............................

قالَ تعالَى: (﴿مِن كلِّ مكانٍ﴾) يجيءُ الموجُ منه.

قولُه: (الدُّعَاءَ) مِن غيرِ إشراكٍ، وهو بدلٌ مِن ﴿ظَنُّوا﴾ بدلُ اشتمالٍ؛ لأنَّ دعاءَهُم من لوازمِ ظنِّهم.

قولُه: (لامُ قسَمٍ) أي: موطِّئةٌ للقسمِ على إرادةِ القولِ، أو مفعولُ ﴿دعَوا﴾ لأنَّ الدُّعاء مِن جملةِ القولِ.

وقولُه تعالى: (﴿بغَيرِ الحَقِّ﴾) أي: مُبطِلينَ فيه، وهو احتِرازٌ عن تخريبِ المسلمينَ ديارَ الكفَرةِ وإحراقِ زروعِهِم وقلعِ أشجارِهم؛ فإنَّها إفسادٌ بحقٍّ.

قولُه: (بالشِّركِ) تفسيرٌ للبغي بمعنى الإفسادِ، أو التَّقديرُ: يطلُبونَ الفسادَ.

قولُه: (لأَنَّ إثْمَه عَليهَا) عن ابنِ عبَّاسٍ[1]: لو بغَى جبلٌ على جبلٍ لَدُكَّ الباغِي.

قولُه: (هُو) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿متاعُ﴾ خبرُ محذوفٍ تقديرُه: هو، أو ذلك، و﴿على أنفُسِكُم﴾ خبرُ ﴿بغيكم﴾.

قولُه: (تُمَتَّعُون) معلومٌ أو مجهولٌ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحفصٍ[2].

قولُه: (بنَصْبِ ﴿مَتاع﴾) على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ.

قولُه: (صِفةُ) أي: حالُها العجيبةُ في سرعةِ تقضِّيهَا وذهابِ نعيمِها بعدَ إقبالِها واغترارِ النَّاسِ بها.

قولُه: (بِسَبَبِه) أي: اشتبكَ حتَّى خالطَ بعضُه بعضاً، وقد وقعَ في «الكشَّافِ»[3] هنا خطأٌ فاحشٌ حيثُ قال:

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٤٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٢) وقد ورد مرفوعاً أيضاً، انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٠).

(٣) لم أقف على كلامه هذا في تفسير هذه الآية في هذا الموضع (٢/ ٣٤٠).

وإنما جاء في موضعين: الأول «الكشاف» (٢/ ٧٢٥) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه =

واشتبك بعضه ببعض، ﴿مِمَّا يأكُلُ النَّاسُ﴾ من البرّ والشعير وغيرهما ﴿والأنعامُ﴾ من الكلأ. ﴿حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخرُفَها﴾: بهجتها من النبات، ﴿وازَّيَّنَتْ﴾ بالزهر ـ وأصله «تَزَيَّنَتْ»، أُبدلت التاء زايًا وأُدغمت في الزاي ـ ﴿وظَنَّ أهلُها أنَّهم قادِرُونَ علَيها﴾: مُتمكّنون من تحصيل ثمارها، ﴿أتاها أمرُنا﴾: قضاؤنا، أي: عذابُنا ﴿لَيلاً أو نَهارًا، فجَعَلْناها﴾ أي: زرعَها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمَناجِل، ﴿كأنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ ـ أي: كأنّها ﴿لَم تَغْنَ﴾:..

وكانَ حقُّ اللَّفظِ: فاختلطَ بنباتِ الأرضِ، ووجهُ صحَّتِهِ أنَّ كلَّ واحدٍ منهما موصُوفٌ بصفةِ صاحبِهِ، على أنَّ هذا التَّركيبَ أبلغُ؛ لأنَّه حينئذٍ مِن بابِ: عرضْتُ النَّاقةَ على الحوضِ. انتهى. وهو فاسدٌ من وجوهٍ:

أمَّا الأوَّل: فلأنَّ الباءَ هنا ليسَتْ صِلةً كما توهَّمَه؛ إذ المعنى: ليسَ على أنَّ الماءَ اختلطَ به النَّباتُ أو عكسُه؛ فإنَّ المطرَ سابقٌ وجودُه على تحقُّقِ النَّباتِ على ما أشارَ إليه فاءُ التَّعقيبيَّةِ أو التَّفريعيَّةِ في قولِه سبحانَه: ﴿إنَّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلْناهُ مِنَ السَّماءِ فاختَلَطَ به نباتُ الأرْضِ﴾ فإذا كانَ الأمرُ كذلك فكيفَ يُتصوَّرُ اختلاطُهما؟ فالصَّوابُ أنَّ الباءَ للسَّببيَّةِ، وأنَّ المختلِطَ هو بعضُ نباتِ الأرضِ بالبعضِ، كما يُقال: اختلطَ القومُ.

وأمَّا ثانياً: فقولُه: «حقُّ اللَّفظِ»، باطلٌ، فإنَّ الاختلاطَ لغةً يقعُ على كلٍّ منهما على تقديرِ صحَّتِه.

وأمَّا ثالثاً: فقولُه: «إنَّه مِن بابِ القلْبِ» قلب التَّحقيق فإنَّ العرضَ عُرفاً وعادةً لا يكونُ إلَّا على ذي تمييزٍ في الجملةِ، فبهذِه القرينةِ يُعرَفُ أنَّ ذلك الكلامَ مقلوبٌ بخلافِ ما نحن فيه؛ فإنَّ لكلٍّ منَ الطَّرفَين قابليَّةَ الخلطِ كما بيَّنَّاه فاعلم، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (بالزَّهْرِ) أي: بأصنافِ النَّباتِ وأشكالِها وألوانِها المختلفةِ، كعرُوسٍ أخذَتْ من ألوانِ الثِّياب والتَّزيُّنِ، فتزيَّنَتْ بها.

قولُه: (وأُدْغِمَتْ) واجتُلِبَتْ همزةُ الوصلِ.

قولُه: (ثِمَارِها) ومِن حصدِها ورفعِ غلَّتِها.

قولُه: (قَضَاؤُنا) ضربُ زرعِها بما يحتاجُه.

قولُه: (أَي: كَأَنَّها) أي: زرعَها، والمضافُ محذوفٌ في الموضِعَين للمُبالغةِ، وقُرِئ[1]: (يَغْنَ) بالياءِ على الأصلِ.

= من السماء فاختلط به نبات الأرض...﴾ الآية [الكهف: ٤٥]، وتتمته في الموضع الثاني (٤/ ٣٠٥) عند قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا...﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠].

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٢٦) ونسبت لقتادة.

تكنْ ﴿بِالأمسِ. كَذلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَتَفكَّرُونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿واللهُ يَدعُو إِلَى دارِ السَّلامِ﴾ أي: السلامة ـ وهي الجنّة ـ بالدعاء إلى الإيمان، ﴿ويَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هِدايتَه ﴿إِلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾: دِين الإسلام. ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحُسنَى﴾: الجنّةُ، ﴿وزِيادةٌ﴾ ـ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ـ ﴿ولا يَرهَقُ﴾: يغشَى ﴿وُجُوهَهُم قَتَرٌ﴾: سواد ﴿ولا ذِلَّةٌ﴾: كآبة ـ ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ ـ والَّذِينَ﴾: عطفٌ على «لِلّذينَ أحسَنُوا» أي: وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئاتِ﴾:...................

وقولُه تعالى: (﴿بالأمسِ﴾) أي: فيما قُبَيلَ الأمسِ، وهو مثَلٌ في الوقتِ القريبِ.

قولُه: (أي: السَّلامَةِ) من النَّقصِ والآفةِ، أو دارِ اللهِ، وتخصيصُ هذا الاسمِ أيضاً للتَّنبيهِ على ذلك، أو دارِ يسلِّمُ اللهُ والملائكةُ فيها على مَن يدخُلُها.

قولُه: (هِدَايَتَه) بالتَّوفيقِ.

قولُه: (دِينِ الإِسلَامِ) الذي هو طريقُ ﴿دار السَّلام﴾.

قال تعالى: (﴿الحسنى﴾) أي: الجنَّةُ، أو المثوبةُ الحسنَى.

قولُه: (هيَ النَّظَرُ) وهو قولُ أبي بكرٍ الصِّديقِ وكثيرٍ مِن السَّلفِ، وعليه أحاديثُ كثيرةٌ أحدُها في «صحيحِ مسلمٍ وابنِ ماجه والتِّرمذيِّ، و«مسندِ» الإمامِ أحمدَ[1]، وعاندَ الزَّمخشريُّ وقال[2]: إنَّه مرقوعٌ ـ بالقافِ ـ؛ أي: مخترعٌ، والحالُ أنَّه مرفُوعٌ في كمالِ الصِّحةِ، والعجَبُ من البيضاويِّ[3] أنَّه ذكرَه بـ«قيل» في آخرِ الأقوالِ.

قولُه: (سَوادٌ) أو غبَرةٌ فيها سَوادٌ.

قولُه: (كآبَةٌ) أو هَوانٌ.

قولُه: (عَطفٌ عَلَى ﴿لِلَّذِينَ﴾) هذا على مذهبِ مَن يُجوِّزُ: في الدَّارِ زيدٌ والحُجرةِ عمرٌو، فلا يصحُّ أن يكونَ مختاراً مِن الأعاريبِ. قال أبو البقاءِ[4]: هو مبتدأٌ، والخبرُ ﴿ما لَهم مِنَ اللهِ﴾ أو ﴿أولئكَ﴾ ويكونُ ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ مُعترِضاً بينَ المبتدإِ وخبرِه، انتهى.

---

(١) رواه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٠)، وابن ماجه (١٨٧)، وأحمد في «مسنده» (١٨٩٣٥) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٤٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١١٠).

(٤) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٦٧٢).

عملوا الشِّرك ﴿جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثلِها، وتَرهَقُهُم ذِلَّةٌ، مالَهُم مِنَ اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿عاصِمٍ﴾: مانع، ﴿كأنَّما أُغشِيَتْ﴾: أُلبِستْ ﴿وُجُوهُهُم قِطَعًا﴾، بفتحِ الطاء: جمع قطْعة، وإسكانِها، أي: جُزءًا ﴿مِنَ اللَّيلِ مُظلِمًا. أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم﴾ أي: الخلقَ ﴿جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أشرَكُوا: مَكانَكُم﴾ ـ نصبٌ بـ«الزموا» مُقدّرًا ـ ﴿أنتُم﴾: تأكيدٌ للضمير المُستتر في الفعل المُقدّر، ليُعطف عليه ﴿وشُرَكاؤُكُم﴾ أي: الأصنامُ، ﴿فزَيَّلْنا﴾: ميّزنا ﴿بَينَهُم﴾ وبين المُؤمنين كما في آيةِ «وامتازُوا اليومَ، أيُّها المُجرِمُونَ»، ﴿وقالَ﴾ لهم ﴿شُرَكاؤُهُم: ما كُنتُم إيّانا تَعبُدُونَ﴾. ما: نافية، وقُدّم المفعول للفاصلة.

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿فكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَينَنا وبَينَكُم! إنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: إنّا ﴿كُنّا عَن عِبادَتِكُم لَغافِلِينَ. هُنالِكَ﴾ أي: ذلك اليومَ ﴿تَبلُو﴾ ـ مِن البلوَى. وفي قراءة بتاءينِ من التلاوة ـ ﴿كُلُّ نَفسٍ ما أسلَفَتْ﴾: قدّمتْ من العمل، ﴿ورُدُّوا إلَى اللهِ مَولاهُمُ الحَقِّ﴾:........................

والاعتِراضُ لا بدَّ أن يكونَ كلاماً تامًّا فـ﴿جزاء سيئة﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ؛ أي: فجزاءُ السَّيئةِ بمثلِها واقعٌ، أو تقديرُه: مقدَّرٌ بمثلِهَا، أو الباءُ زائدةٌ.

قولُه: (وإِسْكَانِها) مكِّيٌّ وكِسائيٌّ[1].

قولُه: (أي: الخَلْقَ) يعني: الفريقَينِ.

قولُه: (المُسْتَتِر...) إلخ. وقال القاضِي[2]: للضَّميرِ المنتَقلِ إلى ﴿مكانكم﴾ من عاملِهِ.

قولُه: (﴿مَا﴾ نَافِيةٌ) فإنَّهم إنَّما عبدُوا في الحقيقةِ أهواءَهُم.

قولُه: (ذلكَ اليَومَ) أو في ذلكَ المقامِ.

قولُه: (منَ البَلْوَى) أي: تختبِرُ ما قدَّمَتْ مِن عملٍ، فتُعاينُ نفعَه وضُرَّه.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[3].

قولُه: (منَ التِّلَاوَةِ) أي: تقرَأُ ذكرَ ما قدَّمَتْ، أو من التِّلو؛ أي: تتبعُ عملَه فيقودُها إلى الجنَّةِ أو النَّارِ.

قالَ تعَالَى: (﴿إلى الله﴾) أي: إلى حُكمِه أو جزائِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١١١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣١).

الثابت الدائم، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفترُونَ﴾ عليه من الشُّركاء.

٣١ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات؟ ﴿أَم مَن يَملِكُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع أي: خَلْقَها ﴿والأبصارَ؟ ومَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ، ويُخرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَيِّ؟ ومَن يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ بين الخلائق؟ ﴿فسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿اللهُ. فقُلْ﴾ لهم: ﴿أفلا تَتَّقُونَـ﴾ ـه فتؤمنون؟ ٣٢ ـ ﴿فذلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾: الثابت. ﴿فماذا بَعدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلالُ﴾؟ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره. فمن أخطأ الحقّ ـ وهو عبادةُ الله ـ وقع في الضلال. ﴿فأنّى﴾: كيف ﴿تُصرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قِيام البرهان؟ ٣٣ ـ ﴿كَذلِكَ﴾: كما صُرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ علَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: كفروا، وهي «لَأملأَنَّ جَهنَّمَ» الآيَةَ أو هي ﴿أَنَّهُم لا يُؤمِنُونَ﴾.

٣٤ ـ ﴿قُلْ: هَل مِن شُرَكائكُم مَن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ قُلِ: اللهُ يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ. فأَنَّى تُؤفَكُونَ﴾: تُصرفون عن عِبادته مع قيام الدليل؟...

قولُه: (الثَّابتِ الدَّائمِ) لا ما اتَّخذوهُ مولًى.

قولُه: (علَيْه) أي: على اللهِ، و(مِن) بيانيَّةٌ لـ﴿ما﴾.

قولُه: (بالنَّبَاتِ) أو مِن أهلِها.

قولُه: (بمَعنَى الأسْمَاعِ) وُحِّدَ لأنَّه في الأصلِ مصدرٌ، وهو لا يُجمَعُ، ولأنَّ المسمُوعَ لا يتعدَّدُ في آنٍ واحِدٍ.

قولُه: (خَلْقَها) أو حفْظَها، وقدَّمَ السَّمعَ لشرفِ الدَّليلِ السَّمعيِّ.

قولُه: (بينَ الخَلائقِ) وهو تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ.

قولُه: (هوَ ﴿اللَّه﴾) أي: لا يقدرونَ على المكابرةِ والعنادِ في ذلك لفرْطِ وضوحِه.

قولُه: (استِفهَامُ تَقرِيرٍ) الصَّحيحُ أنَّه استفهامُ إنكارٍ؛ لقولِه: (أي: ليسَ بعدَهُ غيرُه) أي: ليسَ بعدَ الحقِّ غيرُ الضَّلالِ.

قولُه: (وهيَ ﴿لأملأنَّ﴾) فـ(أنَّهم) تعليلٌ لحقِّيَّتِها.

قولُه: (أَو هيَ) أي: الكلمةُ (﴿أنَّهم﴾) فـ﴿أنَّهم﴾ بدلٌ من الكلمةِ.

قالَ تعَالى: (﴿مَن يَبدَأُ الخلْقَ﴾) أي: يفعلُه ابتداءً، جعلَ الإعادة كالإبداءِ في الإلزامِ بها لظُهورِ برهانِها وإنْ لم يساعدوا عليهَا.

٣٥ ـ ﴿قُلْ: هَل مِن شُرَكائكُم مَن يَهدِي إلَى الحَقِّ﴾ بنصب الحُجج وخلقِ الاهتداء؟ ﴿قُلِ: اللهُ يَهدِي لِلحَقِّ. أفمَن يَهدِي إلَى الحَقِّ﴾ ـ وهو الله ـ ﴿أحَقُّ أنْ يُتبَعَ أم مَنْ لا يَهِدِّي﴾: يهتدي ﴿إلاّ أن يُهدَى﴾ أحقُّ أن يُتّبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ. أي: الأولّ أحقّ. ﴿فما لَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ هذا الحُكمَ الفاسد من اتّباع ما لا يحقّ اتّباعه؟

٣٦ ـ ﴿وما يَتَّبِعُ أكثَرُهُم﴾ في عِبادة الأصنام ﴿إلاّ ظَنًّا﴾ حيثُ قلّدوا فيه آباءهم. ﴿إنَّ الظَّنَّ لا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾ فيما المطلوبُ منه العِلمُ! ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَفعَلُونَ﴾ فيُجازيهم عليه.

٣٧ ـ ﴿وما كانَ هذا القُرآنُ أن يُفتَرَى﴾ أي: افتراءً ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه، ﴿ولكِنْ﴾ أُنزل ﴿تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾ من الكُتب، ﴿وتَفصِيلَ الكِتابِ﴾: تبيينَ ما كتبَ الله من الأحكام وغيرِها، ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ، مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾: متعلق بـ «تصديق» أو بـ «أُنزِل» المحذوف. وقُرئ برفع «تَصديقُ، وتَفصيلُ» بتقدير: هو.

قولُه: (وهُوَ اللهُ) في «الكشَّافِ»[1]: يقال: هداهُ للحَقِّ وإلى الحقِّ، فجمعَ بينَ اللُّغتَين. انتهى.

يعني: تفنُّناً في العبارةِ، وفي البيضاويِّ[2]: فرقٌ دقيقٌ بينهما.

قولُه: (﴿يَهدِي﴾) قرأَ شعبةُ بكسرِ الياءِ الأولى، والباقِي بالفتحِ، وكسرَ عاصمٌ الهاءَ، وفتحها الباقونَ، واختلسَ حرَكتَها قالونُ وأبو عمرٍو، والكلُّ بتشديدِ الدَّالِ إلَّا حمزةَ والكِسائيَّ؛ فعندَهما على وزْنِ «يرمي» فهذه خمسُ قراءاتٍ[3]، وتوجيهُ كلٍّ يُطلَبُ من محلِّه.

قولُه: (آبَاءَهُم) والمرادُ بالأكثرِ الجميعُ.

قولُه: (افتِرَاءً) الأولى مفترًى.

قولُه: (أُنزِلَ) أي: أنزلَهُ اللهُ، فنصبَ ﴿تصديقَ﴾ على أنَّه علَّةٌ لفعلٍ محذُوفٍ، والأظهرُ نصبُه بأنَّه خبرُ (كانَ) مقدَّرٌ.

قولُه: (بـ﴿تَصْدِيق﴾) أو ﴿تفصيل﴾ ولا ريبَ فيه اعتِراضٌ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٤٦).

(٢) حيث قال: وهدى كما يعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند إلى الله تعالى. انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١١٢).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢٢)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١٠٥).

٣٨ ـ ﴿أم﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ: افترَاهُ﴾: اختلقه مُحمّد؟ ﴿قُلْ: فأتُوا بِسُورةٍ مِثلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء ـ فإنكم عربيّون فُصحاء مثلي ـ ﴿وادعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ استطَعتُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنه افتراء. فلم يقدروا على ذلك. ٣٩ ـ قال تعالى: ﴿بَل كَذَّبُوا بِما لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ﴾ أي: القُرآنِ ولم يتدبّروه، ﴿ولَمّا﴾: لم ﴿يأتِهِم تأوِيلُهُ﴾: عاقبةُ ما فيه من الوعيد. ﴿كَذلِكَ﴾ التكذيبِ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ رُسلَهم. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فكذلك يَهلِك هؤلاء.

٤٠ ـ ﴿ومِنهُم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿مَن يُؤمِنُ بِهِ﴾ لعِلم الله ذلك منه، ﴿ومِنهُم مَن لا يُؤمِنُ بِهِ﴾ أبدًا ـ ﴿ورَبُّكَ أعلَمُ بِالمُفسِدِينَ﴾. تهديدٌ لهم. ٤١ ـ ﴿وإن كَذَّبُوكَ فقُلْ﴾ لهم: ﴿لِي عَمَلِي ولَكُم عَمَلُكُم﴾ أي: لُكلٍّ جزاءُ عمله. ﴿أنتُم بَرِيؤُونَ مِمّا أعمَلُ، وأنا بَرِيءٌ مِمّا تَعمَلُونَ﴾، وهذا منسوخ بآية السيف ـ ٤٢ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَستَمِعُونَ إلَيكَ﴾ إذا قرأتَ القرآن. ﴿أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ﴾ ـ شَبَّههم بهم في عدم الانتفاع بما يُتلى عليهم ـ ﴿ولَو كانُوا﴾ مع الصَّمم ﴿لا يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون؟ ٤٣ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَنظُرُ إلَيكَ........

قولُه: (﴿يَقُولُون﴾) الظّاهرُ: «أ﴿يقولونَ﴾» كما في نسخةٍ، ومعنى الهمزةِ فيه الإنكارُ.

قولُه: (عَليهِ) أي: الإتيانِ.

قولُه: (أَي: غَيرَه) فإنَّه وحدَه قادرٌ على ذلك.

قولُه: (ولَم يتدَبَّرُوهُ) عطفٌ على ﴿كذَّبوا﴾ أو ﴿لم يحيطوا﴾ أي: سارَعُوا إلى التَّكذيبِ بالقرآنِ أوَّلَ ما سمِعُوه.

قولُه: (أَهلِ مكَّةَ) أو مِن المكذِّبينَ.

قالَ تعَالى: (﴿وإن كذبوك﴾) أي: أصَرُّوا على تكذيبِكَ بعدَ إلزامِ الحُجَّةِ.

قولُه: (جَزَاءُ عَمَلِهِ) حقًّا كانَ أو باطلاً.

وقولُه: (﴿أنتم بريئونَ﴾) غيرُ مؤاخَذينَ.

قولُه: (وهَذَا منسُوخٌ) وفيه أنَّ هذا المعنَى لا نسخَ فيه، معَ أنَّ الأخبارَ لا تُنسَخُ. قال القاضِي[1]: ولِمَا فيه من إيهامِ الإعراضِ عنهُم وتخليةِ سبيلِهِم، قيل: إنَّه منسُوخٌ.

قالَ تعَالى: (﴿من ينظر إليك﴾) يُعاينونَ دلائلَ نبوَّتِكَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١١٤).

أفأنتَ تَهدِي العُمْيَ، ولَو كانُوا لا يُبصِرُونَ﴾؟ شبّههم بهم في عدم الاهتداء. بل أعظَمُ «فإنّها لا تَعمَى الأبصارُ، ولكِنْ تَعمَى القُلُوبُ الّتِي في الصُّدُورِ».

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا! ولكِنَّ النّاسَ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ. ويَومَ يَحشُرُهُم كأنْ﴾ أي: كأنّهم ﴿لَم يَلبَثُوا﴾ في الدنيا أو القُبور ﴿إلاّ ساعةً مِنَ النَّهارِ﴾ لهول ما رأوا ـ وجملة التشبيه حال من الضمير ـ ﴿يَتَعارَفُونَ بَينَهُم﴾: يعرف بعضهم بعضًا إذا بُعثوا، ثم ينقطع التعارف لِشِدّة الأهوال. والجملة: حالٌ مقدّرة، أو مُتعلَّقُ الظرف. ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ﴾: بالبعث، ﴿وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾!

٤٦ ـ ﴿وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدةِ ـ ﴿نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾ به من العذاب في حياتك ـ وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ـ ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلَينا مَرجِعُهُم، ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾: مُطّلع ﴿علَى ما يَفعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكُفرهم، فيُعذّبهم أشدّ العذاب، ٤٧ ـ ﴿ولِكُلِّ أُمّةٍ﴾ من الأُمم ﴿رَسُولٌ. فإذا جاءَ رَسُولُهُم﴾ إليهم فكذّبوه ﴿قُضِيَ بَينَهُم بِالقِسطِ﴾: بالعدل، فيُعذّبون ويُنجّى الرسول ومَن صدّقه، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جُرم. فكذلك نفعل بهؤلاء.

٤٨ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالعذاب، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٤٩ ـ ﴿قُلْ: لا أملِكُ لِنَفسِي ضَرًّا﴾ أدفعُه ﴿ولا نَفْعًا﴾ أجلِبُه ﴿إلاّ ما شاءَ اللهُ﴾..........................

قولُه: (بَل أعْظَمُ) يعني: بأنِ انضمَّ إلى عَدمِ البصَرِ عدمُ البصِيرَةِ.

قالَ تعالى: (﴿ويومَ يحشُرُهم﴾) حفصٌ بالياءِ التَّحتيَّةِ، والباقونَ بالنُّونِ[1].

قولُه: (حَالٌ) أي: في مَوقعِ الحالِ؛ أي: يحشُرُهم مُشبَّهين بمَن لم يلبَثُوا.

قولُه: (أَو مُتعلَّقُ الظَّرفِ) والتَّقديرُ: يتعارَفونَ يومَ يحشُرُهم.

قولُه: (فِي حَياتِكَ) متعلِّقٌ بـ﴿نرينَّكَ﴾ أي: بنُصرَتِكَ في حياتِكَ كما أراه يومَ بدرٍ.

قولُه: (قَبلَ تعذِيبِهِم) الأظهرُ: قبلَ أن نُريَك.

قالَ تعالَى: (﴿فإلَيْنا مرْجِعُهُم﴾) فنُريكَه في الآخرةِ، وهو جوابُ ﴿نتوفينَّكَ﴾.

قولُه: (بالعَذابِ) استِبعاداً له واستهزاءً.

قولُه: (فِيهِ) أي: الوعدِ، خطابٌ منهم للنَّبيِّ والمؤمنينَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٢).

أن يُقدِّرني عليه. فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مُدّة معلومة لهلاكهم، ﴿إذا جاءَ أجَلُهُم فلا يَستأخِرُونَ﴾: يتأخّرون عنه ﴿ساعةً ولا يَستَقدِمُونَ﴾ يتقدّمون عليه.

٥٠ - ﴿قُلْ: أرَأيتُم﴾: أخبِروني، ﴿إن أتاكُم عَذابُهُ﴾ أي: اللهِ ﴿بَياتًا﴾: ليلاً ﴿أو نَهارًا، ماذا﴾: أيُّ شيء ﴿يَستَعجِلُ مِنهُ﴾ أي: العذابِ ﴿المُجرِمُونَ﴾: المُشركون؟ فيه وضع الظاهر موضع المُضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط، كقولك: إنْ أتيتُكَ ماذا تُعطيني؟ والمُراد به التهويل، أي: ما أعظَمَ ما استعجلوه!

٥١ - ﴿أثُمَّ إذا ما وَقَعَ﴾: حلّ بكم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي: اللهِ أو العذابِ عند نزوله؟ والهمزة لإنكار التأخير. فلا يُقبل منكم، ويقال لكم: ﴿آلآنَ﴾ تؤمنون، ﴿وقَد كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ﴾ استهزاءً؟ ٥٢ - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: ذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه. ﴿هَل﴾: ما ﴿تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿بِما كُنتُم تَكسِبُونَ﴾؟

٥٣ - ﴿ويَستَنبِئُونَكَ﴾: يستخبرونك: ﴿أحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قُلْ: إيْ﴾: نَعَمْ ﴿ورَبِّي إنَّهُ لَحَقٌّ، وما أنتُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتِينَ العذابَ، ٥٤ - ﴿ولَو أنَّ لِكُلِّ نَفسٍ ظَلَمَتْ﴾: كفرتْ ﴿ما في الأرضِ﴾ من الأموال ﴿لافتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب يوم القيامة، ﴿وأسَرُّوا النَّدامةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمّا رأَوُا العَذابَ﴾ أي: أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافةَ التعيير، ﴿وقُضِيَ بَينَهُم﴾: بين الخلائق ﴿بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا!

قولُه: (أَن يُقدِّرَنِي) الأظهرُ: أنْ أملِكَه، أو لكن ما شاءَ اللهُ مِن ذاك كائنٌ.

قولُه: (لَيلًا) أي: وقتَ بياتٍ واشتغالٍ بالنَّومِ.

قولُه: (أَي: العَذابِ) أي: أيُّ شيءٍ من العذابِ يستعجِلُونَه وكلُّه مكروهٌ لا يلائمُ الاستِعجالَ.

قولُه: (المُضمَرِ) المخاطب للدِّلالةِ على أنّهم لجُرمِهم ينبَغِي أن يفزَعوا مِن مجيءِ الوَعيدِ لا أن يستَعجِلوهُ.

قولُه: (والهَمزَةُ) أي: دخولُها على ﴿ثُمَّ﴾.

قولُه: (ويُقالُ) الأولى: وقيل؛ لعطفِ ﴿ثمَّ قيلَ﴾ عليهِ.

قولُه: (كفَرَتْ) أو تعدَّتْ على الغيرِ.

قولُه: (مِنَ العَذابِ) أي: جعلَتْه فِديةً لها منه، مِن قَولِهِم: افتدَاهُ بمعنى: فَداهُ[1].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٥/ ١٤٩).

٥٥ ـ ﴿أَلا إِنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ. أَلا إِنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾: ثابت، ﴿ولكِنَّ أَكثَرَهُم﴾ أي: الناسِ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك. ٥٦ ـ ﴿هُوَ يُحيِي ويُمِيتُ، وإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ في الآخِرة فيُجازيكم بأعمالكم. ٥٧ ـ ﴿يا أَيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم﴾: كتابٌ فيه ما لَكم وعليكم ـ وهو القُرآن ـ ﴿وشِفاءٌ﴾: دواء ﴿لِما في الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وهُدًى﴾ من الضلال ﴿ورَحمةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ به.

٥٨ ـ ﴿قُلْ: بِفَضلِ اللهِ﴾: الإسلامِ ﴿وبِرَحمتِهِ﴾: القرآنِ، ﴿فبِذلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فلْيَفرَحُوا. هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ﴾ من الدنيا، بالياء والتاء.

٥٩ ـ ﴿قُلْ: أَرَأَيتُم﴾: أخبروني ﴿ما أَنزَلَ اللهُ﴾: خَلقَ ﴿لَكُم مِن رِزقٍ، فجَعَلتُم مِنهُ حَرامًا وحَلالاً﴾ كالبَحيرة والسائبة والميتة؟ ﴿قُلْ: آللهُ أَذِنَ لَكُم﴾ في ذلك التحريم والتحليل؟ لا. ﴿أَم﴾: بل ﴿عَلَى اللهِ تَفتَرُونَ﴾: تكذبون بِنسبة ذلك إليه؟ ٦٠ ـ ﴿وما ظَنُّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ أي: أيُّ شيء ظنُّهم به

قولُه: (ذلكَ) أي: ما ذُكِرَ مِن أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ.

قولُه: (أي: أهْلَ مكّةَ) يحتملُ النِّدائيّةَ والتَّفسيريّةَ، والأولى العمومُ.

قولُه: (القُرآنِ) أو هما؛ القرآنُ والإسلامُ، وهو مختارُ صاحبِ «المدارِكِ»[1]، والباءُ متعلِّقةٌ بفعلٍ يفسِّرُه قولُه: ﴿فبذلِكَ فليفرَحوا﴾ وفائدةُ التَّكريرِ التَّأكيدُ والبيانُ بعدَ الإجمالِ، وعن يعقوبَ[2]: (فلتفرحوا) بالتَّاءِ على الأصلِ المرفوضِ، وقد رُوِيَ مرفُوعاً[3]، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ[4]: (فافْرَحُوا).

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ، ابنُ عامرٍ[5].

قولُه: (خَلقَ) جعلَ الرِّزقَ مُنزَّلاً؛ لأنَّه مقدَّرٌ في السَّماءِ، محصَّلٌ بأسبابٍ منها.

قولُه: (بَل) يعني: الاستفهامُ للإنكارِ و﴿أم﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها تقريرٌ لافترائِهم على اللهِ.

قولُه: (بِهِ) أي: بالله.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٢٨).

(٢) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٣٤).

(٣) أي قوله: (فلتفرحوا) رواه أبو داود (٣٩٨١)، وأحمد في «مسنده» (٢١١٣٦)، والطيالسي في «مسنده» (٥٤٧) من حديث أُبي رضي الله عنه.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٢٨) ونسبت لأُبي رضي الله عنه.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٤).

﴿يومَ القِيامةِ﴾؟ أيحسبون أنه لا يُعاقبهم؟ لا. ﴿إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم، ﴿ولكِنَّ أكثرَهُم لا يَشكُرُونَ﴾.

٦١ ـ ﴿وما تَكُونُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿في شأنٍ﴾: أمر، ﴿وما تَتلُو مِنهُ﴾ أي: من الشأنِ أو اللهِ ﴿مِن قُرآنٍ﴾ أنزله عليك، ﴿ولا تَعمَلُونَ﴾ ـ خاطبَهُ وأُمّتَه ـ ﴿مِن عَمَلٍ، إلاّ كُنّا عَلَيكُم شُهُودًا﴾: رُقباءَ ﴿إذ تُفِيضُونَ﴾: تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل، ﴿وما يَعزُبُ﴾: يغيب ﴿عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ﴾: وزنِ ﴿ذَرّةٍ﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿في الأرضِ ولا في السَّماءِ، ولا أصغَرَ مِن ذلِكَ ولا أكبَرَ إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ، هو اللوح المحفوظ.

٦٢ ـ ﴿ألا إنَّ أولِياءَ اللهِ لا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة. ٦٣ ـ هم ﴿الّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بامتثال أمره ونهيه، ٦٤ ـ ﴿لَهُمُ البُشرَى في الحَياةِ الدُّنيا﴾ ـ فُسِّرتْ في حديث صحّحه الحاكم بالرؤيا الصالحة، ....

وقولُه تعَالى: (﴿يومَ القيامَةِ﴾) منصوبٌ بالظَّنِّ.

قولُه: (أي: منَ الشَّأنِ)[1] لأنَّ تلاوةَ القرآنِ مُعظَمُ شأنِ الرَّسولِ.

قولُه: (أنزلَهُ علَيكَ) فـ﴿من﴾ تبعيضيَّةٌ مفعولُ ﴿تتلوا﴾.

قولُه: (خَاطبَهُ وأمَّتَه) أي: تعميمٌ للخطابِ بعدَ تخصِيصِه بمَن هو رأسُهُم.

قولُه: (رُقَباءَ) مطَّلِعينَ.

قولُه: (يَغِيبُ) والكِسائيُّ بكسر الزَّاي[2].

قولُه: (أصْغَرِ نملَةٍ) أو هباءٍ.

قولُه: (بيِّنٍ) كلامٌ برأسِهِ مقرِّرٌ لِما قبلَه، و﴿لا﴾ نافيةٌ و﴿أصغر﴾ اسمُها، و﴿في كتاب﴾ خبرُها. وقرأ حمزةُ بالرَّفعِ فيهما[3] على الابتداءِ والخبرِ، ومَن عطَفَ على لفظِ: ﴿مثقال ذرَّةٍ﴾ وجعلَ الفتحَ بدلَ الكسرِ لامتناعِ الصَّرفِ، أو على محلِّه مع الجارِّ على قراءةِ الرَّفعِ جعلَ الاستثناء منقطعاً.

قولُه: (هُم) أي: محلُّه الرَّفعُ على المدحِ.

---

(١) «وقوله تعالى: ﴿يوم القيامة﴾ منصوب بالظن. قولُه: أي من الشّأن»: ليست في (ص).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٤).

(٣) انظر المصادر السابقة.

يراها الرجل أو تُرى له ـ ﴿وفي الآخِرةِ﴾ بالجنّة والثواب. ﴿لا تَبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾: لا خُلفَ لمواعيده. ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

٦٥ ـ ﴿ولا يَحزُنْكَ قَولُهُم﴾ لك: لستَ مُرسَلاً وغيرَه. ﴿إنَّ﴾ ـ استئناف ـ ﴿العِزّةَ﴾: القُوّة ﴿لِلّهِ جَمِيعًا. هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل، فيُجازيهم وينصرك. ٦٦ ـ ﴿ألا إنَّ لِلّهِ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ﴾ عبيدًا ومُلكًا وخلقًا، ﴿وما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿شُرَكاءَ﴾ له، على الحقيقة. تعالى عن ذلك. ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إلاّ الظَّنَّ﴾، أي: ظنَّهم أنها آلهة تشفع لهم، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ يَخرُصُونَ﴾: يكذبون في ذلك. ٦٧ ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ والنَّهارَ مُبصِرًا﴾. إسناد الإبصار إليه مجاز، لأنه مُبصَرٌ فيه. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تدبّر واتّعاظ.

٦٨ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: اليهودُ والنصارى ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾. قال تعالى لهم: ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عن الولد! ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ عن كُلّ أحد، وإنّما يَطلب الولدَ مَن يحتاج إليه، ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا. ﴿إنْ﴾: ما ﴿عِندَكُم مِن سُلطانٍ﴾: حُجّةٍ ﴿بِهذا﴾ الذي تقولونه. ﴿أتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾؟ استفهام توبيخ.........

قولُه: (أَو تُرى لهُ) أو ما بشَّرَ به الملائكةُ عندَ النَّزعِ ﴿وفي الآخِرَةِ﴾ بتلقِّي الملائكةِ إيَّاهم مسلِّمين مبشِّرين بالفوزِ والكرامةِ.

قولُه: (المَذكُورُ) مِن كونِهم مبشَّرينَ في الدَّارَين.

قولُه: (وغَيرَه) والأحسنُ: فينا، أو فيكَ، أو في القرآنِ.

قولُه: (استِئنَافٌ) بمعنى التَّعليل وقُرئ بالفتحِ.

قال تعالى: (﴿اتخَذَ اللهُ ولداً﴾) أي: تبنَّاه.

قولُه: (تَنزِيهاً لهُ عَن الوَلَدِ) أو تنزياً له عن التَّبنّي، فإنَّه لا يصلُحُ إلَّا ممَّن يتصوَّرُ له الولدُ، أو تعجُّباً مِن كلِمَتِهم الحمقاءِ.

قولُه: (عَن كُلِّ أحَدٍ) علَّةٌ لتنزُّهه.

قولُه: (وإنَّمَا يطلُبُ) الأظهرُ: يتَّخذُ.

قولُه: (مُلكاً...) إلخ تقريرٌ لغِناهُ.

٦٩ ـ ﴿قُلْ: إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لا يُفلِحُونَ﴾: لا يَسعدون. ٧٠ ـ لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنيا﴾، يتمتّعون به مُدّة حياتهم، ﴿ثُمَّ إِلَينا مَرجِعُهُم﴾ بالموت، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذابَ الشَّدِيدَ﴾ بعدَ الموت ﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾.

٧١ ـ ﴿واتلُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿علَيهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّةَ ﴿نبَأَ﴾: خبرَ ﴿نُوحٍ﴾، ويُبدل منه: ﴿إِذْ قالَ لِقَومِهِ: يا قَومِ، إن كانَ كَبُرَ﴾: شقَّ ﴿علَيكُمْ مَقامِي﴾: لُبثي فيكم، ﴿وتَذكِيرِي﴾: وعظي إيّاكم ﴿بِآياتِ اللهِ، فعلَى اللهِ تَوَكَّلتُ، فأجمِعُوا أمرَكُم﴾: اعزِموا على أمرٍ تفعلونه بي ﴿وشُركاءَكُم﴾، الواو بمعنى: مع، ﴿ثُمَّ لا يَكُنْ أمرُكُم علَيكُم غُمَّةً﴾: مستورًا، بل أظهروه وجاهروني به، ﴿ثُمَّ اقضُوا إلَيَّ﴾: أمضُوا فيَّ ما أردتموه، ﴿ولا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ..

قولُه: (بنسبةِ الولَدِ) والشَّريكِ.

قولُه: (لهُم) أشارَ إلى أنَّ ﴿متاع﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ.

قولُه: (خَبرَ ﴿نوح﴾) معَ قومِهِ.

قولُه: (شقَّ) وعظُمَ.

قولُه: (لُبْثِي) أي: كَوْني وإقامَتي بينكم مدَّةً مديدةً، أو نفسِي، أو قيامِي على الدَّعوةِ.

قولُه: (اعزِمُوا عَلى أمْرٍ) قالَ الكِسائيُّ: يقالُ: أجمعْتُ الأمرَ وعلى الأمرِ: إذا عزمْتَ عليه، والأمرُ مُجمَعٌ. كذا في «الصِّحاحِ»[1].

قولُه: (بِي) وفي نسخةٍ: «فيَّ» بتشديدِ الياءِ.

قولُه: (الواوُ بمَعنَى: مَع) وقيل: إنَّه منصُوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ تقديرُه: وادعُوا شُركاءَكم، وهي روايةٌ عن يعقوبَ[2]. قال في «الصِّحاحِ»[3] أي: وادعُوا شُركاءَكم؛ لأنَّه لا يقالُ: أجمعْتُ شركائي، إنَّما يقال: جمعْتُ، قال الشَّاعرُ[4]:

يَـا لَيْـتَ زَوجَـكِ فـي الوَغَى ... مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً ورُمْـحـاً

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٩٩).

(٢) لم أجدها عن يعقوب هكذا، وجاء عنه أنه قرأ وحده (وشركاؤُكم) بضم الهمزة، انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٣٥).
وجاء في قراءة شاذة عن أُبي (فادعوا شركاءكم ثم أجمعوا أمركم) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٢٨).

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٩٩).

(٤) قائله عبد الله بن الزبعري، انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢).

فإني لست مُباليًا بكم، ٧٢ ـ ﴿فإن تَوَلَّيتُم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتُكُم مِن أجرٍ﴾: ثواب عليه، فتتولَّوا. ﴿إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾ ثوابي ﴿إلاّ علَى اللهِ، وأُمِرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ﴾.

٧٣ ـ ﴿فكَذَّبُوهُ، فنَجَّيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ﴾ السفينة، ﴿وجَعَلْناهُم﴾ أي: مَن معه ﴿خَلائفَ﴾ في الأرض، ﴿وأغرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ بالطوفان. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُنذَرِينَ﴾ من إهلاكهم؟ فكذلك نفعل بمن كذَّبك.

٧٤ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِ﴾ أي: نُوحٍ ﴿رُسُلاً إلَى قَومِهِم﴾ كإبراهيمَ وهُودٍ وصالح، ﴿فجاؤُوهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات، ﴿فما كانُوا لِيُؤمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ بعثِ الرُّسلِ إليهم. ﴿كَذلِكَ نَطبَعُ﴾: نَختِمُ ﴿علَى قُلُوبِ المُعتَدِينَ﴾، فلا تَقبل الإيمانَ كما طبعنا على قلوب أُولئك.

٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِم مُوسَى وهارُونَ إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾: قومِه ﴿بِآياتِنا﴾ التسع، ﴿فاستَكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها، ﴿وكانُوا قَومًا مُجرِمِينَ، فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِن عِندِنا قالُوا: إنَّ هذا لَسِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ ظاهر. ٧٧ ـ ﴿قالَ مُوسَى: أتَقُولُونَ لِلحَقِّ لَمّا جاءَكُم﴾: إنه لَسحر؟ ﴿أسِحرٌ هذا﴾، وقد أفلح من أتى به وأبطل سِحرَ السحَرة، ﴿ولا يُفلِحُ السّاحِرُونَ﴾؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

٧٨ ـ ﴿قالُوا: أجِئتَنا لِتَلفِتَنا﴾: لتردّنا ﴿عَمّا وَجَدْنا علَيهِ آباءَنا، وتَكُونَ لَكُما الكِبرِياءُ﴾: المُلك ﴿في الأرضِ﴾ أرض مصر؟ ﴿وما نَحنُ لَكُما بِمُؤمِنِينَ﴾: مُصدّقين........................

أي: وحاملاً رمحاً؛ لأنَّ الرُّمح لا يُتقلَّدُ.

قولُه: (مُبالياً) ثقةً بالله تعالى.

قولُه: (فتوَلَّوا) بحذفِ التَّاءِ.

قولُه: (أي: قَبلِ بَعثِ الرُّسُلِ) والمعنى: فما استقامَ لهم أنْ يؤمنُوا لشدَّةِ شَكيمَتِهم في الكفرِ وخِذْلانِ اللهِ إيَّاهم بسببِ تعوُّدِهم تكذيبَ الحقِّ، وتمرُّنِهم عليه قبلَ بعثةِ الرُّسلِ.

قولُه: (نَختِمُ) وفي أمثالِ ذلكَ دليلٌ على أنَّ الأفعالَ واقعةٌ بقُدرَةِ اللهِ وكسبِ العبدِ.

قولُه: (بِهَا) أي: بالآياتِ، وفي نسخةٍ: «بهمَا» أي: بموسَى وهارونَ.

قولُه: (ظاهِرٌ) أنّه سحرٌ.

قولُه: (إنَّه لَسِحرٌ) فحُذِفَ المحكيُّ للقولِ لدِلالةِ ما قبلَهُ عليه.

قولُه: (المُلْكُ) سُمِّيَ بها لاتِّصافِ الملوكِ بالكِبْرِ، أو التَّكبُّرِ على النَّاسِ باستتباعِهِم.

٧٩ـ ﴿وقالَ فِرعَونُ: ائتُوني بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ﴾: فائق في عِلم السِّحر.

٨٠ـ ٨١ـ ٨٢ـ ﴿فلَمّا جاءَ السَّحَرةُ قالَ لَهُم مُوسَى﴾، بعد ما قالوا له: «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ. فلَمّا ألقَوا﴾ حِبالهم وعِصيَّهم ﴿قالَ مُوسَى: ما﴾: استفهاميّة مبتدأ خبرُه: ﴿جِئتُم بِهِ؟ آلسِّحرُ﴾؟ بدل. وفي قراءة بهمزة واحدة إخبارٌ. فما: موصول مبتدأ. ﴿إنَّ اللهَ سَيُبطِلُهُ﴾: سيمحقه ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِينَ ـ ويُحِقُّ﴾: يُثبتُ ويُظهر ﴿اللهُ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾: بمواعيده، ﴿ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ﴾.

٨٣ـ ﴿فما آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرِّيّةٌ﴾: طائفة ﴿مِن﴾ أولاد ﴿قَومِهِ﴾ أي: فرعونَ، ﴿علَى خَوفٍ مِن فِرعَونَ ومَلَئِهِم أن يَفتِنَهُم﴾: يصرفهم عن دِينه بتعذيبه. ﴿وإنَّ فِرعَونَ لَعالٍ﴾: مُتكبّرٌ ﴿في الأرضِ﴾: أرض مصر، ﴿وإنَّهُ لَمِنَ المُسرِفِينَ﴾: المُتجاوزين الحدَّ بادّعاء الربوبيّة.

قولُه: (فائقٍ) وحمزةُ والكِسائيُّ: (سحّار)[1].

قولُه: (بدَلٌ) أي: مِن ﴿ما﴾.

قولُه: (وفي قراءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[2].

قولُه: (فـ﴿ما﴾ مَوصُولٌ) أي: الذي جئتُم به هو السِّحرُ، لا ما سمَّاه فرعونُ وقومُه سحراً.

قولُه: (سيَمْحَقُه) أو سيُظهِرُ بطلانَه.

قولُه: (بمَوَاعِيدِهِ) أو بأوامرِه وقضاياهُ.

قولُه: (أي: فِرعَونَ) والذُّرِّيةُ مؤمنُ آل فرعونَ، وامرأتُه آسيةُ، وخازنُه وزوجتُه وماشطتُه.

قولُه: (يَصرِفَهُم) وقولُه تعالى: (﴿على خَوفٍ﴾) أي: مع خوفٍ منهم، والضَّميرُ في ﴿ملئهم﴾ لفرعونَ وجمعِهِ على ما هو المعتادُ في أساليبِ العربِ في ضميرِ العُظَماءِ، أو للذُّرِّيةِ، أو للقومِ، وإفرادُ فرعَونَ بضميرِ ﴿أن يفتِنَهم﴾ للدِّلالةِ على أنَّ الخوفَ مِن الملأِ كان بسببِهِ.

قولُه: (مُتكبِّرٌ) أو غالبٌ.

قولُه: (الحَدَّ) في الكِبْرِ والعتُوِّ.

قولُه: (بادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ) واسترقاقِ أسباطِ الأنبياءِ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٣٣٥).

(٢) انظر المصدر السابق.

٨٤ ـ ٨٥ ـ ﴿وقالَ مُوسَى: يا قَومِ، إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ فعَلَيهِ تَوَكَّلُوا، إن كُنتُم مُسلِمِينَ. فقالُوا: علَى اللهِ تَوَكَّلْنا. رَبَّنا، لا تَجعَلْنا فِتْنةً لِلقَومِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تُظهرْهم علينا، فيظنّوا أنهم على الحقّ فيُفتَتَنوا بنا، ٨٦ ـ ﴿ونَجِّنا بِرَحْمتِكَ مِنَ القَومِ الكافِرِينَ﴾.

٨٧ ـ ﴿وأَوحَينا إلَى مُوسَى وأخِيهِ أن تَبَوَّآ﴾: اتّخِذا ﴿لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيُوتًا، واجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبْلَةً﴾: مُصلَّى تُصلّون فيه لتأمنوا من الخوف ـ وكان فِرعَون منعهم من الصلاة ـ ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾: أتمّوها، ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بالنصر والجنّة.

٨٨ ـ ﴿وقالَ مُوسَى: رَبَّنا، إنَّكَ آتَيتَ فِرعَونَ ومَلَأَهُ زِينةً وأمْوالاً في الحَياةِ الدُّنيا، رَبَّنا،﴾ آتيتَهم ذلك ﴿لِيَضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: دِينك. ﴿رَبَّنا، اطمِسْ علَى أمْوالِهِم﴾: امسَخْها، ﴿واشدُدْ علَى قُلُوبِهِم﴾: اطبعْ عليها واستَوثِقْ، ﴿فلا يُؤمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الألِيمَ﴾: المُؤلم. دعا عليهم وأمَّنَ هارونُ على دعائه.

٨٩ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿قَد أُجِيبَتْ دَعوَتُكُما﴾ فمُسخَت أموالُهم حِجارةً، ولم يُؤمن فرعون حتّى أدركه الغرق. ﴿فاستَقِيما﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب، ﴿ولا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي. رُوي أنه مكث بعدها أربعين سنة.

وقولُه تعالَى: (﴿فتنة﴾) أي: موضِعَ فتنةٍ.

قولُه: (فيُفتَتَنوا بنَا) أو لا تسلِّطْهم علينَا فيفتِنُونا.

قولُه: (مُصلًّى) أي: اجعَلوا أنتما وقومُكما تلكَ البيوتَ ذواتَ قِبلةٍ؛ أي: مُصلًّى، وقيل: مساجدَ متوجهةً نحوَ القبلةِ؛ يعني: الكعبةَ، وكان موسى يصلِّي إليها.

قولُه: (أتِمُّوهَا) أو أقيمُوها فيها.

قولُه: (بالنَّصرِ) في الدُّنيا (والجنَّةِ) في العُقبى.

قالَ تعالى: (﴿زينة﴾) أي: ما يُتزيَّنُ به مِن اللِّباسِ والمراكبِ ونحوِهما.

وقولُه: (﴿أموالاً﴾) يعني: أنواعاً مِن المالِ.

قولُه: (فِي عاقِبَتِه) إشارةٌ إلى أنَّ اللَّامَ للعاقبَةِ، وهي متعلِّقةٌ بـ﴿آتيت﴾ وقرأَ الكوفيُّونَ بضمِّ الياءِ[1].

قولُه: (امسَخْهَا) أو أهلِكْها، والطَّمسُ المحوُ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٣٣٥).

٩٠ ـ ﴿وجاوَزْنا بِبَنِي إسرائيلَ البَحرَ، فأتبَعَهُم﴾: لَحِقَهم ﴿فِرعَونُ وجُنودُهُ بَغْيًا وعَدْوًا﴾: مفعول له. ﴿حَتَّى إذا أدرَكَهُ الغَرَقُ قالَ: آمَنتُ أنَّهُ﴾ أي: بأنه ـ وفي قراءة بالكسر استئنافًا ـ ﴿لا إلـٰهَ إلاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيلَ، وأنا مِنَ المُسلِمِينَ﴾. كرّر ليُقبل منه، فلم يُقبل.

ودسّ جبريل في فِيه من حَمْأة البحر مخافةَ أن تناله الرحمة، وقال له: ٩١ ـ ﴿آلآنَ﴾ تُؤمن، ﴿وقَد عَصَيتَ قَبلُ، وكُنتَ مِنَ المُفسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان؟ ٩٢ ـ ﴿فاليَومَ نُنَجِّيكَ﴾: نُخرجك من البحر، ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جسدِك الذي لا روح فيه، ﴿لِتَكُونَ لِمَن خَلْفَكَ﴾: بعدَك ﴿آيَةً﴾: عِبرة، فيعرفوا عُبوديّتك ولا يُقدموا على مِثل فِعلك..

قولُه: (لَحِقَهُم) وأدركَهُم، يقال: تبعتُه حتَّى أَتبعتُه. عن ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «ألَا أعلِّمُكم الكلماتِ التي تكلَّمَ بها موسَى حينَ جاوزَ البحرَ ببَني إسرائيلَ؟» فقلنا: بلى يا رسُولَ اللهِ، قال: «قولوا: اللَّهمَّ لكَ الحمدُ وإليك المشْتكَى، وأنتَ المستعَانُ، ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ». رواه الطَّبرانيُّ في «معجمه الصَّغيرِ»[1] بإسنادٍ جيِّدٍ.

قولُه: (مَفعُولٌ لهُ) أو حالٌ؛ أي: باغينَ وعادِينَ.

قولُه: (وفِي قِراءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (استِئْنَافاً) بدلاً وتفسيراً، أو على إضمَارِ القَولِ.

قولُه: (كرَّر) أي: نكبَ عن الإيمانِ أوانَ القَبولِ، وبالغَ فيه حينَ لا يُقبَلُ.

قولُه: (تُؤمِن) أو أتؤمِنُ الآنَ وقد أيِسْتَ من نفسِكَ ولم يبقَ لكَ اختيارٌ.

قولُه: (نُخرِجُك) أي: نُلقيكَ في نَجوةٍ مِن الأرضِ؛ أي: فضاءٍ أو مكانٍ مرتفعٍ[3]؛ ليرَوا حالَكَ ومآلَكَ، أو نبعدُكَ ممَّا وقعَ فيه قومُكَ من قعرِ البحرِ ونجعلُكَ طافياً.

قولُه: (جسَدِكَ) في موضعِ الحالِ؛ أي: عارياً عن الرُّوحِ، أو عُرياناً، أو كاملاً سويًّا، أو بدرعِكَ؛ وكانت له درعٌ مِن ذهبٍ يُعرَفُ بها.

قولُه: (بعدَكَ) من القرونِ إذا سمِعُوا مآلَ أمرِكَ ممَّنْ شاهدَكَ.

قولُه: (عِبرَةً) ونكالاً عن الطُّغيانِ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣٣٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٦).

(٣) «أو مكان مرتفع»: ليست في (ص).

وعن ابن عبّاس أنّ بعض بني إسرائيل شكّوا في موته، فأُخرج لهم ليرَوه. ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿عَن آياتِنا لَغافِلُونَ﴾: لا يعتبرون بها.

٩٣ ـ ﴿ولَقَد بَوَّأْنا﴾: أنزلْنا ﴿بَنِي إسرائيلَ مُبَوَّأَ صِدقٍ﴾: منزلَ كرامةٍ ـ وهو الشام ومصر ـ ﴿ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، فما اختَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّى جاءَهُمُ العِلمُ. إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدِّين بإنجاء المُؤمنين وتعذيب الكافرين.

٩٤ ـ ﴿فإن كُنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿في شَكٍّ مِمّا أنزَلْنا إلَيكَ﴾ من القَصَص، فَرْضًا، ﴿فاسأَلِ الَّذِينَ يَقرَؤُونَ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿مِن قَبلِكَ﴾ ـ فإنه ثابت عندهم ـ يخبروك بصدقه. قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسأَلُ». ﴿لَقَد جاءَكَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ. فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه، ٩٥ ـ ﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ، فتَكُونَ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

٩٦ ـ ٩٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وجبتْ ﴿عَلَيهِم كَلِمةُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لا يُؤمِنُونَ، ولَو جاءَتْهُم كُلُّ آيةٍ، حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الأليمَ﴾ فلا ينفعَهم حينئذ. ٩٨ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿كانَت قَرْيةٌ﴾، أُريد أهلُها، ....

قولُه: (ليَرَوهُ) فعلى هذا معنى ﴿خلفَكَ﴾ وراءكَ علامةً.

قولُه: (وكَفَرَ بَعضٌ) أي: في أمرِ دينِهم إلَّا مِن بعدِ ما قَرَؤوا التَّوراةَ وعلِمُوا أحكامَها، أو في أمرِ محمَّدٍ ﷺ، إلَّا مِن بعدِ ما علمُوا صدْقَه بنُعوتِه وتظاهُرِ معجزاتِه.

قولُه: (يُخبِرُوك) والمرادُ تحقيقُ ذلك وتهييجُ الرَّسولِ وزيادةُ تثبيتِهِ لا إمكانُ وقوعِ الشَّكِّ له، ولذلك قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسأَلُ»[1] وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ والمرادُ أُمَّتُه، أو لكلِّ مَن يسمَعُ.

قولُه: (فيهِ) أي: فيما أنزلنا إليكَ.

قولُه: (بالعَذَابِ) أو بالموتِ على الكفرِ.

قولُه: (حِينَئذٍ) كما لم ينفَعْ فرعونَ.

قولُه: (فهلَّا) للتَّنديمِ؛ لأنَّها دخلَتْ على المضِيِّ، كذا قالَه الفاضِلُ.

قولُه: (أُرِيدَ أهلُهَا) أي: قريةٌ مِن القُرى التي أهلكْنَاها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧٨٩٤) عن قتادة بلاغاً، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٤٠): هو معضل.

﴿آمَنَت﴾ قبل نُزول العذاب بها، ﴿فنَفَعَها إيمانُها، إلاّ﴾ لكنّ ﴿قَومَ يُونُسَ، لَمّا آمَنُوا﴾ عِند رؤية أمارة العذاب ولم يُؤخِّروا إلى حُلوله ﴿كَشَفْنا عَنهُم عَذابَ الخِزيِ في الحَياةِ الدُّنيا، ومَتَّعْناهُم إلَى حِينٍ﴾: انقضاءِ آجالهم.

٩٩ ـ ﴿ولَو شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُّهُم جَمِيعًا ـ أفأنتَ تُكرِهُ النّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم، ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾؟ لا ـ ١٠٠ ـ ﴿وما كانَ لِنَفسٍ أن تُؤمِنَ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿ويَجعَلُ الرِّجسَ﴾: العذاب ﴿علَى الَّذِينَ لا يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون آياتِ الله.

١٠١ ـ ﴿قُلِ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿انظُرُوا ماذا﴾ أي: الذي ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾ من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله تعالى. ﴿وما تُغنِي الآياتُ والنُّذُرُ﴾: جمع نذير، أي: الرُّسلُ، ﴿عَن قَومٍ لا يُؤمِنُونَ﴾ في عِلم الله، أي: ما تَنفعهم. ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ﴿فهَل﴾: فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إلاّ مِثلَ أيّامِ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، أي: مِثلَ وقائعهم من العذاب؟ ـ ﴿قُلْ: فانتَظِرُوا﴾ ذلك. ﴿إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ ـ ثُمَّ نُنَجِّي﴾ ـ المضارع لحكاية الحال الماضية ـ ﴿رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب.

قولُه: (قبلَ نُزُولِ العَذَابِ) ولم تؤخِّرِ الإيمانَ إليه كما أخَّرَ فرعونُ.

وقولُه تعالى: (﴿فنَفَعَها إيمانُها﴾) بأنْ يقبلَه اللهُ منها، ويكشفَ العذابَ عنها.

قولُه: (لكِنْ ﴿قَوْمَ يُونُسَ﴾) هم أهلُ قريةِ نينَوَى بشاطئِ دجلةَ مِن بلادِ الموصلِ.

قولُه: (العَذابِ) أو الخِذْلانِ؛ فإنَّه سببُه، وقُرِئ بالزَّاي[1]، وقرأ أبو بكرٍ: (ونجعلُ) بالنُّونِ[2].

قولُه: (أي: الَّذِي) يعني: أنَّ ﴿ماذا﴾ كلَّه موصُولٌ بمعنى الَّذِي، وهو أحدُ معانِيهِ على مَا في «المغني»[3].

قولُه: (أي: مَا تنفَعُهُم) فـ﴿ما﴾ نافيةٌ، وقيل: استفهاميَّةٌ في موضعِ النَّصبِ.

قولُه: (مِثْلَ وَقائعِهِم) مِن قولِهم: أيَّامُ العربِ لوقائعِها.

قولُه: (ذلكَ) أي: مثلَ وقائعِهِم، أو هلاكِي.

قولُه: (المَاضِيَةِ) عطفٌ على محذوفٍ دلَّ عليهِ ﴿إلَّا مثلَ أيَّامِ الذينَ خلَوا﴾[يونس: ١٠٢] كأنَّه قيل: نُهلِكُ الأمَمَ.

---

(١) أي: (الرجز) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٣٠) ونسبت للأعمش.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٠).

(٣) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٣٩٥).

﴿كَذلِكَ﴾ الإنجاءِ ﴿حَقًّا عَلَينا نُنْجِي المُؤمِنِينَ﴾: النبيَّ وأصحابه حين تعذيب المُشركين.

١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّةَ، ﴿إن كُنتُم في شَكٍّ مِن دِيني﴾ أنّه حقّ ﴿فلا أعبُدُ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ـ وهو الأصنام ـ لشكِّكُم فيه، ﴿ولكِن أعبُدُ اللهَ الَّذي يَتَوَفّاكُم﴾ يَقبِضُ أرواحكم، ﴿وأُمِرتُ أن﴾ أي: بأن ﴿أكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ، و﴾ قيل لي: ﴿أن أقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إليه، ﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ، ولا تَدْعُ﴾: تعبدْ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدتَه، ﴿ولا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده. ﴿فإن فَعَلتَ﴾ ذلك، فَرْضًا، ﴿فإنَّكَ إذًا مِنَ الظّالِمِينَ﴾.

١٠٧ ـ ﴿وإن يَمسَسْكَ﴾: يُصِبْك ﴿اللهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فلا كاشِفَ﴾: رافعَ ﴿لَهُ إلاّ هُوَ، وإن يُرِدْكَ بِخَيرٍ فلا رادَّ﴾: دافعَ ﴿لِفَضلِهِ﴾ الذي أرادك به. ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ. وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قولُه: (الإنجاءِ) أو إنجاءٌ كذلك. و﴿حقاً علينا﴾ اعتراضٌ، ونصبُه بفعلٍ مقدَّرٍ، و﴿نُنْجِ﴾ بالتَّخفيفِ قراءةُ حفصٍ والكِسائيِّ[1]، والرَّسمُ بحذفِ الياءِ.

قولُه: (لشكِّكُم فيهِ) أي: في دِينِي؛ يعني: فهذا خُلاصَةُ دِينِي اعتقاداً وعملاً.

قولُه: (يَقبِضُ) خُصَّ بالذِّكرِ للتَّهديدِ.

قولُه: (بأَنْ) حذفُ الجارِّ مِن ﴿أن﴾ يجوزُ أن يكونَ من المطَّردِ مع «أنْ» و«أنَّ» وأن يكونَ من غيرِ المطَّردِ؛ كقولك:

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بهِ[2]

قولُه: (﴿و﴾ قِيلَ لِي) في «المدارِكِ»[3]: وأُوحيَ إليَّ. وهو الظَّاهرُ، فتكونُ ﴿أن﴾ مفسِّرةً.

قولُه: (إلَيهِ) أي: إلى الدِّينِ الحقِّ عن سائرِ الأديانِ، حالٌ مِن الدِّينِ، أو الوجهِ، أو مِن ضميرِ ﴿أقم﴾.

قالَ تعَالى: (﴿إلَّا هو﴾) أي: إلَّا اللهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٧).

(٢) شطر بيت تتمته:

فقد تركتك ذا مالٍ وذا نسبِ

لعمرو بن معديكرب الزبيري «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٧).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٤).

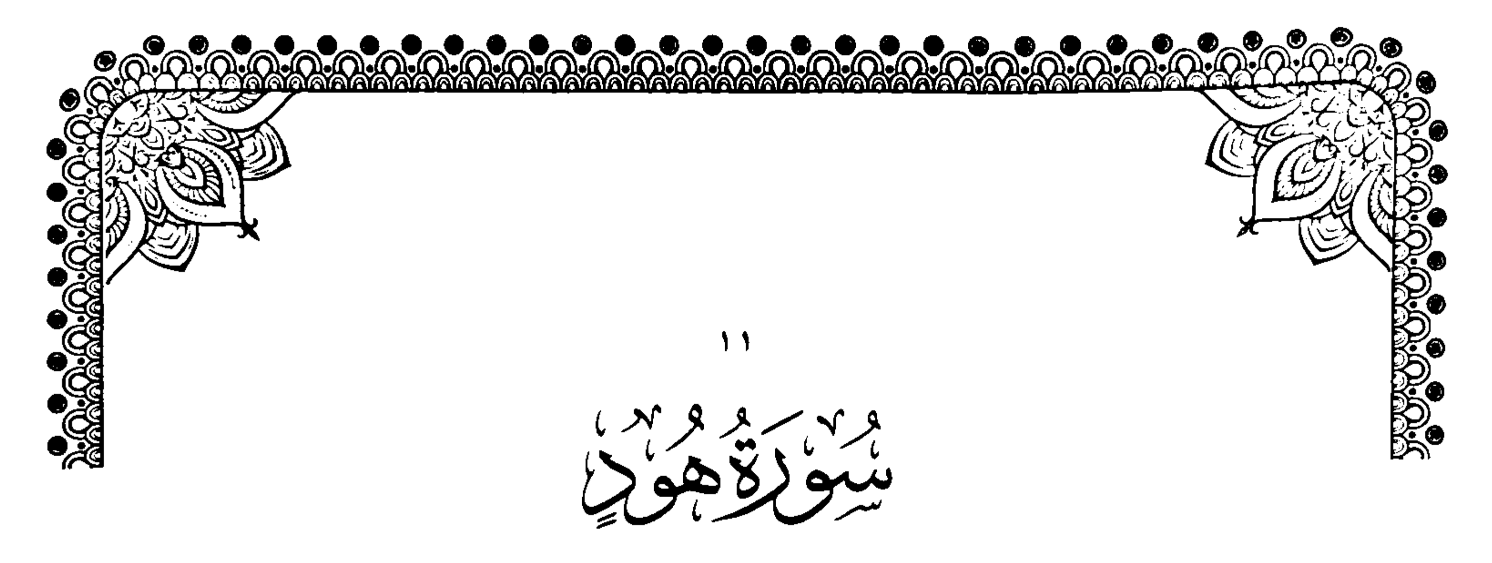
١٠٨ ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿قد جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فمَنِ اهتَدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ﴾ لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَلَيها﴾ لأنّ وبال ضلاله عليها، ﴿وما أنا عَلَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجبرَكم على الهُدى. ١٠٩ ـ ﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ، واصبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّى يَحكُمَ اللهُ﴾ فيهم بأمر. ﴿وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ﴾: أعدَلُهم. وقد صبر حتّى حُكم على المشركينَ بالقِتال، وأهلِ الكِتاب بالجِزية.

قالَ تعَالى: (﴿الحقُّ﴾) رسولُه، أو القرآنُ، ولم يبقَ لكُم عُذرٌ.

قولُه: (فأُجبِرَكُم) أي: ما أنا بموكولٍ إليَّ أمرُكم، وإنَّما أنا بشيرٌ ونذِيرٌ.

قولُه: (بأَمْرِهِ) بالنَّصرِ أو بالقتَالِ، والله تعالى أعلمُ.

* * *



١١

سُورَةُ هُودٍ

مكية إلاّ «وأقم الصلاة» الآيةَ وإلاّ «فلعلك تارك» الآيةَ و«أولئك يؤمنون به» الآيةَ، مِائَةٌ وثنتان أو ثلاث وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

هذا ﴿كِتابٌ أُحكِمَتْ آياتُهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنت بالأحكام والقِصص والمواعظ ﴿مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: اللهِ، ٢ ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلاّ اللهَ ـ إنَّني لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم ـ ٣ ـ ﴿وأنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة،...

سُورَةُ هُودٍ

قولُه: (هذَا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿كتاب﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

قولُه: (بُيِّنَتْ) و﴿ثمّ﴾ للتَّفاوتِ في الحكْمِ، أو للتَّراخِي في الإخبارِ.

قولُه: (بأَنْ) الأظهرُ: لأنْ، وقيل: ﴿أن﴾ مفسِّرةٌ لما في تفصيلِ الآياتِ مِن معنَى القولِ، وقيل: منصُوبٌ على الإغراءِ؛ أي: احذرُوا عبادةَ غيرِ اللهِ.

قولُه: (بالعَذابِ) وقولُه تعالى: ﴿منه﴾ أي: مِن اللهِ.

قولُه: (من الشِّرْكِ) عطفٌ على ﴿أن لا تعبدوا﴾.

قولُه: (ارجِعُوا) و﴿ثمّ﴾ لتفاوُتِ ما بينَ الأمرَينِ.

﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَتاعًا حَسَنًا﴾ بطِيب عيش وسَعة رِزق، ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الموت، ﴿ويُؤتِ﴾ في الآخِرة ﴿كُلَّ ذِي فَضلٍ﴾ في العمل ﴿فَضلَهُ﴾: جزاءه، ﴿وإن تَوَلَّوا﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ أي: تُعرِضوا ﴿فإنِّيَ أخافُ عَلَيكُم عذابَ يَومٍ كَبِيرٍ﴾، هو يوم القِيامة. ٤ ـ ﴿إلَى اللهِ مَرجِعُكُم، وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه الثواب والعذاب.

ونزل كما رواه البخاريّ عن ابن عبّاس، فيمن كان يستحيي أن يتخلّى أو يُجامعَ فيُفضيَ إلى السماء، وقيل: في المنافقين: ٥ ـ ﴿ألا إنَّهُم يَثنُونَ صُدُورَهُم، لِيَستَخفُوا مِنهُ﴾ أي: اللهِ. ﴿ألا حِينَ يَستَغشُونَ ثِيابَهُم﴾: يتغطَّون بها ﴿يَعلَمُ﴾ تعالى ﴿ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾، فلا يُغني استخفاؤهم. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القُلوب، ٦ ـ ﴿وما مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿دابَّةٍ في الأرضِ﴾ هي ما دبَّ عليها ﴿إلاّ علَى اللهِ رِزقُها﴾ تكفّل به فضلاً منه، ﴿ويَعلَمُ مُستَقَرَّها﴾: مسكنها في الدنيا..............

قولُه: (بطِيْبِ عَيشٍ) في أمنٍ.

قولُه: (فِي الآخِرَةِ) قالَ القاضِي[1]: في الدُّنيا والآخرَةِ، وهو وعدٌ للموحِّدِ التَّائبِ بخيرِ الدَّارينِ.

قولُه تعالى: (﴿إلى اللهِ مرجِعُكم﴾) أي: رجوعُكم في ذلكَ اليومِ.

قولُه: (فيمَنْ كَان يَستَحْيِي) أي: مِن المسلمينَ، فثَنْيُ الصُّدورِ لا تأويلَ فيه، لكنْ فيه إشكالٌ؛ إذ هذا الاستحياءُ مندوبٌ لقولِه ﷺ: «واللهُ أحقُّ أنْ يُستَحْيَى منه»[2] والمؤمنونَ ما كانُوا يظنُّونَ أنَّه يمكنُ أن يستخفِيَ مِن اللهِ شيءٌ، فتأمَّل.

قولُه: (وقيلَ: فِي المُنافِقِينَ) وفيه نظرٌ؛ إذ الآيةُ مكِّيَّةٌ، والنِّفاقُ حدثَ بالمدينةِ، وقيل: إنَّها نزلَتْ في طائفةٍ مِن المشركينَ قالوا: إذا أرْخَينا سُتُورَنا، واستغْشَينا ثيابَنا، وطوَينا صُدورَنا على عداوةِ محمَّدٍ وكيف يعلَمُ؟ فثنيُ الصُّدورِ كنايةٌ عن الإعراضِ والانحرافِ عن الحقِّ.

قولُه: (أي: بمَا فِي القُلُوبِ) أو بالأسرارِ ذاتِ الصُّدور، أو بالقُلوبِ وأحوالِها.

قولُه: (فَضْلاً) وإنَّما أتى بلفظِ الوجُوبِ تحقيقاً لوصُولِه، وحمْلاً على التَّوكُّلِ فيهِ.

قولُه: (فِي الدُّنيَا) أي: الحياةُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٢٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٢٣)، وابن ماجه (١٩٢٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٠٣٤) من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

أو الصُّلبِ ﴿ومُستَودَعَها﴾ بعد الموت أو في الرحِم، ﴿كُلٌّ﴾ ممّا ذُكر ﴿في كِتابٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

٧ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ أوّلُها الأحد وآخِرها الجمعة، ﴿وكانَ عَرشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿علَى الماءِ﴾ وهو على متن الرِّيح، ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: مُتعلّق بـ «خلق» أي: خلقَهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح لِيَختبرَكم: ﴿أيُّكُم أحسَنُ عَمَلاً﴾ أي: أطوَعُ لِلهِ؟ ﴿ولَئِنْ قُلتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لهم: ﴿إنَّكُم مَبعُوثُونَ مِن بَعدِ المَوتِ. لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ﴾:..........

قولُه: (﴿كُلٌّ﴾ ممَّا ذُكِرَ) أو كلُّ واحدٍ مِن الدَّوابِّ وأحوالِها مذكورٌ.

قولُه: (قَبْلَ خَلقِهِمَا) قال القاضِي[1]: لم يكُنْ حائلٌ بينهما، لا أنَّه كانَ موضُوعاً على متنِ الماءِ، وقيل: كان الماءُ على متنِ الرِّيحِ، واللهُ أعلمُ بذلك. انتهى.

واختارَه الشَّيخُ لأنَّه صحَّ عن ابنِ عبَّاسٍ[2] على ما ذكرَه في «الدُّر»[3].

قولُه: (لِيَختَبِرَكُم) أي: ليعَاملَكُم معاملةَ المختبِرِ.

قولُه: (أطوَعُ للهِ) في حديثٍ مرفُوعٍ رواهُ الحاكمُ[4]: «أيُّكم أحسَنُ عقلاً، وأورَعُ عن محارمِ اللهِ، وأسرَعُ في طاعةِ اللهِ» وقيل: أزهَدُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٢٨).

(٢) روى عبد الرزاق في «التفسير» (١١٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧٩٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٦٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سئل عن قوله عز وجل: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٤٠٣).

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٧٩٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٣/ ٧٢٥): هذه الأحاديث من كتاب العقل لداود بن المحبر، كلها موضوعة، ذكرها الحارث في «مسنده» انتهى.

ولم أجد الحديث عند الحاكم، إلا أنه قال في «المدخل إلى الصحيح» (ص: ١٣٥): داود بن المحبر بن قحذم كنيته أبو سليمان حدث ببغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة حدثونا عن الحارث بن أبي أسامة عنه بكتاب العقل وأكثر ما أودع ذلك الكتاب من الحديث موضوع على رسول الله ﷺ كذبه أحمد بن حنبل جزاه الله عن نبيه ﷺ خيراً.

ما ﴿هذا﴾ القُرآنُ الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إلاّ سِحرٌ مُبينٌ﴾: بيِّن. وفي قراءةٍ «ساحِرٌ»، والمُشار إليه النبيّ.

٨ ـ ﴿ولَئِنْ أخَّرْنا عَنهُمُ العَذابَ إلَى﴾ مجيء ﴿أُمّةٍ﴾: أوقاتٍ ﴿مَعدُودةٍ، لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً: ﴿ما يَحبِسُهُ﴾: ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿ألا يَومَ يأتِيهِم لَيسَ مَصرُوفًا﴾: مدفوعًا ﴿عَنهُم، وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ من العذاب.

٩ ـ ﴿ولَئِنْ أذَقْنا الإنسانَ﴾ الكافر ﴿مِنّا رَحمَةً﴾: غِنًى وصِحّة، ﴿ثُمَّ نَزَعْناها مِنهُ، إنَّهُ لَيَؤُوسٌ﴾: قَنوطٌ من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾: شديدُ الكُفر به، ١٠ ـ ﴿ولَئِنْ أذَقْناهُ نَعْماءَ بَعدَ ضَرّاءَ﴾: فقرٍ وشِدّة ﴿مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ: ذَهَبَ السَّيِّئاتُ﴾: المصائب ﴿عَنِّي﴾، ولم يتوقّع زوالها ولا شكرَ عليها........................

قولُه: (أو الَّذِي تقولُه) أي: البعثُ، أو القولُ بالبعثِ.

قولُه: (بيِّنٌ) أي: إلَّا كالسِّحرِ في الخدِيعةِ أو البُطلانِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) أي: لحمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (النَّبيُّ) أو القائلُ.

قولُه: (أَوقَاتٍ) أي: جماعةٍ من الأوقاتِ قليلةٍ.

قولُه: (مَدْفُوعاً) أي: ليسَ العذابُ مدفوعاً كيومِ بدرٍ، و﴿يوم﴾ منصوبٌ بخبرِ ﴿ليسَ﴾ مقدَّم عليه.

قولُه: (نزَلَ) وأحاطَ، وضعَ الماضِي موضِع المستقبلِ تحقِيقاً ومبالَغةً في التَّهديدِ.

قولُه: (مِن العَذَابِ) بيانٌ لِـ﴿ما﴾ أي: العذابِ الَّذِي كانُوا به يستعجِلونَ؛ لأنَّ استعجالَهم كان استهزاءً.

قولُه: (قَنُوطٌ) قطوعُ رجائِه؛ لقلَّةِ صبرِه وعدمِ ثقتِه.

قولُه: (شَدِيدُ الكُفْر) أو مبالغٌ في كُفرانِ ما سلفَ من النِّعمةِ.

قولُه: (﴿بعدَ ضَرَّاءَ﴾ فقرٍ) وسقمٍ.

قولُه: (المَصَائبُ) التي ساءَتنِي.

قولُه: (زَوَالَها) أي: النَّعماءِ.

قولُه: (ولَا شَكَرَ) ماضٍ عُطِفَ على «لم يتوقَّعْ».

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٤٩)، «حجة القراءات» (ص: ٢٣٩).

﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ [فَرَحَ] بطرٍ ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أُوتي. ١١ ـ ﴿إِلاَّ﴾: لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضرّاءِ ﴿وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ في النعماءِ ﴿أُولَئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنّة.

١٢ ـ ﴿فلَعَلَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿تارِكٌ بَعضَ ما يُوحَى إلَيكَ﴾ فلا تُبلّغهم إيّاه لتهاونهم به، ﴿وضائقٌ بِهِ صَدرُكَ﴾: بتلاوته عليهم لأجل ﴿أن يَقُولُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَيهِ كَنزٌ، أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يُصدّقه كما اقترحنا. ﴿إنّما أنتَ نَذِيرٌ﴾، فلا عليك إلاّ البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه، ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظٌ فيُجازيهم.

قولُه: (بَطِرٌ) بالنِّعمِ مغترٌّ بها.

قولُه: (بِمَا أُوتِيَ) مشغولٌ عن الشُّكرِ والقيامِ بحقِّها، وفي لفظِ الإذاقةِ والمسِّ تنبيهٌ على أنَّ ما يجِدُه الإنسانُ في الدُّنيا من النِّعمِ والمِحَنِ كالأُنموذَجِ لِمَا يجِدُه في الآخرةِ، وأنَّه يقعُ في الكفرانِ والبطَرِ بأدنى شيءٍ؛ لأنَّ الذَّوقَ إدراكُ الطَّعمِ، والمسَّ مبدأُ الوصولِ.

قولُه: (لكِنْ) قال القاضِي[1]: الاستثناءُ مِن الإنسانِ؛ لأنَّ المرادَ به الجنسُ، فإذا كانَ محلًّى باللَّامِ أفادَ الاستغراقَ، ومَن حملَهُ على الكافرِ لسَبْقِ ذكره جعلَ الاستثناءَ منقطعاً.

قولُه: (عَلَى الضَّرَّاء) إيماناً باللهِ واستسلاماً لقضائهِ.

قولُه: (فِي النَّعمَاءِ) شكراً لآلائهِ سابقِها ولاحِقِها.

قولُه: (فَلا تبلِّغهُم) أي: تاركٌ بتَركِ تبليغِهِ مخافةَ ردِّهِم واستهزائهِم به، ولا يلزمُ مِن توقُّعِ الشَّيءِ لوجُودِ ما يدعُو إليه وقوعُه بجوازِ أنْ يكونَ ما يصرِفُ عن وقوعِهِ؛ وهو عِصْمةُ الرُّسلِ عن الخيانةِ في الوحيِ والتَّقيةِ في التَّبليغِ مانعاً هاهُنا.

قولُه: (بتِلَاوَتِه) أي: عارضٌ لك أحياناً ضيقُ صدرٍ بتلاوتِه، فالضَّميرُ راجعٌ إلى ﴿بَعْضَ ما يوحَى﴾ بتقديرِ مُضافٍ.

قولُه: (لأَجْلِ) أو مخافةَ، وهو الأظهرُ.

قالَ تعَالى: (﴿كنز﴾) ينفقُهُ في الاستتباعِ كالملوكِ.

قولُه: (لا الإتْيانُ) إشارةٌ إلى أنَّ الحصرَ إضافيٌّ.

قولُه: (حَفِيظٌ) فتوكَّلْ عليه، فإنَّه عالمٌ بحالِهم وفاعلٌ بهم جزاءَ أقوالِهم وأفعالِهم.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٢٩).

١٣ ـ ﴿أمْ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ: افتَرَاهُ﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿قُلْ: فائْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفتَرَياتٍ﴾ ـ فإنكم عربيّون فُصحاءُ مِثلي. تحدّاهم بها أوّلاً ثمّ بسُورة ـ ﴿وادعُوا﴾ للمُعاونة على ذلك ﴿مَنِ استَطَعتُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنه افتراء، ١٤ ـ ﴿فإنْ لَم يَستَجِيبُوا لَكُم﴾ أي: مَن دعوتموهم للمُعاونة ﴿فاعلَمُوا﴾ ـ خِطاب للمُشركين ـ ﴿أنَّما أُنزِلَ﴾ مُلتبسًا ﴿بِعِلمِ اللهِ﴾ وليس افتراء عليه، ﴿وأنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ. فهَل أنتُم مُسلِمُونَ﴾ بعد هذه الحُجّة القاطعة؟ أي: أسلِموا.

١٥ ـ ﴿مَن كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَها﴾ بأن أصَرَّ على الشِّرك ـ وقيل: هي في المُرائينَ ـ ﴿نُوَفِّ إلَيهِم أعمالَهُم﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحِم ﴿فِيها﴾ بأن نُوسع عليهم رِزقهم، ﴿وهُم فِيها﴾........................

قولُه: (بَل) يعني: ﴿أم﴾ منقطِعةٌ.

قولُه: (أي: القُرآنَ) الأظهرُ: ما يوحَى.

قولُه: (ثمَّ بسُورَةٍ) أي: ثمَّ لمَّا عجزُوا عن العَشْرِ سهَّلَ الأمرَ عليهم وتحدَّاهُم بسُورةٍ، وتوحيدُ المثلِ والظَّاهرُ أمثالُه باعتبارِ كلٍّ واحدةٍ.

قولُه: (عَلَى ذلِكَ) أي: المعارضَةِ.

قولُه: (افتِرَاءٌ) الظَّاهرُ: مُفترًى.

قولُه: (للمُعَاوَنَة) لعجزِهم، وقد عرَفتُم مِن أنفُسِكُم القصُورَ عن المعارضَةِ.

قولُه: (فِي المُرائِينَ) قالَه ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ والضَّحاكُ وغيرُهم[1]، وقيل: في المنافقينَ[2]، وقال أنسُ بنُ مالكٍ[3] والحسنُ[4]: في اليهودِ والنَّصارى.

قولُه: (بأَن نُوسِعَ) وبالصِّحةِ والرِّياسةِ وكثرَةِ الأولادِ ودَفعِ المكارِه وطُولِ الأعمارِ.

---

(١) ذكره المصنف بالمعنى، فقد جاء عنهم بأطول من ذلك.

فرواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٧٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠٢٧) عن مجاهد.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٧٤٠) عن الضحاك.

(٢) ذكره أبو الليث في «بحر العلوم» (٢/ ١٤١) من قول الحسن.

(٣) رواه أبو داود في «الزهد» (٣٦٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨٠٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٧٣٦).

(٤) لم أقف عليه مسنداً.

أي: في الدنيا ﴿لا يُبخَسُونَ﴾: يُنقَصُونَ شيئًا. ١٦ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُم في الآخِرةِ إلاّ النّارُ، وحَبِطَ﴾: بَطَل ﴿ما صَنَعُو﴾هُ ﴿فِيها﴾ أي: في الآخِرة فلا ثواب له، ﴿وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿أفمَن كانَ علَى بَيِّنةٍ﴾: بيانٍ ﴿مِن رَبِّهِ﴾ ـ وهو النبيُّ أو المؤمنون ـ وهي القرآن، ﴿ويَتلُوهُ﴾: يتبعه ﴿شاهِدٌ﴾ يُصدّقه ﴿مِنهُ﴾ أي: من اللهِ ـ وهو جِبريلُ ـ ﴿ومِن قَبلِهِ﴾ أي: القرآنِ ﴿كِتابُ مُوسَى﴾: التوراة شاهد له أيضًا ﴿إمامًا ورَحْمةً﴾: حالٌ كمن ليس كذلك؟ لا. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: من كان على بيّنة ﴿يُؤمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن فلهم الجنّة، ﴿ومَن يَكفُرْ بِهِ مِنَ الأحزابِ﴾: جميع الكُفّار ﴿فالنّارُ مَوعِدُهُ. فلا تَكُ في مِرْيةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِنهُ﴾: من القُرآن. ﴿إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يُؤمِنُونَ﴾.

قولُه: (شَيئاً) مِن ثوابِ أعمالِهم.

قولُه تعَالى: (﴿إلّا النّارُ﴾) مُطلقاً في مُقابَلةِ ما عمِلوا؛ لأنّهم استوفوا ما تقتَضيهِ صُورةُ أعمالِهم الحسَنةِ، وبقِيَتْ لهم أوزارُ العزائمِ السَّيِّئةِ.

قولُه: (الآخِرَةِ) متعلّقٌ «بطلَ» ويجوزُ التَّعلُّقُ بـ﴿صنعوا﴾ على أنَّ الضَّميرَ للدُّنيا.

قولُه: (فَلا ثَوابَ لهُ) أي: لِمَا صَنعُوا؛ يعنِي: لأنّه لم يبقَ لهم ثوابٌ، أو لم يكُنْ؛ لأنّهم لم يريدُوا بهِ وجْهَ اللهِ.

وقولُه تعَالى: (﴿وباطلٌ﴾) أي: في نفسِهِ؛ لأنّه لم يعمَلْ على ما ينبغِي.

قولُه: (بَيَانٍ) أي: برهانٍ يدلُّه على الحقِّ والصَّوابِ فيما يأتيهِ ويذَرُه.

قولُه: (وهُو) أي: ﴿مَنْ﴾.

قولُه: (أَو المُؤمِنُونَ) وفي نسخةٍ: «والمؤمنونَ» فهو حكمٌ يعمُّ كلَّ مؤمنٍ مخلِصٍ.

قولُه: (وهِي) أي: البيِّنةُ.

قولُه: (القُرآنُ) وقيل: دليلُ العقلِ.

قولُه: (وهُو جبرِيلُ) أو القرآنُ.

قولُه: (حَالٌ) أي: كتاباً مؤتمًّا به في الدِّين ورحمةً على المنزلِ عليهم؛ لأنّه الوصلةُ إلى الفَوزِ بخيرِ الدَّارَينِ.

قولُه: (كمَن ليسَ كذلِكَ) أو كمَن كان يريدُ الحياةَ الدُّنيا.

قولُه: (منَ القُرآنِ) أو الموعدِ.

١٨ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه؟ ﴿أُولئِكَ يُعرَضُونَ علَى رَبِّهِم﴾ يوم القِيامة في جُملة الخلق، ﴿ويَقُولُ الأشهادُ﴾: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب: ﴿هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا علَى رَبِّهِم. ألا لَعنةُ اللهِ علَى الظّالِمِينَ﴾: المُشركِين، ١٩ ـ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِين الإسلام، ﴿ويَبغُونَها﴾: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: مُعْوَجّة، ﴿وهُم بالآخِرةِ هُم﴾: تأكيد ﴿كافِرُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿أُولئِكَ لَم يَكُونُوا مُعجِزِينَ﴾ اللهَ ﴿في الأرضِ، وما كانَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن أَولِياءَ﴾: أنصارٍ يمنعونهم من عذابه، ﴿يُضاعَفُ لَهُمُ العَذابُ﴾ بإضلالهم غيرَهم، ﴿ما كانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمعَ﴾ للحقّ، ﴿وما كانُوا يُبصِرُونَـ﴾ ـهُ، أي: لفَرط كراهتهم له كأنهم لا يستطيعون ذلك. ٢١ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾ لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك، ٢٢ ـ ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّهُم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ﴾.

قولُه: (فِي جُملةِ الخَلْقِ) بأن يحاسَبوا أو تُعرَضَ أعمالُهم.

قولُه: (جمعُ شَاهِدٍ) كأصحابٍ، أو شهيدٍ كأشرافٍ.

قولُه: (وهُم المَلائِكَةُ) أو هم النَّبِيُّون، أو جوارِحُهم.

قولُه: (مُعوَجَّةً) أي: يصِفُونها بالانحرافِ عن الحقِّ والصَّوابِ، أو يبغُونَ أهلَها أن يعوَجُّوا بالرِّدَّة.

قولُه: (تأكِيْدٌ) لكفرِهم والجملةُ حالٌ.

قولُه: (اللهَ) أن يُعاقبَهُم في الدُّنيا.

قولُه: (من عَذَابِهِ) ولكنَّه أخَّرَ عقابَهم إلى هذا اليومِ ليكونَ أشدَّ وأدوَمَ.

قولُه: (لَهُ) للحقِّ.

قولُه: (ذلكَ) أي: السَّمعَ.

قولُه: (لمصِيرِهِم) أو باشتراءِ عبادةِ الآلهةِ بعبادةِ اللهِ.

قولُه: (الشَّرِيكِ) وشفاعتِهِ، أو خسِرُوا بما بذَلوا وضاعَ عنهُم ما حصَّلوا، فلم يبْقَ معهم سِوى الحسْرةِ والنَّدامَةِ.

قولُه: (حقًّا) يعنِي: أنَّه لفظٌ مركَّبٌ بمعنَى حقًّا، وقيلَ: ﴿لا﴾ لنفي الفائدَةِ، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: كسَبَ، تعليلٌ للنَّفيِ؛ أي: لا فائدةَ لهم؛ إذْ كسبُ كفرِهم الخسارةُ، أو المعنى: لا بدَّ ولا محالةَ، أو لا انفصالَ ولا انقطاعَ. كذا أفادَه الفاضِلُ.

٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، وأخبَتُوا﴾: سكنوا واطمأنّوا أو أنابوا ﴿إلَى رَبِّهِم أُولئِكَ أصحابُ الجَنَّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ. مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الفَرِيقَينِ﴾: الكُفّارِ والمُؤمنين ﴿كالأعمَى والأصَمِّ﴾ ـ هذا مَثَلُ الكافر ـ ﴿والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾. هذا مَثل المُؤمن. ﴿هَل يَستَوِيانِ مَثَلاً﴾؟ لا. ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتّعظون؟

٢٥ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ أنِّي﴾ أي: بأني ـ وفي قراءة بالكسر على حذف القول ـ ﴿لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذارِ، ٢٦ ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلاّ اللهَ. إنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾، إن عبدتم غيره، ﴿عَذابَ يَومٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم في الدنيا والآخِرة. ٢٧ ـ ﴿فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ﴾ وهم الأشرافُ: ﴿ما نَراكَ إلاّ بَشَرًا مِثلَنا﴾ ولا فضل لك علينا، ﴿وما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاّ الَّذِينَ هُم أراذِلُنا﴾: أسافِلُنا كالحاكة والأساكفة ﴿بادِيَ الرَّأيِ﴾، بالهمز وتركه، ....

قولُه: (فيهِ إدْغامُ التَّاءِ) وقرأ حفصٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بالتَّخفيفِ[1].

قولُه: (بأنّي) أي: بدعواهُ أنّي.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ وعاصمٍ وابنِ عامرٍ وحمزةَ[2].

قولُه: (عَلى حَذْفِ) الأولى: إرادَةِ.

قولُه: (بيِّنُ الإنذَارِ) فأبانَ لازمٌ، أو أُبيِّنُ لكُم موجِباتِ العذابِ ووَجهَ الخلاصِ.

قولُه: (أي: بأَنْ) بدلٌ من ﴿أني لكم﴾ أو مفعولُ ﴿مُبين﴾ ويجوزُ أن تكونَ مفسِّرةً متعلِّقةً بـ﴿أرسلنا﴾ أو بـ﴿نذير﴾.

قولُه: (وهُم) أي: ﴿الملأُ﴾.

قولُه: (الأَشْرافُ) لأنَّهم يملؤونَ الأعيُنَ، أو المجالِسَ بخدَمِهم وحشَمِهم.

قولُه: (لا فَضْلَ) يخصُّكَ بالنُّبوَّةِ ووجوبِ الطَّاعةِ.

قولُه: (والأَسَاكِفةِ[3]) والفقراءِ.

قولُه: (بالهَمْزِ) بَصريٌّ[4].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

(٢) انظر المصادر السابقة: (ص: ٣٣٢)، (ص: ١٢٤).

(٣) هي جمع الإسكاف، وهو عند العرب: كل صانع سوى الخفاف، فإنه الأَسْكَف، كأحمد، وذلك إذا أرادوا معنى الإسكاف في الحضر. «تاج العروس» (٢٣/ ٤٥٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٨).

أي: ابتداءً من غير تفكّر فيك ـ ونصبُه على الظرف، أي: وقتَ حُدوثِ أوّل رأيهم ـ ﴿وما نَرَى لَكُم علَينا مِن فَضلٍ﴾ فتستحقّون به الاتّباع منّا، ﴿بَل نَظُنُّكُم كاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة. أدرجوا قومَه معه في الخِطاب.

٢٨ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم﴾: أخبِروني ﴿إن كُنتُ علَى بيِّنةٍ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّي، وآتاني رَحْمةً﴾: نُبوّة ﴿مِن عِندِهِ فعَمِيَتْ﴾: خَفِيَتْ ﴿علَيكُم﴾ ـ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ـ ﴿أنُلزِمُكُمُوها﴾: أنُجبِرُكم على قَبولها، ﴿وأنتُم لَها كارِهُونَ﴾؟ لا نقدِرُ على ذلك، ٢٩ ـ ﴿ويا قَومِ، لا أسألُكُم علَيهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مالاً﴾ تُعطونيه ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾: ثوابي ﴿إلاّ علَى اللهِ ـ وما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني ـ ﴿إنَّهُم مُلاقُو رَبِّهِم﴾ بالبعث فيُجازيهم، ويأخذ لهم ممّن ظلَمَهم وطرَدَهم ـ

قولُه: (عَلى الظَّرفِ) على حذفِ المضافِ، والعاملُ ﴿اتبعكَ﴾.

قولُه: (في الخِطَابِ) أي: أنتَ في دعْوَى النُّبوَّةِ، وهُم في دعْوى العلمِ بصِدقِكَ، فغلَّبَ المخاطبَ على الغائبينَ، وكذا قولُه: ﴿وما نرى لكُم﴾ أي: لك ولمتَّبعيكَ.

قولُه: (بَيانٍ) حجَّةٍ شاهدةٍ بصحَّةِ دعوَتي.

قولُه: (نُبوَّةٌ) أي: بإيتاءِ النُّبوَّة أو البيِّنةِ.

قولُه: (خفيَتْ) أي: البيِّنةُ عليكم فلم تهدِكُم، وتوحيدُ الضَّميرِ؛ لأنَّ البيِّنةَ في نفسِها هي الرَّحمةُ، أو لأنَّ خفاءَها يوجبُ خفاء النُّبوَّة، أو عمِيَتِ الرَّحمةُ لقُربِها، أو عمِيَتِ النُّبوَّةُ بعدَ البيِّنةِ، وحذفُها للاختصارِ، أو لكلِّ واحدةٍ منهما.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ وحفصٍ[1].

قولُه: (عَلى قَبُولِهَا) أو أنُلزِمُكم على الاهتداءِ بها.

قولُه: (عَلى ذَلِكَ) أي: الإلزامِ.

قولُه: (عَلى تبلِيْغِ) وهو وإنْ لم يُذكَرْ فمعلومٌ ممَّا ذُكِرَ.

قولُه: (تُعطُونِيهِ) أي: جُعلاً وأجراً.

قولُه: (فيُجَازِيهِم) فيفوزُونَ بقُربِهِ، فكيفَ أطرُدُهُم؟ أو فيُجازيهِم وهو أعلمُ بنيَّاتِهِم، وأنا أحكمُ بالظَّاهِرِ فلا أطرُدُهم لأنَّ الكفَّارَ طعنُوا في إخلاصِ المؤمنينَ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

﴿ولكِنِّيَ أراكُم قَومًا تَجهَلُونَ﴾ عاقبةَ أمركم، ٣٠ ـ ﴿ويا قَومِ، مَن يَنصُرُني﴾: يمنعُني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه، ﴿إن طَرَدتُهُم﴾؟ أي: لا ناصر لي. ﴿أفلا﴾: أفهلاّ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، تتّعظون؟ ٣١ ـ ﴿ولا أقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائنُ اللهِ. ولا﴾ إني ﴿أعلَمُ الغَيبَ، ولا أقُولُ: إنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مِثلكم، ﴿ولا أقُولُ لِلَّذِينَ تَزدَرِي﴾: تحتقر ﴿أعيُنُكُم: لَن يُؤتِيَهُمُ اللهُ خَيرًا. اللهُ أعلَمُ بِما في أنفُسِهِم﴾: قُلوبهم. ﴿إنِّيَ إذًا﴾: إن قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿ قالُوا: يا نُوحُ، قَد جادَلتَنا﴾: خاصمتنا، ﴿فأكثَرتَ جِدالَنا. فائتِنا بِما تَعِدُنا﴾ به من العذاب، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ فيه. ٣٣ ـ ﴿قالَ: إنَّما يأتِيكُم بِهِ اللهُ، إن شاءَ﴾ تعجيلَه لكم، فإنّ أمره إليه لا إليَّ، ﴿وما أنتُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتِين اللهَ،...

قولُه: (عاقِبَةَ أمرِكُم) أو بلقاءِ ربِّكم، أو في التماسِ طردِهِم.

قولُه: (فهَلَّا) لعلَّه: (فألَّا) فصُحِّفَ؛ يعني: أصلُ ﴿أفَلا﴾ فألا، وقُدِّمَتْ همزةُ الاستفهامِ لصدارتِها، والجملةُ الاستفهاميَّةُ معطوفةٌ على ما قبلَهَا مِن بابِ عطفِ الجُملِ على الجُملِ، ولا يمكنُ تصحِيحُ كلامِ الشَّيخ بأنَّه إذا كان أصلُ ﴿أفلا﴾ فألا، و«ألا» يأتي للتَّحضيضِ، فيكونُ معناه: فهَلَّا؛ لأنَّ المرادَ بالأصلِ أصلُ التَّركيبِ، لا أصلُ الكلمةِ، فتأمَّلْ.

وفي نسخةٍ: «أفهَلَّا» ولا وجهَ له أصلاً، أو تقديرُ الآيةِ: أتُنكِرونَ وتُعرِضونَ فلا تتَّعظونَ؟ أو تأمرونَ بطرْدِهم فلا تذكرونَ لتعرِفُوا أنَّ التِماسَ طردِهم ليس بصوابٍ.

قولُه: (بإدغَامِ [التَّاء] الثَّانيَةِ) تقدَّم قريباً ومراداً قبلَه.

قولُه: (﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾) أي: خزائنُ رزقِهِ وأموالِهِ حتَّى جحَدتُم فضْلي.

قولُه: (إنِّي) إشارةٌ إلى أنَّه عطفٌ على ﴿عندي﴾ أي: ولا أقولُ: إنِّي أعلمُ الغيبَ حتَّى تكذِّبُوني استبعاداً.

وقولُه: (﴿ولا أقولُ إنِّي ملَكٌ﴾) حتَّى تقولوا: ما أنت إلَّا بشرٌ مثلُنا.

قولُه: (تحتَقِرُ) أي: ولا أقولُ في شأنِ مَن استرَذَلتُموهُم لفقرِهم.

قولُه: (ذلكَ) أي: شيئاً مِن ذلك.

وقولُه: (﴿فأكثرْتَ﴾) أي: أطلتَه، أو أتيتَ بأنواعِهِ.

قولُه: (فيهِ) أي: في الوعيدِ والدَّعوَى؛ فإنَّ مناظرَتَك لا تؤثِّرُ فينا.

قولُه: (تعجِيْلَه) أو تأجِيلَه.

قولُه: (بفَائِتِينَ اللهَ) بدفعِ العذابِ أو الهرَبِ منه.

٣٤ ـ ﴿ولا يَنفَعُكُم نُصحِيَ، إن أَردتُ أن أنصَحَ لَكُم، إن كانَ اللهُ يُرِيدُ أن يُغوِيَكُم﴾ أي: إغواءكم. وجواب الشرط دلّ عليه «ولا يَنفعُكم نُصحي». ﴿هُوَ رَبُّكُم، وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿أم﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة: ﴿افتَراهُ﴾: اختلق مُحمّد القُرآنَ؟ ﴿قُلْ: إنِ افتَرَيتُهُ فعلَيَّ إجرامِي﴾: أي: عُقوبتُه، ﴿وأنا بَرِيءٌ مِمّا تُجرِمُونَ﴾: من إجرامكم في نِسبة الافتراء إليّ.

٣٦ ـ ﴿وأُوحِيَ إلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلاّ مَن قَد آمَنَ. فلا تَبتَئِسْ﴾: تحزنْ ﴿بِما كانُوا يَفعَلُونَ﴾ من الشِّرك، فدعا عليهم بقوله: «رَبِّ، لا تَذَرْ علَى الأرضِ» إلى آخره، فأجاب الله ـ تعالى ـ دُعاءه وقال: ٣٧ ـ ﴿واصنَعِ الفُلكَ﴾: السفينةَ ﴿بِأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا وحِفظِنا ﴿ووَحْيِنا﴾: أمرِنا، ﴿ولا تُخاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا بترك إهلاكهم. ﴿إنَّهُم مُغرَقُونَ﴾.

٣٨ ـ ﴿ويَصنَعُ الفُلكَ﴾ ـ حكايةُ حال ماضية ـ ﴿وكُلَّما مَرَّ علَيهِ مَلأٌ﴾: جماعة ﴿مِن قَومِهِ سَخِرُوا مِنهُ﴾: استهزؤوا به. ﴿قالَ: إن تَسخَرُوا مِنّا فإنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرُونَ﴾، إذا نجونا وغرقتم. ٣٩ ـ ﴿فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾: موصولةٌ مفعول العِلم ﴿يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ﴾: ينزل ﴿علَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم.

قولُه: (وجَوابُ الشَّرطِ) أي: الثَّاني، والتَّحقِيقُ أنَّ ما قبلَ الشَّرطِ الثَّاني شرطٌ ودليلُ جوابٍ، والجملةُ دليلُ جوابِ الثَّاني، وتقديرُ الكلامِ: إن كانَ اللهُ يريدُ أن يُغويَكُم فإنْ أردتُ أن أنصحَ لكُم لا ينفعُكُم نُصْحِي.

قولُه: (عُقُوبتُه) وقُرِئ: (أَجْرَامِي)[1] على الجمعِ.

قولُه: (أَمرِنَا) أو وحينا إليك كيفَ تَصْنعُها.

قولُه: (بتَركِ إِهلَاكِهِم) أي: لا تراجِعْني فيهِم، ولا تدْعُني باستدفاعِ العذابِ عنهم.

(﴿إنهم مُغرَقون﴾) محكومٌ عليهم بالإغرَاقِ، فلا سبيلَ إلى كفِّهِ.

قولُه: (استَهْزَؤُوا بِهِ) لعملِهِ السَّفينةَ، فإنَّه كانَ يعملُها في برِّيَّةٍ بعيدَةٍ من الماءِ أوانَ عزَّتِهِ، وكانُوا يضحَكونَ منه ويقولونَ له: صِرْتَ نجَّاراً بعدَما كنتَ نبيًّا.

قولُه: (وغرِقْتُم) في الدُّنيا، وحُرِقتُم في العُقبَى.

قولُه: (مَوصُولَةٌ) يعنِي بها: إيَّاهُم، وبالعذابِ الغرَقَ.

قولُه: (دَائِمٌ) هو عذابُ النَّار.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٤) حكاه الفراء.

٤٠ ـ ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ للصنع ﴿إذا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم، ﴿وفارَ التَّنُّورُ﴾ للخبّاز بالماء ـ وكان ذلك علامة لنُوح ـ ﴿قُلْنا: احمِلْ فِيها﴾: في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوجَينِ﴾ أي: ذكرٍ وأُنثى، أي: من كُلّ أنواعهما ﴿اثنَينِ﴾ ذكرًا وأُنثى، وهو مفعولٌ ـ وفي القِصّة أنّ الله حشر لنُوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرِب بيده في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذكر واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة ـ ﴿وأهلَكَ﴾ أي: زوجتَه وأولاده، ﴿إلاّ مَن سَبَقَ علَيهِ القَولُ﴾ أي: منهم بالإهلاك ـ وهو زوجته واعلةُ وولده كنعانُ بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ، فحملهم وزوجاتِهم ثلاثةً ـ ﴿ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيلٌ﴾. قيل: كانوا ستّة رجال ونساءهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال ونصفهم نساء.

قولُه: (غايَةٌ للصُّنْعِ) أي: لقولِه: ﴿ويصْنَعُ﴾ وما بينهما حالٌ من الضَّميرِ فيه، أو ﴿حتَّى﴾ هي التي يُبتدَأُ بعدَها الكلامُ.

قولُه: (بالمَاءِ) أي: نبعَ الماءُ فيه وارتفعَ، كالقدْرِ يفورُ، والتَّنُّورُ تنورُ الخُبزِ ابتدأَ منه على طريقِ خَرقِ العادةِ، وكانَ في الكوفَةِ في موضعِ مسجدِها، أو في الهندِ أربعينَ وردةً مِن أرضِ الجزيرَةِ، وقيل: التَّنُّور وجهُ الأرضِ، أو أشرفُ موضعٍ فيها.

قولُه: (وهُو مَفعُولٌ) وقرأ حفصٌ بتنوينِ ﴿كلٍّ﴾[1] أي: من كلِّ نوعٍ مِن الحيواناتِ المنتفعِ بها فـ﴿زَوجَين﴾ مفعولٌ و﴿اثنينِ﴾ تأكيدٌ.

قولُه: (أي: زَوجَتَه) عطفٌ على ﴿زَوجَينِ﴾ أو ﴿اثنين﴾.

قولُه: (وأَوْلَادَه) أي: بنيه ونساءهم.

قولُه: (أي: مِنهُم) أي: من أهلكَ.

قولُه: (بالإِهلَاكِ) متعلِّقٌ بالقولِ.

قولُه: (وهُوَ زوجَتُهُ) واعِلةُ ـ بالعينِ المهملةِ ـ أمُّ كنعَانَ، فإنَّهما كانا كافرَينِ[2].

وقولُه تعَالى: (﴿ومن آمن﴾) أي: والمؤمنينَ مِن غيرِهم.

قولُه: (وقِيلَ) هذا مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ[3]، وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ[4] في آثارٍ عن قتادةَ وكعبِ الأحبارِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٣٩).

(٢) وانظر: «التفسير الوسيط» (٢/ ٥٧٣)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ١٣٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٨٦٥).

(٤) انظر: «تفسيره» (٦/ ٢٠٣١ـ٢٠٣٢).

٤١ ـ ﴿وقالَ﴾ نُوحٌ: ﴿اركَبُوا فِيها، بِاسمِ اللهِ مَجراها ومَرساها﴾، بفتح الميمين وضمّهما، مصدران أي: جريُها ورُسوُّها، أي: منتهى سيرها. ﴿إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ لم يُهلِكنا ـ ٤٢ ـ ﴿وهِيَ تَجرِي بِهِم فِي مَوجٍ كالجِبالِ﴾ في الارتفاع والعِظم ـ ﴿ونادَى نُوحٌ ابنَهُ﴾ كنعانَ، ﴿وكانَ فِي مَعزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يابُنَيَّ، اركَبْ مَعَنا، ولا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿قالَ: سآوِي إلَى جَبَلٍ، يَعصِمُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ الماءِ. قالَ: لا عاصِمَ اليَومَ مِن أمرِ اللهِ﴾: عذابِه. ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿مَن رَحِمَ﴾ اللهُ فهو المعصوم. قال تعالى: ﴿وحالَ بَينَهُما المَوجُ، فكانَ مِنَ المُغرَقِينَ﴾.

ومحمَّدِ بنِ عبَّادِ بن جعفرٍ ومطرٍ وغيرِهم أنَّه كانَ معه اثنانِ وسبعونَ مؤمناً؛ هو وزوجتُه وأولادُه الثَّلاثةُ وزوجاتُهم، وأنَّه ركبَها في عَشْرٍ خلونَ من رجبٍ، ونزلَ عنها في عشْرٍ خلونَ من محرَّمٍ، كذا في «المبهَماتِ»[١].

قولُه: (بفَتحِ المِيمَينِ) أمَّا فتحُ الأَولى معَ إمالةِ الرَّاء فلحمزةَ والكِسائيِّ وحفصٍ[٢]، وأمَّا فتحُ الثَّانيةِ فشاذٌّ[٣].

قولُه: (مَصْدَرانِ) أي: اركبُوا فيها قائلينَ بسمِ اللهِ وقتَ إجرائهَا وإرسائهَا.

قولُه: (أي: مُنتَهى سَيْرِها) تفسيرٌ لـ«رسوِّها».

قولُه: (فِي الارتِفَاعِ) الموج ما يرتفِعُ مِن الماءِ عندَ اضطرابِهِ.

قولُه: (كَنْعَانَ) وقيل: يام.

قولُه: (عن السَّفِينَةِ) أو عن أبيهِ، أو عن دينِهِ.

وقولُه: (﴿يَا بُنيَّ﴾) بفتحِ الياءِ عاصمٌ، وبإدغامِ الباءِ في الميمِ قالونُ والبزِّيُّ وخلَّادٌ بخُلفِهم وأبو عَمرٍو وعاصمٌ والكِسائيُّ[٤].

قولُه: (يمنَعُني) أي: مِن الماءِ أن يُغرِقَني.

قولُه: (لكِنْ) يعني: الاستثناءُ منقطعٌ، أو التَّقديرُ: لا عاصمَ إلَّا الرَّاحِمُ؛ وهو اللهُ تعالى.

(قالَ تعَالى: ﴿وحال بينهما﴾) أي: بينَ نوحٍ وابنِه، أو بينَ ابنِهِ والجبلِ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٥٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٠).

(٣) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٣٥) ونسبت للحسن وقتادة والأعمش والمفضل وزيد بن أسلم.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٤٥، ١٢٤)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١١٢، ٣٣٠).

٤٤ ـ ﴿وقِيلَ: يا أرضُ، ابلَعِي ماءَكِ﴾ الذي نبع منك ـ فشربَتْه دُون ما نَزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ـ ﴿ويا سَماءُ، أقلِعِي﴾: أمسِكي عن المطر. فأمسكتْ، ﴿وغِيضَ﴾: نَقَص ﴿الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ﴾: تمّ أمر هلاك قوم نُوح، ﴿واستَوَتْ﴾: وقفَتِ السفينةُ ﴿علَى الجُودِيِّ﴾: جبل بالجزيرة بقرب المَوصل، ﴿وقِيلَ: بُعْدًا﴾: هلاكًا ﴿لِلقَومِ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

٤٥ ـ ﴿ونادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فقالَ: رَبِّ، إنَّ ابنِي﴾ كنعانَ ﴿مِن أهلِي﴾، وقد وعدتَني بنجاتهم، ﴿وإنَّ وَعدَكَ الحَقُّ﴾ الذي لا خُلف فيه، ﴿وأنتَ أحكَمُ الحاكِمِينَ﴾: أعلَمهم وأعدَلهم.

٤٦ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا نُوحُ، إنَّهُ لَيسَ مِن أهلِكَ﴾ الناجين، أو من أهلِ دِينك. ﴿إنَّهُ﴾ أي: سُؤالَك إيّاي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيرُ صالِحٍ﴾. فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين. وفي قراءةٍ بكسر ميمِ «عَمِلَ»:........

قولُه: (نبَعَ مِنْكِ) أي: كوني بالعَةً، فالأمرُ للتَّكوينِ.

قولُه: (نَقَصَ) الأولى ضبطُه بالمجهولِ. قال البيضاويُّ[1]: والآيَةُ في غايةِ الفصاحةِ لفخامةِ لفظِهَا، وحُسنِ نظمِهَا، والدَّلالةِ على كُنهِ الحالِ مع الإيجازِ الخالي عن الإخلالِ، وإيرادِ الأخبارِ على البناءِ للمفعولِ دالَّة على تعظِيمِ الفاعلِ، وأنَّه متعيِّنٌ في نفسِهِ مستَغنٍ عن ذكرِهِ؛ إذ لا يذهبُ الوَهمُ إلى غيرِه للعلمِ بأنَّ مثلَ هذه الأفعالِ لا يقدِرُ عليها سوى الواحدِ. انتهى.

رُوِيَ: أنَّ العربَ كانُوا قد علَّقوا القصائدَ السَّبعَ على بابِ الكعبةِ، ويقولون: لا نُنزِلُها حتَّى نطَّلعَ على ما هو أفصَحُ منها، وكانوا يعاندونَ في أفصحيَّةِ ما نزلَ مِن آياتِ القرآنِ حتَّى نزلَتْ هذه الآيَةُ، فلم يبقَ لهم طريقٌ إلى العنادِ وأذعَنوا لها لِما أدرَكوا مِن كمالِ بلاغتِها، وأنت تعلمُ أنَّ الفضلَ هو ما شَهِدَتْ به الخصُومُ والأعداءُ، كذا أفادَه الكافِيَجيُّ.

قولُه: (يَا ﴿رَبِّ﴾) أي: أرادَ نوحٌ نداءَهُ بدليلِ عطفِ قولِه: ﴿فقال رب﴾ فإنَّه للنِّداءِ.

قولُه: (لَا خُلفَ فيهِ) وقد وعدْتَ أن تُنجِّيَ أهلِي، فما حالُه؟ أو فما له لم ينجُ؟ ويجوزُ أن يكونَ هذا النِّداءُ قبلَ غرقِهِ.

قالَ تعَالى: (﴿غير صالح﴾) أي: فاسدٌ، أو التَّقديرُ: إنَّه؛ أي: ابنُك ذو عَملٍ فاسِدٍ، فجعلَ ذاتَه ذاتَ العَملِ مبالغةً.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) للكِسائيِّ[2].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤١).

فعلٌ، ونصبِ «غيرَ» فالضمير لابنه. ﴿فلا تَسأَلَنِّي﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾ من إنجاء ابنك. ﴿إِنِّيَ أَعِظُكَ أن تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾، بسؤالك ما لم تعلم. ٤٧ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أن أَسأَلَكَ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلمٌ، وإلاّ تَغفِرْ لِي﴾ ما فَرَط منّي ﴿وتَرحَمْني أَكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

٤٨ ـ ﴿قِيلَ: يا نُوحُ، اهبِطْ﴾: انزِلْ من السفينة ﴿بِسَلامٍ﴾: بسلامة أو بتحيّة ﴿مِنّا وبَرَكاتٍ﴾: خيرات ﴿عَلَيكَ، وعلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذُرّيّتهم ـ وهم المؤمنون ـ ﴿وأُمَمٌ﴾، بالرفع، ممّن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُم﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرة. وهم الكُفّار.

٤٩ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ المُتضمّنة قِصّةَ نُوح ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبارِ ما غاب عنك،....

قولُه: (ونَصبِ (غيرَ)[1]) أي: عمِلَ عملاً غيرَ صالحٍ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) أبو عَمرٍو وكوفيٌّ، والباقونَ بالتَّشديدِ، والمكِّيُّ فتحَ النُّونَ، وأثبتَ الياءَ أبو عَمرٍو وورشٌ وصلاً[2].

قالَ تعالى: (﴿إني أعظك أن تكون﴾) أي: مانعاً أو كراهةَ، أو لئلَّا.

قولُه: (بسُؤالِكَ) لأنَّ الاستثناءَ لمن سبقَ عليه القولُ مِن أهلِهِ؛ قد دلَّ على الحالِ، وأغناه عن السُّؤالِ، لكنْ شغَلَه حبُّ الولدِ عنه حتَّى اشتبَه الأمرُ عليهِ.

قولُه: (مِن ﴿أن أسألَكَ﴾) فيما يُستقبَلُ.

قولُه: (مَا فَرَطَ) أي: سبقَ من السُّؤالِ (﴿وترحَمْني﴾) بالتَّوبةِ والتفضُّلِ عليَّ.

قولُه: (بِسَلَامةٍ...) إلخ؛ أي: مُسلَّماً من المكارِه، أو مُسلَّماً عليكَ.

وقولُه تعالى: (﴿منا﴾) أي: من جهتِنا.

قولُه: (خَيرَاتٍ) أو زياداتٍ في نسلِكَ حتَّى تصيرَ آدمَ ثانياً، أو مباركاً عليك.

قولُه: (مِن أولَادِهِم) الضَّميرُ لـ﴿من معك﴾ أي: ﴿على أممٍ﴾ ناشئةٍ ﴿ممَّن معَكَ﴾ فـ﴿مِنْ﴾ ابتدائيَّةٌ.

قولُه: (وهُم) يعني: الأولادَ والذُّرِّيَةَ، المرادُ بهم: المؤمنُونَ؛ لقولِه تعالى: ﴿وأممٌ﴾.

قولُه: (وهُم الكفَّارُ) من ذرِّيَّةِ مَن معه.

قولُه: (أخبَارِ) أي: بعضُها.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٥، ٣٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٣، ٣٤٤).

﴿نُوحِيها إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿ما كُنتَ تَعلَمُها أنتَ ولا قَومُكَ مِن قَبلِ هذا﴾ القُرآنِ. ﴿فاصبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نُوح. ﴿إنَّ العاقِبَةَ﴾ المحمودةَ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾.

٥٠ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى عادٍ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿هُودًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه ـ ﴿ما لَكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿إلـٰـهٍ غَيرُهُ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في عِبادتكم الأوثانَ ﴿إلاّ مُفتَرُونَ﴾: كاذبون على الله.

٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿يا قَومِ، لا أسأَلُكُم علَيهِ﴾: على التوحيد ﴿أجرًا. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ علَى الَّذِي فَطَرَنِيَ﴾: خلقني. ﴿أفلا تَعقِلُونَ؟ ويا قَومِ، استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة، ﴿يُرسِلِ السَّماءَ﴾: المطرَ ـ وكانوا قد مُنِعوه ـ ﴿علَيكُم مِدرارًا﴾: كثير الدُّرور، ﴿ويَزِدْكُم قُوّةً إلَى﴾: معَ ﴿قُوّتِكُم﴾ بالمال والولد، ﴿ولا تَتَوَلَّوا مُجرِمِينَ﴾: مُشرِكِينَ.

قولُه: (المَحمُودَةَ) في الدُّنيا بالظَّفرِ، وفي الآخرةِ بالفوزِ.

قولُه: (أَرسَلْنا) إشارةٌ إلى أنَّه عطفٌ على قولِه: ﴿نوحاً﴾ و﴿هوداً﴾ عطفُ بيانٍ.

قولُه: (وحِّدُوهُ) وفي البيضاويِّ[١] كما في نسخةٍ هنا: «وحِّده».

قولُه: (زائِدَةٌ) و﴿غيرُه﴾ بالرَّفع بدلٌ من محلِّه، وقرأَ الكِسائيُّ[٢] بالجرِّ صفةً لـ﴿إله﴾ وتعبيرُ البيضاويِّ[٣] بـ«قرئ» غيرُ مناسبٍ.

قولُه: (عَلَى التَّوحِيدِ) أي: تعليمِهِ وتبليغِهِ.

قولُه: (خَلَقَني) خاطبَ كلُّ رسولٍ به قومَه إزاحةً للتُّهمةِ وتمحِيضاً للنَّصيحةِ؛ فإنَّها لا تؤثِّرُ ما دامَتْ مَشُوبةً بالطَّمعِ.

قولُه: (قَد مُنِعُوهُ) وأُعقِمَ أرحامُ نسائهم ثلاثَ سنينَ.

قولُه: (كَثِيرَ الدُّرُورِ) أي: السَّيلانِ.

قولُه: (والوَلَدِ) والشَّدِّ في الأعضاءِ. وقال الحسنُ بنُ عليٍّ[٤]: مَن كثُرَ استغفارُه كثُرَ نسلُه.

قولُه: (مُشرِكِينَ) أي: لا تُعرِضُوا عمَّا أدعُوكُم إليهِ مصرِّين على إجرامِكُم.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٣٧).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٣٧).

(٤) لم أقف عليه، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٠٢) بأتم مما هنا، ولم أقف عليه مسنداً أيضاً.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿قالُوا: يا هُودُ، ما جِئتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرهانٍ على قولك، ﴿وما نَحنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَن قَولِكَ﴾ أي: لقولك، ﴿وما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ. إنْ﴾: ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إلاّ: اعتَراكَ﴾: أصابك ﴿بَعضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾، فخَبَلك لِسبّك إياها فأنت تهذي.

﴿قالَ: إنِّيَ أُشهِدُ اللهَ﴾ عليّ، ﴿واشهَدُوا أنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَـ﴾ ـهُ به ٥٥ ـ ﴿مِن دُونِهِ فكِيدُونِي﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم، ﴿ثُمَّ لا تُنظِرُونِ﴾: تُمهِلُونِ. ٥٦ ـ ﴿إنِّي تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ رَبِّي ورَبِّكُم. ما مِن﴾: زائدةٌ ﴿دابّةٍ﴾: نَسَمة تدِبّ على الأرض ﴿إلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾ أي: مالكُها وقاهرها. فلا نفع ولا ضرر إلاّ بإذنه. وخَصَّ الناصيةَ بالذكر لأنّ مَن أُخِذ بناصيته يكون في غاية الذلّ. ﴿إنَّ رَبِّي على صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحقّ والعدل. ٥٧ ـ ﴿فإن تَوَلَّوا﴾، فيه حذف إحدى التاءين، أي: تُعرِضوا ﴿فقَد أبلَغتُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ إلَيكُم، ويَستَخلِفُ رَبِّي قَومًا غَيرَكُم، ولا تَضُرُّونَهُ شَيئًا﴾ بإشراككم! ﴿إنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيبٌ.

قولُه: (عَلى قَولِكَ) أي: على صحَّةِ دعواكَ، وهو لفَرطِ عنادِهِم وعدمِ اعتدادِهِم بما جاءهُم مِن المعجِزاتِ.

قولُه: (لِقَولِكَ) أي: بتاركِي عبادَتِها لأجلِ قولكَ، أو صَادِرينَ عن قولكَ، حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿تاركي﴾.

قولُه: (أَصَابكَ) أي: إلَّا قولُنا: ﴿اعتراك﴾.

قولُه: (تَهذِي) أي: تتكلَّمُ بالهذَيان.

قولُه: (عَلى الأَرضِ) أو غيرِها.

قولُه: (غَايَةِ الذُّلِّ) والانقيادِ، فالأخذُ بالنَّواصِي تمثيلٌ لذلكَ، ومِن اللَّطائفِ استخراجُ بعضِ الأُدَباءِ مِن هذه الآيةِ الهاديةِ مُعَمًّى[1] باسمِ هُودٍ، فإنَّ لفظَ ﴿هو﴾ إذا أخذَ ناصيةَ الدَّابةِ التي هي الدَّالُ تحصلُ: هودٌ، وهذا تصديقٌ لقولِ حبرِ الأمَّةِ[2]:

جَمِيعُ العِلْمِ فِي القُرْآنِ لكِنْ ... تَقَاصَرَ عنْهُ أفْهَامُ الرِّجَالِ

قولُه: (أي: طَرِيقِ الحَقِّ) أي: دالٌّ عليه، أو أنَّه على الحقِّ والعدلِ، لا يضيعُ عندَه معتَصمٌ، ولا يفوتُه ظالمٌ.

قولُه: (بِإِشراكِكُم) الأظهرُ: بإعراضِكُم.

---

(١) المعمى قريب من اللغز، والفرق بينهما: بأن الكلام إذا دل على اسم شيء من الأسماء بذكر صفات له تميزه عما عداه، كان ذلك لغزاً، وإذا دل على اسم خاص بملاحظة كونه لفظاً بدلالة بينة تؤثره، سمي ذلك معمى. «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٦٦).

(٢) اجتهدت في طلبه مسنداً، فلم أقف عليه.

٥٨ ـ ﴿ولَمّا جاءَ أمرُنا﴾: عذابنا ﴿نَجَّينا هُودًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمةٍ﴾: هِداية ﴿مِنّا، ونَجَّيناهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد. ٥٩ ـ ﴿وتِلكَ عادٌ﴾ إشارةٌ إلى آثارهم، أي: فسيحوا في الأرض، وانظروا إليها. ثم وصفَ أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِم، وعَصَوا رُسُلَهُ﴾ ـ جَمَعَ لأنّ من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به، وهو التوحيد ـ ﴿واتَّبَعُوا﴾ أي: السَّفَلَةُ ﴿أمرَ كُلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعارضٍ للحق من رُؤسائهم، ٦٠ ـ ﴿وأُتبِعُوا في هذِهِ الدُّنيا لَعْنَةً﴾ من الناس، ﴿ويَومَ القِيامةِ﴾ لعنةً على رُؤوس الخلائق. ﴿ألا إنَّ عادًا كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿رَبَّهُم. ألا بُعدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعادٍ قَومِ هُودٍ﴾.

٦١ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى ثَمُودَ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه. ﴿مالَكُم مِن إلٰـهٍ غَيرُهُ. هُوَ أنشَأَكُم﴾: ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الأرضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها، ﴿واستَعمَرَكُم فِيها﴾: جعلكم عُمّارًا تسكنون بها..

قولُه: (عَذَابُنا) أو أمرُنا بالعذابِ.

قولُه: (هِدَايَةٍ) وكانُوا أربعةَ آلافٍ.

قولُه: (إشَارَةٌ إلَى آثارِهِمْ) أو أنّثَ اسمَ الإشارةِ باعتبارِ القبيلَةِ.

قولُه: (مِنَ النَّاسِ) قال السُّدِّيُّ[1]: ما بُعِثَ مِن نبيٍّ بعدَ عادٍ إلَّا لُعِنُوا على لسانِهِ.

قولُه: (لَعنةً) أي: جُعِلَتِ اللَّعنةُ تابعةً لهم في الدَّارينِ.

قولُه: (جَحَدُوا) أو كفرُوا به، فحذفَ الجارَّ وأوصلَ الفعلَ، أو ﴿كفروا﴾ نعمَهُ.

قولُه: (مِن رحمَةِ اللهِ) دعاءٌ عليهم بالهلاكِ، قيل: يُنادَى في القيامةِ بقولِه: ﴿ألا إن عاداً...﴾ إلخ.

وقولُه تعالى: (﴿قوم هود﴾) عطفُ بيانٍ لـ﴿عاد﴾ وفائدتُه تمييزُهُم من عادٍ الثَّانيةِ عادِ إرَمَ.

قولُه: (مِن القَبِيلةِ) أي: واحداً منهم.

قولُه: (تَسكُنُونَ بهَا) مدَّةَ عمُرِكم ثمَّ تتركُونَها لغيرِكُم، أو عمَّرَكُم فيها، واستبقاكُم من العُمرِ.

عن الضَّحَّاك[2]: أطالَ عمُرَكم فيها، فإنَّ الواحدَ منهم يعيشُ ثلاثمئةٍ إلى ألفِ سنةٍ.

قلتُ: فيه إشكالٌ؛ إذ المشهورُ أنَّ عمرَ الدُّنيا سبعةُ آلافٍ[3].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٩٧٩).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٤٥٤).

(٣) انظر: «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٠٥).

﴿فاستَغفِرُوهُ﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة. ﴿إنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه، ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن سأله. ٦٢ ـ ﴿قالُوا: يا صالِحُ، قَد كُنتَ فِينا مَرجُوًّا﴾: نرجو أن تكون سيِّدًا ﴿قَبلَ هذا﴾ الذي صدر منك. ﴿أتَنهانا أن نَعبُدَ ما يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأوثان؟ ﴿وإنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمّا تَدعُونا إلَيهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ في الرَّيب.

٦٣ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم إن كُنتُ علَى بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّي، وآتانِي مِنهُ رَحمَةً﴾: نُبوّة، ﴿فمَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابه، ﴿إن عَصَيتُهُ؟ فما تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيرَ تَخسِيرٍ﴾: تضليل. ٦٤ ـ ﴿ويا قَومِ، هذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُم آيَةً﴾: حالٌ عاملُه الإشارة. ﴿فذَرُوها، تأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾: عَقرٍ، ﴿فيأخُذَكُم عَذابٌ قَرِيبٌ﴾، إن عقرتُموها. ٦٥ ـ ﴿فعَقَرُوها﴾: عقرها قُدارٌ بأمرهم، ﴿فقالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ﴿في دارِكُم ثَلاثَةَ أيّامٍ﴾، ثمّ تَهلِكون. ﴿ذلِكَ وَعدٌ غَيرُ مَكذُوبٍ﴾ فيه.

٦٦ ـ ﴿فلَمّا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّينا صالِحًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ـ وهم أربعة آلاف ـ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنّا، و﴾ نجّيناهم ﴿مِن خِزْيِ يَومِئِذٍ﴾، بكسرِ الميم إعرابًا، ....

قولُه: (بعِلْمِه) أو قريبُ الرَّحمة، أو ﴿قريبٌ﴾ يسمعَ دعاءَ مَن يدعُوهُ.

قولُه: (سَيِّداً) ومستشاراً في الأمُورِ، وأنْ تُوافِقَنا في الدِّين.

قولُه: (صَدرَ منكَ) فلمَّا سمعْنا هذا القولَ منكَ انقطَعَ رجاؤنا عنك.

قولُه: (منَ الأَوْثَانِ) على حكايةِ الحالِ الماضيَةِ.

قولُه: (بيَانٍ) وبصيرةٍ، وحرفُ الشَّكِّ باعتبارِ المخاطَبينَ.

قولُه: (تَضلِيلٍ) أي: غيرَ أن تُخسِرُونِي بإبطالِ ما منَحَنِي اللهُ به والتَّعرُّضِ لعذابِهِ، أو ﴿فما تزيدُونَني﴾ بما تقولونَ لي غيرَ أنْ أنسبَكُم إلى الخسرانِ.

قولُه: (الإِشَارةُ) أي: معناها، و﴿لكم﴾ حالٌ منها تقدَّمَتْ عليها لتنكيرِها.

قولُه: (عقرٍ) الأعمُّ: إثم.

قولُه: (فيهِ) فاتُّسِعَ فيه بإجرائهِ مجرَى المفعولِ به، أو وعدٌ غيرُ كذِبٍ على أنَّه مصدرٌ.

= وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٩٣): كل ما ورد مما فيه تحديد لوقت يوم القيامة على التعيين فإما أن يكون لا أصل له... أو لا يثبت إسناده.

وفتحِها بناءً لإضافته إلى مبنيٍّ وهو الأكثر ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾: الغالب ـ ٦٧ ـ ﴿وأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحةُ، فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمِينَ﴾: باركِين على الرُّكب، ميّتينَ، ٦٨ ـ ﴿كأنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمُها محذوف، أي: كأنّهم ﴿لَم يَغنَوا﴾: يُقيموا ﴿فِيها﴾: في ديارهم. ﴿ألا إنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُم. ألا بُعدًا لِثَمُودٍ﴾، بالصرفِ وتركِه على معنى الحيّ والقبيلة.

٦٩ ـ ﴿ولَقَد جاءَتْ رُسُلُنا إبراهِيمَ بِالبُشرَى﴾ بإسحاقَ ويعقوبَ بعده، ﴿قالُوا: سَلامًا﴾: مصدرٌ. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ عليكم. ﴿فما لَبِثَ أن جاءَ بِعِجلٍ حَنِيذٍ﴾: مَشويّ، ٧٠ ـ ﴿فلَمّا رأَى أيدِيَهُم لا تَصِلُ إلَيهِ نَكِرَهُم﴾ بمعنى: أنكرهم، ﴿وأَوجَسَ﴾: أضمرَ في نفسه ﴿مِنهُم خِيفةً﴾: خوفًا. ﴿قالُوا: لا تَخَفْ. إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومِ لُوطٍ﴾ لنُهلكَهم..

قولُه: (وفتحِها) نافعٌ والكِسائيُّ[١].

قولُه: (وهوَ الأكثَرُ) أي: استعمالاً.

قولُه: (وتَركِهِ) أي: فيهما، أمَّا الأوَّلُ فلحفصٍ وحمزةَ، وأمَّا الثَّاني فلغَيرِ الكِسائيِّ[٢]، وعبارةُ البيضاويِّ[٣] غيرُ محرَّرة.

قولُه: (بإسحَاقَ) وقيل: بهلاكِ قومِ لوطٍ.

قولُه: (مَصدَر) أي: لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: سلَّمنَا عليك سلاماً، ويجوزُ نصبُه بـ﴿قالوا﴾ على معنَى: ذكروا سلاماً.

قولُه: (علَيْكُم) أو عليكُم سلامٌ، وهو الأولى، أو أمرُكم سلامٌ، أو جوابي سلامٌ رفعَه إجابةً بأحسنَ مِن تحيَّتِهم، وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: (سِلْمٌ)[٤] وهما لغتانِ.

قولُه: (مَشوِيٌّ) بالرَّضْفِ، وهو الحجارةِ المُحْمَاة؛ أي: فما أبطأَ مجيئه بِهِ، أو في المجيءِ بِهِ.

قولُه: (أضمَرَ) أو أدركَ.

قولُه: (خَوْفاً) أن يريدُوا به مكرُوهاً.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٤، ٣٤٥).

(٣) وعبارته: نونه أبو بكر هاهنا، وفي النجم، والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله: ﴿ألا بعدا لثمود﴾ ذهابًا إلى الحي أو الأب الأكبر. انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٦).

٧١ ـ ﴿وامرأَتُهُ﴾ أي: امرأة إبراهيمَ سارةُ ﴿قائمةٌ﴾ تخدُمهم، ﴿فضَحِكَتْ﴾ استبشارًا بهلاكهم، ﴿فبَشَّرْناها بإسحاقَ، ومِن وَراءِ﴾: بعدِ ﴿إسحاقَ يَعقوبُ﴾ ولدُه تَعيشُ إلى أن تراه.

٧٢ ـ ﴿قالَتْ: يا وَيلَتا﴾ ـ كلمةٌ تُقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ـ ﴿أألِدُ وأنا عَجُوزٌ﴾ لي تسعٌ وتسعون سنة، ﴿وهذا بَعلِي شَيخًا﴾ له مِائَةٌ أو وعشرون سنة؟ ونصبُه على الحال والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة. ﴿إنَّ هذا لَشَيءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يُولد ولد لهرِمَينِ. ٧٣ ـ ﴿قالُوا: أتَعجَبِينَ مِن أمرِ اللهِ﴾: قُدرته؟ ﴿رَحْمةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ علَيكُم﴾، يا ﴿أهلَ البَيتِ﴾: بيتِ إبراهيم. ﴿إنَّهُ حَمِيدٌ﴾: محمود ﴿مَجِيدٌ﴾: كريم.

قولُه: (تَخدُمُهم) أي: ﴿قائمةٌ﴾ على رؤوسِهِم للخدمةِ، أو وراءَ السَّترِ تسمعُ محاورتَهم.

قولُه: (بهَلاكِهِم) أي: بهلاكِ أهلِ الفَسادِ، أو بزوالِ الخيفَةِ، وقيل: فحاضَتْ.

قولُه: (ولَدَه) نصبَه ابنُ عامرٍ وحمزةُ وحفصٌ بفعلٍ يفسِّرُه ما دلَّ عليه الكلامُ، وتقديرُه: ووهبْنَا من وراءِ إسحاقَ يعقوبَ، والباقونَ بالرَّفعِ[1] على أنَّه مبتدأٌ خبرُه الظَّرفُ؛ أي: ويعقوبُ مولودٌ مِن بعدِه، والاسمانِ يحتمَلُ وقوعُهما في البشارَةِ كيحيى، ووقوعُهما في الحكايةِ بعدَ أن وُلِدا، فسُمِّيا به، وتوجِيهُ البِشارةِ إليها للدَّلالةِ على أنَّ الولدَ المبشَّرَ به منها، ولأنَّها كانت عَقِيمةً حَريصةً على الولدِ.

قولُه: (كلِمَةٌ) أي: يا عَجباً، وأصلُه في الشَّرِّ، فأُطلِقَ في كلِّ أمرٍ فظيعٍ.

قولُه: (مُبدَلَةٌ) وقُرِئَ بالياءِ[2] على الأصلِ.

قولُه: (أَو) في نسخَةٍ، وفي أخرى: «وعشرونَ».

قولُه: (مِنَ الإِشَارةِ) أي: معناها، أو مِن التَّنبيهِ.

قولُه: (أَن يولَدَ) يعني: بهذا الولدِ مِن هَرِمَين، وهو استعجابٌ مِن حيثُ العادةُ دونَ القدرةِ، ولذلك قالوا مُنكِرينَ عليها، فإنَّ خوارقَ العاداتِ باعتبارِ أهلِ بيتِ النُّبوةِ ليست ببِدْعٍ، ولا يستغرِبُها عاقلٌ، فضلاً عمَّن نشأَتْ وشابت في ملاحظةِ الآياتِ.

قولُه: (يَا) إشارةٌ إلى أنَّه نصبٌ على النِّداءِ لقصدِ التَّخصيصِ، وقيل: نصبٌ على المدحِ.

قولُه: (مَحمُودٌ) فاعلُ ما يستوجِبُ به الحمدَ.

قولُه: (كَرِيمٌ) كثيرُ الخيرِ والإحسانِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٧).

(٢) أي: (يا ويلتي) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٥) ونسبت للحسن وابن قطيب.

٧٤ ـ ٧٥ ـ ﴿فلَمّا ذَهَبَ عَن إبراهِيمَ الرَّوعُ﴾: الخوف، ﴿وجاءَتهُ البُشرَى﴾ بالولد، أخذ ﴿يُجادِلُنا﴾: يُجادل رُسلنا ﴿في﴾ شأن ﴿قَومِ لُوطٍ. إنَّ إبراهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كثير الأناة ﴿أوّاهٌ مُنِيبٌ﴾: رَجّاع. فقال لهم: أتُهلِكون قرية فيها ثلاثُمِائَةِ مؤمنٍ؟ قالوا: لا. قال: أفتُهلكون قرية فيها مِائَتا مؤمنٍ؟ قالوا؟ لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها أربعةَ عشَرَ مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. «قالَ: إنَّ فِيها لُوطًا. قالُوا: نَحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها» إلى آخره. فلمّا أطال مُجادلتهم قالوا: ٧٦ ـ ﴿يا إبراهيمُ، أعرِضْ عَن هذا﴾ الجدال. ﴿إنَّهُ قَد جاءَ أمرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم، ﴿وإنَّهُم آتِيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردُودٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿ولَمّا جاءَت رُسُلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِم﴾: حَزِنَ بسببهم، ﴿وضاقَ بِهِم ذَرعًا﴾ صدرًا لأنهم حِسانُ الوجوه في صُورة أضياف، فخاف عليهم قومه، ﴿وقالَ: هذا يَومٌ عَصِيبٌ﴾: شديد. ٧٨ ـ ﴿وجاءَهُ قَومُهُ﴾ لمّا علموا بهم، ﴿يُهرَعُونَ﴾: يُسرعون ﴿إلَيهِ، ومِن قَبلُ﴾: قبلِ مجيئهم ﴿كانُوا يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾.......

قولُه: (بالوَلَدِ) بدلَ ﴿الرَّوع﴾ وهو الخوفُ الذي يُدخِلُ الرَّوعَ.

قولُه: (أخَذَ) أو أقبلَ، أو شرعَ؛ يعني: ﴿يجادلنا﴾ متعلِّقٌ بجوابِ ﴿لما﴾ فقامَ مقامَه ومجادلتهُ إيَّاهم قولُه: ﴿إنَّ فيهَا لُوطاً﴾.

قولُه: (كَثِير الأَنَاةِ) أي: التَّأنِّي؛ يعني: غيرُ عَجُولٍ على الانتقامِ مِن المسيءِ.

وقولُه تعالى: (﴿أوّاه﴾) كثيرُ التَّأوُّه من الذُّنوبِ، والتَّأسُّف على الناسِ.

قولُه: (رَجَّاع) الظَّاهرُ: راجعٌ إلى اللهِ، والإنابةُ أعلى مِن الأَوْبةِ، وهي أعلى من التَّوبةِ، فالأخيرةُ مِن العوامِّ عن المحظوراتِ، والوسطى مِن المقتصِدينَ عن الغفلاتِ، والأُولى مِن السَّابقينَ عن الخطراتِ، والمقصودُ من بيانِ الصِّفاتِ المذكُورةِ له ﷺ بيانُ الحاملِ له على المجادلةِ، وهو رقَّةُ قلبِهِ، وفرطُ ترحُّمِهِ.

قولُه: (بهَلَاكِهم) وهو أعلمُ بحالِهم.

قولُه تعَالى: (﴿غير مردود﴾) أي: مصروفٍ بجدالٍ ولا دُعاءٍ ولا غيرِهما.

قولُه: (حَزِنَ) أي: ساءَهُ مجيئُهم.

قولُه: (لأَنَّهم حِسَانُ الوُجُوهِ) أي: جاؤوا في صُورةِ غلمَانٍ، فظنَّ أنَّهم أناسٌ، فخافَ عليهِم أن يقصِدَهم قومُه فيعجزَ عن مُدافعتِهم.

قولُه: (يُسرِعُون) كأنَّهم يُدفَعونَ دفعاً لطلبِ الفاحشَةِ مِن أضيافِهِ.

هي إتيان الرجال في الأدبار. ﴿قالَ﴾ لوط: ﴿يا قومِ، هؤُلاءِ بَناتِي﴾ فتزوّجوهنّ، ﴿هُنَّ أطهَرُ لكُم. فاتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ﴾: تَفضحوني ﴿في ضَيفِي﴾: أضيافي. ﴿أليسَ مِنكُم رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

٧٩ـ ﴿قالُوا: لَقَد عَلِمتَ: ما لَنا في بَناتِكَ مِن حَقٍّ﴾: حاجة، ﴿وإنَّكَ لَتَعلَمُ ما نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال.

٨٠ـ ﴿قالَ: لَو أنَّ لِي بِكُم قُوَّةً﴾: طاقة، ﴿أو آوِي إلى رُكنٍ شَدِيدٍ﴾: عشيرة تنصرني، لبطشتُ بكم.

فلمّا رأتِ الملائكة ذلك ٨١ ـ ﴿قالُوا: يا لُوطُ، إنّا رُسُلُ رَبِّكَ. لَن يَصِلُوا إلَيكَ﴾ بسوء. ﴿فأسْرِ بِأهلِكَ بِقِطْعٍ﴾: طائفة ﴿مِنَ اللَّيلِ، ولا يَلتَفِتْ مِنكُم أحَدٌ﴾ لئلاّ يَرى عظيمَ ما ينزل بهم، ﴿إلاّ امرأتُكَ﴾ ـ بالرفع بدل من «أحدٌ»، ....

قولُه: (هيَ إتيَانُ الرِّجَالِ) فـ﴿السَّيِّئاتِ﴾ بمعنى الفواحشِ، والفاحشةُ: إتيانُهم الدُّبُرَ؛ يعني: فتمرَّنوا بها ولم يستحيُوا منها، حتَّى جاؤوا مُجاهرينَ.

قولُه: (فتزوَّجُوهُنَّ) فدا بهنَّ أضيافَهُ كَرامةً وحميةً، وكانُوا يطلبُونَه قبلُ فلا يُجيبُهم لخُبثِهم وعدمِ كفاءتِهم.

قولُه: (يأمُرُ) الظَّاهرُ: يهتدِي إلى الحقِّ ويرعَوِي عن القُبحِ.

قولُه: (طَاقَةٌ) أي: لو قَوِيتُ بنفسِي على دفعِكُم.

قولُه: (عَشِيرةٍ) أي: إلى قويٍّ أتمنَّعُ به عنكم، شبَّهَه برُكنِ الجبلِ في شدَّتهِ، ولذلك قالت الملائكةُ وقد وجدَتْ ـ أي: غضبَتْ ـ عليه: إنَّ ركنَكَ لشَديدٌ، وذلك لأنَّ كلامَه يدلُّ على إقناطٍ كلِّيٍّ مِن أن يكونَ له ناصرٌ، وقد قالَ تعالى: ﴿أليسَ اللهُ بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦] ومِن ثَمَّ قال ﷺ: «رحمَ اللهُ أخِي لوطاً، كانَ يأوي إلى رُكنٍ شَديدٍ»(١).

قالَ الطِّيبيُّ(٢): كأنَّه ﷺ استغربَ هذا القولَ منه، وعدَّه بادِرةً منه؛ إذْ لا ركنَ أشدُّ ممَّا كان يأوي إليه.

قولُه: (لَبطَشتُ بكُمْ) ودفعتُكم.

قولُه: (طائِفَةٍ) قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ: (فاسرِ) بهمزِ الوصلِ، والباقونَ بهمزِ القطعِ حيثُ جاء(٣).

قولُه: (بالرَّفع) مكِّيٌّ وبَصريٌّ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (٨/ ١٤٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٧).

(٤) انظر المصادر السابقة.

وفي قراءة بالنصب استثناءً من الأهل، أي: فلا تُسْرِ بها ـ ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا ما أصابَهُم﴾. فقيل: لم يخرج بها. وقيل: خرجتْ والتفتتْ، فقالت: واقوماه. فجاءها حجر فقتلها. وسألهم عن وقت هلاكهم، فقالوا: ﴿إِنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ﴾. فقال: أريد أعجَلَ من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيسَ الصُّبحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

٨٢ ـ ﴿فلَمّا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنا عالِيَها﴾ أي: قُراهم ﴿سافِلَها﴾ بأن رفعَها جِبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، ﴿وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ﴾: طينٍ طُبخ بالنار ﴿مَنضُودٍ﴾: متتابع، ٨٣ ـ ﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعلَمة عليها اسمُ من يُرمى بها، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرف لها. ﴿وما هِيَ﴾: الحجارةُ أو بلادُهم ﴿مِنَ الظّالِمِينَ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

٨٤ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه ـ ﴿مالَكُم مِن إلٰـهٍ غَيرُهُ ـ ولا تَنقُصُوا المِكيالَ والمِيزانَ ـ إنِّيَ أراكُم بِخَيرٍ﴾: نِعمة تُغنيكم عن التطفيف، ﴿وإنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾، إن لم تؤمنوا، ﴿عَذابَ يَومٍ مُحِيطٍ﴾ بكم يُهلككم..............................

قولُه: (مِنَ الأَهلِ) والأولى جعلُ الاستثناءِ في القراءتينِ عن قولِهِ: ﴿لا يلتفتْ﴾ كذا قالَه القاضِي[1]، فراجِعْه إن أردْتَ توضيحَهُ.

قولُه: (بِإِهلَاكِهِم) أو جاء عذابُنا.

قولُه: (بِأَنْ رفَعَها) فأسندَ إلى نفسِهِ من حيثُ إنَّه المسببُ تعظيماً للأمرِ.

قولُه: (إِلَى السَّمَاءِ) حتَّى سمعَ أهلُ السَّماء نُباحَ الكلابِ وصياحَ الدِّيَكةِ.

وقولُه تعَالى: (﴿وأمطرنا عليها﴾) أي: على المدُنِ، أو على شُذَّاذِها.

قولُه: (طِينٍ) مُتَحجِّرٍ، وأصلُه «سَنْكِ كِل» معرَّبٌ[2].

قولُه: (مُتَتابِعٍ) في الإرسالِ.

قولُه: (لَهَا) أيْ: لـ﴿مسوَّمة﴾ أي: في خزائنِهِ أو في حُكمِهِ.

قولُه: (الحِجَارةُ أو بلادُهُم) وتذكيرُ البعيدِ على تأويلِ الحجَرِ أو المكانِ.

قولُه: (الطَّفِيفِ) القليلِ الغيرِ التَّامِّ، وفي نسخةٍ: «التَّطفيفِ».

قولُه: (يُهلِكَكُم) لا يشُذُّ منه أحدٌ منكُم.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٣٢٧).

ووصفُ اليوم به مجاز، لوقوعه فيه ـ ٨٥ ـ ﴿ويا قَوم، أَوفُوا المِكيالَ والمِيزانَ﴾: أتمّوهما ﴿بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿ ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم﴾: لا تَنقُصوهم من حقّهم شيئًا، ﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره. من: عَثِيَ، بكسر المُثلّثة: أفسدَ. ومفسدين: حال مؤكِّدة لمعنى عاملها: تعثَوا. ٨٦ـ ﴿بَقِيّةُ اللهِ﴾: رِزقُه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيرٌ لَكُم﴾ من البخس، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ، وما أنا علَيكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيبٍ أُجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثتُ نذيرًا.

٨٧ ـ ﴿قالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يا شُعَيبُ، أَصَلَواتُكَ تأمُرُكَ﴾ بتكليفِ ﴿أن نَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام، ﴿أو﴾ نتركَ ﴿أن نَفعلَ في أموالِنا ما نَشاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داعي خير. ﴿إنَّكَ لَأنتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾. قالوا ذلك استهزاءً.

قولُه: (لوُقُوعِهِ فيهِ) والمرادُ: عذابُ يومِ القيامةِ، أو عذابُ الاستئصالِ.

قولُه: (أتمُّوهُما) ولو بزيادةٍ لا يتأتّى دونها.

قولُه: (لا تُنقِصُوهُم) تعميمٌ بعدَ تخصِيصٍ؛ فإنَّه أعمُّ مِن أن يكُونَ في المقدارِ أو في غيرِه كالمعدُودِ والمذرُوعِ والثَّمنِ، وكالخيانةِ والسَّرقةِ والغصْبِ.

قولُه: (حالٌ) وفائدةُ الحالِ إخراجُ ما يُقصَدُ به الإصلاحُ كما فعلَه الخَضِرُ، وقيل: المرادُ بالبَخْسِ: المَكسُ[1]، والعَثْوُ: السَّرقةُ، وقطعُ الطَّريقِ، والغارَةُ[2].

قولُه: (رِزْقُه البَاقِي) الأولى: ما أبقاهُ لكم مِن الحلالِ بعدَ التَّنزُّه عمَّا حرَّمَ عليكم، وقيل: البقيَّةُ: الطَّاعةُ؛ لقولِه تعالى: ﴿والباقيات الصّالحات﴾[الكهف: ٤٦] وقُرئ: (تقية اللهِ) بالتَّاءِ[3]، وهي تقواهُ التي تكُفُّ عن المعَاصِي.

قولُه: (أُجازِيكُم) أو أحفظُكُم عن القبائحِ.

قولُه: (بتكلِيفِ) فحذفَ المضافُ؛ لأنَّ الرَّجلَ لا يُؤمَرُ بفعلِ غيرِه، و«صلاتك» بالتَّوحيدِ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ[4].

قولُه: (نَترُكَ) إشارةٌ إلى أنّه عطفٌ على ﴿ما﴾ أي: أو أن نترُكَ فعلَنا ما نشاءُ في أموالِنَا.

قولُه: (قالُوا ذلكَ) وقصَدُوا وصفَهُ بضدِّ ذلك مِن السَّفهِ والضَّلالِ.

---

(١) انظر: «تاج العروس» (١٥/ ٤٣٧).

(٢) انظر المصدر السابق: (٥/ ٣٠٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٥) ونسبت للحسن ومجاهد وابن عباس.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٨).

٨٨ ـ ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ، أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي، وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾: وأذهبَ ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي﴾: قُدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجِعُ ـ ٨٩ ـ ﴿وَيَا قَوْمِ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يُكسِبَنَّكم ﴿شِقَاقِي﴾: خِلافي، فاعلُ «يَجرِم» والضمير مفعول أوّل، والثاني: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ، أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ـ ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي: منازلُهم أو زمنُ هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾. فاعتبِروا ـ ٩٠ ـ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمُؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾: مُحبّ لهم.

قولُه: (حَلَالاً) والضَّميرُ في ﴿منه﴾ للهِ تعالى؛ أي: مِن عندِه وبإعانتِهِ بلا كدٍّ منِّي في تحصيلِهِ.

قولُه: (أفأَشُوبُه) إشارةٌ إلى أنَّ جوابَ الشَّرطِ محذوفٌ.

قولُه: (وأَذْهبَ) وقالَ القاضِي[1]: ما أريدُ أن آتيَ ما أنهاكُم عنه.

قولُه: (لكُم بالعَدْلِ) أي: ما أريدُ إلَّا أن أصلِحَكم بأمْرِي بالمعروفِ ونهْيي عن المنكرِ ما دُمْتُ أستطيعُ الإصلاحَ، و﴿ما﴾ مصدَريةٌ واقعةٌ موقعَ الظَّرفِ، وقيل: خبريَّةٌ بدلٌ مِن ﴿الإصلاح﴾ أي: المقدارَ الذي استطعتُه.

قولُه: (قُدرَتِي) وفي «المدارِكِ»[2]: كَوني موفَّقاً.

قولُه: (أرجِعُ) إشارةٌ إلى مَعْرفةِ المعادِ، كما أنَّ ما قبلَه إشارةٌ إلى محضِ التَّوحيدِ الذي هو أقصَى مراتبِ العلمِ بالمبدَإِ.

قولُه: (خِلافِي) أي: معاداتِي، وقولُ البيضاويِّ[3]: وعن ابنِ كثيرٍ: (يُجرِمَنَّكم) بالضَّمِّ. لا يصِحُّ[4].

قولُه: (مِنَ العَذَابِ) أي: الغرَقِ والرِّيحِ والرَّجفَةِ.

قولُه: (فاعتَبِرُوا) بهم إنْ لم تعتَبروا بمَن قبلَهم، وإفرادُ البَعيدِ للفْظِ ﴿قوم﴾ أو لأنَّ المرادَ: وما إهلاكُهُم، أو ما هُم بشَيءٍ بعيدٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٧٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٦).

(٤) وإنما جاء: (يُجرِمَنَّكم) في قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٣٨) ونسبت لابن مسعود والأعمش.

٩١ ـ ﴿قالُوا﴾ إيذانًا بقِلّة المُبالاة: ﴿يا شُعَيبُ، ما نَفقَهُ﴾: نفهم ﴿كَثِيرًا مِمّا تَقُولُ، وإنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفًا﴾: ذليلاً، ﴿ولَولا رَهطُكَ﴾: عشيرتك ﴿لَرَجَمْناكَ﴾ بالحِجارة، ﴿وما أنتَ عَلَينا بِعَزِيزٍ﴾: كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعِزّة.

٩٢ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، أرَهطِيَ أعَزُّ علَيكُم مِنَ اللهِ﴾، فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله، ﴿واتَّخَذتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَراءَكُم ظِهرِيًّا﴾: منبوذًا خلف ظُهوركم، لا تُراقبونه؟ ﴿إنَّ رَبِّي بِما تَعمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عِلمًا فيُجازيكم. ٩٣ ـ ﴿ويا قَومِ، اعمَلُوا علَى مَكانَتِكُم﴾: حالتِكم ـ ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿سَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾: موصولة مفعول العِلم ﴿يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ومَن هُوَ كاذِبٌ ـ وارتَقِبُوا﴾: انتظروا عاقبة أمركم. ﴿إنِّي مَعَكُم رَقِيبٌ﴾: منتظر.

٩٤ ـ ﴿ولَمّا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّينا شُعَيبًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمةٍ مِنّا، وأخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحةُ﴾ صاحَ بهم جبريل، ﴿فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمِينَ﴾ باركين على الرُّكب ميّتِينَ، ٩٥ ـ ﴿كأنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: كأنّهم ﴿لَم يَغنَوا﴾: يُقيموا ﴿فِيها. ألا بُعدًا لِمَديَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

٩٦ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: برهانٍ بيّنٍ ظاهرٍ..........

قولُه: (إِيذاناً...) إلخ؛ أي: استِهَانةً بكلامِهِ.

قولُه: (نفهَمُ) كوجُوبِ التَّوحيدِ وحُرمةِ البَخْسِ، أو ما نفْهَم صحَّةَ ما تقولُ؛ إذ كيفَ لا ينْفَهِم وهو خطيبُ الأنبياءِ؟!

قولُه: (هُم الأعِزَّةُ) عندَنا لكونِهم على ملَّتِنَا، لا لخوفٍ مِن شوكتِهِم؛ فإنَّ الرَّهطَ من الثَّلاثةِ إلى العَشَرةِ.

قولُه: (أي: اللهَ) يعني: جعَلْتُموه.

قولُه: (مَنبُوذاً) كالمَنْسِيِّ المنبُوذِ، و﴿ظِهرِيًّا﴾ منسُوبٌ إلى الظَّهرِ والكسرِ من تغييراتِ النَّسبِ.

قولُه: (مَوصُولَةٌ) ﴿ومن هو﴾ عطفٌ عليهِ؛ أي: مَن هو كاذبٌ يستحِقُّ العذابَ، أو صدقَ مَن هو كاذبٌ في زعمِكُم.

قولُه: (ظَاهِرٍ) هو العصا، وإفرادُها لأنَّها أبهرُها، والمرادُ بالآياتِ: المعجزاتُ، وقولُ البيضاويِّ[1]: بالتَّوراةِ. غيرُ صحيحٍ؛ إذ نزُولُها إنَّما كان بعدَ هلاكِ فرعونَ؛ لقولِه تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأُولى﴾ [القصص: ٤٣] أي: فرعونَ وقومَه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٧).

٩٧ ـ ﴿إِلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاتَّبَعُوا أمرَ فِرعَونَ، وما أَمرُ فِرعَونَ بِرَشِيدٍ﴾: سديد. ٩٨ ـ ﴿يَقدُمُ﴾: يتقدّم ﴿قَومَهُ يَومَ القِيامةِ﴾، فيتّبعونه كما اتّبعوه في الدنيا، ﴿فأورَدَهُمُ﴾: أدخلَهم ﴿النّارَ، وبِئسَ الوِردُ المَورُودُ﴾ هي! ٩٩ ـ ﴿وأُتبِعُوا في هذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنةً، ويَومَ القِيامةِ﴾ لعنةً، ﴿بِئسَ الرِّفدُ﴾: العونُ ﴿المَرفُودُ﴾ رِفدُهم!

١٠٠ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبرُه: ﴿مِن أنباءِ القُرَى، نَقُصُّهُ علَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿مِنها﴾ أي: القُرى ﴿قائمٌ﴾: هَلَكَ أهله دونه، ﴿و﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾: هلَكَ بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمَناجل. ١٠١ ـ ﴿وما ظَلَمْناهُم﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿ولكِن ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالشِّرك، ﴿فما أغنَتْ﴾: دفعتْ ﴿عَنهُم آلِهَتُهُمُ الّتِي يَدعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ! لَمّا جاءَ أمرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه، ﴿وما زادُوهُم﴾ بعِبادتهم لها ﴿غَيرَ تَتبِيبٍ﴾: تخسير.

١٠٢ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: مِثلُ ذلك الأخذِ ﴿أَخذُ رَبِّكَ، إذا أخَذَ القُرَى﴾ ـ أُريدَ أهلُها ـ ﴿وهِيَ ظالِمةٌ﴾ بالذنوب، أي: فلا يغني عنهم من أخذِه شيء. ﴿إنَّ أخذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. روى الشيخان عن أبي مُوسَى الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُملِي لِلظّالِمِ، حَتّى إذا أخَذَهُ لم يُفلِتْهُ»، ثم قرأ ﷺ: «وكَذلِكَ أخذُ رَبِّكَ» الآيَة...

قولُه: (سَدِيدٍ) أي: بمُرشِدٍ، أو ذي رُشدٍ، وإنَّما هو غَيٌّ محضٌ وضلالٌ صريحٌ.

قولُه: (هيَ) أي: بئسَ الموردُ الَّذي وردوه فإنَّه يُرادُ لتبريدِ الأكبادِ، وتسكينِ العطشِ، والنَّارُ بالضِّدِّ.

قولُه: (رِفدُهُم) أي: بئسَ العونُ المعانُ، والعطاءُ المعطَى، والمخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ؛ أي: رِفدُهُم؛ وهو اللَّعنةُ في الدَّارين.

قولُه: (المَذكُورُ) الأولى: النَّبأ.

قولُه: (خبرُهُ ﴿مِن أَنبَاء﴾) و﴿نقصه﴾ خبرٌ بعدَ خبرٍ؛ أي: مقصُوصٌ.

قولُه: (أي: القُرَى) من تلكَ القرَى باقٍ كالزَّرعِ القائمِ، والجملةُ مستأنفةٌ.

قولُه: (دفعَتْ) ونفعَتْ.

قولُه: (عذابُهُ) أو بعذابِهِ.

قولُه: (تخسِيرٍ) أو هلاكٍ.

قولُه: (بالذُّنُوبِ) حالٌ مِن ﴿القُرى﴾.

قولُه: (لَم يُفلِتْهُ) الإفلاتُ: التَّخلُّصُ فجأةً.

١٠٣ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ من القِصص ﴿لَآيَةً﴾: لَعِبرةً ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ. ذَٰلِكَ﴾ أي: يومُ القِيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ، وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: يشهده جميع الخلائق، ١٠٤ ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: لوقت معلوم عند الله.

١٠٥ ـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليومُ ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى. ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلقِ ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾، كُتب كُلٌّ في الأزل.

١٠٦ ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿فَفِي النَّارِ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾: صوت ضعيف، ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مُدّةَ دوامهما في الدنيا، ﴿إِلَّا﴾: غيرَ ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مُدّتهما ممّا لا مُنتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبدًا ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ـ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾،.........

قولُه: (أي: يومُ القِيامَةِ) وعذابُ الآخرَةِ.

قولُه: (يَشهَدُهُ) قالَ القاضِي[1]: أي: مشهُودٌ فيه أهلُ السَّمواتِ والأرضينَ، فاتُّسِعَ فيه بإجراءِ الظَّرفِ مجرَى المفعولِ، ولو جُعِلَ اليومُ مشهوداً في نفسِهِ لبطَلَ الغرضُ من تعظيمِ اليومِ وتميُّزِه، فإنَّ سائرَ الأيَّام كذلكَ انتهى.

قلتُ: هذه شهادةٌ مِن اللهِ على أنَّ الخلائقَ جميعاً يشهدونَه ويحضرونَهُ، فأيُّ تعظيمٍ أعظمُ مِن هذا وهو متضمِّنٌ للوعدِ والوعيدِ بأبلغِ وجهٍ.

قولُه: (ذلكَ اليَومُ) فـ﴿يوم﴾ بمعنى: حينَ، أو ﴿يومَ يأتي﴾ الجزاءُ أو اللهُ؛ أي: أمرُه، وأثبتَ الياءَ نافعٌ وأبو عمرٍو والكِسائيُّ وصلاً، وابنُ كثيرٍ مطلقاً[2].

قولُه: (فيهِ حَذفُ إحدَى التَّاءَينِ) وكذا قرأَ البَزِّيُّ بإدغامِه وصلاً[3].

قولُه: (أي: الخَلقِ) يعني: الضَّميرُ لأهلِ الموقفِ وإن لم يُذكَرْ؛ لأنَّه معلومٌ مدلولٌ عليهِ بقولِه: ﴿لا تكلم﴾ أو للنَّاسِ.

قولُه: (صَوتٌ ضَعِيفٌ) الزَّفيرُ إخراجُ النَّفَس، والشَّهيقُ ردُّه، واستعمالُهما في أوَّلِ النَّهيقِ وآخرِه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٨).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

بفتح السين وضمّها، ﴿فَفِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأرضُ، إلاّ﴾: غيرَ ﴿ما شاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدَم، ودلّ عليه فيهم قوله ﴿عَطاءً غَيرَ مَجذُوذٍ﴾: مقطوع. وما تقدّم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلف. والله أعلم بمُراده.

١٠٩ ـ ﴿فلا تَكُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿في مِرْيَةٍ﴾: شكّ ﴿مِمّا يَعبُدُ هؤُلاءِ﴾ من الأصنام، أنّما نُعذّبهم كما عذّبنا مَن قبلهم. وهذا تسلية للنبيّ. ﴿ما يَعبُدُونَ إلاّ كَما يَعبُدُ آباؤُهُم﴾ أي: كعِبادتهم ﴿مِن قَبلُ﴾، وقد عذّبناهم، ﴿وإنّا لَمُوَفُّوهُم﴾ مِثلَهم ﴿نَصِيبَهُم﴾: حظَّهم من العذاب ﴿غَيرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: تامًّا.

١١٠ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿فاختُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقُرآن ـ....

قولُه: (وضَمِّها) حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ[١]، وقولُ أبي البقاءِ[٢]: الضمُّ ضعيفٌ. ضعيفٌ لقوَّةِ المتواتِر، ولقولِهم: مسعودٌ.

قولُه: (هُو الَّذِي ظَهرَ) المتبادرُ منه أنَّ هذا التَّأويلَ[٣] ظهرَ له خاصَّةً، وليسَ كذلك؛ فإنَّ البيضاويَّ[٤] ذكرَه بـ«قيلَ»، وكذا البغويُّ[٥].

قولُه: (يا محمَّد) الخطابُ له، والمرادُ غيرُه، أو الخطابُ للشَّاكِّ، أو الخطابُ له عليه السَّلامُ، والمرادُ به الثَّباتُ والدَّوامُ.

قولُه: (منَ الأَصْنَامِ) يريدُ: أنّه بيانُ ﴿ما يعبد﴾ والظَّاهرُ أنَّ ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ؛ أي: من عبادةِ هؤلاءِ المشركينَ في أنّها ضلالٌ مؤدٍّ إلى مثلِ ما حلَّ بمَن قبلَهُم ممَّن قصصْتُ عليك سوءَ عاقبتِهم.

قولُه: (أنَّا نعذِّبُهُم) أي: لا تكُ في شكٍّ في أنّا نعذِّبُهم، وفي نسخةٍ: «أنّما يُعذِّبُهم» وهو تصحيفٌ.

وقولُه تعالى: (﴿إلَّا كمَا يعبدُ﴾) أي: كما كانَ، فحُذِفَ لِدلالةِ ﴿قَبْلُ﴾ عليه.

قولُه: (وقَدْ عذَّبنَاهُمْ) أي: من قبلِهم، وهذا تسليةٌ للنبيِّ ﷺ وأحبابِه، وتهديدٌ ووعيدٌ لأعدائِه.

قولُه: (مِثْلَهُمْ) أي: مثلَ مَن قبلَهُم، وفي نسخةٍ: «مُنِيلهم» بضمِّ الميم وكسر النُّون، وهو تصحيفٌ.

قولُه: (كالقُرآنِ) أي: كما اختلفَ هؤلاءِ في القُرآنِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٤٨).

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٧١٥).

(٣) أي قوله: ﴿إلا﴾ غير ﴿ما شاء ربك﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٩).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٤٦٦).

﴿ولَولا كَلِمةٌ سَبقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الحِساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ في الدنيا، فيما اختلفوا فيه ـ ﴿وإنَّهُم﴾، أي: المكذِّبين به، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الرِّيبة، ١١١ ـ ﴿وإنَّ﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿كُلًّا﴾ أي: كُلَّ الخلائق ﴿لَما﴾ ـ ما: زائدةٌ، واللام: مُوطِّئةٌ لقسم مُقدّر، أو فارقةٌ. وفي قراءة بتشديد «لَمّا» بمعنى: إلاّ. فإنْ: نافيةٌ ـ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها. ﴿إنَّهُ بِما يَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم ببواطنه كظواهره.

١١٢ ـ ﴿فاستَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربّك والدُّعاء إليه ﴿كَما أُمِرْتَ، و﴾ لْيستقم ﴿مَن تابَ﴾:.....

قولُه: (فِي الدُّنيَا) بإنزالِ ما يستحقُّه المبطلُ يتميَّزُ به عن المحقِّ.

قولُه: (فِيهِ) أي: في القُرآنِ، أو في يومِ القيامةِ.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) الحرميَّان وأبو بكرٍ[1] على أنَّ ﴿إن﴾ مخفَّفةٌ من الثَّقيلة، وعملَتْ في ﴿كُلًّا﴾ اعتباراً للأصلِ.

قولُه: (كلَّ الخَلَائقِ) والتَّنوينُ بدلٌ من المضافِ إليه.

قولُه: (زائِدَةٌ) أي: بين اللَّامين للفصلِ.

قولُه: (واللَّامُ) أي: الأُولى موطِّئةٌ، والثَّانيةُ للتَّأكيدِ، أو بالعكسِ.

قولُه: (لقَسَمٍ مُقدَّر) وفي نسخةٍ: «عن قَسَمٍ مقدَّر».

قولُه: (أَو فارِقَةٌ) يعني: على قراءةِ تخفيفِ ﴿إن﴾.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لشاميٍّ وعاصمٍ وحمزةَ[2].

قولُه: (فـ﴿إنْ﴾ نافِيَةٌ) يعني: على قراءةِ تخفيفِ ﴿إن﴾ وأمَّا على التَّشديدِ فأصلُه: لَمِنَ ما، فقُلِبت النُّونُ ميماً للإدغامِ، فاجتمعَتْ ثلاثُ ميماتٍ، فحُذِفَ أولاهُنَّ، والمعنى: لَمِنَ الذين يوفينَّهم أو لخلقٍ.

قولُه: (عَلَى العَمَلِ بأَمرِ ربِّكَ) ولصُعوبتِه قال ﷺ: «شيَّبتني هودٌ» رواه التِّرمذيُّ وحسَّنه[3].

قولُه: (﴿و﴾ لْيَسْتقِمْ) عطفٌ على المستكنِّ في ﴿استقم﴾ وإن لم يؤكَّدْ بمنفصلٍ، لقيامِ الفاصلِ مقامَه، والمعنى: وليستقِمْ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

آمن ﴿مَعَك، ولا تَطْغَوا﴾: تُجاوِزوا حُدود الله ـ ﴿إِنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به ـ ١١٣ ـ ﴿ولا تَركَنُوا﴾: تَميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودّة أو مُداهنة أو رضًا بأعمالهم، ﴿فتَمَسَّكُمُ﴾: تُصيبَكم ﴿النَّارُ، وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿أَولِياءَ﴾ يحفظونكم منه، ﴿ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾: تُمنعون من عذابه.

١١٤ ـ ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ﴾: الغداةَ والعشيَّ، أي: الصُّبحَ والظهرَ والعصر، ﴿وزُلَفًا﴾: جمعُ زُلْفةٍ أي: طائفةٍ ﴿مِنَ اللَّيلِ﴾،..

قولُه: (آمنَ) أي: تابَ مِن الشِّرك وآمنَ.

قولُه: (تَمِيْلُوا) أدنى مَيلٍ، فإنَّ الرُّكونَ هو الميلُ اليسيرُ.

قولُه: (بمَوَدَّةٍ) بيانُ الميلِ.

قولُه: (تُصِيبَكُم) بركونِكُم إليهم، وإذا كان الرُّكونُ إلى مَنْ وُجِدَ منه ما يُسمَّى ظلماً كذلك فما ظنُّكَ بالرُّكونِ إلى الظَّالمينَ الموسُومينَ بالظُّلمِ، ثمَّ بالميلِ إليهم كلَّ الميلِ، ثمَّ بالظُّلمِ نفسهِ والانهماكِ فيهِ؟ ولعلَّ الآيةَ أبلغُ ما يُتصوَّرُ في النَّهي عن الظُّلمِ والتَّهديدِ عليه، وخطابُ الرَّسولِ ومَن معَه مِن المؤمنينَ بها للتَّثبيتِ على الاستقامةِ التي هي العدلُ، فإنَّ الزَّوالَ عنها بالميلِ إلى أحدِ طرفَي إفراطٍ وتفريطٍ ظلمٌ على نفسهِ أو غيرِه، بل ظلمٌ في نفسهِ.

قال القطبُ الرَّبانيُّ الشَّيخ عبدُ الكبيرِ اليَمانيُّ لبعضِ مشايخِ العَجمِ: ما الظُّلمُ؟ فقال: قال العلماءُ: الظُّلمُ وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضِعِه، فقال الشَّيخُ: مَن وضَعَ في قلبِهِ غيرَ ذكرِ اللهِ وحبِّه فقد ظلمَ نفسَه، ولذا قال العارِفُ[1]:

ولــو خطــرَتْ لــي فــي سِــواكَ إرادةٌ ... عَلــى خَاطِـري سَـهْواً حكمْـتُ بِردَّتـي

وسأَلَ خيَّاطٌ ابنَ المباركِ وقال: إنِّي أخيطُ للظَّلَمةِ، فهل أكونُ مِن أعوانِهم؟ فقال: لا، أنت مِن الظَّلَمَةِ، وأمَّا مَن يبيعُكَ الخيطَ والإبرةَ فهو مِن أعوانِهم[2]. وإنَّما أكثرْتُ هنا الكلامَ لكثرةِ الظُّلمِ في هذه الأيَّامِ، والميلِ إلى الظَّلَمةِ مِن الأنامِ.

قولُه: (والظُّهْرَ والعَصرَ) لأنَّ ما بعدَ الزَّوالِ عشيٌّ.

قولُه: (أي: طَائفةٍ) أي: ساعاتٍ منه قريبةً مِن النَّهارِ.

---

(١) هو ابن الفارض، انظر: «ديوانه» (ص: ٥٢).

(٢) ذكره أبو طالب في «قوت القلوب» (٢/ ٤٣٤)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ١١٦).

وذكره الذهبي في «الكبائر» (ص: ١١٢)، وابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (٢/ ٢٠٢)، ولكن من قول سفيان الثوري.

أي: المغربَ والعِشاءَ ـ ﴿إنَّ الحَسَناتِ﴾، كالصلوات الخمس، ﴿يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾: الذنوبَ الصغائر. نزلتْ فيمن قَبَّلَ أجنبيّة فأخبره ﷺ، فقال ألِيَ هذا؟ قال: «لِجَمِيعِ أُمّتِي كُلِّهم». رواه الشيخان. ﴿ذلِكَ ذِكرَى لِلذّاكِرِينَ﴾: عِظةٌ للمُتّعظين ـ ١١٥ ـ ﴿واصبِرْ﴾، يا مُحمّد، على أذى قومك أو على الصلاة. ﴿فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

١١٦ ـ ١١٧ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿كانَ مِنَ القُرُونِ﴾: الأُممِ الماضية ﴿مِن قَبلِكُم أُولُو بَقِيّةٍ﴾: أصحابُ دِين وفضل، ﴿يَنهَونَ عَنِ الفَسادِ في الأرضِ﴾، المُرادُ به النفيُ أي: ما كان فيهم ذلك، ﴿إلاّ﴾: لكنّ ﴿قَلِيلاً مِمَّن أنجَينا مِنهُم﴾ نهَوا فنجَوا ـ ومِن: للبيان ـ ﴿واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وتركِ النهي ﴿ما أُترِفُوا﴾: نَعِموا ﴿فِيهِ، وكانُوا مُجرِمِينَ، وما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ﴾ منه لها، ﴿وأهلُها مُصلِحُونَ﴾: مُؤمنون.

قولُه: (عِظةٌ) والإشارةُ إلى قولُه: ﴿فاستقم﴾ فما بعدَه، وقيلَ: إلى القُرآنِ.

قولُه: (أو عَلى الصَّلاةِ) أو على حُكمِنا.

قولُه: (فهلّا) للتَّنديمِ.

قولُه: (وفَضلٍ) سُمّيَ ﴿بقيّةٍ﴾ لأنَّ الباقيَ مِن النَّاسِ إنَّما هو الدِّينُ والفضلُ والإحسانُ، وقيل: أولُو بقيّةٍ مِن الرَّأيِ والعقلِ.

قولُه: (لكنَّ) قال البيضاويُّ[1]: لكنَّ قليلاً منهم أنجيناهُم؛ لأنَّهم كانوا كذلك، ولا يصحُّ اتصالُه إلَّا إذا جُعِلَ استثناءً من النَّفي اللَّازمِ للتَّحضيضِ. انتهى.

والعجَبُ أنَّ الشَّيخَ حملَ التَّحضيضَ على النَّفي، وجعلَ الاستثناء منقطعاً.

قولُه: (و﴿مِن﴾ للبيَانِ) أي ﴿مِن﴾ الأُولى.

قولُه: (نَعِمُوا) فيه من الشَّهواتِ، واهتمُّوا بتحصيلِ أسبابِها، وأعرَضوا عمَّا وراءَ ذلك.

قولُه: (منهُ) أي: من اللهِ، فـ﴿بظلم﴾ حالٌ من الفاعلِ؛ أي: لا يصحُّ أن يُهلِكَ اللهُ القُرى ظالماً لها وأهلُها قومٌ مصلحونَ؛ تنزيهاً لذاتِهِ عن الظُّلمِ، والأظهرُ تفسيرُ الظُّلمِ بالشِّركِ، والصَّلاحِ بعدمِ الفسادِ والتَّباغِي، وذلك لفَرطِ رحمتِهِ ومسامحتِهِ في حقوقِهِ، ومِن ذلك قدَّمَ الفقهاءُ عندَ تزاحُمِ الحقُوقِ حقوقَ العبادِ، وقيل: الملكُ يبقَى معَ الكفرِ، ولا يبقَى مع الظُّلمِ؛ أي: التَّعدِّي على الغيرِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٥٢).

١١٨ ـ ﴿ولَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحِدةً﴾: أهلَ دِين واحد، ﴿ولا يَزالُونَ مُختَلِفِينَ﴾ في الدِّين ـ ١١٩ ـ ﴿إلاّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه. ﴿ولِذلِكَ خَلَقَهُم﴾ أي: أهلَ الاختلاف له وأهلَ الرحمة لها، ﴿وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ﴾، وهي ﴿لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ﴾: الجنّ ﴿والنّاسِ أجمَعِينَ﴾.

١٢٠ ـ ﴿وكُلًّا﴾ نُصبَ بـ «نقصّ»، وتنوينه عوضٌ من المضاف إليه، أي: كلَّ ما يُحتاج إليه ﴿نَقُصُّ علَيكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ، ما﴾: بدل من «كلًّا» ﴿نُثَبِّتُ﴾: نُطَمِّنُ ﴿بِهِ فُؤادَكَ﴾: قلبك، ﴿وجاءَكَ في هذِهِ﴾: الأنباءِ أو الآياتِ ﴿الحَقُّ ومَوعِظةٌ وذِكرَى لِلمُؤمِنِينَ﴾. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكُفّار.

١٢١ ـ ﴿وقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ: اعمَلُوا علَى مَكانَتِكُم﴾: حالتكم ـ ﴿إنّا عامِلُونَ﴾ على حالتنا، تهديدٌ لهم ـ ١٢٢ ـ ﴿وانتَظِرُوا﴾ عاقبة أمركم. ﴿إنّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

قولُه: (أهلَ دِينٍ واحِدٍ) مسلمينَ كلَّهم.

قولُه: (فيهِ) أي: في أصلِ الدِّين الحقِّ.

قولُه: (أي: أهلَ الاختِلَافِ) فالإشارةُ إلى الاختلافِ والرَّحمةِ، والضَّميرُ للنَّاس، وقيل: الإشارةُ إلى الاختلافِ، واللَّامُ للعاقبةِ، وقيل: الضَّميرُ لـ﴿مَن﴾ والإشارةُ إلى الرَّحمةِ.

قولُه: (وهيَ) يعنِي: قولَه للملائكَةِ.

قولُه: (الجِنِّ) أي: من عُصاتِهِمَا أجمعينَ، أو منهما أجمعينَ لا مِن أحدِهما.

قولُه: (يُحتَاجُ إلَيهِ) بالخطابِ، أو الياءِ وهو أعمُّ.

وقولُه تعَالى: (﴿مِن أنباء﴾) بيانٌ لـ﴿كلًّا﴾ أو حالٌ من مفعولِ ﴿نقص﴾.

قولُه: (بدَلٌ) يعني: الموصُولَ بصلتِهِ.

قولُه: (نُطمِّنُ) ما وجدتُ له أصلاً في اللُّغة، فهو تفسيرٌ بما هو أغرَبُ كما لا يخفَى، فالأولى أن يفسَّرَ ﴿نثبت﴾ بـ: نقوِّي ونسكِّن.

قولُه: (الأَنباءِ) المقتصَّةِ عليك.

قولُه: (أو الآيَاتِ) أو السُّورةِ.

وقولُه تعالى: (﴿الحقُّ﴾) أي: ما هو الحقُّ.

قولُه: (ذلكَ) أي: عاقبةَ أمرِكُم، أو عاقبةَ أمرِنَا.

١٢٣ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿وإلَيهِ يَرجِعُ﴾، بالبناء للفاعل: يَعودُ، وللمفعول: يُردّ ﴿الأمرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم ممّن عصى. ﴿فاعبُدْهُ﴾: وحِّدْه، ﴿وتَوَكَّلْ عليهِ﴾: ثقْ به. فإنه كافيكَ. ﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، وإنّما يُؤخّرهم لوقتهم. وفي قراءة بالفَوقانيّة.

قولُه: (يَعُودُ) ويصيرُ.

قولُه: (وللمَفعُولِ) نافعٌ وحفصٌ[١].

قولُه: (يُرَدُّ) مجهُولٌ.

قولُه: (فينتَقِمُ) ويُنعِمُ على مَن أطاعَ.

قولُه: (وحِّدْهُ) يحتملُ احتمالَينِ.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وحفصٍ[٢].

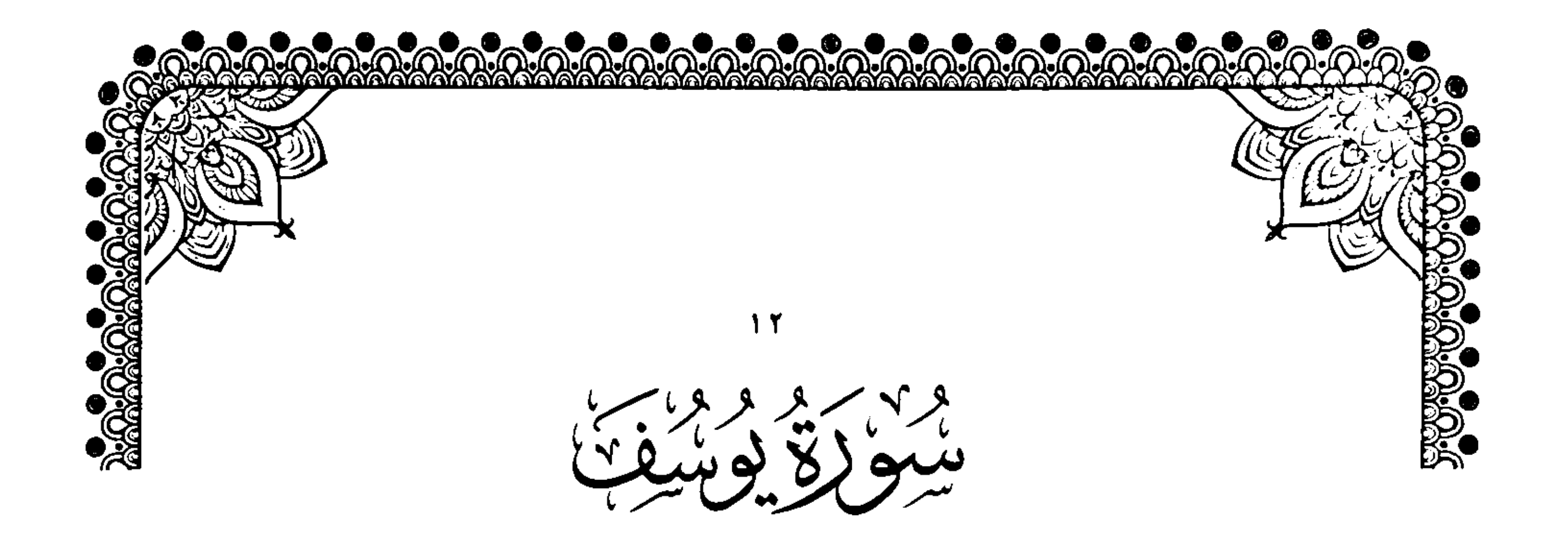
قولُه: (بالفَوقَانيَّة) أي: أنتَ وهُم، فيُجَازِي كلًّا ما يستحقُّه، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.



مكية، مِائَةٌ وإحدى عشْرَةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلْكَ﴾: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآن ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ ﴿المُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحقَّ من الباطل. ٢ ـ ﴿إنّا أنزَلْناهُ قُرآنًا عَرَبيًّا﴾ بلغة العرب، ﴿لَعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿تَعقِلُونَ﴾: تفقهون معانيَه.

٣ ـ ﴿نَحنُ نَقُصُّ علَيكَ أحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا﴾: بإيحائنا ﴿إلَيكَ هذا القُرآنَ، وإنْ﴾: مُخفَّفةٌ أي: وإنّه ﴿كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ﴾. ٤ ـ اذكرْ ﴿إذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوبَ: ﴿يا أَبَتِ﴾........

سُورَةُ يُوسُفَ

عليه السَّلامُ

قولُه: (المُبيِّن) بتشديدِ الياءِ، وفي نسخةٍ: «المُظهِر» والضَّميرُ في قولِه تعَالى: (﴿إنا أنزلناه﴾) للكتابِ، و﴿قرآنا﴾ حالٌ؛ لأنَّه مصدرٌ بمعنى مفعُولٍ، و﴿عربياً﴾ صفةٌ لهُ.

قولُه: (بإيحَائِنا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ، و﴿القَصَص﴾ مصدرٌ بمعنى المقصُوصِ، وأمَّا جمعُ القصَّة فهو بكسرِ القافِ.

قولُه: (يعقُوبَ) وليوسُفَ اثنتا عشرةَ سنةً.

ـ بالكسرِ دلالةً على ياء الإضافة المحذوفة، والفتحِ دلالةً على ألف محذوفة قُلبت عن الياء ـ ﴿إنِّي رأيتُ﴾ في المنام ﴿أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشَّمسَ والقَمَر رأيتُهم﴾، تأكيد، ﴿لِي ساجِدِينَ﴾. جُمِع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صِفات العُقلاء.

٥ ـ ﴿قالَ: يا بُنَيِّ، لا تَقصُص رُؤياكَ علَى إخوَتِكَ، فيَكِيدُوا لَكَ كَيدًا﴾: يحتالوا في هلاكك حسدًا لعِلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمسَ أُمّك والقمرَ أبوك. ﴿إنَّ الشَّيطانَ لِلإنسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة. ٦ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما رأيتَ ﴿يَجتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ، ويُعَلِّمُكَ مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا، ﴿ويُتِمُّ نِعمَتَهُ علَيكَ﴾ بالنبوّة، ﴿وعلَى آلِ يَعقُوبَ﴾: أولادِه، ﴿كَما أتَمَّها﴾ بالنبوّة ﴿علَى أبَوَيكَ مِن قَبلُ إبراهِيمَ وإسحاقَ. إنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم.

٧ ـ ﴿لَقَد كانَ في﴾ خبرِ ﴿يُوسُفَ وإخوَتِهِ﴾ ـ وهم أحدَ عشرَ ـ ﴿آياتٌ﴾:........

قولُه: (بالكَسرِ) قراءةُ غيرِ الشَّاميِّ[1]، أصلُه: يا أبي، عوَّضَ عن الياء تاءَ التَّأنيثِ، ثمَّ كُسِرَت.

قولُه: (تأكِيدٌ) قالَ القاضِي[2]: استئنافٌ لبيانِ حالِهم التي رآهُم عليها، فلا تكريرَ.

قولُه: (للوَصْفِ) أو لاعتبارِ المعنَى التَّعبيريِّ.

قولُه: (فِي هلاكِكَ) الأظهرُ: لإهلاكِكَ.

قولُه: (والشَّمْسَ أمُّكَ) كأنَّه راعى المناسبةَ بينهما أنَّ الشَّمسَ مؤنَّثٌ سماعيٌّ، وإلَّا فباعتبارِ ظُهُورِ نورِها ينبغِي أن نعبِّرَ عنها بأبيهِ؛ لأنَّه نبيُّ اللهِ ورسولُه.

قولُه: (كمَا رأَيتَ) أي: كما اجتباكَ لمثلِ هذه الرُّؤيةِ الدَّالَّةِ على شرفٍ وعزٍّ وكمالِ نفسٍ.

قولُه: (يَختارُكَ) للنُّبوَّةِ والملكِ، أو لأمورٍ عظامٍ.

قولُه: (تَعبِيرِ الرُّؤيَا) لأنَّها أحاديثُ الملَكِ إن كانت صادقةً، وأحاديثُ النَّفسِ أو الشَّيطانِ إن كانت كاذبةً، فقولُه: ﴿ويعلِّمُكَ﴾ كلامٌ مبتدأٌ خارجٌ عن التَّشبيهِ، كأنَّه قيل: وهو يعلِّمُك، أو ﴿من تأويلِ﴾ غوامضِ كتُبِ اللهِ وسننِ الأنبياءِ وكلماتِ الحكماءِ، فعلى هذا يكونُ داخلاً في التَّشبيهِ.

قولُه: (بالنُّبوَّة) أو بأن يصلَ نعمةَ الدُّنيا بنعمةِ الآخرَةِ.

قولُه: (أَولَادِه) أي: سائرِ بنيهِ، ولعلَّه استدلَّ على نبوَّتِهم بضوءِ الكواكِبِ، أو المرادُ: نسلُه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٥٥).

عِبرٌ ﴿لِلسّائِلِينَ﴾ عن خبرهم، ٨ ـ اذكرْ ﴿إذ قالُوا﴾ أي: بعضُ إخوةِ يُوسف لبعضهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾: مبتدأ ﴿وأخُوهُ﴾: شقيقه بِنيامِينُ ﴿أحَبُّ﴾: خبرٌ ﴿إلَى أبِينا مِنّا، ونَحنُ عُصْبةٌ﴾: جماعة. ﴿إنَّ أبانا لَفِي ضَلالٍ﴾ خطأٍ ﴿مُبِينٍ﴾: بيّنٍ بإيثارهما علينا. ٩ ـ ﴿اقتُلُوا يُوسُفَ، أوِ اطرَحُوهُ أرضًا﴾ أي: بأرض بعيدة، ﴿يَخلُ لَكُم وَجهُ أبِيكُم﴾ بأن يُقبِلَ عليكم ولا يلتفتَ لغيركم، ﴿وتَكُونُوا مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ قتل يوسفَ أو طرحه ﴿قَومًا صالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا. ١٠ ـ ﴿قالَ قائلٌ مِنهُم﴾ هو يَهوذَى: ﴿لا تَقتُلُوا يُوسُفَ، وألقُوهُ﴾: اطرحوه ﴿في غَيابةِ الجُبِّ﴾: مُظلم البئر ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿يَلتَقِطْهُ بَعضُ السَّيّارةِ﴾: المُسافرين، ﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفُوا بذلك.

قولُه: (عِبرٌ) أي: دلائلُ قدرةِ اللهِ وحكمَتِهِ، أو علاماتُ نبوَّتِك، ولمكّيٍّ: (آيةٌ)[1].

قولُه: (أي: بعضُ إِخوَةِ يوسُفَ) يعنِي: عَلّاتُه العَشَرة.

قولُه: (شَقِيقُه) يعنِي: تخصيصُه بالإضافةِ لاختصاصِهِ بالأخوَّةِ من الطَّرفينِ.

قولُه: (خَبرٌ) وحَّدَه لأنَّ (أفعلَ مِنْ) لا يفرَّقُ فيه بين الواحدِ وما فوقَه، والمذكَّرِ وما يقابلُه، بخلافِ أخوَيهِ، فإنَّ الفرقَ واجبٌ في المحلَّى جائزٌ في المضافِ.

قولُه: (جَمَاعةٌ) أي: والحالُ أنَّ جماعةً أقوياءَ أحقُّ بالمحبَّةِ من صغيرَينِ لا كفايةَ بهمَا.

قولُه: (بإيثَارِهما) أي: بتركِ التَّعديلِ، رُوِيَ: أنَّه كانَ أحبَّ إليه لِمَا يرى فيه مِن المخايلِ، وكانَ إخوتُه يحسُدونَه، فلمَّا رأى الرُّؤيا ضاعَفَ له المحبَّةَ بحيثُ لم يصبِرْ عنه ساعةً فتبالغَ حَسدُهم حتَّى حملَهُم على التَّعرُّضِ له.

قولُه: (بَعِيدَةٍ) مِن العُمْرانِ.

قولُه: (هُو يَهُوذا) وقيل: روبيلُ، وقيلَ: شَمعونُ.

قولُه: ([2]مَظلَم البئرِ) بفتحِ الميمِ؛ أي: قعرِهَا.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ[3]، كأنَّه لذلكَ الجُبِّ غيَاباتٌ لكمَالِ وسعِها، وهي بئرُ بيتِ المقدِس، وقيل: بحذَاءِ طبريَّةَ، أو بين مصرَ ومَدْيَنَ، أو على ثلاثةِ فراسخَ مِن مقامِ يعقوبَ، قيل: أقامَ فيها ثلاثةَ أيَّامٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٥).

(٢) في (د) زيادة: «هو».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٥).

١١ ـ ﴿قالُوا: يا أبانا، مالَكَ لا تأمَنّا علَى يُوسُفَ، وإنّا لَهُ لَناصِحُونَ﴾: لقائمون بمصالحه؟
١٢ ـ ١٣ ـ ﴿أرسِلْهُ مَعَنا غَدًا﴾ إلى الصحراء، ﴿نَرتَعْ ونَلعَبْ﴾، بالنون والياء فيهما: ننشط ونتّسع، ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ. قالَ: إنّي لَيَحزُنُنِي أن تَذهَبُوا﴾ أي: ذهابُكم ﴿بِهِ﴾ لِفراقه، ﴿وأخافُ أن يأكُلَهُ الذِّئبُ﴾ ـ المُراد به الجنسُ، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ـ ﴿وأنتُم عَنهُ غافِلُونَ﴾: مشغولون.
١٤ ـ ﴿قالُوا: لَئِنْ﴾ ـ لام قسم ـ ﴿أكَلَهُ الذِّئبُ، ونَحنُ عُصْبةٌ﴾: جماعة، ﴿إنّا إذًا لَخاسِرُونَ﴾: عاجزون.

فأرسلَه معهم، ١٥ ـ ﴿فلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وأجمَعُوا﴾: عزموا ﴿أن يَجعَلُوهُ في غَيابةِ الجُبِّ﴾. وجواب «لمّا» محذوف، أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلَوه ـ فلمّا وصل إلى نِصف البئر ألقَوه ليموت، فسقط في الماء ثمّ أوى إلى صخرة، فنادَوه فأجابهم لِظنّ رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يَهوذَى ـ ﴿وأوحَينا إلَيهِ﴾ في الجُبّ وحيَ حقيقة، وله سبعَ عشْرةَ سنةً أو دونها، تطمينًا لقلبه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأمرِهِم﴾: بصنيعهم ﴿هذا، وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بك حالَ الإنباء.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿وجاؤُوا أباهُم عِشاءً﴾: وقتَ المساء ﴿يَبكُونَ، قالُوا: يا أبانا، إنّا ذَهَبْنا نَستَبِقُ﴾: نرمي، ﴿وتَرَكْنا يُوسُفَ عِندَ مَتاعِنا﴾: ثيابنا، ﴿فأكَلَهُ الذِّئبُ. وما أنتَ بِمُؤمِنٍ﴾: بمُصدّق ﴿لَنا، ولَو كُنّا صادِقِينَ﴾ عِندك لاتّهمتنا في هذه القِصّة لمحبّة يوسف. فكيف وأنت تُسيء الظنّ بنا؟

قولُه: (بالنُّونِ) مكّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ، وبكسر العينِ مكّيٌّ ونافعٌ، وأثبتَ الياءَ قُنبُلٌ بخُلْفٍ عنه[1].

قولُه: (الجِنْسُ) أو فردٌ غيرُ معيَّنٍ، وهو متعيِّنٌ في ﴿يأكله الذئب﴾.

قولُه: (لامُ قسَمٍ) أي: موطِّئةٌ.

قولُه: (جَمَاعةٌ) والواو في ﴿ونحن﴾ للحالِ.

قولُه: (عَزَمُوا) أي: على جعلِهِ وإلقائِهِ.

قولُه: (ذلكَ) أي: الجعلَ.

قولُه: (تَطمِيناً) علّةٌ لـ﴿أوحينا﴾.

قولُه: (بكَ) لعلوِّ شأنِكَ.

قولُه: (وَقتَ المَسَاءِ) أي: آخرَ النَّهارِ، أو أوَّلَ اللَّيلِ.

قولُه: (نَرمِي) أي: نتسابقُ في الرَّمي أو العَدْوِ.

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٢٧٢، ٣٣٣)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٣١٩، ٣٢٠).

١٨ ـ ﴿وجاؤُوا علَى قَمِيصِهِ﴾ ـ محلُّه نصب على الظرفيّة ـ أي: فوقَه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذِب، بأن ذبحوا سخلة ولطّخوه بدمها، وذَهِلوا عن شَقّه، وقالوا: إنه دمه. ﴿قالَ﴾ يعقوب لمّا رآه صحيحًا وعلم كذِبهم: ﴿بَل سَوَّلَتْ﴾: زيّنت ﴿لَكُم أنفُسُكُم أمرًا﴾ ففعلتموه به. ﴿فصَبرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزعَ فيه. وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: أمري. ﴿واللهُ المُستَعانُ﴾: المطلوب منه العونُ ﴿علَى ما تَصِفُونَ﴾: تذكرون من أمر يُوسف.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿وجاءَتْ سَيّارةٌ﴾: مُسافرون من مَدْيَنَ إلى مِصرَ، فنزلوا قريبًا من جُبّ يُوسف، ﴿فأرسَلُوا وارِدَهُم﴾ الذي يَرِدُ الماء ليستقي منه، ﴿فأدلَى﴾: أرسل ﴿دَلوَهُ﴾ في البئر، فتعلّق بها يُوسف فأخرجه. فلمّا رآه ﴿قالَ: يا بُشْرايَ﴾ ـ وفي قراءة: «بُشرَى». ونداؤها مَجاز أي: احضُري فهذا وقتُك ـ ﴿هذا غُلامٌ﴾. فعلم به إخوته فأتَوهم، ﴿وأَسَرُّوهُ﴾..

قولُه: (أي: ذِي كذِبٍ) بمعنى: مكذُوبٍ فيه، ويجوزُ أن يكونَ وصفاً بالمصدرِ للمبالغَةِ.

قولُه: (ولَطَّخُوهُ) أي: قمِيصَه.

قولُه: (دمُهُ) أي: دمُ يوسُفَ.

قولُه: (زيَّنَتْ) وسهَّلَتْ وهوَّنَتْ في أعينِكُم أمراً عظيماً.

قولُه: (لا جزَعَ فيهِ) وفي الحديثِ: «الصَّبرُ الجميلُ الذي لا شكْوَى فيه»[1] أي: إلى الخلقِ.

قولُه: (أي: أَمرِي) أو عكْسُه؛ أي: فصبرٌ جميلٌ أجملُ.

قولُه: (تذكُرُونَ) أي: على احتمالِ ما تِصفونَه مِن إهلاكِ يوسُفَ، وهذه الجرِيمةُ كانت قبلَ استنبائِهِم إن صحَّ، وفيه إشكالٌ قويٌّ، سيَّما على القولِ بأنَّ الأنبياءَ معصُومونَ من الصَّغائرِ قبلَ النُّبوَّةِ وبعدَها.

قولُه: (ليَسْتَقيَ) هو: مالكُ بنُ ذُعرِ الخُزاعيُّ[2].

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) للكُوفيِّ[3].

قولُه: (مَجازٌ) نادَى البشرى بشارةً لنفسِهِ أو قومِهِ.

قولُه: (فعَلِمُوا) الظَّاهرُ: فعلِمَ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٨٧٣) عن حبان بن أبي جبلة.

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٨٩٤٣) عن ابن عباس: أن الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٧).

(٤) قلت: وهو كذلك في النسخة التي بين يدي من الجلالين.

أي: أخفَوا أمره جاعليه ﴿بِضاعةً﴾ بأن قالوا: هذا عبدُنا أبَق. وسكتَ يوسف خوفًا أن يقتلوه، ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِما يَعمَلُونَ، وشَرَوهُ﴾: باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخسٍ﴾: ناقص، ﴿دَراهِمَ مَعدُودةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين، ﴿وكانُوا﴾ أي: إخوتُه ﴿فِيهِ مِنَ الزّاهِدِينَ﴾. فجاءت به السيّارة إلى مِصرَ، فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارًا وزوجَي نعل وثوبين.

٢١ ـ ﴿وقالَ الَّذِي اشتَراهُ مِن مِصرَ﴾ ـ وهو قِطفِير العزيزُ ـ ﴿لِامرأتِهِ﴾ زَلِيخا: ﴿أكرِمِي مَثْواهُ﴾: مُقامَه عِندنا، ﴿عَسَى أن يَنفَعَنا، أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. وكان حَصورًا.

قولُه: (أَخفَوا أَمْرَهُ) وقالوا لهم: دفعَه إلينا أهلُ الماء لنبيعَهُ لهم بمصرَ، أو أسرَّ الوارِدُ وأصحَابُه مِن سائرِ الرُّفقةِ، وقيل: الضَّميرُ لإخوةِ يوسُفَ، وهو المفهومُ من كلامِهِ الآتي، والمعنى: أخفَوهُ متاعاً للتِّجارةِ.

قولُه: (بَاعُوهُ) وفي مَرجعِ الضَّميرِ الوجهانِ، أو اشترَوهُ مِن إخوتِه.

قولُه: (نَاقِصٍ) أي: مَبْخوسٍ لنُقصانِه أو زَيْفِهِ، و﴿دراهم﴾ بدلٌ مِن الـ﴿ثمن﴾ و﴿معدودة﴾ أي: قليلةٍ.

قولُه: (أي: إخوتُه) وقولُه: (﴿من الزَّاهِدِينَ﴾) أي: الرَّاغبينَ عنه.

قولُه: (وثوبَينِ) أبيضَينِ، وقيل: ملَؤُه؛ أي: وزنُه فضَّةً، وقيل: ذهباً.

قولُه: (قِطْفِير) أو أطفيرُ، كان على خزائنِ مصرَ، والملِكُ يومئذٍ ريَّانُ بنُ الوليدِ العِمْلِيقيُّ[1] وقد آمنَ بيوسُفَ وماتَ في حياتِهِ، رُويَ أنَّه اشتراهُ العزيزُ وهو ابنُ سبعَ عشْرةَ سنةً، ولبثَ في منزلِه ثلاثَ عشرةَ سنةً، واستوزرَه الرَّيَّانُ وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً، وآتاه اللهُ الحكمةَ والعلمَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، وتُوفِّيَ وهو ابنُ مئةٍ وعشرينَ[2].

قولُه: (زَلِيخَا) أو راعيلُ.

قولُه: (مُقَامَه) أي: اجعَلِي مُقامَه عندَنا كريماً؛ أي: حسناً، والمعنَى: أحسِني تعهُّدَه عسَى أنْ ينفعَنا في ضِياعِنَا وأموالِنا، ونستظهِرَ به في مصالحِنا.

قولُه: (وكَانَ) أي: العزيزُ.

قولُه: (حَصُوراً) أي: ممنوعاً مِن النِّساءِ[3].

---

(١) في (م): «العميلقي».

(٢) في (ص) زيادة: «سنة».

(٣) انظر: «تاج العروس» (١١/ ٣٢).

﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما نجَّيناه من القتل والجُبّ، وعطّفنا عليه قلب العزيز، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ في الأرضِ﴾: أرض مِصر حتّى بلغ ما بلغ، ﴿ولِنُعَلِّمَهُ مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا. عطفٌ على مُقدّرٍ مُتعلّقٍ بـ «مكّنّا» أي: لنُملّكه، أو الواو: زائدة ـ ﴿واللهُ غالِبٌ علَى أمرِهِ﴾، تعالى، لا يُعجزه شيء، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ وهم الكُفّار ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ـ ٢٢ ـ ﴿ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ﴾، وهو ثلاثون سنة أو وثلاثٌ، ﴿آتَيناهُ حُكمًا﴾: حِكمة ﴿وعِلمًا﴾: فِقهًا في الدِّين، قبل أن يُبعث نبيًّا. ﴿وكَذٰلِكَ﴾: كما جزَيناه ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ﴾ لأنفُسهم.

٢٣ ـ ﴿وراوَدَتهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيتِها﴾ ـ هي زَلِيخا ـ ﴿عَن نَفسِهِ﴾ أي: طلبتْ منه أن يُواقعَها، ﴿وغَلَّقَتِ الأبوابَ﴾ للبيت، ﴿وقالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ. واللام: للتبيين..............

قولُه: (عطَّفنَا) بالتَّشديدِ.

قولُه: (لنَملكَه) فيه أنَّه تحصِيلُ الحاصِلِ، فالتَّقديرُ: ليتصرَّفَ فيها بالعدلِ.

قالَ تعَالى: (﴿غالب على أمره﴾) أي: على أمرِ يوسُفَ؛ يعني[1]: أرادَ به إخوةُ يوسُفَ شيئاً وأرادَ اللهُ غيرَه، فلم يكُنْ إلّا ما أرادَهُ.

قولُه: (ذلكَ) أي: أنَّ الأمرَ كلَّه بيدِهِ، أو لطَائفَ صنْعِهِ وخفَايا لطْفِهِ.

قولُه: (وهُو ثَلاثُونَ) أي: منتهَى اشتِدادِ جسمِهِ وقوَّتِه، وهو سنُّ الوقُوفِ[2] ما بينَ الثَّلاثينَ والأربعينَ.

قولُه: (حِكمَةً) وهو العلمُ المؤيَّدُ بالعَملِ، أو ﴿حُكماً﴾ بينَ النَّاس.

قولُه: (فِقهاً) أو علمَ تأويلِ الأحاديثِ.

قولُه: (طلبَتْ منهُ) وتمحَّلَتْ، مِن رادَ يَرودُ: إذا جاءَ وذهبَ لطلَبِ شيءٍ.

قالَ الشَّيخُ في «حاشيةِ البُخاريِّ»[3]: أصلُه طلبُ المرعَى، ثمَّ اشتُهِرَ في طلبِ المجامَعةِ.

قولُه: (للبَيْتِ) قيل: كانت الأبوابُ سبعةً، والتَّشدِيدُ للتَّكثيرِ، أو للمُبالَغةِ في الإيثاقِ.

قولُه: (أي: هلُمَّ) أي: أقبِلْ وبادِرْ، أو تهيَّأْتُ، والكلمةُ على الوجهَينِ اسمُ فعلٍ.

قولُه: (للتَّبيِينِ) كالتي في سُقيا لك.

(١) «يعني»: ليس في (م) و(د).

(٢) أي عن النمو: «الشهاب البيضاوي» (٥/ ١٦٥).

(٣) انظر: «التوشيح شرح الجامع الصحيح» (٩/ ٤٣٣٦).

وفي قراءة بكسر الهاء، وأُخرى بضمّ التاء. ﴿قَالَ: مَعاذَ اللهِ﴾: أعوذُ بالله من ذلك! ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الذي اشتراني ﴿رَبِّيَ﴾: سيّدي، ﴿أَحسَنَ مَثْوايَ﴾ مُقامي فلا أخونه في أهله. ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الزُّناة. ٢٤ ـ ﴿ولَقَد هَمَّتْ بِهِ﴾: قصدتْ منه الجِماع، ﴿وهَمَّ بِها﴾: قصدَ ذلك، ﴿لَولا أن رأَى بُرهانَ رَبِّهِ﴾. قال ابن عبّاس: مُثِّلَ له يعقوب فضرب صدره، فخرجتْ شهوته من أنامله، وجواب «لولا» محذوف.

﴿كَذلِكَ﴾ أَرَيناه البُرهان ﴿لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ﴾: الخِيانة ﴿والفَحشاءَ﴾: الزنَى. ﴿إِنَّهُ مِن عِبادِنا المُخلِصِينَ﴾ في الطاعة..

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ[1].

قولُه: (وأُخْرَى) لمكّيٍ وهشامٍ بخُلْفٍ عنه بالهمزِ بدلَ الياء هشامٌ[2].

قولُه: (أَعُوذُ باللّهِ) معاذاً، أشارَ إلى أنّه نصبٌ على المصدرِ، حُذِفَ فعلُه وأُضيفَ إلى المفعولِ.

قولُه: (مِن ذلِكَ) أي: الإقبالِ والمبادَرةِ.

قولُه: (أي: الَّذِي) أو إنَّ الشَّأنَ.

قولُه: (سَيِّدِي) قِطفيرُ[3]، وقيل: الضّميرُ للهِ؛ أي: إنَّه خالقِي وأحسنَ منزِلَتي بأنْ عطَّفَ عليَّ قلبَهُ، فلا أعصِي اللهَ.

قولُه: (الزُّنَاةُ) فإنَّ الزِّنا ظلمٌ على الزَّاني والمزنيِّ بأهلِه، أو المجازونَ الحسنَ بالسَّيِّء.

قولُه: (قصدَتْ) أي عَزماً.

قولُه: (قصَدَ) أي: خطَرَ، أو قارَبَ الهمَّ.

قولُه: (لَجَامَعَها) من شدَّةِ الغِلْمةِ[4] وكثرةِ المبالغَةِ، ولا يجوزُ أن يُجعَلَ ﴿وهمَّ بها﴾ جوابَ ﴿لولا﴾ فإنَّها في حكمِ أدواتِ الشَّرطِ، فلا يتقدَّمُ عليها جوابُه، بل الجوابُ محذوفٌ يدُلُّ عليه ﴿همَّ بها﴾.

قولُه: (أَرَيْنَاه) أو مثلَ ذلك التَّثبيتِ ثبَّتناهُ، أو الأمرُ مثلُ ذلكَ.

قولُه: (الخِيَانَةَ) أي: خيَانةَ السَّيدِ، أو مقدِّماتِ الزِّنا، أو الهمَّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٩٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٤٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) غَلِمَ الرجلُ واغْتَلَم: إذا هاجَ من الشَّهوةِ. «تاج العروس» (٣٣/ ١٧٥).

وفي قراءة بفتح اللام أي: المُختارين.

٢٥ ـ ﴿واستَبَقا البابَ﴾: بادرَ إليه يُوسف للفِرار، وهي للتشبّث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها، ﴿وقَدَّتْ﴾: شقّت ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ، وألْفَيا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَها﴾: زوجها ﴿لَدَى البابِ﴾. فنزَّهت نفسَها، ثمّ ﴿قالَتْ: ما جَزاءُ مَن أرادَ بِأهلِكَ سُوءًا﴾: زنًى ﴿إلاّ أن يُسجَنَ﴾: يُحبس، أي: سَجنٌ، ﴿أو عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم بأن يُضرب. ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿قالَ﴾ يُوسف مُتبرّئًا: ﴿هِيَ راوَدَتْني عَن نَفسِي. وشَهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها﴾: ابنُ عمّها ـ رُوي أنه كان في المَهد ـ فقال: ﴿إن كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾: قُدّامٍ ﴿فصَدَقَتْ، وهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ، وإن كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: خلفٍ ﴿فكَذَبَتْ، وهُوَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

٢٨ ـ ﴿فلَمّا رأَى﴾ زوجُها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قالَ: إنَّهُ﴾، أي: قولَكِ «ما جَزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ» إلى آخره، ﴿مِن كَيدِكُنَّ. إنَّ كَيدَكُنَّ﴾..

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) نافعٌ والكوفيُّ[1].

قولُه: (بَادَرا إِلَيهِ)؛ أي: تسابَقا إلى البابِ، فحُذِفَ الجارُّ، أو ضُمِّنَ الفعلُ معنَى الابتدَارِ.

قولُه: (شقَّتْ) القَدُّ: الشَّقُّ طولاً[2]، والقطُّ: الشَّقُّ عَرضاً[3].

قولُه: (وَجَدا) صَادفَا.

قولُه: (ثمَّ ﴿قَالَتْ﴾) الظَّاهرُ: و﴿قالتْ﴾.

قولُه: (أَيْ: سَجْنٌ) بفتحِ السِّينِ مصدرٌ، وبالكسرِ اسمٌ.

قولُه: (مُتبرِّئاً) أي: إنَّما قالَ ذلكَ دفعاً لِمَا عرَّضَتْه له، ولو لم تكذِبْ عليه لكتَمَ عليها.

قولُه: (ابنُ عَمِّها) وقيلَ: ابنُ خَالِها، وإنَّما ألقَى اللهُ الشَّهادةَ على لسَانِ أهلِهَا ليكونَ ألزمَ عليهَا.

قولُه: (قُدَّامٍ) لأنَّه يدُلُّ على أنَّها قدَّتْ قميصَهُ من قُدَّامِهِ بالدَّفعِ عن نفسِهَا.

قولُه: (خلْفٍ) لأنَّه يدلُّ على أنَّها تبعَتْهُ، فاجتذَبَتْ ثوبَه فقدَّتْه، والشَّرطيَّةُ محكيَّةٌ على إرَادةِ القَولِ كما أشارَ إليه الشَّيخُ أوَّلاً بقولِهِ: «فقالَ».

قولُه: (أي: قَولَكِ) أو السُّوءَ، أو هذَا الأمرَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٩).

(٢) انظر: «تاج العروس» (٩/ ١٢).

(٣) انظر المصدر السابق: (٢٠/ ٣٥).

ـ أيّها النساءُ ـ ﴿عَظِيمٌ﴾. ثمّ قال: ٢٩ ـ يا ﴿يُوسُفُ، أعرِضْ عَن هذا﴾ الأمرِ ولا تذكرْه لئلاّ يَشيع. ﴿واستَغفِرِي﴾ ـ يا زَلِيخا ـ ﴿لِذَنبِكِ. إنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطِئِينَ﴾: الآثمين. واشتَهر الخبر وشاع، ٣٠ ـ ﴿وقالَ نِسْوةٌ في المَدِينةِ﴾ مدينةِ مِصرَ: ﴿امرأةُ العَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها﴾: عبدَها ﴿عَن نَفسِهِ. قَد شَغَفَها حُبًّا﴾: تمييزٌ، أي: دخل حُبّه شغاف قلبها، أي: غِلافه. ﴿إنّا لَنَراها في ضَلالٍ﴾: خطإٍ ﴿مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ بحُبّها إيّاه.

٣١ ـ ﴿فلَمّا سَمِعَتْ بِمَكرِهِنَّ﴾: غِيبتهنّ لها ﴿أرسَلَتْ إلَيهِنَّ، وأعتَدَتْ﴾: أعدّت ﴿لَهُنَّ مُتّكَأً﴾: طعامًا يُقطع بالسكّين للاتّكاء عنده ـ وهو الأُترُجّ ـ..........................

قولُه: (أيُّها النِّسَاءُ) أي: الخطابُ لها ولأمثَالِها، أو لسَائرِ النِّساءِ.

وقولُه تعَالى: (﴿عظيم﴾) فإنَّ كيدَ النِّساءِ ألطَفُ وأعلَقُ بالقلْبِ، وأشدُّ تأثيراً في النَّفسِ، ولأنَّهنَّ يواجهْنَ به الرِّجالَ، والشَّيطانُ يوَسوِسُ به مُسَارَقةً.

قولُه: (يَا ﴿يُوسُفُ﴾) حُذِفَ منه حرفُ النِّداء لقُربِهِ.

قولُه: (الآثِمِينَ) أي: من القومِ المذنِبينَ، من خَطِأَ: إذا أذنبَ متعمِّداً[1]، أو التَّذكيرُ للتَّغليبِ.

قولُه: (مَدِينةِ مِصرَ) و﴿نسوةٌ﴾ اسمٌ مفردٌ لجمعِ امرأةٍ، وتأنيثُه بهذَا الاعتبَارِ غيرُ حَقِيقيٍّ، ولذلكَ جُرِّدَ فعلُه عن تاءِ التَّأنيثِ، والجارُّ ظرفٌ لـ﴿قال﴾ أي: أَشَعْنَ الحكَايةَ في مصرَ، أو صفةُ ﴿نسْوة﴾ وكنَّ خمسةً: زوجةُ الحاجبِ، والسَّاقِي، والخبَّازِ، والسَّجَّانِ، وصاحبِ الدَّوابِّ.

قولُه: (عَبدَهَا) أي: تطلُبُ موَاقعةَ غلامِهَا إيَّاها.

قولُه: (تَمييزٌ) لصرفِ الفعلِ عنه.

قولُه: (غِيبَتِهنَّ) بكسرِ الغينِ؛ أي: باغتيابِهنَّ، وإنَّما سمَّاه مكراً؛ لأنَّهنَّ أخفَينَه كما يُخفِي الماكرُ مكرَهُ، أو قُلنَ ذلك لتُرِيَهنَّ يوسُفَ.

وقولُه تعالى: (﴿أرسلت إليهن﴾) تدعُوهنَّ.

قولُه: (﴿وأَعْتَدَتْ﴾ أعدَّتْ) أي: هيَّأَتْ، وهو الإعتادُ، بمعنى تهيئةِ: الزَّادِ.

قولُه: (طَعَاماً) أو مجلسَ طعامٍ؛ فإنَّهم كانوا يتَّكِؤون للطَّعامِ والشَّرابِ تنعُّماً، ولذلك نُهيَ عنه، أو ما يتَّكِئنَ عليه مِن الوسائدِ.

قولُه: (عندَهُ) أو عليهِ.

---

(١) انظر المصدر السابق: (١/ ٢١٢).

﴿وآتتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ واحِدةٍ مِنهُنَّ سِكِّينًا، وقالَتِ﴾ لِيُوسفَ: ﴿اخرُجْ علَيهِنَّ. فلَمّا رأينَهُ أكبَرْنَهُ﴾: أعظمْنَه، ﴿وقَطَّعْنَ أيدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرْنَ بالألم لشُغل قلوبهنّ بيُوسف، ﴿وقُلْنَ: حاشَ لِلهِ﴾: تنزيهًا له! ﴿ما هذا﴾ أي: يُوسف ﴿بَشَرًا، إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لِما حواه من الحُسن الذي لا يكون عادة في النسَمة البشريّة. وفي الحديث أنّه «أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ».

٣٢ ـ ﴿قالَتْ﴾ امرأة العزيز لمّا رأت ما حلّ بهنّ: ﴿فذلِكُنَّ﴾: فهذا هو ﴿الَّذي لُمتُنَّني فِيهِ﴾: في حُبّه. بيانٌ لعُذرها. ﴿ولَقَد راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ، فاستَعصَمَ﴾: امتنعَ. ﴿ولَئِنْ لَم يَفعَلْ ما آمُرُهُ﴾ به ﴿لَيُسجَنَنَّ، ولَيَكُونَنْ مِنَ الصّاغِرِينَ﴾: الذليلين. فقلن له: أطِعْ مَولاتَكَ.

٣٣ ـ ﴿قالَ: ربِّ، السِّجنُ أحَبُّ إلَيَّ مِمّا يَدعُونَنِي إلَيهِ. وإلاّ تَصرِفْ عَنِّي كَيدَهُنَّ أصْبُ﴾: أمِلْ ﴿إلَيهِنَّ، وأكُنْ﴾: أصِرْ ﴿مِنَ الجاهِلِينَ﴾: المُذنبين. والقصد بذلك الدعاءُ.........

قولُه: (أعظَمْنَه) أي: عظَّمنَه وهِبْنَ حُسنَه الفائقَ.

قولُه: (تَنزِيهاً لهُ) من صفاتِ العَجزِ، وتعجُّباً من قدرتِهِ على خلق مثلِهِ، وأصلُه: (حاشا) كما قرَأَه أبو عَمرٍو[1] في الدَّرْجِ، فحُذفَتْ ألفُه الأخيرةُ تخفيفاً، وهو حرفٌ يفيدُ معنى التَّنزيهِ في باب الاستثناءِ، فوُضِعَ موضِعَ التَّنزيهِ، واللَّامُ للبيانِ، كما في قولكَ: سُقيا لهُ.

قولُه: (فهَذَا هُو) فوضعَ ﴿ذلك﴾ موضعَ «هذا» رفعاً لمنزلَةِ المشارِ إليه.

قولُه: (بَيانٌ لعُذْرِها) قال النَّصرَ آباذيُّ[2]: العذرُ في العشْقِ من نقصَانِ العشقِ[3].

قولُه: (فامتَنَعَ) طالباً للعِصْمةِ.

قولُه: (بهِ) فحُذِفَ الجارُّ، أو أمرِي إيَّاه بمعنى موجبَ أمرِي، فيكونُ الضَّميرُ ليوسُفَ.

قولُه: (أَمِلْ) إلى إجابتهنَّ، أو إلى أنفسِهنَّ بطبعِي، ومقتَضَى الشَّهوةِ، والصَّبوةُ: الميلُ إلى الهوَى[4].

قولُه: (والقصْدُ بذلِكَ) أي: بقولِه: ﴿وإلَّا تصرف﴾ أو بقولِه: ﴿ربِّ﴾ قيل: إنَّما ابتُلِي بالسَّجنِ لقولِه هذا، وإنَّما كان الأَولى به أن يسألَ العافيةَ، ولذلكَ ردَّ ﷺ على مَن كان يسألُ الصَّبرَ بقولِهِ: «سألتَ اللهَ البلاءَ فاسألْه

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٩).

(٢) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم، الإمام، المحدث، القدوة، الواعظ، شيخ الصوفية، منسوب إلى نصر آباذ بنيسابور. انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤/ ٢٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٦٣).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٤٥١).

فلذا قال تعالى: ٣٤ ـ ﴿فاستَجابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دُعاءه، ﴿فصَرَفَ عَنهُ كَيدَهُنَّ ـ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل ـ ٣٥ ـ ﴿ثُمَّ بَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم مِن بَعدِ ما رأَوُا الآياتِ﴾ الدالاّت على براءة يُوسف أن يسجنوه، دلّ على هذا: ﴿لَيَسجُنُنَّهُ حَتَّى﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾ ينقطعُ فيه كلام الناس، فسُجن.

٣٦ ـ ﴿ودَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ﴾: غُلامانِ للملك، أحدُهما ساقيه، والآخرُ صاحب طعامه، فرأياه يُعبِّر الرؤيا، فقالا: لنَختبرَنَّه. ﴿قالَ أحَدُهُما﴾ الساقي: ﴿إنِّي أرانِيَ أعصِرُ خَمرًا﴾ أي: عِنبًا، ﴿وقالَ الآخَرُ﴾ صاحبُ الطعام: ﴿إنِّي أرانِيَ أحمِلُ فَوقَ رأسِي خُبزًا، تأكُلُ الطَّيرُ مِنهُ. نَبِّئْنا﴾: خبّرْنا ﴿بِتأوِيلِهِ﴾: بتعبيره. ﴿إنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾.

٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿قالَ﴾ لهما، مُخبرًا أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لا يأتِيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ﴾ في منامكما ﴿إلاّ نَبّأْتُكُما بِتأوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبلَ أن يأتِيَكُما﴾ تأويلُه. ﴿ذلِكُما مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ﴾. فيه حثّ على إيمانهما. ثمّ قوّاه بقوله: ﴿إنِّي تَرَكتُ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿قَومٍ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ، وهُم بِالآخِرةِ هُم﴾ ـ تأكيد ـ ﴿كافِرُونَ، واتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائِيَ، إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ. ما كانَ﴾: ينبغي ﴿لَنا أن نُشرِكَ بِاللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾، لِعِصمتنا. ﴿ذلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضلِ اللهِ عَلَينا وعلَى النّاسِ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿لا يَشكُرُونَ﴾ الله فيشركون.

ثمّ صرّح بدعائهما إلى الإيمان، فقال: ٣٩ ـ ﴿يا صاحِبَيِ﴾ ساكِنَي ﴿السِّجنِ، أأربابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيرٌ، أمِ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ خيرٌ؟ استفهام تقرير..

العافِيَةَ» رواه التِّرمذيُّ[1].

قولُه: (ظَهَرَ) أي: للعَزيزِ وأهلِهِ.

قولُه: (الدَّالّاتِ) أي: الشَّواهدَ الدَّالَّةَ كشهادةِ الصَّبيِّ وقدِّ القَميصِ، وقَطعِ النِّساءِ أيديَهنَّ، واستعصامِه عنهنَّ.

قولُه: (أَن يَسجُنُوهُ) إشارةٌ إلى أنَّ فاعلَ ﴿بدا﴾ مضمَرٌ.

قولُه: (دلَّ عَلَى هَذَا) أي: المقدَّر.

قولُه: (أي: عِنَباً) وسمَّاه بما يؤولُ إليه.

قولُه: (زائِدَةٌ) للمُبالَغةِ أي: أيَّ شيءٍ كان.

قولُه: (استِفهَامُ تَقرِيرٍ) أي: بالنِّسبةِ إلى الجزءِ الأخيرِ؛ يعنِي: المرادُ بالاستفهامِ حملُ المخاطَبِ على الإقرارِ بأنَّ اللهَ هو الواحدُ القهَّارُ، و﴿خَيرٌ﴾ لمجرَّدِ الزِّيادةِ، أو لإرخاءِ العنانِ معَ الخَصْمِ، أو لزعمِهم.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن.

٤٠ ـ ﴿ما تَعبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ﴿إلاّ أسماءً، سَمَّيتُمُوها﴾: سمّيتم بها أصنامكم ﴿أنتُم وآباؤُكُم، ما أنزَلَ اللهُ بِها﴾: بعبادتها ﴿مِن سُلطانٍ﴾: حُجّةٍ وبُرهان. ﴿إنِ﴾: ما ﴿الحُكمُ﴾: القضاء ﴿إلاّ للهِ﴾ وحدَه، ﴿أمَرَ ألاّ تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ. ذلِكَ﴾ التوحيد ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المُستقيم، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه، من العذاب، فيُشركون.

٤١ ـ ﴿يا صاحِبَيِ السِّجنِ، أمّا أحَدُكُما﴾ أي: الساقي فيخرج بعد ثلاث، ﴿فَيَسقِي رَبَّهُ﴾: سيّده ﴿خَمرًا﴾ على عادته ـ هذا تأويل رؤياه ـ ﴿وأمّا الآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فيُصلَبُ، فتأكُلُ الطَّيرُ مِن رأسِهِ﴾. هذا تأويل رُؤياه. فقالا: ما رأينا شيئًا. فقال: ﴿قُضِيَ﴾: تمّ ﴿الأمرُ الَّذِي فِيهِ تَستَفتِيانِ﴾: عنه سألتما، صدقتُما أم كذبتما. ٤٢ ـ ﴿وقالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقن ﴿أنَّهُ ناجٍ مِنهُما﴾ وهو الساقي: ﴿اذكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سيّدك، فقلْ له: إنّ في السجن غُلامًا محبوسًا ظلمًا. فخرجَ ﴿فأنساهُ﴾ أي: الساقيَ ﴿الشَّيطانُ ذِكرَ﴾ يُوسفَ عند ﴿رَبِّهِ، فلَبِثَ﴾:........................

قولُه: (سَمَّيتُم) الخطابُ لهما، ولمَن على دينِهمَا مِن أهلِ مصرَ.

قولُه: (أصنامكم) أي: أسماءً ليسَ تحتَها مسمَّياتٌ حقيقيَّةٌ، فكأنَّكُم لا تعبدونَ إلَّا أسماءً مجردةً.

قولُه: (حُجَّةٍ) أي: إنَّكم سمَّيتُم ما لم يدُلَّ على استحقاقِ الألوهيَّةَ عقلٌ ولا نقلٌ آلهةً، ثمَّ أخذْتُم تعبُدونَها باعتبارِ ما تُطلِقونَ عليها.

قولُه: (القَضَاءُ) الأزليُّ، أو ﴿الحكمُ﴾ في أمرِ العبادَةِ.

قولُه: (تمَّ) وقُطِعَ.

قولُه: (عنهُ) وهو ما يؤولُ إليه أمرُهما، ولذلك وحَّدَ.

قولُه: (أيقَنَ) الظَّانُّ يوسفُ إنْ ذكرَ ذلك عن اجتهادٍ، وإنْ ذكرَه عن وحيٍ فالظَّانُّ هو النَّاجِي، إلَّا أنْ يُؤوَّلَ الظَّنُّ باليقينِ.

قولُه: (سيِّدك) قال مجاهدٌ[1]: أي: الملِكِ الأعظمِ ريَّانَ بنِ الوليدِ.

قولُه: (عندَ ﴿ربِّهِ﴾) أو لـ﴿ربِّه﴾ فأضافَ إليه المصدرَ لملابستِهِ له، أو على تقديرِ ﴿ذِكْرَ﴾ إخبارِ ﴿ربِّه﴾ أو أُنسِيَ يوسفُ ذكرَ الله حتَّى استعانَ بغيرِه، وفي الحديثِ: «رحمَ الله أخِي يوسُفَ، لو لم يقُلِ ﴿اذْكرني عندَ ربِّك﴾ لَمَا لبثَ في السِّجنِ سبعاً بعد الخمْسِ» رواه ابنُ المنذرِ وغيرُه[2].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٩، ٢١٥٠).

(٢) لم أقف عليه، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٦٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦) نحوه من حديث أبي هريرة =

مكَثَ يُوسف ﴿فِي السِّجنِ بِضعَ سِنِينَ﴾ قيل: سبعًا، وقيل: اثنتي عشْرةَ.

٤٣ ـ ﴿وقالَ المَلِكُ﴾ ملكُ مصرَ الريّانُ بنُ الوليد: ﴿إنِّي أرَى﴾ أي: رأيتُ ﴿سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهنَّ﴾: يبتلعُهنَّ ﴿سَبعٌ﴾ من البقر ﴿عِجافٌ﴾: جمع عَجفاءَ، ﴿وسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ، وأُخَرَ﴾ أي: سبعَ سُنبلات ﴿يابِساتٍ﴾، قد التوتْ على الخُضر وعلت عليها. ﴿يا أيُّها المَلأُ، أفتُونِي في رُؤيايَ﴾: بيّنوا لي تعبيرها، ﴿إن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرُونَ﴾ فاعبُروها. ٤٤ ـ ﴿قالُوا﴾: هذه ﴿أضغاثُ﴾: أخلاطُ ﴿أحلامٍ، وما نَحنُ بِتأوِيلِ الأحلامِ بِعالِمِينَ﴾.

٤٥ ـ ﴿وقالَ الَّذِي نَجا مِنهُما﴾ أي: من الفَتيَينِ وهو الساقي، ﴿وادَّكَرَ﴾ ـ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً، وإدغامها في الدال ـ..

= والاستعانةُ بالعبادِ في كشفِ الشَّدائدِ وإن كانت محمُودةً في الجملَةِ، لكن لا تليقُ بمنصِبِ الأنبياءِ.

قولُه: (وقيلَ: اثنتي عشَرَةَ[١]) وقيل: أربعَ عشرَ[٢]، والصَّحيحُ الأوَّلُ للحديثِ[٣]، ولأنَّ البضْعَ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسعِ، وفي «العجائب» للكِرمانيِّ[٤] أنَّه لبثَ بكلِّ حرفٍ من قولِه: ﴿اذكرني عندَ ربِّكَ﴾ سنةً[٥]. وهو مطابقٌ للسُّنَّةِ[٦].

قولُه: (تَعبِيْرَها) وهو الانتقالُ من الصُّورِ الخياليَّة إلى المعاني النَّفسانيَّة التي هي مثالُها، من العبُورِ؛ وهو المجاوزَةُ.

قولُه: (أخلَاطُ) أصلُه ما جُمِعَ من أخلاطِ النَّباتِ وحُزِمَ فاستُعيرَ للرُّؤيا الكاذِبةِ.

قولُه: (منَ الفَتيانِ) الظَّاهرُ: «من الفتيَين» كما في بعضِ النُّسخِ، ولعلَّ الأوَّلَ على الحكايةِ.

قولُه: (فِي الذَّالِ) بعدَ إبدالِها دالاً، وعن الحسنِ: (اذَّكر) بالذَّالِ المعجمةِ[٧].

رضي الله عنه. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٣٩): حديث منكر من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٦٤٦) عن طاوس، والضحاك بن مزاحم.

(٣) أي: الذي ذكره قبل، وعزاه لابن المنذر.

(٤) هو أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء، انظر: «معجم الأدباء» (٦/ ٢٦٨٦)، و«سلم الوصول» (٣/ ٣١٠).

(٥) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (ص: ٥٣٨).

(٦) أي: أنه لبث اثني عشرة سنة، للحديث الذي ذكره وعزاه لابن المنذر.

(٧) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٨).

أي: تذكَّرَ ﴿بَعدَ أُمَّةٍ﴾: حينٍ حالَ يُوسفَ: ﴿أنا أُنَبِّئُكُم بِتأويلِهِ. فأرسِلُونِ﴾. فأرسَلوه فأتى يوسفَ، ٤٦ ـ فقال: يا ﴿يُوسُفُ ـ أيُّها الصِّدِّيقُ﴾: الكثيرَ الصِّدقِ ـ ﴿أفتِنا في سَبعِ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ، وسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ، لَعَلِّيَ أرجِعُ إلَى النّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه، ﴿لَعَلَّهُم يَعلَمُونَ﴾ تعبيرَها.

٤٧ ـ ﴿قالَ: تَزرَعُونَ﴾ أي: ازرَعوا ﴿سَبعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: مُتتابعةً، وهي تأويل السبع السِّمانِ ـ ﴿فما حَصَدتُم فذَرُوهُ﴾: اتركوه ﴿في سُنبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إلاّ قَلِيلاً مِمّا تأكُلُونَ﴾ فادرُسوه ـ ٤٨ ـ ﴿ثُمَّ يأتِي مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ أي: السبعِ المُخصبات، ﴿سَبعٌ شِدادٌ﴾: مُجدِبات صِعاب ـ وهي تأويل السبع العجاف ـ ﴿يأكُلنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ﴾ من الحَبِّ المزروع في السنينَ المُخصباتِ، أي: تأكلونه فيهنّ ﴿إلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحصِنُونَ﴾: تَدّخِرون، ٤٩ ـ ﴿ثُمَّ يأتِي مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ أي: السبعِ المُجدبات ﴿عامٌ، فِيهِ يُغاثُ النّاسُ﴾ بالمطر، ﴿وفِيهِ يَعصِرُونَ﴾ الأعنابَ وغيرها لخِصبه.

قولُه: (حِينٍ) أي: جماعةٍ من الزَّمانِ مجتمعَةٍ؛ أي: مدَّةٍ طويلةٍ.

قولُه: (حالَ) مفعولُ «تذكَّر».

قولُه: (الكَثِيرَ الصِّدقِ) وصفَهُ به لأنَّه جرَّبَ أحوالَه، وجرَّبَ صدقَهُ في تأويلِ رؤياهُ وصاحبِه.

قولُه: (تَعبِيرَها) أو فضلَكَ ومكانتَك.

قولُه: (أي: ازْرَعُوا) أمرٌ أخرجَهُ في صُورةِ الخبرِ مبالغةً، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿فذروه﴾.

قولُه: (مُتَتابِعةً) قرأ حفصٌ بفتحِ الهمزةِ[1]، وكلاهما مصدرُ دأبَ في العملِ؛ أي: على عادتِكُم المستمرَّةِ، وانتصابُه على الحالِ؛ بمعنَى: دائبينَ، أو المصدرِ بإضمارِ فعلِه؛ أي: تدأبُونَ دأباً، والجملةُ حالٌ.

قولُه: (لئلّا يَفسُدَ) ولا يأكلَه السُّوس.

قولُه: (أي: تَأكُلُونَهُ) يحتملُ الخطابَ، والغيبةُ أظهرُ؛ أي: يأكلُ أهلُهنَّ ما ادَّخرتُم لأجلهنَّ، فأسنَدَ إليهنَّ على المجازِ، تطبيقاً بينَ المعبَّرِ والمعبَّرِ به.

قولُه: (تدَّخِرُونَ) لبذورِ الزِّراعةِ.

قولُه: (بالمَطَرِ) أي: يُمطَرونَ، مِنَ الغَيثِ، أو يُغاثونَ مِن القحطِ، مِن الغَوثِ.

قولُه: (وغَيرَها) ممَّا يُعصَرُ كالزَّيتونِ، وقيل: يحلِبونَ الضُّروعَ، وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بالخطابِ[2] على تغليبِ المستفتِي.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٩).

٥٠ ـ ﴿وقالَ المَلِكُ﴾ لمّا جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ أي: بالذي عبَّرها. ﴿فلَمّا جاءَهُ﴾ أي: يُوسفَ ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قالَ﴾ قاصدًا إظهار براءته: ﴿ارجِعْ إلَى رَبِّكَ، فاسأَلْهُ﴾ أن يسأل: ﴿ما بالُ﴾: حالُ ﴿النِّسْوةِ اللاّتِي قَطَّعْنَ أيدِيَهُنَّ؟ إنَّ رَبِّي﴾: سيّدي ﴿بِكَيدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. فرجَع فأخبر الملك فجمعهنّ.

٥١ ـ ﴿قالَ: ما خَطْبُكُنَّ﴾: شأنكنّ ﴿إذ راوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَفسِهِ﴾؟ هل وجدتُنّ منه مَيلاً إليكنّ؟ ﴿قُلْنَ: حاشَ للهِ! ما عَلِمْنا عَلَيهِ مِن سُوءٍ. قالَتِ امرأةُ العَزِيزِ: الآنَ حَصحَصَ﴾: وضَحَ ﴿الحَقُّ. أنا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ، وإنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ﴾ في قوله: «هِيَ راودَتْنِي عَن نَفسِي». فأُخبِرَ يُوسفُ بذلك، فقال: ٥٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: طلبُ البراءة ﴿لِيَعلَمَ﴾ العزيزُ ﴿أنِّي لَم أخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالغَيبِ﴾: حالٌ، ﴿وأنَّ اللهَ لا يَهدِي كَيدَ الخائنِينَ﴾. ثم تواضع لله فقال: ٥٣ ـ ﴿وما أُبَرِّئُ نَفسِيَ﴾ من الزلل. ﴿إنَّ النَّفسَ﴾ الجنس ﴿لَأمّارةٌ﴾: كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ، إلاّ ما﴾ بمعنى: مَن ﴿رَحِمَ رَبِّيَ﴾، فعصَمَه. ﴿إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٥٤ ـ ﴿وقالَ المَلِكُ: ائْتُونِي بِهِ، أستَخلِصْهُ لِنَفسِي﴾: أجعلْه خالصًا لي دُون شريك. فجاءه الرسول وقال: أجبِ الملكَ..

قولُه: (إظهَارَ بَراءتِهِ) وعن النبيِّ ﷺ: «لو كنتُ مكانَه، ولبثتُ في السِّجنِ ما لبثَ لأسرعْتُ الإجابةَ» رواهُ الطَّبرانيُّ[1]، وهو إشارةٌ إلى وصفِ يوسُفَ بكمالِ الأناةِ، وإنَّما قال ذلك تواضُعاً.

قولُه: (سيِّدِي) وهو اللهُ.

قولُه: (وضَحَ) وظهرَ، أو ثبتَ واستقرَّ.

قولُه: (حالٌ) من الفاعلِ، أو المفعولِ؛ أي: لم أخُنْه وأنا غائبٌ عنه، أو هو غائبٌ عنِّي.

قولُه: (من الزَّلَلِ) أي: لا أنزِّهُها، تنبيهاً على أنَّه لم يُرِدْ بذلك تزكيةَ نفسِهِ والعُجبَ بحالِهِ، بل إظهارَ ما أنعمَ اللهُ عليه مِن العصمةِ والتَّوفيقِ.

قولُه: (بمَعنَى: مَن) أو للنَّفسِ من حيثُ إنَّها بالطَّبعِ مائلةٌ إلى الشَّهواتِ، فتَهُمُّ بها، وتستعمِلُ القوَى والجوارحَ في إثرِها كلَّ الأوقاتِ إلَّا وقتَ رحمةِ ربِّي.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ عند الطبراني، وجاء عنده في «المعجم الأوسط» (٨٨١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

وبنفس هذا اللفظ رواه البخاري (٤٦٩٤)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة أيضاً.

فقام وودّع أهل السجن ودعا لهم، ثمّ اغتسل ولبس ثِيابًا حِسانًا، ودخل عليه. ﴿فلَمّا كَلَّمَهُ قالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ اليَومَ لَدَينا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: ذو مكانة وأمانة على أمرنا. فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمعِ الطعام وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المُخصِبة، وادّخرِ الطعام في سُنبله، فيأتي إليك الخلق ليمتاروا منك. فقال: ومَن لي بهذا؟ ٥٥ ـ ﴿قالَ﴾ يُوسف: ﴿اجعَلْني علَى خَزائنِ الأرضِ﴾ أرض مِصرَ. ﴿إِنّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: ذو حِفظ وعِلم بأمرها، وقيل: كاتبٌ حاسب.

٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ﴾ أرض مِصرَ، ﴿يَتبَوَّأُ﴾: ينزل ﴿مِنها حَيثُ يَشاءُ﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القِصّة أنّ الملك توَّجَهُ وختَّمهُ وولاّه مكان العزيز وعزلَه. ومات بعدُ، فزوّجه امرأتَه فوجدها عذراء وولدتْ له ولدَين، وأقام العدل بمِصر ودانت له الرقاب. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَن نَشاءُ، ولا نُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ، ولَأَجرُ الآخِرةِ خَيرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾...

قولُه: (ودَخَل علَيهِ) وقال: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بخيرِك مِن خيرِه، وأعوذُ بعزَّتِك وقدرتِكَ مِن شرِّه، ثمَّ سلَّمَ عليه ودعا له[١].

قولُه: (ليَمْتَارُوا) المِيرةُ ـ بالكسرِ ـ: جلبُ الطَّعامِ، مارَ عيالَه يَميرُ، وأمارَهُم وامتارَ لهم.

قولُه: (أرضِ مِصرَ) في الحديثِ: «رحمَ الله أخِي يوسُفَ، لو لم يقُلْ: ﴿اجعلْني على خزائنِ الأرْضِ﴾ لاستعمَلَه[٢] في ساعتِهِ، ولكنَّه أخَّرَ ذلكَ سنةً»[٣] كذا نقلَه الفاضِلُ.

قالَ تعالى: (﴿حيثُ يشاء﴾) ابنُ كثيرٍ بالنُّون[٤].

قولُه: (ومَاتَ بَعدُ) أي: العزيزُ بعدَ العزلِ.

قولُه: (ولَدَينِ) أفراثيم جدُّ يوشعَ بنِ نونٍ، وميشا، ورحمةُ امرأةُ أيُّوبَ.

قولُه: (دانَتْ) انقادَتْ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٨٨٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٦١) عن زيد العمي.

(٢) في (م) و(د): «استعمله».

(٣) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٥/ ٥١) (١٥٣٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٢٣)، والبغوي في «معالم التنزيل» (١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩٠): أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عنه، وهذا إسناد ساقط.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٠).

ودخلتْ سِنِيُّ القحط وأصاب أرضَ كنعانَ والشامَ، ٥٨ ـ ﴿وجاءَ إخوةُ يُوسُفَ﴾ إلاّ بِنيامِينَ ليمتاروا، لمّا بلغهم أن عزيز مِصر يُعطي الطعام بثمنه، ﴿فدَخَلُوا علَيهِ فعَرَفَهُم﴾ أنهم إخوته، ﴿وهُم لَهُ مُنكِرُونَ﴾ لا يعرفونه لبُعدِ عهدهم به وظنِّهم هلاكَه. فكلَّموه بالعِبرانيّة، فقال كالمُنكِر عليهم: ما أقدَمَكم بلادي؟ فقالوا: للمِيرة. فقال: لعلّكم عُيونٌ. قالوا: مَعاذَ اللهِ! قال: فمِن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعانَ، وأبونا يعقوبُ نبيُّ الله. قال: وله أولادٌ غيرُكم؟ قالوا: نعم كُنّا اثني عشَرَ فذهب أصغرنا، هلَكَ في البرّيّة، وكان أحبَّنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسَه ليتسلّى به عنه. فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿ولَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم﴾: وفَى لهم كيلهم ﴿قالَ: ائتُوني بِأخٍ لَكُم مِن أبِيكُم﴾ أي: بِنيامِين، لأعلم صِدقكم فيما قلتم. ﴿ألا تَرَونَ أنّي أُوفِي الكَيلَ﴾: أُتمُّه من غير بخس، ﴿وأنا خَيرُ المُنزِلِينَ؟ فإن لَم تأتُونِي بِهِ فلا كَيلَ لَكُم عِندِي﴾ أي: مِيرةَ، ﴿ولا تَقرَبُونِ﴾ ـ نهيٌ أو عطف على محلّ «فلا كيل» ـ أي: تُحرَموا ولا تقربوا. ٦١ ـ ﴿قالُوا: سَنُراوِدُ عَنهُ أباهُ﴾: سنجتهد في طلبه منه، ﴿وإنّا لَفاعِلُونَ﴾ ذلك.

٦٢ ـ ﴿وقالَ لِفتيَتِهِ﴾، وفي قراءة: «لِفِتيانِهِ»: غلمانه: ﴿اجعَلُوا بِضاعتَهُم﴾ التي أتَوا بها ثمنَ المِيرة ـ وكانت دراهمَ ـ ....

قولُه: (وظنِّهِمْ) وقلّةِ تأمُّلِهم في حالِه مِن التَّهيُّبِ والاستعظامِ.

قولُه: (أو عَطفٌ) حقُّه أن يقولَ: أو نفيٌ؛ إذ هو معطوفٌ على الجزاءِ بكلِّ حالٍ، والخلافُ إنَّما هو في الجازمِ.

قولُه: (أي: تُحرَمُوا) تفسيرُ ﴿لا كيل﴾.

قولُه: (ولا تَقرَبُوا) أي: لا تقرَبُوا ولا تدخُلوا دياري.

قولُه: (منهُ) أي: أبيهِ.

قولُه: (وفِي قِراءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ[1].

قولُه: (﴿فِتيَانِهِ﴾) على جمعِ الكثرةِ لفتًى.

قولُه: (غِلمَانِهِ) الكيّالينَ.

قولُه: (دَراهِمَ) أو نعالاً وأدَماً، وإنَّما فعلَ ذلك توسِيعاً وتفضُّلاً عليهم، وترفُّعاً مِن أنْ يأخُذَ ثمنَ الطَّعامِ منهم، وخوفاً من أنْ لا يكُونَ عندَ أبيهِ ما يرجعُونَ به إليهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦١).

﴿في رِحالِهِم﴾: أوعيتهم، ﴿لَعَلَّهُم يَعرِفُونَها، إذا انقَلَبُوا إلَى أهلِهِم﴾ وفرّغوا أوعيتهم، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم لا يستحلّون إمساكها.

٦٣ ـ ٦٤ ـ ﴿فلَمّا رَجَعُوا إلَى أبِيهِم قالُوا: يا أبانا، مُنِعَ مِنّا الكَيلُ﴾، إن لم تُرسِل أخانا إليه. ﴿فأرسِلْ مَعَنا أخانا، نَكتَلْ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ. قالَ: هَل﴾: ما ﴿آمَنُكُم علَيهِ إلاّ كَما أمِنتُكُم علَى أخِيهِ﴾ يُوسفَ ﴿مِن قَبلُ﴾، وقد فعلتم به ما فعلتم؟ ﴿فاللهُ خَيرٌ حِفْظًا﴾، وفي قراءة: «حافِظًا» تمييزٌ كقولهم: لِلهِ درُّه فارسًا! ﴿وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ﴾. فأرجو أن يَمُنّ بحِفظه.

٦٥ ـ ﴿ولَمّا فَتَحُوا مَتاعَهُم وَجَدُوا بِضاعَتَهُم رُدَّتْ إلَيهِم. قالُوا: يا أبانا، ما نَبغِي﴾؟ ما: استفهاميّة، أي: أيَّ شيء نطلبُ من إكرام الملك أعظمَ من هذا؟ وقُرئ بالفَوقانيّة خِطابًا ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم. ﴿هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إلَينا، ونَمِيرُ أهلَنا﴾: نأتي بالمِيرة لهم ـ وهي الطعام ـ ﴿ونَحفَظُ أخانا، ونَزدادُ كَيلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا. ﴿ذلِكَ كَيلٌ يَسِيرٌ﴾: سهل على الملك لسخائه.

٦٦ ـ ﴿قالَ: لَن أُرسِلَهُ مَعَكُم حَتَّى تُؤتُونِي مَوثِقًا﴾: عهدًا، ....

قولُه: (لأنَّهُمْ) أو لأجلِ إحسانِنا إليهِم بردِّها، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿ما نبغي﴾ الآيَةَ.

قولُه: (واليَاءِ) حمزةُ والكِسائيُّ[1] على إسنادِه إلى الأخِ؛ أي: يكتَلْ لنفسِهِ فينضمَّ اكتيالُهُ إلى اكتيَالِنا.

قولُه: (وقَدْ فعَلْتُم) وقد قلتُم في يوسُفَ: ﴿وإنَّا له لحافظونَ﴾.

قولُه: (وفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ وحفصٍ[2].

قولُه: (تمييزٌ) أو حالٌ، و(حفظًا) تمييزٌ لا غيرُ.

قولُه: (يمُنَّ) أي: يرحمَنِي بحفظِهِ، ولا يجمعَ عليَّ مُصيبتَين.

قولُه: (﴿مَا﴾ استفهَامِيَّةٌ) أو نافيةٌ؛ أي: لا نطلبُ وراءَ ذلك إحساناً.

قولُه: (إكرَامَهُ لَهم) أي: أيُّ شيءٍ يُطلَبُ وراءَ هذا مِن الإحسانِ، أو مِن الدَّليلِ على صدْقِنا.

قولُه: (نَأتِي) عطفٌ على محذوفٍ؛ أي: رُدَّتْ إلينا، فنستظهرُ بها ونميرُ أهلَنا بالرُّجوعِ إلى الملِكِ.

قولُه: (سَهلٌ) فالإشارةُ إلى ﴿كيلَ بعيرٍ﴾ أو قليلٍ لا يكفِينَا، استقَلُّوا المكيلَ لهم، فأرادُوا أن يُضاعِفوهُ بالرُّجوعِ إلى الملِكِ.

قولُه: (عَهْداً) مؤكَّداً بذكرِ اللهِ نوثَّقُ به.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦١).

(٢) انظر المصادر السابقة: (ص: ٣٥٠)، و(ص: ٣٦٢).

﴿مِنَ اللهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتأتُنَّني بِهِ إلاّ أن يُحاطَ بِكُم﴾ أي: تموتوا أو تُغلبوا فلا تُطيقوا الإتيان به. فأجابوه إلى ذلك. ﴿فلَمّا آتوهُ مَوثِقَهُم﴾ بذلك ﴿قالَ: اللهُ على ما نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾: شهيد. وأرسلَه معهم.

٦٧ ـ ﴿وقالَ: يا بَنِيَّ، لا تَدخُلُوا﴾ مِصر ﴿مِن بابٍ واحِدٍ، وادخُلُوا مِن أبوابٍ مُتَفَرِّقةٍ﴾ لئلاّ تُصيبكم العينُ، ﴿وما أُغنِي﴾: أدفعُ ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ قدَّره عليكم! وإنّما ذلك شفقةٌ. ﴿إنِ﴾: ما ﴿الحُكمُ إلاّ للهِ﴾ وحدَه، ﴿عليهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثِقتُ، ﴿وعليهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾.

٦٨ ـ قال تعالى: ﴿ولَمّا دَخَلُوا مِن حَيثُ أمَرَهُم أبُوهُم﴾ أي: مُتفرّقين ﴿ما كانَ يُغني عَنهُم مِنَ اللهِ﴾، أي: قضائه، ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ، إلاّ﴾: لكن ....

قولُه: (بأَنْ تَحلِفُوا) وجوابُ القسمِ ﴿لتأتنني﴾.

قولُه: (أي: تَمُوتُوا) وهو استثناءٌ مفرَّغٌ مِن أعمِّ الأحوالِ، والتَّقديرُ: لَتأتُنَّني به على جميعِ الأحوالِ إلَّا حالَ الإحاطةِ بكُم.

قولُه: (نَحنُ وأَنتُم) مِن طلبِ الموثِقِ وإيتَائِهِ.

قولُه: (شَهِيدٌ) رقيبٌ مطَّلعٌ.

قولُه: (لِئلَّا تُصِيبَكُم) لأنَّهم كانُوا ذَوِي جمالٍ وأُبَّهةٍ مشهُورينَ في مصرَ بالقُربِ والكرامةِ عندَ الملكِ، فخافَ عليهِم أن يدخُلُوا كوكبةً واحدةً، فيُصابوا بالعينِ[1].

قولُه: (قدَّرَه) فإنَّ الحذرَ لا يمنعُ القدَرَ.

قولُه: (وَحْدَه) يصيبُكُم لا محالةَ إن قضَى عليكُم سواءٌ.

قالَ تعَالى: (﴿ما كان يغني﴾) أي: رأيُ يعقوبَ واتِّباعُهم له.

قولُه: (قضَائِهِ) عليهم، كما قالَ يعقوبُ، فسُرِّقُوا[2] وأُخِذَ بنيامينُ، وتضاعفتِ المصيبةُ على يعقوبَ.

قولُه: (لكِنْ) يعنِي: الاستثناءُ منقطعٌ.

---

(١) روى عبد الرزاق في «التفسير» (١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩٤٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٧٠) بنحوه عن قتادة.

(٢) أي: نسبوهم إلى السرقة.

﴿حاجةً في نَفسِ يَعقُوبَ قَضاها﴾، هي إرادة دفع العين شفقةً، ﴿وإنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمْناهُ﴾: لِتعليمِنا إيّاه، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ إلهام الله لأوليائه.

٦٩ ـ ﴿ولَمّا دَخَلُوا علَى يُوسُفَ آوَى﴾: ضمَّ ﴿إلَيهِ أخاهُ، قالَ: إنِّيَ أنا أخُوكَ. فلا تَبتَئِسْ﴾: تحزنْ ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من الحسد لنا. وأمره ألاّ يُخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يُبقيه عنده.

٧٠ ـ ٧١ ـ ﴿فلَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم جَعَلَ السِّقايةَ﴾ ـ هي صاعٌ من ذهب مُرصّعٌ بالجوهر ـ ﴿في رَحلِ أخِيهِ﴾ بِنيامِينَ، ﴿ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يُوسف: ﴿أيَّتُها العِيرُ﴾: القافلة، ﴿إنَّكُم لَسارِقُونَ. قالُوا، و﴾ قد ﴿أقبَلُوا عَلَيهِم: ماذا﴾: ما الذي ﴿تَفقِدُونَـ﴾ ـه؟ ٧٢ ـ ﴿قالُوا: نَفقِدُ صُواعَ﴾: صاعَ ﴿المَلِكِ، ولِمَن جاءَ بِهِ حِملُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام، ﴿وأنا بِهِ﴾: بالحِمل ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل.

وقولُه تعَالى: (﴿قضاها﴾) أي: أظهرَها ووصَّى بها.

قولُه: (لتَعْلِيمِنَا) بالوحيِ ونصبِ الحُجَجِ، ولذلك قال: ﴿وما أغني عنكم﴾ ولم يغترَّ بتدبيرِهِ.

قولُه: (إلهَامَ اللَّهِ) أو سرَّ القدَرِ.

قولُه: (ضَمَّ) على الطَّعامِ، أو في المنزِلِ، رويَ[1]: أنَّه أضافَهم، فأجلسَهُم مثنَى، فبقِيَ بنيامينُ وحيداً، فبكَى وقالَ: لو كان أخِي يوسُفُ حيًّا لجلسَ معي، فأجلسَه معهُ على مائدتِهِ، ثمَّ قال: لينزِلْ كلُّ اثنين منكُم بيتاً، وهذا لا ثانيَ له، فيكونُ معِي، فباتَ عندَه وقال: أتحبُّ أن أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهالكِ؟ قال: مَن يجدُ أخاً مثلكَ؟ ولكن لم يلِدْكَ يعقوبُ ولا راحيلُ.

قولُه: (وهيَ صَاعٌ) قيل: كانت مِشْرَبةً[2] جُعِلَتْ صاعاً يُكالُ به، وقيل: كانت يُسقَى الدَّوابُّ بها ويُكالُ فيها.

قولُه: (مُرصَّعٌ) وقيل: مِن فضَّةٍ.

قولُه: (صَاعَ) وقُرِئَ به[3].

قولُه: (منَ الطَّعَامِ) جُعلاً له.

---

(١) لم أقف عليه مسندا بهذا اللفظ، وجاء بنحوه عن السدي وابن إسحاق.

رواهما الطبري في «تفسيره» (١٩٥٠٣) و(١٩٥٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٧٩) و(١١٧٨٠).

(٢) أي: الإناء يشرب فيه. «تاج العروس» (٣/ ١١٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٦٩) ونسبت لأبي هريرة وجماعة.

٧٣ ـ ﴿قالُوا: تاللهِ﴾ ـ قسمٌ فيه معنى التعجّب ـ ﴿لَقَد عَلِمتُم: ما جِئنا لِنُفسِدَ في الأرضِ. وما كُنّا سارِقِينَ﴾: ما سرقنا قطُّ! ٧٤ ـ ﴿قالُوا﴾ أيِ: المُؤذّنُ وأصحابه: ﴿فما جَزاؤُهُ﴾ أي: السارقِ، ﴿إن كُنتُم كاذِبِينَ﴾ في قولكم: «ما كُنّا سارِقِينَ»، ووُجد فيكم؟ ٧٥ ـ ﴿قالُوا: جَزاؤُهُ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿مَن وُجِدَ في رَحلِهِ﴾ يُستَرَقُّ. ثمّ أُكّد بقوله ﴿فهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزاؤُهُ﴾ أي: المسروقِ لا غيرُ. وكانت سُنّةَ آلِ يعقوبَ. ﴿كَذلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجزِي الظّالِمِينَ﴾ بالسرقة. فصُرفوا إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم.

٧٦ ـ ﴿ فبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم﴾ ففتّشها ﴿قَبلَ وِعاءِ أخِيهِ﴾ لئلاّ يُتّهم، ﴿ثُمَّ استَخرَجَها﴾ أي: السقايةَ ﴿مِن وِعاءِ أخِيهِ﴾. قال تعالى: ﴿كَذلِكَ﴾ الكيدِ ﴿كِدْنا لِيُوسُفَ﴾: علّمناه الاحتيال في أخذ أخيه. ﴿ما كانَ﴾ يُوسف ﴿لِيأخُذَ أخاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة، ﴿في دِينِ المَلِكِ﴾: حُكمِ ملكِ مِصر لأنّ جزاءه عِندَه الضربُ وتغريمُ مِثلَيِ المسروقِ لا الِاسترقاقُ، ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ﴾ أَخْذَه بحُكم أبيه، أي: لم يتمكّن من أخذه إلاّ بمشيئة الله ـ تعالى ـ بإلهامه سُؤالَ إخوته وجوابِهم بسُنّتهم. ﴿نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ﴾ ـ بالإضافة والتنوين ـ في العِلم كيُوسف، ﴿وفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ﴾ من المخلوقِين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلمُ منه....

قولُه: (أي: السَّارِقِ) أو السَّرَقِ.

قولُه: (يُستَرَقُّ) أي: جزاءُ سرقتِهِ أخذُ مَن وُجِدَ في رحلِهِ واسترقاقُه.

قولُه: (سُنَّةَ) أي: شرعَ يعقوبَ.

قولُه: (ففتَّشَهَا) أي: يوسفُ، وقيل: المؤذِّنُ. وقولُه: ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيْهِ﴾ أي: نفياً للتُّهمةِ.

قولُه: (السَّاقِيَةَ) الأظهرُ: «السِّقايةَ» كما في نسخةٍ.

قولُه: (أَخْذَهُ) ظاهرُ كلامِهِ أنّه أرادَ الاستثناءَ المتَّصلَ، وهو غيرُ ظاهرٍ عند المتأمِّل، بل هو استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنْ أخذَه بمشيئةِ اللهِ، أو التَّقديرُ: إلَّا أن يشاءَ اللهُ أنْ يجعلَ ذلك الحكمَ حكمَ الملكِ، فالاستثناءُ من أعمِّ الأحوالِ.

قولُه: (بالإِضَافَةِ) غيرُ الكوفيِّ[1].

قولُه: (فِي العِلْمِ) أو بالعلمِ.

قولُه: (مِنَ المَخْلُوقِينَ) إذ الكلامُ فيهم.

قولُه: (أعلَمُ) إذ العليمُ الَّذي له العلمُ البالغُ منه؛ أي: كلِّ ذي علمٍ و(منْهم) أي: «المخلوقينَ».

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٣).

حتّى ينتهي إلى الله تعالى.

٧٧ ـ ﴿قالُوا: إن يَسرِقْ فقَد سَرَقَ أخٌ لَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: يوسفُ. وكان سرقَ لأبي أُمّه صنمًا من ذهب، فكسره لئلاّ يَعبده. ﴿فأسَرَّها يُوسُفُ في نَفسِهِ، ولَم يُبدِها﴾: يُظهرْها ﴿لَهُم﴾. والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿قالَ﴾ في نفسه: ﴿أنتُم شَرٌّ مَكانًا﴾ من يُوسفَ وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظُلمكم له، ﴿واللهُ أعلَمُ﴾: عالمٌ ﴿بِما تَصِفُونَ﴾: تذكرون من أمره.

٧٨ ـ ﴿قالُوا: يا أيُّها العَزيزُ، إنَّ لَهُ أبًا شَيخًا كَبيرًا﴾ يُحبّه أكثرَ منّا، ويتسلّى به عن ولده الهالك، ويُحزنه فِراقه. ﴿فخُذْ أحَدَنا﴾: استعبدْه ﴿مَكانَهُ﴾: بدلاً منه. ﴿إنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾ في أفعالك.

٧٩ ـ ﴿قالَ: معاذَ اللهِ﴾ ـ نُصِبَ على المصدر حُذف فِعله وأُضيف إلى المفعول ـ أي: نعوذ بالله من ﴿أن نأخُذَ إلاّ مَن وَجدْنا مَتاعَنا عِندَهُ﴾! لم يقل: «مَن سرق» تحرّزًا من الكذب. ﴿إنّا إذًا﴾: إن أخذنا غيره ﴿لَظالِمُونَ﴾.

قولُه: (حتّى ينتَهِيَ) تقييدُ المخلوقينَ يُغنِي عن هذه الغايةِ، والمرادُ: ردُّ مَن زعمَ أنَّه تعالى عالمٌ بذاتِهِ؛ إذ لو كانَ ذا علمٍ لكَانَ فوقَه مَن هو أعلمُ منه.

قولُه: (فكَسَرَهُ) وألقاهُ في الجِيَفِ.

قولُه: (والضَّمِيرُ للكَلِمةِ) يعنِي: أنّها كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وتفسيرُها قولُه: ﴿قال أنتم﴾ فإنَّه بدلٌ من ﴿أسرها﴾ وتأنيثُها باعتبارِ الكلِمَةِ أو الجملةِ، وفيه نظرٌ؛ إذ المفسَّرُ بالجملَةِ لا يكونُ إلَّا ضميرَ الشَّأنِ، فالصَّحِيحُ أنَّ الضَّميرَ للقصَّةِ، أو المقالةِ، أو نسبةَ السَّرقةِ إليه.

قولُه: (مِن يُوسُفَ) والمكانُ بمعنى المنزلَةِ.

قولُه: (تذكُرُونَ) أي: هو يعلمُ أنَّ الأمرَ ليسَ كما تصفُونَ، ولا شكَّ أنَّه أعلمُ به، فلا يظهرُ وجهُ تفسيرِ ﴿أعلم﴾ بـ«عالمٌ».

قولُه: (﴿كَبِيْراً﴾) في السِّنِّ، أو القَدْر، ذكرُوا له حالَه استعطافًا له عليه.

قولُه: (فِي أفعَالِكَ) أي: مِن المحسنينَ إلينا، فأتمِمْ إحسانك، أو مِن المتعوِّدينَ الإحسانَ، فلا تغيِّرْ عادتَك.

قولُه: (إِنْ أَخَذْنَا غيرَهُ) فإنَّ أخذَ غيرِه ظلمٌ على فتوَاكُم هذا، وإنَّ مرادَه أنَّ اللهَ تعالى أذِنَ أن نأخُذَ مَن وجدْنَا الصَّاعَ في رحلِهِ لمصلحتِهِ ورضاهُ عليه، فلو أخذْتُ غيرَه كنتُ ظالماً.

٨٠ ـ ﴿فلَمّا استَيْئَسُوا﴾: يئسوا ﴿مِنهُ خَلَصُوا﴾: اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ ـ مصدر يصلح للواحد وغيره ـ أي: يناجي بعضهم بعضًا، ﴿قالَ كَبِيرُهُم﴾ سِنًّا رَوبِيلُ أو رأيًا يهوذَى: ﴿أَلَم تعلَمُوا أنَّ أباكُم قَد أخَذَ علَيكُم مَوثِقًا﴾: عهدًا ﴿مِنَ اللهِ﴾ في أخيكم؟ ﴿ومِن قَبلُ ما﴾: زائدةٌ ﴿فَرَّطتُم في يُوسُفَ﴾، وقيل: ما مصدريّة مبتدأ خبره: من قبل. ﴿فلَن أبرَحَ﴾: أُفارِقَ ﴿الأرضَ﴾ أرض مِصر ﴿حَتَّى يأذَنَ لِيَ أبِيَ﴾ بالعودة إليه، ﴿أو يَحكُمَ اللهُ لِي﴾ بخلاص أخي. ﴿وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ﴾: أعدلُهم. ٨١ ـ ﴿ارجِعُوا إلَى أبِيكُم فقُولُوا: يا أبانا، إنَّ ابنَكَ سَرَقَ، وما شَهِدْنا﴾ عليه ﴿إلاّ بِما عَلِمْنا﴾: تَيَقَّنّا من مُشاهدة الصاع في رحله، ﴿وما كُنّا لِلغَيبِ﴾: لِما غاب عنّا حين إعطاء الموثِقِ ﴿حافِظِينَ﴾ ـ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه ـ ٨٢ ـ ﴿واسألِ القَريةَ الَّتِي كُنّا فِيها﴾ هي مِصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم، ﴿والعِيرَ﴾ أي: أصحابَ العِير ﴿الَّتِي أقبَلْنا فِيها﴾ ـ وهم قوم من كنعان ـ ﴿وإنّا لَصادِقُونَ﴾ في قولنا.

فرجعوا إليه، وقالوا له ذلك. ٨٣ ـ ﴿قالَ: بَل سَوَّلَتْ﴾: زيّنت.........................

قولُه: (يَئِسُوا) أي: من إجابةِ يوسُفَ.

قولُه: (مَصْدرٌ) وهو حالٌ؛ أي: متناجِينَ.

قولُه: (يَهُوذَا) الأصحُّ أنَّه شمعونُ، قال مجاهدٌ[١]: هو شمعونُ الذي تخلَّفَ، أكثرُهم عقلاً، وقال قتادةُ[٢]: هو روبيل أكبرُهم في السِّنِّ، أخرجَ ذلك ابنُ أبي حاتمٍ، كذا في «المبهماتِ»[٣] للمصنِّفِ.

قولُه: (عَهْداً) وثيقاً.

قولُه: (زائِدَةٌ) أي: ومِن قبلِ هذا قصَّرتُم في شأنِ يوسُفَ.

قولُه: (﴿مَا﴾ مصدَرِيَّةٌ) في مَوقِعِ النَّصبِ بالعطفِ على مفعُولِ ﴿تعلموا﴾.

قولُه: (مُبتَدَأٌ) فيه نظرٌ؛ لأنَّ ﴿قبل﴾ إذا كان خبراً لا يُقطَعُ عن الإضافَةِ.

قولُه: (بخَلَاصِ أَخِي) أو بالخرُوجِ منها، و﴿يحكُم﴾ بمعنَى يقضِي.

قولُه: (لما غَابَ عنَّا) أي: للعواقبِ، فلم نَدْرِ حينَ أعطيناكَ الموثِقَ أنَّه سيسرِقُ، أو المعنى: فلا ندرِي أنَّه سرَقَ، أو سُرِّقَ ودُسَّ الصَّاعُ في رحلِهِ.

قولُه: (زَيَّنَتْ) وسهَّلَتْ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٨٥١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩٦٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٨٥٢).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٥٩).

﴿لكُم أنفُسُكُم أمرًا﴾ ففعلتموه. اتّهمَهم لِما سبق منهم من أمر يُوسف. ﴿فصَبرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري. ﴿عَسَى اللهُ أن يأتِيَنِي بِهِم﴾: بيُوسفَ وأخوَيه ﴿جَمِيعًا. إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ﴾ بحالي ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

٨٤ ـ ﴿وتَوَلَّى عَنهُم﴾ تاركًا خِطابهم، ﴿وقالَ: يا أسَفا﴾ ـ الألف: بدل من ياء الإضافة ـ أي: يا حُزني ﴿علَى يُوسُفَ. وابيَضَّتْ عَيناهُ﴾: انمحق سوادهما، وبُدّل بياضًا من بكائه ﴿مِنَ الحُزْنِ﴾ عليه، ﴿فهُوَ كَظِيمٌ﴾: مغموم مكروب لا يُظهر كربه.

٨٥ ـ ﴿قالُوا: تاللهِ﴾ لا ﴿تَفتأُ﴾: تزال ﴿تَذكُرُ يُوسُفَ، حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مُشرفًا على الهلاك لطُول مرضك ـ وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ـ ﴿أو تَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ﴾: المَوتى!

٨٦ ـ ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿إنَّما أشكُو بَثِّي﴾ ـ هو عظيم الحُزن الذي لا يُصبَر عليه حتّى يُبَثَّ إلى الناس ـ ﴿وحُزْنِيَ إلَى اللهِ﴾..

قولُه: (ففَعَلْتُمُوهُ) أي: أمراً أردتموهُ فقرَّرتموهُ، وإلَّا فما أَدْرَى الملِكَ أنَّ السَّارقَ يؤخذُ بسرقتِهِ؟

قولُه: (صَبرِي) أو أمْري، أو ﴿فصبرٌ جميلٌ﴾ أجملُ.

قولُه: (وأَخِيهِ) الظَّاهرُ: «وأخوَيه» كما في نسخَةٍ.

قولُه: (بحَالِي) وحالِهم.

قولُه: (تَارِكاً) أي: أعرضَ عنهم كراهةَ ما صَادفَ منهم.

قولُه: (الأَلِفُ بدَلٌ) وفي «الصِّحاح»[١]: يا أسفَاهُ؛ للنُّدبةِ، فحذف الهاء.

قولُه: (انمحَقَ) أي: انمحَا وذهبَ، وقيلَ: ضعُفَ بصرُه، وقيل: عَمِيَ.

قولُه: (لَا) حُذِفَ لأنَّه لا يلتبِسُ بالإثباتِ، فإنَّ القسَمَ إذا لم يكُنْ معه علامةُ الإثباتِ مِن اللامِ والنُّونِ كان على النَّفْيِ.

قولُه: (وهُو مصدَرٌ) يعني: في الأصلِ، وإنْ كانَ هنا نعتاً، وأمَّا النَّعتُ فهو بالكسرِ، وقد قُرِئ به[٢].

قولُه: (لا يُصبَرُ) بالبناءِ للمجهولِ.

قولُه: (حتَّى يُبَثَّ) أي: يُنشَرَ.

قولُه: (إِلَى النَّاسِ) أو إلى اللهِ، وذكرُ الحُزنِ بعدَ البثِّ مِن بابِ التَّتميمِ واستيفاءِ التَّقسيمِ، كذا أفادهُ الفاضلُ.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٠٨٢).

(٢) وانظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٧٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٧) ولم تنسب لأحد.

لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه، ﴿وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾، من أنّ رُؤيا يُوسف صِدق وهو حيّ. ٨٧ ـ ثم قال: ﴿يا بَنِيَّ، اذهَبُوا فتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأخِيهِ﴾: اطلبوا خبرهما، ﴿ولا تَيأَسُوا﴾: تقنطوا ﴿مِن رَوحِ اللهِ﴾: رحمته. ﴿إنَّهُ لا يَيأَس مِن رَوحِ اللهِ إلاّ القَومُ الكافِرُونَ﴾.

فانطلقوا نحو مصر لِيوسف، ٨٨ ـ ﴿فلَمّا دَخَلُوا علَيهِ قالُوا: يا أيُّها العَزِيزُ، مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ﴾: الجُوع، ﴿وجِئنا بِبِضاعةٍ مُزجاةٍ﴾: مدفوعة، يدفعها كُلّ من رآها لرداءتها، وكانت دراهمَ زُيوفًا أو غيرها. ﴿فأَوفِ﴾: أتِمّ ﴿لَنا الكَيلَ، وتَصَدَّقْ عَلَينا﴾ بالمُسامحة عن رداءة بِضاعتنا. ﴿إنَّ اللهَ يَجزِي المُتَصَدِّقِينَ﴾: يُثيبهم. فرقّ لهم وأدركته الرحمة ورفع الحِجاب بينه وبينهم، ٨٩ ـ ثمّ ﴿قالَ﴾ لهم توبيخًا: ﴿هَل عَلِمتُم ما فَعَلتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك، ﴿وأخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه، ﴿إذ أنتُم جاهِلُونَ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف؟

قولُه: (لَا إِلَى غَيرِهِ) مفهومٌ من الحصرِ المعلومِ مِن ﴿إنَّما﴾ بمعنى: ما، وإلَّا، قال الشَّاعر[1]:

وَلَئِـنْ شَـكَوْتَ إِلَـى العِبَـادِ فَإنَّـما   تَشْكُو الرَّحِيـمَ إِلَـى الَّـذِي لَا يَرْحَـمُ

قولُه: (وهُو حيٌّ) لا يموتُ حتَّى تخِرَّ له إخوتُه سُجَّداً.

قولُه: (رحمَتِهِ) أو من فرجِهِ وتنفيسِهِ، وقُرِئ بالضَّمِّ[2]، أي: من رحمتِهِ التي يُحيي بها العبادَ.

قالَ تعَالى: (﴿الكافرون﴾) أي: باللهِ وصفاتِهِ، فإنَّ العارفَ بهما لا يقنَطُ مِن رحمتِهِ في شيءٍ مِن الأحوالِ.

قولُه: (لرَدَاءَتِها) أو قلَّتِهَا.

قولُه: (أَو غَيرَها) صُوفاً وسمناً، وقيل: الصَّنوبرَ وحبَّةَ الخضراءِ.

قولُه: (بالمُسَامَحَة) أو بالزِّيادةِ على ما يساويها أو بردِّ أخينا، والتصدُّقُ في الأصلِ التَّفضُّلُ مطلَقاً، واختُلِفَ في أنَّ حُرمةَ الصَّدقةِ تعمُّ الأنبياءَ، أو تختصُّ بنبيِّنا عليه وعليهم أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ.

قولُه: (مِن الضَّربِ) أي: قُبْحَ ما فعلتُم فتبتُم عنه.

قولُه: (مِن هَضمِكُم) أي: من إذلالِهِ حتَّى لا يستطِيعَ أن يتكلَّمَ إلَّا بعجزٍ وذلَّةٍ، أو مِن إفرادِهِ عن يوسُفَ.

قولُه: (مَا يَؤُولُ) أو قبحَه، فلذلك أقدَمْتُم عليه، أو عاقبتَه، وإنَّما قالَ ذلك تنصُّحاً لهم وتحريضاً على التَّوبةِ، وشفَقةً عليهم لِمَا رأى مِن عجْزِهم ومسكنتِهم لا مُعاتَبةً وتثريباً[3]، وإنَّما جهَّلَهم؛ لأنَّ فعلَهُم ذا فعلُ الجُهَّالِ.

---

(١) نسبها إلى الإمام زين العابدين صاحب «الكشكول» (١/ ٥٧) وكذلك صاحب «الدر الفريد» (١٠/ ٤١).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٥١) ونسبت للحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز.

(٣) التثريب: الاستقصاء في اللوم. «تاج العروس» (٢/ ٨٣).

٩٠ ـ ﴿قالُوا﴾ بعد أن عرفوه لِما ظهر من شمائله مُستثبِتِينَ: ﴿أَإِنَّكَ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَأنتَ يُوسُفُ؟ قالَ: أنا يُوسُفُ، وهذا أخِي، قَد مَنَّ﴾: أنعم ﴿اللهُ علَينا﴾ بالاجتماع. ﴿إنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: يَخَفِ اللهَ ﴿ويَصبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ﴾. فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر.

٩١ ـ ﴿قالُوا: تاللهِ لَقَد آثَرَكَ﴾: فضّلك ﴿اللهُ علَينا﴾ بالمُلك وغيره، ﴿وإنْ﴾ ـ مُخفّفة ـ أي: إنّا ﴿كُنّا لَخاطِئِينَ﴾: آثمين في أمرك، فأذلّنا اللهُ لك! ٩٢ ـ ﴿قالَ: لا تَثرِيبَ﴾: عتبَ ﴿علَيكُمُ اليَومَ﴾. خصّه بالذكر لأنه مَظِنّةُ التثريب، فغيرُه أولى. ﴿يَغفِرُ اللهُ لَكُم، وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ﴾. وسألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبتْ عيناه. ٩٣ ـ فقال: ﴿اذهَبُوا بِقَمِيصِي هذا﴾ ـ وهو قميص إبراهيمَ الذي لبسه حين أُلقي في النار، كان في عُنقه في الجُبّ وهو من الجنّة، أمره جبريل بإرساله وقال: ....

قولُه: (تَسْهِيلِ الثَّانِيةِ) نافعٌ وأبو عَمرٍو (وإدخَالِ ألفٍ) لقالونَ وأبي عمرٍو وهشامٍ بخُلْفِه[1]، وكان حقُّه أن يقولَ: وإدخالِ ألفٍ وتركِهِ.

وقولُه: (عَلَى الوَجْهَينِ) أي: التَّحقيقِ والتَّسهيلِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ بالإخبارِ[2]، وأمَّا ما في بعضِ النُّسخِ: «وإبدالِ ألفٍ بينهُما» فخطأٌ فاحشٌ من وجُوهٍ على الوجهينِ.

قولُه: (يخَفِ) وقرأ قُنبُلٌ: (من يتقي) بإثباتِ الياء[3].

قولُه: (عَلَى مَا يَنَالُه) من البليَّاتِ، وعلى الطَّاعاتِ، وعن السَّيِّئات.

قولُه: (مَوضِعَ المُضْمَرِ) للتَّنبيهِ على أنَّ المحسِنَ مَن جمعَ بينَ التَّقوى والصَّبرِ.

قولُه: (وَغَيرِه) من حُسنِ الصُّورةِ وكمالِ السِّيرةِ.

قولُه: (عَتْبَ) أي: ملامةَ، ومن كرمِ يوسُفَ أنَّهم لمَّا عرفوهُ أرسَلوا إليه، وقالوا: إنَّكَ تدعُونا بُكرةً وعشيَّةً إلى الطَّعامِ، ونحن نستَحيِي منك لِمَا فرَطَ منَّا فيكَ، فقال: إنَّ أهلَ مصرَ كانُوا ينظرُونَ إليَّ بالعينِ الأُولى ويقُولونَ: سبحانَ مَن بلَّغَ عبداً بيعَ بعشرينَ درهماً ما بلغَ، ولقد شرُفْتُ بكُم وعظُمْتُ في عُيونِهم؛ حيثُ علِمُوا أنَّكم إخوَتي وأنِّي من حفَدةِ إبراهيمَ[4].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٣٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥١).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٠٣)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (١٨/ ٥٠٦).

إنَّ فيه رِيحَها، ولا يُلقى على مُبتلًى إلاّ عُوفيَ - ﴿فألقُوهُ على وَجهِ أبِي، يأتِ﴾: يَصِرْ ﴿بَصِيرًا، وائتُوني بِأهلِكُم أجمَعِينَ﴾.

٩٤ - ﴿ولَمّا فَصلَتِ العِيرُ﴾: خرجتْ من عريش مِصرَ ﴿قالَ أبُوهُم﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم: ﴿إنِّي لَأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. أوصلَتْه إليه الصَّبا بإذنه - تعالى - من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر، ﴿لَولا أن تُفَنِّدُونِ﴾: تُسفِّهونِ لصَدّقتموني. ٩٥ - ﴿قالُوا﴾ له: ﴿تاللهِ إنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ﴾: خطئك ﴿القَدِيمِ﴾ من إفراطِك في محبّته ورجاءِ لِقائه على بُعد العهد!

٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ﴿فلَمّا أن﴾ - زائدةٌ - ﴿جاءَ البَشِيرُ﴾ يَهوذَى بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم فأحبَّ أن يُفرِحه كما أحزنه، ﴿ألقاهُ﴾: طرحَ القميصَ ﴿علَى وَجهِهِ، فارتَدَّ﴾: رَجَعَ ﴿بَصِيرًا، قالَ: ألَم أقُلْ لَكُم: إنِّيَ أعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ؟ قالُوا: يا أبانا، استَغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، إنّا كُنّا خاطِئِينَ. قالَ: سَوفَ أستَغفِرُ لَكُم رَبِّيَ. إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. أخَّرَ ذلك إلى السَّحر ليكون أقرب إلى الإجابة،..........

قولُه: (﴿بَصِيراً﴾) أي: رجعَ ذا بصرٍ، فالإتيانُ مجازٌ عن الصَّيرورَةِ.

قولُه: (مِن عَريشِ مصْرَ) أي: عُمرانِها.

قولُه: (لمَنْ حضَرَ) أو لمن حضرَه.

قولُه: (تُسَفِّهونِ) أي: تنسبُوني إلى الفنَدِ؛ وهو نقصانُ عقلٍ يحدُثُ مِن هرَمٍ[1].

قولُه: (لصَدَّقتُموني) أو لقُلتُ: إنَّه قريبٌ، جوابُ ﴿لولا﴾.

قولُه: (خَطَئِكَ) أو ذهابِكَ عن الصَّوابِ، وقيل: في حبِّكَ.

قولُه: (في محبَّتِهِ) وإكثارِ ذكرِه.

قولُه: (طرَحَ) أي: البشيرُ أو يعقوبُ.

قولُه: (رَجعَ) لما انتعشَ فيه مِن القوَّةِ.

قالَ تعَالى: (﴿ما لا تعلمون﴾) أي: من حياةِ يوسُفَ وإنزالِ الفرَحِ.

قولُه: (إلَى السَّحَرِ) هذا قولُ ابنِ مسعودٍ[2].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٣/ ٣٣٨).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «التفسير» (١١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٩٨٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٩٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٠٤) (٨٥٤٨).

وقيل: إلى ليلة الجُمعة.

ثمّ توجّهوا إلى مِصر، وخرج يُوسف والأكابر لتلقّيهم، ٩٩ ـ ﴿فلَمّا دَخَلُوا علَى يُوسُفَ﴾ في مَضرِبه ﴿آوَى﴾: ضمّ ﴿إِلَيهِ أبَوَيهِ﴾: أباه وأُمّه أوخالتَه، ﴿وقالَ﴾ لهم: ﴿ادخُلُوا مِصرَ، إن شاءَ اللهُ، آمِنِينَ﴾. فدخلوا وجلس يُوسف على سريره.

١٠٠ ـ ﴿ورَفَعَ أبَوَيهِ﴾: أجلسهما معه ﴿علَى العَرشِ﴾: السرير، ﴿وخَرُّوا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعَ جبهةٍ ـ وكان تحيّتَهم في ذلك الزمان ـ ﴿وقالَ: يا أبَتِ، هذا تأوِيلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ، قَد جَعَلَها رَبِّي حَقًّا، وقَد أحسَنَ بِيَ﴾:........................

قولُه: (وقيلَ) هذا حديثٌ مرفُوعٌ، أخرجَه التِّرمذيُّ[1]، فتعَبيرُه بـ«قيل» ضعيفٌ.

قولُه: (ثمَّ توَجَّهُوا) كان أولادُه الذين دخلوا معهُ مصرَ اثنينِ وسبعينَ رجلاً وامرأةً، وكانُوا حين خرجُوا مع موسَى ستَّمئةِ ألفٍ وخمسمِئةٍ وبضعةً وسبعينَ رجلاً سوَى الذُّرِّيةِ والهَرمَى[2].

قولُه: (في مَضرِبِهِ) أي: خيمتِهِ.

قولُه: (وأُمَّهُ) أي: راحيلَ.

قولُه: (أَو خالتَهُ) ريًا، نزَّلَها منزلةَ الأمِّ تنزيلَ العمِّ منزلةَ الأبِ في قولِه: ﴿وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل﴾ [البقرة:١٣٣] أو لأنَّ يعقوبَ تزوَّجَها بعد أمِّه، والرَّابَّةُ[3] تُدعَى أمًّا.

قولُه: (فدَخَلُوا) والدُّخولُ الأوَّلُ كانَ في موضعٍ خارجَ البلَدِ حينَ استقبَلَهم كما أشارَ إليه الشَّيخُ بقولِه: «في مضرِبِهِ» والمشيئةُ متعلِّقةٌ بالدُّخولِ المكيَّفِ بالأمنِ مِن القَحْطِ وأصنافِ المكارِه.

قولُه: (سُجُودَ انحِنَاءٍ) وكان السُّجودُ عندَهُم يجري مجرَى التَّحيةِ[4]، وقيل: معناهُ خرُّوا لأجلِه سُجَّداً لله شكراً[5].

قال تعَالَى: (﴿مِن قبل﴾) قال سلمانُ[6]: كان بينَ رؤياهُ وتأويلِهَا أربعونَ عاماً.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٩٥٧) و(١١٩٨٨) مع بعض اختلاف.

(٣) يقال لامرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها: ربيبة وهو الرَّابُّ، وهي: الرَّابَّة. «العين» للفراهيدي (٨/ ٢٥٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٦٩، ٢٧٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٢٠٢).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٧٧).

(٦) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٢٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٥٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٩٩١١)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٤٦). قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

إليَّ ﴿إذ أخرَجَني مِنَ السِّجنِ﴾ ـ ولم يقل: «من الجُبّ» تكرّمًا لئلاّ يَخجل إخوتُه ـ ﴿وجاءَ بِكُم مِنَ البَدْوِ﴾: البادية ﴿مِن بَعدِ أن نَزَغَ﴾: أفسد ﴿الشَّيطانُ بَيني وبَينَ إخوَتِي. إنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ. إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبعَ عشْرةَ سنة، وكانت مُدّة فِراقه ثمانيَ عشْرةَ أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصَّى يُوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثَمّةَ، ثمّ عاد إلى مصرَ وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة. ولمّا تمّ أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى المُلك الدائم، فقال:

١٠١ ـ ﴿رَبِّ، قَد آتَيتَني مِنَ المُلكِ، وعَلَّمتَني مِن تأويلِ الأحادِيثِ﴾: تعبيرِ الرؤيا. ﴿فاطِرَ﴾: خالقَ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، أنتَ وَلِيِّي﴾: مُتولّي مصالحي ﴿في الدُّنيا والآخِرةِ. تَوَفَّني مُسلِمًا وألحِقْني بِالصّالِحِينَ﴾ من آبائي. فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات، وله مِائَةٌ وعشرون سنة. وتشاحَّ المِصريّون في قبره، فجعلوه في صندوقِ مرمرٍ ودفنوه في أعلى النيل، لتعمّ البركة جانبَيه. فسُبحان من لا انقضاء لملكه!

١٠٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من أمر يُوسف ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبارِ ما غاب عنك ـ يا مُحمّد ـ ﴿نُوحِيهِ إلَيكَ، وما كُنتَ لَدَيهِم﴾: لدى إخوةِ يُوسفَ ﴿إذ أجمَعُوا أمرَهُم﴾ في كيده،...........

قولُه: (مِن الجُبِّ) وهو أصعَبُ.

قولُه: (البَادِيَة) لأنّهم كانُوا أصحابَ المواشِي، وقيل: فلسطينَ.

قولُه: (أفسَدَ) وحرَّشَ.

قولُه: (وحضَرَهُ) أي: يعقُوبَ.

قولُه: (تاقَتْ) أي: اشتاقَتْ.

قولُه: (تَعبِيرِ الرُّؤيَا) و﴿من﴾ في الموضعَينِ للتَّبعيضِ.

قولُه: (خالِقَ) أو مبدعَ، وانتصابُه على أنّه صفةُ المنادَى، أو منادًى برأسِهِ.

قولُه: (مُتولِّي) أو ناصِري.

قولُه: (مِن آبائِي) أو بعامَّةِ الصَّالحينَ في الرُّتبةِ والكرامَةِ.

قولُه: (جانبَيْهِ) ثمَّ نقلَه موسى إلى مَدفَنِ آبائِهِ.

قولُه: (فِي كَيدِهِ) من أن يجعلُوهُ في غيابةِ الجُبِّ.

أي: عزموا عليه، ﴿وهُم يَمكُرُونَ﴾ به ـ أي: لم تحضرْهم، فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها، وإنما حصل لك عِلمها من جهة الوحي ـ ١٠٣ ـ ﴿وما أكثرُ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة، ﴿ولَو حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم، ﴿بِمُؤمِنِينَ﴾.

١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ﴿وما تَسألُهُم علَيهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿مِن أجرٍ﴾ تأخذه ـ ﴿إن﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القُرآن ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ ـ وكَأيِّنْ﴾: وكم ﴿مِن آيةٍ﴾ دالّة على وحدانيّة الله ﴿في السَّماواتِ والأرضِ، يَمُرُّونَ علَيها﴾: يُشاهدونها، ﴿وهُم عَنها مُعرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها! ١٠٦ ـ ﴿وما يُؤمِنُ أكثرُهُم بِاللهِ﴾ حيثُ يُقرّون بأنه الخالق الرازق، ﴿إلاّ وهُم مُشرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام. ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيكَ لا شريكَ لكَ، إلاّ شريكًا هوَ لكَ، تَملِكُه وما مَلَكَ». يعنونها. ١٠٧ ـ ﴿أفأمِنُوا أن تأتِيَهُم غاشِيةٌ﴾: نِقمة تغشاهم ﴿مِن عَذابِ اللهِ، أو تأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغْتةً﴾: فَجْأة، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله؟

١٠٨ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هذِهِ سَبِيلِيَ﴾. وفسّرَها بقوله: ﴿أدعُو إلَى﴾ دِينِ ﴿اللهِ، علَى بَصِيرةٍ﴾: حُجّة واضحة ﴿أنا ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾: آمن بي ـ عطفٌ على «أنا» المبتدأِ المُخبِرِ عنه بما قبله ـ ﴿وسُبحانَ اللهِ﴾: تنزيهًا له، عن الشُّركاء! ﴿وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ﴾ من جُملة سبيله أيضًا.

١٠٩ ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلاّ رِجالاً، يُوحَى﴾ ـ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ـ.............

قولُه: (بِهِ) وبأبيه ليُرسِلَه معَهم.

قولُه: (أي: القُرْآنِ) أو الأنباءِ.

قولُه: (عِظَةٌ) مِن اللهِ.

قولُه: (يُشاهِدُونَها) أي: الآياتِ.

قولُه: (بعِبادَت) أو باتِّخاذِ الأحبارِ أرباباً، ونسبةِ التَّبنِّي، أو القولِ بالنُّورِ والظُّلمةِ، أو النَّظرِ إلى الأسبابِ.

قولُه: (يَعنُونَهَا) أي: «الأصنامَ».

قولُه: (تَغْشَاهُم) تشملُهُم.

قولُه: (فَجْأَةً) من غيرِ سابقةِ علامةٍ.

قولُه: (قَبلَهُ) غيرَ مستعدِّينَ لها، بل مشتغلينَ بالدُّنيا، فيكونُ أشدَّ.

قولُه: (بمَا قَبلَهُ) وهو ﴿على بصيرة﴾ والأظهرُ أنَّ ﴿أنا﴾ تأكيدٌ للمُستتِرِ في ﴿أدعو﴾.

قولُه: (وفي قِرَاءةٍ) لحفصٍ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٥).

﴿إلَيهِم﴾ لا ملائكة، ﴿مِن أهلِ القُرَى﴾: الأمصارِ لأنهم أعلمُ وأحلمُ بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم. ﴿أفلَم يَسِيرُوا﴾ أهلُ مكّة ﴿في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ أي: آخرُ أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلَهم؟ ﴿ولَدارُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ اللهَ. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ بالياء، والتاء: يا أهلَ مكة هذا فتؤمنون؟

١١٠ ـ ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ لِما دلّ عليه «وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلاّ رِجالاً» أي: فتراخى نصرهم، حتى ﴿إذا استَيْئَسَ﴾: يئس ﴿الرُّسُلُ، وظَنُّوا﴾: أيقنَ الرسل ﴿أنَّهُم قَد كُذِّبُوا﴾، بالتشديدِ: تكذيبًا لا إيمان بعده، والتخفيفِ أي: ظنّ الأُمم أنّ الرسل أُخلِفوا ما وُعدوا به من النصر، ﴿جاءَهُم نَصرُنا. فنُنَجِّي﴾ ـ بنونينِ مُشدّدًا ومُخففًا، وبنونٍ مُشدّدًا:..

قولُه: (لَا ملائكَةَ) ردٌّ لقولِهم: ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ وقيل: معناه نفيُ استنباءِ النِّساءِ[1].

قولُه: (وأَحْلَمُ) أي: أكثرُ حِلْماً، وهو المناسبُ لمقابلةِ جفاءِ البدْوِ، وفي نسخةٍ: «أحكمُ» أي: أتقنُ أموراً.

قولُه: (آخِرُ أَمْرِهِم) فيحذَرُوا تكذِيبَكَ، أو مِن المشغُوفِينَ في الدُّنيا المتهالِكينَ عليها، فينقلِعُوا عن حبِّها.

قولُه: (أي: الجَنَّةُ) تفسيرٌ للدَّارِ، والتَّقديرُ: ولدارُ الحالِ أو السَّاعةِ، أو الحياةِ الآخرَةِ.

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ، نافعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ[2].

قولُه: (هذَا) مفعولٌ؛ أي: كونَ الدَّارِ الآخرةِ خيراً.

قولُه: (لِما دلَّ...) إلخ؛ أي: لِمَا دلَّ عليه الكلامُ؛ أي: لا يغرُرهُم تمادِي أيَّامِهم، فإنَّ مَن قبلَهُم أُمهِلوا حتَّى أيسَ الرُّسلُ عن النَّصرِ عليهم في الدُّنيا، أو عن إيمانِهم لانهمَاكِهم في الكفرِ.

قولُه: (بالتَّشدِيدِ) غيرُ الكوفيِّ[3].

قولُه: (لَا إِيمَانَ بعدَهُ) أو أنَّ القومَ كذَّبوهُم فيما أوعدُوهُم.

قولُه: (مُشدَّداً) أي: جيمُه لم يقرَأْ به أحدٌ من القُرَّاءِ السَّبعةِ، ولا العشرةِ[4].

قولُه: (ومُخفَّفاً) غيرُ الشَّاميِّ وعاصمٍ[5].

---

(١) وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٢)

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٥).

(٣) انظر المصادر السابقة: (ص: ٣٥١)، و(ص: ٣٦٧).

(٤) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٩٦).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٧).

ماض ـ ﴿مَن نَشاءُ، ولا يُرَدُّ بأسُنا﴾: عذابنا ﴿عَنِ القَومِ المُجرِمِينَ﴾: المُشركين.

١١١ ـ ﴿لَقَد كانَ في قَصَصِهِم﴾ أي: الرسلِ ﴿عِبرةٌ لِأُولِي الألبابِ﴾: أصحاب العقول. ﴿ما كانَ﴾ هذا القُرآن ﴿حَدِيثًا يُفتَرَى﴾: يُختلق، ﴿ولكِن﴾ كان ﴿تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾: قبله من الكُتب ﴿وتَفصِيلَ﴾: تبيينَ ﴿كُلِّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدِّين ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمَةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

قولُه: (ماضٍ) مجهولٌ.

قولُه: (المُشرِكِينَ) إذا نزلَ بهم.

قولُه: (أي: الرُّسُلِ) وأممِهِم، أو يوسُفَ وإخوتِهِ.

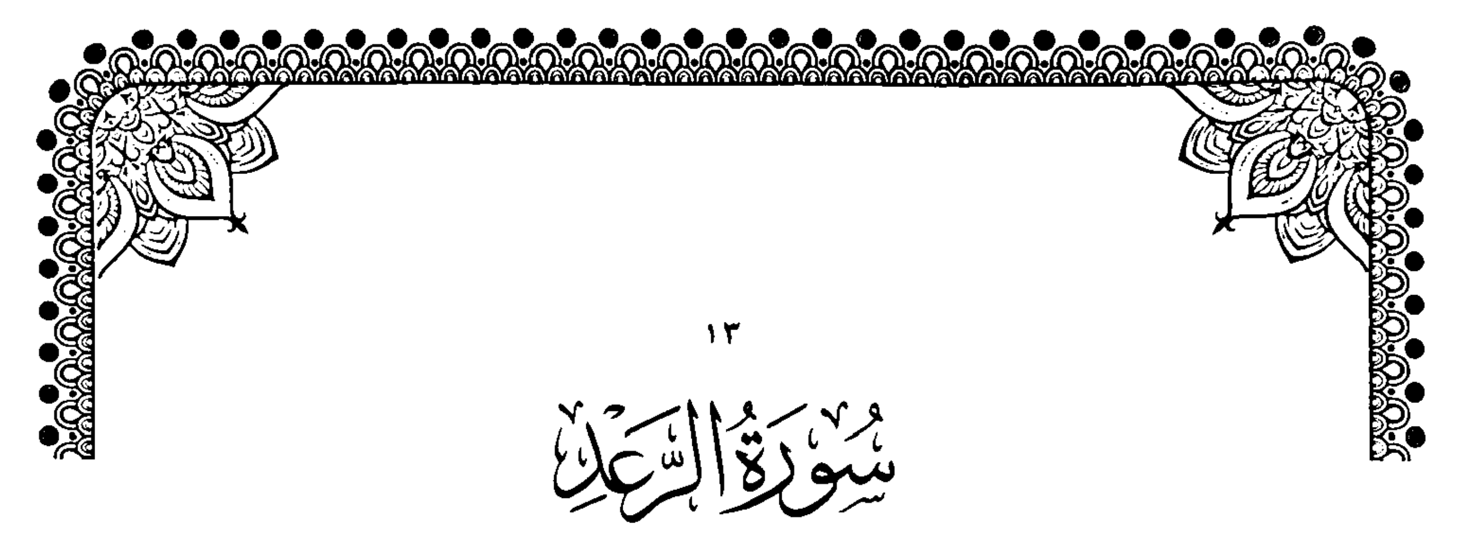
قولُه: (يُختلَقُ) أي: مُختلَقاً مُفتعلاً.

قولُه: (مِن الكتبِ) الإلهيَّةِ.

قولُه: (فِي الدِّينِ) إذ ما منْ أمرٍ دينيٍّ إلَّا وله سندٌ منَ القرآنِ بوسطٍ، أو غيرِ وسطٍ.

قالَ تعَالى: (﴿ورحمة﴾) ينالُ بها خيرَ الدَّارينِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



١٣

سورة الرعد

مكيةٌ إلاّ «ولا يزال الذين كفروا» الآيةَ و«ويقول الذين كفروا لستَ مرسلاً» الآيةَ، أو مدنيةٌ إلاّ «ولو أنّ قرآنًا» الآيتين، ثلاثٌ أو أربع أو خمس أو ستّ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿المر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ ﴿والَّذِي أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنُ، مبتدأ خبرُه: ﴿الحَقُّ﴾: لا شكّ فيه، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يُؤمِنُونَ﴾ بأنه من عِنده تعالى.

٢ ـ ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها﴾ أي: العمدَ: جمع عِماد ـ وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأنْ لا عَمد أصلاً ـ ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾ استواءً يليق به، ﴿وسَخَّرَ﴾: ذلّلَ ﴿الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجرِي﴾ في فلكه ﴿لِأجَلٍ مُسَمًّى﴾ يومِ القيامة، ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾: يقضي أمر مُلكه،

سورة الرعد

قولُهُ: (اللَّهُ أعلَمُ) قيل: معناهُ: أنا اللهُ أعلمُ وأرى.

قولُهُ: (بأنَّهُ مِنْ عِندِهِ) لإخلالِهم بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ فيه.

قولُهُ: (يَوْمَ القِيَامَةِ) أي: لغايةٍ مضروبةٍ ينقطعُ دونَها سيرُه، وهي: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ٢] أو المعنى: لمدَّةٍ معيَّنةٍ يُتمُّ فيها أدوارَهُ.

قولُهُ: (أَمْرَ خَلقِهِ) وفي بعضِ النُّسخِ: «أمْرَ ملكِهِ» أي: يدبِّرُ أمرَ ملكوتِهِ من الإيجادِ والإعدامِ والإحياءِ والإماتةِ وغيرِ ذلك.

﴿يُفَصِّلُ﴾: يُبيِّن ﴿الآياتِ﴾: دلالاتِ قُدرته، ﴿لَعَلَّكُم﴾ -يا أهل مكّة- ﴿بِلِقاءِ رَبِّكُم﴾: بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

٣ - ﴿وهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾: بسَط ﴿الأرضَ، وجَعَلَ﴾: خلق ﴿فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً ثَوابتَ ﴿وأنهارًا، ومِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوجَينِ اثنَينِ﴾ من كُلِّ نوع، ﴿يُغشِي﴾: يُغطِّي ﴿اللَّيلَ﴾ بظُلمته ﴿النَّهارَ. إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته - تعالى - ﴿لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنع الله.

٤ - ﴿وفي الأرضِ قِطَعٌ﴾: بِقاع مُختلفة ﴿مُتَجاوِراتٌ﴾: مُتلاصقات، فمنها طيّب وسَبِخ وقليل الرَّيع وكثيرُه، وهو من دلائل قدرته - تعالى - ﴿وجَنّاتٌ﴾: بساتينُ ﴿مِن أعنابٍ وزَرعٌ﴾، بالرفعِ عطفًا على «جنّاتٌ»، ....

قولُهُ: (يُبيِّنُ) أي: يُحدثُ الدَّلائلَ المنصوبةَ واحداً بعد واحدٍ، أو ينزِّلُ الآياتِ القرآنيَّة ويُبيِّنها مفصَّلةً.

قولُهُ: (بالبَعْثِ) أي: لكي تتفكَّروا فيها وتتحقَّقوا كمالَ قدرتِهِ، فتَعلموا أنَّ من قدرَ على خلْقِ هذه الأشياءِ وتدبيرِها قدرَ[1] على الإعادةِ والجزاءِ.

قولُهُ: (بَسَطَ) طولاً وعرضاً لتثبُتَ عليها الأقدامُ.

قولُهُ: (ثَوَابِتَ) جمعُ: راسيةٍ، من رسا الشَّيءُ: إذا ثبتَ، والتَّاءُ للتَّأنيثِ على أنَّها صفةُ أَجْبُلٍ، أو للمبالغةِ.

قولُهُ: (مِنْ كُلِّ نَوعٍ) كالحُلوِ والحامِضِ، والأسودِ والأبيضِ، والصَّغيرِ والكبيرِ.

قولُهُ: (يُغَطِّي) قرأَ حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكرٍ بتشديدِ الشِّينِ[2]؛ أي: يُلبسُه[3] مكانَهُ فيصيرُ الجوُّ مُظْلماً بعدَما كانَ مضيئاً.

قولُهُ: (دِلَالَاتٍ) فإنَّ تكوُّنَها وتخصُّصَها بوجهٍ دونَ وجهٍ دليلٌ على وجودِ صانعٍ حكيمٍ دبَّرَ أمرَها وهيَّأَ أسبابَها.

قولُهُ: (وَسَبِخٌ) ورَخوٌ وصلبٌ، وبعضُها يصلُحُ للزَّرعِ دون الشَّجرِ، وبعضُها بالعكسِ.

قولُهُ: (وهُوَ مِن دَلَائلِ قُدرَتِهِ) فلولا تخصيصُ قادرٍ مُوقعٍ لأفعالِهِ على وجهٍ دون وجهٍ لم يكُن كذلك؛ لاشتراكِ تلك القطعِ في الطَّبيعةِ الأرضيَّةِ.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) مكيٌّ وبصريٌّ وحفصٌ[4]، وتوحيدُ الزَّرعِ لأنَّهُ مصدرٌ في أصلِه.

---

(١) في (م) و(د): «قادر».

(٢) أي قوله تعالى: ﴿يغشي﴾. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٨).

(٣) في (ص): «سلب»، وفي (د): «يلبس».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٩).

والجرِّ على «أعنابٍ»، وكذا قولُه: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ﴾: جمع صِنْو - وهي النَّخَلات، يجمعها أصل واحد وتتشعّب فُروعها - ﴿وغَيرُ صِنْوانٍ﴾: منفردةٌ، ﴿تُسقى﴾، بالتاءِ أي: الجنّاتُ وما فيها، والياءِ أي: المذكورُ، ﴿بِماءٍ واحِدٍ، ونُفَضِّلُ﴾ - بالنون والياء - ﴿بَعضَها علَى بَعضٍ في الأُكُلِ﴾، بضمّ الكاف وسكونها. فمن حُلو وحامض، وهو من دلائل قُدرته تعالى. ﴿إنَّ في ذٰلِكَ﴾المذكورِ ﴿لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

٥ - ﴿وإن تَعجَبْ﴾ - يا مُحمّد - من تكذيب الكُفّار لك ﴿فعَجَبٌ﴾: حقيقٌ بالعجب ﴿قَولُهُم﴾ منكرين للبعث: ﴿أإذا كُنّا تُرابًا أإنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ﴾؟ لأنّ القادرَ على إنشاء الخلق وما تقدّم على غير مثال قادر على إعادتهم. وفي الهمزتين في الموضعين التحقيقُ،......................

قولُهُ: (وكَذَا قَولُهُ) ﴿وغير صنوان﴾.

قولُهُ: (وهِي) أي: الصِّنوانُ.

قولُهُ: (مُنْفَرِدةٌ) أي: متفرِّقاتٌ مختلفَةُ الأصولِ، قالَ البيضاويُّ: وقرأَ حفصٌ بالضَّمِّ[١]. ولعلَّهُ روايةٌ شاذَّةٌ[٢].

قولُهُ: (والياءِ) التَّذكيرُ: شاميٌّ وعاصمٌ[٣].

قولُهُ: (والياءِ) الغيبةُ: حمزةُ والكسائيُّ[٤]؛ ليطابقَ قولَهُ: ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ﴾.

قولُهُ: (وسُكُونِهَا) الحِرْميَّانِ[٥]؛ أي: في الثَّمرِ شكلاً وقَدْراً، ورائحةً وطعماً.

قولُهُ: (مِن دَلَائلِ قُدْرتهِ) فإنَّ اختلافَها مع اتِّحادِ الأصولِ[٦] والأسبابِ لا يكونُ إلَّا بتخصيصِ قادرٍ مختارٍ.

قولُهُ: (مِنْ تَكذِيبِ الكُفَّارِ) أو من إنكارِهِم البعثَ.

قولُهُ: (وفِي الهَمْزَتَيْنِ.... إلخ) الحاصلُ: قالون بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثَّانيةِ من الأولى وإدخالِ ألفٍ بينَهُما وبالخبرِ في الثَّاني، وورشٌ كذلك إلَّا أنَّهُ بلا إدخالٍ، وابنُ كثيرٍ بالاستفهامَينِ بلا إدخالٍ مع تحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثَّانيةِ فيهما، وأبو عَمرو كذلكَ مع الإدخالِ، وابنُ عامرٍ في الأوَّلِ بالخبرِ وفي الثَّاني

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٨١).

(٢) وهي كما قال، بضم الصاد في (صُنوان) في الموضعين. انظر: «مختصر شواذ القرآن» (ص: ٧٠).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٦٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٠).

(٥) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٦).

(٦) في (ص): «الأحوال».

وتحقيقُ الأُولى وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين وتركُها. وفي قراءة بالاستفهامِ في الأوّل والخبرِ في الثاني، وأُخرى عكسُه. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم، وأُولئِكَ الأغلالُ في أعناقِهِم، وأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

ونزل في استعجالهم العذابَ استهزاءً: ٦ ـ ﴿ويَستَعجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: العذابِ ﴿قَبلَ الحَسَنَةِ﴾: الرحمة، ﴿وقَد خَلَت مِن قَبلِهِم المَثُلاتُ﴾: جمع المَثُلة بوزن السَّمُرة، أي: عُقوباتُ أمثالهم من المُكذّبين. أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرةٍ لِلنّاسِ علَى﴾: معَ ﴿ظُلمِهِم﴾ ـ وإلاّ لم يترك على ظهرها دابّة ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ﴾ لِمَن عصاه، ٧ ـ ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿آيةٌ مِن رَبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة. قال تعالى: ﴿إنَّما أنتَ مُنذِرٌ﴾: مُخوّفُ الكافرين، وليس عليك إتيان الآيات، ﴿ولِكُلِّ قَومٍ هادٍ﴾: نبيٌّ يدعوهم إلى ربّهم بما يُعطيه من الآيات لا بما يقترحون.

بمحقَّقَتينِ، وأدخلَ هشامٌ بينهما ألفاً، والباقُونَ بمحقَّقَتينِ فيهما بلا إدخالٍ بينهما، إلَّا أنَّ الكسائيَّ يقرأُ بالإخبارِ في الثَّاني[1].

قولُهُ: (العَذَابَ) أي: ما هُدِّدُوا به من عذابِ الدُّنيا.

قولُهُ: (الرَّحْمةِ) أو العافيةِ[2].

قولُهُ: (أَفَلا يَعتَبِرُونَ) ولا يجوِّزونَ حلولَ مثلِها عليهم.

قولُهُ: (مَعَ ﴿ظُلمِهِمْ﴾) أنفسَهُم، ومحلُّهُ النَّصبُ على الحالِ، والعاملُ فيه المغفرةُ.

قولُهُ: (لِمَنْ عَصَاهُ) وعن النَّبيِّ ﷺ: «لولا عَفوُ اللهِ وتجاوزُهُ ما هَنَأَ أحداً العيشُ، ولولا وعيدُهُ وعقَابُهُ لاتَّكَلَ كلُّ أحدٍ»[3] كذا ذكرَهُ القاضي[4].

قولُهُ: (كالعَصَا) لعَدمِ اعتِدادِهم[5] بالآياتِ المنزَلةِ عليه.

قولُهُ: (الآياتِ) أي: المقترَحةِ عليك، وإنَّما عليكَ الإتيانُ بما تصحَّحُ به نبوَّتَك من جنسِ المعجزاتِ.

قولُهُ: (الآياتِ) أي: المعجزاتِ، من جنْسِ ما هو الغالبُ عليهم.

---

(١) انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٤٢١).

(٢) في (ص): «والعافية»، وفي (د): «أو العاقبة».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢١٤٥)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٥٦٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤٨٥) عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٨٢).

(٥) في (ص): «اعتقادهم».

٨ ـ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكرٍ وأُنثى وواحدٍ ومتعدّدٍ وغيرِ ذلك، ﴿وما تَغِيضُ﴾: تَنقُصُ ﴿الأرحامُ﴾ من مُدّة الحمل ﴿وما تَزدادُ﴾ منه، ﴿وكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدارٍ﴾: بقدْر وحَدٍّ لا يتجاوزه، ٩ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿الكَبِيرُ﴾: العظيم ﴿المُتَعالِ﴾ على خلقه بالقهر، بياءٍ ودونها، ١٠ ـ ١١ ـ ﴿سَواءٌ مِنكُم﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿مَن أَسَرَّ القَولَ ومَن جَهَرَ بِهِ، ومَن هُوَ مُستَخْفٍ﴾: مُستترٌ ﴿بِاللَّيلِ﴾: بظلامه ﴿وسارِبٌ﴾: ظاهر بذهاب في سَربه،............

قولُهُ: (وغَيرِ ذَٰلِكَ) من كاملٍ وناقصٍ، ومؤمنٍ وكافرٍ، وطويلٍ وقصيرٍ، ونحوها.

قولُهُ: (مِن مُدَّةِ الحَملِ) والجثَّةِ والعَددِ.

قولُهُ: (مِنهُ) ممَّا ذكرَ، قالَ القاضي[1]: وأقصَى مدَّةِ الحمْلِ أربعُ سنينَ عندَنا[2]، وخمسٌ عند مالكٍ[3]، وثنتانِ عندَ أبي حنيفةَ[4]، وأعلى عددِهِ لا حدَّ له.

وقيل: نهايةُ ما عُرفَ أربعةٌ، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ[5].

قولُهُ: (لَا يَتَجَاوَزهُ) ولا ينقصُ عنه.

قولُهُ: (مَا غَابَ) عن الحسِّ.

قولُهُ: (شُوهِدَ) له.

قولُهُ: (العَظِيمُ) الشَّأنِ.

قولُهُ: (بالقَهرِ) والقُدرةِ، وقيل: الكبيرُ في ذاتِهِ، المتعالي في صفاتِهِ.

قولُهُ: (بياءٍ) ابنُ كثيرٍ في الحالينِ[6].

قولُهُ: (مُستَتِرٌ) أي: طالبٌ للخفاءِ في مختبأٍ باللَّيلِ.

قولُهُ: (ظاهِرٌ) يراهُ كلُّ أحدٍ، من سرَبَ: إذا برزَ[7]، وهو عطفٌ على: ﴿مَنْ﴾ أو على: ﴿مُستَخْفٍ﴾.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٨٢).

(٢) أي: على مذهب الشافعي، انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ٢٠٥).

(٣) عن مالك في أكثر الحمل ثلاث روايات: إحداها أربع سنين وهي المشهورة، والثانية خمس والثالثة سبع، انظر: «المعونة» (ص: ٩٢٣).

(٤) انظر: «التجريد» للقدوري (١٠/ ٥٣٤٣).

(٥) وانظر: «التفسير المظهري» (٥/ ٢١٩).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٢).

(٧) وانظر: «تاج العروس» (٣/ ٥٤).

أي: طريقه ﴿بِالنَّهارِ، لَهُ﴾: للإنسان ﴿مُعَقِّباتٌ﴾: ملائكة تعتقِبُه ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ﴾: قُدّامِه ﴿ومِن خَلفِهِ﴾: ورائه، ﴿يَحفَظُونَهُ مِن أمرِ اللهِ﴾ أي: بأمره من الجنّ وغيرهم. ﴿إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ﴾: لا يَسلبهم نِعمةً ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية، ﴿وإذا أرادَ اللهُ بِقَومٍ سُوءًا﴾: عذابًا ﴿فلا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المُعقّباتِ ولا غيرها، ﴿وما لَهُم﴾ ـ إن أراد الله بهم سوءًا ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَ الله ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿والٍ﴾ يمنعه عنهم.

١٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرقَ خَوفًا﴾ للمُسافر من الصواعق ﴿وطَمَعًا﴾ للمُقيم في المطر، ﴿ويُنشِئُ﴾: يَخلق ﴿السَّحابَ الثِّقالَ﴾ بالمطر،..

قولُهُ: (للإنسَانِ) أو لمَن أسرَّ أو جهرَ، واستخفَى أو سرَبَ.

قولُهُ: (تعقَّبُه) الظَّاهرُ كما في نسخةٍ: «تعتَقِبُهُ» في حفظٍ، جمعُ: مُعقِّبَةٍ، من عقَّبَ مُبالغةُ عَقَبهُ: إذا جاءَ على عَقِبِه[1]، كأنَّ بعضَهُم يعقُبُ بعضاً، أو لأنَّهُم يعقبونَ أقوالَهُ وأفعالَهُ فيكتُبونَها، أو من اعتقَبَ، فأُدغِمَتِ التَّاءُ في القافِ، والتَّاءُ للمبالغةِ، أو لأنَّ المرادَ بالمعقِّباتِ جماعاتٌ.

قولُهُ: (وَرائِهِ) أو من جوانبِهِ، أو من الأعمالِ ما قدَّمَ وأخَّرَ.

قولُهُ: (بأمرِهِ) فـ﴿مِنْ﴾ بمعنى: الباءِ، إذ التَّقديرُ: من أجلِ أمرِهِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِم) من المضارِّ، أو من بأسِهِ متى أذنبَ بالاستمهالِ أو الاستغفارِ له، أو يراقبُونَ أحوالَهُ (مِنْ أجلِ أمرِ اللهِ)، وقد قُرِئَ به[2].

قولُهُ: (نعمَتَهُ) وعافيتَهُ.

قولُهُ: (بالمَعْصِيةِ) الأَولى: بالقَبيحَةِ؛ لحسنِ التَّقابلِ، أو يقابِلُ الطَّاعةَ بالمعصيةِ.

قولُهُ: (للمُقِيمِ) وانتصابُهُما على العلَّةِ بتقديرِ المضافِ؛ أي: إرادةَ خَوفٍ وطمعٍ.

وقيل: يخافُ المطرَ مَن يضرُّهُ، ويطمعُ فيهِ مَن ينفعُهُ.

قولُهُ: (﴿الثقالَ﴾ بالمَطَرِ) وهو جمعُ: ثقيلةٍ، وربَّما وُصفَ به السَّحابُ؛ لأنَّه اسمُ جنسٍ في معنى الجمعِ.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩١)، و«تاج العروس» (٣/ ٤٠٧).

(٢) وانظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٨٣) ولم تنسب لأحد.

وقرئ: (يحفظونه بأمر الله) وهي قراءة شاذة، نسبت لعلي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد. انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٥٥).

١٣ ـ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو مَلَك مُوكل بالسحاب يسوقه مُلتبسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول: سُبحانَ الله وبحمده، ﴿وَ﴾ تُسبّح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: اللهِ، ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ ـ وهي نار تخرج من السحاب ـ ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتُحرقه ـ نزل في رجل بعث إليه النبيّ ﷺ من يدعوه، فقال: مَن رسولُ اللهِ؟ وما اللهُ؟ أَمِن ذهب هو أم فضة أم نحاس؟ فنزلتْ به صاعقة فذهبتْ بِقِحف رأسه ـ ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكُفّار ﴿يُجَادِلُونَ﴾: يُخاصمون النبيَّ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: القُوّةِ أو الأخذ.

١٤ ـ ﴿لَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: كلمتُه ـ وهي: لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ـ...

قولُهُ: (أي: اللَّهِ) وقيل: الضَّميرُ للرَّعدِ، والملائكةُ أعوانُه.

قولُهُ: (مِنَ السَّحَابِ) أي: تخرجُ منه، وإلَّا فأصلُها قطعةُ نارٍ من سوطِ الرَّعدِ تنفصِلُ في وقتِ حدَّةِ ضربِ الرَّعدِ به للسَّحابِ[1].

قولُهُ: (فَتُحرِقُهُ) بالتَّاء؛ أي: الصَّواعقُ، وبالياء؛ أي: اللهُ.

قولُهُ: (بِقِحْفِ رَأسِهِ) القِحفُ ـ بالكسرِ ـ: العظمُ فوقَ الدِّماغ[2].

قولُهُ: (القُوَّةِ) أي: فِعالٌ من المحلِ بمعنى القوَّةِ، وقيل: مِفْعَلٌ من الحولِ أو الحيلةِ، أُعلَّ على غيرِ قياسٍ، أو (المحالُ): المماحَلةُ والمكايدةُ بأعدائِه.

قولُهُ: (أَيْ: كَلِمتُهُ) أو: له الدَّعاءُ الحقُّ، فإنَّه الَّذي يحقُّ أن يُعبَدَ أو يُدعى إلى عبادتِهِ دونَ غيرِهِ، أو: له الدَّعوةُ المجابةُ؛ فإنَّ من دعاهُ أجابَ، ويؤيِّدُه ما بعدَهُ.

قولُهُ: (والتَّاءِ) الخطابُ شاذٌّ[3]، ومع هذا لا يُطابقُ الخبرَ أيضاً، ولعلَّهُ موجَّهٌ بالالتِفاتِ، أو التَّقديرُ: والَّذين تدعونَهُم لا يستجيبونَ لداعيهِم، على حذفِ المضافِ وهو الأظهرُ، ويلائمُهُ حينئذٍ قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ [الرعد: ١٤] واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

---

(١) انظر: «تاج العروس» (٢٦/ ٢١).

روى ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣١٦) عن ابن عباس قال: الرعد ملك من الملائكة، وهو الذي تسمعون صوته، والبرق سوط من نور، يزجر به الملكُ السحابَ.

وروى الترمذي (٣١١٧): عن ابن عباس، قال: «أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله» فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر» قالوا: صدقت....».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٤٣).

(٣) أي: (والذين تدعون) نسبت للكسائي عن أبي بكر وهارون النحوي عن أبي عمرو والأعمش، وهي قراءة شاذة.

وهم الأصنام ـ ﴿لا يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ﴾ ممّا يطلبونه ﴿إلاّ﴾ استجابةً ﴿كَباسِطِ﴾ أي: كاستجابةِ باسطٍ ﴿كَفَّيهِ إلَى الماءِ﴾ على شفير البئر، يدعوه ﴿لِيَبلُغَ فاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه، ﴿وما هُوَ بِبالِغِهِ﴾ أي: فاه أبدًا ـ فكذلك ما هم بمستجِيبِين لهم ـ ﴿وما دُعاءُ الكافِرِينَ﴾: عِبادتُهم الأصنامَ أو حقيقةُ الدعاء ﴿إلاّ في ضَلالٍ﴾: ضياع، ١٥ ـ ﴿وللهِ يَسجُدُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ طَوعًا﴾ كالمُؤمنين ﴿وكَرْهًا﴾ كالمُنافقين ومَن أُكره بالسيف، ﴿و﴾ تسجد ﴿ظِلالُهُم بِالغُدُوِّ﴾: البُكَرِ ﴿والآصالِ﴾: العشايا.

قولُهُ: (وهُمُ الأصنَامُ) أي: والأصنامُ الَّذين يدعُونها[1] المشركونَ، فحذفَ الرَّاجعَ، أو المشركونَ الَّذين يدعُونَ الأصنامَ، فحذفَ المفعولَ لدلالَةِ ﴿من دونه﴾ عليه.

قولُهُ: (يَدعُوهُ) أي: يطلبُ منهُ أن يبلغَهُ.

قولُهُ: (أَي: فَاهُ) الظَّاهرُ؛ أي: فيه، أو المرادُ يعني: فاهُ.

قولُهُ: (أَبَداً) لأنَّهم جمادٌ لا يشعرُ بدعائِهِ ولا يقدرُ على إجابتِهِ.

قولُهُ: (مَا هُمْ) أي: آلهتُهم؛ يعني: ليسُوا بمستجيبينَ للكفَّارِ.

قولُهُ: (ضَيَاعٍ) وخسارٍ وباطلٍ.

قولُهُ: (كالمُؤمِنينَ) من الثَّقلَينِ والملائكةِ حالةَ[2] الشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

قولُهُ: (كالمُنَافِقِينَ) أو الكفرةِ حالَ الشِّدَّةِ والضَّرورةِ، وانتصابُهُما بالحالِ أو العلَّةِ.

قولُهُ: (﴿و﴾ يَسْجدُ ﴿ظلالُهُم﴾) عطفٌ على ﴿مَنْ﴾ أي: وظلالُهُم بالعَرَضِ، ويحتملُ أن يُرادَ بالسُّجودِ: انقيادُهُم لإحداثِ ما أرادَه اللهُ فيهم شاؤوا أو كرِهوا، وانقيادُ ظلالِهِم لتصريفِهِ إيَّاها بالمدِّ والتَّقليصِ؛ أي: التَّنقيصِ.

قولُهُ: (العَشَايَا) «الغدوُّ» جمعُ: غَداةٍ، و«الآصالُ» جمعُ: أصيلٍ، وهو ما بين العصرِ والمغربِ[3]، والمرادُ بهما: الدَّوامُ، أو خصَّ الوقتانِ لفضيلتِهِما[4]، وليشملَ بركتُهُما سائرَ الأوقاتِ.

---

(١) في (م): «يدعوهم».

(٢) في (ص) و(د): «حالتي».

(٣) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٦٤١) و(١٤٦٤٢) عن ابن عباس: قوله: ﴿بالغدو﴾ صلاة الغداة، وقوله: ﴿والآصال﴾ يعني بالآصال صلاة العصر، وهما أول ما فرض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما، ويذكر بهما عباده.

١٦ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لقومك: ﴿مَن رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ؟ قُلِ: اللهُ﴾، إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أفاتَّخَذتُم مِن دُونِهِ﴾، أي: غيرَه، ﴿أَولِياءَ﴾: أصنامًا تعبدونها، ﴿لا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا﴾، وتركتم مالِكَهما؟ استفهام توبيخ.

﴿قُلْ: هَل يَستَوِي الأعمَى والبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن؟ ﴿أم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ﴾: الكُفر ﴿والنُّورُ﴾: الإيمان؟ لا. ﴿أم جَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلقِهِ، فتَشابَهَ الخَلقُ﴾ أي: خلقُ الشركاءِ بخلقِ اللهِ ﴿عَلَيهِم﴾، فاعتقدوا استحقاق عِبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحقّ العبادةَ إلاّ الخالقُ. ﴿قُلِ: اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾ لا شريكَ له فيه، فلا شريك له في العِبادة، ﴿وهُوَ الواحِدُ القَهّارُ﴾ لِعباده.

ثمّ ضرب مثلاً للحق والباطل، فقال: ١٧ ـ ﴿أنزَلَ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مِنَ السَّماءِ ماءً﴾: مطرًا، ﴿فسالَتْ أَودِيةٌ بِقَدَرِها﴾: بمِقدار مِلئها، ﴿فاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا﴾: عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قذَر ونحوه، ﴿ومِمّا تُوقِدُونَ﴾..

قولُهُ: (لَا جَوَابَ غَيرُهُ) أو لَقِّنهُم الجوابَ.

قولُهُ: (الكَافِرُ) أو الجاهلُ.

قولُهُ: (والمُؤمِنُ) أو العالمُ، وقيل: المعبودُ الغافلُ عنكم، والمعبودُ المطَّلعُ على أحوالِكُم.

قولُهُ: (الكُفرُ) وحمزةُ والكسائيُّ وشعبةُ: بالتَّذكيرِ[1].

قولُهُ: (اسْتِفهَامُ إِنكَارٍ[2]) لأنَّ التَّقديرَ: بل جعَلوا، وقولُهُ: ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفةٌ لـ﴿شركاءَ﴾ داخلةٌ في حُكمِ الإنكارِ.

قولُهُ: (مِلئِهَا) أي: الأوديةِ، وهي جمعُ: وادٍ، وهو الموضعُ الَّذي يَسِيلُ فيه الماءُ بكثرةٍ، فاتُّسعَ فيه، واستُعمِلَ للماءِ الجارِي فيه، فالمعنى: فسالَتْ أنهارٌ بمِقدارِها في الصِّغرِ والكِبَر، أو بمقدارِها الَّذي علمَ اللهُ أنّه نافعٌ غير ضارٍّ.

قولُهُ: (وهُو) أي: الزَّبدُ.

قولُهُ: (ونَحوِهِ) من وسخِ الغَليانِ، وقولُه: ﴿فَاحْتَمَلَ﴾ أي: رفعَ.

---

(١) أي: (يستوي) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٢).

(٢) في (م): «إنكاري».

ـ بالتاء والياء ـ ﴿عليه في النّار﴾، من جواهر الأرض كالذهب والفضّة والنُّحاس ﴿ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿حِلْيَةٍ﴾: زِينة ﴿أو مَتاعٍ﴾ يُنتفع به كالأواني إذا أُذِيبَت، ﴿زَبَدٌ مِثلُهُ﴾ أي: مِثلُ زبد السيل، وهو خَبثه الذي ينفيه الكِير ـ ﴿كَذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿يَضرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ﴾ أي: مَثلَهما ـ ﴿فأمّا الزَّبَدُ﴾ من السيل وما أُوقد عليه من الجواهر ﴿فيَذهَبُ جُفاءً﴾: باطلاً مَرْمِيًّا به، ﴿وأمّا ما يَنفَعُ النّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فيَمكُثُ﴾: يبقى ﴿في الأرضِ﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحلّ وينمحق، وإن علا على الحقّ في بعض الأوقات، والحقُّ ثابت باق. ﴿كَذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿يَضرِبُ﴾: يُبيِّن ﴿اللهُ الأمثالَ﴾.

١٨ ـ ﴿لِلَّذِينَ استَجابوا لِرَبِّهِم﴾: أجابوه بالطاعة ﴿الحُسنَى﴾: الجنّةُ، ﴿والَّذِينَ لَم يَستَجِيبُوا لَهُ﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿لَو أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ لافتَدَوا بِهِ﴾ من العذاب، ﴿أُولئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسابِ﴾ ـ وهو المُؤاخذة بكُلّ ما عملوه لا يُغفر منه شيء ـ ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ هي!

قولُهُ: (بالياءِ) الغيبةُ، حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ[1]، على أنَّ الضَّميرَ للنَّاسِ، وإضمارُهُ للعلمِ به

قولُهُ: (مِنْ جَواهِرِ الأَرْضِ) يعمُّ الفلَزَّاتِ[2].

قولُهُ: (كالأَوَاني) وآلاتِ الحربِ.

قولُهُ: (أي: مِثْلُ) أي: يحصلُ أو ينشأُ.

قولُهُ: (مَرمِيًّا بِهِ) أي: يرمي به السَّيلُ والفِلزُّ[3] المذابُ، وانتصابُهُ على الحالِ.

قولُهُ: (والجَوَاهِرِ) أي: خلاصَتِها.

قولُهُ: (زَمَانًا) ينتفعُ به أهلُها.

قولُهُ: (يُبيِّنُ) لإيضاحِ المشتَبهاتِ.

قوله: (الجنَّةُ) أو المثوبةُ، مبتدأٌ خبرُهُ: ﴿للَّذينَ﴾.

قولُهُ: (الفِرَاشُ) المستقرُّ.

قولُهُ: (هيَ) يعني: المخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ.

---

(١) أي: ﴿يوقدون﴾، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٣).

(٢) في (ص): «الفلوات».

(٣) الفِلَزُّ والفِلِزُّ: الحجارة، وقيل: هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهها وما يرمى من خبثها. «لسان العرب» (٥/ ٣٩٢).

ونزل في حمزةَ وأبي جهل: ١٩ ـ ﴿أفمَن يَعلَمُ أنّما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ﴾ فآمن به ﴿كَمَن هُوَ أعمَى﴾ لا يعلمه ولا يُؤمن به؟ لا. ﴿إنّما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحاب العُقول.

٢٠ ـ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهدِ اللهِ﴾ المأخوذِ عليهم وهم في عالم الذرّ أو كُلِّ عهد، ﴿ولا يَنقُضُونَ المِيثاقَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض، ٢١ ـ ﴿والَّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحِم وغير ذلك، ﴿ويَخشَونَ رَبَّهُم﴾ أي: وعيدَه، ﴿ويَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ﴾ ـ تقدّم ـ ٢٢ ـ ﴿والَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿وَجهِ رَبِّهِم﴾ لا غيرِه من أعراض الدنيا، ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ وأنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيَةً، ويَدرَؤُونَ﴾: يدفعون ﴿بِالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر،..........................

قولُهُ: (فآمَنَ) الأظهرُ: فيؤمنُ؛ ليُطابقَ ﴿يعلمُ﴾.

قولُهُ: (لَا يَعلَمُهُ) أي: عميُّ القلبِ لا يستبصرُهُ، والهمزةُ لإنكارِ أن تقعَ شبْهةٌ في تشابُهِهما بعدَ ما ضربَ من المثلِ.

قولُهُ: (أَو كُلِّ عَهدٍ) عهدَ اللهُ عليهم في كتبِهِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾) ما وثّقُوا[1] من المواثيقِ بينَهم وبينَ اللهِ وبينَ العبادِ، وهو تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ.

قولُهُ: (مِنَ الإِيمَانِ) بجميعِ الأنبياءِ.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلِكَ) أي: من مَوالاةِ المؤمنينَ، ومراعاةِ جميعِ حقوقِ النَّاسِ.

قولُهُ: (وَعِيدَهُ) عمُوماً.

قولُهُ: (تَقدَّمَ) أي: خصُوصاً، فيحاسِبونَ أنفسَهُم قبلَ أن يُحاسَبوا.

قولُهُ: (طَلَبَ ﴿وَجْهِ رَبِّهِم﴾) أي: رضاهُ.

قولُهُ: (لَا غَيرِه) كالفخرِ والسُّمعةِ والرِّياءِ والمالِ والجاهِ.

قالَ تَعالى: (﴿الصَّلَاةَ﴾) أي: المفروضةَ، و(﴿ممَّا رزَقْنَاهُمْ﴾) أي: بعضَهُ الَّذي وجبَ عليهم إنفاقُهُ (﴿سرًّا﴾) لمن لم يُعرفْ بالمالِ (﴿وعلانيةً﴾) لمن عُرفَ به، أو: ﴿سرًّا﴾ في التَّطوُّعِ ﴿وعلانيةً﴾ في الفرضِ، أو كما اتَّفقَ ﴿سرًّا وعلانيةً﴾.

قولُهُ: (كالجَهلِ... إلخ) والإساءَةِ بالإحسانِ، أو يُتبعونَ الحسنةَ السَّيِّئةَ فتَمحُوها.

---

(١) في (ص): «وثقوه».

﴿أُولئِكَ لَهم عُقبَى الدّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخرة.

٢٣ ـ هي ﴿جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامةٍ، ﴿يَدخُلُونَها﴾ هم ﴿ومَن صَلَحَ﴾: آمنَ ﴿مِن آبائِهم وأزواجِهم وذُرِّيّاتِهم﴾، وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكرمة لهم، ﴿والمَلائكةُ يَدخُلُونَ علَيهِم مِن كُلِّ بابٍ﴾ من أبواب الجنّة أو القُصور أوانَ أوّلِ دُخولهم للتهنئة، يقولون: ٢٤ ـ ﴿سَلامٌ علَيكُم﴾. هذا الثوابُ ﴿بِما صَبَرتُم﴾: بصبركم في الدنيا. ﴿فنِعمَ عُقبَى الدّارِ﴾ عقباكم!

٢٥ ـ ﴿والَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ مِيثاقِهِ، ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ، ويُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالكُفر والمعاصي، ﴿أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: البُعد من رحمة الله، ﴿ولَهُم سُوءُ الدّارِ﴾ أي: العاقبةُ السّيئة في الدار الآخرة، وهي جهنّم. ٢٦ ـ ﴿اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ، ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿وفَرِحُوا﴾ أي: أهلُ مكّة فرحَ بطر ﴿بِالحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: بما نالوه فيها، ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا في﴾ جنب حياة ﴿الآخِرةِ إلاّ مَتاعٌ﴾: شيء قليل يُتمتّع به ويَذهب.

قولُهُ: (أَي: العَاقِبةُ) أو عاقبةُ الدُّنيا أيضاً.

قولُهُ: (هِيَ) يعني: ﴿جنَّاتُ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، وقيل: بدلٌ من ﴿عقبى الدَّارِ﴾، أو مبتدأٌ خبرُه ﴿يدخلُونَهَا﴾.

قولُهُ: (إِقَامَةٍ) وقيل: بُطنان الجنَّةِ.

قولُهُ: (آمَنَ) عطفٌ على المرفُوعِ في «يدخلُونَ»، وإنَّما ساغَ للفصلِ بالضَّميرِ الآخرِ (ها) أو مفعولٌ معَه، والتَّقييدُ بالصَّلاحِ دالٌّ على أنَّ مجرَّدَ النَّسبِ لا ينفعُ.

قولُهُ: (أوِ القُصُورِ) أو الفتوحِ والتُّحفِ.

قولُهُ: (يقُولُونَ) الأظهرُ: قائلينَ؛ بشارةً بدوامِ السَّلامةِ.

قولُهُ: (هَذَا الثَّوابُ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿بما صبرْتُم﴾ متعلِّقٌ بمحذُوفٍ، والباءُ للسَّببيَّةِ.

قولُهُ: (أي: العَاقِبَةُ) أو سوءُ عاقبةِ الدُّنيا.

قولُهُ: (لِمَنْ يَشَاءُ) أو لَه.

قولُهُ: (بمَا نَالُوهُ فِيهَا) وتبسَّطُوا منها، ولم يصرفُوا فيما يستَوجبونَ به نعيمَ العُقبى.

قولُهُ: (ويَذهَبُ) يعني: الأمتعةُ لا تدومُ[1] كعُجالةِ الرَّاكبِ وزادِ الرَّاعي.

---

(١) في (ص) زيادة: «له».

٢٧ ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ﴾ إضلاله فلا تُغني الآيات عنه شيئًا، ﴿ويَهدِي﴾: يُرشد ﴿إلَيهِ﴾: إلى دِينه ﴿مَن أنابَ﴾: رجَعَ إليه، ويُبدَل مِن «مَن»: ٢٨ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وتَطمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ﴾ أي: وعدِه. ﴿ألا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ أي: قُلوب المُؤمنين. ٢٩ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿طُوبَى﴾ ـ مصدرٌ من الطِّيب أو شجرةٌ في الجنّة يسير الراكب في ظِلّها مِائَةَ عام ما يقطعها ـ ﴿لَهُم وحُسنُ مآبٍ﴾: مرجع.

٣٠ ـ ﴿كَذلِكَ﴾: كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أرسَلْناكَ في أُمّةٍ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِها أُمَمٌ لِتَتلُوَ﴾: تقرأ ﴿علَيهِمِ الَّذِي أوحَينا إلَيكَ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿وهُم يَكفُرُونَ بالرَّحمنِ﴾ حيثُ قالوا لمّا أُمروا بالسجود له: «وما الرَّحمنُ»؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿هُوَ رَبِّي، لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ، علَيهِ تَوَكَّلْتُ، وإلَيهِ مَتابِ﴾.

ونزل لمّا قالوا له: «إن كنتَ نبيًّا فسيِّرْ عنّا جبالَ مكّة، واجعلْ لنا فيها أنهارًا وعُيونًا لنغرس ونزرع، وابعثْ لنا آباءنا الموتى يُكلّمونا أنك نبيّ»: ٣١ ـ ﴿ولَو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ﴾: نُقلت عن أماكنها، ﴿أو قُطِّعَتْ﴾: شُقِّقتْ ﴿بِهِ الأرضُ، أو كُلِّمَ بِهِ المَوتَى﴾ بأن يُحيَوا، لَما آمنوا..............

قولُهُ: (إِضْلالَهُ) باقتراحِ الآياتِ بعدَ ظهورِ المعجزاتِ.

قولُهُ: (رَجعَ إِلَيهِ) وأقبلَ عليه وتمسكنَ لديهِ.

قولُهُ: (وَيُبدَلُ) أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

قولُهُ: (تَسكُنُ) أنساً به واعتِماداً عليه ورجاءً منه.

قولُهُ: (أي: وَعْدِهِ) أو مطلقاً، أو بذكرِ رحمتِهِ بعد القلقِ من خشيتِهِ، أو بذكرِ دلائلِهِ الدَّالَّةِ على وجودِهِ ووحدانيَّتِهِ، أو بكلامِهِ ـ يعني: القرآنَ ـ الَّذي هو أقوى المعجزاتِ.

قولُهُ: (مَصدَرٌ) لطابَ كبُشرَى وزُلفى، قُلبَت ياؤهُ واواً لضمَّةِ ما قَبلَها.

قولُهُ: (شُقِّقَتْ) وجُعلَت أنهاراً وعيوناً.

قولُهُ: (لَمَا آمَنُوا) جوابُ الشَّرطِ، فالمرادُ منه المبالغةُ في عنادِ الكفرِ وتصميمِهِم؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١].

أو التَّقديرُ: لكانَ هذا القرآنَ؛ لأنَّهُ الغايةُ في الإعجازِ والنِّهايةُ في التَّذكيرِ والإنذارِ، فالمرادُ منه: تعظيمُ شأنِ القرآنِ.

﴿بَل للهِ الأمرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره، فلا يُؤمن إلاّ من شاء إيمانَه دون غيره، وإن أُوتوا ما اقترحوا. ونزل لمّا أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعًا في إيمانهم: ﴿أفلَم يَيأسِ﴾: يَعلمِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَو يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية؟

﴿ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿تُصِيبُهُم بِما صَنَعُوا﴾: بصنعهم، أي: كُفرهم، ﴿قارِعةٌ﴾: داهية تقرَعُهم بصُنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب، ﴿أو تَحُلُّ﴾ ـ يا مُحمّد ـ بجيشك ﴿قَرِيبًا مِن دارِهِم﴾: مكّة، ﴿حَتَّى يأتِيَ وَعدُ اللهِ﴾ بالنصر عليهم ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ﴾. وقد حلَّ بالحُديبية حتّى أتى فتحُ مكّة ـ ٣٢ ـ ﴿ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ﴾ كما استُهزئ بك ـ وهذا تسلية للنبيّ ـ ﴿فأملَيتُ﴾: أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا، ثُمَّ أخَذتُهُم﴾ بالعُقوبة. ﴿فكَيفَ كانَ عِقابِ﴾؟ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿أفمَن هُوَ قائمٌ﴾: رقيب ﴿علَى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت﴾: عملتْ من خير وشر ـ وهو الله ـ كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا ....

قولُهُ: (يَعلَمْ) هذا مذهبُ الأكثرِ؛ لما رُوِيَ أنَّ عليًّا وابن عبّاسٍ وجماعةً من الصَّحابةِ والتّابعينَ قرؤوا: (أفلم يتبيَّن)[1] وهو تفسيرُهُ، وإنَّما استُعمِلَ اليأسُ بمعنى: العلمِ؛ لأنَّهُ مسبَّبٌ عن العلمِ بأنَّ المأيوسَ عنه لا يكونُ إلّا معلوماً، ولذلك علَّقَهُ بقولِهِ: ﴿أنْ لَو يَشَاءُ اللهُ﴾ إلخ، فإنَّ معناهُ: نفيُ هُدى بعضِ النَّاسِ لعَدمِ تعلُّقِ المشيئةِ باهتِدائِهِم.

وقيلَ معناهُ: أفلم ييأسُوا من إيمانِهِم معَ ما رأوا من أحوالِهِم علماً منهُم أن لو يشاءُ اللهُ، فيكونُ ﴿أنْ﴾ متعلِّقاً بمحذوفٍ، وقيل: متعلِّقٌ بـ﴿آمنُوا﴾.

قولُهُ: (أي: كُفرِهِم) وسوءِ أعمالِهِم.

قولُهُ: (تَقرَعُهُم) وتقلقُهُم.

قولُهُ: (مَكّةَ) تسليةٌ للنَّبيِّ، ووعيدٌ للمُستهزئينَ به.

قولُهُ: (أَمْهَلتُ) الإملاءُ: أن يُتركَ ملاوةً ـ مثلَّثةُ الميمِ ـ؛ أي: قطعةً من الزَّمانِ في دَعَةٍ وأمنٍ.

قالَ تعالى: (﴿عِقَابِ﴾) أي: عِقابي إيَّاهُم.

قولُهُ: (كَمَنْ) إشارةٌ إلى أنَّ الخبرَ محذوفٌ.

---

(١) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٧١)، وهي محمولة على التفسير لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة.

دلّ على هذا: ﴿وجَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ. قُلْ: سَمُّوهُم﴾ له، مَن هم؟ ﴿أم﴾: بل أ ﴿تُنَبِّئونَهُ﴾: تُخبرون الله ﴿بِما﴾ أي: بشريكٍ ﴿لا يَعلَمُـ﴾ ـه ﴿في الأرضِ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لا شريك له إذ لو كان لعَلِمَه ـ تعالى عن ذلك ـ ﴿أم﴾: بل تُسمّونهم شُركاء ﴿بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ﴾: بظنّ باطل لا حقيقة له في الباطن.

﴿بَل زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكرُهُم﴾: كُفرهم، ﴿وصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الهُدى. ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ. لَهُم عَذابٌ في الحَياةِ الدُّنيا﴾ بالقتل والأسر، ﴿ولَعَذابُ الآخِرةِ أَشَقُّ﴾: أشدّ منه، ﴿وما لَهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿مِن واقٍ﴾: مانعٍ.

٣٥ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الجَنّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾: مبتدأ خبرُه محذوف، أي: فيما يُقَصُّ عليكم، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، أُكُلُها﴾: ما يُؤكل فيها ﴿دائِمٌ﴾: لا يفنى،.........

قولُهُ: (دَلَّ عَلَى هَذَا) المقدَّرِ (﴿وَجَعَلُوا﴾) وهو استئنافٌ، أو التَّقديرُ: لم يوحِّدوهُ، و﴿جعلوا﴾ عطفٌ عليه، وهو الأظهرُ، ويكونُ الظَّاهرُ فيه موضعَ المضمَرِ للتَّنبيهِ على أنَّهُ المستحِقُّ للعبادةِ.

وقولُهُ: (﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾) تنبيهاً على أنَّ هؤلاءِ الشُّركاءَ لا يستَحقُّونَ العبادَةَ، والمعنى: صِفُوهُم فانظروا هل لهم ما يستحقُّونَ به العِبادةَ ويستأهلونَ الشَّركةَ؟

قولُهُ: (لعِلْمِهِ) إذ هو العالمُ بكلِّ شيءٍ.

قولُهُ: (لَا حَقِيقَةَ لَهُ) ولا مَعنى، كتسميةِ الزِّنجيِّ كافوراً.

قولُهُ: (كُفرُهمْ) أي: كيدُهُم للإسلامِ بشركِهِم أو تمويهِهِم، فتخيَّلوا أباطيلَ ثمَّ ظنُّوها، فكأنَّهُ تعالى يقولُ: دعْ ذكرَ الدَّليلِ فإنَّهُ لا فائدةَ فيه؛ لأنَّهُ زُيِّنَ لهم مكرُهُم، فلا ينتفعونَ بذكرِ هذه الدَّلائلِ.

قولُهُ: (طَرِيقِ الهُدَى) بضمِّ الصَّادِ: للكوفيِّ[١].

قولُهُ: (وَالأَسرِ) وما يصيبُهُم من المصائبِ.

قولُهُ: (أَشَدُّ) وأدومُ.

قولُهُ: (مَانِعٍ) الأظهرُ: حافظٍ.

قولُهُ: (صِفَةُ) أي: صفتُها الَّتي هي مثلٌ في الغرابةِ.

قولُهُ: (مَحْذُوفٌ) هذا عندَ سيبويه[٢]، وقيلَ: خبرُهُ ﴿تجري﴾.

---

(١) أي: عاصم وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٣).

(٢) انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٣).

﴿وظِلُّها﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها. ﴿تِلكَ﴾ أي: الجنة ﴿عُقبَى﴾: عاقبةُ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ، ﴿وعُقبَى الكافِرينَ النّارُ﴾.

٣٦ـ ﴿والَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود ﴿يَفرَحُونَ بِما أُنزِلَ إلَيكَ﴾ لمُوافقته ما عِندهم، ﴿ومِنَ الأحزابِ﴾ الذين تحزَّبوا عليك بالمُعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعضَهُ﴾ كذِكر الرحمن وما عدا القَصص. ﴿قُل: إنَّما أُمِرْتُ﴾ فيما أُنزِل إليَّ ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أعبُدَ اللهَ ولا أُشرِكَ بِهِ. إلَيهِ أدعُو وإلَيهِ مآبِ﴾: مَرجِعي.

٣٧ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ الإنزالِ ﴿أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿حُكمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، تحكم به بين الناس. ﴿ولَئِنِ اتَّبَعتَ أهْواءَهُم﴾ أي: الكُفّارِ فيما يدعونك إليه من مِلّتهم فَرْضًا ﴿بَعدَ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾ بالتوحيد ﴿مالَكَ مِنَ اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿وَلِيٍّ﴾: ناصرٍ ﴿ولا واقٍ﴾: مانعٍ من عذابه.

ونزل لمّا عيّروه بكثرة النساء: ٣٨ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا رُسُلاً مِن قَبلِكَ، وجَعَلْنا لَهُم أزواجًا وذُرِّيَّةً﴾: أولادًا ـ وأنت مِثلهم ـ ﴿وما كانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أن يأتِيَ بِآيَةٍ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾ لأنهم عبيد مَربوبون.....

قولُهُ: (دائِمٌ) أي: كذلك.

قولُهُ: (أَي: الجَنَّةُ) الموصُوفةُ.

قولُهُ: (عَاقِبَة) أي: مآلُهم[١] ومنتَهى أمرِهم.

قولُهُ: (وَمَا عَدَا القَصَصَ) أي: ممَّا يخالفُ شرائعَهُم، أو ما لا يوافقُ ما حرَّفوهُ منها.

قولُهُ: (مَرجِعِي) للجزاءِ لا إلى غيرِه، وهذا هو القدرُ المتَّفقُ عليهِ بينَ الأنبياءِ، فأمَّا ما عدَا ذلك مِن التَّفاريعِ فممَّا يختلفُ بالأعصارِ والأممِ، فلا معنى لإنكارِهم المخالفَةَ فيه.

قولُهُ: (الإِنزَالُ) المشتملُ على أصُولِ الدِّياناتِ المجمَعِ[٢] عليها.

قولُهُ: (بِلُغةِ العَرَبِ) ليسهُلَ لهم فهمُهُ وحفظُهُ.

قولُهُ: (تَحكُمُ) أنت، أو القرآنُ في القَضايا والوَقائعِ بما تقتَضيهِ الحكمةُ، وانتصابُهُ على الحالِ.

قولُهُ: (مِن ملَّتِهِم) أي: تقريرِ دينِهم والصَّلاةِ إلى قبلتِهِم بعدَ ما حُوِّلتَ عنها.

قولُهُ: (بالتَّوحِيدِ) أي: بنسخِ ذلك.

---

(١) في (ص): «حالهم».

(٢) في (ص): «أصول الديان المجتمع».

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مُدّةٍ ﴿كِتَابٌ﴾ مكتوب فيه تحديدُه. ٣٩ـ ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصلُه الذي لا يَتغيّر منه شيء، وهو ما كتبه في الأزَل.

قولُهُ: (مَكْتُوبٌ فِيهِ) أو لكلِّ أمدٍ ووقْتٍ حكمٌ يُكتَبُ على العبادِ على ما يقتَضيهِ استصلاحُهُم.

قولُهُ: (بِالتَّخفِيفِ): مكِّيٌّ وبصريٌّ وعاصمٌ[1].

قولُهُ: (مِنَ الأَحكَامِ) أي: ينسخُ ما يستصوبُ نسخَهُ ويثبتُ ما تقتَضيهِ حكمتُهُ.

وقيل: يمحُو سيِّئاتِ التَّائبِ ويُثبِتُ الحسناتِ مَكانَها.

وقيل: يمحو قرناً ويُثبِتُ آخرينَ.

وقيلَ: يمحُو الفاسداتِ ويُثبِتُ الكائناتِ.

وقيل: يمحو ما يشاءُ من الأسبابِ ويُثبِتُ الأقدارَ.

ويمكنُ أن يُقالَ: يمحُو ما لا يكونُ للهِ ويُثبِتُ ما أُريدَ به وجهُ اللهِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه: يمحو ما يشاءُ إلَّا الشَّقاوةَ والسَّعادةَ والحياةَ والمماتَ[2].

وعن كثيرٍ من السَّلفِ كعُمرَ بن الخطَّابِ[3] وابن مسعودٍ[4] وغيرِهِما: أنَّهُم كانوا يدعونَ بهذا الدُّعاءِ: «اللَّهمَّ إنْ كُنتَ كتبْتَنَا أشقياءَ فامحُهُ واكتبْنَا سعداءَ، وإنْ كنتَ كتبْتَنَا سعداءَ فأثبتْنَا فإنَّكَ تمحُو ما تشاءُ وتُثبِتُ، وعندَكَ أمُّ الكتابِ». وهذا الدُّعاءُ قد نُقِلَ في الحديثِ قراءتُه في ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ[5].

قولُهُ: (كَتَبَهُ) أي: أثبتَهُ، أو هو اللَّوحُ المحفُوظُ، إذ ما من كائنٍ إلَّا وهو مكتوبٌ فيه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٠٤٦١)، وابن المقرئ في «معجمه» (٥٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٩٤).

(٣) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٤١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٠٤٨١)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٨٧٢) بنحوه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٤٨٤) بنحوه.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٧١) (٨٨٧٤) مختصراً.

(٥) لعله يريد ما أورده الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٣٢) عن أنس مرفوعا: «من صلى ليلة النصف من شعبان خمسين ركعة قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة، وإن كان كتب في اللوح المحفوظ شقيا يمحو الله ذلك ويحوله إلى السعادة...». قال الذهبي: قبح الله من وضعه ففيه من الكذب والإثم ما لا يوصف.

٤٠ ـ ﴿وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك، ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم، ﴿فإنَّما علَيكَ البَلاغُ﴾: ما عليك إلاّ التبليغ، ﴿وعلَينا الحِسابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنُجازيهم. ٤١ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿أنّا نأتِي الأرضَ﴾: نقصِد أرضهم، ﴿نَنقُصُها مِن أطرافِها﴾ بالفتح على النبيّ؟ ﴿واللهُ يَحكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء، ﴿لا مُعَقِّبَ﴾: لا رادّ ﴿لِحُكمِهِ، وهُوَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

٤٢ ـ ﴿وقَد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم بأنبيائهم كما مكروا بك. ﴿فـ لِلهِ المَكرُ جَمِيعًا﴾، وليس مكرهم كمكره لأنه ـ تعالى ـ ﴿يَعلَمُ ما تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ﴾ فيُعِدّ لها جزاءه. وهذا هو المكر كُلّه لأنه يأتيهم به من حيثُ لا يشعرون. ﴿وسَيَعلَمُ الكافِرُ﴾ المُراد به الجِنس ـ وفي قراءة: «الكُفّار» ـ ﴿لِمَن عُقبَى الدّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخِرة؟ ألهم أم للنبيّ وأصحابه؟

٤٣ ـ ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك: ﴿لَستَ مُرسَلاً. قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَينِي وبَينَكُم﴾ على صِدقي ﴿ومَن عِندَهُ عِلمُ الكِتابِ﴾ من مُؤمني اليهود والنصارى!

قولُهُ: (أَرْضَهُم) أي: الكفرةِ، فاللّامُ للعَهدِ، أو عوضٌ عن المضافِ إليهِ.

قولُهُ: (بأنبِيَائِهِم) والمؤمنينَ منهم.

قولُهُ: (كمَكرِهِ) إذ لا يُؤبَهُ بمكرِهِم عندَ مكرِهِ، فإنَّهُ القادرُ على ما هو المقصُودُ منه دونَ غيرِهِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ): للشّاميِّ والكوفيِّ[1].

قولُهُ: (لَكَ) متعلِّقٌ بـ﴿يقولُ﴾، قيلَ: المرادُ رؤساءُ اليهودِ.

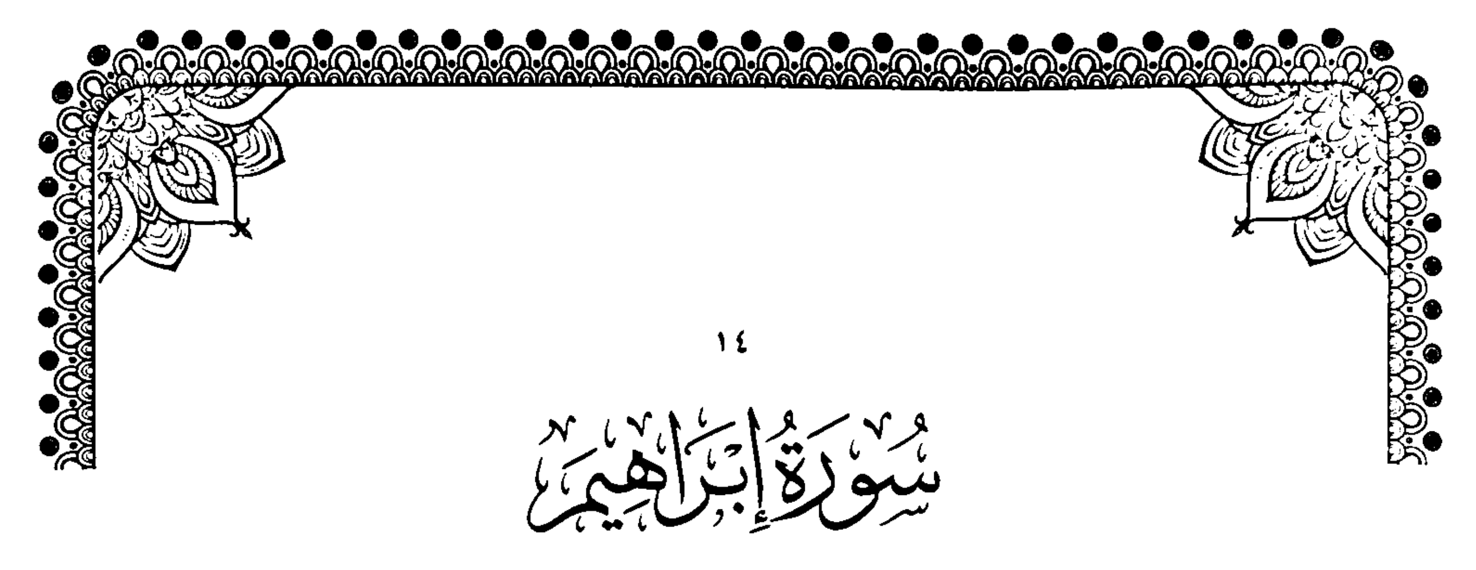
قولُهُ: (عَلَى صِدْقِي) فإنَّهُ من أظهرِ الأدلَّةِ على رسالَتِي، ما يُغني عن شاهِدٍ يشهَدُ عليها.

قولُهُ: (مِنْ مُؤمِنِي اليَهُودِ) فإنَّهُم يشهدُونَ بنعتِهِ في كتبِهِم، فالكتابُ: التَّوراةُ، أو المرادُ: علمُ القرآنِ وما ألفَ عليهِ من النَّظمِ المعجزِ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٥).



١٤

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مكية إلاّ «ألم تر إلى الذين بدّلوا» الآيتين، إحدى أو ثنتان أو أربعٌ أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

هـذا القُرآن ﴿كِتابٌ أنزَلْناهُ إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإذنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِم﴾، ويُبدل من «إلى النور»: ﴿إلَى صِراطِ﴾: طريقِ ﴿العَزيزِ﴾: الغالب ﴿الحَميدِ﴾: المحمود، ٢ ـ ٣ ـ ﴿اللهِ﴾ بالجرِّ: بدل أو عطف بيان وما بعده صِفة، والرفعِ: مبتدأ خبرُه: ﴿الَّذِي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأَرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا،........................

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

قولُهُ: (هَذَا القُرْآنُ) أو هذه السُّورةُ.

قولُهُ: (بأَمرِ) أو: بتوفيقٍ.

قولُهُ: (وَيُبدَلُ) بتكريرِ العامِلِ.

قولُهُ: (المَحْمُودِ) وإضافَةُ الصِّراطِ إلى اللهِ لأنَّهُ مقصدُهُ، أو المظهِرُ له، وتخصِيصُ الوصفَينِ إشارةٌ إلى أنَّهُ لا يُذَلُّ سالكُهُ ولا يخيَّبُ سائلُهُ.

قولُهُ: (والرَّفعِ): نافعٌ وشاميٌّ(١).

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) أو ﴿اللهُ﴾ خبرُ محذوفٍ هو «هو»، و﴿الَّذي﴾ صفتُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٦).

﴿وويلٌ لِلكافِرِينَ مِن عَذابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ﴾: نعت ﴿يَستَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿الحَياةَ الدُّنيا علَى الآخِرةِ، ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينِ الإسلام، ﴿ويَبغُونَها﴾ أي: السبيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعْوَجّة. ﴿أُولئِكَ في ضَلالٍ بَعَيدٍ﴾ عن الحقّ.

٤ ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ﴾: بلغةِ ﴿قومِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾: ليُفهّمهم ما أتى به، ﴿فيُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه ـ ٥ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أنْ أخرِجْ قَومَكَ﴾ بني إسرائيلَ ﴿مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿وذَكِّرْهُم بِأيّامِ اللهِ﴾: بنِعَمِه. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنِّعم.

٦ ـ ٧ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ علَيكُم، إذ أنجاكُم مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذابِ، ويُذَبِّحُونَ أبناءَكُم﴾ المولودِين،..........................

قولُهُ: (نَعتٌ) فهو مجرورٌ، ويحتملُ النَّصبَ على الذَّمِّ، والرَّفعَ على أنَّهُ مبتدأٌ خبرُهُ: ﴿أولئكَ﴾.

قولُهُ: (مُعوَجَّةً) أو يَبغونَ لها زيغاً ليقدَحوا فيه، على الحذفِ والإيصالِ.

قولُهُ: (عَنِ الحَقِّ) أي: ضلُّوا عن الحقِّ ووقَعوا عنه بمراحلَ، والبعدُ في الحقيقةِ للضَّالِّ، فوصفَ به فعلَهُ للمُبالغَةِ.

قولُهُ: (لِيُفهِّمَهُمْ) بيسرٍ وسرعةٍ، ثمَّ ينقُلوهُ ويترجِموهُ لغيرِهم، فإنَّهُم أولى النَّاسِ إليه بأن يَدعوهُم.

قولُهُ: (قُلْنَا) هذا التَّقديرُ غيرُ صحيحٍ؛ فإنَّ ﴿أنْ﴾ حينئذٍ لا يمكنُ أن تكونَ مصدريَّةً؛ لأنَّ المقولَ لا يكونُ إلَّا جملةً، ولا أن تكونَ مفسِّرةً؛ لأنَّها إنَّما تكونُ فيما فيه معنى القولِ لا في القولِ الصَّريحِ؛ فالصَّحِيحُ أنَّ ﴿أنْ﴾ مفسِّرةٌ؛ لأنَّ في الإرسالِ معنى القَولِ، أو مصدريَّةٌ بتقديرِ الباءِ، فإنَّ صيغَ الأفعالِ إنشائيَّةً أو خبريَّةً سواءٌ في الدَّلالةِ على المصدرِ، فيصحُّ أن يوصَلَ بها «أن» النَّاصبةُ.

قولُهُ: (نِعمِهِ) أو أنذرْهُم بوقائعِهِ الَّتي وقعَتْ على الأممِ الدَّارجةِ.

قولُهُ: (لِلنِّعَمِ) قيل: المرادُ: لكلِّ مؤمنٍ، وإنَّما عبَّرَ عنهم بذلك تنبيهاً على أنَّ الصَّبرَ والشُّكرَ عنوانُ المؤمنِ، ولذا قالَ ﷺ: «الإيمانُ نصفُهُ صبرٌ ونصفُهُ شكرٌ»[1].

---

(١) رواه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (١٨)، والقضاعي في «مسنده» (١٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٦٤) من حديث يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٣٩٩) بعد أن عزاه لمسند الفردوس، قال: يزيد ضعيف.

﴿ويَستَحيُونَ﴾: يَستبقُون ﴿نِساءَكُم﴾ لقول بعض الكهنة: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيلَ يكون سببَ ذهابِ مُلكِ فِرعونَ ـ ﴿وفي ذلِكُم﴾: الإنجاءِ أو العذابِ ﴿بَلاءٌ﴾: إنعام أو ابتلاء، ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ ـ وإذ تأذَّنَ﴾: أعلمَ ﴿رَبُّكُم: لَئِن شَكَرتُم﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُم، ولَئِنْ كَفَرتُم﴾: جحدتم النِّعمة بالكُفر والمعصية لَأعذِّبنكم، دلّ عليه: ﴿إنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٨ ـ ﴿وقالَ مُوسَى﴾ لقومه: ﴿إن تَكفُرُوا أنتُم ومَن في الأرضِ جَمِيعًا فإنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في صُنعه بهم. ٩ ـ ﴿ألَم يأتِكُم﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ ﴿نَبأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِكُم قَومِ نُوحٍ وعادٍ﴾: قومِ هودٍ ﴿وثَمُودَ﴾: قومِ صالح، ﴿والَّذِينَ مِن بَعدِهِم، لا يَعلَمُهُم إلاّ اللهُ﴾ لكثرتهم؟ ﴿جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبيِّناتِ﴾: بالحُجج الواضحة على صِدقهم، ﴿فرَدُّوا﴾ أي: الأُممُ ﴿أيدِيَهُم في أفواهِهِم﴾ أي: إليها ليعضّوا عليها من شِدّة الغيظ،.......................................

قولُهُ: (أو ابتِلَاءٌ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قولُهُ: (﴿تَأذَّنَ﴾) أي: أعلمَ؛ كتوعَّدَ بمعنى: أوعدَ.

قالَ تعالى: (﴿لَأزِيدَنَّكُمْ﴾[1]) أي: نعمةً إلى نعمةٍ، قيلَ: لئن شكرتُم هدايَتِي لأزيدنَّكُم خدمَتِي، ولئنْ شكرْتُم خدمَتِي لأزيدنَّكُم ولايتِي، ولئن شَكرْتُم ولايتِي لأزيدنَّكُم مشاهَدتي، ولئن شكَرْتُم مشاهَدتِي لأزيدنَّكُم رُؤيَتي[2].

قولُهُ: (دَلَّ عَلَيهِ) ومن عادةِ أكرمِ الأكرَمينَ أن يصرِّحَ بالوَعدِ ويعرِّضَ بالوَعيدِ.

قولُهُ: (عَنْ خَلقِهِ) وشكرِهِم.

قولُهُ: (مَحمُودٌ) أو مستَحِقٌّ للحَمدِ في ذاتِهِ، يحمدُه الملائكةُ وينطقُ بنعتِهِ[3] ذرَّاتُ المخلوقاتِ، فما ضرَرتُم بالكُفرانِ إلَّا أنفسَكُم حيثُ حَرَمتُموها مزيدَ الإنعامِ وعرَّضتُموها للعَذابِ الشَّديدِ الإيلامِ.

قولُهُ: (اسْتِفهَامُ تَقْرِيرٍ) من كلامِ موسى، أو كلامٌ مبتدأٌ من اللهِ.

قولُهُ: (لِكَثرَتِهِم) أي: لا يعلمُ عددَهُم إلَّا هو، ولذا قالَ ابنُ مسعودٍ: كذبَ النَّسَّابونَ[4].

قولُهُ: (لِيَعَضُّوا) وقيل: المعنى: فردُّوا أيديَهُم إلى أفواهِ الأنبياءِ تسكيتاً لهم عن الإنباءِ[5].

---

(١) في (ص): «﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾».

(٢) هو من كلام ابن عطاء، انظر: «عرائس البيان» (٢/ ٢٥٥).

(٣) في (ص): «بنعمه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٥٩٢).

(٥) جاء بنحوه من قول الحسن، ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٠٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤١٣).

﴿وقالُوا: إنّا كَفَرْنا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾ على زعمكم، ﴿وإنّا لَفِي شَكٍّ مِمّا تَدعُونَنا إلَيهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ للرِّيبة.

١٠ ـ ﴿قالَتْ رُسُلُهُم: أفِي اللهِ شَكٌّ﴾، استفهام إنكار، أي: لا شكَّ في توحيده للدلائل الظاهرة عليه، ﴿فاطِرِ﴾: خالقِ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، يَدعُوكُم﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغفِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ ـ من: زائدةٌ، فإنّ الإسلام يُغفر به ما قبلَه، أو تبعيضيةٌ لِإخراج حُقوق العباد ـ ﴿ويُؤَخِّرَكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجلِ الموت؟ ﴿قالُوا: إن﴾: ما ﴿أنتُم إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا، تُرِيدُونَ أن تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام. ﴿فائتُونَا بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: حُجّة ظاهرة على صِدقكم.

١١ ـ ﴿قالَتْ لَهُم رُسُلُهُم: إنْ﴾: ما ﴿نَحنُ إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم﴾ كما قلتم، ﴿ولكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ بالنُّبوّة، ﴿وما كانَ﴾: ما ينبغي ﴿لَنا أن نأتِيَكُم بِسُلطانٍ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾: بأمره لأنّا عبيد مَربوبون. ﴿وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾: يثقوا به. ١٢ ـ ﴿وما لَنا ألاّ نَتَوَكَّلَ علَى اللهِ﴾ أي: لا مانعَ لنا من ذلك، ﴿وقَد هَدانا سُبُلَنا؟ ولَنَصبِرَنَّ علَى ما آذَيتُمُونا﴾:........................

قولُهُ: (لِلرِّيبَةِ) وهي قلقُ النَّفسِ، وأن لا تطمئنَّ إلى الشَّيءِ.

قولُهُ: (اسْتِفهَامُ) أُدخِلَت همزةُ الإنكارِ على الظَّرفِ؛ لأنَّ الكلامَ في المشكوكِ فيه لا في الشَّكِّ؛ أي: إنَّما نَدعوكُم إلى اللهِ، وهو لا يحتَمِلُ الشَّكَّ.

قولُهُ: (خَالِقِ) أو: مبدعِ، وهو صفةٌ أو بدلٌ، و﴿شكٌّ﴾ مرتفعٌ بالظَّرفِ.

قولُهُ: (إِلَى طَاعَتِهِ) ببعثِهِ إيَّانا.

قولُهُ: (بِلَا عَذَابٍ) أو تأخيراً حسناً.

قولُهُ: (أَجَلِ المَوْتِ) أي: إلى وقتٍ سمَّاهُ اللهُ وجعلَهُ آخرَ أعمارِكُم.

قولُهُ: (عَلَى صِدقِكُم) أي: على صحَّةِ ادِّعائكُمُ النُّبوَّةَ، كأنَّهُم لم يعتَبِروا ما جاؤوا به من البيِّناتِ والحججِ واقتَرحوا عليهم آيةً أخرى تعنُّتاً ولجاجاً[1]، أو: على فضلِكُم واستِحقاقِكُم لهذه المزيَّةِ، وهو الأظهرُ.

قولُهُ: (بالنُّبوَّةِ) سلَّموا مشاركتَهُم في الجنسِ، وجعلُوا الموجِبَ لاختِصاصِهِم بالنُّبوَّةِ فضلَ اللهِ ومنَّه عليهِم.

قولُهُ: (مِنْ ذَلكَ) أي: التَّوكُّلِ، أو: أيُّ عذرٍ لنا في تركِ التَّوكُّلِ.

---

(١) اللجاج: التمادي في الخصومة. «الصحاح» (١/ ٣٣٧).

على أذاكم. ﴿وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾.

١٣ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم: لَنُخرِجَنَّكُم مِن أرضِنا، أو لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرُنّ ﴿في مِلَّتِنا﴾: دِيننا. ﴿فأوحَى إلَيهِم رَبُّهُم: لَنُهلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، ١٤ ـ ﴿ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ﴾: أرضهم ﴿مِن بَعدِهِم﴾: بعدِ هلاكهم. ﴿ذلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَن خافَ مَقامِي﴾ أي: مَقامَه بين يديّ، ﴿وخافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب.

١٥ ـ ﴿واستَفتَحُوا﴾: استنصر الرسل بالله على قومهم، ﴿وخابَ﴾: خسر ﴿كُلُّ جَبّارٍ﴾: مُتكبّر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾: مُعاند للحقّ، ١٦ ـ ﴿مِن وَرائِهِ﴾ أي: أمامِهِ ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها، ﴿ويُسقَى﴾ فيها ﴿مِن ماءٍ صَدِيدٍ﴾ ـ هو ما يَسيل من جَوف أهل النار مُختلطًا بالقَيح والدم ـ ١٧ ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يبتلعه مرّة بعد مرّة لمرارته، ﴿ولا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾: يَزدرده لقُبحه وكراهته، ....

قولُهُ: (عَلَى أَذَاكُم) يعني: ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ.

قولُهُ: (لَتَصِيرُنَّ) يعني: العَوْدُ بمعنى الصَّيرورةِ؛ لأنَّهُم لم يكونُوا على ملَّتِهِم.

قولُهُ: (أَرضَهُم) وديارَهُم.

قولُهُ: (النَّصرُ... إلخ) أي: إشارةٌ إلى الموحَى به، وهو إهلاكُ الظَّالمينَ وإسكانُ المؤمنينَ.

قولُهُ: (أي: مَقَامَهُ) وقيل: المقامُ زائدٌ.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) أو عَذابي الموعودَ للكفَّارِ، فعيلٌ بمعنى المفعولِ، وعلى الأوَّلِ مصدرٌ بمَعنى الإيعادِ.

قولُهُ: (خَسِرَ) أي: ففتحَ لهم فأفلحَ المؤمنُونَ وخابَ المشرِكونَ.

قولُهُ: (﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ أَي: أَمَامِه) أو خلفِه.

قولُهُ: (فِيهَا) عطفٌ على محذوفٍ تقديرُهُ: من ورائِهِ جهنَّمُ يُلقَى فيها ما يُلقَى ويُسْقَى، وأشارَ إلى هذا المقدَّرِ بقولِهِ: (يدخلُها).

قولُهُ: (هُوَ مَا يَسِيلُ) عطفُ بيانٍ[1] لـ﴿مَاءٍ﴾، وإنَّما سُمِّيَ ماءً لكونِهِ على صفتِهِ من السَّيلانِ.

قولُهُ: (مِنْ جوفِ) أو جلودِ.

قوله: (يَبتَلِعهُ) يتكلَّفُ جرعَهُ.

قولُهُ: (يَزدَرِدُهُ) أي: لا يقربُ أن يسيغَهُ فكيفَ يسيغُه، بل يغصُّ به فيطولُ عذابُهُ، والسَّوغُ: مجاوزةُ الشَّرابِ على الحلقِ بسهولةٍ وقبولِ نفسٍ[2].

---

(١) قوله: عطف بيان؛ أي: كلمة ﴿صديدٍ﴾ عطف بيان.

(٢) انظر: «تاج العروس» (٢٢/ ٥٠٧).

﴿ويأتِيهِ المَوتُ﴾، أي: أسبابه المُقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكانٍ، وما هُوَ بِمَيِّتٍ، ومِن وَرائِهِ﴾: بعدِ ذلك العذابِ ﴿عَذابٌ غَلِيظٌ﴾: قويّ مُتّصل.

١٨ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم﴾: مبتدأ، ويُبدَل منه: ﴿أعمالُهُم﴾ الصالحةُ كصِلةٍ وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يَومٍ عاصِفٍ﴾: شديدِ هُبوبِ الريح، فجعلته هباءً منثورًا لا يُقدر عليه. والمجرور خبر المبتدأ. ﴿لا يَقدِرُونَ﴾ أي: الكُفّار ﴿مِمّا كَسَبُوا﴾: عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيءٍ﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا لعدم شرطه. ﴿ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ﴾: الهلاك ﴿البَعِيدُ﴾.

١٩ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ يا مُخاطَبًا ـ استفهام تقرير ـ ﴿أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾؟: متعلقٌ بـ «خلقَ». ﴿إن يَشَأْ يُذهِبْكُم﴾ ـ أيُّها الناس ـ ﴿ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلَكم، ٢٠ ـ ﴿وما ذلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

قالَ تعالى: (﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾) أي: من جسدِهِ حتَّى من أصولِ شعرِهِ وإبهامِ رجليهِ، وقيلَ: من جميعِ الجهاتِ، (﴿وما هو بميِّتٍ﴾) فيستريحَ.

قولُهُ: (بَعدَ ذَلِكَ) أو من بينِ يديهِ عذابٌ؛ أي: يستقبلُ في كلِّ وقتٍ عذاباً أشدَّ ممَّا هو عليه، وقيلَ: حبسُ الأنفاسِ.

قولُهُ: (الصَّالِحَةُ) أي: صورةً، أو احترازٌ ممَّا قيل: ﴿أعمالُهُمْ﴾ للأصنامِ.

قولُهُ: (وَصَدَقَةٍ) وإغاثةِ ملهوفٍ ونحوِ ذلك من مكارمِهِم؛ لبنائِها على غَيرِ أساسٍ من معرفةِ اللهِ والتوجُّهِ بها إليه.

قالَ تعالى: (﴿اشتدَّتْ بِهِ﴾) أي: حملَتهُ وأسرعَتِ الذَّهابَ به، وقرأَ نافعٌ: ﴿الرِّياحُ﴾[1].

قولُهُ: (أي: الكُفَّارُ) يومَ القيامةِ.

قولُهُ: (لِعَدَمِ شَرطِهِ) وهو الإيمانُ، أو الإخلاصُ، أو لأنَّهُم جُوزوا به في الدُّنيا.

قولُهُ: (تَنظُرْ) نظرَ اعتبارٍ.

قولُهُ: (مُتعَلِّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿خالِقُ﴾ مضافاً[2].

قولُهُ: (شَدِيدٍ) أي: متعذِّرٍ أو متعسِّرٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٢).

٢١ ـ ﴿وبَرَزُوا﴾ أي: الخلائق ـ والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقّق وقوعه ـ ﴿لِلهِ جَمِيعًا، فقالَ الضُّعَفاءُ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ استكبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا﴾: جمع تابع. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا مِن عَذابِ اللهِ مِن شَيءٍ﴾؟ مِن الأُولى: للتبيين، والثانية: للتبعيض. ﴿قالُوا﴾ أي: المتبوعون: ﴿لَو هَدانا اللهُ لَهَدَيناكُم﴾: لدعوناكم إلى الهُدى. ﴿سَواءٌ علَينا أجَزِعْنا أم صَبَرْنا. ما لَنا مِن﴾: زائدةٌ ﴿مَحِيصٍ﴾: مَلجأ.

٢٢ ـ ﴿وقالَ الشَّيطانُ﴾ إبليس، ﴿لَمّا قُضِيَ الأمرُ﴾ وأُدخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأهلُ النار النارَ، واجتمعوا عليه: ﴿إنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعدَ الحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم، ﴿ووَعَدتُكُم﴾ أنه غير كائن ﴿فأخلَفتُكُم، وما كانَ لِي علَيكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿سُلطانٍ﴾: قُوّة وقُدرة أقهركم على متابعتي، ﴿إلّا﴾: لكنْ ....

قولُهُ: (أي: الخَلَائِقُ) من قبورِهم يومَ القيامةِ لأمرِ اللهِ ومحاسبتِهِ.

قولُهُ: (الأتبَاعُ) جمعُ: ضعيفٍ، يريدُ: ضعافَ الرَّأيِ.

قولُهُ: (جَمْعُ تَابِعٍ) كخادمٍ وخَدَمٍ، أو مصدرٌ نُعتَ به للمُبالغةِ، أو على إضمارِ مُضافٍ؛ أي: ذوي تبعٍ.

قولُهُ: (للتَّبيِينِ) واقعةٌ موقعَ الحالِ.

قولُهُ: (للتَّبعِيضِ) واقعةٌ موقعَ المفعولِ، أو زائدةٌ.

قولُهُ: (لَدَعَونَاكُمْ) ولكن ضَلَلنا فأضلَلناكُم؛ أي: اختَرْنا لكم ما اختَرْنا لأنفُسِنا.

قولُهُ: (مَلجَأ) ومَنجًى ومهربٍ من العَذابِ.

قالَ تعالى: (﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾) أي: أُحكمَ وفُرغَ منه.

قولُهُ: (وَاجْتَمَعُوا) أي: أهلُ النَّارِ خطيباً في الأشقِياءِ من الثَّقلينِ.

قولُهُ: (أَنَّهُ) أي: ما ذُكرَ من البعثِ والجزاءِ.

قولُهُ: (غَيرُ كَائِنٍ) وأن كانَ فالأصنامُ تشفَعُ لكم؛ يعني: وعدَ الباطلِ.

وقولُهُ: (﴿فَأَخلَفْتُكُم﴾) جعلَ تبيُّنَ خلفِ وعدِهِ كالإخلافِ منه.

قولُهُ: (أَقهَرُكُم) وألجِئُكُم.

قولُهُ: (لَكِنْ) يعني: استثناءٌ منقَطعٌ، قالَ البغويُّ: تقديرُهُ: لكن دعوتُكُم[1]، ففيه إشارةٌ إلى زيادةِ ﴿أن﴾.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٦).

﴿أنْ دَعَوتُكُم فاستَجَبتُم لِي. فلا تَلُومُونِي ولُومُوا أنفُسَكُم﴾ على إجابتي. ﴿ما أنا بِمُصرِخِكُم﴾: بمُغيثكم، ﴿وما أنتُم بِمُصرِخِيَّ﴾، بفتح الياء وكسرها. ﴿إنِّي كَفَرتُ بِما أشرَكتُمُونِي﴾: بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا. قال تعالى: ﴿إنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم.

٢٣ ـ ﴿وأُدخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة ﴿فِيها بِإذنِ رَبِّهِم، تَحِيَّتُهُم فِيها﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلامٌ﴾.

٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ: ﴿كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدل منه ﴿كَلِمةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إلـٰـهَ إلاّ الله، ....

وقولُهُ: (﴿فاسْتَجَبْتُمْ﴾) أي: أسرعْتُم إجابَتِي فلا تلومونِي بوسوَستِي، فإنَّ من صرَّحَ العَداوةَ لا يلامُ بأمثالِ ذلك.

قولُهُ: (عَلى إجَابَتِي) وتركِ إجابةِ ربِّكُم.

قولُهُ: (بمُغيثِكُم) من العَذابِ.

قولُهُ: (بفَتحِ اليَاءِ وكَسرِهَا) كذا في نسخةٍ، وهو الصَّوابُ، فقرأَ حمزةُ: بالكسرِ، والباقونَ: بالفتحِ[1]، وفي بعضِ النُّسخِ: بفتحِ الياءِ وسكونِها، فلعلَّ السُّكونَ قراءةٌ شاذَّةٌ[2]، أو أرادَ حالةَ الوقفِ.

قولُهُ: (بإشْرَاكِكُم إيَّايَ) قرأَ أبو عمرٍو: بإثباتِ الياءِ وصلًا[3]، ففي كلامِهِ إشارةٌ إلى أنَّ (ما) مصدريَّةٌ، و﴿مِن﴾ متعلِّقةٌ بـ﴿أشركتُمُوني﴾؛ أي: كفَرتُ اليومَ بإشراكِكُم إيَّايَ من قبلِ هذا اليومِ في الدُّنيا، بمعنى: تبرَّأتُ منه واستنكرتُهُ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

قولُهُ: (الكَافِرِيْنَ) تتمَّةُ كلامِهِ، أو ابتِداءُ كلامٍ من اللهِ تعالى، وفي حكايةِ أمثالِ ذلك لطفٌ للسَّامعينَ وإيقاظٌ لهم حتَّى يحاسِبوا أنفسَهُم، ويتدبَّروا عواقبَهُم، وإعلامٌ بأنَّ اللهَ يعلمُ أحوالَ مبدئِهم ومعادِهِم.

قولُهُ: (مِنَ اللَّهِ ومِنَ المَلَائِكَةِ) كما في نسخةٍ.

قولُهُ: (وَيُبدَلُ مِنهُ) و﴿كَشَجَرَةٍ﴾ صفتُها.

قولُهُ: (أَيْ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ) أي: كلمةُ التَّوحيدِ، وقيلَ: دعوةُ الإسلامِ، أو القرآنُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٧).

(٢) لم أقف عليها في القراءات الشاذة.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٤).

﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة، ﴿أصلُها ثابتٌ﴾ في الأرض ﴿وفرعُها﴾: غُصنها ﴿في السَّماءِ، تُؤتي﴾: تُعطي ﴿أُكُلَها﴾: ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإذنِ رَبِّها﴾: بإرادته؟ كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعملُه يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كُلَّ وقت. ﴿ويَضرِبُ﴾: يُبيّن ﴿اللهُ الأمثالَ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون فيؤمنون.

٢٦ ـ ﴿ومَثَلُ كَلِمةٍ خَبِيثةٍ﴾ ـ هي كلمة الكُفر ـ ﴿كَشَجَرةٍ خَبيثةٍ﴾ هي الحَنظَل، ﴿اجتُثَّتْ﴾: استُؤصلتْ ﴿مِن فَوقِ الأرضِ، مالَها مِن قَرارٍ﴾: مُستقَرّ وثبات. كذلك كلمة الكُفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة. ٢٧ ـ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثّابِتِ﴾ ـ هو كلمة التوحيد ـ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ﴾ أي: في القبر لمّا يسألُهم الملَكانِ عن ربّهم ودِينهم ونبيّهم، فيُجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين، ﴿ويُضِلُّ اللهُ الظّالِمِينَ﴾: الكُفّار فلا يهتدون إلى الجواب بالصواب ـ بل يقولون: «لا ندري» كما في الحديث ـ ﴿ويَفعَلُ اللهُ ما يَشاءُ﴾.

قولُهُ: (هيَ النَّخلَةُ) رُويَ ذلك مرفوعاً[1].

قولُهُ: (فِي الأَرضِ) ضاربٌ بعروقِهِ فيها.

قولُهُ: (غُصنُهَا) وأعلاها.

قالَ تعالى: (﴿كُلَّ حِينٍ﴾) وقتَهُ اللهُ لإثمارِها.

قولُهُ: (بِإرَادَتِهِ) وتكوينِهِ.

قولُهُ: (فيُؤمِنُونَ) لأنَّ في ضَربِها زيادةَ إفهامٍ وتذكيرٍ؛ فإنَّهُ تصويرٌ للمَعاني وتقريبٌ لها إلى الحسِّ.

قولُهُ: (اسْتُؤْصِلَتْ) وأُخذَت جثّتُهُ بالكلِّيَّةِ.

قالَ تعالى: (﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾) لأنَّ عروقَها قريبةٌ منه.

قولُهُ: (مُستَقَرٌّ) أي: استقرارٍ.

قولُهُ: (هُو كَلِمَةُ التَّوحِيدِ) الَّذي ثبتَ بالحجَّةِ عندهُم وتمكَّنَ في قلوبِهم.

قالَ تعالى: (﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾) من تثبيتِ بعضٍ وإضلالِ بعضٍ من غَيرِ اعتراضٍ[2] عليه.

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٠٦٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤١) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورجح الترمذي وقفه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(٢) في (م): «إعراض».

٢٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: شُكرَها ﴿كُفْرًا﴾، هم كُفَّار قريش، ﴿وَأَحَلُّوا﴾: أنزَلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: الهلاك، ٢٩ ـ ﴿جَهَنَّمَ﴾: عطفُ بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المَقرُّ هي! ٣٠ ـ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ ـ بفتح الياء وضمّها ـ ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: دِينِ الإسلام؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بدنياكم قليلاً. ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾: مَرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

٣١ ـ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾: فِداءٌ ﴿فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: مُخالَّةٌ أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾: السُّفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بإذنه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾:..........

قولُهُ: (أي: شُكْرَها) بأن وضعوا مكانَهُ[١].

قولُهُ: (بفتحِ الياءِ): مكّيٌّ وبصريٌّ[٢]، واللّامُ للعاقبةِ.

قولُهُ: (بدُنياكُم) أي: بشهواتِكُم، أو بعبادةِ[٣] الأوثانِ، والأمرُ للتَّهديدِ.

قالَ تعالى: (﴿يُقِيمُوا﴾) مفعولُ ﴿قُل﴾ محذوفٌ يدلُّ عليه جوابُهُ؛ أي: قُل لعبادِيَ الَّذينَ آمَنوا: أقيموا الصَّلاةَ وأنفقُوا، ويجوزُ أن يُقدَّرا بلامِ الأمرِ ليصحَّ تعلُّقُ القولِ بهما.

وقولُهُ تعالى: (﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾) منصوبانِ على المصدرِ؛ أي: إنفاقَ سرٍّ وعلانيةٍ، أو على الحالِ؛ أي: ذوي سرٍّ وعلانيةٍ، أو على الظَّرفِ؛ أي: وقتي سرٍّ وعلانيةٍ، والأحبُّ: إعلانُ الواجبِ وإخفاءُ المتطوَّعِ به.

قولُهُ: (فِدَاء) أي: فيبتاعُ المقصِّرُ ما يتداركُ به تقصيرَهُ أو يفدي به نفسَهُ.

قولُهُ: (مُخَالَّة) وفي قراءةِ مكّيٍّ وبصريٍّ: بالفتحِ فيهما على النَّفي العامِّ[٤].

قولُهُ: (أي: صَدَاقة تَنفَعُ) فيشفعَ خليلٌ، أو من قبلِ أن يأتيَ يومٌ لا انتفاعَ فيه بمبايعةٍ ولا مخالَّةٍ، وإنَّما يُنتفعُ فيه بالإنفاقِ لوجهِ اللهِ، ويمكنُ أن يُقالَ: معناهُ ﴿يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ * إلَّا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ـ٨٩].

---

(١) كذا في النسخ، وفي «تفسير البيضاوي» (٣/ ١٩٩): «بأن وضعوه مكانه».

(٢) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٣٧٨).

(٣) في (ص): «بعبادتكم».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٨٧).

جاريَين في فلكهما لا يفتُران، ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ﴾ لتسكنوا فيه، ﴿والنَّهارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله، ٣٤ ـ ﴿وآتاكُم مِن كُلِّ ما سألتُمُوهُ﴾ على حسَب مصالحكم. ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمةَ اللهِ﴾، بمعنى إنعامه، ﴿لا تُحصُوها﴾: لا تُطيقوا عدّها. ﴿إنَّ الإنسانَ﴾: الكافرَ ﴿لَظَلُومٌ كَفّارٌ﴾: كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكُفر لِنعمة ربه.

٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهِيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هذا البَلَدَ﴾ مكّةَ ﴿آمِنًا﴾: ذا أمنٍ ـ وقد أجاب الله دُعاءَه فجعله حَرَمًا لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده ولا يُختلى خَلاه ـ ﴿واجنُبْني﴾: بعِّدْني ﴿وبَنِيَّ﴾ عن ﴿أن نَعبُدَ الأصنامَ. رَبِّ، إنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أضلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ﴾ بعِبادتهم لها. ﴿فمَن تَبِعَني﴾ على التوحيد ﴿فإنَّهُ مِنِّي﴾: من أهل دِيني، ﴿ومَن عَصانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾..

قولُهُ: (جَارِيَينِ) يدأبانِ ويدومانِ في سيرِهما وإنارتِهما وإصلاحِ ما يصلحانِهِ من المكوَّناتِ.

قولُهُ: (عَلَى حَسبِ مَصَالِحِكُم) أي: بعضَ جميعِ ما سألتُموهُ؛ يعني: من كلِّ شيءٍ سألتُموهُ شيئاً، فإنَّ الموجودَ من كلِّ صنفٍ بعضُ ما في قدرةِ[1] اللهِ، ولعلَّ المرادَ بـ﴿ما سألتُموهُ﴾: ما كانَ حقيقاً بأن يُسألَ لاحتياجِ النَّاسِ إليه سُئِلَ أو لم يُسأَلْ. ويمكنُ أن يكونَ المرادُ السُّؤالَ بلسانِ القالِ أو الاستعدادِ والحالِ، و﴿ما﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ أو مصدريَّةٌ، والمصدرُ بمعنى المفعولِ.

قولُهُ: (بِمَعنَى إنعَامِهِ) الظَّاهرُ أنَّ المرادَ بالنِّعمةِ: الاسمُ لا المصدرُ.

قولُهُ: (عَدَّهَا) أي: عدَّ أنواعِها فضلاً من أفرادِها، فإنَّها غيرُ متناهيةٍ.

(﴿كفَّارٌ﴾): شديدُ الكفرانِ.

وقيلَ: ظلومٌ في الشِّدَّةِ يشكو أو يجزعُ، كفَّارٌ في النِّعمةِ يجمعُ ويمنعُ.

قولُهُ: (كَثِيرُ الظُّلمِ... إلخ) أو يظلمُ النِّعمةَ بإغفالِ شُكرِها، أو يظلمُ نفسَهُ بأن يعرِّضَها للحِرمانِ.

قولُهُ: (ذَا أَمْنٍ) لمن فيها.

قولُهُ: (بَعِّدْني) واجعَلني في جانبٍ.

قولُهُ: (﴿وبَنِيَّ﴾) أي: من أصلابي.

قولُهُ: (بعبادَتِهِمْ) وإسنادُ الإضلالِ إليهنَّ باعتِبارِ السَّببيَّةِ، كقولِهِ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

---

(١) في (ص): «بعض ما قدره».

هذا قبلَ عِلمه أنه ـ تعالى ـ لا يَغفِر الشِّرك.

٣٧ ـ ﴿رَبَّنا، إنِّيَ أسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: بعضَها ـ وهو إسماعيل مع أُمّه هاجَرَ ـ ﴿بِوادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ﴾، هو مكّة، ﴿عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان، ﴿رَبَّنا، لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ. فاجعَلْ أفئِدَةً﴾: قُلوبًا ﴿مِنَ النّاسِ تَهوِي﴾: تَميلُ وتَحِنّ ﴿إلَيهِم﴾........

قولُهُ: (هذَا قَبلَ عِلْمِهِ) فيه، أو بعد التَّوفيقِ للتَّوبةِ، ويمكنُ حملُ العصيانِ على ما عدا الشِّركِ، والتَّبعيَّةِ على كَمالِ المتابعةِ، وتقييدُ المغفرةِ بالمشيئةِ، واللهُ أعلمُ بمرادِهِ.

قولُهُ: (هُوَ مَكَّةُ) فإنَّ واديها حجرةٌ لا تُنبِتُ، قيل: الحكمةُ فيه أنَّهُ لا يشتغلُ بالزِّراعةِ عمَّا وضعَ البيتُ لها من العبادةِ والطَّاعةِ، أو لا يعتَمِدُ على الزِّراعةِ بل على اللهِ بطريقِ الضَّراعةِ، قالَ ابنُ عطاءٍ: أسكنتُهم وادياً لا متعلَّقَ لي ولا علاقَ لهم سواكَ.

أو لأن يُجبَى إليهم ثمراتُ كلِّ شيءٍ رزقاً من لدنَّا، إظهاراً للقُدرةِ الكاملةِ والحكمَةِ البالغةِ.

قولُهُ: (الَّذِي كَانَ) فمعنى المحرَّمِ: الذي منعَ منه الطُّوفانُ فلم يستولِ عليه، ولذلك سُمِّي عتيقاً؛ أي: أُعتِقَ منه، أو معناهُ: الَّذي حرَّمتَ التَّعرُّضَ له والتَّهاونَ به، أو لم يزَل معظَّماً ممنَّعاً تهابُهُ الجبابرةُ، رُويَ: أنَّ هاجرَ كانت لسارةَ فوهبَتْها من إبراهيمَ فولدَتْ منه إسماعيلَ، فغارَتْ عليهما، فناشدَتْهُ أن يُخرِجَهُما من عندَها، فأخرجَهُما إلى أرضِ مكَّةَ، فأظهرَ اللهُ عينَ زمزمَ، ثمَّ إنَّ جُرْهمَ رأوا ثَمَّ طيوراً فقالُوا: لا طيرَ إلَّا على الماءِ، فقصَدوهُ فرأوهُما وعندَهُما عينٌ فقالُوا: أشرِكيْنا في مائكِ نشركْكِ في ألبانِنا، ففعلَتْ[1].

واللَّامُ في ﴿لِيُقِيمُوا﴾ لامُ كي، وهي متعلِّقةٌ بـ﴿أَسْكَنْتُ﴾؛ أي: ما أسكنتُهم بهذا الوادِي إلَّا لإقامةِ الصَّلاةِ عند بيتِكَ المحرَّمِ.

وقيل: لامُ الأمرِ، والمرادُ: الدُّعاءُ لهم.

قولُهُ: (قُلُوباً) أي: أفئدةً من أفئدةِ النَّاسِ، و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، ولذلكَ قيل: لو قالَ: أفئدةَ النَّاسِ لازدحمَتْ عليهم فارسُ والرُّومُ، ولحجَّتِ اليهودُ والنَّصارى.

ويمكنُ أن يكونَ المعنى: خلاصةً وزبدةً من النَّاسِ.

قولُهُ: (تَمِيلُ) أو تسرعُ إليهم شَوقاً ووداداً.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٠١). ورواه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لكن فيه: فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكنْ لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

ـ قال ابن عبّاس: لو قال «أفئدةَ الناسِ» لحنّت إليه فارسُ والروم والناس كُلّهم ـ ﴿وارزُقْهُم مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ﴾. وقد فَعلَ بنقل الطائف إليه.

٣٨ ـ ﴿رَبَّنا، إنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفِي﴾: نُسِرّ ﴿وما نُعلِنُ، وما يَخفَى علَى اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ﴾. يحتمل أن يكون من كلامه ـ تعالى ـ أو كلام إبراهيم. ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾: أعطاني ﴿علَى﴾: معَ ﴿الكِبَرِ إسماعِيلَ﴾ ـ وُلِدَ وله تسعٌ وتسعون سنةً ـ ﴿وإسحاقَ﴾ وُلد وله مِائَةٌ وثِنتا عَشْرةَ سنةً. ﴿إنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ. رَبِّ، اجعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ و﴾ اجعلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ من يُقيمها ـ وأتى بـ «مِن» لإعلام الله ـ تعالى ـ له أنّ منهم كُفّارًا ـ ﴿رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعائِي﴾ المذكورَ. ٤١ ـ ﴿رَبَّنا، اغفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ﴾ ـ هذا قبل أن يتبيّن له عداوتهما لله عزّ وجلّ. وقيل: أسلمتْ أُمّه. وقُرِئَ: «والِدِي» مُفردًا و«وَلَدَيَّ» ـ ﴿ولِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ﴾: يَثبُتُ ﴿الحِسابُ﴾.

قولُهُ: (إِلَيهِ) أي: إلى قربِهِ يجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ، قالَ القاضِي: حتَّى يوجدَ فيه الفواكِهُ الرَّبيعيَّةُ والصَّيفيَّةُ والخريفيَّةُ في يومٍ واحدٍ[1].

قولُهُ: (﴿مِنْ﴾ زَائِدةٌ) للاستغراقِ.

قالَ تعالى: (﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾) أي: مجيبُهُ.

قولُهُ: (اجعَلْ) يعني: عطفٌ على المنصُوبِ في ﴿اجعلْنِي﴾، والتَّبعيضُ لعلمِهِ بإعلامِ اللهِ أو استقراءِ عادتِهِ سبحانَهُ في الأممِ الماضيةِ أن يكونَ في ذرِّيَّتِه كفَّارٌ.

قولُهُ: (المَذكُورَ) وغيرَه، أو: عبادَتِي.

قولُهُ: (عداوتهُمَا) وقيل: أرادَ بهما آدمَ وحوَّاءَ.

قولُهُ: (أَسْلمَتْ أُمُّه) وفي أبيهِ خلافٌ، والصَّحيحُ أنَّهُ ماتَ كافراً.

قولُهُ: (مُفْرَداً) فيحتملُ أحدَهُما، والظَّاهرُ: أنَّه أبوهُ.

قولُهُ: (و: وَلَدَيَّ) فلا إشكالَ، وقُرئَ: (ولأَبَويَّ)[2] ويمكنُ أن يكونَ: وأبويَّ وذرِّيَّتي، فيكونُ المرادُ ولديهِ إسماعيلَ وإسحاقَ.

قولُهُ: (يَثبُتُ) مستَعارٌ مِنَ القيامِ على الرِّجلِ؛ كقولِهِم: قامَتِ الحربُ على ساقٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٠١).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣) عن أبيٍّ رضي الله عنه.

٤٢ ـ قال تعالى: ﴿ولا تَحسِبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمّا يَعمَلُ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون من أهل مكّة. ﴿إنَّما يُؤَخِّرُهُم﴾ بلا عذاب ﴿لِيَومٍ تَشخَصُ فِيهِ الأبصارُ﴾ لهول ما ترى ـ يقال: شَخَصَ بصرُ فُلانٍ، أي: فتحه فلم يُغمضه ـ ٤٣ ـ ﴿مُهطِعِينَ﴾: مُسرِعِينَ حالٌ ﴿مُقنِعِي﴾: رافعِي ﴿رُؤُوسِهِم﴾ إلى السماء، ﴿لا يَرتَدُّ إلَيهِم طَرْفُهُم﴾: بصرهم، ﴿وأفئِدَتُهُم﴾: قُلوبهم ﴿هَواءٌ﴾: خالية من العقل لفزعهم.

٤٤ ـ ﴿وأنذِرِ﴾: خوِّفْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿النّاسَ﴾: الكُفّار ﴿يَومَ يأتِيهِمِ العَذابُ﴾ هو يوم القيامة، ﴿فيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: ﴿رَبَّنا، أخِّرْنا﴾ بأن تردّنا إلى الدنيا ﴿إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ، نُجِبْ دَعوَتَكَ﴾ بالتوحيد، ﴿ونَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾. فيقال لهم توبيخًا: ﴿أوَلَم تَكُونُوا أقسَمتُم﴾: حلفتم ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا، ﴿ما لَكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿زَوالٍ﴾ عنها إلى الآخرة، ....

قولُهُ: (الكَافِرُونَ) قيلَ: إنَّه تسليةٌ للمَظلومِ وتهديدٌ للظَّالمِ.

قولُهُ: (بِلَا عَذَابٍ) أو يؤخِّرُ عذابَهُم.

قولُهُ: (فَلَمْ يُغمِضْهُ) أي: أبصارُهُم.

قولُهُ: (مُسْرِعِينَ) إلى الدَّاعي.

قولُهُ: (بَصَرهُمْ) بل بقيَت عيونُهُم شاخصَةً لا تطرفُ.

قولُهُ: (خَالِيَةٌ) يعني: الهواءُ بمعنى الخلاءِ، وهو بمعنى الخاليَةِ.

قولُهُ: (لِفَزَعِهِمْ) وحيرتِهِم ودهشتِهِم.

قولُهُ: (يَومُ القِيَامَةِ) أو يومُ الموتِ؛ فإنَّهُ أوَّلُ أيَّامِ عذابِهِم، وهو مفعولٌ ثانٍ لـ﴿أَنْذِرِ﴾.

قولُهُ: (بِأَنْ تَرُدَّنَا) أو أخِّرِ العذابَ عنَّا وردَّنا إلى الدُّنيا وأمهِلْنا إلى حدٍّ من الزَّمانِ قريبٍ، أو أخِّر آجالَنَا وأبقِنا مقدارَ ما نؤمنُ بك.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) و﴿مَا لَكُمْ﴾ جوابُ القسَمِ جاءَ بلفظِ الخِطابِ على المطابقةِ دونَ الحكايةِ، وإلَّا لقيل: ما لنا، والمعنى: إنَّكُم أقسمْتُم أنَّكُم باقونَ في الدُّنيا لا تُزالونَ بالموتِ، ولعلَّهُم أقسَموا بطراً وغروراً، ودلَّ عليه حالُهُم حيثُ بَنوا شديداً وأمَّلوا بعيداً.

وقيل: أقسَموا أنَّهُم لا ينتقلونَ إلى دار أُخرَى، وأنَّهُم إذا ماتُوا لا يُزالونَ عن تلك الحالةِ إلى حالةٍ أخرى؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] وقولُ الشَّيخِ: (﴿زوالٍ﴾ عنهَا إلى الآخرةِ) مائلٌ إلى هذا القيلِ.

٤٥ ـ ﴿وسَكَنتُم﴾ فيها ﴿في مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالكُفر من الأُمم السابقة، ﴿وتَبَيَّنَ لَكُم: كَيفَ فَعَلْنا بِهِم﴾ من العُقوبة؟ فلم تنزجروا، ﴿وضَرَبْنا﴾: بيّنّا ﴿لَكُمُ الأمثالَ﴾ في القُرآن، فلم تعتبروا؟

٤٦ ـ ﴿وقَد مَكَرُوا﴾ بالنبيّ ﴿مَكرَهُم﴾ حيثُ أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه، ﴿وعِندَ اللهِ مَكرُهُم﴾، أي: عِلمُه أو جزاؤه، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿كانَ مَكرُهُم﴾، وإن عظُم، ﴿لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُ﴾. المعنى: لا يُعبأ به ولا يضرّ إلاّ أنفُسَهم. والمُراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائعُ الإسلام المُشبّهةُ بها في القرار والثبات. وفي قراءة بفتح لام «لَتَزُولُ» ورفع الفعل. فإنْ: مُخفّفة. والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المُراد بالمكر كُفرهم. ويُناسبه على الثانية: «تَكادُ السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ مِنهُ وتَنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا»، وعلى الأُولى ما قُرئ: «وما كانَ». ٤٧ ـ ﴿فلا تَحسِبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وَعدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنصر. ﴿إنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يُعجزه شيء ﴿ذُو انتِقامٍ﴾ ممّن عصاه.

٤٨ ـ ٤٩ ـ اذكرْ ﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ والسَّماواتُ﴾،.......................

قولُهُ: (فِيهَا) أي: في الدُّنيا.

قولُهُ: (بالكُفرِ) والمعاصِي.

قولُهُ: (مِنَ الأُممِ السَّابِقةِ) كعادٍ وثمودَ.

قولُهُ: (مِنَ العُقُوبَةِ) بما تشاهِدونَ في منازِلِهم من آثارِ ما نزلَ بهم وما تواترَ عندكُم من أخبارِهم.

قولُهُ: (أو جَزَاؤُهُ) أو مكتوبٌ عندَهُ فعلُهُم فهو مجازيهِم عليه.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ): للكسائيِّ[1].

قولُهُ: (فَـ﴿إنْ﴾ مُخَفَّفةٌ) واللَّامُ هي الفاصلةُ، وقيل: على قراءةِ الباقِي مخفَّفةٌ أيضاً، والمعنى: أنَّهم مكروا ليُزيلوا ما هو كالجبالِ الرَّاسيةِ ثباتاً وتمكُّناً من آياتِ اللهِ وشرائعِهِ.

قولُهُ: (عَلى الثَّانِيَةِ) أي: قراءةِ الكسائيِّ.

قولُهُ: (مَا قُرِئَ) أي: الَّذي قرئَ شاذًّا.

قولُهُ: (ممَّنْ عصاهُ) لمن والاهُ.

قالَ تعَالى: (﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾) عطفٌ على ﴿الأَرْضُ﴾ أي: والسَّماواتُ غيرَ السَّماواتِ، والتَّبديلُ يكونُ في الذَّاتِ وفي الصِّفةِ، والآيةُ تحتملُهُما.

---

(١) ﴿لتزول﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٧٩).

هو يوم القيامة، فيُحشر الناس على أرض بيضاء نقيّة كما في حديث الصحيحين، وروى مسلم حديث: سُئل النبيّ ﷺ: أينَ الناسُ يومَئذٍ؟ قالَ: «علَى الصِّراطِ»، ﴿وبَرَزُوا﴾: خرجوا من القُبور ﴿لِلهِ الواحِدِ القَهّارِ ـ وتَرَى﴾ يا مُحمّد: تُبصِر ﴿المُجرِمينَ﴾: الكافرين ﴿يَومَئِذٍ مُقَرَّنينَ﴾: مشدودينَ مع شياطينهم ﴿في الأصفادِ﴾: القُيود أو الأغلال، ٥٠ ـ ٥١ ـ ﴿سَرابيلُهُم﴾: قُمصُهم ﴿مِن قَطِرانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار، ﴿وتَغشَى﴾: تعلو ﴿وُجوهَهُمُ النّارُ ـ لِيَجزِيَ﴾: مُتعلّق بـ«برزوا» ﴿اللهُ كُلَّ نَفسٍ ما كَسَبَتْ﴾ من خير وشرّ. ﴿إنَّ اللهَ سَريعُ الحِسابِ﴾: يحاسِبُ جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

قولُهُ: (نَقيّة) عن عليٍّ: تُبدَلُ أرضاً من فضَّةٍ وسماواتٍ من ذهبٍ[1].

قولُهُ: (أَيْنَ النَّاسُ؟) قيل: فأينَ الأشياءُ إذ ذاكَ؟ قيل: عادَتْ إلى مصادِرِها.

وقيل: متى كانوا شيئاً حتَّى صارُوا لا شيءَ؟ لأنَّهُم أقلُّ من الهباءِ في الهواءِ في جنبِ الحقِّ.

قولُهُ: (مِنَ القُبُورِ) لمحاسبةِ اللهِ ومجازاتِهِ، وتوصيفُهُ بالوصفَينِ للدَّلالةِ على أنَّ الأمرَ في غايةِ الصُّعوبةِ[2] كقولِهِ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فإنَّ الأمرَ إذا كانَ لواحدٍ غلَّابٍ لا يغالبُ؛ فلا مستغاثَ لأحدٍ إلى غيرِهِ ولا مستَجارَ.

قولُهُ: (معَ شيَاطينِهِم) أو قُرِنَ بعضُهُم معَ بعضٍ بحسَبِ مشَاركتِهِم في العَقائدِ والأعمَالِ، أو قُرِنوا معَ ما اكتَسَبوا من العقائدِ المائلةِ عن الحقِّ، أو قُرِنَت أيديهِم وأرجلُهُم إلى رقابِهِم.

قالَ تعَالى: (﴿مِنْ قَطِرَانٍ﴾) هو ما يتحلَّبُ من شجرٍ يُسمَّى الأبهلَ[3]، فيُطبَخُ فيُطلى به الإبلُ الجربَى فيُحرِقُ الجربَ بحدَّتِهِ، وهو أسودُ منتنٌ تشتَعِلُ فيه النَّارُ بسرعةٍ، تُطلى به جلودُ أهلِ النَّارِ حتَّى يكونَ طلاؤهُم كالقُمصانِ ليجتَمعَ عليهم حرقةُ القَطِرانِ ووحشَةُ لونِه ونتنُ ريحِه مع إسراعِ النَّارِ في جلودِهِم، على أنَّ التَّفاوتَ بين القطرانَين كالتَّفاوتِ بينَ النَّارَينِ.

قولُهُ: (يُحَاسِبُ) أو لأنَّه لا يشغلُهُ حِسابٌ عن حِسابٍ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨).

(٢) في (م): «العقوبة».

(٣) الأبهل: حمل شجرة وهي العرعر؛ أو الأبهل شجرة يقال لها الإيرس؛ قال ابن سيده: وليس بعربي محض. «اللسان» (مادة: بهل).

٥٢ ـ ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿بَلاغٌ لِلنّاسِ﴾ أي: أُنزل لتبليغهم، ﴿ولِيُنذَرُوا بِهِ، ولِيَعلَمُوا﴾ بما فيه من الحُجج ﴿أنَّما هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿ إلـٰـهٌ واحِدٌ، ولِيَذَّكَّرَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظَ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

قولُهُ: (القُرْآنُ) أو السُّورةُ، والتَّذكيرُ لتذكيرِ الخبرِ، أو: ما فيه من العظَةِ والتَّذكيرِ، أو: ما وصفَهُ من قولِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

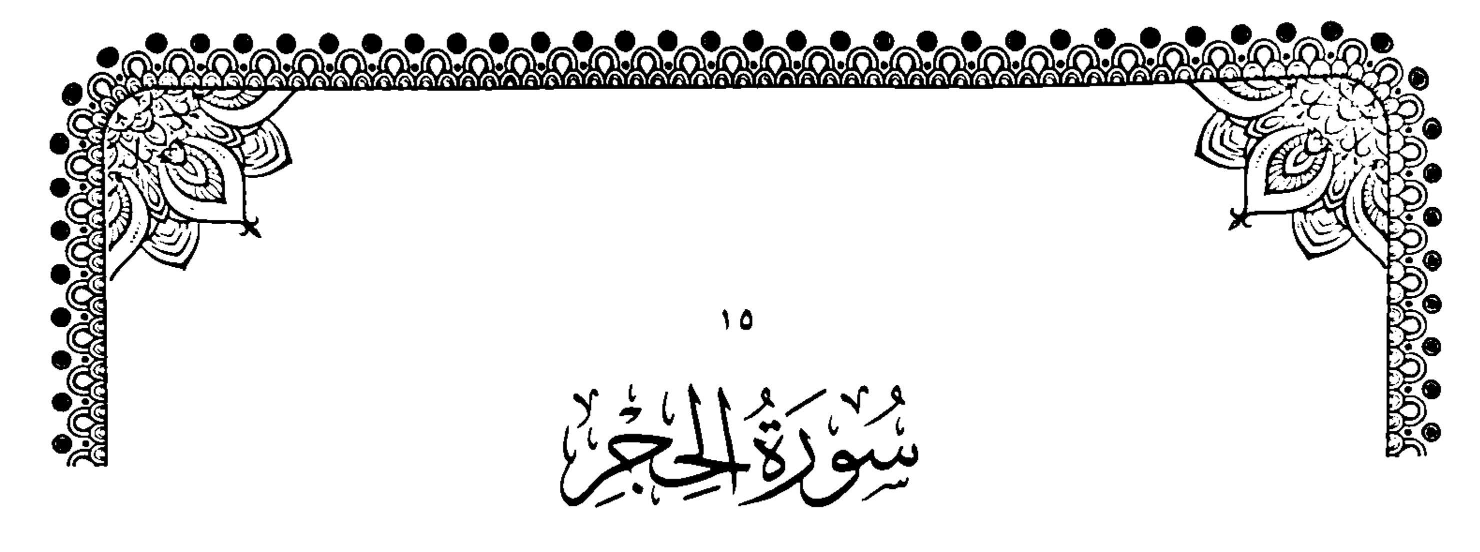
وقولُهُ تعالى: (﴿بَلَاغٌ﴾) أي: كفَايةٌ لهم في الموعظَةِ (﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾) عطفٌ على محذوفٍ؛ أي: ليُنصَحوا وليُنذَروا بهذا البلاغِ، فتكونُ اللَّامُ متعلِّقةً بالبلاغِ، ولا يحتاجُ إلى تقديرِ نحوِ: أنزل، كما قدَّرَهُ الشيخُ.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ[1] بمحذوفٍ تقديرُهُ: ولينذَروا به أُنزِلَ أو تليَ، وبهذا عُلمَ أنَّ في كلامِ الشَّيخِ تلفيقاً، وفَّقَ اللهُ لنا توفيقاً، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) في (ص): «يعلق».



مكية، تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿وقُرآنٍ مُبِينٍ﴾: مُظهِرٍ للحقّ من الباطل. عطفٌ بزيادة صِفة. ٢ ـ ﴿رُبَّما﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنّى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، ﴿لَو كانُوا مُسلِمِينَ﴾. ورُبَّ: للتكثير، فإنه يكثر منهم تمنّي ذلك. وقيل: للتقليل، فإنّ الأهوال تُدهشهم فلا يُفيقون حتّى يتمنّوا ذلك إلاّ في أحيان قليلة.

٣ ـ ﴿ذَرْهُم﴾: اترُكِ الكُفّارَ ـ يا مُحمّد ـ ﴿يأكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم، ﴿ويُلْهِهِمُ﴾: يَشغلْهُم ﴿الأمَلُ﴾ بطُول العُمر وغيره عن الإيمان. ﴿فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

سورة الحجر

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ): نافعٌ وعاصمٌ[١].

قولُهُ: (يَومَ القِيَامةِ) أو عند نزولِ النَّصرِ، أو حلولِ الموتِ.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) والاستعدادِ للمَعادِ.

قولُهُ: (عَاقِبةَ أَمرِهِم) أو سوءَ صنيعِهِم إذا عايَنوا جزاءَهُم.

قولُهُ: (بالقِتَالِ) والأظهرُ: أنَّ المرادَ إقناطُ الرَّسولِ مِن انزجارِهِم عن القبيحِ، وأنَّ نصحَهُم بعد ذلك اشتغالٌ بما لا طائلَ تحتَهُ، وفيه تحذيرٌ عن إيثارِ التَّنعُّمِ وما يؤدِّي إليه طولُ الأملِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٠).

٤ ـ ﴿وما أهلَكْنا مِن﴾: زائدةٌ ﴿قَرْيةٍ﴾ أُريدَ أهلُها ﴿إلاّ ولَها كِتابٌ﴾: أجل ﴿مَعلُومٌ﴾: محدود لهلاكها، ٥ ـ ﴿ما تَسبِقُ مِن﴾: زائدةٌ ﴿أُمّةٍ أجَلَها، وما يَستأخِرُونَ﴾: يتأخّرون عنه.

٦ ـ ٧ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: ﴿يا أيُّها الّذِي نُزِّلَ علَيهِ الذِّكرُ﴾: القرآنُ في زعمه، ﴿إنَّكَ لَمَجنُونٌ. لَوما﴾: هلاّ ﴿تأتِينا بِالمَلائكةِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في قولك: إنك نبيّ، وإنّ هذا القُرآن من عند الله. ٨ ـ قال تعالى: ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ ﴿المَلائكةُ إلاّ بِالحَقِّ﴾: بالعذاب، ﴿وما كانُوا إذًا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنظَرِينَ﴾: مُؤخَّرين. ٩ ـ ﴿إنّا نَحنُ﴾: تأكيدٌ لاسم «إن» أو فَصْلٌ ﴿نَزَّلْنا الذِّكرَ﴾: القُرآنَ، ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مِن قَبلِكَ﴾ رُسلاً ﴿في شِيَعِ﴾: فِرَقِ ﴿الأوّلِينَ، وما﴾ كان ﴿يأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك. وهذا تسلية له ﷺ..........

قولُهُ: (مَحْدُودٌ) مقدَّرٌ كُتبَ في اللَّوحِ.

قولُهُ: (هَلَّا) يعني: ﴿لَو مَا﴾ كـ: لَولا، للتَّحضِيضِ.

قولُهُ: (فِيهِ حَذْفٌ) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ بالنُّونِ ونصبِ ﴿الملائكةَ﴾، وأبو بكرٍ بالتاءِ والبناءِ للمفعولِ[1]، وقولُ البيضاويِّ: بالياءِ مسنداً إلى ضَميرِ اسمِ اللهِ، وقُرِئَ: ﴿تنزَّلُ﴾ بمعنى: تتنزَّلُ[2]؛ سهوٌ من وجهَينِ؛ جعلَ الشَّاذَّ أصلاً، وعبَّرَ عن الأصلِ بقُرِئَ.

قولُهُ: (أي: حِينَ) الظَّاهرُ: أنَّ ﴿إذنْ﴾ جوابٌ لهم، وجزاءٌ لشرطٍ مقدَّرٍ؛ أي: ولو نزَّلنا الملائكةَ ما كانوا منظَرِينَ.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) أو بالوَحيِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ لاسمِ ﴿إنَّ﴾) أو مبتدأٌ مع خبرِه خبرُ ﴿إنَّ﴾، وأمَّا قولُه: (أو فَصلٌ) فلا يظهرُ وجهُه.

قولُهُ: (مِنَ التَّبدِيلِ) قيل: وإنَّا لَنَحفظُه في قلوبِ أوليائنَا، وقيلَ: الضَّميرُ في ﴿لَهُ﴾ للنَّبيِّ ﷺ.

قولُهُ: (رُسُلاً) حُذفَ لدلالةِ الإرسالِ عليه.

قولُهُ: (فِرَق) جمعُ: شيعةٍ، وهي الفرقةُ المتَّفقةُ على طريقٍ ومذهبٍ، من شاعَهُ: إذا تبعَهُ، وهو من بابِ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصُوفِ.

قولُهُ: (كَانَ) قدَّرَه لأنَّ ﴿ما﴾ للحالِ لا يدخلُ إلَّا مُضارعاً بمعنى الحالِ، أو ماضياً قريباً منهُ، والأولى أن يُحمَلَ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٠٧). وأورد عليه أنّ قراءة الياء لم يقرأ بها أحد من العشرة، ولم توجد في الشواذ أيضًا والمصنف رحمه الله تعالى بنى تفسيره عليها، وحكى قراءة السبعة بصيغة التمريض. انظر: «حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٨٣).

١٢ ـ ﴿كَذَلِكَ نَسلُكُهُ﴾ أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ في قُلوب أُولئك نُدخله ﴿في قُلُوبِ المُجرِمِينَ﴾ أي: كُفّارِ مكة، ١٣ ـ ﴿لا يُؤمِنُونَ بِهِ﴾: بالنبيّ، ﴿وقَد خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي سُنَّةُ الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم ـ وهؤلاء مِثلُهم ـ ١٤ ـ ﴿ولَو فَتَحْنا عليهِم بابًا مِنَ السَّماءِ، فظَلُّوا فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعرُجُونَ﴾: يصعدون، ١٥ ـ ﴿لَقالُوا: إنَّما سُكِّرَتْ﴾: سُدّت ﴿أبصارُنا، بَل نَحنُ قَومٌ مَسحُورُونَ﴾: يُخيَّل إلينا ذلك.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿ولَقَد جَعَلْنا في السَّماءِ بُرُوجًا﴾ اثنَي عَشَرَ: الحَمَلَ والثَّور والجَوزاء والسَّرَطان والأسَد والسُّنبلة والمِيزان والعَقرب والقَوس والجَدْي والدَّلْو والحُوتَ ـ هي منازل الكواكبِ السبعةِ السيّارةِ: المِرّيخُ وله الحَمَلُ والعَقرب، والزُّهَرةُ ولها الثَّورُ والمِيزان، وعُطارِدٌ وله الجَوزاءُ والسُّنبلة، والقمرُ وله السَّرَطانُ، والشمسُ ولها الأسَدُ، والمُشتري وله القَوسُ والحُوت، وزُحَلُ وله الجَدْيُ والدَّلْو ـ ﴿وزَيَّنّاها﴾ بالكواكب ﴿لِلنّاظِرِينَ، وحَفِظْناها﴾ بالشُّهب ﴿مِن كُلِّ شَيطانٍ رَجِيمٍ﴾: مرجوم، ١٨ ـ ﴿إلاّ﴾ لكنْ ﴿مَنِ استَرَقَ السَّمعَ﴾: خَطِفَه، ﴿فأَتبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾: كوكب يُضيء، يُحرقه أو يَثقبه أو يُخبِّله.

قولُهُ: (مِثْلَ إدخالِنا) السَّلكُ: إدخالُ الشَّيءِ في شيءٍ كالخيطِ في المخِيطِ والرُّمحِ في المطعونِ.

قولُهُ: (التَّكْذِيبَ) الظَّاهرُ: الاستهزاءَ.

قولُهُ: (بالنَّبيِّ) أو الذِّكرِ.

قالَ تعالى: (﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾) أي: على المقترحينَ.

قولُهُ: (يصعَدُونَ) إليها ويرَونَ عجائبَها طولَ نهارِهِم.

قولُهُ: (سُدَّت) من الإبصارِ بالسِّحرِ، مأخوذٌ من السَّكْرِ، وهو سَدُّ النَّهرِ، أو: حُيِّرت؛ من السُّكرِ ـ بالضَّمِّ ـ وابنُ كثيرٍ: بالتَّخفيفِ(١).

قالَ تعالى: (﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾) أي: المعتَبرينَ المستدلِّينَ بها على قُدرةِ مبدِعِها وتَوحِيدِ صَانعِها.

قولُهُ: (بالشُّهُبِ) فلا يقدرُ أن يصعدَ إليها ويوسوِسَ أهلَها ويتصرَّفَ في أمرِها ويطَّلِعَ على أحوالِها.

قولُهُ: (لَكِنْ) يعني: الاستثناءُ منقَطعٌ، ويصحُّ الاتِّصالُ بأن يكونَ ﴿مَنِ استرقَ﴾ بدلاً مِن ﴿كلِّ شيطانٍ﴾.

قولُهُ: (كَوْكَبٌ مُضِيءٌ) تفسيرٌ لـ﴿شهابٌ﴾، وأمَّا ﴿مُبِينٌ﴾ فظاهرٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٢).

١٩ ـ ﴿والأرضَ مَدَدْناها﴾: بسطناها، ﴿وألقَينا فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً ثوابتَ لئلاّ تتحرّكَ بأهلها، ﴿وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزُونٍ﴾: معلومٍ مُقدّر، ٢٠ ـ ﴿وجَعَلْنا لكُم فِيها مَعايِشَ﴾ ـ بالياء ـ من الثمار والحبوب، ﴿و﴾ جعلنا لكم ﴿مَن لَستُم لَهُ بِرازِقِينَ﴾ من العبيد والدوابّ والأنعام. فإنما يرزقُهم الله.

٢١ ـ ﴿وإن﴾: ما ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ إلاّ عِندَنا خَزائنُهُ﴾: مَفاتيحُ خزائنه، ﴿وما نُنَزِّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعلُومٍ﴾ على حسَبِ المصالح، ٢٢ ـ ﴿وأرسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾: تُلقِح السحابَ فيمتلئ ماء، ﴿فأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ﴾: السحابِ ﴿ماءً﴾: مطرًا ﴿فأسقَيناكُمُوهُ، وما أنتُم لَهُ بِخازِنِينَ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم، ٢٣ ـ ﴿وإنّا لَنَحنُ نُحيِي ونُمِيتُ، ونَحنُ الوارِثُونَ﴾: الباقون نَرِثُ جميعَ الخلق.

٢٤ ـ ﴿ولَقَد عَلِمْنا المُستَقدِمِينَ مِنكُم﴾ أي: من تقدّم من الخلق من لدن آدم، ﴿ولَقَد عَلِمْنا المُستأخِرِينَ﴾: المتأخّرين إلى يوم القيامة، ٢٥ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحشُرُهُم ـ إنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه ـ..

قالَ تعالى: (﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾) في الأرضِ، أو: فيها وفي الجبالِ.

قولُهُ: (مُقدَّر) بمقدارٍ معيَّنٍ تقتضيهِ حكمتُهُ، أو: مستَحسنٍ مناسبٍ، من قولِهِم: كلامٌ مَوزونٌ، أو: ما يوزَنُ ويقدَّرُ، أو: له وزنٌ وقَدرٌ في أبوابِ النِّعمةِ والمنفَعةِ.

قولُهُ: (باليَاءِ) تعيشونَ بها من المطاعِمِ والملابسِ، وقُرِئَ: بالهمزِ على التَّشبيهِ بشمائِلَ[1].

قولُهُ: (﴿وَ﴾ جَعَلنَا) عطفٌ على: ﴿معايش﴾ من العبيدِ والعيالِ والخدمِ وسائرِ ما يظنُّونَ أنَّهم يَرزقونَهُ ظنًّا كاذباً.

قولُهُ: (زَائِدةٌ) للتَّأكيدِ؛ أي: ما من شيءٍ إلَّا ونحنُ قادرونَ على إيجادِهِ وتكوينِهِ أضعَافَ ما وُجِدَ منه، فضربُ الخزائِنِ مثلٌ لاقتدارِهِ.

قولُهُ: (المَصَالِح) وتعلُّقِ المشيئةِ.

قولُهُ: (تُلقِحُ) اللَّقَحُ ـ محرَّكةً ـ: الحَبَلُ؛ أي: حوامِلَ، شبَّهَ الرِّيحَ الَّتي جاءَت بخيرٍ من إنشاءِ سَحابٍ ماطرٍ بالحامِل، كما شبَّهَ ما لا يكونُ كذلك بالعَقيمِ، أو: مُلقِحاتٍ للشَّجرِ أو السَّحابِ، ونظيرُهُ الطَّوائحُ بمعنى المطِيحاتِ، وبهذا عرفتَ أنَّ قولَهُ: (تلقحُ) من الإلقاحِ، وقرأَ حمزةُ: بالإفرادِ على تأويلِ الجنسِ[2].

قولُهُ: (أي: لَيسَتْ... إلخ) أو: حافظينَ في الغُدْرانِ والعُيونِ والآبارِ.

---

(١) قرأ بها الأعرج وخارجة عن نافع. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٧٣).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٢).

٢٦ ـ ﴿ولقد خَلَقْنا الإنسانَ﴾: آدمَ ﴿مِن صَلصالٍ﴾: طينٍ يابس يُسمَع له صلصلة إذا نُقر، ﴿مِن حَمَإٍ﴾: طينٍ أسود ﴿مُسنُونٍ﴾: متغيّر، ٢٧ ـ ﴿والجانَّ﴾ أبا الجِنّ ـ وهو إبليسُ ـ ﴿خَلَقْناهُ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ خلقِ آدمَ ﴿مِن نارِ السَّمُومِ﴾، هي نار لا دخان لها تَنفذ من المَسامّ.

٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي خالِقٌ بَشَرًا، مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنُونٍ. فإذا سَوَّيتُهُ﴾: أتممتُه، ﴿ونَفَختُ﴾: أجريتُ ﴿فيهِ مِن رُوحِي﴾، فصار حيًا ـ وإضافةُ الروح إليه تشريف لآدم ـ ﴿فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ سجودَ تحيّة بالانحناء. ٣٠ ـ ﴿فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ﴾ ـ فيه تأكيدان ـ ٣١ ـ ﴿إلاّ إبلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿أَبَى﴾: امتنع من ﴿أن يَكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ﴾.

٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا إبلِيسُ، مالَكَ﴾: ما منعك ﴿ألاّ﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿تكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ؟ قالَ: لَم أكُنْ لِأسجُدَ﴾: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ، خَلَقْتَهُ مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنُونٍ﴾.

قولُهُ: (أَسْودَ) أي: اسوَدَّ وتغيَّرَ من طولِ مجاوَرةِ الماءِ.

قولُهُ: (وهُو إبلِيسُ) وفي البيضاويِّ: وقيلَ: إبليسَ[١]. فيدلُّ على المغايَرةِ، وهو الظَّاهرُ قالَ: ويجوزُ أن يُرادَ به الجنسُ كما هو الظَّاهرُ من ﴿الإنسانَ﴾[٢].

قولُهُ: (أتمَمْتُهُ) أي: أحكمْتُ خلقتَهُ وهيَّأتُه لنفخِ الرُّوحِ فيه.

قالَ تعالى: (﴿فَقَعُوا﴾) أمرٌ من وقعَ يقعُ؛ أي: اسقُطوا.

قولُهُ: (تَأكِيدَانِ) للمُبالغَةِ في التَّعميمِ ومنعِ التَّخصيصِ.

وقيلَ: أكَّدَ بالكلِّ للإحاطَةِ، وبأجمعينَ للدَّلالةِ على أنَّهُم سجَدوا مجتَمِعينَ دفعةً.

وفيه نظرٌ، إذ لو كانَ الأمرُ كذلك كانَ الثَّاني حالاً لا تأكيداً.

قولُهُ: (هُو أبُو الجِنِّ) إن جعلَ منقطعاً اتَّصلَ به قولُهُ: (﴿أَبَى﴾) أي: ولكنَّ إبليسَ أبى، وإن جُعِلَ متَّصِلاً كانَ استِئنافاً على أنَّهُ جوابُ سائلٍ قال: هلَّا سجدَ.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) لقولِهِ تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]، وفي البيضاويِّ: أيُّ غرضٍ لك في أن لا تكونَ[٣]؟ وهو الأحسنُ؛ إذ لا يُقالُ بالزِّيادةِ إلَّا عند الضَّرورةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢١٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

٣٤ - ﴿قَالَ: فاخرُجْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود، ٣٥ - ﴿وإنَّ عليكَ اللَّعْنةَ إلَى يومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ. ٣٦ - ﴿قَالَ: رَبِّ، فأنظِرْني إلَى يومِ يُبعَثُونَ﴾ أي: الناسُ.

٣٧ - ٣٨ - ﴿قَالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ، إلَى يومِ الوَقتِ المَعلُومِ﴾: وقت النفخة الأُولى. ٣٩ - ٤٠ - ﴿قَالَ: رَبِّ، بِما أغوَيتَني﴾ أي: بإغوائك لي، والباء: للقسم، وجوابه: ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُم في الأرضِ﴾ المعاصيَ ﴿ولأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ، إلاّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلِصِينَ﴾ أي: المُؤمنين.

قولُهُ: (أي: مِنَ الجَنَّةِ) أو زُمَرِ الملائكةِ، أو الصُّورةِ الملكيَّةِ[1].

قولُهُ: (مَطرُودٌ) من رحمةِ اللهِ والخيرِ والكرامَةِ، فإنَّ من يُطرَدُ يرجَمُ بالحجرِ، أو: شيطانٌ يُرجَمُ بالشُّهبِ، وهو وعيدٌ يتضمَّنُ الجوابَ عن شبهتِهِ.

قولُهُ: (الجَزَاءِ) فإنَّهُ منتهَى أمدِ اللَّعنِ؛ لأنَّه يناسبُ أيَّامَ التَّكليفِ، وليسَ منه زمانُ الجزاءِ.

أقولُ: وإذا جُعلَ ما بعدَ ﴿إلى﴾ داخلاً، و﴿يَومِ الدِّينِ﴾ ممتدًّا شاملاً لجزاءِ الفريقينِ في دارَي الثَّوابِ والعقابِ= فلا إشكالَ.

قولُهُ: (أَي: النَّاسُ) أرادَ أن يجدَ وسعةً في الإغواءِ ونجاةً من[2] الموتِ، إذ لا موتَ بعد وقتِ البعثِ، فأجابَهُ إلى الأوَّلِ دونَ الثَّاني لحكمةٍ بالغَةٍ.

قولُهُ: (وَقتِ النَّفخَةِ الأُولَى) عليه الجمهورُ.

قولُهُ: (بإغوَائِكَ) يعني: ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ.

قولُهُ: (والباءُ: للقَسَمِ) وقيلَ: للسَّببيَّةِ، إذ في انعِقادِ القَسَمِ بأفعالِ اللهِ تعالى خلافٌ[3].

قولُهُ: (المَعَاصِي) في الدُّنيا الَّتي هي دارُ الغرورِ؛ كقولِهِ: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أي: الدُّنيا.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) الَّذين أخلصْتَهُم لطاعتِكَ، فلا يعملُ فيهم كَيدِي، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وأبو عَمرٍو: بالكسرِ[4]؛ أي: الَّذينَ أخلصُوا نفوسَهُم للهِ.

---

(١) في (م): «أو الصور الملائكة».

(٢) في (ص) و(د): «عن».

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٣٤).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٨).

٤١ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هذا صِراطٌ عليَّ مُستَقِيمٌ﴾، وهو ٤٢ ـ ﴿إنَّ عِبادِي﴾ أي: المُؤمنين ﴿لَيس لَكَ علَيهِم سُلطانٌ﴾: قُوَة، ﴿إلاَّ﴾: لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ﴾: الكافرين، ٤٣ ـ ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُم أجمَعِينَ﴾ أي: مَن اتّبعك معك، ٤٤ ـ ﴿لَها سَبْعةُ أبوابٍ﴾: أطباقٍ، ﴿لِكُلِّ بابٍ﴾ منها ﴿مِنهُم جُزءٌ﴾: نصيب ﴿مَقسُومٌ﴾.

قالَ تعَالى: (﴿عليَّ﴾) أي: حقٌّ عليَّ أن أراعيَهُ (﴿مستقيمٌ﴾): لا انحِرافَ عنه، والإشارَةُ إلى ما تضمَّنَهُ الاستثناءُ، وهو تخليصُ المخلَصينَ من إغوائِهِ، أو الإخلاصِ على معنى: أنَّ الإخلاصَ طريقٌ عليَّ يؤدِّي إلى الوصُولِ إليَّ من غيرِ اعوِجاجٍ وضلالٍ.

وقُرِئ: (عَلِيٌّ) من علوِّ الشَّرفِ[١].

قولُهُ: (وهُو) أي: الصِّراطُ.

قولُـهُ: (أي: مَـنْ اتَّبعَـكَ) أي: موعدُ المُغْـوي والمتَّبعِ، ففيـه تغليبٌ، وقيـلَ: مَوعدُ الغاويـنَ والمتَّبِعينَ، و(﴿أجمعينَ﴾) تأكيدٌ.

قالَ تعالى: (﴿أَبْوَابٍ﴾) يدخلونَ فيها لكثرَتِهِم.

قولُهُ: (طِبَاقٍ) أي: طبَقاتٍ ينزلونَها بحسَبِ مراتبِهِم في المتابعةِ[٢]، وهي: الحطمَةُ ولظًى وسقرُ والجحيمُ وسعيرُ وجهنَّمُ والهاوِيةُ، وهي أسفلُها، كذا في «المبهماتِ»[٣].

قالَ تعالى: (﴿منهم﴾) منَ الأتباعِ، حالٌ من ﴿جزءٌ﴾، وقرأ أبو بكرٍ: بضمِّ الزَّاي[٤]، قالَ الضَّحَّاكُ: بابٌ لليهودِ، وبابٌ للنَّصارى، وبابٌ للصَّابئِينَ، وبابٌ للمَجوسِ، وبابٌ للذين أشرَكوا؛ وهم كفَّارُ العربِ، وبابٌ للمنافقينَ، وبابٌ لأهلِ التَّوحيدِ. أخرجَه ابنُ أبي حاتمٍ[٥]، كذا في «المبهماتِ»[٦].

لكن قالَ البيضاويُّ[٧]: أعلاها للموحِّدينَ العُصاةِ، وأسفَلُها للمُنافقينَ. وهو الصَّحيحُ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٦٥) ونسبت ليعقوب ومجاهد وحميد.

(٢) في (ن): «المبايعة».

(٣) وانظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٦٢).

(٤) انظر: «تحبير التيسير» (ص: ٣٠٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٨٢).

(٦) وانظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٦٢).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢١٢).

٤٥ ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها، ويقال لهم: ٤٦ ـ ﴿ادْخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مَخُوف، أو مع سلام أي: سَلّموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كُلّ فزع. ٤٧ ـ ﴿ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ﴾: حِقد ﴿إخوانًا﴾: حالٌ من «هم» ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم، ٤٨ ـ ﴿لا يَمَسُّهُم فِيها نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وما هُم مِنها بِمُخرَجِينَ﴾ أبدًا.

٤٩ ـ ﴿نَبِّئْ﴾: خبّرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿عِبادِيَ أَنِّيَ أنا الغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، ٥٠ ـ ﴿وأَنَّ عَذابِي﴾ للعُصاة ﴿هُوَ العَذابُ الأَلِيمُ﴾: المُؤلم، ٥١ ـ ﴿ونَبِّئْهُم عَن ضَيفِ إبراهِيمَ﴾ ـ وهم ملائكة اثنا عشَرَ أو عشرةٌ أو ثلاثةٌ منهم جِبريل ـ ٥٢ ـ ﴿إذ دَخَلُوا عليهِ فَقالُوا: سَلامًا﴾ ـ أي: هذا اللفظَ. ﴿قالَ﴾ إبراهيمُ لَمّا عرض عليهِم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إنّا مِنكُم وَجِلُونَ﴾: خائفون. ٥٣ ـ ﴿قالُوا: لا تَوجَلْ﴾: تَخَفْ. ﴿إنّا﴾ رُسلُ ربّك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي عِلم كثير، هو إسحاق كما ذُكر في سورة «هود».

قولُهُ: (سَالِمِينَ) أو مسلَّماً عليكُم من اللهِ أو الملائكةِ.

قولُهُ: (مِنْ كلِّ فَزعٍ) وآفةٍ وزوالٍ وانتِقالٍ.

قولُهُ: (حِقْدٍ) أي: نزَعْنا في الدُّنيا بما أَلَّفَ بين قلوبِهِم، أو في الجنَّةِ بتطييبِ نفوسِهِم من حقدٍ كانَ في الدُّنيا، وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه: أرجُو أن أكونَ أنا وعثمانُ وطلحةُ والزُّبيرُ منهم[1]، أو من التَّحاسدِ على درجاتِ الجنَّةِ ومراتبِ القربةِ.

قولُهُ: (حَالٌ مِنْ هُمْ) أي: الضَّميرِ المضافِ إليه، والعاملُ فيه الإضافَةُ، أو مِن الضَّميرِ في ﴿جنَّاتٍ﴾ أو فاعلِ ﴿ادخلُوهَا﴾، أو الضَّميرِ في ﴿آمنين﴾.

قولُهُ: (أبداً) فإنَّ تمامَ النِّعمةِ بالخلودِ.

قولُهُ: (خَبِّرْ) هذا فَذْلَكةُ ما سبَقَ من الوَعدِ والوَعيدِ وتقريرٌ له.

قولُهُ: (أي: هذَا اللَّفظُ) أو: نسلِّمُ عليكَ سلاماً، أو: سلَّمْنا سلاماً.

قولُهُ: (لَمَّا عَرَضَ) الأَوْلى أن يقولَ: قالَ: سلامٌ ولمَّا...

قولُهُ: (ذِي عِلمٍ كَثِيرٍ) إذا بلَغَ.

قولُهُ: (فِي هُودٍ) ﴿فبشَّرْنَاهَا بإسحاقَ﴾ [هود: ٧١].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٤٦٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٤٦٦).

٥٤ ـ ﴿قالَ: أَبَشَّرتُمُونِي﴾ بالولد ﴿علَى أن مَسَّنِيَ الكِبَرُ﴾: حالٌ، أي: مع مسّه إياي؟ ﴿فَبِمَ﴾: فبأيّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ استفهام تعجّب. ٥٥ ـ ﴿قالُوا: بَشَّرْناكَ بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق. ﴿فلا تَكُنْ مِنَ القانِطِينَ﴾: الآيسينَ. ٥٦ ـ ﴿قالَ: ومَن﴾ أي: لا ﴿يَقنِطُ﴾ ـ بكسر النون وفتحها ـ ﴿مِن رَحْمةِ رَبِّهِ إلاّ الضّالُّونَ﴾: الكافرون؟

٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾: شأنكم؟ ﴿أيُّها المُرسَلُونَ. قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومٍ مُجرِمِينَ﴾: كافرين أي: قوم لوط لإهلاكهم، ٥٩ ـ ﴿إلاّ آلَ لُوطٍ. إنّا لَمُنَجُّوهُم أجمَعِينَ﴾ لإيمانهم، ٦٠ ـ ﴿إلاّ امرأتَهُ قَدَّرْنا: إنَّها لَمِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب لكُفرها.

٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿فلَمّا جاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: لوطًا ﴿المُرسَلُونَ قالَ﴾ لهم: ﴿إنَّكُم قَومٌ مُنكَرُونَ﴾: لا أعرِفكم. ٦٣ ـ ﴿قالُوا: بَل جِئناكَ بِما كانُوا﴾ أي: قومُك ﴿فِيهِ يَمترُونَ﴾: يشُكّون ـ وهو العذاب ـ.....

قولُهُ: (فبِأيِّ شَيءٍ؟) فإنَّ البشارَةَ بما لا يُتَصوَّرُ وقوعُه عادةً بشارَةٌ بغيرِ شيءٍ، وابنُ كثيرٍ بتشديدِ النُّونِ، ونافعٌ بكسرِ النون[1]، وقولُ القاضِي[2]: في كلِّ القرآنِ. غفلةٌ، إذ لم يُعرَف له ثانٍ.

قولُهُ: (بكَسرِ النُّونِ): بصريٌّ وكِسائيٌّ[3].

قولُهُ: (شَأنُكُم) الَّذي أرسِلتُم لأجلِهِ سوى البشارةِ، والخطبُ: الشَّأنُ العَظيمُ.

قالَ تعالى: (﴿إلَّا آلَ لُوطٍ﴾) إن كان استِثناءً من ﴿قومٍ﴾؛ كان منقطعاً إذِ القومُ مقيَّدٌ بالإجرامِ، وآلُ لوطٍ لم يكونُوا مجرمينَ، وإن كانَ استثناءً من الضَّميرِ في ﴿مجرمين﴾ كانَ متَّصلاً، والقومُ والإرسالُ شاملَينَ للمجرمينَ وآلِ لوطٍ المؤمنينَ به، وكأنَّ المعنى: إنَّا أُرسِلْنا إلى قومٍ أجرمَ كلُّهُم إلَّا آلَ لوطٍ منهم.

وقرأ حمزةُ والكَسائيُّ بتخفيفِ ﴿منجُوهُم﴾، وشعبةُ بتخفيفِ ﴿قدَّرْنَا﴾[4].

قولُهُ: (أي: لُوطاً) لا حاجةَ إلى القولِ بزيادةِ ﴿آلَ﴾، وإن كانَ المقصودُ بالذَّاتِ لوطاً، بخلافِ ﴿ما تركَ آلُ موسَى وآلُ هارونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

قولُهُ: (العَذَابُ) الَّذي توعَّدَهُم به.

---

(١) والباقون: ﴿تبشرون﴾ بفتح النون. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٢، ٣٨٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢١٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٤).

٦٤ ـ ﴿وأتَيناكَ بِالحَقِّ، وإنّا لَصادِقُونَ﴾ في قولنا. ٦٥ ـ ﴿فأسْرِ بأهلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ، واتَّبِعْ أدبارَهُم﴾: امشِ خلفهم، ﴿ولا يَلتَفِتْ مِنكُم أحَدٌ﴾ لئلاّ يرى عظيم ما ينزل بهم، ﴿وامضُوا حَيثُ تُؤمَرُونَ﴾، وهو الشام.

٦٦ ـ ﴿وقَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَيهِ ذلِكَ الأمرَ﴾، وهو ﴿أنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقطُوعٌ مُصبِحِينَ﴾: حالٌ أي: يتمّ استئصالهم في الصباح، ٦٧ ـ ﴿وجاءَ أهلُ المَدِينَةِ﴾ مدينةِ سَدُومَ ـ وهم قوم لوط ـ لمّا أُخبروا أنّ في بيت لوط مُردًا حِسانًا وهم الملائكة، ﴿يَستَبشِرُونَ﴾: حالٌ طمعًا في فِعل الفاحشة بهم.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ﴿قالَ﴾ لوطٌ: ﴿إنَّ هؤُلاءِ ضَيفِي. فلا تَفضَحُونِ، واتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفِعل الفاحشة. ٧٠ ـ ﴿قالُوا: أوَلَم نَنهَكَ عَنِ العالَمِينَ﴾: عن إضافتهم؟ ٧١ ـ ﴿قالَ: هؤُلاءِ بَناتِي، إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ما تُريدون من قضاء الشهوة فتزوّجوهنّ.

قولُهُ: (لِئَلَّا يَرَى) أو: فيصيبَهُ ما أصابَهُم.

قولُهُ: (وهُو الشَّامُ) أو مصرُ.

قولُهُ: (أَوحَيْنَا) مقضيًّا[1]، إشارةٌ إلى أنّهُ عُدِّي بـ﴿إلى﴾ لتضمُّنِهِ[2] معنى أوحَيْنا.

قولُهُ: (وهُو) أي: ﴿ذلكَ الأمرَ﴾ مُبهَمٌ يُفسِّرُهُ ما بعدَهُ، ومحلُّه النَّصبُ على البدلِ منه، وفي ذلك تفخيمٌ للأمرِ.

قولُهُ: (حَالٌ) مِن ﴿هؤلاءِ﴾.

قولُهُ: (فِي الصَّبَاحِ) أي: حالَ كونِهِم داخلينَ في الصَّباحِ.

قولُهُ: (سَدُوم) قالَ صاحبُ «الكشفِ»: في «تهذيبِ الأزهريِّ» بالذَّالِ المعجمةِ[3]. والأشهرُ بالدَّالِ غيرِ المعجمَةِ.

قولُهُ: (حَالٌ) أي: مستَبْشرينَ بأضيافِ لوطٍ.

قولُهُ: (عَن ضِيافَتِهِم) وفي نسخةٍ: «إضافتِهِم»، أو: عن أن تُجيرَ منهُم أحدًا.

قولُهُ: (ما تُرِيدُونَ) أو: ما أقولُ لكُم من نكاحِ بَناتِي.

---

(١) أي: معنى (قضينا إليه): أوحينا إليه مقضيًّا.

(٢) في (د) و(ن): «التضمينه».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٦٠).

٧٢ ـ قال تعالى: ﴿لَعَمرُكَ﴾ ـ خِطاب للنبيّ ﷺ ـ أي: وَحَياتِك ﴿إِنَّهُم لَفِي سَكْرتِهِم يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون. ٧٣ ـ ﴿فأَخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ﴾ صيحة جِبريلَ ﴿مُشرِقِينَ﴾: وقتَ شُروق الشمس، ٧٤ ـ ﴿فجَعَلْنا عالِيَها﴾ أي: قُراهم ﴿سافِلَها﴾ بأن رفعها جِبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، ﴿وأمطَرْنا علَيهِم حِجارةً مِن سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ طُبخ بالنار.

٧٥ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكور ﴿لآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّة الله ﴿لِلمُتَوَسِّمِينَ﴾: للناظرين المُعتبرين، ٧٦ ـ ﴿وإنَّها﴾ أي: قُرى قوم لُوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾: طريقِ قُريشٍ إلى الشام لم تندرس. أفلا يعتبرون بهم؟

٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً﴾: لَعِبرة ﴿لِلمُؤمِنِينَ، وإنْ﴾: مُخفّفةٌ، أي: إنّه ﴿كانَ أصحابُ الأَيكةِ﴾ هي غَيضةُ شجر بقُرب مَدْيَنَ ـ وهم قوم شُعيب ـ ﴿لَظالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شُعيبًا،..................

قولُهُ: (لِلنَّبيِّ) وقيل: للوطٍ.

قولُهُ: (أي: وحَيَاتكَ) أو التَّقديرُ: لعمرُكَ قسَمي، وهو لغةٌ في العُمرِ يختصُّ به القسَمُ لإيثارِ الأخفِّ فيه؛ لأنَّهُ كثيرُ الدَّورِ على ألسنتِهِم.

قالَ تعَالى: (﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾) أي: غوايَتِهم.

قولُهُ: (يَترَدَّدُونَ) متحيِّرِينَ، فكيفَ يسمعونَ نصحكَ؟

قولُهُ: (صيحَةُ جِبرِيلَ) وقيلَ: صيحةٌ هائلةٌ مُهلكةٌ.

قولُهُ: (وَقتَ) أي: داخلينَ في وقتٍ.

قولُهُ: (أي: قُرَاهُم) أي: عالي قراهُم، أو المدينةِ.

قولُهُ: (النَّاظِرينَ) المتفكِّرينَ المتفرِّسينَ الَّذين يعرِفونَ الشَّيءَ بالعلامةِ، وفي الحديثِ: «اتَّقُوا فِرَاسةَ المؤمنِ فإنَّهُ ينظرُ بنُورِ اللهِ»[1].

قولُهُ: (أي: قُرَى) أو: المدينةَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٢٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٨٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب.

ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١١٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٠٢) (٧٤٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٣)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٥٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وفي «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٨): رواه الطبراني، وإسناده حسن.

٧٩ ـ ﴿فانتقَمْنا مِنهُم﴾ بأن أهلكناهم بشِدّة الحرّ، ﴿وإنَّهُما﴾ أي: قُرى قوم لُوط والأيكة ﴿لَبِإمامٍ﴾: طريقٍ ﴿مُبينٍ﴾: واضح. أفلا يعتبر بهم أهل مكّة؟

٨٠ ـ ﴿ولَقَد كَذَّبَ أصحابُ الحِجرِ﴾: وادٍ بين المدينة والشام ـ وهم ثمودُ ـ ﴿المُرسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحًا لأنه تكذيب لباقي الرُّسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، ٨١ ـ ﴿وآتَيناهُم آياتِنا﴾ في الناقة، ﴿فكانُوا عَنها مُعرِضِينَ﴾: لا يتفكّرون فيها، ٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿وكانُوا يَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا آمِنِينَ، فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ مُصبِحِينَ﴾: وقتَ الصباح، ٨٤ ـ ﴿فما أغنَى﴾: دَفَعَ ﴿عَنهُم﴾ العذابَ ﴿ما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من بناء الحُصون وجمع الأموال.

٨٥ ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلاّ بِالحَقِّ، وإنَّ السّاعةَ لَآتِيةٌ﴾ ـ لا محالةَ ـ فيُجازَى كُلّ أحد بعمله. ﴿فاصفَحِ﴾ ـ يا مُحمّد ـ عن قومك ﴿الصَّفحَ الجَمِيلَ﴾: أعرِضْ عنهم إعراضًا لا جزعَ فيه. وهذا منسوخ بآية السيف. ٨٦ ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاّقُ﴾ لكُلّ شيء ﴿العَلِيمُ﴾ بكُلّ شيء.

٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿ولَقَد آتَيناكَ سَبعًا مِنَ المَثانِي﴾، قال ﷺ: «هِيَ الفاتِحةُ». رواه الشيخان........

قولُهُ: (بَينَ مَكَّةَ) الأظهرُ: «بينَ المدينةِ» كما في بعضِ النُّسخِ[1]

قولُهُ: (لِاشتِرَاكِهِم فِي المَجِيءِ بالتَّوحِيدِ) هذا التَّعليلُ غيرُ مستقيمٍ؛ لأنَّ الموحِّدَ إذا أنكرَ نبيًّا كافرٌ؛ لأنَّ من شُروطِ الإيمانِ تصديقَ الأنبياءِ في دَعوى نبوَّتِهِم.

قولُهُ: (فِي النَّاقَةِ) أي: ولدِها وشربِها ودرِّها، أو ما نصبَ لهم من الأدلَّةِ.

قالَ تعَالى: (﴿آمنينَ﴾) مِن الانهِدامِ ونقبِ اللُّصوصِ وتخريبِ الأعداءِ لوَثاقتِها، أو: من العَذابِ لفرطِ غفلتِهِم.

قولُهُ: (وجَمعِ الأَموَالِ) والعددِ.

قالَ تعالى: (﴿إلَّا بِالْحَقِّ﴾) أي: إلَّا خلقاً ملتبِساً بالحقِّ.

قولُهُ: (فيُجَازَى) بالياءِ أو النُّونِ.

قولُهُ: (وهَذا مَنسُوخٌ) كذا قيلَ، قالَ النَّسفيُّ: وهو بعيدٌ؛ لأنَّ المقصودَ مِن ذلك أن يُظهِرَ العفوَ والصَّفحَ، فكيف يصيرُ منسوخاً[2]؟

---

(١) وكذا هي في النسخ المعتمدة في تحقيق متن الجلالين.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ١٩٨).

لأنها تُثنَى في كُلّ رَكعة، ﴿والقرآنَ العَظِيمَ - لا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إلَى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنهُم، ولا تَحزَنْ علَيهِم﴾ إن لم يُؤمنوا، ﴿واخفِضْ جَناحَكَ﴾: ألِنْ جانبَك ﴿لِلمُؤمِنِينَ، وقُلْ: إنِّيَ أنا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿المُبِينُ﴾: البيِّنُ الإنذار - ٩٠ - ﴿كَما أنزَلْنا﴾ العذابَ ﴿علَى المُقتَسِمِينَ﴾ اليهودِ والنصارى ٩١ - ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ﴾: أي: كُتبهم المُنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾: أجزاء حيثُ آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقيل: المُراد بهم الذين اقتسموا طُرق مكّة يصدّون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سِحر، وبعضهم: كِهانة، وبعضهم: شِعر.

قولُهُ: (لأَنَّهَا تُثنَّى) أي: تُكرَّرُ، مِـن التَّثنيةِ، فقـولُهُ: (في كلِّ ركعةٍ) زائـدٌ، أو يحملُ على ركعةٍ ثانيةٍ، أو المرادُ: في كلِّ صلاةٍ، فيؤيِّدُ مذهَبَنا أنَّ الرَّكعةَ الواحدةَ ليسَت بصلاةٍ.

قالَ تعالى: (﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾) أي: لا تنظُرْ نظرَ اختيارٍ، بل انظُرْ نظرَ اعتبارٍ.

قولُهُ: (أَصْنَافاً) مِن الكفَّارِ، فإنَّهُ مستحقَرٌ بالإضافَةِ إلى ما أوتيتَهُ، فإنَّهُ كمالٌ مطلوبٌ بالذَّاتِ مُفضٍ إلى دوامِ اللَّذَّاتِ، وعن أبي بكرٍ: «مَنْ أوتيَ القرآنَ فرأى أنَّ أحداً أوتيَ مِنَ الدُّنيا أفضَلَ ممَّا أوتي فقد صغَّرَ عظيماً وعظَّم صغيراً» رواهُ الطَّبرانيُّ[١].

قولُهُ: (أَلِنْ) أي: تواضَعْ لهُم وارفُق بهم.

قولُهُ: (العَذَابَ) أي: مثلَ العذابِ الَّذي أنزَلْنا عليهم، فهو وصفٌ لمفعولِ ﴿النَّذِيرُ﴾ أُقيمَ مقامَهُ.

قولُهُ: (اليَهُودِ... إلخ) حيثُ قالوا عناداً: بعضُهُ حقٌّ موافقٌ للتَّوراةِ والإنجيلِ، وبعضُهُ باطلٌ مخالفٌ لهما.

قولُهُ: (أي: كتُبُهُم المُنزَلَة) على أنَّ القرآنَ ما يقرؤونَهُ من كتبِهِم.

قولُهُ: (﴿عِضِينَ﴾ أجزَاءً) جمعُ: عِضَة، وأصلُها عِضْوةٌ، مِن عَضا الشَّاةَ: إذا جَعلَها أعضاءً، وإنَّما جُمِعَ جمعَ السَّلامةِ جبراً لما حُذفَ.

قولُهُ: (الَّذينَ اقتَسَمُوا) كانُوا اثني عشرَ.

قولُهُ: (طُرُق مكَّةَ) أيَّامَ الموسمِ، فأهلكهُمُ اللهُ يومَ بدرٍ.

قولُهُ: (وقَالَ بعضُهُم) فيكونونَ[٢] هُم المرادَ بـالمقتَسِمينَ، وهذا قولٌ آخرُ.

قولُهُ: (وبعضُهُم: شِعرٌ) وبعضُهم: أساطيرُ الأوَّلينَ، فعَلى هذينِ القولينِ المرادُ بـ﴿القرآن﴾ كتابُنا.

---

(١) قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ٩٤): لم أجده عن أبي بكر. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٥٧٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٩): فيه إسماعيل بن رافع وهو متروك.

(٢) في (ص): «فيكون».

٩٢ ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أجمَعِينَ﴾ سُؤالَ توبيخ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ﴿عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ. فاصدَعْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿بِما تُؤمَرُ﴾ به، أي: اجهَرْ به وأمضِهِ، ﴿وأعرِض عَنِ المُشرِكِينَ﴾. هذا قبل الأمر بالجهاد. ٩٥ ـ ﴿إنّا كَفَيناكَ المُستَهزِئِينَ﴾ بك بأن أهلكنا كُلًّا منهم بآفة ـ وهم: الوليدُ بن المُغيرةِ، والعاصِ بنُ وائلٍ، وعديُّ بن قيسٍ، والأسْودُ بن المُطّلبِ، والأسودُ بن عبدِ يَغوثَ ـ ٩٦ ـ ﴿الَّذِينَ يَجعَلُونَ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ﴾: صفةٌ، وقيل: مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

٩٧ ـ ﴿ولَقَد﴾: للتحقيق ﴿نَعلَمُ أنَّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ بِما يَقُولُونَ﴾..........................

قولُهُ: (بِهِ) فما موصولَةٌ، والرَّاجعُ محذوفٌ؛ أي: بما تؤمرُ به من الشَّرائعِ.

قولُهُ: (أي: اجهَرْ) أو: افرُقْ بين الحقِّ والباطِلِ.

قولُهُ: (هذَا) أو المعنى: فلا تلتَفِتْ إلى ما يقولونَ.

قولُهُ: (الوَلِيدُ) مرَّ بنبَّالٍ، فتعلَّقَ بثوبِهِ سهمٌ، فلم يلتفِتْ ـ تعظُّماً ـ لأخذِهِ، فأصابَ عرقاً في عقبِهِ فقطعَهُ فماتَ[1].

قولُهُ: (والعَاص) دخلَتْ شوكةٌ في أخمصِهِ فانتفخَتْ رجلُهُ حتَّى صارَت كالرَّحى وماتَ.

قولُهُ: (عَدِيُّ بنُ قيسٍ) المنقولُ في «الدُّرِّ» والبغويِّ والبيضاويِّ بدلَهُ: حارثةُ بنُ قيسٍ، وفي بعضِ نسخِ البيضاويِّ: عديُّ بن قيسٍ[2]، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ، أشارَ جبريلُ إلى أنفِهِ، فامتخطَ قيحاً فماتَ.

قولُهُ: (ابنُ المُطَّلِبِ) أشارَ جبريلُ إلى عينِهِ فعميَ.

قولُهُ: (ابنُ عَبدِ يَغُوثَ) جعلَ ينطحُ رأسَهُ بشجرةٍ ويضربُ وجهَهُ بالشَّوكِ حتَّى ماتَ.

قولُهُ: (عَاقِبَةَ أَمرِهِمْ) في الدَّارين.

قولُهُ: (للتَّحقِيقِ) ويمكنُ التَّقليلُ لقلَّةِ التَّضييقِ؛ إذ يلزمُ من قلَّةِ المعلومِ قلَّةُ تعلُّقِ العلمِ.

---

(١) هذا والذي بعده جاء فيما رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩٨٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٠٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٧): فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٧) عن مقسم مولى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٥/ ١٠٢)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٦٨). وفي «أنوار التنزيل» (٣/ ٢١٨): عدي بن قيس.

من الاستهزاء والتكذيب. ٩٨ ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: المُصلّين، ٩٩ ـ ﴿واعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأتِيَكَ اليَقِينُ﴾: الموتُ.

قولُهُ: (مِن الاستِهزَاءِ) أو: فينا وفيكَ وفي القرآنِ.

قولُهُ: (المُصَلِّينَ) وكانَ ﷺ إذا حزبَهُ أمرٌ فزعَ إلى الصَّلاةِ[1].

قولُهُ: (المَوْتُ) فإنَّهُ متيقَّنٌ لحاقُه كلَّ حيٍّ مخلوقٍ.

وقالَ الغزاليُّ: الموتُ يقينٌ يشبهُ الشَّكَّ[2].

قالَ صاحبُ «الكشفِ»: ظاهرُه ما ذكرَهُ المصنِّفُ، وباطنُهُ يومئُ إلى أنَّ السَّفرَ في اللهِ لا ينقطعُ، والشُّهودَ الَّذي عليه يستقرُّ لا يحصلُ أبداً، وعن لسانِ هذا المقامِ: ﴿ربِّ زدنِي علماً﴾ [طه: ١١٤]، واللهُ تعالى أعلمُ.

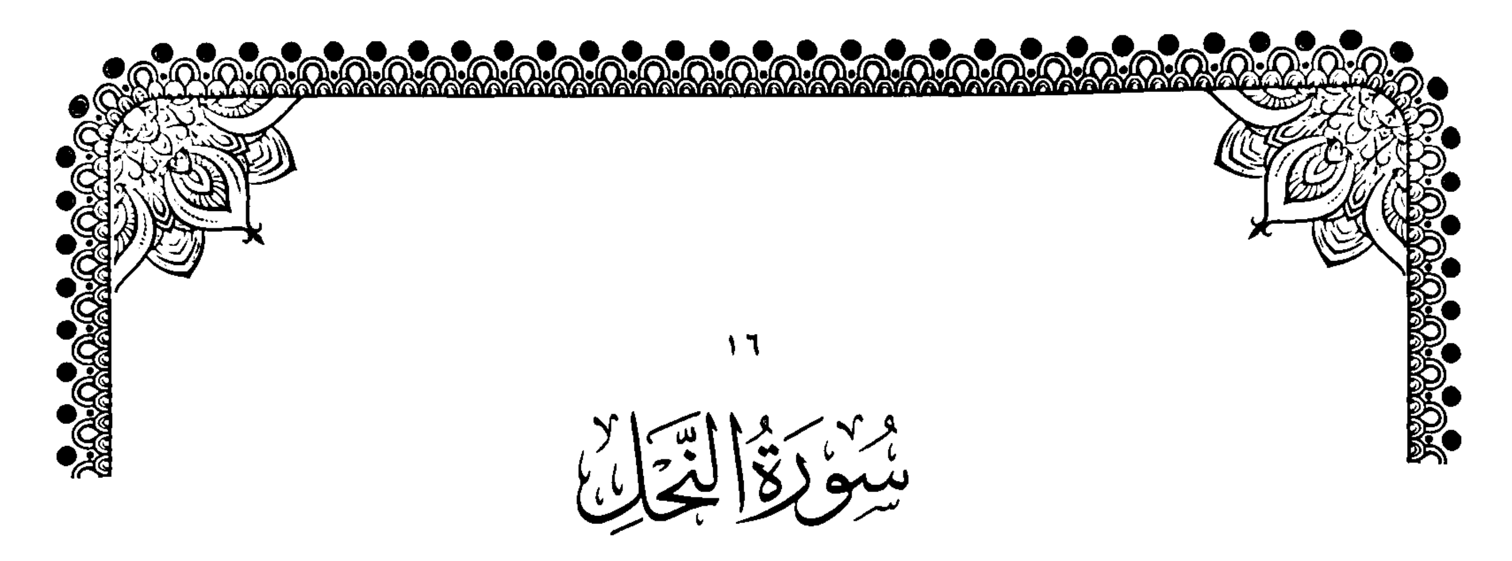
* * *

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٢٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٨٤٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٧٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١٢) عن حذيفة رضي الله عنه.

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ١٧٢): أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٧٣).



مكية إلاّ «وإن عاقبتم» إلى آخرها، مِائَةٌ وثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

لمّا استبطأ المُشركون العذابَ نزل: ١ ـ ﴿أَتَى أَمرُ اللهِ﴾ أي: الساعةُ ـ و«أتى» بصيغة الماضي لتحقّق وُقوعه ـ أي: قَرُبَ. ﴿فلا تَستَعجِلُوهُ﴾: تطلبوه قبل حِينه. فإنه واقع لا محالة. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به غيرَه!

٢ ـ ﴿يُنْزِلُ المَلائكَةَ﴾: أي: جِبريلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾: بالوحي ﴿مِن أمرِهِ﴾: بإرادته ﴿علَى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ ـ وهم الأنبياء ـ ﴿أنْ﴾: مُفسّرةٌ ﴿أنذِرُوا﴾:..............................

سُورَةُ النَّحلِ

قولُهُ: (﴿أَتَى﴾) فيه لطافَةٌ.

قولُهُ: (وَاقِعٌ) ولا خيرَ لكُم فيه ولا خلاصَ لكُم منه.

قولُهُ: (غيرَهُ) وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: بالخطابِ في الموضعينِ[1].

قولُهُ: (أي: جبرِيلَ) فالجمعُ للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (بالوَحيِ) أو القرآنِ، فإنَّهُ يحيي القلبَ الميتَ بالجهلِ، أو يقومُ في الدِّينِ مقامَ الرُّوحِ في البدنِ.

قولُهُ: (بإرَادَتهِ) أو بأمرِهِ، أو من أجلِهِ.

قولُهُ: (مُفَسِّرةٌ) لأنَّ الرُّوحَ بمعنى الوَحي الدَّالِّ على القَولِ، أو مصدريَّةٌ في مَوضعِ الجرِّ بدلاً من الرُّوحِ، أو النَّصبُ بنزعِ الخافضِ، أو مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ.

---

(١) أي: قوله: (تشركون) في الآية (١) والآية (٣)، انظر: «حجة القراءات» (ص: ٣٨٤).

خوّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ أَنا. فَاتَّقُونِ﴾: خافونِ. ٣ ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾، أي: مُحقًّا. ﴿تَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به من الأصنام!

٤ ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ مِن نُطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ إلى أن صيّره قويًّا شديدًا، ﴿فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخُصومة ﴿مُبِينٌ﴾: بيِّنُها في نفي البعث، قائلاً: «مَن يُحيِي العِظامَ، وهْيَ رَمِيمٌ»؟ ٥ ـ ﴿والأنعامَ﴾: الإبلَ والبقر والغنم، ونَصبُه بفعل يُفسّره: ﴿خَلَقَها لَكُم﴾ في جُملة الناس، ﴿فِيها دِفْءٌ﴾: ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها، ﴿ومَنافِعُ﴾ من النسل والدرّ والركوب، ﴿ومِنها تأكُلُونَ﴾ ـ قدّمَ الظرفَ للفاصلة ـ ٦ ـ ﴿ولَكُم فِيها جَمالٌ﴾: زِينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها إلى مُراحها بالعشيّ، ﴿وحِينَ تَسرَحُونَ﴾: تُخرجونها إلى المرعى بالغداة، ٧ ـ ﴿ وتَحمِلُ أثقالَكُم﴾: أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ، لَم تَكُونُوا بالِغِيهِ﴾: واصلِين إليه على غير الإبل ﴿إِلاّ بِشِقِّ الأنفُسِ﴾: بجَهدها. ﴿إِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم حيثُ خلقها لكم.

قولُهُ: (وأَعلِمُوهُمْ) هذا تلفيقٌ بينَ قولين: أحدُهُما: خوِّفُوهم بأنَّهُ واقع[1]، والثَّاني: أعلِموا أنَّ الشَّأنَ، مِن نَذِرْتُ بكذا: إذا علمْتُهُ، فكانَ حقُّهُ أن يقولَ: أو أعلِمُوهُم؛ ولئلَّا يُتوهَّمَ تقديرُهُ.

قولُهُ: (بيِّنُهَا) يحتملُ الوصْفَ والمعنَى.

قولُهُ: (الأَكسِيَةِ) جمعُ: كساءٍ.

قولُهُ: (مِنْ أَشعَارِهَا) وأوبارِها.

قولُهُ: (قَدَّمَ الظَّرفَ) أي: تأكُلونَ ما يُؤكَلُ منها من اللُّحومِ والشُّحومِ والألبانِ.

قولُهُ: (إِلَى مُرَاحِهَا) بضمِّ الميمِ؛ يعني: من مَراعيهَا.

قولُهُ: (بالغَدَاةِ) فإنَّ الأفنيةَ تتزيَّنُ بها في الوقتَينِ، ويُجَلُّ أهلُها في أعينِ النَّاظرينَ إليها.

قالَ تعالى: (﴿إِلَى بَلَدٍ﴾) قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعني مكَّةَ[2].

قولُهُ: (بجَهدِهَا) أي: بكلفَتِها ومشقَّتِها.

---

(١) «واقع»: ليس في (م) و(د).

(٢) رواه الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ١١٠).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٠) عن عكرمة.

٨ ـ ﴿وَ﴾ خلقَ ﴿**الخَيلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَركَبُوها وزِينةً**﴾: مفعول له ـ والتعليل بهما لتعريف النِّعم لا يُنافي خلقها لغير ذلك كالأكلِ في الخيل الثابتِ في حديث الصحيحين ـ ﴿**ويَخلُقُ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة، ٩ ـ ﴿**وعلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ أي: بيانُ الطريقِ المستقيم،.....

قالَ تعالى: (﴿وَالْخَيْلَ﴾... إلخ)، قالَ في «المدارك»[(١)]: عطفٌ[(٢)] على ﴿الْأَنْعَامَ﴾؛ أي: وخلقَ هؤلاءِ للرُّكوبِ والزِّينةِ، وقد احتجَّ أبو حنيفَةَ[(٣)] على حرمةِ أكلِ لحمِ الخيلِ؛ لأنَّهُ علَّلَ خلقَها للرُّكوبِ والزِّينةِ، ولم يذكرِ الأكلَ بعدَ ما ذكرَهُ في الأنعامِ، ومنفعَةُ الأكلِ أقوى، والآيةُ سيقَتْ لبيانِ النِّعمِ، ولا يليقُ بالحكمَةِ أن يذكرَ في مَوضِعِ المنَّةَ أدنى النِّعمَتينِ ويتركَ أعلاهُما، انتهى.

وذُكِرَ أنَّ كراهةَ[(٤)] لحمِ الخيلِ تحريميَّةٌ عندَ أبي حنيفَةَ، وقالَ الإسبيجَابيُّ: الأصحُّ أنَّها تنزيهيَّةٌ، كذا نقلَهُ ابنُ شِحنَةَ[(٥)].

قولُهُ: (فِي الصَّحِيحَينِ) وهو حديثُ جابرٍ قالَ: «نهى رسولُ اللهِ ﷺ عن لحومِ الحُمُرِ الأهليَّةِ، ورخَّصَ في لحومِ الخيلِ»[(٦)].

وذهبَ أبو حنيفةَ ومالكٌ والأوزاعيُّ إلى أنَّها مكروهَةٌ[(٧)]، واستدلُّوا بما في «السُّننِ» لأبي داودَ والنَّسائيِّ وابن ماجَه أنَّهُ عليهِ السَّلامُ: «نهى عن أكلِ لحومِ الخيلِ والبغَالِ والحَميرِ»[(٨)] وللآيةِ[(٩)].

قولُهُ: (الغَرِيبَةِ) في الدُّنيا أو الآخرةِ.

قولُهُ: (المُستَقِيمِ) الموصِلِ إلى الحقِّ، أو: عليه قصدُ السَّبيلِ يصلُ إليه مَن يسلكُهُ لا محالةَ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٢٠٤).

(٢) في (ص) زيادة: «الخيل».

(٣) انظر: «المبسوط» (١١/ ٢٣٤).

(٤) بعده في (ص): «أكل».

(٥) قال ابن الشِّحْنة في «لسان الحكام» (ص: ٣٨١): ويكره لحم الخيل عند أبي حنيفة رحمه الله وفي الكراهة روايتان والأصح كراهة التحريم.

(٦) رواه البخاري (٥٥٢٠)، ومسلم (١٩٤١).

(٧) أي: كراهة لحم الخيل، أما الحمر الأهلية والبغال فحرام. انظر: «الهداية» للمرغيناني (٤/ ٣٥٢)، و«المعونة» للقاضي عبد الوهاب المالكي (ص: ٧٠٢)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٦).

(٨) رواه أبو داود (٣٧٩٠)، والنسائي (٤٣٣٢)، وابن ماجه (٣١٩٨) من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٩) في (ص): «وبالآية».

﴿ومِنها﴾ أي: السبيلِ ﴿جائرٌ﴾: حائد عن الاستقامة، ﴿ولَو شاءَ﴾ هِدايتكم ﴿لَهداكُم﴾ إلى قصد السبيل ﴿أجمَعِينَ﴾، فتهتدون إليه باختيار منكم.

١٠ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، لَكُم مِنهُ شَرابٌ﴾ تشربونه، ﴿ومِنهُ شَجَرٌ﴾ يَنبتُ بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعَون دوابّكم، ١١ ـ ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ والزَّيتُونَ والنَّخِيلَ والأعنابَ ومِن كُلِّ الثَّمَراتِ. إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَةً﴾ دالّة على وحدانيّة الله ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعه فيؤمنون.

١٢ ـ ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ﴾ ـ بالنصبِ عطفًا على ما قبله، والرفعِ مبتدأ ـ ﴿والقَمَرَ والنُّجُومَ﴾، بالوجهين، ﴿مُسَخَّراتٍ﴾، بالنصبِ حالٌ والرفع خبرٌ، ﴿بِأمرِهِ﴾: بإرادته ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون ـ ١٣ ـ ﴿و﴾ سخّر لكم ﴿ما ذَرَأَ﴾: خلق ﴿لَكُم في الأرضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك، ﴿مُختَلِفًا ألْوانُهُ﴾ كأحمرَ وأخضر وأصفر وغيرِها. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون.

١٤ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحرَ﴾: ذلّـله لرُكوبه والغوص فيه،.........................

قولُهُ: (حَائِدٌ) أي: عادلٌ مائلٌ.

قولُهُ: (عنِ الاستِقَامَةِ) والقصدِ، أو: عنِ اللهِ.

قولُهُ: (هدَايَتَكُم) أي: أجمعين.

قولُهُ: (إلى قَصدِ السَّبيلِ) هدايةً مستلزِمةً للاهتِداءِ.

قولُهُ: (تشرَبُونَهُ) الظَّاهرُ: ما تشربونَهُ.

قالَ تعالى: (﴿يُنبِتُ﴾) شعبةُ: بالنُّونِ على التَّعظيمِ[١].

قولُهُ: (والرَّفعِ): ابنُ عامرٍ[٢].

وقولُهُ: (بالوَجهَينِ) وافقَهُ حفصٌ في الأخيرينِ[٣].

قولُهُ: (حَالٌ) من الجميعِ.

قولُهُ: (سَخَّرَ لَكُم) عطفٌ على ﴿اللَّيلَ﴾.

قولُهُ: (والغَوصِ) والاصطيادِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٦).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) أي: قوله: ﴿والنجوم مسخرات﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٠).

﴿لِتأكُلُوا مِنهُ لَحمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ﴿وتَستَخرِجُوا مِنهُ حِلْيَةً تَلبَسُونَها﴾ هي اللؤلؤ والمَرجانُ ـ ﴿وترَى﴾: تُبصِرُ ﴿الفُلْكَ﴾ السُّفنَ ﴿مَواخِرَ فِيهِ﴾: تمخر الماء أي: تشقّه بجريها فيه مُقبلةً ومُدبرةً بريح واحدة ـ ﴿ولِتَبتَغُوا﴾ عطفٌ على «لتأكلوا»: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ ـ تعالى ـ بالتجارة، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

١٥ ـ ﴿وألقَى في الأرضِ رَواسِيَ﴾: جِبالاً ثوابتَ، لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرّك ﴿بِكُم، و﴾ جعل فيها ﴿أنهارًا﴾ كالنيل ﴿وسُبُلاً﴾: طُرقًا، ﴿لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ إلى مَقاصدكم، ١٦ ـ ﴿وعَلاماتٍ﴾ تستدلّون بها على الطرق كالجِبال بالنهار. ﴿وبِالنَّجمِ﴾، بمعنى النجوم، ﴿هُم يَهتَدُونَ﴾ إلى الطُّرق والقِبلة بالليل.

١٧ ـ ﴿أفمَن يَخلُقُ﴾ ـ وهو اللهُ ـ ﴿كَمَن لا يَخلُقُ﴾. وهو الأصنام، حتى تُشركونها معه في العبادة؟ لا.

قولُهُ: (هيَ اللُّؤلُؤ) أي: تلبسُها نساؤكُم، فأسندَ إليهم لأنَّهُنَّ من جملتِهم، ولأنَّهُنَّ يتزيَّنَّ بها لأجلِهم، كذا قالَهُ القاضِي[1].

وقالَ الفاضلُ في «الفتاوى»[2]: لا بأسَ بأن يلبسَ الصَّبيُّ اللُّؤلؤَ، وكذا البالغُ.

قولُهُ: (السُّفُنَ) بضمَّتَينِ، جمعُ: سفينةٍ.

قالَ[3] تعالى: (﴿مَوَاخِرَ﴾) جواريَ.

قولُهُ: (لِـ﴿أَنْ﴾ لَا) أو: كراهَةَ أنْ.

قولُهُ: (تَتحَرَّكَ) وتضطرِبَ وتميلَ.

قولُهُ: (﴿و﴾جَعلَ) لأنَّ ألقى في معناهُ.

قولُهُ: (إلَى مَقاصِدِكُم) أو إلى معرفةِ اللهِ.

قولُهُ: (بمَعْنَى النُّجُومِ) يعني به: الجِنسَ.

قولُهُ: (﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾) أي: لا يقدرُ على الخلقِ.

قولُهُ: (وهُو الأصنَامُ) فإجراؤُها مُجرَى أولي العلمِ لأنَّهُم سَمَّوها آلهةً، ومِن حقِّ الإلهِ أن يعلمَ، أو للمشاكَلةِ بينَهُ وبينَ مَن يخلقُ، أو للمُبالغَةِ؛ فكأنَّهُ قيلَ: إنَّ مَن يخلقُ ليسَ كمَن لا يخلقُ مِن أولي العلمِ، فكيفَ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢٢).

(٢) وانظر: «الفتاوى السراجية» (ص: ٣٢٨).

(٣) في (ص): «وقوله».

﴿أفلا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا، فتُؤمنون؟ ١٨ ـ ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمةَ اللهِ لا تُحصُوها﴾: تَضبطوها، فضلاً أن تُطيقوا شُكرها.

﴿إنَّ اللهَ لَغفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ يُنعم عليكم مع تقصيركم وعِصيانكم، ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ، والَّذِينَ تَدعُونَ﴾، بالتاء والياء: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ ـ وهم الأصنام ـ ﴿لا يَخلُقُونَ شَيئًا، وهُم يُخلَقُونَ﴾: يُصوَّرون من الحِجارة وغيرها، ٢١ ـ ﴿أمْواتٌ﴾: لا روحَ فيهم خبرٌ ثانٍ ﴿غيرُ أحياءٍ﴾: تأكيدٌ، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ أي: الأصنامُ ﴿أيَّانَ﴾: وقتَ ﴿يُبعَثُونَ﴾ أي: الخلقُ. فكيف يُعبَدون إذ لا يكون إلهًا إلاّ الخالقُ الحيّ العالم بالغيب؟

٢٢ ـ ﴿إلـٰهُكُم﴾: المُستحقّ للعبادة منكم ﴿إلـٰهٌ واحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا صِفاته. وهو الله تعالى. ﴿فالَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ قُلُوبُهُم مُنكِرةٌ﴾: جاحدة للوحدانيّة، ﴿وهُم مُستكبِرُونَ﴾: مُتكبّرون عن الإيمان بها. ٢٣ ـ ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾ فيُجازيهم بذلك. ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُستكبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

ونزل في النضر بن الحارث: ٢٤ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: ما﴾: استفهاميّة ﴿ذا﴾: موصولة ﴿أنزَلَ رَبُّكُم﴾ على مُحمّد؟ ﴿قالُوا﴾: هو ﴿أساطِيرُ﴾: ....

بمن لا علمَ عندَهُ، أو المرادُ بمن لا يخلقُ: كلُّ ما عُبدَ من دونِ اللهِ مغلَّباً فيهِ أولو العلمِ منهم للنُّكتةِ المتقدِّمةِ.

قولُهُ: (تَضبِطُوهَا) أي: عَدَدها.

قولُهُ: (بالياءِ) الغيبيَّة: عاصمٌ[1].

قولُهُ: (خَبرٌ ثَانٍ) أي: لـ﴿هُم﴾ أي: وهم يخلقُونَ وهم أمواتٌ، وإن شئتَ جعلتَ ﴿يخلقُونَ﴾ و﴿أمواتٌ﴾ خبراً واحداً، وإن شئتَ كانَ خبرَ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هم أمواتٌ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أي: صفةٌ مؤكِّدةٌ لـ﴿أمواتٌ﴾، ويجوزُ أن يكونَ قُصدَ بها أنَّهُم في الحالِ غيرُ أحياءٍ؛ ليرفعَ به توهُّمَ أنَّ قولَهُ: ﴿أمواتٌ﴾ فيما بعدُ.

قولُهُ: (وَقْتَ) أي: بعثِهِم أو بعثِ عبدَتِهِم.

وقولُهُ: (﴿أنَّ اللهَ﴾) في مَوضعِ الرَّفعِ بـ﴿جَرَمَ﴾؛ لأنَّهُ مصدرٌ أو فعلٌ.

قولُهُ: (بذلِكَ) أي: بـ﴿ما يسرُّونَ﴾ إلخ.

قولُهُ: (هوَ) أي: ما يدَّعونَ نزولَهُ، أو المنزَلُ؛ على التَّهكُّمِ أو الفَرْضِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٧).

أكاذيبُ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾، إضلالاً للناس. ٢٥ ـ ﴿لِيَحمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أوزارَهُم﴾: ذُنوبهم ﴿كامِلَةً﴾: لم يُكفَّر منها شيء ﴿يَومَ القِيامةِ، ومِن﴾: بعضِ ﴿أوزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيرِ عِلمٍ﴾ لأنهم دعَوهم إلى الضلال، فاتّبعوهم فاشتركوا في الإثم. ﴿ألا ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَزِرُونَ﴾: يحملونه حِملُهم هذا!

٢٦ ـ ﴿قَد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ وهو نُمروذُ، بنَى صرحًا طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليُقاتل أهلها، ﴿فأَتَى اللهُ﴾: قصدَ ﴿بُنيانَهُم مِنَ القَواعِدِ﴾: الإساسِ، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته، ﴿فخَرَّ عليهِمِ السَّقفُ مِن فَوقِهِم﴾ أي: وهم تحته، ﴿وأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل لِإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

٢٧ ـ ﴿ثُمَّ يَومَ القِيامةِ يُخزِيهِم﴾: يُذِلّهم، ﴿ويَقُولُ﴾ لهم اللهُ على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿أينَ شُرَكائِيَ﴾ ـ بزعمكم ـ ﴿الَّذِينَ كُنتُم تُشاقُّونَ﴾: تُخالفون المؤمنين ﴿فِيهِم﴾: في شأنهم؟ ﴿قالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾ من الأنبياء والمُؤمنين:..

قولُهُ: (إِضلالاً) علَّةٌ لـ﴿قالُوا﴾.

قولُهُ: (بَعض) أي: بعضَ أوزارِ ضلالِ الَّذين، وهو حصَّةُ التَّسبُّبِ.

وقولُهُ: (﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾) حالٌ مِن المفعولِ؛ أي: يضلُّونَ مَن لا يعلمُ أنَّهُم ضلَّالٌ، وفائدَتُها: الدِّلالةُ على أنَّ جهلَهُم لا يعذرُهُم.

قولُهُ: (يَحمِلُونَهُ) أو: شيئاً يَزِرُونَهُ فعلُهُم.

قولُهُ: (نَمرُوذُ) بنُ كنعانَ.

قولُهُ: (بَنَى) ببابلَ[1].

قولُهُ: (طَوِيلاً) ارتفاعُهُ خمسةُ آلافِ ذراعٍ.

قولُهُ: (قَصَدَ) أو: فأتاهَا أمرُه مِن جهَةِ العَمَدِ الَّتي بنَوا عليها بأن هُدِمَت.

قولُهُ: (أي: وهُم تحتَهُ) يعني: هو وقومُهُ، وصارَ سببَ هَلاكِهِم.

قولُهُ: (تُخَالِفُونَ) نافعٌ: بكسرِ النُّونِ[2]؛ أي: تخالفُوني.

قولُهُ: (مِن الأنبيَاءِ) أو الملائكةِ.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧١)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٨).

﴿إنَّ الخِزيَ اليَومَ والسُّوءَ علَى الكافِرِينَ﴾ ـ يقولونه شماتةً بهم ـ ٢٨ ـ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ﴾، بالتاء والياء، ﴿المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾ بالكُفر. ﴿فألقَوُا السَّلَمَ﴾: انقادوا واستسلموا عِند الموت قائلين: ﴿ما كُنّا نَعمَلُ مِن سُوءٍ﴾: شِرك. فتقول الملائكة: ﴿بَلَى إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به، ويقال لهم: ٢٩ ـ ﴿فادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها. فلَبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتكَبِّرِينَ﴾!

٣٠ ـ ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ: ﴿ماذا أنزَلَ رَبُّكُم؟ قالُوا: خَيرًا، لِلَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿في هذِهِ الدُّنيا حَسَنةٌ﴾: حياة طيّبة، ﴿ولَدارُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ﴾ من الدنيا وما فيها. قال تعالى فيها: ﴿ولَنِعمَ دارُ المُتَّقِينَ﴾ هي! ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿جَنّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، مبتدأٌ خبرُه: ﴿يَدخُلُونَها، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ. كَذلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿يَجزِي اللهُ المُتَّقِينَ الَّذِينَ﴾: نعت ﴿تَتَوَفّاهُمُ المَلائكةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الكُفر، ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلامٌ علَيكُمُ﴾، ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادخُلُوا الجَنّةَ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾.

قالَ تعالى: (﴿إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ والسُّوءَ﴾) أي: الذِّلَّةَ والعذابَ.

قولُهُ: (يقُولُونَهُ) أي: فائدةُ قولِهم إظهارُ الشَّماتةِ وزيادةُ الإهانَةِ، وحكايتِه[1] ليكونَ لطفاً لمَن سمعَ.

قولُهُ: (والياءِ) التَّذكيرُ: حمزةُ معَ الإمالةِ[2]، وكذا ما يأتي[3]، وموضعُ الموصُولِ يحتمِلُ الأوجهَ الثَّلاثةَ.

قالَ تعَالى: (﴿قَالُوا: خَيْراً﴾) أي: أنزلَ خيراً.

قولُهُ: (حياةٌ طيِّبةٌ) مكافأةً في الدُّنيا.

قولُهُ: (أي: الجنَّةُ) أو لثَوابِهم فيها.

قولُهُ: (قَالَ تَعَالَى فِيهَا) أي: في حقِّ دارِ الآخرةِ.

قولُهُ: (هيَ) أي: دارُ الآخرةِ، فحذفَ لتقدُّمِ ذكرِه، وقولُه: (﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾) خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ المخصُوصَ بالمدحِ.

قولُهُ: (عِندَ المَوتِ: ﴿سَلَامٌ﴾) أي: لا يلحقُكُم بعدُ[4] مكروهٌ.

قولُهُ: (ويُقالُ) أو التَّقديرُ: حينَ تُبعثونَ.

---

(١) قوله: «وحكايته» عطف على «قولهم»؛ أي: وفائدةُ حكايةِ ذلك عنهم. انظر: «حاشية زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٣٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٨).

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿تتوفاهم﴾ في الآية (٣٢).

(٤) في (ص): «بعده».

٣٣ ـ ﴿هَل﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الكُفّار ﴿إلاّ أن تأتِيَهُمُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتِيَ أمرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ أو القيامةُ المشتملة عليه؟ ﴿كَذلِكَ﴾: كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأمم، كذّبوا رُسلهم فأُهلكوا، ﴿وما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بالكُفر، ٣٤ ـ ﴿فأصابَهُم سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ.

٣٥ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ من أهل مكّة: ﴿لَو شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ نَحنُ ولا آباؤُنا، ولا حَرَّمْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ﴾ من البحائر والسوائب. فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به. قال تعالى: ﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ أي: كذّبوا رُسلهم فيما جاؤوا به. ﴿فهَل﴾: فما ﴿علَى الرُّسُلِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيّن؟ وليس عليهم هداية.

٣٦ ـ ﴿ولَقَد بَعَثْنا في كُلِّ أُمّةٍ رَسُولاً﴾ كما بعثناك في هؤلاء، ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿اعبُدُوا اللهَ﴾: وحّدوه، ﴿واجتَنِبُوا الطّاغُوتَ﴾: الأوثانَ أن تعبدوها، ﴿فمِنهُم مَن هَدَى اللهُ﴾ فآمنَ.................

قولُهُ: (الكفَّارُ) المارُّ ذكرُهُم.

قولُهُ: (والياءِ) التَّذكيرُ: حمزةُ والكسائيُّ[١]، وكذا في الأُولى[٢]، ولو ذكرَهُ هناكَ كانَ أولى.

قولُهُ: (العَذَابُ) المستأصِلُ.

قولُهُ: (جزَاؤُهَا) على حذفِ المضافِ، أو تسميةِ الجزاءِ باسمِها.

قولُهُ: (نَزلَ) وأحاطَ.

قولُهُ: (العذَابُ) أو جزاؤهُ.

قولُهُ: (فهُو رَاضٍ بِهِ) أي: قالُوا ذلك إنكاراً لقُبحِ ما أنكرَ عليهم من الشِّركِ والتَّحريمِ محتجِّينَ بأنَّها لو كانَتْ مستقبَحَةً لمَا شاءَ اللهُ صُدورَها عنهم، ولشاءَ خلافَهُ ملجئاً إليه، لا اعتِذاراً؛ إذ لم يعتَقِدوا قبحَ أعمالِهِم.

قولُهُ: (كَذَّبُوا) وحرَّمُوا حِلَّهُ.

قولُهُ: (الإِبلَاغُ) مصدرُ: أبلغَ.

قولُهُ: (البيِّنُ) أي: الموضِّحُ للحقِّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٨).

(٢) لعل المصنف التبس عليه الأمر فظن أن هذه لقوله تعالى: ﴿تتوفاهم﴾ وقد أشار إليها من قبل، أما قوله: ﴿تأتيهم﴾ فلم تسبق في هذه السورة.

﴿ومنهم مَن حقَّتْ﴾: وَجبَتْ ﴿عليهِ الضَّلالةُ﴾ في علم الله فلم يُؤمن. ﴿فسِيرُوا﴾ - يا كُفّار مكّة - ﴿في الأرضِ، فانظرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبِينَ﴾ رسلَهم من الهلاك؟

٣٧ - ﴿إن تَحرِصْ﴾ - يا مُحمّد - ﴿علَى هُداهُم﴾، وقد أضلّهم الله، لا تقدِرْ على ذلك ﴿فإنَّ اللهَ لا يُهدَى﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل - ﴿مَن يُضِلُّ﴾: من يُريد إضلاله، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرينَ﴾: مانعين من عذاب الله.

٣٨ - ﴿وأقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أَيمانِهِم﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها، ﴿لا يَبعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ﴾. قال تعالى: ﴿بَلَى﴾ يبعثهم، ﴿وَعدًا عليهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكِّدان منصوبان بفعلهما المُقدّر، أي: وَعَدَ ذلك وحقَّه حقًّا - ﴿ولكِنَّ أكثرَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك - ٣٩ - ﴿لِيُبيِّنَ﴾: مُتعلّق بـ«يبعثهم» المُقدّرِ، ﴿لَهُمُ الّذِي يَختَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدِّين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين، ﴿ولِيَعلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُم كانُوا كاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث. ٤٠ - ﴿إِنَّما قَولُنا لِشَيءٍ، إذا أَرَدْناهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، وقولُنا: مبتدأ خبره: ﴿أن نَقُولَ لَهُ: كُنْ. فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب....

قولُهُ: (مِنَ الهَلَاكِ) لعلَّكُم تعتبِرونَ فتؤمِنونَ.

قولُهُ: (والفَاعِلِ) للكوفيِّ(١).

قولُهُ: (مَن يُرِيدُ) أي: اللهُ، فـ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ مبتدأٌ، و﴿لَا يُهْدَى﴾ خبرُهُ فيصيرُ كقولِهِ تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقَولُهُ تَعَالَى: (﴿عَلَيْهِ﴾) أي: إنجازُهُ؛ لامتِناعِ الخُلفِ في وعدِهِ، صفةٌ للوعدِ، و﴿حَقًّا﴾ صفةٌ أخرى للوعدِ.

قولُهُ: (مُؤَكِّدَانِ) الأظهرُ أنَّ ﴿وَعْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لنفسِهِ، وهو ما دلَّ عليه ﴿بَلَى﴾ فإنَّ ﴿يَبْعَثُ﴾ موعدٌ من اللهِ.

قولُهُ: (وحقَّهُ) الظَّاهرُ: «وحقَّ» بلا ضَميرٍ؛ لأنَّهُ لازمٌ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُقالَ: إنَّهُ بمعنى: أثبَتَهُ.

قولُهُ: (ذلِكَ) أي: أنَّهم يُبعَثونَ، أو أنَّ وعدَهُ حقٌّ.

قولُهُ: (المُقدَّرِ) يعني في ﴿بَلَى﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لشاميٍّ وكسائيٍّ(٢).

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٨٩).

عطفًا على «نقولَ». والآية لتقرير القُدرة على البعث.

٤١ ـ ﴿والَّذِينَ هاجَرُوا في اللهِ﴾: لإقامة دِينه، ﴿مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا﴾ بالأذى من أهل مكّة ـ وهم النبيّ وأصحابه ـ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنزلنّهم ﴿في الدُّنيا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة، ﴿ولَأَجرُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿أكبَرُ﴾: أعظم. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ أي: الكُفّارُ أو المُتخلّفون عن الهِجرة ما للمُهاجرين من الكرامة لوافقوهم. ٤٢ ـ هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المُشركِينَ والهِجرة لإظهار الدِّين، ﴿وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون.

٤٣ ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلاّ رِجالاً، يُوحَى إلَيهِم﴾ لا ملائكةً ـ ﴿فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ﴾: العلماءَ بالتوراة والإنجيل، ﴿إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديق المُؤمنين بمُحمّد ـ ٤٤ ـ ﴿بِالبَيِّناتِ﴾:..

قولُهُ: (عَطفاً) أو جواباً للأمرِ.

قولُهُ: (لإقَامَةِ دِينِهِ) أي: في سبيلِ اللهِ وحقِّهِ ولوجهِهِ.

قولُهُ: (أصحَابُهُ) المهاجرون، ظلمَهُم قريش، فهاجرَ بعضُهم إلى الحبشةِ ثمَّ إلى المدينةِ، وبعضُهم إلى المدينَةِ، أو المعذَّبونَ[١] المحبوسونَ بمكّةَ بعدَ هجرةِ رسُولِ اللهِ ﷺ كبلالٍ وصُهَيبٍ وعمَّارٍ وخبَّابٍ وعابسٍ، وقولُ البَيضاويِّ: وأبو جندلٍ وسهيلٌ[٢]، سهوٌ، والصَّوابُ: أبو جندلِ بن سهيلٍ، كما في «المعالمِ»[٣].

قولُهُ: (دَاراً) أو مباءةً.

قولُهُ: (هيَ المَدِينةُ) أو تبوِئةً حسنةً[٤].

قولُهُ: (أعظَمُ) ممَّا يعجَّلُ لهم في الدُّنيا.

قوله: (أو المتخلِّفونَ) أو المهاجِرونَ لو عَلِموا ذلك لزادُوا في اجتِهادِهِم.

قولُهُ: (لا مَلائكَةً) ردٌّ لقولِ قريش: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولُهُ بشراً[٥].

ومِن العَجيبِ[٦] أنَّهم يرضونَ أن يكونَ إلهُهُم حجراً، فإن شككْتُم فيهِ ﴿فاسألوا﴾.

---

(١) في (ص): «والمعذبون».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢٧).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٧٩).

(٤) فمعنى: ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾: مَباءةً حَسَنةً، وهي المدينةُ، أو: تَبوِئَةً حَسَنةً. انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في (ص): «العجب»، وفي (د): «أو من العجب».

مُتعلّق بمحذوف أي: أرسلناهم بالحُجج الواضحة، ﴿والزُّبُرِ﴾: الكُتب، ﴿وأنزَلْنا إليكَ الذِّكرَ﴾: القُرآن ﴿لِتُبيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إليهِم﴾ فيه من الحلال والحرام، ﴿ولَعَلَّهُم يَتَفكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.
٤٥ ـ ﴿أفأمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكَراتِ ﴿السَّيِّئاتِ﴾ بالنبيّ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذُكر في «الأنفال» ﴿أن يَخسِفَ اللهُ بِهِم الأرضَ﴾ كقارونَ، ﴿أو يأتِيَهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾ أي: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم، وقد أُهلِكوا ببدر ولم يكونوا يُقدِّروا ذلك، ٤٦ ـ ﴿أو يأخُذَهم في تَقَلُّبِهِم﴾ في أسفارهم للتجارة ـ ﴿فما هُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتين العذابَ ـ ٤٧ ـ ﴿أو يأخُذَهُم علَى تَخَوُّفٍ﴾: تنقّصٍ شيئًا فشيئًا حتّى يَهلِكَ الجميعُ؟ حالٌ من الفاعل أو المفعول. ﴿فإنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ لم يُعاجلهم بالعُقوبة.

٤٨ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا إلَى ما خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾ له ظِلّ كشجرة وجبل، ﴿تَتَفَيَّأُ﴾: تتميّلُ ﴿ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائلِ﴾:..

قولُهُ: (مُتعلِّقٌ بمَحذُوفٍ) يعني: لا بالمذكورِ؛ لأنَّ ما قبلَ (إلّا) لا يعملُ فيما بعدَها إذا تمَّ الكلامُ على (إلّا) وما يليهَا.

قولُهُ: (أي: أرسَلنَاهُمْ) ولا يبعدُ أن يكونَ التَّقديرُ: إن كنتُم لا تعلَمونَ إرسالَهُم.

قولُهُ: (بالحُجَجِ الوَاضِحَةِ) أو المعجِزاتِ.

قولُهُ: (مِن الحَلالِ) أو ممَّا تشابَهَ عليهِم.

قولُهُ: (مِنْ جِهَةٍ) أي: بغتةً كقومِ لوطٍ.

قولُهُ: (يُقدِّرُوا) بالتَّشديدِ، الظَّاهرُ: يقدِّرونَ، ويمكنُ أن يكونَ بدلاً.

قولُهُ: (تَنقُّصٍ) من تخوَّفتُهُ: إذا تنقَّصتُهُ[1].

قولُهُ: (حتَّى يَهلِكَ) من الهلاكِ أو الإهلاكِ.

قولُهُ: (لم يُعاجِلْهُم) أي: بعقوبةِ كفرِهِم.

قوله: (لهُ ظلٌّ) قرأَ حمزةُ والكسائيُّ: بالخطابِ[2].

قولُهُ: (تَتَميَّل) أبو عَمرٍو: بالتَّأنيثِ[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠١).

(٢) أي: (تروا) بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٠).

(٣) أي: (تتفيؤا) بالتاء. انظر المصدرين السابقين: (ص: ٣٧٤)، و(ص: ٣٩١).

جمع شِمال، أي: عن جانبيها أوّلَ النهار وآخِرَه، ﴿سُجَّدًا لِلهِ﴾: حالٌ أي: خاضعين بما يُراد منهم، ﴿وهُم﴾ أي: الظِّلال ﴿داخِرُونَ﴾ صاغرون؟ نُزِّلوا منزلة العُقلاء. ٤٩ ـ ﴿ولِلهِ يَسجُدُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ مِن دابّةٍ﴾ أي: نسمةٍ تدبّ عليها، أي: يخضع له بما يراد منه ـ وغُلّب في الإتيان بـ «ما» ما لا يَعقل لكثرته ـ ﴿والمَلائكةُ﴾ خصّهم بالذكر تفضيلاً، ﴿وهُم لا يَستكبِرُونَ﴾: يتكبّرون عن عِبادته، ٥٠ ـ ﴿يَخافُونَ﴾ أي: الملائكةُ: حالٌ من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبَّهُم مِن فَوقِهِم﴾: حالٌ من هم، أي: عاليًا عليهم بالقهر، ﴿ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ﴾ به.

٥١ ـ ﴿وقالَ اللهُ: لا تَتَّخِذُوا إلـٰهَينِ اثنَينِ﴾: تأكيد. ﴿إنَّما هُوَ إلـٰهٌ واحِدٌ﴾ ـ أتى به لِإثبات الإلـٰهيّة والوحدانيّة. ﴿فإيّايَ فارهَبُونِ﴾: خافونِ دُون غيري..............................

قولُهُ: (جَمعُ شِمَالٍ) ولعلَّ توحيدَ اليمينِ وجمعَ الشِّمالِ لاعتبارِ لفظِ ﴿ما﴾ ومَعناها؛ كتوحيدِ الضَّميرِ في ﴿ظلالُهُ﴾، وجمعِه في قولِه: ﴿سُجَّداً﴾.

قولُهُ: (حَالٌ) من الضَّميرِ في ﴿ظلالُهُ﴾ وكذا ما بعدَهُ.

قولُهُ: (نُزِّلوا... إلخ) لأنَّ الدُّخولَ من أوصافِ العُقلاءِ، أو لأنَّ[1] من جُملتِها مَن يعقلُ، فيكونُ تغليباً.

قولُهُ: (تَدِبُّ عَليهَا) أي: على الأرضِ، فتكونُ ﴿مِنْ﴾ بياناً لـ﴿مَا﴾ الثَّانيةِ، وقالَ البيضاويُّ: بيانٌ لهما؛ لأنَّ الدَّبيبَ هو الحركةُ الجسمانيَّةُ سواءٌ كانَ في أرضٍ أو سماءٍ[2].

قولُهُ: (أي: تخضَعُ) يعني: المرادُ من السُّجودِ: الاستسلامُ والانقيَادُ سواءٌ كانَ بالطَّبعِ أو الاختيارِ.

قولُهُ: (تَفْضِيلاً) الأَولى: تعظيماً.

قولُهُ: (حَالٌ) أي: لازمةٌ؛ لأنَّهُم جميعَهُم لا يستكبِرونَ مطلقاً.

قولُهُ: (حَالٌ مِنْ هُمْ) يعني من قولِهِ: «هُمْ» الملائكةَ، وقالَ أبو البقاءِ[3]: حالٌ من ﴿ربَّهُمْ﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿يخافُونَ﴾.

قولُهُ: (بِهِ) من الطَّاعةِ والتَّدبيرِ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ الملائكةَ مكلَّفُونَ مداورونَ بين الخوفِ والرَّجاءِ.

قولُهُ: (لإثْبَاتِ الإلهِيَّةِ) قالَ القاضِي: ذكرَ الواحدَ للدِّلالةِ على أنَّ المقصودَ إثباتُ الوحدانيَّةِ دونَ

---

(١) في (ص): «كان».

(٢) أي قوله: ﴿من دابة﴾ بيان لهما...، انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢٩).

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٧٩٨).

وفيه التفات عن الغَيبة ـ ٥٢ ـ ﴿ولَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿ولَهُ الدِّينُ﴾: الطاعةُ ﴿واصِبًا﴾ دائمًا: حالٌ من «الدِّين» والعاملُ فيه معنى الظرف. ﴿أفغيرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾، وهو الإلٰـهُ الحقّ ولا إلٰـهَ غيره؟ والاستفهام للإنكار أو للتوبيخ.

٥٣ ـ ﴿وما بِكُم مِن نِعْمةٍ فمِنَ اللهِ﴾ لا يأتي بها غيره ـ وما: شرطيّة أو موصولة ـ ﴿ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ﴾: أصابكم ﴿الضُّرُّ﴾: الفقر والمرض ﴿فإلَيهِ تَجْأَرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تَدْعُون غيره، ٥٤ ـ ٥٥ ـ ﴿ثُمَّ إذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُم إذا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ، لِيَكفُرُوا بِما آتيناهُم﴾ من النِّعمة. ﴿فتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عِبادة الأصنام. أمرُ تهديد. ﴿فسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

٥٦ ـ ﴿ويَجعَلُونَ﴾ أي: المُشركون، ﴿لِما لا يَعلَمُونَ﴾ أنها تضرّ ولا تنفع ـ وهي الأصنام ـ......

الإلهيَّةِ[1]؛ إذ ليسَ في اللهِ شكٌّ ﴿ولئِنْ سألْتَهُم مَنْ خلقَهم ليقولن اللهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ولذا ما جاءَ الرُّسلُ إلَّا بلا إلهَ إلَّا اللهُ، لا بأنَّ اللهَ موجودٌ أو ثابتٌ.

قولُهُ: (فيهِ) أي: ﴿إيَّايَ﴾.

قولُهُ: (دَائماً) الأولى: لازماً، وقيلَ: ﴿الدِّينُ﴾: الجزاءُ، فمعناهُ: دائماً لا ينقطعُ ثوابُهُ للمؤمنِ وعقابُهُ للكافرِ.

قولُهُ: (ولَا إلهَ غيرُهُ) ولا ضارَّ سواهُ كما لا نافعَ غيرُه.

قولُهُ: (أو مَوصُولَةٌ) متضمِّنةٌ معنى الشَّرطِ؛ أي: أيُّ شيءٍ اتَّصلَ بكُم من نعمةٍ فهو مِن اللهِ.

قولُهُ: (ترفَعُونَ) الجؤارُ: رفعُ الصَّوتِ بالدُّعاءِ والاستغاثَةِ[2].

قولُهُ: (ولَا تَدْعُونَ غيرَهُ) بل تَدعونَ غيرَهُ.

قالَ تعَالى: (﴿لِيَكْفُرُوا﴾) أي: بعبَادةِ غيرِهِ.

قولُهُ: (مِنْ النِّعمَةِ) أي: نعمَةِ الكشْفِ عنهم كأنَّهُم قصَدوا بشركِهم كُفرانَ النِّعمَةِ أو إنكارَ كونِها مِن اللهِ.

قولُهُ: (عَاقِبةَ ذلكَ) أغلظُ وعيدٍ.

قولُهُ: (وهيَ الأصنَامُ) أي: لآلهتِهِم الَّتي لا علمَ لها لأنَّها جمادٌ، فيكونُ الضَّميرُ في ﴿يعلمُونَ﴾ لـ﴿ما﴾ أو للَّتي لا يعلَمونَها، فيعتقِدونَ فيها جَهالاتٍ مثلَ أنَّها تنفعُهُم وتشفعُ لهم، على أنَّ العائدَ إلى ﴿ما﴾ محذوفٌ، أو لجهلِهِم على أنَّ ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ والمجعولَ له وهي الأصنامُ محذوفٌ للعِلمِ به.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٤).

﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُم﴾ من الحرث والأنعام، بقولهم: «هذا... وهذا لِشُرَكائنا». ﴿تَاللهِ لَتُسأَلُنَّ﴾ سُؤالَ توبيخ، وفيه التفات عن الغَيبة، ﴿عَمّا كُنتُم تَفتَرُونَ﴾ على الله، من أنه أمرَكم بذلك! ٥٧ ـ ﴿وَيَجعَلُونَ لِلهِ البَنَاتِ﴾ بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله ـ ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عمّا زعموا ـ ﴿ولَهُم ما يَشتَهُونَ﴾ أي: البنون. والجملة: في محلّ رفع، أو نصب بـ«يجعل». المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزَّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء التي يختارونها فيختصّون بالأسنى كقوله: «فاستَفتِهِم: أَلِرَبِّكَ البَناتُ ولَهُمُ البَنُونَ»؟

٥٨ ـ ﴿وإذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى﴾ تُولدُ له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجهُهُ مُسوَدًّا﴾: مُتغيرًا تغيرَ مُغتمّ، ﴿وهُوَ كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غمًّا. فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ ٥٩ ـ ﴿يَتَوارَى﴾: يختفي ﴿مِنَ القَومِ﴾ أي: قومه...

قولُهُ: (بقَولِهِم) أي: خزاعَةَ وكنانَةَ.

قولُهُ: (تنزِيْهاً) أو تعجيبٌ منه.

قولُهُ: (في محَلِّ رَفعٍ) بالابتداءِ.

قولُهُ: (أو نَصْبٍ) بالعطفِ على ﴿البناتِ﴾ على أنَّ الجعلَ بمعنى الاختيَارِ، وهو ـ أي: النَّصبُ على الوجهِ المذكورِ ـ وإن أفضَى إلى أن يكونَ ضميرُ الفاعلِ في ﴿يجعلونَ﴾ والمفعولِ في ﴿مَا يشتهونَ﴾ لشيءٍ واحدٍ؛ وهو الكفرُ، لكنَّهُ لا يبعدُ تجويزُهُ في المعطوفِ، و﴿سبحانَهُ﴾ معترضةٌ.

قال أبو البقاءِ: وضعَّفَ هذا الوجهَ قومٌ[1].

فكانَ الأولى في حقِّ الشَّيخِ أن لا يذكرَهُ لمَا تقدَّمَ له في خُطبتِهِ[2].

قولُهُ: (صَارَ) أو دامَ النَّهارَ كلَّهُ.

قولُهُ: (تغيُّرَ مُغتَمٍّ) من الكآبةِ والحياءِ من النَّاسِ، فاسودادُ الوَجهِ كنايةٌ عن الاغتِمامِ والتَّخجيلِ.

قولُهُ: (مُمتَلِئٌ) مملوءٌ غيظاً من المرأةِ، أو منَ اللهِ.

---

(١) في (ص): «هذا القول جمع».

وقال أبو البقاء في «التبيان» (٢/ ٧٩٩): وقيل: «ما» في موضع نصب عطفاً على ﴿نصيباً﴾ أي: ويجعلون ما يشتهون لهم. وضعف قوم هذا الوجه، وقالوا: لو كان كذلك لقال: ولأنفسهم؛ وفيه نظر، انتهى. وانظر تفصيل الاعتراض ونقضه في «روح المعاني» (٧/ ٤٠٧).

(٢) وهو قوله: والاعتماد على أرجح الأقوال.

﴿مِن سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفًا من التعيير مُتردّدًا فيما يفعل به، ﴿أَيُمسِكُهُ﴾: يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُونٍ﴾: هَوانٍ وذُلّ، ﴿أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ﴾ بأن يئدَه؟ ﴿ألا ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَحكُمُونَ﴾ حُكمُهم هذا، حيثُ نسبوا لخالقهم البناتِ اللاتي هي عِندهم بهذا المحلّ!

٦٠ ـ ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ﴾ أي: الكُفّارِ ﴿مَثَلُ السَّوءِ﴾ أي الصفةُ السَّوءَى بمعنى القبيحة، وهي وأدُهم البناتِ مع احتياجهم إليهنّ للنكاح، ﴿ولِلهِ المَثَلُ الأعلَى﴾ الصفةُ العُليا ـ وهو أنه لا إلـٰـهَ إلاّ هو ـ ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في خلقه، ٦١ ـ ﴿ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلمِهِم﴾: بالمعاصي ﴿ما تَرَكَ علَيها﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دابَّةٍ﴾: نَسَمةٍ تدِبّ عليها،........

قولُهُ: (﴿ما بُشِّرَ بهِ﴾) أي: المبشَّرُ به عُرفاً، أو المخبرُ به.

قولُهُ: (مُتَردِّداً) محدِّثاً نفسَهُ متفكِّراً في أن يتركَهُ على هُونٍ.

قولُهُ: (يَئِدهُ) أي: يخفيَهُ ويدفنَهُ حيًّا، وتذكيرُ الضَّميرِ للَفظِ ﴿ما﴾.

قولُهُ: (السَّوأى) بزنةِ الفَعلَى.

وقولُهُ: (بمَعنَى القَبِيحَةِ) وهي الحاجةُ إلى الولدِ المناديةُ بالموتِ، واشتِهاءُ[1] الذُّكورِ استِظهاراً بهم، وكراهَةُ الإناثِ ووأدهنَّ خشيةَ الإنفاقِ، فكانَ الأولى للشَّيخِ أن يقولَ: كوأدِهِم.

قولُهُ: (الصِّفَةُ العُليَا) وهو الوجوبُ الذَّاتيُّ، والغنى المطلقُ، والجودُ الفائقُ، والنَّزاهَةُ عن صفاتِ المخلوقينَ.

قولُهُ: (أي: الأَرضِ) وإنَّما أضمَرَها مِن غيرِ ذكرٍ لدلالةِ ﴿النَّاسَ﴾ أو الدَّابَّةِ عليها.

قولُهُ: (نَسمَةٍ) قطُّ بشؤمِ ظلمِهِم، وعن ابنِ مسعودٍ: كادَ الجُعَلُ يهلكُ في جحرِهِ بذنبِ ابنِ آدمَ[2]. أو: مِن دابَّةٍ ظالمةٍ.

وقيلَ: لو أهلكَ الآباءَ بظلمِهِم لم يكُن الأبناءُ، هذا والأنبياءُ مستَثنَونَ عقلاً، فقولُهُ: ﴿بظلمِهم﴾ أي: أكثرِهم.

---

(١) في «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٣٠): «واستبقاء»، ولكل وجه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢١٣) (٩٠٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٧٤).

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٧): رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

﴿ولكِن يُؤَخِّرُهُم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فإذا جاءَ أجَلُهُم لا يَستأخِرُونَ﴾ عنه ﴿ساعةً ولا يَستَقدِمُونَ﴾ عليه.

٦٢ ـ ﴿ويَجعَلُونَ لِلهِ ما يَكرهُونَ﴾ لِأنفُسهم من البناتِ والشريكِ في الرياسة وإهانةِ الرُّسل، ﴿وتَصِفُ﴾: تقول ﴿ألسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الكَذِبَ﴾، وهو ﴿أنَّ لَهُمُ الحُسنَى﴾ عِند الله أي: الجنّةَ كقوله: «ولَئِنْ رُجِعتُ إلَى رَبِّيَ إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنَى». قال تعالى: ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ لَهُمُ النّارَ، وأَنَّهم مُفرَطُونَ﴾: متروكون فيها أو مُقدَّمون إليها. وفي قراءة بكسر الراء، أي: مُتجاوِزون الحدَّ.

٦٣ ـ ﴿تاللهِ، لَقَد أرسَلْنا إلَى أُمَمٍ مِن قَبلِكَ﴾ رُسلاً، ﴿فزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم﴾ السيّئة، فرأَوها حسنة فكذّبوا الرسل! ﴿فهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مُتولّي أُمورهم ﴿اليَومَ﴾ أي: في الدنيا، ﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم في الآخِرة. وقيل: المُراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي: لا وليّ لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه. فكيف ينصرهم؟ ٦٤ ـ ﴿وما أنزَلْنا علَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿الكِتابَ﴾: القُرآن ﴿إلّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس ﴿الَّذِي اختَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدِّين، ﴿وهُدًى﴾ ـ عطف على «لتبيّن» ﴿ورَحمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ به.

قالَ تعالى: (﴿إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾) سمَّاهُ لأعمارِهِم أو لعذابِهِم.

قولُهُ: (وهُو) فـ﴿أنَّ﴾ بدلٌ مِن ﴿الكذبَ﴾ وقيلَ: التَّقديرُ: بأنَّ لهم.

قولُهُ: (حَقًّا... إلخ) ردٌّ لكلامِهِم وإثباتٌ لضدِّهِ.

قولُهُ: (مَترُوكُونَ) قالهُ ابنُ عبَّاسٍ[1]، وفي «القاموسِ»: أي: منسيُّونَ متروكونَ فيها[2].

قولُهُ: (أو مُقدَّمُونَ) معجَّلُونَ، من أَفْرطتُه في طلبِ الماءِ: إذا قدَّمتَهُ[3].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ[4] على أنَّهُ من الإفراطِ في المعاصِي.

قولُهُ: (فَرَأَوْهَا حَسَنَةً) فأصرُّوا على قبائِحِها.

قولُهُ: (أي: فِي الدُّنيَا) وعبَّرَ باليومِ عن زمانِها.

قولُهُ: (مِنْ أَمرِ الدِّينِ) كالتَّوحِيدِ والقدرِ وأحوالِ المعادِ وأحكامِ الأفعَالِ.

قولُهُ: (عَطفٌ) معَ ما بعدَهُ على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ أي: محلِّهِ، فإنَّهما فعلُ المنزِّلِ، بخلافِ التَّبيينِ فإنَّهُ فعلُ المنزَّلِ عليهِ عليهِ السَّلامُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٣) ولكن عن سعيد بن جبير.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٨١).

(٣) كذا قال الزمخشري أيضاً في «الكشاف» (٢/ ٦١٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩١).

٦٥ ـ ﴿والله أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحْيا بِهِ الأرضَ﴾ بالنبات ﴿بَعدَ موتِها﴾: يُبسِها. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَةً﴾ دالّة على البعث ﴿لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تدبّر، ٦٦ ـ ﴿وإنَّ لَكُم في الأنعامِ لَعِبْرَةً﴾: اعتبارًا ـ ﴿نُسقِيكُم﴾ بيانٌ للعِبرة ﴿مِمّا في بُطُونِهِ﴾ أي: الأنعامِ، ﴿مِن﴾: للابتداء مُتعلّقة بـ «نُسقيكم» ﴿بَينِ فَرْثٍ﴾: ثُفل الكَرِش ﴿ودَمٍ لَبَنًا خالِصًا﴾: ....

قولُهُ: (تَدَبُّرٍ) وإنصافٍ.

قولُهُ: (اعْتِبَاراً) أي: دلالةً يُعبرُ بها مِن الجهلِ إلى العلمِ.

قولُهُ: (بَيَانٌ) أي: استِئنافٌ لبيانِ العِبرةِ، كأنَّهُ قيلَ: كيفَ العبرةُ؟ فقيلَ: ﴿نُسْقِيكُمْ﴾، وقرأَ نافعٌ وشاميٌّ وشعبةُ: بفتحِ النُّونِ[1].

قولُهُ: (أي: الأَنعَامِ) ذكرَ سيبويه الأنعامَ في الأسماءِ المفرَدةِ الواردَةِ على أفعالٍ[2]، ولذا رجعَ الضَّميرُ إليه مفرداً، وأمَّا ﴿مما في بطونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١] في سورَةِ المؤمنينَ فلأنَّ معناهُ الجمعُ، كذا في «المداركِ»[3]، فـ﴿الأنعامِ﴾ اسمُ جمعٍ، و﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ؛ لأنَّ اللَّبنَ بعضُ ما في بُطونِهِ.

قولُهُ: (ثُفْلُ الكَرِشِ) الفرْثُ: هو الأشياءُ المأكُولةُ المنهَضِمةُ بعضَ الانهِضامِ في الكَرِشِ، كذا قالَهُ القاضِي[4].

وفي «القاموسِ»: الفرثُ: السِّرجينُ في الكرشِ[5].

وكلامُ الشَّيخِ يشيرُ إلى ما نُقلَ عن ابنِ عبَّاسٍ[6]: أنَّ البهيمةَ إذا اعتلفَتْ وانطبخَ العلفُ في كرشِها، كانَ أسفلُهُ فَرْثاً وأوسطُهُ لبناً وأعلاهُ دماً.

قالَ القاضِي[7]: ولعلَّهُ إن صحَّ فالمرادُ به: أنَّ أوسطَهُ يكونُ مادَّةَ اللَّبنِ، وأعلاهُ مادَّةَ الدَّمِ الذي يغذِّي البدنَ؛ لأنَّهما لا يتكوَّنانِ في الكرشِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩١).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٢٢٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٣٢).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٧٤).

(٦) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (١٣/ ١١٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٦٨).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٣٢).

لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما، ﴿سائغًا لِلشّارِبينَ﴾: سهلَ المُرُور في حلقهم لا يُغَصّ به ـ ٦٧ ـ ﴿ومِن ثَمَراتِ النَّخِيلِ والأعنابِ﴾ ثمرٌ، ﴿تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا﴾: خمرًا يُسكِر، سُمّيتْ بالمصدر ـ وهذا قبل تحريمها ـ ﴿ورِزقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزَّبيب والخلّ والدِّبْس. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَةً﴾ دالّة على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

٦٨ ـ ﴿وأَوحَى رَبُّكَ إلَى النَّحلِ﴾ وحْيَ إلهامٍ ﴿أنِ﴾: مُفسّرةٌ أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها، ﴿ومِنَ الشَّجَرِ﴾ بُيوتًا ﴿ومِمّا يَعرِشُونَ﴾ أي: الناسُ يبنون لكِ من الأماكن ـ وإلاّ لم تأوِ إليها ـ ٦٩ ـ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، فاسلُكِي﴾: ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طُرقَه في طلب المرعى، ﴿ذُلُلاً﴾: جمع ذلولٍ، حالٌ من السبل أي: مُسخّرةً لكِ، فلا تعسُرَ عليكِ وإن توعّرتْ ولا تَضلّي عن العود منها وإن بعدتْ، وقيل: من الضمير في «اسلكي» أي: مُنقادةً لِما يُراد منكِ.

﴿يَخرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ﴾ هو العسل ﴿مُختَلِفٌ ألوانُهُ، فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ﴾ من الأوجاع،........

قولُهُ: (ثمرٌ) يعني: الجارُ والمجرورُ[1] خبرٌ لمحذوفٍ، صفتُهُ: ﴿تتَّخذُونَ﴾.

قولُهُ: (خَمْراً) وقيل: النَّبيذُ، وقيل: ما يسدُّ الجوعَ.

قولُهُ: (مُفَسِّرةٌ) لأنَّ في الإيحاءِ معنى القولِ.

قولُهُ: (أو مصدَرِيَّةٌ) أي: بـأن، في «القاموسِ»: النَّحلُ: ذبابُ العسلِ للذَّكرِ والأنثَى[2].

فقولُ البيضاويِّ: تأنيثُ الضَّميرِ على المعنى؛ فإنَّ النَّحلَ مذكَّرٌ[3]. غيرُ مرضيٍّ.

قولُهُ: (يَبْنُونَ) وشاميٌّ[4] وشعبةُ: بضمِّ الرَّاء[5].

قولُهُ: (لَم تَأوِ) الظَّاهرُ: فلا تأوي.

قولُهُ: (لِمَا يُرَادُ) أو لِمَا أمرْتِ به، فالإفرادُ في الخطابِ باعتبارِ اللَّفظِ، والجمعُ في الحالِ باعتبارِ المعنى.

قولُهُ: (هُو العسَلُ) لأنَّه ممَّا يُشرَبُ.

وقولُهُ تعالى: (﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾) أبيضُ وأحمرُ وأصفرُ وأسودُ بسببِ اختلافِ سنِّ النَّحلِ، أو الفصلِ مِن فصولِ السَّنةِ.

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات﴾.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٣٢).

(٤) في (ص): «شامي».

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٢).

قيل: لبعضها كما دلّ عليه تنكير «شفاء» أو لكُلّها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بِنِيّتِه. وقد أمر به ﷺ مَن استُطلِقَ بطنُه. رواه الشيخانِ. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعه تعالى.

٧٠ ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عِند انقضاء آجالكم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسّه من الهرَم والخرَف، ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. قال عِكرِمة: مَن قرأ القرآنَ لم يصِر بهذه الحالة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يُريده.

٧١ ـ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، فمنكم غنيّ وفقير ومالك ومملوك، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم من الأموالِ وغيرِها شركةً بينهم وبين مماليكهم، ﴿فَهُمْ﴾ أي: المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾: شُركاءُ. المعنى: ليس لهم شُركاء من مماليكهم في أموالهم. فكيف يجعلون بعض مماليك الله شُركاءَ له؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: يكفرونَ حيثُ يجعلون له شُركاء؟

٧٢ ـ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، فخلق حوّاءَ من ضِلَع آدمَ وسائرَ الناس من نُطف الرجال والنساء، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولادَ الأولادِ،......

قولُهُ: (تَنْكِيرُ ﴿شِفَاءٌ﴾) يجوزُ أن يكونَ للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (بضَمِّهِ) ـ وفي نسخةٍ: «بضميمتِهِ» ـ في أكثرِ الأمراضِ، إذ قلَّ ما يكونُ معجونٌ إلَّا والعسلُ جزءٌ منه، أو بنفسِهِ كما في الأمراضِ البلغميَّةِ.

قولُهُ: (مَن استَطلَقَ) جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: إنَّ أخي يشتكي بطنَهُ، فقالَ: «اسقِهِ العسلَ»، فذهبَ ثمَّ رجعَ، فقالَ: قد سقيتُهُ فمَا نفعَ، فقالَ: «اذهبْ واسقِهِ عسلاً، فقد صدقَ اللهُ وكذبَ بطنُ أخيكَ»، فسقَاهُ فشفَاهُ اللهُ تعالى[1].

أقولُ: وليسَ في الحديثِ ما يدلُّ على اعتبارِ النِّيَّةِ.

قولُهُ: (والخَرَفِ) الَّذي يشابهُ الطُّفوليَّةَ في نُقصانِ القوَّةِ والعقلِ والنِّسيانِ وسوءِ الفهمِ.

قولُهُ: (بهذِهِ الحَالَةِ) أي: الصِّفةِ.

قولُهُ: (يكفُرُونَ) شعبةُ: بالخطابِ[2].

قولُهُ: (فخَلَقَ) أو المعنى: مِن جنسِكُم لتأنَسوا بها، ولتكونَ أولادُكُم مثلَكُم.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أي: (تجحدون) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٢).

﴿ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ من أنواع الثِّمار والحُبوب والحيوان. ﴿أفبِالباطِلِ﴾: الصنمِ ﴿يُؤمِنُونَ، وبِنِعْمةِ اللهِ هُم يَكفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟

٧٣ ـ ﴿ويَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَملِكُ لَهُم رِزقًا مِنَ السَّماواتِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات ﴿شَيئًا﴾: بدلٌ من «رزقًا»، ﴿ولا يَستَطِيعُونَ﴾: يقدرون على شيء. وهم الأصنام.
٧٤ ـ ﴿فلا تَضرِبُوا للهِ الأمثالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أشباهًا تُشركوهم به. ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ﴾ أنْ لا مِثلَ له ﴿وأنتُم لاتَعلَمُونَ﴾ ذلك.

٧٥ ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدلُ منه: ﴿عَبدًا مَملُوكًا﴾: صفةٌ تُميِّزه من الحُرِّ فإنه عبدُ اللهِ، ﴿لا يَقدِرُ علَى شَيءٍ﴾ لعدم مُلكه، ﴿ومَن﴾: نكرةٌ موصوفة أي: حُرًّا ﴿رَزَقْناهُ مِنّا رِزقًا حَسَنًا، فهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وجَهرًا﴾ أي: يتصرّف فيه كيف يشاء؟ والأوّل مَثَل الأصنام، والثاني مَثَله تعالى. ﴿هَل يَستَوُونَ﴾ أي: العبيدُ العَجَزة والحُرّ المُتصرّف؟ لا.

قولُهُ: (الصَّنَم) بأنَّهُ ينفعُهم.

قولُهُ: (بإشرَاكِهِمْ) حيثُ أضافُوا نعمَهُ إلى الأصنامِ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) وإن جعلْتَهُ مصدراً فـ﴿شيئاً﴾ منصوبٌ به.

قولُهُ: (يَقدِرُونَ) جمعُ الضَّميرِ فيه وتوحيدُهُ في ﴿لا يملكُ﴾ نظراً إلى اللَّفظِ والمعنَى.

قولُهُ: (تُشرِكُونَهُم) أو تقيسونَهُم عليه، فإنَّ ضربَ المثلِ تشبيهُ حالٍ بحالٍ.

قولُهُ: (أنْ لَا مِثلَ لهُ) أو: فسادَ ما تعتمِدونَ عليهِ مِن القياسِ على أنَّ عبادةَ عبيدِ الملِكِ أدخلُ في التَّعظيمِ مِن عبادتِهِ، أو: عِظَمَ جرمِكُم فيما تفعَلونَ.

قولُهُ: (ذلِكَ) ولو علمتُموهُ لَمَا جَرُؤتُم عليه، فهو تعليلٌ للنَّهي، أو: أنَّهُ يعلمُ كنهَ الأشياءِ وأنتُم لا تعلمونَ، فدَعوا رأيَكُم دونَ نصِّهِ، أو: أنَّهُ يعلمُ كيفَ يضربُ الأمثالَ وأنتم لا تعلمُونَ.

قولُهُ: (ويُبدَلُ منهُ) قيلَ: التَّقديرُ: مَثَلاً مَثَلَ عبدٍ.

قولُهُ: (لِعَدمِ ملْكِهِ) الأظهرُ: أنَّ التَّقييدَ بسببِ القدرةِ؛ للتَّمييزِ عن المكاتبِ والمأذونِ، وجعلُهُ قسيماً للمالِكِ المتصرِّفِ يدلُّ على أنَّ المملوكَ لا يملكُ.

قولُهُ: (كيفَ يشَاءُ) مصدرانِ في موضعِ الحالِ.

قولُهُ: (أي: العَبِيدُ) وجمعَ الضَّميرَ لأنَّهُ للجنسَينِ، فإنَّ المعنى: هل يستَوي الأحرارُ والعبيدُ؟ فقولُهُ: (والحرُّ) جنسٌ[1].

---

(١) في (ص) زيادة: «حسن».

﴿الحَمدُ للهِ﴾ وحده. ﴿بَل أكثَرُهم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

٧٦ - ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدل منه: ﴿رَجُلَينِ: أحَدُهُما أبكَمُ﴾ وُلِدَ أخرسَ ﴿لا يَقدِرُ على شَيءٍ﴾ لأنه لا يَفهَم ولا يُفهِم، ﴿وهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل ﴿علَى مَولاهُ﴾: وليِّ أمره، ﴿أينَما يُوَجِّهْهُ﴾: يُصرّفه ﴿لا يأتِ﴾ منه ﴿بِخَيرٍ﴾: بنُجح - وهذا مَثَل الكافر - ﴿هَل يَستَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكمُ المذكور ﴿ومَن يأمُرُ بِالعَدلِ﴾ أي: ومَن هو ناطق نافع للناس حيثُ يأمر به ويحثّ عليه، ﴿وهُوَ علَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾، وهو الثاني المؤمن؟ لا. وقيل: هذا مَثَلٌ لِلهِ والأبكمُ للأصنام، والذي قبله للكافر والمُؤمن.

٧٧ - ٧٨ - ﴿ولِلهِ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿وما أمرُ السّاعةِ إلاّ كَلَمحِ البَصَرِ، أو هُوَ أقرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ: «كُنْ، فيكُونُ» ....

قولُهُ: (وَحْدهُ) أي: كلُّ الحمدِ له، لا يستحقُّهُ غيرُهُ فضلاً عن العبادَةِ؛ لأنَّهُ مُولي النِّعمِ كلِّها.

قولُهُ: (مَا يَصِيرُونَ) أو: فيُضيفونَ نعمَهُ إلى غيرِهِ ويعبدونَهُ لأجلِها.

قولُهُ: (لأنَّهُ) أو: على شيءٍ مِن الصَّنائعِ والتَّدابيرِ لنقصانِ عقلِهِ.

قولُهُ: (ثَقِيلٌ) وعيالٌ.

قولُهُ: (وَلِيٌّ) بتشديدِ الياءِ.

قولُهُ: (يُصرِّفُهُ) ويرسلُهُ مولاهُ في أمرٍ.

قولُهُ: (بنُجْحٍ) وكفايةِ مُهِمٍّ.

قولُهُ: (بِهِ) أي: بالعدلِ الشَّاملِ لمجامعِ الفَضائلِ.

قالَ تعَالى: (﴿وَهُوَ﴾) أي: بنفسِهِ على طريقٍ مستقيمٍ لا يتوجَّهُ إلى مطلَبٍ إلَّا ويبلغُهُ بأقربِ سعيٍ.

قولُهُ: (وهُو الثَّانِي) أي: المثلُ الثَّاني.

قولُهُ: (فِي الكَافِرِ) أي: المخذولِ (والمُؤمنِ) أي: الموفَّقِ.

قولُهُ: (فيهِمَا) عن العبادِ بأنْ لم يكُن محسُوساً ولم يدلَّ عليه محسوسٌ.

قالَ تعالى: (﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾) أي: قيامُ القيامَةِ في سُرعتِهِ وسهولتِهِ إلَّا كرجعِ الطَّرفِ مِن أعلى الحدقةِ إلى أسفَلِها.

قولُهُ: (منهُ) أي: أو أمرُها أقربُ مِن لمحِ البصَرِ بأن يكونَ قيامُ السَّاعةِ في زمانِ نصفِ تلكَ الحركةِ، بل في الآنِ الَّتي تبتدأُ الحركةُ فيه، فإنَّه تعالى يحيي الخلائقَ دفعةً، وما يُوجَدُ دفعةً كانَ في آنٍ، و﴿أو﴾: للتَّخييرِ، أو بمعنى: بل.

﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ واللهُ أخرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُم، لا تَعلَمُونَ شَيئًا﴾ ـ الجملة: حال ـ ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصارَ والأفئِدةَ﴾: القلوب، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَـ﴾ ـه على ذلك فتؤمنون.

٧٩ ـ ﴿أَلَم يَرَوا إِلَى الطَّيرِ مُسَخَّراتٍ﴾: مُذلَّلاتٍ للطيران ﴿في جَوِّ السَّماءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض، ﴿ما يُمسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهنّ وبسطها أن يَقَعْنَ ﴿إلاّ اللهُ﴾ بقُدرته؟ ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾، هي خلقُها بحيثُ يُمكنها الطيران، وخلقُ الجوّ بحيثُ يُمكن الطيرانُ فيه، وإمساكُها.

٨٠ ـ ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيُوتِكُم سَكَنًا﴾: موضعًا تسكنون فيه، ﴿وجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتًا﴾ كالخِيام والقِباب، ﴿تَستَخِفُّونَها﴾ للحمل ﴿يَومَ ظَعَنِكُم﴾: سفركم ﴿ويَومَ إقامَتِكُم، ومِن أصوافِها﴾..

قولُهُ: (حَالٌ) أي: جهَّالاً مستصحِبينَ جهلَ الجماديَّةِ.

قولُهُ: (بمَعْنَى الأسمَاعِ) ولم يُجمَع؛ لأنَّهُ في الأصلِ مصدرٌ.

قولُهُ: (عَلى ذلِكَ) أي: ما أنعمَ عليكُم طوراً بعد طورٍ.

قولُهُ: (مُذَلَّلاتٍ) وابنُ عامرٍ وحمزةُ بالخطابِ للعامَّةِ[1].

قولُهُ: (هيَ) أي: الآياتُ الثَّلاثُ، أو منها، أو أحدُها.

قولُهُ: (تسكُنُونَ فيهِ) وقتَ إقامتِكُم كالبيوتِ المتَّخذةِ مِن الحجرِ والمدرِ، فَعَلٌ بمعنى: مفعولٍ.

قولُهُ: (كالخِيَامِ) المتَّخذةِ مِن الوبرِ والصُّوفِ والشَّعرِ، فإنَّهَا من حيثُ إنَّها نابتةٌ على جلودِها يصدقُ عليها أنَّها مِن جلودِها.

قولُهُ: (والقِبَابِ) المتَّخذةِ من الأدمِ.

قولُهُ: (للحَمْلِ) أي: تجِدونَها خفيفةً يخفُّ عليكُم حملُها ونقلُها.

قولُهُ: (سَفرِكُم) أي: وقتَ ترحالِكُم، وبفتحِ العينِ: الحِرْميَّانِ وأبو عَمرٍو، وقولُ البيضاويِّ: قرأَ الحجازيَّانِ[2]. قاصرٌ.

---

(١) أي: (ألم تروا) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٣٩٣).

(٢) الذي في «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٣٦) قال: وقرأ الحجازيان والبصريان (يوم ظعَنكم) بالفتح.

والحجازيان: نافع المدني وابن كثير المكي، وهما الحرميان، والبصريان: أبو عمرو ويعقوب. وكلهم قرأ بها فلا قصور في كلام =

أي: الغنمِ ﴿وأوبارِها﴾ أي: الإبلِ ﴿وأشعارِها﴾ أي: المعزِ ﴿أثاثًا﴾: متاعًا لبيوتكم كبُسُط وأكسية، ﴿ومَتاعًا﴾ تتمتّعون به ﴿إلَى حِينٍ﴾ يبلى فيه.

٨١ ـ ﴿واللهُ جَعَل لَكُم مِمّا خَلَقَ﴾ من البُيوت والشجر والغمام ﴿ظِلالاً﴾: جمع ظِلّ، تقيكم حرّ الشمس، ﴿وجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبالِ أكنانًا﴾: جمع كِنّ ـ وهو ما يُستكنّ فيه كالغار والسَّرَب ـ ﴿وجَعَلَ لَكُم سَرابِيلَ﴾: قُمُصًا ﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ أي: والبردَ، ﴿وسَرابِيلَ تَقِيكُم بأسَكُم﴾: حربكم أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن. ﴿كَذلِكَ﴾:..

قولُهُ: (أي: الغَنَمِ) الصَّوابُ: الضَّأنِ، فإنَّ الغنمَ جنسٌ، والضَّأنُ والمعزُ نوعانِ منه، وإضافَتُها إلى ضَميرِ الأنعامِ لأنَّهَا مِن جملَتِها.

قولُهُ: (كبُسُطٍ وأَكْسيَةٍ) ما يُفرشُ ويلبَس.

قولُهُ: (تتَمتَّعُونَ) يعني: ما يتَّجرُ به.

قولُهُ: (يَبْلَى) أي: إلى[1] مدَّةٍ من الزَّمانِ، فإنَّها لصَلابتِها تبقَى مدَّةً مديدةً، أو: إلى حينِ مماتِكُم، أو: إلى أن تَقضوا منه حاجاتِكُم.

قولُهُ: (البُيُوتِ) أي: الأبنيةِ.

قولُهُ: (والشَّجرِ) والجبلِ.

قولُهُ: (والسِّردَابِ) بالكسرِ: بناءٌ تحتَ الأرضِ للصَّيفِ، معرَّبٌ، كذا في «القاموسِ»[2]، فذكرُهُ غيرُ ملائمٍ هنا، وكذا «السَّرَب» على ما في بعضِ النُّسخِ، بل يُقالُ: والبيوتِ المنحُوتةِ فيها؛ ليكونَ إشعاراً بأنَّ الغارَ كهفٌ خَلقيٌّ.

قولُهُ: (قُمُصاً) الأَولى: ثياباً مِن الصُّوفِ والكتَّانِ والقُطنِ وغيرِها، ففي «القاموسِ»: السِّربالُ ـ بالكسرِ ـ: القميصُ، أو الدِّرعُ، أو كلُّ ما يُلبَسُ[3].

قوله: (أي: والبَردَ) يعني: خصَّهُ بالذِّكرِ اكتفاءً بأحدِ الضِّدَّينِ، أو لأنَّ وقايةَ الحرِّ كانَت أهمَّ عندَهُم.

= البيضاوي، إنما القصور في نسخ المؤلف التي سقط منها «والبصريان» انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(١) «إلى»: ليست في (ص).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٧).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠١٤).

كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيكُم﴾ بخلق ما تحتاجون إليه، ﴿لَعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿تُسلِمُونَ﴾: تُوحّدونه.

٨٢ ـ ﴿فإن تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الإسلام ﴿فإنَّما عَلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن. وهذا قبلَ الأمر بالقتال. ٨٣ ـ ﴿يَعرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي: يُقرّون بأنها من عِنده، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَها﴾ بإشراكهم، ﴿وأكثَرُهُمُ الكافِرُونَ﴾.

٨٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَبعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيّها يشهد عليها ولها ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ثُمَّ لا يُؤذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، ﴿ولا هُم يُستَعتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوع إلى ما يُرضي اللهَ.

٨٥ ـ ﴿وإذا رأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿العَذابَ﴾: النار ﴿فلا يُخَفَّفُ عَنهُم﴾ العذاب، ﴿ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون عنه إذا رأوه، ....

قولُهُ: (هذِهِ الأشيَاءَ) أي: النِّعمَ الَّتي تقدَّمَت.

قولُهُ: (﴿تُسْلِمُونَ﴾) أو تنقادونَ لحكمِهِ.

قولُهُ: (أَعرَضُوا) فلا يضرُّكَ.

قولُهُ: (الإِبْلَاغُ) وقد بلَّغتَ وبالغتَ، وهذا مِن إقامةِ السَّببِ ـ وهو البلاغُ ـ مُقامَ المسبَّبِ وهو العذرُ؛ أي: إن تولَّوا فأنتَ معذورٌ لأنَّكَ قد بلَّغتَ، وليس في هذا ما يُشعِرُ بتركِ القتالِ حتَّى يُقالَ ما قيلَ[1].

قولُهُ: (بإِشْرَاكِهِم) غيرَ المنعِمِ بها.

قالَ تعَالى: (﴿وأَكْثَرُهُمْ﴾) لكفرِهِم عِناداً، إذ بعضُهم لم يعرفِ الحقَّ لنُقصانِ العقلِ، أو لتفريطٍ في النَّظرِ، أو لأنَّهُ يُقامُ مقامَ الكلِّ، أو لأنَّ بعضَهُم سيؤمِنونَ.

قولُهُ: ([عليها و]لَهَا) بالكُفرِ والإيمانِ.

قولُهُ: (فِي الاعتِذَارِ) إذ لا عذرَ لهم، وقيل[2]: في الرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

قولُهُ: (لا يُطلَبُ) أي: لا يُقالُ لهم: أرضوا ربَّكُم؛ لأنَّ الآخرةَ ليسَت بدارِ عملٍ.

قولُهُ: (إِذَا رَأَوْهُ) مستدرَكٌ.

---

(١) في (د): «قال». وعلى كل فالمراد قول الجلال: «وهذا قبلَ الأمر بالقتال».

(٢) في (م): «قط». والمثبت موافق لما في «أنوار التنزيل».

٨٦ ـ ﴿وإذا رأى الَّذِينَ أشرَكُوا شُرَكاءَهُم﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قالُوا: رَبَّنا، هؤُلاءِ شُرَكاؤُنا الَّذِينَ كُنّا نَدعُو﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ. فألقَوا إلَيهِم القَولَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إنَّكُم لَكاذِبُونَ﴾ في قولكم: «إنكم عبدتمونا» كما في آية أُخرى «ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ»، «سَيَكفُرُونَ بِعِبادَتِهِم». ٨٧ ـ ﴿وألقَوا إلَى اللهِ يَومَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا لحُكمه، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ من أنّ آلهتهم تشفع لهم.

٨٨ ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا، وصَدُّوا﴾ الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه، ﴿زِدْناهُم عَذابًا فَوقَ العَذابِ﴾ الذي استحقّوه بكُفرهم ـ قال ابن مسعود: عقاربُ أنيابها كالنخل الطِّوال ـ ﴿بِما كانُوا يُفسِدُونَ﴾ بصدّهم الناسَ عن الإيمان.

٨٩ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَبعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا علَيهِم مِن أنفُسِهِم﴾، هو نبيّهم، ﴿وجِئْنا بِكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿شَهِيدًا علَى هؤُلاءِ﴾ أي: قومك. ﴿ونَزَّلْنا علَيكَ الكِتابَ﴾: القُرآن، ﴿تِبيانًا﴾: بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾، يَحتاج إليه الناسُ من أمر الشريعة ....

قولُهُ: (نَعبُدهُمْ) أو نطيعُهُم، وهو اعترافٌ بأَنَّهم كانوا مخطِئينَ في ذلك، أو التماسٌ لأن ينصَّفَ عذابُهُم.

قولُهُ: (أي: قَالُوا) أي: أجابوهُم بالتَّكذيبِ في أَنَّهُم شركاءُ اللهِ، أو أَنَّهُم عبَدوهُم حقيقةً، وإنَّما عبَدوا أهواءَهُم.

قولُهُ: (أي: استَسْلَمُوا) أي: الَّذين ظَلموا.

قولُهُ: (لحُكمِهِ) بعدَ الاستكبارِ في الدُّنيا.

قولُهُ: (غَابَ) وضاعَ وبطلَ.

قولُهُ: (تشفَعُ لَهُم) أو تنصرُهُم.

قولُهُ: (عَقَارب) بيانٌ لـ﴿عذاباً﴾.

قولُهُ: (يصُدُّونَ)[1] والباءُ سببيَّةٌ متعلِّقةٌ بـ﴿زدنَاهُم﴾ و﴿ما﴾ مصدريَّةٌ؛ أي: بكونِهِم مفسِدينَ لصدِّهِم.

قولُهُ: (أي: قَومِكَ) الأَولى: أمَّتِكَ، أو: الشُّهداءِ من الأنبياءِ.

قولُهُ: (بَيَاناً) بليغاً.

قولُهُ: (مِنْ أَمرِ الشَّرِيعَةِ) على التفصيلِ والإجمالِ بالإحالةِ إلى السُّنَّةِ والقياسِ.

(١) كذا في النسخ فهو تفسير لـ﴿يفسدون﴾، وما في المتن من قوله: «بصدهم» هو تفسير لـ﴿بما كانوا يفسدون﴾، والمؤدى واحد.

﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمةً وبُشرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلمُسلِمِينَ﴾: المُوحّدين.

٩٠ ـ ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بِالعَدلِ﴾: التوحيدِ أو الإنصافِ ﴿والإحسانِ﴾: أداء الفرائض أو «أن تَعبُدَ اللهَ كأنّكَ تَراهُ» كما في الحديث ﴿وإيتاءِ﴾: إعطاءِ ﴿ذِي القُربَى﴾: القرابةِ ـ خصّه بالذكر اهتمامًا به ـ ﴿ويَنهَى عَنِ الفَحشاءِ﴾: الزّنى ﴿والمُنكَرِ﴾ شرعًا من الكُفر والمعاصي ﴿والبَغْيِ﴾: الظلم للناس ـ خصّه بالذكر اهتمامًا كما بدأ بالفحشاء كذلك ـ ﴿يَعِظُكُم﴾ بالأمر والنهي، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال. وفي «المستدرك» عن ابن مسعود: «هذه أجمعُ آيةٍ في القُرآن للخير والشرّ».

٩١ ـ ﴿وأَوفُوا بِعَهدِ اللهِ﴾ من البِيَعِ والأيمانِ ....

قولُهُ: (مِنَ الضَّلَالَةِ) للجميعِ، وإنَّما حرمانُ المحرومِ من تفريطِهِ.

قولُهُ: (المُوَحِّدينَ) خاصَّةً.

قولُهُ: (التَّوْحِيدِ) يعني: بالتوسُّطِ في الأمُورِ اعتِقاداً؛ كالتَّوحيدِ المتوسِّطِ بين التَّعطيلِ والتَّشريكِ، والقولِ بالكسبِ المتوسِّطِ بين محضِ الجَبرِ والقدَرِ، والتَّرضيةِ عن الصَّحابةِ وحبِّهم المتوسِّطِ بين الرَّفضِ والخروجِ، وعملاً كالتعبدِ بأداءِ الواجباتِ المتوسِّطِ بينَ البطالةِ والتَّرهُّبِ، وخُلُقاً كالجودِ المتوسِّطِ بينَ البُخلِ والتَّبذيرِ.

قولُهُ: (أو الإنصَافِ) أي: في الحكُوماتِ الشَّرعيَّةِ.

قولُهُ: (أدَاءِ الفَرَائضِ) أو إحسانِ الطَّاعاتِ، أو الإحسانِ إلى النَّاسِ.

قولُهُ: (كمَا فِي الحَدِيثِ) «فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ»[1].

قولُهُ: (القَرَابةِ) ما يحتاجونَ إليه.

قولُهُ: (اهتِمَاماً) أو مبالغةً كأنَّهُ جنسٌ آخرُ.

قولُهُ: (بالأَمْرِ والنَّهْيِ) والميْزِ بينَ الخيرِ والشَّرِّ.

قولُهُ: (وفِيهِ إدغَامُ التَّاءِ... إلخ) وفي قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ: بالإظهارِ[2].

قولُهُ: (هذِهِ أجمَعُ آيَةٍ) ولو لم يكُن في القرآنِ غيرُ هذه الآيةِ لصَدَقَ عليه أنَّهُ تبيانٌ لكلِّ شيءٍ.

قولُهُ: (مِنَ البِيَعِ) بكسرِ الباءِ وفتحِ الياءِ، جمعُ: البَيْعةِ، ومنها: البيعةُ لرسُولِ اللهِ ﷺ.

قولُهُ: (والأيمَانِ) بفتحِ الهمزةِ، جمعُ اليمينِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: قوله: ﴿تَذَكَّرون﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

وغيرها ﴿إذا عاهَدتُم، ولا تَنقُضُوا الأَيمانَ بَعدَ تَوكِيدِها﴾: توثيقها، ﴿وقَد جَعَلتُمُ اللهَ علَيكُم كَفِيلاً﴾ بالوفاء، حيثُ حلفتم به ـ والجُملة: حال. ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما تَفعَلُونَ﴾. تهديد لهم ـ ٩٢ ـ ﴿ولا تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدتْ ﴿غَزْلَها﴾: ما غزلته ﴿مِن بَعدِ قُوَّةٍ﴾: إحكامٍ له وبرم ﴿أنكاثًا﴾: حالٌ جمع نِكث ـ وهو ما يُنكث، أي: يُحَلّ إحكامه. وهي امرأة حمقاء من مكّة، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ـ ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حالٌ من ضمير «تكونوا» أي: لا تكونوا مثلها في اتّخاذكم ﴿أيمانكُم دَخَلاً﴾ هو: ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: فسادًا وخديعة ﴿بَينكُم﴾ بأن تنقضوها ﴿أن﴾ أي: لِأن ﴿تكُونَ أُمّةٌ﴾: جماعة ﴿هِيَ أربَى﴾: أكثرُ ﴿مِن أُمّةٍ﴾. وكانوا يحالفون الحُلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزّ نقضوا حلف أُولئك وحالفوهم.

﴿إنَّما يَبلُوكُمُ﴾: يختبركم ﴿اللهُ بِهِ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المُطيع منكم والعاصي، أو بكون أُمّة هي أربى لينظر:...

قولُهُ: (وغَيرِهِمَا) من النَّذرِ[1]، وقيلَ: كلُّ أمرٍ يجبُ الوفاءُ به.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَلَا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ﴾) أي: أيمانَ البيعةِ، أو مطلقَ الأيمانِ.

قولُهُ: (تَوثِيقِهَا) بذكرِ اللهِ، ومنهُ: أكَّدَ، بقلبِ الواوِ همزةً.

قولُهُ: (بالوَفَاءِ) أي: شاهداً بتلكَ البيعةِ، فإنَّ الكفيلَ مراعٍ لحالِ المكفولِ به رقيبٌ عليه.

قوله: (تَهْدِيدٌ) كما يقتَضيهِ المقامُ، ويحتملُ أن يكونَ وعداً ووعيداً على إرادةِ إفادةِ معنى العامِّ.

قولُهُ: (مَا غزَلَتْهُ) مصدرٌ بمعنى المفعولِ.

قولُهُ: (وبَرْمٍ) أي: إبرامٍ، متعلِّقٌ بـ﴿نَقَضَتْ﴾.

قولُهُ: (حَالٌ) من ﴿غَزْلَهَا﴾ أو مفعولٌ ثانٍ لـ﴿نَقَضَتْ﴾ فإنَّهُ بمعنى: صيَّرت؛ أي: طاقاتٍ نُكِثَ فتلُها.

قولُهُ: (جَمعُ نِكثٍ) بكسرِ النُّونِ.

قولُهُ: (مَا يُنكَثُ) أي: فتلُهُ.

قولُهُ: (وهِي امرَأةٌ) أو المرادُ: تشبيهُ النَّاقضِ بمن هذا شأنُهُ.

قولُهُ: (فِي اتّخَاذِكُم) الظَّاهِرُ: متَّخذِي أيمانِكُم.

قولُهُ: (أَكْثَرُ) أي: أزيدُ عدداً، وأوفرُ مالاً.

---

(١) في (ص): «النذور».

أَتَفُونَ أم لا؟ ﴿وليُبيِّنَنَّ لكُم يَومَ القِيامةِ ما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يُعذِّبَ الناكث ويُثيبَ الوافيَ، ٩٣ ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدةً﴾: أهلَ دِين واحد، ﴿ولكِن يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ، ولَتُسأَلُنَّ﴾ يومَ القيامة سُؤالَ تبكيت ﴿عَمّا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ لتُجازَوا عليه.

٩٤ ـ ﴿ولا تَتَّخِذُوا أَيمانَكُم دَخَلاً بَينَكُم﴾ ـ كرّره تأكيدًا ـ ﴿فتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم عن محجّة الإسلام ﴿بَعدَ ثُبُوتِها﴾: استقامتها عليها، ﴿وتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: العذاب ﴿بِما صَدَدْتُم عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: بصدّكم عن الوفاء بالعهد أو بصدّكم غيرَكم عنه لأنه يَستَنُّ بكم، ﴿ولَكُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة، ٩٥ ـ ﴿ولا تَشتَرُوا بِعَهدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله. ﴿إنَّ ما عِندَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيرٌ لَكُم﴾ ممّا في الدنيا، ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

٩٦ ـ ﴿ما عِندَكُم﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾: يفنى، ﴿وما عِندَ اللهِ باقٍ﴾: دائم، ﴿ولَيَجزِيَنَّ﴾ ـ بالياء والنون ـ ....

قولُهُ: (أَتَفُونَ) بعهدِ اللهِ وبيعةِ رسولِهِ.

قولُهُ: (واحِدٍ) متَّفقةً على الإسلامِ.

قولُهُ: (تَبْكِيْتٍ) لا تعرُّفٍ واستعلامٍ.

قولُهُ: (كَرَّرَهُ تَأْكِيْداً) يعني: أنّه تصريحٌ بالنَّهي عنه بعدَ التَّضمينِ تأكيداً ومبالغةً في قُبحِ المنهيِّ، أو ليرتِّبَ عليه ما بعدَهُ.

قولُهُ: (أي: أقدَامُكُمْ) وإنَّما وحَّدَ ونكَّرَ للدِّلالةِ على أنَّ زللَ قدمٍ واحدةٍ عظيمٌ، فكيف بأقدامٍ كثيرةٍ.

قولُهُ: (العَذَابَ) في الدُّنيا.

قولُهُ: (أي: بصَدِّكُم) الصَّوابُ: بصدودِكُم؛ أي: إعراضِكُم، فإنَّهُ مصدرُ اللَّازمِ.

قولُهُ: (عنهُ) يعني: حقيقةً أو حكماً.

قولُهُ: (لأنَّهُ يَستَنُّ بكُمْ) فإنَّ مَن نقضَ البيعةَ وارتدَّ جعلَ ذلك سُنَّةً لغيرِهِ.

قولُهُ: (مِنَ الدُّنيَا) وهو ما كانَتْ قريشٌ يَعدُونَ لضعفاءِ المسلِمِينَ ويشترطونَ لهم على الارتِدادِ.

قولُهُ: (مِنَ الثَّوَابِ) في العُقبى والنَّصرِ والنَّعيمِ في الدُّنيا.

قولُهُ: (ممَّا فِي الدُّنيَا) ممَّا يعِدونَ وغيرِهِ.

قولُهُ: (والنُّونِ) مكيٌّ وعاصمٌ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٥).

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أجرَهُم بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾: أحسنُ بمعنى: حَسَن. ٩٧ ـ ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾ ـ قيل: هي حياة الجنّة، وقيل: في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ـ ﴿ولَنجزِيَنَّهُم أجرَهُم بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

٩٨ ـ ﴿فإذا قَرَأْتَ القُرآنَ﴾ أي: أردتَ قراءته ﴿فاستَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: «أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ». ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ﴿إنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطانٌ﴾: تسلّط ﴿علَى الَّذِينَ آمَنُوا وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ. إنَّما سُلطانُهُ علَى الَّذِينَ يَتَوَلَّونَهُ﴾ بطاعته ﴿والَّذِينَ هُم بِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿مُشرِكُونَ﴾.

١٠١ ـ ﴿وإذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ﴾ بنَسخِها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بِما يُنَزِّلُ ـ قالُوا﴾ أي: الكُفّار للنبيّ: ﴿إنَّما أنتَ مُفتَرٍ﴾: كذّابٌ تقولُه من عِندك. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ حقيقةَ القُرآن وفائدةَ النَّسخ. ١٠٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ﴾: جبريلُ ﴿مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ﴾:.........

قولُهُ: (عَلى الوَفَاءِ) أو على الفاقَةِ وأذى الكفَّارِ، وعلى مشاقِّ التَّكاليفِ.

قولُهُ: (بمَعنَى: حَسَنٍ) أو بما ترجَّحَ فعلُهُ على تركِهِ من أعمالِهِم كالواجِباتِ والمندُوباتِ، أو بجزاءِ أحسنَ مِن أعمالِهِم.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) بأن يعيشَ عيشاً طيِّباً؛ فإنَّهُ إن كانَ موسراً فظاهرٌ، وإن كانَ معسِراً كانَ يطيبُ عيشُهُ بالقَناعةِ، والرِّضا بالقسمَةِ، وتوقُّعِ الأجرِ العظيمِ في الآخرةِ، بخلافِ الكافرِ فإنَّهُ إن كانَ مُعسِراً فظاهرٌ، وإن كانَ موسِراً لم يدعْهُ الحرصُ وخوفُ الفواتِ أن يتهنَّأَ بعيشِهِ، هذا وعندَ العارفينَ: إنَّما الحياةُ الحقيقيَّةُ هي الحضورُ مع اللهِ والذُّهولُ عمَّا سواهُ، ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنَّتانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قولُهُ: (أي: قُلْ) أي: اسألِ اللهَ أن يعيذكَ من وساوسِهِ لئلَّا يوسوسكَ في القراءةِ خُصوصاً، والتَّعوُّذُ باللَّفظِ المذكورِ أفضلُ، والجمهورُ على أنَّ الأمرَ للاستِحبابِ.

قولُهُ: (باللَّهِ) أو بسببِ الشَّيطانِ.

قولُهُ: (بطَاعتِهِ) أي: يحبُّونَهُ ويطيعونَهُ على وجهِ الإصرارِ.

قولُهُ: (بنَسخِهَا) فجعلنا الآيةَ النَّاسِخةَ مكانَ المنسوخَةِ لفظاً أو حُكماً.

قولُهُ: (تَقَوَّلُهُ) بحذفِ التَّاءِ؛ أي: تأمرُ بشيءٍ ثمَّ يبدو لكَ فتنهَى عنه، وهو جوابُ ﴿إذا﴾، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ اعتراضٌ.

قولُهُ: (وفَائِدةَ النَّسخِ) وحكمةَ الأحكامِ.

قولُهُ: (جِبرِيلُ) وإضافةُ الرُّوحِ إلى القدسِ ـ وهو الطُّهرُ ـ كقولِهِم: حاتمُ الجودِ.

مُتعلّق بـ «نزّل» ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإيمانهم به، ﴿وهُدًى وبُشرَى لِلمُسلِمِينَ﴾.

١٠٣ ـ ﴿ولَقَد﴾: للتحقيق ﴿نَعلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ: إنَّما يُعَلِّمُهُ﴾ القُرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾. وهو قَين نصرانيّ، كان النبيّ ﷺ يدخل عليه. قال تعالى: ﴿لِسانُ﴾: لغةُ ﴿الَّذِي يُلحِدُونَ﴾: يُميلون ﴿إلَيهِ﴾ أنه يُعلّمه ﴿أعجَمِيٌّ، وهذا﴾ القُرآن ﴿لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة. فكيف يُعلّمه أعجميٌّ؟ ١٠٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهدِيهِمِ اللهُ، ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم. ١٠٥ ـ ﴿إنَّما يَفتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن بقولهم: هذا من قول البشر ـ ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ﴾. والتأكيد بالتكرارِ و«إنّ» وغيرِهما ردٌّ لقولهم: «إنَّما أنتَ مُفْتَرٍ».

١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعدِ إيمانِهِ، إلاّ مَن أُكرِهَ﴾ على التلفظ بالكُفر فتلفظ به...

قولُهُ: (مُتَعلِّقٌ) أو: ملتبساً بالحكمةِ.

قولُهُ: (بإيمَانِهِمْ) الظَّاهرُ: على إيمانِهِم.

وقوله: (بِهِ) أي: بأنَّهُ كلامُهُ.

وقولُهُ تعَالى: (﴿وهُدىً وَبُشْرَى﴾) معطوفانِ على محلِّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ أي: تَثبيتاً وهدايةً وبِشارةً، وفيهِ تعريضٌ بحُصولِ أضدادِ ذلك لغيرِهم.

قولُهُ: (القُرْآنَ) مفعولٌ ثانٍ.

قولُهُ: (وهُو قَيْنٌ) أي: حدَّادٌ، أو جَبرٌ غلامٌ روميٌّ، وقيل: سلمانُ الفارسيُّ.

قولُهُ: (يُمِيلُونَ) وحمزةُ والكسائيُّ بفتحِهما[١].

قالَ تعَالى: (﴿أَعْجَمِيٌّ﴾) أي: لسانٌ أعجميٌّ[٢] غيرُ بيِّنٍ، وطعنُهُم في القرآنِ بأمثالِ هذه الكلِماتِ الرَّكيكةِ دليلٌ على غايةِ عَجزِهِم.

قولُهُ: (وَغَيرِهِمَا) من ضَميرِ الفَصلِ وتعريفِ الخَبرِ.

قولُهُ: (فتَلفَّظَ بِهِ) قالَ ابنُ عبَّاسٍ: نزلَت في عمَّارِ بن ياسرٍ[٣]. والأفضلُ ما فعلَ أبواهُ مِن الامتِناعِ حتَّى قُتِلا، والاستثناءُ متَّصلٌ؛ لأنَّ الكفرَ يُطلَقُ على القَولِ والاعتِقادِ.

---

(١) أي: (يَلحَدون) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٤).

(٢) «أي لسان أعجمي»: ليست في (ص).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٤).

﴿وقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ﴾ ـ ومَن: مبتدأ أو شرطيّة والخبرُ أو الجواب: لهم وعيد شديد ـ دلّ على هذا: ﴿ولكِنْ مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا﴾ له أي: فَتحَه ووَسّعَه، بمعنى: طابت به نفسُه، ﴿فعلَيهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ، ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ. ذلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ استَحَبُّوا الحَياةَ الدُّنيا﴾: اختاروها ﴿علَى الآخِرةِ، وأنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ. أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ علَى قُلُوبِهِم وسَمعِهِم وأبصارِهِم، وأُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾ عمّا يُراد بهم، ١٠٩ ـ ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّهُم في الآخِرةِ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم.

١١٠ ـ ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِن بَعدِ ما فُتِنُوا﴾: عُذّبوا وتلفّظوا بالكُفر ـ وفي قراءة بالبناء للفاعل، أي: كفروا أو فَتنوا الناسَ عن الإيمان ـ ﴿ثُمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا﴾ على الطاعة، ﴿إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها﴾ أي: الفِتنةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾..

قالَ تعالى: (﴿وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾) أي: لم تتغيَّر عقيدتُهُ، فدلَّ[1] على أنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ.

قولُهُ: (﴿مَنْ﴾ مُبْتَدأٌ) أي: ﴿مَن كفَرَ﴾.

قولُهُ: (دَلَّ عَلَى هَذَا ﴿وَلَكِنْ﴾... إلخ) أي: فعلَيهِم غضبٌ... إلخ، ويجوزُ أن ينتَصِبَ بالذَّمِّ.

قولُهُ: (فتحَهُ) أي: صدرَهُ؛ أي: اعتقدَهُ.

قولُهُ: (لَهُمْ) أي: للكافِرينَ.

قولُهُ: (عمَّا يُرادُ بِهِمْ) إذ أغفَلتْهُم الحالةُ الرَّاهنةُ عن تَدبُّرِ العَواقبِ.

قولُهُ: (لمَصِيرِهِمْ) بتَضييعِ أعمارِهِم.

قولُهُ: (بالكُفْرِ) كعمَّارٍ وأصحابِهِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[2].

قولُهُ: (كَفَرُوا) أي: فتَنوا أنفسَهُم.

قولُهُ: (أو أفْتَنُوا) لغةٌ في فتَنوا؛ أي: بعد ما عَذَّبوا المؤمنينَ كالحضرميِّ أكرهَ مولاهُ جبراً حتَّى ارتدَّ ثمَّ أسلَما وهاجَرا.

قولُهُ: (عَلَى الطَّاعَةِ) والجِهادِ وما أصابَهُم من المشاقِّ.

قولُهُ: (أي: الفِتْنَةِ) أو الهجرةِ والجهادِ والصَّبرِ.

---

(١) في (م): «يدل».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٥).

لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم - وخبر «إنّ» الأُولى دلّ عليه خبرُ الثانية - ١١١ - اذكرْ ﴿يَومَ تأتِي كُلُّ نَفسٍ، تُجادِلُ﴾: تُحاجُّ ﴿عَن نَفسِها﴾ لايُهمّها غيرُها - وهو يوم القيامة - ﴿وتُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ﴾ جزاءَ ﴿ما عَمِلَتْ، وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا.

١١٢ - ١١٣ - ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدل منه: ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكّة والمراد أهلها، ﴿كانَت آمِنَةً﴾ من الغارات لا تُهاج ﴿مُطمَئِنَّةً﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف، ﴿يأتِيها رِزقُها رَغَدًا﴾: واسعًا ﴿مِن كُلِّ مَكانٍ، فكَفَرَتْ بِأنعُمِ اللهِ﴾ بتكذيب النبيّ، ﴿فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ﴾: فقُحِطوا سبعَ سنين ﴿والخَوفِ﴾ بسرايا النبيّ ﴿بِما كانُوا يَصنَعُونَ، ولَقَد جاءَهُم رَسُولٌ مِنهُم﴾ مُحمّد ﷺ، ﴿فكَذَّبُوهُ، فأخَذَهُمُ العَذابُ﴾: الجوع والخوف، ﴿وهُم ظالِمُونَ﴾.

١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ﴿فكُلُوا﴾ - أيها المُؤمنون - ﴿مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا، واشكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ، إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ - إنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحمَ الخِنزِيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ. فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ - ولا تَقُولُوا لِما تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ﴾..............................

قولُهُ: (لَهُم) أي: لما فعَلوا قبلُ.

قولُهُ: (بِهِم) يُنعِمُ عليهِم مجازاةً على ما صنَعوا بعدُ.

قولُهُ: (وَخَبرُ ﴿إنَّ﴾.. إلخ) أو ﴿إنَّ﴾ الثَّانيةِ واسمُها تكريرٌ للتَّوكيدِ، وهذا هو الملائمُ؛ لقولِهِ: أي: الفتنةِ.

قولُهُ: (غَيرُهَا) فتقولُ: نفسِي نفسِي.

قولُهُ: (شَيْئاً) من نقصِ ثوابٍ أو زيادةِ عِقابٍ.

قولُهُ: (هيَ مَكَّة) وقيلَ: المدينةُ، أو جعَلَها مثلاً لكلِّ قومٍ أنعمَ اللهُ عليهم فأبطرتْهُمُ النِّعمةُ فكفَروا فأنزَلَ اللهُ بهم نقمتَهُ.

قوله: (تُهَاجُ) من هاجَ الغبارُ: ثارَ.

قولُهُ: (بتكذِيبِ) الباءُ للسَّببيَّةِ، وباءُ ﴿بأَنْعُم﴾ متعلِّقٌ بـ﴿كَفرَتْ﴾.

قولُهُ: (بِسَرايَا) استعارَ الذَّوقَ لإدراكِ أثرِ الضَّررِ واللِّباسِ لِمَا غشيَهُم واشتملَ عليهم من الجوعِ والخوفِ.

قولُهُ: (الجُوعُ) أو وقعةُ بدرٍ.

قولُهُ: (أيُّها المُؤمِنُونَ) أو أمرَ الكفَّارَ بأكلِ ما أحلَّ لهم وشكرِ ما أنعَمَ عليهِم بعدَ ما زجرَهُم عنِ الكفرِ.

أي: لوصف ألسنتكم ﴿الكَذِبَ: هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ﴾ لِما لم يُحِلَّه الله ولم يُحرِّمه، ﴿لِتفتَرُوا علَى اللهِ الكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه. ﴿إنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ﴾، ١١٧ ـ لهم ﴿مَتاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا، ﴿ولَهُم﴾ في الآخرة ﴿عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم.

١١٨ ـ ﴿وعلَى الَّذِينَ هادُوا﴾ أي: اليهودِ ﴿حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عليكَ مِن قَبلُ﴾ في آيةِ: «وعلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» إلى آخرها، ﴿وما ظَلَمْناهُم﴾ بتحريم ذلك، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي المُوجبةِ لذلك، ١١٩ ـ ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾: الشِّرك ﴿بِجَهالةٍ، ثُمَّ تابُوا﴾: رجَعوا ﴿مِن بَعدِ ذلِكَ وأصلَحُوا﴾ عَمَلَهم، ﴿إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها﴾ أي: الجهالةِ أو التَّوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ﴿إنَّ إبراهِيمَ كانَ أُمَّةً﴾: إمامًا قُدوة جامعًا لخِصال الخير..............

قولُهُ: (لِوَصفِ) يعني: ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ، و﴿الكَذِبَ﴾ منتَصبٌ بـ﴿تَصِفُ﴾، و﴿هَذَا حَلَالٌ وهَذَا حَرَامٌ﴾ مفعولُ ﴿ولَا تَقُولُوا﴾ أي: لا تحرِّموا ولا تُحلِّلوا بمجرَّدِ قولٍ تنطقُ به ألسنتُكُم من غيرِ دليلٍ.

قولُهُ: (لَهُم) أو ما هم فيه منفعةٌ قليلةٌ تنقطعُ عن قريبٍ.

قولُهُ: (إِلَى آخِرِهَا) و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿قَصَصْنَا﴾ وقيل: بـ﴿حَرَّمْنَا﴾.

قولُهُ: (لِذَلِكَ) أي: التَّحريمِ، وفيهِ تنبيهٌ على الفرقِ بينَهُم وبينَ غيرِهِم في التَّحريمِ، وأنَّهُ كما يكونُ للمضرَّةِ يكونُ للعقوبةِ.

قولُهُ: (الشِّركَ) والافتراءَ على اللهِ ونحوَهما.

وقولُهُ تَعَالى: (﴿بِجَهَالَةٍ﴾) أي: بسبَبِها.

قولُهُ: (لَهُم) ذلك السُّوءَ.

قولُهُ: (بِهِم) يثيبُ على مَن يُنيبُ.

قولُهُ: (لِخِصَالِ الخَيرِ) الَّتي لا تكادُ توجَدُ إلَّا مفرَّقةً في أشخاصٍ كثيرةٍ، كقولِ الشَّاعرِ[1]:

لَيسَ مِنَ اللهِ بِمُستَنكَرٍ ... أنْ يجمعَ العَالَمَ في واحدِ

وهو رئيسُ الموحِّدينَ، وقدوةُ المحقِّقينَ، الَّذي جادَلَ المشركينَ وأبطلَ مذاهبَهُمُ الزَّائغةَ[2] بالحججِ الدَّامغةِ، أو لأنَّهُ كانَ وحدَهُ مؤمناً وكانَ سائرُ النَّاسِ كفَّاراً.

---

(١) هو أبو نواس انظر: «ديوانه» برواية الصولي (ص: ٢٦٢).

(٢) في (ص): «الزائغة».

﴿قانِتًا﴾: مُطيعًا ﴿ للهِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدِّين القيِّم، ﴿ولَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ، شاكِرًا لِأنعُمِهِ، اجتَباهُ﴾: اصطفاه ﴿وهَداهُ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ، وآتَيناهُ﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿في الدُّنيا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في كُلّ أهل الأديان، ﴿وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العُلى، ١٢٣ ـ ﴿ثُمَّ أوحَينا إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ: ﴿أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾. كُرِّر ردًّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دِينه.

١٢٤ ـ ﴿إنَّما جُعِلَ السَّبتُ﴾: فُرض تعظيمه ﴿علَى الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيّهم ـ وهم اليهود، أُمروا أن يتفرّغوا للعِبادة يومَ الجُمعة، فقالوا: لا نُريده. واختاروا السبتَ،.........

وقيلَ: هي فُعْلَةٌ بمعنى مفعولٍ، كالرُّحْلةِ والنُّخْبةِ، مِن أَمَّهُ: إذا قصدَهُ أو اقتدَى به، فإنَّ النَّاسَ كانوا يؤمُّونَهُ للاستِفادةِ ويقتدونَ بسيرتِه، كقولِهِ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة: ١٢٤] وبهذا يُعلَمُ أنَّ كلامَ الشَّيخِ ملفَّقٌ ولفٌّ محقَّقٌ.

قولُهُ: (مُطِيعاً) له قائماً بأوامرِهِ.

قالَ تعالى: (﴿ولَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾) كما زعَمُوا، فإنَّ قريشاً كانوا يزعُمونَ أنَّهُم على ملَّتِهِ.

قولُهُ: (اصطَفَاهُ) للنُّبوَّةِ.

قولُهُ: (هِي الثَّناءُ الحسَنُ) وأولادٌ طيِّبةٌ وعمرٌ طويلٌ في السَّعةِ والطَّاعةِ.

قولُهُ: (يَا مُحمَّدُ) و﴿ثُمَّ﴾ إمَّا لتعظيمِهِ، أو لتَراخي أيَّامِهِ.

قولُهُ: (دِينَ إبرَاهِيمَ) في التَّوحيدِ والدَّعوةِ إليه بالرِّفقِ وإيرادِ الدَّلائلِ مرَّةً بعدَ أخرى، والمجادلةِ مع كلِّ واحدٍ بحسبِ فهمِهِ، قالَ الدِّينوريُّ[1]: أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ باتِّباعِ الخليلِ لئلَّا يأنفَ أحدٌ عن الاتِّباعِ، وملَّةُ إبراهيمَ كانَت السَّخاءَ وحسنَ الخُلُقِ، فزادَ ﷺ حتَّى جادَ الكونَينِ عوضاً عن الحقِّ[2]، فقيلَ له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قولُهُ: (رَدًّا) أي: كرَّرهُ لفظاً، وإلَّا فلا تكرارَ معنًى.

قولُهُ: (تَعْظِيمه) والتَّخلِّي فيه للعبادةِ.

قولُهُ: (واختَارُوا السَّبتَ) وعلَّلُوا بأنَّهُ تعالى فرغَ فيه من خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ.

---

(١) وانظر: «عرائس البيان» (٢/ ٣٤٣).

(٢) وانظر: «اتحاف السادة المتقين» (٧/ ٣٢٤)

فشُدّد عليهم فيه - ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يُثيب الطائع ويُعذّب العاصي بانتهاك حُرمته.

١٢٥ - ﴿ادعُ﴾ الناسَ - يا مُحمّد - ﴿إلَى سَبيلِ رَبِّكَ﴾: دِينه ﴿بِالحِكْمةِ﴾: بالقُرآن ﴿والمَوعِظةِ الحَسَنةِ﴾: مَواعظِ القرآن أو القولِ الرقيق، ﴿وجادِلْهُم بِالَّتِي﴾ أي: بالمُجادلة التي ﴿هِيَ أحسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حُججه. ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ فيُجازيهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

ونزل لمّا قُتلَ حمزةُ ومُثِّلَ به، فقال ﷺ وقد رآه: «لَأُمثِّلَنَّ بِسَبعِينَ مِنهُم مَكانَكَ»: ١٢٦ - ﴿وإن عاقَبتُم فعاقِبُوا بِمِثلِ ما عُوقِبتُم بِهِ - ولَئِنْ صَبَرتُم﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصبرُ ﴿خَيرٌ لِلصّابِرِينَ﴾. فكَفَّ ﷺ وكَفَّر عن يمينه. رواه البزّار - ١٢٧ - ﴿واصبِرْ، وما صَبرُكَ إلاّ بِاللهِ﴾: بتوفيقه، ﴿ولا تَحزَنْ علَيهِم﴾ أي: الكُفّارِ، إن لم يُؤمنوا لحِرصك على إيمانهم، ﴿ولا تَكُ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ﴾........

قولُهُ: (فشُدِّدَ) أي: فألزمَهُمُ اللهُ السَّبتَ وشدَّدَ الأمرَ عليهِم.

قولُهُ: (النَّاسَ) الأَولَى: من بُعثتَ إليهِم.

قولُهُ: (بالقُرآنِ) أو بالمقالَةِ المحكمَةِ، وهو الدَّليلُ الموضِّحُ للحقِّ المزيلُ للشُّبهةِ.

قولُهُ: (أو القَولِ) أو الخطاباتِ المقنعةِ والعِبَرِ النَّافعةِ، والأُولَى لدعوةِ الخواصِّ والثَّانيةُ للعوامِّ.

وقولُهُ تَعالَى: (﴿وَجَادِلْهُم﴾) أي: معانديهم؛ بالياءِ أو التاءِ.

قولُهُ: (بالمُجَادَلةِ) أو بالطَّريقةِ الَّتي هي أحسنُ طرقِ المجادلةِ مِن الرِّفقِ واللِّينِ، وإيثارِ الوجهِ الأيسرِ والمقدِّماتِ الأشهرِ، فإنَّ ذلك أنفعُ في تسكينِ لُبِّهِم، وتليينِ شَغَبِهِم.

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ) بل ﴿أعلمُ﴾ على بابِهِ؛ أي: إنَّما عليك البلاغُ والدَّعوةُ، وأمَّا حصُولُ الهدايةِ والضَّلالةِ والمجازاةِ عليهما فلا إليكَ بل هو أعلمُ بالضَّالِّينَ والمعتدينَ وهو المجازي لهُم.

قولُهُ: (وهَذا) كانَ حقَّهُ أنْ يذكرَهُ قبلَ قولِهِ: ﴿إنَّ رَبَّكَ﴾ ومع هذا لا يلزمُ من المجادلةِ عدمُ المقاتلَةِ ولا من المقاتلةِ عدمُ المجادلةِ ليكونَ هناكَ نسخٌ.

قالَ تعالى: (﴿خيرٌ﴾) من الانتقامِ للمنتَقمينَ.

قولُهُ: (أي: الكُفَّارِ) أو على المؤمنينَ وما فُعِلَ بهم.

قولُهُ: (﴿فِي ضَيْقٍ﴾) أي: ضيقِ صدرٍ، وابنُ كثيرٍ بالكسرِ[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٥).

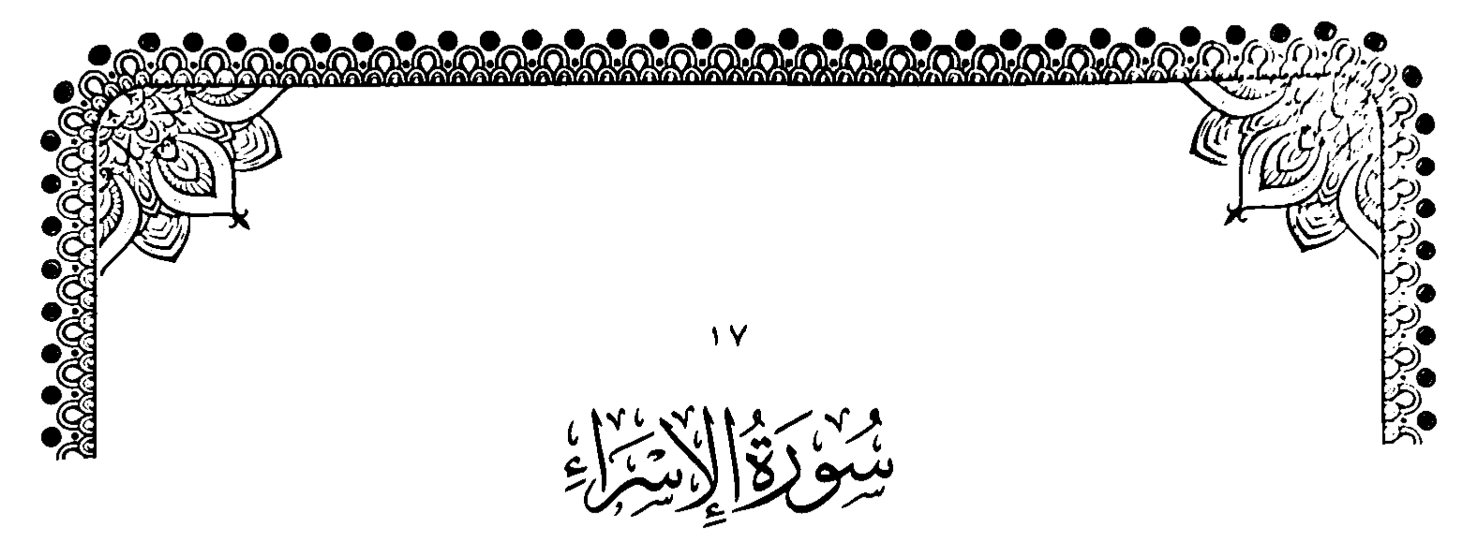
أي: لا تهتمَّ بمكرهم. فأنا ناصرك عليهم. ١٢٨ ـ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الكُفرَ والمعاصيَ ﴿والَّذِينَ هُم مُحسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر، بالعون والنصر.

قولُهُ: (الكُفْرَ) أو اللهَ، بتعظيمِ أمرِهِ.

قولُهُ: (بِالطَّاعَةِ) أو بالشَّفقةِ على خلقِهِ.

قولُهُ: (بالعَوْنِ) متعلِّقٌ بقولِهِ: ﴿مع﴾ واللهُ أعلمُ.

* * *



١٧

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مكية إلاّ «وإن كادوا ليفتنونك» الآياتِ الثمانَ، مِائَةٌ وعشرُ آيات أو إحدى عشْرةَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سُبحانَ﴾ أي: تنزيهَ ﴿الَّذِي أسرَى بِعَبدِهِ﴾ مُحمّد ﴿لَيلاً﴾ ـ نصبٌ على الظرف. والإسراء: سير الليل، وفائدةُ ذكره الإشارةُ بتنكيره إلى تقليل مُدّته ـ ﴿مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: مكّةَ ﴿إِلَى المَسجِدِ الأقصَى﴾: بيت المَقدس لبُعده منه ﴿الَّذِي بارَكْنا حَولَهُ﴾ بالثمار والأنهار، ﴿لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا﴾:

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

قولُهُ: (تنزِيه) يعني: ﴿سبحانَ﴾ اسمٌ بمعنى التَّسبيحِ الَّذي هو التَّنزيهُ، وانتصابُه بفعلٍ متروكٌ إظهارُه، صدرَ به للتَّنزيهِ عن العَجزِ عمَّا ذُكرَ بعدُ.

قولُهُ: (مدَّتِه) أي: الإسراءِ، قالَ الفاضلُ[١]: الظَّرفُ المنصوبُ ظاهِرُهُ الاستيعابُ إلَّا بدليلٍ، وهو هنا إخبارُ النبيِّ ﷺ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (أي مكَّةَ): أو الحرمِ، أو المسجدِ بعينِه وهو الأظهرُ.

قولُهُ: (لِبُعْدِهِ) أو لأنَّهُ لم يكُنْ حينئذٍ وراءَهُ مسجدٌ.

قولُهُ: (بالثِّمَارِ) الأَولى: ببركاتِ الدِّينِ والدُّنيا؛ لأنَّهُ مهبِطُ الوَحْيِ ومتعبَّدُ الأنبياءِ من لدُنْ موسَى، ومحفوفٌ بالأنهارِ والأشجارِ[٢].

---

(١) في (ص): «القاضي». والنص ليس عند القاضي، وهذا الفاضل لعله الفاضل اليمني يحيى بن القاسم بن عمر عز الدين الصنعاني، له «درر الأصداف في حل عقد الكشاف»، و«تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف» توفي سنة (٧٥٠هـ). انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٤٧٥).

(٢) وانظر: «الكشاف» (٢/ ٦٤٨).

عجائب قُدرتنا! ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالِمُ بأقوال النبيّ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراءِ المُشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعُروجِه إلى السماء ورؤيةِ عجائب الملكوت ومناجاتِه له تعالى. فإنه ﷺ قال:

«أُتِيتُ بالبُراق ـ وهو دابّةٌ أبيضُ فَوقَ الحِمارِ ودُونَ البَغلِ، يَضعُ حافِرَهُ عِندَ مُنتهَى طَرْفِهِ ـ فرَكبتُهُ فسارَ بِي حَتّى أتَيتُ بَيتَ المَقدِسِ، فرَبَطتُ الدابّةَ بالحَلقةِ الّتِي تَربطُ فِيها الأنبياءُ، ثُمّ دَخَلتُ فصَلَّيتُ فِيهِ رَكعتَينِ، ثُمّ خَرَجتُ فجاءنِي جِبرِيلُ بإناءٍ مِن خَمرٍ وإناءٍ مِن لَبَنٍ، فاختَرتُ اللَّبنَ. قالَ جِبريلُ: أَصَبتَ الفِطرةَ.

قالَ: ثُمّ عَرَجَ بي إلى السَّماءِ الدُّنيا، فاستَفتحَ جِبرِيلُ. قِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ:..

قولُهُ: (عَجَائِب قُدْرَتنَا) كذهابِهِ في برهةٍ مِن اللَّيلِ مسيرةَ شهرٍ، ومشاهدتِهِ بيتَ المقدسِ، وتمثُّلِ الأنبياءِ له، ووقوفِهِ على مقاماتِهِم، وصَرفُ الكلامِ من الغيبةِ إلى التَّكلُّمِ؛ لتعظيمِ تلك البركاتِ والآياتِ.

قولُهُ: (بالبُرَاقِ) بضمِّ الباءِ مأخوذٌ مِن البَرقِ؛ للمَعانِهِ ولسرعةِ سيرِهِ.

قولُهُ: (أَبيَضُ) الظَّاهرُ: بيضاءُ، ولعلَّهُ خبرٌ ثانٍ.

قولُهُ: (طرْفِهِ) بسكونِ الرَّاءِ؛ أي: نظرِهِ.

قولُهُ: (بالحَلْقةِ) وهي بإسكانِ اللَّامِ على الأشهَرِ، والمرادُ: حلقَةُ بابِ مسجدِ بيتِ المقدسِ.

قولُهُ: (بِهَا) وفي نسخةٍ: «فيها»، والأَوَّلُ أولى.

قولُهُ: (الأنبياءُ) أي: دوابَّهُم، أو البُراقَ، والجمهورُ على أَنَّهُ كانَ معدًّا لركوبِ الأنبياءِ[1].

قولُهُ: (الفِطرَةَ) لمناسَبةٍ بينَها وبينَهُ، قالَ القرطبيُّ[2]: يحتملُ أن يكونَ سببُ تسميَةِ اللَّبنِ فطرةً لكونِهِ أوَّلَ شيءٍ يدخلُ جوفَ المولودِ.

وقالَ النَّوويُّ: المرادُ بالفطرةِ هنا: الإسلامُ والاستقامَةُ.

قال: ومعناهُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ: اخترتَ علامةَ الإسلامِ والاستقامَةِ.

قالَ: وجعلَ اللَّبنَ علامةً لكونِهِ سهلاً طيِّباً طاهراً سائِغاً للشَّاربينَ سليمَ العاقِبةِ، وأمَّا الخمرُ فإنَّها أمُّ الخبائِثِ، وجالبةٌ لأنواعِ الشَّرِّ في الحالِ والمآلِ[3].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٢٠٧).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لابي العباس القرطبي (١/ ٣٨٨)، و«فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٢١٥).

(٣) انظر: «شرحه على مسلم» (٢/ ٢١٢).

وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بآدمَ، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الثَّانيةِ فاستفتَح جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقال: جِبريلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بابنَي الخالَةِ: يحيَى وعِيسَى، فرَحَّبا بي ودَعَوَا لي بخَيرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الثَّالِثةِ فاستَفتَحَ جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. فقِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بيُوسُفَ، وإذا هُو قَد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثمّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الرَّابعةِ فاستَفتَحَ جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. فقِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإدرِيسَ، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الخامِسةِ فاستَفتَحَ جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. فقيل: وقَد أرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بهارُونَ، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّادِسةِ فاستَفتَحَ جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. فقِيلَ: وقَد بُعِثَ إليه؟ قالَ: قد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بمُوسَى، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّابِعةِ فاستَفتَح جِبرِيلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قال: قَد بُعِثَ إليه. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهِيمَ، فإذا هو مُستَندٌ إلى البَيتِ المَعمُورِ، وإذا هو يَدخُلُه كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ، ثُمّ لا يَعُودُونَ إلَيهِ.

قولُهُ: (أُرسِلَ إليهِ) أي: بالعُروجِ؛ لأنَّ أصلَ بعثتِهِ قد اشتُهِرَ في الملكُوتِ الأعلى.

قولُهُ: (فرحَّبَ) أي: قالَ: مرحباً.

قولُهُ: (شطْرَ الحُسْنِ) الأقربُ: أنَّهُ شطرُ حسْنِ أهلِ زمانِه، وقالَ ابنُ المنيِّرِ: شطرُ الحسنِ الَّذي أُوتيهُ نبيُّنا ﷺ[(١)].

وقيل: المرادُ غيرُ النبيِّ ﷺ.

قولُهُ: (البَيْتِ المَعْمُورِ) مسجدٌ في السَّماءِ بحِذاءِ الكَعْبةِ لو خَرَّ لخرَّ عليها[(٢)].

قولُهُ: (يَدْخلُهُ) رواهُ الطَّبريُّ مرفوعاً[(٣)]، وفيهِ دليلٌ على عَظيمِ قدرتِهِ تعالى وكثرةِ ملائكتِهِ.

---

(١) وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٢١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٦) عن قتادة مرسلًا.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

وهو عند البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) مطولاً.

ثُمّ ذَهَبَ بي إلى سِدرةِ المُنتهَى، فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيَلةِ، وإذا ثَمرُها كالقِلالِ. فلَمّا غَشِيَها مِن أمرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغيَّرتْ، فما أحَدٌ مِن خَلقِ اللهِ ـ تعالَى ـ يَستَطِيعُ أن يَصِفَها مِن حُسنها.

قال: فأوحَى اللهُ إليَّ ما أوحَى، وفَرَضَ عليَّ في كُلِّ يوم ولَيلةٍ خَمسِينَ صَلاةً، فنزَلتُ حتّى انتَهَيتُ إلى مُوسَى، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ على أُمّتِكَ؟ قلتُ: خَمسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَوم ولَيلةٍ. قالَ: ارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ، وإنّي قَد بَلَوتُ بَنِي إسرائيلَ وخَبَرتُهُم. قالَ: فرَجَعتُ إلى رَبِّي فقُلتُ: أيْ رَبِّ، خَفِّفْ عَن أُمّتِي. فحَطَّ عَنّي خَمسًا. فرَجَعتُ إلى مُوسَى. قالَ: ما فَعَلتَ؟ فقُلتُ: قَد حَطَّ عَنّي خَمسًا. قالَ: إنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ لِأمّتِكَ.

قالَ: فلَم أزَلْ أرجِعُ بَينَ رَبِّي وبَينَ مُوسَى، ويَحُطُّ عَنّي خَمسًا خَمسًا، حتَّى قالَ: يا مُحمّدُ، هِيَ خمسُ صَلَواتٍ في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ بكُلِّ صَلاةٍ عَشرٌ. فتلكَ خَمسُونَ صلاةً. ومَن هَمَّ بحَسَنةٍ فلَم يَعمَلْها كُتِبتْ لَهُ حَسَنةً، فإنْ عَمِلَها كُتبَتْ لَهُ عَشرًا، ومَن هَمَّ بسَيّئةٍ ولَم يَعمَلْها لَم تُكتَبْ، فإنْ عَمِلَها كُتبَتْ سَيّئةً واحِدةً.

فنزَلتُ حَتّى انتَهَيتُ إلى مُوسَى، فأخبَرتُهُ فقالَ: ارجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسألْهُ التَّخفِيفَ لِأُمّتِكَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فقُلتُ: قَد رجَعتُ إلى ربِّي حَتَّى استَحْيَيتُ».

رواه الشيخان واللفظ لمسلم، وروى الحاكم في «المُستدرك» عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأَيتُ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ».

قولُهُ: (الفِيَلَةِ) كعِنبَةٍ، جمعُ: الفيلِ.

قولُهُ: (كالقِلَالِ) جمعُ قُلّةٍ، الجرَّةُ العظيمةُ.

قولُهُ: (غشّاها)[1] بالتَّشديدِ.

قولُهُ: (وخبَرْتُهُم) عطفُ تفسيرٍ؛ أي: اختبرتُهُم وامتحنتُهُم وجرَّبتُهُم.

قولُهُ: (حَسَنَةً) بالنَّصبِ.

قولُهُ: (رَأَيتُ رَبِّي) بالعينِ أو بالقلبِ، ثمَّ اختُلِفَ: هل كانَ الإسراءُ في المنامِ أو اليقظَةِ، بروحِهِ أو جسَدِهِ؟ فقيل بالتَّعدُّدِ، والأكثرُ على أنّه أُسريَ بجسَدِهِ إلى بيتِ المقدِسِ ثمَّ عُرِجَ به إلى السَّماواتِ حتَّى انتهى إلى سِدرةِ المنتَهى، ولذلك تعجَّبَ قريشٌ، والتَّعجُّبُ من لوازمِ المعجِزاتِ.

= ورواه مسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(١) في (م): «غشيها».

٢ ـ قال تعالى: ﴿وآتينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿وجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسرائيلَ﴾، لِـ ﴿ألاّ يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾: يُفوّضون إليه أمرهم ـ وفي قراءة: «تَتَّخِذُوا» بالفَوقانيّة التفاتًا. فـ «أن» زائدة والقول مضمر. ٣ ـ يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة. ﴿إنَّهُ كانَ عَبدًا شَكُورًا﴾: كثيرَ الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله ـ ٤ ـ ﴿وقَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَى بَنِي إسرائيلَ في الكِتابِ﴾: التوراةِ ﴿لَتُفسِدُنَّ في الأرضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرّتَينِ، ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تبغُونَ بغيًا عظيمًا.

٥ ـ ﴿فإذا جاءَ وَعدُ أُولاهُما﴾: أُولى مَرّتَيِ الفسادِ ﴿بَعَثْنا علَيكُم عِبادًا لَنا أُولِي بأسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابَ قُوّةٍ في الحرب وبطشٍ، ﴿فجاسُوا﴾: تردّدوا لطلبكم ﴿خِلالَ الدِّيارِ﴾: وسْطَ دياركم ليقتلوكم أو يَسبُوكم، ....

قالَ تعَالى: (﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا﴾) أي: «لئلَّا يتَّخذوا» كما في نسخةٍ، إشارةٌ إليه بزيادةِ اللَّامِ، أو التَّقديرُ: كراهةَ أن يتَّخذوا.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[1].

قولُهُ: (فـ «أَنْ» زائِدةٌ والقَولُ مُضْمرٌ) وفيه: أنَّه إذا قيلَ بالالتِفاتِ فلا يحتاجُ إلى القولِ بالزِّيادةِ وإضمارِ القَولِ، أو: مفسِّرةٌ كقولك: كتبتُ إليه أنِ افعَلْ.

قولُهُ: (يَا ﴿ذرِّيَّةَ﴾) يعني: منصوباً بالنِّداءِ، وقيل: على الاختِصاصِ[2]، وفيهِ تذكيرٌ بإنعامِ اللهِ عليهم في إنجاءِ آبائِهم من الغرقِ.

قولُهُ: (أَوْحَينَا) وحياً مقضِيًّا مَبتوتاً، ففيهِ تضمينٌ لتعديَتِهِ بـ ﴿إلى﴾، أو التقديرُ: قَضَينا وحكَمْنا مُنهِينَ.

قولُهُ: (أَرْضِ الشَّامِ) جوابُ قسمٍ محذوفٍ[3].

وقولُهُ تعالى: (﴿مَرَّتَيْنِ﴾) أي: إفسادتَينِ.

قولُهُ: (تَبْغُونَ) بالاستِكبارِ عن طاعَةِ اللهِ، أو بالظُّلمِ على النَّاسِ.

قولُهُ: (أُولَى) أي: عقابُ أُولَى، والوعدُ هنا بمعنى الوَعيدِ.

وقولُهُ: (الفَسَادِ) الظَّاهرُ: الإفسادُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٦).

(٢) انظر: «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» (٤/ ١٥٩)، و«الإعراب المفصل» (٦/ ٢٤٠).

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿لتفسدن في الأرض﴾ جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ، ويجوز ان يكون القسم بـ: (قَضَينَا)؛ أي: ليس القسم محذوفاً، بل هو على أن يُجرَى القضاءُ المبتوتُ مُجرَى القَسَم فيكون ﴿لتفسدن﴾ جواباً له؛ كأنه قال: وأقسمنا لتُفسدن.

﴿وكانَ وَعدًا مَفعُولاً﴾ ـ وقد أفسدوا الأولى بقتلِ زكرياءَ، فبُعث عليهم جالوتُ وجنوده، فقتلوهم وسبَوا أولادهم وخرّبوا بيت المَقدس ـ ٦ ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ﴾: الدَّولة والغَلَبة ﴿علَيهِم﴾ بعد مِائة سنة بقتل جالوت، ﴿وأمدَدْناكُم بِأموالٍ وبَنِينَ، وجَعَلْناكُم أكثَرَ نَفِيرًا﴾: عشيرة.

٧ ـ وقلنا: ﴿إن أحسَنتُم﴾ بالطاعة ﴿أحسَنتُم لأنفُسِكُم﴾ لأنّ ثوابه لها، ﴿وإن أسأتُم﴾ بالفساد ﴿فلَها﴾ إساءتُكم. ....

قولُهُ: (الأُولَى) أي: المرَّة الأُولَى.

قولُهُ: (بِقَتْلِ زَكَرِيَّا)[١] أو قتْلِ شَعْياءَ[٢]، ومخالفَةِ أحكامِ التَّوراةِ.

قولُهُ: (جَالُوتُ) أو بختنصَّرُ[٣] عاملُ كشاسفَ[٤] على بابلَ (وجُنُودُهُ).

قولُهُ: (بَعدَ مئةٍ) أي: على الَّذين بُعِثوا عليكُم.

قولُهُ: (بقَتلِ جَالُوتَ) أي: بأن سلَّطَ داودَ على جالوتَ فقتلَهُ، أو بأن ألْقَى اللهُ في قلبِ بَهْمَن بنِ أسفَنْدِيار لمَّا ورِثَ الملْكَ من جدِّهِ كشاسفَ شفقةً عليهم فردَّ أسراهُم إلى الشَّامِ، وملَّكَ دانيالَ عليهِم فاستَولَوا على مَن كانَ فيها مِن أتباعِ بختنصَّرَ[٥].

قولُهُ: (عَشِيرَةً) ممَّا كنتُم[٦]، والنَّفيرُ: مَن ينفرُ مع الرَّجلِ من قومِهِ[٧].

قولُهُ: (إِسَاءَتُكُم) فاللَّام للاختِصاصِ، قالَ القاضِي: فإنَّ وبالَها عليها، وإنَّما ذُكِرَ باللَّامِ ازدِواجاً[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٦) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وفيه: فكان أول الفسادين: قتل زكريا... إلخ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٢) عن ابن إسحاق بلاغاً.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٧) عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر، وكان الله ملكه سبع مئة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا... ».

(٤) كان ملكاً من ملوك الفرس، وسماه في «تاريخ الطبري» (٣/ ١٧٢): كشتاسب. وانظر: «قصص الأنبياء» لابن كثير (٢/ ٣٢٩). وقال في «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٤٨): بختنصر عامل لهراسف على بابل.

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٥٦٨)، و«أنوار التنزيل» (٣/ ٢٤٨).

(٦) أي: أكثر مما كنتم.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ١٢٤).

(٨) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٤٩).

﴿فإذا جاءَ وَعدُ﴾ المرّةِ ﴿الآخِرةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم﴾: يُحزِنوكم بالقتل والسبي حُزنًا يظهر في وجوهكم، ﴿ولِيَدخُلوا المَسجِدَ﴾ بيتَ المَقدس فيُخرّبوه ﴿كَما دَخَلُوهُ﴾ وخرّبوه ﴿أوّل مَرّةٍ، ولِيُتَبِّروا﴾: يُهلِكوا ﴿ما عَلَوا﴾: غلبوا عليه ﴿تَتبِيرًا﴾: إهلاكًا. وقد أفسدوا ثانيًا بقتل يحيى، فبُعث عليهم بُختَنَصَّرُ، فقتل منهم ألوفًا وسبَى ذرّيّتهم وخرّب بيت المَقدس. وقلنا في الكتاب: ٨ ـ ﴿عَسَى رَبُّكُم أن يَرحَمَكُم﴾ بعد المرّة الثانية إن تُبتم، ﴿وإن عُدتُم﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنا﴾ إلى العُقوبة. وقد عادوا بتكذيب مُحمّد، فسُلّط عليهم بقتل قُرِيظةَ ونفي النَّضير وضرب الجِزية عليهم، ﴿وجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحبِسًا وسِجنًا.

٩ ـ ١٠ ـ ﴿إنَّ هذا القُرآنَ يَهدِي لِلَّتِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أقوَمُ﴾: أعدَلُ وأصوَبُ، ﴿ويُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا كَبِيرًا، و﴾ يُخبرُ..............................

قولُه تعالى: (﴿وَعْدُ الآخِرَةِ﴾) أي: وعيدُ عقُوبةِ المرَّةِ الآخرةِ.

قولُهُ: (بعَثْنَاهُم) حُذِفَ لدلالةِ ذكرِه أوّلاً عليه(١).

قولُه: (يُحزِنُوكُمْ) وابنُ عامرٍ وحمزةُ وأبو بكرٍ: (ليسوءَ) على التَّوحيدِ، والضَّميرُ فيه للوعدِ أو البعثِ أو للهِ، ويعضدُه قراءةُ الكسائيِّ بالنون(٢).

قولُهُ: (غَلَبُوا) أو مدَّةَ علوِّهِم.

قولُهُ: (بِقَتْلِ يَحيَى) أو بقتلِ زكريَّا ويحيى وهو الأظهرُ، وقَصْدِ قتلِ عيسَى عليهم السَّلامُ.

قولُهُ: (فبُعِثَ) أو سلَّطَ اللهُ عليهم الفُرسَ مرَّةً أُخرى.

قولُهُ: (بتكْذِيبِ مُحَمَّدٍ) وقصْدِ قتلِهِ.

قولُهُ: (فَسُلِّطَ) أي: سلَّطَ اللهُ نبيَّهُ.

قولُهُ: (عَلَيهِم) أي: الباقينَ.

قولُهُ: (مَحبِساً) لا يقدرونَ الخروجَ منها أبدَ الآبادِ.

قولُهُ: (للطَّرِيقَةِ) أو الحالَةِ.

قولُهُ: (﴿و﴾ يُخْبِرُ) يعني: أنَّه من بابِ:

---

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا...﴾.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٧، ٣٩٨).

﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلمًا، هو النار، ١١ ـ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: كدعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

١٢ ـ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾: طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه ـ والإضافة للبيان ـ ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مبصرًا فيها بالضوء ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالكسب..

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً[١]

أو يقال: فيه تهكُّمٌ، أو ﴿يُبَشِّرُ﴾ بمعنَى: يخبرُ، على التَّجريدِ، أو المعنَى: أنَّه يُبشِّرُ المؤمنينَ بشارتَينِ: ثوابِهِم وعقابَ أعدائِهِم، وهذا ألطفُ معنًى.

وفي قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ: (يَبْشُرُ) بفتحِ الياء وضمِّ الشِّينِ[٢].

قولُهُ: (إذا ضَجِرَ) وغضِبَ، أو يدعوهُ بما يحسبُهُ خيراً وهو شرٌّ، فإنَّ الإنسانَ ربَّما يدعُو ويسألُ ما فيه هلاكُهُ، ولذا قالَ سهلٌ: أسلَمُ الدَّعواتِ الذِّكرُ وتركُ الاختيارِ في السُّؤالِ[٣].

قولُهُ: (بالدُّعاءِ) أو يسارعُ إلى كلِّ ما يخطرُ ببالِهِ، لا ينظرُ عاقبتَهُ.

قولُهُ: (للبيانِ) أي: الآيَةَ الَّتي هي اللَّيلُ.

قولُهُ: (أي: مُبْصَراً فيهَا) أو مُضِيئةً، وقيلَ: الآيتانِ القمرُ والشَّمسُ؛ أي: جعلنَا نيِّرَيهِما، أو جعلناهُما ذَوَي آيتينِ، ومحوُ آيةِ اللَّيلِ: جعلُها مظلمَةً في نفسِها مَطمُوسَةَ النُّورِ، أو نقصُ نُورِها شيئاً فشيئاً إلى المحاقِ، وجعلُ آيةِ النَّهارِ مُبصِرةً: جعلُها ذاتَ شُعاعٍ تُبصَرُ الأشياءُ بضَوئِها.

قولُهُ: (فيهِ) أي: في بياضِ النَّهارِ.

قولُهُ: (بالكَسْبِ) أسبابَ معاشِكُم.

---

(١) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، وعجزه:

حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

قال البغدادي في «خزانة الأدب» (٣/ ١٤٠): لا يعرف قائله. ورأيت في حاشية نسخة صحيحة من «الصحاح» أنه لذي الرمة ففتشت ديوانه فلم أجده فيه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) انظر: «تفسير التستري» (ص: ٩٤).

﴿ولِتَعلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ﴾ للأوقات، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه ﴿فَصَّلْناهُ تَفصِيلاً﴾: بيّنّاه تبيينًا، ١٣ ـ ﴿وكُلَّ إنسانٍ أَلزَمْناهُ طائِرَهُ﴾: عمله ﴿في عُنُقِهِ﴾. خُصّ بالذكر لأنّ اللزوم فيه أشدّ. وقال مُجاهد: ما من مولود يُولد إلاّ وفي عُنقه ورقة، مكتوب فيها شقيٌّ أو سعيد. ﴿ونُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامةِ كِتابًا﴾ مكتوبًا فيه عمله ﴿يَلقاهُ مَنشُورًا﴾: صفتان لـ «كتابًا»، ويقال له: ١٤ ـ ﴿اقرَأْ كِتابَكَ، كَفَى بِنَفسِكَ اليَومَ علَيكَ حَسِيبًا﴾: مُحاسِبًا!

١٥ ـ ﴿مَنِ اهتَدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ﴾ لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها﴾ لأنّ إثمه عليها، ﴿ولا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وازِرةٌ﴾: آثمةٌ، أي: لا تحملُ ﴿وِزرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخرَى، وما كُنّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّى نَبعَثَ رَسُولاً﴾ يُبيّنُ له ما يجب عليه، ....

قولُهُ: (بهِمَا) أي: باختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ، أو بحرَكاتِ الشَّمسِ والقمرِ.

قولُهُ: (للأَوقَاتِ) أي: وجِنْسِ الحِسابِ.

قولُهُ: (يُحتَاجُ) في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

قولُهُ: (تَبْييناً) غيرَ مُلتَبسٍ.

قولُهُ: (عَملَهُ) وما قُدِّرَ له مِن خيرٍ وشرٍّ وسعادَةٍ وشقاوةٍ لزومَ الطَّوقِ في عُنقِهِ؛ أي: لا ينفكُّ عنه أبداً.

قولُهُ: (مَكتُوباً) قيل: كتاباً كتبتَهُ على نفسِكَ في أيَّامِكَ وساعاتِكَ، وكتاباً كُتِبَ عليكَ في الأزَلِ لا يخالِفُ هذا ذاكَ، ولا ذاكَ هذا.

قولُهُ: (صِفَتَانِ) وابنُ عامرٍ بالضمِّ والتَّشديدِ[١].

قولُهُ: (مُحاسِباً) أو: حاسباً، تمييزٌ، و(على) صفته[٢]، والباءُ زائدةٌ، والتَّذكيرُ على تأويلِ النَّفسِ بالشَّخصِ، وعن عُمرَ: «حاسِبُوا أنفسَكُم قبلَ أن تُحاسَبوا»[٣]، قيل: محاسَبَةُ الأبرارِ في الدُّنيا، ومحاسَبةُ الفجَّارِ في العُقْبى[٤].

قولُهُ: (أَحَداً) في «المداركِ»: أي: وما صحَّ منَّا أن نُعذِّبَ قوماً عذابَ استئصالٍ في الدُّنيا إلَّا بعدَ أن نبعَثَ إليهم رسولاً فنلزِمَهم الحجَّةَ[٥].

---

(١) أي: (يُلَقَّاه) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٨).

(٢) في (ن): «صلته».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٥٩)، وأحمد في «الزهد» (٦٣٣)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢).

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس البيان» (٢/ ٣٥٤) عن بعض السلف.

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٢٤٩).

١٦ ـ ﴿وإذا أرَدْنا أن نُهلِكَ قَرْيةً أمَرْنا مُتْرَفِيها﴾: مُنعَّميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا، ﴿ففَسَقُوا فِيها﴾: فخرجوا عن أمرنا، ﴿فحَقَّ علَيها القَولُ﴾ بالعذاب، ﴿فدَمَّرْناها تَدمِيرًا﴾: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

١٧ ـ ﴿وكَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِنَ القُرُونِ﴾: الأُمم ﴿مِن بَعدِ نُوحٍ! وكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنها وظواهرها! وبه يتعلّق: بذنوب.

١٨ ـ ﴿مَن كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿العاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَن نُرِيدُ﴾ التعجيلَ له: بدلٌ من «له» بإعادة الجارّ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ﴾ في الآخِرة ﴿جَهَنَّم، يَصلاها﴾: يدخلها ﴿مَذمُومًا﴾: ملومًا ﴿مَدحُورًا﴾: مطرودًا عن الرحمة، ١٩ ـ ﴿ومَن أرادَ الآخِرةَ، وسَعَى لَها سَعيَها﴾: عمل عملها اللائق بها،..

قولُهُ: (مُنَعَّمِيهَا) وتخصيصُهُم لأنَّ غيرَهم يتبعُهم، ولأنَّهُم أسرَعُ إلى الحماقَةِ وأقدَرُ على الفُجورِ.

قولُهُ: (بالطَّاعَةِ) وقيل: بالفسقِ، وهذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ[1] وغيرِهما، فالأمرُ مجازٌ من الحملِ عليه، أو التَّسبُّبِ له بأن صبَّ عليهم مِن النِّعَمِ ما أبطَرَهُم، وأفضَى بهم إلى الفُسوقِ؛ فإنَّ اللهَ لا يأمرُ بالفحشاءِ.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) أي: بحلولِهِ، أو بظُهورِ معاصيهِم، أو بانهماكِهِم في المعاصِي.

قولُهُ: (وتَخْرِيْبِهَا) أي: تخريبِ ديارِها.

قولُهُ: (الأُمَمِ) بيانٌ لـ ﴿كَم﴾ وتمييزٌ له.

قولُهُ: (وظَوَاهِرِهَا) فيُعاقِبُ عليها، وتقديمُ الخبرِ لتقدُّمِ متعلِّقِهِ.

قولُهُ: (وَبِهِ) أي: بـ ﴿خبير﴾ الظَّاهرُ أنَّه يتعلَّقُ بكلٍّ منهما على سبيلِ التَّنازعِ.

قولُهُ: (بعَمَلِهِ) فتكونُ الآيةُ في المنافقينَ والمرائينَ، أو المعنى: من كانَ يريدُ العاجِلةَ مقصُوراً عليها همُّهُ، وقيَّدَ المعجَّلَ والمعجَّل له بالمشيئةِ والإرادةِ لأنَّه لا يجدُ كلُّ مُتمَنٍّ ما يتمنَّاهُ، ولا كلُّ واحدٍ جميعَ ما يهواهُ، وليُعلَمَ أنَّ الأمرَ بالمشيئةِ، والهمُّ زائدٌ لا حاجةَ إليه ولا معوَّلَ في شيءٍ عليه.

قولُهُ: (عَمِلَ عَمَلَهَا) أي: حَقَّها من السَّعي، وهو الإتيانُ بما أمرَ والانتهاءُ عمَّا نَهى، لا التَّقرُّبُ بما يخترعُونَ من آرائِهم الفاسدَةِ، وفائدةُ اللَّامِ: اعتبارُ النِّيَّةِ والإخلاصِ.

---

(١) أما بالفسق فلم أقف عليه، والذي جاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿أمرنا مترفيها﴾ أي: بطاعة الله، فعصوا، رواهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٣).

﴿وهُوَ مُؤمِنٌ﴾: حالٌ، ﴿فأُولئِكَ كانَ سَعيُهُم مَشكُورًا﴾ عند الله، أي: مقبولاً مُثابًا عليه. ٢٠ ـ ﴿كُلًّا﴾ من الفريقينِ ﴿نُمِدُّ﴾: نُعطي، ﴿هؤُلاءِ وهؤُلاءِ﴾: بدلٌ، ﴿مِن﴾: متعلّقٌ بـ «نُمدّ» ﴿عَطاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا، ﴿وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحظُورًا﴾: ممنوعًا عن أحد.

٢١ ـ ﴿انظُرْ: كَيفَ فَضَّلْنا بَعضَهُم علَى بَعضٍ﴾ في الرِّزق والجاه؟ ﴿ولَلآخِرةُ أكبَرُ﴾: أعظم ﴿دَرَجاتٍ وأكبَرُ تَفضِيلاً﴾ من الدنيا. فينبغي الاعتناء بها دونها. ٢٢ ـ ﴿لا تَجعَلْ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ، فتَقعُدَ مَذمُومًا مَخذُولاً﴾: لا ناصر لك.

٢٣ ـ ﴿وقَضَى﴾: أمَرَ ﴿رَبُّكَ أن﴾ أي: بأن..................................

قولُهُ: (حَالٌ) أي: إيماناً صحيحاً لا شركَ معه ولا تكذيبَ لرسولِه فإنَّه العمدَةُ.

قولُهُ: (مُثَاباً) فإنَّ شُكرَ اللهِ: الثَّوابُ على الطَّاعةِ.

قولُهُ: (مِن الفَرِيقَينِ) أي: كلَّ واحدٍ، والتَّنوينُ بدلٌ من المضافِ إليه.

قولُهُ: (نُعطِي) أي: نُمِدُّ بالعطاءِ مرَّةً بعد أُخرى، وجعلِ الآنفةِ مددَ السَّالفةِ[1].

قولُهُ: (بَدَلٌ) من ﴿كُلًّا﴾.

قولُهُ: (مُتَعلِّقٌ) أي: مِن معطاهُ.

قولُهُ: (فِيهَا) أي: الدُّنيا.

قولُهُ: (عَنْ أَحَدٍ) لا يمنعُهُ من مؤمنٍ ولا كافرٍ تفضُّلاً.

قولُهُ: (مِنَ الدُّنيَا) أو التَّفاوتُ في الآخرةِ أكبرُ؛ لأنَّ التَّفاوتَ فيها بالجنَّةِ ودرجاتِها، والنَّارِ ودركاتِها.

قولُهُ: (بِهَا) أي: بالآخِرةِ (دُوْنَهَا) أي: دونَ الدُّنيا، أو: بالدَّرجاتِ دونَ الدَّركاتِ[2].

قولُهُ: (لا نَاصِرَ لَكَ) أو جامِعاً على نفسِكَ الذَّمَّ من الملائكةِ والمؤمنينَ، والخِذلانَ من اللهِ، ومفهومُه: أنَّ الموحِّدَ يكونُ ممدوحاً منصوراً، والخطابُ للرَّسولِ والمرادُ به أُمَّتُه، أو لكلِّ أحدٍ، و﴿تقعد﴾ بمعنى: تصيرَ، أو تستمرَّ.

قولُهُ: (أَمَرَ) أمراً مقطوعاً به.

قولُهُ: (بِأَنْ) فـ ﴿أنْ﴾ مصدريَّةٌ، و﴿لا﴾ نافيةٌ.

ويجوزُ أن تكونَ مفسِّرةً و﴿لا﴾ ناهيةً، و﴿قَضَى﴾ بمَعنى حكَمَ؛ لأنَّ فيه مَعنى القَولِ.

---

(١) أي: ونجعلُ آنِفَه مددًا لسالفِه.

(٢) دركات النار: منازل أهلها، والنار دركات والجنة درجات. «الصحاح» (٤/ ١٥٨٣).

﴿لا تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ و﴾ أن تُحسنوا ﴿بِالوالِدَينِ إحسانًا﴾ بأن تَبرُّوهما. ﴿إمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما﴾: فاعل ﴿أو كِلاهُما﴾ ـ وفي قراءة: «يَبلُغانِّ» فأحدُهما: بدل من ألفه ـ ﴿فلا تَقُلْ لَهُما: أُفٍّ﴾، بفتح الفاء، وكسرِها مُنوّنًا وغيرَ منوّن: مصدرٌ بمعنى: تَبًّا وقُبحًا، ﴿ولا تَنهَرْهُما﴾: تَزجُرْهما، ﴿وقُلْ لَهُما قَولاً كَرِيمًا﴾: جميلاً ليّنًا، ٢٤ ـ ﴿واخفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ﴾: ألِن لهما جانبَكَ الذليلَ ﴿مِنَ الرَّحْمةِ﴾ أي: لرقّتك عليهما، ....

قولُهُ: (﴿و﴾ أنْ تُحْسِنُوا) أو: وأحسِنُوا[١]، ولا يجوزُ أن يتعلَّقَ الباءُ بالإحسانِ؛ لأنَّ صلةَ المصدَرِ لا تتقدَّمُ عليه.

قولُهُ: (بأنْ تَبَرُّوهُما) لأنّهما السَّببُ الظَّاهرُ للوجُودِ والتَّعيُّشِ، وهذا في غايةِ التَّوكيدِ لاقترانهِ بالتَّوحيدِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[٢].

قولُهُ: (مِن ألِفِهِ) أي: ألفِ (يَبْلُغَانِّ) الرَّاجعِ إلى الوالدَينِ، و﴿كلاهُما﴾ عطفٌ على ﴿أحدُهُما﴾ فاعلاً أو بدلاً، ومعنى ﴿عندكَ﴾ أن يكونا في كنفِهِ وكفالتِهِ.

قولُهُ: (بفَتحِ الفَاءِ) مكيٌّ وشاميٌّ[٣].

قولُهُ: (مُنَوَّناً) نافعٌ وحفصٌ[٤].

قولُهُ: (مَصْدَرٌ) أو صَوتٌ يدلُّ على تضجُّرٍ، وقيل: اسمُ الفعلِ الَّذي هو أتضَجَّرُ؛ أي: لا تتضَجَّر ممَّا يُستَقذرُ منهما ويُستثْقَلُ من مؤنتِهِما، والنَّهيُ عن ذلك يدلُّ على المنعِ من سائرِ أنواعِ الإيذاءِ قياساً بطريقِ الأَوْلى، نهَى عمَّا يؤذِيهِما بعد الأمرِ بالإحسانِ بهما؛ إذْ لا يكفِي أحدُهُما بل لا بدَّ من الجمعِ بينَهُما.

وقد يقالُ: الإحسانُ شملَهُما، فيكونُ تخصِيصاً للاهتمامِ.

قولُهُ: (تَزْجُرْهُمَا) عمَّا لا يعجبُكَ بإغلاظٍ.

قولُهُ: (جَمِيلاً) بدلَ التَّأفِيفِ والنَّهرِ.

قولُهُ: (ألِنْ) أي: تذلَّل لهُما وتواضَعْ فيهما.

قولُهُ: (لِرِقَّتِكَ) أو من فرطِ رحمتِكَ عليهما لافتقارِهِما إلى مَن كانَ أفقرَ خلقِ اللهِ إليهما.

---

(١) في الأصول: «أووأن أحسنوا» والمثبت من «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٩٩).

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر المصدرين السابقين.

﴿وقُلْ: رَبِّ، ارحَمْهُما كَما﴾ رحِماني حين ﴿رَبَّياني صَغِيرًا﴾.

٢٥ ـ ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِما في نُفُوسِكُم﴾ من إضمار البرّ والعُقوق. ﴿إن تَكُونُوا صالِحِينَ﴾: طائعِينَ لله ﴿فإنَّهُ كانَ لِلأوّابِينَ﴾: الرجّاعِينَ إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لِما صدر منهم في حقّ الوالدَينِ من بادرة، وهم لا يُضمرون عقوقًا.

٢٦ ـ ﴿وآتِ﴾: أعطِ ﴿ذا القُربَى﴾: القرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾ من البرّ والصِّلة ﴿والمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ، ولا تُبَذِّرْ تَبذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله ـ ٢٧ ـ ﴿إنَّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ أي: على طريقتهم، ﴿وكانَ الشَّيطانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: شديد الكُفر لنِعمه. فكذلك أخوه المُبذِّر ـ ٢٨ ـ ﴿وإمّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ﴾ أي: المذكورِينَ، من ذِي القُربَى ومَن بعدَه فلم تُعطهم، ﴿ابتِغاءَ رَحْمةٍ مِن رَبِّكَ تَرجُوها﴾ أي: لطلب رِزق تنتظره يأتيك فتُعطيهم منه، ﴿فقُلْ لَهُم قَولاً مَيسُورًا﴾: ليِّنًا سهلاً بأن تَعِدَهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

قولُهُ: (﴿كَمَا﴾ رَحِمَانِي) أي: رحمةً مثلَ رحمتِهما عليَّ وتربيتِهما وإرشادِهما لي في صِغَرِي وفاءً بوعدِكَ للرَّاحمِينَ؛ يعني: ادعُ اللهَ أن يرحمَهُما برحمتِهِ الباقِيَةِ، ولا تكتفِ برحمتِكَ الفانيَةِ وإن كانَا كافرَينِ موجودَينِ؛ لأنَّ مِن الرَّحمةِ أن يهدِيَهُما، رُوِيَ: أنَّ رجلاً قالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: إنَّ أبويَّ بلَغا من الكِبَرِ أنِّي أَلِي منهما ما وَلِيا منِّي في الصِّغَرِ فهل قضيتُهُما؟ قال: «لا، فإنَّهُما كانَا يفعلانِ ذلكَ وهُما يُحِبَّانِ بقاءَكَ، وأنتَ تفعلُ ذلكَ وأنتَ تُرِيدُ موتَهُما»[1].

قولُهُ: (مِن بَادِرَةٍ) أو تقصيرٍ عندَ ضيقِ الصَّدرِ، وفيه تشديدٌ عظيمٌ.

قولُهُ: (والصِّلَةِ) وحُسنِ المعاشَرةِ، وقالَ أبو حنيفَةَ: حقُّهُم إذا كانوا محارِمَ فُقَراءَ أن يُنفِقَ عليهم[2]؛ يعني: إذا كانَ غنيًّا.

قولُهُ: (عَلَى طَرِيقَتِهِم) ومتابعتِهِم، حيثُ يُطيعونَهُم في الإسرافِ والصَّرفِ في المعاصي.

قولُهُ: (لِنِعَمِهِ) أو مُبالغاً في الكفرِ به، فما ينبَغِي أن يُطاعَ.

قولُهُ: (فلَمْ تُعطِهِم) فالمرادُ بالإعراضِ: عدمُ النَّفعِ على سَبيلِ الكفايَةِ، أو: أعرضْتَ عنهم حياءً مِن الرَّدِّ.

قولُهُ: (تَنتَظِرُه) وترجوهُ.

قولُهُ: (مِنهُ) أي: الرِّزقِ بأن تعدَهُم أو تَدعوَ لهم، بأن تقولَ مثلَ: أغناكُم اللهُ، ورزَقَنا اللهُ وإيَّاكُم، ويفتحُ اللهُ علينا وعليكُم.

---

(١) قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩٨): لم أجده. وذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٦٥) وسكت عنه.

(٢) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني (٥/ ٧٠٤).

٢٩ ـ ﴿ولا تجعَلْ يَدَكَ مَغلُولةً إلَى عُنُقِكَ﴾ أي: لا تُمسكها عن الإنفاق كُلّ الإمساك، ﴿ولا تَبسُطْها﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ البَسطِ، فتَقعُدَ مَلُومًا﴾ ـ راجعٌ للأوّل ـ ﴿مَحسُورًا﴾: مُنقطعًا لا شيء عندك. راجعٌ للثاني. ٣٠ ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسَب مَصالحهم.

٣١ ـ ﴿ولا تَقتُلُوا أولادَكُم﴾ بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾: مخافةَ ﴿إملاقٍ﴾: فقر ـ ﴿نَحنُ نَرزُقُهُم وإيّاكُم. إنَّ قَتلَهُم كانَ خِطئًا﴾: إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾: عظيمًا ـ..

قولُهُ: (كلَّ المَسْكِ) الظَّاهرُ: كلَّ الإمساكِ[١].

قولُهُ: (فِي الإِنْفَاقِ) تمثيلانِ لمنعِ الشَّحيحِ وإسرافِ المبذِّرِ، نهيٌ عنهما وأمرٌ بالاقتصادِ بينهما الَّذي هو الكرمُ.

قولُهُ: (لِلأَوَّلِ) أو: فتصيرَ ملوماً عندَ اللهِ وعندَ النَّاسِ بالإسرافِ، فيقولُ الفقيرُ: أعطَى فلاناً ومنَعني، وبسوءِ التَّدبيرِ عند الأغنياءِ.

قولُهُ: (مُنقطعاً) بكَ[٢]، أو نادماً.

قولُهُ: (﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾) أو: له.

قولُهُ: (مَصَالِحِهِم) وفي الحديثِ: «إنَّ مِن عبَادِي لَمَن لا يُصلِحُه[٣] إلَّا الفقرُ، ولو أغنيْتُه لأفسدْتُ عليهِ دينَهُ، وإنَّ مِن عبَادِي لَمَن لا يُصلِحُه إلَّا الغِنَى، ولو أفقرتُه لأفسدْتُ عليه دينَهُ»[٤].

قولُهُ: (بالوَأْدِ) وهو دفنُ البناتِ حيَّةً.

قوله: (إثماً) يقالُ: خَطِئَ خِطْئاً كأثِمَ إِثْماً، وقرأ ابنُ ذكوانَ: (خَطَأً) بالتَّحريكِ، وهما لغتانِ كمِثْلٍ ومَثَلٍ، وابنُ كثيرٍ بالكسرِ والمدِّ كمِثالٍ[٥].

قولُهُ: (عَظِيماً) لما فيه من قطعِ التَّناسُلِ وانقطاعِ النَّوعِ.

---

(١) وكذا هي في النسخ المعتمدة في متن «الجلالين».

(٢) أي: «منقطعاً بك» بفتح الطاء، يقال: انقُطِعَ بالمسافر ـ على بناء المفعول ـ: إذا أُعطبت دابته أو نفد زاده، فانقطع به السفر دون طيته، فهو منقطَع به. انظر: «أساس البلاغة» (مادة: قطع).

(٣) في (م): «لا يصلح له».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣١) من حديث أنس، عن النبي، عن جبريل، عن رب العزة تبارك وتعالى.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٤٠).

٣٢ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾. أبلغُ مِن: لا تأتوه. ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾: قبيحًا، ﴿وَسَاءَ﴾: بئسَ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقُهُ هو!

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلّطًا على القاتل. ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: يتجاوزِ الحدَّ ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غيرَ قاتله أو بغير ما قُتِلَ به. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ـ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾

قولُهُ: (أَبْلَغُ) أي: لا تقرَبُوا بالعَزمِ والإتيانِ بالمقدِّماتِ، فَضلاً أن تباشِروهُ.

قولُهُ: (قَبِيحاً) أي: فعلَةً ظاهِرةَ القُبحِ زائدتَه.

قولُهُ: (هُوَ) أي: طَرِيقُهُ، وهو الغَصْبُ على الإبضاعِ المؤدِّي إلى قطعِ الأنسابِ وتهييجِ الفتنِ.

قولُه تعالى: (﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾) إلّا بإحدى ثلاثٍ: كفرٍ بعد إيمانٍ، وزنًى بعد إحصانٍ، وقتلِ مؤمنٍ على عُدوانٍ[1].

قولُه تعالى: (﴿مَظْلُوماً﴾) أي: غيرَ مُستوجِبٍ للقتلِ.

قولُهُ: (لِوَارِثِه) الَّذي يلي أمرَهُ بعدَ وفاتِهِ.

قولُهُ: (تَسَلُّطاً) بالمؤاخَذةِ بمقتَضى القتلِ، أو بالقِصاصِ.

قولُهُ: (يَتَجَاوَزْ) أي: القَاتلُ ـ يعني: مريدَ القتلِ ـ بأن يقتُلَ مَن لا يحلُّ قتلُهُ، فإنَّ العاقلَ لا يفعلُ ما يعودُ عليه بالهلاكِ، أو الوليُّ بالمُثْلةِ و«أنْ يقتلَ... » إلخ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قراءةُ أُبيٍّ: (فَلَا تُسرِفُوا)[2] وقراءةُ حمزةَ والكسائيِّ بالتَّاءِ على خطابِ أحدِهِما[3].

وقولُهُ تعالى: (﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾) استئنافٌ فيه معنى التَّعليلِ، والضَّميرُ للمَقتولِ؛ فإنَّه منصُورٌ في الدُّنيا بثبوتِ القَصاصِ بقتلِهِ وفي الآخرةِ بالثَّوابِ، أو لوليِّهِ فإنَّ اللهَ نصرَهُ حيث أوجَبَ القَصاصَ له وأمرَ الوُلاةَ بمعونتِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، والنسائي (٤٠١٦)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٣٦٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
ورواه أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد في «مسنده» (٤٣٧) من حديث عثمان رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) هي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٠).

(٣) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٠٢).

إذا عاهدتم الله أو الناس ـ ﴿إِنَّ العَهدَ كانَ مَسؤُولاً﴾ عنه ـ ٣٥ ـ ﴿ وأَوفُوا الكَيلَ﴾: أتِمُّوه ﴿إذا كِلتُم، وزِنُوا بِالقِسطاسِ المُستَقِيمِ﴾: الميزان السويّ. ﴿ذلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تأوِيلاً﴾: مآلاً.

٣٦ ـ ﴿ولا تَقْفُ﴾: تَتبعْ ﴿ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ. إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ﴾: القلب ﴿كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾ صاحبُه: ماذا فَعل به؟..

قولُهُ: (إذَا عَاهَدْتُم) أو: بما عاهَدكُمُ اللهُ من تكاليفِهِ.

قولُهُ: (عَنهُ) يُسأَلُ النَّاكِثُ ويُعاتَبُ عليه، أو: مَطلوبًا يُطلبُ من المعاهِدِ أن لا يُضيِّعَه ويفِي به، أو التَّقديرُ: إنَّ صاحبَهُ كانَ مسؤولاً.

قولُهُ: (المِيزَانِ) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ بكسرِ القافِ[1].

قولُهُ: (مَآلاً) تفعيلٌ من «آلَ» إذا رجعَ.

قولُهُ: (تَتْبَعْ) مأخوذٌ من قولِهِم: قفوتُ أثَرَهُ؛ أي: تبعتُه، ومنهُ: القفا؛ لأنَّهُ مؤخَّرُ البدنِ كأنَّهُ يتبعُه[2].

قالَ تعالى: (﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾) أي: كلُّ هذه الأعضاءِ، فأجراها مُجرى العُقلاءِ لمَّا كانت مسؤولَةً عن أحوالِها شاهدةً على صاحبِها.

هذا وإنَّ «أولاءِ» وإن غلبَ في[3] العُقلاءِ لكنَّه من حيثُ إنَّه اسمُ جمْعٍ لـ «ذا» يعني: الإشارَةَ إلى المفرَدِ وهو يعُمُّ العُقلاءَ وغيرَهُم [جاء لغيرهم][4] كقولِه:

ذُمَّ المنَازِلَ بعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى والعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ[5]

قولُهُ: (صَاحِبُهُ) إن أرادَ أنَّ الضَّميرَ في ﴿عنهُ﴾ راجعٌ إلى صاحبِهِ فلهُ وجهٌ، وإن أرادَ أنَّ ﴿مسؤولًا﴾ مسندٌ إلى ﴿عنهُ﴾ ـ والمعنى: يُسألُ صاحبُهُ عنه ـ فهو خَطأٌ؛ لأنَّ الفاعِلَ وما يقومُ مقامَهُ لا يتقدَّمُ.

قالَ أبو البَقاءِ: ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ في ﴿كَانَ﴾ لصاحِبِ هذهِ الجوارحِ لِدلالتِها عليهِ[6]. فعلى هذا لا إشكالَ، لكن كانَ حقُّهُ أن يُذكَرَ صاحبُه بعدَ ﴿كانَ﴾ أو ﴿عنهُ﴾، والأظهرُ: أنَّ في ثلاثتِها من ﴿كانَ﴾ و﴿عنهُ﴾ و﴿مسؤولاً﴾ ضميرُ ﴿كلٌّ﴾؛ أي: كانَ كلُّ واحدٍ منها مسؤولاً عن نفسِهِ؛ أي: عمَّا فعلَ به صاحبُه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٢).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ١١٢).

(٣) في (ص): «على».

(٤) من «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٥٥).

(٥) قائله جرير، انظر: «ديوانه» (ص: ٤٥٢). اللوى: موضعٌ بعينه. بعد منزلة اللوى: أي: بعد مفارقتها.

(٦) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٨٢١).

٣٧ ـ ﴿ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكِبْر والخُيلاء. ﴿إنَّكَ لَن تَخرِقَ الأرضَ﴾: تثقُبَها حتّى تبلغَ آخِرها بكِبْرك، ﴿ولَن تَبلُغَ الجِبالَ طُولاً﴾. المعنى: إنك لا تبلغ هذا المبلغ. فكيف تختال؟

٣٨ـ ٣٩ـ ﴿كُلُّ ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿كانَ سَيِّئةً عِندَ رَبِّكَ مَكرُوهًا. ذلِكَ مِمّا أوحَى إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿رَبُّكَ مِنَ الحِكْمةِ﴾: المواعظ. ﴿ولا تَجعَلْ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ، فتُلقَى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدحُورًا﴾: مطرودًا عن رحمة الله.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿أفأصفاكُم﴾: أخلصكم ـ يا أهل مكّة ـ ﴿رَبُّكُم بِالبَنِينَ، واتَّخَذَ مِنَ المَلائكةِ إناثًا﴾: بناتًا لنفسه بزعمكم؟ ﴿إنَّكُم لَتَقُولُونَ﴾ بذلكَ ﴿قَولاً عَظِيمًا. ولَقَد صَرَّفْنا﴾:..................

قولُهُ: (تَنْقُبَهَا) بالنُّونِ أو الثَّاءِ.

قولُهُ: (بكِبْرِكَ) أو: لن تجعَلَ فيها خرْقاً بشدَّةِ وطأتِكَ.

قولُهُ: (المَذكُورِ) من الخِصالِ الخَمسِ والعِشرينَ المذكورةِ من قولِه: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

قالَ تعَالى: (﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾) يعني: المنهيَّ عنه، فإنَّ المذكوراتِ مأمُوراتٌ ومنهيَّاتٌ، وقرأَ الحجازيَّانِ والبصريُّ: (سيئةً)[1] على أنَّها خبرُ ﴿كانَ﴾، والاسمُ ضميرُ ﴿كلُّ﴾ و﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى ما نهي عنه خاصَّةً، وعلى هذا ﴿مكروهاً﴾ بدلٌ مِن (سيئةً) والمرادُ بالمكرُوهِ: المبغوضُ المقابِلُ للمرضيِّ.

قالَ تعَالى: (﴿ذلك﴾) إشارَةٌ إلى ما ذكرَ من الأحكامِ المتقدِّمةِ.

قولُهُ: (المَوَاعِظِ) أو: الحكمةِ الَّتي هي معرفةُ الحقِّ لذاتِهِ والخيرِ للعَملِ به.

قولُهُ: (مَطْرُودًا) كرَّرهُ للتَّنبيهِ على أنَّ التَّوحيدَ مبدأُ الأمرِ ومنتهاهُ، وأنَّه رأسُ الحكمَةِ ومِلاكُها، ورتَّبَ عليها أوَّلاً ما هو غايتُه[2] الشِّركُ في الدُّنيا، وثانياً ما هو نتيجتُه في العُقبَى.

قولُهُ: (أَخْلَصَكُم) وخصَّكُم.

قولُهُ: (بَنَاتٍ) هذا خلافُ ما عليه عقولُكُم وعادتُكُم، وقولُهُ: (بِزَعْمِكُمْ) متعلِّقٌ بـ﴿اتَّخذَ﴾. وفي أكثرِ النُّسخِ: «بناتاً» بألفٍ في آخرِهِ، وهو سهوٌ.

قولُهُ: (بِذَلِكَ) أي: بإضافَةِ الأولادِ وهي خاصَّةٌ بعضِ الأجسامِ لسُرعَةِ زَوالِها، ثمَّ بتفضيلِ أنفسِكُم حيثُ تجعلونَ له ما تكرهُونَ، ثمَّ بجعلِ الملائكةَ الَّذينَ هم من أشرفِ خلقِ اللهِ أدونَهُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٣).

(٢) في (م) و(ن): «عائده».

بيّنّا ﴿في هذا القُرآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: يتّعظوا، ﴿وما يَزِيدُهُم﴾ ذلك ﴿إلاّ نُفُورًا﴾ عن الحقّ.

٤٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كانَ مَعَهُ﴾ أي: اللهِ ﴿آلِهةٌ كَما تَقُولُونَ إذًا لابتَغَوا﴾: طلبُوا ﴿إلَى ذِي العَرشِ﴾ أي: اللهِ ﴿سَبِيلاً﴾ ليُقاتلوه. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يَقُولُونَ﴾ من الشُّركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا! تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تُنزِّهُه ﴿السَّماواتُ السَّبعُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ، وإن﴾: ما ﴿مِن شَيءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إلاّ يُسَبِّحُ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِهِ﴾، أي: يقول: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿ولكِن لا تَفقَهُونَ﴾: لا تفهمون..

قولُهُ: (يَتَّعِظُوا) وحمزةُ والكسائيُّ بالتَّخفيفِ وضمِّ الكافِ[١]، من الذِّكرِ الَّذي هو بمعنى التَّذكرِ.

قولُهُ: (عَنِ الحَقِّ) كانَ الثَّوريُّ إذا قرأَها يقولُ: زادَني لك خُضوعاً ما زادَ أعداءَكَ نُفوراً[٢].

قالَ تعالى: (﴿كَمَا تَقُولُونَ﴾) أيُّها المشرِكونَ، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ بالياءِ فيه وفيما بعدَهُ[٣] على أنَّ الكلامَ مع الرَّسولِ، ووافقَهُما نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عَمرٍو وأبو بكرٍ في الثَّانيةِ[٤].

قولُهُ: (طَلَبُوا) جوابٌ عن قولِهِم وجزاءٌ لـ ﴿لو﴾، والمعنى: لطَلَبوا طريقاً بالمغالبَةِ كما يفعَلُ الملوكُ بعضُهُم مع بعضٍ، أو بالتَّقرُّبِ إليه والطَّاعةِ لعلمِهِم بقدرتِهِ وعجزِهِم.

قولُهُ: (أي: اللهِ) مالكِ الملكِ[٥].

قولُهُ: (لِيُقَاتِلُوهُ) أو ليتقرَّبوا إليه.

قولُهُ: (مِنَ الشُّرَكَاءِ) والبنينَ.

قالَ تعالى: (﴿عُلُوًّا كَبِيراً﴾) أي: تَعالياً مُتباعِداً غايةَ البُعدِ.

قولُهُ: (تُنَزِّهُهُ) قرأَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وشعبةُ بالتَّذكيرِ[٦].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٣).

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٦٩).

وروى أحمد في «الزهد» (٩٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٨) عن عبد الأعلى التيمي أنه كان يقول هذا الدعاء في سجوده.

(٣) أي قوله: (كما يقولون) و(عما يقولون) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٤).

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) «قوله أي الله مالك الملك»: ليس في (د).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٥).

﴿تَسبِيحَهُم﴾ لأنه ليس بلُغتكم. ﴿إِنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيثُ لم يُعاجلكم بالعُقوبة.

٤٥ ـ ﴿وإذا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَينَكَ وبَينَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ حِجابًا مَستُورًا﴾ أي: ساترًا لك عنهم فلا يرونك ـ نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ ـ ٤٦ ـ ﴿وجَعَلْنا على قُلُوبِهِم أَكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أن يَفقَهُوهُ﴾: من أن يفهموا القُرآن، أي: فلا يفهمونه، ﴿وفي آذانِهِم وَقْرًا﴾: ثِقَلاً فلا يسمعونه، ﴿وإذا ذَكَرتَ رَبَّكَ في القُرآنِ وَحدَهُ وَلَّوا على أدبارِهِم نُفُورًا﴾ عنه.

٤٧ ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَستَمِعُونَ بِهِ﴾: بسببه من الهُزء، ﴿إذ يَستَمِعُونَ إلَيكَ﴾: إلى قراءتك، ﴿وإذ هُم نَجوَى﴾: يتناجَون بينهم أي: يتحدّثون، ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله..........................

قولُهُ: (لأنَّهُ لَيسَ بلُغَتِكُمْ) أجمع[1] السَّلفُ أنَّ للأشياءِ تسبيحاتٍ لا يسمَعُ إلَّا مَن يسمَعُ، وقالَ المتأخِّرونَ: لكلِّ شيءٍ تسبيحٌ بِلِسانِ حالِهِ، وهو دلالتُه على صانعٍ قديمٍ واجبٍ لذاتِهِ[2]، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ﴾ [الإسراء: ٤٤] خطابٌ للمُشركينَ لأنَّهم لمَّا جعَلوا مع اللهِ إلهاً لم ينظُروا ولم يفهَموا دلالَةَ الأشياءِ.

قولُهُ: (بالعُقُوبَةِ) على غفلتِكُم وشركِكُم.

قولُهُ: (سَاتِراً) يعني: أنَّ ﴿مستوراً﴾ بمعنى: ذي سترٍ؛ كقولِه: ﴿وعده مأتياً﴾ [مريم: ٦١] والمرادُ بـ﴿حجاباً﴾: يحجبُهُم عن فهمِ ما تقرَؤه عليهم.

وقيل: مستوراً عن الحسِّ، أو لحِجابٍ آخرَ لا يفهمونَ ولا يفهَمونَ أنَّهُم لا يفهمُونَ.

قولُهُ: (الفَتْكَ) أي: القتلَ خَديعةً.

قولُهُ: (مِن أنْ يَفهَمُوا) يعنِي: أنَّه مفعولٌ لما دلَّ عليه قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: منَعناهُم أنْ يفهَمُوهُ، والأظهرُ: كراهَةَ أن يفهَموهُ.

قولُهُ: (عَنهُ) أي: عن استماعِ القُرآنِ، أو عن التَّوحيدِ.

قولُهُ: (مِنَ الهُزءِ) بكَ وبالقُرآنِ.

قولُهُ: (قراءَتِكَ) ظرفٌ لـ﴿أعلمُ﴾ وكذلك ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾؛ أي: نحنُ أعلمُ بغرضِهِم مِن الاستماعِ حين هُم مستمِعونَ إليك مُضمِرونَ للغرَضِ، وحينَ هم ذوو نجوَى.

[قوله]: (بدلٌ)[3] على وضعِ الظَّاهرِ موضعَ الضَّميرِ.

---

(١) في النسخ عدا (ص): «إجماع».

(٢) انظر: «تفسير الإيجي» (٢/ ٣٩٢).

(٣) في النسخ: «يدل»، فغيرناها إلى المثبت وزدنا ما بين معكوفتين ليستقيم الكلام، واستفادةً من قول البيضاوي في إعراب ﴿إذ يقول﴾: بدلٌ مِن ﴿إذ هم نجوى﴾ على وضعِ (الظَّالِمينَ) مَوضِعَ الضَّميرِ للدَّلالَةِ على أنَّ تَناجِيَهم بقَولِهِم هذا.

﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم: ﴿إن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.
٤٨ ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر، ﴿فضَلُّوا﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: طريقًا إليه؟

٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿وقالُوا﴾ منكرينَ للبعث: ﴿أإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونُوا حِجارةً أو حَدِيدًا أو خَلْقًا مِمّا يَكبُرُ في صُدُورِكُم﴾: يعظم عن قَبول الحياة، فضلاً عن العِظام والرُّفات. فلا بُدّ من إيجاد الروح فيكم. ﴿فَسَيَقُولُونَ: مَن يُعِيدُنا﴾ إلى الحياة؟ ﴿قُلِ: الَّذِي فَطَرَكُم﴾: خلقكم ﴿أوَّلَ مَرّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا لأنّ القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون. ﴿فَسَيُنغِضُونَ﴾: يُحرّكون ﴿إلَيكَ رُؤُوسَهُم﴾ تعجّبًا، ﴿ويَقُولُونَ﴾ استهزاءً: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعثُ؟ ﴿قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ قَرِيبًا، يَومَ يَدعُوكُم﴾: يُناديكم من القُبور على لسان إسرافيل، ﴿فَتَستَجِيبُونَ﴾: فتجيبون دعوته من القُبور ﴿بِحَمدِهِ﴾: بأمره ـ وقيل: وله الحمد ـ ﴿وتَظُنُّونَ: إن﴾ ما ﴿لَبِثتُم﴾ في الدنيا ﴿إلاّ قَلِيلاً﴾ لهول ما تَرَون.

قولُهُ: (مَغلُوباً) أي: سُحِرَ به فزالَ عقلُه.

قولُهُ: (بذَلِكَ) الأظهرُ: في جميعِ ذلك.

قولُهُ: (إلَيهِ) أي: إلى الهُدى.

قولُهُ: (لَهُم) أي: جَواباً.

قولُهُ: (بَل هيَ أَهوَنُ) أي: بزعمِكُم، أو عادةً، أو بالنِّسبةِ إلى غيرِه تعالى، أو أهوَنُ على المعادِ، فإنَّ الإعادَةَ آنيَّةٌ والابتِداءَ تدريجيَّةٌ.

قولُهُ: (يُحَرِّكُونَ) أي: نحوَكَ.

قولُهُ: (بأَمرِهِ) أي: مُنقادِينَ لبعثِهِ انقيادَ الحامِدِينَ عليه، والأظهرُ أنَّ معناه: حامدينَ للهِ على كمالِ قدرتِهِ كما وردَ: أنَّهم ينفُضونَ التُّرابَ عن رؤوسِهِم ويقولونَ: سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ[1].

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وروى الدولابي في «الكنى والأسماء» (٢٠٩٤) عن سعيد بن جبير، قال: يخرجون من قبورهم، فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾.

وروى ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢٢)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٢٨٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٧٨)، وابن بشران في «أماليه/ ج١» (٧٤٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٨٢) من حديث ابن عمر، مرفوعاً، وفيه: «وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رءوسهم، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن».

قال البيهقي: هذا مرسل عن سلمة بن كهيل، وابن عمر، وبهلول بن عبيد تفرد به وليس بالقوي.

٥٣ ـ ﴿وقُل لِعِبادِي﴾ المُؤمنين، ﴿يَقُولُوا﴾ للكُفّار الكلمةَ ﴿الَّتِي هِيَ أحسَنُ ـ إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ﴾: يُفسد ﴿بَينَهُم. إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلإنسانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: بيِّنَ العداوة ـ والكلمة التي هي أحسن هي: ٥٤ ـ ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِكُم. إن يَشَأْ يَرحَمْكُم﴾ بالتوبة والإيمان، ﴿أو إن يَشَأْ﴾ تعذيبَكم ﴿يُعَذِّبْكُم﴾ بالموت على الكُفر. ﴿وما أرسَلْناكَ عَلَيهِم وَكِيلاً﴾ فتُجبرَهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٥٥ ـ ﴿ورَبُّكَ أعلَمُ بِمَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾، فيخصّهم بما شاء على قدْر أحوالهم، ﴿ولَقَد فَضَّلْنا بَعضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعضٍ﴾ بتخصيص كُلّ منهم بفضيلة، كمُوسى بالكلام وإبراهيمَ بالخِلّة ومُحمّدٍ بالإسراء، ﴿وآتَينا داوُدَ زَبُورًا﴾.

٥٦ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم﴾ أنهم آلهةٌ ﴿مِن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعِيسى وعُزير. ﴿فلا يَملِكُونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم ولا تَحوِيلاً﴾ له إلى غيركم.

٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَـ﴾ ـهم آلهةً ﴿يَبتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿إلَى رَبِّهِمِ الوَسِيلَةَ﴾: القُربة بالطاعة، ﴿أيُّهُم﴾: بدل من واو «يبتغون»، ....

قولُهُ: (هُوَ ﴿ربُّكم﴾) وما بينَهُما اعتِراضٌ؛ أي: قولوا لهم هذهِ الكلمَةَ ونحوَها، ولا تُصرِّحوا بأنَّهُم من أهلِ النَّارِ فإنَّهُ يُهيِّجُهُم على الشَّرِّ، مع أنَّ ختامَ أمرِهِم غيبٌ لا يعلمُهُ إلَّا اللهُ.

قولُهُ: (فتُجبِرَهُمْ) وإنَّما أرسَلْناكَ مُبشِّراً ونذيراً، فدارِهِم ومُر أصحابَكَ بالاحتِمالِ منهُم، ولذا قالَ الشَّيخُ: (وَهَذَا قَبْلَ الأَمْرِ بالقِتَالِ) وإلَّا فليسَ معنًى من المعَاني المتقدِّمةِ قابلاً للنَّسخِ.

قولُهُ: (بمَا شَاءَ) من نبوَّةٍ وولايَةٍ، وهو ردٌّ لاستِبعادِ قريشٍ أن يَكونَ يتيمُ أبي طالِبٍ نبيًّا، وأن يكونَ العُراةُ الجُوَّعُ أصحابَهُ.

قولُهُ: (بفَضِيْلَةٍ) من الفَضائِلِ النَّفسانيَّةِ والتَّبرِّي عن العلائِقِ الجِسمانيَّةِ، وبمَزيدِ العلمِ اللَّدُنِّيِّ لا بوُفورِ المالِ اللَّدنيِّ[1]، حتَّى داودُ فإنَّ شرفَهُ بما أوحيَ إليه من الكِتابِ لا بما أوتِيَ من الملْكِ، وقرأَ حمزةُ بضمِّ الزَّاي[2]، مصدَرانِ بمَعنَى المفعولِ.

قولُهُ: (لَهُ) أي: للضُّرِّ عنكُم.

قولُهُ: (آلِهَةً) فـ﴿أولئكَ﴾ مبتدأٌ والموصولُ صفتُهُ، وخبرُهُ: ﴿يبتغونَ﴾.

---

(١) كذا، ولعل الصواب: «الدنيّ».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٢).

أي: يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿وَيَرجُونَ رَحْمتَهُ، ويَخافُونَ عَذابَهُ﴾ كغيرهم. فكيف يدْعونهم آلهة؟ ﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذُورًا، وإنْ﴾: ما ﴿مِن قَرْيةٍ﴾ ـ أُريدَ أهلُها ـ ﴿إلاّ نَحنُ مُهلِكُوها قَبلَ يَومِ القِيامةِ﴾ بالموت ﴿أو مُعَذِّبُوها عَذابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره. ﴿كانَ ذلِكَ في الكِتابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مَسطُورًا﴾: مكتوبًا.

٥٩ ـ ﴿وما مَنَعَنا أن نُرسِلَ بِالآياتِ﴾ التي اقترحها أهل مكّة ﴿إلاّ أن كَذَّبَ بِها الأوّلُونَ﴾ لمّا أرسلناها، فأهلكناهم. ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذّبوا بها واستحقّوا الإهلاك. وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر مُحمّد، ﴿وآتَينا ثَمُودَ النّاقةَ﴾ آيةً ﴿مُبصِرةً﴾: بيّنة واضحة، ﴿فظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿بِها﴾ فأُهلِكوا. ﴿وما نُرسِلُ بِالآياتِ﴾: بالمُعجزات ﴿إلاّ تَخوِيفًا﴾ للعباد ليُؤمنوا.

٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلْنا لَكَ: إنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنّاسِ﴾ علمًا وقُدرة، فهم في قبضته. فبلّغهم ولا تخف أحدًا، فهو يعصمك منهم. ﴿وما جَعَلْنا الرُّؤيا الَّتِي أَرَيناكَ﴾ عِيانًا ليلة الإسراء،..............

قولُهُ: (يَبتَغِيهَا) أي: الوَسيلَةَ.

قولُهُ: (إلَيهِ) أي: إلى اللهِ منهم.

قولُهُ: (بغَيرِهِ) أي: الأقرَبِ.

قالَ تعالى: (﴿محذوراً﴾) حقيقاً بأن يحذرَهُ كلُّ أحدٍ حتَّى الرُّسلُ والملائكةُ.

قولُهُ: (بالقتل)[1] والاستِئصالِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من أنواعِ البَليَّةِ.

قولُهُ: (لإتمَامِ أَمْرِ مُحمَّدٍ) لأنَّ فيهم مَن يؤمنُ، أو يلدُ من يؤمِنُ.

قولُهُ: (آيَةً) بسؤالِهم.

قولُهُ: (بَيِّنةً) ذاتَ إبصارٍ أو بصائرَ[2]، أو: جاعلتَهُم ذَوِي بصائرَ.

قولُهُ: (كَفَرُوا) أو: ظَلَموا أنفسَهُم بسبَبِ عقْرِها.

قولُهُ: (المُعجِزَاتِ) وآياتِ القُرآنِ، والباءُ مزيدَةٌ.

قولُهُ: (للعِبَادِ) بعَذابِ الآخرةِ.

---

(١) في النسخ عدا (ص): «بالموت».

(٢) قوله: «بصائر» معطوف على «إبصار»؛ أي: أو ذات بصائر؛ إشارة إلى أنها إما من الإبصار بمعنى الرؤية، أو من البصيرة بمعنى الإدراك بالقلب، والمعنى: يبصرها المقترح أو يتبصر بها. انظر: «حاشية القونوي على البيضاوي» (١١/ ٥٣٦).

﴿إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: أهل مكّة، إذ كذّبوا بها وارتدّ بعضهم لمّا أخبرهم بها، ﴿والشَّجَرةَ المَلعُونَةَ في القُرآنِ﴾ ـ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم ـ جعلناها فتنة لهم، إذ قالوا: النار تُحرق الشجر، فكيف تُنبته؟ ﴿ونُخَوِّفُهُم، فما يَزِيدُهُم﴾ تخويفُنا ﴿إلاَّ طُغيانًا كَبِيرًا﴾.

٦١ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لآدَمَ﴾ سُجودَ تحيَّة بالانحناء. ﴿فَسَجَدُوا إلاَّ إبلِيسَ، قالَ: أأسجُدُ لِمَن خَلَقتَ طِينًا﴾؟ نصبٌ بنزع الخافض أي: من طين. ٦٢ ـ ﴿قالَ: أرَأيتَكَ﴾ أي: أخبِرْني ﴿هذا الَّذِي كَرَّمتَ﴾: فضّلت ﴿عليَّ﴾ بالأمر بالسجود له، «وأنا خيرٌ منهُ خلقتني مِن نارٍ». ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿أخَّرتَنِي إلى يومِ القِيامةِ لأحتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلنّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم ممّن عصمته.

قولُهُ: (بِهَا) وبغيرِها، من أنواعِ التَّخويفِ.

قولُهُ: (تُنبِتُهُ) ولم يعلَمُوا أنَّ من قَدِرَ أن يحميَ وبَرَ السَّمندَلِ[1] من أن تأكلَهُ النَّارُ، وأحشاءَ النَّعامةِ من أذَى الجَمْرِ وقِطَعِ الحَديدِ المحمَّاةِ الحمراءِ التي تبلعُها؛ قادرٌ أن يخلقَ في النَّارِ شجرةً لا تحرِقُها، ولعنُها في القرآنِ لعنُ طاعِمِيها، وُصِفَت به على المجازِ للمُبالغَةِ، أو وصَفَها بأنَّها في أصلِ الجحيمِ، فإنَّه أبعدُ مكانٍ من الرَّحمةِ، أو بأنَّها مكروهَةٌ مُؤذيةٌ من قولِهم: طعامٌ ملعونٌ، لما كانَ ضارًّا، ففي الحديثِ: «لو أنَّ قطرةً مِنَ الزَّقُّومِ قطرَتْ في الدُّنيا لأمرَّتْ على أهلِ الأرضِ عيشَهُم، فكيفَ بمَنْ ليسَ له طعامٌ إلَّا الزَّقومَ؟!»[2] ذكرَهُ في «الدُّرِّ»[3].

قولُهُ: (أي: أخبِرْنِي) الكافُ لتَأكيدِ الخطابِ لا محلَّ لهُ من الإعرابِ، و﴿هذا﴾ مفعولٌ، و﴿الَّذي﴾ صفتُهُ، والمفعولُ الثَّاني محذُوفٌ لدلالَةِ صلتِهِ عليه، وهو: مكرَّماً عليَّ، والمعنى: أخبِرْني عن هذا الَّذي كرَّمتَهُ عليَّ بأمري بالسُّجودِ له، لم كرَّمتَهُ عليَّ؟.

قولُهُ: (لَامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ، وهو كلامٌ مبتدأٌ، وأثبتَ ياءَ (أخَّرتَنِي) نافعٌ وأبو عَمرٍو وصلاً، والمكيُّ مطلقاً[4].

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٧٥): هو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل، إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٠٤)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وأحمد في «مسنده» (٢٧٣٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٢).

٦٣ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى له: ﴿اذهَبْ﴾ مُنظَرًا إلى وقت النفخة الأُولى ـ ﴿فمَن تَبِعَكَ مِنهُم فإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُم﴾ أنت وهم ﴿جَزاءً مَوفُورًا﴾: وافرًا كاملاً ـ ٦٤ ـ ﴿واستَفزِزْ﴾: استخِفَّ ﴿مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ﴾: بدُعائك بالغِناء والمزامير وكُلّ داع إلى المعصية، ﴿وأجلِبْ﴾: صِحْ ﴿علَيهِم بِخَيلِكَ ورَجْلِكَ﴾ ـ وهم الرُّكّاب والمُشاة في المعاصي ـ ﴿وشارِكْهُم في الأمْوالِ﴾........................

قولُهُ: (مُنْظَرًا)[1] والظَّاهرُ أنَّ الأمرَ فيه وما بعدَهُ إذنيٌّ لظُهورِ المطيعِ والعاصِي، كما قالَهُ المحَليُّ في الشُّعراءِ عند قولِهِ: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [٤٣][2].

وفي «التَّوضيحِ»: جعلَهُ للاحتِقارِ والإهانَةِ[3]، ويشيرُ البَيضاويُّ بقولِهِ: وهو طردٌ وتخليةٌ بينه وبينَ ما سوَّلَت له نفسُه[4].

وقالَ الطَّحاويُّ: معناهُ عندَنا على الوَعيدِ الَّذي ظاهرُه الأمرُ وباطنُه النَّهيُ[5].

قولُهُ: (وَهم) فغلَّبَ المخاطَبَ.

قولُهُ: (وافِراً كَامِلاً) أو مكمَّلاً، من قولِهِم: فِرْ لصاحِبِكَ عرضَهُ، وانتصابُ ﴿جَزَاءً﴾ على المصدَرِ بإضمارِ فعلِه، أو بما في ﴿جَزَاؤُكُمْ﴾ من معنى تُجازَونَ.

قولُهُ: (اسْتَخِفَّ) والفَزُّ: الخفيفُ[6]؛ أي: احمِلهُم على الخفَّةِ والطَّيشِ بتركِ الصَّبرِ.

قولُهُ: (صِحْ) من الجلَبةِ، وهي الصِّياحُ.

قولُهُ: (وهُم الرُّكَّابُ) الظَّاهرُ أنَّ لإبليسَ خيلاً ورجالاً مِن الجنِّ، والمعنى: رخَّصَ له[7] التَّسلُّط بكلِّ ما يقدِرُ، والأمرُ أمرٌ قَدَريٌّ، أو تهديدٌ قضائيٌّ، كذا في بعضِ الحواشِي[8]، وقيل: الأوامرُ بمعنى: الأخبارِ، وقرأَ حفصٌ: ﴿رَجِلِكَ﴾ بالكَسرِ[9].

---

(١) في (د): «منتظرًا».

(٢) والذي قاله المحلي: فالأمر منه للإذن بتقديم إلقائهم توسلًا به إلى إظهار الحق.

(٣) انظر: «شرح التلويح على التوضيح» (١/ ٢٩٢)

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٦٠).

(٥) انظر: «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٢٠).

(٦) انظر: «لسان العرب» (٥/ ٣٩١).

(٧) في (م) و(د): «رخصة».

(٨) وانظر: «تفسير الإيجي» (٢/ ٤٠١).

(٩) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٥).

المُحرّمة كالربا والغصب ﴿والأولادِ﴾ من الزنى، ﴿وعِدْهُم﴾ أن لا بعثَ ولا جزاء - ﴿وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ﴾ بذلك ﴿إلاّ غُرورًا﴾: باطلاً - ٦٥ - ﴿إنَّ عِبادِي﴾ المُؤمنين ﴿لَيسَ لَكَ علَيهِم سُلطانٌ﴾: تسلّطٌ وقُوّة، ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾: حافظًا لهم منك!

٦٦ - ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزجِي﴾: يُجري ﴿لَكُمُ الفُلكَ﴾: السُّفن ﴿في البَحرِ لِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ تعالى بالتجارة - ﴿إنَّهُ كانَ بِكُم رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم - ٦٧ - ﴿وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: الشّدّة ﴿في البَحرِ﴾ خوفَ الغرق ﴿ضَلَّ﴾: غاب عنكم ﴿مَن تَدعُونَ﴾: تعبدون من الآلهة فلا تدعونه، ﴿إلاّ إيّاهُ﴾ تعالى - فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شِدّة لا يكشفها إلاّ هو - ﴿فلَمّا نَجّاكُم﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إلَى البَرِّ أعرَضتُم﴾ عن التوحيد. ﴿وكانَ الإنسانُ كَفُورًا﴾: جَحودًا للنِّعم.

٦٨ - ﴿أفأمِنتُم أن نَخسِفَ بِكُم جانِبَ البَرِّ﴾ أي: الأرضِ كقارونَ،..........

قولُهُ: (المُحَرَّمَةِ) بحملِهِم على كَسبِها وجمعِها مِن الحرامِ، والتَّصرُّفِ فيها على ما لا يَنبغِي.

قولُهُ: (مِنَ الزِّنَا) بالحثِّ على التَّوصُّلِ إلى الولدِ بالسَّببِ المحرَّمِ، وعلى الإشراكِ فيه بتسميتِهِ عبدَ العُزَّى مثلاً، وبالحَملِ على العقائدِ الزَّائغةِ، والحِرَفِ الذَّميمةِ، والأفعالِ القبيحَةِ.

قولُهُ: (أنْ لا بَعْثَ) وغيرَهُ مِن المواعيدِ الباطلَةِ كشفاعَةِ الآلهةِ والاتّكالِ على كرامَةِ الآباءِ وتَأخيرِ التَّوبةِ بطولِ الأمَلِ.

قولُهُ: (بَاطِلاً) الغرورُ: تَزْيينُ الخطأ بما يوهِمُ أنَّه صوابٌ[1].

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) المخلِصينَ.

قولُهُ: (تَسَلُّطٌ) على إغوائِهِم.

قولُهُ: (بالتِّجارَةِ) أي: الرِّبحِ وأنواعِ الأمتعَةِ الَّتي لا تكونُ عندَكُم.

قولُهُ: (خَوْفَ) تفسيرٌ لـ﴿الضُّرُّ﴾.

قولُهُ: (غَابَ) ذهبَ عن خَواطِرِكم.

قولُهُ: (تَعبُدُونَ) عن إغاثَتِكُم، أو: كلُّ مَن تَدْعونَهُ في حوادِثِكُم.

قولُهُ: (أي: الأَرْضِ) وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو بالنُّونِ فيه وفي الأربعةِ التي بعدَهُ[2].

---

(١) انظر: «الكليات» (ص: ٦٧٢)، و«لسان العرب» (٥/ ١٢).

(٢) أي: (نخسف) و(نرسل) و(نعيدكم) و(فنرسل) و(فنغرقكم)، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٦).

﴿أو نُرسِلَ علَيكُم حاصِبًا﴾ أي: نرميكم بالحصباء كقوم لُوط، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم وَكِيلاً﴾: حافظًا منه؟ ٦٩ ـ ﴿أم أمِنتُم أن نُعِيدَكُم فِيهِ﴾ أي: في البحر ﴿تارةً﴾: مرّة ﴿أُخرَى، فنُرسِلَ علَيكُم قاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحًا شديدة لا تمرّ بشيء إلاّ قصفته فتكسِرَ فُلْكَكُم، ﴿فنُغرِقَكُم بِما كَفَرتُم﴾: بكفركم، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم علَينا بِهِ تَبِيعًا﴾: ناصرًا وتابعًا يُطالبنا بما فعلنا بكم؟

٧٠ ـ ﴿ولَقَد كَرَّمْنا﴾: فضّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعِلم والنُّطق واعتدال الخَلق وغير ذلك، ومنه طهارتُهم بعد الموت، ﴿وحَمَلْناهُم في البَرِّ﴾ على الدوابّ ﴿والبَحرِ﴾ على السُّفن، ﴿ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، وفَضَّلْناهُم علَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفضِيلاً﴾. فـ «مَن» بمعنى: ما، أو على بابها

قولُهُ: (أي: تَرْمِيَكُم) يعني: ريحاً تحصُبُ؛ أي: تَرمِي بالحصْباءِ.

قولُهُ: (مِنْهُ) أي: الحاصِبِ.

قولُهُ: (قَصَفَتْهُ) كسَرَتهُ.

قولُهُ: (بكُفْرِكُم) أو كُفرانِكُم نعمَةَ الإنجاءِ[١].

قولُهُ: (يُطَالِبُنَا) يتبَعُنا بانتِصارٍ أو صَرفٍ.

قولُهُ: (بالعِلْمِ) والتَّمْييزِ بالعَقلِ والتَّمكُّنِ من الصِّناعاتِ.

قولُهُ: (اعْتِدَالِ الخَلْقِ) مِن المزاجِ والقامَةِ.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلِكَ) مِن حُسنِ الصُّورةِ والخطِّ والتَّهَدِّي إلى أسبابِ المعاشِ والمعادِ، والتَّسلُّطِ على ما في الأرضِ، ونحوِها ممَّا يَقِفُ الحصرُ دونَ إحصائِهِ، ومن ذلك ما ذكرَهُ ابنُ عبَّاسٍ[٢]: أنَّ كلَّ حَيوانٍ يتناوَلُ طعامَهُ بفِيهِ إلَّا الإنسانَ فإنَّه يرفعُهُ إليه بيدِهِ[٣]. وهو أعمُّ مِن أن يكونَ بمِلعَقَةٍ أو غيرِها.

قولُهُ: (ومِنهُ طَهَارَتُهم) وكذا دَفْنُهم.

قولُهُ: (أو عَلَى بَابِهَا) أي: بالغَلَبَةِ والاستِيلاءِ، أو بالشَّرفِ والكرامةِ، والمستثنَى جِنسُ الملائكَةِ.

---

(١) في (ص): «الإيجاد».

(٢) روى الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم يأكل بيده.
وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٥٥) نحوه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٩)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧١٩)، وبنحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٥٥).

وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيلَ أفراده إذ هم أفضل من البشر غيرَ الأنبياء.

٧١ ـ اذكرْ ﴿يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم﴾: بنبيّهم، فيقال: يا أُمّةَ فُلانٍ، أو بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشرّ ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿فمَن أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، وهم السُّعداء أولو البصائر في الدنيا، ﴿فأُولئِكَ يَقرَؤُونَ كِتابَهُم، ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾: قدْرَ قِشرة النواة، ٧٢ ـ ﴿ومَن كانَ في هذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أعمَى﴾ عن الحقّ ﴿فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى﴾ عن طريقِ النجاة وقراءةِ الكتاب، ﴿وأضَلُّ سَبِيلاً﴾: أبعدُ طريقًا عنه.

ونزل في ثقيفٍ، وقد سألوه ﷺ أن يُحرّم واديَهم وألحّوا عليه: ٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كادُوا﴾: قاربوا ﴿لَيَفتِنُونَكَ﴾: لَيَستَزِلّونكَ......................................

قولُهُ: (وتَشمَلُ المَلائِكَةَ) فالمستَثنَى الخَواصُّ منهم.

قولُهُ: (ولا يَلزَمُ) أي: مِن عدَمِ تفضيلِ الجِنسِ.

قولُهُ: (تَفضِيل أفرَادِهِ) أي: بعضِ أفرادِهِ، والمسألةُ مَوضِعُ نظرٍ، وقد أوَّلَ الكثيرَ بالكُلِّ، وفيه تعسُّفٌ.

قولُهُ: (إِذْ هُم) أي: خواصُّهُم كجبريلَ.

قولُهُ: (مِنَ البَشَرِ) أي: عوامِّ المؤمِنينَ كالصِّدِّيقِ وبقيَّةِ الأولياءِ والعُلَماءِ الصَّالحينَ، وهم أفضلُ مِن عوامِّ الملائكَةِ.

قولُهُ: (مِنْ نَبِيٍّ) أو مقدَّمٍ في الدِّينِ.

قولُهُ: (يا أُمّةَ فُلانٍ) قالَ السَّريُّ: إلّا أولياءَ اللهِ فإنَّهُم يُنادَونَ: يا أولياءَ اللهِ؛ هلُمُّوا إلى اللهِ سبحانه، فتكادُ قلوبُهُم تنخَلِعُ فَرَحاً. كذا في «تذكرةِ القرطبيِّ»[١].

قلتُ: وقلوبُ غيرِهِم تنقلِعُ حُزناً.

قولُهُ: (أو بكِتَابِ أعمَالِهِم) ويؤيِّدُه ما بعدَهُ؛ أي: تنقطِعُ عُلقةُ الأنسابِ وتَبقى نِسبةُ الأعمالِ.

قولُهُ: (قِشرَةِ النَّوَاةِ) تقدَّمَ أنَّ هذا معنَى القِطْميرِ[٢]، وأمَّا الفَتيلُ: فهو الخيطُ الَّذي في شقِّ النَّواةِ، يُضرَبُ به المثَلُ في الحقارَةِ.

قولُهُ: (عَنهُ) الظَّاهرُ: منه؛ أي: في الدُّنيا؛ لزَوالِ الاستِعدادِ.

قولُهُ: (قَارَبُوا) بمبالَغتِهِم أن يوقِعوكَ في الفتنَةِ.

---

(١) انظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص: ٥٥٨)، وانظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٩٥).

(٢) وذلك عند قوله: ﴿فتيلا﴾ [النساء: ٤٩].

﴿عَنِ الَّذِي أَوحَينا إِلَيكَ لِتَفتَرِيَ علَينا غَيرَهُ، وإِذًا﴾ لو فعلتَ ذلك ﴿لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، ولَولا أن ثَبَّتْناكَ﴾ على الحقّ بالعِصمة ﴿لَقَد كِدتَ﴾: قاربتَ ﴿تَركَنُ﴾: تميل ﴿إِلَيهِم شَيئًا﴾: رُكونًا ﴿قَلِيلاً﴾ لشِدّة احتيالهم وإلحاحهم. وهو صريح في أنه ﷺ لم يركَن ولا قارب. ٧٥ ـ ﴿إِذًا﴾ لو ركنتَ ﴿لَأَذَقْناكَ ضِعفَ﴾ عذابِ ﴿الحَياةِ وضِعفَ﴾ عذابِ ﴿المَماتِ﴾ أي: مِثلَي ما يُعذَّب به غيرُك في الدنيا والآخِرة، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ علَينا نَصِيرًا﴾: مانعًا منه.

ونزل لمّا قال له اليهود: «إن كنتَ نبيًّا فالحقْ بالشام، فإنها أرضُ الأنبياء»: ٧٦ ـ ﴿وإِنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كادُوا لَيَستَفِزُّونَكَ مِنَ الأرضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخرِجُوكَ مِنها، وإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لا يَلبَثُونَ خَلفَكَ﴾ فيها ﴿إلاّ قَلِيلاً﴾، ثمّ يُهلَكون،..

قولُهُ: (تَمِيلُ) أدنى مَيلٍ.

قولُهُ: (لَو رَكَنْتَ) الأحسنُ: لو قاربْتَ.

قولُهُ: (مِثْلَي ما نُعَذِّبُ) لأنَّ خطأَ الخَطيرِ أخطَرُ.

قولُهُ: (مِنهُ) أي: العَذابِ، ولمّا كانت القوّةُ بعدَ هذه الإذاقةِ في غايةِ البُعدِ عبَّر بـ﴿ثُمَّ﴾.

قولُهُ: (أَرْضِ المَدِينةِ) قيل: الآيةُ نزلَتْ في اليهودِ؛ حسَدوا مقامَ النبيِّ بالمدينةِ فقالوا: الشَّامُ مقامُ الأنبياءِ، فإن كنتَ نبيًّا فالحَقْ بها حتَّى نؤمنَ بك، فوقَعَ ذلك في قَلبِهِ[1].

وقالَ مجاهدٌ وقتادَةُ: الأرضُ أرضُ مكَّةَ، هَمَّ المشركونَ أن يُخرِجوهُ منها فكَفَّهم اللهُ عنه حتَّى أمرَهُ بالهجرَةِ، فخَرَجَ بنفسِهِ[2]، قالَ البغويُّ: وهذا أليَقُ بالآيةِ؛ لأنَّ ما قبْلَها خبرٌ عن أهلِ مكَّةَ، والسُّورةُ مكِّيَّةٌ. والاستفزازُ: الإزعاجُ بسُرعةٍ[3].

قولُهُ: (فِيهَا) أي: الأرضِ، والشَّاميُّ وحفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿خِلَافَكَ﴾[4]، وهو لغةٌ؛ أي: بعدَ خروجِكَ منها.

قولُهُ: (يُهلَكُونَ) بفتحِ الياءِ أو ضمِّها، وهو الأَوْلى.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٠) من قول ابن عباس رضي الله عنه.

وضعف ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٠٠) ذلك؛ لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٠) عن قتادة، ورواه (١٧/ ٥١٠) عن مجاهد مختصراً.

وذكره عنهما الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٠).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ١٤٨).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٨).

٧٧ ـ ﴿سُنَّةَ مَن قَد أرسَلْنا قَبلَكَ، مِن رُسُلِنا﴾ أي: كسُنّتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم، ﴿ولا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحوِيلاً﴾: تبديلاً.

٧٨ ـ ﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إلَى غَسَقِ اللَّيلِ﴾: إقبال ظُلمته، أي: الظُّهرَ والعصرَ والمغرِبَ والعِشاءَ، ﴿وقُرآنَ الفَجرِ﴾: صلاةَ الصُّبح ـ ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهُودًا﴾: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ـ ٧٩ ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فتَهَجَّدْ﴾: فصَلِّ ﴿بِهِ﴾: بالقُرآن ﴿نافِلةً لَكَ﴾: فريضةً زائدة لك دُون أُمّتك، أو فضيلةً على الصلوات المفروضة. ﴿عَسَى أن يَبعَثَكَ﴾: يُقيمَك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقامًا مَحمُودًا﴾: يَحمَدك فيه الأوّلون والآخِرون. وهو مُقام الشفاعة في فصل القضاء.

ونزل لمّا أُمر بالهِجرة: ٨٠ ـ ﴿وقُلْ: رَبِّ، أدخِلْني﴾ المدينةَ ﴿مُدخَلَ صِدقٍ﴾: إدخالاً مَرْضيًّا، لا أرى فيه ما أكره، ﴿وأخرِجْني﴾ من مكّةَ..

قولُهُ: (كَسُنَّتِنَا فِيهِم) أي: المخرَجينَ، أو نصبٌ على المصدَرِ؛ أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّةً، وهو أن يُهلِكَ كلَّ أمّةٍ أخرَجوا رسولَهُم من بين أظهُرِهِم، فالسُّنَّةُ للهِ، وإضافتُها إلى الرُّسلِ لأنَّها مِن أجلِهِم.

قولُهُ: (صَلاةَ الصُّبْحِ) سُمِّيَت قرآناً لأنَّه رُكنُها، كما سُمِّيت رُكوعاً وسُجوداً، ولأنَّ القراءَةَ يستحَبُّ الإطالَةُ فيها.

قولُهُ: (فَصَلِّ) أي: وبعضَ اللَّيلِ فاترُكِ الهُجودَ للصَّلاةِ.

قولُهُ: (لكَ) على الصَّلواتِ المفروضَةِ.

قولُهُ: (أَوْ فَضِيْلَةً) لك؛ لاختصَاصِ وجوبِهِ بك، أو: نافعةً لك، أو: لكَ فيها التَّخييرُ.

قولُهُ: (يَحْمَدُكَ فِيهِ) أو يحمدُهُ القائمُ فيه وكلُّ من عرفَهُ.

قولُهُ: (وهُوَ) على المشهورِ، وانتِصابُ ﴿مقاماً﴾ على الظَّرفِ بإضمارِ فعلِهِ؛ أي: فيقيمَكَ مَقاماً، أو بتَضمينِ ﴿يبعثَكَ﴾ معنى القيامِ، كما أشارَ إليه الشَّيخُ.

قولُهُ: (مِنْ مَكَّةَ) وقيل: إدخالُه مكَّةَ ظاهراً عليها وإخراجُه منها آمناً مِن المشركينَ.

وقيل: إدخالُه الغارَ وإخراجُه منه سالماً.

وقيل: أدخِلني في القَبرِ وأخرِجني منه عندَ البعْثِ إدخالاً مَرضيًّا وإخراجاً مُلقًّى بالكرامَةِ.

وقيلَ: إدخالُه فيما حمَّلَهُ من أعباءِ الرِّسالَةِ وإخراجُه منها مؤدِّياً حقَّه.

وقيل: إدخالُهُ في كلِّ ما يلابسُهُ مِن أمرٍ أو مكانٍ وإخراجُه منه.

﴿مُخرَجَ صِدقٍ﴾: إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها، ﴿واجعَلْ لِي مِن لَدُنكَ سُلطانًا نَصِيرًا﴾: قُوّة تنصرني بها على أعدائك. ٨١ ـ ﴿وقُلْ﴾ عِند دُخولك مكّة: ﴿جاءَ الحَقُّ﴾: الإسلامُ، ﴿وزَهَقَ الباطِلُ﴾: بَطَلَ الكُفر. ﴿إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا﴾: مُضمحلًّا زائلاً. وقد دَخلَها ﷺ، «وحَولَ البَيتِ ثلاثُمائَةٍ وسِتُّونَ صَنَمًا، فجَعَلَ يَطعُنُها بعُودٍ في يَدِهِ، ويَقُولُ» ذلك، حَتّى سَقَطَتْ. رواه الشيخان.

٨٢ ـ ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ﴾: للبيان ﴿القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ﴾..

قولُهُ: (قُوَّةً) أو حجَّةً.

قولُهُ: (عِندَ دُخُولِ مَكَّةَ) أي: بعدَ الفَتحِ.

قولُهُ: (بَطَلَ) وذهبَ، مِن زَهَقَ روحُه: إذا خرَجَ[١].

قولُهُ: (رَوَاهُ الشَّيخَانِ)[٢] وبقيَ صنمُ خُزاعَةَ فوقَ الكعبةِ، وكانَ مِن صُفْرٍ[٣] فقالَ: «يا عليُّ، ارمِ بهِ» فصعدَ فرمَى به فكسَرَهُ[٤].

قولُهُ: (للبَيَانِ) تقدَّمَ؛ أي: لبَيانِ ﴿ما﴾؛ فإنَّ كلَّهُ كذلك.

وقيل: إنَّه للتَّبعيضِ، والمعنى: أنَّ منه ما يشفي مِن المرَضِ كالفاتحةِ[٥] وآياتِ الشِّفاءِ[٦].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٠/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١) من حديث عبد بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أي: من النحاس. «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٥).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٤٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٦٤٤)، والبزار في «مسنده» (٧٦٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨٧) عن علي رضي الله عنه: «انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة، فصعد رسول الله ﷺ على منكبي، فنهض به علي، فلما رأى رسول الله ﷺ ضعفه قال له: «اجلس» فجلس، فنزل نبي الله ﷺ فقال: «اصعد على منكبي» فنهض به رسول الله ﷺ فقال علي: إنه ليخيل إلي أني لوشئت لنلت أفق السماء، فصعد علي الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأزيله يميناً وشمالاً، وقداماً ومن بين يديه، ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه» قال نبي الله ﷺ: «اقذفه» فقذفت به، فكسرته كما تكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الذهبي: إسناده نظيف والمتن منكر.

(٥) انظر ما رواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٦) لم أقف على نص ذكر فيه آيات الشفاء، وإنما نقل عن القشيري أنها ست آيات كما في رؤية رآها. انظر: «المدخل» لابن الحاج (٤/ ١٢١).

من الضلالة ﴿ورَحْمةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ به، ﴿ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿إلاّ خَسارًا﴾ لكُفرهم به، ٨٣ـ ﴿وإذا أنعَمْنا علَى الإنسانِ﴾: الكافر ﴿أعرَضَ﴾ عن الشُّكر، ﴿ونَأى بِجانِبِهِ﴾: ثنى عِطفه مُتبخترًا، ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشِّدّة ﴿كانَ يَؤُوسًا﴾: قَنوطًا من رحمة الله. ٨٤ـ ﴿قُلْ: كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿يَعمَلُ علَى شاكِلتِهِ﴾: طريقته. ﴿فرَبُّكُم أعلَمُ بِمَن هُوَ أهدَى سَبِيلاً﴾: طريقًا فيُثيبه.

٨٥ـ ﴿ويَسألُونَكَ﴾ أي: اليهودُ ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن. ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِن أمرِ رَبِّي﴾ أي: عِلمِه لا تعلمونه، ﴿وما أُوتِيتُم مِنَ العِلمِ إلاّ قَلِيلاً﴾ بالنسبة إلى عِلمه تعالى. ٨٦ـ ٨٧ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿شِئْنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذِي أوحَينا إلَيكَ﴾ أي: من القُرآنِ بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ علَينا وَكِيلاً، إلاّ﴾........

قولُهُ: (مِنَ الضَّلالَةِ) أي: ما هوَ في تقويمِ دينِهم واستِصلاحِ نفوسِهم كالدَّواءِ الشَّافي للمَرضى.

قولُهُ: (الكَافِرِ) بالصِّحةِ والسَّعةِ.

قولُهُ: (عَنِ الشُّكْرِ) والذِّكرِ.

قولُهُ: (ثَنَى) لوى، والعِطفُ: الجانبُ مِن يَمينٍ أو شمالٍ، أو بعَّدَ بنفسِهِ عن اللهِ كأنَّه مُستغنٍ مُستَبدٌّ بأمرِهِ، ويجوزُ أن يكونَ كنايةً عن الاستكبارِ؛ لأنَّه من عادةِ المستكبِرينَ.

وقرأ ابنُ ذكوانَ: (ناءَ)[1] على القلبِ، أو بمعنَى: نهَضَ.

قولُهُ: (والشِّدَّةُ) والمرَضُ.

قولُهُ: (طَرِيقَتِهِ) التي تُشاكِلُ حالَهُ في الهُدى والضَّلالةِ، وفي الحديثِ: «كلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ»[2]، وفي كلامِهِم: سبحانَ مَن أقامَ العبادَ فيما أرادَ، وفُسِّرتِ المشاكَلةُ بالطَّبيعةِ والعادةِ والدِّينِ.

قولُهُ: (أي: عِلْمِهِ) أي: ممَّا استأثرَ اللهُ بعلمِهِ.

قولُهُ: (لامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ.

قالَ تعالى: (﴿وَكِيلًا﴾) مَن يتوكَّلُ علينا استردادَهُ مسطُوراً محفوظاً ﴿إلَّا رحمةً﴾ فإنَّها إن نالَتْكَ فلعلَّها تستردُّهُ عليك، والأظهرُ: أنَّ الاستِثناءَ منقَطِعٌ بمعنَى: ولكن رحمةً مِن ربِّكَ تركتُه غيرَ مَذهوبٍ به، فيكونُ امتِناناً بإبقائهِ بعد المنَّةِ في تنزيلِهِ، وأشارَ الشَّيخُ إليه لفظاً ومعنًى.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

لكن أبقيناه ﴿رَحْمةً مِن رَبِّكَ. إنَّ فَضلَهُ كانَ علَيكَ كَبِيرًا﴾: عظيمًا حيثُ أنزله عليك، وأعطاك المَقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

٨٨ ـ ﴿قُلْ: لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ علَى أن يأتُوا بِمِثلِ هذا القُرآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة، ﴿لا يأتُونَ بِمِثلِهِ، ولَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرًا﴾: مُعينًا. نزل ردًّا لقولهم: «لَو نَشاءُ لَقُلنا مِثلَ هذا».

٨٩ ـ ﴿ولَقَد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صفةٌ لمحذوف، أي: مَثلاً من جِنس كُلِّ مَثل ليتّعظوا، ﴿فأبَى أكثَرُ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿إلاّ كُفُورًا﴾: جُحودًا للحق، ٩٠ ـ ﴿وقالُوا﴾ عطفٌ على «أبى»: ﴿لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنا مِنَ الأرضِ يَنبُوعًا﴾: عينًا ينبَعُ منها الماء، ٩١ ـ ٩٢ ـ ﴿أو تَكُونَ لَكَ جَنّةٌ﴾: بُستانٌ ﴿مِن نَخِيلٍ وعِنَبٍ، فتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَها﴾: وَسْطَها ﴿تفجِيرًا، أو تُسقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمتَ علَينا كِسَفًا﴾: قِطَعًا، ﴿أو تأتِيَ بِاللهِ والمَلائكةِ قَبِيلاً﴾: مُقابَلةً وعِيانًا فنراهم، ٩٣ ـ ﴿أو يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ﴾: ذهب، ﴿أو تَرقَى﴾: تصعدَ ﴿في السَّماءِ﴾ بسلّم، ﴿ولَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ ـ لو رقِيتَ فيها ـ ﴿حَتَّى تُنْزِلَ علَينا﴾ منها ﴿كِتابًا﴾، فيه تصديقك ﴿نَقرَؤُهُ. قُلْ﴾ لهم: ﴿سُبحانَ رَبِّي﴾! تعجّبٌ. ﴿هَل﴾: ما ﴿كُنتُ إلاّ بَشَرًا رَسُولاً﴾ كسائر الرسل؟ ولم يكونوا يأتون بآية إلاّ بإذن الله.

قولُهُ: (أَنْزَلَهُ) وأبقاهُ.

قولُهُ: (والبَلاغَةِ) وتعريفُها يُعرَفُ مِن علمِ المعاني.

قولُهُ: (بَيَّنَّا) أي: كرَّرنا بوجُوهٍ مختلفةٍ؛ زيادةً في التَّقريرِ والبَيانِ.

قولُهُ: (مِنْ جِنْسِ كُلِّ مَثَلٍ) أي: مِن كلِّ معنًى، هو كالمثَلِ في غرابتِهِ ووقوعِهِ موقعَهُ في الأنفُسِ.

قولُهُ: (يَنْبُعُ) ولا ينقطِعُ، وقرأ الكوفيُّ: (تَفْجُرَ) بالتَّخفيفِ[1].

قولُهُ: (قِطَعاً) نافعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ بالفتحِ[2].

قولُهُ: (ذَهَبٍ) وقُرِئَ بِهِ[3]، وأصلُه: الزِّينةُ.

قولُهُ: (تَعَجُّبٌ) مِن اقتراحاتِهِم، والأَولى: تعجِيبٌ.

قولُهُ: (يَأْتُوا) الظَّاهرُ: يأتونَ[4]، ولعلَّهُ يدلُّ على صِدقي في أنّي رسولٌ إليكم، أو على أنّي بلَّغتُ ما أرسِلتُ به إليكم وأنّكم عانَدتُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٩).

(٢) أي: فتح السين في ﴿كسفا﴾ وقرأ الباقون بإسكان السين. انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤١٠).

(٣) ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٢٨٣). (٤) وهكذا في المتن.

٩٤ ـ ﴿وما مَنَعَ النّاسَ أن يُؤمِنوا إذ جاءَهُمُ الهُدَى إلاّ أن قالُوا﴾ أي: قولُهم منكرين: ﴿أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾، ولم يَبعث ملَكًا؟ ٩٥ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كانَ في الأرضِ﴾ بدلَ البشر ﴿مَلائكةٌ، يَمشُونَ مُطمَئِنِّينَ، لَنَزَّلْنا علَيهِم مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾، إذ لا يُرسَل إلى قوم رسول إلاّ من جِنسهم ليُمكِنَهم مُخاطبتُه والفهم عنه. ٩٦ ـ ﴿قُلْ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيني وبَينَكُم﴾ على صِدقي! ﴿إنَّهُ كانَ بِعبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم.

٩٧ ـ ﴿ومَن يَهدِ اللهُ فهْوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُم أَولِياءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِه، ونَحشُرُهُم يَومَ القِيامةِ﴾ ماشين ﴿علَى وُجُوهِهِم عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، مأواهُم جَهَنَّمُ، كُلَّما خَبَتْ﴾: سكن لهبها ﴿زِدْناهُم سَعِيرًا﴾: تلهّبًا واشتعالاً. ٩٨ ـ ٩٩ ـ ﴿ذلِكَ جَزاؤُهُم بِأنَّهُم كَفَرُوا بِآياتِنا، وقالُوا﴾ منكرين للبعث: ﴿أإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا أإنا لَمَبعُوثُونَ خَلقًا جَدِيدًا؟ أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ﴾ مع عِظمهما ﴿قادِرٌ علَى أن يَخلُقَ مِثلَهُم﴾ أي: الأناسيّ في الصِّغر؟ ﴿وجَعَلَ لَهُم أجَلاً﴾ للموت والبعث، ﴿لا رَيبَ فِيهِ، فأبَى الظّالِمُونَ إلاّ كُفُورًا﴾: جُحودًا له.

١٠٠ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو أنتُم تَملِكُونَ خَزائنَ رَحْمةِ رَبِّيَ﴾ من الرِّزق والمطر ﴿إذًا لَأمسَكتُم﴾: لبخلتم ﴿خَشْيةَ الإنفاقِ﴾: خوفَ نفادها بالإنفاق فتفتقروا. ﴿وكانَ الإنسانُ قَتُورًا﴾: بخيلاً.

قولُهُ: (وظَوَاهِرِهِم) فيُجازيهِم، وفيه تسليةٌ لنبيِّهِ وأحبَّائِهِ وتهديدٌ لأعدائِهِ.

قولُهُ: (مَاشِينَ) أو مسحوبينَ.

قولُهُ: (سَكَنَ لهبُهَا) بأن أكلَتْ جلودَهُم ولحومَهُم.

قولُهُ: (تَلَهُّباً) بأن تُبدَلَ جلودُهُم ولحومُهُم [فتعودَ][1] ملتهبةً، كأنَّهم لمَّا كذَّبوا بالإعادَةِ بعد الإفناءِ جُوْزوا بأن لا يَزالوا على الإفناءِ والإعادةِ، وأشارَ إليه بقولِهِ: ﴿ذلكَ جزاؤهم﴾ لأنَّ الإشارَةَ إلى ما تقدَّمَ مِن عذابِهِم.

قولُهُ: (والبَعْثِ) الظَّاهرُ: أو.

قوله: (المَطَرِ) وسائرِ نعمِهِ.

قولُهُ: (بَخِيلاً) لأنَّ بناءَ أمرِهِ على الحاجةِ والضِّنَّةِ بما يَحتاجُ إليه، وملاحظَةِ الغرضِ[2] فيما يبذُلُ، هذا وإنَّ البُخَلاءَ أغلبُ فيهِم، وفي الحديثِ: «لو كانَ لابنِ آدمَ واديانِ مِن ذهَبٍ لابتَغَى ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ

---

(١) من «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٦٨).

(٢) كذا في النسخ، وفي «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٦٨): «العوض» وهو أولى.

١٠١ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى تِسعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: واضحات. وهي اليد والعصا والطوفان، والجراد والقُمّل والضفادع، والدم أو الطمس، والسِّنينُ ونقص الثمرات. ﴿فاسأَلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿بَني إسرائيلَ﴾ عنه سُؤالَ تقريرٍ للمُشركين على صِدقك ـ أو فقلنا له: اسأَلْ. وفي قراءة بلفظ الماضي ـ ﴿إذ جاءَهُم، فقالَ لَهُ فِرعَونُ: إنِّي لَأظُنُّكَ ـ يا مُوسَى ـ مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

١٠٢ ـ ﴿قالَ: لَقَد عَلِمتَ: ما أنزَلَ هؤُلاءِ﴾...

إلَّا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تابَ»[١] ففيهِ إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ بطبعهِ بخيلٌ إلَّا أن يتوبَ اللهُ عليه فيُخرِجَهُ عن هذه الصِّفةِ الذَّميمَةِ.

قوله: (والطَّمْسُ) أي: طمسُ أموالِهِم، والأظهرُ: الفَلْقُ، بدلَه.

قولُهُ: (والسِّنِينُ) أي: القَحطُ ونقصُ الثَّمراتِ، عدَّهُما واحِدةً؛ لأنَّهما في المعنى واحِدٌ، وكانَ حقُّه أن يذكرَهُما قبلَ الطُّوفانِ.

قولُهُ: (عَنهُ) أي: عن التِّسعِ.

قولُهُ: (سُؤَالَ تَقرِيرٍ) أي: سُؤالاً يحصلُ بجوابهِ تقريرٌ.

قولُهُ: (أو قلْنَا لَهُ) أي: لموسى (اسْأَلْ) أي: اطلُبْ بني إسرائيلَ مِن فرعونَ، وقل له: أرسلْ معيَ بني إسرائيلَ، وعلى هذا ضميرُ: ﴿إِذْ جَاءَهُم﴾ راجعٌ إلى فرعونَ وقومِهِ، وهو متعلِّقٌ بـ﴿قلْنَا﴾، وعلى الأوَّلِ إلى ﴿بني إسرائيل﴾ وهو متعلِّقٌ بـ﴿آتَينَا﴾.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) شاذَّةٍ تحتملُ الهمزَ[٢] والألفَ، وعبارةُ البيضاويِّ: ويؤيِّدُهُ قراءةُ رسولِ اللهِ ﷺ: «(فسَالَ)» على لفظِ المضيِّ بغيرِ همزٍ[٣]. محمولةٌ على أنَّها نُسِبَت إليه ﷺ ثمَّ انقطعَ تواتُرُها فصارَتْ شاذَّةً.

قولُهُ: (مَغْلُوبًا) أي: سُحِرْتَ فتخبَّطَ عقلُكَ.

قالَ تعالى: (﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾) أي: يا فرعَونُ، والكسائيُّ بالضمِّ[٤] على إخبارِهِ عن نفسِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

ورواه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) أي: (فَسَأَلَ) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨١) ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما. رواها عنه ابن جرير في «تفسيره» (١٧/ ٥٦٨)

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٦٨). وقد نقلها البيضاوي عن «الكشاف» (٥/ ١١٣)، ورواها ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٢٦٠) عن عكرمة.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١١).

الآياتِ ﴿إلاّ رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ بَصائرَ﴾: عِبَرًا، ولكنّك تعاند، وفي قراءة بضمّ التاء، ﴿وإنّي لأظُنُّكَ ـ يا فِرعَونُ ـ مَثبُورًا﴾: هالكًا أو مصروفًا عن الخير. ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ﴿فأرادَ﴾ فرعون ﴿أن يَستَفِزَّهُم﴾: يُخرجَ مُوسى وقومَه ﴿مِنَ الأرضِ﴾: أرض مصر، ﴿فأغرَقْناهُ ومَن مَعَهُ جَمِيعًا، وقُلْنا مِن بَعدِهِ لِبَني إسرائيلَ: اسكُنُوا الأرضَ. فإذا جاءَ وَعدُ الآخرةِ﴾ أي: الساعةِ ﴿جِئنا بِكُم لَفِيفًا﴾: جميعًا أنتم وهم.

١٠٥ ـ ﴿وبِالحَقِّ أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿وبِالحَقِّ﴾ المُشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أُنزل لم يعترِه تبديل، ﴿وما أرسَلْناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إلاّ مُبَشِّرًا﴾ مَن آمن بالجنة ﴿ونَذِيرًا﴾ مَن كفر بالنار، ١٠٦ ـ ﴿وقُرآنًا﴾: منصوب بفعل يُفسّره: ﴿فَرَقْناهُ﴾: نزّلناه مُفرّقًا في عشرين سنة أو وثلاثٍ ﴿لِتَقرأَهُ علَى النّاسِ علَى مُكثٍ﴾: مَهل وتُؤَدةٍ ليفهموه، ﴿ونَزَّلْناهُ تَنزِيلاً﴾ شيئًا بعد شيء على حسَب المصالح.

١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿آمِنُوا بِهِ أو لا تُؤمِنُوا﴾. تهديدٌ لهم. ﴿إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ﴾: قبلِ نُزوله ـ وهم مُؤمنو أهل الكِتاب ـ ....

قولُهُ: (عِبَراً) أي: بيِّناتٍ تبصرُكَ صِدْقِي، وانتصابُهُ على الحالِ.

قولُهُ: (مَصْرُوفاً عنِ الخيرِ) مَطبوعاً على الشَّرِّ، قارَعَ ظنَّه بظنِّهِ، وشتَّانَ ما بين الظَّنَّينِ، فظنُّ فرعونَ كَذِبٌ بَحتٌ، وظنُّ موسى يحومُ حولَ اليقينِ مِن تظاهُرِ أماراتِهِ.

قولُهُ: (أَرْضِ مِصْرَ) أو الأرضِ مطلقاً بالقتلِ والاستئصالِ.

قولُهُ: (السَّاعَةِ) أو الكَرَّةِ، أو الحياةِ، أو الدَّارِ الآخرةِ؛ يعني: قيامَ القيامَةِ.

قولُهُ: (جَمِيعاً) اللَّفيفُ: الجماعاتُ مِن قبائلَ شتَّى؛ أي: مختَلطينَ إيَّاكُم وإيَّاهُم، ثمَّ نحكُم بينكم ونميِّزُ سُعَداءَكم مِن أشقيائِكُم.

قولُهُ: (تَبْدِيلٌ) لا أوَّلاً ولا آخِراً.

قولُهُ: (مَهْلٍ) بفتحِ الهاءِ وسكونهِ (وتُؤَدَةٍ) بضمِّ التاءِ وفتحِ الهمزةِ؛ أي: تأنٍّ.

قولُهُ: (لِيَفْهَمُوهُ) فإنَّه أيسَرُ للحفظِ وأعوَنُ في الفتحِ؛ وقُرِئَ بالفتحِ[1].

قولُهُ: (تَهْدِيدٌ) راجعٌ إلى الأخيرِ بحسبِ اللَّفظِ، وأمَّا بحسبِ المعنى فلهما[2]؛ إذِ المعنى: أنَّ إيمانَكُم بالقرآنِ لا يزيدُه كمالًا، وامتناعَكُم عنه لا يورثُهُ نُقصاناً.

---

(١) أي: (مَكث) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨١) ونسبت لقتادة.

(٢) في النسخ: «فيهما»، والصواب المثبت.

﴿إذا يُتلَى علَيهِم يَخِرُّونَ لِلأذقانِ سُجَّدًا، ويَقُولُونَ: سُبحانَ رَبِّنا﴾: تنزيهًا له عن خُلف الوعد! ﴿إنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كانَ وَعدُ رَبِّنا﴾ بنزوله وبعث النبيّ ﴿لَمَفعُولاً. ويَخِرُّونَ لِلأذقانِ، يَبكُونَ﴾: عطفٌ بزيادة صفة، ﴿ويَزِيدُهُم﴾ القُرآنُ ﴿خُشُوعًا﴾: تواضعًا لله.

وكان ﷺ يقول: «يا أللهُ يا رَحمنُ»، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلـٰهَين، وهو يدعو إلـٰهًا آخَر معه. فنزلَ: ١١٠ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادعُوا اللهَ، أوِ ادعُوا الرَّحمنَ﴾ أي: سمّوه بأيّهما، أو نادُوه بأن تقولوا: يا ألله يا رحمن. ﴿أيًّا﴾: شرطيّةٌ ﴿ما﴾: زائدةٌ أي: أيَّ هذَينِ ﴿تَدعُوا﴾ فهو حسنٌ، دلّ على هذا: ﴿فلَهُ﴾ أي: فلمُسمّاهما ﴿الأسماءُ الحُسنَى﴾ وهذان منها.

قالَ تعَالى: (﴿يَخِرُّونَ﴾) أي: يسقُطونَ على الوَجهِ تعظيماً لأمرِ اللهِ، أرادَ مبالغَةً في الخُشوعِ، وهو تَعْفيرُ اللِّحى على التُّرابِ، أو ربَّما خرُّوا على الذَّقَنِ كالمغشيِّ عليه لخشيَةِ اللهِ، ونُقِلَ عن صاحبِ «الفرائدِ»: أنَّه مبالغةٌ في التَّحامُلِ على الجبهَةِ والأنفِ حتَّى كأنَّه يُلصِقُ الذَّقنَ بالأرضِ، وهذا حَسَنٌ جدًّا، كذا في «الكشفِ»[1].

قولُهُ: (بزِيَادَةِ صِفَةٍ) وهي البُكاءُ، فتكرارُهُ لاختلافِ الحالِ أو السَّببِ، فإنَّ الأوَّلَ للشُّكرِ عند إنجازِ الوَعدِ، والثَّاني بما أثَّرَ فيهم مِن مَواعظِ القرآنِ حالَ كُفرِهِم باكينَ مِن خَشيَةِ اللهِ.

قولُهُ: (القُرآنُ) سماعُه.

قولُهُ: (تَواضُعاً للهِ) لما يزيدُهُم عِلماً ويقيناً باللهِ.

قولُهُ: (أي: سَمُّوهُ بأَيِّهِمَا) فالمرادُ: التَّسويَةُ بين اللَّفظينَ بأنَّهما يُطلقانِ على ذاتٍ واحِدةٍ وإن اختلفَ اعتبارُ إطلاقِهِما، والتَّوحيدُ إنَّما هو للذَّاتِ الَّذي هو المعبودُ، والدُّعاءُ بمعنى التَّسميةِ يتعدَّى إلى مفعولينِ حُذِفَ أوَّلُهما استغناءً عنه و﴿أو﴾ للتَّخييرِ.

قولُهُ: (﴿ما﴾ زائِدَةٌ) لتَأكيدِ ما في «أيّ» مِن الإبهامِ.

قولُهُ: (أيْ: أيَّ هَذَينِ) والتَّنوينُ[2] عِوَضٌ عن المضافِ إليه.

قولُهُ: (أيْ: لمُسَمَّاهُمَا) لأنَّ التَّسميةَ له لا للاسمِ، وكونُ الأسماءِ حُسنى لدلالَتِها على الصِّفاتِ العُلى.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٩/ ٣٩٥). ومر التعريف بـ«الكشف» في أول الكتاب، أما الفرائد فهو «فرائد التفسير» لفصيح الدين محمد بن عمر المابرنابازي اختصر «الكشاف» مع زيادات نحوية وكلامية وأدبية. انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٢٤٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿أيًّا﴾.

فإنها كما في الحديث: «اللهُ الَّذِي لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ، العَزِيزُ الجَبّارُ المُتَكبِّرُ...

قولُهُ: (كَمَا فِي الحَدِيثِ) عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ للهِ تعالى تِسعَةً وتِسعِينَ اسمًا منْ أحْصَاهَا دَخَلَ الجنَّةَ»[1] أي: دخلَها دُخولاً أوّليًا، أو دخلَ أعلى منازِلها، ومعنى «أحْصَاهَا» قيل: عَدَّها وقرَأَها كَلِمةً كلمةً، وعَلِمَها وحَفِظَها وتدبَّرَ معانِيَها وتخلَّقَ بها.

قولُهُ: (اللهُ) المنقولُ: «هوَ اللهُ»[2] (الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هوَ) لكنَّ الاسمَ المعدودَ في هذه الجملةِ من أسماءِ اللهِ تعالى هو «اللهُ»، لا غيرُه من هو وإله، والجمهورُ على أنَّ الاسمَ الأعظَمَ هو اللهُ، قالَ القطبُ الرَّبّانيُّ والغوثُ الصَّمدانيُّ الشَّيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ: الاسمُ الأعظمُ هو اللهُ لكن بشرطِ أن تقولَ: اللهُ، ولا يكونَ في قلبكَ سواهُ.

(الرَّحمَنُ): أي: المنعِمُ الحقيقيُّ، تامُّ الرَّحمةِ عامُّ الإحسانِ، ولذا لا يُطلَقُ على غيرِهِ تعالى.

(الرَّحِيمُ): الَّذي خَصَّ رحمتَهُ الخاصَّةَ بخواصِّ عبادِهِ من المؤمنينَ.

(المَلِكُ): أي: ذو المُلكِ، وهو القُدرَةُ والتَّصرُّفُ.

(القُدُّوسُ): المنزَّهُ في نفسِهِ عن سِماتِ النُّقصانِ.

(السَّلامُ): أي: ذُو السَّلامةِ مِن كُلِّ آفةٍ ونَقيصَةٍ.

(المُؤمِنُ): الَّذي يصدُقُ عبادَهُ يومَ القيامةِ وَعدَهُ.

(المُهَيمِنُ): الرَّقيبُ المبالِغُ في المراقبَةِ والحِفظِ.

(العَزِيزُ): الغالبُ على أمرِهِ والَّذي تعذَّرَ الإحاطَةُ بوصفِهِ.

(الجَبَّارُ): الَّذي يقهرُ العِبادَ على ما أرادَ.

(المُتكبِّرُ): الَّذي يَرَى غيرَهُ حَقيراً بالإضافَةِ إلى ذاتِهِ، ولذلك لا يُطلَقُ على غيرِهِ إلَّا في معرِضِ الذَّمِّ.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٠٨)، والطبراني في «الدعاء» (١١١)، والحاكم في «المستدرك» (٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال الحاكم: هذا حديث قد خرجاه في «الصحيحين» بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافًا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب. ووافقه الذهبي.

الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ، الغَفّارُ القَهّارُ الوَهّابُ الرَّزّاقُ الفَتّاحُ العَلِيمُ، القابِضُ الباسِطُ الخافِضُ الرّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ، السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدلُ، اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ..............

(الخَالِقُ): أي: المبدِعُ والموجِدُ من غَيرِ أصلٍ.

(البَارِئُ): الَّذي خلَقَ الخلقَ بُرآء من التَّفاوتِ.

(المُصَوِّرُ): مُبدِعُ صُورِ المختَرَعاتِ ومُزَيِّنُها ومُرتِّبُها.

(الغَفَّارُ): كثيرُ الغُفرانِ باعتبارِ الكمِّيَّةِ.

(القَهَّارُ): هو الَّذي لا مَوجودَ إلَّا وهو مَقهورٌ تحت قُدرتِهِ ومُسخَّرٌ لقضائِهِ وقَدرِهِ.

(الوَهَّابُ): دائمُ العطاءِ والهبَةِ الحقيقيَّةِ الخاليَةِ عن الأعراضِ والأَغراضِ.

(الرَّزَّاقُ): أي: خالقُ الأرزاقِ ومُعْطيها[1]، والأسبابِ الَّتي يُتمتَّعُ بها.

(الفَتَّاحُ): الَّذي يفتَحُ خزائنَ الرَّحمةِ.

(العَلِيمُ): المحيطُ عِلمُهُ بالأشياءِ ظاهِرِها وباطِنِها.

(القَابِضُ البَاسِطُ): مُضيِّقُ الرِّزقِ وموسعُهُ.

(الخَافِضُ الرَّافِعُ): يخفِضُ أعداءَهُ بالإبعادِ، ويرفعُ أولياءَهُ بالإسعادِ.

(المُعِزُّ المُذِلُّ): يُعِزُّ من يشاءُ بالطَّاعةِ، ويُذِلُّ من يريدُ بالمعصيَةِ.

(السَّمِيْعُ): مُدرِكُ المسمُوعاتِ حالَ حُدوثِها.

(البَصِيرُ): مدرِكُ المبصَراتِ حالَ وجودِها.

(الحَكَمُ): الَّذي لا مُعقِّبَ لحكمِهِ.

(العَدْلُ): البالِغُ في العَدلِ.

(اللَّطِيفُ): البَرُّ بعبادِهِ باللُّطفِ الخَفيِّ.

(الخَبِيرُ): العالِمُ ببواطِنِ الأشياءِ.

(الحَلِيمُ): الَّذي لا يعجِّلُ بالعُقوبَةِ.

(العَظِيمُ): كبيرُ القَدرِ عليُّ الرُّتبةِ.

(الغَفُورُ): كثيرُ المغفرَةِ بحسَبِ الكيفيَّةِ.

---

(١) في (م) و(د): «ومعظمها».

الشَّكُورُ، العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ، الواسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ، الباعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ،..............

(الشَّكُورُ): الَّذي يُعطي الجزيلَ على القَليلِ.

(العَلِيُّ): البالِغُ في عُلوِّ الرُّتبةِ بحيثُ لا رتبَةَ إلَّا وهي منحطَّةٌ عن رتبتِهِ.

(الكَبِيرُ): عن مشاهدَةِ الحَواسِّ وإدراكِ العُقولِ.

(الحَفِيظُ): يحفظُ الموجوداتِ عن الزَّوالِ والاختلالِ مدَّةَ ما شاءَ من الأحوالِ.

(المُقِيتُ): خالِقُ الأقواتِ الصُّوريَّةِ والمعنَويَّةِ وموصِلُها إلى الأشباحِ والأرواحِ.

(الحَسِيبُ): الكافي، أو المحاسِبُ للخَلائقِ.

(الجَلِيلُ): المنعوتُ بنُعوتِ الجلالِ، والحاوي لجَميعِها.

(الكَرِيمُ): هو الجَوادُ المُعطي الَّذي لا ينفَدُ عطاؤُهُ.

(الرَّقِيبُ): الذي يعلَمُ أحوالَ العبادِ.

(المُجِيبُ): الَّذي يُجيبُ من دَعاهُ.

(الوَاسِعُ): الَّذي وَسِعَ غِناهُ كلَّ فَقيرٍ، ورحمتُهُ وسعَت كلَّ شيءٍ.

(الحَكِيمُ): مبالغَةُ الحاكِمِ، أو: ذو الحكمَةِ، وهي عبارَةٌ عن كَمالِ العلمِ وإحسانِ العمَلِ.

(الوَدُودُ): محبوبٌ في القُلوبِ ومُحِبٌّ لأوليائِهِ.

(المَجِيدُ): الموصوفُ بشرفِ الذَّاتِ وحُسنِ الفِعالِ.

(البَاعِثُ): للرُّسلِ، أو: من في القُبورِ.

(الشَّهِيدُ): مِن أبنيَةِ المبالغَةِ في فاعلٍ، من الشُّهودِ وهو الحضورُ.

(الحَقُّ): هو الَّذي تحقَّقَ وتيقَّنَ وجودُهُ من غيرِ شكٍّ.

(الوَكِيلُ): العالمُ بأمورِ العبادِ، مَن توكَّلَ عليه كفاهُ، ومَن استَغنى به أغناهُ عمَّا سواهُ.

(القَوِيُّ): الكامِلُ في القوَّةِ لا يعجَزُ بحالٍ من الأحوالِ.

(المَتِينُ): شديدُ القوَّةِ لا يضعُفُ عمَّا يُريدُ.

(الوَلِيُّ): المحِبُّ النَّاصِرُ.

(الحَمِيدُ): المحمودُ على كُلِّ حالٍ.

المُحصِي المُبدِئُ المُعِيدُ المُحيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ، الواجِدُ الماجِدُ الواحِدُ الأحَدُ الصَّمَدُ، القادِرُ المُقتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، الأوَّلُ الآخِرُ الظاهِرُ الباطِنُ.......................

(**المُحْصِي**): العالِمُ الَّذي يُحصِي المعلوماتِ.

(**المُبْدِئُ**): المظهِرُ للأشياءِ من العدمِ إلى الوُجودِ.

(**المُعِيدُ**): هو الَّذي يُعِيدُ الخلقَ بعد الحياةِ إلى المماتِ في الدُّنيا، وبعدَهُ إلى الحياةِ في الآخِرةِ.

(**المُحْيِي المُمِيتُ**): يُحيي الأشياءَ ويميتُها.

(**الحَيُّ**): الباقي أزلاً وأبداً.

(**القَيُّومُ**): القائمُ بنفسِهِ، المقيمُ لغيرِهِ.

(**الوَاجِدُ**): الَّذي يجدُ كلَّ ما يريدُه ولا يفوتُه شيءٌ.

(**المَاجِدُ**): من المجدِ وهو سعَةُ الكرمِ.

(**الوَاحِدُ**): هو المتفرِّدُ بالذَّاتِ لا شريكَ له.

(**الأَحَدُ**): المتفرِّدُ بالصِّفاتِ لا مشارِكَ له.

واعلم: أنَّ في «جامعِ الأصُولِ»: لفظُ «الأحدِ» بعدَ «الواحدِ» موجودٌ[1]، ولم يوجَد في «جامعِ التِّرمذيِّ»[2]، فكانَ حقُّ الشَّيخِ أن لا يذكرَهُ كما في بعضِ النُّسخِ؛ لأنَّهُ نسَبَ الحديثَ إلى التِّرمذيِّ، وأيضاً بدونِه يصِحُّ العددُ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُعدَّا اسماً واحداً.

(**الصَّمَدُ**): الَّذي يُصمَد إليه في الرَّغائبِ ويقصَدُ إليه في المراتبِ.

(**القَادِرُ المُقتَدِرُ**): معناهُما: ذو القُدرَةِ، إلَّا أنَّ الثَّانيَ أبلَغُ.

(**المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ**): الَّذي يقدِّمُ ويؤخِّرُ، ومن قرَّبَهُ فقد قدَّمَهُ، ومن بعَّدَهُ فقد أخَّرهُ.

(**الأَوَّلُ**): القديمُ بلا ابتِداءٍ.

(**الآخِرُ**): الباقِي بلا انتِهاءٍ.

(**الظَّاهِرُ**): بصفاتِهِ ومصنوعاتِهِ.

(**البَاطِنُ**): بحقيقَةِ ذاتِهِ.

---

(١) انظر: «جامع الأصول» (٤/ ١٧٣).

(٢) أي: لفظ الأحد. «سنن الترمذي» (٣٥٠٧).

الوالي المُتعالِي، البَرُّ التَّوّابُ المُنتَقِمُ العَفُوُّ الرَّؤُوفُ، مالِكُ المُلكِ ذُو الجَلالِ والإكرامِ، المُقسِطُ الجامِعُ الغَنِيُّ المُغني المانِعُ الضّارُّ النّافِعُ، النُّورُ الهادِي البَدِيعُ الباقِي الوارِثُ.........................

(الوَالِي): الَّذي تولَّى[1] الأمورَ.

(المُتَعالِي): البالِغُ في العُلا المرتَفِعُ عن النَّقصِ.

(البَرُّ): المحسِنُ بالبِرِّ إلى البَرِّ والفاجِرِ.

(التَّوَّابُ): الَّذي يقبَلُ توبةَ عبادِهِ مرَّةً بعد أُخرى.

(المُنتَقِمُ): المعاقِبُ للعُصاةِ.

(العَفُوُّ): الماحي للسَّيِّئاتِ.

(الرَّؤُوفُ): ذو الرَّأفَةِ، وهو أبلَغُ من الرَّحمَةِ.

(مَالِكُ المُلْكِ): الَّذي يُنفِذُ مشيئتَهُ في ملكِهِ.

(ذُو الجَلالِ والإكْرَامِ): الَّذي لا شَرَفَ ولا كمالَ إلَّا وهو له، ولا كرامَةَ ولا مكرُمَةَ إلَّا وهي منه.

(المُقسِطُ): الذي ينتَصِفُ للمَظلومينَ من الظَّالمينَ.

(الجَامِعُ): الَّذي يجمَعُ الخلائقَ ليومِ الحِسابِ، أو الجامِعُ لأوصافِ الحمْدِ.

(الغَنِيُّ): المستَغني عن كلِّ شيءٍ في كلِّ شيءٍ.

(المُغْنِي): يغني من شاءَ بغِناهُ عمَّا سِواهُ.

(المَانِعُ): يمنعُ مَن يستَحِقُّ المنعَ، لا مُعطيَ لما مَنعَ ولا مانعَ لما أعطَى.

(الضَّارُّ النَّافِعُ): خالقُ الضُّرِّ والنَّفعِ.

(النُّورُ): الظَّاهرُ بنفسِهِ المظهِرُ لغيرِهِ.

(الهَادِي): هو الَّذي أعطَى كلَّ شيءٍ خلْقَهُ ثمَّ هَدى خاصَّتَهُ إلى معرفةِ ذاتِهِ، فاطَّلعُوا بها على معرفَةِ مصنُوعاتِهِ، وهدى عامَّةَ خلقِهِ إلى مخلوقاتِهِ فاستَشْهَدوا بها على معرفةِ ذاتِهِ وصفاتِهِ.

(البَدِيعُ): الَّذي لا مِثلَ له في ذاتِهِ ولا نَظيرَ له في صفاتِهِ.

(البَاقِي): الدَّائمُ الوجودِ الَّذي لم يقبلِ الفَناءَ.

(الوَارِثُ): الباقي بعدَ فناءِ الخَلقِ.

---

(١) في (ص) زيادة: «جميع».

الرَّشِيدُ الصَّبُورُ». رواه التِّرمذيّ.

قال تعالى: ﴿ولا تَجهَرْ بِصَلاتِكَ﴾: بقِراءتك فيها، فيسمعَك المُشركون فيسبّوك ويسبّوا القُرآن ومَن أنزله، ﴿ولا تُخافِتْ﴾: تُسِرَّ ﴿بِها﴾ لينتفع أصحابك، ﴿وابتَغِ﴾: اقصِدْ ﴿بَينَ ذلِكَ﴾: الجهرِ والمُخافتةِ ﴿سَبيلاً﴾: طريقًا وسَطًا.

١١١ ـ ﴿وقُلِ: الحَمدُ للهِ الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ﴾: في الألوهيّة، ﴿ولَم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى ناصر. ﴿وكَبِّرْهُ تكبِيرًا﴾: عظّمْه عظمة تامّة عن اتّخاذ الولد والشريك والذلّ وكُلّ ما لا يليق به. وترتيبُ الحمد على ذلك للدلالة على أنه المُستحقّ لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرّده في صِفاته.

روى الإمام أحمد في «مُسنده» عن مُعاذ الجُهنيّ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آيةُ العِزِّ: الحَمدُ للهِ الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ» إلى آخر السورة. والله ـ تعالى ـ أعلم.

* * *

قال مُؤلّفه: هذا آخِرُ ما كمّلتُ به تفسير القُرآن الكريم الذي ألّفه الشيخ الإمام العلاّمة المُحقّق جلال الدين المحلّيّ الشافعيّ رحمه الله، وقد أفرغتُ فيه جُهدي وبذلت فكري فيه في نفائسَ أراها

(الرَّشِيدُ): الَّذي أرشَدَ الخَلقَ إلى مصالِحِهم وهَداهُم ودلَّهُم عليها.

(الصَّبُورُ): الَّذي لا يستَعجِلُ في مؤاخَذةِ العُصاةِ.

واللهُ أعلمُ بمعاني أسمائِهِ الحُسنَى وصفاتِهِ العُلَى، ومن أرادَ الاستِقصاءَ فعليهِ بمثلِ «مقصدِ الأسنى»[1]، وإنَّما ذَكَرنا هذه النُّبذَةَ؛ لأنَّ ما لا يُدرَكُ كلُّه[2] لا يُترَكُ كلُّه.

قولُهُ: (بِقِرَاءَتِكَ فيهَا) الأظهرُ: بقراءَةِ صَلاتِكَ.

قولُهُ: (فَيَسُبُّوكَ) أو يحملَهُم على اللَّغوِ.

قولُهُ: (وَسَطاً) فإنَّ الاقتِصادَ في جميعِ الأمرِ محبوبٌ.

قولُهُ: (أفرَغْتُ جُهْدِي) بالضَّمِّ أو الفتحِ؛ أي: بالغْتُ.

قولُهُ: (أُرَاهَا) بضمِّ الهمزةِ أو فَتحِها.

---

(١) انظر: «المقصد الأسنى» للغزالي (ص: ٦٠ ـ ١٤٩).

(٢) في (ص): «جله».

-إن شاء الله تعالى - تُجدي، وألّفتُه في مُدّةٍ قدرِ مِيعاد الكليم، وجعلتُه وسيلة للفوز بجنّات النعيم. وهو في الحقيقة مُستفاد من الكتاب المُكمَّل، وعليه في الآي المُتشابهة الاعتمادُ والمُعوَّل. فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه. وقد قلتُ:

حَمِدتُ اللهَ رَبِّي، إذْ هَداني ... لِما أبدَيتُ مَعْ عَجزِي وضَعفِي

فمَن لِي بالخَطا، فأُرَدَّ عَنهُ؟ ... ومَن لِي بالقَبُولِ، ولَو بِحَرفِ؟

هذا، ولم يكن قطّ في خَلَدي أن أتعرّض لذلك، لعِلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك. وعسى الله أن ينفعَ به نفعًا جمًّا، ويفتحَ به قُلوبًا غُلْفًا وأعيُنًا عُميًا وآذانًا صُمًّا. وكأنّي بمن اعتاد بالمطوّلات، ....

قولُهُ: (تُجْدِي) أي: تنفعُ.

قولُهُ: (مِيعَادِ الكَلِيمِ) أربعينَ، وقدِ اتَّفقَ لي الوصولُ إلى هذا المقامِ في هذا القَدرِ من الأيّامِ من جُملَتِها أيّامُ رمضانَ المعظَّمةُ بمكّةَ المشرَّفةِ المكرَّمةِ.

قولُهُ: (المُكَمَّلِ) يعني: مُؤلَّفَ المحلِّيِّ.

قولُهُ: (فأَطْلَعَنِي) أو نبَّهَ بالتَّحْشيةِ عليه.

قولُهُ: (فأُرَدَّ) أي: أرجِعَ وأعودَ.

قولُهُ: (خَلَدِي) بالتَّحريكِ: البالُ والقلبُ والنَّفسُ.

قولُهُ: (لِذَلِكَ) التَّأليفِ.

قولُهُ: (لعِلْمِي بالعَجْزِ) إمَّا تواضُعٌ أو نَظَرٌ إلى الحقيقةِ وكُنهِ هذا العِلمِ.

قولُهُ: (جَمًّا) أي: كثيراً، وقدِ استَجابَ اللهُ دعاءَهُ في هذا المقامِ فانتفَعَ به الخاصُّ والعامُّ.

قولُهُ: (وَكَأنِّي بمَنِ اعتَادَ) أي: بمن ابتُلي[1] به.

قولُهُ: (بالمُطَوَّلاتِ) بتطويلِ غرائبِ الإعراباتِ، والقِراءاتِ الشَّاذَّاتِ، والرِّواياتِ غيرِ الثَّابتاتِ، والخلافيَّاتِ في العقائدِ والفقهيَّاتِ، ممَّا محلُّهُ الكتبُ المبسوطاتُ، والحكميَّاتُ والفلكيَّاتُ الَّتي فيها تضييعُ الأوقاتِ.

---

(١) في النسخ عدا (ص): «أي مبتلى».

وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلِها حسمًا، وعدل إلى صريح العِناد ولـم يوجّه إلى دقائقها فهمًا: (ومَن كانَ في هذِهِ أعمَى فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى).

رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحقّ وتوفيقًا، واطّلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به (مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ علَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصّالِحِينَ. وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا)!

وفُرِغ من تأليفه يومَ الأحد عاشرِ شوّالِ سنة سبعين وثمانِيمِائَةٍ، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مُستهلِّ رمضانَ من السنة المذكورة، وفُرِغ من تبييضه يومَ الأربعاء سادسِ صفر سنة إحدى وسبعين وثمانِيمِائَةٍ، على يد مؤلفه العلاّمة جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي[٢].

قولُهُ: (أَضْرَبَ) أي: أعرَضَ.

قولُهُ: (حَسْماً) أي: إعراضاً كلِّيًّا بقَطعِ الالتِفاتِ ولو إجماليًّا.

قولُهُ: (وعَدَلَ) عن الإنصَافِ.

قولُهُ: (إلى صَرِيْحِ العِنَادِ) بالطَّعنِ فيه بعدمِ تحقيقِ مَعانيهِ وتدقيقِ مبَانيهِ[١].

قولُهُ: (ولَم يُوَجِّه) الأظهرُ: ولم يتَوَجَّه؛ ليكونَ (فَهْماً) تمييزاً.

قولُهُ: (فِي هَذِهِ) إشارةٌ بطريقِ الإشارَةِ إلى التَّكمِلةِ.

قولُهُ: (فِي الآخِرَةِ) أي: في المطوَّلاتِ؛ لأنَّ المدارَ على الأساس، وبتَضييعِ الأُصُولِ وتحصيلِ الفضولِ ضاعَ أكثرُ النَّاس.

قولُهُ: (بِهِ) أي: بالقُرآنِ.

قولُهُ: (إلَى سَبِيْلِ الحَقِّ) اعتِقادًا وعِلماً وعَملاً.

---

(١) في (د): «مبانيه وتدقيق معانيه».

(٢) كذا وقع في النسخة المحققة لفضيلة الأستاذ المحقق الدكتور فخر الدين قباوة، والذي وقفنا عليه في جملة من الأصول الخطية هو الآتي بين معكوفتين، ثم نتبعه بما كتبه عليه الملا علي القاري في حاشيته هذه المسماة بـ«الجمالين»:

[قال مؤلفه: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلى الشافعي رضي الله عنه وقد أفرغت لمكملٍ وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول فرحم الله امرءاً نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت حمدت الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزي وضعفي فمن لي بالخطأ فأرد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعًا جمًّا ويفتح به قلوبًا غلفًا وأعينًا وآذانًا صمًّا وكأني بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسمًا وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهمًا ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقًا واطلاعًا على دقائق =

= كلماته وتحقيقًا وجعلنا به ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا﴾ وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة وكان الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم.

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطفٍ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقاتٍ كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك، وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتةٍ وهي يسيرةٌ جدًّا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع منها: أن الشيخ قال في سورة ص: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولًا فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها، ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت: أو النصارى بيانًا لقولٍ ثانٍ فإنه المعروف خصوصًا عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم، وفي شرحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثًا فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب].

قال العلامة الملا علي القاري:

قولُهُ: (فنُمْسِكُ) بالنُّونِ معلوماً، أو الياءِ مجهولاً، وفيه أنَّه قد ورَدَ في الأحاديثِ خروجُ الرُّوحِ ودخولُها، وبهذا يثبتُ ما ذكرَهُ الشَّيخُ، وأمَّا حقيقَةُ الرُّوحِ فلا يعلمُها إلَّا اللهُ.

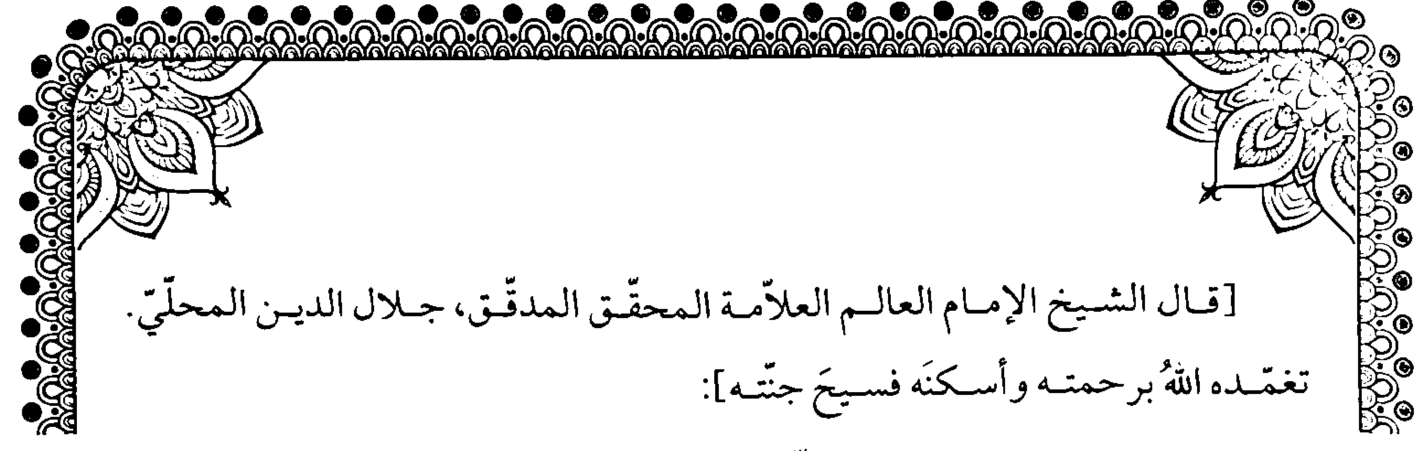
قولُهُ: (فِرقَةٌ مِن النَّصارَى) وغفلَ المصنِّفُ عن هذه الفائدةِ في المائدةِ، واقتصَرَ على أنَّهم طائفةٌ مِن اليهودِ ونبَّهنا عليها هناك أيضاً.

ثم جاء في حاشية الملا علي القاري زيادة لعلها وقعت في نسخته الخطية من كتاب الجلالين التي اعتمدها الشرح:

قولُهُ: (يَتْلُوهُ) تفسيرُ المحلِّيِّ، وبتمامِهِ يكونُ التَّفسيرُ جلالينِ؛ أي: مؤلِّفُهُما، على حذفِ المضافِ، أو يُتِمُّ الجلالينِ؛ أي: تفسيرَ هُما.

وجاء بعدها في النسختين (ن) و(د): «واللهُ تعالى أعلمُ بالصَّوابِ، وإليهِ المرجعُ والمآبُ، والحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، وحسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا ومولانا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيراً دائماً أبداً إلى يومِ الدِّينِ، وهذا انتهاءُ النِّصفِ الأوَّلِ وأوَّلُ النِّصفِ الثَّاني».

وفي (ص): «تم النصف الأول بحمده وعونه وحسن توفيقه وصلاة وسلاماً على النبي وآله».



[قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة المحقق المدقّق، جلال الدين المحلّيّ. تغمّده اللهُ برحمته وأسكنَه فسيحَ جنّته]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

١٨ - سُورَةُ الكَهْفِ

مكية إلاّ «واصبرْ نفسك» الآيَةَ، مِائَةٌ وعشرُ آيات أو خمسَ عشْرةَ.

١ ـ ﴿**الحَمدُ**﴾، هو الوصف بالجميل ثابت ﴿ **للهِ**﴾ تعالى ـ وهل المُراد الإعلامُ بذلك للإيمانِ به أوِ الثناءِ به أو هما؟ احتمالاتٌ، أفيَدُها الثالث ـ ﴿**الَّذِي أنزَلَ علَى عَبدِهِ**﴾ مُحمّد ﴿**الكِتابَ**﴾: القُرآنَ، ﴿**ولَم يَجعَلْ لَهُ**﴾ أي: فيه ﴿**عِوَجًا**﴾: اختلافًا وتناقُضًا ـ والجملة: حال من الكتاب ـ ٢ ـ ٣ ـ ﴿**قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا،

سُورَةُ الكَهْفِ

قولُهُ: (الشَّيخَ) أي: الجلالَ المحلِّيَّ.

قولُهُ: (أوِ الثَّنَاءِ) أي: ثناؤُهُ لذاتِهِ.

قولُهُ: (الثَّالِثُ) أو تلقينٌ للنبيِّ وأمَّتِهِ، فيُقدَّرُ قبلَهُ: قولوا.

قولُهُ: (مُحَمَّدٍ) قيل: العَبدُ: الَّذي لا يَرى غير سيِّدِه.

وقيل: العبدُ: هو المتخلِّقُ بأخلاقِ سيِّدِه.

قولُهُ: (القُرْآنَ) رتَّبَ استحقاقَ الحَمدِ على إنزالِهِ تنبيهاً على أنَّه أعظمُ نعمائِهِ، وذلك لأنَّه الهادِي إلى ما فيه كمالُ العباد، والدَّاعي إلى ما ينتظِمُ به صلاحُ المعاشِ أو المعاد.

قولُهُ: (أي: فِيْهِ) فاللَّامُ بمعنى «في» كما في ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: ٩]، والظَّاهرُ: أنَّه على بابِهِ صلةٌ لـ «جعل» كما في كثيرٍ من المواضعِ.

قولُهُ: (تَنَاقُضاً) أي: ذا تناقُضٍ؛ أي: تَنافٍ في المعنى.

قولُهُ: (مُستَقِيماً) أي: مُعتَدلاً، لا إفراطَ فيه ولا تَفرِيطَ.

حالٌ ثانية مؤكّدة، ﴿لِيُنذِرَ﴾: يُخوّفَ الكتابُ الكافرين ﴿بأسًا﴾: عذابًا ﴿شَدِيدًا مِن لَدُنهُ﴾: من قِبَلِ الله، ﴿ويُبَشِّرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا حَسَنًا، ماكِثِينَ فِيهِ أبَدًا﴾ ـ هو الجنة ـ ٤ ـ ٥ ـ ﴿ويُنذِرَ﴾ مِن جُملة الكافرين ﴿الَّذِينَ قالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا. ما لَهُم بِهِ﴾: بهذا القول ﴿مِن عِلمٍ، ولا لِآبائِهِم﴾ من قبلهم القائلين له. ﴿كَبُرَتْ﴾: عظُمتْ ﴿كَلِمةً، تَخرُجُ مِن أفواهِهِم﴾! كلمة: تمييز مُفسِّر للضمير المُبهم،..............................

قولُهُ: (حَالٌ) من الضَّميرِ في ﴿لَهُ﴾ أو مِن: ﴿الكتاب﴾.

قولُهُ: (مُؤَكِّدَةٌ) لصَاحبِ الحالِ؛ لأنَّه يُفهَمُ منه بعدَ تقييدِهِ بالحالِ الأولى معنى الحالِ الثَّانيةِ، وقالَ الفاضلُ: الأولى أن يُقالَ: ﴿قَيِّماً﴾ بمعنى: قائماً بمنَافعِ النَّاسِ مُقَوِّماً لصلاحِهِم وفلاحِهِم، فهو كامِلٌ في نفسِهِ مُكمِّلٌ لغيرِهِ؛ لأنَّ التَّأسيسَ أولى مِن التَّأكيدِ.

ومن اللَّطائفِ: ما حكاهُ بعضُهُم من أنَّه سمِعَ شيخاً يُعرِبُ لتلميذِهِ فقالَ: ﴿قَيِّماً﴾ صفةٌ لـ﴿عِوَجًا﴾ فقلتُ له: يا هذا كيفَ يكونُ العِوَجُ قيِّماً؟

وترحَّمتُ على من وقَفَ من القُرَّاءِ على ألفِ التَّنوينِ في ﴿عوجاً﴾ وقفَةً لطيفةً دَفعاً لهذا الوَهمِ، والوقفَةُ اللَّطيفَةُ تُسمَّى: السَّكتَةَ، والواقفُ حفصٌ عن عاصمٍ[1] ـ يعني: حينَ الوصلِ ـ وإلَّا فالكلُّ يقفونَ وَقفاً كاملاً مع التَّنفُّسِ على ﴿عوجاً﴾.

قولُهُ: (﴿لينذرَ﴾) أي: الكتابُ، أو اللهُ، أو عبدُه.

قولُهُ: (الكَافِرِينَ) فحُذِفَ المفعولُ اكتفاءً بدلالَةِ القرينَةِ المقابلةِ بقولِه: ﴿وَيُبَشِّرَ المؤمِنِينَ﴾، واقتِصاراً على الغرضِ المسوقِ إليه؛ يعني: المنذَرَ به.

قولُهُ: (مِن قِبَلِ اللهِ) أي: صادراً من عندِه.

قولُهُ: (هُوَ الجَنَّةُ) أي: الأجرُ الحسنُ.

قولُهُ: (مِن جُملَةِ الكَافِرِينَ) خصَّهُم بالذِّكرِ وكرَّرَ الإنذارَ متعلِّقاً بهم استِعظاماً لكُفرِهم، ولم يُذكَرِ المنذَرُ به استغناءً بما تقدَّمَ ذكرُه.

قولُهُ: (بِهَذَا المَقُولِ) أو بالولدِ، أو باتِّخاذِهِ، ويحتملُ: باللهِ؛ إذ لو كانَ لهم به عِلمٌ لما قالوا ما قالوا.

قولُهُ: (تَمييزٌ) و﴿تخرجُ﴾ صفةٌ لها تفيدُ استِعظامَ اجترائِهم على النُّطقِ بها وإخراجِها مِن أفواهِهِم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٤٣).

والمخصوصُ بالذمّ محذوف، أي: مقالتُهم المذكورةُ. ﴿إن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إلاّ﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾.

٦ ـ ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ﴾: مُهلِكٌ ﴿نَفسَكَ علَى آثارِهِم﴾: بعدَهم، أي: بعدَ تولّيهم عنك، ﴿إن لَم يُؤمِنُوا بِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآنِ، ﴿أَسَفًا﴾: غيظًا وحُزنًا منك لحِرصك على إيمانهم. ونصبُه على المفعول له. ٧ ـ ﴿إنّا جَعَلْنا ما علَى الأرضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَها، لِنَبلُوَهُم﴾: لنختبرَ الناس ناظرِينَ إلى ذلك: ﴿أَيُّهم أحسَنُ عَمَلاً﴾ فيه، أي: أزهدُ له؟ ٨ ـ ﴿وإنّا لَجاعِلُونَ ما علَيها صَعِيدًا﴾: فُتاتًا ﴿جُرُزًا﴾: يابسًا لا يُنبِتُ.

٩ ـ ﴿أم حَسِبتَ﴾ أي: أظَننتَ ﴿أنَّ أصحابَ الكَهفِ﴾:...........................

قولُهُ: (والمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ) يعني: ﴿كَبُرَتْ﴾ هنا مِن أفعالِ الذَّمِّ بناءً على ما قالوا أنَّه أُلحِقَ بـ «نِعمَ» و«بِئسَ» كلُّ ما هو على زِنَةِ فعُلَ ـ بالضَّمِّ ـ نحو: ظَرُفَ وشَرُفَ وحَسُنَ ولَؤُمَ.

قالَ أبو البقاءِ: ﴿كَلِمَةً﴾ تمييزٌ، والفاعلُ مضمرٌ؛ أي: كبُرَتْ مقالَتُهم[1].

وكذا قولُ البَيضاويِّ: عظُمَتْ مقالَتُهم هذه في الكُفرِ، و﴿كَلِمَةً﴾ نَصبٌ على التَّمييزِ، وقُرِئَ بالرَّفعِ على الفاعليَّةِ[2].

قولُهُ: (عَنْكَ) وعن الإيمانِ بك.

قولُهُ: (عَلَى المَفعُولِ لَهُ) أو الحالِ؛ أي: متأسِّفاً عليهم.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلِكَ) كالمعادِنِ.

قولُهُ: (فِيْهِ) أي: في تَعاطيهِ، وهو مَن زَهِدَ فيه ولم يغترَّ به، وقَنِعَ منهُ بما يدفعُ به أيَّامَهُ، وصرَفَهُ على ما يَنبَغي.

قولُهُ: (فُتَاتاً) تَزهيدٌ فيه.

قولُهُ: (يَابِساً لا يُنبِتُ) لا يلائمُ ما عليها بل يناسِبُها، ولذا قيلَ: بحَذفِ المضافِ؛ أي: مُنبِت ما عليها ﴿صعيداً﴾ أي: خالياً أو تُراباً ﴿جرزاً﴾ لا نباتَ فيه.

وقيل: المعنى: إنَّا لَنُعيدُ ما عليها من الزِّينَةِ تراباً مُستَوياً بالأرضِ، ونجعلُهُ كصَعيدٍ أملسَ لا نباتَ فيه.

قولُهُ: (أظَنَنْتَ)[3] ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل والهمزَة؛ للإضرابِ بمعنى الانتِقالِ، لا الإبطالِ، وقيل: بمعنى: الهمزَةِ.

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٨٣٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٧٣). وانظر القراءة بالرفع في «شواذ القراءات» (ص: ٢٨٤) عن الحسن وابن محيصن وابن أبي عبلة.

(٣) في (ص): «أم ظننت».

الغار في الجبل ﴿والرَّقِيمِ﴾: اللوحِ المكتوبِ فيه أسماؤهم وأنسابُهم ـ وقد سئل ﷺ عن قِصّتهم ـ ﴿كانُوا﴾ في قِصّتهم ﴿مِن﴾ جُملة ﴿آياتِنا عَجَبًا﴾: خبرُ «كان» وما قبله حال، أي: كانوا عجبًا دُون باقي الآيات أو أعجبَها؟ ليس الأمر كذلك.

١٠ ـ اذكرْ ﴿إذ أوَى الفِتْيَةُ إلَى الكَهفِ﴾: جمعُ فتًى ـ وهو الشابّ الكامل ـ خائفين على إيمانهم من قومهم الكُفّار، ﴿فقالُوا: رَبَّنا، آتِنا مِن لَدُنكَ﴾: من قِبَلِك ﴿رَحْمةً، وهَيِّئْ﴾: أصلحْ ﴿لَنا مِن أمرِنا رَشَدًا﴾: هِداية.

١١ ـ ﴿فضَرَبْنا علَى آذانِهِم﴾ أي: أنَمْناهم ﴿في الكَهفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة، ١٢ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْناهُم﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعلَمَ﴾ عِلمَ مُشاهَدة: ﴿أيُّ الحِزبَينِ﴾: الفريقين المُختلفين في مُدّة لَبثهم ﴿أحصَى﴾: فعلٌ بمعنى ضَبَطَ، ....

قولُهُ: (الغَارِ) الواسِعِ.

قولُهُ: (اللَّوْحِ) الرَّصاصِ، أو الحَجَرِيِّ، جُعِلَ على بابِ الكَهفِ.

قولُهُ: (في قِصَّتِهِم) وإبقاءِ حياتِهِم مُدَّةً مَديدةً.

قولُهُ: (جَمْعُ فَتًى) كصَبيٍّ وصِبْيَةٍ.

قولُهُ: (خَائِفِينَ) يعني: فِتيَةً من أشرافِ الرُّومِ أرادَهُم دقيانوسُ على الشِّركِ، فأبَوا وهرَبوا[1].

قالَ تعالى: (﴿رَحْمَةً﴾) توجِبُ لنا المغفرةَ والرِّزقَ والأمنَ من العدوِّ.

قالَ تعالى: (﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾) الَّذي نحنُ عليه من مُفارقَةِ الكفَّارِ.

قولُهُ: (أي: أَنَمْنَاهُم) أي: ضَرَبنا حِجاباً يمنعُ السَّماعَ، فحُذِفَ المفعولُ كما حُذِفَ في قولِهِ: بَنَى على امرأتِهِ؛ أي: حِجاباً وقُبَّةً.

قولُهُ: (مَعْدُودَةً) أي: ذواتِ عَددٍ.

قولُهُ: (عِلْمَ مُشاهَدَةٍ) أو لنميِّزَ.

قولُهُ: (المُختَلِفِينَ) منهُم، أو من غَيرِهم.

قولُهُ: (فِعْلٌ) ثلاثيٌّ مزيدٌ، لا أفعَلُ تفضيلٍ.

قولُهُ: (ضَبَطَ) أي: أَمَدَ زمانِ لَبثِهِم، وما في ﴿أيُّ﴾ من مَعنى الاستفهامِ علَّقَ عنه: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ فهو مبتَدأٌ، و﴿أَحْصَى﴾ خبرُه.

---

(١) انظر قصتهم في «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٢٣).

﴿لِما لَبِثُوا﴾: للَبثهم: مُتعلّق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾: غاية؟

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿نَحنُ نَقُصُّ علَيكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق. ﴿إنَّهُم فِتيةٌ، آمَنُوا بِرَبِّهِم وزِدْناهُم هُدًى، ورَبَطْنا علَى قُلُوبِهِم﴾: قوّيناها على قول الحقّ، ﴿إذ قامُوا﴾ بين يدَي ملكهم وقد أمرهم بالسُّجود للأصنام، ﴿فقالُوا: رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ، لَن نَدعُوَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ﴿إلٰـهًا. لَقَد قُلْنا إذًا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شططٍ أي: إفراطٍ في الكُفر، إن دعونا إلٰـهًا غير الله ـ تعالى ـ فَرْضًا.

١٥ ـ ﴿هؤُلاءِ﴾: مبتدأ ﴿قَومُنا﴾: عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهةً. لَولا﴾: هلاّ ﴿يأتُونَ علَيهِم﴾: على عِبادتهم ﴿بِسُلطانٍ بَيِّنٍ﴾: بحُجّة ظاهرة. ﴿فمَن أظلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى؟

١٦ ـ قال بعض الفِتية لبعض: ﴿وإذِ اعتزَلتُمُوهُم وما يَعبُدُونَ إلاّ اللهَ فأْوُوا إلَى الكَهفِ، يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِن رَحْمتِهِ، ويُهَيِّئْ لَكُم مِن أمرِكُم مِرفَقًا﴾، بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس: ما ترتفقون به من غَداء وعَشاء.

١٧ ـ ﴿وتَرَى الشَّمسَ إذا طَلَعَت تَزّاوَرُ﴾:..

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ) أو حالٌ من ﴿أَمَداً﴾ أو مفعولٌ له، و﴿أمداً﴾ مفعولٌ به.

قولُهُ: (قَوَّيْنَاهَا) بالصَّبرِ على هَجرِ الوَطنِ والأهلِ والمالِ والجرأةِ.

وقيل: التَّقديرُ: ربَطْنا الإيمانَ.

قولُهُ: (عَلى قَوْلِ الحَقِّ) وإظهارِهِ، والرَّدِّ على دقيانوسَ الجبَّارِ.

قولُهُ: (إِفرَاطٍ) وبُعدٍ.

قولُهُ: (إِنْ دَعونَا) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿إذاً﴾ جوابٌ وجزاءٌ.

قولُهُ: (عَطفُ بَيَانٍ) وما بعدَهُ خبرُه، وهو إخبارٌ في معنى الإنكارِ.

قولُهُ: (وبالعَكْسِ) نافعٌ وشاميٌّ[١].

قولُهُ: (تَرتَفِقُونَ) أي: تنتَفِعونَ، وجَزمُهُم بذلك لخلوصِ يقينِهِم وقوَّةِ وثُوقِهِم بفضلِ اللهِ تعالى.

قالَ تعَالى: (﴿وَتَرَى﴾) الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، أو لكلِّ أحَدٍ، والمعنى: إنَّكَ لو رأيتَهُم لرأيتَهُم كذا، لا أنَّ المخاطَبَ رآهُم على التَّحقيقِ، كذا أفادَهُ ابنُ كمال باشا[٢].

---

(١) أي: (مَرفِقا) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٨).

(٢) انظر: «تفسير ابن كمال باشا» (٦/ ٢٣٥).

بالتشديد والتخفيف: تميل ﴿عَن كَهفِهِم ذاتَ اليَمِينِ﴾: ناحيتَه، ﴿وإذا غَرَبَتْ تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمالِ﴾: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تُصيبهم البتّةَ، ﴿وهُم في فَجْوةٍ مِنهُ﴾: مُتّسعٍ من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها. ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿مِن آياتِ اللهِ﴾: دلائلِ قُدرته. ﴿مَن يَهدِ اللهُ فهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدًا﴾.

١٨ ـ ﴿وتَحسِبُهُم﴾ ـ لو رأيتَهم ـ ﴿أيقاظًا﴾ أي: مُنتبِهينَ لأنّ أعينُهم مُفتّحةٌ، جمع يَقِظ بكسر القاف، ﴿وهُم رُقُودٌ﴾: نيام جمعُ راقد، ﴿ونُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمِينِ وذاتَ الشِّمالِ﴾ لئلاّ تأكل الأرض لُحومهم، ﴿وكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بالوَصِيدِ﴾: بِفِناء الكهف ـ وكانوا إذا انقلبوا انقلب معهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة ـ ﴿لَوِ اطَّلَعتَ علَيهِم لَوَلَّيتَ مِنهُم فِرارًا، ولَمُلِئتَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِنهُم رُعْبًا﴾، بسُكون العين وضمّها. منعَهم الله بالرعب مِن دُخول أحد عليهم.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْناهُم﴾: أيقظناهم ﴿لِيَتَساءَلُوا بَينَهُم﴾ عن حالهم ومُدّة لَبثهم..

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ) كوفيٌّ، وكـ «تَحمَرُّ» شاميٌّ[1].

قولُهُ: (نَاحِيَتَهُ) أي: اليَمينِ للكَهفِ.

قولُهُ: (المَذكُورُ) أي: شأنُهُم، أو إيواؤهم، أو إخبارُكَ قصَّتَهُم، أو ازْوِرارُ الشَّمسِ وقُرصِها طالِعةً وغارِبةً، ولا منعَ من الجَمعِ.

قولُهُ: (لأنَّ أَعيُنَهُم) أو لكثرَةِ تقلُّبِهِم.

قولُهُ: (انقَلَبَ) وهو كَلبٌ مَرُّوا به فتبعَهُم فطرَدوهُ فأنطقَهُ اللهُ تعالى فقال: أُحِبُّ أحبَّاءَ اللهِ[2].

قولُهُ: (بالتَّشدِيْدِ) الحرميَّانِ[3].

قولُهُ: (وَضَمِّهَا) شاميٌّ وكسائيٌّ[4]، وهو تمييزٌ؛ أي: خوفاً يملأُ صدرَكَ لما ألبسَهُم اللهُ من الهيبَةِ.

قولُهُ: (كَمَا فَعَلْنا.. إلخ) الأخصَرُ: كما أنَمناهُم؛ أي: آيةً[5] على كَمالِ قُدرَتِنا[6].

(١) أي: (تَزَاور) لكوفي، و(تَزْوَرُّ) لشامي. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧/ ٢٧) من قول كعب الأحبار.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٧).

(٥) بعدها في النسخ عدا (د): «تدل». وانظر التعليق الآتي.

(٦) أي: كَما أَنَمنَاهُم آيةً على كمالِ قُدرَتِنا بَعَثْنَاهُم. لفظ البيضاوي.

﴿قالَ قائلٌ مِنهُم: كَم لَبِثتُم؟ قالُوا: لَبِثْنا يَومًا أو بَعضَ يَومٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عِند طُلوع الشمس، وبُعِثوا عِند غُروبها، فظنّوا أنه غُروب يومِ الدخول. ثمّ ﴿قالُوا﴾ مُتوقِّفين في ذلك: ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِما لَبِثتُم. فابعَثُوا أحَدَكُم بِوَرْقِكُم﴾، بسكون الراء وكسرها: بِفِضّتكم ﴿هذِهِ إلَى المَدِينةِ﴾ ـ يقال: إنها المُسمّاة الآن طَرَسُوسَ بفتح الراء ـ ﴿فلْيَنظُرْ: أيُّها أزكَى طَعامًا﴾: أيُّ أطعمة المدينة أحلّ؟ ﴿فلْيأتِكُم بِرِزقٍ مِنهُ، ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشعِرَنَّ بِكُم أحَدًا. إنَّهُم إن يَظهَرُوا علَيكُم يَرجُمُوكُم﴾: يقتلوكم بالرجم، ﴿أو يُعِيدُوكُم في مِلّتِهِم، ولَن تُفلِحُوا إذًا﴾ أي: إن عدتم في مِلّتهم ﴿أبَدًا﴾.

٢١ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما بعثناهم ﴿أعثَرْنا﴾: أطلعْنا ﴿علَيهِم﴾ قومَهم والمؤمنين، ﴿لِيَعلَمُوا﴾ أي: قومُهم ﴿أنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أنّ القادرَ على إقامتهم المُدّة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غِذاء قادرٌ على إحياء الموتى، ﴿وأنَّ السّاعةَ لا رَيبَ﴾: لا شكّ ﴿فِيها، إذ﴾: معمول لـ «أعثرنا» ﴿يَتَنازَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكُفّار ﴿بَينَهُم أمرَهُم﴾: أمرَ الفِتية في البناء حولهم، ﴿فقالُوا﴾ أي: الكُفّار: ﴿ابنُوا علَيهِم﴾ أي: حولهم ﴿بُنيانًا﴾ يسترهم. ﴿رَبُّهُم أعلَمُ بِهِم. قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا علَى أمرِهِم﴾: أمر الفتية وهم المؤمنون: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ علَيهِم﴾: حولهم ﴿مَسجِدًا﴾ يُصلّى فيه. وفُعل ذلك على باب الكهف.

قولُهُ: (فَظَنُّوا) فقالوا قبْلَ النَّظرِ إلى الشَّمسِ: ﴿يوماً﴾، وبَعدَما التَفتوا فرَأَوا بقيَّةً من الشَّمسِ فقالوا: ﴿بعضَ يومٍ﴾، فـ﴿أو﴾ بمعنى: بَل، أو للتَّنويعِ باعتِبارِ البَعضِ والبَعضِ.

قولُهُ: (مُتَوقِّفِينَ) مُحتاطينَ؛ لأنَّ النَّائمَ لا يُحصِي مدَّةَ نومِهِ، وقولُهُم كانَ بناءً على ظنِّهِم.

قولُهُ: (بسُكُونِ الرَّاءِ) أبو عَمرٍو وشعبةُ وحَمزةُ[1].

قولُهُ: (أطْعِمَةِ) فالتَّميِيزُ للتَّأكيدِ، أو: أهلِ[2].

قولُهُ: (أحَلُّ) وأطيَبُ، أو: أكثرُ وأرخَصُ.

قالَ تعَالى: (﴿بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾) أي: الوَرِقِ، و«من» للبدَلِ، ويحتملُ: مِن المدينَةِ؛ لأنَّها في معنى البَلَدِ.

قولُهُ: (أي: قَومُهُم) فيُؤمنوا، أو والمؤمنينَ[3] ليزيدَ علمُهُم.

قولُهُ: (يَستُرُهُم) جمعُ: بُنيانَةٍ، وقيل: مصدرٌ.

قولُهُ: (يُصَلَّى) بالنُّونِ، أو الياءِ مجهولاً، وهو الأحسنُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٩). (٢) أي: أيُّ أهلها. لفظ البيضاوي.

(٣) «أو والمؤمنون» كذا في النسخ، ولعل الصواب: «أو المؤمنون».

٢٢ ـ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المُتنازعون في عدد الفِتية في زمن النبيّ، أي: يقول بعضُهم: هم ﴿ثلاثةٌ رابِعُهُم كَلبُهُم. ويَقُولُونَ﴾ أي بعضُهم: ﴿خَمْسةٌ سادِسُهُم كَلبُهُم﴾. والقولان لنصارى نَجرانَ ﴿رَجمًا بِالغَيبِ﴾ أي: ظنًّا في الغَيبة عنهم. وهو راجع إلى القولينِ معًا، ونصبُه على المفعول له أي: لِظنّهم ذلك. ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعةٌ وثامِنُهُم كَلبُهُم﴾. الجملة من مبتدأٍ وخبرٍ: صفةُ «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيدًا ودلالةً، على لصوق الصفة بالموصوف. ووصفُ الأوّلَينِ بالرجم دُون الثالث دليلٌ على أنه مَرْضيّ وصحيح.

﴿قُلْ: رَبِّيَ أعلَمُ بِعِدّتِهِم، ما يَعلَمُهُم إلاّ قَلِيلٌ﴾. قال ابن عبّاس: «أنا من القليل» وذكرَهم سبعةً. ﴿فلا تُمارِ﴾: تجادلْ ﴿فِيهِم إلاّ مِراءً ظاهِرًا﴾ بما أُنزل عليك،..........

قولُهُ: (المُتَنازِعُونَ) من أهلِ الكتابِ والمؤمنينَ.

قولُهُ: (والقَوْلانِ) وقيل: الأوَّلُ لليهودِ، والثَّاني للنَّصارى.

قولُهُ: (نَجْرَانَ) موضعٌ بينَ الحجازِ والشَّامِ واليَمنِ.

قولُهُ: (أي: المُؤمِنُونَ) بإخبارِ الرَّسولِ لهُم عن جبريلَ، وقيل: الأقوالُ الثَّلاثةُ لأهلِ الكتابِ، والقليلُ منهم.

قولُهُ: (تَأكِيداً) فائدةُ هذا التَّأكيدِ: أنَّ هذه العِدَّةَ هي الصَّوابُ.

قولُهُ: (قالَ ابنُ عبَّاسٍ)[١] وكذا ابنُ مسعودٍ[٢].

فائدةٌ: أكثرُ العُلماءِ على أنَّ أصحابَ الكَهفِ كانوا بعدَ عيسَى[٣]، وحُكيَ أنَّهُم مبعوثُونَ في أيَّامِ عيسى إذا نزلَ ويحجُّونَ البيتَ[٤].

قولُهُ: (بِمَا أُنزِلَ) مِن غَيرِ تَجهيلٍ لهم والرَّدِّ عليهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦١١٣).

قال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٦): أخرجه الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٥).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦)، و«الكامل في التاريخ» (١/ ٣٢٥).

(٤) رواه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧) عن الليث بن سعد عن عطاف بن خالد، وكذلك ذكره عن الليث ابن الجوزي في «مثير العزم» (ص: ٣٤١).

وذكره السيوطي في «مفحمات الأقران» (ص: ٦٨) من قول ابن أبي خيثمة.

﴿ولا تَستَفْتِ فِيهِم﴾: تطلبِ الفُتيا ﴿مِنهُم﴾: من أهلِ الكتاب اليهودِ ﴿أحَدًا﴾.

وسأله أهل مكّة عن خبر أهل الكهف، فقال: «أُخبِرُكُم بِهِ غَدًا»، ولم يقل: «إن شاءَ اللهُ»، فنزل:

٢٣ ـ ﴿ولا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ﴾ أي: لِأجل شيء: ﴿إنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا﴾، أي: فيما يُستقبل من الزمان.

٢٤ ـ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ﴾ أي: إلاّ مُلتبسًا بمشيئة الله ـ تعالى ـ بأن تقول: إن شاءَ اللهُ. ﴿واذكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته مُعلّقًا بها، ﴿إذا نَسِيتَ﴾ التعليقَ بها، ويكون ذِكرها بعد النِّسيان كذِكرها مع القول. قال الحسن وغيره: ما دامَ في المجلِس..

قولُهُ: (تَطلُبِ الفُتيَا) أي: لا تسأَلْ أحَداً منهم عن قصَّتِهم سؤالَ مُستَرشِدٍ، فإنَّ فيما أوحيَ إليكَ لمندوحَةً عن غيرِه مع أنَّه لا عِلمَ لهم بها، ولا سؤالَ مُتعَنِّتٍ فإنَّه يُخِلُّ بمكارمِ الأخلاقِ.

قولُهُ: (وَلَم يَقُلْ) فأبطَأَ عليه الوَحيُ بضعَةَ عشرَ يوماً حتَّى شقَّ عليه وكذَّبَته قريشٌ[1].

قولُهُ: (لِأَجْلِ شَيءٍ) تعزِمُ عليه.

قولُهُ: (فِيمَا يُستَقبَلُ) أي: لم يُرِدِ الغَدَ المتعارَفَ.

قولُهُ: (إلَّا مُلتَبِساً) الاستثناءُ من النَّهي.

قولُهُ: (مُعَلِّقاً) فاعِلٌ أو مفعولٌ؛ أي: الفِعلَ.

و(بِهَا) أي: بالمشيئةِ، كما رُويَ أنَّهُ لمَّا نزلَ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنْ شاءَ اللهُ»[2].

قولُهُ: (قَالَ الحَسَنُ)[3] وعن ابنِ عبَّاسٍ: «ولو بعدَ سنةٍ ما لم يحنَثْ»[4]، ولذلك جُوِّزَ تأخيرُ الاستِثناءِ عنه،

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١): حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً. ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠).

وفيه إبهام الراوي عن سعيد بن جبير.

ورواه أبو نعيم في «الدلائل» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٧) من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً.

والسدي الصغير هو محمد بن مروان، متروك، ومنهم من اتهمه بالكذب. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٢). والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

وللحديث أصل عند أحمد في «مسنده» (٢٣٠٩) عن ابن عباس بلفظ: «قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح...﴾».

(٢) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٥) عن الحسن، قال: إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١١٩)، وفي «الكبير» (١١/ ٦٨) (١١٠٦٩)، =

﴿وقُلْ: عَسَى أن يَهدِيَنِ رَبِّي لِأقرَبَ مِن هذا﴾: من خبر أهل الكهف في الدلالة على نُبوّتي ﴿رَشَدًا﴾: هِداية. وقد فعل الله ـ تعالى ـ ذلك.

٢٥ ـ ﴿ولَبِثُوا في كَهفِهِم ثَلاثَمِائَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾: عطفُ بيان لِـ «ثلاثمِائَةٍ» ـ وهذه السنون الثلاثُمِائَةِ عِند أهل الكتاب شمسيّة، وتزيد القمريّة عليها عِند العرب تسعَ سنين ـ وقد ذُكرتْ في قوله ﴿وازدادُوا تِسعًا﴾ أي: تسع سِنينَ. فالثلاثُمِائَةِ الشمسيّةُ: ثلاثُمِائَةٍ وتسعٌ قمريّةٌ.

٢٦ ـ ﴿قُلِ: اللهُ أعلَمُ بِما لَبِثُوا﴾ ممّن اختلفوا فيه ـ وهو ما تقدّم ذكره ـ ﴿لَهُ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُه، ﴿أبصِرْ بِهِ﴾ أي: بالله ـ هي صِيغة تعجّب ـ ﴿وأسمِعْ﴾ به كذلك، بمعنى:.......

وعامَّةُ الفُقَهاءِ على خلافِهِ، ولم يجوِّزوهُ إلَّا أن يكونَ متَّصلاً بالكلامِ؛ لأنَّه لو صحَّ ذلك لم يتقرَّرْ إقرارٌ ولا طلاقٌ ولا عِتاقٌ، ولا يُعلَمُ صِدقٌ ولا كذِبٌ، وليس في الآيةِ والخبرِ[1] أنَّ الاستثناءَ المتَدارَكَ به من القَولِ السَّابقِ، وهو «أُخبرُكُم»، بل هو من مقدَّرٍ مدلولٍ به عليهِ؛ أي: افعَلْ ذلك؛ أي: علِّق كلَّ ما أقولُ فيه أنِّي فاعلُهُ غداً بمشيئةِ اللهِ إن شاءَ اللهُ؛ كما يُقالُ لكَ: افعَلْ كذا، فتقولُ: إن شاءَ اللهُ تعالى.

وقالَ بعضُ العارِفينَ: اذكُرْ ربَّكَ إذا نسيتَ نفسَكَ[2].

قولُهُ: (هِدَايَةً) مفعولٌ مطلَقٌ.

قولُهُ: (وَقَد فَعَلَ اللهُ) حيثُ هداهُ لأعظَمَ من ذلك كقصَصِ الأنبياءِ المتباعِدِ عنه أيَّامُهُم، والإخبارِ بالغُيوبِ والحوادِثِ المستقبَلَةِ إلى قيامِ السَّاعةِ.

قولُهُ: (بالتَّنوِينِ) غيرُ حمزةَ والكسائيِّ فإنَّهما قَرَءا بالإضافةِ[3] على وضعِ الجمعِ مَوضِعَ المفردِ بناءً على أنَّهُ الأصلُ في العَددِ.

قولُهُ: (وهُوَ مَا تقَدَّمَ) من قولِهِم: ﴿لَبِثْنَا يَوْماً﴾، وقيلَ: اختَلفوا فقالَ بعضُهم: ثلاثَ مئةٍ، وقال بعضُهم: ثلاث مئةٍ وتسعَ سنينَ.

قولُهُ: (عِلْمُهُ) أي: عِلمُ ما غابَ فيهما، وخَفيَ من أحوالِ أهلِهما.

قولُهُ: (كذَلِكَ) أي: صيغَةُ تعجُّبٍ للدِّلالةِ على أنَّ أمرَهُ في الإدراكِ خارجٌ عمَّا عليه إدراكُ السَّامِعينَ والمبصِرينَ.

= والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٩٣١).

(١) هو ما تقدم تخريجه عند أبي نعيم.

(٢) وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٠).

ما أبصَرَهُ! وما أسمَعَهُ! وهما على جِهة المجازِ، والمُرادُ أنه ـ تعالى ـ لا يغيب عن بصره وسمعه شيء، ﴿ما لَهُم﴾: لأهل السماوات والأرض ﴿مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾: ناصر، ﴿ولا يُشرِكُ في حُكمِهِ أحَدًا﴾ لأنه غنيّ عن الشريك.

٢٧ ـ ﴿واتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن كِتابِ رَبِّكَ، لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ، ولَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَدًا﴾: ملجأ، ٢٨ ـ ﴿واصبِرْ نَفسَكَ﴾: احبِسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُرِيدُونَ﴾ بعِبادتهم ﴿وَجهَهُ﴾ ـ تعالى ـ لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، ﴿ولا تَعْدُ﴾: تنصرفْ ﴿عَيناكَ عَنهُم﴾ ـ عُبِّرَ بهما عن صاحبهما ـ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنيا، ولا تُطِعْ مَن أغفَلْنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا﴾ أي: القُرآنِ ـ هو عُيينة بن حِصن وأصحابه ـ ﴿واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في الشِّرك، ....

قولُهُ: (لأنَّه غَنيٌّ) وقرأَ شاميٌّ بالخِطابِ والجزْمِ[1] على نهيِ كلِّ أحدٍ.

قولُهُ: (احبِسْهَا) وثبِّتها.

قالَ تعَالى: (﴿بِالغَدَاةِ﴾) ـ قرأَ الشَّاميُّ: (بالغُدْوةِ)[2] ـ؛ أي: في جميعِ[3] أوقاتِهم، أو طرَفي النَّهارِ.

قولُهُ: (مِنْ أَعْرَاضِ) بالغَينِ معجَمةٌ أو مهملةٌ.

قولُهُ: (عُبِّرَ بِهِمَا) أي: بالعَينَينِ.

قولُهُ: (عَنْ صَاحِبِهِمَا) ولذا جازَ كونُ ﴿تريدُ﴾ حالاً عنهُما، وقالَ البَيضاويُّ: حالٌ من الكافِ، والمعنَى: لا تجاوزْهُم عَيناكَ نظَراً إلى غيرِهِم، والمرادُ: نَهيُ الرَّسولِ أن يزدَريَ بفُقراءِ المؤمنينَ ورَثاثَةِ زيِّهِم طموحاً إلى طراوةِ زيِّ الأغنياءِ[4].

قولُهُ: (هُو عُيَيْنَةُ)[5] أو أميَّةُ بنُ خَلَفٍ[6]، في دعائِكَ إلى طرْدِ الفقراءِ عن مُجالسَتِكَ لصناديدِهِم، وفيهِ تنبيهٌ على أنَّ الدَّاعيَ له إلى هذا الاستِدعاءِ غفلةُ قلبِهِ عن المعقُولاتِ وانهِماكُهُ في المحسوسَاتِ حتَّى خَفيَ عليه أنَّ الشَّرفَ بحِليَةِ النَّفسِ لا بزينَةِ الجسَدِ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) في د): «مجامع».

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٧٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٧٧٥) عن ابن بريدة. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨) عن خباب، وقال: هو عيينة والأقرع.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٧٧٦)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وكانَ أمرُهُ فُرُطًا﴾: إسرافًا.

٢٩ ـ ﴿وقُلِ﴾ له ولأصحابه: هذا القُرآن ﴿الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فمَن شاءَ فلْيُؤمِنْ، ومَن شاءَ فلْيَكفُرْ﴾، تهديد لهم. ﴿إنّا أَعتَدْنا لِلظّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نارًا، أحاطَ بِهِم سُرادِقُها﴾: ما أحاط بها، ﴿وإن يَستَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهلِ﴾: كعَكَر الزيت، ﴿يَشوِي الوُجُوهَ﴾ من حرّه إذا قُرّب إليها. ﴿بِئسَ الشَّرابُ﴾ هو! ﴿وساءَتْ﴾ أي: النارُ ﴿مُرتَفَقًا﴾: متكأ! تمييز منقول من الفاعل أي: قَبُحَ مُرتفقُها، وهو مُقابِل لقوله الآتي في الجنّة: «وحَسُنَتْ مُرتَفَقًا»! وإلاّ فأيّ ارتفاق في النار؟

٣٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ إنّا لا نُضِيعُ أجرَ مَن أحسَنَ عَمَلاً﴾. الجملة: خبرُ «إنّ»، وفيها إقامة الظاهر مَقام المُضمر ـ والمعنى: أجرَهم، أي: نُثيبُهم بما تضمّنه ـ ٣١ ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامةٍ، ﴿تَجرِي مِن تَحتِهِمِ الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ﴾ ـ.........................

قولُهُ: (إِسْرَافاً) مجاوِزاً فيه الحدَّ.

قولُهُ: (هَذَا القُرْآنُ) مبتدأٌ محذوفٌ، و﴿مِنْ ربِّكُمْ﴾ حالٌ، أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (تَهدِيدٌ) أي: لا أُبالِي بإيمانِ من آمنَ وكُفرِ من كفرَ، وهو لا يَقتَضي استقْلالَ العَبدِ بفعلِه، فإنَّهُ وإن كانَ بمشيئتِه فمشيئتُه ليسَتْ بمشيئتِه بل بمشيئةِ اللهِ تعالى.

قولُهُ: (مَا أَحَاطَ) أي: فُسطاطُها، شبَّهَ به ما يُحيطُ بهم مِن النَّارِ، وفي «الوَجيزِ»: ﴿سُرَادِقُهَا﴾ دُخانُها، وقيل: حائطٌ مِن نارٍ[1].

قولُهُ: (كعَكَرٍ) محرَّكةً: دُرْديُّ كلِّ شيءٍ.

قولُهُ: (تَمْيِيزٌ) أي: متَّكأً، أو منتَفعاً، أو مَنزِلاً.

قولُهُ: (الجُمْلَةُ) الثَّانيةُ.

قولُهُ: (وَفِيهَا) أي: الجملةِ.

قولُهُ: (إِقَامَةُ الظَّاهِرِ) أي: واقعٌ موقِعَ الرَّاجعِ، فإنَّ ﴿مَنْ أحسنَ عملاً﴾ على الحَقيقةِ لا يحسُنُ إطلاقُهُ إلَّا على الَّذينَ آمنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ.

قولُهُ: (بِمَا تَضَمَّنَهُ) فاعلُهُ ﴿أولئكَ... ﴾ إلخ.

(١) انظر: «الوجيز» للواحدي (ص: ٦٥٩).

قيل: مِن: زائدةٌ، وقيل: للتبعيض ـ وهي جمعُ أسْوِرةٍ كأحمِرة جمعِ سِوار ﴿مِن ذَهَبٍ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ﴾: ما رقّ من الدِّيباج، ﴿وإستَبرَقٍ﴾: ما غلُظ منه ـ وفي آيةِ «الرحمن»: «بَطائنُها مِن إستَبرَقٍ» ـ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها علَى الأرائِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرير في الحَجَلة، وهي بيت يُزيّن بالثياب والستور للعَروس. ﴿نِعمَ الثَّوابُ﴾: الجزاءُ الجنّةُ! ﴿وحَسُنَتْ مُرتَفَقًا﴾!

٣٢ ـ ﴿واضرِبْ﴾: اجعلْ ﴿لَهُم﴾: للكُفّار مع المؤمنين ﴿مَثَلاً رَجُلَينِ﴾: بدلٌ، وهو وما بعده تفسير للمَثل، ﴿جَعَلْنا لِأحَدِهِما﴾ الكافرِ ﴿جَنَّتَينِ﴾: بُستانَينِ ﴿مِن أعنابٍ، وحَفَفْناهُما بِنَخلٍ، وجَعَلْنا بَينَهُما زَرعًا﴾ يُقتات به، ٣٣ ـ ﴿كِلتا الجَنَّتَينِ﴾ كلتا: مُفرد يدلّ على التثنية مبتدأٌ ﴿آتَتْ﴾: خبرُه ....

قولُهُ: (وقِيلَ: للتَّبعِيضِ) و﴿مِنْ﴾ الثَّانيةُ للبيانِ صفةٌ لـ﴿أَسَاوِرَ﴾ وتنكيرُها للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (مَا رَقَّ) وقولُه تعالى: ﴿خُضراً﴾؛ لأنَّ الخضرةَ أحسَنُ الألوانِ وأكثرُها طراوَةً.

قولُهُ: (الجَنَّةُ) ونعيمُها.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَحَسُنَتْ﴾) أي: الجنَّةُ؛ لمقابلَةِ قولِهِ: ﴿وَسَاءَتْ﴾ وقالَ البَيضاويُّ: أي: الأرائكُ[1].

قوله: (لِلكُفَّارِ) الأظهرُ: للكافِرِ والمؤمنِ، سواءٌ أن يُرادَ بهِما الجنْسُ أو الشَّخصُ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أي: مَثَلَ رجُلَينِ، أو: حالَ رجُلَينِ مقدَّرينِ أو موجُودَينِ.

هما أخَوانِ من بَني إسرائيلَ كافرٌ ومؤمنٌ وَرِثا من أبيهِمَا ثمانيةَ آلافِ دينارٍ فتشاطَرَا، فاشتَرى الكافِرُ بها ضياعاً[2] وعَقاراً، وصرَفَهُ المؤمنُ في وجوهِ الخَيرِ، وآلَ أمرهما إلى ما حَكاهُ اللهُ عنهُما.

قولُهُ: (تَفْسِيرٌ) أو صفةٌ لـ﴿رَجُلَيْنِ﴾.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾) أي: جَعلنا النَّخلَ محيطةً بهما مؤزَّراً بها كُرومُهُما.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾) أي: وسطَهُما (﴿زَرْعاً﴾) ليكونَ كلٌّ منهُما جامِعاً للأقْواتِ والفواكِهِ متواصلَ العمارَةِ على الشَّكلِ الحسَنِ.

قولُهُ: (مُفْرَدٌ) أي: لفظاً.

قولُهُ: (على التَّثْنِيةِ) معنًى.

قولُهُ: (خَبَرُهُ) وإفرادُ الضَّميرِ لإفرادِ ﴿كِلْتَا﴾ وهو أفصَحُ.

---

(١) قال البيضاوي: ﴿وحسنت مرتفقا﴾ متكأ، انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٨٠).

(٢) في (ص): «متاعًا».

﴿أُكُلَها﴾: ثمرها، ﴿ولَم تَظلِمْ﴾: تَنقُص ﴿مِنهُ شَيئًا! وفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا﴾ يجري بينهما، ٣٤ـ ﴿وكانَ لَهُ﴾ مع الجنّتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمّهما، وبضمّ الأوّل وسكون الثاني، وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب، وبَدَنة وبُدْن.

﴿فقالَ لِصاحِبِهِ﴾ المؤمنِ، ﴿وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُفاخره: ﴿أنا أكثَرُ مِنكَ مالاً، وأعزُّ نَفَرًا﴾ عشيرةً. ٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿ودَخَلَ جَنّتَهُ﴾ بصاحبه، يطوف به فيها ويُريه آثارها ـ ولم يقل «جنّتيه» إرادةً للروضة، وقيل: اكتفاءً بالواحدة ـ ﴿وهُوَ ظالِمٌ لِنَفسِهِ﴾ بالكُفر، ﴿قالَ: ما أظُنُّ أن تَبِيدَ﴾: تنعدم...............

قولُهُ: (ثَمَرَهَا) أي: تامًّا.

قولُهُ: (تَنْقُصْ) من أُكُلِها شيئاً يعهدُ في سائرِ البَساتينِ، فإنَّ الثّمارَ تتمُّ في عامٍ وتنقصُ في عامٍ غالباً.

قولُهُ: (يَجْرِي) ليَدومَ شُربُها فإنَّه الأصلُ، ويزيدَ نماؤُها.

قولُهُ: (بفَتحِ الثَّاءِ) عاصمٌ[1].

قولُهُ: (وبِضَمِّ الأَوَّلِ) بصريٌّ[2]، أنواعٌ مِن المالِ سِوى الجنّتَينِ.

قولُهُ: (يُفَاخِرُهُ) ويراجعُهُ.

قولُهُ: (عَشِيرَةً) لا يلائمُ القصَّةَ[3]، فإنَّ الأخوَينِ عشيرتُهُما سواءٌ إلَّا أن لا يكونا شقيقَينِ، أو العشيرُ لا يُعاشِرُ الفقيرَ، والأَولى: حَشَماً وأعواناً، وقيل: أولاداً ذكوراً؛ لأنَّهمُ الّذين ينفردونَ معهُ.

قولُهُ: (الرَّوضَةِ) وهي تشملُهُما، أو لأنَّ المرادَ: ما هو جنّتُه، وهو ما مُتِّعَ به من الدُّنيا تَنبيهاً على أنَّه لا جنَّةَ له غيرها.

قولُهُ: (بالوَاحِدِ) والأظهرُ: بالواحِدةِ[4]، أو لاتِّصالِ كلِّ واحدَةٍ من جنَّتيهِ بالأخرَى، أو لأنَّ الدُّخولَ يكونُ في واحدةٍ وواحدةٍ.

قولُهُ: (بالكُفْرِ) والعُجبِ.

قولُهُ: (تَنعَدِمَ) أي: تفنَى هذه الجنَّةُ أبداً؛ لطولِ أملِهِ وتمادِي غفلتِه واغترارِه بمهلتِه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٦).

(٢) أي: (ثُمْرًا)، انظر المصدرين السابقين.

(٣) في (ن): «القصد».

(٤) وكذا هي في المتن المعتمد.

﴿هذِهِ أَبَدًا، وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة، على زعمِك، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيرًا مِنها مُنقَلَبًا﴾: مَرجِعًا.

٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ، وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُجاوبه: ﴿أَكَفرتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ﴾ لأنّ آدم خُلق منه، ﴿ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوّاكَ﴾: عَدلَكَ وصيّرك ﴿رَجُلاً؟ لكِنّا﴾ ـ أصله: لكنْ أنا. نُقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حُذفت الهمزة ثم أُدغمت النون في مثلها ـ ﴿هُوَ﴾: ضمير الشأن تُفسّره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول، ﴿اللهُ رَبِّي، ولا أُشرِكُ بِرَبِّيَ أحَدًا، ولَولا﴾: هلاّ، ﴿إذ دَخَلتَ جَنّتَكَ، قُلتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ما شاءَ اللهُ، لا قُوّةَ إلاّ بِاللهِ﴾........

قالَ تعالى: (﴿قَائِمَةً﴾) أي: كائنةً ثابتةً واقعةً.

قالَ تعالى: (﴿مِنْهَا﴾) من جنّتِهِ، وقرأ الحرميّانِ والشّاميُّ: (مِنهُمَا)[1]؛ أي: من الجنّتينِ.

قولُهُ: (مَرْجِعاً) وعاقبةً؛ لأنّها فانيةٌ، وتلك باقيةٌ، وإنّما أقسَمَ على ذلك لاعتقادِهِ الفاسدِ أنّه تعالى إنّما أولاهُ ما أولاهُ لاستحقاقِهِ إيّاهُ لذاتِهِ، وهو معه أينَما يلقاهُ.

قولُهُ: (يُجَاوِبُه) ويراجِعُهُ.

قولُهُ: (لأنّ آدَمَ) أو لأنّه أصلُ مادّتِكَ ومادّةُ أصلِكَ، أو لأنّ كلَّ إنسانٍ يذرُ من ترابِ قبرِهِ في نطفَةٍ يُخلَقُ منها.

قولُهُ: (مَنِيٍّ) فإنّها مادّتُكَ القريبةُ، جعلَ كفرَهُ بالبَعثِ كُفراً باللهِ؛ لأنّ منشَأهُ الشكُّ في كمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى، ولذلك رتّبَ الإنكارَ على خلقِهِ إيّاهُ من التُّرابِ، فإنّ من قَدِرَ على بدْءِ خلقِهِ منه قَدِرَ أن يعيدَهُ منه.

قولُهُ: (أَصْلُهُ) اتّفقَ القُرّاءُ على إثباتِ الألفِ وَقفاً كما في (أنا) وأثبتَها الشّاميُّ في الوَصلِ أيضاً هنا إجراءً للوَصلِ مُجرى الوَقفِ[2].

قولُهُ: (بَعْدَهُ) وهو بالجُملةِ الواقِعةِ خبراً له خبرُ (أنا)، والاستِدراكُ من ﴿أَكفَرْتَ﴾ كأنّهُ قالَ: أنت كافرٌ باللهِ لكنّي مؤمنٌ به.

قولُهُ: (أَنَا أَقُولُ) بحَذفِ القولِ بدَليلِ عَطفِ ﴿لَا أُشرِكُ﴾.

قولُهُ: (عِنْدَ إعجَابِكَ) الأظهرُ: هلّا قلتَ عند دُخولِها وإعجابِكَ بها.

قولُهُ: (هَذَا) أو الأمرُ، فالمبتدأُ محذوفٌ، أو: ما شاءَ اللهُ كائنٌ، على أنّ ﴿ما﴾ موصولةٌ، أو: أيّ شيءٍ شاءَ اللهُ كانَ، على أنّها شرطيّةٌ، والجوابُ محذوفٌ إقرارًا بأنّها وما فيها بمشيئةِ اللهِ تعالى إن شاءَ أبقَاها وإن شاءَ أفنَاها،

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٦).

(٢) ومثله نافع في رواية عنه، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٧).

في الحديث «مَن أُعطِيَ خَيرًا مِن أهلٍ أو مالٍ ـ فيَقُولَ عِندَ ذلِكَ: ما شاءَ اللهُ لا قُوّةَ إلاّ باللهِ ـ لم يَرَ فِيهِ مَكرُوهًا». ﴿إن تَرَنِي أنا﴾ ـ ضمير فصل بين المفعولين ـ ﴿أقَلَّ مِنكَ مالاً ووَلَدًا فعَسَى رَبِّي أن يُؤتِيَنِي خَيرًا مِن جَنَّتِكَ﴾: جوابُ الشرط، ﴿ويُرسِلَ علَيها حُسبانًا﴾: جمع حُسبانة، أي: صواعقَ ﴿مِنَ السَّماءِ، فتُصبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضًا ملساء لا يثبتُ عليها قدَمٌ، ٤١ ـ ﴿أو يُصبِحَ ماؤُها غورًا﴾ بمعنى: غائرًا، عطفٌ على «يرسلَ» دُون «تصبحَ» لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق، ﴿فلَن تَستَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: حِيلةً تدركه بها.

٤٢ ـ ٤٣ ـ ﴿وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ ـ بأوجُه الضبط السابقة ـ مع جنّته بالهلاك فهلكت، ﴿فأصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا ﴿علَى ما أنفَقَ فِيها﴾: في عمارة جنّته، ﴿وهِيَ خاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿علَى عُرُوشِها﴾: دعائمها للكرْمِ بأن سقطت ثم سقط الكرْمُ، ﴿ويَقُولُ: يا﴾: ....

و﴿قُلتَ﴾: ﴿لَا قوَّةَ إلَّا باللهِ﴾ اعتِرافاً بالعجزِ على نفسِكَ والقُدرةِ للهِ، وأنَّ ما تيسَّرَ لك من عمارَتِها وتدَابيرِ أمرِها فبمَعونتِهِ وإقدارِهِ.

قولُهُ: (ضَميرُ فَصْلٍ) أو تأكيدٌ للمفعولِ الأوَّلِ.

قالَ تعَالى: (﴿خيراً﴾) أي: في الدُّنيا، أو في الآخرَةِ؛ لإيماني.

قولُهُ: (غَائِراً) ذاهِباً في الأرضِ، مصدرٌ وُصِفَ به كالزَّلَقِ.

قولُهُ: (حِيْلَةً تُدْرِكُهُ) أي: الماءَ الغائرَ؛ يعني: فلا يتأتَّى منك الطَّلَبُ فَضلاً عن الوُجودِ.

قولُهُ: (السَّابِقَةِ) في ﴿ثَمرٌ﴾.

قولُهُ: (مَعَ جَنَّتِهِ) يعني: أهلَكَ أموالَهُ ـ حسبَ ما توقَّعَهُ صاحبُهُ وأنذرَهُ منهُ ـ مع جنَّتِهِ، وهو مأخوذٌ من: أحاطَ به العدوُّ، فإنَّهُ إذا أحاطَ به غلبَهُ، وإذا غلبَهُ أهلكَهُ.

قولُهُ: (بالهَلاكِ) متعلِّقٌ بـ﴿أُحِيطَ﴾ وقولُهُ: (فَهَلَكَتْ) أي: الأموالُ والجنَّةُ، أو الجنَّةُ.

قولُهُ: (نَدماً) عِلَّةٌ لتقليبِ الظَّهرِ للبطنِ.

قولُهُ: (في عِمَارَةٍ) وهو[1] متعلِّقٌ بـ﴿يُقَلِّبُ﴾؛ لأنَّ تقليبَ الكفَّينِ كنايَةٌ عن النَّدَمِ، فكأنَّهُ قيل: فأصبحَ يندمَ، أو حالٌ؛ أي: متحسِّراً على ما أنفَقَ.

قولُهُ: (دَعَائِمِهَا) جمعُ: دِعَامٍ ـ بالكسرِ ـ: عِمادُ البيتِ، والخشبُ المنصوبُ للتَّعريشِ.

---

(١) أي: ﴿على ما أنفق﴾ لا «في عمارة» كما يوهم ظاهر اللفظ.

للتنبيه ﴿لَيتَني لم أُشرِكْ بِرَبِّيَ أحدًا. ولَم تَكُن﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَهُ فِئةٌ﴾: جماعة ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾ عِند هلاكها، ﴿وما كانَ مُنتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

٤٤ ـ ﴿هُنالِكَ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿الوَلايةُ﴾ بفتح الواو: النُّصرةُ، وبكسرها: المُلكُ ﴿لِلهِ الحَقُّ﴾ بالرفع: صفة الولاية، وبالجرّ: صفة الجلالة. ﴿هُوَ خَيرٌ ثَوابًا﴾ من ثواب غيره ـ لو كان يُثيب ـ ﴿وخَيرٌ عُقبًا﴾ بضم القاف وسكونها: عاقبةً للمؤمنين، ونصبُهما على التمييز.

٤٥ ـ ﴿واضرِبْ﴾: صيِّر ﴿لَهُم﴾: لقومك ﴿مَثَلَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: مفعولٌ أول ﴿كَماءٍ﴾: مفعولٌ ثان، ﴿أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ﴾:..

قولُهُ: (للتَّنبِيهِ) كأنَّهُ تذكَّرَ موعظَةَ أخيهِ، وعَلِمَ أنَّه أُتيَ من قِبَلِ شركِهِ، فتمنَّى لو لم يكن مُشرِكاً فلم يُهلِكِ اللهُ بستانَهُ، ويحتملُ أن يكونَ توبةً من الشِّركِ ونَدَماً على ما سبقَ منه.

قولُهُ: (والياءِ) التَّذكيرُ حمزةُ والكسائيُّ[1] لتقدُّمِهِ.

قولُهُ: (أي: غَيرِهِ) فإنَّهُ القادِرُ على ذلك وحدَهُ، وفي نسخةٍ: «عندَ هَلَاكِهَا» والمعنى: لم يَقدِروا على نصرِهِ بدفعِ الإهلاكِ، أو ردِّ المهلَكِ، أو الإتيانِ بمثلِهِ.

قولُهُ: (بِنَفْسِهِ) أي: ممتَنِعاً بقوَّتِهِ عن انتِقامِ اللهِ منه.

قولُهُ: (يَوْمَ القِيَامَةِ) أو في ذلك المقامِ وتلكَ الحالِ.

قولُهُ: (وبِكَسْرِهَا) حمزةُ والكسائيُّ[2].

قولُهُ: (بالرَّفْعِ) بصريٌّ وكسائيٌّ[3].

قولُهُ: (صِفَةُ الوَلايَةِ) وذُكِّر لأنَّهُ مصدرٌ.

قولُهُ: (يُثِيبُ) أي: غيرُهُ.

قولُهُ: (وسُكُونِهَا) عاصمٌ وحمزةُ[4].

قولُهُ: (مَفْعُولٌ أَوَّلُ) أي: صِفتَها القريبَةَ؛ أي: في زهرَتِها وسرعةِ زَوالِها.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٨).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٩).

(٤) انظر المصدرين السابقين.

تكاثفَ بسبب نزول الماء ﴿نَباتُ الأرضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فرَوِيَ وحَسُن، ﴿فأصبَحَ﴾: صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾: يابسًا متفرّقة أجزاؤه، ﴿تَذرُوهُ﴾: تنشره وتُفرّقه ﴿الرِّياحُ﴾ فتذهب به. المعنى: شَبِّهِ الدنيا بنَباتٍ حسُنَ، فيبس فتكسّر، ففرّقته الرياح. وفي قراءةٍ «الرِّيحُ». ﴿وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقتَدِرًا﴾: قادرًا. ٤٦ ـ ﴿المالُ والبَنُونَ زِينةُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يُتجمّل بهما فيها، ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ هي «سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ لِلهِ، ولا إلــهَ إلاّ اللهُ، واللهُ أكبَرُ»، وزاد بعضهم «ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ»،

قولُهُ: (تَكَاثَفَ) أي: التفَّ وخالطَ بعضُهُ بعضاً من كَثرتِهِ.

قولُهُ: (وامْتَزَجَ) يعني: تكاثُفُه أثَّرَ في النَّباتِ.

قولُهُ: (وحَسُنَ) واهتَزَّ.

قولُهُ: (يَابِساً) أي: مَهْشوماً مَكسوراً.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ والكسائيِّ[١].

قوله: (قَادِراً) أي: على وَجهِ الكَمالِ.

قولُهُ: (يُتَجَمَّلُ) وتَفنَى عن قَريبٍ.

قولُهُ: (هِيَ: سُبحَانَ اللهِ... إلخ)، كذا وردَ في الأحادِيثِ[٢]، وقالَ القاضِي[٣] وكذا المحلِّيُّ في المحلِّ الآتي[٤]: هي أعمالُ الخَيراتِ الَّتي تَبقى له ثَمرَتُها أبَدَ الآبادِ، ويندرِجُ فيها ما فُسِّرَت به من الصَّلواتِ الخَمسِ وأعمالِ الحجِّ وصيامِ رَمضانَ وسبحانَ اللهِ... إلخ والكلامِ الطَّيِّبِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٣).

(٢) منها: ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن.

ومنها: ما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦١٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٥) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٩٨)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جنتكم» قالوا: يا رسول الله، أمن عدو قد حضر؟ قال: «لا، ولكن جنتكم من النار قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات».

وجاءت زيادة «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيما رواه أحمد في «مسنده» (٥١٣) عن عثمان رضي الله عنه.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٨٣).

(٤) عند قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات﴾ [مريم: ٧٦].

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى.

٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: يذهب بها عن وجه الأرض، فتصير هباءً منبثًا ـ وفي قراءةٍ بالنون وكسر الياء ونصب «الجبالَ» ـ ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾: حال أي: مصطفين كلُّ أمة صفٌّ. ويقال لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فُرادى حُفاةً عُراةً غُرْلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن﴾: مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لَن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث.

٤٩ ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتابُ كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات: ﴿يَا﴾: للتنبيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾: هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه. ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: عدها وأثبتها!..

قوله: (أي: ما يأمُلُهُ) في الدنيا، وقوله: (ويرجوه) أي: في الآخرة.

قوله: (وفي قراءةٍ) لنافع والكوفي[1].

قوله: (المؤمنين) أي: جمعناهم إلى الموقف.

قوله: (مُصطفِّين) لا يحجُبُ أحدٌ أحداً.

قوله: (كلُّ أمةٍ صفٌّ) شبّهَ حالَهم بحالِ الجُندِ المعروضينَ على السُّلطانِ لا ليعرِفَهم بل ليأمُرَ فيهم.

قوله: (فُرادى) لا شيءَ معكُم من المالِ والولدِ.

قوله: (حُفاةً) جمعُ: حافٍ، من لا نَعلَ له.

قوله: (غُرْلاً) جمعُ: أغرَلَ، وهو غيرُ المختونِ.

قوله: (في يمينه) أو في الميزانِ.

قوله: (للتنبيه) أو ينادونَ هلكتَهم التي هلكوها من بين الهلكاتِ.

قوله: (إلّا عدَّها) التقديرُ: لا يُغادِرُ بوصفٍ إلّا بهذا الوصفِ. كما قيلَ في حديثِ: «لا تدعْ لنا ذنباً إلّا غفرتَه»[2].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤١٩).

(٢) هو طرف من حديث رواه الترمذي (٤٧٩)، وابن ماجه (١٣٨٤)، والبزار في «مسنده» (٣٣٦٤) من حديث عبد الله بن أبي =

تعجّبوا منه في ذلك. ﴿ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا﴾: مُثبتًا في كِتابهم. ﴿ولا يَظلِمُ رَبُّكَ أحَدًا﴾: لا يُعاقبه بغير جُرم، ولا يَنقُص من ثواب مُؤمن.

٥٠ ـ ﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعِ جبهةٍ تحيّةً له، ﴿فسَجَدُوا إلاّ إبليسَ، كانَ مِنَ الجِنِّ﴾ ـ قيل: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء مُتّصل. وقيل: هو منقطع، وإبليس أبو الجنّ فله ذُرّيّة ذُكرت معه بعدُ، والملائكة لا ذُرّيّة لهم ـ ﴿ففَسَقَ عَن أمرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السُّجود. ﴿أفتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ﴾ ـ الخِطاب لآدمَ وذُرّيّته، والهاء في الموضعين لإبليس ـ ﴿أَولِياءَ مِن دُوني﴾: تُطيعونهم، ﴿وهُم لَكُم عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء؟ حال. ﴿بِئسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾ إبليسُ وذُرّيّته، في طاعتهم بدلَ طاعة الله! ٥١ ـ ﴿ما أشهَدتُهُم﴾ أي: إبليسَ وذُرّيّته ﴿خَلقَ السَّماواتِ والأرضِ، ولا خَلقَ أنفُسِهِم﴾ أي: لم أُحضِر بعضَهم خلقَ بعض، ﴿وما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ﴾: الشياطينِ ﴿عَضُدًا﴾: أعوانًا في الخلق. فكيف تُطيعونهم؟

٥٢ ـ ﴿ويَومَ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿يَقُولُ﴾، بالياء والنون: ﴿نادُوا شُرَكائيَ﴾ الأوثانَ ﴿الَّذِينَ زَعَمتُم﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم. ﴿فدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم﴾: لم يجيبوهم،.........................

قولُهُ: (تَعَجَّبُوا مِنْهُ) أي: مِن شَأنِ ﴿الكتَابِ﴾ يعني: الاستفهامُ للتَّعجُّبِ.

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) أي: عَدمِ التَّركِ.

قولُهُ: (تَحِيَّةً) مفعولٌ له، كرَّرَهُ في مواضِعَ لكونِهِ مقدِّمةً للأمورِ المقصودِ بيَانُها في تلكَ المحالِّ، وهاهنا لمَّا شنَّعَ تعالى على المفتَخِرينَ قرَّرَ ذلك بأنَّه من سَنَنِ إبليسَ.

قولُهُ: (مُنقَطِعٌ) وأمرَ بالسُّجودِ لكونِهِ في غِمارِهِم.

قولُهُ: (تُطِيعُونَهُم) بدَلَ طاعَتي.

قولُهُ: (الشَّيَاطِينَ) وُضِعَ الظَّاهرُ موضِعَ الضَّميرِ ذمًّا لهم واستِبْعاداً للاعتِضادِ بهم.

قولُهُ: (والنُّونِ) حمزةُ[1].

قالَ تعالى: (﴿زَعَمْتُمْ﴾) أي: أنَّهم شُرَكائي، أو شُفَعاؤكُم.

قولُهُ: (لِيَشفَعُوا) أو ليمنَعوكُم مِن عَذابي.

= أوفى رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، فائد بن عبد الرحمن يضعف في الحديث، وفائد هو أبو الورقاء.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٠).

﴿وجَعَلْنا بَينَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوبِقًا﴾: واديًا من أودية جهّنم يَهلِكون فيه جميعًا ـ وهو من: وَبَق بالفتح: هَلَكَ ـ ٥٣ ـ ﴿ورأَى المُجرِمُونَ النّارَ، فظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أنّهُم مُواقِعُوها﴾ أي: واقعون فيها، ﴿ولَم يَجِدُوا عَنها مَصرِفًا﴾: مَعدِلاً.

٥٤ ـ ﴿ولَقَد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿في هذا القُرآنِ لِلنّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صِفةٌ لمحذوف، أي: مَثلاً من جِنس كُلّ مَثل ليتّعظوا، ﴿وكانَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ﴿أكثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾: خُصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم «كان» ـ المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه ـ ٥٥ ـ ﴿وما مَنَعَ النّاسَ﴾ أي: كفّارَ مكّة ﴿أن يُؤمِنُوا﴾: مفعول ثان، ﴿إذ جاءَهُمُ الهُدَى﴾: القُرآنُ، ﴿ويَستَغفِرُوا رَبَّهُم إلاّ أن تأتِيَهُم سُنّةُ الأوّلِينَ﴾: فاعلٌ، أي: سُنّتُنا فيهم، وهي الإهلاك المُقدّر عليهم، ﴿أو يأتِيَهُمُ العَذابُ قِبَلاً﴾: مقابَلةً وعِيانًا ـ وهو القتل يومَ بدر. وفي قراءةٍ بضمّتينِ: جمعَ قَبيل، أي: أنواعًا ـ ٥٦ ـ ﴿وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلاّ مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿ومُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفينَ للكافرين، ﴿ويُجادِلُ الّذِينَ كَفَرُوا بِالباطِلِ﴾ بقولهم: «أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً»؟..

قولُهُ: (واقِعُونَ) ومخالِطوها.

قولُهُ: (مَعْدِلاً) أي: مكاناً ينصَرِفونَ إليه، أو: انْصِرافاً.

قولُهُ: (أي: مَثَلاً) يحتاجُونَ إليه.

قولُهُ: (أي: الكَافِرُ) لقولِهِ تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ﴾ قالَ البغويُّ[1]: العمومُ أصحُّ؛ لما وردَ عن عليٍّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ طرقَهُ وفاطمةَ ليلةً، فقالَ: «ألَا تُصَلِّيانِ؟»، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ إنَّ أنفُسَنا بيدِ اللهِ، فإذا شاءَ أن يبعَثَنا بَعَثَنا، ثمَّ سمعتُهُ وهو مُوَلٍّ يضرِبُ فخذَهُ وهو يقولُ: «﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾»[2].

قولُهُ: (مَفْعُولٌ ثَانٍ) أي: عن الإيمانِ.

قولُهُ: (القُرْآنُ) أو الرَّسولُ.

قالَ تعالى: (﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾) أي: تقديرُ اللهِ عليهِم أن تأتيَهُم، أو طلبُهُم أو انتظارُهُم أن تأتيَهُم.

قولُهُ: (وهُوَ القَتْلُ) أو عَذابُ الآخرَةِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للكوفيِّ[3].

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٠٠).

(٢) رواه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٠).

ونحوه، ﴿لِيُدحِضُوا بِهِ﴾: ليُبطلوا بجِدالهم ﴿الحَقَّ﴾: القُرآنَ، ﴿واتَّخَذُوا آياتِي﴾ أي: القُرآنَ ﴿وما أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾ سُخريّة.

٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ، فأعرَضَ عَنها، ونَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾: ما عمل من الكُفر والمعاصي؟ ﴿إنّا جَعَلْنا علَى قُلُوبِهِم أكِنَّةً﴾: أغطِية، ﴿أن يَفقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القُرآن، أي: فلا يفهمونه، ﴿وفي آذانِهِم وَقْرًا﴾: ثِقلاً فلا يسمعونه، ﴿وإن تَدْعُهُم إلَى الهُدَى فلَن يَهتَدُوا إذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أبَدًا. ورَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحمَةِ، لَو يُؤاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذابَ﴾ فيها. ﴿بَل لَهُم مَوعِدٌ﴾ ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوئِلاً﴾: مَنجًى، من وَألَ: نَجا. ٥٩ ـ ﴿وتِلكَ القُرَى﴾ أي: أهلُها كعادٍ وثمودَ وغيرِهما ﴿أهلَكْناهُم لَمّا ظَلَمُوا﴾: كفروا، ....

قولُهُ: (وَنَحْوِه) مِن اقتِراحِ الآياتِ بعدَ ظُهورِ المعجِزاتِ.

قولُهُ: (بِهِ) إشارَةٌ إلى أنَّ: ﴿ما﴾ موصولَةٌ والعائِدُ محذوفٌ، و(مِن) بيانيَّةٌ، ويجوزُ أن تكونَ ﴿ما﴾[1] مصدريَّةً.

قولُهُ: (أي: مِنْ أنْ يَفقَهُوا) أي: حِجاباً منه، والأظهَرُ: كراهةَ أن يفقَهوهُ، وتذكيرُ الضَّميرِ وإفرادُهُ للمَعنى.

قولُهُ: (أي: بالجَعْلِ) أي: بسببِهِ.

قولُهُ: (يومُ القيامَةِ) أو يومُ بَدرٍ.

قولُهُ: (مِنَ اللهِ)[2] الظَّاهرُ: من غَيرِ اللهِ.

قولُهُ: (مَلْجأً)[3] ووَأَلَ إليه: التَجأ.

قولُهُ: (أَهْلُها) مرفوعٌ أو منصوبٌ بناءً على أنَّ ﴿تلكَ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿أَهْلَكْناهُم﴾ أو مفعولُ مضمرٍ مفسَّرٍ به و﴿القُرَى﴾ صفتُهُ[4]، ولا بُدَّ من تقديرِ مضافٍ في أحدِهما ليكونَ مرجِعَ الضَّمائرِ.

(١) في النسخ: «أن» وهو خطأ.

(٢) قوله: «من الله» ليس في المتن عندنا، ولعله موجود في نسخ المؤلف، ولعل المراد به تفسير قوله تعالى: ﴿من دونه﴾ وأن الجلال فسره بـ«من الله».

(٣) الذي في المتن: «منجى».

(٤) قوله: «أو مفعولُ مُضمَرٍ مُفسَّرٍ...»، أي: أو تكون ﴿تلك﴾ مفعولا لفعل مضمر مفسر بـ﴿أهلكناهم﴾، والقرى صفة ذلك المفعول الذي هو ﴿تلك﴾.

﴿وجَعَلْنا لِمُهلكِهِم﴾: لِإهلاكهم - وفي قراءةٍ بفتح الميم، أي: لِهلاكهم - ﴿مَوعِدًا﴾.

٦٠ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى﴾ هو ابنُ عِمرانَ ﴿لِفَتاهُ﴾ يُوشَعَ بنِ نونٍ، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العِلم: ﴿لا أبرَحُ﴾ لا أزال أسيرُ ﴿حَتَّى أبلُغَ مَجمَعَ البَحرَينِ﴾: مُلتقى بحرِ الروم وبحر فارس ممّا يلي المشرقَ، أي: المكانَ الجامعَ لذلك، ﴿أو أَمضِيَ حُقُبًا﴾: دهرًا طويلاً في بُلوغه، إن بعُدَ. ٦١ - ﴿فلَمّا بَلَغا مَجمَعَ بَينِهِما﴾ بينِ البحرَينِ ﴿نَسِيا حُوتَهُما﴾ نسيَ يُوشَعُ حملَه عند الرحيل، ونسيَ موسى تذكيره، ....

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ[1].

قولُهُ: (بِفَتْحِ المِيْمِ) مع فتحِ اللّامِ لشعبةَ، ومعَ كسرِها لحَفصٍ[2].

قولُهُ: (هُو ابنُ عِمرَانَ) ردٌّ على من قالَ: إنَّه غيرُه.

قولُهُ: (نُونٍ) ابنُ أفراثيم بن يوسُفَ.

قولُهُ: (ويَخْدمُه) ولذلك سمَّاهُ فَتاهُ.

قولُهُ: (أَسِيْرُ) فحُذِفَ الخبرُ لدلالةِ حالِه وهو السَّفَرُ، وقولِه: ﴿حَتَّى أَبْلُغَ﴾ - من حيثُ إنَّها تَستَدعي ذا غايةٍ - عَليه.

قولُهُ: (أي: المَكَانَ الجَامِعَ) وُعِدَ لقاءَ الخَضرِ فيه.

وقيلَ: البَحرانِ: موسَى والخَضرُ، فإنَّ موسى كانَ بحرَ علمِ الظَّاهرِ، وخضرٌ كان بحرَ علمِ الباطِنِ، لكن هذا يصلُحُ أن يكونَ إشارةً لا تفسيراً وعبارةً.

قولُهُ: (دَهْرًا) أي: أسيرَ زماناً[3] [طويلاً]، والحُقُب: الدَّهرُ، وقيلَ: ثمانونَ سنةً، وقيلَ: سبعونَ[4].

قولُهُ: (بَينِ البَحْرَينِ) يعني: مجمَعَ البحرينِ، و﴿بينِهما﴾ ظرفٌ أُضيفَ إليه على الاتِّساعِ، أو بمعنى الوَصلِ.

قولُهُ: (حَمْلَهُ) أو: ذِكْرَهُ لموسَى ما رَأى من حياتِهِ ووقوعِهِ في البَحرِ، وهذا هو الظَّاهرُ لما سيأتي في الحديثِ.

قولُهُ: (تَذْكِيرَهُ) أو طلبَهُ وتعرُّفَ حالِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢١).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) في النسخ: «زمان» والتصويب من «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٨٦)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) انظر: «لسان العرب» (١/ ٣٢٦).

﴿فاتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ﴾ أي: جَعَلَه بجَعلِ اللهِ ﴿سَرَبًا﴾ أي: مِثلَ السَّرَبِ. وهو الشَّقّ الطويل لا نفاذَ له. وذلك أنّ الله أمسك عن الحوت جريَ الماء فانجابَ عنه، فبقيَ كالكُوّة لم يلتئم، وجَمَدَ ما تحته منه.

٦٢ ـ ﴿فلَمّا جاوَزا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قالَ﴾ موسى ﴿لِفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا﴾ هو ما يُؤكل أوّل النهار. ﴿لَقَد لَقِينا مِن سَفَرِنا هذا نَصَبًا﴾: تعبًا. وحصولُه بعد المُجاوزة.
٦٣ ـ ﴿قالَ: أرَأيتَ﴾ أي: تنبّهْ ﴿إذ أوَينا إلَى الصَّخرةِ﴾ بذلك المكان ﴿فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ ـ وما أنسانِيهِ إلاّ الشَّيطانُ﴾، يُبدل من الهاء: ﴿أن أذكُرَهُ﴾ بدل اشتمال أي: أنساني ذِكرَه ـ ﴿واتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثان، أي يَتعجّب منه موسى وفتاه لِما تقدّم في بيانه.

٦٤ ـ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿ذلِكَ﴾ أي: فقْدُنا الحوتَ ﴿ما﴾..................................

قولُهُ: (جَعَلَهُ) أي: جعلَ الحوتُ طريقَهُ.

قولُهُ: (فَانْجَابَ) أي: انقَطعَ وانكشَفَ.

قولُهُ: (كالكَوَّةِ) بالفتحِ ويضمُّ: الخَرْقُ في الحائطِ[1].

قولُهُ: (لَم يَلتَئِمْ) لم يلتَصِقْ حتَّى رجَعَ إليه موسَى فرَأى مسلكَهُ.

قولُهُ: (هُوَ ما يُؤكَلُ) الجوهريُّ[2]: آتاهُ إيتاءً: أعطاهُ، وآتاهُ أيضاً: أَتَى به، ومنهُ قولُه تعالى: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾؛ أي: ائتِنا به، كذا في «الكشفِ»[3].

قولُهُ: (أي: تَنَبَّهْ) أو: أرأَيتَ ما دَهانِي.

قولُهُ: (بِذَلِكَ المَكَانِ) الَّتي رقدَ عِندَها موسى.

وقولُهُ: (﴿نَسِيتُ الحُوتَ﴾) أي: فقدتُهُ، أو: نسيتُ ذكرَهُ بما رأيتُ منه.

قولُهُ: (أي: أَنْسَانِي ذِكْرَهُ) وهو اعتِذارٌ عن نسيانِهِ بشَغلِ الشَّيطانِ له بوَسواسِهِ.

قولُهُ: (مَفعُولٌ ثَانٍ) الظَّاهرُ أنَّ المفعولَ الثَّاني هو الظَّرفُ، والتَّقديرُ: سبيلاً عجباً، أو: اتِّخاذاً عجباً.

قولُهُ: (لِمَا تَقَدَّمَ) من كونِهِ سَرَباً.

قولُهُ: (فَقْدُنَا) أو: أمرُ الحوتِ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٥/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٢٦٢).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٩/ ٥٩٧).

أي: الذي ﴿كُنَّا نَبغِي﴾: نطلبه. فإنه علامة لنا على وُجود من نطلبه. ﴿فارتَدّا﴾: رجَعا ﴿علَى آثارِهما﴾ يقُصّانها ﴿قَصَصًا﴾، فأتيا الصخرة، ٦٥ ـ ﴿فوَجَدا عَبدًا مِن عِبادِنا﴾ هو الخَضِر، ﴿آتيناهُ رَحْمةً مِن عِندِنا﴾ نُبوّةً في قولٍ، وولايةً في آخَرَ وعليه أكثر العلماء، ﴿وعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا﴾: من قِبَلِنا ﴿عِلمًا﴾: مفعولٌ ثان، أي: معلومًا من المُغيَّبات.

روى البخاريّ حديثَ «أنّ مُوسى قامَ خَطِيبًا في بَنِي إسرائيلَ فسُئلَ: أيُّ النّاسِ أعلَمُ؟ فقالَ: أنا. فعتَبَ اللهُ علَيهِ، إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه، فأوحَى اللهُ إلَيهِ: إنّ لِي عَبدًا بِمَجمَعِ البَحرَينِ، هُوَ أعلَمُ مِنكَ......

قولُهُ: (رَجَعَا) أي: في الطَّرِيقِ الَّذي جَاءا فيه.

قولُهُ: (يَقُصَّانِهَا) أي: يتبَعانِ آثارَهُما اتِّباعاً.

قولُهُ: (فَأَتَيَا) أو: حتَّى أَتَيا.

قولُهُ: (هُو الخَضِرُ) كما في «الصَّحيحِ» وغيرِهِ[1]، واسمُهُ: بلْيَا بنُ ملكانِ، وقيلَ: اليسعُ، وقيلَ: إلياسُ.

قولُهُ: (فِي قَوْلٍ) واقتصَرَ عليه البَيضاويُّ[2].

قولُهُ: (فِي أُخْرَى) أي: روايةٍ، والأظهَرُ: في آخر[3].

قوله: (وَعَلَيهِ أَكْثَرُ العُلَمَاءِ) نصَّ عليه البَغويُّ[4]، لكن نقلَ سَعدي جَلبي[5] عنِ القرطبيِّ أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ عند الجمهورِ[6]، وقالَ الإمامُ: الأكثَرونَ على أنَّ ذلك العبْدَ كانَ نبيًّا[7].

وفي «المداركِ»: هي الوَحيُ أو النُّبوَّةُ، أو العِلمُ، أو طولُ الحياةِ[8].

قولُهُ: (مِنْ قِبَلِنَا) بطريقِ الوَحيِ أو الإلهامِ.

قولُهُ: (أَعْلَمُ) أي: بالمغيَّباتِ.

---

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) في حديث طويل من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٨٧).

(٣) وهكذا هو في نسخ المتن المعتمدة.

(٤) فقال: ولم يكن الخضر نبيًّا عند أكثر أهل العلم، انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٠٥).

(٥) هو: سعد الله بن عيسى بن أمير خان، الشهير بسعدى جلبي أو سعدي أفندي: قاض حنفي من علماء الروم. أصله من ولاية قسطموني. منشؤه ووفاته في الأستانة. وله حاشية على البيضاوي. ت: (٩٤٥هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ٨٨).

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦).

(٧) انظر: «مفاتيح الغيب» (٢١/ ٤٨١).

(٨) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣١٠).

قالَ مُوسَى: يا رَبِّ، فكَيفَ لِي بِهِ؟ قالَ: تأخُذُ مَعَكَ حُوتًا فتجعَلُهُ في مِكتَلٍ. فحَيثُما فَقَدتَ الحُوتَ فهوَ ثَمَّ. فأخَذَ حُوتًا فجَعَلَهُ في مِكتَلٍ، ثُمّ انطَلَقَ وانطَلَقَ مَعَهُ فَتاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ حَتّى أتَيا الصَّخرةَ، ووَضَعا رُؤوسَهُما فناما.

واضطَرَبَ الحُوتُ في المِكتَلِ، فخَرَجَ مِنهُ، فسَقَطَ في البَحرِ، فاتَّخَذَ سَبيلَهُ في البَحرِ سَرَبًا. وأمسَكَ اللهُ عَنِ الحُوتِ جِريةَ الماءِ، فصارَ علَيهِ مِثلَ الطّاقِ. فلمّا استَيقَظَ نَسِيَ صاحِبُه أن يُخبِرَهُ بالحُوتِ، فانطَلَقا بَقِيَّةَ يَومِهِما ولَيلَتِهِما. حَتّى إذا كانا مِنَ الغَداةِ قالَ مُوسَى لِفَتاهُ: آتِنا غَداءنا، إلى قوله: «واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا». قالَ: وكانَ لِلحُوتِ سَرَبًا، ولِمُوسَى ولفَتاهُ عَجَبًا» إلى آخره.

٦٦ ـ ﴿قالَ لَهُ مُوسَى: هَل أَتَّبِعُكَ علَى أن تُعَلِّمَنِي مِمّا عُلِّمتَ رَشَدًا﴾ أي: صوابًا أُرشَدُ به؟ وفي قراءةٍ بضمّ الراء وسكون الشين. وسأله ذلك لأنّ الزيادة في العِلم مطلوبة........................

قولُهُ: (مِكْتَلٍ) أي: زِنْبيلٍ[1].

قولُهُ: (ثَمَّ) بفتحِ الثَّاءِ؛ أي: في ذلك المكانِ.

قولُهُ: (استَيْقَظَ) أي: مُوسى، وأُفرِدَ لأنَّه الأصلُ.

قولُهُ: (قَالَ) أي: النَّبيُّ ﷺ.

قولُهُ: (وكَانَ) أي: البحرُ.

قولُهُ: (﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾) أي: بشَرطِ أن تعلِّمَني، وهو في موضِعِ الحالِ مِن الكافِ.

قولُهُ: (أي: صَوَاباً) أي: عِلماً ذا رَشَدٍ، وهو إصابَةُ الخيرِ، وهو مفعولُ: ﴿تُعَلِّمَنِي﴾ ومفعولُ ﴿عُلِّمْتَ﴾ العائِدُ المحذوفُ، وكلاهُما منقولٌ من «علَّمَ» الَّذي له مفعولٌ واحدٌ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءةٍ) لغَيرِ البَصريِّ[2].

قولُهُ: (مَطْلُوبٌ) يعني: لا يُنافي نبوَّتَهُ وكونَهُ صاحِبَ شريعَةٍ أن يتعلَّمَ من غيرِهِ ما لم يكن شَرطاً في أبوابِ الدِّينِ، فإنَّ الرَّسولَ ينبَغي أن يكونَ أعلمَ ممَّن أُرسِلَ إليه فيما بُعِثَ به مِن أُصولِ الدِّينِ وفروعِه مطلقاً، وقد راعى في ذلك غايَةَ التَّواضُعِ فاستجهلَ نفسَهُ واستأذَنَ أن يكون تابِعاً له، وسأَلَ منه أن يُرشِدَهُ ويُنعِمَ عليه بتَعليمِ بعضِ ما أنعَمَ اللهُ عليه.

(١) انظر: «تاج العروس» (٣٠/ ٣١٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٢).

٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿قالَ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا. وكَيفَ تَصبِرُ علَى ما لَم تُحِطْ بِهِ خُبرًا﴾؟ في الحديث السابق عقِبَ هذه الآيةِ: «يا مُوسَى. إنّي علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلّمَنِيهِ لا تَعلَمُهُ، وأنتَ علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلّمَكَهُ اللهُ لا أعلَمُهُ». وقوله «خُبرًا» مصدر لمعنى «لم تُحِط» أي: لم تَخبُر حقيقتَه.

٦٩ ـ ﴿قالَ: ستَجِدُنِيَ، إن شاءَ اللهُ، صابِرًا ولا أعصِي﴾ أي: وغيرَ عاصٍ ﴿لَكَ أمرًا﴾ تأمرني به. وقيّد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثِقة من نفسه فيما التزمَ. وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألاّ يثقوا إلى أنفسهم طَرْفةَ عين. ٧٠ ـ ﴿قالَ: فإنِ اتَّبَعتَني فلا تَسألْني﴾ ـ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ـ ﴿عَن شَيءٍ﴾ تُنكره منّي في عِلمك، واصبرْ ﴿حَتَّى أُحدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكرًا﴾ أي: أذكرَه لك بعِلّته. فقبل مُوسَى شرطه رعايةً لأدب التعلّم من العالِم.

٧١ ـ ﴿فانطَلَقا﴾ أي: يمشيانِ على ساحل البحر..

قولُهُ: (أي: لَمْ تَخْبُر) بضمِّ الباءِ وفتحِها؛ أي: لم تعرف؛ أي: كيفَ تصبِرُ وأنت نبيٌّ على ما أتولَّى من أمورٍ ظاهِرُها مناكيرُ، وبواطِنُها لم يُحِط بها خُبرُكَ.

قولُهُ: (﴿صَابِراً﴾) أي: معكَ غيرَ منكِرٍ عليك.

قولُهُ: (أي: وغيرَ عَاصٍ) أي: ﴿لا أعصِي﴾ في محلِّ النَّصبِ على أنّه عطفٌ على ﴿صابراً﴾، ولو عطفَ على ﴿سَتَجِدُنِي﴾ كما جوَّزهُ البَيضاويُّ[1] لم يكُن في سِياقِ المشيئَةِ المقصودَةِ في الكلامِ المحكيِّ.

قولُهُ: (إِلَى أَنْفُسِهِم) الظَّاهرُ: من أنفسِهم، ولعلَّهُ ضمَّنَ الوثوقَ معنى الميلِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ، وإنَّما حذفَ الياءَ ابنُ ذكوانَ بخُلفٍ عنه[2].

قولُهُ: (تُنْكِرُهُ) ولم تعلَمْ وجهَ صحَّتِهِ.

قولُهُ: (وَاصبِرْ) لا يُحتاجُ إليه.

قولُهُ: (أي: أَذْكُرَ) أي: حتَّى أبتَدِئَ بك تبيانَه[3].

قولُهُ: (مِنَ العالِمِ) وفي نسخةٍ: «مع»، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (يَمْشِيَانِ) يطلُبانِ السَّفينَةَ، قالَ القرطبيُّ: قيلَ: لم يُذكر هنا فَتى موسى؛ لأنَّ موسى صرفَهُ لمَّا لقيَ الخَضِرَ، ويحتملُ أن يكونَ اكتفَى بذكرِ المتبوعِ عن التَّابعِ[4].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٣).

(٣) أي: «حتى أبتدئك ببيانه».

(٤) انظر: «المفهم» (٦/ ٢٠٣).

﴿حَتَّى إذا رَكِبا في السَّفِينةِ﴾ التي مرّت بهما ﴿خَرَقَها﴾ الخَضِرُ بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جِهة البحر بفأس لمّا بلغَتِ اللُّجَّ. ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أخَرَقتَها لِتُغرِقَ أهلَها﴾؟ وفي قراءةٍ بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع «أهلُها». ﴿لَقَد جِئتَ شَيئًا إمرًا﴾، أي: عظيمًا مُنكرًا. رُوي أنّ الماء لم يدخلها.

٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿قالَ: ألَم أقُلْ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا؟ قالَ: لا تُؤاخِذْني بِما نَسِيتُ﴾ أي: غفَلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك، ﴿ولا تُرهِقْني﴾: تُكلّفْني ﴿مِن أمرِي عُسْرًا﴾: مشقّة في صُحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليُسر.

٧٤ ـ ﴿فانطَلَقا﴾ بعد خُروجهما من السفينة يمشيان. ﴿حَتَّى إذا لَقِيا غُلامًا﴾ لم يبلغِ الحِنثَ، يلعبُ مع الصِّبيان أحسنَهم وجهًا، ﴿فقَتَلَهُ﴾ الخَضِر بأن ذبحه بالسكّين مُضطجِعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوالٌ ـ وأتى هنا بالفاء العاطفة لأنّ القتل عقب اللُّقيّ ـ وجواب «إذا»: ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أقَتَلتَ نَفسًا زاكِيةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حدّ التكليف ـ وفي قراءة «زَكِيّةً» بتشديد الياء بلا ألف ـ ﴿بِغَيرِ نَفسٍ﴾ ....

قولُهُ: (بِفَأْسٍ) أو بإشارَةٍ، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (اللُّجَّ) معظَمَ البحرِ، وكذا اللُّجَّةُ[١].

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكسائيِّ[٢].

قولُهُ: (أي: عَظِيْماً) أي: أتيتَ أمراً عَظيماً، من أَمِرَ الأمرُ: إذا عَظُمَ.

قولُهُ: (تُكَلِّفْنِي) وتُغشِنِي.

قولُهُ: (مَشَقَّةً) مفعولٌ ثانٍ.

قولُهُ: (بالعَفْوِ واليُسْرِ) لا بالمضايقَةِ والمؤاخَذَةِ على المنسيِّ، فإنَّ ذلك يُعسِرُ عليَّ مُتابعَتَك.

قولُهُ: (الحِنْثَ) الإثمَ، أو زمانَهُ، وهو البُلوغُ.

قولُهُ: (بالفَاءِ) للدَّلالَةِ على أنَّهُ كما لقيَهُ قتلَهُ من غيرِ تروٍّ واستكشافِ حالٍ.

قولُهُ: (أَي: طَاهِرَةً) من الذُّنوبِ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ والكوفيِّ[٣].

---

(١) انظر: «تاج العروس» (٦/ ١٨٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٤).

أي: لم تقتلْ نفسًا؟ ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ بسكونِ الكاف وضمِّها أي: منكَرًا. ٧٥ ـ ﴿قَالَ: أَلَمۡ أَقُل لَّكَ: إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾؟ زاد «لك» على ما قبله لعدم العذر هنا. ولهذا ٧٦ ـ ﴿قَالَ: إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرّة ﴿فلا تُصاحِبۡنِي﴾: لا تتركْني أتبعُك. ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي﴾، بالتشديد والتخفيف: من قِبَلي ﴿عُذۡرٗا﴾ في مُفارقتك لي.

٧٧ ـ ﴿فانطَلَقا. حَتَّىٰٓ إذآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ ـ هي أنطاكيةُ ـ ﴿اسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾: طلبا منهم الطعام ضيافةً، ﴿فأبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا﴾ ارتفاعُه مِائة ذراع، ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يقرُبُ أن يسقط لميلانه، ....

قولُهُ: (أي: لَم تَقتُلْ نَفساً) فتُقادَ بها، نبَّهَ به على أنَّ القَتلَ يُباحُ حدًّا أو قصَاصاً وكِلاهُما مُنتَفٍ.

قولُهُ: (وضَمِّها) نافعٌ وابنُ ذكوانَ وأبو بكرٍ[١].

قولُهُ: (أي: مُنكَراً) في «العرائسِ»: أنَّ موسى لمَّا قالَ ما قالَ، غَضِبَ الخَضِرُ واقتلعَ كتفَ الصبيِّ الأيسرَ، وقَشَرَ اللَّحمَ عنه، فإذا في عَظْمِ كتفِهِ مكتوبٌ: كافرٌ لا يُؤمِنُ باللهِ أبداً، كذا ذكرَهُ القرطبيُّ[٢]، وهو مخالفٌ لظاهرِ القصَّةِ، وهو أنَّ الإعلامَ إنَّما كانَ بعدَ وقوعِ الجميعِ.

قولُهُ: (زَادَ: ﴿لَكَ﴾) مشافهةً بالعِتابِ على رَفضِ الوصيَّةِ.

قولُهُ: (لا تَتْرُكْني) وإن سألْتُ صحبتَكَ.

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ) نافِعٌ وأبو بكرٍ، إلَّا أنَّ أبا بكرٍ بالإشمامِ[٣].

قولُهُ: (مِنْ قِبَلي) و﴿بَلَغْتَ﴾ بمعنى: وجَدْتَ.

قولُهُ: (في مُفَارَقَتِكَ) لمَّا خالفتُكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، رُويَ عن رسولِ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَخِي موسَى استحيى فقالَ ذلكَ، لو لَبِثَ معَ صاحبِهِ لأبصَرَ أعجبَ الأعاجِيبِ»[٤].

قولُهُ: (أَنْطَاكِيَةُ) وقيل: غَيرُها.

قولُهُ: (طَلَبَا مِنْهُم) ولم يقُل: استَطْعَماهُم؛ لأنَّ المرادَ بالأوَّلِ الأعمُّ، وبالثَّاني الأخصُّ.

قولُهُ: (يَقرُبُ) فاستُعيرَتِ الإرادَةُ للمُشارَفَةِ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٦).

(٤) رواه بنحوه مسلم (٢٣٨٠)، وأبو داود (٣٩٨٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٨٨)، من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

﴿فأَقامَهُ﴾ الخَضِر بيده. ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿لَو شِئتَ لَتخِذْتَ﴾ ـ وفي قراءة: «لَاتَّخَذْتَ» ـ ﴿علَيهِ أجرًا﴾: جُعْلاً حيثُ لم يُضيّفونا مع حاجتنا إلى الطعام. ٧٨ ـ ﴿قالَ﴾ له الخَضِر: ﴿هذا فِراقُ﴾ أي: وقتُ فراقِ ﴿بَينِي وبَينِكَ﴾. فيه إضافة «بين» إلى غير متعدّد، سوّغها تكريره بالعطف بالواو. ﴿سأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتأوِيلِ ما لَم تَستَطِعْ علَيهِ صَبرًا﴾.

٧٩ ـ ﴿أمّا السَّفِينةُ فكانَتْ لِمَساكِينَ﴾ عشَرةٍ، ﴿يَعمَلُونَ في البَحرِ﴾ بها مُؤاجَرةً لها طلبًا للكسب، ﴿فأرَدتُ أن أعِيبَها، وكانَ وَراءَهُم﴾ إذا رجَعوا أو أمامَهم الآنَ ﴿مَلِكٌ﴾ كافر، ﴿يأخُذُ كُلَّ سَفِينةٍ﴾ صالحةٍ ﴿غَصْبًا﴾. نصبُه على المصدر المُبيّن لنوع الأخذ.

٨٠ ـ ﴿وأمّا الغُلامُ فكانَ أبَواهُ مُؤمِنَينِ، فخَشِينا أن يُرهِقَهُما طُغيانًا وكُفرًا﴾ ـ فإنه كما في حديث مُسلم طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبّتهما له يتبعانه في ذلك ـ.......................

قولُهُ: (بِيَدِهِ) بأنْ مسحَهُ فقامَ، أو بعمارَتِهِ، أو بعَمودٍ عمدَهُ به، وقيلَ: نقضَهُ وبَناهُ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ المكيِّ والبصريِّ[١].

قولُهُ: (أي: وَقْتُ فِرَاقِ) الإشارَةُ إلى الفِراقِ الموعودِ بقولِه: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أو إلى الاعتِراضِ الثَّالثِ، أو: هذا الوقتُ وقتُه، وإضافةُ الفراقِ إلى البَينِ من إضافَةِ المصدَرِ إلى الظَّرفِ اتِّساعاً، وقد قُرِئَ على الأَصلِ[٢].

قولُهُ: (سَوَّغَهَا) وقيل: كَرَّرَ الظَّرفَ ولم يقُل: «بينَنا» للتَّأكيدِ.

قولُهُ: (عَشَرَةٍ) إخوَةٍ.

قولُهُ: (بِهَا) أي: «بالسَّفينَةِ» كما في نسخَةٍ.

قولُهُ: (إِذَا رَجَعُوا) فـ﴿وَرَاءَ﴾ بمعنى: خَلْفَ.

قولُهُ: (كَافِرٌ) اسمُهُ: هُدَدُ بنُ بُدَد، كما في «البخاريِّ»[٣]، ذكرَهُ في «المبهماتِ»[٤].

قولُهُ: (صَالِحَةٍ) وقرئَ بها[٥].

قالَ تعَالى: (﴿أَنْ يُرْهِقَهُما﴾) أي: يغشيهما.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٥).

(٢) أي: بالتنوين، وقرأ به ابن أبي عبلة. «تفسير الزمخشري» (٢/ ٧٤٠).

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٦).

(٤) وانظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٧٠).

(٥) وهي قراءة ابن عباس، رواه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).

٨١ ـ ﴿فأَرَدْنا أن يُبَدِّلَهُما﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿رَبُّهُما خَيرًا مِنهُ زَكاةً﴾ أي: صلاحًا وتُقى ﴿وأقرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾، بسكون الحاء وضمّها، أي: رحمةً. وهي البِرّ بوالديه. فأبدلهما تعالى جارية تزوّجتْ نبيًا، فولدتْ نبيًا فهدى الله ـ تعالى ـ به أُمّةً.

٨٢ ـ ﴿وأمّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ في المَدِينةِ، وكانَ تَحتَهُ كَنزٌ﴾: مال مدفون من ذهب وفضّة ﴿لَهما، وكانَ أبوهُما صالِحًا﴾ فحُفِظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما، ﴿فأرادَ رَبُّكَ أن يَبلُغا أشُدَّهُما﴾ أي: إيناسَ رُشدهما، ﴿ويَستَخرِجا كَنزَهُما، رَحمةً مِن رَبِّكَ﴾: مفعول له عامله «أراد». ﴿وما فَعَلْتُهُ﴾،..

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) نافِعٌ وبصريٌّ[(١)].

قولُهُ: (وَضَمِّهَا) شاميٌّ[(٢)].

قولُهُ: (مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ) رُويَ ذلك مرفُوعاً[(٣)]، وإنَّما الذَّمُّ لمن لا يؤدِّي الحُقوقَ، وقيل: من كتُبِ العِلمِ. وقيل: كانَ لوحاً من ذهبٍ مكتوبٌ فيه: عجبْتُ لمن يُؤمِنُ بالقَدرِ كيف يحزنُ، وعجبْتُ لمن يُؤمِنُ بالرِّزقِ كيف يتعَبُ، وعجبتُ لمن يؤمِنُ بالموتِ كيف يفرَحُ، وعجبتُ لمن يؤمِنُ بالحسابِ كيف يغفلُ، وعجبتُ لمن يعرفُ الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها، لا إله إلَّا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ.

قال البغويُّ[(٤)]: وهذا قولُ أكثرِ المفسِّرينَ، ورُويَ ذلك أيضاً مرفوعاً[(٥)].

قلتُ: لا عجَبَ فإنَّ هذا كلَّهُ من القَدرِ الَّذي لا يتغيَّرُ لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ.

قولُهُ: (بصَلاحِهِ) أي: الأبِ، قيلَ: كان بينهُما وبين الَّذي حُفِظا فيه سبعَةُ آباءٍ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ سعيَهُ في ذلك كانَ لصلاحِهِ.

قولُهُ: (إِينَاسَ رُشْدِهِمَا) من الحُلْمِ وكمالِ الرَّأيِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٧).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) رواه الترمذي (٣١٥٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٧) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال الحاكم: صحيح. وقال الذهبي: بل يزيد بن يوسف متروك.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢١١).

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن بشران في «الأمالي/ ج١» (٣٢١) بنحوه من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أي: ما ذُكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ﴿عَن أمرِي﴾ أي: اختياري، بل بأمر إلهام من الله. ﴿ذلِكَ تأوِيلُ ما لَم تَسطِعْ علَيهِ صَبرًا﴾. يقال: اسطاعَ واستَطاعَ بمعنى: أطاقَ. ففي هذا وما قبلَه جمعٌ بين اللغتين. ونُوِّعَتِ العبارةُ في: فأردتُ، فأردنا، فأرادَ رَبُّكَ.

٨٣ ـ ﴿ويَسألُونَكَ﴾ أي: اليهودُ ﴿عَن ذِي القَرنَينِ﴾، اسمه الإسكندر، ولم يكن نبيًّا. ﴿قُلْ: سأتلُو﴾: سأقُصُّ ﴿علَيكُم مِنهُ﴾: من حاله ﴿ذِكرًا﴾: خبرًا. ٨٤ ـ ﴿إنّا مَكَّنّا لَهُ في الأرضِ﴾ بتسهيل السير فيها، ﴿وآتَيناهُ مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ يَحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾:..........................

قولُهُ: (مَا ذُكِرَ) أو: ما رأيتَهُ.

قولُهُ: (أي: اختِيَارِي) ورَأيِي.

قولُهُ: (بَلْ بأَمْرٍ) ومَبنَى ذلك على أنَّه إذا تعارضَ ضرَرانِ يجبُ تحمُّلُ أهونِهما لدفعِ أعظمِهما، وهو أصلٌ ممهَّدٌ، غير أنَّ الشَّرائعَ في تفاصيلِهِ مختلفةٌ.

هذا وفيه إشكالٌ قويٌّ على القولِ بأنَّه وليٌّ وأمرُه إلهاميٌّ، وهو أنَّه ليس للوليِّ أن يقتلَ نَفْساً بالإلهامِ أو بالكشفِ عن المقامِ، أو برؤيَةِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ وأمرِهِ في المنامِ، ولم أرَ من تعرَّضَ له بالكلامِ، واللهُ أعلمُ بالمرامِ.

قالَ تعَالى: (﴿ذَلِكَ﴾) أي: المذكورُ من الحِكَمِ الخفيَّةِ.

قولُهُ: (ونُوِّعَتِ) لاختلافِ حالِ العارِفِ في الالتِفاتِ إلى الوَسائطِ.

قولُهُ: (اليَهُودُ) أو مُشرِكو مكَّةَ.

قولُهُ: (الإِسكَنْدَرُ) روميٌّ مَلِكُ فارسَ والرُّومِ، وقيل: المشرقِ والمغربِ، ولذلك سُمِّي ذا القرنينِ، وقيل: لأنَّه انقرضَ في أيَّامِهِ قَرنانِ من النَّاسِ، وقيل: كانَ له قَرْنانِ؛ أي: ضفيرَتانِ، وقيل: كانَ لتاجِهِ قَرنانِ.

قولُهُ: (وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا) الجزمُ بالنَّفيِ غيرُ مُناسبٍ، إذ اختُلِفَ في نبوَّتِهِ مع الاتِّفاقِ على إيمانِهِ وصلاحِهِ، قالَ البغويُّ: والأكثَرونَ على أنَّهُ لم يكنْ نبيًّا[1].

قولُهُ: (مِنْ حَالِهِ) فالهاءُ لذي القرنَينِ، وقيلَ: للهِ.

قولُهُ: (بتَسْهِيلِ السَّيرِ) أي: مكَّنَّا له أمرَهُ من التَّصرُّفِ فيها كيفَ شاءَ، فحُذِفَ المفعولُ.

قولُهُ: (يَحتَاجُ إِلَيهِ) أو أرادَهُ وتوجَّهَ إليه.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٢).

طريقًا يُوصله إلى مُراده، ٨٥ ـ ﴿فاتَّبَعَ سَبَبًا﴾: سلك طريقًا نحو المَغرِب.

٨٦ ـ ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ﴾: موضع غُروبها ﴿وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئةٍ﴾: ذات حمْأة، وهي الطين الأسود ـ وغروبها في العَين في رأيِ العين. وإلاّ فهي أعظم من الدنيا ـ ﴿ووَجَدَ عِندَها﴾ أي: العَينِ ﴿قَومًا﴾ كافرين. ﴿قُلْنا: يا ذا القَرنَينِ﴾ بإلهام، ﴿إمّا أن تُعذِّبَ﴾ القومَ بالقتل، ﴿وإمّا أن تَتَّخِذَ فِيهِم حُسنًا﴾ بالأسر. ٨٧ ـ ﴿قالَ: أمّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشِّرك ﴿فسَوفَ نُعَذِّبُهُ﴾: نقتله،......

قولُهُ: (طَرِيقاً) أي: وصلَةً من العلمِ والقُدرةِ والآلةِ.

قولُهُ تعالى: (﴿فَأَتْبَعَ﴾) شاميٌّ وكوفيٌّ في المواضعِ الثَّلاثةِ من الإفعالِ، والباقي من الافتِعالِ[1].

قولُهُ: (سَلَكَ) أو: فأرادَ بُلوغَ المغرِبِ فاتَّبعَ سبباً يوصلُهُ إليه.

قولُهُ: (الأَسوَدُ) وقرأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بكرٍ: (حامِيةٍ)[2]؛ أي: حارَّةٍ، ولا تَنافيَ بينهُما؛ لجوازِ أن تكونَ العينُ جامِعةً للوصفَينِ.

قولُهُ: (فِي رَأْيِ العَينِ) إذ لم يكُنْ في مَطْمَحِ بصرِهِ غيرُ الماءِ، ولذلك قالَ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقلْ: كانَت تغرُبُ.

قولُهُ: (كَافِرِينَ) قيلَ: كانَ لباسُهُم جلودَ الوحشِ وطعامُهُم ما لفظَهُ البحرُ.

قولُهُ: (بِإِلهَامٍ) أو على لسانِ نبيٍّ، أو بوَحيٍ على القولِ بأنَّهُ نبيٌّ.

قولُهُ تعالى: (﴿حُسْنًا﴾) أي: أمراً ذا حُسنٍ، وصفَ بالمصدَرِ مُبالغةً، وسمَّاهُ إحساناً في مقابَلةِ القتْلِ.

وقيلَ: بالإرشادِ وتعليمِ الشَّرائعِ، ويؤيِّدُه ما بعدَهُ؛ يعني: فخيَّرَهُ اللهُ بينَ أن يعذِّبَهُم أو يَدعوَهُم إلى الإيمانِ فاختارَ الدَّعوَةَ، كذا قالَ البيضاويُّ[3]، وفيهِ إشكالٌ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فالمعتمَدُ ما ذكرَهُ الشَّيخُ.

ثمَّ قالَ القاضي: ويجوزُ أن يكونَ ﴿أمَّا﴾ ﴿وأمَّا﴾ للتَّقسيمِ؛ أي: ليكن شأنُكَ معهُم إمَّا التَّعذيبَ وإمَّا الإحسانَ، فالأوَّلُ على مَن أصرَّ على الكُفرِ، والثَّاني لمن تابَ عنه، وهذا هو الظَّاهرُ، واللهُ أعلمُ بالسَّرائرِ.

قولُهُ: (بِقَتْلِهِ) أو أسرِهِ، فإنَّهُ نوعٌ من العَذابِ وإن كانَ إحساناً من وجْهٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٨).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٩٢).

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾، بسكون الكاف وضمّها أي: شديدًا في النار، ٨٨ ـ ﴿وأمّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فلَهُ جَزاءُ الحُسنَى﴾ أي: الجنّةُ ـ والإضافةُ للبيان. وفي قراءةٍ بنصبِ «جَزاءً» وتنوينِه. قال الفراء: نصبُه على التفسير، أي: لجهة النِّسبة ـ ﴿وسَنَقُولُ لَهُ مِن أمرِنا يُسْرًا﴾ أي: نأمره بما يسهُل عليه.

٨٩ ـ ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المَشرِق. ٩٠ ـ ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ مَطلِعَ الشَّمسِ﴾: موضعَ طُلوعها ﴿وَجَدَها تَطلُعُ على قَومٍ﴾ هم الزَّنج، ﴿لَم نَجعَلْ لَهُم مِن دُونِها﴾ أي: الشمسِ ﴿سِترًا﴾ من لباس ولا سقف لأنّ أرضهم لا تحمل بناء، ولهم سُروب يغيبون فيها عِند طُلوع الشمس، ويظهرون عِند ارتفاعها. ﴿كَذلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قلنا.

قوله: (وضَمِّهَا) تقدَّمَ[1].

قولُهُ: (أي: الجَنَّةُ) أو: فله في الدَّارينِ جزاءُ فعلتِهِ الحُسنَى.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكسائيِّ وحَفصٍ[2].

قولُهُ: (بِنَصْبِ ﴿جزاءً﴾) على الحالِ؛ أي: فلَهُ المثوبَةُ الحُسنَى مجزيًّا بها، أو على المصدَرِ؛ أي: يُجزى بها جزاءً، أو التَّمييزِ وهو المرادُ بقولِهِ: (عَلَى التَّفْسِيرِ).

قولُهُ: (أَيْ: نَأْمُرُهُ... إلخ)، هذا حاصِلُ المعنى، والتَّقديرُ: ممَّا نأمرُهُ به سهلاً ميسَّراً غيرَ شاقٍّ، وتقديرُهُ: ذا يُسرٍ.

قولُهُ: (مَوْضِعَ طُلُوعِهَا) يعني: الموضِعَ الَّذي تطلعُ الشَّمسُ عليه أوَّلاً من معمورَةِ الأرضِ.

قولُهُ: (هُمُ الزَّنْجُ) بالفتحِ ويُكسَرُ، جيلٌ من السُّودانِ[3].

قولُهُ: (أي: الشَّمْسِ) أي: أمامَهَا.

قولُهُ: (سُرُوبٌ) السَّرَبُ: بيتٌ في الأرضِ، فالمنفيُّ هو السِّترُ المتعارَفُ من اللِّباسِ والأبنيَةِ[4].

قولُهُ: (أي: الأَمْرُ كَمَا قُلْنَا) أي: أمرُ ذي القرنَينِ كما وصَفناهُ من رفعَةِ المكانِ وبَسطِ الملكِ، أو: أمرُهُ فيهم كأمرِهِ في أهلِ المغرِبِ.

---

(١) وقد نسبها لنافع وابن ذكوان وأبي بكر. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٢٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٣٠).

(٣) انظر: «مختار الصحاح» (ص: ١٣٧).

(٤) وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٩).

٩١ ـ ﴿وقَد أحَطْنا بِما لَدَيهِ﴾ أي: عِندَ ذي القرنينِ من الآلات والجُند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾: عِلمًا.

٩٢ ـ ٩٣ ـ ﴿ثُمَّ اتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إذا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ﴾، بفتح السين وضمّها هنا وبعدُ: هما جبلان بمُنقطَع بلاد الترك، سدّ الإسكندر ما بينهما كما سيأتي، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِما﴾ أي: أمامَهما ﴿قَومًا، لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ قَولاً﴾ أي: لا يَفهمونه إلاّ بعد بُطء. وفي قراءةٍ بضمّ الياء وكسر القاف. ٩٤ ـ ﴿قالُوا: يا ذا القَرنَينِ، إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ﴾ ـ بالهمز وتركه، هما اسمان أعجميّان لقبيلتين فلم ينصرفا ـ........

قولُهُ: (وغَيرِهِمَا) من العُددِ والأسبابِ.

قولُهُ: (عِلْماً) تعلَّقَ بظواهرِهِ وخَفاياهُ، والمرادُ: أنَّ كثرةَ ذلك بلغَتْ مبلَغاً لا يحيطُ به إلَّا علمُ اللَّطيفِ الخبيرِ، ونصبُهُ على المصدرِ إذ ﴿أَحَطْنَا﴾ بمعنى: خَبَرْنا.

قالَ تعالى: (﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾) أي: طريقاً مُعتَرِضاً بين المشرقِ والمغربِ آخذاً من الجنوبِ إلى الشِّمالِ.

قولُهُ: (بِفَتحِ السِّينِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وحفصٌ[1].

قولُهُ: (وبَعْدُ) ووافقَهُم فيما بعدُ حمزةُ والكسائيُّ[2].

قولُهُ: (هُمَا جَبَلَانِ) عاليانِ.

قولُهُ: (أي: أَمَامَهُمَا) الظَّاهرُ: وراءَهمَا، كما في «المداركِ»[3].

قولُهُ: (إلَّا بَعْدَ بُطْءٍ) بالضمِّ، ضدُّ: الإسراعِ؛ لقلَّةِ فطنتِهِم، أو بجهدٍ ومشقَّةٍ من إشارةٍ ونَحوِها.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكسائيِّ[4]؛ أي: لا يُفهِمونَ السَّامعَ كلامَهُم ولا يُبَيِّنونَه؛ لأنَّ لغتَهُم غريبةٌ مجهولَةٌ.

قالَ تعَالى: (﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾) أي: قال مترجمُهُم، وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ: (قالَ الَّذينَ مِنْ دونِهِم)[5].

قولُهُ: (بالهَمْزِ) عاصمٌ[6].

قولُهُ: (لقَبيلَتَينِ) من ولَدِ يافثَ بنِ نُوحٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣١٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٩).

(٥) وهي قراءة شاذة، انظر: «الكشف والبيان» (١٧/ ٢٦٧)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٢١٤).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٩٩).

﴿مُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالنهب والبغي عند خُروجهم إلينا. ﴿فهَل نَجعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعلاً من المال ـ وفي قراءة: «خَراجًا» ـ ﴿علَى أن تَجعَلَ بَيننا وبَينَهُم سَدًّا﴾ حاجزًا، فلا يَصِلون إلينا؟

٩٥ ـ ﴿قالَ: ما مَكَّنّي﴾ ـ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ـ ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي. فلا حاجة بي إليه، وأجعلُ لكم السدّ تبرّعًا. ﴿فأعِينُوني بِقُوّةٍ﴾ لِما أطلبه منكم، ﴿أجعَلْ بَينكُم وبَينَهُم رَدْمًا﴾: حاجزًا حصينًا.

٩٦ ـ ﴿آتُوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾: قِطَعه على قَدْر الحِجارة التي يُبنى بها. فبنى بها وجعل بينها الحطبَ والفحم. ﴿حَتّى إذا ساوَى بَينَ الصُّدُفَينِ﴾ ـ بضمِّ الحرفين وفتحِهما، ....

قولُهُ: (بالنَّهْبِ) أي: في أرضِنا.

قولُهُ: (والبَغْيِ) والقتلِ، وإتلافِ الزَّرعِ، قيل: كانوا يخرُجونَ أيَّامَ الرَّبيعِ فلا يترُكونَ أخضرَ إلَّا أكَلوهُ ولا يابساً إلَّا احتملوهُ، وقيلَ: كانوا يأكُلونَ النَّاسَ.

قولُهُ: (مِنَ المَالِ) أي: نخرِجُهُ من أموالِنا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للمكِّيِّ[2]، أي: ما جَعلَني فيه مَكيناً.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من المِلْكِ.

قولُهُ: (لِمَا) الظَّاهرُ: بما أطلبُه ممَّا أتقوَّى به من الآلاتِ، أو: بقوَّةِ فعلِهِ.

قولُهُ: (حَاجِزًا) وهو أكبَرُ من السَّدِّ.

قولُهُ: (بَيْنَها) أي: الزُّبَرِ، والإيتاءُ بمعنى المناوَلةِ، ويدلُّ عليه روايةُ أبي بكرٍ بكسرِ التَّنوينِ موصُولةَ الهمزةِ[3] على معنى: جيئوني بزبَرِ الحديدِ، والباءُ محذوفةٌ كحذفها في: أمرتُكَ الخيرَ[4]، وفي الموضعِ الثَّاني حمزةُ وشعبةُ بخُلفٍ عنه[5].

قولُهُ: (بِضَمِّ الحَرفَينِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[6].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٠).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أي: ﴿ردما ائتوني﴾، انظر المصدر السابق.

(٤) وانظر: «الحجة للقرء السبعة» (٥/ ١٧٦).

(٥) أي: ﴿قال ائتوني﴾. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠١).

(٦) انظر المصدر السابق.

وضمِّ الأول وسكونِ الثاني ـ أي: جانبَي الجبلين بالبناء، ووَضع المَنافخَ والنار حول ذلك، ﴿قالَ: انفُخُوا﴾، فنفخوا. ﴿حَتَّى إذا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديدَ ﴿نارًا﴾ أي: كالنار ﴿قالَ: آتُونِيَ، أُفرِغْ علَيهِ قِطْرًا﴾ هو النحاس المُذاب، تنازعَ فيه الفعلان، وحُذف من الأوّل لإعمال الثاني.

فأفرَغَ النحاسَ المُذاب على الحديد المُحمَى، فدخل بين زُبَرِه فصارا شيئًا واحدًا. ٩٧ ـ ﴿فما اسطاعُوا﴾ أي: يأجوجُ ومأجوج ﴿أن يَظهَرُوهُ﴾: يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته، ﴿وما استَطاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: خَرقًا لصلابته وسُمكه. ٩٨ ـ ﴿قالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هذا﴾ أي السدُّ، أي: الإقدارُ عليه ﴿رَحْمَةٌ مِن رَبِّي﴾: نِعمةٌ لأنه مانع من خُروجهم. ﴿فإذا جاءَ وَعدُ رَبِّي﴾ بخُروجهم القريبِ من البعثِ ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مَدكوكًا مبسوطًا. ....

قولُهُ: (وَضَمِّ الأَوَّلِ... إلخ)، شعبةُ[1].

قولُهُ: (ووَضَعَ) عطفٌ على: ﴿سَاوَى﴾، والمنفاخُ: الَّذي يُنفَخُ فيه.

قولُهُ: (والنَّارَ) عطفٌ على «المنافخ»، أو مرفوعٌ والجملةُ حاليَّةٌ، وجوابُ ﴿إذَا﴾: ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ والأمرُ للعَمَلةِ.

قولُهُ: (فَنَفَخُوا) قدَّرَهُ ليتعلَّقَ به ﴿حتَّى﴾.

قولُهُ: (أي: الحَدِيدَ) أو المنفوخَ فيه.

قولُهُ: (لإِعْمَالِ الثَّانِي) ودلالتِهِ عليه.

قولُهُ: (أي: يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ) بحذفِ التَّاءِ، وقرأَ حمزةُ بالإدغامِ[2].

قولُهُ: (يَعْلُو ظهرًا) ويعلوهُ بالصُّعودِ، أو: يظهَروا عليه، بالحَذفِ والإيصالِ.

قولُهُ: (وسُمْكِهِ) أي: ارتفاعِهِ.

قولُهُ: (أي: الإِقْدَارُ) وفي البَيضاويِّ: أو الإقدارُ على تسويتِه[3]، وهو الأظهرُ.

قولُهُ: (نِعمَةٌ) على عبادِهِ.

قولُهُ: (بخُرُوجِهِم) أي: وقتُ وعدِهِ بخُروجِهِم، أو بقيامِ السَّاعةِ بأن شارَفَ يومُ القيامةِ.

قولُهُ: (مَبْسُوطاً) مُسَوًّى بالأرضِ، مصدَرٌ بمعنى: مفعولٍ، وقرأ الكوفيُّ: ﴿دكاء﴾ بالمدِّ[4] أي: أرضاً مستَوِيَةً.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٩٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٢).

﴿وكانَ وَعدُ رَبِّي﴾ بخُروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾: كائنًا.

٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ قال تعالى: ﴿وتَرَكْنا بَعضَهُم يَومَئِذٍ﴾: يومَ خُروجهم ﴿يَمُوجُ في بَعضٍ﴾: يختلط به لكثرتهم، ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ أي: القرنِ للبعث، ﴿فجَمَعْناهُم﴾ أي: الخلائقَ في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمعًا، وعَرَضْنا﴾: قرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لِلكافِرِينَ عَرضًا، الَّذِينَ كانَتْ أعيُنُهُم﴾: بدلٌ من «الكافرين» ﴿في غِطاءٍ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ ـ فهم عُميٌ لا يهتدون به ـ ﴿وكانُوا لا يَستَطِيعُونَ سَمعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبيّ ما يتلو عليهم بُغضًا له، فلا يؤمنون به.

١٠٢ ـ ﴿أفحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أن يَتَّخِذُوا عِبادِي﴾ أي: ملائكتي وعِيسَى وعُزيرًا ﴿مِن دُونِيَ أَولِياءَ﴾: أربابًا؟ مفعول ثان لـ «يتّخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف. المعنى: أظنّوا أنّ الاِتّخاذ المذكور لا يُغضِبني..

قولُهُ: (وغَيْرِهِم) الظَّاهرُ: وغيرِهِ[1].

قولُهُ: (كَائِناً) لا محالَةَ.

قولُهُ: (قَالَ تَعَالى) أشارَ[2] إلى أنَّ ما قبلَهُ آخرُ حكايةِ قولِ ذي القرنَينِ.

قولُهُ: (يَوْمَ خُرُوجِهِم) ممَّا وراءَ السَّدِّ.

قولُهُ: (يَختَلِطُ بِهِ) أي: ببعضٍ مُزدَحمينَ في البلادِ، أو يموجُ بعضُ الخلقِ في بعضٍ فيضطَرِبونَ ويختلِطونَ، إنسُهُم وجنُّهُم حَيَارى، ويؤيِّدُه ﴿ونفخَ﴾ كذا قالَهُ البَيضاويُّ[3].

وفيه: أنَّ بينَ النَّفختينِ ليس في الدَّارِ غيرُهُ ديَّارٌ: ﴿لِمَنِ الملكُ اليومَ للهِ الواحدِ القهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

قولُهُ: (قَرَّبْنَا) أو: أَبرَزناها وأظهَرناهَا.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) أو: عن آياتي الَّتي يُنظَرُ إليها فأُذكَرُ بالتَّوحيدِ والتَّعظيمِ.

قولُهُ: (مَا يَتْلُو عَلَيْهِم) أو: ذِكْرِي منهُ ومِن غيرِهِ.

قولُهُ: (أَرْبَاباً) أي: معبودِينَ.

قولُهُ: (لا يَغِيْظُنِي) وفي نسخةٍ: «لا يُغضِبُنِي»[4]، أو: نافعُهُم.

---

(١) وهكذا هو في المتن.

(٢) في (ص): «إشارة».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٩٤).

(٤) وكذا في النسخ المعتمدة في المتن.

ولا أُعاقبهم عليه؟ كلاّ. ﴿إنّا أعتَدْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرِهم ﴿نُزُلاً﴾ أي: هي مُعدّة لهم كالمَنزِلِ المُعدّ للضيف.

١٠٣ ـ ﴿قُلْ: هَل نُنَبِّئُكُم بِالأخسَرِينَ أعمالاً﴾ تمييزٌ طابَقَ المُميَّزَ، وبيَّنهم بقوله: ١٠٤ ـ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾: بَطَلَ عملهم، ﴿وهُم يَحسِبُونَ﴾: يظنّون ﴿أنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾: عملاً، يُجازَون عليه؟

١٠٥ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِم﴾: بدلائل توحيده من القُرآن وغيره ﴿ولِقائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحِساب والثواب والعِقاب، ﴿فحَبِطَتْ أعمالُهُم﴾: بَطَلَتْ، ﴿فلا نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيامَةِ وَزنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا ـ ١٠٦ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرتُ من حُبوطِ أعمالهم وغيرِه ـ وابتدأ: ﴿جَزاؤُهُم جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا، واتَّخَذُوا آياتِي ورُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا بهما. ١٠٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُم﴾ في عِلم الله ﴿جَنّاتُ الفِردَوسِ﴾..........

وقولُهُ: (ولا أُعَاقِبُهُم) الظَّاهرُ: أو لا أعاقبُهُم عليه؛ أي: لا أعذِّبُهُم به، فحُذِفَ المفعولُ الثَّاني كما يحذَفُ الخبرُ للقرينَةِ، أو سدَّ ﴿أنْ يَتَّخِذُوا﴾ مسدَّ مفعولَيهِ.

قولُهُ: (كَلَّا) فالاستِفهامُ للإنكارِ.

قولُهُ: (كالنُّزُولِ) وفيه تهكُّمٌ وتنبيهٌ على أنَّ لهم وراءَهَا من العذابِ ما تُستحقَرُ دونَهُ.

قولُهُ: (طابَقَ المُمَيَّزَ) أي: جُمِع لتنوُّعِ أعمالِهِم.

قولُهُ: (بَطَلَ عَمَلُهُم) لكُفرِهِم وعُجْبِهِم كالرَّهابنَةِ، فإنَّهُم خَسِروا دُنياهُم وأخراهُم، ومحلُّهُ الرَّفعُ على الخبرِ لمحذوفٍ، أو الجرُّ على البدَلِ، أو النَّصبُ على الذَّمِّ.

قولُهُ: (يَظنُّونَ) لعُجبِهِم واعتقادِهِم أنَّهُم على الحَقِّ.

قولُهُ: (تَوحِيْدِهِ) ونبوَّتِهِ.

قولُهُ: (أَوْ غَيرِهِ) من الدَّلائِلِ المنصوبَةِ.

قولُهُ: (قَدْراً) أي: مِقداراً واعتباراً.

قولُهُ: (وَغَيْرِهِ) من عَدمِ إقامَةِ الوَزنِ، فـ ﴿ذلكَ﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، والمشارُ إليه ما ذكَرَ.

وقولُهُ: (وابْتَدَأَ) أي: بمبتدإٍ وخبرٍ آخَرَينِ، والجملةُ مبيِّنةٌ للسَّابقِ.

قولُهُ: (فِي عِلْمِ اللهِ) أو: فيما سبَقَ من حُكمِ اللهِ ووعدِهِ، أو: صارَت.

أو: تكونُ، وعُبِّرَ بالماضي لتحقُّقِ وقوعِهِ.

هو وسَط الجنّة وأعلاها ـ والإضافة إليه للبيان ـ ﴿نُزُلاً﴾ منزلاً، ١٠٨ ـ ﴿خالِدِينَ فِيها، لا يَبغُونَ﴾: يطلبون ﴿عَنها حِوَلاً﴾ تحوّلاً إلى غيرها.

١٠٩ ـ ﴿قُلْ: لَو كانَ البَحرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِداداً﴾، هو ما يُكتب به، ﴿لِكَلِماتِ رَبِّي﴾ الدالّة على حِكَمه وعجائبه بأن تُكتب به ﴿لَنَفِدَ البَحرُ﴾ في كتابتها، ﴿قَبلَ أن تَنفَدَ﴾، بالتاء والياء: تَفرُغَ ﴿كَلِماتُ رَبِّي، ولَو جِئْنا بِمِثلِهِ﴾ أي: البحرِ ﴿مَدَداً﴾ زيادةً فيه لنفِدَ إذًا، ولم تَفرُغ هي........

قولُهُ: (تَحَوُّلاً) إذ لا يجِدونَ أطيَبَ منها.

قولُهُ: (أي: مَاؤُهُ) بحَذفِ المضَافِ، أو بإطلاقِ المحلِّ وإرادَةِ الحالِّ، والمرادُ: جنسُ البحرِ، فقولُه تعالى: ﴿لَنَفِدَ البَحْرُ﴾ من بابِ وضعِ الظَّاهرِ موضِعَ الضَّميرِ تأكيداً، هذا ما خطَرَ لي، واللهُ أعلمُ.

ثمَّ اعلم أنَّهُ استشكلَهُ بعضُ فضلاءِ زمانِنا بأنَّ صاحبَ «القاموسِ» قال: البحرُ: الماءُ الكثيرُ[١]. فلا حاجَةَ إلى ارتِكابِ مَجازٍ في إطلاقِ البحرِ بأن يقالَ: أي: ماؤُهُ.

والجوابُ: أنَّ اللُّغويَّ أيضاً ارتكَبَ المعنى المجازيَّ في هذا المحلِّ، حيثُ أرادَ به محلَّ الماءِ الكثيرِ، وقد صرَّحَ بالمعنَى الحقيقيِّ في موضعٍ آخرَ بأن قالَ: البَرُّ ضدُّ البَحرِ، ولا شكَّ في عدمِ الضِّدِّيَّةِ بين الماءِ الكثيرِ والبَرِّ، بل الضِّدِّيَّةُ بين أرضٍ ذاتِ ماءٍ كثيرٍ وأرضٍ ذاتِ ماءٍ قليلٍ، أو بلا ماءٍ، وأيضاً لو كانَ إطلاقُهُ على الماءِ الكثيرِ حقيقةً لتحقَّقَ الفاصلةُ بينهما، والتَّحقيقُ عدمُها كما يشيرُ إليه قولُهُ تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩] المفيدُ عمومَ ما في الأرضِ، ثمَّ الجبالُ ونحوُها تابعةٌ لهما، وممَّا يُصرِّحُ بصحَّةِ المعنى الَّذي قرَّرناهُ ما وردَ في الحديثِ الصَّحيحِ في البحرِ: «هو الطَّهُورُ ماؤُهُ»[٢]، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: (فِي كِتَابَتِها) لأنَّ كلَّ جسمٍ مُتَناهٍ.

قولُهُ: (واليَاءِ) حمزةُ والكسائيُّ[٣].

قولُهُ: (أي: البَحرِ) أي: الموجودِ.

قولُهُ: (لَنَفِدَ) لأنَّ مجموعَ المتَناهِيين مُتَناهٍ.

قولُهُ: (وَلَمْ تَفْرُغْ هِيَ) أي: ﴿كلماتُ ربِّي﴾ فإنَّها غيرُ متناهيَةٍ، فلا تنفدُ كعلمِهِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٢٢) (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٧٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٢).

ونصبُه على التمييز.

١١٠ ـ ﴿قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ﴾ آدميّ ﴿مِثلُكم، يُوحَى إليَّ أنَّما إلـٰهُكم إلـٰهٌ واحِدٌ﴾. أنّ: المكفوفةُ بـ «ما» باقيةٌ على مصدريّتها. والمعنى: يُوحَى إليَّ وحدانيّةُ الإلـٰه. ﴿فمَن كانَ يَرجُو﴾: يأمُلُ ﴿لِقاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فلْيَعمَلْ عَمَلاً صالِحًا، ولا يُشرِكْ بِعِبادةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يُرائيَ ﴿أحَدًا﴾.

بَقِيَ فيه إشكالٌ: وهو أنَّ ﴿قَبْلَ﴾ ظرفٌ لنفادِ البحرِ، مضافٌ إلى نفادِ الكَلماتِ، فيَصيرُ المعنى: أنَّ الكلماتِ نافدَةٌ، ونفادُ البحرِ قبلَ نفادِها؟

فقيلَ: الآيةُ من بابِ التَّمثيلِ وتنزيلِ غيرِ المتَناهي منزلةَ المتَناهي فَرْضاً تفهيميًّا للعِبادِ وتَقريباً لهم، والمرادُ: الكثرَةُ الغيرُ المتناهيةِ.

أقولُ: هذه الآيةُ من المتَشابهِ، والمحكَمُ هو قولُهُ تعالى في «لقمان»: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وفسَّرَ الشَّيخُ الكلماتِ هناك بالمعلوماتِ الَّتي هي غيرُ متناهيَةٍ، واللهُ أعلمُ بمرادِهِ.

ثمَّ رأيتُ الغزاليَّ ذكرَ في «منهاجِ العابدينَ»: أنَّ المفسِّرينَ يقولونَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ أنَّ هذهِ الكلماتِ الَّتي يقولُها اللهُ تعالى لأهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ باللُّطفِ والإكرامِ[1]، انتهى.

قلتُ: ومع هذا لا بُدَّ أن يقيَّدَ بكلامٍ خاصٍّ في مقامِ الاختِصاصِ[2]، وبه تحصُلُ المناسبةُ اللَّائحَةُ والملاءمةُ الواضِحةُ بين هذهِ الآيةِ وبين سابقَتِها، وكذا بينها وبينَ لاحقَتِها.

ثمَّ خطَرَ لي أنَّه يحتملُ أن يكونَ المرادُ في الآيةِ: قبلَ أن تنفدَ معاني كَلِماتِ ربِّي، على حذفِ مُضافٍ، فتكونُ الآيةُ توطئةً لِمَا بعدها من قولِه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] واللهُ تعالى أعلمُ.

قولُهُ: (عَلَى التَّمْيِيزِ) عن ﴿مِثْلِهِ﴾.

قولُهُ: (المَكْفُوفَةُ) أي: عن العَملِ لفظاً.

قولُهُ: (يَأمُلُ) أي: حُسنَ لقائِهِ، أو يخافُ المصيرَ إليه، لكنَّ العملَ على الرَّجاءِ أكملُ.

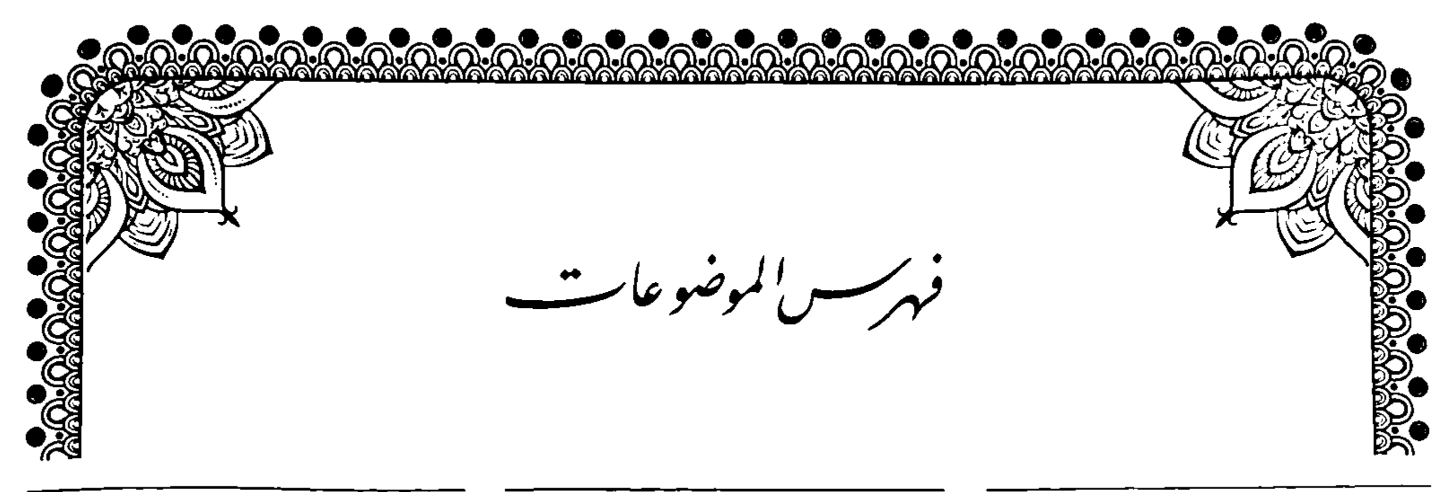
قوله: (بِأَنْ يُرَائِيَ) أو يطلبَ منه أجراً، والآيةُ جامعَةٌ لخُلاصَتَي العِلمِ والعَمَلِ؛ وهما التَّوحيدُ والإخلاصُ، واللهُ أعلَمُ.

***

---

(١) انظر: «منهاج العابدين» (ص: ٣٥٠).

(٢) في (ص): «اختصاص».



فهرس الموضوعات

* * *